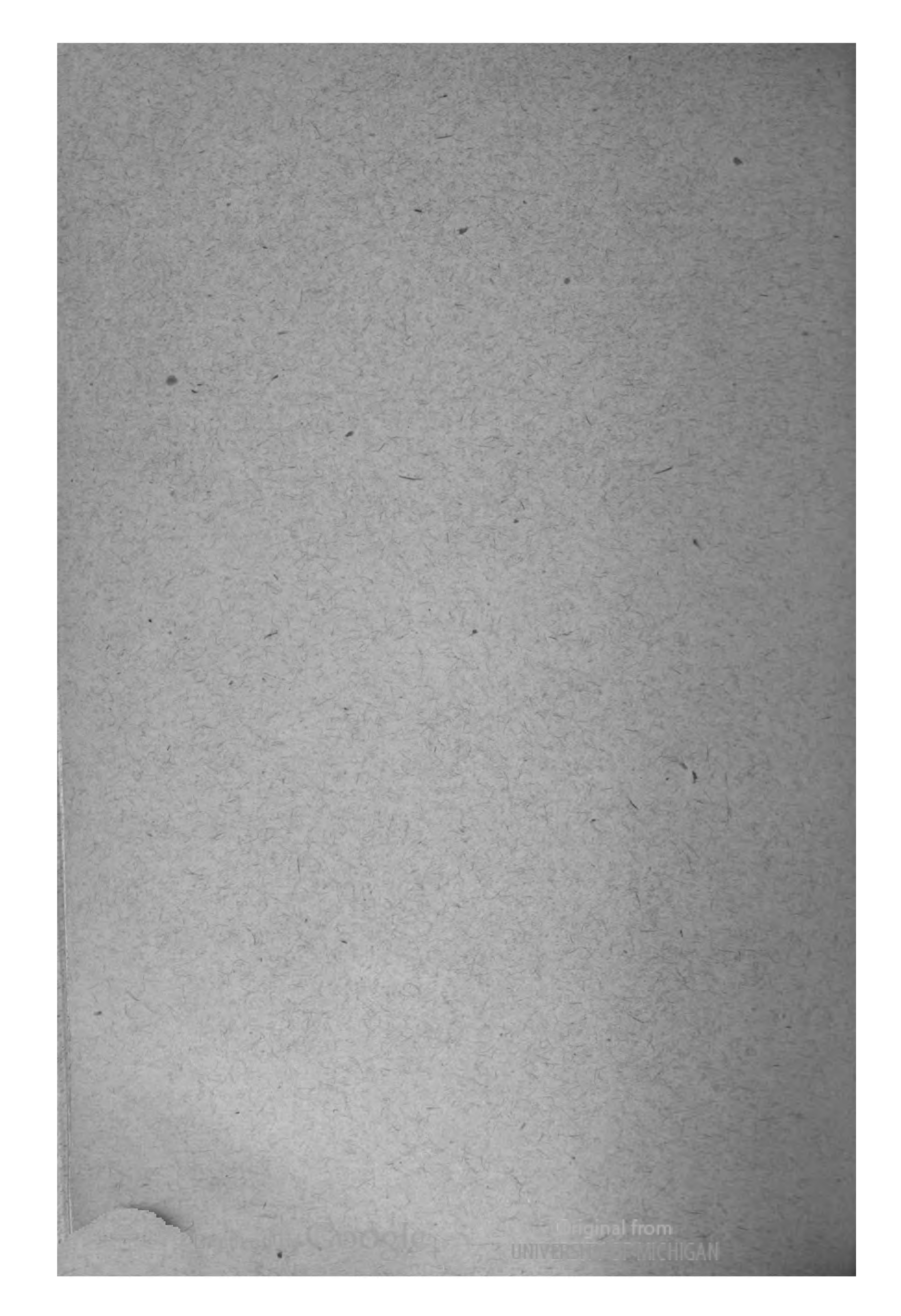
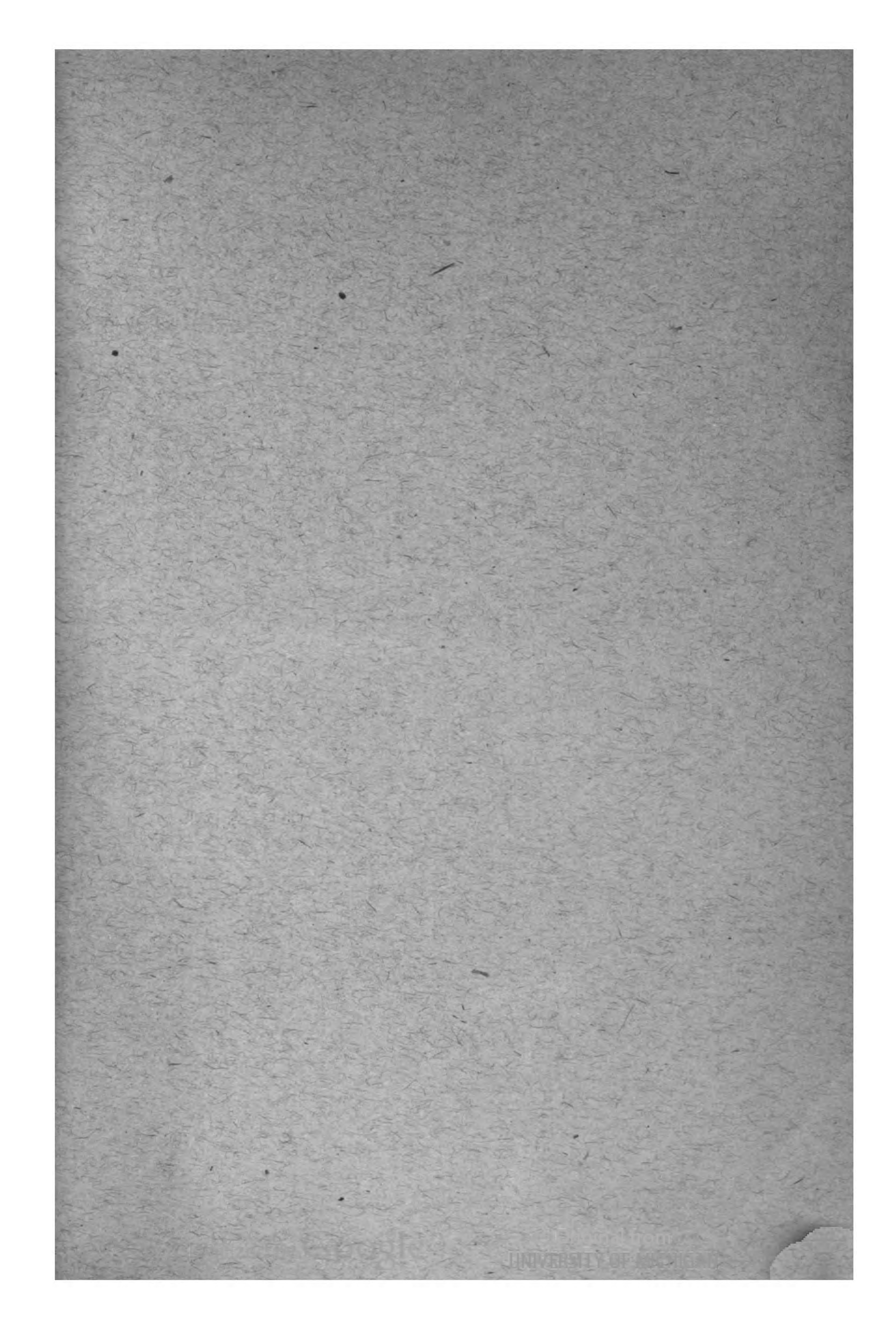
شرق





UNIVERSITY OF MICHIGAN
3 9015 02018 4571







مجلّة كاثوليكية تصدر مرّة في الشهر في ٨٠ صفحة برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي على مباحث علميّة وادبيّة وفنيّة

بادارة آباء كلّيّة القديس يوسف

لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

السنة التاسعة عشرة

١٩٢١

# AL-MACHRIQ

**REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE MENSUELLE**

**Sciences — Lettres — Arts.**

SOUS LA DIRECTION DES PÈRES DE L'UNIVERSITÉ St.-JOSEPH

**DIX-NEUVIÈME ANNÉE**

**1921**

**IMPRIMERIE CATHOLIQUE**

**BEYROUTH**

**1921**

السنة التاسعة عشرة العدد ١ كانون الثاني ١٩٢١



# تواريخ العالم وروزناماته

للاب لويس شيخو اليسوعي

هذا بحث جليل يطلعنا اوَّلًا على التواريخ التي شاعت بين الامم القديمة والشعوب الحديثة فاستندوا اليها لتعريف ازمنة الخليقة او دولهم الخاصّة ثم ثانياً على الروزنامات السنويَّة وحساب اشهرها واسابيعها وايَّامها وفقاً للكلندارات المعتمد عليها سابقاً وحاضرًا . وليس زمن اجدر من بدء العام الجديد للخوض في عبابهِ على انَّنا لم نقصد الاتساع فيهِ بل نعرضهُ على صورة موجزة لاجتناء فوائدهِ القريبة

## القسم الاول : تواريخ العالم

### اوَّلًا اخصّ التواريخ الشائعة بين الامم

تقسم هذه التواريخ الى قسمين كبيرين احدهما عمومي يؤرخ سني الخليقة منذ اوَّل العالم . والآخر خصوصي يتناول قروناً محدودة بدأت بأزمنة معلومة او بوقوع حوادث شهيرة اتَّخذتها الشعوب او مشاهير الكتبة كمفتتح تاريخ بعض الدول

#### ١ التواريخ العمومية لسني الخليقة

يُراد بسني الخليقة واوَّل العالم تكوين الانسان الاوَّل لمَّا خلق الله الابوين الاوَّلين على ما جاء في سفر الخليقة لموسى النبيّ . وليس بحثنا الآن عن آراء العلماء المختلفين في

المدَّة التي توسّطت بين ظهور البشر على الارض ومجيء السيّد المسيح فانَّ تلك آراء قد تعدَّدت ومذاهب تضاربت حتَّى بلغ الاختلاف بينهم نحو ثلاثة آلاف سنة فيتراوح الحساب بين السنتين ٣٤٨٣ و ٦٩٨٤ وكلهم يدَّعون الاستناد الى التوراة ونصوصها الثلاثة القديمة العبرانيَّة والسامريَّة والسبعينيَّة دون ان تنقض الكنيسة آراءهم وكفى بالامر دليلًا الى انَّ الكنيسة لا تعتبر حساب التوراة حكماً فاصلًا في ذلك وانَّما ندلّ نحن الى ما شاع في العالم من تلك التواريخ وبهِ ارَّخ الكتبة القدماء

﴿ ١ التاريخ الاسرائيلي ﴾ قد تبع اليهود قبل المسيح وبعدهُ تواريخ مختلفة الى ان اتَّفقوا في القرن الحادي عشر على ان يتَّخذوا لهم تاريخاً يرفعونهُ الى بدء الخليقة الذي يزعمون انهُ وقع في ٧ كانون الثاني سنة ٣٧٦١ . وعليه فان السنة الجديدة ١٩٢١ توافق عندهم السنة ٥٥٩٢

﴿ ٢ التاريخ الاسكندري ﴾ شاع هذا التاريخ في مصر وبين مؤرخي النصارى العرب كجرجس بن المكين المعروف بابن العميد وبين كثيرين من الكتبة في اوربَّة في القرون المتوسّطة . وهو يُنسب الى يوليوس الافريقي في القرن الثالث للمسيح . فهذا التاريخ يجعل مولد المسيح سنة ٥٥٠٠ للعالم ومن ثمَّ تكون السنة ١٩٢١ على موجب هذا الحساب ٧٤٢١ . ويوافقهُ ﴿التاريخ الانطاكي﴾ للراهب بانودورس في اواخر القرن الرابع وانَّما يخالفهُ في امر واحد وهو يجعل مولد السيّد المسيح قبل التاريخ الاسكندري بعشر سنوات اي سنة ٥٤٩٠ للخليقة

﴿ ٣ التاريخ القسطنطيني ﴾ عُرف هذا التاريخ الذي جعل مولد المسيح سنة ٥٥٠٨ للعالم منذ اواخر القرن السادس للميلاد وشاع شيوعاً عظيماً بين الروم حتَّى الازمنة القريبة من عهدنا . ولا يزال بعضهم يؤرخون بهِ . وقد اختلفوا في تعيين اوَّل السنة منهُ حتَّى حدَّد ذلك المجمع القسطنطيني الثالث والمسكوني السادس سنة ٦٨٠ فعيَّن افتتاح السنة في اوَّل شهر ايلول . فالسنة الحالية تكون في التاريخ القسطنطيني السنة ٧٤٢٩ للعالم

﴿ ٤ التاريخ الهندي ﴾ يزعم اهل الهند انَّ للعالم اربعة ادوار انتهت ثلاثة منها واننا حاضراً في الدور الرابع الذي طولهُ ٤٣٢ الف سنة اوَّلهُ سنة ٣١٠١ قبل المسيح وعليهِ فان السنة الحالية هي في حسابهم ٥٠٢٢

﴿ ٥ التاريخ اليوليّ ﴾ يُنسب هذا التاريخ الى الفلكيّ الشهير يوليوس سكاليجر فعُرف بهِ (ère julienne) وضعهُ سنة ١٥٤٠ وجعل اوَّل الخليقة في السنة ٣٩٤٩ قبل المسيح المولود على رأيهِ في السنة ٤٧١٤ للعالم فتكون سنتنا الجديدة وفقاً لهذا الحساب السنة ٦٦٣٥ منذ التكوين . امَّا ما حملهُ على اختيار هذا الحساب فلأنَّهُ وجدهُ بضربهِ الادوار الثلثة الشمسي والقمري والروماني فكان الحاصل العدد ٣٩٤٩ فبنى عليهِ تاريخهُ

## ٢ التواريخ الخاصة الجارية بين الامم

تُقسم هذه التواريخ الى قسمين قسمٌ منها سبق عهد ميلاد السيّد المسيح وقسم جرى بعدهُ

### ١ التواريخ الخاصَّة السابقة لعهد المسيح

﴿ ١ التاريخ الصينيّ ﴾ لاهل الصين تاريخٌ يباشرونهُ في السنة ٢٦٩٧ قبل المسيح ويقسمونهُ ادواراً يدوم كلّ دور منها ٦٠ سنة فنحن اليوم في السنة ٥٨ من الدور السادس والسبعين

﴿ ٢ تاريخ ابراهيم الخليل ﴾ ابتداؤُه في السنة ٢٢٩٦ قبل المسيح وفيها دعاه الله من اور الكلدانيين الى ارض الميعاد ليكون أباً للشعب الاسرائيليّ

﴿ ٣ تاريخ الالعاب الاولمبيَّة ﴾ كان في اليونان مدينة تدعى أُولِمْپية يكرمون فيها الصَّنم جوپيتر الاولمپي لهُ هناك هيكل فخيم . فسعى اهل المدينة باجتذاب الغرباء الى هيكل معبودهم فأقاموا ألعاباً غاية في الرونق عُرفت بالالعاب الاولمبيَّة كانوا يحتفلون بها كلّ اربع سنوات . فاتخذ تيماوس المؤرخ الصقليّ بعد الاسكندر اوَّل ادوار هذه الالعاب المنظَّمة كتاريخ سنةٍ فلكيَّة جعل اوَّلها في ١٨ تموز سنة ٧٧٦ وتدوم اربع سنوات شمسيَّة . فانتشر هذا التاريخ في بلاد اليونان خصوصاً . فبموجب هذا الحساب كان مولد السيّد المسيح في السنة الاولمبيَّة ١٩٤ وبقي هذا الحساب جارياً الى السنة ٤٠٠ للمسيح وهي السنة ٢٩٤ الاولمپية ثمَّ أُلغي

﴿ ٤ تاريخ انشاء رومية ﴾ كان انشاء رومية على الرأي الارجح سنة ٧٥٣ قبل

المسيح فجرى الرومان وكتبَتهم على هذا الحساب زمناً طويلاً — وللرومان حساب آخر زاد شيوعاً عن التاريخ السابق وهو ❁ التاريخ القنصلي ❁ Æra consularis دعوهُ بذلك لأَنَّهم جعلوا مبدأهُ سنة اقامتهم للقناصل بعد الغاء الهيئة الملكيَّة والمناداة بالجمهوريَّة وذلك في السنة ٥٠٩ ق م وثبت هذا الحساب عندهم خمسة عشر قرناً الى عهد ملك الروم لاون المعروف بالحكيم (٨٨٦—٩١١ للمسيح)

❁ ٥ تاريخ نبونزير ❁ ويُدعى ايضاً نبونصَّر احد ملوك بابل ملك عليها من السنة ٧٤٧ الى ٧٣٤ ق م . فالفلكي الشهير بطلمبوس اذ باشر في كتابهِ المجسطي ببلاد بابل بنى حسابهُ على اوَّل عام من ملك نبونزير اعني ٢٦ شباط من سنة ٧٤٧ . فجرى حسابهُ بين كثيرين زمناً طويلاً . لكنَّ هذا الحساب أَضرب صاحبهُ صفحاً عن تعداد السنين الكبيسة فما لبث ان خالف حركات الشمس ودورانها

❁ ٦ تاريخ البطالسة ❁ هؤلاء البطالسة تولَّوا مصر بعد الاسكندر وعُرفوا ايضاً بالسلالة اللاغيَّة . جعلوا اوَّل تاريخهم في ١٢ تشرين الثاني من السنة ٣٢٤ وهي سنة موت الاسكندر ذي القرنين . ولذلك دُعي الحساب ايضاً بتاريخ الاسكندر

❁ ٧ تاريخ اليونان او السلوقيين ❁ شاع هذا التاريخ شيوعاً عظيماً حيثما بلغت فتوحات الاسكندر وملك بعدهُ قوَّادهُ ولا سيَّما ملوك سورياً السلوقيّين المنتسبين الى سلوقوس نيكاتور اي الظافر . وربَّما دُعي ايضاً بتاريخ الاسكندر مع انهُ لم يبتدئ حسابهُ الَّا بعد موت الاسكندر بسنين . فبدء هذا الحساب في السنة ٣١٢ قبل المسيح وثبت اجيالاً طويلة الى الازمنة القريبة من عهدنا . وانمَّا اختلفوا في شهر بدايتهِ فالروم يحسبون بدايتهُ في اوَّل ايلول والسريان والكلدان يجعلون تلك البداية في غرَّة تشرين الاوَّل . بل اختلف البعض في بدء سنتهِ فنهم من جعلها السنة ٣١١ ق م كاليهود ومنهم من حدَّد سنة ٣١٠ بل قدَّمها بعضهم الى السنة ٣١٣ ق م فاقتضى التنبيه

❁ ٨ تاريخ بني حشمناي ❁ ويُدعى تاريخ المكابيين اتَّخذهُ اليهود مدَّةً ذكرًا لنجاة وطنهم على يد أُسرة المكابيين وذلك سنة ١٤٣ ق م . وقد ارَّخ بعض اليهود بسنة خروجهم من مصر اي السنة ١٦٤٥ ق م وارَّخ غيرهم ببناء هيكل سليمان ٩٩٨ ق م وباوَّل جلائهم الى بابل سنة ٦٠٦ وبناء الهيكل ثانياً على يد زروبابل ٥١٦ . وانمَّا كان التاريخ السلوقيّ اشيع عندهم من سواهُ

﴿ ٩ تاريخ پمپيوس ﴾ هـذا التاريخ يرتقي الى السنة ٦٤ ق م حيث فتح پمپيوس بلاد الشام فجعلها من جملة الاقاليم الرومانيَّة فاتَّخذ السوريون تلك السنة كمبدأ حسابهم

﴿ ١٠ التاريخ القيصري ﴾ هو التاريخ الروماني الذي يُنسب الى يوليوس قيصر لمَّا اصلح حساب السنة الرومانيَّة القديم بمساعدة الفلكيّ الشهير سوسيجانس وجعلهُ شمسيًّا بعد ان كان قمريًّا يوافق اوَّلهُ السنة ٤٥ قبل المسيح

﴿ ١١ تاريخ اسبانية ﴾ أُنشئ هذا التاريخ في ١ كانون الثاني من السنة ٣٨ق م اكرامًا لاوغسطوس قيصر بعد ان فتح كلّ بلاد اسبانية وضمَّها الى الممالك الرومانيَّة . واكثر ما شاع هذا التاريخ في اسبانية وجنوبي فرنسة وشمالي افريقية الى القرن الثاني عشر بعد المسيح

﴿ ١٢ تاريخ اكسيوم ﴾ أكسيوم في سواحل اليونان انتصر فيها اوغسطوس قيصر على خصمهِ انطوان فصار اليهِ وحدهُ الملك الروماني وذلك في ٢ ايلول ٣٠ ق م . واصبح ذلك التاريخ مبدأ لحساب شاع في عدَّة بلاد حتَّى في مدن الشام

﴿ ١٣ تواريخ المدن الفينيقيَّة الساحليَّة ﴾ قد بلغت مدن فينيقية في بعض آونة تاريخها رقيًا عظيمًا وربَّما نالت استقلالًا نوعيًّا حدا بها الى ان تتخذ لها تواريخ وطنيَّة خاصَّة تشهد عليها الآثار الباقية الى يومنا لاسيَّما النقود والمصكوكات . فدونك اخصَّ هذه التواريخ : ١ً اتَّخذت لها صور تاريخَين مستقلَّين اولهما جعلتهُ سنة ٢٧٥ ق م . والثاني سنة ١٢٦ وجعلوا اوَّلهُ في ١٩ تشرين الاوَّل ١٢٥ ارَّخت بهِ لمَّا منحها ملوك سوريَّة الاستقلال فعدلوا عن التاريخ اليوناني . ٢ً وارَّخت جزيرة ارواد وشريكتها عمريت بالسنة ٢٥٩ ق م . ٣ً وارَّخت عكَّا بالسنة ١٧٤ ق م ذكرًا لما منحها من الامتيازات انطيوخوس الرابع المعروف بالشهير . ٤ً وأرَّخ الصيداويون بالسنة ١١١ ق م كما يتَّضح من نقودهم . ٥ً وارَّخت طرابلس بتاريخها الوطني ١٠٥ ق م . ٦ً وكان تاريخ بيروت الوطنيّ سنة ٨١ ق م . . ولم يكن لجبيل تاريخًا وطنيًا . ٧ً وكلّ هذه المدن كثيرًا ما تبعت في حسابها تاريخ الساوقيين او تاريخ پمپيوس او تاريخ اكسيوم السابق ذكرها

## ٢ التواريخ الشائعة بعد المسيح

﴿ ١ التاريخ المسيحي ﴾ هو التاريخ الشائع اليوم في كلّ الاقطار المسيحية على اختلاف مذاهبها . وضعهُ في القرن السادس للمسيح في رومية راهب يدعى ديونيسيوس الصغير كان متولياً نظارة السجلّات البابويّة فاعتمد بكتاباتهِ الى هذا التاريخ البادئ بميلاد السيّد المسيح وكان ذلك سنة ٥٢٤ . لكنّ عملهُ هذا لم يَرُجْ وقتئذٍ حتّى قام ملك فرنسة كرلس الكبير واتّخذ هذا الحساب رسميًّا لدولتهِ فشاع بعدهُ في كلّ الدول الاوربيّة . على انَّ ديونيسيوس قد وَهم في حسابهِ وجعل مولد السيّد المسيح في السنة ٧٥٤ لرومية والصواب انَّ ميلاد الربّ حدث اربع سنين قبل ذلك اي في سنة ٧٤٩ لرومية والسنة الرابعة من الدور الاولمبي الـ١٩٤ الموافقة للسنة ٤٧٠٩ للتاريخ اليولي . فيكون عمر السيّد المسيح يوم موتهِ ٣٦ سنة وثلثة اشهر وتسعة ايّام . امّا يوم وشهر راس السنة المسيحيّة فقد اختلفوا فيهما فمنهم من جعلهما في ٢٥ ك ١ يوم عيد الميلاد ومنهم من ابتدأهما في ٢٥ آذار يوم عيد البشارة وغير ذلك ممّا رويناهُ سابقاً في المشرق في مقالتنا المعنونة عادات الانام في رؤوس الاعوام ( ١٦ [١٩١٣] : ١–١١ )

﴿ ٢ تاريخ الشهداء ﴾ وهو التاريخ القبطي ويُعرف ايضاً بتاريخ ديوقلسيانوس نسبةً الى الشهداء لكثرة من استشهد من النصارى في عهد ذلك الملك في انحاء مصر . وكان اوّل هذا التاريخ موافقاً لليوم الجمعة ٢٩ من آب سنة ٢٨٤ للمسيح . فالسنة ١٩٢١ توافق السنة ١٦٣٧ للشهداء . . والسنة القبطيّة شمسيّة غير انّها تتبع في حسابها وكبسها كلّ اربع سنين الحساب الشرقيّ الجاري عند الروم

﴿ ٣ التاريخ الارمني ﴾ كان الارمن يؤرخون بعد تنصُّرهم بتاريخ اليونان . ثمَّ اخذت البدعة اليعقوبيّة تنتشر بينهم فلمّا كانت السنة ٥٥٢ للميلاد اجتمعوا في توڤين وقرَّروا الهرطقة المونوفيسيّة فأنكروا طبيعتي السيد المسيح ومشيئتيهِ . واتّخذوا حساباً جديدًا دعوهُ نقاسَرْت جعلوا مبدأهُ في ١١ تموز سنة ٥٥٢ . وهو حساب شمسي دون اكتراثهم بالسنة الكبيسَة . وراس السنة عندهم يقع في يوم عيد الغطاس في ٦ كانون الثاني . فالسنة الحاضرة ١٩٢١ هي في حساب تاريخهم ١٣٧١

﴿ ٤ تواريخ العرب قبل الاسلام ﴾ لا يُعرف من حساب تواريخ العرب قبل الهجرة الّا النزر القليل فاشهر تلك التواريخ عام الفيل لمّا حاول الحبش فتح مكّة وخراب

الكعبة وذلك على الرأي الارجح في ٢٩ آب سنة ٥٧٠ للمسيح . وقد ارَّخ القُرَيشيُّون بيوم الفجار الثاني اذ انتصروا من بني هوازن وذلك سنة ٥٨٩ . وارَّخ بنوطيٍّ بعام الفساد في اوائل القرن السابع للمسيح . وكان لبُصرى في حوران على عهد الرومان تاريخ يبتدئ في السنة ١٠٥

﴿٥ التاريخ الهجريّ﴾ نسبةً الى مهاجرة محمَّد صاحب الشريعة الاسلاميَّة من مكَّة الى يثرب فدُعيت بمدينة النبي وذلك في ١٥ تموز من السنة ٦٢٢ ولأنهم اعتبروا في حسابهم رؤية الهلال فقد أخَّروا ذلك الى اليوم ١٦ منهُ . والسنة الهجريَّة كما هو معلوم قمريَّة تتألَّف من ١٢ شهرًا ومن ٣٥٤ يوماً وفي بعض السنين من ٣٥٥ يوماً امَّا النقص السنوي عن تاريخ السنة الشمسيَّة فيبلغ سنةً كاملة كلَّ ٣٣ سنةً واوَّل كانون الاول من السنة ١٩٢١ يوافق ١١ من جمادى الاولى ١٣٣٩ وتبتدئ سنة ١٣٤٠ في ٤ ايلول

﴿٦ التاريخ العجميّ﴾ يدعى هذا التاريخ تاريخ ازدشير وهو الثالث من اسمهِ وآخر ملوك بني ساسان ملك من السنة ٦٣٢ الى ٦٣٤ حيث فتح العرب بلاد العجم وخلعوا ازدشير . وتاريخهُ يبتدئ في ١٦ حزيران ٦٣٢ اي عشر سنين الَّا شهرًا بعد تاريخ الهجرة وكانت تلك السنة هلاليَّة وبقيت جاريةً الى السنة الهجريَّة ٤٦٧ (١٠٧٥ م) فابدلها جلال الدين ملكشاه بسنة شمسيَّة كان ابتداؤها في السنة ٤٦٧ المذكورة وصحَّح فيها ما وقع من الغلط في الحساب اليوميّ

﴿٧ تاريخ الجمهوريَّة الفرنساويَّة﴾ لم يثبت الَّا ١٢ سنة من ٢٢ ايلول ١٧٩٢ الى ٤ تشرين الاوَّل ١٨٠٤

## القسم الثاني : الروزنامات

الروزنامة بالفارسيَّة كتاب الايَّام يراد بها التاريخ السنوي وتدوين اعمالهِ اليوميَّة . ومثلها الكلندار وهو نظام السنة وحساب شهورها واسابيعها وايَّامها . واصل اللفظة لاتينيَّة معناها المناداة الشهريَّة كان الرومان في اوَّل الشهر يدعون الشعب فينادون بما يقع فيهِ من الاعياد

فان اعتبرنا ﴿اليوم﴾ وجدنا لهُ ثلاث هيئات فيكون امَّا يوماً نجمياً وامَّا يوماً

شمسيًّا. واماً يوماً مدنيًّا (فاليوم النجمي) الذي لا يختلف البتَّة يتعيّن ببروز احد النجوم الثابتة في هاجرة المكان بعد دوران الارض على محورها دورةً تامَّة . وانَّما لا يعوَّل عليهِ في المعاملات لصعوبة مراقبة النجوم

(واليوم الشمسي) يتعيَّن بعودة الارض بعد دورتها الواحدة على محورها مع زيادة في سيرها لتبلغ هاجرتها لأن للارض ما عدا دورتها حول الشمس حركةً خاصَّة ناتجة عن انتقالها في فلكها الاهليلجي في دائرة البروج المائلة على دائرة الاعتدال ومن ثمَّ ليست الايَّام الشمسيَّة متساوية ثابتةً فتطول احياناً عن ٢٤ ساعةً وتارة تقصر عنها . ويُدعى اليوم الشمسي باليوم الحقيقي

(اليوم المدنيّ) او المتوسّط . قد اقتضى اختلاف طول اليوم الحقيقي وقصرهِ ان يقسم اليوم الحقيقي اقساماً متساوية يمكن الرجوع اليها في المعاملات المدنيَّة . فقسموهُ الى اربعة وعشرين قسماً متساوياً يسمُّونها ساعات منها ١٢ ساعة للنهار و١٢ ساعة لليل وذلك هو اليوم المدني او المتوسّط . لا يعتبرون فيهِ حركة الشمس الظاهرة بل حركتها الوهميَّة كأَنَّها تمرُّ كلّ يوم في خطّ واحد من الهاجرة . وانَّما تتَّفق الحركتان في الانقلاب الشتوي والصيفي وفي اعتدال الليل والنهار الخريفي والربيعيّ

ثمَّ انَّ الشعوب قد اختلفت في تعيين اوَّل اليوم وتقسيمهِ فنهم من يجعل اوَّل اليوم من الصباح الى المساء كالبابليين والفرس والروم . ومنهم من يبتدئ اليوم من غروب الشمس كاليهود والعرب . وقد ابتدأ غيرهم النهار من الظهر كبعض الشعوب القدماء . اماَّ الرومان ومثلهم اهل اوربَّة حاضرًا فيبتدئون اليوم من نصف الليل

وكذلك جرى بعض اختلاف في ساعات اليوم فانَّ اليهود واليونان والرومان كانوا يقسمون النهار الى ٢٤ ساعة نصفٌ منها نهاريَّة ونصف ليليَّة . اماَّ البابليُّون والاثينيُّون فكانوا يقسمون اليوم الى ١٢ ساعة فقط متساوية . وكثيرون يجعلونهُ الآن ٢٤ ساعة متواصلة دون تنصيفها فالساعة ١٥ هي الثالثة بعد الظهر وهلم جرًّا

اماَّ ﴿ الاسبوع ﴾ فاوَّل من قسمهُ الى سبعة ايَّام سفر التكوين لموسى اذ روى خلق الله للعالم في سبعة ايَّام ومثلهُ الكلدانيون الذين بنوا تقسيمهم على عدد السيَّارات السبع المعروفة عندهم على هذا الترتيب وهي : زحل والمشتري والمريّخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر . فاخذ اليهود ثمَّ النصارى هذا التقسيم وادخلوهُ في العالم

الروماني مع بعض اختلاف في ترتيبهِ فجعلوا اوَّلهُ للشمس وهو الاحد عند النصارى ثمَّ الثاني للقمر (Lundi, Lunæ dies) ثمَّ الثالث للمرّيخ (Mardi, Martis dies) ثمَّ الرابع لعطارد (Mercredi, Mercurii dies) ثمَّ الخامس للمشتري (Jeudi, Jovis dies) ثمَّ السادس للزهرة (Vendredi, Veneris dies) والسابع الاخير لزحل (Samedi, Saturni dies) واليهود يدعونهُ سبتاً اي يوم راحة اشارة الى انتهاء الخالق من تكوين المخلوقات في هذا اليوم السابع

وقد قسم بعض الشعوب اسبوعهم الى ثمانية ايَّام وغيرهم الى عشرة ومنهم اليونان. وهكذا فعل اصحاب الجمهوريَّة الفرنسويَّة الاولى التي سبق ذكرها

امَّا «الاشهر» فان تقسيمها الى ١٢ شهرًا يرتقي الى اوائل الكون كما يظهر من التوراة في وصف الطوفان. على انَّ ايَّام تلك الاشهر كانت تختلف فانَّ المصريين كانوا يعدُّون الشهور متساويةً كلُّها ذات ٣٠ يوماً وانَّما كانوا يضيفون اليها خمسة ايَّام. ومنهم كاليونان كانوا يجعلون الاشهر بالتناوب ستَّة منها ٣٠ يوماً وستَّة ٢٩ يوماً كالشهور الهجريَّة ثمَّ رأوا ما في حسابهم من الخلل فزادوا على سنتهم شهرًا آخر في بعض السنين. ومثلهم اليهود يضيفون الى آذار شهرًا يدعونهُ آذار الثاني لتتَّفق فصول السنة مع حركات الشمس

وكذلك «السنة» فانَّها امَّا شمسيَّة وامَّا قمريَّة. فاتَّخذ الشعوب احد النيّرين كقاعدة حسابهم السنويّ فانَّ المصريين اختاروا السنة الشمسيَّة وقسموها الى ١٢ شهرًا متساوياً ذات ٣٠ يوماً للشهر مجموعها ٣٦٠ يوماً. واذ تحقَّقوا انَّ في هذا الحساب خللًا لوقوع الربيع في كل فصول السنة بعد ٧٠ عاماً بسبب نقص العام سنويًّا ٥ ايَّام عن السنة الحقيقيَّة عادوا وجعلوا سنتهم ٣٦٥ يوماً باقحام خمسة ايَّام فيها دون مراعاة الساعات الزائدة عليها في كل سنة. فنجم عن هذا الاهمال غلط آخر اصلحهُ سوسيجانس بكبس يوم كلّ اربع سنوات وهذا الاصلاح عُرف بالاصلاح اليوليّ. على انَّ سوسيجانس لم يلحظ انَّ السنة الشمسيَّة لا تزيد ستّ ساعات تماماً بل تنقص عن ذلك عشر دقائق وعشر ثوانٍ بحيث يحصل فرق يوم كامل كلّ ١٢٩ سنة. فهذا الغلط أُصلح بامر البابا غريغوريوس الثالث عشر سنة ١٥٨٢ وجرى عليهِ معظم الشعوب المتمدّنة الاوروسيَّة والمنتمين الى الكنائس الشرقيَّة المنفصلة فقد بلغ اليوم الفرق بين حسابهم المغلوط

والحساب الصحيح ١٣ يوماً راجع مقالَتَيْ حضرة الاب كولنجت في هذا البحث (المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٢٢٥ و ٥ [١٩٠٢] : ٤٤٦) مع مقالتنا في توحيد الحسابين (٤ [١٩٠١] : ٤٢٢) . والارمن كذلك في حسابهم القديم السابق ذكرهُ لم يحسبوا حساب الكبس فكاد يبلغ اليوم غلط حسابهم ٣٤٢ يوماً

امَّا الذين اتَّخذوا القمر كقاعدة حسابهم فالاثينيّون والاسرائيليُّون وقد ذكرنا كيف وفَّقوا بين حسابهم وفصول السنة الشمسيَّة بالنسي اي إقحام بعض الايَّام في دورة سنتهم . وكذا فعل الرومان قبل اصلاح يوليوس قيصر

وكذلك العرب في الجاهليَّة كانوا كلَّ ثلث سنوات ينسئون سنتهم القمريَّة فيزيدون عليها شهرًا لتقابل نوعاً السنة الشمسيَّة . جروا على ذلك منذ ايَّام قُصَي في السنة ٤١٢ للمسيح . فلمَّا جاء الاسلام حرَّمهُ صاحب الشريعة بقولهِ في سورة التوبة (ع ٣٧) : «انَّما النسيْ زيادةٌ في الكفر يضلُّ بهِ الذين كفروا» . ومن ثمَّ اضحت السنة الهجريَّة قمريَّة محضة لولا انَّ السنة القمريَّة الحقيقية تزيد على سنتهم المدنيَّة ثماني ساعات و ٤٨ دقيقة فتصبح الزيادة بعد ثلثين سنة ١١ يوماً ولذلك زادوا بعد حين على احدى عشرة سنة من هذه السنين يوماً ليصير الاتّفاق بين السنتين . ولكنَّهم لم يوفّقوا بين السنة الشمسيَّة والقمريَّة فتتنقَّل الفرائض الدينيَّة كالحج وصوم رمضان في كلّ فصول السنة فالربيعان مثلًا اي ربيع الاوَّل وربيع الآخر اللذان يدلَّان على فصل السنة المعروف يقعان اليوم في الصيف والخريف والشتاء كما يجوز وقوعهما في فصل الربيع

فالروزنامات من شانها ان تدلَّ على كلّ هذه الاختلافات وتشعر الناس بما يقع في كلّ فصل وكلّ شهر من المواسم الدينيَّة والمدنيَّة . وكثيرًا ما يضيف اليها الفلكيُّون المعلومات الفلكيَّة المفيدة كساعات ودقائق طلوع الشمس وغروبها وادوار القمر في هلالهِ وبدرهِ ومحاقهِ وكآونة كسوف الشمس وخسوف القمر وظهور النجوم المذنَّبة وغير ذلك من الفرائد الجليلة التي تطلع الناس على حقائق الامور وتنفي عنهم الاوهام الشائنة التي كان الناس سابقاً يضلُّون بها وتحملهم لجهلهم على الخرافات . ارشدنا الله الى معرفة كلّ حقيقة ونفى عنَّا كلّ ضلال

# خلاصة تاريخ العام المنصرم

لحضرة الاب جبرائيل لوقنك اليسوعي

نظر اجمالي

ها قد انتهت السنة ١٩٢٠ ولم يُصب العالم كثيراً مما كان يؤمّله منها . فانَّ سِلْمنا ليس بثابت الاركان وهو يشعرنا بتوالي القلاقل والاضطرابات. وهذه الحالة السيئة لم تُستثنَ منها تماماً الدول الظافرة التي كانت مؤمّنة النجاة باثرها. بل شمس فلكنا لا تزال كما كانت في بدء الحرب تغيب كلَّ يوم في افقٍ يتأجّج نارًا. وقد زاد صغر اوربّة عمّا كان قبل السنة ١٩١٤ . فترى قارة آسية تخطّت الى حدود بولونية التي تجهل حتّى الآن أتكون احد تخوم اوربّة الشرقيّة ام من ثغور آسية الغربيّة. ولعلّها لا تعلم أتدوم في قيد الحياة

على انَّ العناصر الشديدة القوى بين الشعوب الراقيــة قد وجدت في الاخطار الحاضرة داعياً الى تنمية مساعيها وجهادها . وان اعتبرنا الكاثوليك خاصّةً رأيناهم يصرفون نظرهم بمزيد الهمّة الى درس المسائل الاجتماعيّة فهي هي الآن نقطة انجائهم الجوهريّة بازاء تلك العصابات المختلفة والألفاف الثوريّة التي تجمع قواها لتدكّ عرش الدول الحاضرة وهي تعتبرها كآبة الظلم والجور لامتلاكها على السلطة. فترى ماذا يكون مصير العالم عمّا قليل ؟ والى اين ستؤدي بنا هذه الاحوال التي لا يجــد كبار الساسة دواء لها ناجعاً في حكمتهم البشريّة القاصرة ؟ ذلك سؤال يجهلون الجواب عنهُ وانّما يعلمهُ اصغر المسيحيين ألا وهو المثل السائر: انّ المرء في التفكير والله في التدبير فهو تعالى يريد ان يقنع الانسان بلسان الاحوال انّهُ لــديهِ وحدهُ مقاليد الامور ومفتاح الفرج

ففي بدء السنة الاخيرة كم من صلح وسلام قصدوا تقريرهُ : سلام الجر سلام تركيّة سلام بحر الادرياتيك السلام الروسي هذا فضــلاً عن السلامات المتداعية كمعاهدة فرسايل والسلامات المتقلقلة كسلام بريطانية العظمى. ثمَّ كم من حربٍ عزموا على انجازها

كالحروب المنتشبة في اوربَّة الشرقيَّة وفي جهات عديدة من آسية

فبين هذه الانواء العرمرميَّة رأينا الحبر الاعظم يترفَّع عن السياسة البشريَّة وهو لا يرى غير النفوس ففي براءاته الأخيرة انهض همم المرسلين ووجَّه نظرهم الى نشر الدين المستقيم نابذين وراء ظهرهم كلَّ اعتبار زمنيّ وكلَّ ميل الى سياسة خاصَّة فلا يقصدون الَّا وجه الله وخلاص النفوس. ولذلك ترى كثيرًا من هذه الدول المستجدَّة تعتصم بحبل البابويَّة المتين وتعدُّها وحدها كالقوَّة الادبيَّة الثابتة الاركان الخالية من كلّ غرضٍ شخصيّ. وهذا ما حمل ويحمل كلَّ يوم هذه الدول الى ان ترسل الى رومية معتمدين يمثلونها وسفراء يسعون بترويج صوالحها الدينيَّة. وقد سبقت انكلترَّة بقيَّة الامم في ذلك مدَّة الحرب فاخذت الدول تجري على مثالها او تحسّن علاقاتها السابقة. فانَّ لالمانية اليوم سفارةً بدلًا من الرسالة البروسيانيَّة السابقة ولبڤارية بعثةً ثابتة. وكانت عدَّة دول قطعت علاقاتها مع رومية فاستأنفتها مؤخرًا كالبرتغال وڤنيزويلة وسويسرة وموناكو. ثمَّ برومية اجتاز حاكم فلسطين اليهوديّ السر هربرت صموئيل ومثله الوفد الهنديّ الساعي بتوطيد الخلافة التركيَّة. فالكل ينظرون الى رومية كقبلة الدين وقطب العالم والى نائب السيّد المسيح كرسول السلام وهو اثبت ذلك حديثًا ايضًا في منشوره عن السلام الذي ابرزهُ في ايَّار الاخير. واتَّخذ شفعاء جددًا عند الله لنوال ذلك السلام بتثبيته عدَّة قديسين ولا سيَّما القديسة جان درك التي حضر حفلة تقديسها المسيو هانوتو ممثّلًا لدولة فرنسة. وممَّا يستحقّ الذكر تطويب زنوج اوغندا الشهداء وهي المرَّة الاولى ينال اهل تلك البلاد هذه النعمة العظمى

فرنسة

اصبحت فرنسة منذ انتخابات مجالسها الاخيرة محسوبةً كمركز النظام وحصن الدفاع عن السلام وعدوَّة النهضة البولشفية. فقد أعربت عن افكارها لمناهضة الفتن في معاملاتها الدوليَّة وفي تأويلها لمعاهدة سيڤر وعساها تبقى في الحدود المعقولة لئلَّا ينسبها اعداؤها الى الاستبداد

وممَّا استجدَّ في السنة الاخيرة ما رواهُ المشرق (١٨ [١٩٢٠]: ٩٥٧) عن انتخاب رئيس الجمهوريَّة الجديد المسيو ميلران بعد ان أُصيب المسيو ديشانيل بإصابةٍ البغيت

وبتوعك صحّتهِ فقدَّم استعفاءهُ —وقد تأذَّت فرنسة في شهورها الاولى بما حصل فيها من الاعتصابات المختلفة من قبل النقابات البحريَّة والبريَّة والصناعيَّة وإضرابها عن العمل ومطالباتها في زيادة الاسعار وتخفيض ساعات الشغل فنتج عن ذلك انَّ الواردات زادت كثيراً عن الصادرات ونقصت قيمة النقود فأصبح الفرنك لا يمكنهُ ان يوازي اسعار النقود الغريبة كالاسبانيَّة والسويسريَّة والهولنديَّة ولا سيَّما الانكليزيَّة . لكنَّ احوال البلاد تحسَّنت نوعاً بعد ان تصدَّت الحكومة لدسائس شركة الاشغال العموميَّة وضربت على يدها

وقد سُرَّ معظم الاهلين في فرنسة لعرض الحكومة منذ شهر آذار مسألة استئناف العلاقات مع الفاتيكان والأمل معقود على قرب تنفيذ هذه المسألة بمصادقة مجلسي الندوة والشيوخ عليها — امَّا دعوى كاليو فرغماً عن كلّ ما نُسب اليهِ من الخيانة نحو وطنهِ فانَّها انتهت بتبرئتهِ نوعاً من التواطؤ مع العدوّ وانَّما استرابوا بمكاتباتهِ وحكم عليهِ بعقابٍ خفيف

ومن الامور الحريَّة بالذكر وفاة الامبراطورة اوجانيــة قرينة نابوليون الثالث التي جدَّد موتها ذكر الحرب السبعينية . على انَّ المتوفَّاة استحقَّت بسلوكها وقت ملكها وبعدهُ ثناء الجميع لتقاها وحنانها على الفقراء والمبؤسين وانقطاعها الى الاعمال المبرورة

امَّا سياسة فرنسة الخارجيَّة فانَّها كانت مقيَّدة بموقفها الحرج ازاء حلفائها الانكليز والاميركيين ومجالتها الاقتصاديَّة والماليَّة وقلَّما تراها مستقلةً في عملها . فمن ذلك انَّها وضعت يدها على الخمس مدن الالمانيَّة الواقعة على ضفَّة الرين اليمنى ومن جملتها فرنكفورت لتضطرَّ الالمان ان يسحبوا جنودهم من مقاطعة روهر فلم يستحسن الحلفاء عملها الَّا بلجكة التي عقدت مع فرنسة معاهدةً دفاعيَّة في شهر آب — وممَّا اقدمت عليهِ فرنسة دون حلفائها انَّها ايَّدت الجنرال ورنجل والپولونيين في محاربة السوڤيات وسنذكر ماثرها في سوريَّة وقيليقية

بريطانية العظمى

جرت بريطانية في سياستها على وتيرتها المعتادة فانَّها رغماً عما تجدهُ في طريقها من المعاكسات لا تزال جاريةً على خطةٍ ثابتة وغاية واحدة وهي ان تجعل بلادها في مقدَّمة

دول العالم. وكان اكبر صليبها شقيقتها الصغيرة ارلندة التي لم تَعُد ترضى الّا بالاستقلال التامّ بعد ما حارب ابناؤها جنباً لجنب مع الانكليز في الحرب الكونيَّة لتخويل الامم الصغرى الحريَّة التامّة. واذ ترى انكلترة في انفصال ارلندة هضماً لسلطتها فانَّها قامت في وجهها وناهضتها بكل عُنف وقساوة من ذلك توقيفها لحاكم كورك ماك سويني الذي انتحر جوعاً ليحتجَّ بموتهِ على ظلم اعدائهِ فما كان من الارلنديين الّا ان شكَّلوا العصابات الثوريَّة من السن فن ( Sinn-Feiners ) الذين اطلقوا العنان لمساوئهم ضد الانكليز فنجم عن ذلك شبه الحرب الاهليَّة التي استعرت نيرانها طول السنة المنصرمة

ولا تخلو انكلترة نفسها في داخليَّتها من المشاكل فانَّ نقابات الاشتراكيين تزيد كل يوم عدداً وعصبيَّةً فطلب المعدّنون وضع مناجم الفحم في حوزة الدولة بدلًا من الشركات الماليَّة ليعززوا بذلك احزابهم وتهدَّد العمَّال باعتصاب عام واضربوا عن الشغل في اواسط تشرين الاوَّل وثبتوا على اضرابهم الى آخرهِ فألحقوا بالدولة خسائر لا تُحصى ولا يزالون يطلبون زيادةً في اجرتهم

امَّا ضابط سكَّان السياسة في انكلترَّة فلا يزال لويد جورج الّا انَّ حزبهُ قد ضعف نوعاً ولا سيَّما بدخول خصمهِ الكبير المستر اسكويث في ندوة العموم . وسياستهُ الخارجيَّة ارجح وامكن فانَّهُ ناصب كليمنسو لمَّا اراد ان يجعل بلاد روسيَّة ضمن دائرة من الاسلاك الشائكة وهو الذي استقبل نائب السوفيات المسيو كراسين لمَّا صار الحمر يتهدّدون العجم والسلطة الانكليزيَّة في الهند. لكنَّ همَّتهُ القعساء لم تقوَ على حلّ كل المشاكل من جملتها المسألة المصريَّة ومسألة العراق وما بين النهرين واعوص منها المشكل الارلنديّ مع الخوف من انفجار بركان الهند ولاسيَّما انَّ البرنس دي غال الذي كانوا انتدبوهُ لسياحة في تلك البلاد لتوطيد السلطة الملكيَّة هناك احجم عن السفر

الدول المتحالفة

لمَّا افتتح الحلفاء مؤتمر السلام كان يؤمَّل من مجلسهِ الإقدام على عظائم الامور وها هو قد بلغ ختامهُ في هذه السنة بخمول وضَعَة فانَّـهُ لم يبق من الثلثة المعهود اليهم تدبير الامور الدوليَّة غير لويد جورج وثباتهُ ادلّ دليل على فوز السياسة الانكليزيَّة

وعلوّ كعبها—وفي ١٠ ك ٢ قد ادخلت عهدة ڤرسايل في عملها بعد اعلان نهاية الهدنة التي قلّما نصّ التاريخ على هدنة طالت مثلها ١٤ شهرًا

وما لبث ان عُقد مؤتمر باريس الثاني الـذي لم يُدعَ اليهِ غير الحلفاء وفيهِ تعيَّن المجلس الاعلى لحاول بتأليف جمعيَّة الامم التي سبق الاديب اميل تيّان فوصفها وصفًا مستوفياً ( اطلب المشرق ١٨ [ ١٩٢٠ ] : ٧٥٤ — ٧٦٤ ) . وقد عقـدت الجمعيَّة المذكورة عدَّة اجتماعات في بلاد شتَّى كايطـالية ( رومية ) وبلجـكة ( بروكسل ) وسويسرة ( جنيڤة ) فتباحث اصحابها في محـاكمة الامبراطور غليوم وفي الضغط على المانية لتسليم مؤونتها الحربيَّة وسفنهـا وتقليل جنديّتها ودفع غرامتها الحربيَّة . وفي الوسائط الناجعة لدفع الازمات الماليَّة والاقتصـاديَّة وكان الرئيس ولسون مصادقاً على كلّ ذلك الى ان تعيَّن خلفهُ المستر هاردنغ لرئاسة الولايات المتَّحدة فلم يصادق على اعمـال الرئيس السابق . كمـا انَّ مجلس الشيوخ في الولايات المذكورة كان نبذ عهدة ڤرسايل اذ رأى فيها هضماً لاستقـلال الامم اعني لمذهب مُنروي . والحقّ يقال انَّ كثيرًا من التقارير السابق ذكرها لم يمكن اجراؤها فعلًا فاصرَّت المانية على رفض مضامينها وبقي الامبراطور غليوم في ضيافة هولندة التي لم ترضَ بتسليمهِ . وممَّا قرَّرتهُ جمعيَّة الامم ان يُعرض على الدول المتحايدة الاشتراك معها فرضيت بذلك سويسرة في ايَّار المنصرم واتّفقوا على ان تكون جنيڤة مركزًا لتلك الجمعيَّة وحاضرتها

ثم عقد المجلس الاعلى مؤتمر باريس الثاني الذي عقبتهُ اجتماعات مختلفة كان اوَّلها في لندن وكان اعضاء المجلس يصرّحون في كلّ اجتماع باتّفـاقهم التام . وهيهات ان يصحّ قولهم فان كلمتهم كانت تختلف في معظم الامور كأمر روسيَة والسوڤيات وكامر الادرياتيك وكأمر پولونية وبالاخصّ امر المـانية . فمسألة الادرياتيك لم تنتهِ الَّا في آخر السنة بمعاهدة راپالُّو باتّفاق ايطالية واليوغوسلاڤ بعد المفاوضات العديدة وتهوُّر دانُنزيو في ضبـط مدينة فيومه وتوسّط الرئيس ولسون

واجتمع المجلس الاعلى في سان ريمو بعد واقعة فرنكفورت وكاد الخلاف يشتدُّ بين الحلفاء . فعادوا وكرَّروا العزم على الثبات في اتّحاد كلمتهم فكانت نتيجة هذا الاجتماع ان فرنسة التي تقدَّمت خطوةً على ضفاف نهر الرين تقهقرت بالعكس في ضفاف البوسفر وفيهِ جُعلت نظارة الاستانة في عهدة انكلترَّة والرخصة لليونان بأن

يتقدَّموا بجيوشهم في الاناضول ويستوطنوا ازمير . وهي امور هيَّجت الرأي العام بين الاتراك وحدت بمصطفى كمال الى محاربة الحلفاء طول السنة

ثمَّ ولي اجتماع سان ريمو اجتماعات أخرى في رومية في شهر ايَّار ثمَّ هيث وبولوني وسپا تداولوا فيها الابحاث عن الاحوال الحاضرة وخصوصاً في إجبار المانية على نزع الاسلحة ودفع الغرامة الحربيَّة وفي مناهضة البولشفية وتأييد الجنرال ورنجل ومساعدة بولونية ودفع اليونان الى محاربة الكماليين . وقربت نهاية السنة دون حلّ كلّ هذه المشاكل حتّى جاءت غيرها ايضاً زادتها تعرقلًا كموت ملك اليونان ومحاولة الملك قسطنطين لأن يرجع الى عرشهِ وكفشل الجنرال ورنجل امام البولشفين والسوفيات الظافرين . وترى الشرق حاضرًا محفوفاً بالمخاطر كما كان سابقاً

## المانية

ذاقت المانية مرارة الثورة ثالثةً في السنة المنصرمة اذ سعى الحزب العسكريّ بان يستولي على حكم البلاد لكنَّ مساعيهُ في فرنكفورت فشلت بجمود الاهلين في جنوبي المانية وغربيّها . وهذه الحركة دفعت فرنسة الى ان تحلّ بعض المدن الالمانيَّة . فاظهر الالمان من الاباء والترفُّع ما لا يليق بهم بعد ان دارت عليهم رحى الحرب وربمَّا اوهموا العالم بالخصب وسعة العيش وانمَّا الصحيح انَّ المجاعة ضاربة اطنابها في جهات كثيرة ولا سيَّما في سَكس وقد أُصيبت الصناعة عندهم بضربة لازبة لهبوط نقودهم وغلاء الموادّ الغذائيَّة ولصعوبة حصولهم على الموادّ الاولى لإحياء صناعتهم . فانَّ آلةً كانت قبلًا تساوي مليوناً واحدًا لا يُحصل عليها حاضرًا باقلّ من ٢٠ مليوناً . امَّا برنامج سنتها فقد بلغ ٣٠ مليارًا يضاف اليها ٤٠ مليارًا لمصاريف خارقة العادة و١٥ مليارًا لمعاش الجنود المحتلّة في بلادها . وقد بلغ النقص في ميزانيَّتها السنويَّة ٦٧ مليارًا . على انَّ لالمانيَّة قدرةً واسعة في الشغل يمكنها ان تغتني بها وتُغني غيرها على شرط ان يساعدها الحلفاء في اصلاح ادواتها

## ايطالية

انَّ حالة ايطالية الداخليَّة معضلة لما يتهدَّدها من العناصر البولشفيَّة التي اختلطت بعمّالها فاثارت الفتن في جهات مختلفة واعتصب كثيرون من العملة وتحاملوا على المصانع وطردوا اربابها . وكان المسيو فرنشسكو نيتّي ساعياً بتخفيف هذه الازمة الاقتصاديَّة

غاية جهده دون الفوز بمراده الى ان سقطت وزارته لمعاضدته الباعة في زيادة اسعار الخبز فقام في مركزه المسيو جيولتي دون ان يقوى على اصلاح الامور بل تفاقمت حركة العملة واستولى الفلاحون على الاملاك وخصوصاً في صقلية فاضطرت الحكومة الى توقيف زعماء تلك الفتن واقنعت العملة بقبول حكم ديوان النقابات . اما سياسة ايطالية الخارجيَّة فكانت كثيرة التقلُّب فتارة تميل الى البلشفيَّة وتسعى حيناً آخر في توسيع نطاق حكمها في انحاء تركيَّة وقد حاولت استئناف معاملاتها مع روسيَّة ومع المانية واستقبلت بكل وداد كنشليار النمسة موسيو رينر واعلنت لفرنسة بعدم رضاها عن دخول جنودها في فرنكفرت وباستيائها من المعاهدة التركيَّة مع كونها نالت بفضلها امتيازات خاصة كوادي نهر مياندر ومرفأ أضاليا ومدينة قونية ومناجم الفحم في هرقلية . ومما توصلت سياسة جيولتي الى فصل حكمه الاقرار باستقلال البانية وتخلية ايطالية لفلّونة مع حفظها لسيزانو . وكذلك اتفقت مع سربيَّة واليوغوسلاف بان تملك إسترية ومدينة زارا ثم تجعل فيومه مدينة حرة وتتخلى عن دلماسية لليوغوسلاف وهي الآن مهتمَّة في مقاومة دانتزيو وحزبه

اوربة الشرقيَّة

ليس كلامنا عن وادي الدانوب حيث المجاعة تضرب ضرباتها المؤلمة في النمسة الالمانية ولا عن المجر المصابة برهةً بغزوات البولشفيَّة وانما كلامنا عن بولونية ورومانية وليتوانية واستونية ولتُونية وفنلندة وروسيَّة باجمعها فانَّ الاخبار عنها قليلة متناقضة مع ما أُرسل اليها من الوفود للاطّلاع على حقائق امورها ومع تدوين مكتب باريس للتبليغات الرسميَّة الموفدة اليه منها . ودونك خلاصة ما ثبت من امورها : في اوائل السنة ١٩٢٠ كانت الجيوش الحمراء ظافرة غانمةً . فانَّ البولشفيين زحفوا بامر لينين على الجيوش القادمة لمحاربتهم تحت قيادة كولتشاك ودنيكين ويودنتش وللاستيلاء على عاصمتي روسية بتروغراد وموسكو فما لبثوا ان دحروهم وكسروهم كسرة شنيعة ثمَّ تقدَّموا الى حدود منغولية ودخلوا بخارى عاصمة تركستان وضبطوا اطراف السكة الحديديَّة القاطعة لبحر قزوين . واوقفوا في سيبرية كولتشاك ورموهُ بالرصاص وبعد قليل اصبحت سيبرية كلها في يدهم بابتعاد اليابانيين عنها

فدفعت هذه الامور حكومة استونية الى مصالحة روسيَّة واستعدّت الدول البلقانيَّة الى السير على آثارها واذا بالجنرال ورنجل ظهر في الجنوب كخلف لدنيكين وتحفَّزت بولونية للهجوم على البلشفيين بعد اهتمامها بعقد الصلح معهم . فكان الظفر اوّلًا معقودًا تحت لوائهم وفتحوا في ايَّار مدينة كياف مقدس روسية لكنَّ هذا الانتصار كان عقيماً اذ اضطرَّ البلشفيون الجنودَ البولونيَّة الى تخلية المدينة وتعقَّبوا آثارهم هاجمين عليهم حتَّى تهدَّدوا عاصمتهم ڤرسوڤية فطلبوا الصلح اوَّلًا ثمَّ أَتتهم النجدات من فرنسة فاستأنفوا القتال وردُّوا الحمر على اعقابهم ثمَّ عقدوا بينهم الهدنة في تشرين الاوَّل وكذا فعلوا مع دولة ليتوانية . وكادت الامور تهدأ قليلًا واذا بالجنرال البولوني زليغوڤسكي سار بجنوده الى ڤِلْنا فدخلها واعلن فيها بحكومة مستقلَّة كما فعل دانتزيو في فيومه وهو حتَّى الآن لم يرضخ لاوامر المجلس الاعلى بل قوَّى جيشهُ واستولى على پرنسك وضفاف نهر دنيستر . وفي هذه الاثناء شتَّت البلشفيون شمل الجنرال ورنجل وجيشهِ وتقدّموا الى القريم والى شواطئ البحر الاسود

الشرق الادنى – تركيَّة – البحر المتوسّط

شغلت مسألة تركيَّة كلّ دهاقين سياسة الحلفاء منذ اوائل السنة وكان الجميع ينتظرون بفروغ الصبر شروط معاهدتهم فتأجلت الى شهر ايَّار . وردّ الحلفاء الوفد التركي بعد قدومهِ الى باريس فجرحوا احساسات الاتراك وزادوهم نفورًا لمَّا سمحوا لليونان بان يعلنوا بحكمهم على ازمير . وفي شهر آذار دخلت الدول الاتفاقية الاستانة فضبط الانكليز أَحياء بيرا والفرنسويُّون استنبول والايطاليُّون اشكودرة فاصبحت عاصمة تركيَّة كالاسيرة بين ايدي الدول التي اعلنت انها لا تريد نزع المدينة عن حكم السلطان . . امَّا شروط المعاهدة فقدّمتها الدول المتحالفة الى تركيَّة في ١٠ ايَّار لتمضي عليها لكنَّها تلكَّأَت وتريَّثت حتَّى اضطرَّ الوفد التركي الى قبولها بعد ثلاثة اشهر في ١٠ آب بعد دخول اليونان الى الاراضي التركيَّة وردّهم الكماليين عن بحر مرمرا ودخولهم الى مدينة بروسَّة لكنَّ مجلس النوَّاب لم يصادق عليها حتَّى الآن

على انّ هذه الامور كلّها لم تكفِ لحلّ المسألة التركيَّة . طالما للاتراك جيش منظَّم يقودهُ احد قوَّادهم المعدودين مصطفى كمال الذي يضبط عدّة ولايات تركية ويجنّد فيها الجنود ويناجز القتال المنتمين الى الدول المحالفة في عدَّة ولايات حتى

قيليقية وشمالي حلب والحكومة التركيَّة ترذل فعلهُ ظاهرًا وهي تعضدهُ باطناً . واذ رأى اليوم الحلفاء انقلاب اليونان على ڤنزيلوس وتصميمهم على اعادة الملك قسطنطين الى عرشهِ عدلوا الى مصالحة تركية وتعديل معاهدة سيڤر وارجاع ازمير الى الاتراك . وسوف يوقفنــا الوقت القريب على ما سيجري فعساهُ يكون خيرًا

امَّا الولايات العربيَّة التي تخلَّى عنها النير التركيّ تاماً فقد جرت فيهـــا مدَّة هذه السنة امور خطيرة . دخل العــام الجديد وسوريَّة قد برحتها الجنود الانكليزيَّة الى فلسطين وتولَّى الفرنسويون سواحل الشام في المنطقة الغربيَّة . اما الداخليَّة فأُعلن بها الحكم العربيّ دون العراق وما بين النهرين حيث رسخت فيهما قدم الانكليز . فلمَّا اقبل الى بيروت المعتمد السامي الجنرال غورو في اواخر السنة ١٩١٩ دخلت البلاد في طور جديد فتمّ بحسن نظرهِ خروج جيش الاحتلال الانكليزي بكل هدوٍ وعقبهُ الجيش الفرنسوي في ضبط البلاد مستقلًا عن حكم الجنرال اللّنبي معتمد البعثة المصريّة على شرط ان لا يحتلّ الفرنسويون المنطقة الشرقيَّة ومدنها الاربع . وما لبث الامير فيصل ان عاد من لندن وباريس بعد اتّفاقهِ مع حكومتيهما مارًّا ببيروت حيث أُكرمت وفادتهُ واستُقبل كما يليق بمقامهِ

ولكن ما كاد الفرنسويون يركزون في منطقتهم الغربيَّة حتَّى ثارت الفتن في كلّ الجهات وتعدّدت الجنايات واصبح النهب والسلب والقتل متواليــاً تارةً في جبال النصيريَّة وتارةً في مرجعيون وحيناً في تلّ كلخ وفي صور وفي بلاد بشاره . هذا مع ما كان يجري من التعدّيات والمذابح في قيليقية وجبال انطاكية وفي مرعش وعينتاب الى اورفة وانحاء الفرات . وزاد الامر تفاقماً باعلان الامير فيصل ملكاً في دمشق في ٨ آذار وذلك في مؤتمر وطني دعوهُ بنــادي العرب . فقلق النصارى واندهش الحلفاء لتجاوز الامير حدودهُ فدعوهُ الى اوربَّة ليؤدي حساباً عن خرقهِ للمعاهدات فصمَّم الآذان الى تموز حتَّى اضطرَّت فرنسة وقد عيل صبرها الى ان ترسل اليهِ تبليغاً نهائيًا رضخ اليهِ اوَّلاً ثم لم يقم بوعدهِ بل باشرت جنودهُ بقتال الفرنسويين فحينئذٍ وردهم الامر بالسير الى الامام فسحقت حملتهم كلّ معاكس ودخلوا دمشق في ٢٥ تموز واحتلُّوا بقيَّة المدن بعد ايَّام قليلة . ولمَّا دخل شهر ايلول أُعلن في غرَّتهِ باستقلال لبنــان الكبير وحظي اهلهُ بما طالما تمنّوهُ وبذلوا في سبيلهِ النفس والنفيس وقد جرت

وقتئذٍ حفلات باهرة ذكرًا لهذه الاحداث الخطيرة في بيروت ولبنان ودمشق وحلب

امَّا بلاد العراق وما بين النهرين فانَّ انكلترَّة وجدت فيها من المعاكسات من قبل الاهلين والقبائل العربيَّة ما لم يكن في حسبانها فقضت السنة في المحاربات ولها هناك جيش عظيم ينيف على ٦٠،٠٠٠ محارب

وكذا فلسطين فان اهلها بعد ما تفاءلوا بحلول الحلفاء في ربعهم استاءوا ايّ استياء لفتح بلادهم للمطامع الصهيونيَّة التي تتهدَّد مستقبلهم وقد تعيَّن كحاكم على وطنهم اليهوديّ النحلة السر هربرت صموئيل من أسرة منتاغو

على انَّ تلك المشاكل خفيفة بالنسبة الى ما يجدهُ الانكليز من المناهضة الوطنيَّة في مصر فانَّ الاهلين ردُّوا خائبة لجنة اللورد ملنر في اواخر سنة ١٩١٩ وجرت اضطرابات شتَّى وقلاقل متعدّدة في القاهرة والمدن الاخرى وعيَّن المصريون وفدًا للمفاوضة في استقلالهم في لندن لم يستقبلهُ الانكليز مرَّة أُولى ثمّ عادوا فدعوهُ في حزيران وجرت مداولات سريَّة رضي بها الوفد ولم يوافق المصريون والانكليز معاً على شروطها فانَّ الاوَّلين يريدون استقلالاً تاماً على مصر والسودان ويأبون كلّ نظارة انكليزيَّة وتداخل اجنبيّ بينما الانكليز يرون في كلّ تخلٍ عن مصر خطرًا لكيانهم في الهند والله اعلم كيف ستنتهي الامور

وزاد قلق الانكليز بسبب املاكهم الهنديَّة لِما حدث هناك من المشاغب والفتن اسعر نيرانها دُعاة البلشفيين الذين يستفرغون كنانة الجهد ليجذبوا العالم الى آرائهم الفاسدة فبعد ما طافوا جهات الصين وتركستان وسيبرية وأَضرموا فيها سعير الثورة قصدوا العجم والهند وكردستان وما بين النهرين وقد نقموا خصوصاً على الانكليز لاستبدادهم ومطامعهم الاشعبيَّة . وخصُّوا الهند بدعوتهم لما لهم هناك من المساعدين خصوصاً بين المسلمين الذين يبلغ عددهم ٧٠ مليوناً . وليس بين دول آسية من تصدَّى لهم الَّا اليابان الذي سدَّ الطريق في وجههم وهو لا يزال في ترقٍ دائم وقد اصبح اليوم دولة برّيَّة قوية لتملكهِ على منشوريا وشنطُنغ ومنغولية بعد ان كان دولة بحريَّة مهيبة . والله هو الذي يرفع من يشاء ويذل من يشاء

# الذبيحة في شرقي الاردن

بقلم حضرة الخوري بولس سلمان

## توطئة

لقد طُبع اهل البادية على حبّ الفيافي والقفار فيعيشون فيها احرارًا آمنين من طوارق الايام والانام . فتراهم لا يطأطئون هامتهم تحت حكم حاكمٍ بل حكمُهم ان لا يكونوا محكومين فلذلك نزعوا بانفسهم عن مواطن الهوان وصانوها عن معرّة الذل والامتهان واكرموها عن خطط الصَّغَار وأبوا الخسف والضيم . ولقد نأوا عن المدن الغنّاء وتنحّوا عن البلاد العامرة خوفاً من الاستعباد والاستبداد

ولمّا لم يدخل فيهم نور العلم والمعارف لبثت عقولهم على فطرتها الطبيعيَّة الأُولى واصبحوا سائرين تحت عوامل المشاهد الطبيعية التي تحيط بهم من كل الاطراف . ولم تؤثر فيهم ديانتهم ولم يعُوا من فرائضها وشرائعها ما يغيّر حالتهم وطباعهم الجاهليَّة . فالعوامل الخارجيَّة هي اليوم اساس معتقدهم

فما هي هذه المظاهر المرهبة التي تحتاط بهم ؟ اذا سار البدوي في السباسب اياماً طويلة بين وقَدات الحرّ ووطيسهِ وانتهى الى شجرة ضافية الظلال مورقة الافنان يجلس تحت اغصانها حيناً يتنسَّم بنسيمها فيخال لهُ ان وليًّا او روحاً ساكن فيها فيكرمها بالذبيحة وينهى عن قطعها ويأمر ان لا يُنزَل بها أذى . فالخوف يدفعهُ الى اكرامها واجلالها . ولولا الرهبة التي تنالهُ منها لمَا فعل كما اثبتناهُ في اكرام الارواح والاولياء

يمرّ ذاك البدوي صادياً عَطِشاً وقد طال به زمن الحرّ وكادت اغنامه تموت من الظمإ فيعاين جدول ماء وعشباً رطباً فيشكر ربَّ العين على انعامه بتقديم الذبيحة المعهودة . وكثيرًا ما ترتفع الزوابع العظيمة فيهلع لها القلب رعباً واضطراباً وتسيل الوديان فتُخرب الزرع فلا يهدأ لها هادئ الَّا بتسكين القوى الطبيعية والارواح بتقديم الذبائح

ويعتقدون ان حياتهم تتهدَّدها الارواح الخبيثة في كل خطوة من خطواتهم فما

كاد الطفل يرى نور الشمس حتى يقدّموا لربّ العشيرة ضحيَّة يستعطفونهُ بهــا ان لا يُنْزِل بهِ مصاباً وهكذا تتبعهُ الضحايا في كل حياتهِ الى ان يَفِد الى ابواب الابدية. فالبدوي يرى الارواح الشريرة معدَّة لإِضراره فلا يجد وسيلة تحجز الاذى عنهُ وعن اولاده وماشيتهِ الَّا الذبيحة

وقد رأينا ان الصلاة عند الاعراب هي في آخر منزلة من الاهمية. فالضحيَّة هي باعتقادهم الوسيلة الكبرى التي تهدئ غضب هذه القوى الطبيعية الخارقة. وقد قسمنا الذبائح الى غير دموية ودموية. ووصفنا ما رأيناهُ باعيننا ووعيناه في محفوظنا واوراقنا ايام كنَّا في ارض البلقاء والكرك ولقد أتينا بذكر الذبائح في عهد الجاهليَّة ممَّا له صلة ببحثنا هذا. ثم انتقلنا الى تسطير الذبائح عند الاعراب في دهرنا الحاضر. فنقول :

## الذبائح في الجاهلية

انَّا نجد الذبائح في كل الاديان في الاعصر الاولى . وهي انواع متنوّعة . فمنها ما هو إهلاك تامّ لتقادمِ جامدة ومنها مــا هو إهراق دم . ولا نعني بها تلك التقادم الكاملة التي ظهرت عند آل اسرائيل بأُبهة وجــلال وكانت مجلى للعواطف النبيلة الشريفة. فان الله عزَّ وجلَّ قد امر بها وسنَّ فرائضها بل نريد أن نبحث عن الذبائح التي كانت تقدَّم عند الساميّين . فهي ولا شك كانت ضرورية وكانت تناسب حق المناسبة شعور الانسان وما فيه من قوى عقلية وحسّية

كان الاقدمون يعدّون الله سيّدًا مطلقاً لا اباً حنوناً . فكان لا بدّ لهُ من هدايا وتقادم ينال المرء بها رضاهُ والتفاتهُ . وقد ظنّ الانسان الجــاهلي ان خير وسيلة لتسكين القوى المجهولة التي كان يرى تأثيرها ولا يدرك كنهها هي الذبيحة فكانوا يستعطفون بها الالهة كما يُستعطف السيّد العظيم بالهبات . وكانت الالهة عندهم تتحلّى تارةً بخصال البشر الحميدة وطورًا تتحلّى بمساوئهم وفسادهم

وكانت الالهة تتنسَّم رائحة الذبائح وتلتذُّ بها ولذلك قدَّموا لها المآكل والمشارب الفاخرة كالخبز والخمر والزيت والحليب واللحوم المطبوخة والمشوية

وقد ارتأى بعض العلماء ان كنه الذبيحة عند القدمــاء قائم بان الاله يقطن في كل شيء ويمنح قوَّته لا بل بعضاً من حياته لكل مخلوق حتى للحيوانات. فالانسان

على زعمهم يعتبر الله اباً رحيماً . فلكي تتقوَّى عرى المحبة بين الخالق والانسان كان المرء يقدّم الذبيحة ويشرب من دمها فهذه هي المناولة بها يشترك المؤمن بحياة الاله اشتراك الاولاد مع ابيهم على مائدة واحدة

فهذا الرأي ليس من الصواب على شيء . لا بـل هو بعيد عن مرمى الحقيقة بما لا يقاس والصواب انَّ عاطفة الخوف كانت هي المحرّكة لهم لتقـدمة الذبائح اذ كانوا يشعرون في كل امر ان المخلوقات باسرها هي تحت سلطان الآلهة . فلا شيء يخرج عن حكمها من انسان وحيوان وجماد . ونذلك افردوا لها من محصولات المعمورة باسرها . فقدَّموا لها حياة الانسان والحيوان واكرموها بمزروعاتهم كالاثمار والحبوب ففي بادئ امرهم قدَّموا الحبوب ثم لما تعاقبت الاجيال قدموا الحيوانات ثم الانسان

فالعرب الجاهليون كان يتعذَّر عليهم ان يقدّموا الخمور والزيوت فاهرقوا الحليب الموفور في بلادهم . وكانوا يقـدّمون من الحيوانات البعير والبقر والغنم والغزال . ففي شهر رجب كانوا يذبحون الذبائح على الانصاب من بواكير الغنم وكانوا يسمُّونها ترجيباً ولهم ذبائح في النذور وبعد الحروب وفي حلق شعر الراس وفي افراح الختانة

وكان الاعراب في آونةٍ من السنة يجمعون الذبائح وينحرونها على جبل عرَفات ويَدَعونها لوحوش الصحراء او لطيور السماء وهم يدعونهُ عيد الاضحى . وقد ذُكِرَ في القرن الخامس القديس نيلوس انهم كانوا يقدّمون الذبائح البشريَّة لآلهتهم فاخبر أن الاعراب هجموا في طورسينا على مناسك السيَّاح فاسروا ابنهُ ثاودولس وعزموا على تضحيتهِ للزُّهَرة لانهُ من بواكير الغزو . وقد خاب املهم وساء طالعهم اذ غابت الزُّهرة عن الابصار . فاتوا ببعير طافوا بهِ ثلاث مرَّات ونحروهُ فتقدم الجمع واخذوا يخطفون من لحـمانهِ تبركاً واستعطافاً ولم يبقَ من الذبـيحة شيء . ثمَّ فدى الغلامَ ابوهُ فنجا من شرّهم . وفي ذبائحهم الكبرى كانوا ينشـدون رجلًا تحت الهيكل ويذبحون الذبيحة ويأكلونهـا وهي نيئة وينضحون وجوههم بدمهـا

وكان كاهنهم المرشح لتقدمة الذبيحة شيخَهم الكبير كما في ايامنا الحاضرة يتقلد السلطة من العشيرة ويتولى المناسك المشروطة . على ان كل اب او ربّ أُسرة موكل عن أُسرتهِ بتقديم الذبائح . وقد ذكروا للعرب كواهن كنَّ يتضرَّعنَ لاجل الشعب وينبئنَ عن الغيب ولكنهنَّ لا يُقدمنَ على اهراق دم الذبائح

وكانت العادة عندهم اذا اوشك احدهم على الموت ان يوصي ولده بان يذبح ناقته على قبره ويدفنها معهُ كي يظعن بها يوم الحشر لئلّا يُحشر على رجليهِ قال جريدة ابن الاشيم الاسدي في الجاهليَّة وقد حضره الموت يوصي ابنه:

يا سعدُ امّا اهلكنَّ فانني اوصيك انت اخو الوصاة الاقربُ
لا تتركنَّ اباك يعثر راجلًا في الحشر يُصرع لليدين وينكبُ
واحمل اباك على بعير صالحٍ وتقى المطيَّة انهُ هو اقربُ
ولعلَّ لي ممّا تركتُ مطيَّةً في القبر اركبها اذا قالوا اركبوا

وقال عمرو بن زيد بن المتمنّي يوصي ابنه عند موته شعرًا:

ابنيَّ زوّدني اذا فارقتني في القبر راحلةً برحلٍ فاترِ
للبعث اركبها اذا قالوا اظعنوا مستوثقين معًا لحشر الحاشرِ

وكانوا يربطون الناقة معكوسةَ الراس الى مؤخرها مما يلي ظهرها او مما يلي كلكلها وبطنها ويأخذون وليَّة (حبل او جلد) فيشدُّون وسطها ويقلدونها عنق الناقة. ويتركونها كذلك حتى تموت عند القبر ويسمّون الناقة بليَّة. ومنها المثل: «كالبلايا في اعناقها الولايا» ومما يجب التنبيه اليه ان باب الذبائح هو ملحق ضروري لمقالتنا عن الارواح والاولياء في البادية. اذ هي من مظاهر الاكرام للارواح والاولياء.

## الذبيحة في دهرنا الحاضر

﴿ التقادم الغير الدموية ﴾ حينما يزهو العشب في شرقي الاردن وتخضرّ السهول والبطاح ويلطف النسيم ويصفو جوّ السماء يقرّ البدوي عينًا اذ يرى السعادة ممثلة امامه فيتصوّر في مخيلته الخير العميم والحليب الوافر. فما يمضي شطر من الزمن حتى تكتنز الاغنام بعد نحولها وتدرّ ضروعها فيجمع صاحب القطيع الحليب في اناء خزفي او في ظرف جلدي ويمنع اهله واقاربه عنه اكرامًا لربّ الغنم. فيقضون هكذا حينًا طويلًا لا يذوقون الحليب الى ان يستخرجوا منه السمن فيأخذون بواكيرها ويقدمونها للمقامات المقدَّسة او للكنيسة فيضيئون بها مصباح المعبد. فهذا ما يسمونهُ سماطًا. فكثيرًا ما رأينا النساء حاملات تلك التقادم الى جبل شيحان او للنبيّ شعيب او هوشع او كنيسة الخضر في الكرك

ومن تقادمهم بكر الغنم الذكر يقطعون اذنهُ ويقولون: «هذا سماطك يا وليّ

الله» . فاذا نا بين القطيع يبيعونهُ ويبتاعون بثمنه بخورًا او شمعاً ويقدمونهُ للمزارات المقدسة

وقد تعهّدنا بواكير الحبوب وشاهدنا شيخاً قد اتى من النبي موسى الى عرب بني صخر واخذ يجمع الصاع المقدَّم ( والصاع هو مكيال يزن سبع كيلوغرامات ) فقبل كل شيء يكيلون صاع المقام ثم يكيلون حبوبهم . وقد نجد اشجارًا مثمرة بالقرب من المقامات قد أُوقفت اثمارُها لعابري السبيل . او ابارًا يشرب منها المسافرون كآبار النبي هوشع . واما الذين يقدّمون هذه البواكير فهم اهل الحضر واهل المدَر من النصارى والمسلمين . ومن عوائدهم ان الفقراء يهرقون السمن والحليب على قبر الاولياء وفي الاماكن المكرسة

﴿ الذبائح الدموية ﴾ ذبيحة المولود . ما كاد الطفل ينزل الى ضفاف الحياة ويبتسم لانوار الشمس حتى تتحلّى البادية بابهى مطارفها . فتفرح الامّ بعد كربتها وتعذُب لها الحياة بعد مرارتها لانه قد وُلد طفلٌ سيكون لوالده سندًا ولعشيرته بطلًا . وان كان ابن امير او شيخ يعمّ الفرح والسرور فتبدو الخيول في ميدان واسع الاطراف وتجول الفرسان على متون الجياد السابحات بابهةٍ وجلال . لكن قد ينشأ هناك من الشعور الرهيبة والعواطف السريّة المخيفة ما يدفعهم على تقديم الذبيحة . فينحر الاب الجزور او النعجة البيضاء كي يدفع عن الطفل الارواح الخبيثة او العيون الحاسدة ويلطخ جبينه بالدم مسترحماً المولى ان يبعد عنهُ الامراض والعاهات . فهذه اوّل خطوة في مراقي الحياة . وهذه العادة جارية عند الشرارات كما رواها لي مزعل الشراري وعند الشرايرة وبني صخر . واما العرب القاطنون بالقرب من المدن والقرى فقلّما يبالون بها . على ان الأُنثى لا يُقام لها اكرام في العشيرة ولا ذكر لولادتها

ذبيحة الطهر . واذا بلغ الطفل الثالثة او الرابعة يسعى آله بتتميم فريضة الختان . يخرج الاهلون والجيران خارج المضارب ويجمعون من الحجارة الغير المنحوتة عددًا وافرًا ويرفعونها جثوةً ويضعون في وسطها غصناً اخضر من الاشجار المألوفة كالزيتون والرَتم والطرفاء والسنديان والدُوم والدفلى . واذا لم يجدوا شجرًا يأتون بشيح وهو ذو رائحة طيبة وينصبونهُ فوق الجثوة ويُركبون الولد على نعجة بيضاء ويطوفون به سبع مرات حول هذا الهيكل البسيط . فما تكاد الذبيحة تصل الى مركزها الاوّل

حتى يقف العبد قائدها فينتضي الاب سيفاً ويضرب قوائمها فيعقرها ثمَّ يدير رأسها نحو الجنوب وينحرها قائلًا : « باسم الله وعلى اسم الله . ردّي عنهُ المكروه والروح الرديْ » . ثم يتقدَّم رجل بارع بمهنة التطهير فيختن الطفل ويعالجه باعشاب طبيَّة الى ان يبرأ من جرحه . ومن اعشابهم القويطبة يسحقونها بعد جفافها ثم يرشونها على الجرح فبعد اربع وعشرين ساعة يبرأ الجرح . وقد اكد لي ذلك مُناوِر شيخُ الغنيمات وحفظت منها كمية عالجتُ بها بعض المجروحين فنالوا الشفاء السريع

فالختان عيد تتاوه أَلعاب بدوية منها ان المدرَّبين على الخيل ورماة الرصاص يلتئمون في سهل واسع وينصبون رأس الذبيحة على مرتفع من الحجارة فيرمونهُ تباعاً ومن اصابهُ نالهُ جائزة ويسمونهُ علاماً . وقد عهدت مشهورًا ابن الشيخ فواز الصخري يرمي فلا يخطئ ابدًا وهو في الرابعة عشرة من عمره . على ان الفرسان يختارون الميادين المنبسطة ويرفعون في آخرها علماً ابيض ولاوّل اشارة يطيرون الى حيث الراية . وكم من فارس يعود خَجِلًا وكم من سابح ينال شهرة بعيدة . كان في قرية ماعين شاب يُدعى مفضّي بن موسى الحدادين . فانتظمت الخيول من عرب بني صخر وبلقاء وحمايدة واخذ الفرسان يجولون على ظهور جيادهم . وما كادت الاشارة تبدو حتى هبَّ مفضي يطير بفرسه كالنسر نحو العَلَم المنصوب وكنت ترى الخيول وراءه تتاوهُ مجدَّة بين صياح وضجيج وما هي الَّا لمحة بصر حتى رفع العلم بيدهِ وأَراه للحاضرين . واخذ الجاوس والفرسان يقدّمون لهُ آيات التهاني . وكان احد الصخور ينظر اليهِ بعين الكبر والحسد . فقال لهُ : ما لك تنظر اليَّ بعين غضب . قال لهُ : « انت ولد زين يا حليل لو ما كنت نصراني » . اي ما احلاك لو كنت من عرب بني صخر المسلمين

واذا سدل الليل سجفهُ تحتفل المضارب بليلة ساهرة يجتمع الاعراب من غنيّ وفقير وسيّد وعبد لاستماع الرَّباب والشعر البدوي . ثم ينتقل الترنيم الى رقص وتصفيق يعرف عندهم بالسحجة . وسنصفها في باب الاعراس

وهل يا ترى يعتبر البدوي الختانة فرضاً ضرورياً واجباً ? نعم . ولا احد منهم ينكر ضرورتها فلهذا يأنسون اليها ويقيمون لها اعيادًا بهجة . على انهم يختلفون في زمنها فعرب بني صخر يختنون اولادهم في السنة الرابعة او الخامسة امَّا عرب البلقاء

فـلا يؤجلونها الى السنة الثالثة . والشرارات لفقرهم وقلّة ذات يدهم يرجئونها الى أَمد بعيد الى ان يحصلوا على الذبيحة . على ان المسيحيين يقدمون الذبيحة بما يقابلها عندهم اي في يوم العماد . ويحتفلون به كما يحتفل الاعراب بالختانة

ذبيحة الصفاح او الخطبة . يبلغ الشاب الرابعة عشرة من عمره فيسعى الاهلون لزواجه . وربما سبق الزواج هذا الاجل . فتلتئم اقطاب العشيرة ووجوهها ويقصدون بيت العروس وبعد جلوسهم يدور صاحب البيت بالقهوة المرّة فيمسك المتقدّم عن الشرب ويقول : لا نشرب القهوة حتى ننال طلبنا . فيقول لهم : يا هلا بالكرام . فيقول المتقدم : « جينـا طالبين راغبين وان شاء الله من عندك ما نطلع خائبين » ثم يطلب الابنة للشاب فيطول الحديث على المهر وهو ثمن الابنة . فالعروس تُشترى باثمان باهظة وربما بلغ ثمنها الفين او ثلاثة آلاف فرنك . وبعد جدال طويل يخرج ابو الشاب فيذبح الشاة المعدَّة فيقال حينئذٍ : « فلان ذبح على فلانة » اي خطبها من والدها . وعند الشرارات والرولة ينضحون راس المرأة ويدها بالدم . فالذبيحة هي الرباط الشديد الذي لا يقوى على حلّهِ الاقارب والاصحاب ومن عـاداتهم ان اهل العريس يقومون بلوازم الوليمة من ارز وسمن وطحين وحطب وغير ذلك . واذا رجع ابو الابنة عن وعدهِ يعوّض العريس من جميع ما تكلّفهُ وينالهُ ازدراء العشيرة كلها لانهُ خرج عن سنَّة الشرف الاعرابي

وبعد تناول الطعام يربط العريس دينارًا في احد اطراف كوفيَّة حريريَّة ويقدّمها لخطيبته دلالة على ان روابط المحبَّة قد استوثقت عُراها وتمكنَّت صِلاتها فـلا يفكها الَّا الموت

ومن عاداتهم انّ الطفلة الصغيرة تصبح وهي في مهدها عروسة لابناء الامراء . وهذا ما حدث منذ عهد بعيد في الكرك . كان الشيخ مجلي صديقاً لاسرة مسيحيَّة هنـاك . فزارها يوماً وكانت صاحبة البيت قد ولدت ابنة فهنّأ ربَّ المـنزل بالمولودة . فاجابه عن لطف : « هي محسوبة لك ( في كيسك ) . فعدّها من تلك الساعة خطيبةً لابنهِ . ولمَّا بلغت العاشرة من عمرها طلبها من ابيها فقال لهُ : « اطلب ما شئت فهو يسير في جنب ما لك من الصداقة امَّا الابنة فهو امرٌ عسير » . فابى الشيخ الَّا اخذها . فارتاب المسيحي في امرهِ وضاقت الدنيا في عينيه . فهرب بأُسرته الى

غربي الاردن وسكن في بيت لحم . وبعد طول الزمان عاد الى الكرك وهو من عشيرة الحدادين ثم نزح وقطن في قرية ماعين فنجا من لجاج الشيخ

غير ان بعض الاعراب لهم ذبيحة غريبة دون سفك دم بها يرتبطون بروابط الذبيحة . فان عزّاب الشرارات والمتوغلين في البوادي اذا ارادوا ان يقترنوا بالزواج يضع العريس في قبضته اليمنى حنطة وتطبق العروس يدها فوقها . فيقول الشاب: « أتقبليني لكِ رجلًا على سنَّة الله والرسول» . فتقول : قبلتُك . ثم تعيد السؤال نفسه قائلة : « تقبلني لك امرأة على سنَّة الله والرسول» فيجيب: قبلتكِ . فيقول: «بحق البُرّ وخالق البرّ لا توق ولا بوق . هي سنَّة الله ورسوله . ورباط العيش وربّ العيش انا لكِ وانت حليلة »

والاعراب يعتبرون الذبيحة ضرورية في عقد الزواج لانها تصد الاب عن طلب زيادة في المهر . وقد رأيتُ آباء عديدين قد نكثوا بعهودهم لان الخطبة لم تتبعها الذبيحة المعهودة

ذبيحة الحنَّاء ان اهل البادية يقصّرون امد الخطبة . واذا اقترب الاجل المضروب للعقد او الاكليل يُعدُّون الاثاث والفرش ويحضرون الذبائح . وقبل ذلك بيوم تجتمع المغنيات المطربات في بيت العريس . وتستتر كل ثلاث منهنَّ بعباءة ويسرنَ الى بيت العروس ممتدحات اصحاب البيوتات واهل العزّ والكرم حاملات ثياب الخطيبة على طبق . وهكذا بين الترانيم والاغاني يصلنَ الى البيت ويزيّنَّ العروس بحلاها البدويَّة . ثم يذبحنَ الذبيحة وهي شاة سنويَّة ويتناولنَ الطعام . وتقوم الماهرة بينهنَّ وتطلي اعضاء العروس بالحنَّاء كالايدي والارجل والشعر ولهذا تسمَّى ذبيحة الحنَّاء

وفي اليوم التالي تقاد العروس على فرس أَصيلة او ناقة بيضاء بين الاهازيج البهجة الى الكنيسة او الى بيت العريس حيث يصير العقد او الاكليل . وقبل ان يدخل العريس الى مخدعه تذبح امُّهُ ديكاً بين رجليه كي تحجز عنه مصائب الزمان ونكبات الدهر

وكثيرًا ما يعلقون على عتبة البيت خميرة وفوقها غصن زيتون فاذا ولج العريس الى مخدعهِ يضربها بحديته فيشطرها شطرين فيتفاءلون بزواج سعيد وايام هنيئة . وكانت

هذه العادة جارية في عهد الجاهليين . بل جاء ذكرها بين اليونانيين والرومانيين وهي من الخرافات القديمة

ذبيحة الحلية وبعد هزيع من الليل يأخذ اهل الحي في الرقص والغناء ويفد المهنئون الى مضارب الزوجين ويقدّمون لهما ما تجود بهِ انفسهم من دراهم وحلي . وقبل النوم ينهض العريس وينحر نعجة بيضاء قائلًا : « حلّي حلّلكِ الله » اي انَّ زوجتهُ اضحت حليلة لهُ وفي البادية ينضح امرأتهُ بدم الذبيحة يعدُّ بذلك الزواج مكرَّساً وهذه الذبيحة هي دينية محضة ولها محل رفيع من الاعتبار عند الاسلام ويعدّ الزواج بدونها حراماً . وبها يعتقدون انهم يدفعون الاضرار والمصائب عن الزوجين . واوَّل من يأكل من هذه الذبيحة هما الزوجان دون غيرهما . وقد عاينّا هذه الاعراس بانفسنا وحضرنا افراحها في الربوع العامرة والمضارب الشعرية

ذبيحة القِرى يقول الاعراب في لغتهم : فلان أَقرى لولدهِ اي ذبح الذبائح صباح العرس ودعا المدعوّين ليشاركوه في الافراح والهدايا . فيجلس العريس والعروس على سدَّة مرتفعة في صدر البيت فيدخل المدعوّ فينهض العريس فيتصافحان ويقبّلان بعضهما بعضاً فيقول له على سَمْع من الحاضرين : «مبارك البيت الجديد» . ولا يجلس العريس على عرشهِ هذا الَّا بامر الزائر الكريم . وينحرون سبع نعاج فما دون على حسب غناهم . ويوزّعون الى كل خيمة من اصحابهم واقاربهم فُلذة من اللحم وقد يظهر كرمهم بما يقدّمونهُ للمدعوين . ولهم مثَل يدلّ على الجود والكرم في مثل تلك الحالات فيقولون : فلان يغمس ايدي ضيوفه بالسمن والدهن

ذبيحة الطلاق درجت الايَّام ودرجت معها افراح العرس واتت الحياة باتراحها . وقد طُبع الاعرابيّ على الغضب وحدَّة الطبع وجرى لسانهُ مجرى الشتائم والطلاق . واوَّل هفوة تصدر من المرأة يقول الرجل : عليَّ الطلاق . وتبدو عليه اشارات الكدر . واذا تعدَّدت الهفوات يقول لها : انت طالقة . وربما قال في حديثه : «عليَّ الطلاق او عليَّ الحرام ان كنت فعلت الامر المذكور» فيطلقها وهي تكون بريئة من ذنب او مثالًا في اللطف والطاعة . فيدَعها وينزع عنها نعيم الحياة لكلمة جرى عليها لسانهُ . ولكن لا يمرُّ عليه زمن حتى يرى عجزه وحدهُ فيندم على ما جنت يداه من الطيش والغضب

فيجد حلًا لهذا المشكل. غير انه يلقى عقبات شتّى في زواج جديد من طلب اموال طائلة وشروط باهظة ويردعه ارباب العقول الراسخة عن سالف سيرته ويحثونه على ارجاع زوجته الاولى. فيرسل الوفود ويقدّم العهود ويستصفح عما اتاه في سَورة الغضب. فتعود المطلّقة الى زوجها. وقبل ان تلج الى الخيمة يذبح ذبيحة الطلاق او بالاحرى ذبيحة التلاقي. وينضح جبين المرأة قائلًا: «حلّي حلّالكِ الله». ويدعوها العرب تثنيةً اي الزواج الثاني. على ان العاهرة لا تُردّ اصلًا كما ذكرناه في باب الحقوق. وللاعراب مثل في ذلك: «من طلّقها لا يراعي بياض ساقها» اي من ترك امرأته لا يندم على فعله ولا يذكر محاسنها.

غير انّ ارباب المدن واصحاب الشرع قد اباحوا ارجاع الطالقة بشرط بعيد عن مواطن الاداب وذلك ان الرجل يعمد الى احد معارفه ويوكله ان يتزوج المطلقة ثم يطلقها ويدعها لرجلها الاول. فهذه الوسيلة قد كرهها اصحاب المضارب واستهجنوها وقد اصابوا بما فعلوا لانه قد يحدث ان الموكل يتخذها زوجة له ولا يطلقها الا بالرشوة الفاحشة وهذا ما يسميه اهل الشرع التجحيش

ذبيحة البيت وبعد ان اسّس الشاب اسرتهُ يسعى لجمع المال وتربية الماشية مما يؤهلهُ لان يرفع بيتاً لنفسه منفردًا عن والدهِ. واماً ما يضطرّهُ الى ترك اهلهِ هو ما يقع من اسباب الشقاق وعوامل التحاسد في اسرتهِ الممتدّة الفروع. او ما يدفعه اليه الطمع وحبُّ الذكر والفخر. فيفترق عن اسرته وقد خلّف لوالديهِ الحسرة والكآبة. وفي نفسهِ من الآمال البعيدة والاحلام السعيدة اذ اصبح حرًّا في امور منزله. على ان رفع هذه الخيمة ينال اهتماماً عظيماً وافتخارًا كبيرًا. فما هي هذه الخيمة الشعريّة الحقيرة القائمة في السهول او في سفوح الجبال؟ هي نقطة سوداء لا تكاد تقف في وجه الرياح ولا تقوم سدًا في سبيل السيول الجارفة. غير انها في عين البدوي ذات عزّ واكرام لانها بيتهُ ووطنهُ. فيقام لرفعها عيد بهيج يكرّس بالذبيحة المعهودة. فبينما يضربون اوتادها ويشدُّون اعمدتها يديرون رأس النعجة نحو الجنوب وينحرونها قائلين: «دستور يا صاحب البيت» وينضحون بدمها النسيج الشعري والاعمدة والاطناب والاوتاد ويسترحمون الارواح الهوائية كي تدفع عنها الاحزان والصعبات ولقد تأصلت فيهم الخرافات حتى انهم لا يرقدون في ارض قبل ان يقدموا

النعجة البيضاء لربّ الفلاة . روى لي مزعل الشراري قال : «طال العهد بيني وبين اخي ووفرت اموالنا وكثرت ماشيتنا . فطلبنا ان نقسم رزقنا . فنال كلٌّ مـا قسم له المولى ورمتُ ان أنال ذكرًا ومجدًا فاقمتُ لنفسي مضرباً واسعاً ونحرت جدياً صغيرًا لربّ المحلّة . ففي منتصف الليل وقف بنا جبّار من الجبابرة المرَدة وقال : يا مزعل خِسْ من رجل . أيكفيني جدي طعماً ورائحة ام ضنَّت نفسك عن النعجة البيضاء . فلم اكترث بكلامه . وظهر في الليلة الثانية بوجه غضوب وعيون تتّقد شررًا وقال : ويحًا لكَ لِمَ لمْ تنحر لي من خير ما عندك . وتهدَّدني بالخراب والشقـاء . فنهضتُ مذعورًا وجمعتُ العشيرة ورويت لها ما رايت وسمعت . ثم تممّت فريضة البيت فسكن غضب الاولياء وهجرت عني الاضرار »

ذبيحة الواسط ان الشيوخ اذا رحلوا الى غير منتجع طلباً للمياه والكلأ يذبحون ذبائح كثيرة او ينحرون جزورًا ويُولِمون الولائم للفقراء وينضحون اعمـدة البيت بالدم . وكم من مرةٍ طمحت نفوسهم للغزوات فاذا عادوا غانمين يوسعون نطاق البيت ويرفعون عمودًا وسطياً يدعونه واسطـاً فلا بدَّ حينئذٍ من تقديم الذبيحة . فهذه الذبيحة تسمى ذبيحة الواسط . واذا اضطرّوا ان يحجزوا أرياح الغرب عنهم ينقـلون الرواق من الشرق الى الغرب ويقدمون الذبيحة

ولقد نجد بعضاً من الاعراب يقطنون تارة البيوت الحجرية وتارة البيوت الشعرية كمثل اهل السلط والكرك ومعان والشوبك . فاذا انتقلوا الى بيوتهم الشعرية ينحرون ذبيحة وينضحون بها الخيمة الاطناب كمـا فعل ذلك بعهد منا الشيخ ابو ستة وعبد المهدي ابو وندي من امراء العوازم

ذبيحة الطاحون : اذا رام البدوي ان يشرّق اي يرحل من الغرب الى الشرق طلباً للنجعة وذلك بعد الحصاد يهتم بطحن ما يتيسر لديه فان كان شيخاً يأتي بخمسين جملًا محملة من الحنطة والشعير ويطحنها دفعة واحدة . لانهم يتوغّلون مسافة عشرة ايام في البادية . كما ذكر لي ذلك مشهور ابن الشيخ فواز امير بني صخر . فلا بدَّ من تقديم الذبيحة للفقراء واطعام الجائعين والمساكين من باكورة الحنطة . فيسمونها ذبيحة الطاحون

ذبيحة العتبة : ان الاعراب يستخدمون في بناء البيوت الحجرية الاعتاب القديمة

التي ابقتها العصور الخوالي في الاطلال البالية . فلقد يجد الناقشون احجارًا يعجز الفن عن تمثيلها وقد رسم عليها من انواع الازهار والكنايات ما ترتاح له النفوس وتقرّ له القلوب والعيون كما في قصر المشتّى في شرقي زيزيا . واهل البيوتات من البدو يؤثرون تلك الاعتاب على غيرها واكثرها موجود في قرية مادبا وماعين وحسبان والعال وذيبان وشيحان والكرك . فاذا رفعوا فوق ابوابهم تلك الاعتاب يذبحون الذبائح وينضحونها بالدماء . وقد يقولون في امثالهم السائرة : «الرزق اعتاب وكعاب ونواحي» . اي ان ابواب الرزق ثلاثة منه ما تجلبه الدار السعيدة المنضوحة بالدماء . ومنه الرماح في الغارات والحروب . ومنه نواحي الخيول الاصيلة والاولاد الصالحين . فعلى كل عتبة نرى اثار الدماء في المزارات والبيوت الحجرية

وارباب البوادي اذا ارادوا ان يشيدوا بيتاً في سهولهم جمعوا الجموع لمساعدتهم فترتفع الاسوار وتعلو في الفضاء بدهر قصير وتصبح مسكناً رحباً ولكن عقد القناطر يحتاج الى ذبيحة وكذا مدّ الاخشاب وتسهيل السقف . فينحر الاعرابي الشاة على حافة السقف لتسهيل الدماء على الجدران ويقول : « دستور يا صاحب البيت دونك ذبيحتك » . وربما لم تملك يداه ذبيحة فيتقدم رب الاسرة بقلب متخشع ويرفع ذراعيه ضارعاً وقائلاً : « يا صاحب البيت عليك الصبر وعلينا الوفاء »

ذبيحة المائت قضى البدوي من الحياة شطرًا كبيرًا فتنعَّم بلذَّات العمر ورأى اولاده قد درجوا في ميدان المعترك الانساني على انه ما عتَّم ان رأى ايام الاحزان والاتراح قد وافت فتشعر نفسه باقتراب المنون فيأسف لانه يموت على فراشه ولم يمت في ميدان الحروب . غير ان الاهلين ينذرون نذرًا ذبيحة صالحة للمولى الرحيم كي يمنّ عليهِ بالشفاء . فاذا قضى نحبه يودّعونه وداعاً اخيرًا بالدموع والعبرات . بيد ان الذبيحة تتبعه في سائر اطوار حياتهِ الى لحدهِ وانتقالهِ الى الحياة الاخرى . وربمَّا اختلف البعض منهم على انواع التقادم ولكنَّهم جميعهم يقدمونها للفقراء . وفي كل يوم ينحرون على قبرهِ نعجة الى اسبوع كامل وفي مساء دفنه تذبح ذبيحة العزاء وفي ختام الاسبوع تتم المناحات وتجفّ العبرات فتكون خاتمتها ذبيحة «السَّبوع» وقد جرت هذه العادة بين عرب البلقاء وبني صخر وبني حميدة . وللمائت عشاء في ليلة دفنهِ وذلك انهم ينحرون نعجة او شاة على قبرهِ ويقولون « دونك زادك يا فلان او دونك عشاءك يا

ابا فلان» . ولا مشاحة ان تلك العادة هي وثنية محضة نجدها مسطَّرة في تاريخ الجاهلية واساطير اليونان والرومان

عيد الضحية ومن اعظم الذبائح الدينيَّة هي ذبيحة الضحية . وقد حضرتُ هذا العيد البهيج عند الونديين . وقد ضحَّى الشيخ ابو ستة ضحيَّة لوالدهِ علي الونديين في قمة جبل ماعين . وقد أحضروا الناقة البيضاء الكاملة الاعضاء ووضعوا على سنامها ثياباً وخرجاً مملوءاً حنطة وملحاً وبلحاً . فالزكاة في هذا العيد هي مفروضة ولا تصلح الذبيحة بدونها . فالثياب يتقاسمها الفقراء على الارض كما يقول الاعراب والله يلبس مثلها في الجنة صاحبَ الضحية فلا يذوق عذاب البرد وأَلم الرياح الصرصرية . والمائت على زعم الاعراب يمتطي هذه الناقة الى جنة النعيم فـلا يعثر في طريقه كما ذكرناه في الضحية عند العرب الاقدمين . واماَّ ما يملأُونه في الخرج فهو زاد في رحيل المائت الى ابواب الجنة . وكان الى جـانبي شيخ من عرب الموازرة يورد لي الشرح في معنى الضحية ولوازمها قال : «لا يصل المائت الى دار الخلد الَّا متى حضرت الناقة والزهاب» والزهاب هو الطعام

ولربما ضحى الاعرابي ضحية وهو في قيد الحيـاة فينحر الجزور ويقول : «يا رب تقبَّل ضحيَّتي قبل مماتي» . وقد اكَّد لي متعب العرامين ان علي الونديين قد ضحَّى عن نفسه في حياته . وقد روى لي محمَّد الكنيعات من الفقراء ان الرولة يأتون بالذبيحة فيعقرون قوائم الناقة ويديرون راسها على حجر كبير وينحرونها فتسيل الدماء وتملأُ الموضع . قال : وفي يوم الدين يوضع الحجر المنضوح بالدماء في كفَّة الميزان الالهي فترجح الاعمال الصالحة على الخطايا والمآثم »

وقد رووا لي الحكاية الآتية قـال مفضي الرولي : عاش اعرابي من عشيرتنا بالكبائر والفواحش ولمَّا آن الزمان واقترب المنون قال في نفسه : « يا نفس يا نفس ما فيَّ الَّا ما يسوِّد الوجه» . فسرق ناقةً ووافى بها الى صخرة في جبل مرتفع ونحرها على تلك الصخرة فسالت الدماء حتى غمرت قمَّتها فقال : « لا ريب اني من ارباب اليمين وعداد الابرار الصالحين . فمَن من الملائكة يدحرجها عن محورها ؟ وهل ميزان العدل يسعها . لا ثمَّ لا » . فارتاح فكرًا واطمأنَّ بالًا ومات مبتسماً مسرورًا

ومما ذكره لي شيخ الحمايدة ان ابن الرشيد يذبح الذبيحة ويدور بها حول الخيام

فيرمّ بدمها دائرةً تحجز عنهُ المصائب والامراض . ومن لا يستطيع الى نحر الناقة سبيلًا يقدّم سبع نعــاج او بقرة لله عزَّ وجلّ . ومن الاعراب الفقراء من لا يجدون جزورًا فالعادة تسمح لهم بان يقدّموا نعجة كل سنة الى سبع سنوات وهذا ما يسير عليه اهل البلقاء والحمايدة الشرارات

ويزعمون انّ المائت كثيرًا ما يظهر لاقاربهِ في الحلم ويوبخهم على إهمالهم فرض الضحيَّة فيسعى الاهلون باداء الواجب وتقديم الذبيحة . وقد رأينا الذبيحة مكتحلة العينين فسألنا عن السبب في ذلك فقالوا : « ان الذبيحة التي ارسلها المولى عوض اسحاق على جبل بيت المقدس كانت مكتحلة العينين »

ذبيحة البيدر اذا اتمَّ البدوي حصادهُ يجمع الشمائل اكداساً في البيدر وقبل ان يُكسَر السنبل وتدوسهُ أَقدام الثيران يأتي صاحب البيدر بنعجة او شاة ويقطع اذنها ويطوف بها حول السنابل . فيسمون تلك الدورة دورة القطشية ثم ينحرها لوجه الله الكريم

ذبيحة السِقاء ان الامطار كثيرًا ما تتأخر في البادية فتجفّ الارض والاعشاب وتفرغ الآبار وتكاد الماشية تموت من شدَّة العطش فيضرعون الى الله المنــَّان فتسيل السماء مدرارًا وتروي الارض والبشر فيقدّمون ذبيحة الشكر يسمونها ذبيحة السِقاء . والسّقاء هو الشنّ يوضع فيه الحليب والسمن

ذبيحة الخيل الجواد البدوي هو فخر الاعراب ومجدهم . عليهِ يقطعون السباسب ويهاجمون العدوّ ويردُّون صدمات الحروب وفيهِ يعودون كاسبين . فهذا الجواد لــه اكرام كبير ومنزلة رفيعة في المضارب فلا تراه الَّا مربوطــاً في اكرم ارض امام خيمة الشيخ . واذا انتجت الفرس مهرةً حلّ الهنــاء في الخيم وانتشر السرور وذبحوا ذبيحة ونضحوا بدمها بطن الفرس والمهرة وقوائمها وناحيتها وغرَّتها . واذا ابتاعوا لهم فرساً او كسبوها في الغزو يذبحون لها نعجة قبل ادخالهــا البيت . هذا ما فعله عودة بن عيسى لمَّا اشترى فرسهُ المشهورة « الكبيشاء » ذبح الذبيحة وطاف بها حول بيته ليمنع عنهُ أَذى العيون الحاسدة وأَولم وليمة فاخرة ودعا اليها الاصدقاء والاقارب . فقلت له : « ما هذه العادة وانت مسيحي . قال » : « هذه عاداتنا واذا لم نجرِ عليها خشينا عذل العاذلين ونظرة الطاحين »

ذبيحة القطان : ان اول ذكر يولد في القطيع يُقدَّم للمولى عزَّ وجلَّ او لاحد المزارات فيباع ويُدفع ثمنهُ لصاحب المقام او للكنيسة

ذبيحة التوريد : ان هذه الذبيحة تابعة لذبيحة الخيل وذلك ان الشريك اذا سلّم النتاج الاول او الثاني لشريكه واصبح حرًّا بفرسهِ على حسب عوائد اهل الخيل يذبح ذبيحة التوريد لانه امتلك الفرس بتمامها لا جزءًا منها فتُمزق الصكوك والعقود ويغدو مستقلًّا بها دون معارض

ذبيحة الكسب : انَّ البدوي لِما فُطر عليه من حبّ الغزو لا يهدأ له بال ولا تسكن له حال حتى يشنّ الغارات ويكسب الغنائم على انه قبل ان يرحل الى غزواته المخطرة ينذر نذرًا لوجه الله اذا عاد منتصرًا غانمًا . ورئيس الحملة او العقيد هو الموكل بتقديم الذبيحة واصطفاء خير ما اتى به من المغنم

ذبيحة النذر : لا يمرّ يوم في البادية الَّا ونرى الاعراب ينذرون النذور لله وللاولياء ويخيَّل ان البدوي يشعر في سائر حياتهِ بيد شديدة قوية تضغط عليه فيخشى تلك القوة العاتية السرّية فيقدّم لها الضحية لتلهو بها عن اذاه . وهم ينذرون النذور قبل الاسفار طلباً للنجاح والتوفيق وقبل الغزوات البعيدة وفي العُقرية . وقد ذكرناه في باب الارواح والاولياء

وقد عاينتُ عادة غريبة في بابها اذكرها تفكهة للقرَّاء . ان النساء التي يموت لهنَّ اولاد في سنّ الطفولية ينذرنَ نذرًا لله : وذلك انهن يَقسِمْنَ النعجة شطرين ويعلّقنَها على شجرة ويمررنَ وهنَّ حاملات اطفالهنَّ تحت ذاك القوس اللحمي . ثم يمرّ من تحتهِ الاب وبقية الاسرة . فالموت والمرض يهربان من تلك الاسرة . وقد تعهدتُ هذه العادة جارية ايضاً عند الروم الارثوذكس في السلط ومادبا والكرك . فان حضرة راعيهم الخوري ايوب الفاخوري قد مرَّ هو وامرأته وطفله تحت النعجة المشطورة . فمن هذا ينتج ان الجهل يعمُّ حتى المسيحيين في اعتقاداتهم الباطلة

ومما يخشاه الاعراب في بعض السنين الاوبئة الخبيثة التي تنتشر في البادية بسرعة غريبة . ومن امراضهم الطاعون والهواء الاصفر والجدري فتهلع لها القلوب رعدةً وجزعاً ويفرُّ الاعراب من مضاربهم تاركين مرضاهم بسكرات الموت يتقلبون على فراش المنون . فبينما نراهم اسودًا في الحروب قساةَ القلوب على احتمال نكبات الدهر

اذ نعاينهم في الامراض العموميَّة أَجبَن الخلق وأَسرعهم الى الهرب · ولشدَّة ما هم عليه من الخوف يلجأون الى الذبائح كي يستنهضوا عزائم الارواح لمساعدتهم وتلك الذبائح تُدعى ذبائح الفدو او الفداء لانهم بها يفتدون انفسهم من الموت الزؤام · واذا مرَّ في دماغ البدوي حلم يظنُّ ان منبهاً يدعوه الى الذبيحة · فما كاد ينهض من رقاده حتى يقوم بما تفرضه عليه الواجبات الدينية · ولا يكاد يخرج من تأثيرٍ حتى يدخل في غيره ولكل وَهْم او حُلم يذبح البدوي ذبيحة

الذبيحة السنوية وقد نجد من الاعراب من يذبحون في كل سنة ذبيحة وذلك ان احد اجدادهم قد نذر نذرًا باسم العشيرة كلها · فالعشيرة باسرها مربوطة بهذه العهود ويسمونها ذبيحة حِلِّية بها يفون عن ذمَّة ابائهم

ذبيحة الغنم ولهم ذبيحة يدعونها ذبيحة الغنم في المزار · يطوف الراعي بغنمه حول المزار واذا رأى واحدة قد اقتربت من لحد الولي ووقفت امامه علموا ان نفس الوليّ قد اختارتها ضحية فينحرونها اكراماً واجلالاً فيرتفع الاذى عنهم وعن ماشيتهم

ذبيحة الروق ومن الاعراب من يخرج من عشيرته وينضمّ الى عشيرة اخرى اشدَّ بأساً واوسع مالاً وجاهاً فيطلب شيخ العشيرة ان يقدّم ذبيحة وينحرها لجدّ العشيرة حتى يصبح كواحد منهم متمتعاً بحقوق القبيلة وامتيازاتها وقد تسمَّى ذبيحة الروق

ذبيحة سليمان اذا اخضرَّت السهول وازهرت الربوع في شهر ايار يرد الاهلون الى حمَّام الزرقاء وهو من الحمامات المشهورة كما ذكرناه سابقاً · فقبل ان يغتسل المرء في مياهه المعدنية يذبح ذبيحة لسليمان الحكيم صاحب هذا المزار

ذبيحة شيحان وقد اوردنا فيما سبق ان للجبال اكراماً عند الاعراب فمن تلك الجبال جبل شيحان وهو اعلى مقام في شرقي الاردن فهو لارتفاعه وعلو مقامه يرى الزائرين وافدين اليه من اطراف مؤَاب والبلقاء حاملين الهدايا وسائقين النعاج اليه · ففي الربيع يعتدل هواؤه ويرقّ نسيمه وتصفو سماؤه فيفد اليه بنو حميدة والرولة وبنو صخر والمجالي ويذبحون على اطلالٍ هناك نعجةً يدعونها نعجة شيحان ويسيل دمها في بئرٍ منقور ويمنع عن الزائرين واهلهم الاضرار والنكبات

ذبيحة الضيف تركنــا الرواية الآتية على لفظها البدوي كي يحيط القرّا. علماً بلغة الاعراب الحاليين وهي رواية مشهورة في شرقي الاردن يتسامر بها اهل البادية في لياليهم الساهرة وفيهــا من كرم الاخلاق وعلو المبادئ البدوية ما جعلها مثالاً يُضرب به المثل. قال الراوي وهو رجل شراري يُدعى سليمان: «تظاغنَت(١ العرب بعد غزو وقتَل ابن عياش اخوانَ الشريف الاثنين. فجلا (اي هرب) ابن عياش عن الشريف الى بلاد الشمال وأبعَدْ. وراحت المــادَّة اثنا عشر سنة. أمْحلت دَيْرة ابن عياش. هزل الطرش. ضعف الحلال. نشفت السيول. تحجَّرت السماء. بعث ابن عيَّاش روَّادهُ ترود البلاد. رجع الرائد قال: «لا بالله ما بُهْ الَّا ديرة الشريف (٢». قال ابن عياش: «كيف نرعى بدَيْرة الشريف ونحن قَوْمْ (اي اعداء). صبرًا صبرًا جميلًا وبالله نستعين انا قتلت اخوته. هلّي جاي من الله ما أحــلاه. سيروا على ما قدَّر الله. واللِّي كاتبه ربّك يصير». سار حتى قرَّب من الشريف. نوَّخ الأباعر. جمع الحطب. اشعل النار. تناصف الليل. حطَّ الكاسر قبال الكــاسر (٣ قام الشريف باكر باكر يصلّي. التفت رأى الارض سوداء مثل الضباب والرماح مغروزة في الارض مثل الغاب والبيوت نازلة حوله. بعث العرب يَعْزِم الطنايب على بيت الشريف. جاب الذبائح. حطّ الحلل. ركَّب الطبخ. بعث عزمهم على القهوة. السلام عليكم. وعليكم السلام(٤. حيَّا الله الرجال. حيَّا الله الرجال. قوموا يا ضيوفنــا عليكم جيرة (٥ الشريف قوموا اشربوا قهوة الشريف. فرفض ابن عياش صارت الدلال (اي اباريق القهوة) تغلي على النار. ارسل العبيد لابن عياش. صَبُّوا القهوة. لم يقبل يشرب. قــال العبيد: ويش علامَك يا ضيفنا. رجع العبد وخبَّر الشريف قام الشريف بنفسه الى ابن عياش وقال: علامَك يا ضيفنا ما تشرب قهوتنا؟ ان كنت مديون حِنَاً (اي نحن) وفَينا دينك. وان كان راكبك عدوّ حِنَاً نركب ونكسرهم. وان كان ابن عياش اشرب قهوتنا عفينا عنك.

١) يرى القارئ اللبيب بهذه الرواية اللفظ البدوي بحروفه دون تغيير وكأنه يسمع اهل البادية انفسهم يتكلمون. يقولون: تظــاغن. اي تضَاغَن من الضغينة والضاد تلفظ ظاء في البادية. ثم ان العرب حينما تتكلم لا تضع حروف العطف بين الجمل. ونحن تركنا كلامهم على علَّاته ٢) اي لا يوجد الَّا ارض الشريف حسنة للمرعى

٣) اي ضربت الخيام مقابل الخيام الشريفية ٤) هذا سلام التحية عند العرب

٥) اي نستحلفكم باعزّ ما لديكم اي بالجيرة المكرسة

قال: وحق الله انا ابن عياش. ومضى زمان طويل والايَّام تُطوى بينهم. مرَّ الشريف وشاف ابن ضيفه قال: يا ابن عياش أَهذه بنتك؟. قال: اي بالله. والحال هو ابنهُ ولكن جدايلهُ من قدَّام مثل البنات (١. التزم ابن عياش عمل صيوان (٢ لابنه مثل صيوان الشريفة عجائب ابنة الشريف. استحبَّت الشريفة عجائبُ محسنَ ابنة ابن عياش. تسعين ليلة عاشوا بمحبَّة وسلام. يوم من الايام سرح طرش (اي قطيع) الشريف مع طرش ابن عياش واذا غزو ثقيل (اي كثير العدد) من صوب عرب لام من الجنوب قشُّوا (اي نهبوا) الطرشَين وانهزموا. شافت الامّ ولدها قالت: يا ولدنا يا محسن ابوك يُذبَح وانت هنا مساوي حالك بنت. قال: انتم ساويتوني بنت لا انا. قال: هاتي الدرع. شدَّ على الفرس رمحه بيده ونزل مثل الخاطّ تالي الليل. وصل وفات على الغزو مثل النشَّاب لحق الخيل قال: يا عرب انا متحذّي (٣. قال عقيد الغزو: ردُّوا للولد عشرة اباعر. قال: يا محفوظ. الله ومحمد رسول الله هذول لا يشيلون البيت أَلّي نطبخ به القهوة. قال: ردُّوا له عشرة كمان. والولد مباريهم (٤. رَدُّوا له مئة والولد مباريهم. قال العقيد: يا ولد ما ترجع وتأخذ طرشك ألّي اعطيك. قال محسن ابن ابنِ عياش: يا محفوظ اريد — ويش تريد — اريد الطرش من اولّه عاتاليه. قال العقيد: اذبحوه عينهُ حمرا. اشتغل الحرب وقَتَلَ الولد منهم ثلاثة عشر وردّوا الطرش ردَّ القلايع (٥ وربطهم ببيت الشريف وقَعَد. عرف الشريف قال: باطلْ باطلْ (اي اسفًا) هذا ولد وانا حسبته ابنيَّة. كمد. في تناصيف الليل امر عربه بالرحيل طلع الفجر ما لقى ابن عيّاش الّا النار والارض المقفرة. زعل محسن ولد ابن عياش وبعث ذلّال (٦ راكب ذَلُول فمشى عشرة ايَّام تجيبها بيوم واحد وكتب كتاب لعجائب ابنة الشريف:

١) اذا عاش الابن بالدلال يرخي جديلتهُ من قدَّام كالبنات. فظنَّهُ الشريف فتاةً ولم ينكر ابوهُ

٢) الصيوان خيمة للنساء ٣) تحَذَّى عند العرب اي طلب هبة وهديَّة

٤) مباريهم اي سائر جنبًا الى جنب ومزاحمهم ٥) القلايع جمع قليعة هو ما يؤخذ في الغزو من فرس اصيلة وشيء ثمين

٦) الذلّال. هو راكب الذّلول اي الناقة السريعة

يا كاتب المكتوب يا بو المكاتيبْ | يا ناحرًا يمَّ الشريف الركايبْ (١
خذ لي كتابي أسرع كما الذيبْ (٢ | خذ لي كتابي باسم حضرة عجايبْ
بنت الشريف القاعدة بالمراتيبْ (٣ | بدروج عوج تموج موج الركايبْ
ظلّ الزمـان يحطّ ويشيل ويجيب | حتى جمع الشريف وابن عياش بالطنايب (٤
تسعين ليـلة مجاضعـا على طيب | مثـل ابنيـة مرخي ذوايبْ
والله مـا حكيتها بحكي معـايبْ | ولا مال قلبي ليَمْنهـا مَيْلْ عايبْ
والله لا خوفي من نـار لهـايبْ | ولا من سيف شنيع الضرايبْ (٥
خوفي من مقعـد منـاصيب | يقولون ابن عياش خان الطنايب (٦

تمت مقالاتنا عن الديانة البدوية وسنتبعها بابحـاث عن الاسرة العربية ٠سائلين الله ان يوفقنا فيما ابتدانا به ويسِّر ما نتوخاه من النفع في خدمة الاداب والوطَن بمنّه وكرمه

تمت

---

## وقفةٌ

## بين الناصرة وبيت لحم

لحضرة الخوري رفائيل البستاني (نقلًا عن البشير)

بُشرى الورى أزِف الوفاءُ بموْعدِ | وبدتْ طوالع فجر عهدٍ اسعـدِ
فالارض تمـرح والسماءُ تهلّلت | وجهنّمٌ خسئت بوجـهٍ اكمـدِ
أبشر وتِهْ يا ايهـا الانسان قد | امر الإله بسحق كَبْلٍ (٧) مقيَّدِ
حُرّرتَ مـن رقٍّ أمضّك غلّـهُ | فلقـد دنا ميعـاد ذاك المفتدي

١) الناحر القاصد يقول لهُ: سِرْ بالركائب نحو الشريف
٣) ينسب الاعراب السرعة للذئب ٢) الجالسة على سرير مرتفع
٤) الطنايب هم الملتجئون الى امير المالسكون حبال البيت ٠ يعني بهم هنا الجيران
٥) اي انه لم يتكلم كلامًا ساقطًا ليس خوفًا من نارجهنم ولا من القتل بالسيف
٦) ولكن يخشى مجلس الوجوه والاعيان اذ يقولون ان ابن عياش خان جيرانه
٧) الكَبْل القيْد

فاضرب بمنحطِم الكبول جهنّماً واهزأْ بكلّ تهدُّد وتوعُّدِ

***

فبَدارِ يا جبريل حلّقْ ساعياً في كاعب بكرٍ لسرّ تجسدِ

وجُبِ المشارق والمغارب باحثاً فوق العروش وبين اهل السؤددِ

ولِجِ القصورَ الباذخاتِ فانّها غصَّت بربّات الجمال الخرَّدِ

جبريل دعْ غِيد الصروح وشأنها تمسي وتصبح في الدلال وتغتدي

فالله يزري بالتبرُّج والحلى وأَبَى مبالاةً برفعة مَحْتدِ

يبغي قلوباً لا قوالبَ قلَّباً وعفاف نفس لا نفيس العسجدِ

فاهرع الى كوخٍ بناصرةٍ بنى في عُقره الإملاقَ اخشن مرقدِ

***

جبريل قف بالباب واخفض هامةً واغضض عيوناً نحو ارض واسجدِ

سبّح الهك جاثياً متخشعاً متهيباً لجلال ذاك المشهدِ

ملَكٌ امامك في نضارة غادةٍ ببهاء بدرٍ في رِداء الزّهدِ

ضمّت يدَينِ وعينُها مخفوضةٌ والجسم منتصبٌ كغصنٍ املدِ

والقلب مفتوحٌ يضمُّ عواطفاً رُفعت لجرّ رضى العليّ السرمدي

فافتح عيونك وانتصب وارفع الى مولاك يا جبريل صوت ممجّدِ

وقلِ «السلام عليكِ يا ذات البها وتحيةٌ من عرش ربك سيدي

فقدا صطفاكِ الحقّ امًّا لابنهِ ليخلّص الشعب الاسير ويفتدي»

***

«مهلًا فما داعي اضطرابكِ والبكا وتردُّدٍ وتمنُّعٍ وتنهُّدِ !!!

روح العليّ يحلُّ فيكِ مؤيّدًا وبه بزوغ المفتدي المتجسدِ

عذراء انت ولن تزال بكارةٌ بك مفخرًا من بعد ذاك المولدِ
فانا الرسول اليكِ من قبَل العلي ارجو الرضى فاليه بالله اعمدي
ماذا اقول اذا انثنيتُ لسيّدي رحماكِ جودي بالقبول وزوّدي ..»
–أمةٌ انا أعنو لربي فليكن ما قلتَهُ فأَطيع دون تردُّدِ ..

جبريل قُصَّ على الاله مخبّرًا ما كان من امر البتولة واسردِ
واحملْ الى البشر البشائر بالفدى واصدحْ بالحان السرور وانشدِ
وانظر الى ابليسَ نظرة مزدرٍ واسخر وقل: ابليسُ أَرغِ وأَزبدِ
رضيتْ فثلّت عرش مجدك مريمُ فاخسأ وننكص نحو نار وابعدِ
لا تضطرب مهلًا رويدك واتئد يا يوسف انبذ كل تفكير ردي
فالله القى الظن فيك لحكمةٍ ليكمَّ فاه المعتدين العُنَّدِ
أذعن لإحصاء النفوس وسرْ الى وطن فذلك امر ربك فانقدِ
ان النبوءة لازبٌ إنجازها ما العدُّ غير وسيلة وممهِّد
يستخدم الله الخلائق ذرعةً ويقودهم لنفاذ امرٍ باليدِ
يا يوسف أمددْ نحو مريم ساعدًا واقصر خطاك على خطاها واعضدِ
سرْ بيت لحمَ ميمِّماً بهوادةٍ رفقاً بمريم في مناكب فدفدِ

***

بُلّغتما يا سائران مدينة اين النزول فيا بتول تجلّدي
ان الجموع تسارعت وتتابعت وتدافقت مثل الخضمّ المزبدِ
مِن ذي ثراء يزدهي بنُضاره وزعيم قوم فوق صهوة اجردِ
تبدو المدينة مثل بحر زاخر ممّا حوتهُ من جموع حُشَّدِ

فالموسرون تنافسوا بزخارفٍ ومقاصف وبكل عيش ارغدِ
مالت مع الاموال اميالُ الملا وان ابتغى المأوى فقيرٌ يُطرَدِ
ولّى النهار وقد توارت شمسهُ ودجا الدجى في غيمه المتلبّدِ
والريح تعصف والبروق لوامعٌ والرعد يقصف في السحاب الاربدِ
اين المبيت واين ملجا بائسٍ وفقيرة خلف الرتاج الموصدِ
عذراء فاجأها المخاض بغربةٍ فجرى الدموع بخدّها المتوردِ
فمضت ويوسف قائدٌ خطواتها حتى انتهى ذاك السُّرى بالمر بَدِ
فهناك ما بين الشياه وانيُق نور الانام بدا بداجن مذودِ
اللهُ ربي انت احكمُ حاكمٍ وبشمس رشدك للهداية نهتدي
يُستأصل الداء العقام بضده فالكبر زلّة آدمَ المتمردِ
زُفّت الى الرعيان بشرى المفتدي قبل العظام وقبل مَلْك أصيدِ
وافى الذي جعل التفاضل بالحجى وفضائلٍ وجليل صنعٍ امجدِ

***

أَقيالَ شرق قد بدا في افقكم نورٌ تألّق من ضياء الفرقدِ
فتأهَّبوا وصِلوا مسيرًا بالسُّرى متتبّعين صراط ذاك المرشدِ
جوزوا هِرودسَ وابنهُ وقصوره وامضوا لمَلْكٍ في الحضيض ممدَّدِ
فتروا وليدًا في القماط امامهُ عذراء جاثيةٌ على تربٍ ندي
وافى ليرفع من هوان خاملًا ويجذّ ربقةَ بائسٍ مستعبدِ
أيحقّر الصلفُ الذميم بمولدٍ في عرش عزّ بالجمان منضَّدِ
أَهدوا الى الملك الفقير كنوزكم وسَلوه كنز هداية وتأيّدِ
وذروا هرودس في أجيج بلابلٍ وسعير نارٍ تلتظي في الاكبدِ

مَهْ يا هرودس كُفَّ كَفَّ فظائعٍ وارد جنوداً كالنمار الحرَّدِ
فتكت بواترها باطفال كما فتكت بمزدرَع مناجلُ حُصَّدِ
راحيل تأبى ان يعزَّى قلبها وحشا بنيها للشفار كاغمدِ
فاذا الذنوب تراكمت اوحالها جعلت فؤاد المرء فِلقَةَ جلمدِ

***

يا ربِّ مارستَ الفضائل كلَّها لترى محاسنها الانامُ فتقتدي
وفلقتَ صبح هداية وسلكت في سبل الرشاد من المهاد لأَلحُدِ
ووطئت غطرسة الملوك باخمصٍ وفجرت البؤساء اعذب موردِ
فلكم نرى يا طفل من هيرودسٍ شنُّوا على الاطفال غارة معتدِ
سلبوا طهارتهم وكنز يقينهم بمناهجٍ سفلى وافكِ الملحدِ
دسُّوا بالبان نقيعَ سمومهم واستأصلوا ادباً بصنع مُفسدِ
راموا اختلاس دراسة كي يخنقوا ايمان طفل في زوايا معهدِ
يا قوم طفلُ اليوم أسُّ رقيِّنا ورجائنا اذ انهُ رجل الغدِ
شُلَّت يدا ابوين قادا فتيةً لمعاهدٍ بالدين لم تتعهدِ
رحماك يا طفلُ اشفقنَّ تحنناً واعضد خطى الحدث الضعيف وسدِّدِ
أبدت سراحينُ الضلال نيوبها تتهدَّد الحملان ايَّ تهددِ
حافظ على تلك الحظيرة ساهراً وذُدِ الذئاب عن القطيع وبددِ
وأمل لحاظ عناية لشبيبة ليقوم كونٌ فوق أُس اوطدِ
فكما يشبُّ فتى يشيب وينتهي والعمر يُختم مثلما فيه بُدي

# أحدث الطرق لقياس بُعْد النجوم عن الارض

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعيّ

كان الفلكيُّون في الجيل التاسع عشر اذا ارادوا قياس بُعْد احدى ثوابت النجوم عن الارض يصوّبون اليها مرصدهم مرّتين في السنة اذ تكون الارض على طرفَي احد اقطار دائرةِ سيرِها حول الشمس لسهولة قياس الزاويتين المتكوّنتين من القطر المذكور والخطَّين المتَّجهين من الارض الى النجم . ولعلمهم بطول ذلك القطر البالغ نحو ٣٠٠،٠٠٠ كيلومتر تعود المسألة الى مطلب رياضيّ يسهل حلُّهُ وهو حساب ضلعَين متساويين في مثلَّث يُعرف طول ضلعهِ الثالث وكبر الزاويتين المتَّصلتين بهِ . وليس الضلعان المطلوبان سوى الخطَّين المتَّجهين من الارض الى النجم . وبذلك يقفون على قياس بُعد النجم عن الارض

تلك طريقة مقرَّرة لا غُبار عليها قطعاً لولا انها لا تصحُّ الَّا في قياس عدد يسير جدًّا من النجوم نكاد نعدُّها على الاصابع وهي الاقرب من ارضنا . وعلى هذا المنوال اثبت ارباب الفلك انَّ اقرب ما نعرفهُ من النجوم الينا يبعد عن الارض ٢٠٠،٠٠٠ مرَّة بنيّف اكثر من الشمس التي تبعد عن الارض ٥٠،٠٠٠،٠٠٠ كيلومتر

امَّا عدم انطباق هذه الطريقة مع كلّ النجوم فذلك لأن الحساب السابق مبنيّ على قياس الزاوية المتكوّنة من الضلعين الموصوفين اي الخطَّين المتَّجهين من نجمٍ معلوم الى الارض في حال مرورها بطرفي احد اقطار دائرة سيرها . والحال انَّ انفراج تلك الزاوية في رصد اقرب النجوم الينا هو اقلّ من ثانية اعني ٠،٠٠٠٣٢٤ من الدرجة . وبعبارة أُخرى هي الزاوية المتكوّنة من وجهتَي النظر المصوَّب الى طرفي قُطْر دائرةٍ تبعد عن الناظر ٢٠٠ كيلومتر في حين انَّ القطر لا يزيد عن متر واحد . فصغر تلك الزاوية في اقرب النجوم الينا يتجاوز كلّ تصوُّرات مخيّلتنا ولولا الدقَّة العجيبة التي بلغتها آلات الرصد الفلكيّ لَعجزَ ائمَّة علم الهيئة عن قياس تلك الزاوية التي يستدلّ بها على المسافة الفاصلة بيننا وبين تلك النجوم . ولأن قياس تلك الزاوية الجوهريَّة مستحيل في معظم الكواكب لصغرها لم يمكنهم ضبط

قياس تلك الثوابت . ومن ثمَّ أجهدوا فكرتهم الوقَّادة في استنباط طرائق اخرى تبلّغهم غايتهم وهاك احدث تلك الطُرق مع ذكر خواصها الجوهريَّة

## ١ قياس بعد النجوم بطريقة التصوير الشمسي

اذا عمدوا الى معرفة بُعد نجمٍ ما يصوّرونهُ في حين مرور الارض بطرفَيْ احد اقطار دائرة حركتها . فيقابلون الصورتين المرتسمتين بموضعين مختلفين بالنسبة الى مجمل أَبعد الكواكب عن الارض اعني اقلّها سطوعاً . فيستنتجون من اختلاف الموضعين مقدار بُعد النجم عنّا . ودونك تشبيهاً يقرّب الى الفهم ادراك تلك الطريقة الغريبة : افترض انك في قطار يسير بسرعة ٨٠ كيلومترًا في الساعة فترى من النافذة برجاً شاهقاً تريدان تعرف بُعدهُ عن القطار فكيف الحصول على المراد ؟ يكفي لذلك ان تصوّر البرج مرَّتين تفصل بينهما مسافة ٥ كيلو مترات مثلًا . فاذا قابلت بين الصورتين وجدت صورة البرج مرتسماً بموضعين مختلفين من الأُفق الذي لم يكد ان يتحرَّك نسبةً اليك بحركةٍ ظاهرة لسبب بعدهِ العظيم عنك . فمن قدر ابتعاد الموضعين المذكورين يتيسَّر لك قياس بُعد البرج فيكون ابعد او اقرب على قدر اقتراب الصورتين او بعدهما

بفضل تلك الطريقة المبتكرة تمكَّن الفلكيُّون قياس مسافة نجومٍ يفوق بُعدها عشرين مرَّة عمَّا قيس سابقاً على طريقة الزوايا المثلَّثة . وقد بلغوا الى قياس نجوم تبلغ المسافة بينها وبين الارض اربعة ملايين مرَّة بعد الشمس عنَّا اعني ٦ × ١٠^١٤ كيلو مترًا او بعبارة اخرى قد اصطلح عليها حاضرًا ارباب الفلك تبعد ٦٠ سنة نور . وسنة النور عندهم هي المسافة التي يقطعها النور مدَّة سنةٍ وسرعتهُ في الثانية كما هو معلوم تبلغ ٣٠٠،٠٠٠ كيلو متر فتوازي سنة النور ٩٤،٦٠٨ × ١٠^٨ كيلومترًا اي نحو عشر مرَّات مليون كيلو متر في مثلهِ . ولتقريب هذا العدد الهائل الى المخيّلة اقول انَّ سنة واحدة من النور توازي ما تقطعهُ في خمسة ملايين من الاعوام طيّارة ذات سرعة ٢٣٠ كيلومترًا في الساعة او ما تقطعهُ في ٦٤٠،٠٠٠ سنة قنبلة مدفع ذات سرعة ١،٨٠٠ كيلومتر في الساعة اي ٥٠٠ متر في الثانية

وبهذه الطريقة اتَّصل العلّامة الانكليزي إِنّس ( Innes ) فقرَّر انَّ اقرب نجمة

الى الارض هي النجمة الصغيرة القريبة من كوكبة قِنطورس (Proxima Centauri) وبعدها عن الارض نحو اربع سنوات نور

وعليهِ فانَّ الفلكيين استفادوا من هذه الطريقة اي من التصوير الشمسيّ فعرفوا النجوم الثوابت التي لا يزيد بعدها عن الارض ٦٠ سنة نور . غير انَّ هذه النجوم لا يكاد يُحسب عددها في جانب بقيَّة النجوم الواقعة في ما وراء هذه المسافة . ولذلك أُلجئ جهابذة علم الهيئة الى ابتكار طريقة اخرى توقفهم على تلك النجوم الباقية

## ٢ قياس بعد النجوم بواسطة حركة النظام الشمسي

قد احرز نوابغ علم الهيئة فوزًا باهرًا في الجيل الاخير باكتشاف حركة النظام الشمسيّ في الفضاء. وقد اصبحت حقيقة هذه الحركة حاضرًا من المعلومات الراهنة . كان الفلكيُّون منذ زمن بعيد قد لحظوا ان الفلك ينقسم الى قسمين يتساويان بالكبر لكنهما يختلفان في حركات نجومهما . وذلك انَّ راصدي السماء يتخيَّل لهم انَّ كواكب احد الشطرين تزيد بعدًا بعضها عن بعض كلّ سنةٍ بينما تتقارب كواكب الشطر الآخر . واذ بحثوا عن علَّة هذه الظواهر لم يجدوا لتَعليلها سوى وجود حركة عموميَّة تدفع في الفضاء جميع نظامنا الشمسي . فالنجوم التي يتقرَّب منها تظهر لنا بموجب ناموس البصريَّات متباعدةً الواحدة عن الاخرى وعلى عكس ذلك النجوم التي ينأى عنها تُرى متقاربةً

فلمَّا وقف العلماء على هذا الاكتشاف الغريب الذي لم يخطر على بال أَسلافهم قصدوا ايضاً الوقوف على تفاصيل تلك الحركة . فادَت بهم الارصاد المتعدِّدة والحسابات العويصة الى تحقيق وجهة حركة ذاك النظامَ فعرفوا انهُ يتَّجه الى نقطة من الفلك تقرب من نجم النَّسر الواقع (Véga) في كوكبة الصَّنج او اللورا (la Lyre) . ثمَّ تيقَّنوا انَّ سرعة حركة النظام المذكور تبلغ في الثانية ١٩ كيلومترًا ونصف بالنسبة الى بقيَّة الكواكب . فتقطع ارضنا مع الشمس مسافة ١،٦٨٤،٨٠٠ كيلو متر في ٢٤ ساعة . ومسافة تنيف على ٤٠٠ مرَّة على البعد الفاصل بيننا وبين الشمس في ظرف جيل واحد

هذا وقد سبق القول انَّ اقدم طريقة عرفها الفلكيّون لقياس بعد النجوم هي

مبنيَة على قياس مثلَّثٍ اطرافُهُ النجم المرصود ثم الموضعـان اللذان منهما يُرصد ذاك النجم عند مرور الارض باحد قطرَيْ دائرة حركتها حول الشمس . وانَّ قاعدة ذلك المثلَّث صغيرة جدًّا بالنسبة الى معظم النجوم ولو بلغ طولها نحو ٣٠٠مليون كيلومتر . امَّا الآن فبفضل معرفة حركة النظام الشمسيّ في الفضاء . قد وجد الفلكيُّون قاعدةً تزيد على القاعدة السابقة ٢٠٠ مرَّة اذا صوَّبوا المرقب الى احد النجوم مرَّتين بينهما بَونُ مئة سنة . وبذلك يتَّضح عظم شان الطريقة الجديدة التي سوف يجني ثمارَها الفلكيُّون بعد عهدنا دون الفلكيين الحاضرين لقصر حياة الانسان

## ٣ قياس بعد النجوم بالطريقة الطيفية

معلوم انَّ نور الشمس او النجوم اذا مرَّ بموشور مثلَّث يتحلَّل على شكل مستطيل الى عدَّة الوان يمكن استقبال صورتها على حاجز يوضع وراء الموشور . وذلك ما يُدعى بالطَّيف الموشوري او الطيف الشمسيّ وفي كلّ طيف عموماً خطوط سوداء تختلف عددًا وموضعاً وعرضاً على اختلاف النور المحلَّل وتتخلَّلها الخطوط النيّرَة المختلفة الالوان الناتجة عن تحليل الانوار

فهاك الآن ما اكتشفهُ الفلكيّ الاميركي آدَمْس (Adams) لمعرفة قياس بُعد الثوابت . فانَّهُ حلَّل نور نجومٍ كثيرة سبقهُ الفلكيُّون الى تعريف بُعدها وبالتالي مقدار ضوئها الحقيقيّ المقيس مع بقيَة الكواكب على بُعدٍ واحد من سيَّارتنا دون اعتبار ما ينخدع بهِ البصر من اكفهرارها نظرًا الى تفاوت مسافاتها الفاصلة بينها وبين الارض . فوجد تناسباً تامًّا بين الخطوط النيّرَة التي تُرى في الطيف وبين سطوع تلك النجوم النيّرَة . فبالمقابلة بين طيف نجمين معروفٍ فمجهولٍ بعدُهما يُستنتَج بُعد المجهول ويحدَّد قياسهُ . فكان اذا وجد مثلًا انّ سطوع نور احدهما يوازي تسعة اضعاف سطوع الآخر يستنتج بان الاوَّل يبعد عنَا ثلاثة اضعاف بُعد النجمِ الثاني . ودليل ذلك انَّ درجة لمعان ايّ جرمٍ كان من الاجرام النيّرَة تنقص بنسبة مربع المسافة بينهُ وبين الراصد . فاذا تضاعفت المسافة نقص النور اربعة اضعاف . واذا كانت المسافة على ثلثة اضعاف بلغ نقصهُ تسعة اضعاف

فهذه الطريقة سهلة ذات مستقبل عظيم لتعريف بُعد النجوم الثابتة التى لنورها

سطوع كافٍ لتُحلّل بالنظّارة الطيفيّة (Spectroscope) المحلّلة للاشعّة المختلفة · فبها يتمكّن الفلكيُّون من قياس عدّة نجوم سحيقة البُعْد لا يستطاع قياسها بالطريقتين السابقتين · هذا وقد اكتشف ارباب علم الفلك طرائق اخرى غير الثلثة المذكورة لقياس أبعاد النجوم لكنّنا نضرب عن ذكرها صفحاً لبعد منالها ووعرة مسلكها وقلّة استعمالها · ولا يسعنا قبل ختام هذه العجالة الّا ان نورد بعض النتائج العجيبة التي فضى اليها استخدام تلك الطرق المبتكرة

قاس الفلكيّان رُسّل وشپلي (Russell et Shaply) بُعد نجوم كثيرة فوجدا بعضها على مسافة ٥٠٠٠ سنة نور والسنة كما قلنا عبارة عن ضرب المليون بمثله عشر مرّات فينتج عن ذلك نتيجة تحير لها الافكار وهي أنّنا نشاهد اليوم بنظّاراتنا ليس حالة النجوم الحاضرة بل الحالة التي كانت عليها قبل خمسين جيلًا اعني ثلاثة الاف سنة قبل المسيح لأن الأشعّة الواصلة الينا الآن من تلك الكواكب قد بايَنَتْها منذ ٥٠٠٠ سنة لتقطع البعد الفاصل بينها وبين الارض وذلك رغماً عن سرعة النور البالغة ٣٠٠،٠٠٠ كيلو متر في الثانية فتأمّل

وفي الفلك كواكب اقصى بعدًا من هذه كمجموعة كواكب تُرى في السماء كسحابةٍ دعوها لذلك بسحابة مَجِلّان فقد ثبت من قياسها أنها تبعد عنّا نحو ٣٠،٠٠٠ سنة نور · فلو استطعنا ان نرى بمرقب جبّاري تفاصيل هيئة تلك الكواكب وحركاتها وتقلّباتها لرأينا الآن ما كانت عليه منذ ثلاثين الف سنة ! وذلك امرٌ غايةٌ في الغرابة يكاد لا يصدَّق لولا انّ ارهن المبادئ العلمية المقبولة من الخاصّة والعامة تضطرُّنا الى التسليم بهِ · ولو كانت الشمس الفائقة على كل الكواكب بنورها الظاهر واقعة على بُعْد سحابة مجلّان لكان نورها الواصل الينا اضعف من ان ترتسم صورتهُ على الجُلَيدات الفوتغرافيّة الموضوعة في اكمل واعظم المراقب · امّا نجوم السحابة المذكورة فانها تبعث الينا نورًا كافياً لرسم صورتها وان كانت محجوبة عن الانظار · وقد استنتج الفلكيون من ذلك ومن معرفة بُعدها عن الارض ان اقلّها ضياء هي مئة مرّة أنور من الشمس وان بعضها يضاهي الف شمس ونيّف بالنور المنبعث منها

خلاصة القول ان العلم العصري لا يزال يوسّع في نظر عقلنا نطاق الكون ويصغِّر الارض التي هذَى الاقدمون في جعلهم اياها مركز كل العوالم ومدار كل

الكواكب . اما الان فلو شبَّهناها في جانب الملايين من النجوم المعروفة بحبَّة رمل ضائعةٍ بين رمال اعظم الصحاري لَمَا بالغنا في التشبيه . ومن جهة اخرى اذا امعنا رائد الفكر في عظم سيّارتنا واتساع قاراتها وبحارها وكثرة بلادها ومدنها ادركتنا الدهشة عند التزامنا —رغماً عن ذلك الكبر النسبي —بالاقرار ان عالمنا هذا ليس الَّا ذرّة تائهة في الفضاء المملوء بعدد لا يحصى من الكواكب التي تكاد الشمس نفسها لا تُذكر بجانبها عظماً وضياء

ولا نتمالك عند سبر اعماق الفضاء الرائعة عن الانذهال خصوصاً من عظم القدرة والحكمة الالهية التي اوجدت تلك ملايين العوالم بكل اشكالها المتنوعة وحركاتها المنتظمة وذلك بمجرد الارادة الخالقة . قال الرب له السجود : كوني . فكانت اطاعةً لامرهِ القدوس . فلعمري ما اصدق آية صاحب المزامير حيث تغنَّى بجلال العزَّة الالهية قائلًا : « السموات تروي مجد الله والجَلَد يبشر باعمال يديه »

---

# العلائق الاولى بين فرنسة وسوريّة

## نظر تاريخي للاب هنري لامنس اليسوعيّ

ليست العلائق بين فرنسة وسوريَّة حديثة العهد فانَّها ترتقي الى قرون النصرانيَّة الاولى حتَّى الازمنة التي سبقت حلول قبائل الفرنك في بلاد غالّية . فكأنَّ البلادين منذ تعارفا عشق اهلها بعضها بعضاً فتواخيا وتصافحا والبحر بينهما وُصلةٌ لا يكترثون لاهوالهِ وويلاتهِ

### ١ مآثر السوريين في فرنسة

انَّ من يسرّح النظر في تاريخ الفينيقيين ورحلهم المختلفة الى جهات الغرب اذ كانوا يمخرون البحار ويتاجرون مع اقاصي البلدان يجد انَّهم منذ سالف الزمان خصُّوا بمعاملاتهم سواحل غالّية التي احتلَّها الفرنسويُّون بعد ذلك في القرن الخامس بل توغَّلوا

في البلاد ونقلوا اليها محصولات الشرق المتنوّعة من انسجة وحرائر وعطور وافاويق .
ثم استوطن كثيرون منهم بعد مدّة حواضر تلك الجهات ومدنها العامرة كليون
وبوردو وباريس ونربونة واورليان فكانوا يعيشون فيها في احياء منفردة حرصين على
حفظ عاداتهم ولغتهم الوطنيَّة . وكان الغربيُّون يتهافتون الى مخازنهم فيبيعون منهم
زجاج صيداء وارجوان صور وانسجة بيروت وخمر غزَّة وفستق دمشق وبردي مصر
ومصنوعات الشرق الاقصى التي كانت تأتي بها قوافل العرب من العجم والهند والصين
الى بلاد الشام فينقلها السوريون الى الغرب

وقد زاد نفوذهم بعد ان فتح الملك كلوڤيس مع قبائل الفرنك بلاد غاليَة في
اواخر القرن الخامس وصارت فرنسة في عهدة سلالته الميروڤنجيَّة . فكان الفرنسويون
بعد تنصُّرهم ينظرون الى المهاجرين الى بلادهم من اهل سوريَّة بعين الرضى وطيب
الخاطر ويعدُّونهم كممثّلي الاراضي المقدَّسة ويسرعون الى اقتناء ما يأتون بهِ من ذخائر
اورشليم والامكنة المشرَّفة بآثار السيّد المسيح

وللسوريين في فرنسة مآثر دينيَّة معدودة فانَّ كثيرًا من التقاليد الدينيَّة نفذت
بين اهل فرنسة في تلك الحقبة بواسطة السوريين . وممَّا ثبت اليوم لدى العلماء انَّهم خلّفوا
لهم في عدَّة مُدن آثارًا حسنة في الصناعة الهندسيَّة والابنية الدينيَّة ونقش الكنائس
وتزيينها بالصور . بل بلغ نفوذهم الى أن تمكَّن بعضهم من الارتقاء الى الكراسي
الاسقفيَّة في فرنسة وصار واحد منهم اسقفًا على باريس نحو السنة ٥٩٦ م . بينما كان
غيرهم من مواطنيهم اتّصلوا الى رئاسة الكنيسة جمعاء بصفة احبار رومانيين . وقد
ورد في تاريخ فرنسة لغليلموس الطوريّ انَّ مستعمرات جالية السوريين كانت منتشرة
في انحاء البلاد حتَّى لم تكد مدينة تخلو منهم . ويؤيد قولهُ ما وُجد في بعض المدن
من قبورهم مع الكتابات المدفنيَّة الدالَّة على اصلهم السوريّ . ومن جملتهم واحد
ينتسب الى لبنان . وذُكر في ترجمة القديس كولمبان من اهل القرن السادس انَّ امرأة
من سوريَّة اضافتهُ في بيتها في مدينة اورليان اذ كان الملك تياريّ الثاني حكم بنفيهِ
فلم يجد مأوى عند احد من الاهلين غير المرأة المذكورة وزوجها السوري وكان ضريرًا

واكثر مَنْ نفذ تاثيرهم في انحاء غاليّة وفرنسة الرهبان الشرقيُّون فانَّ القديس
اثناسيوس الاسكندري لمّا نُفي بدسائس الاريوسيّين قدم الى تراف سنة ٣٣٦ والى

رومية سنة ٣٤١ فعرَّف اهل الغرب بالرهبانيَّات الشرقيَّة ولاسيَّما بمنشئ المناسك المصريَّة القديس انطونيوس الكبير وكان هو كتب سيرتهُ العجيبة وكان بصحبتهِ راهبان حرَّك منظرهما في قلوب الغربيين الشوق الى الاقتداء بهما . وما لبث بعض النسّاك الشرقيين كالقديس ابراهام او المتشرّقين ككاسيان ان أشاعوا في فرنسة الآداب الرهبانيَّة فأحيوا فيها معالم القداسة وجدَّدوا في الغرب عجائب رهبانيّات الشرق

وممَّا حبَّب الشرق وخصوصاً سوريَّة وفلسطين الى الفرنسويين ما كان يُنقل اليهم من مآثر علماء الشرق كالقديس يوحنا فم الذهب والقديس كيرلّس الاورشليمي والقديس يوحنا الدمشقي واوسابيوس القيصري وما كان يحرّرهُ في بيت لحم القديس ايرونيموس فكلّ ذلك كان يزيد في القلوب اعتبار الشرق وعلوّ مقامهِ

ولسنا ننكر انَّ بعض السوريين في انحاء فرنسة اثاروا في النفوس نفوراً لمطامعهم وحرصهم على جمع الثروة بطرائق دنيئة غير مأنوسة . الَّا انَّهم في الاجمال كانوا يعدّون ارباحهم شرعيَّة لما يتكلَّفونهُ من النفقات الطائلة باسفارهم وتغرُّبهم عن اوطانهم وبما يلحقهم من الخسائر برّاً وبحرًا ولاسيَّما بما يؤدونهُ للدولة من المساعدات الماليَّة بمبادلة النقود الرائجة في البلاد المختلفة

ومن ثمَّ نرى بعض المبالغة في ما كتبهُ في حقّ السوريين في القرن الخامس الكاتب الفرنسوي سلفيان كاهن مرسيلية اذ نبزهم بسهام الملام ونسبهم الى الظلم في معاملاتهم التجاريَّة

وممَّا تشهد لهُ الآثار من فضلهم انَّهم علَّموا اهل فرنسة بعض الصنائع الشرقيَّة كتطريز الانسجة وتلوينها وتقصيب الثياب

وخلاصة القول انَّ السوريين وجدوا منذ العهد القديم في فرنسة واهلها ما يلائم طباعهم ويجتذبهم الى معاملات الفرنسيس

## ٢ اوَّل مآثر الفرنسويين في سوريَّة

انَّ مآثر السوريين في بلاد غاليَة وفرنسة كان لها صدى انعكاس في قلوب اهلها . فلم يكتفوا بمؤانسة مَن هاجر منهم الى اوطانهم وبالاستفادة من معاملاتهم واقتناء سِلَعهم الثمينة بل احبُّوا ان يرحلوا الى اصقاعهم الشرقيَّة ليروا عياناً ما

صوَّرتهُ لهم مخيّلتهم من عجائبها وغرائبها

وكان اوَّل باعثٍ حدا باهل غالية الى ان يؤمّوا سوريَّة زيارة الاراضي المباركة التي قدَّسها السيّد المسيح بحياتهِ الالهيَّة ومعجزاتهِ وآلامهِ وموتهِ وقيامتهِ وصعودهِ الى السماء . ولدينا من ذلك اثرٌ فريد يرتقي الى عهد الملك قسطنطين أَلَا وهو دليلٌ كتبهُ (نحو سنة ٣٣٣) احد زوَّار بيت المقدس من مدينة بوردو فعُرف كتابهُ بالدليل البُرْدِغلي (Itinerarium Burdigalense) وهو اقدم ما عُرف من ذلك عدَّد فيهِ مراحل سفرهِ من وطنهِ الى اورشليم ووصف مزارات الاراضي المقدَّسة

ولنا شاهد آخر على قولنا في اواخر القرن الرابع نعني بها الرحلةَ المنسوبة الى القديسة سيلڤية وقيل القديسة ايثريا وما لا شكَّ فيهِ انَّ اصل الكاتبة من بلاد غالية من اقليم اكويتانية اكتُشف سِفر رحلتها الى الاراضي المقدَّسة منذ نحو ٣٠ سنة فصار لاكتشافهِ وقعٌ عظيم لكثرة ما ورد في رحلتها من الفوائد التاريخيَّة والجغرافيَّة والمعلومات المختلفة عن العادات الشرقيَّة والطقوس الجارية في كنائس فلسطين وخصوصاً في اورشليم وبيعها الملوكيَّة وعن ذخائرها الثمينة . وزارت طورسينا واديارها ثمَّ قصدت مدينة الرها واكرمت هناك الرسالة المنسوبة الى السيّد المسيح والمرسلة الى ملكها الابجر . وهي تروي كلَّ ذلك بالتفاصيل كما رأت او سمعت من رواة ثقات وكانت لا تقبل كلامهم الَّا بعد انتقاد صحَّتهِ

وعقب هذين الرحَّالتين زائر آخر اعلى مقاماً واشرف رتبةً وهو القديس اوشار رئيس اساقفة مدينة ليون حجَّ الى فلسطين سنة ٤٤٠ م مارًّا بسواحل الشام . وقد وصف كسالفيهِ ما عاينهُ من المآثر الدينيَّة والمزارات المقدَّسة

ومثلهُ اسقف آخر فرنسوي الجنس اسمهُ أرْكُلفس قدم الى زيارة الاراضي المقدَّسة بعد الفتح العربي بقليل سنة ٦٧٠ م واضاف الى سلفائهِ معلومات جديدة دوَّنها في رحلتهِ

وكم غير هؤلاء اقبلوا الى سوريَّة وفلسطين لم يحرّروا اخبار رحلتهم وانَّما شهد على مجيئهم القديس ايرونيموس في كتاباتهِ من بيت لحم فانَّهُ يقول في تفسيرهِ لسفر حزقيال : « قد يأتينا كلَّ يوم زوَّار من كلّ البلاد حتَّى من الهند ومن جهات ايطالية واقاصي غاليَة »

وقد جاء في ترجمة القديس سمعان العاموديّ لتاودوريتس في القرن الخامس انهُ كان بين زوّاره حول عامودهِ الذي عاش فوقهُ نحو ٤٠ سنة عدة غرباء من كلّ البلاد ومن جملتهم اهل غالّية . ومما ورد في ترجمة القديسة جنوڤيفة انَّ القديس اوصاهم بان يهدوا سلامهُ الى تلك البتول البارَّة التي يكرمها اليوم الباريسيُّون كشفيعة عاصمتهم

ومما وُجد في مثوى من قرى حوران كتابةٌ ضريحيَّة على قبر احدى الفرنسويات من مدينة روان تدعى ستَرْكورية توفيت هناك في اواسط القرن الرابع

وفي القرن الرابع ايضاً لمّا ثارت البدعة الاريوسيَّة ثمّ في الخامس البدعة البيلاجيَّة وانتصر لهما بعض القياصرة والملوك لم يكفّ جملة من اساقفة الغرب عن الدفاع عن حمى الايمان وكان من عدادهم بعض اساقفة غالية نفاهم الهراطقة من كراسيهم فوردوا الى سوريَّة وفلسطين بينهم اساقفة طور وباريس وأَرْل ومرسيلية كأَنهم يعدُّون سوريَّة «فرنسة الشرق» كما دُعيت بعد ذلك . وربما حسبوها قطراً واحداً مع فلسطين فأكرموها إكرامهم للاراضي المقدَّسة وكانوا يرسلون اليها زكاتهم ويبتغون ان يحصلوا على شيءٍ من ذخائرها كما اوصت الملكة رَدْغوندة ان يؤتى لها ببعض هذه الذخائر لديرها الذي شيَّدتهُ في مدينة پواتيه

على انَّ هذا التهافت الى سوريَّة والاراضي المقدَّسة لم يُحصر في ارباب الدين وأَتقياء الناس . بل اتَّسع نطاقهُ منذ عرف الغربيُّون غنى بلاد الشام وخصب تربتها ووفرة ثروتها وجملة محصولاتها مع اعتدال هوائها وصفاء جوّها . وكان المسافرون اليها اذا عادوا الى الاوطان يفيضون في وصف محاسنها وينعتونها بمركز الحضارة ومنبع التمدُّن كالفيلسوف جونيوس في اواسط القرن الرابع الذي يعدّد مدن سوريَّة الداخليَّة والساحليَّة كدمشق وبعلبك واللاذقيَّة وطرابلس وبيروت وصيداء وصور وعكَّا ويخصّ كلّ بلد بما تفرّد بهِ من المزدرعات والمصنوعات والحِرَف ويقول بالاجمال انَّ مدن سوريَّة لا يفي الاحصاء بغناها البليغ

وكان محبّو الآداب والعلوم يشيدون بذكر مدارس سوريَّة ولا سيَّما انطاكية ودمشق وقيسريَّة وغزَّة . امَّا بيروت فأطرأوا مدارسها الفقهيَّة التي نالت بها قصبة السبق على سواها حتَّى مدارس رومية والقسطنطينيَّة

وكذلك الفنون الجميلة فانّ الكتبة الغربيين كانوا يقضون العجب ممّا يشاهدونهُ في سوريَة من الابنية الشاهقة المحكمة الهندسة الواسعة الارجاء الوافية بكل اسباب الرفاهيَة والهناء المؤثثة بالرياش الفاخرة والحليّ الثمينة

وقد سبق الزائر البُرْدِغلي ثمّ بعدهُ القديس اوشار ففصلا الحكم قبل عدَّة قرون بما اشكل على الحلفاء في هذه المدّة الاخيرة بخصوص جبل الكرمل أهو من فلسطين ام من سوريَة فاتفقا على انهُ داخل في حدود الشام على خلاف ما أفتى بهِ الانكليز اذ جعلوهُ ضمن تخوم فلسطين

كذلك الاسقف أركلف في اواسط القرن السابع وقبل المؤرخين المسلمين بنحو مئة سنة انكر ما شاع بعد ذلك عن الجامع الاقصى وعن الجامع الامويّ من الروايات الضعيفة فأثبت عن الاوَّل انَّهُ ليس فيهِ يدٌ لعمر بن الخطَّاب وعن الثاني انَّ المسلمين ضبطوا كنيسة مار يوحنَّا برمَّتها يوم الفتح ليس كما يقال انها قُسمت اوَّلاً شطرين شطر منها دخلهُ خالد بن الوليد عنوةً وشطر ولج فيهِ ابو عبيدة بالامان فابقاهُ للنصارى ثم نزعهُ الخليفة الوليد من ايديهم

وافادنا الزائر الغفل من مدينة پليزنسة في القرن السادس (سنة ٥٧٠) عدَّة تعليمات عن سوريَة بعد ان دهَتْها تلك الزلازل المهولة التي كادت تلحق بالدقعاء كثيرًا من مدنها ولاسيَّما الساحليَّة فانَّهُ سار على سواحل قيليقية وسوريَة وذكر دمار مدن فينيقية كأنفة وجبيل ثم بيروت التي نعتها بالمدينة البالغة الرونق والزهو (splendi-dissima civitas) العامرة منذ زمن قريب بالعلوم الفقهيَّة وذكر ما اخبرهُ اسقفها بأنَّهُ أحصى ٣٠،٠٠٠ ممَّن عرفهم من اهلها الذين قُتلوا بتلك الزلازل ما عدا الغرباء. ثم انتقل الى صيداء ووجدها ايضاً خراباً ونسب اهلها الى قبح السلوك (homines in ea pessimi) وعلى خلاف ذلك مدينة صرفد قال انَّها صغيرة لكنَّها عريقة في الدين. امَّا صور فوصف عظم غنى سكانها وحسن مصانعهم وانسجتهم المختلفة ولاسيَّما حرائرهم على انَّهُ قبَّح عليهم سوء آدابهم. واستحسن آداب العكَّاويين وامتدح اديرة مدينتهم

فهذه الاوصاف وغيرها حرَّكت في قلوب الفرنسويين الرغبة في سكنى بلاد الشام امَّا للمتاجرة مع اهلها واما ليقضوا فيها عيشة هنيئة بعيدا عن القبائل الجرمانيَة

الخشنة المحتلَّة في بلادهم ٠ وقد سبق المشرق ووصف في عددهِ الاخير مهاجرة القديس ايرونيموس الى فلسطين وبناءهُ الاديرة فيها لاهل الغرب ٠ ولا جرم ان غيرهُ ايضاً ودُّوا ان يقتدوا بامثالهِ فانتفعت سوريَّة من مجاورة الفرنسويين كما استفادت فرنسة من الجالية السوريين

على انَّ ظهور العرب في الشام وفتحهم لمدنها لم يلبث ان اخمد تلك الحركة المتبادلة بين فرنسة وسوريَّة لكثرة ما كانوا يجدونهُ في سبيلهم من العوائق ذهاباً واياباً ٠ وقد وضع العرب تلك الحواجز بين نصارى سوريَّة وفرنسة خوفاً من نفوذ الاجانب في بلادهم ٠ فبقي حبُّ السوريين الى فرنسة مكتوماً في سويداء قلوبهم كالنار تحت الرماد تبدو متأججة اذا وافقتها الاحوال



للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

## الفصل الحادي عشر

### العلوم والصنائع بين نصارى العرب

بديهيٌّ انَّ عيشة العرب الساذجة في البوادي تحت الخيم بين الشاء والنوق لا تحتاج الى علوم واسعة وصنائع راقية ٠ واحسن ما قيل في ذلك ما ورد في كتاب طبقات الامم للقاضي ابي قاسم صاعد الاندلسيِّ (١ حيث بيَّن إجمالاً ما كان عليهِ العرب من البداوة وقلَّة الاكتراث بالعلوم سواء كانوا من اهل المدَر او اهل الوبر حتَّى قال انهُ « لم يكن فيهم عالم مذكور ولا حكيم مشهور » على انَّهُ استثنى منهم

١) راجع طبعتنا (ص ٤١—٤٧) التي سعينا بنشرها مع شروح وفهارس سنة ١٩١٢ فاختلسها عبد الرؤوف افندي الدبَّاغ ونشرها في مصر بعد تجريدها عن فوائدها

اهل اليمن وبني حِمْيَر فسلَّم لهم بالمعارف الدالَّة عليها الآثار الباقية من عهدهم وخصَّ منها علم النجوم وعلم الهندسة · وكذلك لم ينكر انَّ لبقيَّة العرب في عهد الجاهليَّة واوَّل ظهور الاسلام الماماً في مرئيَّات الفلك والمواقيت والطبّ · ومعرفة ببعض الصنائع · وها نحن نذكر هنا ما يثبت قولنا في نفوذ النصرانيَّة بين عرب الجاهليَّة من جهة بعض العلوم والصنائع

## ١ العلوم بين عرب الجاهلية

ذكرنا منها في فصل الفنون الجميلة «علم الهندسة» وما كان للنصارى من الفضل في الآثار البنائيَّة الدينيَّة والمدنيَّة قبل الهجرة وفي اوَّل الاسلام فليراجع · ونضيف الى قولنا هناك انَّ النصارى اوَّل من نقل الى العربيَّة كتب اوقليدوس في الهندسة وذلك في صدر الدولة العبَّاسيَّة نقلهُ اوَّلاً الحجَّاج بن يوسف بن مطر ثمَّ ثابت بن قرَّة · فبقي علينا ان نثبت ما اداهُ النصارى للعرب من الخدم في علوم الطبّ والنبات والنجوم والفقه · امَّا الشعر والعلوم اللغويَّة فسنفرد لها باباً آخر

«الطبّ» قال صاعد (ص ٤٧) : « انَّ صناعة الطبّ كانت موجودة عند جماهير العرب لحاجة الناس طرًّا اليها » · لكنَّ هذا العلم قد اقتبسوهُ من الامم النصرانيَّة المجاورة ولا سيَّما من الكلدان والسريان واليونان · وكان للسريان مدارس طبيَّة ومستشفيات في العراق وفارس في جنديسابور وكذلك اليونان اشتهرت مدرستهم الطبيَّة في الاسكندريَّة · فان تصفَّحنا التواريخ القديمة وجدنا ان الطبّ شاع بين العرب بواسطة حكماء نصارى او متطبّبين من تلامذتهم

فممَّن سبقوا الاسلام وجاء ذكرهم في تواريخ الاطباء تيادروس قال ابن النديم في الفهرست (ص ٣٠٣) ونقلهُ عنهُ ابن ابي اصيبعة في عيون الانباء في طبقات الاطبَّاء (١ : ٣٠٧) : « تيادروس كان نصرانياً ولهُ معرفة جيدة بصناعة الطبّ ومحاولة لاعمالها وبنى لهُ سابور ذو الاكتاف البيَع في بلَدهِ ويُقال انَّ الذي بنى لهُ البيَع بهرام جور ولتيادروس من الكتب كنَّاش ( اي مجموع طبيّ ) »

وقد سبقَ عهد الاسلام ايضاً اطبَّاء سريان او روم شاعوا عند العرب كاهرن بن اعين المعروف بالقس الذي وضع كنَّاشاً بالسريانيَّة في ٣٠ مقالة قال ابن جلجل انَّ عمر بن

عبد العزيز وجده في خزائن الكتب فامر ماسرجويه اليهودي باخراجه فوضعهُ في مصلَّاهُ واستخار الله في اخراجه الى المسلمين للانتفاع به» (ابن ابي اصيبعة ١ : ١٦٣). وكشمعون الراهب المعروف بطيبويه (١ : ١٠٩) وكسرجيس الراسعيني اوَّل ناقل كتب اليونان الى السريانية. وكسرابيون ويوحنَّا ابنهِ من اهل باجرمي. فليوحنَّا كتاب كنَّاش كبير في سبع مقالات. وذكر ابن بختيشوع في تاريخه من الاطبَّاء الروميين اصطفن الحرَّاني واقرن الروميّ (تاريخ الحكماء للقفطي ص٥٦). وذكروا طبيباً آخر رومياً يدعونهُ انسطاس ولم يعرفوا زمانهُ ضربوا بهِ المثل في الحذق بالطبّ. وقيل من اسمهِ اشتقُّوا اللفظة العربيَّة النَّطِس او النطاسيّ (تاج العروس ٤ : ٢٥٨). قال اوس بن حَجَر يذكر رجلًا من تَيم الرِباب اسمهُ حِذْيم ضُرب المثل بحذقهِ في الطبّ:

فهل لكمُ فيها اليَّ فانَّني طبيبٌ بما أعيا النِّطاسيَّ حِذيَمَا

واشهر من هؤلاء الحارث ابن كلدة الثقفيّ المعروف بطبيب العرب كان من نصارى النساطرة. وقد اتَّسع في ترجمتهِ وذكر مآثرهِ الطبيَّة كثيرون من كتبة العرب كالقفطيّ في تاريخ الحكماء (ص ١٦١) وابن ابي اصيبعة (١ : ١٠٩) وابن قتيبة في المعارف (ص٩٨) وذكر لهُ ابن عبد ربّه شعراً (في العقد الفريد ٣ : ١١٤) قالوا انهُ كان من الطائف وسافر الى بلاد فارس واخذ الطبّ من نصارى جنديسابور وغيرها وبرز في صناعة الطبّ وطبَّب في فارس وعالج بعض اجلَّائهم فبرأوا وحصل لهُ بذلك مال كثير ثمَّ رجع الى بلدهِ الطائف وادرك الاسلام فاتَّخذهُ صاحبهُ كطبيب. وكان محمَّد يأمر من بهِ علَّة ان يأتيهُ وبقي الى ايَّام معاوية. قال ابو زيد: «وكانت للحارث معالجات كثيرة ومعرفة بما كانت العرب تعتادهُ وتحتاج اليهِ». وقد ذكروا لهُ حِكَماً واقاويل عديدة تدلُّ على ثقوب عقلهِ وكثرة علمهِ. وقالوا انهُ أَسلم لكنَّ اسلامهُ لم يصحّ

وتبع الحارثَ ابنُهُ النضر بن الحارث بن كلدة وهو ابن خالة نبيّ المسلمين قال ابن ابي اصيبعة (١ : ١١٣): «وكان النضر قد سافر البلاد ايضاً كأَبيهِ واجتمع مع الافاضل والعلماء بمكَّة وغيرها وعاشر الاحبار والكهنة واشتغل وحصل من العلوم القديمة اشياء جليلة القدر واطَّلع على علوم الفلسفة واجزاء الحكمة وتعلَّم من ابيهِ ايضاً ما كان يعلمهُ من الطبّ وغيرهِ» ثم ذكر معاداتهُ لمحمَّد وسعيهُ بأذاهُ الى ان كان

يوم بدر فانتصر محمّد وانصارهُ على اعدائهم وكان النَضْر من جملة المأسورين فامر بقتلهِ (سنة ٦٢٤ م) . وقد روينا سابقاً رثاء اختهِ قتيلة لهُ ( اطلب الاغاني ١ : ١٠ ) وقول محمّد عند ما سمع ابياتها : « لو سمعتُ هذا قبل ان اقتلهُ ما قتلتُه »

وقد ذُكر من الاطباء النصارى غير هؤلاء في صدر الاسلام عبد الملك بن ابجر الكنانيّ قال فيهِ ابن ابي اصيبعة (١ : ١١٦) : « كان طبيباً عالمًا ماهرًا وكان مقيماً في اوّل امرهِ في الاسكندريّة لانهُ كان متولّي التدريس بها من بعد الاسكندرانيين وذلك عند ما كانت البلاد في ذلك الوقت لملوك النصارى . ثمّ ان المسلمين لمّا استولوا على البلاد وملكوا الاسكندريّة أسلم ابنُ ابجر على يد عمر بن عبد العزيز وكان حينئذٍ اميرًا قبل ان تصل اليهِ الخلافة وصحبهُ . فلمّا افضت الخلافة الى عمر وذلك في صفر سنة ٩٩ للهجرة نقل التدريس الى انطاكية وحرّان وتفرّق في البلاد وكان عمر بن عبد العزيز يستطبّ ابنَ ابجر ويعتمد عليهِ في صناعة الطبّ »

واشتهر في الطبّ غير هؤلاء من نصارى العرب في اوائل الاسلام ذكر منهم القفطيّ وابن ابي اصيبعة الطبيبَ ابن اثال . قال في طبقات الاطبّاء (١ : ١١٦) : « كان طبيباً متقدّماً من الاطبّاء المتميّزين في دمشق نصرانيَّ المذهب ولمّا ملك معاوية ابن ابي سفيان دمشق اصطفاهُ لنفسهِ واحسن اليه وكان كثير الافتقاد لهُ والاعتقاد فيهِ والمحادثة معهُ ليلًا ونهارًا وكان خبيرًا بالادوية المفردة والمركّبة » . وقد روى في الاغاني ( ١٥ : ١٣ ) كيف قتلهُ خالد بن المهاجر لانهُ سقى بامر معاوية سمًّا عمَّهُ عبد الرحمان بن خالد

واشتهر ايضاً في ايّام معاوية الطبيب النصرانيّ ابو الحكم الدمشقيّ قال ابن ابي اصيبعة (١ : ١١٩) : « كان طبيباً نصرانيًّا عالمًا بانواع العلاج والادوية ولهُ اعمال مذكورة وصفات مشهورة وكان يستطبُّهُ معاوية ويعتمد عليهِ في تركيبات ادوية لاغراضٍ قصدها منهُ . وعُمّر ابو الحكم عمرًا طويلًا حتى تجاوز المئة سنة » . ثم ذكر ابنهُ الحكم وحفيدهُ عيسى بن الحكَم وجرى كلاهما على خطتهِ متطبّبين وماتا في عهد الدولة العبّاسيّة

ومن مشاهير الاطبّاء المسيحيين في اوائل الدولة الامويّة تياذوق وثاودون « كان تياذوق طبيباً فاضلًا ولهُ نوادر والفاظ مستحسنة في صناعة الطبّ وكان في

اوَّل دولة بني اميَّة ومشهورًا عندهم بالطبّ. وصحب ايضاً الحجَّاج بن يوسف الثقفي المتولّى من جهة عبد الملك بن مروان وخدمهُ بصناعة الطبّ وكان يعتمد عليهِ ويثق بمداواتهِ وكان لهُ منهُ الجامكيَّة الوافرة والافتقاد الكثير .. ومات تياذوق بعد ما اسنَّ وكبر وكانت وفاتهُ بواسط في نحو سنة ٩٠ للهجرة ولهُ من الكتب كنَّاش كبير الَّفهُ لابنهِ وكتاب ابدال الادوية وكيفيَّة دقّها وايقاعها واذابتها » (ابن ابي اصيبعة ١ : ١٢١) . امَّا ثاودون فذكرهُ ابن العبري في تاريخهِ (ص ١٩٤) وذكر لهُ ايضاً كنَّاشاً ولم نجد لهُ ذكرًا في غيرهِ

فترى صدق قولنا في فضل النصارى العرب في فنّ الطبّ والمعالجات . امّا فنّ الجراحة فزاولها رجل من تميم على عهد رسول الاسلام اسمهُ ابن ابي رمثة وقد صحّفهُ المرحوم جرجي زيدان في كتاب التمدُّن الاسلامي (٣ : ٢١) بابن ابي رومية

﴿علم النبات﴾ يُلحق العرب علمَ النبات بعلم الطبّ الذي يستمدُّ منهُ موادَّهُ وادويتهُ وذلك ما يدعونهُ بالمفردات ومنها يستحضر الاطبَّاء أدويتهم فيعدُّون المركّبات. ولا جرم انَّ العرب في الجاهليَّة عرفوا كثيرًا من النباتات التي تنمو في جزيرتهم وعلموا بالتجربة فوائدها الغذائيَّة والعلاجيَّة . والدليل عليهِ ما ورد في معاجمهم من اسماء النباتات التي جمع منها الاصمعي كتاباً دعاهُ كتاب النبات والشجر نشرهُ الدكتور هفنر في مجموعنا الموسوم بالبلغة في شذور اللغة (ص١٧–٦٢) ونشر ايضاً للاصمعي كتاب النخل والكرم (٦٣–٩٨)

غير ان هذه اللغويات لا يحصل منها علم مفيد الَّا بمعرفة خواصّ تلك المفردات ومنافع كل صنف من النبات . وقد اصبح النصارى في هذا العلم كما في علم الطب قوماً وسطاً بين القدماء والعرب. فانَّ الاطباء الذين مرَّ ذكرهم اذ درسوا في مدارس الاسكندرية وجنديسابور اقتبسوا منها ايضاً علم النبات الصالح للطب والغذاء. والدليل عليهِ فصول اوردها ابن ابي اصيبعة وغيرهُ من الكتبة للحارث بن كلدة فيها عدَّة اوصاف للادوية النباتيَّة وللاشجار والاثمار والحشائش ذكرها في محاورة جرت لهُ بينهُ وبين كسرى انوشروان

وكذلك تآليفهم التى دعوها بالكنَّاشات وهي لفظة سريانيَّة يراد بها المجاميع الطبيَّة واوصاف الادوية المتَّخذة عموماً من النبات

ولعلّ هؤلاء الاطبَّاء درسوا كتاب ديسقوريدس العين زربيّ اليوناني في النبات والحشائش والادوية المفردة في اصلهِ اليونانيّ وعليهِ كان المعوَّل في الطب القديم . امَّا ترجمتهُ العربية فكان النصارى ايضاً اوَّل المُقدمين عليها . قال ابن جلجل ( طبقات الاطبَّاء ٢ : ٤٦–٤٨ ) : « انَّ كتاب ديسقوريدس تُرجم بمدينة السلام في الدولة العبَّاسيَّة في ايَّام جعفر المتوكل وكان المترجم لهُ اصطفن بن بسيل الترجمان من اللسان اليونانيّ الى اللسان العربيّ وتصفَّح ذلك حنين بن اسحـاق المترجم فصحَّح الترجمة واجازها » . ثمَّ قال ما خلاصتهُ انَّ اصطفن كان ابقى اسماء كثيرة من النباتات على لفظها اليوناني لجهلهِ ما يوافقها في اللسان العربي . وبقي الامر كذلـك الى ان ارسل ملك الروم الى صاحب الاندلس الملـك الناصر عبد الرحمان نسخةً من كتاب ديسقوريدس مع صور الحشائش بالوانها ثمَّ إرسل اليـهِ راهباً يدعى نيقولا جاء الى قرطبة سنة ٣٤٠ هـ (٩٥١ م ) اعاد النظر في ترجمة اصطفن فصحَّحها ووضع للنباتات اسماء عربيَّة موافقة لها وذلك بصحبة اطبَّاء وجدهم هنـاك ذوي معرفة بالنباتات والعقاقير فصارت هذه الترجمة هي المعوَّل عليها واستفاد منها ابن جلجل وابن البيطار في تآليفها عن المفردات . ثمَّ كان لجالينوس ايضاً تأليف في النبات عرَّبهُ حنين بن اسحاق

❊ علم النجوم ❊ انَّ صفاء اديم السماء في انحاء جزيرة العرب في معظم ليـالي السنة لمَّا أَلفتَ انظار اهلها الى مـا زيَّن بهِ الله الافلاك من النجوم والكواكب والسيَّارات فعرفوها منذ سالف الاعصار ودلُّوا اليها باسماء شاعت بعدئذ بين الامم الغربيَّة وهي لا تزال الى اليوم جاريةً على لفظها العربي بين ارباب الفلك . وكان ممَّا يبعث همَّتهم الى رصد الفلك ومراقبة النجوم حاجتهم اليها ليهتدوا بها في اسفارهم وهم قوم رُحَّل يقطعون البراري والاقفار . ومنهم القوافل التي كان عليهـا المعتمد في المواصلات بين الهند وفارس وسواحل الشام . وكانوا استفادوا شيئـاً كثيراً من ذلك بمجاورتهم للكلدان اللذين سبقوا جميع الامم في علم الفلك . فاخذوا عنهم علم الانواء الجويَّة وحركات السيَّارات ومنازل القمر ومنطقة البروج . وفي الشعر القديم آثار من ذلك

ولنا شاهد في سفر ايوب على معرفة العرب لاسماء النجوم وحركاتهـا في الفلك

اذ كان ايوب النبيّ عربيّ الاصل عاش في غربيّ الجزيرة حيث امتحن الله صبره . ولنا في المجوس الـذين اهتدوا بالنجم الى مـذود السيّد المسيح شاهد آخر على قولنـا والمجوس على رأي كثيرين من الآباء من شيوخ العرب . على انَّ هذا العلم كبقيَّـة العلوم كان عند العرب عمليًّا ليس نظريًّا . وربَّما قام بينهم وفي جيرتهم مَن يبحث فيه بحثًا مدقّقًا . وكان السريان اوَّل من فعلوا ذلك منهم بردَيصان المبتدع ( راجـع ترجمتهُ في العدد السابق ) . ومنهم سرجيوس الراس عيني ويعقوب الرهاوي وجرجس المعروف باسقف العرب وساويرس سِبوكت وغيرهم . وتآليفهم باقية الى يومنـا في خزائن كتب اوربَّة الكبرى . منها ترجمتهم لعدَّة مصنَّفات يونانيَّة لجالينوس ولاسيَّما لبطلميوس القلوذي فانَّهم نقلوا كتابهُ المجسطيّ وهو افضل وامتع كتاب وضعهُ اليونان في علم الهيئة . ثمَّ تولَّى بعدهم تعريبهُ وتفسيرهُ علماء النصارى اوَّلهم حنين بن اسحاق ثمَّ الحجَّـاج بن يوسف بن مطر الكوفي وثابت بن قرَّة في عهـد المأمون ثمَّ عبد المسيح بن ناعمة الحمصيّ فاصبح مذ ذاك علم النجوم زاهرًا في الاسلام

﴿ الفقه ﴾ هو علم الاحكام الشرعيَّة العمليَّة . ولم يكن للعرب ان يستغنوا عنهُ وهو امَّا دينيّ وامَّا مدنيّ . وللنصارى في كليهما بعض الآثار بين عرب الجاهليَّة

فامَّا الفقه الديني فكان نصارى العرب يتَّبعون احكامهُ المنصوصة في المجـامع الكنسيَّة العموميَّة والخصوصيَّة التي كان يُعلن بها اساقفتهم في انحاء الجزيرة . وكانت هذه الاحكام مكتوبة امَّا باللغة السريانيَّة كما ترى في المجامـع النسطوريَّة التي نُشرت بالطبع ( راجع القسم الاوَّل ص ٧١ ) وامَّا باللغة اليونانيَّة كالحقوق القانونيَّة التي وضعها القديس جرجنسيوس رسول الحميريين بعد موت شهداء نجران ( القسم الاوَّل ص ٦٤ )

وامَّا الفقه المدنيّ فغلب على المتنصرين من بني غسَّان والقبائل المجاورة للفرات وما بين النهرين الفقهُ الرومانيّ كما نظَّمهُ الملك يوستنيان . ولمَّا جاء الاسلام ادخلوا كثيرًا من احكامهِ في الفقه الاسلاميّ كما بيَّن ذلك العلماء الاوربيّون

وكان لقبائل العرب قضاةٌ نجد بينهم بعضًا من الدائنين بالنصرانيَّة نخصّ منهم بالذكر قسّ بن ساعدة اسقف نجران المدعو بحكيم العرب وحَكَمهم . وزهير بن جناب القضاعيّ وذو الاصبع العِدواني ( راجع تراجمهم في شعراء النصرانيَّة )

## ٢ الصنائع بين عرب الجاهلية

ان كان العرب في الجاهليَّة يستغنون عن كثير من العلوم لعدم حاجتهم اليها ليس الامر كذلك في الصنائع . فانهم كانوا مع سذاجة عيشهم يحتاجون الى كثير من المصنوعات التي لا تُنال الَّا بالحِرَف والصناعات كالمأكول والملبوس والاسلحة والمعاملات التجاريَّة . وقد كان للنصارى من العرب اليد الطولى في كلّ ذلك كما سترى

﴿صناعة النسيج والحياكة﴾ هذه الصناعة من مذاهب الحضارة . فكان عرب البادية يجهلونها وانَّما شاعت بين عرب الحَضَر . واكثر ما نرى شيوعها بين نصارى العرب في جهات اليمن والبحرين والشام وفي بلاد قضاعة وكانوا يبيعون بعضها من اقباط مصر . وهذه بعض الشواهد على اثبات قولنا

قال الثعالبيّ في لطائف المعارف (طبعة ليدن ص ٢٨) انَّ اهل اليمن « كانوا يعيَّرون بالحياكة » . وكان المثل يضرب بِرياط اليَمَن وبُرود اليمن وربَّما كانوا يخطّطونها . قال اوس بن صخر :

فاني رأيتُ العِرْضَ احوجَ ساعةً الى الصَّوْن من رَيْطٍ يَمانٍ مُسهَّمِ

وكانت البرود اليمانيَّة غالية الثَّمن (التاج ٢ : ٣٠٠) ومنها ما كان يُصطنع في نجران . جاء في صحيح البخاريّ في باب البرود انَّ صاحب الاسلام كان يلبس « بُرْدًا نجرانيًّا غليظ الحاشية » . وقد وصفوا انواعاً من برود اليمن ذكرها ابن سيده في المخصَّص (٤ : ٧٢) كالعَصْب قال « هو ضرب من الثياب يُعصَب غزلهُ ويُدْرَج ثم يُصبَغ ويُحاك يقال بُرْدُ عَصْبٍ » . وكالمَرَاجل يقال ثوب مُمَرْجَل اي على صنعة المِرْجَل وهو ضَرْب من الوشي . وكالخال وهو الثوب الناعم . وكالحِبَرَة والحَبَرَة وكلّها من برود اليَمَن

وممَّا نُسب من الثياب الى مخاليف اليمن الوشيُ العَبْقري المنسوب الى عَبْقَر من ارض اليمن والطنافس العبقريَّة . وقال ياقوت (في مادَّة عبقر) : بنو يزيد ينسجون الصوف فعملوا منهُ الزرابيّ العبقريّة وعملوا البرود اليزيديَّة . وممَّا نُسب الى شَرْعب المخلاف باليمن البرود الشرعبيَّة . ونُسب الى مخلاف جَيشان الخُمُرُ

الجيشانيَّة . والى سَحُول ورَيْدة قريتين في اليمن الثياب السَّحُولية المصنوعة من القطن الابيض قال طرفة (ديوانهُ ٧٦) :

وبالسَّفح آياتٌ كأنَّ رسومها يمانٍ وشتهُ رَيْدَةٌ وسَحُولُ

والى السدير من ارض اليمن نسبوا البرود السَّديريَّة قال الاعشى :

وبيداء قفر كبُرْد السديرِ مشاربُها دائراتٌ أُجُنْ

وكان اليمنيُّون يعملون الرحال وينقشونها ويحسنون صنعها قال جرير ( نقائض ٧٥٦ ) يصف رحالًا :

ومنقوشةٍ نقشَ الدنانير عوليَتْ على عجَلٍ فوق العتاق العيامِ

ومن ثياب اليَمَن الرَّقْمُ والعَقْلُ وهما أحمران كانوا يسدلونهما على هوادج النساء (المفضَّليات ص ٥٧٨) . ومثلها الغزل اليماني ذكرهُ ابو الفرج في الاغاني (١ : ٣٢) . وما يدل على انَّ هذه المنسوجات كانت من صنع النصارى ما ذكرهُ ابن سعد في طبقاتهِ في باب الوفود قال عن وفد نجران وكلُّهم من النصارى انّ رسول الاسلام صالحهم « على الف حُلَّة في رجب والف في صَفَر اوقيَّةٌ كلَّ حلَّةٍ من الاواق وعلى عاريَّة ثلثين درعاً وثلثين رمحاً وثلثين بعيرًا وثلثين فرساً » . وقد تكرَّر في كتب الحديث ذكر الحلل والانسجة والحرائر النجرانيَّة

وكان العرب قبل الهجرة وفي اوائل الاسلام يقتنون ايضاً ملابسهم عند نصارى منبج واليها نسبوا الاكسية المنبجانيَّة ويقال الانبجانيّة

وقد اشتهرت بين العرب المنسوجات القبطيَّة . فانَّ بعض مدنها كالاسكندريَّة ودمياط وتنّيس والفرما كانت تحتوي على معامل شائعة الذكر قال يا قوت (٢ : ٦٠٣) . ان دمياط كان يُعمل فيها القَصَب البلخيّ من كلّ فنّ والثياب البيض الغالية الثمن والفرش القلموني من كلّ لون المعلّم والمطرَّز» . والى القبط نُسبت القباطيَّات وكانت ثياباً معروفة بالرقَّة والدقة والبياض . قال الكميت يصف ثورًا :

لياحٌ كأنْ بالاتحميَّة مُسْبعٌ ازارًا وفي قبطيَّـةٍ متجلببُ

وفي الحديث انَّ محمَّدًا كان يجلّل بدنَهُ القباطيَّ والأنماط . والنَّمَط ضرب من الثياب المصبغة . وقد ذكر القريزي في الخطط (١ : ١٨١) أنهم في الاسلام كانوا

يأخذون كسوة الكعبة من تنّيس وذكر عن الفاكهيّ انهُ رأى لهارون الرشيد كسوة من قباطيّ تاريخُها سنة ١٩٠ﻫ (٨٦٠ م) . وذكر ايضاً الثيــاب القيسيَّة والثياب الدبيقيَّة المنسوبة الى دَبيق مدينة بين الفرما وتنيس وكانت من ادقّ الثياب المنسوجة بالذهب (لهُ بقية)

---

# منظومات في الممدود والمقصور لابن دُرَيد

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعيّ

## توطئة

قد عثرنا في بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة على آثــار لغويَّة منسوبة الى احد ائمَّة النحويين. وهو ابو بكر محمَّد بن الحسن الازديّ المشهور بــابن دُرَيد المولود في البصرة في سنة الهجرة ٢٢٣ والمتوفّى في بغداد سنة ٣٢١ (٨٣٩–٩٣٤ م) . لهُ في الشعر والنثر تآليف عديدة قد فُقد كثير منها ونُشر بعضها بالطبع كالمقصورة وكتاب الاشتقاق وكتاب السحاب. وكلّها تدلُّ الى سعة معارفهِ وتعمُّقهِ في اسرار العربيَّة. والآثار التي نحاول نشرها عبــارة عن بعض المنظومات جمع فيها ابن دريد ما عرفهُ من الالفاظ المقصورة والممدودة باختلاف حركات اوَّلها سواء تباينت معانيها او اتّفقت. وقــد أُلحق بكل شطر شرحهُ كما ترى

### قال ابو بكر ابن الازدي في معرفة ما يُمَدّ ويُقْصَر :

باب ما يُفتَح اوَّلهُ فيُقْصَر ويُمَدّ والمعنى مختلف

لا تركَنَنَّ الى الـهَوى واحْذَرْ مُفـارَقة الهَواء

الهَوى بالقصر ميل النفس. والهواء بالمدّ ما بين الارض والسماء

يومــاً تصـير الى الثَّرَى ويفوزُ غـيرُك بالـثَّراء

الثَّرى التراب . والثَّراء المال والثروة

كم من فقير في رَجا بئرٍ لمنقطعِ الرجاء

رجا البئرِ ناحيتهُ . والرجاء ضدّ اليأس

عفّى عليهِ بالصَّفا اهلُ المودّةِ والصَّفاء

الصَّفا الحجارة . والصَّفاء الانشراح

ذهب الفَتى عن اهلهِ أَمِنَ الفتى من الفَتاء

الفتى الشاب . والفَتاء الفتوَة

زال السَّنا عن ناظرَيهِ وزال عن شرفِ السَّناء

السنا النور . والسَّناء المجد والشرف

ما زال يلتمسُ الخَلا حتّى توحّد في الخَلاء

الخلا الحشيش . والخَلاء الخُلوة

واذا سمعتَ وَحَى الزما نِ فلا تقصّر في الوَحاء

الوَحَى الصوت . والوَحاء السرعة

فلربما ودّى السَّقا الى السَّقا الى السَّقاء

السَّقا القبر . والسَّقاء الخِفَة والطيش

يا ابنَ البَرَى انَّ الاحبَّة م يُوْذِنونك بالبَرَاء

البَرى الثرى . والبَرَاء مصدر بَرَى اي قطع

وأَرَاك قد حال العمى ما بين عينك والعَماء

العَمَى المقصورة عمى العين . والممدودة السحاب الابيض

فانظرْ لعينك في الجَلا ان خفتَ منْ يوم الجَلاء

الجلا الكُحل . والجلاء السَّبْي

وكُلِ الفَنا ان لم تَجِدْ خلًّا فانَّك للفَناء

الفَنَى عنب الثعلب . والفناء الموت

ولربما ودّى الفضا متزوّديهِ الى الفَضاء

الفضا البلغة من العيش . والفضاء السعة

فاهرُبْ فُديت منَ الذّكا ان كُنتَ من اهلِ الذّكاء

الذّكا اشتعال النار . والذّكاء الفهم

فالمرء أشبهُ بالعَفا ان لم يفكِّر بالعَفاء

العَفا ولد الحمار . والعفاء محو الرسم والاضمحلال

سيضيقُ مُتَّسَع المَلا بالمُخْرَجين من المَلاء

المَلاَ الارض الواسعة . والمَلاَء الغنى

فأرْغَبْ لربّك في الجَدَا ما انتَ عنهُ ذو جَداء

الجَدا العطيّة . والجَداء الاستغناء اي لا تستغني عنهُ

وكأنما ريحُ الصَّبا تجري بطُلّاب الصَّباء

الصَّبا احدى الرياح . والصَّباء الشباب

باعوا التيقُّظَ بالكرى فعقولهم بذُرى كَراء

الكَرى النوم . وكَراء اسم جبل

فكأنهم مَعزُ الأَبا او كالحُطَام من الأَبَاء

الأَبا داء يأخذ المعز . والأَباء اطرافُ القَصَب

٢ باب ما يُكْسَر اوّلهُ مدًّا وقصرًا والمعنى مختلف

كم من عِظامٍ باللِّوى قد فارقت خَفق اللِّواء

اللّوى الرمل . واللّواء البيرق

وأرى الغِنى يدعو الفتى الى الملاهي والغِناء

الغِنى ضدّ الفقر . والغِناء الترتيل

يقضي الإنا بَعد الإنا ومُناهُ في خمرِ الإِنَاء

الإنا الساعات والاوقات . والإناء الوعاء

ولربّما فضح الرجا لَذوي اللّحى كشفُ اللِّحاء

اللّحى جمع لِحْية . واللِّحاء مصدر لاحاهُ اي نازعهُ وشتمهُ

ولربما صادَ العِدى والسبقُ في صَيْد العِدَاء

العدى الاعداء . والعِدَاء الضبّ والغزال

ولربّما هجروا البِنَى بعد التَّأنُّق بالبِنَاء

البِنَى جمع بِنْية اي المنازل . والبناء البنيان

وسيَسْتوي اهلُ الكِبَا وذوو التعطُّرِ والكِبَاء

الكِبا الكناسة والمزبلة . والكباء اي البَخُور

ولربَّ ماءِ ذي روًى يُحتاجُ فيهِ الى رِوَاء

الرِّوَى الماء الكثير . والرِواء حبلٌ يُشَدُّ بهِ الحِمل

٣ باب مـا يُكسَر اوَّلهُ فيُقصَر ويُفتَح فيُمَدّ والمعنى واحد

دار البِلى تُبلي الجديدَ م وكلُّ شيءٍ للبَلَاء

البِلى والبَلاَء الشيءُ البالي

كم من اِنَا تُفني الليالي ثمّ تُفنَى بالأَنَاء

الإِنَا والأَناء بلوغ الشيء منتهاهُ

وأرى القِرى ما لا يدوم على الزمانِ من القَراء

القِرى والقَراء الضيافة

وسِوى الفتى يرثُ الغِنى وليُنزَعنّ من السَّوَاء

السِّوى والسَّواء الغَيْر

حُبُّ الفسادِ الى قِلًا وارى الصَّلاحَ بلا قَلَاء

القِلا والقَلاء البغض

ماءُ الحياة رِوًى وأَنَّى م لـلمُحلَّى بـالرَّواء

الرِوى والرَواء الماء الكثير المُرْوي

كم من إيَا شمسٍ رأيتُ م ولا يُرَى مثلُ الأَيَاء

الإِيَاء والأَيَاء ضوء الشمس

٤ باب ما يضمُّ اوّلهُ فيُقصر ويُكسر فيُمَدّ والمعنى واحد

تهوى لُقَا مـا لا يحلُّ م وبعـدَهُ يومُ الـلِقَـاء

اللُّقا واللِّقاء مصدر لَقيَ يَلْقَى الملاقاة

٥ باب ما يُفتح اوّلـهُ فيُقصر ويُمدّ والمعنى واحد

وسكنتُ بيتاً ذا غَمـاً ولتَخرجنَّ من الغَماء

الغَما والغَماء المتاع او سقف البيت

فانظرْ لسَهْمك في غَرًى لا يَستقيمُ بـلا غَراء

الغَرَى والغَرَاء ما يُلْصَق بهِ

واحـذَرْ صَلى نارِ الجحيم م فـانَّـهُ شرُّ الصَّـلَاء

الصَّلى والصَّلاَء حرُّ النار

فجَرَى الشباب يزول عنـك م وقـلّ اعناء الجَرَاء

جرى الشباب وجراؤهُ نعمتهُ

وارى الغَـذا لا يستطـا بُ فمن لنفسك بالغَذاء

الغَذا والغذاء ما يُغتذى بهِ

كم قد وردتُ الى أَضاً وصدرت عن ذاك الأَضاء

الأَضا والاضاء الغدير

# مطبوعات شرقية جديدة

**Dr G. Samné** : La syrie. Paris, ed. Bossard, 1920. pp. 733. in-8. 30 photogr. et 6 cartes, prix. 48 frs.

كتـاب سوريَّة للدكتور جورج سَمْنه

هذا تأليف احـد السوريين المستوطنين باريس اراد ان يوقف الفرنسويين على احوال بلادهِ فاودع معلوماتهِ الواسعة في هذا الكتـاب ليرجع اليهِ كلّ من يجهل سوريَّة من اهلها ومن الغرباء . فبعد نظر اجمالي عن جغرافيَّة سوريَّة وتاريخها الى السنة الحرب العالميَّة يورد شيئاً من الفوائـد عن امور سوريَّة السياسيَّة في عهد الاتراك ثم الامور الاقتصاديَّة كالزراعة والتجـارة وطرق المواصلات ثمَّ الادبيات كالاديان والمشاريع الخيريَّة والتعليم . ثمّ ينتقل الى شرح الحوادث التي جرت منذ اوّل الحرب الى هذه الاشهر الاخيرة فيذكر ما لحق سوريَّة من الكوارث في زمن الحرب واحوالها بعدهُ باحتلال الحلفاء ووصاية فرنسة على سوريّة والحكومة الشريفيَّة ومـا ينوط بهذه الامور التي كان سطَّرها الكـاتب في مجلّته ( La Carrespondance d'Orient ) . وهو يبحث بعد ذلك عن احكام سوريَّة واستقـلالها والدستور الموافق لها . وقد لحظنا من كلامهِ انَّ عقلهُ مُشبع من الافكار الاوربيَّة التي قلَّما تصحّ في هذه البلاد لاسيَّما في تشكيل الحكومة وهيئتهـا والتصويت لاختيار المبعوثان . ولم نجد قولهُ في المهـاجرين سديداً لما يُعرف من تطرُّفهم . واجود ما لقينا في هذا الكتاب الخوارط المتقنة التي زيَّن بها كتابهُ فتُوقفنا بمجرّد النظر اليها على احوال سوريَّة ولبنان وحدودهما وعناصرهما ونفوذ فرنسة فيها الى غير ذلك من الافادات الممتعة . وفي الكتاب اقوال تحتاج الى تحوير واصلاح منها جغرافيَّة كقولـهِ (ص ١٦) « انّ الليطاني يصبّ في البحر عند القاسميَّة » والقاسميَّة هي اسمهُ عند مصبّهِ . وكقولهِ عن البقاع انها تنحدر الى نحو مترين فوق سطح البحر وهـذا لا يصحّ في البقاع بل في وادي الاردن عند بحيرة الحولة . وليس بصحيح (ص ١٨٨) قولهُ بانَّ مدرسة بيروت الطبيَّة منوطة بمدرسة ليون بل هي مستقلّـة . وكذلك قد خلط (ص ١٨٩) بين

المدرسة الاكليركيَّة الشرقيَّة والمكتب الشرقيّ الذي بطل منذ ايَّام الحرب . وليس ما قالهُ ( ص ٣٨٨ ) في المؤرخ سوزومان بصدد التزيريين والنصارى ثابتاً فليراجع مجموع المكتب الشرقيّ (MFO,I. 272, 282) ج . ل

**Dr A.F. Legendre:** TOUR D'HORIZON MONDIAL. Paris. Payot.1920. in-8. pp. 343. 5 cartes hors texte.

## نظر في دائرة آفاق العالم

انّ قراءة هذا الكتاب تهيج الافكار وتدفع العموم الى الاعتبار . فانَّ مؤلفهُ وهو من الاختصاصيين في معرفة الشرق الاقصى قد سرَّح نظرهُ في احوال العالم الحاضرة بعد الحرب فرأى بدقَّة بصره ما صارت اليه الدنيا من الانقلاب ممَّا يشعر بأخطار قريبة من شأنها ان تقلق الافكار وتشوّش الخواطر . فمن ذلك ما ظهرت بعض لوائحهِ في اوربَّة وخصوصاً في آسية . امَّا في اوربَّة فانَّ المؤتمرات والمعاهدات التي عُقدت بعد الحرب اماطت القناع عن ضعف اوربَّة وسوء مصيرها كما يلوح ممَّا في انحائها من الاضطرابات . امَّا في آسية فالاحوال الجديدة تنذر باعظم الآفات آجلًا او عاجلًا . فانَّ مؤتمر باريس باعترافهِ لليابان بالنفوذ في منشورية وشَنتُنغ ومنغولية قد جعل الدولة اليابانيَّة دولةً بريَّةً بعد ان كانت منحصرةً في جزيرتها . وبذلك جرح احساسات الصين وقوّى العنصر الاصفر على الابيض حتَّى انّ الياباني اخذ يعدُّ نفسهُ في مقدّمة الامم الاسيويّة كما صرّح بذلك المرشال اوكوما سنة ١٩١٨ . واضحى الخطر الاصفر يتهدّد العالم وينذر بالويلات . وقد زاد الخطر منذ فتح قناة بناما فانَّ الحركة التجاريَّة التي كان سابقاً محورها في مخازن اوربَّة في لندن وهمبورغ وروتردام بواسطة قناة سويس قد تحوَّل الآن الى الولايات المتَّحدة فصار الشرق الاقصى يصدر محصولاتهِ الى سان فرنسسكو والى نيويرك بقطعهِ الاوقيانوس الهادي وقناة بناما . وهذه الامور الخطيرة قد بيّنها صاحب هذا التأليف بياناً تامًّا فجاء كتابهُ كصوت النفير لتتدارك اوربَّة شؤونها وتأخذ اهبتها لمستقبلها . وممَّا يُشكر عليهِ الكاتب ما اضاف الى تأليفهِ من الخوارط المتقنة اخصُّها خارطة بلاد الصين التي يتهدَّدها اليابان شرقاً والاسلام غرباً ج . ل

E. G. Browne : A History of Persian Litterature under Tartar Dominion. Cambridge, in-12. 1920,. XI - 586

## تاريخ الآداب الفارسيَّة في عهد الدول التتريَّة

تعشَّق العلَّامة ادورد برَوْن بلاد العجم فدرس تاريخها وامورها درساً مدقَّقاً لم يبلغ اليهِ غيرهُ بين المستشرقين . وهاك اثرًا جديدًا من قلمهِ وهو تاريخ الآداب الفارسيَّة في عهد الدول التتريَّة قد أَلحقهُ بكتابهِ السابق المعنون بتاريخ فارس الادبيّ (A Litterary History of Persia) وهو يتناول جيلين ونصف جيل من سنة الميلاد ١٢٦٥ الى ١٥٠٢ . فانَّ بلاد فارس كانت في تلك الحقبة معرَّضة لمعظم الاهوال بدخول الدولة التتريَّة فيها وعيثهم في املاكها وكفى باسم المغول وجنكزخان وتيمورلنك وخلفائهم دليلًا على ما ذاقتهُ العجم من المرائر والاوجاع . على انَّ الآداب اللغويَّة نثرًا ونظماً لم تُصَب بانكساف نورها وكأنَّ تلك الاحداث اذكت عقول ادبائها وقدحت زناد قريحتهم كيف لا وفي تلك الحقبة ظهر رجال من مشاهير الكتَّاب ينطق اسمهم بسموّ فضلهم كحافظ وسعدي وجامي وغيرهم كثيرين شرَّفوا بلادهم بكتاباتهم في كل ابواب الادب . وقد وصف جناب المؤلف مآثرهم احسن وصف واجاد في تعريف زمنهم والدول التي عاشوا بصحبتها . ومما زاد الكتاب فضلًا جودة طبعهِ وحسن تقاسيمهِ وتذييلهُ بالفوائد المختلفة وما ازدان بهِ من الصور الجميلة وأُلحق من الفهارس المدقَّقة . فنشكر الكاتب على هذه التحفة الفريدة ونتمنَّى ان يختمها قريباً بتاريخ الآداب الفارسيَّة العصريَّة ل . ش

## قدوة الصلاح في ترجمة الاب اسطفان قزاح

للخوري ابرهيم حرفوش

مطبعة القديس بولس في حريصا ( لبنان ) ١٩١٥ (ص ٢٧٤)

قد فاتنا وصف هذا الكتاب الجليل الذي ظهر في ايَّام الحرب فلم تسمح الظروف بتعريف مضامينهِ الممتعة . الاب اسطفان قُزاح هو الرئيس العام الاوَّل على جمعيَّة الرسالة اللبنانيَّة المعروفة بالكريميَّة بل هو منشئها الثاني مع الطيب الذكر

المطران يوحنَّا حبيب فتفانى بخدمتها مدَّة ثلثين سنة فبلَّغها الى المقام الرفيع الذي نعهدهُ لها اليوم . فنشكر حضرة الخوري ابرهيم حرفوش الذي دفعهُ حبّه البنوي الى ان يخرج هذا السراج الوهَّاج من تحت المكيال ويقيمهُ فوق المنارة ليستضيء بامثاله وفضائلهِ السامية الكهنة عموماً وابناء الرسالة اللبنانيَّة خصوصاً .ومما سُررنا بذكرهِ في هذه الترجمة ما كان لآباء رهبانيَّتنا من الحصَّة في اعداد هذا الرسول لمهنته الشريفة اذ تخرَّج على ايدي الابوين القديسين بولس ريكادونَّا وسليمان استيڤ ومن موردهما استقى روحهُ القدسيَّة كما اقتبس مع المطران يوحنَّا حبيب كثيراً من تعاليم اليسوعيين وقوانينهم وبذلك حصل بين الجمعيَّتين مواخاة ومباراة صالحة في الاعمال الرسوليَّة عساها تتوفَّر فيهما كلَّ يوم لمجد الله الاعظم وخير النفوس

## الطبيب الطريد ( الدكتور طانيوس ابو ناضر )

المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٢٠ ( ص ١٩١ )

لم ينسَ مَن قرأ البشير بعد رجوعهِ الى عالم الصحافة رواية الطبيب الطريد الشائقة والصادقة معاً التي سردها في عدَّة اعداد صاحبها الاديب الفكه الدكتور طانيوس ابو ناضر فقصَّ على العموم ما قاساهُ من المظالم ابَّان الحرب الكونيَّة فتبعناهُ في الصرود والجرود وفي احراج لبنان واوديتهِ ومغاورهِ لا نكاد نراهُ ناجياً من بليَّة حتَّى تتعقَّبهُ مصيبة اعظم منها فينخلع القلب لكوارثهِ فتارةً نأسف لاوجاعهِ وتارةً نعوذ بالله من اعدائهِ الاتراك والخونة والجواسيس الى ان دقَّت ساعة النجاة بحلول الحلفاء في ربوعنا .وكلّ ذلك بلسان رشيق وكلام حيّ يكاد يمثّل للابصار تلك الحوادث المشؤومة .فقد احسن جناب الدكتور بجمعهِ هذه المقالات في كتاب منفرد نزفُّهُ الى ابناء الوطن ليتحقَّقوا كم هي عظيمة نعمة نجاتنا من ظلم الاتراك وحصولنا على الامن والسلام بفضل فرنسة المحبوبة وحلفائها ل . ش

## تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر

بقلم محمّد سعيد افندي الباني الدمشقي

قد اشتاق من اطَّلع في احد اعداد مجلَّتنا في العام الماضي (ص ١٤٤–١٤٨ )

على ترجمة الطيّب الذكر الشيخ طاهر الجزائري لمراسلنا الاديب عيسى افندي اسكندر المعلوف ان يتولّى احد الادباء كتابة سيرة هذا الرجل الفريد منذ نشأته الى وفاته. فاحسَّ جناب الافندي محمَّد سعيد الباني برغبة الجمهور وتحفَّز لهذا العمل. وها هوذا قد اتحفنا بنسخةٍ من كتابهِ فأجلنا فيهِ النظر فزاد اسفنا لفقد ذاك الجهبذ الهمام الذي وقف حياتهُ على خدمة الآداب الدينيَّة والمدنيَّة. لكنَّهُ قد قيل من خلَّف لم يمت والشيخ طاهر لم يخلّف نسلًا حبًّا بالعفاف وانَّما خلَّف تآليف جليلة ستلخد ذكرهُ بين الادباء، فضلًا عمَّا خلَّف لمعاصريهِ من الامثال الصالحة التي تفرَّد بها بين قومهِ خصَّ منها صاحب سيرتهِ زهدهُ وعفّة نفسهِ ورسوخهُ في الدين دون تعصب وملازمتهُ لكل الآداب الشريفة التي تحققناها بالسمع والبصر. عسى ان يقوم كثيرون من بعدهِ يجرون على آثارهِ ل. ش

## دستور الرؤساء في سياسة مرؤوسيهم

للعلاّمة الاب ڤالوي اليسوعي عرَّبهُ القس مبارك المتيني (طُبع في مطبعة الارز سنة ١٩١٣ ص ٥٨٩) — نبذة منهُ عرَّبها القس مبارك ثابت الديراني (طُبع في بيروت سنة ١٩٢٠ ص٩٩)

قال القديس غريغوريوس الكبير انَّ فنَّ الفنون تدبير النفوس. ولا غرو فانَّ سياسة الارواح تقتضي من الصفات الفريدة ما لا يحتاج اليهِ مدبّر الاجساد. فكان لا بُدَّ من دليل للرؤساء يوقفهم على واجباتهم ويرشدهم الى حسن التصرُّف مع كافة مرؤوسيهم. وليس من كتاب جامع لهذه المعلومات ومفصل لهذه التدابير كتأليف للاب ڤالوي اليسوعيّ الشهير بمصنَّفاتهِ الدينيَّة والادبيَّة. فما وقف عليهِ حضرة الاب الملفان القس مبارك المتيني حتى شُغف بمضامينهِ وترجمهُ عن اصلهِ الفرنساويّ بكل دقَّة مع مراعاة فصاحة اللفظ وسلاسة التعبير في العربيَّة. ودعاهُ دستور الرؤساء. وكان حضرتهُ قد اهمل بعض الفصول من كتابهِ السادس بخصوص طالبي الترهُّب وجمعيات الراهبات لأنَّهُ وجدها خارجة عن غرضهِ فاحبَّ حضرة القس مبارك ثابت الديراني ان يخرجها ايضاً الى العربيَّة تتمَّة الفائدة. فاصبح الكتاب جامعاً شاملًا لا يستغني عنهُ رؤساء كل الاديار بل الكهنة عموماً ورؤساء كلّ الجماعات الدينيَّة.

وأحرِ بهِ ان يكون في ايديهم كدستورهم اليوميّ يدرسونهُ درساً متواصلًا وكمرآة تُطلعهم على كلّ خلل في تدبيرهم لمرؤوسيهم فيكونوا قدوةً حيّة لكل الفضائل التي يطلبونها منهم ل .ش

# شذرات

**(لبنان والمهاجرة)** كان احد الادباء ارسل الى المشرق هذه القصيدة قبل الحرب فلم يسمنا اذ ذاك نشرها . وفائدتها الآن كفائدتها سابقًا لتهافت السوريين على المهاجرة

روضُ السرور وبهجةُ الأبصارِ ... طبُّ النفوس ونزهة الافكارِ
قُطب الهنا وعليهِ دائرة الصفا ... دوماً تدورُ بأجمل الادوارِ
فيهِ الامانُ يسود في انحائهِ ... والخيرُ مثل سحائب المدرارِ
فيهِ العيون الجاريات سوائحاً ... وبهِ الرياض تجود بالاثمارِ
فيهِ المعابد والكنائس جمّةٌ ... ورؤوسهُ تزدان بالاديارِ
طَودٌ علا شرفاً بما اكتسبت لهُ ... ابناؤهُ من سالفِ الاعصارِ
فالشرق لولاهُ لما رُفعت لهُ ... في كل مكرمةٍ لواء فخارِ
وكذاك لولاهُ لما حُفظت لنا ... دُررُ الديانة من اذى الاشرارِ
قدماؤهُ الأبرارُ اضحوا طعمةً ... لسيوف اهل جوارهِ الفجّارِ
ورجالهُ الابطالُ كانوا عرضةً ... لهجوم اهل الشرّ والكفّارِ
ما فيهمُ الّا فتى مستقتلًا ... يحمي الذمار بسيفهِ البتّارِ
يأبى الدنيّةَ والحياةَ اذا غدت ... مشفوعةً منها مدى الاعمارِ
هذا هو الطَّودِ الذي نزلت لهُ ... آيُ الفخار بأقدس الأسفارِ
حتى استحقَّ بأن يشبَّه أرزُهُ ... بمليكةِ الابرار والاطهارِ
هذا هو الطَّود الذي لجأت لهُ م ... النسّاك من متفرّق الاقطارِ
علت المناسكُ والصوامع كلَّ شُرْ ... فات الجبال تُنير كالاقمارِ

أَهدتْ الى الدين القويم اشاوساً ... كانوا المجنَّ بموقفِ الاخطارِ
وتسابقت لذُرى المعالي نفوسهم ... فعَلَوا على متن السِّماك الجاري
بفضيلةٍ وعزيمةٍ علَوَيَّةٍ ... صدعوا فؤاد المُلحد الختّارِ
كلُّ الطوائف يمّموا مذ صادفوا ... بديارهم ضيماً اليهِ بِدارِ
لله يا طود المفاخر تِهْ وسُدْ ... واسحبْ ذيول المجد والإخطارِ
انت الاعزُّ الامنع الحصن الذي ... اضحت ربوعك مطمحَ الابصارِ

=*=

مهلًا بنيه فما لكم تنأونَ عن ... اوطانكم لشواسع الامصارِ
ارض بها بان المناخ بحرّها ... وببَرْدها وبِأنها المغيارِ
ترمون انفسكم بكل بليَّةٍ ... متسنّمين غوارب الأسفارِ
وهناك قوم يزدرون بأصلكم ... وبلادكم وبكل ذي مقدارِ
مستصغرين كبيركم مستهجنين م ... مليحكم بالذل والإحقارِ
وهناك تضطرُّون ان تتجاملوا ... وتلاطفوا سكانها بوقارِ
وهناك تلتزمون ان تتجَوَّلوا ... ببضائعٍ كالبائع الحذّارِ
وهناك اسباب الضلالة جمَّة ... تغوي الجهول الساقط الاطوارِ
كم والد منهم نسي اولادهُ ... وسلا حليلتهُ بلا افكارِ
اجرى بميدان الغواية خيلهُ ... رسلًا فاحرز قصْبة المضمارِ
واستسلمت المنكَرات عواطف ... عطفت لنحو الشرّ والاشرارِ
والله ما راعني من امرهم ... الّا ادّعاء بالتمدُّن عارِ
يسعون في إخماد نخر ضميرهم ... سعيَ الجهول الساقط الافكارِ
ويرون من اسَعاته ونفيذهِ ... ناراً وما نار الوقود بنارِ
ولَكَم اخوعزّ اناخ الدهر كَلْكلهُ م ... عليهِ بتلكم الاديارِ
يمسي كفافُ العيش جلّ مرادهِ ... يطوي الطوى بتحرُّقٍ وأُوارِ
ويصدُّ عن بسط الاكفّ لعزَّةٍ ... في النفس وهي عظيمة المقدارِ
يصبو الى الاوطان وهي سحيقةٌ ... ويحنُّ في الآصال والأَسحارِ

فيهم في الذكرى ويرجو الملتقى ويصدُّ للاقلال والإعسارِ
ريح الصبا رُحماك ان جزتَ الحمى فاسهب بما اوعيت من اخباري
عددْ وقل واشرح وصفْ ما يعتري م المتغرّبين بتلكمُ الامصارِ
علّ الذي يقتادهُ التغرير للتطويح بالاموال والاعمار
ينجاب عن ابصارهِ سجن الخطا مستنوراً بثواقب الافكارِ
وليعلمَنْ ان التغرُّب عزُّهُ وصفاؤهُ ذلٌّ مع الاكدارِ
والمرءُ في الاوطان يلقى كيفما مال الزمانُ معونةَ الانصارِ
وديارنا والحمد لله اكتست من جوده المنّان ثوب نُضار
أرفاقها موفورةٌ خيراتها مدفونة للبحث باستنظارِ
هيّاً اقتفوا وتتبعوا آثار اسلاف مضوا يا خيرة الآثار
قوم غدوا بنشاطهم وبجدّهم مثلاً بأفواه القبائل جار
وتوكّلوا واستوثقوا بامانة واستسلموا للمبدع الجبّارِ
هاكم زهور الحقل كلٌّ ثوبها اعلى واغلى ما اشتراه الشاري
هاكم طيور الجوّ لا تُعنى وقد تلقى الغذا من اقرب الآبارِ
فهو الذي يكفي الخلائق كلها بعناية جلّت عن الاحصارِ

﴿عملة الورق ومبالغ النقود الذهبية الكافلة لها﴾ هاك بيان قيمة عملة الورق وما يكفلها من الذهب في بنوكة اربع دول اوربية في بدء العام ١٩٢٠

| | قيمة عملة | | قيمة الذهب الكافل لها | |
|---|---|---|---|---|
| فرنسة | ٣٠,٠٠٠ | مليون فرنك | ٥,٨٠٠ | مليون فرنك |
| ايطالية | ٩,٠٠٠ | 〃 فرنك ايطالي | ٨٩٥ | 〃 〃 ايطالي |
| المانية | ٣٢,٠٠٠ | 〃 مَرْك | ١,١٠٠ | 〃 مَرْك |
| النمسة والمجر | ٣٥,٦٠٠ | 〃 كورونه | ٣٦٢ | 〃 كورونه |

يلوح لكل ذي عينين ان قيمة الكفالة الذهبية هي نسبةً الى قيمة عملة الورق الجاري استعمالها في التجارة نحو الخُمس بفرنسة والعُشر في ايطالية و ١/٣٠ في المانية و ١/١٠٠ في النمسة والمجر. وذاك سرّ غلاء العيش بدررات متفاوتة في تلك البلاد الاربعة وهبوط قيمة عملة كلّ منها بدرجات متباينة ايضاً

يسوغ لنا ان نلقّب ڤيانة عاصمة النمسة بذلك اللقب المشؤوم فقد بلغ فيها عدد الوفيات ما ترتعد له الفرائص . قد لاحظت لجنة المالية والميزانية في ندوة تلك الجمهورية التعيسة ان عدد الذين لا شغل لهم في العاصمة وحدها ستة وخمسون الفاً . امّا في صناعة نحت التماثيل الضريحية وصناعة توابيت الاموات فلا يوجد فاعل بطّال !

﴿ الكتب المنشورة في سنة ١٩١٨ ﴾ هذه نتيجة الاحصاء الذي اجراه ديوان الاتحاد الدُوَلي لصيانة المؤلفات الادبيّة والفنية ومركزه برن عاصمة سويسرة :

| | | سنة ١٩١٨ | سنة ١٩١٣ |
|---|---|---|---|
| عدد الكتب المنشورة في | المانية | ١٤,٧٤٣ | ٣٥,٠٧٨ |
| « | انكلترة | ٧,٧١٦ | ١٢,٣٧٩ |
| « | الولايات المتحدة | ٧,٦٨٦ | ٩,٠٨٥ |
| « | ايطالية | ٥,٤٠١ | ١١,١٠٠ |
| « | فرنسة | ٤,٤٨٤ | ١١,٤٦٠ |
| « | دانيمرك | ٤,٣٠٥ | |
| « | هولندة | ٣,٦٨١ | |
| « | سويسرة | ١,٧٦٤ | |
| « | اسبانية | ١,٢١٩ | |

فمن هذا الجدول يتضح عظم الخسارة الادبية التي جرّها الحرب الضروس على العالم اجمع ثم عظم درجة الحياة العقلية في المانية حيث لا تزال وهي منهوكة القوى على اثر حربٍ لا مثيل له طولًا وشدة حائزةً قصب السبق — وايّ سبق ! — في ميدان التأليف

﴿ اين تلك الازمان ؟ ﴾ عزّبنا تفكهةً لقراء المشرق ما ورد في صدر عدد ٧ كانون الاول سنة ١٩٠٥ من المجلة التركية المصوّرة المشهورة « ثروتِ فنون » عن رسم السلاملك . قالت :

« وليُّ نعمة لفيف العثمانيين الذي بدون مِنة قرين المعالي ورأس مال الفخر والسعادة اللامتناهية للعالم الاسلامي . سلطانُنا القاقد المثال شوكتلو مولانا عبد الحميد خان الثاني ركب يوم الجمعة الماضي عربةً جلبت بها شخصه الجليل الشرف

والعز والاقبال . فاتَّجه بها الى جامع حميدية الساطع الانوار المنتعش بما اغتذى به من لطف مبرّات ملجأ الخلاقة . وبعد تأدية صلاة الجمعة ركب جلالته العربة ثانية بل امتطى المجد والإجلال وشرّف السراي السلطاني الهمايوني بالعودة اليه . وفي اثناء الذهاب والعودة السنية لجلالة ظلّ الله كانت العساكر الشاهانية واقفة بكمال الانتظام لتأدية مراسيم التعظيم والتبجيل . وكل تُباع جلالة السلطان على اختلاف طبقاتهم تلوا وكرّروا الأدعية الخالصة وأصعدوها الى اعتاب الاله السميع العظيم متوسلين اليه عزّ وجلّ ان ينسئ اجل مولاهم سيّد العالم ويزيد شوكته »

(بخٍ بخ الم يجد احمد احسان صاحب امتياز مجلّة « ثروتِ فنون » في ذلك العهد سوى السلطان الاحمر ليصعد اليه بخور الاجلال والثناء بعبارات معقّدة المبنى فارغة المعنى ينفر منها اشد النفور كل من له ذوق سليم ! )

﴿سنة وفاة الشاعر نقولا الترك﴾ كنّا اثبتنا في كتابنا تاريخ الاداب العربيَّة في القرن التاسع عشر (١ : ١٩) انَّ وفاة الشاعر نقولا الترك وقعت في السنة ١٨٢٨ استناداً الى ما وجدناهُ في مقدّمة تاريخهِ عن حملة الفرنسويين في عهد بونابرت على مصر المطبوع في باريس مع ترجمتهِ الفرنسويَّة سنة ١٨٣٤ . وهذه المقدمة مؤلفها المستشرق الفرنسوي ديغرنج (M. Desgranges) . وجاء مثل هذا التاريخ في كتاب الاديب عيسى افندي اسكندر المعلوف في كتابهِ دواني القطوف (ص ٢٣١) . على اننا قرأنا في العدد الاخير من مجلّة المسرَّة الغرّاء ك ٢ (ص ٤٣) ابياتاً من قول نقولا الترك مؤرخاً وفاتهُ وبيت التاريخ هو هكذا بحرفهِ :

والآن اختمتُ تاريخي بك ابدًا     اوفي حياتي وما بالعمرِ اكتبتُ (كذا)

وتحت التاريخ سنة ١٨٢٦ على اننا جمعنا جملة التاريخ فوجدنا العدد ١٧٦٩ ومن المحتمل ان يكون وقع غلط في الرواية . فنرجو اعادة النظر فيهِ وان صحّ تاريخ سنة ١٨٢٦ فمن الممكن ان يكون الشاعر ارَّخ وفاتهُ قبل موتهِ بسنتين والله اعلم

﴿اكتشافات زراعيَّة﴾ انّ الاقتصاديين يجهدون فكرهم بسبب الغلاء الحاضر في تحسين الزراعة وتوفير موادّها الغذائيَّة . فممَّا وقفوا عليهِ آخرًا انّ الحامض الكربونيك الذي يتسمَّم بهِ من يتنفَّسهُ يصلح صلاحاً عظيماً للزراعة . ومن المعلوم انّ النبات يحلّل بفعل الشمس هذا الغاز فيتخلّص الاوكسيجين الى الهواء ويمتصّ

النباتُ الكربون فيغتذي بهِ . واليوم قد جرّبوا هذا الغاز ومزجوهُ بالسّماد الذي يوضع في مزدرعات البقول والخضرة وحول الاشجار فتحقّقوا انّ النبات ينمو بهِ نموّاً عجيباً ويأتي بعشرة اضعاف محصولهِ من البقول والثمار مع حسن جنسهـا وجودة طعمها . بينما لا تأتي غيرها بثلث هذه المحصولات

وممّا اكتشفوهُ ايضاً انّ الكرمة المصابة بداء الرَّمد ( oidium ) المعالجة سابقاً بالكبريت المرشوش على اغصانها يمكن علاجها بل استدراك دائها بواسطة مزيج الكبريت اذا سُقيت بهِ ساق الكرمة فانّها تنجو من هذه الآفة

❊﴿امّ حرام﴾❊ لمّا ظهر بالحفر في الشهر الماضي في المقبرة الاسلاميَّة المجاورة للبحر قبر امرأة (صحيحة او موهومة) ادَّعت احدى الجرائد انَّهُ قبر ام حرام بنت ملحان الانصاريَّة التي كان يكرمها نبيُّ المسلمين ويزورها . وكانت ركبت البحر مع معاوية ابن ابي سفيان سنة ٢٧ ﻫ لمَّا غزا قبرس . فراجعنا اقدم التواريخ الاسلاميَّة لنقف على صحّة الخبر فكانت نتيجة بحثنا انَّ ام حرام ماتت وقُبرت في قبرس . قال البلاذري المتوَفى سنة ٢٧٩ ﻫ في فتح البلدان(ص١٥٤) : «انّهم لمَّا انتهوا الى قبرس خرجت ام حرام من المركب وقُدمت اليها دابَّة لتركبها فعثرت عليها فقتلتها فقُبرت بقبرس وقبرها يُدعى قبر المرأة الصالحة» وقال ابن عبد البر النمري المتوّفى سنة ٤٦٣ ﻫ في الاستيعاب في معرفة الاصحاب (٢ : ٧٨٩) : « خرجت ام حرام مع زوجها عبادة غازيةً في البحر فلمّا وصلت الى جزيرة قبرس خرجت من البحر فقرّبت اليها دابّة لتركبها فصرعتها فماتت ودُفنت في موضعها » . ولا يقـال انَّ جثّتها نُقلت بعد مدَّة الى بيروت لأن نقل الرمم في الاسلام ليس بمأنوس وما كانت بيروت حينئذٍ مربطاً للسفن

❊﴿تكذيب الكافر رينان﴾❊ بعد انتصار الالمـانيين على فرنسة سنة ١٨٧٠ لم يخجل الكافر ارنست رينان ان يكتب هذه العبارة : « لا يستطيع احد تلامذة اليسوعيين او الكهنة ان يكون ضابطاً عسكريًّا يماثل في ساحة الحرب احد ضبَّاط البروسيانيين كمـا لا يمكن احد تلامذة المدارس الكاثوليكيَّة ان يتقن الاداب الحربيَّة ويحارب باسلحة محكمة كالالمان» . فأحسن جواب على هذه السفاسف ذكر اسماء ابطال الحرب الاخيرة كفوش وبيتان وفايول وكستلنو ومستر ومنجان ودي‌مودوي وغورو وفرني دسپري وغيليوما ودِبني وڤيغان وكلهم تلامذة اليسوعيين او الكهنة

# أسئلة واجوبة

س سأل احد ادباء بيروت أصحيح ان العرب اخترعوا الابرة المغنطيسيّة المعروفة بالحكّة او البوصلة ( Boussole )؟

العرب والابرة المغنطيسيّة

ج قد عرف اهل الصين الابرة المغنطيسيّة وميلها الى جهة الشمال قبل العرب بعدّة القرون فاخذها العرب عنهم. ولعلّهم اوّل من اتّخذها في الاسفار البحريّة منذ القرن الحادي عشر. وممّا ورد من ذلك في كتبهم ما قالهُ بيلك القبجاقي في كتابهِ كنز التجّار وهو مخطوط في مكتبة باريس بيد المؤلف سنة ٦٨١ هـ ( ١٢٨٢ م ) في الصحيفة ٦٨ قال :

ومن خواصّ المغناطيس انّ رؤساء بحر الشام اذا اظلم عليهم الجوّ ليلًا ولم يروا من النجوم ما يهتدون بهِ على تحديد الجهات الاربع يأخذون اناءً مملوءًا ماء ويحترزون عليهِ من الريح بان ينزلوهُ الى بطن السفينة ثمَّ يأخذون ابرةً وينفذونها في سَمَرةٍ او قشٍّ حتّى تبقى معارضةً فيها كالصليب ويلقونها في الماء الذي بالاناء وممدود لها فتطفو على وجهها ثمَّ يأخذون حجرًا من المغنطيس كبير ملء الكف او صغير ويدنونها من وجه الماء ويحرّكون ايديهم دورة اليمين فعندها تدور الابرة على صفحة الماء ثمَّ يرفعوا ( كذا ) ايديهم على غفلة وسرعة فان الابرة تستقبل بجهتيها جهة الجنوب والشمال . . رأيتُ هذا الفعل منهم عيانًا في ركوبنا البحر من طرابلس الشام الى الاسكندريّة سنة ٦٤٠ . وقيل انَّ رؤساء مسافري بحر الهند يتعوَّضون عن الابرة والسَّمرة بشكل سمكة من حديد رقيق مجوَّف مستعدّ عندهم يمكن انهُ اذا أُلقي في ماء الاناء عامَ وسامَتَ برأسهِ وذنبهِ الجهتين من الجنوب والشمال

وقد قرأنا في الخطط للمقريزي ( ١ : ٢١٠ ) ما حرفهُ :

«ما برح المسافرون في بحر الهند اذا اظلم الليل ولم يروا ما يهديهم من الكواكب الى معرفة الجهات يحملون حديدة مجوَّفة على شكل سمكة ويبالغون في ترقيقها جهد المقدرة ثمَّ يُعمل في فم السمكة شيءٌ من المغنطيس جيّدًا ويحكّ فيها بالمغنطيس فانَّ السمكة اذا وُضعت في الماء دارت واستقبلت القطب الجنوبيّ بفمها واستدبرة القطب الشمالي . وهذا ايضًا من اسرار الخليقة فاذا عرَفوا جهتي الجنوب والشمال تبيَّن منهما المشرق والمغرب . . . فاذا تحدَّدت الجهات الاربع عرفوا مواضع البلاد منها فيقصدون حينئذٍ جهة البلاد التي يريدونها» ل . ش



# احوال الكنيسة في العام المنصرم

نظر اجمالي للاب لويس شيخو اليسوعيّ

هذا ملحق بما نُشر في العدد السابق عن احوال الدول والسياسة المدنيَّة في السنة المنصرمة . ولا يُخفى ما في هذا البحث من عظم الشأن لمقام الكنيسة الرفيع في العالم بل هي قُطب العالم وقبلتهُ لولاها لتزعزع على اركانهِ وتضعضع في وجدانهِ

## ١ رومية وحبرها الروماني

قد استلفتت رومية في كلّ آن انظار العالم الدينيّ اليها ولعلَّها بعد هذه الحرب الكونيَّة زادت رفعةً بازاء عموم البشر وموقعاً في قلوب الاقارب والاجانب. ولا غرو فانَّهُ قد رُمز عنها بذلك الجبل الشامخ الذي تجري اليهِ الامم والشعوب قائلين : « هلمُّوا نصعد الى جبل الربّ وبيت اله يعقوب وهو يعلّمنا طرقهُ فنسلك في سُبُلهِ » ( ميخا ٤ : ١-٣ ). والحقّ يقال انَّهُ لما كانت الدول المختلفة في عراكٍ وقتال تَسيل دماؤها انهارًا قام سجين الفاتيكان وحدهُ ساعياً في الصلح ومفرغاً كنانة الجهد في تخفيف ويلات الحرب وذلك ببراءاتهِ التي وجَّهها الى الدول في اثناء الحرب وبعدها حتَّى انهُ استحقّ مرَّتين جائزة نوبل الممنوحة لاكبر روَّاد السلام وشهد لهُ بتفانيهِ في تحقيق نوايا جلالة ملك انكلترَّة الحالي بقولهِ للكردينال غَسْكواي : ليس احدٌ خرج فائزًا من هذه الحرب كما خرج الحبر الاعظم

ولو اردنا ان نعدّد كلّ مآثر الاب الاقدس بندكتوس الخامس عشر في سبيل المواخاة بين الامم ومساعدة المبؤسين لضاق بنا المجال . وكفى بنا ان نذكر براءتهُ الصادرة في ٢٣ ايّار الاخير الموجّهة الى كافة الدول يحثها على السعي بأسباب الصلح واستئصال جذور العدوان لتعود اوربّة الى سكينتها وعمرانها

ومن اجلّ مساعي قداستهِ حنانهُ على الصغار الايتام والمتضورين جوعاً في عدَّة بلاد كالنمسة وروسيَّة والمجر وانحاء البلقان فاستنهض همَّة المحسنين في العالم ونشر في ذلك الرسالات والمناشير فاجاب اهل المروءة وارباب الخير الى دعوتهِ فكان ما ورد اليهِ من المبالغ نحو ١٥ مليوناً من الفرنكات اضاف اليها قداستهُ مئة الف فرنك من مالهِ . فالله وحدهُ يعلم كم ضمّد من الجراحات وكم نشّف من الدموع

وكما سعى قداستهُ باسعاف الاحداث كذلك اهتمَّ بامر المهاجرين لينالوا في المهجر ما يؤملونهُ من الراحة والمعاش مع العناية بشؤونهم الدينيَّة والادبيَّة وكتب في ذلك الى المتولّين مشاريع المهاجرة والى ارباب الكنيسة في مواطن المهجر

ولم يقصر إمام الاحبار نظرهُ على الكاثوليك بل ربَّما سعى في مساعدة غيرهم . لنا في ذلك شاهد قريب في جالية اليهود الذين التجأوا من سوريَّة وفلسطين في اوائل الحرب الى كورسكا فسكنوا بَسْطية فحرَّر قداستهُ الى راعي المدينة ليقوم بخدمتهم ففعل بكل غيرة ولمَّا عاد اولئك المبؤوسون الى وطنهم قام رئيسهم الربّي سليمان بن شمعون فاثنى اطيب الثناء على اريحيَّة الحبر الاعظم وممثِّليهِ في الجزيرة معلناً بشكر جميع ابناء ملَّتهِ لانعطاف الكرسي الرسولي وحبِّهِ الجميل الخالي عن كل غرض نحو كل المكروبين

فلا مراءَ انَّ كل هذه الاعمال الشريفة المنزَّهة عن الغرض تسبي الى ابي المؤمنين قلوب رؤساء الشعوب . فانَّ معظم الدُول بعد الحرب العموميَّة وجَّهت الى رومية من يمثّلها لدى الفاتيكان امَّا بصفة سفير او معتمد وامَّا بصفة نائب ومفوَّض . والامل معقود عن قرب تجديد العلاقات بين فرنسة والكرسي الرسولي بعد ان قُطعت بطياشة المندوبين الفرمسون فلحق فرنسة بسبب انفصامها اضرارٌ جمَّة اقرَّ بها اعداء الكنيسة نفسهم . ومن اللوائح السارَّة المنبئة برتق الفتق قريباً ما تبادلهُ الحبر الاعظم ورئيسا الجمهوريَّة الاخيران من عبارات الانس والوداد

وقد استبشر عموم الفرنسويين بوشك فوز آمالهم اذ رأوا ما خوَّل الحبر الاعظم وطنهم من الشرف بتثبيت القديستين جان دارك ومرغريت ماري ألاكوك والطوباوية لوغرا منشئة اخوات المحبَّة فأقيمت في عاصمة الكثلكة حفلات شائقة كان لها صدى انعكاس في قلوب كل ابناء فرنسة فطربوا لها اي طرب وكاد العالم باجمعهِ يشاركهم في افراحها

ولن ينسى الشرقيُّون ما نسوا افضالَ بندكتوس الخامس عشر وانعطافهُ اليهم بما انشأهُ في امّ المدائن من المشروعات لتهذيب اكليرسهم وما ارسلهُ من الإحسانات الى المنكوبين منهم وخصوصاً الارمن . ومن نعمهِ السابغة تقليدهُ للقديس افرام السريانيّ رتبة ملفان للكنيسة جمعاء فاكتسب بذلك شكر اهل الشرق ولاسيَّما الطوائف الكاثوليكيَّة السريانيَّة والمارونيَّة والكلدانيَّة التي تفتخر بهذا النابغة الجليل وتعتبرهُ كأكبر رُسلها

## ٢ اوربة الكاثوليكية

(فرنسة) هي الدولة التي عُرفت في كلّ اطوار تاريخها كابنة الكنيسة البكر فمهما سعى العدوّ بزرع زوانهِ في ارضها لا تزال تربتها الجيّدة تغلّ الغلال الصالحة . وقد أخصبت هذه الحرب الاخيرة تلك التربة اذ سقتها بدماء ابطالها الزكيَّة . وقد دلَّ على تلك النهضة المبهجة ما شوهد في انحاء فرنسة من التقى وتعزيز روح الدين

ثمَّ ان الحكومة عرفت لارباب الكنيسة فضلهم وأعلنت بشهامتهم وقد انصفت حتَّى الرهبان الذين اقفلت اديرتهم وشتَّتت شملهم فمنحتهم ما استحقوهُ من الامتيازات . وكان بودّنا ان نذكر كل الكهنة والاكليريكيين الذين خصَّتهم باوسمتها وليس لدينا قائمتها وانما نعلم انها واسعةٌ جدًّا . وانَّا وقفنا على لائحة اليسوعيين الذين خدموا دولتهم في معامع هذه الحرب سواء كانوا كضبَّاط او جنود ام بصفة خدَمة الدين او ممرّضين بلغ عددهم ٨٤١ راهباً ومعظمهم في شرخ شبابهم فمات منهم في ساحة الشرف او خدمة الوطن ١٦٣ . امَّا الحائزون على الامتيازات الشرفيَّة فهم اوَّلاً ٧٠ راهباً نالوا صليب جوقة الشرف (Croix de la Légion d'honneur) . ثانياً ٤٨ غيرهم مُنحوا النوط العسكري (Médaille militaire) ثالثاً ٣٥٠ آخرون

اصابوا وسام صليب الحرب ( la Croix de guerre. ) بعد ان أثنى قوّادهم على فروسيَّتهم امام الجنود ( Citations ) ٥٩٠ مرَّة . رابعاً ٢٢ ايضاً تشرَّفوا باوسمة مختلفة اربعة منهم لخدمتهم المطعونين . وثلثة لمساعدتهم الجنود المراكشيَّة والتونسيَّة و ١٥ منحهم الحلفاء اوسمتهم

فقس على ذلك بقيَّة الاكليروس الفرنساويّ القانوني والعالمي وفي مقدَّمتهم الكرادلة الفرنسويون والاساقفة الذين لم يألوا جهدهم في مساعدة دولتهم بضروب الوسائل فأثنى الجميع على مروئتهم وتفانيهم في سبيل الوطن وقد مرَّ لنا ذكر ما اطرأهم بهِ من المديح رئيس الولايات المتحدة السابق المسيو روزڤلت

ومن الادلَّة على انتعاش روح الدين في فرنسة الحفلات التي أُقيمت اكراماً للقديسة جان درك في كل انحاء الدولة اهتزت لها البلاد طرباً فأنعشت في الصدور عواطف التقى وشواعر الايمان . وكذلك الطواف بالقربان الاقدس في يوم عيد الجسد استُئنف في امكنة عديدة . امَّا باريس فانَّ ٧٥ مندوباً من مجلس الامَّة حضروا في ١١ حزيران القداس الحبري في كنيسة مونمرتر ببزَّتهم الرَّسميَّة وفي ١٣منهُ اجتمع ١٥ جنرالًا وثلثة من امراء البحر مع عدد لا يُحصى من اعيان العاصمة ليمشوا في طواف القربان الاقدس في مدرسة شارع البريد القديمة ( Ecole de la rue des Postes )

وقد شمل الاسف فرنسة على وفاة الكردينال اميت رئيس اساقفة باريس في ٢٩ آب . على انَّ ما اظهرت لهُ الجماهير المجمهرة من الاكرام بعد وفاته يُعدّ كانتصار للدين وقد مشى في حفلة جنازتهِ وزراء الدولة وقوَّاد العسكر واشراف العاصمة . وقد تلطَّفت نوعاً هذه الرزيَّة بتعيين خلفهِ نيافة الكردينال دوبوا الذي اجمع الكلّ على عظم فضلهِ وحظينا في بيروت بمشاهدتهِ في شتاء السنة المنصرمة

وقد عقد الكاثوليك في فرنسة عدَّة مؤتمرات كانت كلّها دلائل ناطقة على نشاط الفرنسويين في خدمة ايمانهم . نخصّ منها بالذكر مؤتمر رسالة الصلاة في اواسط نيسان حضره نيّف ومئة مدير لذلك المشروع العظيم الذي يتناول ٧٥،٠٠٠ مركزاً ويقوم بخدمته ٥٢ نشرة من رسالات قلب يسوع تُطبع في اكثر اللغات الشائعة من جملتها الرسالة العربيَّة التي أُنشئت في العام الماضي في كلّيَّتنا فراجت ايّ رواج

﴿ ايطالية ﴾ صار للكاثوليك الايطاليّين في دار الندوة حزبٌ معدود يبلغ ١٠٠ نائب يعضدون الحكومة في معاكستها لحزب الاشتراكيين

يستعدُّ الايطاليُّون للاحتفال بتذكار المئة السادسة لوفاة امير شعرائهم دَنتي المتوَفى سنة ١٣٢١

ومما يجدر ذكرهُ خطابٌ لوزير المعارف السنيور بندتُّو كروتشي القاهُ في مونتيتشيتوريو في ضرورة التعليم الديني في المدارس. والوزير المذكور كما هو معلوم احد المتشيّعين للفيلسوف المعطِّل هيجل فقال: «قد كذب القائلون بالتعليم اللادينيّ فانَّ تعليماً كهذا هو تعليمٌ كفري ضرورةً فتجريدهُ عن الدين دون معاداة الدين امرٌ مستحيل لم يوجد قطُّ ولن يوجد البتَّة. امَّا الدين الواجب تعليمهُ فهو الدين المسيحي لأنَّ حياتنا الادبيَّة كلها صادرة عنهُ»

ويحسن بنا ايضاً ذكر ارتداد الجنرال الايطالي الفونس ماري فوسكو الى الايمان. فهذا الجنرال الذي حارب مع قومهِ في الحرب السابقة وابلى فيها البلاء الحسن قد بلغ الثالثة والستين من عمرهِ وبعد ارتدادهِ طلب الدخول في مصافّ الاكليروس فاقتبل برخصة الحبر الاعظم الدرجات الصغرى في معبد لورد ثمَّ كُهِنَ في معبد لاساليت

﴿ اسبانية ﴾ لا تزال هذه الدولة عريقة بالدين الكاثوليكيّ وكثيراً ما تسعى الشيع البروتستانيَّة بدسائسها وبذل مالها بان تجتذب الاسبانيّين الى اضاليلها فلم تُصب من فعلها جدوى

وفي هذه السنة قد جرت في مدريد حفلةٌ مؤثرة حضرها ممثِّل الكرسي الرسولي والاساقفة والملك الفونس وحاشيتهُ واعيان البلاد مع جماهير لا تُحصى من الشعب التأموا في معبد فخيم أُقيم لهذه الغاية في ساحة المدينة لتكريس مملكة اسبانية لقلب يسوع الاقدس. وقد تلا صورة التكريس الملك نفسهُ باسمهِ واسم كل الشعب الاسباني وجرت هناك مظاهرات تقويَّة في نهاية الأُبهة والعظمة

وقد مرَّ لنا ذكر المصلوب العجيب الذي منذ نحو سنتين اصبح موضوع إعجاب الوف من الزوَّار في بلدة لمپياس بظهورهِ امامهم في صورٍ مختلفة دالَّة على التوجع والالم والحنان والانعطاف كما انَّهُ بسببهِ قد ارتدَّ كثيرون من الكفرة والملحدين الى الايمان

﴿بلجكا﴾ خرجت بلجكا الكاثوليكيَّة من الحرب مكلَّلةً بتاجٍ من المجد المؤثَّل فلم تبخل بآيات شكرها نحو الربّ الاله الذي صانها من مخالب اعدائها ورفعها في اعين الدول جمعاء . وكفى بها شرفاً موقف كبير اساقفتها الكردينال مرسيه الذي اظهر من الشهامة والتفاني في سبيل مواطنيه ما اثبت للعالم انَّ الدين وحبّ الوطن اخوان شقيقان لا تفصل بينهما قوَّة بشريَّة

عادت المشاريع الكاثوليكيَّة في بلجكا الى ازدهارها بعد ان أُصيبت ببعض الانحجاب في مدَّة العراك الدوليّ . امَّا الرسالات الخارجيَّة التي يتولَّى ادارتها المرسلون البلجكيُّون فانَّها ثبتت في نشاطها وترقيها وخصوصاً في منغولية ومنشورية والهند وافريقية . فانَّ عدد النصارى في الكنغو البلجكيّ بلغ في العام الماضي ١٦٠،٠٠٠ منهم ٤٠،٠٠٠ اصطبغوا بالمعموديَّة في بحر السنة . وهناك من طلبة العماد المستعدّين لقبوله ١٥٥،٠٠٠ بنيّف

امَّا الحكومة فكانت دفَّة امورها منذ نحو ٤٠ سنة في ايدي الكاثوليك الذين خدموا وطنهم خدماً لا تُحصى . فسعى الاشتراكيُّون والاباحيُّون الاحرار بنقض رُكنهم وكادوا ينالون شيئاً من مبتغاهم لولا انَّ الكاثوليك تداركوا امرهم وعزَّزوا قواهم لاسيَّما في مجلس الشيوخ حيث فازوا بالسبق على اخصامهم

﴿النمسة﴾ ليست دولة كاثوليكيَّة أُصيبت في الحرب العموميَّة كمصاب النمسة بعد ان فصلت عنها معاهدةُ سان جرمان العناصرَ الاجنبيَّة التي تتألَّف منها كالصقالبة والتشاك والبوهيميين والايطاليين فاصبحت عاصمتها ڤينة البالغ عدد سكانها ٣،٠٠٠،٠٠٠ كرأس عظيم على جسم ضئيل . وحكومتها الجديدة جمهوريَّة اغلب مبعوثيها الكاثوليك المعروفون بالاجتماعيين وعددهم ٨٣ ومنهم الرئيس هَينِيش امَّا الباقون فاشتراكيُّون ومناصرون للالمان وعددهم ٧٣

﴿بولونية﴾ بقيت في قبرها نحو سنة ١٥٠ ليس لها من عضد غير دينها القويم . فعادت بفضله الى عالم الوجود . على انَّ اعداء دينها ينصبون لها الاشراك ويجعلون في طريق جيوشها ضروب العثرات منهم البولشڤيون واليوكوسلوڤاك مع رئيسهم موساريك المُلحد وانكلترَّة والمانية البروتستانيَّتين وليس لها من صديق حميم غير فرنسة . فعساها ان تنجو من كل هذه العقبات . وقد فرض الكرسيّ الرسولي على

المؤمنين بصلوات خصوصيَّة لخلاص بولونية . وأكرم اهلها بترقية رئيس اساقفة بوزن الى رتبة كردينال . وقد اخذ هناك ذوو الغيرة والحماس الدينيّ ينظمون الشركات الخيريَّة ويعقدون المؤتمرات ويؤلفون الجمعيَّات الدينيَّة والادبيَّة ليعيدوا لوطنهم سابق مجدهِ قبل ان يُقسَم ظلماً على يد فردريك ملك بروسيا وكاترينا الثانية

﴿المجر﴾ أُصيبت كالنمسة بفقد قسم كبير من املاكها ونحو الثُلثين من اهلها . ثمَّ احتلَّ اراضيها البولشفيون مدَّة اربعة اشهر فاذاقوا اهلها الامرَّين . واليوم عاد اليها رشدها بفضل رئيس ندوتها الكونت أَبوني الذي مع كونهِ بلغ الثمانين من عمرهِ لم يزل يبذل النفس والنفيس لخلاص وطنهِ . وقد تصدَّى بكل عزم ونشاط لدسائس الماسونيَّة واليهود فاوقف من ثبتت لهُ خيانتهم وجازاهم بذنبهم غير هيَّاب لتهديد مُناصريهم . وقد عرض على اليهود هناك أَن يعتزلوا عن النصارى ويؤلفوا لهم دولة يهوديَّة او يذهبوا الى فلسطين مع الصهيونيين فأَبوا وهم يعتبرون المجر وابتزاز ثروتها افضل لهم من الاستقلال

﴿بوهيمية﴾ اختزلها ايضاً الحلفاء عن النمسة فاصبحت دولة مستقلَّة مركَّبة من عنصرين التشاك والسلوڤاك . فالتشاك قد عُرفوا منذ زمن طويل بميلهم الى الاضاليل والتشيُّعات البروتستانيَّة بخلاف السلوڤاك المستعصمين بحبل الدين . فما فاز العنصران بالاستقلال حتَّى اختلفا رأياً وقام بعض كهنة التشاك يطلبون بالحاح امتيازات مضادَّة للآداب الكاثوليكيَّة بل بالغوا في القحة الى ان نادوا بالاستقلال الدينيّ . فبعد ان افرغ رئيس اساقفة براغ السيّد كرداك وسعهُ في ردّهم الى الطريق المستقيم بكل لطف وأَناة لم يزيدوا الَّا تعسُّفاً فضرب الحبر الاعظم بالحرم زعيميهم الدكتور فورسكي والكاهن زهراداك . فكان لهذا الفعل الحازم احسن وقع في قلوب كثيرين فاتابوا الى الله واستغفروا عن ذنبهم . ولم يبقَ منهم الَّا شرذمة قليلة لا يُعبأ لها

امَّا الحكومة فانَّها متركِّبة من عدد عديد من اعداء الدين والفرمسون الذين يقصدون ثلّ عرش الكثلكة وقد عرضوا على مجلس الأمَّة عدَّة شرائع مضادَّة للدين ولولا نفور الشعب ومجاهرتهُ بالأَنفة من عملهم لكانوا جروا عليها . غير انَّ الكاثوليك قد شعروا بما يتهدَّدهم من الاخطار بتطرُّف هؤلاء الاشقياء فعقدوا

مؤتمرًا كبيرًا في ٣١ آب واعلنوا بتعلُّقهم باهداب الايمان الكاثوليكيِّ وبمناهضة اعداء دينهم وفي نهاية المؤتمر جرى طوافٌ حافل للقربان الاقدس مشى في اكرامهِ ٢٥،٠٠٠ مؤمن . واذ ارادت الحكومة ان تعاكس المؤتمر المذكور وتنشيء مؤتمرًا آخر تعضدهُ خاب املُها ففشلت

﴿ ارلندة ﴾ قد بلغ السيل الزُبى ورأت ارلندة ان كل مواعيد انكلترَّة لها بالاستقلال عرقوبيَّة لا يستطاع الركون اليها فتألَّفت الجمعيَّات الثوريَّة التي دخلت مع الدولة في نوع من الحرب الاهليَّة وتجاوز كلا الفريقين الحدود في طلب حقوقه ومناصبة معاكسيه . وقد توسَّط الاساقفة الارلنديون وعرضوا على الحكومة الوسائل المنصفة لاخماد الفتن التي ذهب من جملة ضحاياها اللورد ماكسويني حاكم كورك وعدَّة ارلنديين زُجُّوا في السجون ظلماً فاحتجُّوا بلزومهم الصيام حتى الموت رجاء منهم ان ينالوا انصاف قومهم فماتوا مأسوفاً عليهم

وممَّا استاء منه العموم في ارلندة وغيرها من البلاد رفض الحكومة الانكليزيَّة الرخصة لرئيس اساقفة ملبورن في اوسترالية السيد مانيكس بان يزور وطنهُ ارلندة . فكان لهذا العمل اسوأ تأثير فاحتجَّ عليهِ سائر اساقفة ارلندة واوسترالية فعدُّوها اهانةً بحقِّ رئيس دينيٍّ سامي الشرف وخالٍ عن كل غرض سياسي

وقد تعزَّى الارلنديون في وسط بلاياهم بتطويب احد شهدائهم اوليفيه بلونكات مطران ارماغ وجاثليق ارلندة الذي سفك البروتستان دمهُ في لندن في ١١ تموز سنة ١٦٨١ لدفاعهِ عن الايمان الكاثوليكيِّ فاعلن بهِ الحبر الاعظم طوبويًّا وجرت بتلك النسبة حفلات غاية في الابهة في كنيسة مار بطرس في رومية ثم في انحاء ارلندة

﴿ لكسمبورج ﴾ زهدت غراندوقة لكسمبورج الاميرة ماري ادلائيد بالدنيا بعد ان ضبطت زمام تدبير بلادها ثماني سنوات فاكتسبت محبَّة جميع رعاياها وامتازت بذكائها وحسن تدبيرها . فآثرت وهي في ربيع شبابها على غنى العالم وغرورهِ الانقطاع الى الله في رهبانيَّة الكرمليَّات في مدينة مودينا من اعمال ايطالية في ١٨ ايلول الماضي فكان مثلها قدوةً صالحة عملت في قلوب عموم آل جنسها

## ٣ اوربة غير الكاثوليكية

﴿ انكلترة ﴾ قد ازدادت حركة تقرُّب البروتستانت الى الكنيسة الكاثوليكية منذ الحرب لِما عاينهُ الانكليز من صدق ايمان حلفائهم الكاثوليك . والدولة الانكليزية قد اثبتت ذلك باقامتها في رومية معتمدًا ووزيرًا مفوَّضاً ساعياً بامورها لدى الكرسيّ الرسوليّ . وكذلك الاكليروس الانكليكاني اذ عقد مؤتمرًا دينيًّا في لندن في غرَّة تموز الماضي تمنَّى لو يتمّ انضمام الكنيستين الى الوحدة . ومما لا ينكر ان الحزب الانكليكاني يزيد كل يوماً تقلُّدًا للرتب الكاثوليكية وللصلوات والعبادات الجارية عند الكاثوليك وينبذ كثيرًا من التعاليم البروتستانيَّة ولا يزال عدد المتكثلكين منهم في ازدياد . وممَّن ارتدَّ الى الكثلكة آخرًا الآنسة بنسون ابنة رئيس اساقفة الانكليكان سابقاً وقد سبقها اخوها الى الدين المستقيم وهو اليوم من مشاهير الكتبة الكاثوليك

امَّا الكاثوليك الانكليز فمعظمهم من ذوي التحمّس لدينهم . ففي العام المنصرم عقدوا في لڤربول مؤتمرًا تصدَّر في رئاستهِ الكردينال بورن مع الكردينال غسكواي في سلخ تموز بحثوا فيهِ عن كلّ امور الكاثوليك الدينيَّة والادبيَّة والاجتماعيَّة لم يَفُتهم منها شيء فاتَّفقوا على تنشيطها وانمائها

وقد ظهر نفوذهم لدى الدولة بمناهضتهم لشريعة حاول تنفيذها المندوب فِيشر ليجعل التعليم في حكم الدولة فيُسلب صغار الكاثوليك حرّيَّة دينهم

ومن مشاريع الكاثوليك المستحدثة تشكيلهم للجنة من الخطباء يُلقون الخطب لايضاح العقائد الكاثوليكية في ساحات المدن او حدائقها كحديقة هَيْد پارك في لندن حيثما يتجمهر الشعب . فكان لهذه الخطب احسن موقع في قلوب الذين لم يعرفوا الكنيسة الكاثوليكية

وممَّا يشهد للكاثوليك الانكليز بالتحمُّس الدينيّ عدَّة جمعيات تقويَّة واخويّات وطوافات دينيَّة يزدحم فيها الشعب الكاثوليكيّ دون حياء بشريّ . نخصّ منها بالذكر جمعيَّة فرسان القربان الاقدس الذين بلغ عددهم خمسين الفاً يتنافسون في اكرام سرّ القربان بزيارتهِ المتواترة وحضور الذبيحة الالهيَّة والتناول الاسبوعي واليومي

وقد سبق لنا ذكر الحفلة الباهرة التي جرت في لندن تذكارًا للقديسة جان درك وتعويضاً عمَّا اقترفهُ اجدادهم من الاثم بحكمهم عليها بالموت

﴿ المانية ﴾ انَّ هبوط القيصر غليوم قد كسر نخوة البروتستانيَّة التي كان هو إمامها فتضعضع بذلك امرها واصبحت كجسم بلا رأس. فوجَّه كثيرون من البروتستانت نظرهم الى الكنيسة الكاثوليكيَّة المشيَّدة على الصخرة البطرسيَّة غير المتزعزعة. هذا وقد اجتذب قداسة البابا بندكتوس الخامس عشر محبَّة البروتستان الالمان بسخائهِ الحاتميّ نحو كل المنكوبين بغضّ النظر عن اديانهم وبمساعيهِ المتواصلة لدى الدول ليعيد الى العالم سلامهُ المفقود. ثمَّ انَّ ما احدثتهُ الحرب في المانية من الضنك الشديد اوجب رُعاة الانفس من كاثوليك وبروتستان ان يتفاوضوا في حلّ المشاكل الحاليَّة وبالتقارُب حصل التواخي وسقطت اوهام المنفصلين عن الكنيسة. وقد امتدَّت هذه الحركة بين كلّ طبقات الشعب حتَّى انَّ عددًا عديدًا من الجنود ارتدُّوا الى حجر الكنيسة وقد أُنشئت في عدَّة مُدُن كبرلين وهالّ وشپانداوْ معاهد خصوصيَّة تُلقى فيها المحاضرات على العقائد الكاثوليكيَّة يُقبل اليها البروتستان بكلّ رغبة. وقد سُرَّ الكاثوليك باهتداء كثيرين من مواطنيهم وفي جملتهم الاشراف والأُدباء من ارباب السيف والقلم وكلّهم يصرّحون بعجز شيعهم عن معالجة نفوسهم. وقد بلغ في فرنكفورت عدد المرتدّين خمسين شخصاً في يوم واحد. ولعلّ هذه الحركة باكورة اهتداء الالمان الى دين اجدادهم وبها تتمّ نبوَّة لرجل الله المكرَّم دون بوسكو فاه بها سنة ١٨٨٧ فقال انَّ المانية ستعود الى الكثلكة بعد حرب عوان

من دلائل هذا التقرُّب انَّ المانية رقَّت نيابتها لدى الكرسيّ الرسولي الى سفارة في ٣٠ نيسان. ومنها انَّ فرقاً عديدة من البروتستانت انفصلوا عن كنيستهم اللوترانيَّة الرسميَّة وانشأُوا لهم كنائس اخذوا من الكاثوليك كثيرًا من مناسكهم الدينيَّة ورتبهم الكنسيَّة

ولا يزال في مجلس الامَّة للكاثوليك الموقف الممتاز فانَّ عددهم مع مندوبي باڤارية وهانوڤر بلغ في الانتخابات الاخيرة في ٦ حزيران ٩٣ مبعوثاً منهم ثلثة وزراء احدهم كاهنٌ وهو الدكتور برونس. ومنهم رئيس الوزراء فهرنباخ

وقد اوفدوا الى رومية وفدًا كبيرًا اعانوا الحبر الاعظم باكرامهم لشخصهِ

واذعانهم لكل اوامره. وقد فقد الالمان احد كبار علمائهم المستشرقين الاب يوحنَّا ستراسماير اليسوعيّ صاحب التآليف المعتبرة في لغة الاشوريين المسماريَّة توفّي في لندن في ١١ ك ٢ وكان مولده سنة ١٨٤٦

﴿روسيَّة﴾ انَّ الفوضى الشائعة في روسيَّة بتغلُّب البولشفيين (راجع مقالتنا في العدد الاوَّل من العام الماضي ص٤٦—٥٤) قد أُلحقت بالكنيسة الاورثذكسيَّة اضرارًا جسيمة فاكتسحت اموالها وبدَّدت شمل ارباب دينها الذين عجزوا عن لأم صدعها وحسم دائها. وقد ذكرنا لياذ بعض الاكليروس بحمى الحبر الاعظم فاوعز البابا الى كهنة پولونية بان يهتمّوا لهذا الخطب الجلَل فسعوا بذلك رغماً عمّا يلقونهُ من العقَبات في سبيلهم

﴿سويسرة﴾ خطب الاستاذ الفرد مارتين في احد نوادي سويسرة خطاباً استلفت فيهِ نظر البروتستان الى ترقّي الكثلكة في المقاطعات البروتستانيَّة حتَّى في عاصمة الدولة جنيڤة وحذّرهم من خطَر رومية (كذا). وما لا يُنكر ان البروتستانيَّة في سويسرة كما في غيرها من البلاد في انحطاط. والدليل عليهِ ان السويسريّين دعوا اهل كل الاديان الى مؤتمر ليوحّدوا بينها كلّها على ما زعموا فلم يجب الى دعوتهم الكاثوليك والروم الارثذكس وما لبث ان تحوَّل مجتمعهم الى اختلاط وضوضاء لاختلاف آرائهم ونفور اجناس بعضهم من بعض لاسيَّما البروتستانت الفرنسويين والبلجكيين من الالمان فتفرّقوا حنقين يحرقون عليهم الأرَّم

﴿الدول الشماليَّة﴾ هي الاسوج والنروج والدنيمرك. هذه الدول كانت متحايدة في ابَّان الحرب وهي لم تمنح بحريَّة الاديان الَّا من سنين قليلة وقد اخذت الكنيسة الكاثوليكيَّة في هذه المدَّة تُظهر لاهل تلك البلاد كنوز خيراتها حتَّى انَّ البروتستان صاروا ينظرون اليها بعين الوقار والاكرام وكثيرًا ما ينشرون في جرائدهم مديح رؤساء الكثلكة ويطرئون اعمال الراهبات في المآوي والمستشفيات. وللیسوعيين في عاصمة دنيمرك مدرسة عالية معظم تلامذتها من البروتستان. ولهم رسالة في نروج وعدد الكاثوليك كان في الاحصاء الاخير في دنيمرك ٨٫٧٨٠ وفي نروج ٦٫٦٠٩ وفي اسوج التي لم تعلن رسمياً بعد بحريَّة الدين ٢٫٥٣٨

﴿اليونان﴾ زار نيافة الكردينال دوبوا اثينة في اواخر شباط الماضي فسُرَّ

مماَّ لقي فيها من كرامة المثوى وترحاب العموم وما بلغهُ من ارباب دولتها عن رضاهم من الطائفة الكاثوليكية وكهنتها في مدن اليونان . وقد طلب من نيافتهِ وزير الخارجيَّة القديم المسيو پوليتيس باسم الحكومة ان يتوسَّط لدى الحبر الاعظم لعقد معاهدة بين الكرسيّ الرسوليّ واليونان

﴿ الدول البلقانيَّة ﴾ اهتمَّ ايضاً البلغار والسرب والرومان بتوثيق العلائق بين دولهم والفاتيكان اذ لم يجدوا امثلَ طريقة لفضّ المشاكل الدينيَّة من الالتجاء رأساً الى إمام الاحبار فسُرُّوا بما لقوهُ من تسهيل الامور وازالة العقبات

## ٤ اميركة

﴿ اميركة الشماليَّة ﴾ انَّ الشيع البروتسانيَّة في اميركة الشماليَّة تتقسَّم كلَّ يوم وتزيد تفتُّتاً . وليس لكثير منها سوى اسم البروتستانيَّة لا تعي من تعاليمها شيئاً ويقال انَّ اكثر من نصف الاميركيين لا يعترفون بدين البتَّة امَّا القسم الآخر فالاغلبيَّة فيهِ للكنيسة الكاثوليكيَّة البالغ عدد ابنائها مع المهاجرين منهم اليها نحو ٢٤،٠٠٠،٠٠٠ يأتي بعدهم المتودست (٧،١٢٥،٠٠٠) ثمَّ العمادِيون (٥،٩٢٤،٠٠٠)

والكاثوليك بالاجمال متأصلون بالدين كما انهم ارقى الاهلين الراقين في الآداب والحضارة . فهم النصف من اهل الحواضر الكبرى كنيويرك وشيكاغو وبوسطون والثلث من اهل فيلدلفية وكليڤلند وبوفالو وسان لويس . وحاكم ولاية نيويرك حالاً هو كاثوليكي واسمهُ الفرد سميث . وقد سبق لنا ذكر الاسقف كينسمان المرتدّ عن البروتستانيَّة الى الكثلكة . وذكرنا فرسان كولمبوس الذين يقومون باجلّ الاعمال في خدمة الكنيسة والدفاع عن حقوقها مع وصف زيارتهم لرومية وباريس

والكلّيات الكاثوليكيَّة الجامعة في الولايات المتَّحدة في نموّ وازدهار عظيم يبارون علماء الدولة في سائر آثارهم . لليسوعيّين بينها عدَّة كليَّات مجهَّزة بكل ما تحتاج اليهِ العلوم العصريَّة من متاحف ومكاتب ومراصد فلكيَّة وغيرها

وقد وُضع الحجر الاوَّل في واشنطون لكنيسة فخيمة على اسم حبل العذراء بلا دنس من اوسع الكنائس واجملها تذكاراً لمن ماتوا في ساحات الحرب الاخيرة على انهُ ساءنا ما باشر بهِ البروتستان الاميركيون الذين جمعوا الاموال الوافرة لاصلاح

ما دمّرهُ الالمان في شمالي فرنسة واعانة منكوبيهـا ليس تبرُّعاً وبخلوص النيَّة لكن لنشر الاضاليل البروتستانيَّة بين اهل فرنسة الكاثوليك وهي غاية سيّئة احسَّ بهـا الامير كيُّون الكاثوليك وقاموا لمناهضتها فارسلوا من ابناء ملَّتهم الى تلك الانحاء يحذّرون الفرنسويين مندها، مواطنيهم ونعمَ ما فعلوا . فعارٌ على البروتستانت ان ينتهزوا فرصة البلايا الحاضرة ليتَّخذوها وسيلةً للمتاجرة بالدين فان كانت غيرة بيت الله تضرم قلوبهم فليسعوا في اصلاح مفاسد اوطانهم او يُعنَوا بردّ غير المؤمنين فا لهم يبذرون الزؤان في حقل ربّ البيت . وقد عهدنا شيئاً من ذلك في بلادنا فساءَ ما يفعلون

وفي اميركة الشماليَّة ولاية « كندا » . كان لفرسانها اطيب المآثر في الحرب وبقدومهم الى فرنسة توثَّقت الروابط بينهم وبين وطنهم القـديم . ومعلومٌ ان اهل كندا كاثوليك شديدو الحماسة في الدين لهم فيهِ مآثر لا تُحصَى

ومن اميركة الشماليَّة بلاد « المكسيك » التي أُرخي فيها الخناق عن الكنيسة بعـد ما قاستهُ من الاضطهادات بمكايد الماسونيَّة وذوي المفاسد مدة عشر سنوات فعـاد الاساقفة وارباب الكنيسة والرهبان الى منازلهم واسرعوا الى إصلاح الاحوال وتلافي الاضرار ودعوا جماهير المؤمنين الى تطواف عمومي اجروهُ على قمم جبال كوبيلاته حيث اقاموا اثرًا جليـلًا لقلب يسوع الاقدس شكرًا لهُ على نجاة البـلاد من الفتن والثورات وكرسوا لهُ اوطانهم واشخاصهم ورعاياهم . وقد علمنا آخرًا انَّ الفوضويين لم يكفُّوا عن مكايدهم وإسعار نار الفتن

« اميركة الجنوبيَّة » الجمهوريَّات الاميركيَّة في جنوبيّ العالم الجديد حاصلة منذ بضعة اعوام على الهدوّ والسلام بنعمة خاصَّة من قلب يسوع الاقدس الذي انتشرت عبادتهُ في تلك الانحاء انتشارًا عجيباً . وقد تكرَّست لهذا القلب الالهيّ بلاد كولومبية وبلاد شيلي وبلاد بيرو والجمهوريَّة الفضيَّة يحتفل اهلها كل سنة بعيدهِ بكل مجالي التقى والأُبهة . ولكلّها سفراء لدى دولة الواتيكان ورؤساؤها ممتازون بدينهم وتقاهم وحسن تدبيرهم يمتّعون رعاياهم بكل اسباب الراحة والهناء . ومثلهم رئيس جمهوريَّة البرازيل السيّد ابيتاشيو پسوًا الذي زار في العام الماضي رومية وقدَّم للحبر الاعظم واجبات الاكرام والحبّ البنويّ . وقد استقبل البرازيليُّون القـاصد الرسولي السيّد سكاپرديني بغاية من التحفّي والاكرام

## اوقيانية

﴿ اوسترالية ﴾ للدين فيها اعلى مقام . وقد زاد بنوع محسوس تعبُّد اهلها بعد تكريس اوسترالية لقلب يسوع الاقدس في ٢٩ حزيران من السنة ١٩١٩ . وكثيرًا ما تأتينا الاخبار السارَّة عن المهاجرين السوريين الى تلك البلاد وما يلقونهُ فيها من الوسائط لحفظ دينهم

وممَّا رُوي عن اسقف ﴿زيلندة الجديدة﴾ السيد كليري انَّهُ ركب طيَّارة لزيارة رعاياهُ المتبدّدين في الجزائر فقام باعبائهِ بغاية ما يُرام من الغيرة ولم يبالِ باخطار السَّفر الجوّي لتقلّب الرياح وانتشار الغيوم في تلك الجهات ورجع سالمًا الى كرسيِّهِ

الرسالات في اوقيانية على قدم من النجاح فانَّ تلك الجزائر التي كانت قبل سنين قليلة سكنى لاهمج القبائل وأكلة البشر اصبح كثير من اهلها منتظمين في سلك الدين الكاثوليكيّ يمارسون اسمى الفضائل المسيحيَّة . نخصّ منها بالذكر جزائر سليمان التي يبشّرها الآباء المريميون وجزائر هاواي ومرسلوها آباء بكبوس وخاليدونية الجديدة وغيرها ايضاً

## افريقية

اضرَّت كثيرًا الحرب الاخيرة برسالات افريقية التي كان معظمها تحت ادارة مرسلين من دُول متحاربة فاضطرَّ المرسلون ان يعودوا الى الاوطان لمساعدة مواطنيهم . ومنها ما انتقل بحكم الحرب الى دول مختلفة فقُضي على اصحابها ان يبرحوها . على انَّ المرسلين ما كاد يُعلَن بالصلح حتَّى اسرعوا عائدين الى مراكزهم ليستأنفوا العمل وليستدركوا ما فاتهم من الخير في هذه الخمس السنوات . وممَّا ينشّط مرسلي افريقية تطويب شهداء اوغندا الوطنيين الذين هدوهم الى الايمان فآثروا الموت الاحمر على جحودهِ وهم من اعيان تلك البلاد فأدرجت الكنيسة اسماءهم في سجلّ ابرارها بعد ما اجرى الله بشفاعتهم عدَّةً من الكرامات

ومن الرسالات الافريقيَّة المترقّية العامرة رسالة جزيرة مدغسكار فانَّ اهلها يُقبلون بارتياح على التعاليم الكاثوليكيَّة واذا تنصَّروا واظبوا على ممارستها برغبة

ونشاط . وقد رُقّي منهم في العام المنصرم اربعة كهنة انضوا الى الرهبنة اليسوعيَة وجاروا اخوتهم في كلّ اعمالهم الرسوليَة

وكذلك رسالة الآباء الكبوشيين والآباء اللعازريين في انحاء الحبش والكالا والصومالي فانّها حائزة الحريّة متوفرة الثمار الروحيَّة

## اسية

نختم بذكر قارّتنا العزيزة هذا النظر الاجمالي في رقيّ الدين في اطراف المعمور . ولنبتدئ بالشرق الاقصى

﴿الصين﴾ بعد انقلاب الصين السياسي وجد المرسلون الكاثوليك فيها منفرجاً لتوطيد اعمالهم الرسوليَّة وتوسيع نطاقهـا فزاد عدد المتنصِّرين ونمـا عدد المدارس الكاثوليكيّة فأقبل عليها الناشئة اقبالاً عظيمـاً . وقد زار المسيو پَنلِڤه المبعوث الفرنسوي كليَّة الآباء اليسوعيين المعروفة بالفجر (l'Aurore) في زيكاواي فاخذه الاندهاش من ترقّيها وحسن تهذيب طلبتها في العلوم الراقية وصرّح بذلك في كتاباتهِ الرسميَّة . وكذلك اثنى على اعمال المرسلين في كلّ الانحاء التي زارها

امّا عدد الكاثوليك في الصين فهو الآن يُربي على المليونين . ومنهم من اصاب في الحكومة الجديدة المراتب الجليـلة والامتيازات الشرفيّة . وقد اثنت الحكومة على مطبوعات الآباء اليسوعيين واخذت على عاتقها ان تطبع كتاباً للاب فروك في مظاهر الصين الجوّيّة

وممّا يهتمُّ بهِ المرسلون في الصين حالة الاولاد الصغار من اللقطاء والايتام وهم يُعَدُّون بالالوف والربوات فيربُّون منهم بضعة الوف ويعمّدون في السنة نحو ٥٠٠،٠٠٠ بمساعدة مشروع الطفوليَّة المقدَّسة (la S<sup>te</sup> Enfance) المنشأة سنة ١٨٤٣ والتي بلغ مجموع حسناتها في السنة **١٩١٩** ٧،٦٦٦،٣٩٧ فرنكاً

وقد سُرّ مرسلو الصين بمـا منحهُ الحبر الاعظم للصين من الاكرام باعلانهِ احد ابنائها طوبوياً وهو بول‌تشان المولود سنة ١٨٣٩ الذي استشهد لاجل الايمان سنة ١٨٦١ وقد احتفل بعيدهِ الاكليروس الافرنسي في كنيسة نوتردام في تموز الماضي

﴿اليابان﴾ يقدّر اليابانيُّون قدر المرسلين الكاثوليك في بلادهم وهم اليوم نحو

مئة الف. ومما احرز للمرسلين اعتبارًا اعتناؤهم بالمدارس العليا منها كليّة طوكيو للآباء اليسوعيين وبعض مدارس ثانوية للاخوة المريميين فاشاد اهل الدولة بحرصهم على تحسين الآداب. واين هذا مما ورد في مجلّة المنار الاسلاميَّة (ج٢٠ ص٤٤) حيث ذكرت كلمة قالها الشيخ عبد الكريم سلمان يوم شاع انَّ اليابان يرغبون في التديُّن بدين الاسلام فقال الشيخ حسين الجسر: « اذًا يُرجى ان يعود الى الاسلام مجدهُ » فقال الشيخ عبد الكريم: «دعهم فاني اخشى اذا صاروا منَّا ان نفسدهم قبل ان يصلحونا »

❊ الهند ❊ الرسالات الكاثوليكيَّة في جهات البنغال وكلكوتَّا ولاوس جاريةٌ على نمطها السابق في ترقّيها وعدد متنصّريها. امَّا الانحاء التي كان فيها المرسلون الالمان فأبدلوا بمرسلين كاثوليك من الاميركيين كبمباي وديكان واجرا

❊ العراق وما بين النهرين ❊ عاد المرسلون الكرمليُّون الى رسالتهم في بغداد والعراق والدومنيكان الى الموصل وقد اثنوا على الاكليروس الشرقي لما ابداهُ مع الغيرة في خدمة طوائفهم مدَّة ايَّام الحرب. امـَّا ما بين النهرين في جهات سعرت وماردين وديار بكر فانَّ النصارى بعد المجازر التي وقعت في اصقاعهم وهم يؤملون النجاة عن يد الحلفاء لم يزالوا يئنُّون تحت نير عبوديتهم مستهدفين لسهام بقايا الاتراك والكلدانيين والاكراد يلتمسون الخلاص وليس من معين

❊ فلسطين ❊ قد شرحنا في مقالتنا عن الصهيونيّين (المشرق ١٨ [ ١٩٢٠ ] : ٧٦٨-٧٧٨) ما دهم اهلها من البلاء بحلول اليهود المهاجرين اليها ليستوطنوها. وقد كادت فرنسة تفقد فيها حقوقها القديمة من حماية الاراضي المقدّسة. فاحتجَّ كثيرون على ابتخاس هذه الحقوق من جملتهم ٨٠٠،٠٠٠ امرأة فرنسويَّة قدَّمنَ احتجاجهنَّ ممضى باسمائهنَّ الى مقام رئيس الجمهوريَّة. والذي انعش آمال الكاثوليك في فلسطين مجيء الكردينال دوبوا الى القدس وزيارتهُ لكل مشروعات المرسلين فاخذهُ العجب من ازدهارها رغمًا عن آفات الحرب. وقد وضع هناك نيافتهُ الحجر الاوَّل لكنيسة كبرى يشيّدونها اليوم اكرامًا لقلب يسوع ستقام في جبل الزيتون في مكان كنيسة قديمة بنتها القديسة هيلانة امّ قسطنطين في نفس المحل الذي كان السيد المسيح يرشد تلامذتهُ. ولغبطة البطريرك اللاتيني الجديد السيّد برباسينا مآثر يوميَّة في خير رعاياهُ وتثبيتهم في الايمان بازاء الحملة الصهيونيَّة

﴿ بلاد الشام وقيليقية ﴾ قد فقدت الرسالة الفرنسيسيَّة في الاضطرابات التي حصلت في اوائل السنة المنصرمة في شمالي سوريَّة وفي قيليقية سبعة من اعزّ ابنائها ذهبوا شهداء غيرتهم ومحبَّتهم نحو القريب قُتلوا قتلًا شنيعاً في شهري كانون الثاني وشباط فاضافوا الى تاريخ رهبانيَّتهم صفحة جديدة من المجد

وكان نيافة الكردينال دوبوا محتلًّا في تلك الاثناء في ربوعنا يشاهد ما للكثلكة في سوريا عموماً وفي لبنان وبيروت خصوصاً من الآثار المجيدة في سائر اعمال الصلاح من مشروعات خيريَّة ومستشفيات ومآوى ومكاتب ومدارس عليا ووسطى وبدائيَّة قضى بمشاهدتها العجب

وقد سُررنا في بحر هذه السنة بما شاهدناهُ من النهضة الدينيَّة في مدن سوريَّة وقراها. فتبارى الاكليروس العالميّ والقانوني الشرقي والغربيّ في تعزيز الدين بالرياضات والمواعظ والحفلات الدينيَّة والشركات الخيريَّة وتكريس الابرشيَّات لقلب يسوع وتنصيبهِ في بيوت الخاصَّة واكرام القديسة جان درك وتذكار الموتى وربَّما كان يحضر هذه الحفلات رؤساء الحكومة الفرنسويَّة فيزيدونها بحضورهم رونقاً

وقد اقام غبطة السيّد البطريرك ديمتريوس القاضي اساقفةً للابرشيَّات المترمِّلة. وساعد سيادة المطران نيقولاوس القاضي رئيس اساقفة حوران الحكومة الفرنسويَّة في اخماد الفتن بين الدروز في حوران فربح شكرهم وشكر الدولة الفرنسويَّة

وكان غبطة البطريرك الماروني مار الياس الحويّك في مقدَّمة الساعين في خير لبنان الماديّ والادبيّ والدينيّ وقد وفَّقهُ الله في تحقيق امانيهِ. وجاء منشورهُ الاخير في كانون الاوَّل آيةً في الحكمة والتقى اعدَّ ابناء طائفتهِ وعموم اللبنانيين الى تكريس جبلهم المحبوب لقلب يسوع الاقدس في الاحد الواقع بعد عيد القربان الاقدس وهو يدعوهم الى الاكتتاب لاقامة اثرٍ يبقى شاهداً على عواطفهم. وقد حذَّرهم من شرور المدارس العلمانية المعادية للدين تحت ستر الحياد المزعوم

فلا شكّ انَّ هذا النظر العموميّ في احوال الكنيسة في العام المنصرم مع كونهِ نقطةً من بحر وبرضاً من عدّ يشهد انَّ الدين لا يزال قوام العالم وركنهُ الامكن وانَّ دونهُ الخراب والدمار

# انشاء مكتبة كاثوليكية

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعيّ

على شاطئ البحر على مقربة من مدينة هستِنكس (Hastings) الواقعة في جنوبيّ بوغاز المَنش الفاصل بين فرنسة وانكلترة بلدة صغيرة تُدعى بِكسْهل (Bexhill) . وقد اصبحت منذ سنة ١٩١٧ اشهر من نار على علَم في كل انحاء انكلترة بمكتبتها الكاثوليكيَّة التي تُقرض آلافاً من كتبها مجّاناً ليس للانكليز فقط بل ولغيرهم من سكان كل بلاد المعمور. قد انشأها اميركيّ من الولايات المتَّحدة وهو مع كونه علمانيًا يجاري اقدس الكهنة في غيرته على خلاص الانفس ولاسيَّما في انكلترة حيث لا يزال أُلوف الالوف من الناس هائمين في ظلمات الجهل الديني محرومين من انوار الايمان وتعزياته الملطّفة لكل بلايا الحياة . ولهذا الكاثوليكي الاميركي بدرجة فائقة ما لمواطنيه من بُعد الفكرة وسموّ الهمَّة وقريحة الاستنباط والادارة والتنظيم. فاستخدم كل تلك السجايا في سبيل اجتذاب الانفس الى ربّها والى كنيسة سيّدهِ المسيح بنشر الاف من الكتب الجيّدة في كل اصقاع انكلترة بل العالم. وقد بارك الله على مشروعه وأنماه في ظرف خمس سنوات انماء يقضي منه العجب كلُّ من تقصَّاه. فهلمّ بنا نتتبع المشروع من اوائله الى ما صار اليه الآن من عظم الشأن (١

## ١ تاريخ انشاء المكتبة

لحظ منشئ هذه المكتبة اذ كان في سنة ١٩١٢ قاطناً في بكسهل ان كثيراً من البروتستان كانوا غير راضين عن شِيَعهم مستطلعين للكثلكة متهافتين الى مواردها تهافت العطاش الى ينبوع الماء الزلال . ولكن لسوء الحظ لم يكن لهم اصدقاء كاثوليك يقتبسون منهم بعض المعلومات عن الكنيسة الكاثوليكية ولم

١) مؤسس المكتب شديد الحرص على اخفاء اسمه هرباً من المجد الباطل. فللّه درّه من مسيحي متواضع يعمل بقول السيد المسيح القائل لفاعل الخير: فلتجهل شمالك ما صنعتهُ يمينك

يتجاسروا على استماحتها من بعض الكهنة الكاثوليك . فتأسف منشئ المكتبة على سوء حالهم وبحث بذهنهِ الوقّاد عن وسيلة قريبة المنال تدني اولئك المتعطّشين الى الحقيقة من ضالّتهم المنشودة. فلاح لهُ انهُ ليس واسطة افضل من ان تُعرَض بعض الكتب الكاثوليكية على رفّ عند مدخل كنيسة بِكسهل الرعائية فيتيسَّر لكل منهم ان يأخذ منها ما يستحسنهُ بدون ان يراه احد فيعيد الكتاب الى محلّهِ بعد استخدامه

معلومٌ لدى الخاصّة والعامّة ان الاميركيين لا يتأخرون عن اخراج افكارهم الناضجة الى حيز الوجود. وعلى ذلك جرى منشئ المكتبة. وضع ٢٥ كتاباً على رفّ اقامهُ عند باب الكنيسة فكان ذاك بمثابة الحجر الاول للصَرح الشامخ المنيع الذي بناه فيما بعد للشر الكثلكة في انكلترة التي احبَّها حُبَّهُ لوطنهِ . ابتدأ كما قلنا بخمسة وعشرين كتاباً لا غير. امَّا اليوم فيبلغ عدد كتب مكتبتهِ ١٨٠٠٠ كما تلقَّينا ذلك من فيهِ ! والعجب العجاب ان ذلك النمو الغريب تمّ في اقل من ثماني سنوات من السنة ١٩١٢ الى ١٩٢٠ . ودونك وصف الاطوار التي قطعتها تلك حبّة الخردل لتصبح كما هي اليوم شجرة باسقة طائرة الصيت في كل انحاء انكلترة وغيرها من الاقطار

انتبه صاحبُ هذا المشروع المبرور ان بعض الاشقياء يسرقون الكتب الموضوعة عند مدخل الكنيسة فنقلها من هناك الى دارهِ واعلن للجمهور ان من اراد قراءتها فعليهِ استقراضها من صاحبها رأساً. وكان ذلك في اواخر سنة ١٩١٥. فطفق الراغبون في الكتب الدينيَّة يقصدون دارهُ لطلبها بيد ان عددهم القليل لم يكن ليُرضي ذاك الرسول المضطرم الغيرة على خلاص الانفس . ولكن ما الحيلة مع قلّة ذات اليد ؟ انمّا المولى لا يخذل عبيدهُ النشطاء ولا يحرمهم من الوسائط الفعّالة لادراك الغاية التي يلهمهم بها خيراً

تُوفّي في تلك الاثناء احد اقرباء بطلنا واوصى له قبل وفاتهِ بمبلغ يُذكَر الّا انّهُ لم يجدهُ وافياً بما تاقت اليه روحهُ الشريفة من المشاريع الكبيرة . فلجأ حينئذٍ الى كرم ذوي الاريحيّة فأطلعهم على كافّة التفاصيل اللازمة لتحقيق ما نواه من انشاء مكتبة كاثوليكية مُجهَّزة بآلاف من الكتب الجيدة ولاسيَّما الدينية ليُقرضها الى اي شخص او نادٍ او جمعيَّة كانت بدون أُجرة . فتواردت اليه الحَسَنات من

كل جهات انكلترة . وفي شهر تموز سنة ١٩١٧ امتلك ارضاً وابتنى فيها بمدَّة خمسة اشهر لا غير بالرغم عن المصاعب الناجمة عن الحرب بناية المكتبة الحالية . وهي على صغرها آية من حسن الذوق والترتيب الشامل لكل اجزائها ومحتوياتها واشغالها . ففي غرَّة سنة ١٩١٨ كانت العمارة قد كملت وكانت المكتبة تحتوي على نحو ٣،٥٠٠ كتاب . ومن ذلك العهد حتى الآن ما زال صاحب المشروع يجمع الاعانات الماليَّة ويشتري بها كل عام بضعة آلاف من الكتب النفيسة الى ان بلَّغ عدد مجموعها الحالي الى ثمانية عشر الفاً

## ٢ وصف مآثر المكتبة

في المكتبة ردهةٌ للقراءة مفتوحة طول السنة للجمهور من الساعة الثامنة صباحاً الى مثلها مساء . ومعدَّل زوَّارها في اليوم نحو خمسين في الوقت الحاضر . وبها يجدون اهمّ الجرائد والمجلَّات ولا سيما الكاثوليكيَّة فضلًا عن آلاف من الكتب التي هي طوع اشارتهم . على انَّ هؤلاء عددٌ يسير من زُبن المكتبة فان معظم شغلها عبارة عن إرسال الكتب بالبريد الى كل انحاء انكلترة والاقطار الاجنبيَّة . ولتسهيل وتعجيل الارسال فُتح في نفس بناية المكتبة شُعبةٌ للبريد فاليها تَرِد كل يوم طلبات الكتب بالعشرات فتُبعَث اضابيرُ المولفات الى طالبيها في ظرف بضع دقائق اي الوقت اللازم لحزم الكتب حزماً مُتقناً ان كانت مُرسلة الى جهات انكلترة او تنسيقها في عُلَب من الكرتون الكثيف صيانةً لها ان كانت وجهتُها الى الاقطار الاجنبيَّة

قد بلغ هذه السنة عدد المقترضين بواسطة البريد نحو ١،٧٠٠ منهم نحو ١،٥٠٠ في انكلترة و ٢٠٠ في الخارج . ولمَّا زرنا المكتبة وجدنا عدد الكتب المعارة نحو ١١،٠٠٠ كتاب فلم يبق سوى نحو ٧،٠٠٠ على رفوف المكتبة . امَّا البلاد الاجنبية التي طلب اهلها استعارة الكتب فهي متعدِّدة منبثَّة في كلّ انحاء المعمور منها فرنسة وايطالية واسبانية والبرتغال واليونان وتركية وافريقية وروديسية ومدغسكر ومصر — والهند والصين — وكندا وجزيرة كوبا وزيلندة الجديدة الخ

وليس كل المقترضين افراداً فان المكتبة ترسل كتبها لكثير من الاديار والاخويَّات والمستشفيات والجمعيَّات المختلفة ونوادي القراءة . وكلٌّ من هاتيك

المعاهد يعير الكتب مَنْ شاء من اهلهِ او من المعارف . وعلى هذا المنوال يصبح كلّ من المعاهد كشُعبة لمكتبة بكسهل بنشاطهِ في نشر الكتب الجيّدة ولاسيّما الدينية الكاثوليكية . وليس ذلك مختصاً بانكلترة وحدها بل نراه في البلاد الاجنبية التي فيها الآن اربعون نادياً او مكتبة تستجلب كلَّ كتبها او بعضها من بكسهل . ومن هذه المعاهد ما أُقيم في البلاد القاصية كالصين والهند وكندا وزيلندة الجديدة . واذا أرسلت الكتب الى نادٍ او جمعية ما فان صاحب المكتبة يأذن بحفظها مدة اشهر طويلة بل سنتين او ثلاث سنين اذا أُرسلت الى الخارج اذ ليس جلّ همّهِ ان يستعيد الكتب بوقت قريب بل ان يفيد طالبيها ما امكن

هذا ثمَّ انَّ الكتب تُعار مجاناً مهما كان عددها البالغ في بعض الاحيان من مائة الى اربعمائة عند ارسالها الى الجمعيات او النوادي او المكاتب . ولا يُطلب من المستعير سوى ان يدفع سَلَفاً نفقة البريد ذهاباً واياباً . وهي في الوقت الحاضر خمسة شلينات لمصر وسبعة وثُلث لسوريَّة عن كلّ حزمة كتبٍ يبلغ وزنها نحو ٥ كيلوغرامات . واذا حصل الطالبون على قائمة المكتبة يقترح عليهم ان يعدّدوا عناوين الكتب المرغوبة ليرسل اليهم منها الحاضر اذ يتَّفق انَّ كثيراً منها قد استعارهُ غيرهم قبلهم . وينبغي ان تكون كل المراسلات تحت العنوان الآتي : الى صاحب المكتبة في بكسهل (انكلترة) (١ . دون ذكر اسم خاصّ لأن صاحبها كما اسلفنا شديد الرغبة في اخفاء ذاته هرباً من المديح الباطل . ويُلتمس من القارئين ألَّا يحفظوا الكتب ولو يوماً واحداً بدون جدوى وان يعيدوها بدون إرجاء لكي تفيد غيرهم فتفي بالمراد

كل محتويات المكتبة تُقرَض بالشروط المذكورة لأيّ شخص كان والى اَجل غير محدود ولا يُستثنى من هذا الحكم سوى الجرائد والمجلَّات التي لا تُعار بتاتاً امَّا الكتب اللاهوتيَّة وبعض المؤلفات العلمية فانها لا تُقرض لسوى الكهنة والعلماء ومن شاكلهم . وما عدا ذلك فلا يجوز لمن يستقرض كُتباً عديدة ان يطلبها كلّها من نوع الروايات الخياليّة ومثلها لئلا يفوت الغرض المقصود من انشاء المكتبة وهو نشر

١) هذا هو العنوان بالانكليزيَّة The librarian-Bexhill on Sea (England)

الكثلكة في انكلترة وغيرها خصوصاً بين البروتستان. وقد سارت اشغال المكتبة بحسن النظام وكامل النجاح وانّما يُعزى إقبالها الى حكمة المؤسس الذي سنّ قوانينها ولا يزال ساهرًا على حفظها بإزاء الف وسبعمائة مقترض. ومن عجيب امره انّه رغماً عن كثرة المؤلفات التي يعيرها منذ نحو خمس سنوات — وهي تبلغ في هذا العام عدد ١٠٥ يومياً — لم يُضعْ منها شيئاً يُذكر. وذلك اجلى شاهد على حسن تدبيره وعلى امانة قرّائه

وانّه لجديرٌ بهذا النجاح الباهر الذي كلّلت به العناية الالهية مشروعهُ الجليل. فهو لم يكتفِ ببذل امواله وحسنات المحسنين في سبيل نشر الدين القويم. بل اراد بذل نفسه واعزّ الانفس لديه لتلك الغاية الشريفة. فتراه من الصباح الى المساء مشتغلًا في مكتبتهِ مع زوجتهِ وابنتهِ وفتاة من صديقاتهِ. ولم تكن تلك النساء اعتدْنَ مثل ذلك الشغل المجهد قبل تأسيس المكتبة. فما اعظم شهامة تلك العائلة التقيّة التي وقفت نفسها لاجتذاب الانفس الضالّة الى محجّة الدين الكاثوليكي! فيا ليتهُ وُجد في كل مُدن العالم عائلتان او ثلاث عيال مثلها لانتشار الصلاح مع الحق في كل الاصقاع! تأمل في الجدول التالي تنذهل من سرعة ترقّي المكتبة ولاسيّما من عظم الخير الذي صنعه مديروها الكرماء:

| السنة | عدد الكتب المُقرضة | مُعدَّل عدد الكتب المُقرضة يومياً |
|---|---|---|
| ١٩١٦ | ١,٤٨٨ | ١١,٤٤ |
| ١٩١٧ | ١٠,٢١٧ | ٣٣,٢٧ |
| ١٩١٨ | ١٨,٥٥٤ | ٦٠,٤٣ |
| ١٩١٩ | ٢٤,٢١٣ | ٧٨,٨٦ |
| ١٩٢٠ (حتى شهر ت ٢) | ٤٠,٠٠٠ | ١٠٥,٨٤ |

## ٣ محتويات المكتبة وخدمها

في المكتبة حاضرًا كما سبقت الاشارة نحو ١٨،٠٠٠ كتاب. منها نحو ١١،٠٠٠ بين ايدي القرّاء. لكنها لا تحتوي على اكثر من نحو ٣،٠٠٠ تأليف، فان المؤسس لا يشتري عادةً اقلّ من اثنتي عشرة نسخة من الكتب النفيسة، بل قد اكّد لي ان عنده مائة نسخة من بعض التآليف الجليلة الفائدة. وليست غايته الاوّلية من ذلك

اقتصاد النفقات بالاشتراء الاجمالي بل خدمةً للقرَّاء دون تأجيل الانتظار لكتابٍ غائب عن المكتبة وهي لا تحتوي على اكثر من نسخة واحدة منهُ

وجدول كتب المكتبة يشهد خير شهادة على ما انطوت عليه من الكنوز الدينية والعلمية والادبية فانهُ يكاد لا يُوجد نوعٌ منها الَّا استحضر البعض منهُ . نجتزئ بذكر اخصّ المواد : اللاهوت . الليتورجيَّة . العلوم الكتابيَّة . كتب الدفاع عن الكثلكة . الكتب الباحثة عن الدين الكاثوليكي والرهبنات الكاثوليكية ثم عن الاديان الأُخَر — النقد — الاقتصاد السياسي — الفلسفة — العلوم الطبيعية والاجتماعية — التاريخ — الادبيات بكل انواعها من روايات خياليّة ودواوين شعرية وقصص اسفار وغيرها . ومن اغزر واجمل الكتب التاريخيَّة سير القديسين وعظماء الكاثوليك ولاسيَّما المتأخرين منهم فهي تُعَدّ بالمئات

بين يدينا ذلك الجدول المطبوع اخيرًا وهو آية بحسن التنسيق فيه قائمة لعناوين الكتب على ترتيب حروف المعجم ثم قائمةٌ اخرى لاسماء المكتبة مرتَّبةً كذلك . فيسهل على الباحث ان يجد مطلوبه بدون عناء . واذ لا تزال المكتبة تغتني اغتناء متواصلًا بالمؤلفات الجديدة فيُطبع كلّ ثلاثة اشهر مُلحق لما استُحضر منها في تلك المدة . فللجدول المُعاد طبعه بشهر ايلول من العام الجاري اربعة ملحقات وثمنه ثلاثة شلينات ونصف مع اجرة البريد

ولا يسعنا تعداد الخدم المتنوّعة الجليلة التي تؤديها المكتبة منذ اربعة اعوام ونيّف . فكم من الكهنة والرهبان والمصنّفين والصحافيين وطلبة المدارس العليا وغيرهم من الكاثوليك استقوا من مواردها العذبة فزادوا علماً بآيات دينهم الالهي وتعلّقاً بكنيسة المسيح وغيرة على اجتذاب المنفصلين من مواطنيهم اليها . ولولا المكتبة التي تعيرهم المئات من الكتب مجّانا لتعذّر على سوادهم اقتناء تلك المؤلفات النفيسة التي زادت اثمانها بعد الحرب الكونية زيادةً فاحشة الى حدّ ان كثيرًا منها لا تُباع نسخته باقلّ من عشر شلينات اعني نحو عشرين فرنكًا . واذا امعنّا النظر في ندورة المكاتب الكاثوليكية الكبرى في انكلترة ثم الى مسيس حاجة الصحافيين والكتّاب الكاثوليك الانكليز الى عدد كبير من المؤلفات الكاثوليكية ليستعينوا بها على

المناضلة عن دينهم في وجه اعدائه الالدَّاء قدَّرنا خدمة مكتبة بكسهل لديننا الشريف حقّ قدرها

## ٤ مكتبة بكسهل والبروتستانت

هذه بعض منافعها العظيمة للكاثوليك وليست دون ذلك للبروتستان وغيرهم فانهم يتهافتون على الكتب الدينية الكاثوليكية تهافت الجياع على القصاع ، وذلك ليس فقط من كل انحاء بريطانية العظمى بل من كل انحاء المعمور . وكفى شاهداً على ذلك مئات من الرسائل تَرِد كلَّ اسبوع الى صاحب المكتبة يطلب فيها البروتستان او المهتدون حديثاً منهم بعض الكتب الكاثوليكية المناسبة لحالة نفوسهم . وهاك بعض الامثلة الغريبة المؤثرة : التمست احدى المهتديات الى الدين القويم من صاحب المكتبة مؤلفًا يحلّ المشاكل الخصوصيَّة المبعدة لزوجها عن الكثلكة – مهتديةٌ أُخرى عائدةٌ الى الاوطان بعد ارتدادها طلبت منه كتاباً يبحث عن تداول سلطة الرسل منهم الى البابوات وذلك لاجتذاب ابيها الخادم الانكليكاني الى الدين القويم– امرأةٌ اخرى ليست كاثوليكية ولكنها قلقة في البروتستانيَّة التمست كتاباً يُرشدها الى الحق– ثلاثة مهتدين فقدوا بسبب اهتدائهم كل خُلَّانهم البروتستان ولا انيس لهم سوى الكتب غير انهم لا يجدون في محلّ إقامتهم كتباً كاثوليكية فهم يستمدونها من صاحبْ المكتبة – سيّدةٌ بروتستانية كتبت له انه وُجد بين امتعة ابنها المقتول في الحرب جدول كتب بكسهل . قالت انه كان ذا نفس ابيَّة تائقة الى المعالي منذ نعومة اظفاره وانه قليلًا قبل موتهِ ارتدّ الى الكثلكة بل عزم على الانتظام في سلك الاكليروس لخدمة ابناء جنسه . ثم ترجَّت صاحب المكتبة ان يتفضّل باطلاعها على بعض الكتب النفيسة التي ابلغت ابنها الحبيب الى اوج الفضيلة والكمال . ولولا ضيق المقام لأطلنا تعداد تلك الطلبات الصادرة من البروتستان او المهتدين الاحاديث منهم . وهي كلّها لسان واحد في التنويه بجليل الخدم التي قدَّمتها المكتبة لمئات من اولئك الاشخاص الهائمين في بيداء الضلال المحرومين من خيرات الكنيسة الكاثوليكية

## ٥ الوسائل لانماء المكتبة

أَجل ان العوارف التي افاضهــا منشئ مكتبة بكسهل على كاثوليك بلاده وعموم البروتستان لا يُحصيها سوى الاله الرقيب لكل حركات خلقه وسكناتهم . ولو كان ثمنها بذل الذات فقط لبَاتَ صاحب المكتبة في غنى عن الوســائل الماليَّة . ولكن هيهات ان يسير مشروع كهذا على قدم وساق بدون بذل الاصفر الرنَّان ! والحق يقال ان صاحبه يتذرَّع قبل كل شيء وعلى الدوام بالوسائل الروحية التي تستنزل عليه بركات السماء . فهو لا يزال يُصعد الى مولاه الصلوات والزفرات الحارَّة طلباً لمعونته القديرة . وفي مكتبة صورة سيدة الكرمل التي وُضع في عيدهــا سنة ١٩١٧ الحجر الاول لعمارة المكتبة . وامام صورتها مصباح لا يُطفأ نهارًا وليلًا . ثم انهُ يدفع حسنة قدَّاس يُقام اسبوعيــاً على نيَّة كل المحسنين الى المكتبة الاحياء والاموات سواء تبرَّعوا بمالهم او عرَّفوا المكتبة واعاروا كتبها اصدقاءهم او خدموها خدمةً ادبيَّة . وقد استجابت صلواتهِ غير مرَّة العذراء المجيدة فمن ذلك انه احتاج في العام المنصرم الى مبلغ الف ليرة انكليزيَّة ، فاستعطاها من ذوي الاريحيَّة بواسطة الجرائد والمجلَّات وباشر تسعويَّة لسيّدة الكرمل بغاية الحرارة والثقة البنوية . فما عتَّم ان نال فوق ما تمنّاه

على انهُ لم يكتفِ بهذه الوسائل الروحيَّة مع اختبــاره لعظم مفعولها بل تذرَّع ايضــاً بالذرائع الزمنيَّة لدفع نفقات هذا المشروع الطائلة كثمن استئجار خزائن المكتبة واجرة المستخدمين والتنوير والتدفئة مدَّة الشتاء الطويل وترميم الكتب عند اللزوم والمراسلات والاعلانات بقصد تعريف المكتبة وما شاكل ذلك يبلغ مجملها في الوقت الحاضر ثلاثة شلينات عن كل كتاب سائر من يد الى يد اعني ١٦٥٠ ليرة انكليزية لكل المكتبة . زد على ذلك قيمة مئات من الكتب الجديدة التي لا يزال المؤسس يغني بها معهده وهو يدفع عنها الآن أضعاف اثمانها قبل الحرب . فهو في حاجة الى ٢٠٠٠ جنيه ونيّف ليقوم بنفقات السنة الجارية وسوف تزداد حــاجته مع ترقّي المكتبة المتواصل . وأسطع دليل على رضى الله عزَّ وجلَّ عن ذلــك المشروع المبرور وعن صاحبه انهُ امكنهُ ان يسدّد كل ديونهِ حتى الآن والحسنات تتوارد اليه بوفرة

خصوصاً من جهات انكلترة واسكتلندة بصفة حسنات جزئية او تبرّعات حاتمية او بصفة هدايا كتب نادرة ومفيدة

## ٦ استحسان العموم لهذا المشروع

وقد تواردت الى منشئ المكتبة الرسائل العديدة من امراء الكنيسة وعظام الكاثوليك الانكليز ومن البروتستان انفسهم وهم يثنون على عمله وينشطون همّته وفي مقدّمتهم رأس الكنيسة المنظور وخليفة السيد المسيح على الارض قداسة البابا بنديكتس الخامس عشر . فانهُ بارك على المشروع عند نشأته في ١٣ كانون الاول سنة ١٩١٤ . ثم تنازل وكتب للمؤسس بتاريخ ١٥ نيسان من السنة الماضية رسالة طافحة بالتهانئ قال فيها ما حرفه :

في الوقت الحاضر حيث نرى كثرة الاضاليل تدسّ في اذهان العامّة سمّها الزعاف يقتضي خلاص البشر ان تحوز التعاليم القويمة اوسع انتشار . لذلك سمعنا بمزيد الفرح من نيافة الكردينال غكسكواي ان ابننا المحبوب (فلان) اسس مؤخراً في بكسهل مكتبةً لإقراض الكتب الجيدة مجاناً وانها رقيت من اوائلها الوضيعة الى اوج النجاح والتقدم في زمن يسير . فنهنئ مؤسس هذا المشروع المبرور للغاية خير التهنئة ونوصي بمعهده كلّ ذوي الصلاح — واشعارًا برضانا نمنح بكامل المحبة ليس فقط للمؤسس وللقرّاء بل ولكل من يؤازرون المكتبة على ايّ منوال كان بركتنا الرسولية

وممّا كتبه في اواخر سنة ١٩١٩ الكردينال بُرن رئيس اساقفة وِستمنستر وجاثليق انكلترة بعد زيارته للمكتبة يهنئ صاحبها :

« سُررت كثيرًا من زيارة معهدك . انك تعمل عملًا عظيمًا وخطيرًا لنشر الحقائق الدينية . فاتوسّل الى الله ان يبارك كاتك ومشروعك ولي الرجاء انه لن يحرمك من المدد الذي انت في حاجة ماسّة اليهِ لترسخ ما بنيتَهُ ببذل ذاتك وبأكبر الضحايا »

وكتب المستر بريتن كاتم اسرار شركة الحقيقة الكاثوليكية ( Catholic Truth Society ) لصاحب المكتبة :

« لم تزل شركتنا ومعهدك مرتبطتين بصلات الوداد فانّ الواحد يُكمل عمل الآخر . جُلّ همّتنا متّجه الى نشر الكثلكة بواسطة كراريس كثيرة المعنى قليلة الصحائف . اما انت فقد آثرت نشرها بالمؤلفات الطويلة النفيسة معنًى ومبنًى »

والصحافة الكاثوليكية الانكليزية لسان واحد في إطرائها لمكتبة بكسهل . والزوّار وبينهم اساقفة كثيرون يتقاطرون اليها يوميًا حتى من البلاد الاجنبية . فقد زارها من القاهرة في ١١ آب المنصرم المحامي ألبر افندي مارون وقرينته وقيّدا اسمهما في سجلّ الزائرين

كل تلك التقاريظ والتشجيعات تنشّط دون مراء همّة مؤسس مكتبة بكسهل فهو لا يزال يُعمل فكرته الوقّادة في سبيل توسيع نطاق مشروعه . ونيّته الحاضرة ان يبني طابقاً جديدًا فوق البناية الحاليّة ليستودع فيه خمسة وعشرين الف كتاب يقصد اقتناءها في السنين المُقبلة ثم يريد امتلاك عمارة المكتبة مع دار بريدها ، ولكل ذلك يلزمه نحو ٥٠٠٠ ليرة انكليزية . ولا تقف مُناهُ العظيمة عند ذلك الحدّ بل له ثلاث رغائب شريفة كبيرة لا يريد بها سوى نشر الدين القويم والمناضلة عن حقوقهِ في بريطانية العظمى . الاولى ان يؤسس شُعْبةً لمكتبتهِ في جوار كاتدرائية لندن الكاثوليكية فيسهّل على آلاف من كاثوليك العاصمة ولاسيّما كهنتها ورهبانها وصحافيّيها وكُتّابها استخدام كنوز تلك الشعبة . الثانية تأسيس مكتب استعلامات كاثوليكي يجمع ويُرتّب كل الاخبار والمعلومات المتعلّقة بالكنيسة الكاثوليكية ومشاريعها ورجالها واعمالها الخ فيكون اقوى حليف للمكتبة وخصوصاً للصحافيين الكاثوليك في الدفاع عن الكثلكة ضدّ مناوئيها ولاسيّما البروتستان فيُضحي ملاذًا اميناً للباحثين عن الدين الحقيقي والمهتدين اليه حديثاً فينير الاولين ويُثبِّت الآخرين . الثالثة هي توطيد علائق وثيقة عملية بين مكتبة بكسهل وغيرها من المكاتب الانكليزية الكاثوليكية فيتضاعف نفوذ كلٍّ من هذه المعاهد بجمع قواها وتوحيد مساعيها على قدر الامكان

تلك مطامع نفس مؤسس مكتبة بكسهل مطامع نفس عالية ابيَّة مضطرمة غيرةً على خلاص الانفس المفتداة بالدم الالهي . هل تتحقق ومتى؟ ذلك سرُّ عالم الغيوب ، على انَّ في همّة البطل الكاثوليكي واقتداره العجيب على التأسيس والادارة ما يُنعش آمالنا في خروج مناه الى حيّز الوجود . ومهما يكن المستقبل فان حال الموت او غيره من الموانع التي لا سبيل الى الظفر بها دون انجاز تلك المشاريع الكاثوليكية الكبرى ، فحسب مؤسس مكتبة بكسهل فخرًا انهُ ابتكر في جيل يعبد عجل الذهب

عملًا جليلًا آئلًا الى مجد الله وخلاص الانفس الابدي وانّه وقف حياته وحياة ذويه على ذلك العمل المبرور فرفع به شبه منارة سامية تبثّ انوار الايمان الساطعة في كل انحاء انكلترة بل في كل اصقاع المعمور

# إكرام كاتبة مسلمة للقديسة جان درك

## ترجمة جان درك للسيّدة زينب فوّاز

انّنا بنسبة الاعياد التي أُقيمت في كليّتنا لإكرام القديسة جان درك استحسنّا نشر هذه الترجمة التي وضعتها احدى الكاتبات البارعات من السيّدات المسلمات وهي زينب فوّاز فأدرجتها في كتابها المعنون بالدرّ المنثور في تراجم ربّات الخدور الذي طُبع منذ نحو ثلثين سنة في القاهرة وقد وجدنا في هذه الترجمة ما يشهد لمؤلّفتها بحسن الذوق والاعتدال في الحكم مع رشاقة الاسلوب وسلاسة العبارة. والكاتبة الاديبة من سيّدات القطرين السوري والمصري فانها سوريّة مولدًا وموطنًا ومصريّة منشئًا وسكنًا فلكلا الوطنين حقٌّ بان ينظمها في جملة اديباته المعدودات. ونحن نروي كلامها بحرفهِ مع الاشارة الى ما وقع فيهِ من السهو او العبارات غير السديدة

### اصل جان درك ودعوتها الى خلاص وطنها

جان درك وتسمّى لابوسل ١) وتُعرف بالسيّدة اوريان ٢) هي فتاة فرنساويّة كانت نقيّة البشرة مهفهفة القوام دعجاء العينين ذات شعر فاحم مسترسل على كتفيها يلوح على محيّاها الصبيح سيماء الحياء واللطف والدّعة وتبدو من مخايلها أمارات مضاء العزيمة وبُعد الهمّة وثبات الجأش. فطالما امتطت الفرس فسابقت عليه وهو غير مُسرَج ولا مشكوم جرأةً وفروسيةً (٣ . وكانت ذات كلام بالغ بين الرُشد وافعالٍ دائرة على مِحور الاستقامة والصلاح . ولدت في دومرمي من مقاطعة لورس (٤ سنة

١) من الفرنسويّة (la Pucelle) ٢) تريد سيّدة او عذراء اورليان la Pucelle (d'Orléans ٣) لم تمتطِ جوادًا قبل سيرها الى الحرب ٤) تصحيف لورين (Lorraine)

١٤١١ للميلاد من راعٍ يدعى جان (١ وكان قد ربَّاهُ الفقر وهذَّبهُ الدين فنشأت كثيرة الهواجس الدينيَّة (٢

ولمَّا بلغت الخمس سنوات اخذت ترى في هجعتها (٣ رؤيا علويَّة زاعمة (٤ انَّ الملائكة والاولياء تتجلَّى عليها بمنظر نورانيّ. فلمَّا أَنس ابوها منها ذلك اراها من القسوة والعنف ما حداها الى الفرار والانطواء (والانضواء) الى ارملةٍ من ربَّات الفنادق (٥ فاقامت في خدمتها زمناً تبذل عندها من الاخلاص في السعي والاقدام في العمل والعفاف في المسلك ما تُذكَر بهِ فتُشكر

ثم عادت الى ابيها (٦ زمانَ اذ كانت فرنسا على شفا حفرة من النار والانكليز يذيقونها من حروبهم ضريع الويل الممزوج بالشنار. وكان قد مرَّ بقريتها فريقٌ من الاعداء فاكتسحوها واستاقوا امرالها فاقتسموها وتركوها خاويةً على عروشها يندبها لسان الخراب ويأوي الى أَطلالها البوم والغراب. فصدع فؤَادَها الشفَّاف (الشفَّاق او الشفوق) ذلُّ قومها وَبوارُهم وانكسارهم للعدوّ المفضي الى دمارهم فعاودتها الاحلام والرؤيا زعمت (٤ انَّها مأمورة بالإلهام بإنقاذهم وبلادهم من الهلكة والمعرَّة وانتشال قومها من هوَّة الحَيف والمضرَّة

## مسيرها الى الملك شرل السابع سنة ١٤٢٨

وبعد تردُّد وأَعمال روْية سارت الى شارل ملك فرنسا في شهر شباط سنة ١٤٢٩ ميلاديَّة وكان عليها ان تقطع مسافة ١٥٠ فرسخاً في اقطار مشحونة بدبَّابة الانكليز ومحفوفة بالمكاره والاهوال حتَّى تبلغ مدينة لوزين (؟) حيث يقيم الملك (٧ فتزيَّت بزيّ فارس (٨ وعلت جَوادها بعد ان تقلَّدت حساماً بتَّارًا واخترقت تلك المهامه حتَّى اذا

---

١) والصواب جاك اي يعقوب درك ٢) لم تكن تلك الهواجس اوهاماً بل عواطف تقويَّة شريفة ٣) بل في يقظتها حين بلغت الثالثة عشرة من عمرها ٤) ليس الزعم هنا بمعنى الظن بل بمعنى التاكيد ٥) والصحيح انَّها انتقلت مع والديها الى مدينة نوفشاتو لمَّا غزت قريتها عصابة من البورغنديين المشايعين للانكليز فخدمت هناك الارملة المذكورة ٦) والصواب انها عادت مع اهلها الى دومرمي بعد خروج البورغنديين منها ٧) كان الملك مقيماً في مدينة شينون ٨) فعلت ذلك بوحيٍ من رؤاها

اشرفت على مقرّ الملك بعثت تُنبئهُ بقدومها وتخبرهُ بأنّها ستكون منقذةً للعرش ورافعة الحصار عن اوليان (١ وأنّها ستمهّد سبيل تتويجهِ في رام (٢

فلمّا قدم عليهِ البشير بذلك النبأ ابتسم ذرياً ( زَرْياً ) من قلب مشحون من الغيظ. ثمّ استمرّ مع وزرائهِ في شأنها ثلاثة ايام فكان فريقٌ يسخر منها ويضحك عليها وفريقٌ يذود عنها ويرى إلقاء المقاليد اليها والملك بين ذلك من حزبٍ لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء حتّى اسفر الرأي عن لقائها. فلبس الملك ثياب احد اتباعهِ والبسهُ ثوبهُ الملكي اختبارًا لأمرها ثمّ اذن لها. فجاءت تخترق صفوف الحشم والحاشيةِ حتّى وقفت بإزائهِ فانحنت جاثيةً لديهِ قائلة لهُ بلسانٍ ذَرِب : حُيّيتَ وَحَييت ايها الملك الحليم. فقال لها: اخطأتِ فانّ الملك هو ذاك مشيرًا الى من ألبَسَهُ ثوبهُ. فقالت : « ما الملك الّا انت وما انت الّا الملك واني لمأمورة انا العذراء المسكينة من الروح الامين بشدّ أَزْرك والدأب لأسباب نَصْرك وما على الرسول الّا البلاغ » . فخلا بها الملك حيناً من الدهر ثمّ ناجى وزراءهُ فقال لهم : « قد احاطت لَعمرُ الله بما في سرائري وادركتْ ممّا لا يدركهُ بعد الله الّا ضمائري واني لا اشكُّ ان اكون من امرها على ثقة ولكن لا بأس من التأني ريثما تُمْتحَن» . ثمّ اتاها برهطٍ من مَهرة الاطبّاء واساطنة العلماء حاولوا ان يفقروها(؟) بمسائل مُشكِلات وغوامض حتّى اذا اعيتهم الحِيَل وعادوا بالخيبة والفشل عزّزها الملك بكتيبةٍ من خواصّ فرسانهِ

فبرزتْ امام الجيش شاكّة السلاح معتقلة بيدها رمحاً وبالأخرى رايةً واخذت تعدو على جوادها متفننة في انواع الفروسيَّة حتّى سحرت الناظرين فهتفوا ترحيباً بها واستحساناً لها وتعجُّباً منها ثمّ صارت بجيشها تنهب الارض هملجةً وخبَباً حتّى بلغت العسكر في اورليان . واذا بارواح القوم تكاد تبلغ التراقي والعدوّ محيط بالمدينة احاطة الهالة بالبدر واهلُها في شدّة من ضيق الخناق

فأمرت باديءَ بدأةٍ بتطهير العسكر من عواهر النساء وحضّت الرجال على الاستمساك بالتقوى والاعتصام بالرجاء ثمّ زحفت على البلد فاستولى الرعب على قلوب الانكليز وقالوا: « ما هذه بشرٌ إنْ هي الّا مَلَكٌ كريم (٣ »او ساحر اثيم . وكانت

١) اقرأ«اورليان»    ٢) اي مدينة ريمس

٣) من سورة يوسف : ع ٣١ وفي القرآن « بشرًا »

ترتدي بحلّة بيضاء وتركبُ جوادًا اشهب وتنشر فوقها رايةً بيضاء (١ فاذا بصر بها الانكليز وهي في هذا الهندام فرّوا من امامها كأَنهم حُمُرٌ مستنفرة فرَّتْ من قَسْوَرة.

وما برحت تصدق الحملة وتُتابعها وتبلي بالعدوّ البلاء الحسن وهي تتجرَّع من انحراف جيشها عنها وعدم انقياده لها انواع الغصص وضروب الإحن حتَّى استتبَّ لها الفوز فضعف الانكليز واستكانوا وضربت عليهم الذلَّة اينما ثقفوا فأُلجئوا الى الجَلاء على (عن) اورليان فكفُّوا عن حصارها في ١٨ ايَّار ١٤٢٩ وانهزموا لا يلوون على شيءٍ فسارت جان درك الى بلوا لتهنئ الملك بما اوتيَهُ على يدها من النصر. وكان القروِيُّون في تلك الاصقاع يتسابقون لمرآها ويتزاحمون على لثم أقدامها ولَمس ثراها.

فأكرم رجال البلاط وِفادتها ودعاها الملك الى وليمةٍ فأَبتْ قائلةً: « انَّ الوقت وقتُ جهد (جهاد) وثبات لا وقت قَصْف ولذَّات. وان الروح انبأَني انَّ الموت قد دنا فتدلَّى حتى صار على قاب قوسَينِ(٢ وانهُ لم يبق بيني وبينهُ اكثر من عامَينْ فاذهبْ بجقِّك الى رام (ريمس) حيثما اتوّجك بيدي وبعد ذلك يفعل الله ما يشاء »

وصارت امامهُ بفصيلةٍ من الجيش حتَّى اذا بلغت جارجوا اعترضها العدوّ فهاجمتهُ ورقت (رقيَت) سلَّماً نُصب لها على السور فرُميَتْ من اعلاهُ بما جندلها من الخندق فصُرعت لكنَّها افاقت بعد قليل وجعلت كقائد الجيش تستثير حميَّة العساكر بكلام ارقَّ من السحر وافعل في الرؤوس من نشوة الخمر وهي تعاني آلاماً مبرّحة. فدبَّت النخوة في صدور الرجال وحملوا حملةً صادقة اذاقت العدوّ الازرق بلاءً اسود وأَرَتْهُ من بريق النصل الابيض موتاً أحمر. فاستولت على البلد عنوةً بعد ان أُسرت

ولمَّا طار الخبر الى الامير تلبوت قائد الانكليز العام اخلى سائر المدن وكرَّ قافلاً الى باريس وما برحت جان درك آخذة في سيرها وكلَّما عثرت بشرذمة فتكت بها حتَّى بلغت مدينة رام (ريمس) وهناك تمَّ تتويج شارل في ١٧ تموز سنة ١٤٢٩ وكانت جان درك ممسكةً بسيفهِ وعليها اثواب الكُماة. وبعد انقضاء الحفلة جثتْ عند قدميهِ. وعانقتها باكرام باكيةً ثمَّ قالت: « اليوم اكملتُ لكم نصركم وانجزتُ كلَّ ما وعدتكم فأطلقوا سراحي فاعود الى ابي قريةَ العين حيث ارعى الماشية واغزل

١) رسمنا صورتها في المشرق ( ١٢ [ ١٩٠٩ ] : ٣٢٨ ) كان مرقوماً عليها اسما يسوع ومريم الكريمان ٢) من سورة النجم ع ٨-٩

الصوف جرياً على سُنَّة بيتٍ رَبَيتُ فيهِ ونشأتُ عليهِ»

فامتنع الملك قائلًا : « كيف أغادر مَنْ بها نجاةُ الامَّة واليها يرجع امر استتباب راحتها وعليها يتوقَّف استكمال سعادتها » . ذلك لأنَّ الناس كانوا قد ازدادوا بها اعتقادًا وعلَّقوا على بسالتها وإقدامها آمالًا طوالًا حتَّى كانوا يرون حول رايتها ارواحاً من الفَراش البرَّاق (١

فساءها امتناع الملك وعرَتها من تلك الساعة الكآبة والحزن وفارقها ذلك الرشد والنشاط وذهبت عنها تلك الحميَّة والبسالة وانقطعت عنها احلامها الروحانيَّة حتى اصبحت اعمالها رهينة الحيرة والفشل واقوالها قرينة الوهم والركاك وكانت تُرى ابدًا حائرة النفس دائمة البكاء (٢

ولَّما لم يُجدِها الإلحاح نفعاً استعادت من معبد رام (ريمس) سلاحها وبرزت ثانيةً في زيّ الابطال غير انَّ كبراء القادة وامراء الجيش كانوا قد أُشربوا بغضها واضمروا لها الحسد والضغينة فصاروا يشنعون عليها ويُسيئون معاملتها ويُغرون العساكر على نَبْذ طاعتها ويلقّبانها بالالقاب المستهجنة ويُتهمونها بهتك حجابها ويفضحونها امام العموم . . فكانت تردُّهم اقبح الردّ ولا تجالس الَّا حرائر النساء ومصونات الابكار ولا تنام الَّا مع امرأة تخفرها فلم يجد احدٌ فيها محلًّا للّوْم والقذف ومع انَّها جُرحت جراحاتٍ لم يثبت كونُها سفكت بيدها دمَ احدٍ

ثمَّ اشارت على الملك بالشخوص الى باريس ليستخلصها من يد الانكليز فساروا وجان درك سائرة في ركابهِ حتَّى اذا بلغها بعد شقّ النفس امرها بالهجوم على قويور سنت اوترى ٣) حيث يقيم الاعداء فأُثخنت في تلك الواقعة جراحاً وصُرعت عدَّة صرَعات . ولَّما استعادت رُشدها قامت فعلَّقت درعها وسألت الملك الانصراف فأبى ووعدها باعفاء قريتها من الضرائب ومنحها رتبة جليلة فعاودت الخدمة مرغمةً

١) رأى ذلك اهل مدينة تروا يوم اضطرَّتهم على فتح مدينتهم للملك شرل

٢) في هذا شيءٌ من المبالغة . فانَّ القديسة جان درك اذ لم تعُد تسمع الاصوات السماويَّة التي كانت ترشدها وكان الملك لا يدعها ان تعود الى عزلتها بقيت حيناً في حيرة وارتياب لكنَّها آثرت اخيرًا ان تضحّي حالها في خدمة وطنها فكان موتها داعياً لنصرة فرنسة تماماً

٣) هـذا تصحيف فوبور سنت اونوره ( Faubourg St.- Honoré )

وفي السنة ١٣٤٠ انتدبها الملك الى اجلاء الانكليز عن كوبيين ١) فسارت متدرّعة بالاقدام بيد انّها لمّا ارادت الايقاع بالحاضرين خذلها اتباعها فرُميت بسهم فصُرعت واستسلمت الى الامير فندوم (٢ وذلك في ٢٤ ايّار ١٤٣٠ فذاع خبر اسرها في تلك الاصقاع واقبل الناس لرؤيتها

ثمّ بويعت للانكليز وخذلها الملك شرل جاحدًا جميلها كافرًا نعمتها لؤماً منهُ وخسّةً اصل (٣ وخاض الناس في حديثها وكان اهل باريس يشدّون عليها النكير ويُغرون الانكليز على اتلافها (٤ فلبثت مسجونةً في قلعة جان دولكسنبرغ حتى أقيمت عليها الدعوى في ١٤ شاباط (شباط) سنة ١٤٣١ تحت رئاسة كوشون مترنه بوفه (٥ من صنائع هنري السادس عامل الانكليز فسيقت الى المحكمة ست عشرة مرّة ابدت في خلالها ثباتاً عجيباً ودفاعاً مُفحماً على انهم حكموا اخيرًا بأنها مبتدعة ساحرة وبأن تجازى بالحبس الابدي مقصورًا قوتها على الخبز والماء

ثمّ ارغموها على الحَلف بان لا ترتدي بعد ذلك بلباس الرجال ثمّ نصبوا لها شركاً بان بدلوا ثيابها ليلاً بثياب رجل فلمّا ارادت ترك فراشها لم تجد سوى تلك الثياب فلبستها مضطرّةً فهوجمت وسيقت الى الحاكم بهذا الزيّ فحكم بأنّها حانثة تستحقّ الإحراق فقالت بثبات وجلال : « انني استأنف حكمك الى عرش الحكيم العظيم (٦ »

ولكنّها لما أُخرجت الى حيث استوقدت النار خارت قواها فأنّت متأوّهةً وأا حمي الوطيس ولعلع لسان اللهيب فيه جعلت تدعو وتبتهل بلسان ابكى اعداءها (٧ وحيّر الكردينال بوفور فحوّل وجههُ عنها تألّماً والدموع تنحدر من مآقيهِ كالسواقي. وقد تمّ هذا المشهد الاثيم في ٢١ ايّار سنة ١٤٣٠ في ساحة تسمّى موضع البكر وذُرّي رمادها بالهواء فوق نهر السين

---

١) تريد كمبياين (Compiègne) ٢) كان الامير دي فندوم من حزب البرغنديين
٣) لم يجحد الملك جميلها لكنّهُ اظهر ضعفًا في الدفاع عنها وفكّ اسرها ٤) كانوا موالين للحزب البرغنديين ٥) اي مطران بوفه ( Cauchon év. de Beauvais )
٦) وطلبت ان يُرفع الحكم الى بابا رومية. الذي لمّا بلغهُ الامر بعد موتها زكّاها وبرّأ ساحتها ٧) كان ابتهالها الى السيد المسيح ربّها وقد طلبت ان يوضع صليبهُ المقدّس امامها فماتت صارخة: يا يسوع. يا يسوع. ولم تؤثر النار في قلبها

ثمَّ بعد عشرين عاماً نقض مطران باريس ومطران رام (ريمس) هذا الحكم واثبتا براءتها . وفي سنة ١٨٢٠ أُقيم لها تمثال في موطنها دومرمي وآخر في محلّ إحراقها دون (١ ثمّ آخر في باريس وهو اجمل تماثيلها . وفي السنة ١٨٥١ نصب لها اهل اورليان تمثالًا في مدينتهم وهم يعيّدون تذكارها في ٨ ايّار في كل عام

وقد عاب الرأيُ العام فولبث (٢ بقصيدتهِ التي اودعها ذمّ جان درك وتسويد صحيفتها بانواع السبّ الظالم والقصف الغادر لكنهُ لا يُستغرَب ذلك ممَّن اوقف حياتهُ على تقويض عمَد الديانات وتزييف اوليائها . وقد الَّف كتبة الفرنج بموضوع قصَّتها عدَّة روايات محزنة من النوع المعروف بالتراجيدي اي الفاجعة وهي ممَّا يُذيب تمثيلها القلوب ويشقّ المرائر . فيا قاتَلَ الله الانسان انهُ لكافر

ليت السباعَ لنا كانت مجاورةً ولیتنا لا نرى ممَّن نرى احدا
انَّ السباع لتهدا عن فرائسها والناس ليس بهادٍ شرُّهم ابدا

# الحيوانات الداجنة وتربيتها

نظر طبيعيّ فلسفي لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعيّ

لا يرضى المتشيّعون لآراء دروين بان ينسبوا النباهة فقط الى الحيوان بل يزعمون انَّهُ يحصل على شيء من العقل والنطق . وحجَّتهم في تأييد رأيهم انَّ للحيوان حركاتٍ وسكَنات لا يُستطاع تعليلها الَّا بالقول انهُ ذو فهم وتعقُّل أفلا تراهُ مدركاً لاعمالهِ وعارفاً بما يدعوهُ اليها وعالماً بما سيحصل من بعضها ان لم نقل عن كلّها ؟

قالوا : انظر مثلًا الى هذا الكلب فانَّهُ اذا بلغ مدخل بيت سيّدهِ رفع بقائمتيهِ وسندهما الى الباب وعالج زلاجهُ الى ان يفتحهُ فيدخل . ومن الكلاب الصيَّادة ما يقوم باعمالٍ عجيبة بركضهِ وراء الصيد وحجزهِ وبحراسة البيوت واهلها ومنها ما

١) هذا تحريف روان (Rouen) ٢) هو تصحيف فولتير (Voltaire) الذي اظهر كفرهُ ودناءة نفسهِ بتأليف مأساة شنَّع فيها على تلك النفس الملائكيَّة

يساعد ارباب الدرك والشُرطة في ايقاف المجرمين . ويجري غيرها في خدمة جمعيات الصليب الاحمر للدلالة على الجرحى في ساحات القتال وامور كثيرة لا يسعنا ذكرها . وما قولنا بالقرود فانَّ منها ما اعتاد خدمة صاحبهِ او الجلوس معهُ على المائدة فينشر ويطوي الفوطة ويأكل ويشرب كأنَّهُ جليس عاقل . وغير ذلك من الاعمال التي يرويها الدافعون عن نطق الحيوان والقائلون بالشبه بينهُ وبين الانسان

لا بدَّ قبل الحكم عن هذه الافعال الحيوانيَّة ان نتحرَّى البحث في وهم الحيوان وما بينهُ وبين نطق الانسان من الفرق حتى في اعظم تشابه افعالها

دعنا اولًا قبل ذكر ما يحاوله الانسان في تربية الحيوان وتأهيلهِ ان نبيّنْ ما يجريه كل يوم مع النبات والبقول التي يهتمُّ بزرعها . فلنعتبر مثلًا الشمندر والجزر هما في الاصل نباتان بريَّان لا يصلحان للغذاء فوقف عليهما احد الزرَّاع ورأى انَّ جذرهما المستطيل دسِم ذو مائيَّة وفي طعمهِ شيء من الحلاوة فخطر على بالهِ انهُ اذا عُنيَ بهما بالفلاحة لعلَّهُ يستفيد منهما لطعامهِ الخاصّ ولطعام دواجن بيتهِ . فاختار اجود بزرهما وزرعهُ في تربةٍ حسنة . ولمَّا نما الزرع عاد فاختار ما نضج وجاد من بزرهما عادلًا عن سواهما فكرَّر زرعهما . وهكذا لم يزل سنةً بعد اخرى يحسّن جنسها الاصلي الى ان نال بعنايتهِ وتربيتهِ انواعاً من الشمندر والجزر بعضها ناعم لطيف لماشيهِ وبضعها خشن كبير الحجم لماشيتهِ ودواجنهِ . ومنها متوسطة الحجم كثيرة الحلاوة يستخرج منها السكَّر . واشكال غيرها يعرفها ارباب الفلاحة ويحرصون على حفظها سليمةً بل يُعنَوْن بتحسينها . وهم يعلمون بانها سوف تفقد خواصّ تربيتها اذا ما أُهملت فتعود الى حالتها البرّيَّة التفهة

وما صنعهُ الانسان للشمندر والجزر تولَّاهُ ايضاً مع غيرهما من المزروعات كالبطاطا والبندورة والملفوف ومع الغلال والحبوب كالحنطة والشعير ومع الزهور كالدالية والورد الخ . فالانسان بما خصَّهُ الله من العقل والتمييز يبتكر كل يوم وسائط جديدة لتحسين مواليد الطبيعة . فانَّهُ يختبر مثلًا بالامتحان انَّ بعض المزروعات قابلة التحسين باختيار بزرها والعناية بتربيتها في تربة صالحة ذات سماد حسن لا يلبث ان ينال جنساً افضل ينبذ منهُ الدون ويعالج الحسن فيبلغ بهذا الاختيار المتوالي انواعاً ممتازة بخواصّها الغذائيَّة الطيّبة

هذا وفي اواسط القرن الماضي قام droين وانصاره فاذاعوا انَّ ما يفعلهُ الانسان بقوّة عقلهِ تقوم بهِ الطبيعة بقوَّتها الغريزيَّة وذلك منذ اوَّل الدهور . زعم داروين انهُ كان في بدء الخليقة اجناس قليلة من النبات والحيوان امَّا تبعتهُ الماديُّون فزعموا انهُ لم يكن في الاوَّل الَّا مبدأ واحد من الحياة نَجَمَ من الجماد صدفةً فتحوَّلت هذه الاجناس الاصليَّة او هذا الموجود الحيويّ الوحيد بتمادي الاجيال من جنسٍ ادنى الى جنسٍ افضل واسمى ومن هامَّة صغرى الى حيوانٍ اعظم واكمل فتلف الضعيف وثبت الشريف الى ان حصلت بهذا الترقي كل اصناف النباتات والحيوانات التي نجدها اليوم متفرّقةً في اربع خوافق المعمور ويؤيدون قولهم بما يرونهُ من التشابه بين مواليد الطبيعة كشبه الانسان بالقرد فيزعمون انَّ اصلهُ منهُ كما انَّ القرد من حيوان آخر دونهُ كالًا وهكذا بالتسلسل الى ان يبلغوا الى اوَّل اصل الحياة

رأيت انَّ تحسين النبات قد توقَّف اليهِ الانسان بهمَّتهِ وإجهاد فكرتهِ وثباتهِ وهو لم يغيّر طبيعة النبات لكنَّهُ استخرج منها خواصَّ كانت طبيعتهُ مستعدَّةً لابرازها بالعناية . امَّا الدروينيُّون فعلى خلاف ذلك فانَّهم ينفون توسّط عاملٍ عاقل وينسبون الى الطبيعة قوَّة تحويل العناصر بعضها الى بعض . وهو زعم بلا سند لا يرضى بهِ العقل الصائب

## الوسائط التي يتوسل بها الانسان لترقية الحيوان

واذا ما قابلنا بين تربية الانسان للنبات وتربيتهِ للحيوان وقفنا على سرّ نباهة الحيوان وخواصهِ الاكتسابيَّة . وَجدَ الانسان مثلًا في اوَّل امرهِ بقرةً وثورًا بريَّين فاهتمَّ بامرهما وتعهَّدهما بالعَلَف الطيّب فكان نسلُها آلف طبعاً وألين عريكةً يأنس بالانسان منذ صغرهِ والانسان يُحسن طعامهُ وينظّم عليفهُ فنشأ اشدّ قوَّةً واغزر حليباً . أفلا ترى كل يوم ارباب المواشي كيف يحسّنون اجناسها ويدارونها على مقتضى ما يريدون منها . فمن البقر مثلًا ما يعدُّونهُ للفلاحة ومنها لاستدرار الحليب وغيرها للاجترار والطعام . ومثلها الخيل فانَّ منها ما يربَّى للركوب او لاقتحام العدوّ ومنها ما يُستحضَر لجرّ الاثقال ومنها ما يتَّخذ للالعاب وهلم جرًّا . فالانسان بحسن اختيارهِ لافرادها ولفحول نتاجها وبجمعهِ بين اجناسها المختلفة ينال من مواليدها خواصَّ

معلومة يقصدها منها . والدليل على قولنا انَّ بعض الدول الاوربيَّة تنفق المبالغ الطائلة لتستورد من بلاد الشرق الجياد العربيَّة الاصيلة فذلك لأن الخيل الغربيَّة مع قوَّتها الشديدة لا تقوى على مقاساة التعب زمناً طويلًا بخلاف الخيل العربيَّة فأنَّها خفيفة الحركة طويلة الاناة صبورة على الجوع والعطش فاذا تناسل الجنسان تولَّد منهما جياد حسنة جامعة بين صفات الجنسين كما ترى في الخيل الفرنسوية والانكليزيَّة

فهذه الاعمال التي ذكرناها من اختيار ضروب الحيوان وتوليد اجناسها بعضها من بعض هي اوَّل الوسائط التي استعان بها العقل البشري لتربية الحيوان وتأهيله

ثم انَّ للانسان واسطة ثانية لتذليل الحيوان الجموح وهي ترويضهُ . فانَّ معظم اجناس الحيوان كانت في اصلها برّيَّة وحشيَّة تأوي الى القفار فلم يستطع الانسان ان يؤهّلها ويستعين بها الَّا بكسر جماحها وترويضها . ولمَّا كان الانسان اضعف قوَّةً واصغر جسماً من كثير منها استعان بعقلهِ للفتّ في عضدها وكسر شوكتها وسَوْقها على مشيئتهِ لتضحي طوع بنانهِ

قد قرأنا آخرًا في بعض الجرائد ما يصنعهُ رُعاة جبل الألْپ ليصونوا نفوسهم من أذى قطعان المواشي التي يرعونها هناك ويهملونها سارحةً على هواها مدَّة قسم كبير من السنة فتصبح بذلك شرسة الطباع كثيرة الاذى ولاسيَّما الثيران . فاذ عرف الرعاة شرَّها اذا نطحتهم بقرونها فانَّهم يعمدون اليها وهي فتيّة السنّ فيمسكونها بقرنيها ويلوون رؤوسها ليًّا شديدًا تتأثَّر منهُ ألَّا ينطبع ذكرهُ في مخيّلة الثور ولا يعود يقترب من الراعي حتَّى بعد كبرهِ وحينما يستطيع ان يصرع راعيهُ بضربة واحدة من قرونهِ خوفاً من تكرارهِ ذلك الفعل المؤلم . وبهذا ترى انَّ الحيوان يجري على مجرَّد الوهم كما ترى ايضاً انهُ لا يدرك اشتداد قوّتهِ مع ترقّيهِ في السن وغاية ما انطبع في ذاكرتهِ انَّ الانسان اقوى منهُ واشدّ مراساً فلا يجسر ان يتقرَّب منهُ

ولهؤلاء الرعاة حيلة أُخرى في اتّقاء أذى الكباش وضرب قرونها . ينصبون على طريق الكباش حجارًا ضخمة ويجعلون عليها عباءهم ويختفون هم وراءها الَّا رأسهم الذي يعلو فوق الحجارة فيهيّجون الكباش فتراها عند سماع الصوت تثور وتهجم على الصخور المكتساة بالعباء فتنطحها بشدَّة فيصيبها في جبهتها المُّ يثنيها بعد زمن قليل عن العود الى الضرب وهي ترى الراعي في هيئتهِ ولا تفرق بين تهويلهِ وصورتهِ الحقيقيَّة

ولنا مثال آخر في الخيل البريَّة التي تسرح في مفاوز اميركا الجنوبيَّة وهي تتناسل من الافراس التي ادخلها الفاتحون الاوَّلون عند دخولهم تلك الاصقاع فعادت في البراري الى حالة وحشيَّتها القديمة . واذا اراد الهنود الموكول اليهم امرها ان يقبضوا على بعضها احاطوا بها ثمَّ سعوا الى توجيهها الى مدخل حظيرةٍ مغروسة بالاوتاد في طرفيها . فالمدخل واسع رحبٌ في اوَّلهِ ثمَّ يتدانى خطَّا الاوتاد وينتهيان الى حظيرة يمكن إقفالها . فالخيل اذا احسَّت بعدوّها تنفذ في المدخل المذكور حتَّى تنتهي الى الحظيرة فتوصد وراءها ويقترب حينئذ الهنود فيلقون رِبْقتهم حول قوائمها ويطفرون فوق متونها ويتشبَّثون بعرفها ثمَّ ينهبون فوقها البطاح وهم يضربونها بثَمَرة سياطهم ويغمزون كلاكلها بالمهماز ساعاتٍ الى ان يعيا الجواد مجهودًا فيسكن او يهبط كَلَلًا فيُسرع الراكب الى مقودٍ يجعلهُ حول عنق الفرس ويجعل الشكيمة في فمهِ ويلجمهُ فيصبح اذ ذاك في قبضتهِ فيروضهُ بعض الدفعات الى ان يصبح طوع امرهِ مروضًا فيتَّخذهُ لما شاء من حاجاتهِ على اختلافها حتَّى يقودهُ الولد الصغير ويركبهُ فيجري بهِ حيثما اراد وذلك لأنَّ مالقيهُ من الضنك والقهر لاوَّل مرَّة قد انطبع في مخيّلتهِ فيكفُّ عن الجموح والنفور . وكل ما يصنعهُ بعد ذلك انمَّا هو نتيجة تربية الانسان وفعل عقلهِ لا حصَّة فيهِ لغريزة الفرس

فهذه المقابلة بين طبيعة الحيوان وفطرتهِ وبين عقل الانسان واحتياله تبيّن جليًّا ما لكلٍّ منهما من الفعل الخاصّ فانَّ غريزة الحيوان تدفعهُ الى الهرب فالانسان يسعى بتوجيه سيرهِ الى نقطة معلومة . يدفع الوهمُ الحيوان الى ان يسير السير الحثيث في البطاح وهو لا يرى انَّ سَيرهُ هذا يضعف قواه فالانسان العالم بما سينال الفرس من العناء يتَّخذ ذلك وسيلةً لكبح جماحه ولبلوغ غايتهِ . ولو كان للفرس ذرَّة من العقل لعرف قوَّتهُ وفكَّر في اخذ ثارهِ من عدوّهِ واستخدام سرعة قوائمهِ لينجو من عبوديّتهِ ويستعيد حرّيتهُ . على خلاف الانسان الذي يحوّل تلك السرعة وتلك القوَّة لمنفعتهِ الخاصَّة

فكفى بهذه الامثلة شاهدًا على بيان ما قلناهُ عن الواسطة الثانية التي يتوسَّل بها الانسان لتأهيل الحيوان اعني بها الترويض

ثمَّ انَّ في الحيوان نفسهِ استعدادًا لترقية خواصّهِ الوهميَّة . فالقرد مثلًا من طبعهِ مؤهَّلٌ لتقليد ما يراهُ وقد لحظ ذلك كتبة العرب واخبروا لتأييدهِ عدَّة اخبار قد وافقهم على صحَّتها المحدثون . فاذا اخذهُ الانسان في خدمتهِ وعُني في تربيتهِ يتقلَّد ما

يشاهدهُ من الاعمال ولاسيَّما اذا مرَّنهُ عليها صاحبهُ بالتمرين المتواتر . فنسبةُ هذه الاعمال الى عقل القرد شططٌ . فاذا رأيناهُ اذًا يقتدي بالانسان في ذهابهِ وايابهِ وفي جلوسهِ على المائدة واكلهِ وشربه فكلّ هذه الاعمال توافق طبعهُ الغريزيّ يعملها بقوّتهِ التقليديَّة دون ذرَّةٍ من العقل والتمييز لأنَّ مخيلتهُ تأثرت من نظر الاعمال المذكورة فيعيدها كما رآها لا يفقه معناها كما تكرّر الببغاء ما تسمعهُ دون فهمه

وممَّا يُروى عن احد علماء الطبيعيَّات في باريس في القرن الثامن عشر انهُ كان ربَّى قردًا وأحسن تثقيفهُ حتى كان يُعدُّهُ كأحد اهل البيت . وكان المذكور قد جمع في حجرتهِ عددًا عديدًا من الحشَرات والهوامّ والفراشات نظَّمها في علَب مشكوكةً بدبابيس . فخرج يوماً وترك القرد في الحجرة سهوًا فما غاب سيّدهُ حتى تهافت على الحشرات المغروزة والتهَمَها دون ان يخطر على بالهِ انَّ هذا المجموع عزيز على سيّدهِ تكلّف في جمعهِ الاتعاب والنفقات الطائلة . على انَّ شرَهَ صاحبنا أدّى بهِ الى عطَبهِ فانَّهُ لم يلحظ انَّ لكلّ حشرة دبوسها او إبرتها فازدرد الهوامَّ مع ابرها التي نشبت في حلقهِ فخنقتهُ . فانظر يا رعاك الله مبلغ عقل هذا القرد الذي لم يدَّخر صاحبهُ وسعاً في تهذيبهِ وهو كما يزعم بعضُ الجهلاء شبيه بالانسان في نطقهِ . وكم حوادث أُخرى تدلُّ على بلاهة القرود وتغلُّب طبعها على تطبُّعها . ولنا في ذلك شاهد قريب في القرد الذي عضَّ صاحبَهُ ملك اليونان اسكندر فكان علّة موتهِ

ولعلّ الكلب هو اوّل الحيوانات الداجنة التي عُني الانسان بتربيتها . وليس من شأننا ان نبحث عن اصل الكلب أهو نوع من الحيوان مستقلٌ بجنسهِ او هو من نسل حيوان آخر سبقهُ فباد اثرهُ . او هو بالاحرى من مواليد بني آوى ( الواويَّة ) اتَّخذهُ الناس في صغرهِ وربّوهُ وثقَّفوهُ فاكتسب صفاتهِ الالفيَّة واورثها صغارهُ . وممَّا لا يُنكَر انَّ بين الكلب وبعض اجناس بني آوى او الذئاب ايضاً شبهاً تامًّا كما يعلمهُ اللبنانيُّون . وفي الحبشة جنس من بني آوى يشبهُ الكلاب السلوقيَّة الطويلة القوائم فمن المحتمل انَّ الكلاب متسلسلة عنهُ

ومهما كان من اصل الكلب فلا شكَّ انَّهُ الحيوان الذي دخل عليهِ بفعل الانسان اكثر من سواهُ اختلافاتٌ عديدة في الهيئة والخواصّ العجيبة . فترى بين الكلاب ما هو مختلف الحجم مختلف اللون والوَبر مختلف الصورة والشكل . منها الكلب

الموقوف للحراسة ككلب الرعاة الذي يقوم في وجه الضواري فتخافهُ السباع والناس ومنها الكلب الانيس الذي يرافق صاحبهُ ويُصبح لهُ ولاولادهِ صديقاً اميناً وملهاةً شائقة . ومنها ما عُني بإنعاش حاسَّة شمّها فتستنشق رائحة الصيد من بعيد وتبحث عن صاحبها فتجدهُ رغماً عن ابتعاده . كما انَّها تعرف حوائجهُ فتأتي بها اليه وتصونها . وقد اهتمَّ بعض مثقفي الكلاب في تقوية اعصابها فتصبح من اسرع الحيوانات ركضاً واطولها نفساً . وفي بعض البلاد يتَّخذون الكلاب لسحب العجَلات الصغيرة الناقلة الى الاسواق محصولات الزراعة لبيعها او يُركبون فوقها احداث الاولاد . وفي البلاد الشماليَّة كلابٌ يقطعون بها المفازات المثلجة والجليديَّة وهي تجرُّ عربات يركبها السيَّاح والمرسلون الكاثوليكيُّون لخلاص النفوس . هذا الى ما لا يُحصى من الخدم التي تؤديها الكلاب على اختلاف انواعها البالغة المئات من الكلب الصغير الذي يحملهُ صاحبهُ في جيبهِ ويتلهَّى بهِ في بيتهِ الى الكلب الكردي او كلب الارض الجديدة الشبيه بضواري السباع

فكيف يا ترى تمكَّن الانسان من ان ينال كلّ هذه الاختلافات والتحوُّلات ؟ انَّما بلغ الى ذلك بدرسهِ لطباع الكلاب وغرائزها الاصليَّة فاختار بينها ما وجدهُ قابلًا لبعض الخواصّ والصفات فاجتهد في تنميتها بالتمرين والتثقيف والتربية الافرادية . ثمّ سعى بان يجمع بين اجناسها المختلفة لتتولَّد منها اشكال جديدة بعد ان ألغى منها ما لم يجدهُ صالحاً لغايتهِ . فنتج عن تلك المساعي انهُ نال انواعاً مختلفة ذات صلاحية لامور شتَّى . وهكذا جرى لهُ في دواجن الحيوان التي تألف بيتهُ . وقد حصل على ذلك كما حصل على انواع النباتات السابق ذكرها التي عُني بفلاحتها وزرعها فأولاها بهمَّتهِ خواصّ جديدة توارثها النبات النامي من بزرها . فعلى مثلها اكتسب الحيوان تلك الصفات التي استخرجها الانسان من غريزتهِ القابلة لها . ومن المعلوم انَّ هذه الخواصّ ان لم يواصل الانسان اعتناءهُ في حفظها وصيانتها تُفقَد بعد زمن قليل حتَّى يعود النبات والحيوان الى ما كانا عليهِ من حالتهما البريّة والوحشيَّة

ففي مثَل الكلاب وما طرأ عليها من اختلاف الاحوال برهانٌ حتيّ على ما للحيوان من الغريزة وعلى ما يستطيع الانسان بعقلهِ ان يستخرجهُ من تلك الغريزة . وهل يا تُرى منذ القرون الطويلة التي صرفها الانسان في تربية الكلاب فتمكَّن من

جعلها رفقاء لهُ وجلساء اصاب واحدٌ منها ذرَّةً من العقل ليتَّخذ الدروينيُّون ذلك دليلًا على مذهب النشوء والارتقاء ؟

انَّ الجواب على ذلك سلبيٌّ محضاً . ولنا على هذا الف دليل . اخبروا ان كلباً كان صاحبهُ عوَّدهُ على حراسة ما يُجعل بين يديهِ من طعام وغيرهِ فلا يمسّ منها شيئاً الَّا باشارتهِ فنسيهُ صاحبهُ يوماً في بيتهِ وعلى المائدة قطعةٌ من اللحم وسافر الى بلدٍ آخر ولم يرجع الَّا بعد حين فلمَّا دخل بيتهُ رأى اللحم سليماً والكلب ميتاً بقربهِ جوعاً

فاستنتج المدافعون عن فهم الحيوانات انّ هذا الكلب اعرب عن تمييز وعقل فآثر الموت على مسّ اللحم قياماً بوصيَّة سيّدهِ

امَّا نحن فنحمل عملهُ بالعكس على بلاهتهِ وخلوِّهِ من العقل . فلو كان عاقلًا لفكَّر في نفسهِ انّ صاحبهُ اقفل بابهُ وسها عنهُ فلا يريد موتهُ بل يحقّ لهُ ان يغتذي باللحم الذي بقربهِ ولا يعرّض نفسهُ للتلف . لكنَّهُ جرى على سابق تأثيراتهِ الحسّيَّة وما لقيهُ من زجر او ضرب معلّمهِ لمَّا كان يخالف اوامرهِ . وشتَّان بين هذا والعقل

## مبلغ الوهم ومبلغ العقل

انّ الانسان اذا رأى في الحيوان اعمالًا تبعثهُ غريزتهُ على ابرازها او اعتادها بالتربية والتثقيف ينسب ذلك الى العقل لِما يجد فيها من الشبه بالاعمال البشريَّة . لكنَّهُ مخدوع في حكمهِ هذا لانَّ الاعمال البشريَّة حتَّى الصادرة عنَّا بحركة طبيعيَّة لا تخلو من شيءٍ من فعل العقل إمَّا مباشرةً لمَّا اعتاد الانسان على تلك الاعمال الغريزيَّة وامَّا ضمناً باندماج العقل واختلاطهِ بالفعل . ثمّ انَّنا بحكمنا في عمل الحيوان نعيرهُ من تلقاء ذاتنا نيَّةً دافعة لهُ عليهِ لأنَّنا قد اعتدنا ان نجري مثل هذا الحكم في اعمالنا البشريَّة

قد رأى كلّ منَّا كلباً اكل كفايتهُ فشبع وفضلَ عندهُ كسرة من الخبز فلا يدعها بل يأخذها فيطمّها في بعض انحاء الجنينة . فمن يعاين عملهُ هذا يحكم في فكرهِ قائلًا : « نِعْمَ ما فعل هذا الكلب فانَّهُ احسّ بشبعهِ حاضراً فاراد ان يدَّخر لهُ قوتاً ليوم آخر لعلَّهُ لا يصيب طعاماً » لكنَّ هذا القياس نبنيهِ نحن في عقلنا لِما نجدهُ من الشبه بافعالنا لمَّا ندَّخر لغدنا شيئاً من مأكول اليوم . فانَّ الحيوان لا يدرك معنى الزمان ومن المعلوم انَّ الكلب كبقيَّة الحيوانات اذا شبع او اعتلَّ يمتنع عن الأكل وبهذا يفضل

على كثير من الناس المزيّنين بالعقل والذين ينسيهم الشره عقلهم في الاكل والشرب.
وان سألت ما هو اذن سبب اخفائه لفضلة طعامهِ؟ اجبتك انّ هذا شيء من وهمهِ
لا ادري لهُ تعليلًا وان شئت اسأل الزاعمين بمعرفة لغة الحيوان لعلّهم يفيدونك عن
سبب فعلهِ. امّا انّ فعلهُ مجرّد وَهم فيتبيّن من كونهِ لا يبحث في الغد عمّا خبأهُ لياكله.
وان وجدهُ بالصدفة فانمّا استدل عليهِ بحاسّة الشم كما يستدلّ على اي طعام كان سواه

وممّا روتهُ مجلّة كوسموس ( le Cosmos ) في احد اعداد سنة ١٩١٤ انّ احد
عمّال ملك سكسونية الموكّل على كلاب الصيد لسيّدهِ افرغ جهدهُ ليعلّم واحدًا منها
بعض حروف الهجاء مثل «اي ولا» ثمّ أسمعه عدّة اسئلة وعلّمهُ ان يجيب عليها باحدى
الكلمتين فعُدّ ذلك لدى بعض اساتذة المانية كآية دالّة على عقل الكلب لكنّهم
ما غيّروا قليلًا ترتيب السؤالات او اضافوا اليها شيئاً حتّى نسي الكلب كلّ علمهِ
واضحك سامعيهِ بسوء اجوبتهِ. وقس على ذلك ما روتهُ سابقاً مجلّتا المقتطف والهلال
عن بعض الحيوانات الناطقة او الحاسبة ففنّد المشرق مزاعمها وما لبثت ان ظهرت الحقيقة
وعُرفت حيلة معلّمي تلك الحيوانات

وما قلناهُ عن تثقيف الانسان للحيوان لا يدلّ على انهُ يريد ان يولي الحيوان
قوًى جديدة بل غايتهُ فقط ان يتّخذ ما طُبع عليهِ الحيوان من القوى الغريزيّة من
اصلهِ ليستخدمها لمنفعتهِ

لنا مثال على ذلك في بيض الطيور فانّ الطبيعة خوّلتها البيض لصيانة نسلها
فاستفاد الانسان من تلك القوّة لخيرهِ الخاصّ وسوّل للطائر بان يبيض بيضاً اكبر
حجماً واكثر عددًا لينتفع هو منها لطعامهِ قبل حضانتها

ومثلهُ الحليب في ذوات الاثدية فانّها تدرّ حليبها لطعام صغارها فوجد الانسان
انّ حليب البعض منها يحسن لغذائهِ فاختار بينها ما رآهُ ادمث خلقاً قابلًا للتربية
فسعى في اصلاح طعامها ثمّ افرز ما كان اقوى بنيةً فصارت تدرّ لهُ حليباً اغزر من
ذي قبل اذ كانت في وحشيّتها فاغتذى بهِ واطعم صغارها قوتاً غير الحليب ارخص ثمناً

فهذه الطرائق من حسن الاختيار وجودة التربية بلّغت الانسان الى تحسين اجناس
الحيوان كالضان والمعز والبقر الخ ليربح لبنها ولحمها وصوفها. واذ وجد في الخيل
والجمل والفيل قوّة عظيمة تمكّن من تربيتها ليستفيد من تلك القوّة. امتاز الكلب

بحاسّة الشمّ وغريزة الصيد وغير ذلك من الخواص فصرفَ الانسان تلك الصفات لاصطياد الوحوش ولاستخراج الكمأة من الارض ولحراسة دارهِ ومواشيهِ. طُبعت الهرَّة على اقتناص صغار الحيوان مع ما خُصَّت بهِ من حسن البصر ليلًا فاتّخذها الانسان لخدمة بيتهِ وتنظيفهِ من خشاش الحيوان . وفي اميركة الجنوبيَّة حيث لا يعيش القطّ يتَّخذون بدلاً منهُ حيَّة ضخمة تقوم مقامهُ كما يستبدل المصريون القطّ بالنمس . وعلى هذا النمط يستطيع الانسان على مقتضى الازمنة وحالات البلاد ان يستخدم المخلوقات التي دونهُ . فيستعين بالجمل في البلاد الشديدة الحرّ وبالأيائل في القارسة البرد وهلم جرًّا . ومن هذا كلّهِ ترى الفرق بين وَهم الحيوان الضيّق الدائرة وعقل الانسان الواسع النطاق الذي يصرف الكائنات الى تتميم رغائبهِ

وما لا شكّ فيهِ ان معظم دواجن الحيوان ما بلغت الى ما هي عليهِ من الائتلاف وتحسُّن الحال الَّا بمساعي الانسان الذي جوَّد طباعها الغريزيَّة . على ان البعض منها فقدت بتأهيلها وتربيتها شيئاً من اخلاقها الاصليَّة . فان ديك الحبش مثلًا اطيبُ لحماً واجمل ريشاً في حالتهِ الوحشيَّة منهُ داجناً . وكذلك البطَّة الوحشيَّة احرص على حضانة بيضها من البطَّة الاهليَّة بخلاف الدجاجة الحريصة على الحضانة حتَّى انَّها تتلف في عملها ان لم يراقبها اصحابها . على ان الانسان اكسبَ انثى ديك الحبش صفةً جديدة بأن دفعها الى حضانة البيض كلَّما شاء وفي ذلك من الفضل ما لا يخفى اذ يمكنهُ ان يحصل على الفراريج في كلّ فصول السنة حينما يغلو ثمنها . وفي بعض البلاد يرتزق الناس بجمع اناث ديوك الحبش فيؤجرونها من شاء حضانة بيض دجاجهِ

وخلاصة الكلام ان ما يحدث من تنمية القوى وتحسين الصفات في دواجن الحيوانات التي يختصُّها الانسان بخدمتهِ لا تصحُّ نسبتهُ الى الحيوان نفسه بل الى حذاقة الانسان . فلو كان اتَّصل اليها الحيوان من تلقاء نفسهِ لجاز القول ان الحيوان يترقى ويزيد كمالاً ولأمكن تَبَعة دروين ان يثبتوا نوعاً مذهبَهم في النشوء والترقي وينكروا تكوينها من الخالق كما يزعمون الآن دون ادنى دليل . والصواب ان هذا الترقي المزعوم في الدواجن انما عاملهُ الوحيد هو العقل البشري ليس الَّا

قال احد علماء عصرنا في هذا الشأن : « قد تسلَّط الانسان على الحيوان واستعان بما وجده حولهُ من الوسائط كأحوال الزمان والمكان والطعام فغيَّر نوعاً طباع الحيوان

دون ان يُحاوِل من تلقاء ذاته ان يحسّن حالهُ . فنال هذا التحسين من غيرهِ وهو لم يُظهر بعلامةٍ ما كونهُ عالمًا بهذا التحسين او راغبًا فيهِ كالشجرة التي يلوي الانسان اغصانها ويسعى بتشكيل زهورها كما يشاء . فعاملُ التحسين في الحيوان ليس هو فيهِ ومنهُ بل هو خارجاً عنهُ . لا يسعى وراء الكمال ولا يدركهُ وانّما هو مَسوقٌ اليهِ . . . وبكلمة واحدة نقول قد ثبت ان اكمل الحيوانات ولو حصلت في اوفق الظروف وانسب الاحوال لا تعي شيئاً من امر ترقّيها ولا ترمي اليهِ بمشيئتها وادراكها (١)

---

# ترجمة يوسف الاوّل بطريرك الكلدان

## ١٦٨١–١٧٠٧

لباسيليوس عبد الاحد مطران آمد

### توطئة

في مكتبة الكلدان في ديار بكر كرّاس صغير يحتوي على ترجمة حياة البطريرك يوسف الاوّل الذي كان مطرانًا نسطوريًا فارتدَّ الى الكثلكة بعد ان ثبتت لهُ صحّة ايمان الكنيسة الرومانيّة فاقامهُ البابا اينوشنسيوس الحادي عشر بطريركًا على الكلدان الكاثوليك سنة ١٦٨١ فسكن مع خلفائهِ في آمد اي مدينة ديار بكر وكانت وفاتهُ سنة ١٧٠٧ (اطلب المشرق ٣ [١٩٠٠]: ٨٧٨–٨٨٠) . وقد لقي بارتداده عدَّة محن وصفها احد تلامذتهِ باسيليوس عبد الاحد الذي اقيم كنائب بطريركي على آمد فسُقّف سنة ١٧١٢ وتوفي سنة ١٧٢٧ . فهذا اذ كان واقفًا على كل تفاصيل سيرة معلّمهِ سطّرها في هذه الفذلكة وهي اجمل اثر واصدق رواية لسيرة ذلك البطل الذي ثبت في الايمان مع ما قاساهُ من ضروب البلايا والاضطهادات كما سترى وذلك سنة ١٧١٩

ولنا على شهامة البطريرك يوسف الاوّل شواهد اخرى راقية الى عصرهِ منها ما كتبهُ السيد فرنسوا پيكه مطران سيزاروپل والقنصل لدولتهِ على حلب سابقًا لمّا مرَّ في ديار بكر في اواخر ايّار سنة ١٦٨١ فاطرأ عليهِ واتّسع في محامدهِ وكتب في ذلك الى مجمع انتشار الايمان والى قنصل فرنسة في حلب . وكان بودّنا ان نعرّب كلامهُ ورسائله لولا ضيق المكان (٢ . امّا السيرة

---

١) اطلب معجم الجدليّات **A.d'Alès,**:Dictionnaire d'Apologétique, fasc. I. 126.

٢) راجع ترجمة المطران فرنسو پيكه **La Vie de Messire François Picquet** Paris, 1732. pp. 359-369 ثمَّ مذكرات الكفاليار دارڤيو **Mémoires du Chevalier d'Arvieux. Paris, 1735. VI. 95-122**

التي ننشرها فهي لم تُطبع حتَّى الآن وانما ظهرت ترجمتها في اللغة الفرنسويّة لاحد الكهنة الكلدان في مجلّة الشرق المسيحي Revue de l'Orient Chrétien 186, I,66-990 وقد تصرَّف بالاصل بعض التصرُّف . امَّا نسختنا فمنقولة عن الاصل في ديار بكر حيث نسخها بيده الطيب الذكر المطران طيموثاوس عطَّار سنة ١٨٨١ فاهدانا ايَّاها . اجزل الله ثوابهُ . وها نحن نرويها بحرفها مع اصلاح ما لا يُعبأ بهِ من ضبط كلمة او مراعاة قواعد الاعراب ل . ش

انَّ مار يوسف الاول (١ بطريرك الكلدان كان مولده في آمد اي ديار بكر . وارتسم مطراناً على الطائفة النسطوريّة التي كانت في ديار بكر(٢ . غير انه في السنة ١٦٧٢ للمسيح تحرَّك بإلهام روح القدس ان يرفع هرطقة نسطور . فقام عليهِ المعاندون ظاهرًا . واحتمل منهم الشتائم والحبوس والعذابات فلم يقدروا عليهِ . ولم يكن لهُ مساعد في هذا الحرب الشديد الَّا الله وحدهُ ومريم العذراء والدة الله

فابتدأ اولًا يكرز على جماعتهِ وينبّهم وينهيهم عن التكلُّم في الكنيسة وان يكونوا في بيت الله بالخوف والاحترام كما يجب . لأنَّهم سابقاً كانوا يقفون في الكنيسة كوقوفهم في الاسواق والبازارات(٣ . وبعد ذلك كان يكرز على الاعتراف ويقول : لا يجوز ان تتقرَّبوا الَّا وانتم نادمون معترفين بخطاياكم . وبعد ذلك رفع اسم نسطور من الكنيسة رفعاً كلياً

فلما سمع بذلك بطريرك النساطرة الشيخ اليّا (٤ الساكن في نواحي الموصل ارسل مكتوباً الى مار يوسف يستدعيهِ ان يمضي اليهِ قاصدًا ان يقتلهُ . فهو لم يرتضِ بذلك

١) انَّ لفظة «مار» لفظة سريانيَّة وكلدانيَّة ܡܪܝ معناها السيد تُقدَم على اسماء البطاركة والاساقفة . امَّا تسميتهُ بيوسف الاوَّل ففيهِ نظر فانَّهُ كان سبقهُ على كرسي جثالقة بابل الكلدان يوسف آخر رُقي الى السدَّة البطريركيَّة من السنة ٥٥٢ الى ٥٥٧ . ومن هذا القبيل قد دُعي يوسف الذي نحن بصدده في بعض الكتب يوسف الثاني الَّا انَّ الانسب ان يُدعى يوسف الاوَّل لانهُ كان كاثوليكياً بخلاف الاوَّل النسطوري واقام في آمد كما سبق . وخلفهُ اربعة بطاركة باسمهِ (اطلب تاريخهم في المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٨٨٠ — ٨٨٣)

٢) تربَّى يوسف على يد احد الكهنة الاتقياء اسمهُ عبد الاحد بن ثعلب ثمَّ تردَّد على المرسلين الكبوشيين الذي كانوا يبشرون بالايمان في ديار بكر فارتدَّ الى الكثلكة بعد ان تبيَّن صحتَّها وضلال النساطرة سنة ١٦٧٢ ٣) البازار لفظة فارسيَّة بمعنى السوق

٤) هذا الشيخ ايليَّا هو الثامن من اسمهِ خلف على كرسي بابل سنة ١٦٦٠ ايليَّا السابع الذي كان ارسل صورة ايمانهِ الى الكرسي الرسولي سنة ١٦٥٧ فرجع ايليَّا الثامن الى اضاليل نسطور وتوفي سنة ١٧٠٠ (اطلب المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٨٢٧)

ولا راح لعنده لانهُ عرف بمكرهم . فلمَّا نظر الشيخ اليَّا انهُ لم يمض اليهِ جمع بعض اناس اشقياء سافكين الدم وتشاور معهم . وهم ارسلوا الى مار يوسف واحداً من شيوخهم لكي يرجعه عن مقصدهِ . لكن الشيخ ما قدر يزعزع مار يوسف عن ايمانهِ ولا ان يعزل الرعية الصالحة من راعيها . وانمَّا البعض الذين تمُّوا هراطقة وما تبعوا مار يوسف كتبوا للشيخ اليّا : قمْ تعال الى دياربكر ونحن نساعدك

ولما رجع الشيخ الى الشيوخ الذين ارسلوهُ اشتدَّ غضبهم على مار يوسف واقنعوا الشيخ اليا ان يقوم من ديرهِ ويأتي الى دياربكر . وقالوا لهُ : نجيْ معك ونُعطي كل اموالنا للپاشا ونقتل مار يوسف ونخلص منهُ . واجتمع مع الشيخ اليا مقدار خمسين رجلاً من الموصل ومن القُرى وركبوا حميرهم (١ واتوا معهُ . ولَّا وصلوا الى ماردين اعطى مقدار جريمة (٢ الى الوَيْوَده (٣ لانه راكباً دخل الى الكنيسة . وبدأ يكشف غرضهُ ويزرع الفساد في ماردين . وذكر اسم نسطور ونزَّل الصور من الكنيسة (٤ وبطَّل قسيساً كان رسمهُ مار يوسف وارسلهُ الى ماردين

وارسل الى آمد وطلب مار يوسف ليحضر بين يديه الى ماردين . ومار يوسف ما قبل راح لانهُ كان عارفاً بمكرهم انهم يريدون ان يقتلوهُ

ولما سمع پاشا دياربكر بقدوم الشيخ اليَّا الى ماردين ارسل طلبهُ الى دياربكر لانهُ سمع ان پاپاز (٥ النساطرة قد جاء وجاب معهُ غروشاً كثيرة . ففرح الپاشا من هذا الخبر وارسل اليهِ بولوكين سكمان (٦ واتوا بهِ الى دياربكر وعزَّهُ ولبَّسهُ

---

١) كان ركوب الخيل في ذلك الوقت محظوراً على النصارى واليهود

٢) الجريمة الذنب والاثم . اي أعطى مبلغاً من الدراهم يُساوي مقدار ما يُفرض على مرتكب جريمة . ولعلَّهُ اراد «مقدار جريب» والجريب يساوي ٣٨٤ مدًّا من الحنطة

٣) الوَيْوَده لفظة صقلبيَّة ( Vaivode ) معناها الرئيس وكانت تطلق على رؤساء الفلاخ والملداف وقد استعملها الاتراك بمعنى رئيس الشرطة والمتصرّف

٤) النساطرة كانوا يكرمون الصور كبقيَّة الطوائف الشرقيَّة وفي كتبهم الطقسيَّة صور جميلة الى يومنا الَّا انهم في القرون الاخيرة لوجودهم بين المسلمين والاكراد وبغضاً بالكاثوليك اهملوا اكرام الصور

٥) من اليونانيَّة (πάππος) وهو ابو الاب اي الجد يطلقها الاتراك على بطاركة واساقفة النصارى

٦ البلوك بالتركيَّة الفرقة من الجند . والسكمان والسكبان قسمٌ من الاقسام الثلثة التي كان يتألَّف منها جيش الينكشاريَّة . واللفظة فارسيَّة معناها المتولّي على كلاب الصيد

قبعاً(١ كان يساوي مقدار مائة غرش (٢وارسلهُ ٠فمضى وطرد مار يوسف من الكنيسة وضبط الكنيسة ٠وجعل يفرض قوانينهُ ٠ورسم ان يذكروا اسم نسطور وحلَّل زيجة اولاد العمّ والخال ٠وبطّل سنَّة الاعتراف وصار حزن عظيم للمؤمنين٠وكان وصوله الى آمد اي ديار بكر في شهر شباط (١٦٧٣)

فامَّا مار يوسف فمضى وسكن في بيت قسيس من المؤمنين ٠ فارسل الشيخ اليا وطلب مار يوسف ان يجيءُ ويقدّم لهُ الطاعة ويتصالحا ٠ فاجاب مار يوسف وقال: نجمع الجماعة كلها ونضع بالوسط الانجيل وكل واحد منَّا فايثبّت كلامهُ من الانجيل ٠ فردّ لهُ الشيخ اليا الجواب قائلًا : ما هو هذا الذي اريد ٠ بل اريد ان تقبل اسم نسطور وتنكر ان مريم هي والدة الله ٠ فمار يوسف ردَّ لهُ الجواب وقال : قولوا للشيخ اليا : انا اقبل ان اتعذب واموت وما انكر مريم بانها والدة الله ٠ ولا اقبل نسطور

فتشاور الشيخ اليَا مع شيوخهِ فاشتكى على مار يوسف عند الصوباشي (٣ ٠ فأمر الصوباشي بوقوف مار يوسف والشيخ اليَا بين يديهِ ٠ وصار مجادلة كثيرة قدامهُ ٠فمار يوسف كان فصيح اللسان وثبّت من الانجيل ومن العقليَّات ان الشيخ اليَا وتابعينهُ هم مخالفون قول الانجيل والرسل والكنيسة ٠وما هم بفعلهم لا نصارى ولا يهود ولا مسلمين٠حتى تعجّب الحضَّار٠فالصوباشي اطلق مار يوسف لحال سبيلهِ

فعند ذلك الشيخ اليَّا ورفقاؤهُ اعطوا دراهم للمتسلّم ( اي الوالي) وحبسوا مار يوسف وبعد يومين اخرجهُ المتسلّم من الحبس وارسلهُ الى القاضي لكي يتحاكموا وأَعطوا ايضاً الى القاضي رشوةً عظيمة لكي يجري بقصدهم اي ليحكم على قتل مار يوسف٠وقال الشيخ اليا: ان هذا كان تلميذي واليوم يخالف امري ويتمرّد عليَّ وما يطيعني ٠ فقال القاضي لمار يوسف : لماذا ما تطيع معلمك وتخالف كلامهُ ٠ فاجاب مار يوسف قائلًا: اولًا هذا الشيخ ما هو معلّمي ولا قرأت عندهُ ولا يعرف العربي ولا التركي٠ثانياً انهُ ما يحفظ كلام التوراة ولا الانجيل ٠ولا قوانين الكنيسة الواحدة الجامعة المؤسسة من عيسى المسيح

---

١) اراد « قبأ » وهي كلمة فارسيَّة معناها الجبَة والرداء

٢) كان الغرش في ذلك الوقت يساوي ريالًا٠ واللفظة المانيَّة ( Gruschen)

٣) الصوباشي عند الاتراك هو مثل كومسيار البوليس في عهدنا ورئيس الشرطة

فبعد مجادلات كثيرة امر القاضي: ان كل واحد منكما يكتب اعتقاد دينهِ ويوم الغد تحضران عندي . فقال مار يوسف : « ايها القاضي العادل . فليكتب اولًا الشيخ اليَّا اعتقادهُ لكي نقدر تحكم في اي شي هو مُدَّعٍ وفي ايّ شي انا مخالف لهُ . وهل الشي الذي انا مخالف لـهُ يخالف ايضاً الانجيل ام يوافقهُ . وانت ايها القاضي تعتبر الانجيل اهل ترضى اني اخالف الانجيل واتبع شهوة فرد انسان » . فامر القاضي ان يكتب الشيخ اليا اولًا واطلقهما

غير ان الشيخ كان يخاف ان يُظهر اعتقادهُ وما كان يعرف ماذا يكتب

ولما كان غد ذلك اليوم صباحاً ارسل الشيخ اليَّا مبلغاً كبيرًا من الدراهم الى القاضي كي لا يلزمهُ بالسؤال عن اعتقادهِ بل يُـلزم مار يوسف . وعند نصف النهار حضرا امامهُ فسأل القاضي مار يوسف : مَذْهَب مَنْ تتبع انت ؟ فقال مار يوسف : « انا اتبع المذهب الذي علّمهُ المسيح الى رسلهِ ووضعهُ في كنيستهِ الجامعة . ونسَبي كلداني » . فسأل القاضي من الشيخ اليَّا وجماعتهِ : انتم مذهب مَن تتبعون . فقالوا : نحن نساطرة ونتبع نسطور . فقال مار يوسف: « احكم انت ايها القاضي . هل يجوز ان أترك المسيح وكنيستهُ واتمسك بنسطور . ومَنْ هو هذا نسطور » . فغضب الشيخ اليَّا وجماعتهُ وقالوا : « انت ما عليك منَّا ومن مذهبنا . فنحن يهود . انت لماذا لا تطيع شيخنا وكبيرنا : » فحالًا مار يوسف تنحّى عن جانبٍ وقال للقاضي : « يا مولانا القاضي . ان هولاء يقولون بـأنهم يهود . وانا ليس لي دعوى مع اليهود . انا نصراني مسيحي . اترضى ان اكون يهوديـاً »! عند ذلك نظر القاضي الى الشيخ اليَّا وجماعتهِ بوجه الغضب . فخافوا كثيرًا فأقرّوا بالرمز الى القاضي برشوةٍ اكبر لكي لا يعكس امرهم . فلمَّا علم القاضي . سكت والتفت نحو مار يوسف وقـال : جاوبني ما هو دينك ؟ قال : « انا متمسّك بالدين الذي علّمهُ المسيح عيسى الى كنيستهِ الجامعة . والكنيسة ما تقبل نسطور بل قد لعنتهُ لانهُ ضادد الانجيل » . وقال لهُ القـاضي : فاذًا لست انت نسطوريًا . فقال : « حاشا ان اكون نسطوريًا . انا مسيحي اي عيسوي وابن كنيستهِ الكاثوليكية ونسَبي من الكـلدان . وانت ايها القاضي ألست تعتبر عيسى » . فقال : نعم . قـال : « اتعرف من هو نسطور » . فقال : لا . فجاوب مار يوسف : « وانا كذلك ما اعرف نسطور وما هو »

فارسلهم القاضي ثانيةً الى الصوباشي لكي يصالحهم . فلمّا وصلوا اليهِ قال الشيخ ايليّا لمار يوسف ان يقرّ بانهُ نسطوري . فاجاب مار يوسف وقال : « انني قد قلتُ لك بانني مسيحي كاثوليكي لا أَقبل تعاليم نسطور قطعاً » . وبعد مجادلات كلّيّة ارسلهما ايضاً الصوباشي الى القاضي . فالقاضي سأل مار يوسف وقال : انتم النصارى اذا ما قبلتم تعليم نسطور تُحسَبون مذنبين ام لا . ولمّا القاضي سأل هذا الكلام كان اناس كثيرون حضّارًا من جماعة اليعاقبة والارمن المنشقّين . فقال مار يوسف : يا مولانا القاضي اسأل الحاضرين عن هذا . فجاوب اليعاقبة والارمن الهراطقة وقالوا : كلّ من يحبّ نسطور ويقبل تعليمهُ فهو مذنب لانهُ أَفسد ايمان المسيحيين وضادد الابهات . فامرهُ القاضي ان يعطي خطّاً بيدهِ عن اعتقادهِ في المسيح . وكتب مار يوسف بيدهِ : اني اقرّ واؤمن بان يسوع المسيح هو ابن الله الحي وانّ بهِ اقنوماً واحداً وطبيعتين . فلمّا نظر الارمن واليعاقبة ان مار يوسف يقرّ بطبيعتين تركوهُ وخرجوا . فالقاضي كتب الاعلان : ان مار يوسف ما يقبل نسطور وما هو نسطوري . وطردهم من قدامهِ

ومضى الشيخ ايليّا وجماعتهُ ورشوا المتسلّم ايضاً لكي يحبسهُ . فحبس المتسلم مار يوسف وامرهُ ان يُطيع الشيخ ايلّيا ويصير نسطوريًّا . فقال مار يوسف : « يا مولانا لو قطّعتني إرباً إرباً ما اترك ديني الكاثوليكي » . وبقي محبوساً ثلاثة ايّام . فاما محبّوهُ فأعطوا دراهم الى المتسلّم واخرجوهُ من الحبس

فبدأ مار يوسف يدور الليالي في بيوت المؤمنين القاثوليقيين المشتّتين من خوف الظلم والجرائم . وكان يكرز عليهم ويثبّتهم على اعتقاد الكنيسة الرومانية ويشجّعهم ويقوّي قلوبهم . ثم انّ الهراطقة اشتكوا على قسيسٍ كان تابعاً لمار يوسف وكان يجول معهُ فحبسوهُ . وجماعة المؤمنين اعطوا شيئاً جزئيًّا للمتسلّم وخلّصوا القسيس ايضاً

غير انهُ بعد عشرين يوماً جاء باشا جديد الى ديار بكر . وشيوخ الهراطقة انتهزوا الفرصة وطلبوا منهُ ان يقطع يد مار يوسف او يدفعهُ لهم او يعذبهُ بعذاب الموت او يميتهُ دفعةً ولذلك اعطوا لهُ رشوةً كبيرة لهُ ولكاهياهُ (١ . وارسل الباشا حبس مار

١) الكاهيا والكاخيا والكهيا والكخيا كلّها من التركيّة كَحيا وكَتخدا ومعناها الوجيه والمدير ومعتمد الوالي وكاتب سرّهِ

يوسف وزَنجروهُ (١ بين اللصوص والمجرمين . وطلب مار يوسف من الباشا ان يقف امامهُ ويبرّر نفسهُ من تهمات المشتكين عليهِ ويثبت بان الديانة الكاثوليكية التي هو متمسك بها هي الحقيقية . وانّ النسطورية فاسدة

فما قبل الباشا . لانهُ كان ارتشى من النساطرة بدراهم كثيرة . بل أَمر ان يعذّبوه في الحبس ازيد من الاول . فحصل فرح للجهتَين اعني للنساطرة لانهم كانوا يرجون بان مار يوسف سيُقتَل في الحبس . ولمار يوسف لانهُ لاجل المسيح استحقّ ان يُعذَّب وينحبس ويُقتل

وكان انحبس مع مار يوسف ازيد من مائة شخص من المؤمنين . وكان مار يوسف يعزّيهم ويقوّيهم في الحبس ويكرز عليهم كي يحتملوا ويصبروا على المضايقة والعذاب ويتّكلوا على الله ووالدتهِ الرحيمة . وكان البولوك باشي (٢ يضربهُ بالعصيّ كل ليلة خمسين عصاً ويضعهُ في الطمرغ (٣ وهو كان شاكرًا لله ومحتملاً كل هذه الاوجاع وما كان يفتر عن الصلوة ابدًا . ولما كان في هذا الجهاد كان المؤمنون يجتمعون بين بعضهم بالخفية في احد البيوت ويصلّون لاجل راعيهم ولاجل اخوتهم المحبوسين

فقامت يوماً امرأة بينهم ووبّختهم قائلةً : «هذه ايام كثيرة وراعينا في الزناجير وتحت الضرب وانتم حتّى متى تسكنون ساكتين . عندي ولدان وليس عندي دراهم . اعطيكم ولديّ . بيعوهما واعطوا ثمنهما في تخليص راعينا الصالح » . فخجلوا من كلامها وتشجّعوا . وقصدوا الباشا والتمسوا منهُ بإلحاح ان يخرج مار يوسف من الحبس ويتحاكم مع خصمهِ . فلمّا سمع الهراطقة ذلك قدّموا الى الباشا الف غرش لكي لا يصغي الى الكاثوليك بل يقتل مار يوسف لانهم قالوا : قد أَفسد انجيلنا ورفع منهُ اشياء كثيرة

واماً الباشا لكي يمسك حجّة بيدهِ على قتل مار يوسف تمسَّك بقولهم بان مار يوسف أَفسد الانجيل ولذلك امر ان يأتي امامهُ الشيخ اليّا وكذلك مار يوسف . ولمّا حضرا قال الباشا لمار يوسف : لماذا انت غيّرت الانجيل ورفعت منهُ بعض اسماء

١) اي قيّدوهُ بالزنجير اي بالحديد والسلاسل ٢) البولوك باشي اي رئيس الفرقة العسكريّة

٣) الطمرغ وبالتركيّة الطمرجة آلة عذاب كانت مركّبة من جسور غلاظ ذات براغي يجعلونها فوق الانسان وتحتهُ فيعصرونها بواسطة البراغي والزناجير حتّى تتفتّت العظام

وكلمات؟ فقال مار يوسف: «انا ما أفسدتُ قطّ الانجيل ولا رفعتُ منهُ شيئاً. بل كتاب الصلوات هم كانوا وضعوا فيهِ بعض اسماء مخالفة قد رفعتُهم». لان مار يوسف كان غطَّى اسم نسطور وألصق ورقاً على اسمهِ وعلى بعض الفاظ تدلّ على هرطقة نسطور. لكي لا تُقرأ

فلمَّا نظر الباشا انه لا يوجد اثبات على مار يوسف بانهُ أفسد الانجيل غضب لانه كان يريد يجبر خاطر الشيخ اليَّا ويقتل مار يوسف لسبب الرشوة التي كان اخذها. فامر من جديد بحبس مار يوسف بين اللصوص والقتَلة. وفي ذلك الحين تفرَّق عنهُ جميع اصدقائهِ ومحبّيهِ لسبب خوفهم من الباشا ومن الشيخ اليَّا. واماً مار يوسف فسلَّم امرهُ الى السيد المسيح والى والدتهِ مريم العذراء عليها اشرف السلام. وبقي في السجن المنتن والزنجير في رقبتهِ والقيود في رجليهِ ويديه بين الاكراد والمجرمين

ولمَّا نظر الشيخ اليَّا وجماعتهُ انَّ الباشا ما قتل مار يوسف رشوا السجَّان لكي يجلدهُ ويعذّبهُ بنوع قاسٍ حتى يموت تحت الضرب. والسجَّان بعد ما ارتشى ابتدأ في عذاب مار يوسف وكان يضربهُ بغير رحمة وبقساوة لا تُحتمل. وكان مار يوسف صابرًا على هذه كلها في حبّ المسيح. وما كان يخرج من فمه الَّا هذا الكلام: «يتمجَّد اسمك يا رب. قوِّ ايماني يا رب». وبأحكام الله الغير المدركة: رفع السجان بغتةً عينيهِ في ليلةٍ ما حين كان يضربهُ الى السقف واذا بتراب سقط منهُ فيهما. وحالاً ألقى العصاة من يدهِ وبدأ كالمصروع يزعق ويصرّخ من الم وجع عينيهِ حتى تعجَّب كلّ المحبوسين. فخرج من السجن ومضى واخبر البولوك باشي. وهذا مضى الى الباشا وقال لهُ: «ان هذا المطران غير مذنب وقد تعدّينا عليهِ. واخاف ياسيدي ان الله يقاصصنا لاننا ظلمناهُ»

وفي الحال ارسل الباشا وطلب الشيخ اليَّا امامهُ واخرج مار يوسف ايضاً وارسلهما الى القاضي لكي يحكم عليهما بالشرع. فاجتمع كلّ المومنين الى المحكمة حتى صاروا مقدار ٣٠٠ نفس لينظروا المنتهى. فادَّعى النساطرة بان مار يوسف قد بدَّل الانجيل. فجاوب مار يوسف قائلًا: «هذا الانجيل معي. انظروا أما يوافق انجيلهم. انظروا هل يوجد فيهِ اسم نسطور. وانا ما رفعتُ اسم نسطور الا من كتب الصلوات. المكتوب من اناس شتَّى». فسأل القاضي الحضَّار: هل يوجد اسم نسطور

في الانجيل ؟ فقال المؤمنون: « كيف يمكن ذلك . لان نسطور قد وُلد بعد الانجيل باربعمائة سنة وهو نسطور نفسهُ الذي خالف تعاليم الانجيل ولهذا حرَمَتهُ الابهات ونفوهُ من بين المسيحيين ولذلك نحن لا نقبل نسطور ». فقال القاضي: اذا كان الامر كذا ان هذا المطران ليس عليهِ ذنب

فحزن الشيخ اليَّا وقال: «يا مولانا القاضي ان هـذا الرجل بدَّل دينهُ وصار فرنجي (١ وفي نيتهِ ان يصير بطركاً بقوَّة الفرنج». فقال القاضي: «ان يصير فرنجي او ما يصير هذا مـا هو ذنب ديني». ثمَّ قال القاضي للذين تبعوا مار يوسف: هل انتم تقبلون نسطور؟ اجابوا جميعهم: «نحن ما نعرف نسطور ولا نقبلهُ. نحن سريان الشرق اي كلدانيون. واذا يسمونا باسم فرنجي هذا خلاف الحق بلا سبب». فقال لهم القاضي: ايَّ واحدٍ تريدون من الاثنين مار يوسف ام الشيخ اليَّا؟ فمن خوفهم سكتوا. فقال واحد من القسوس: نريد الشيخ اليا. فاجاب مـار يوسف وقال: يا مولانا القاضي ان هذا القسيس ليس مسموعـاً كلامهُ ولقد تقاصص خمس مرات من الحكَّام لسبب سيرتهِ الرديَّة وذنوبهِ

فقام شمَّاس من تبَّاع مار يوسف وقال: « يا مولانا القاضي ان كنت تسأل من الاغنياء والفقراء والرجال والنساء والكبار والصغار فرداً فرداً تراهم كلّهم يريدون مار يوسف ولكن الآن هم ساكتون لانهم يخافون من الشيخ اليَّا. لان هذا شيخ اليَّا قد قال: «جبتُ معي اربعين كيساً من الدراهم (٢ وكلّ من يحامي عن مار يوسف اهلكهُ مع بيتهِ وما ابطّل حتى اهلك مـار يوسف». فقال القاضي للشماس: اتقدر تثبت كلامك؟ قال: «نعم. انا اثبتهُ امام خمسين شاهداً». فتعجب القـاضي وامر بتخلية مار يوسف وكان يؤمل ان الشيخ اليَّا يعطيهِ ايضاً لكي لا يخلّي مار يوسف. ولكن الشيخ اليَّا كان نفد ما عنده في الحاضر

ثم بعدهُ حكم القاضي وكتب: ان مار يوسف المطران يبقى في آمد ويحكم على ديار بكر وماردين وكل نواحيها. وان الشيخ اليَّـا حالاً يرجع الى الموصل ولا

---

١) كان النساطرة وغيرهم من اعداء الكنيسة الرومانيَّة اذا قصدوا الايقـاع باحد الكاثوليك اتهموهُ زوراً عند الاتراك بانَّهُ فرنجي لما كان يوجد من العداء والحروب بين الدولة والفرنج ٢) كان الكيس يساوي خمسمائة غرش

يتجاسر يحكم على المسيحيين في ديار بكر وماردين . ومار يوسف وجماعتهُ اخذوا الامر وشكروا الرب . ورجعوا من المحكمة بفرح الى قصر الباشا وعرَّفوهُ حكم القاضي . حينئذٍ طلب الباشا من مار يوسف الفين غرش كي يلبسهُ الخلعة وينصبهُ مطراناً كالاول على الكلدان في ديار بكر وماردين . فمار يوسف ما كان عندهُ ولا پارا . فقال : يا مولاي مـا عندي شي اعطيهِ . قال : اذهب ودبّر وجيبْ . حينئذ الپادري يوسف رئيس الكابوجيين (١ في ديار بكر لمـَّا سمع بمـا امر الباشا جمع المؤْمنين وترجَّى منهم لكي يجمعوا بينهم هذهِ الدراهم ويعطوهـا دَيْناً الى مار يوسف الى ان يسهِّل لهُ الرب ان يوفيها لهم . فارتضوا واعطى كلٌ واحد على قدر حالهِ . وقدّموها الى البـاشا . والباشا البسهُ الخلعة وارجعهُ الى بيعتهِ ودخل الى كنيسة مار فِثيون الشهيد بفرح وسرور

ورجع الشيخ اليـَّا الى قرية عين تنُّور (٢ حيث اكثر الكلدان كانوا نساطرة وتشاور معهم كي يشكوا مار يوسف ثانيةً ويعطوا دراهم حتى يقتلوهُ . فكتبوا عرضحال وسلّموهُ بيد نساء شريرات وبواسطتهنَّ قدّموه الى الباشا . فالباشا من يمّهِ تعالى ما قبل العرضحال وطرد النساء . وامر الشيخ اليَّا ان يرجع حالاً الى الموصل وارسل معهُ فرد جاويش حتى يطلع من ارض ديار بكر وماردين . واطلق جميع المحبوسين الذين كانوا مع مار يوسف

واما مار يوسف فبعدما رجع الى الكنيسة اشتملتهُ اوجاع مختلفة حتى قارب الموت . وبعد ان تعافى بزمانٍ قليل انعزل الباشا وجاء متسلم جديد الى آمد . وكان الشيخ اليَّا وصّى الهراطقة النساطرة : اذا انعزل الباشا وجاء غيرهُ اعملوا كلّ ما تقدرون

١) الپادري اي الاب لفظة ايطالية (padre) كانوا يطلقونها على المرسلين اللاتينيين . وهذا الاب يوسف هو المعروف بيوسف دي رويلي (P.Joseph de Reuilly) الذي قُتل شهيدًا في ديار بكر سنة ١٧٠٧ (راجع تاريخ الكبوشيين للاب هيلار : **P. Hilaire de Baranton** La France Catholique en Orient, p. 195-197

٢) عين تنُّور قرية صغيرة غربي ديار بكر على مسافة نصف ساعة منها وهي تُدعى اليوم عليّ پوار او علي پونار وكان النساطرة يسكنونها سابقاً ثمَّ خلفهم الكلدان الكاثوليك فبقوا فيها الى السنة ١٨١٥ حيث هجم عليهم الاكراد فقتلوهم ولا تزال اثار كنيستهم على اسم مار قرياقوس باقية الى يومنا

من الضرر لمار يوسف وانا ارسل لكم كلّ ما تصرفون من المال . فمضى كم واحد الى المتسلم الجديد وقرّروا لهُ ثلاثة الف غرش كي يحبس مار يوسف . فحالاً الباشا الجديد أرسل وطلب مار يوسف . فقام من الفراش لانهُ كان مريضاً ومضي وحالاً حبسهُ الباشا في مكان مظلم والزنجير في رقبتهِ والقيود في رجليهِ ويديهِ . والرب اعطاهُ الشفاء والصبر في الحبس . والهراطقة ارسلوا واحداً اسمهُ داوود عند الشيخ اليَّا ليرسمهُ مطراناً على ديار بكر ويرسل معهُ دراهم لكي يعاكسوا امر مار يوسف ويقتلوهُ

وفي تلك الاثناء اتى مطران نسطوري من القدس ذاهباً الى بلاد أورمي فأتى بهِ النساطرة الى الباشا والبسهُ الخلعة وأقاموهُ عليهم مطراناً الى ان يجيءْ داوود الذي أرسلوهُ الى الموصل . وبعد ذلك قالوا للباشا ان يطلب من مار يوسف ورقةً او يتنازل عن مطرنيتهِ او ان يُسْلم اذا ادّعى في المطرنيَّة او ان يعطي لهم دراهم مقدار ما يطلبون لكي يقبلوهُ رئيساً . فالباشا استدعى اليهِ مار يوسف وطلب منهُ هذه الشروط . فجاوب مار يوسف قائلًا : « اني ما أُسلم قطعاً ولو مزّقتني إرْباً ارباً . ولا يجوز لي ان اعطي لهم دراهم لكي يقبلوني رئيساً . وما اجوز عن مطرنيتي على الذين يتبعوني لاني شرعيًا قد صرت مطرانهم من طرَف الله » . فغضب الباشا عليهِ وارسلهُ الى القاضي وامر ان يأخذوا منهُ غصباً ورغماً عنهُ ورقةً يختم فيها على اسلامهِ اذا ادَّعى بالمطرنة . فاخذوهُ عند القاضي

فمار يوسف من جهة كان مصمِّماً على ان لا يعطي كذا ورقة ابداً ومن جهة اخرى كان متحققاً انهم سيعذبونهُ عذاباً شديداً للغاية . وسلّم جميع اموره بيد الله واتّكل على شفاعة العذراء والدة الله . وفي الطريق كان يصلّي ويطلب من يسوع المسيح ان يساعدهُ . ومن كثرة الضربات التي كانت تنزل على رأسهِ في الطريق اظلمتْ عيناه لان الهراطقة كانوا حولهُ مثل السباع الضارية يضربونهُ ويشتمونهُ بكل انواع الشتائم المرَّة ويعيّرونهُ ويهينونهُ ومن شدَّة الاوجاع وألم قلبهِ بقي جسدهُ مثل النار وصدرهُ يلتهب وافكارهُ في عذاب الليل المزمع . وكان يشجّع ذاتهُ كي لا يُظهر ضعفاً امام الاعداء . وكل اتكالهِ كان القاهُ على مريم العذراء . كي تخلّصهُ من مكر وشرّ الهراطقة

ولما وصلوا الى المحكمة نظروها خالية لان القاضي والنائب كانا خرجا الى خارج المدينة للضيافة والتنزه . فأخّروا الدعوى الى غير يوم. وهذا ما صار الآن من أحكام الرب حيث تأخّر الشرّ . ومار يوسف ارجعوهُ الى الحبس والاشرار لم يكفّوا عن سوء فعلهم . ومار يوسف يقاسي الاوجاع الجسديّة وكان الدم يسيل من بطنهِ

امّا النساطرة فكان بقي عليهم مقدار وافر من الديون وتحيّروا في امورهم . لأن داوود ما كان رجع لكي يساعدهم . فخافوا من الباشا والتزموا ان يُخرجوا مار يوسف من الحبس حتى هو يجمع لهم من بين الجميع دراهم . ولذلك اخرجوهُ من الحبس وروّسوهُ عليهم . وهو لكي يظهر لهم محبّة الديانة الكاثوليكية اهتمّ وجمع المال وقسّمهُ على الجماعة ووفى دينهم

وبعد ما انوفى الدَّين الذي كان عليهم حضر داوود مرسوماً مطراناً من الشيخ اليا عليهم . فرشا الحكّام فعمي قلبهم بالرشوة وعاد النساطرة الخَوَنة فقبلوهُ وبامر الباشا عزلوا مار يوسف مرّة اخرى من الكنيسة واجلسوا المطران داوود

فلمّا نظر مار يوسف ان الاضطهادات من كل جهة احاطت بهِ وليس لها نهاية عزم ان يزور قبر مار بطرس ومار بولس في رومية وباقي الاماكن المقدّسة . وكانت سنة اليوبيليون (١ على عهد اقليميس البابا العاشر . وكان يؤمل ان تصير لهُ بعض مساعدات وشفى ايضاً من امراضهِ . فوصل الى رومية باتعابٍ شديدة وتمّ بها سنة وخمسة اشهر . وما ساعدهُ احدٌ في رومية لانهم ظنّوا انهُ مثل بقية المطارين الذين قصدوا رومية ووجدوا المساعدات ورجعوا وما عملوا شيئاً . وقام ليرجع خائباً الى بلادهِ وهو خائف جدًّا لان الحكّام يريدون دراهم والهراطقة مستعدّون ان يقتلوهُ . وكان الحزن في قلبهِ من جهة الذين تبعوهُ لئلّا ينظرهم آنسين ويخاف ان ينغلبوا من الضعف ومن الشيطان . فحوّل امرهُ الى الربّ والى مريم العذراء

فاتفق من إحسان الله ومريم العذراء انهُ تعارف مع مطران فرنساوي اسمهُ فرنسوا پيكاي (٢ فهذا اعطاه كم كيس من الدراهم . ولما جاء الى دياربكر

---

١) اليوبيليون هو اليوبيل اي الغفران الكبير اصلهُ من العبرانية . واليوبيل المذكور كان منحهُ البابا اقليميس العاشر سنة ١٦٧٥

٢) راجع ما قلناه في التوطئة

استدعاهُ الوالي وطلب منهُ كم كيس دراهم · فاعطاهُ ودخل الكنيسة وضبط الجماعة كما الاول وأجود وأخيَر. وبدأ يكرز ويعلّم تعاليم الكنيسة الرومانية · وهرب المطران داؤود

ولكن بعد سنة رجع ايضاً هذا المطران الهرطوقي ورشا باثني عشر كيساً للباشا وللقاضي ولاشراف البلد ولبس الخلعة وجاء الى الكنيسة وضبطها وعزل مار يوسف · واماَّ مار يوسف فمضى واختفى في بيت واحد من المؤمنين مقدار خمسة اشهر وكان ينتظر الفرصة المعيّنة من الرب لنجاته · وبعد خمسة اشهر انعزل الباشا وجاء باشا اخر ومضى اليهِ مار يوسف فلبّسهُ الباشا الخلعة من دون معارضة واتى وضبط الكنيسة ففرحت جماعتهُ واصدقاؤهُ ومحبّوهُ فرحاً عظيماً

وابتدأت الامور تصطلح في حقهِ · وبدأ الرب يعطيهِ التسلية جزاء عن ثباتهِ هذا العظيم · والهراطقة الذين ضاددوهُ انتقم منهم الباري تعالى اشدَّ الانتقام فمنهم ماتوا ومنهم ابتلاهم الله بالفقر حتى انَّ مار يوسف كان يتصدَّق عليهم · والبعض تنوَّرت عقولهم واهتدوا الى الايمان · وداوود المطران النسطوري السكري انهزم الى مصر ولم يُعرف لهُ اثر الى هذا اليوم

ثمَّ ان مار يوسف رفع اسم البطريرك الشيخ اليّا من القدّاس ووضع اسم البابا خليفة مار بطرس ورفع كليًّا اسم نسطور من دياربكر · والشيخ اليَّا ايضاً تيقَّن بانَّهُ ما عاد يقدر على مار يوسف فتركهُ

وبأحكام الله تعالى اتى الى دياربكر ماضياً الى العجم ذاك المطران الفرنساوي السابق ذكرهُ (١ فلما نظر جهاد مار يوسف وغيرتهُ على الايمان وكل الجماعة قد صارت قاتوليقية فرح كثيرًا · وأرسل مكاتيب الى المجمع المقدس يمدح فيها جهاد وغيرة واستقامة هذا المطران مار يوسف المعترف بايمان القاتوليقي وطلب من المجمع ان يقيموهُ بطريركاً على جميع المسيحيين الراجعين من النسطرة الى الكاثوليكية في الشرق · فالمجمع المقدس أصغى الى هذا الالتماس وقداسة البابا ارسل لهُ الباليون وثبَّتهُ بطريركاً وصار يسمّى مار يوسف الاول ويُذكر اسمهُ في الصلوات · والرب نجَّح امورهُ واراحهُ من اعدائهِ

١) اي المطران فرنسوا پيكه . وقع ذلك سنة ١٦٨١ (راجع التوطئة)

وشاع صيتهُ في المشرق كله وابتدأت ان تقصدهُ جميع الطوائف لكي تتعلّم منهُ وتأخذ ارشاداتهِ وما كان يفتر قط ليلًا ونهارًا وهو يعلّم قواعد الدين وارجع كثيرين من هراطقة اليعقوبيين والارمن والروم . وفي دياربكر ما كان يوجد كنيسة كاثوليكية الّا كنيسة الكلدان التي فتحها وثبتها في الدين الكاثوليكي بدمهِ وتعبهِ وعذاباتهِ ونظر اخيرًا بان الكل كانوا يخضعون لهُ ويلتمُّون تحت رعايتهِ

وكان يقول دائمًا في كل حين بان العذراء مريم هي صارت السبب والمحاميَة والمنجّحة هذا الايمان الكاثوليقي ولولا شفاعتها وحمايتها لَمَا كان ثبت ولا دقيقة على ما احتمل من اشدّ الظلم والقساوة والعذابات . وكان يقول للشعب دائمًا : كل من يحبّ ان يكون محبوباً عند يسوع فليحب العذراء مريم . وكل من يريد ان ينتصر على اعدائه المنظورين والغير منظورين فليتمسَّك في العذراء مريم . والذي يكون مستعدًا ان يسفك دمَهُ حبًّا بها فلا بدّ انَّها تنجيه من الخطية ومن الاعداء وتُثبتهُ في الايمان القاتوليقي وتقودهُ الى الملكوت السماوي عند ابنها يسوع . وكان دائمًا يختم كرازتهُ(١ في تبجيل ومديح العذراء مريم . وكل دفعة كانوا يذكرون اسمها امامهُ كان يحني رأسهُ الى صدرهِ . وقد شاهدناهُ اوقاتٍ كثيرة لَمَّا كانوا ينكرون امامهُ والديّتها لله او بتوليتها او بعض فضائلها كان وجههُ يلتهب مثل النار ويخفق قلبهُ من شدّة كدرهِ وحزنهِ وحالًا من دون مبالاة الخوف او الحرمة كان ياخذ في حمايتها وينصح ويوبّخ ويحث ويجادل ويُقنِع المتكلّمين في حقّها على غلطهم وكان يعتبر ويمدح الذين كانوا يعتبرون ويمدحون العذراء مريم . . .

وبعد ما اصطلحت لهُ الاحوال واستقامت لهُ الامور مقدار عشرين سنة رسم قسوساً وشمامسة ودفع عوائد كثيرة ادخلها الهراطقة . واتفق ان الرب ارسل لهُ من قرية تلكيف من نواحي الموصل رجلًا اسمهُ شمَّاس صليوا (٢ وكان رجلًا فائقًا واديباً وعالمًا باللغة السريانيَّة اي الكلدانية . فاحبَّه واخذه عندهُ وعلّمهُ قواعد الايمان الكاثوليكي ورسمهُ قسيساً وسمَّاه باسمهِ يوسف (٣ . وبعد زمانٍ رسمهُ مطرانًا

---

١) الكرزة العظة لفظة سريانيّة . والكاروز الواعظ والخطيب

٢) صليوا على اللفظ الكلداني كصَليبا

٣) هو يوسف الثاني الذي خلف يوسف الاوّل على كرسي بابل في آمد

لكي يكون لهُ معاوناً وخليفةً . ثم كثرت على مار يوسف البطريرك الاوجاع وقلَّ لا بل فُقد نظرُ عيونهِ وما بقي يبصر وذلك لسبب العذابات التي كان قاساها . فسلَّم امور الجماعة والكرسي الى خليفتهِ المذكور وقصد مدينة رومية لكي يقضي باقي عمرهِ بالعبادة في الاماكن المقدسة . وخرج من آمد اي دياربكر في شهر اب سنة ١٦٩٤ للمسيح ووصل الى رومية العظمى بتعبٍ ومشقات . وهنالك بشفاعة العذراء البتول انفتحت عيونهُ وشفي من اوجاعهِ وبدأَ ينظر احسن من الاوَّل مثلما خبَّرنا في مكاتيبهِ بخط يدهِ كان يرسلها لمار يوسف الثاني وللحقير كاتب هذه ترجمة حياتهِ . وهنالك سعى بان يُثبّت خليفتهُ مار يوسف الثاني بطريركاً ويأتيهِ الپاليون (١ كما في الحقيقة اتاهُ الپاليون وتثبت من السدة الرسوليَّة . وبعد ثلاث عشرة سنة من وصولهِ الى رومية تنيَّح بالرب البطريرك يوسف الاوَّل برائحة القداسة وقُبر في كنيسة مجمع انتشار الايمان المقدس وذلك في سنة ١٧٠٧ للمسيح . الرب يرحمنا بصلواتهِ المقبولة بشفاعة العذراء مريم عليها اشرف السلام وبشفاعة جميع القديسين . آمين

قد حرَّر هذهِ ترجمة مار يوسف الاول بطريرك السريان الشرقيين الكاثوليكيين اي الكلدان الحقير باسيليوس عبد الاحد مطران آمد . والرب شاهد علينا اننا لم نتجاسر نكتب شيئاً زائداً . بل كلما سمعناهُ من فمهِ شفاهياً او من الشيوخ الذين كانوا شهود الحال وصارت الدعاوي في زمانهم وامامهم . وقد اقتصرنا في التخبير لئلا نعجّز القارئين وقد حررناهُ في ٢٣ ايَّار الواقع في سنة ١٧١٩ للمسيح

---

# الطائفة المارونيَّة والرهبانيَّة اليسوعيَّة

## في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

### ختام سفارة الاب اليانو الثانية الى لبنان

وممَّا عُني بهِ الاب يوحنَّا اليانو في حلب قيامةً بامر الكردينال سان ساڤرينو

---

١) الپاليون (pallium) هو درع الرئاسة الذي يمنحهُ الحبر الاعظم لكبار رؤساء الكنيسة

ارتداد السريان اليعاقبة الى طاعة الكرسيّ الرسوليّ مع بطريركهم داود شاه المقيم في ماردين

وهنا ينبغي ذكر شيء من تاريخ اليعاقبة لبيان مهمَّة الاب اليانو . كان بطريرك اليعاقبة في زمنهِ اغناطيوس نعمة الله الماردينيِ المعروف بالبطرك نعمة اختارهُ اهل ملّتهِ لتلك الرتبة سنة ١٥٥٥ . قيل انهُ كان مائلًا الى الاتحاد مع الكنيسة الرومانيَّة لكنَّهُ لسوء حظّهِ وقع في أشراك بعض علماء المسلمين فاتَّهموهُ بالكفر واصدروا عليهِ الحكم بالإعدام فحملهُ خوفهُ منهم على جحود ايمانهِ وتظاهر بالإسلام فنجا من الموت لكنهُ لم يَنجُ من وخز ضميرهِ وتبكيت شعبهِ لهُ حتَّى انَّ العامَّة كانت تتغنَّى امامهُ بزجليَّة نروي بعض ادوارها :

| | |
|---|---|
| يا حبابي يا ساداتي | اسمعوا لي هل المقالاتِ |
| قمرنا انكسف نوره | وبقينا في الظلماتِ |
| هتكتت الدين هتكت الدينْ | بطرك نعمهْ يا مسكينْ |
| اخبارك شاعت لِوَا الصينْ | الى بلاد العَجَمياتِ |
| بطرك نعمهْ ايش سوَّيتْ | من بعد عزّك قد ذلّيتْ |
| مفاتيح السما ردَّيتْ | على رب السماواتِ |
| كنت اخو الصفا شمعونْ | على ايدك يفيض الميرونْ |
| والحسَّاد صيَّروك مجنونْ | مرمي في سوء الحالاتِ |

فللنجاة من هذه الحالة السيئة فرَّ هارباً من دياربكر الى رودس ومنها الى رومية سنة ١٥٧٨ واعلن هناك بتوبتهِ وبخضوعهِ للكرسي الرسولي ووعد بافراغ جهدهِ لردّ طائفتهِ الى الديانة الكاثوليكيَّة . وكان اخوهُ داود شاه بعد غيبتهِ أُقيم نائباً عنهُ في البطريركيَّة اليعقوبيَّة فكتب اليهِ نعمة يحرّضهُ على اتّباع الكنيسة الرومانيَّة فوعدهُ داوود بذلك . فوكل الكردينال سان سفرينو الى الاب اليانو ان يتحقَّق صحَّة ايمان النائب داود شاه فاذا ثبت الامر يؤيد الحبر الاعظم انتخابهُ

فلمَّا وصل الاب اليانو الى حلب وطلب ان يجتمع بداوُد شاه اخذ هذا يماطلهُ ويسوّفهُ ويعدهُ المواعيد العرقوبيَّة ويعتذر اليهِ من ظلم الاتراك وانتقامهم منهُ اذا اجتمع بالقاصد الرسوليّ فينسبونهُ الى اتباع الفرنج . وكان ارسل دستور ايمانهِ فوجدهُ

الاب اليانو ملتبساً غير واضح ومن ثمَّ تحقَّق انهُ لا رجاء في الحاضر الى ارتداد اليعاقبة وان مواعيدهم لغايات زمنيَّة ليس الَّا

ثمَّ طلب البطرك نعمة من الحبر الاعظم ان يرسل وفدًا آخر الى اهل ملَّتهِ موءكدًا لهُ انهم يرتدُّون الى الايمان المستقيم · فارسل البابا قاصدًا رسوليًّا ليونردو ابيلا اسقف صيداء مع ثلاثة رهبان يسوعيين سنة ١٥٨٣ فعادوا خائبين وعرفوا صحَّة ما رواهُ الاب اليانو عن مكر اليعاقبة (راجع المشرق ٦ [١٩٠٣] : ٢٥٦—٢٥٧)

امَّا الاب اليانو فاذ اتمَّ مهمَّتهُ في حلب اراد الرجوع الى لبنان ليستعدَّ للسفر ويلحق برفقتهِ في قبرس ويعود الى ايطالية · بيد انهُ بلغتهُ في تلك الاثناء رسالة من قبل روءسائهِ في رومية تقدَّموا فيها اليهِ بان يستأنف قصادتهُ الى بطريرك الاقباط في مصر · فلم يرَ بُدًّا من الإذعان الى امرهم

لكنَّ المرسل الغيور لم يَنسَ مدَّة اقامتهِ في حلب ما عُهد اليه من اختيار بعض احداث الموارنة ليرسلهم الى رومية كما اوصاه الحبر الاعظم ليتخرَّجوا هناك على الآداب الكهنوتيَّة وقد ذكر في رسالتهِ الى الكردينال كرافًا في غرَّة آب ١٥٨٢ انَّ اهل حلب عرضوا عليهِ بعض اولادهم لهذه الغاية ويخصّ بالذكر واحدًا منهم وجدهُ غاية في الذكاء كان ابوهُ كاهنًا ولم يصرّح باسمهِ · ولعلَّهُ هو ابرهيم جرجس الذي دخل بعد قليل في الرهبانيَّة اليسوعيَّة ومات شهيدًا في مصوّع · وسنعود الى هذا قريبًا

وكذلك اجتمع الاب اليانو ببطريرك الروم في حلب وفاتحهُ في امر اتحاد الكنائس فوافقهُ البطريرك على نواياهُ لكنَّهُ اكتفى ببعض المواعيد الطيّبة التي اتت بعد ذلك بمدَّة بنتائج حسنة

ودَّع الاب اليانو الشهباء في العشر الاخير من آب سنة ١٥٨٢ وعاد الى طرابلس على طريق البرّ فاجتمع هناك بالاخ برنردينو ثم أبحر معه بعد قليل الى مصر(١ وكان وصولهُ اليها في اوائل تشرين الاوَّل ونزل ضيفاً كريماً عند قنصل فرنسة المدعو بولس مارياني الذي كان سعى لدى الحبر الاعظم باستئناف السفارة لدى الاقباط لِما رآه في بطريركهم من الرغبة في الاتحاد بالكنيسة الرومانيَّة · ولدينا منهُ رسائل تاريخها

١) لكنَّ الروساء استدعوا الاخ برنردينو وارسلوا الى مصر عوضهُ الاخ ماريو

٢٢ ت ١ وجَّهها من القاهرة الى رئيسهِ العامّ والى الكردينالين كرافًا وسان ساڤرينو يذكر فيها ختام سفارتهِ الى الموارنة وتفاصيل سفرهِ الى مصر مؤمّلًا من رسالتهِ الى الاقباط خيرًا

وكان الاب جوان برونو والاخ ماريو قضيا بعد سفر الاب اليانو الى حلب نحو ٨٠ يوماً في قبرس ينتظران سفر احدى السفن الى البندقيَّة وقد اصابهما في تلك الاثناء مصادرات من قبل الاتراك لم يَنجُوا منها الَّا بدفع الغرامات الشاقَّة وكان وصولهما الى ايطالية في ايلول . وناب الاب جوان برونو عن الاب اليانو لدى الحبر الاعظم والكردينال كرافًا بايضاح ما جرى من الامور في هذه السفارة الى الموارنة . فأعرب البابا غريغوريوس الثالث عشر عن سموّ رضاهُ من نتائجها الحسنة

امَّا الاب اليانو فبقي في مصر كسفير الحبر الاعظم لدى الاقباط الى آذار سنة ١٥٨٥ بعد موت غريغوريوس الثالث عشر وجلوس خلفهِ سكستوس الخامس واصابهُ في تلك المدّة من ضروب المحن ما يطول شرحهُ وليس هو الآن من غرضنا . ثمَّ رجع الى رومية فعهد اليهِ الحبر الاعظم رُتبة رئيس المعرفين (Grand Pénitencier) فقام بواجباتها الى سنة وفاتهِ في ٣ آذار سنة ١٥٨٩

# فصل

## في تاريخ المدرسة المارونيَّة في رومية

### في مبادىء المدرسة المارونية (١٥٧٨ — ١٥٨٤)

من أجلّ الخدم التي ادَّاها الكرسي الرسولي للطائفة المارونيَّة انشاء مدرسة اكليريكيَّة يتخرَّج بها بعض أحداث الموارنة في كلّ الآداب الكهنوتيَّة حتَّى اذا اتقنوها يعودون الى وطنهم لبنان فيخدمون اهل ملَّتهم بكل امور الدين

وكان بطاركة الموارنة احسُّوا بحاجة طائفتهم الى كهنة متفقهين غيّورين ذوي علم وتقىً يتهذَّبون في مدارس الغرب ليُحسنوا بعد رجوعهم الى الوطن خدمة رعاياهم . فمن ذلك ما اخبر بهِ البطريرك الدويهيّ (ص ١٤٩) في تاريخ سنة ١٥١٥

« انَّ رئيس الاراضي المقدسة فرنسيس سوريانو من البندقيَّة بعد نهاية رئاستهِ قدم الى زيارة البطريرك شمعون الحدثي ثمَّ سافر في ١٤ شباط الى رومية » فارسل معهُ البطريرك الخوري يوسف مع راهبين ليتعلَّما اللغة اللاتينيَّة ويدرسا تعليم الآباء الاطهار وعند وصولهم الى رومية كان البابا ( لاون العاشر ) عاقدًا مجمعاً كبيرًا في كنيسة القديس يوحنَّا لاتران فقابلهم بغاية المجاملة والإعزاز وأمر ... بان يتزل قصَّاد الكرسي الانطاكي عند الكردينال سنتاكروس في كنيسة القديس اغسطين» . ثمَّ روى كيف جرى تدريس اللغة السريانيَّة في بلاد الغرب لمَّا حضروا قدَّاس الخوري يوسف بالسريانيَّة فتعلَّمها منهُ تاسيوس امبروسيوس

وفي عهد البطريرك ميخائيل الرزّي سنة ١٥٦٨ طلب هذا البطريرك عن يد رئيس القدس الشريف الاب جيرولامو دا فوسَّاتو من الحبر الاعظم القديس بيُوس الخامس « ان يُنعم على الموارنة بدارٍ في رومية تُجعَل مدرسةً لأولادهم حتى اذا رجعوا متعلّمين الى اوطانهم قدروا ان ينفعوا بني ملَّتهم » ( الدويهي ص ٤٣٩ ) . فامر البابا رئيس القدس الاب فرنسيس ڤيشنسيوس (١ فسافر الى لبنان وخاطب رؤساء الطائفة في ارسال الشبَّان ليتعلَّموا برومية . لكن الامر لم يتمّ حينئذٍ

وكان الفضل في ذلك للحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر خلَف القديس بيوس الخامس كما سبقت الاشارة اليهِ اذ اوصي الاب جوان باطشتا اليانو في سفارتيهِ الاولى (١٥٧٨) والثانية (١٥٨٠) بان يختار في لبنان فتيةً نجباء يأتي بهم او يرسلهم الى عاصمة الكثلكة حيث تُصرَف العناية في تربيتهم وتثقيفهم

وهذا ايضاً ما تحقَّقهُ سفير الكرسيّ الرسولي بعد سفارتهِ الاولى اذ كتب في التقرير الذي قدَّمهُ للحبر الاعظم انّ الواسطة الاولى الواجب اتخاذها لخير الطائفة المارونيَّة « اصلاح اكليرسها وذلك بان يُستجلَب الى رومية عدد وافٍ من الاحداث او الشبَّان ليتخرَّجوا في الآداب الدينيَّة حتَّى اذا قفلوا راجعين الى وطنهم يخدمون بني ملَّتهم بالامور الروحيَّة »

١) وفي تاريخ الدويهي ( ص ٤٣٩ ) « فرنسيس بنجتين »(كذا)

وكان اوَّل من انتخبهم الاب جوان باطشتا اليانو شابَّين فَطِنين لبنانياً وقبرسياً ركبا البحر معهُ في آذار سنة ١٥٧٨ وهما جبرئيل سعد الادنيتي وكسبار القبرسي وكان الموكَّل بهما الشدياق عازر القبرسيّ المار ذكرهُ وكان وصولهما الى رومية في حزيران من السنة . وقد ورد في تاريخ الدويهي (ص ٤٤٤ — ٤٤٥) انَّ الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر « امر باحضار الولدين فباركهما وسُرَّ بهما كثيراً وطلب من الله ان يجعلهما غرسة مباركة وافتتاحاً مقدَّساً لتمجيد اسمهِ وانتشار امانتهِ في اصقاع الشرق وامر بان يقيما اوَّلاً في مدرسة الاحداث الى ان يتمَّ بناء مدرسة خصوصيَّة للموارنة »

وقد ورد ذكر الشابين في احد مخطوطات المكتبة الواتيكانيَّة (الموسوم بالعدد ٥٥٢٨ في الصفحة ٣١ — ٣٣) باللغة اللاتينيَّة ما تعريبهُ : « جبرئيل سعد (Gabriel Felicis) من بان من ابرشيَّة سيدة قنّوبين في جبل لبنان وهي ابرشيَّة البطريركيَّة المارونيَّة . قدم الى رومية في ٨ حزيران ١٥٧٩ » وكان اذ ذاك عمرهُ ١٦ سنة

« كسبار غريب (؟) (Gaspar Peregrinus) اصلهُ من الافقسيَّة (Episcopia) من جزيرة قبرس ومن ابرشيَّة شدرا وهو من الطائفة المارونيَّة ايضاً قدم الى رومية في ٨ حزيران ١٥٧٩ » وكان اذ ذاك عمرهُ ١٣ سنة

امَّا مدرسة الاحداث فكانت داراً مختصَّة بالمتنصّرين المرتدّين حديثاً الى الدين المسيحيّ (dei Neofiti)

فانكبَّ الشابَّان على الدروس . وكانا يحضران مدارس الآباء اليسوعيين في المدرسة الرومانيَّة (Collegio Romano) الذي انشأهُ القديس اغناطيوس دي لويولا فما لبثا ان تعلَّما اللغتين اللاتينيَّة والايطاليَّة مع معرفتهما بالسريانيَّة وكان جبرئيل يعرف العربيَّة ايضاً وكسبار يتكلَّم باليونانيَّة الحديثة

فلمَّا عاد الاب اليانو الى لبنان في سفارتهِ الثانية الحَّ على البطريرك ميخائيل الرزي ثمَّ على شقيقهِ وخلفهِ سركيس الرزي بان يلبّيا طلبة الحبر الاعظم ويختارا احداثاً آخرين ليَرِدوا في رومية منهل العلم ويتهذَّبوا فيها بالسيرة الاكليريكيَّة فوقع اختيار الاب اليانو على اربعة ممَّن رأوهم اهلاً لذلك فاخذ المرسل الغيور يهتمُّ بأمرهم فكان

في أوقات الفراغ مدَّة اقامتهِ في قنُّوبين يُعنى بتعليمهم مبادئ اللغة اللاتينيَّة كما ذكر ذلك في رسالتهِ المؤرخة في ١٩ تموز ١٥٨٠ للكردينال انطون كرافا · فلله من غيرة في ذلك الرسول الذي مع عظم رتبتهِ كقاصد البابا اخذ على نفسهِ مهنة المعلّم للصغار

امَّا هؤلاء الاربعة فقد ورد ذكرهم في المخطوطة الواتيكانيَّة السابق ذكرها وهم :

١ً يعقوب بن سمعان (Jacobus Simeonis) الحصروني كان عمره ١٩ سنة · ٢ً انطون فرنسيس (Antonius Francisci) الحصروني عمره ١٦ سنة · ٣ً حنَّا رئيس (والصواب دايس) بن يعقوب (Joannes Rais Jacobi) عمره ١٥ سنة وهؤلاء الثلثة من ابرشيَّة سيّدة قنُّوبين وهي الابرشيَّة البطريركيَّة · ٤ً مرقس بن اسطفان المطوشي عمره ١٨ سنة من جزيرة قبرس وابرشيَّة شدرا · وقد وصل هؤلاء الاربعة الى رومية في ٢٧ شباط سنة ١٥٨١ · وكانوا اتوا على طريق البندقيَّة فرافقهم من قبرس الى رومية الخوري مارون بن اسطفان المطوشي · امَّا الدويهي فقد روى في تاريخه (ص٤٤٤) انَّ الذي صحبهم الى رومية هو الاب جوان برون رفيق الاب اليانو لكنَّ هذا الاب لم يرجع الى ايطالية الَّا في ايلول كما سبق · ونزل هؤلاء الاربعة مع الخوري مارون في مدرسة الاحداث برفقة التلميذين السابق ذكرهما ولم يلبثوا ان بلغوا مبلغها من العلم بعد ان اعدَّهم الاب اليانو بما القاهُ عليهم من الدروس في لبنان

وكانت البعثة الثالثة من الشبان الموارنة الى رومية في اواخر السنة ١٥٨٣ · هذه قائمتهم منقولة عن المخطوطة الواتيكانيَّة السابق ذكرها · ١ً موسى سعد العاقوري (دعاهُ الدويهي (ص٤٤٦) موسى العنيسيّ) من ابرشيَّة العاقورة · ٢ً جرجس بن ميخائيل الاهدني من ابرشيَّة اهدن (١) (وهو جرجس بن ميخائيل الشهير بابن عميرة الاهدني) · ٣ً جبرئيل نعمة الاهدني من ابرشيَّة اهدن (لم يذكرهُ الدويهي) · ٤ً ميخائيل صليب (Michael Crucis) البسلوقيتيّ من ابرشيَّة قنُّوبين (لم يذكرهُ الدويهيّ) · ٥ً بطرس بن جبرائيل المطوشي من قبرس من ابرشيَّة شدرا عمرهُ ١٤ سنة · ٦ً يعقوب بن ميخائيل من الافقسيَّة من قبرس من ابرشيَّة شدرا عمرهُ تسع

(١) تصفَّح الاسم باللاتينيَّة فقال de Herden., Diœcesis Herdenensis

سنين. ٧ً حنّاً بن جرجس من ڤونو (Vuno) في قبرس ومن ابرشيَّة شدرا عمرهُ ٨ سنوات. ٨ً جرجس بن انطون من الافقسيَّة من قبرس من ابرشيَّة شدرا والثلثة الآخرون لم يذكرهم الدويهيّ. وكان يرافق هؤلاء التلامذة الخوري يوحنّاً بن ايّوب الحصروني من ابرشيَّة قنّوبين ثمَّ الاخ يعقوب بن سركيس القس الراهب من حردين من رهبنة مار انطونيوس (دعاهُ الدويهيّ القس يعقوب الراهب الدويهيّ). ومعهُ الاخ ابرهيم بن سمعان من عنيد (؟) (Anid) دعاهُ الدويهي بالشمَّاس ابرهيم بن سمعان الادنيتي. وكان الكردينال كرافا استدعى الاوَّل لتصحيح الكتب السريانيَّة المنويّ طبعها. واستدعى الراهبَين الآخرين لنظارة المأوى الذي خصَّهُ الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر لايواء الموارنة

وهؤلاء التسعة بلغوا رومية في ١٤ كانون الاوَّل سنة ١٥٨٣ ليس في اوَّلها كما ورد في تاريخ الموارنة (ص٤٤٦) وقال الدويهيّ هناك: « وبعد ان تشرَّفوا بلثم مواطئ الحبر الاعظم طلبوا من غزير كرمهِ بيتاً لأجل مأوى الغرباء وان ينعم عليهم بطبع بعض كتب للصلاة فرحَّب بهم قداستهُ وامر بان ينزل الطلبة مع رفقائهم في مدرسة الاحداث واماَّ غرباء الطائفة فاقام لهم منزلًا عند كنيسة مار يوحنّا المعروف بالتينة (١) »

وممَّن ذكرهُ الدويهيّ (ص٤٤٦) ولم نجدهُ في المخطوطة الواتيكانيَة «سركيس ابن موسى اخي البطريرك سركيس (٢)». ثمَّ اردف قائلًا: « وفي السنة الثانية بعث البطرك اربعة شبَّان غيرهم من موارنة حلب لاجل طلب العلم » لكنَّهُ لم يذكر اسماءهم. وهذه الاسماء مصرَّح بها في المخطوطة الواتيكانيَّة: ١ً نيقولا ڤالنتان(٣ (Nicola Valentini) عمرهُ ١٣ سنة. ٢ً يوحنّا منصور عمرهُ ١٢ سنة. ٣ً جرجس منصور عمرهُ ١٢ سنة. ٤ً يوسف ايليّا عمرهُ ثماني سنين. وكلهم من حلب كانوا درسوا شيئاً من اللاتينيَّة ويعرفون اللغة العربيَّة وكان نيقولا يعرف ايضاً اللغة التركيَّة. كان وصولهم الى رومية في شهر نيسان من السنة ١٥٨٤

---

١) يعرف بالايطاليّة باسم della Ficoccia

٢) ولعلَّهُ يوجد تلميذ عاشر لم يذكرهُ الدويهيّ باسمهِ اذ قال انَّ عدد التلامذة المرسلين في تلك البعثة «كانوا عشرة» ٣) لعلَّهُ ترجمة اسم «شديد»

وهنا لا بُدَّ ان نذكر شابَّين اخرين من الموارنة أُرسلا الى رومية سنة ١٥٨٢ ولم يُفدنا الدويهيّ والاب اليانو عن امرهما شيئاً . واسماهما مدوَّنان في سجلَّات الرهبانيَّة اليسوعيَّة : اسم الاوَّل نيقولا جرجي (Nicola di Giorgi) . والثاني ابرهيم جرجي (Abraham di Giorgi) المولود في حلب سنة ١٥٦٣ . وكلاهما دخل في الرهبانيَّة اليسوعيَّة . كان دخول نيقولا في ٢٠ ايلول ١٥٨٢ . وابرهيم في ٢٨ كانون الاوَّل ١٥٨٢ . ولعلَّهما اخوان ولا نعرف من امر نيقولا شيئاً امَّا ابراهيم فهو الاب المكرَّم الذي بشَّر بالمسيح في الهند ثمَّ رحل الى الحبشة فقُتل شهيدًا في مصوَّع في ٤ ايَّار ١٥٩٥ وسنعود الى ذكره . وكان لابرهيم اخ اسمهُ يوسف انضوى مثلهُ الى الرهبانيَّة اليسوعيَّة ولا نعلم من اخباره سوى ما ورد في احد مكاتيب الاب ابراهيم الى الرئيس العام الاب اكواڤيڤا في تاريخ ١٥ ك ١ سنة ١٥٩٣ يطلب منهُ ان يرسل اخاهُ يوسف الى الهند مع الكاهن الماروني موسى العنيسي تلميذ مدرسة الموارنة في رومية (لهُ بقيَّة)

---

# النَّصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

## العلوم والصنائع بين نصارى العرب (تابع)

وكان اكثر الحرير يأتي بهِ العرب من بلاد الروم . قال الاخطل (راجع ديوانهُ ص ٣٨٧)

بناتُ الروم في سرَقِ الحرير

والسَّرق واحدتُهُ سرَقة وهي شقائق الحرير او اجودهُ وقال في ذلك :

يَرْفُلْن في سَرَقِ الفرِندِ وقَزِّهِ   يَسْحَبْن من هُدَّابِهِ أَذْيالا

ومن الانسجة الثمينة التي كان يتزاحم عليها امراء العرب الدَّفنيّ من مصنوعات اليمن قال الاعشى يصف بعض الاعيان (شرح المفضَّليات ص ٥٢٨ ,ed. Lyall):

يَمْشون في الدَّفنيّ والأبرادِ

ومثلها السِّيَراء من برود اليمن الموشَّاة المخطَّطة التي يخالطها الحرير كالسُّيور كان يحيكها نصارى نجران ودومة الجندل. وفي الحديث انَّ أُكيدِر بن عبد الملك النصراني صاحب دومة اهدى الى محمَّد حُلَّةً سِيَراء (التاج ٣: ٢٨٧). وكذلك عرف اهل مكَّة الارجوان من مصنوعات سواحل الشام وورد ذكرهُ في تاريخ اليعقوبي (٢: ٢٣) في وصف زينة نبيّ الاسلام وفي حديث الخليفة عثمان بن عفَّان (النهاية لابن الاثير ٢: ٧١). وقد ورد في صحيح مسلم (٢: ١٥٢) وصحيح الترمذي (١: ٣٣١) وفي انساب البلاذري (٣٣٢) وغيرها ذكر حلل الديباج والثياب المعَصْفَرة والحِبَر المفوَّفة اي الرقيقة الوشاة والطيالسة التي كان يهديها الوفود من اهل اليمن ومن الرهبان الى صاحب الشريعة الاسلاميَّة واكثرها من صُنع نصارى اليمن او الشام. قال ابن الاثير في أُسد الغابة في اخبار الصحابة (٢: ٤١١) انَّ عطارد بن حاجب الذي وفد على نبيّ الاسلام مع وجوه تميم النصارى وكان سيِّدًا في قومهِ اهدى محمَّدًا ثوب ديباج وروى المسعودي في مروج الذهب (٤: ١٧٨) انَّ ملوك اليمن قدموا الى ابي بكر وعليهم الحُلَل والحِبَر وبرود الوشي. وذكر ايضاً (١: ٢٢١) الساج والطيلسان فيما فرضهُ خالد بن الوليد على النصارى العباديّين وزعيمهم عبد المسيح بن بقيلة من اهل الحيرة. وكذلك صاحب بانِقْيا بُصْبُهْر بن صَلوبا ذكر البلاذريّ في فتح البلدان (ص ٢٤٤) انَّهُ «صولح على الف درهم وطيلسان»

ومن منسوجاتهم ايضاً الطنافس والبُسُط والأَنطاع. اتَّخذوا بعضها لكسوة الكعبة قال البلاذريّ في الفتوح (ص ٤٧): «وكانت كسوة الكعبة في الجاهليَّة الانطاع والمغافر (والصواب المعَافر وهي منسوجات يمنيَّة) فكساها الرسول صلعم الثياب اليمنيَّة ثمَّ كساها عُمر وعثمان القباطيّ ثمَّ كساها يزيد بن معاوية الديباج... وكساها بنو اميَّة في بعض ايَّامهم الحلل التي كان اهل نجران يؤدُّونها». ومن

الطنافس الشهيرة الطنافس العبقرية التي كان يصطنعها نصارى تنوخ وقضاعة . قال ابن خلدون في تاريخه (٢ : ٢٤١) : «انَّ التنوخيين نزلوا عَبْقَرة من ارض الجزيرة ونَسج نساؤهم البرود العبقرية» . وقال ياقوت في معجم البلدان (٣ : ٩٠٧) ان عبقرة كان يوشى فيها البسط وغيرُها فنُسب كل شيء جيد الى عبقرة . وقال الفرّاء هي الطنافس الثخان . وقال مجاهد : العبقريّ الديباج . وقد ذكر المقريزي في الخطط مصانع البُسط في صعيد مصر ممَّا كان يشتغله نصارى الاقباط في البهنساء ودمياط وتنّيس ودابق . ذكر انَّ بعض البسط كان يبلغ طولهُ ٣٠ ذراعاً وكان يباع الزوج منها مائتي مثقال ذهب . وروى انَّ فسطاطاً صنعوهُ في تنيس منسوجاً بالذهب بيع بقيمة ١٤،٠٠٠ دينار ما يساوي اليوم من نقودنا نحو ٢٠٠،٠٠٠ فرنك وكانوا ينقشون على هذه البُسط صوراً شتَّى من الرجال والسباع والخيل والطيور . وفي متاحف اوربَّة منها بقايا (Gayet : l'Art Arabe, 248-252) وكان البعض منها مصلَّباً اي منقوشاً عليها الصلبان (١ . وروى في التاج في حديث جرير (١ : ٣٣٨) قولهُ : «رأيتُ على الحُسَين ثوباً مصلَّباً اي فيهِ نقش امثال صلبان»

﴿النجارة﴾ هي ايضاً احدى الصنائع التي شاعت بين النصارى فاستفاد منها العرب في الجاهليَّة واوائل الاسلام وذلك لندورة الخشب في انحاء كثيرة من جزيرة العرب الَّا اطرافها ولبُعد العرب عن العمران الحضري . قال ابن خلدون في المقدَّمة (٢ : ٣١٣ طبعة باريس) : «انَّ العرب ابعد الناس من الصنائع والسبب في ذلك انهم أعرق في البدو وأبعد من العمران الحَضَري . والعجم من اهل الشرق وامم النصرانيَّة عدوة البحر الرومي اقوم الناس عليها لأنهم اعرق في العمران الحَضري وابعد عن البدو» ثم ذكر كيف ان العرب استجلبوا صنائعهم من عند تلك الامم

وقد مرَّ لنا شيء من اعمال النصارى الخشبيَّة في جزيرة العرب منها ما سبق في ذكر القليس (المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٥٢٥) وما دخل فيهِ من الاخشاب الثمينة كالسَّاسم والساج والابنوس اشتغلها النصارى فزيَّنوا بها كنائسهم قبل الاسلام

ومثل ذلك ما رواهُ ابو الوليد محمَّد الازرقيّ في كتاب اخبار مكَّة (ص ١٠٥،

---

١) اطلب ايضاً H. Lammens : Fâtima, 70-74

١٠٧، ١١٤) عن باقوم الروميّ النجّار والبنّاء الذي وكلت اليهِ قُرَيش بناء الكعبة بعد حريقها وتصدُّع جدرانها فبناها بما اشتراهُ القريشيُّون من الخشب الـذي اقبلت بهِ سفينةٌ الروم الى جُدَّة . وهم نصارى الاقباط والروم ايضـاً الذين سقَّفوا بالساج المزخرف المسجد الحرام في مكَّة في ايَّام الوليد بن عبد الملك (الازرقيّ ص٢٠٩)

وممَّا صنعَهُ النصـارى في اوَّل الاسلام لخدمة نبيّهم وخلفـائهِ الراشدين المنبر اصطنعهُ اوَّلًا روميٌّ نجّار كما روى ابو سعيد وقيل « انَّ اسمهُ باقوم او ياقول الروميّ غلام سعيد بن العاص » وقيل انَّ اسمهُ ابرهيم النجّار ( اسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الاثير ١ : ٤٣) كان يجلس عليهِ محمَّد للجمعة

وكان في خدمة نبيّ الاسـلام نصراني آخر من لخم اسمهُ تميم بن اوس الداري من نصارى لخم أسلم سنة ٩ للهجرة وخدم محمَّدًا وكان يسكن معهُ المدينة ويدعونه راهب الأمَة (١ ثم اقطعهُ قرية عينون عند بيت المقدس ( اسد الغابة ١ : ٢١٥)

ثمَّ اضافوا الى المنبر عرشاً كان يجلس عليهِ محمَّد اذا خطب كما جاء في طبقات ابن سعد ( ج ٢ ق ٢ ص ١١ ) . وكان ايضاً من عمل النصارى . وبعـد موت نبيّ المسلمين تردَّد الخلفاء الراشدون في رقيّ المنبر وقد اخبر المقريزيّ ( الخطط ٢ : ٢٤٧ ) ان عَمرو بن العاص اتَّخذ منبرا فكتب اليهِ عمر بن الخطَّاب يعزم عليهِ في كسرهِ ويقول « أمَا حسبُك ان تقوم قائمًا والمسلمون جلوس تحت عقبَيْك » فكسرهُ . الكنَّهم ما لبثوا أن اقاموها في المساجد . روى المقريزيّ (٢ : ٢٤٨ ) عن والي مصر قُرَّة بن شريك العبسيّ انَهُ نصب منبرًا جديدًا في السنة ٩٤ هـ(٧١٣م) . (قـال) «وذُكِر انهُ حُمل اليهِ من بعض كنائس مصر وقيل انَّ زكريَّا بن برقنى ملك النوبة(النصراني) اهداهُ الى عبدالله بن سعد بن ابي سرح وبعث معهُ نجّارًا حتَّى ركَّبهُ واسم هذا النجّار بقطر من اهل دندرة ولم يزل هذا المنبر في المسجد حتَّى زاد قرَّة بن شريك في الجامع فنصب منبرًا سواهُ»

وكان العرب يلتجئون ايضاً الى اهل الارياف من الشأم واليمن والعراق فيتَّخذون

---

١) اطلب مجلَّة تاريخ الاديان - Revue de l'Hist. des Religions, 1920. p. 250-252

من نجّاريهم العَمَد والاوتاد لخيامهم والحدوج لظعائنهم والرماح والقسيّ والسهام لسلاحهم لأنّ الخشب مادّةٌ لكلّ هذه كما بيّن ابن خلدون في مقدّمته (٢ : ٣٢٤) ولا تصير الى الصورة الخاصّة بها الا بالصناعة والقائم على هذه الصناعة هو النجّار. وقد بقي من اعمال النصارى الدالّة على براعتهم في هذه الحرفة عدّة آثار تُرى في كنائس واديرة اقباط الصعيد وطورسيناء والجزيرة ومنها ما تحوّل الى جوامع ومنها المقاصير القديمة والشعاري والمشارب كان النصارى يهندسونها قديماً وصبر بعضها على آفات الدهر

﴿ الحدادة ﴾ كما النجارة كذلك الحدادة خدم بها نصارى اليمن والشام والبحرين قبائلَ عرب البادية. وكان الحدّاد يُدعى في الجاهليّة قَيْناً. والقيون عند العرب بنو اسد قيل انّ اوّل من عمل الحديد منهم كان الهالك بن عمرو بن اسد بن خزيمة فدعي ايضاً الحدّاد بالهالكي. وممّن ورد ذكرهم في اوائل الاسلام من ارباب الحدادة خُباب بن الارث من نصارى بني تميم سُبي من وطنهِ وبيع في مكّة فحصل في خدمة نبي المسلمين والخلفاء الراشدين من بعده توفي سنة ٣٧ ﻫ (٦٥٨م)

وكان اكثر اتّخاذ العرب الحديد لتهيئة آلات حربهم اعني السيوف والدروع ونصال الرماح والسهام والخُوَذ. امّا السيوف فمن اكرمها واشهرها المَشرفيّات المنسوبة الى المشارف من قُرى الشام. ومنها السيوف الحاريّة وهي التي كان يصنعها نصارى الحيرة في العراق. ومنها السُّريجيّات وكانت سيوفاً منسوبة الى قَيْن يُدعى سُرَيجاً مصغَّر سرجيس. وفيها يقول العجّاج :

وبالسُّرَيجيَّات يَخطِفْنَ القَصَرْ

وقد ذكروا سبعة من مشاهير السيوف زعموا انّ بلقيس ملكة سبأ اهدَتها الى سليمان الحكيم وفي ذلك دلالة على اهلها اليمن وهي ذو الفقار كان لمنبه بن حجّاج فصار الى نبيّ الاسلام ثم ذو النون والصمصامة كانا لعمرو بن معدي كرب ثمّ مِخذم ورَسُوب كانا للحارث بن جبلة ملك غسّان النصراني ثم ضرس الحمار وقيل ضرس العير او ضرس البعير كان لعلقمة بن ذي قيفان الحميريّ ثمّ الكَشوح ولم يذكروا صاحبَهُ

امّا الدُّروع فممّا يدلّ على علاقتها بالنصارى واهل الكتاب ان العرب ينسبون

مسجها الى داود وسليمان كما رويناهُ سابقاً (راجع الصفحة ٢٣٣و٢٧٢–٢٧٣) . وكل يعرف خبر الدروع التي اودعها امرؤ القيس الكندي الشاعر النصراني عند السموأل (اطلب ديوان السموأل الذي نشرناهُ آنفاً ص ٨) . وقد عُرف ايضاً اهل نجران بصناعة الدروع والدليل عليه انَّ محمَّدًا صالحهم على ثلثين درعاً كما سبق . ومن دروع البحرين الرُّدَيْنيَّات نُسبت الى امرأة تدعى رُدَينة كانت تبيعها او تصنعها . ومنها ما كان يُنسج حلقتَين حلقتَين وهي المضاعفة قالت الخنساء تصف لأمة اخيها صخر :

اذا تلأم في زَغْفٍ مضاعَفَةٍ وصارمٍ مثل لون المِلْح جرَّادِ

امَّا نصال الرماح والسهام فزعم الثعالبي في لطائف المعارف (ص ٧, ed. de Jong) «انَّ اوَّل من عُمل لهُ سنان من حديد سيف ذو يزن الحميري واليهِ نُسبت الرماح اليَزَنيَّة وانَّما كانت اسنَّة العرب صياصيْ البقر» والله اعلم وانَّما يُرجَّح الرأي بانَّ اصل النصال من اليمن ومن الامم النصرانيَّة المجاورة للعرب . وقد امتازت بين الرماح العربيَّة السَّمهَريَّات نسبةً الى سَمْهَر اسم رجل قيل انهُ زوج رُدَيْنة ورفيقتها في الحدادة . ومنها الخطّيَّات وهي رماحٌ كانوا يستجلبونها من الخطّ وهو مرفأ للسفن في البحرين وعمان . وكذلك السهام الصاعديَّة منسوبة الى قريةٍ صَعْدة في اليمن على غير قياس

واتَّخذوا ايضاً من الحديد الجواشن ومثلها الخوذ يقنِعون بها رؤوسهم تعلَّموها من الروم والفرس وهي البَيْض . ثم انتشر استعمالها في بلاد الاسلام حتَّى انَّهم أحصوا ما في خزانة السفَّاح اوَّل خلفاء بني عبَّاس فوجدوا خمسين الف درع وخمسين الف سيف وثلثين الف جوشن ومائة الف رمح . وزادت على ذلك في ايَّام هارون الرشيد فاحصاها الفضل بن الربيع فوجد عشرة آلاف سيف محلَّاة بالذهب وخمسين الفاً للشاكريَّة والغلمان ومائة وخمسين الف رمح ومائة الف قوس والف درع خاصَّة محلَّاة والف درع عامَّة وعشرين الف بيضة وعشرين الف جوشن ومائة وخمسين الف ترس واربعة آلاف سرج محلَّاة خاصَّة وثلثين الف سرج عامَّة (مطالع البدور للغزولي ٢ : ١٦٢)

(لهُ بقيَّة)

# مطبوعات شرقيّة جديدة

B. Bareilles : Un Turc a Paris (1806-1811). Relation de Voyage et de Mission ds **Mouhib Effendi** Ambassadeur de Sélim III, *Paris. éd. Bossard*. 1920, *in*-16, *pp*. 106

رحلة محب افندي سفير السلطان سليم الثالث الى باريس

يذكر قرّاؤنا رحلة محمَّد سعيد باشا الى باريس في عهد لويس الخامس عشر التي نشرناها في المشرق (١٧[١٩١٤]: ١٠١ الخ) وما اودعها كاتبها من الاخبار المبهجة · فهذه رحلة ثانية اقرب الينا عهدًا كتبها بالتركيَّة صاحبها محبّ افندي المرسل الى باريس في عهد نابوليون الاوَّل ليعقد معهُ عهـدًا باسم السلطان سليم الثالث فأسعد الحظ المسيو بارايل على وجودها في الاستانة عند بعض الورَّاقين فاسرع الى نقلهـا الى الفرنسويَّة ونشرها · فقد اطَّلعنا على مضامينها فوجدناها صورةً حيَّة للسياسة التركيَّة في معاملاتها مع الدول الاجنبيَّة وفيها مـا فيها من وصف الاتراك لنابوليون ولحـاشيته ودولته واخلاق الفرنج عموماً واهل باريس خصوصاً مع ذكر المعاهد العلميَّة والخيريَّة في العاصمة · وممَّا تفكَّهنا بقراءَته زيارة السفير التركي لمرصد باريس واندهـاشهُ لدى نظرهِ القمر بالمرقب واستماعهُ شروح الفلكيّ لالَند الشهير وعياذتهُ بالله خوفاً من ان يُفتَنَ بسحر كلامهِ او يقع الشكّ في قلبهِ من دينهِ ل · ش

Soualah Mohammed : 1) Ibrahim ibn Sahl Thèse produite à la Fac. des Lettres D'Alger. *Alger*, *A. Jourdan*,1914. *in*-12, *pp*. 204 = 2) Une Elégie Andalouse. Thèse complémentaire, *ibid*,, 1914. *pp*. 144

ابرهيم بن سهل : حياتهُ وآثارهُ — رثاء غرناطة

هذه اوَّل مرَّة على ما نظنّ يقدّم فيها احد المسلمين في الجزائر تأليفاً ادبيًّا لينال بهِ امتيازات الملفنة في الآداب · فسُررنا بذلك وفيهِ دليل حيّ على تقدّم اهل الجزائر ومعارضتهم لمستشرقي الفرنج · وقد اطَّلعنا على الكتاب وهو جامع لما ورد في التاريخ من سيرة ومنظومات احد شعراء الانـدلس ابرهيم بن سهل المرتدّ عن اليهوديَّة الى

الاسلام فان المؤلف صوالح افندي محمَّد لم يدع كتاباً الَّا راجعهُ واقتبس منهُ لتعريف المترجم وديوان شعرهِ وقد كتب ذلك باللغة الفرنسويَّة ونقل اليها كثيرًا من قصائد ابن سهل ولعلَّهُ كان أحسن لو ضرب الصفح عن بعض مقاطيعها البذيئة المستهجنة — لمَّا الكتاب الثاني الذي أَلحقهُ بابن سهل فهو أَدقّ معنًى وارقّ نظماً وفيهِ رثاء غرناطة يشبهُ الرثاء الذى اثبتناهُ في كتابنا مجاني الادب (٥ : ٢٣٦) وانتقدناهُ في كتاب علم الادب (ج١ص ٢٥٣) نقدًا بيانيًّا . ولعلّ رثاء غرناطة لراثي الاندلس الرنديّ . فقد احسن صوالح افندي بطبعهِ ونقلهِ الى الافرنسيَّة وتعليقهِ عليهِ عدَّة ملحوظات تاريخيَّة وادبيَّة مع فهارس واسعة زادتهُ قيمة ل . ش

**Ben Cherif :** Ahmed ben mostafa Goumier. *Paris. Payat*. 1920, *in*-16, *pp*. 243

## احمد بن مصطفى

احمد بن مصطفى احد الجزائريين الذين تطوَّعوا في الحرب الاخيرة وابلوا فيها احسن بلاء وذهب ضحيَّة بلاياهـا بعد ان وقع اسيرًا في ايدي الالمان . فاراد ابن شريف قائد قوّاد الجزائريين ان يخلّد ذكرهُ فكتب بالفرنسويَّة هذا التأليف واودعهُ كثيرًا من اخباره ورسائلهِ وابرزهُ على صورة رواية خياليَّة شرقيَّة النمط ليزيد اقبال القرَّاء عليها ل . ش

H, Massé : Essai sur le Poète Saadi. Thèse pour le Doctorat ès-Lettres à la Fac. d'Alger. *Paris, P. Geuthner,* 1919. *in*-8. *pp*. 270 = Bibliographie de Saadi. *pp*. LVII

## الشاعر الفارسيّ سعدي

وضع هذا الكتاب المسيو ماسه من طلبة كلّية الجزائر لينال درجة الملفنة في الآداب . وقد احسن باختيـار موضوعهِ ألا وهو احـد الشعراء المفلقين في فارس الشهير بسعدي الشيرازي ( ١١٨٥ —١٢٩١ م ) فانّ هذا الرجل قد تجوَّل في اقطار عديدة وتقلَّب في اطوار شتَّى وتصوّف في القسم الاخير من حياتهِ ولهُ في كتاباتهِ اشارات الى كلّ امور زمانهِ . وقد امتاز شعرهُ الفارسي برقّتهِ وتفنّنهِ وصيتهُ لا يزال الى

يومنا شائعاً بين اهل العجم يردّدون منظوماتهِ في كلّ معاهدهم · وقد تتبَّع صاحب الكتاب آثار ذلك الرجل الشهير ولم يدع من احوالهِ شيئاً الّا امعن فيهِ النظر وانتقده بكل انصاف · وقد الحق بهذا الكتاب تأليفاً آخر جمع فيهِ لائحة المصنفات التي كُتبت عن سعدي البالغ عددها نحو الالفين · فنهنئ الكاتب على وصفهِ هذا التأليف الجليل ونحضّ محبّي الآداب الفارسيَّة على مطالعتهِ ل·ش

**Général Mangin**. Comment finit la guerre. *Paris, Plon, XIII-330 pp., in-16, 11 Cartes.*

كيف انتهت الحرب

هذا الكتاب تاريخ عسكريّ للحرب الكونيَّة الّفهُ احد اركان الحرب العالميَّة الاخيرة الجنرال مانجان قائد الجيش العاشر · وممَّا رمى اليهِ كاتبهُ كما اوضحهُ في مقدَّمتهِ ان يردّ على اعتراض كثيرين من مواطنيهِ الذين زعموا انَّ الحرب الهائلة التي انتشبت بين الدول كان يمكن تقصير مدَّتها لاسيَّما انَّ الانتصار الاخير وقع بعد انكسارات متعدِّدة فكان اذن ممكناً الانتصار النهائي بعد غارة المارن الاولى حيث ظفر الفرنسويُّون بالالمان · فهذه المزاعم الوهميَّة قد فنَّدها الجنرال مانجان في هذا الكتاب حيث بيّن بالاجمال الحركات العسكريَّة الاولى مع فشل الجيوش اوَّلاً ثمَّ انتصارها تالياً · ثمَّ يتتبَّع سلسلة الوقعات التي جرت بعد ذلك الى الفوز الاخير فيبيّن ما كان بينها من الارتباط الوثيق الى ان توفَّقت العوامل الاخيرة فجاءت بالفوز الباهر في حربٍ لم يسبق لها شبيه في تواريخ العالم · وقد استحسنَّا انشاء الكاتب الذي يستشفُّ من ورائهِ خلقُ الجنديّ وعزمهُ اذ يسير توًّا الى غرضهِ ويمضي في روايتهِ على مثال مضاء سيفهِ فينفي كلّ اشتباه ج·ل

**Lazin** ( Paul ) : L' HUMANISTE A LA GUERRE. Paris, in-16, pp.249, 1920, Prix 7 f^rs

البيانيُّ في الحرب

الكتب العديدة التي وضعت في الحرب الاخيرة كلُّها مشحونة بتفاصيل وبلاتها واهوالها وها هوذا بيانيّ فكه النفس اراد ان يبيّن ما في الحرب من الحوادث المبهجة التي تشوّق اليها وتخفّف اعباءها · فالكاتب بول لازين سار الى ساحتها

باطمئنان واذ تولّى قيادة فرقة من الجنود نفخ في صدورهم الثقة بالفوز وهو يسعى ببسطهم وترويح افكارهم في معظم شدائد الحرب. وكان باثنائها يرسل الى اهـل بيتهِ المكاتيب المفعمة بالاخبار المفكّهة التي يتهافت عليها قرّاؤها. فلمّا انتهت الحرب وعاد الى بيتهِ جمع تلك الرسائل وصنّف بها كتاباً غايةً في اللذّة بعبارةٍ سلسة ومعانٍ مبتكرة لا تخلو احياناً من النظر الفلسفي البعيد وتفنّن البيانيّ البارع بالكتابة ج ل

**U. Zanotti-Bianco et Andrea Laffi.** LA PACE DI VERSAILLES. Note e Documenti con 20 carte etnografiche e politiche, *Roma, La Voce, Trinità Monti* 18., 1919, *gr.*- 8. *pp.*,250,*prix* 10 *lire*

معاهدة ڤرسايل

قد تعدَّدت الكتـابات في انتقاد معاهدة ڤرسايل وهذا الكتاب قد وضعـهُ سياسيَّان من رجـال ايطالية يعربان عن افكار مواطنيهما فهما يزعمان انَّ معاهدة ڤرسايل مضادَّة لِمـا نشرهُ الحُلفاء من التعهُّدات في اثناء الحرب فيستقريان فصول المعاهدة المذكورة التي قرَّرتها الشورى العليا فينتقدان على كلّ فصل منها ويقابلانها بالقرارات التي سبقتها في زمن الحرب . فـلا بُدَّ لارباب الامر من النظر في هذه الاحتجاجات التي قدَّمها المؤلفان بدقَّة فكر وايضـاح وهي تتَّفق مع ما كتبهُ الانكليزي كيس (المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ١٠٣١) ويزين الكتاب خرائط حسنة

**Documents inédits** pour servir à l'histoire du Christianisme en Orient (XVI$^{e}$ - XIX$^{e}$- siècle). recueillis par le **P. Ant. Rabbath.** T II. fasc.3.publiés avec notes et tables par le **P. Fr. Tournebize S.J.** *Impr. Cath. Beyrouth*, 1921. *VII*-409-644

الآثار الخطية لتاريخ الكنائس الشرقيَّة

كنَّا نتمنى بعد وفاة المـأسوف عليهِ الاب انطون ربّاط ان لا تبقى الكنوز الخطِّيَّة التي جمعها بكل عناء وفروغ الصبر مطمورةً في زوايا المكاتب ليستفيد منها محبّو تاريخ شرقنا العزيز. فسُررنا اذ عرفنا انَّ تكملة الكتاب عُهدت الى احـد آباء كلّيتنا الذي هو مولع ايضاً بالآثار الدينيَّة فنشر كثيراً منها . وها هو قد متَّعنا بثمرة شغلهِ اذ نشر تتمَّة المجلّد الثاني الذي كان الاب ربَّاط طبع منهُ قسمين . فهذا القسم

الثالث يحتوي اربعة وثمانين اثرًا من كتابات الملوك والسفراء والبطاركة والمرسلين وارباب السياسة فهو كالاقسام السابقة معدن ثمين يُعرف بهِ كثير من اخبار بلادنا العزيزة برواياتها الصادقة التي لا يستطاع نقضها . فنشكر حضرة ناشرها مع ما زاد عليها من الملحوظات الدقيقة والفوائد المختلفة ولاسيَّما الفهارس المطوَّلة . وممَّا نُلفت اليهِ النظر بين تلك الآثار رسالة لاتينيَّة باسم البطريرك موسى العكَّاري كتبها الى الامبراطور كرلوس الخامس (شرلكان) وامضاها هو واساقفتهُ في ٢٥ آذار سنة ١٥٢٧م ل . ش

## الفخريّ في الآداب السلطانيَّة لابن الطقطقى

عُني بنشرهِ يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب بمصر

بالمطبعة الرحمانيَّة بمصر (سنة ١٣٣٩ ص ٢٥١)

هذا التاريخ الجليل الفائدة المشتمل على اخبار الدول الاسلاميَّة الى آخر دولة بني عبَّاس صار اشهر من نار على علم بعد ان طُبع اوَّلًا في المانية ثم في فرنسة ثمَّ في القاهرة وكأنَّ رواجهُ في مصر اوجب تجديد طبعهِ فقام بذلك الاديب يوسف افندي توما البستاني . فياليتهُ استفاد من الطبعات الاوربيَّة بعض محسّناتها لاسيَّما طبعة المسيو درنبورغ المطبوعة بحرف مطبعتنا والمزيَّنة بالفهارس

## ماذا عمل الخوري ؟

بقلم الخوري منصور عوَّاد البحرصافي الماروني اللبناني

بيروت . المطبعة الكاثوليكيَّة سنة ١٩٢٠ (ص ٥٣)

قد تنافس اكليروس الشرق اجمالًا في ايَّام الحرب لينقذ المبؤوسين من بلاياهم . فهذه البطريركيَّات والاسقفيَّات والرهبانيَّات والجمعيَّات الدينيَّة انفقت في سبيل المحتاجين ما لديها من المال او ما حصلت عليهِ من بيع ارزاقها او ما جمعتهُ من اهل الاحسان ولو نُشر كلُّ ذلك مفصَّلًا لادهش الجميع وأَفحم كلَّ المتشدقين الناسبين زورًا الطمع لارباب الدين . وكفى شاهدًا على قولنا ما فعلهُ احد كهنة لبنان الافاضل حضرة الخوري بولس عوَّاد في مدَّة الحرب وبعدهُ في رومية العظمى وايطالية وسورية لكي يضمد جراحات اهل الجبل وطنهِ العزيز . فدوَّن ذلك بهذه الكريريسة

ليس اكتساباً للفخر بل ليستنهض اريحيَّة مواطنيهِ ليؤَازروهُ في اعمالهِ ويردّ للبنان عمرانهُ وزهوهُ . وها هوذا قد تولّى ادارة ميتم بجرصاف حيث جمع نيفاً و ٧٠ ولداً يهتمّ بشؤُونهم وتربيتهم مع مساعدة الدولة الفرنسويَّة لكنَّ همَّتهُ القعساء لا تكتفي بذلك بل قصد ان يحرّك في سائر القلوب عواطف الحنان والوطنيَّة لكي يتَّسع نطاق المشروعات الخيريَّة ويُعَدّ للبنان قومٌ نشطاء يقومون بعد قليل بكل ضرورياَّتهِ الزراعيَّة والصناعيَّة . فنعم القصد وبارك الله همَّة حضرة الخوري الساعي بهِ وجازى خيراً كل من ساعدهُ على تحقيق نيَّاتهِ ل . ش

## مختارات جرجي زيدان

جزءان الاوّل (ص ١٩١) والثاني (ص ٢٠٦)

طُبع في مصر في مطبعة الهلال (سنة ١٩١٩–١٩٢٠)

كان المرحوم جرجي زيدان من اغزر الادباء مادَّةً واكثرهم تفنُّناً واسرعهم خاطرًا وقلماً كما تشهد عليهِ التآليف العديدة التي خلَّفها منها ادبيَّة ومنها اجتماعيَّة وبعضها لغويَّة وكثير منها روايات خياليَّة ضمَّنها بعض حوادث التاريخ العربيّ فاقبل عليها القرَّاء ونُقلت الى عدَّة لغات . وقد اختار وهو في قيد الحياة من مآثرهِ المتبدّدة في مجموع الهلال عدَّة مقالات في فلسفة الاجتماع والعمران تحوي مباحث اخلاقيَّة وحكميَّة ونسائيَّة وسياسيَّة وادبيَّة نشرها بمجلة الهلال في هذين الجزئين لتسهل مراجعتها على طلَّابها . وقد احسن في كثير منها الَّا ان الآراءَ التي اكتسبها من تخرّجهِ في كليَّة بيروت البروتستانيَّة او راعى فيها احوال الزمان وذوق القراء فتطرَّف فيها وهو يعدّ نفسهُ محقًّا . وفي بعض المقالات المنتخبة شيءٌ من ذلك نكتفي بالاشارة اليها ولا يصعب على ذوي البصيرة تمييزها . وما الكمال الّا لله ل . ش

---

# شذرات

﴿ نشيد المدارس الدينيَّة ﴾ الَّفهُ حضرة الخوري مارون غصن على لحن « حتَّى

ما هذا الجفا » فيحسن بطلبة مدارسنا الكاثوليكية بل عموم المدارس الدينيَّة ان يتغنَّوا بهِ ويتَّخذوهُ كشعارٍ لحفظ آدابهم ونفورهم من المدارس اللادينيَّة :

ربَّنا قد داهمتْنا هجماتُ الملحدينْ
تبتغي إقصاكَ عنّا خابَ سَعْيُ الجاحدين !..

كيف نرضى بالبُعادْ عنْ حمى الدّينِ المبينْ
فهلمُّوا للجهادْ يا جميعَ المؤمنينْ

دينُنا مَجْدُ الجدودْ فاحفظوهُ للبنينْ
وافتدوهُ بالكبودْ فهو ذُخْرُ الذاخرينْ

دينُنا حصنٌ حصينْ خفقتْ فيهِ البنودْ
ولهُ في كلِّ حينْ حافظٌ ربُّ الجنودْ

أرزُنا رَمْزُ الثباتْ فاثبتوا يا دَينينْ
واحفظوا حتّى المماتْ كَنْزَ إيمانٍ ثمينْ

عزِّزُوا كلَّ المدارسْ بتعاليمِ المسيحْ
ولْتَسُدْ بينَ الكنائسْ وَحْدَةُ الدّينِ الصحيحْ

ربَّنا أحفظْ للبلادْ دينَها السامي المنيرْ
وَلْيَدُمْ نورُ الرشادْ فوقَ لبنانَ الكبيرْ

﴿برصليبي وكتاب الكهنوت﴾ نشر حضرة القس يوسف حبيقة ردًّا على قولنا في نسبة كتاب الكهنوت لموسى بركيفا . فقال حضرتهُ انهُ طالع نسخة دير الشرفة فوجد فيها ذكر ديونيسيوس وكتابهِ في الكهنوت فاستنتج انَّ ديونيسيوس هذا هو ديونيسيوس برصليبي من كتبة القرن الثالث عشر ومن ثمَّ خطَّأنا في نسبة النسخة الى بركيفا الذي سبقهُ بثلاثة قرون . فليسمح لنا حضرتهُ ان نسألهُ كيف تحقَّق انَّ ديونيسيوس المذكور هو ديونيسيوس برصليبي . وليس هناك ما يدلُّ عليهِ .

أفلا يعلم انَّ في مجموعة الآباء اليونان عدَّة تآليف منسوبة الى ديونيسيوس الاريوباجي تلميذ القديس بولس من جملتها كتابهُ في النظام الكنسيّ وفي الكهنوت(١ ؟ فاعتراضهُ اذن لا سند لهُ . وان امكنهُ ان يثبت صحَّة قولهِ أَفينتج عن ذلك انَّ الكتاب الذي نشرهُ باسم القديس يوحنَّا مارون هو لهذا المؤلف . فهيهات ان يقنع بهِ احداً من العلماء

﴿اليهود والبلشفيَّة﴾ نشرت جريدة مورننغ پوست الشهيرة خلاصة كتابٍ «طُبع في نيويرك بهمَّة جمعيَّة الوَحدة الروسيَّة» يؤخذ منها انَّ الحركة البولشفيَّة في ايدي العنصر اليهوديّ . وهذه بعض الاحصاءات الرسميَّة الدالَّة على ذلك فانَّ عمَّال الدولة البولشفيَّة في روسيَّة يبلغ عددهم ٥٠٣ منهم ٤٠٦ يهود و ٢٩ روسيًّا فقط والباقون من عناصر وامم شتَّى . ثم انَّ الشورى العليا تتألف من ٢٢ مستشاراً اليهود بينهم ١٧ امَّا الروسيُّون فثلثة فقط لينين وشيشرين ومُندِلستام مع ارمنيَّين . امَّا الديوان الحربيّ الذي يرأسهُ تروتسكي فمجمل اعضائهِ ٤٣ شخصاً ليس بينهم روسيٌّ واحد ويتركب من ٣٤ يهوديًّا وثمانية ليتونيين والمانيّ واحد . وكذلك وزارة الخارجيَّة المتألفة من ٦٤ عضواً يديرها اليهودي زينوفياف وفيها ٤٥ يهوديًّا وروسيَّان فقط مع بعض الليتونيين والالمان والارمن . ومثلها وزارة الخارجيَّة اعضاؤها ١٧ منهم ١٣ يهوديًّا وروسيَّان فقط احدهما شيشرين . ومثلها ايضاً العادليَّة التي اعضاؤها ١٩ كلهم يهود الَا المانيّ واحد . والمعارف يديرها ٤١ يهوديًّا من جملة ٥٣ عضواً وقس على ذلك بقيَّة الدوائر السياسيَّة واللجنات والشركات !!!

﴿ترقّي الكثلكة في الولايات المتَّحدة﴾ قلنا (في الصفحة ٩٢) انَّ عدد الكاثوليك في الولايات المتَّحدة يبلغ نحو ٢٤،٠٠٠،٠٠٠ وقد بلغنا الاحصاء الرسميّ الاخير (Census Bureau) فاذا فيهِ عدد الكاثوليك ٢٥،٠٠٠،٠٠٠ فليس هناك طائفة او شيعة اخرى تبلغ هذا العدد فتكون الزيادة في العشر السنين الاخيرة خمسة ملايين . وللكاثوليك في تلك الولايات ١٧،٠٠٠ كنيسة او معبد بزيادة سبعة آلاف ولهم ١٠،٠٠٠ مدرسة يتعلَّم فيها ٣٠٠،٠٠٠ تلميذ . وفي ولاية نيويرك وحدها ٣،٥٠٠،٠٠٠ من الكاثوليك

١) اطلب المكتبة الشرقيَّة للسمعاني (٣ : ١٢)

# أسئلة وأجوبة

س سألنا احد الادباء ان نفيده نبذةً عن تاريخ دير المخلّص وعن غايتهِ وبروغرام الدروس التي تُلقى فيهِ

تاريخ دير المخلص وغايتهُ وبروغرام دروسهِ

قد مرَّ تاريخ هذا الدير وغايتهُ في ترجمة منشئهِ الطيّب الذكر المطران افتيميوس صيفي ( المشرق ١٤[١٩١١]: ٦٤٣–٦٥٨ ) امَّا بروغرام دروسهِ فيُطلب من مقامهِ

س وسال حضرة الخوري جرجس ابي سمراء : ١ً معنى آية نشيد الاناشيد ( ٧ : ٤ ) : «وانفكِ كبرج لبنان الناظر الى دمشق» . ٢ً هل رُزق ايّوب البار بنيهِ السبعة وبناتهِ الثلاث بعد محنتهِ من زوجتهِ الاولى او من سواها . ٣ً كيف تُعلَّل حياة يونان في بطن الحوت أكانت طبيعيَّة او هي اعجوبة . ٤ً اين بنى نوح فلكهُ ؟

اربعة اسئلة كتابيَّة

ج نجيب على الاوّل اراد الكتاب وصف حُسن العروس السرّيَّة والانفُ يوصف في المشرق بالشَّمَم والارتفاع فشبَّهُ باحد الصروح اللبنانيَّة . واراد بتوجيههِ الى دمشق انتصابهُ في وجه العدوّ . ٢ً لم يذكر الكتاب الكريم في سفر ايوب انَّهُ اقترن بغير امرأتهِ التي سبقت زمن محنتهِ . ٣ً لا شكَّ في انَّ حياة يونان في بطن الحوت كانت اعجوبة . نعم انَّ ابتلاع بعض كبار الحيتان للبشر بل للخيل وغيرهما جرى غير مرّة . وانَّما وجدوها في بطونها ميّتة مع سلامة بنيتها . ٤ً يزعم البعض انَّ نوحاً بنى سفينتهُ في سواحل الشام قريباً من يافا ولا يمكن القطع بذلك

س وسأل الاديب يوسف افندي مدوَّر من القاهرة ما رأينا في ميتة اللورد ماك سويني محافظ كيورك ألا تُعَدَ انتحارًا ؟

أتعدّ ميتة اللورد ماك سويني انتحارًا

ج من المعلوم انَّ اللورد ماك سويني كان كاثوليكيًّا عاملًا واظب على الاسرار في حبسهِ الى آخر حياتهِ ولم يكن ليُسْمَح لهُ بذلك لو عُدَّ صومهُ انتحارًا . وقد قُوبل فعلهُ بفعل من يضحّي حياتهُ للخير العامّ فانَّهُ رأى بامتناعهِ عن الأكل احتجاجاً على من اقتسروهُ وحبسوهُ ظلماً وعدَّهُ داعياً لنهضة أُمَّتهِ للدفاع عن حقوقها المهضومة . وعلى كل حال ننتظر حكم الكرسي الرسولي في امرهِ ل . ش

السنة التاسعة عشرة العدد ٣ آذار ١٩٢١



# كتاب تدبير المنزل

نشرهُ الاب لويس شيخو

## توطئة

في جملة المقالات البديعة التي يحتويها المجموع الفلسفيّ الذي مرَّ انا وصفهُ في المشرق (١٦ [١٩١٣] : ١٧٣-١٧٨) ونقلنا عنهُ في العام السابق (ص ٨٨١-٨٨٩) رسالة دامسطيوس في السياسة «كتاب في تدبير المنزل» هو الثاني بين مضامين ذلك المجموع النفيس(١ لا يقلّ هناك عن ٣٥ صفحة والكتاب المذكور فريدٌ في بابه وهو كما يظهر لاحد فلاسفة اليونان يستدلّ الى ذلك من طريقة كتابتهِ ومعانيهِ

امَّا المؤلف فقد ذُكر في اوَّل المقالة على هذه الصورة «كتاب برسيس في تدبير الرجل لمنزلهِ» فمن هو «برسيس» هذا المرويّ اسمهُ باهمال نقطهِ فيمكن قراءتهُ «برسيس وترسيس ونرسيس» وباللاتينيَّة او اليونانيَّة Barses, Brasius, Beresius, Bersius, Thrasius, Tarasius, Teresius, Nerses, Narcissus, Neresius وليس ما بين هذه الاسماء ما ينطبق على اسم فيلسوف معروف. ويزيد المشكل ابهامًا ما ورد في آخر المقالة «تمَّ قول برولس» تتعدَّد قراءتهُ على وجوه جديدة تخمينًا لا تأكيدًا. وانَّما يصحّ القول بانَّهُ اسم اعجميّ.

فان كان كاتبهُ من اليونان أُترى يُعرَف مَنْ عرَّبهُ . . هذا ايضًا لم يُصرَّح بهِ في اوَّل المقالة ولا في آخرها ومن المحتمل انَّ المعرّب هو الكاتب النصراني ابو علي عيسى بن اسحاق الشهير بابن زُرْعة الذي عرَّب رسالة دامسطيوس التي نشرناها وكان احد نقلة كتب اليونان الى العربيَّة

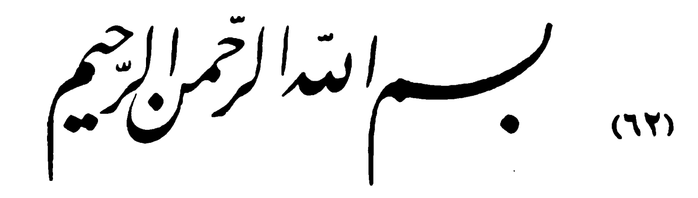
ومهما كان من مؤلف الكتاب ومن معرّبهِ فلا شكّ انَّهُ اثرٌ قديم حريّ بالذكر ونشرهُ خدمةٌ للعلوم الفلسفيَّة ولاسيَّما ان هذا الموضوع اي تدبير المنزل قلَّما خاض في عبابهِ كتبة العرب . وهو من العلوم الجليلة . قال الحاج خليفة في وصفهِ (طبعة ليبسيك ٢ : ٢٥١) : علمُ

١) هذه النسخة الثمينة هي اليوم في ملك سعادة احمد باشا تيمور ابتاعها من جناب الوجيه جرجس بك صفا

تدبير المنزل قسمٌ من ثلثة اقسام الحكمة العمليّة وعرّفوهُ بأنهُ علم يُعرَف منهُ اعتدال الاحوال المشتركة بين الانسان وزوجتهِ واولاده وخدّامهِ وطريق علاج الامور الخارجة عن الاعتدال . وموضوعهُ احوال الاشخاص المذكورة من حيث الانتظام ونفعهُ عظيم لا يُخفى على احد لأنّ حاصلهُ انتظام احوال الانسان في منزلهِ ليتمكّن بذلك من رعاية الحقوق الواجبة بينهُ وبينهم ويتفرّع على اعتدالها كسبُ السعادة العاجلة والآجلة . . . واعلم انّهُ ليس المراد بالمنزل في هذا المقام البيت المتّخذ من الاحجار والاشجار بل المراد التآلُف المخصوص الذي يكون بين الزوج والزوجة والوالد والولد والخادم والمخدوم والمتموّل والمال سواء كانوا من اهل المدَر او اهل الوبَر واماً سبب الاحتياج اليهِ فكون الانسان مدنيّاً بالطبع . وكُتُب علم الاخلاق متكفّلة لتبيان مسائل هذا الفنّ وقواعدهِ »

وممّا يُعرف من ذلك كتابان الواحد لارسطاطاليس شيخ فلاسفة اليونان والثاني لثاوفرَستوس الفيلسوف المتوفّى في اثينة سنة ٢٨٧ ق م قد اتّسع في وصفهما احد علماء فرنسة المسيو إجّر (M. Egger) في مجموعة اكادمية الكتابات والفنون في المجلد الثلثين (Académie des Inscriptions et des Belles-Lettres XXX, I, 419-482 فهناك مقالة تحت عنوان اقتصاديات ارسطاطاليس وثاوفرستوس (Mémoire sur les Œconomica d'Aristote et de Théophraste) فن المقابلة بين ما ورد فيهما ولاسيّما مقالة ارسطاطاليس وما جاء في مقالتنا هذه التي حاولنا نشرها اتّفاقات عديدة سواء كان في المادّة او في الصورة ففي كليهما قولٌ في ما يجب على الانسان تدبيرهُ من الاموال والعبيد والاهل والاقارب كالزوجة والبنين. وبينهما شبهٌ ايضاً في الطريقة الكتابية . ثمّ انّ في مكتبة الاسكوريال في مدريد كتاب موسوم بالعدد ٨٨٣ (Casiri, I, p. 300, MS. DCCCLXXXIII) اسمهُ كتاب تدبير المنزل لارسطاطاليس لم يمكنّا الوقوف عليهِ ولعلّ بينهُ وبين نسختنا بعض الشبه فندع الحكم في ذلك لعلماء اسبانية

وقد وقع في الاصل الذي اخذنا عنهُ بعض الاغلاط فأشرنا اليها بين هلالين وجعلنا بين معقّفين [ ] ما فُقد او نُسخ من الاصل . وهناك ايضاً عبارات ملتبسة تركناها على اصلها ل . ش



(٦٢)

وهو عوني

## كتاب برسيس (؟) في تدبير الرجل لمنزلهِ

(قال) انّ امر المنزل يتمّ بأربع خصال : اوّلها المال والثاني الخَدَم والثالث المرأة والرابع الولد

## ١ المال وتدبيره

امّا المال فلأنَّ الخالق تبارك وتعالى وان كان جعل في الانسان القوى التي يحتاج اليها لقوام بدنهِ وصلاح امرهِ فانهُ قد جعلهُ مع ذلك منتقضاً مستحيلًا متقضّباً (كذا) ولذلك صار الانسان محتاجاً الى ان يستمدّ ويستردّ مكان ما يتحلّل منهُ اعني بقولي القوى: اي القوَّة التي ينزع بها (كذا) كلّ واحد من اعضائهِ ما يشاكلهُ من الغذاء بالمقدار الذي يحتاج اليهِ . والقوَّة التي تُحيل ذلك الغذاء وتقلبهُ حتّى يصير شبيهاً بالعظو (بالعضو) الذي يغتذي منهُ . فان كان المُغتذَى بهِ لحماً صار لحماً وان كان عظماً صار عظماً وان كان عَصَباً صار عصباً . والقوَّة التي تحفظ على العضو ما اجتذب اليهِ ما دام سيالاً حتَّى يجمد ويتَّصل بهِ . والقوَّة التي تنفي عن كلّ واحدٍ من الاعضاء ما يبقى من ذلك الغذاء من الفضل ممَّا يَبْعُد من طبعهِ فلا يقوى على قلبهِ وإحالتهِ الى طبيعتهِ (٦٣) . والقوَّة التي تنميهِ وتمدّدهُ حتى يريد [يزيد] في طولهِ وعَرْضهِ وعمقهِ على مقادير اجرايهِ (اجزائه)

فاقول انهُ وان كان قد جعل [الله] في الانسان هـذه القوى كلّها وقوى أُخرى كثيرة معها بها يكون تدبيرُ بدنهِ فانهُ قد جعل فيهِ شيئَيْن بهما قوامهُ واحدهمـا يُفني الآخر ويحلّلهُ . وذلك انّ قوامهُ بالحرارة والرطوبة ومن شأن الحرارة ان تحلّل الرطوبة وتفنيها فلذلك لا يمكن ان يقف على حالٍ واحدة ولكنَّهُ يتحلَّل تحلُّلًا دائماً متَّصلًا ولذلك يحتاج الى ان يستمدّ مكان ما يتحلَّل منهُ وهو العدي (الغذاء) الذي يغيد بهِ (يغتذي بهِ او يغذيهِ)

ولو كان البدن مع هذا من جنس واحد لكان الذي يحتاج اليهِ انَّما هو نوع واحد من الغذاء لكنَّهُ لمَّا كانت اجزاؤهُ مختلفة احتاج لذلك الى أَغذيـة مختلفة الانواع والطعوم وجميعها من النبات والحيوان لأنّ غذاء كلّ شيء من اقرب الاشياء اليهِ وليس شيء اقرب الى طبيعة بدن الانسان من الحيوان والنبات . والنبات والحيوان محتاجان الى انواع من الصناعات حتَّى يكونا ثمَّ حتى يَنْميا بعد كونهما . امَّا النبات فيحتاج الى ان يُزْرَع او يُغرَس ثمَّ يُسْقَى ويُرَبَّى الى غير ذلك ممَّا فيهِ تمام الانتفاع بهِ . وامَّا الحيوان فإلى ان يغتذي ويحرك (ويتحرَّك) ويكبر (ويكبر) (٦٤) ما (وما) اشبه ذلك ممَّا فيهِ مصلحه (مصلحتهُ)

ويحتاج ايضاً لجمع الغذاء وإعداده وتهييه (وتهيئة) ما يكون به الانسان والحيوان الى صناعات اخر كثيرة مختلفة. والانسان وان كان قد جُعلت فيهِ قوَّة الاستنباط لكلّ صناعة وقوَّة التعلُّم لها فليس يمكن الواحد من الناس لقصَر عمرهِ ان يستنبط ذلك ولا ان يتعلَّمهُ لأنَّ لهُ في استنباط صناعةٍ واحدة او تعلُّمها شغلاً عن استنباط سائر الصناعات او تعلُّمها . وان كان فيهِ احتمال لتعلُّم كثيرٍ منها فليس فيه احتمال لتعلُّمها كلّها والانسان محتاج في تدبيرهِ معاشهُ الى الصناعات

والصناعات ايضاً مضمَّنٌ بعضُها ببعض كالبناء الذي يحتاج الى النجَّار والنجَّار يحتاج الى صناعة الحدَّادين وصناعة الحدَّادين تحتاج الى اصحاب المعادن وتلك الصناعة الى البنَّاء. فكل واحدة من الصناعات وان كانت تامَّة في نفسها تحتاج الى الاخرى كما تحتاج اجزاء السلسلة بعضها الى بعض وان ارتفعت صناعةٌ واحدة بَطَلَ بارتفاعها الباقي من الصناعات . فلمَّا كان كلّ واحد من الناس يحتاج في تدبيرهِ (٦٥) امرهُ الى انواع مختلفة ممَّا يغتذي بهِ ويستتر بهِ وكان يحتاج لذلك الى جميع الصناعات كان (وكان) لا يمكن ان يكون الواحد مُحكماً لجميع الصناعات صار الناس جميعها محتاجاً بعضهم الى بعض في تدبير معاشهم. ولهذه العلَّة احتاج الناس الى اتخاذ المدن والاجتماع فيها ليعين بعضهم بعضاً بالصناعات

في حاجة الناس للنقود في المعاملات

ولمَّا كان الناس محتاجاً بعضهم الى بعض ولم يكُ وقتُ حاجة كلّ واحدٍ منهم وقتَ حاجة صاحبهِ في اكثر الاوقات ولا مقادير ما يحتاجون اليهِ متساوية ولم يكن سهلاً في الامور ان يُعلَم ما قيمة كلّ شيء من كلّ شيء وما مقدارُ ثمنهِ من ثمنه وما مقدار أُجرة كلّ شيء ممَّا يُعمَل من اجرة كلّ شيء آخر أُحتيج الى شيء تُميَّز بهِ جميع الاشياء وتُعرَف بهِ قيمة بعضها من بعض. فمتى احتاج الانسان الى شيء ممَّا يُباع او ممَّا يُستعمَل دَفعَ قيمة ذلك الشيء من هذا الجوهر الذي جُعل ثمناً للاشياء واحدة (كذا)

ولو لم يُجعل هذا هكذا لكان الذي عندهُ نوعٌ من الانواع التي يحتاج اليها صاحبهُ كالزيت والقمح وما اشبه ذلك وعند صاحبهِ انواعٌ أُخر لا يتَّفق اذا احتاج هذا الى ما عند ذاك ان يحتاج ذاك الى ما عند هذا فتقع المبايعة (٦٦) بينهما. ولا يتَّفق ايضاً ان وقع الاتفاق بينهما في حاجة كلّ واحد منهما الى ما في يد صاحبهِ ان

يقع الاتفاق بينهما في ان يكون يحتاج هذا ممَّا في يد ذاك الى ما يكون قيمة ما يحتاج اليهِ ذاك ممَّا في يد هذا فيقع الاختلاف اذ ذاك بينهما فإمَّا ان ينصرف كلّ واحد منهما عن صاحبهِ اذ لم يجد عندهُ تمام حاجتهِ وإمَّا ان يتبايعا . ثمَّ يحتاج احدهما ان يطلب تمام حاجتهِ من بائع آخر وكان يحتاج مع هذا الى ان يعلم كم قيمة الجزء من كلّ واحد من الانواع التي فيها مصالح الناس مثل العسل والسمن والقمح وغير ذلك من الانواع الأُخر على كثرة الانواع واختلافها في القيمة

واذا عُرف ذلك في وقت من الاوقات فقد يحتاج الى ان يُعرف في اوقات أُخر كلّما تغيَّرت حال نوع من تلك الانواع بكثرة الجلب او قلّتهِ وبما يعرض من حاجة الناس اليهِ واستغنائهم عنهُ وعن الاستكثار منهُ عند اختلاف الازمنة وما يستعمل الناس من كلّ نوع في كلّ زمان وكذلك الصناعات . فلذلك طبَع الناس الذهب والفضَّة والنحاس وثمَّنوا بذلك جميع الاشياء.واصطلحوا عليه لينال بهِ الانسان حاجتهُ في وقت حاجتهِ ويكون مَنْ يصير في يدهِ شيء اراد ان يُخلف بهِ ما خرج (٦٧) من يدهِ الى غير ذلك لم يتعذَّر ذلك عليهِ . فقد صار مَن حصَّل هذه الجواهر التي سمَّينا في يدهِ كأنَّ الانواع التي يحتاج اليها كلّها قد حصلت في يدهِ .ولذلك احتيج في مصلحة المعاش الى هذه الامور . فنحن مبيّنون كيف يصلح التدبير في الاموال فنقول:

اكتساب المال وحفظهُ وانفاقهُ

انَّ الناظر في ذلك ينبغي ان ينظر في ثلثة اشياء : اكتساب المال ثمَّ حفظهُ ثمَّ إنفاقهُ

١ فامَّا ﴿اكتسابهُ﴾ (١ فينبغي ان تحدر (تُحذر)فيهِ ثلثة اشياء الجور والعار والدناءة . امَّا الجور فمثل البَخْس في الوزن والطفيف (والتطفيف) في الكيل والمغالطة في الحساب والجحود للحقّ والدعوى بغير حقّ وما اشبه ذلك ممَّا يجتمع فيهِ مع الانام الموثقة (كذا) انهُ يزيل الاكتساب ويقطع المادَّة ويدعو الى الحرمان وذلك لما ينتشر فيهِ من سوء الثناء فيصرف ذلك المعاملين عن صاحبهِ ويدعو مَن ابتُلي بهِ منهُ ان يخبر بهِ غيرهُ حتَّى ينقطع عنهُ مَنْ عامَلهُ ومن لم يعاملهُ حتَّى انهُ لو اقلع عن ذلك لم ينتفع بإقلاعهِ للامر الذي شاع لهُ وشُهر بهِ

١) اطلب Les Mémoires de l'Institut, XXX. 1re partie, 434-440

واما العار فمثل الشتم والصفع وما اشبه من الامور التي يحتملها بعض الناس لشيء يناله (٦٨) ممّن يفعل ذلك

وامّا الدناءة فأن يدَع الرجل الصناعة التي كان آباؤه واهل بيتهِ يعالجونها من غير عجز عنها الى صناعة أخسَّ منها كالرجل يكون آباؤه واهل بيتهِ إمّا قـادةَ جيوش وامّا وُلاةَ ثغور فيدع طلب ذلك وهو يقدر عليهِ ويقتصر على الغِناء والزَّمر وما اشبه ذلك . ولسنا نقول فيمن كان آباؤهُ في صناعة خسيسة فأقام عليها انهُ قد أتى دناءةً من الامر او فعل ما ينبغي ان يُذَمّ عليهِ لكن نقول انـهُ محمود اذ رضي بحظّهِ ولم يتعدَّ طورهُ ولو تطلب واجباً (كذا) ان يطلب الى كل انسان صناعةً فوق الصناعة التي ورَّثهُ ابوهُ لوجب ان يقصد الناس كلهم الى صناعة واحدة وهي اعلى الصناعات فكان ذلك يُبْطل سائر الصناعات وكانت تلك الصناعة ايضاً التي يقصدون اليها تبطل لأنَّها لا تتمّ الَّا بالصناعات الأُخر اذا (اذ) كان الجميع مقروناً بعضهُ ببعض كما بيَّنا قبل . فهذا ما ينبغي ان يُنظر فيهِ من باب الاكتساب

٢ وامّا باب ﴿ الحفظ ﴾ فيُحتاج فيهِ الى خمسة اشياء : اوّلها ان لا يكون ما ينفق الانسان اكثر ممّا يكتسب فانّهُ متى فعل ذلك لم يلبث المال ان يفنى . والثاني (٦٩) ان لا يكون ما ينفق مساوياً لما يكتسب لكن يستفضل ما يكون عـدة (عدَّةً) لهُ لحادثٍ ان حدث او آفةٍ ان نزلت او ضيقةٍ ان كانت . وايضاً فانَّ من العدل ان يكون لرأس المال حصَّة من النفقة . ويشبه حالُ مَنْ فعل ذلك حال البدن الذي هو في النشوء والنماء . ويشبه حـالُ من كانت نفقتهُ مساويةً لكسبهِ حالَ من قد انتهى نشوُّهُ وانقطع نموُّهُ . فامّا حال مَن ينفق اكثر ممّا يكتسب فانَّها تشبه حـال الابدان الهَرِمة الذي (التي) لزمها النقص ودبَّ فيها الفناء . وذلك انَّ البدن الذي هو في النشوء والنماء يغتذي باكثر ممّا يتحلَّل منهُ والبدن الذي قد انتهى منتهاهُ يغتذي بمقدار التحلُّل والبدن الذي قد صار الى الهرَم يغتذي باقلّ ممّا ينحلّ منهُ . فكما انَّ البدن الذي قد صار الى الهرم قريب من الموت فكذلك المال الذي يؤخذ منهُ اكثر ممّا يزاد فيهِ سريعٌ الى النفاد . والثالث ممّا يُحتاج اليهِ في حفظ الاموال أن لا يَمُدّ الرجل يدهُ الى ما يعجز عن القيام بهِ كالرجل يشغل مالهُ في ضيعةٍ لا يقوى على عمارتها او في ضِياع متفرّقة لا يمكنهُ مباشرتها وليس لهُ مَنْ يُعينهُ على القيام بهـا او يتَّخذ

من الحيوان ما يتجاوز النفقة عليهِ مقدار (٧٠) ما يبقى من مالهِ . وحالُ مَنْ فعل ذلك يُشبه الشَرِه الذي يأكل ما لم يَستمرِئهُ . فكما انَّ من اكل ما لم يَستمرِئهُ لم يُغذهِ بل ربَّما خرج منهُ واخرج معهُ من بدنهِ ما يضرُّ بهِ خروجهُ فكذلك مَنْ تعاطى من الاكتساب ما يتجاوز طاقتهُ كان وشيكاً انلا يفوتهُ الربح فقط دون ان يذهبَ رأس مالهِ . والرابع ممَّا يُحتاج اليه في حفظ المال ان لا يشغل الرجل مالهُ في الشيء الذي يُبطئ خروجهُ من يدهِ وانَّما يكون ذلك في الشيء الذي يقلّ طلَّابُهُ وتستغني عوامّ الناس عنهُ كالجوهر الذي لا يحتاج اليهِ الَّا الملوك وكُتُبِ العلم التي لا يطلبها الَّا العلماء . والخامس ممَّا يُحتاج اليهِ في حفظ المال ان يكون الرجل سريعاً الى بيع تجارتهِ بطيئاً عن بيع عقاراتهِ وان قلّ ربحُهُ في ذلك وكثر ربحُهُ في هذا

٣ وامَّا ❊ إنفاق ❊ المال فينبغي ان يحذر فيهِ خمسة اشياء : وهي اللُؤْم والتقتير والسَّرف والبَذَخ وسوء التدبير . فامَّا اللؤم فهو الامساك عن الانفاق في ابواب الجميل مثل مؤاساة القرابة والافضال على الصديق وذي الحرمة والصدقة في المحاويج بقدر ما يمكنهُ ويتَّسع لهُ . وامَّا التقتير فهو التضييق فيما لا بُدَّ منهُ مثل أقوات العيال ومصالحهم . وامَّا السَّرَف فهو الانهماك في الشهوات (٧١) واللَّذات . وامَّا البَذَخ فهو ان يتعدَّى الرجل ما يتَّخذهُ اهل طبقتهِ طلباً للمباهاة . وامَّا سوء التدبير فهو ان يوزّع الرجل نفقتهُ على جميع ما يحتاج اليهِ بالسوء حتى يصرف الى كل بابٍ منها بقدر استحقاقهِ فانهُ اذا لم يفعل ذلك وأسرف في واحدٍ ونقَّص من الآخر كانت امورهُ غيرَ مشاكلٍ بعضُها بعضاً وأن لا يتَّخذ الشيء في وقت الحاجة اليه

فاللئيم يُؤتى من قِبَل انهُ لا يعرف الجميل وما فيهِ من الفضيلة . والمقتّر يُؤتى من قِبَل انهُ لا يعرف الواجب وما في تركهِ من النقص . والمُسرف من قِبَل ايثارهِ اللذَّة على صواب الرأي . فاللئيم والمقتّر ممقوتان عند الله لانهما على طرق من الجور والمقتّر خاصَّةً فانهُ أجورُهما . والمُسرف مذموم ممقوت ومَنْ مَقتَهُ الناس او ذمُّوهُ لم يكن لهُ في مجاورتهم خير ومَنْ لم يجاور الناس فقد صار في عدد الاموات الَّا انَّ صاحب البذَخ اسوأ حالاً . وذلك لأن اللئيم والمقتّر وان كان الناس يمقتونهما فانهما على حالٍ يربحان حفظ اموالهما . والمسرف وان كان مذموماً فانهُ يربح التمتُّع بلذَّاتهِ واما صاحب البذَخ فانهُ لا مال لهُ يُحفَظ ولا لذَّة يتمتَّع بها . واسوأُهم جميعاً حالاً من كان يسيء

التدبير وانّما يُؤتى من قبَل انهُ لا يعرف (٧٢) مقادير النفقة ولا اوقاتها . فمَنْ عرف ابواب الحقّ اللازم واوجبَها على نفسهِ واقتصد في الإنفاق على لذّاتهِ ولم يتعدَّ ما يفعلهُ اهلُ طبقتهِ وعرف مقادير ما يستحقّ كلُّ باب من الابواب ممَّا يحتاج اليهِ وأنفق فيهِ بقدر استحقاقهِ ولم يرد (يزد) في بابٍ فيضطرّ الى تقصير في الآخر وعرف اوقات الحاجة اليهِ فلا يفسد او يضيع الى ان يحتاج اليهِ ولم يؤخر شيئاً حتّى يفوت وقت الحاجة اليهِ فيصير اتّخاذهُ لهُ بعد ذلك باطلًا او يعزّ عليهِ فلا يجدهُ الّا بالغلاء . فمتى لزم الانسانُ ما ينبغي من فعلٍ او تركهِ حينئذٍ يُنسَب الى الكرم والسخاء والاتّساع والمؤاساة والقصد والحرنة (والحريّة ?) وحسن السيرة والعيش . ومن كان كذلك فاذا كانت غلّتهُ او ربحُ مالهِ يقوم بنفقتهِ على مصلحة بدنهِ ومؤونة عيالهِ ويفضل لهُ عن ذلك ما يصرف بعضَهُ في مؤاساة قرائبهِ واصدقائهِ واهل الحرمة بهِ وبعضاً في فقرائهِ ومساكينهِ ويذّخر بعضاً ليستظهر بهِ على دهره ونوائبه فينبغي لهُ ان لا يطلب اكثر من ذلك فانَّ المطلب لأكثر منهُ شَرَهٌ وهذا هو الحدّ الذي لا ينبغي للحرّ ان يتعدّاهُ فان تعدّاهُ نُسب (٧٣) الى الشره . فهذه حال المال والتدبير في اكتسابهِ وحفظهِ وإنفاقهِ

## ٢ في تدبير العبيد والخدام

واماَّ العبيد والمماليك (١ فالحاجة اليهم في المنازل كالحاجة الى جميع الناس في المدن وقد بيّنا لأي شيء احتاج الناس الى ان يتّخذوا المدن ويجتمعوا فيها . والعبيد ثلثة : عبدُ الرِقّ وعبد الشهوة وعبد الطبع . فعَبْد الرقّ هو الذي أوجبت الشريعة عليهِ العبوديّة . وعبد الشهوة هو الذي لا يملك نفسهُ لغلبة شهواتهِ وخواطرهِ عليهِ . ومَنْ كان كذلك فهو عبدُ سَوْء وانسانُ سَوْء لا يصلح لشيء . واماَّ عبد الطبع فهو الذي لهُ بدن قويّ صبور على الكدّ وليس لهُ في نفسه تمييز ولا معهُ من العقل الّا مقدار ما ينقاد بهِ لغيرهِ ولا يبلغ بهِ الى ان يقدر يدبّر نفسهُ وهو في طبيعتهِ قريبٌ من البهائم التي تصرفها الناس كيف شاؤوا . ومن كان كذلك وان كان حرّاً فهو عبد والأصلح لهُ ان يكون عليهِ رئيس يدبّرهُ

١) اطلب Mémoires de l'Institut, XXX, 1re partie, p. 434

والعبيد يُحتاج اليهم لأشياء فمنهم مَنْ يُراد لتدبير المنزل ومنهم من يُراد للخدمة والمعاطاة ومنهم من يُراد للاعمال الجافية . فينبغي للرجل اذا اراد شِرى مملوك ان ينظر اليهِ فان كان جمَع مع عبوديَّة الرقّ عبوديَّةَ الشهوة فينبغي ان لا يتعرَّض لشِراه ولا ان يوطّن نفسهُ على قمعهِ وتقويمهِ ان طمع في (٧٤) ذلك . ومن اشترى عبدًا هذه حالهُ فقد اشترى عبدًا له مَوالٍ غيره . واذا كان كذلك فليس هو عبدهُ الّا بالاسم واذا كان الانسان لا يملك نفسهُ فغيرُهُ احرى بان لا يملكهُ . وان كان المملوك حرًّا بالطبع وكانت نفسهُ نفساً قويَّة وبدنهُ بدن لطيف (بدناً لطيفاً) فهو ممَّن يوكَّل بالتدبير والحفظ . وان كان حرًّا بالطبع وكانت نفسهُ نفساً ليّنة دليلة (ذليلة) وبدنهُ بدناً صافياً فهو ممَّن يوكل بالخدمة والمناولة . وان كان عبدًا بالطبع وُكِل بالاعمال التي يُحتاج فيها الى الشدَّة والصبر

والعبيد يشبَّهون باعضاء البدن الذي (التي) تملَّك الانسان افعالَها . امَّا الموكاون بحفظ المنزل وتدبيرهِ فهم بمنزلة الحواسّ لانهُ بالحواسّ يُعرف ما يضرّ فيُدفع وما ينفع فيُجتلب . والموكلون بالخدمة يُشبَّهون باليدين لأنّ بهما يتوصَّل الى إدخال المرفق الى البدن والموكلون بالاعمال يُشبَّهون بالرجلين لأنَّ عليهما كلَّ البدن وثقلهُ . فينبغي للرجل ان يحفظ مماليكهُ كحفظهِ لاعضائهِ وان يفكّر لهم في امرين: احدهما الجنس الذي يجمعُهُ واياهم والآخر فيما ابتُلوا بهِ . فانهُ اذا فكَّر في جنسهم علم انهم اناسٌ مثلهُ ويمكنهم ان يفهموا ما يفهم ويفكّروا فيما يفكّر فيهِ ويشتهوا ما يشتهي ويكرهوا ما يكرهُ وانهُ متى عاملهم على حسب ذلك اكتسب (٧٥) مع الفضيلة التي تصير لهُ في نفسهِ المحبَّةَ ممَّن يرزق (يُرزَق) المُلك عليهِ . واذا تفكَّر فيما ابتُلوا بهِ علِم انَّهُ لو ابتُلي بمثلهِ لأحبّ ان يُرزق مولى يرقّ عليهِ ويترفّق بهِ

واذا جاءت من المملوك الزلّات فينبغي للسيّد ان يتغافلَ عنهُ مرَّةً ويقوّمهُ أخرى . ويكون تقويمهُ اياهُ اولاً بالعتاب والتحذير والإنذار فان عاد فبالغضب وان عاد فبالضَرْب . ولا يعاقبهُ على ذنب اتاهُ من غير معرفة ولا تعمُّد ولا يترك عقوبتهُ على ذنب اتاهُ عن شَرارة وخُبث . ولا ينبغي اذا اساءَ المملوك ان يُعاقَب الّا بمثل ما يعاقب بهِ الولَد اذا اشي (اساءَ) مثل تلك الاساءة . ذلك اصلحُ للمملوك والولد جميعاً

ويجب ان يُجعل للمماليك اوقات راحة فانّ المملوك اذا أُردِف بعملٍ على عمل وكُلّف نصَباً بعد نصَب ولم تكن لهُ راحة فَتَرَ عن الخدمة وان كان حريصاً عليها. والراحة تجدّد قوة البدن وتحبّب الى صاحبهِ العمل . ومَثَلُهُ في ذلك مثل القوس فانها ان تركت (تُرِكت) موترةً استرخت وان حطت (حُفِظت) الى وقت الحاجة اليها دامت شدّتها وكان اجدر ان يُنتَفَع بها. وانّا لنعجب من قوم نراهم يُعنَون بدوابّهم ويَحرَصون على راحتها وعلى الاحسان اليها ولا يُعطُون مماليكهم نصيباً من ذلك. والمملوك وان لم يكن محتملًا من الراحة ما تحتملهُ الدابّة (٧٦) لأن كسر (كُثْر) الراحة ربّما ابطرهُ وفرّغهُ لِما يضرّهُ والدابّة ليست تشبههُ في ذلك فانهُ غير مستعن (مستغنٍ) من الراحة عمّا يسبد عر (يسند بهِ) قوّتهُ ويستدعي نشاطهُ ولا يبلغ القدار الذي يخاف عليه ضررهُ. وبعد فهو من جنس المالك لهُ فقد ينبغي لمالكهِ ان ينزع مع توحي (توخّي) حسن التدبير فيهِ الى الرحمة لهُ لما يتذكّر من ضعفهِ فان دابّتهُ اجمل للتصييع (للتضييع) منهُ

ولا ينبغي لاحد ان يغتنم (يغتمّ؟) من مملوكهِ ان يكون يرى انهُ لا بُدّ لهُ من قبول امرهِ شاء او ابا (أَبى) بل يلتمس ان تكون خدمتهُ لهُ بالمحبّة منهُ لذلك والنشاط لهُ والحرص عليهِ. وينبغي ان يحرص على ان يكون ابقاد (انقياد) مملوكهِ بالحياء اكثرَ منهُ بالخوف. وبالمحبّة اكثرَ منهُ بايجاب الطاعة

وافضلُ المماليك الصغارُ لانهم احسنُ طاعةً واسرعُ قبولاً لِما يعلّمون وهم الذين يألفون الموالي ويلزمون ما يجرون عليهِ من الاخلاق . وخيرُ المماليك للرجل من لم يكن من جنسهِ لأنّ الناس مولعون باستصغار اقاربهم والحسد لهم. فللمجانسة من هذا نصيبٌ. ومن حقّ المملوك ان يُكفى كلَّ ما يحتاج اليهِ وان لا يكلَّف ما لا يقدر عليهِ ولا يحلُّ لهُ . وعليهِ الطاعة فان لم يُطع بعد هذا وجبَت عليهِ العقوبة على ما رتّبنا من حالٍ بعد حال. وينبغي ان يكون للمماليك عند مواليهم مراتب من (٧٧) الاحسان والتفضيل واذا احسن احدهم رفعهُ من مرتبة الى مرتبة بقدر استحقاقهِ فانّ ذلك حثّاً (حثٌّ) للباقين على ان يلحقوا بهِ. فهذا ما قلنا بالمماليك بعد الذي قلنا في المال

## ٣ في تدبير المرأة

فامَّا المرأَة(١ فاوَّل ما ينبغي ان يبتدئ بهِ مَن ذكرَها الإخبارُ عن الغرض الذي تراد لهُ فنقول: انَّ ذلك الغرض شيئان احدهما من طريق الرأي والآخر من طريق الطبع ·
فامَّا الذي من طريق الرأي فهو انَّ اكثر اشغال الرجل خارجٌ (خارجًا) من منزلهِ · فهو مضطرّ الى إخلائهِ من نفسهِ والخروج عنهُ ولا بُدَّ لهُ اذا كان كذلك ممَّن يحفظهُ لهُ ويدبّر لهُ ما فيهِ وليس يمكن ان يبلغ احدٌ من العناية بشيءٍ غيرَهُ ما يبلغهُ من العناية بنفسهِ · فلمَّا كان الامر على هذا كان اصلحُ الاشياء للرجل ان يكون لهُ في منزلهِ شريك يملكهُ كملكهِ هو لهُ ويُعنَى بهِ كعنايتهِ ويكون تدبيرهُ فيهِ كتدبيرهِ · فهذ هو الباب الذي دعا اليهِ الرأي ودلّ عليهِ الاختبار

وامَّا الباب الآخر الذي يوجبهُ الطبع فانَّ الخالق تبارك وتعالى لمَّا جعل الناس يموتون وقَدَّر بقاء الدنيا الى وقتٍ جعلَهم يتناسلون وجعل التناسل من شيءٍ يجمع فيهِ الحرارةَ والرطوبة · فامَّا الحرارة فلأنَّ النشوء والنماء والحركة لا تكون الَّا بها · وامَّا الرطوبة فلأنَّ الانطباع والتصوير على (٧٨) اختلاف مقاديرهِ واشكالهِ لا يكون الَّا فيها · وليس للرطوبة مع الحرارة ثبات ولا بقاء لأنَّ الحرارة تُحلّلها وتُفنيها منها فلا يوجد من كلّ واحدٍ منهما في بدن واحد مقدارُ القوَّة التي يكون منها الولد فلذلك صار الولد من ذكر وانثى لأنَّ الحرارة في الذكر اقوى والرطوبة في الانثى اكثر فاذا القى الذكر في الانثى من الحرارة ما قدَّر الخالق ان يكون من مثلهِ الولد استمدَّت تلك الحرارة من الانثى من الرطوبة ما يكون فيهِ تمام الخَلق ثمَّ الولد

ثمَّ من تمام التدبير في ذلك انهُ حيث جعل [الله] في الرجل الطبيعة التي يميل بها الى الحركة والظهور والتصرُّف وكانت بهِ حاجة الى من يقوم مقامهُ في منزلهِ جعل في الانثى الطبيعةَ التي تميل بها الى السكون والاستتار لتقوم مقامهُ فيما فَقَد من نفسهِ من الصبر على لزوم منزلهِ ويقوم مقامها فيما فقدت من نفسها من الحركة في طلب المعاش ·
ثمَّ جعل بينهما من المحبَّة والفه (والأُلفة) ما ارتفع معهُ الحسد والمنافسة والبخل من كل واحد منهما على صاحبهِ فيما يحرز لهُ من مالهِ واطلق لهُ من التدبير فيهِ · ولو زال

(1 Mémoires de l'Institut, XXX. p^re partie, p. 433

ذلك لكان شغلُ كلٍّ واحد منهما بصاحبهِ اكثرَ منهُ بغيرهِ للمقارنة والشركة وقُرب المتناول لكنهُ (٧٩) جعلهما كأنهما نفس واحدة

فالواجب على المرأة الاذعان للرجل والطاعة لهُ والتذلُّل فيما يأمرها به اذ كان قد جاد لها بمنزلهِ وملَّكها ايَّاهُ ولم يستأثر عليها بشيءٍ منهُ . فانَّها وان قالت انَّهُ انمـا فعل ذلك لانهُ اصلحُ لـهُ فليس قولُها هذا ممَّا يُبطل عنها مِنَّتَهُ ويُزيل عنها رئاستهُ لأنَّ جميع ما يأتيهِ الانسان من الاحسان وان كان يرجع اليهِ فضلُهُ وحسن الذكر فيهِ وكانت المنفعة لهُ في ذلك اكثر منها لمن يصل ذلك الاحسان اليهِ فليس ذلك ممَّا يزيل الشكر عن مَن أَحسن اليهِ ولا يجعل لهُ السبيل الى كفران نعمتهِ

فينبغي للرجل اذا اتَّخذ المرأة ان يبدأ فيُفهمَها المعنى الذي ارادها لهُ وانهُ لم يُردها للولد دون العناية بهِ والتفقُّد لامورهِ في حضورهِ وغيبتهِ وصحَّتهِ ومرضهِ وحفظ جميع مالهِ ومعونتهِ على جميع امرهِ وما يجب عليهِ من ذلك للأسباب التي شرحناها . ولا ينبغي ان يكون قصد الرجل من المرأة لحسَبٍ ولا مالٍ ولا جمـال لانهُ متى قصد لواحدٍ من هذه وكان موجودًا عندها رأت المرأة انهُ قد ظفر ببغيتهِ منهـا ولم يبقَ عليها شيءٌ تحتاج الى ان تتقرَّب بهِ اليهِ بل تظنّ أنَّها ان [ اساءت ] اليهِ او قصَّرت في حقهِ كان فيما نال من حاجتهِ منها ما (٨٠) يجب عليهِ احتمال ذلـك معهُ وانهُ اولى بطاعتها والتذلُّل لها منها بان تفعل ذلك بهِ . وعند ذلـك يفسد تدبير المنزل اذ كان الاخسّ من صاحبَيْهِ قد صار في مرتبة الافضل امَّا تابعاً للاخسّ وامَّا مُنازعاً لهُ ومحارباً فيما يخالفهُ فيهِ . ومع المنازعة الشغل ومع الشغل التضييع . فليس يصلح امرُ المنزل الَّا بان يكون افضل مَن فيهِ هو الرئيس على سائر اهـلهِ ويكون سائر اهلهِ سامعين مطيعين لهُ

وقد بيَّنَّا الغرضين اللذين تُقصَد لهما المرأة وهمـا الولد وتدبير المنزل فينبغي ان ينظر ما الذي يُحتاج اليهِ لهذين الغرَضَيْنِ حتَّى يُطـلَب وأَمَّا الحسب والمال والجمال فليس من ذلك في شيءٍ بل ربَّما ضرَّت هذه الوجوه كلّها لأنَّ الجمال يَكثر مَن يرمقهُ ويُبصرهُ فربَّما كان ذلك سبباً لفساد صاحبهِ . والحسب يدعو صاحبهُ الى الاتّكال عليهِ وتَرْك كثير ممَّا يزينهُ . والمال ينطر (يُبطر) الرجل في نفسهِ ورأيهِ . فكيف بالمرأة التي هي الى نُقص ما هي

فالذي يحتاج اليهِ الولد من المرأة أمران : احدهما من البدن والآخر من النفس . فالذي من البدن صحَّةُ البنية والذي من النفس صحَّة العقل فانهُ [ ليس ] مع سقم البدن وفساد العقل غاية . امَّا تدبير المنزل [ فيحتاج ] الى فضائل كثيرة اوَّلها العقل والكيس ثمَّ قوَّة النفس والبدن (٨١) مع ضبط النفس والكفّ لها عن الشهوات . ثمَّ ذلَّة النفس لتستعمل ذلك فيما بينها وبين زوجها . ثمَّ رقَّة القلب لتستعمل ذلك فيما بينها وبين ولدها . ثم العدل في السيرة لتستعمل ذلك فيما بينها وبين خدَمها . فلا ترى شيئاً ممَّا يحتاج اليه الرجل من الفضائل الَّا وقد تحتاج المرأة الى مثلهِ بل [ اكثر ] لانها اضعفُ وهي الى اكتساب الفضائل أحوَج

واذا كان ليس كل نفس تقبل الفضائل بالتأديب فقد ينبغي للرجل ان يجتهد في اتخاذ من يعينهُ على قبول الفضائل بالطبع ليمكنهُ ان ينغي (يُبقي) على ما عندهُ ويريد (ويزيد ) فيهِ . وليس يستقيم امر المنزل حتى يُوافق خُلقُ المرأة خلقَ الرجل وطريقةُ وليس يوافق خُلقُ مرة (امرأة) السوْ وطريقها خلقَ الرجل السوْ وطريقةُ . ولا ينفعان (يتَّفقان) الَّا ان يكونا صالحين كما انَّ العود المستوي لا يطابق الَّا العود المستوي فامَّا العود المعوجُّ فانهُ لا يطابق المستويَ ولا المعوجَّ لأن الاستواء طريق واحد والاعوجاج الى طرق كثيرة . فلذلك يحتاج الرجل والمرأة جميعاً ان يكونا عاقلَين عفيفين مُنصفين وان لم يكونا كذلك لم يتَّفقا وفسدَ تدبير منزلهما

ومن شكَّ فيما قلنا من انهُ يحتاج الى ان يجتمع في المرأة جميع الفضائل [يتحقَّق ] ذلك بأنهُ لا يشكُّ انها قيِّمة المنزل ومدبّرتهُ والمفكّرة فيما ( ٨٢ ) يصلحهُ والمتولّية لسياسة مَن فيهِ من الخدم وغيرهم . فهل يكون التدبير الَّا من ذي عقل ومعرفة ؟ وهل تكون السياسة الَّا من ذي رفقٍ وأناة مع الشدَّة في موضع الشدَّة ؟ وهل تكون المصلحة الَّا مع الضبط والحفظ ؟ وهل يكون حسن القيام الَّا مع الكَيْس والذكاء ؟ وهل يتمّ هذا كلهُ الَّا مع صيانة النفس واطّراح الشهوات واللذّات الَّا ما حَسُن منها وبَعُد عن الغلوّ ثمَّ الصبر على الأذى واحتمال المشقَّة والسخاء بالنفس والانقياد للعدل ؟ والَّا فكيف يصون منزلَهُ من لا يصون نفسَهُ ؟ وكيف ينفرغ (يتفرَّغ ) لِما يُصلحهُ من هو مشغول بشهواتهِ ولذَّاتهِ ؟ وكيف يضبط مَنْ تحت يدهِ مَنْ قد عجز عن ضبط نفسهِ ؟ وكيف يدوم على الطريقة مَنْ لا صبر لهُ ؟ وكيف

يصبر على مؤونة الولد في تربيته والقيام بشأنه وعلى خدمة الزوج مَنْ لا احتمال لهُ ؟ وهل يؤبر (يؤثر؟) على نفسه الّا من في نفسه من القوّة والنجدة ما يسهّل ذلك عليه؟ وهل يصبر على الظلم [ الّا ] من كان الانصاف والعدل اقلّ ما عنده ُ ؟

فانهُ ليس لاحد ان يقوى [على] المرأة فيتّفق ما بينها وبين زوجها وما بينها وبين ولدها [ لكي ؟ ] تحيّر ظلمهم لها على ظلمها لهم وتحتمل عصبهم ( غضبهم ) وحههم (وَجهمتهم) [واستبدادهم] في اوقات صحراتهم ( ضجراتهم ؟ ) وعند العلل التي تعرض لهم ثم تريهم ان [الفضل ؟ ] في ذلك(٨٣) كله لها دونهم ثمَّ لا تحقده ُ عليهم ولا يكون في نفسها منهُ شيء بل اذا ذكرتهُ في بعض الاوقات جدّد لها رقّةً عليهم ورحمةً لهم وجعلتهُ مكان الاعتذار به عليهم ذكرًا لتلك الحالات التي دعتهم اليها من صحر (ضجر) او اغتمام او علّة قرّبت لهم من ذلك وتفجّعت لهُ وكانت امنيّتها أَلّا ترى مثل ذلك لنفسها وانها تكره مثل الذي كان منهم ولكن ابقاء عليهم وشفقةً من كل ما أذاهم وغيّر حالهم ٠فاين نفسٌ اكمل من نفس تجتمع فيها هذه الخصال واذا اجتمعت هذه الخصال في المرأة فقد سعُدَتْ في نفسها وسَعُدَ بها زوجها وولدها وشرُفَ بها اهلُها وصارت قدوةً للنساء

ثمَّ يتلو امر المرأة امر الولد فاقول :

## ٤ في تدبير الولد

انَّ افضل الولد ما كان من حُرَّةٍ صحيحةِ البدن صحيحة العقل جامعةٍ لهذه الخصال فهذا هو اوّل صلاح الولد والاساس الذي بُني عليه تأديبهُ ويقوّم طريقتهُ ٠ وينبغي أن يؤخذ بالادب من صغره فانَّ الصغير أسلَسُ قيادًا واسرعُ مؤاتاةً ولم تغلب عليه عادةٌ تمنعهُ من اتّباع ما يُراد منهُ ولا لهُ عزيمةٌ تصرفهُ عمّا يؤمر به ٠ فهو اذا اعتاد الشيء ونشأ عليه خيرًا كان او شرًّا لم يكد ينتقل عنهُ فان عوّد من صباه المذاهب الجميلة والأفعال المحمودة بقي عليها (٨٤) ويريد (ويزيد) فيها اذا فهمها ٠ وان أُهمل وتُرك حتّى يعتاد ما تميل اليه طبيعتهُ ثمَّ أُخذ بالادب بعد علبه ( غَلبة) تلك الامور عليه عَسُرَ انتقالهُ على الذي يؤدبهُ ولم يكد يُفارق ما قد جرى عليه ٠ فانَّ اكثر الناس انَّما ربّون (يرثون ؟ ) سوء مذاهبهم من عادات الصباء فانهُ لم يكن يقدّم ( مُقوّمٌ ) لهم في الآداب

وقد رأيت كثيراً لا يُحصَون يعلَمون انَّ مذاهبهم مذاهب رديئة ولا تخفي (تُخفَى) عليهم الطرق المحمودة ويعسر عليهم الرجوع الى تلك الطرق لعلة (لغلبة) تلك المذاهب عليهم. فان حملوا انفسهم عليها في بعض الحالات حياء من الناس في الظاهر لم يعدموا اذا خلَوا ان يرجعوا الى المذاهب الأُخر التي قد غلبت عليهم وتمكّنت في طباعهم

ورأيتُ ايضاً كثيراً من الاولاد ما دام اباهم (آباؤهم) وغيرهم ممَّن يأخذهم بالادب أَحياء فهم ملازمون الطريق المحمودة فاذا فقدوهم صاروا الى اخبث الطرق واردإها. وليس من الاسباب شيء اقوى في ذلك من عادة الصباء الّا انَّ الصبيَّ اذا كان في طبعهِ ان يميل الى الاشياء الرديئة وسلك مع هذا طريق الاعتياد لها كان عليها أَحرصَ واليها اسرعَ وفيها اشدَّ دخولًا حتّى تستحكم فيهِ ولا يكون لهُ الى مفارقتها سبيل. وباداء (وبازاء ؟) هذا ان يكون الصبيّ جيّد الطبع (٨٥) يسلك بهِ طريق الاعتياد للخير. فيكون كلّ واحد من طبعهِ وعادتهِ مقوّماً لصاحبهِ حتّى يقوى الخير فيهِ ويستحكم. فكما انَّ ذلك لا يقدر على مفارقة الامور [الرديئة لا يقدر هو مفارقة الامور] المحمودة. وفيما بين ذلك ان يكون الصبيّ جيّد الطبع ثمّ يُحمل على الاشياء (الرديئة او يتَّفق لهُ مقارنة اهلها او يكون رديء الطبع ثمّ يُحمل على الاشياء المحمودة او يتَّفق لـهُ ان يرى من يسلكها . فهذان قد تنقلها العادة عن الطبع وقد يمكنهما النزوع بعد ذلك عن العادة والرجوع الى ما عليهِ البينه (البيئة) . واصلح الصبيان من كان بينهم مطبوعاً على الحياء وحبّ الكرامة وكانت لهُ أَنفة. واذا كان ذلك كان تأديبهُ سهلًا. ومن كان منهم قليل الحياء مستخفّاً بالكرامة بعيداً من الانفة عسُر تأديبهُ. ولا بُدَّ لمن كان كذلك من تحريف (تخويف) عند الاساءة وإفزاع ثمَّ الاحسان اذا احسن . فامّا الذي لـهُ انفة وفيهِ حبُّ الكرامة فالمدح والذمّ يبلغان منهُ عند الإحسان والاساءة ما لا تبلغهُ العقوبة والعطيّة من غيرهِ. وينبغي ان يتفقّد الصبيّ في جميع حالاتهِ من مطعمهِ ومشربهِ ونومهِ وقيامهِ وقعودهِ وحركتهِ وكلامه وجميع اموره. ويُعلَّم في جميع هذا تجنُّب القبيح والقصد الجميل فانهُ اذا عرف الجميل (٨٦) والقبيح في هذه الاشياء وقاما في نفسهِ تنبَّه عليهما وفهمهما في غيرهما من جميع الامور ولم يحتج في كثير من ذلك الى تقويم وأَنا مبيّنٌ لك طريقاً الى ذلك فأوّلهُ امر الطعام فاقول :

ادب الولد في الطعام

انهُ ينبغي ان يعوَّد الصبيّ ان لا يبادر اليهِ حتَّى يوضع ولا ينظر اليهِ نظر الشَّرِه وان يُحتال في تصغير قدْر الطعام في عينهِ وان ظهر منهُ شيءٌ من الشره ان يعيَّر بهِ ويبيَّن لهُ قبحهُ ويُعلَّم انَّ الشَّرَه من طريقة الخنزير فمن شاركهُ فيهِ لم يكن بينهُ وبينهُ فرقٌ. واذا جلس على الطعام مَن هو اكبر منهُ فلا يمدّ يدهُ الى الطعام قبلهُ الَّا ان يُؤمر بذلك ولا يأكل الَّا من بين يديهِ ولا يكثر من مدّ يدهِ مرَّةً الى شيءٍ ومرَّةً الى آخر ولكن يقتصر في اكثر اكلهِ على شيءٍ واحد. ولا يرغب في كثرة الالوان ولا يُسرع في الاكل ولا يعظّم لُقَمَهُ ولا يلطّخ يديهِ ولا فمهُ ولا ثيابهُ ولا يلطخ اصابعهُ ولا يكون آخر مَن يرفع يدهُ عن الطعام ولا ينظر الى احد ممَّن يأكل معهُ ولاسيَّما ان كان غريباً

وينبغى ان يفهم الصبيّ انَّ الطعَام انَّما يُحتاجُ اليهِ كما يُحتاج الى الدواء فكما انهُ ليس يُقصد من الدواء الى ان يكون لديدًا (لذيذًا) او كبيرًا (كثيرًا) وانَّما يُقصَد الى منفعتهِ فكذلك ليس القصد من الطعام الى لدّته (لذّته) ولا كبرته (كثرته) وانَّما القصد الى (٨٧) مقدار منفعتهِ. ويعوَّد الصبيّ ان يُنيل مَن سألهُ ممَّا يطعم فانهُ يستفيد من ذلك ضَبْط الشهوة والسخاء والتجنُّب

ويعوَّد القناعة بأخسّ الطعام والاقتصار على الخبر (الخبز) بلا أَدَم فانّ هذه العادة تُعينهُ على العفَّة وظلَف النفس وقلَّة الرغبة في المال. والرغبة في المال مذمومة في نفسها وهي مع ذلك ربَّما دعت الى اكتسابهِ من وجوه قبيحة اذا لم نتها (يتهيَّأ) كسبهُ من وجوهه (وجوهٍ) جميلة. والقناعة بأَخسّ الطعام جميلة بالفقير والغني الَّا انَّ الفقير اليها احوج وهي بالغنيّ اجمل. وينبغي للصبيّ ان لا يستوفي العداء (الغداء) وان استيفاءهُ للطعام وقت عشائهِ فانَّ ذلك نافع لهُ في ذهنهِ وصحَّة بدنهِ لانهُ ان استوفى طعامهُ بالنهار تقل (ثَقُلَ) واعتراهُ الكسل واحتاج الى النوم وعلط (غلَظ) ذهنُهُ عن قبول الادب. وليس ينبغي ان يعوّد الصبيّ التكاسل والنوم بالنهار بل يعوَّد النشاط والحركة والحرص على الادب. وهذا التدبير ايضاً للرجل اجود فان عُوّدَهُ من صباه كان اسهل عليهِ وانفع لهُ. ولا يكون اكثر اكلهِ اللحومَ والاشياء الغليظة فان تَرْكها انفع لهُ في الذكاء وصحَّة البدن وفي سرعة النشوء لأنَّ العداء (الغذاء)

الثقيل يُثقل الطبيعة ويمنعها من النشوءِ . ويعوَّد(٨٨) الصبيّ الإقلال من الحُلو والفواكه فانَّ ذلك انفع لهُ في نفسهِ وبدنهِ : أَمَّا في نفسهِ فلين ( فلأَنَّهُ ) لا يغلب عليهِ الترفّه وحبّ اللذّات وامَّا في بدنهِ فلسرعة استحالة الاشياء الحلوة والفواكـه وفسادها في الابدان الحارَّة . ويعوَّد الصبيّ ان يكون شربهُ بعد الفراغ من طعامهِ فانَّ ذلك اصلح لبدنهِ ونفسهِ . أَمَّا لنفسهِ فلضبطهِ لها وامَّا لبدنهِ فلأَن ذلك أَعوَن لهُ لاستمراء الطعام واحدر (واجدر) ان يقوّي بدنهُ . وقد عرف ذلك من جرَّبهُ وعلماء الاطبَّاء يشيرون بهِ والمستعملون الانبيده ( الأَنبذة ) يعلمون بهِ

ووقت الطعام بالنهار للصبي هو الوقت الذي يكون قد فرغ فيهِ من وظيفتهِ التي يتعلّمها وتَعِب تعباً كافياً . ومتى رأيت الصبي يأكل الشيء وهو يحبُّ ان يحفى (يُخفي) اكلهُ اياهُ فامنعهُ منهُ فانَّهُ لم يستر اكلهُ الَّا وقد علم انهُ لا يحتاج اليهِ وانهُ في اكلهِ لهُ مخطئ . ويعوَّد الصبيّ ان لا يشرب الماء على عدايه (غدائهِ) ولاسيَّما في الصيف فانهُ اذا شرب ثقل العدا (ثُقُل الغذاء) وفتر بدنهُ وكسل ونفد الطعام ايضاً عن معدتهِ سريعاً واحتاج الى غيرهِ . وان كان الشتاء فهو مع ذلك يبرّد البدن . وتحمل (ويَحْمُلُ) بالصبيّ ان يضبط نفسَهُ عن شرب الماء في اوقات سعله (شغله) بالتعلّم وحصور (وحضور) من يجب اجلالهُ . ولا ينبغي انَّ يقرُب الصبيّ النبيذَ (٨٩) حتى يصير الى حدّ الرجال لأَنَّهُ يضرُّهُ في بدنهِ ونفسهِ . أَمَّا في بدنهِ فلأَنَّهُ يسخّنهُ وهو لا يحتاج الى سخونة لحرارتهِ وامَّا في نفسهِ فاذا كان النبيـذ يغيّر اذهان الرجال المحنَّكين ويخرجهم الى السَّخَف وسرعة الغضب ورداءة الفكر والقحة والتهوُّر فـالصبيُّ احرى ان يفعل ذلك بهِ (١ ودماع (دماغهُ) مع هذا رقيق فحار (فبخار) النبيذ يُسرع الى افسادهِ لقوَّتهِ عليهِ . ولا ينبغي للصبيّ ان يحضر مجالس النبيذ الَّا ان يكون مَن فيهـا من اهل الادب والفضل . فامَّا مجالس العوامّ فلا وذلك لما يحرا ( يجري ) فيها من قبح الكلام ويظهر (ويظهر) في اهلها من السخف

ادب الولد في نومهِ ولبسهِ

وامَّا النوم فيقدر (فيقدَّر) للصبيّ منهُ مقدار ( مقـدار) حاجتهِ ويُمنع من ان

١) جاء في الهامش : أقول : وعلى كلّ حال فترك الشراب اولى واحرى للصغير والكبير فانهُ مادّة كلّ شرّ

يستعملهُ للنلد ( للتلذُّذ) بهِ فانَّ كثرة النوم صارًا (ضارَّة ) لـهُ في بدنهِ ونفسهِ لانهُ يرخي البدن ويفتحه (ويفتحهُ) ويغلط الدهن ( ويُغلّظ الذهن ) ويميت القلب

وينبغي ان يُمنَع الصبيّ من ان ينام اذا اكل حتى ينحطّ الطعام ويستقرّ قرارهُ وينبد (ويُنبَّه) في السحر لينفض عن بدنهِ ما اجتمع فيهِ من الفضول والاوساخ فيخفّ لأنهُ ليس شيءٌ اعوَن على الذكاء من ذلك ولا ابلغ في نشاط البدن وصحّتهِ. ولا وقت اجود للمتعلّم من وقت الغداة والرجل ايضاً يحتاج الى ان يُنبَّه في السحر فاذا اعود (٩٠) (عُوّد) ذلك من صباهُ كان عليهِ اسهل. ويُمنع الصبيّ من النوم بالنهار الَّا ان احتاج اليهِ لضعف او لعلّة. ولا يُعوَّد الصبيّ النوم بحضرة الناس لانهُ معا في ذلك من القبح يدلّ على انهُ ليس بمالكٍ لنفسهِ ولا ضابط لها عن اللذَّة. والفراش الوطيءُ رديءٌ للصبي لانهُ يرخيهِ ويفتحهُ والصبيّ يحتاج الى ان يُصلَّب وتشتدّ نفسهُ. ولين(ولَئِنْ) مال (ينال) الصبيَّ طرَفٌ من البرد في الشتاء ومن الحرّ في الصيف خيرٌ لهُ من ان لا ينالهُ شيءٌ منها (منهما) ومن لم يَنَلْهُ شيءٌ من ذلـك كان بدنهُ رقيقاً ضعيفاً وكانت نفسهُ ايضاً رخوة خوَّارة. وكذلك المشي والعَدْو والركوب والحركة خير للصبيّ من السكون والدعة والحفط (والحفظ ؟) والدلال

وينبغي ايضاً انلا يُعوَّد الصبيّ لبس الليّن والرقيق وان لا يلبر (يُكبّر) في نفسهِ هيبة اللباس وان يفهم ان ذلك اما (انَّما) يليق بالنساء والمترفين وأنَّ ذلك يدعوهُ الى محبَّة المال وقد بيَّنَّا ان محبَّة المال رديئة في نفسها داعية الى ما هو اردى (ارداُ) منها. ولا ينبغي ابضاً ان يخرج بلا رداء ولا يرخي يديه (٩١) ولا يضمُّهما الى صدرهِ ولا يكسف (يكشف) ساعدهُ ولا يسرع في مشيهِ جدًّا ولا يبطئ فيهِ جدًّا فانَّ السرعة في المشيْ تدلُّ على التهوُّر والابطاء فيهِ يدلُّ على التيه والكسل. وكشفُ الساعد من فعل الوَقاح وارخاء اليدين من الاستخفاف بالناس

ولا ينبغي ان يُربَّى لـهُ شعر ولا يزيَّن الصبيّ بشيءٍ من زينة النساء بل يُعرَّف قبح التصنُّع والغرض الذي يقصد اليهِ مَن يتصنَّع ويبغَّض اليهِ النسبه (التشبُّه) بالنساء ويحبَّب اليهِ التسبه ( التشبُّه) بالرجـال ولا يلبس الخاتم الى ان يحتاج اليهِ ويُمنَع ان يفخر (يفتخر)بشيءٍ يملكهُ على من لا يملك مثلهُ ويُعاب ذلك عليهِ حتَّى ينتهي عنهُ. ويُطلَق لهُ الفخر بالادب والعلم والمـاراه (والمباراة ) فيهما. ووجد ( يؤخذ ) باكرام

من هو اكبر منهُ والقيام لهُ عن موضعهِ وان لا يلوم (يُكرم) الغنيَّ الّا كما يكرم الفقير. ويؤخذ ايضاً باكرام من هو افضل منهُ في الادب والمعرفة وان كان اصغر منهُ سنّاً. ويُمنَع الصبيّ من التبزّق والامتخاط والتثاؤب والنجش (والتجشّي) وما اشبه ذلك بحضرة الناس لأنَّ فيه دليلًا على ضبطهِ لنفسهِ ونظافتهِ وشدَّة حياه (حيائهِ). وليس نلو (تكثُر) هذه الافعال الّا في مَن أسرف في المطعم والمشرب والنوم والراحة. ولا يدعَم (٩٢) رأسهُ بساعدهِ ومَن فعل ذلك فقد دلّ على انهُ بلغ من استرخائهِ ونفنخهُ (وتفنُّخهِ) ان لا يقدر على حمل رأسهِ الّا ان يفعلهُ صاحبهُ وقت الاعتام (الاغتمام) والانكسار والضعف

ادب الولد في كلامهِ وتصرُّفهِ مع غيرهِ

ولا ينبغي للصبيّ ان يحلف بالله على حقّ ولا على باطل وذلك ايضاً جميلٌ بالرجل الّا انهُ ربّما اضطرّ اليهِ وليس يعرض للصبيّ من الامور ما يضطرُّهُ الى اليمين. واذا اعتاد الانسان من صغرهِ ان لا يحلف بالله قلّ استعمالهُ لليمين اذا كبرُ وتوقّاها ولم يجسر عليها في اكثر الاشياء.

وينبغي ان يعوَّد الصبيُّ الصمتَ وقلّة الكلام وان لا يتكلّم بحضرة من هو اكبر منهُ الّا بما يسئال (يُسأل) عنهُ. وانمّا ينبغي للصبيّ اذا حضر مجلس من هو اكبر منهُ ان ينصب (ينصت) لكلامهِ فانَّ الاستماع أعوَن لهُ على التعلّم والصمتُ بكلامهِ يدلّ على الحكمة والحياء. وينبغي ان يُمنع الصبيّ من ذكر الاشياء القبيحة ويحدر (ويُحذَر) عليهِ ان يسمعها من غيرهِ فان دكرها فاستماعها (فانَّ ذِكرها واستماعها) يولبانهِ (يؤتيانهِ) بها واذا غاب ذِكرُها واستوحش منها كان لاتيانها (لإتيانها) اعيب (أغيَب) ومن ذلك اشدَّ وحشةً. ولذلك ينبغي ان يحذر الصبي معاشرة مَن كان من الصبيان فيهِ جرأة وتقدُّم (٩٣)

وينبغي ان يُمنع الصبيّ من الشتم واللعن ويُعوَّد طيّبَ الكلام وحسن اللقاء وان لا يُسمِع الدمر لدَه (التذمّر ؟) ممَّن يقصد الى تأديبهِ اذا جاءمنهُ الزلل والى تأديبهِ غيرهُ. ومن أنفع ما أدّب بهِ الصبيّ واجود ما عوّدهُ استعمال الصدق وتجنُّب الكذب. وان كذب الصبيّ فينبغي ان يُلام ويُذَمّ ويُعيَّر ويُضرَب إن أحوج الى ذلك. فانَّ افضل الفضائل الصدق واحسن (واخسّ) الدناءة واقبحها واردأها الكذب.

ومن يُعوَّد الكذب ونشأ عليهِ لم يفلح

وينبغي ان يُعوَّد الصبيّ خدمة نفسهِ ووالديه ومعلّمهِ ومن هو اكبر منهُ . واحوجُ الصبيان ان يؤخذوا بذلك اولادُ الاغنياء لأنَّ اولاد الفقراء يضطرّون اليهِ فهم يعتادونهُ واولادُ الاغنياء ان لم يوحدوا (يؤخذوا) بهِ لم يَدْعُهم اليهِ سبب . وفي ذلك لمن فعلهُ من الصبيان منفعة عظيمة لانهُ يحرح (يُخرَج) الصبيّ ويُكسبهُ رجولة ودُرْبَةً ويعوّدهُ التواضع ويحتلب (ويجتلب) لَهُ المحبّة ويكون به مستعداً للنوائب (للنوائب) . ولا ينبغي للصبيّ إن ضربَهُ المعلّم ان يبكي ولا يصيح ولا يَضرَع فانَّ ذلك من الفشل والجبن وانمّا يليق ذلك بالعبد لا بالحرّ . وقد قلنا انَّ من لم يكُ فيهِ من الصبيان أَنفةٌ (٩٤) عَسُرَ فلاحُهُ

وينبغي ان يؤدَّب الصبيّ على الحسد والبغي وغيرهما ويحبَّب اليهِ المباراة في الادب والأنفة من ان يتقدَّمهُ غيرُهُ فيهِ . ويُعوَّد الصبيّ ايضاً الأَنفَة من ان ىبره (يَبُرَّهُ) قَرْنهُ بشيءٍ لا ىبره (يبرُّهُ) بمثلهِ او اكبر (اكثر) منهُ وأن يأخذ شيئاً ويُعطي اقلَّ منهُ ومن ان يحبَّهُ قَرْنُهُ اكثر ممَّا يحبُّه هو . والذي يليق بالكريم ان يبرَّ بأكثر ممَّا يُبَرُّ بهِ ويعطي اكثر ممَّا يأخذ . ويليق بالمتحبّب ان يُحِبَّ اكثر ممَّا يُحَبّ . وان لم يمكن الصبيّ ان يبرَّ بالوجهِ الذي برَّهُ قَرْنهُ فليتحيَّل لمكافأته على ذلك البرّ بوجهٍ آخر والّا كان غير متخد (متَّحد او متَّخذ ؟) العدل ونُسب الى محبَّة الربح لا الى محبَّة الكرامة . وينبغي ان يبغّض الصبيُّ الذهبَ والفضَّة ويحدر (ويُحَذَّر) مسَّها اكثر ممَّا يحذّر (يُحَذَّر) مسّ الافعى والحيَّة . فان آفة الافعى والحيَّة انمَّا تدخل على البدن وآفة حبّ الذهب والفضَّة تدخل على النفس وضررهما في النفس ابلغ من ضرر السمّ في البدن ويُحتال في وضع قدرهما عندهُ وتهجين مَن احبَّهما

وينبغي ان يؤدَّب الصبي في بعض الاوقات في اللعب ولا يلعب لعباً فيهِ قبحٌ ولا أَلمَ فانَّ اللعب انمَّا يُراد لراحة الصبيّ وسروره حتَّى يكون ذلك عوناً لهُ على ما يراد منهُ فيما بعد من التعب في الادب والصبر على مشقتهِ . فاذا (٩٥) كان في لعبهِ تعبٌ لهُ احتاجَ الى الراحة في وقت تأديبهِ فبطَلَ ما قُصد بهِ اليهِ وبقي التعب الذي بهِ

ومن اجود ما يعوّدهُ الصبيّ وابلغهِ في فلاحة (فلاحهِ) الطاعةُ لوالديهِ ولمعلّمهِ ولاهل الادب والنظر اليهم بعين الجلالة والاستحياء منهم والهيبة لهم ومن لم يكن

فيهِ ذلك من الصبيان ابطى (ابطأ) فلاحهُ

وينبغي ان يحدر ( يحذّر ) على الصبيّ الجماع او ان يُعَرَّف شيٌ (شيئاً) من امر الجماع او يقارنهُ (يقاربهُ) حتّى يتزوَّج . فانهُ مع ما في ذلك من القربة الى الله تعالى والثناء الجميل عند الناس وصحّة البدن وحسن النماء وبقاء الطهارة والنظافة والضبط للنفس ، ففيهِ ان الرجل اذا لم يعرف امرأةً وكانت المرأة لا تعرف رجلاً غير رجلها كان حبّ كل واحد منهما لصاحبهِ غايةَ الحب وانطوى قلبهُ عليها وقلبها عليهِ وذلك من انفع الاشياء للرجل والمرأة جميعاً . وان كان الذين يريدون شدَّة البدن يصبرون على الجماع ويؤثرون ذلك عليهِ فالذين يريدون فضيلة النفس اولى بالصبر عليهِ . ومَن حفظ هذه الاشياء وعمل بها صار بها الى الفضيلة ونال المحبّة والكرامة من الله والناس وبلغ غاية السعادة . ومن اطَّرحها وظنَّ انهُ لا ينتفع بها وانّ منفعتها يسيرة وتَرَك استعمالها نال من راحة ذلك (٩٦) الشيءِ اليسيرَ (كذا) وأدّاهُ الى عظيم النقص والخساسة . ولعلَّهُ يعرف فضيلة ذلك في وقتٍ لا يمكنهُ فيهِ تلافيهِ واستدراك ما فات منهُ فيحصل الى الندامة . فانَّ اليسير من الخطأ في اوائل الاشياء واصولها ليس بيسير الضرر وكذلك المنفعة في يسير الصواب لأنّ الاشياء تُبنى على تلك الاصول

تمّ قول برولس (كذا) في تدبير المنزل والحمد لله وحدهُ

---

# قوَّة محرّكة جديدة : الفَحْم الاحمر

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

من عجيب قدرة الانسان ومن شواهد مُلكهِ على العالم المادّي انهُ لا يزال يُخضع اشدّ قوى الطبيعة واعصاها لنير سلطتهِ المطلقة . هكذا سخَّر على توالي العصور قوة الرياح والمياه الجارية والبخار والكهرباء ومدَّ البحرِ وجَزْرَهُ الى غير ذلك مما يطول تعدادهُ . ولا يمضي على تاريخ البشر جيلٌ واحد الَّا ونرى الانسان مدّ سيطرتهُ على قوَّة جديدة فأذلّها لسلطانهِ واستخدمها لغاياتهِ

ومن اغرب انتصاراتهِ الحديثة ما اصابهُ منذ نحو نصف جيل فكاد يجدّد الصناعة ويُرقّيها في بلاد شتى كما جدَّدها ورقّاها من قبلهِ بتسخير قوَّة البخار والكهرباء. نعني به استخدام قوَّة المياه المنحدرة ولاسيَّما الشلّالات العالية. ولا يخفى على احد ان شلّالات نياغارا مثلًا تُحدث قوّة آلافٍ مؤلفة من الاحصنة البخارية وانها تُحوَّل الى سيّال كهربائي ينتقل بسرعة البرق الى مُدن عديدة من الولايات المتّحدة فيُنيرها ويحرّك ادوات مصانعها وقطارات سككها. ويعلم الآن لفيفُ السوريين انهُ قد تألّفت حديثاً شركة تريد تسخير قوّة مياه نهر ابرهيم وهي تواصل اعمالها منذ بضعة اشهر بنشاط وحذاقة نعاين ان شاء الله قريباً نتيجتها. وقد اطلق الفنيّون على قوة المياه المنحدرة اسماً غريباً مستظرفاً حيث سمّوها الفحم الابيض اشارةً الى أزبادها وتنويهاً بمُجاراتها للفحم الاسود في ترويج الصناعة

وقد سُخِرت في ايطالية من مدة قريبة قوّةٌ جديدة لم يخطر على بال احد إمكان استخدامها. هي القوة البركانية الناجمة عن بروز النيران والابخرة المتجمّعة في داخل الكُرة الارضية من بعض جهات سطحها. لذلك أُطلِق عليها اسم الفحم الاحمر

معلوم من الجميع ان للبراكين قوّةً هائلة تكاد تفوق كلَّ ما سواها. ولم يبرح من اذهان كثيرين من قرَّاء المشرق (٥ [١٩٠٢] : ٥٢٩) انفجار بركان جبل بِله (Pelée) في مرتينيك الذي حوّل بظرف بضع ساعات مدينة سان پيار الكبيرة الزاهرة الى أخربة وأكوام من الردم وأودى بحياة ٣٥،٠٠٠ من سكّانها. واكثر منهم عدد الذين يتذكرون دمار مدينة مَسّينة على اثر زلزال شديد في آخر سنة ١٩٠٨ (المشرق ١١ [١٩٠٩] : ٦٧—٧٢). وما الزلازل سوى رجّات بركانية تخرّب البلاد لعدم وجودها منفذًا كفُوهة البراكين تمجُّ منهُ ما يتجمَّع تحت سطح الارض من كميّات الابخرة الهائلة

فمَن مِن العلماء والفنيين انفسهم كان يطمع من نحو عشرين سنة في تسخير تلك القوى الجهنَّميَّة التي لا يخطر على بال احدٍ انّها وُجدت الّا للتدمير ولإنزال العقوبات الالهية الصارمة على عالمنا الاثيم كما فعل الطوفان او كمطر الكبريت المتحدّر على مدينتي سدوم وعمورة في سالف الاعصار. وها هوذا قد تحقّق الآن ولو في نطاق ضيّق ما اتّضح سابقاً امتناعهُ في اعين الجهابذة انفسهم

أجل ان الانسان لم يُسخِر لغاياته الابخرةَ المتصاعدة بقوّة البراكين بل التي تصعد في بعض الجهات من اعماق الارض على شكل ضباب كثيف ذي لون ضارب الى البياض يترقى في الجوّ الى نحو عشرة امتار ويمتدّ احياناً كما في جوار بلدة ڤولتِرّه (Volterra) بايطالية على مساحة بضعة كيلومترات مربعة ! فتلك الابخرة المتصاعدة من شقوق الاديم تَميع شيئاً فشيئاً فتتحدَّر على سطح الارض ويتكوّن منها على توالي الايّام بُحيرات صغيرة ذات مياه شديدة الحموضة محتوية على الحامض الصوّاني والحامض البوريك . والارض هناك بورٌ لا اثر فيها للزراعة فهي تجاري الصحارى في جَدْبها ووحشتها فهذه الامكنة نفسها قد جعلتها اليوم الصناعة الايطالية ميداناً واسعاً لاعمالها الباهرة التي حان لنا الافاضة في البحث عنها

لما كانت السنة ١٨١٨ استوطن صناعي فرنسوي اسمه لَرْدِرل ( Larderel ) احدى بُقع مقاطعات توسكانة في ايطالية المشهورة بوفرة أبخرتها . فكان يستخرج منها حامض البوريك فيرتزق منهُ واتّسع بهمّتهِ نطاق هذه الصناعة حتّى اضحت اليوم بلدة لَرْدِرِلّو (Larderello) — وقد أُطلق عليها اسم الفرنسوي النشيط — من اهمّ مراكز الصناعة الايطاليّة . وقد اجتزأ المهندسون باديءَ بدء باستخدام الابخرة في حين تصاعدها من بطن الارض . ثم تجاسروا وعوّلوا على انتزاعها من اعماق الارض . فحفروا بالمسبار حُفَرًا اسطوانية يتراوح قُطرها بين ٢٥ و ٤٠ سنتيمترًا لكي يقفوا على النقط التي توجد بها اغزر الابخرة واقواها . فبلغوا بعد الحفر العميق الى عدّة منافذ لتلك الابخرة فكانت تنفجر مع المياه الغالية من اعلى الحفرة فيُخيّل لك ان هناك انفجارَ بركانٍ صغير . فاستخدم ارباب الصناعة هذه الابخرة الباطنيّة الشديدة القوّة مدّة سنين عديدة لتجهيز الحامض البوريك ولم يطرأ على بال احد ان يُسخِرها لغير تلك الغاية حتى غرّة الجيل العشرين

وفي السنة ١٩٠٣ عزم البرنس جينوري كُنتي (Ginori Conti) مدير احدى الشركات الصناعيّة في لَرْدِرِلّو على استخدام الابخرة بصفة قوّة محرّكة او فحم احمر كما سُمّيت على اثر اختباراتهِ الشهيرة . فوجّه الابخرة على دولاب آلةٍ بخارية موصلة بدينامو اي مولّد للكهرباء . فدار الدولاب وادار المحرّك الكهربائي فجرى السيّال في كل اسلاك المعمل وانار كل قناديلهِ . فاتّضح جليًّا من هذه التجربة الاولى ان الابخرة

المذكورة لا تختلف بفعلها عن سائر الابخرة التي تُستخدم بصفة قوّة محركة في كل فروع الصناعة. وكان ذلك الاختبار المكلل بالنجاح كفاتحة دَوْر جديد للصناعة العصرية في البلاد البركانية: دور الفحم الاحمر. فمن السنة ١٩٠٣ الى ١٩١٤ سار في لَرْدرِلّو بواسطة الابخرة محرّكٌ ذو قوة اربعين حصاناً بانتظام تامّ

فحينذاك خطر على بال المهندسين الايطاليين ان يوسّعوا دائرة استخدامهم للابخرة توسيعاً عظيماً. ولم يلزمهم لذلك سوى استجلاب كميات عظيمة منها. فحفروا آباراً كبيرة يتراوح عمقها بين ١٥٠ و ٢٠٠ متر وقُطرها بين ثلاثة وخمسة امتار. واحاطوا كلّ مساحة دائرتها بصفائح معدنيّة سميكة لمنع الابخرة من التصاعد منها بلا فائدة. فكان يصعد من كل بئر في الساعة من ١٥،٠٠٠ الى ٢٥،٠٠٠ كيلوغرام من ابخرة ذات ١٥٠ درجة من الحرارة اي ما يضاهي قوة تتراوح في الساعة بين الف والفي حصان بخاري! وتلك قوّةٌ محركة تزيد عمّا يحتاج اليه تدوير كل ماكينات لردرِلّو

فجرت الامور وفق رغبة الصناعيين المقيمين بتلك البلدة الى ان لاحظوا ان تلك الابخرة تقرض وتُتلف شيئاً فشيئاً معدن الماكينات التي تحرّكها. وذلك لكونها غير صافية كبخار الماء اذ تحتوي على كميّات شتى من الحامض البوريك والحامض السلفيدريك اللّذين يقرضان المعادن المعتادة. فتلافى المهندسون ذلك الخلل على الوجه الآتي. فانهم بدلًا من استخدام الابخرة لتحريك الماكينات مباشرةً استعملوها لتسخين الماء في مراجل ذات انابيب متعددة من الالومينيوم تحيط بها الابخرة فتحوّل ماءها الى بخار بلمحة عين او تكاد. وسبب اختيار الالومينيوم انه يقاوم اكثر من غيره قرض الحامض البوريك والحامض السلفيدريك. فعلى هذا النسق تبقى الابخرة محركةً ليس رأساً بل بواسطة تسخين الماء. فتزيد بذلك شبهاً بالفحم الذي لا يحرّك مباشرةً وينطبق على القوّة الجديدة المكتشفة في ايطالية اسم الفحم الاحمر اكمل انطباق

حول السنة ١٩١٨ كانت قوّة الابخرة المحرّكة المُستخدمة في لردرِلّو تساوي عشرة آلاف حصان بخاري فتُدير دواليب منجنون (turbine) ثلاثة آلاف دورة في الدقيقة اي ٥٠ دورة في الثانية. وكانت اسلاك الألومينيوم التي توزّع النور والقوّة الكهربائية الناتجين من استعمال الابخرة تمتدّ على طول اربعين كيلومترًا في نفس المصانع وذلك يضاهي دائرة عاصمةٍ كبيرة. وما عدا ذلك فان القوة الكهربائية المتولّدة

كانت تُوزع للتحريك والانارة ليس فقط في ذات لردرلّو بل في ملّاحات فُلْترّه وفي كَسْتِلْنوفو وساسوحتّى في نفس مدينة فيرنسة (او فاورنسة) والمسافة بين لردرلّو وبعض هذه الجهات تتجاوز ٢٥ كيلومترًا

ومع كل ذلك فلم تُستخرَج الابخرة الّا من بعض الآبار وفي نيّة المهندسين ان يحفروا غيرها في المستقبل لتوسيع نطاق اعمالهم

وسائلٍ يسألني : هل وجود الفحم الاحمر وإمكان استخدامه محصوران في بعض جهات مقاطعة توسكانة في ايطالية من انحاء لردرلّو ? اعمري ان كان الامر كذلك فهيهات ان تجاري القوّة الجديدة رصيفتَها الشهيرة باسم الفحم الابيض اي قوّة المياه المنحدرة من عل فيصبح الفحم الاحمر غريبةً في بابهِ غير ان استخدامهُ لا يزال محصورًا في نطاق ضيّق ومن المحال ان يكون لهُ تأثير يُذكر في ترقية الصناعة

نِعْمَ السؤال فانهُ يبرهن على نظر ثاقب لا يقف عند قشر الامور بل يَلج الى لبّها . فأُجيب عليه ان فوائد الفحم الاحمر ليست محصورة قطعاً في توسكانة ولا في قليل من الاصقاع المتصاعد منها ابخرة بركانية واليك بعض الشواهد المؤيدة لقولي

اوّلاً رأينا فيما سبق ان مهندسي لردرلّو عدلوا عن استخدام تلك الابخرة اليسيرة كميّةً وقوّةً وعمدوا الى استخراج الابخرة المكتمنة في اعماق الارض بواسطة آبار مصفحة يبلغ عمقها من ١٥٠ الى ٢٠٠ متر بل اكثر . فهذه الابخرة وحدها مكّنت المهندسين من تسيير ادوات قديرة كانت حول السنة ١٩١٨ تقتضي قوّة عشرة آلاف حصان بخاري . اما الابخرة المتصاعدة من الارض فانها لم تحرّك من السنة ١٩٠٣ الى ١٩١٣ سوى ماكنة ذات قوة اربعين حصاناً . فيتضح من ذلك ان كمية وقوّة الابخرة الباطنيّة في اعماق الارض تفوقان بدون قياس كمية وقوّة الابخرة السطحيّة

فلا حاجة اذن للبحث عن اماكن ذات ابخرة بركانيّة ولا يُعرف منها الان الّا النزر القليل مّما يستحيل ان ينتج من ورائه تعميم استخدام الفحم الاحمر . وانمّا يكفي وجود بُقع بركانيّة تتجمّع بها تحت سطح الارض ولو في عُمق ٣٠٠ او ٤٠٠ متر بل اكثر ابخرة باطنيّة غزيرة . ولا يتحقّق ذلك الامر الّا بسَبْر الارض كما سبقت الاشارة وهو هنا اسهل بدون قياس منه في التعدين . والاماكن البركانيّة التي يُحتمل بل يُرجح ان تُكلّل فيها عمليّات السَّبْر بنجاح كامل هي اكثر من ان تحصى في كلّ قارّات

المعمور نجتزئ هنا بذكر اشهرها وهي ايطالية اليابان مكسيك غواتيمالا كولومبية إكوادور پيرو وجزائر سَنْدْوِيش وايسلندة وأسور وكناري وأنتيل ورئونيون

وقد تحقّق الاختصاصيون ان حول المحيط الهادئ البالغ العِظَم نطاقاً من البراكين لا يكاد يوجد فيه ثلمة. فكم من البلاد على شواطئه تستطيع استخراج الفحم الاحمر المطمور منذ اجيال في جوف الارض اذا كثرت عمليات السبر بحفر آبار ضيّقة القُطر بعيدة العمق في الاماكن التي يُرجّح الجيولوجيّون مناسبتها للغاية المطلوبة. كل ذلك في دائرة الإمكان لم يخرج بعد الى حيّز الوجود ولذلك نرى استعمال الفحم الاحمر يكاد لا يتعدّى حدود ايطالية بل توسكانة حيث برز للوجود في بلدة لردرلّو التي اشتهرت به في عالم العلوم. وعلى كل حال فمن يتجاسر ويحكم حكماً مبرَماً ان الفحم الاحمر لا مستقبل لهُ في صناعة المعمور ولا يقارب ما صادفهُ البخار والكهرباء والفحم الابيض من فائق الرواج؟ على انهُ من شأن اجمل الاختراعات وأفيدها ان تصادف على الاغلب في نشأتها الاستخفاف بل الازدراء عند كثير من المطَّلعين عليها. قل لي رعاك الله أكان احد من العلماء انفسهم يفتكر من نحو نصف جيل ان شلّالات الجبال الرائعة الحسن تصلح الى منتهى العصور لسوى الاخذ بمجامع قلوب معاينيها وإعجاب المتمتّعين بجمالها الفتان؟ امّا الآن فلا نرى في الاقطار المتمدنة شلّالًا واحدًا ذا اهمية تُذكر إلّا وقد اتُخذت التدابير اللازمة لضبط قوّته واستخدامها امّا مباشرةً بصفة محرّك او لتحويلها الى سيّال كهربائي كثير الفوائد بعيد الانتشار

فليس إذن من الممتنع ان يُدرك في جيلنا هذا استخراجُ الفحم الاحمر واستعمالهُ بعضَ الفوز الذي بلغ اليه رصيفه الفحم الابيض في الخمسين سنة المنصرمة او على الاقل ان ينتشر تعدينه في بلاد بركانيّة كثيرة فتزيد بمرافقها وتزدهر صناعتها. ومَن يُنسئ الباري في اجلهِ من قرّاء هذه العجالة سوف يَقدر في اليوم المعلوم عند الله ان يحكم على مقدار صحّة اعتباراتنا هذه التي لا تخرج الآن عن دائرة الترجيم والتخمين

وليسمح لي القرّاء في خاتمة مقالتي هذه ان اوسّع مجال الحَدْس المبني على الحوادث الراهنة الى اقصى حدوده. ولا اظنّني مغالياً في ذلك فان الكهرباء التي كانت حتى اواسط الجيل التاسع عشر محصورةً في مختَبرات العلماء والكلّيات خرجت منها اخيرًا وانتشرت في كل فروع السعي البشري بل في كل انحاء العالم بسرعة لم تكن في الحسبان.

والحالة هذه فليس من المحال ان يُخضع الانسان لسلطانه المطلق قوة البراكين نفسها التي لم تكتفِ بعصيانه بل تلاعبت باعظم مدنه ولا تلاعبُ البحر الهائج بالسفائن الخائضة في عبابهِ في طرفة عين كما رأينا ذلك في انفجار بركان جبل بليه الذي لاشى مدينة سان بيار في سنة ١٩٠٢. إي لعمري انها ستكون ساعة جليلة في تاريخ ابن آدم اذا ما استطاع يوماً ان يضع صولجان ملكهِ على ذات البراكين فيسخّرها لارادته ويجعلها رهن اشارته محوّلاً عتوّها الذي طالما دمّر البلاد وافنى سكانها الى انقياد جزيل الفوائد عميم الخيرات. وعلى كل حال فان لم تتحقق هذه الامنيَّة البعيدة فكفى الانسان فخراً انهُ نال من مراحم خالقهِ عقلاً يرشدهُ الى تذليل كلّ قوى هذا العالم الفاني لإصلاح امورهِ الزمنيَّة فيقوى بها على ادراك غايتهِ القصوى اي السعادة السرمديَّة

---

# التذكار الخمسينيّ

## لحماية القديس يوسف (١٨٧٠—١٩٢٠)

نظر لاهوتي للاب لويس شيخو اليسوعي

في ٨ كانون الاوَّل من السنة ١٨٧٠ بعد مرور شهرين على دخول الجنود الايطالية في عاصمة الكثلكة وانتهاك حرمتها اصدر قداسة الحبر الاعظم السعيد الذكر بيوس التاسع براءةً اعلن بموجبها انَّهُ تلبيةً لدعاء اساقفة العالم الكاثوليكي ورهبنيّاتهِ ودوائرهِ الدينيَّة قد اقام بصفة رسميَّة القديس يوسف خطيب السيّدة البتول ومربّي الطفل الالهيّ ورأس العائلة المقدَّسة شفيعاً ومحامياً للكنيسة الجامعة في كل انحاء المعمور. وخصَّ لذلك عيداً سنويّاً جعل رتبتهُ شبه رُتب اعياد الكنيسة الحافلة. وقد صرَّح قداستهُ بانَّهُ واثق بحماية ذاك الشفيع المشفَّع لينقذ بيعة الله ممَّا احدق بها من الاخطار واصابها من النكبات بمكايد الاشرار

فتلقّى المؤمنون هذا الخبر بمزيد الفرح وشكروا إمام الاحبار على فعلهِ وازدادت مذ ذاك ثقتهم بذلك القديس العظيم واختبروا مفاعيل شفاعتهِ هذه على طرائق مختلفة كما تنبئ بهِ عدّة منشورات تقويّة خُصّت بتمجيده ونشر عبادتهِ

وها قد مضى على ذلك القرار خمسون سنة فلم يشأ رئيس الكنيسة ونائب السيّد المسيح البابا بندكتوس الخامس عشر ان تمرّ دون ان يُلفت نظر عموم ابنائهِ الكاثوليك الى هذه الحقبة من الدهر شكرًا لله على ما انعم بهِ عن يد هذا الولي العظيم من سوابغ مننه وفيوض بركاتهِ ثمَّ تحريضاً للمؤمنين كي يجعلوه قدوةً لحياتهم فيتلافوا بحسن سلوكهم والاقتداء بشفيعهم الشرورَ والبلايا التي دهمت العالم باجمعهِ ويمكنوا دعائم السلام في العمران البشري وفي الهيئة الاجتماعيَّة المتداعية

ففي ٢٥ من شهر تموز المنصرم اصدر قداستهُ منشورًا حبريًّا وجَّههُ الى لفيف رؤساء الكنيسة ورعاياها ذكَّرهم فيهِ بهذا اليوبيل الخمسينيّ وتقدَّم اليهم بان يقيموا في كافَّة البلاد عيدًا كبيرًا لإكرام القديس يوسف يجعلون موعدهُ في حدود سنةٍ كاملة تبتدئ من ٨ ك ١ سنة ١٩٢٠ وتنتهي في اواخر السنة ١٩٢١ . ولأنَّ هذا شهر آذار اعتاد النصارى ان يكرموا ذلك القديس اكراماً خاصًّا قصدنا ان نفرد في مجلّتنا نبذةً نبيّنُ فيها اوّلًا ما هي الاسباب الداعية لالتماس حماية القديس يوسف ثمَّ ثانياً كيف نستحقّ التمتُّع بتلك الحماية

## ماذا حمل الكنيسة على التماس حماية القديس يوسف

ان كنيسة الله في سائر اطوار تاريخها مع اقرارها بان السيد المسيح هو الوسيط الوحيد بين الله والبشر قد اعتبرت ايضاً القديسين والاولياء لرفيع مقامهم عندهُ عزَّ وجلّ وحظوتهم لديهِ كشفعائنا المشفَّعين تنال عن يدهم منهُ تعالى نعماً وافرة لسعادة الدارَين . وليس الالتجاء الى حمايتهم مخلًا في شيءٍ بكرامة السيّد المسيح بل هو مؤيّد لها ويعود اليها اذ يَعُدّ الربّ ما يقدَّم لاصحابهِ من الاكرام كمقدَّم لشخصهِ الكريم كما انَّ التجلّة التي ينالها مبعوث الامير وحاشية السلطان تعود الى وليّ امرها

وذلك امرٌ معقول يمكن اثباتهُ بالادلّة النقليَّة المتعدّدة من اسفار العهدين القديم والحديث خلافاً لما ذهب اليهِ بعض الهراطقة

فهذا ابرهيم خليل الله شفع باهل سدوم وعمورة فقبل الله شفاعتهُ . وهذا موسى توسل مرارًا الى الرب ليصفح عن شعبهِ فرضي الله عن بني اسرائيل لاجلهِ . وهذا ايليًا حبس المطر ثمَّ أنزل الغيث على الارض بمجرد صلاتهِ

بل هو الربُّ يحضُّ البشر على الاستشفاع باوليائهِ فاوحى تعالى الى ابيمالك ان يلوذ بشفاعة ابرهيم لينجو من غضبهِ . «فصلى ابرهيم الى الله فشفى الربُّ ابيمالك وامرأتهُ وجواريهُ » . وكذا فعل باصدقاء أيوب بعد محنتهِ فامرهم ان يذهبوا الى عبدهِ أيوب قائلًا : « اذهبوا الى عبدي أيوب وأصعدوا محرقةً عنكم انفسكم وعبدي أيوب يصلّي من اجلكم لئلَا أعاملكم بحسب حماقتكم» (ايوب ٤٢ : ٨)

وظهرت مفاعيل هذه الشفاعة حتَّى بعد موت اولئك الابرار كما حدث لذلك الميت الذي قام حيًا اذ مسَّت جثَّتهُ عظام النبي اليشاع (٤ ملوك ١٣ : ١٤) ومثلهُ ما ورد عن ارميا النبيّ الذي تراءى ليهوذا المكابيّ وقيل عنهُ هناك « انهُ محبّ لاخوتهِ ومكثر من الصلوات لاجل الشَّعب والمدينة المقدسة» (٢ مكابيين ١٥ : ١٤)

وليست الشواهد المنقولة من العهد الجديد اقلّ وضوحاً من آيات العهد القديم : توسّل بطرس لاجل حماتهِ فشفاها السيّد المسيح من مرضها . توسّل بولس لاجل نجاة الذين ركبوا معهُ البحر فاستجاب الله دعاءَهُ وخلّصهم من الغرق . توسّلت الكنيسة من اجل بطرس فانقذهُ الله من ايدي هيرودس اغريبا وفتح امامهُ ابواب السجن وكسر اغلالهُ . وقد حضَّ يعقوب الرسول المؤمنين على صلاة بعضهم لاجل البعض بقولهِ (٥ : ١٦) : «صلّوا بعضكم لاجل بعض لكي تبرأوا . ما اعظم قوَّة صلاة البارّ الفعَّالة »

ولا تبطل قوَّة شفاعة هؤلاء الابرار بعد موتهم بل تزيد مفعولًا وهم احياء عند الله ثابتين في محبَّتهِ . كما يلوح من قول الرب في لوقا (١٦ : ٩) اذ يحرّض ذوي الثروة على الصدقة بقولهِ : « اجعلوا لكم اصدقاء بمال الظلم حتى اذا ادرككم الاضمحلال يقبلونكم في المظالّ الابديَّة»

وفي تاريخ الكنيسة ما لا يُحصى من الاخبار الثابتة الموثوق بها لا تبقي شكًا في قوَّة تلك الشفاعة فلا حاجة الى ذكرها

هذا ثمَّ أنهُ معلوم انَّ بين اولياء الله مراتب مختلفة على حسب فضلهم وسموّ

قداستهم ولا جرم انَّ للقديس يوسف بينهم مقاماً رفيعاً لم يبلغهُ احد منهم بعد البتول امّ الله كما اثبت ذلك حضرة الاب بولس جوون في مقالــة ممتّعة نشرها في المشرق (٤ [١٩٠١]: ٢٢٩-٢٣٦) . فهذه الرتبة السامية التي اكرمهُ الله بهــا على الارض خوّلتهُ الآن في السماء كرامةً خاصّة تلوح مفاعيلها بمــا يجديهِ من الآلاء الجزيلة للمتعبّدين لهُ

وقد عرفت الكنيسة منزلتهُ هذه السامية وذلك ما حدا بها الى ان تختارهُ كمحامٍ عموميّ لها . ولم تميّز بهذا الشرف احدًا من القديسين غيرهُ مع العذراء خطيبتهِ

وممّا اهّل القديس يوسف الى ذلك ثلث صفات وجدتها الكنيسة في حمايتهِ :

﴿الصفة الاولى﴾ قوّة تلك الحماية التي تفوق حماية غيرهِ من ساكني الجنان السرمديّة . قال احد الاتقياء : انّ شفاعة القديس يوسف هي اشبه بالامر منها بالتوسّل والتضرّع . فان طلب من الثالوث الاقدس حاجةً وجد في الآب الازلي مولى انابهُ في حياتهِ منابهُ لدى ابنهِ الالهي فمثّلــهُ بازائهِ على الارض . وان التمس امرًا من ابن الله الكلمة لبّى للحال طلبتهُ بقرّة وصيّتهِ تعالى : أكرم اباك وامّــك وهو وليّهُ الذي كان في عهدتهِ مدّة ثلثين سنةً يدعوهُ بالاب ويُعتبَر هو شرعيًا كابنهِ . وان استمدّ نعمةً من الروح القدس حصل عليها دون مراء بعد ان تخلّى لهُ عن عروسهِ مريم ليحلّ هو عليها ويظلّلهــا بقوتهِ . او تستطيع سلطانة السماء ان تردّ حارس بتوليّتها وخطيبها البتول خائباً اذا ما تشفّع لديها باحد مواليهِ كلّا ثمّ كلّا . فانّ للقديس يوسف كلمةً نافذة وامرًا مسموعاً مهما طلبهُ نالهُ لا محالة

﴿الصفة الثانية﴾ التي امتازت بها حماية يوسف الجليل انّها حماية عموميّة شاملة تمتدُّ لكل حاجات الانام . فانّ الكنيسة اذا ابتهلت الى بعض اولياء الله تطلب شفاعتهُ لنوال نعمةٍ خاصّة امتاز بها ذلك القديس فينالها ملتمسها بواسطتهِ من الله جزاء عن جهــادهِ وتبريزهِ في اقتنائها على الارض . فتطلب الايمان والثبات من الرسل والقوّة والشجاعة من الشهداء والاستنارة والنهم من معلّمي الكنيسة ومحبّة الله والقريب من المعترفين والطهارة من العذارى . امّا القديس يوسف فتلتجئ الى شفاعتهِ في كلّ حاجاتها وهي تصرّح بذلك في صلاة عيدهِ بقولها : «نسألك يا رب ان تساعدنا باستحقاقات خطيب والدتك الكلّي قدسها فننال بشفاعتهِ ما لا نستطيعهُ بقوّتنا»

وكأنَّ الله قدَّر ليوسف عبدهِ ان يتقلَّب في اطوار حياتهِ تقلُّباً كثيراً ليعجم عودَ دهرهِ فيذوق حلوهُ ومرَّهُ ليعمَّ بشفاعتهِ ابناء الكنيسة اجمعين. فترى الصغار يلوذون بهِ اذ كان حارساً لطفوليَّة يسوع . وبهِ يثق ارباب البيوت لتوليهِ امر العائلة المقدَّسة. اليهِ تستصرخ العذارى ليحرس براراتهنَّ كما حرس عفَّة العذراء الطاهرة مريم . واياهُ يستغيث المرتبطون بالزواج ليحفظوا كرامة وشرف هذا السرّ كما هو قدَّسهُ بذاك الاقتران المقدَّس الروحيّ مع سيدة العذارى. يلتجيُّ اليهِ الفقراء والعَمَلة لعلمهم انَّهُ قضى حياتهُ في الشغل والكدّ. عليهِ تُبنَى آمال الناس في الامور الروحيَّة والحياة القدسيَّة لعيشتهِ بجوار ربّ القداسة وسيرهِ على مثالهِ. ومنهُ تُرجأ الاعانة في الامور الزمنيَّة التي أُلقيت اليهِ مقاليدها في تدبير بيت الناصرة. يطلب اليهِ المبؤوسون الفرجة من بلاياهم وهو قد عرف مرارة المنفى في مصر. واليهِ يُلقي المنازعون ابصارهم لينالوا بشفاعتهِ الآخرةَ الصالحة كما حظيَ بها بين ذراعي يسوع ومريم

﴿الصفة الثالثة﴾ التي خُصَّت بها حماية يوسف انها ابويَّة مملوءة رقَّةً وتعطُّفاً. ولا غرو فانَّ القديس يوسف لكونهِ رأس العائلة المقدَّسة اضحى ايضاً رأساً ومدبّراً العائلة المسيحيَّة بأسرها. لأن بين العائلتين روابط غير منفصمة وليست عائلة الناصرة الَّا الحلقة الاولى من تلك السلسلة الالهيَّة التي انحدر ابن الله الى الارض لينشئها ويعدَّها لسكنى بيت ابيهِ السماويّ. فما أحرى بيوسف ان يُثابر على حمايتها كما صرف عنايتهُ لحماية يسوع ومريم . وفيهِ تصدق آية الكتاب عن يوسف الاوَّل (مز ١٠٤ : ٢١) «انَّ الرب اقامهُ سيّداً على بيتهِ وسلطاناً على جميع مقتناهُ» . وقد حقَّق القديس يوسف امر ربّهِ فلم يزلْ يُظهر لابناء الكنيسة كلّ حنان وشفقة ولم يخيّب قطّ أمل المعتصمين بشفاعتهِ

## ٢ كيف يستحق المؤمنون التمتع بحماية القديس يوسف

اذ ثبت انَّ الكنيسة اصابت كلَّ الصواب بتوجيهِ نظرها الى القديس يوسف وباعلان حمايتهِ على كلّ بنيها فانَّ ذلك يقتضي منهم استحقاقها وتهيئة نفوسهم لقبولها. ولا عجب لانَّهُ ان كانت لذي الحماية فروضٌ وواجبات فذلك يستلزم ايضاً من المُنعَم عليهِ بها أنْ يؤهّل نفسه لها ويترشَّح للتمتُّع بها . وانَّما يكون ذلك بالتقرُّب الى وليّهِ

لينال منهُ الحظوة . وانمّا التقرُّب يقوم خصوصاً بالتشبّه بهِ وباقتداء فضائلهِ . وقد مارس يوسف من الفضائل اسماها ما لو اقتفى بها المتعبدون لهُ كانت لهم اضمن كفيل لسعادة حياتهم

واوَّل ما دعا اليهِ الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر لفيف المؤمنين ليتأسُّوا بهِ من فضائل القديس يوسف روحُ السلام والوئام الذي اتَّخذهُ ديناً وديدناً في حياتهِ . فانَّ العالم بعد هذه الحرب الكونيَّة قد تفاقمت فيهِ الشرور وزاد تنافر القلوب وانتقضت روابط الوداد والاتفاق بين الدول وأُمم المجتمع الانساني بل ضعفت اواصر الحب في العيال المسيحيَّة . فما لهُ الَّا ان ينظر الى يوسف وينعش روح الإخاء والاتحاد الذي كان يوسف مع عائلتهِ المباركة مثالهُ الحيّ

وممَّا امتاز بهِ القديس يوسف شظاف عيشهِ وتجرُّدهُ عن ملذَّات هذا العالم . خدم ابن الله الذي اختار في هذه الدنيا الصليب والاوجاع على الهناء والرفاهية ليزدري الناس برخاء العيش . وكان يوسف في مقدَّمة الممتثلين بهِ . وما احقّ بالمسيحيين ان ينهجوا منهجهُ في هذه الفضيلة وقد نرى الكثيرين يتهافتون على اسباب رغد الحياة ونعومة العيش تهافت الجياع على القصاع كأنهم يريدون ان يعتاضوا عمَّا فاتهم من الرخاء والتلذُّذ في مدَّة الحرب فلا همَّ لهم الَّا ان يرشفوا كأس الهناء ويستسلموا لكل الاهواء لا يصرفهم عن ذلك مايرون من ضيق الاحوال وغلاء الاسعار ولاسيَّما الشبَّان والشابَّات وقد غلب على كثيرين منهم التهتُّك والخلاعة . فكيف يمكنهم ان يدَّعوا باسم المسيحيين وهم من فضائل المسيحيّ مناط الثريَّا . فها هوذا يوسف مثالهم فليتعلَّموا منهُ القشَف والحياد عن كلّ ملاذّ الدنيا الباطلة

وقد اطرأ الحبر الاعظم قناعة يوسف وكفافهُ في خدمة العائلة المقدَّسة وارتزاقهُ بالشغل والكدّ دون الطمع البتَّة او الحسد لمال القريب فكأنَّ مثالهُ اكبر رادعٍ لمطامع العَمَلة في هذه الايَّام التي فار فيها فائر الثورة وتألَّفت النقابات الاشتراكيَّة وتعدَّدت الاعتصابات السيّئة المبنيَّة على مذهب الفوضى وقلبت المبادئ البولشفيَّة نظام الكون يحلمون كلهم بالمساواة بين طبقات البشر والحصول على الاستقلال ونفي كلّ سلطان . فأصبحت الارض ميداناً للفتن والمشاغب تشبه السكران المتمايل بثملتهِ لا تثبت على قرار . فليذهبوا الى يوسف النجَّار الذي عرف ان يقدّس شغلهُ ويتوسَّل بهِ

الى رضى ربّهِ فكان لهُ سلّماً رقّاهُ الى اوج الكمال وبلّغ بهِ الى ان ينـال حبّ الله والناس

فهلمّوا أيها المؤمنون في هذا العيد الخمسينيّ وتعلّموا من يوسف هذه الفضـائل الاهليّة والاجتماعيّة فانها انجع دواء لأدوائكم وبها تستحقّون شفاعة ذلك القديس وتشعروا بنعم حمايتهِ لكم ولعيالكم معاً فيسود السلام على العـالم وتنقشع ظلمات الشهوات الباطلة ينبوع كلّ الشرور والبلايا

# العلوم في السنة المنصرمة

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

اخذت العلوم بعد كَبْوَتها بسبب الحرب وعقابيلها المؤلمة تعود الى زهوها شيئـاً فشيئاً لتستعيض بمضاعفة نشاط اربابها عمّا فاتها في هذه الفَتْرَة المشئومة

## علم الفلك

كان الفلكيّون ينتظرون في اوربّة في العام الماضي شتاء شديد البرد لِما عرفوهُ سابقاً من نواميس حركة الشمس وكَلَفها فجرى الامر على خلاف حسبانهم اذ كان هناك الشتاء غاية في الاعتدال فنسبوا ذلك الى انفجارات غير معهودة جرت في الشمس ودلّت عليها رصودهم . وكأنَّ ما رجّموهُ لبلادهم قد صحّ في أصقاعنا الشرقيّة حيث كان الشتاء قارساً ونزل الثلج في سواحلنا على غير عادتهِ (راجع في المشرق ١٩[١٩٢٠]: ٢٠٠ مقالتنا عن الثلج في بيروت )

ومن المظاهر النادرة التي حدثت في باريس في العشر الثـالث من شهر آذار في ليلة ٢٢ الى ٢٣ منهُ ظهور الشَفَق الشمالي مع سطوع انوارهِ الارجوانيّة في أُفقها

كانت المراكز الفلكيّة لحـظت في سطح القمر حُفرًا عديدة متّسعة الفوهة على شبه القموع فلم يستدلّوا على سببها حتّى قـام الفلكي الفرنساوي بوسلر (Bosler) فبيّن انها حدثت بوقوع رجوم كبيرة سقطت على القمر وغاصت في سطحهِ وقد قاس

الاميركيّ هربرت ايفس احدى هذه الحفر فوجد قطرَها بالغاً ٤٥٠٠ متر . وقد قال انَّ ارضنا ايضاً تصاب بمثل هذه الرجوم الّا انها يحميها جوُّها من اضرارها فانَّ الرجوم اذا مسَّت فلكنا التهبت في جوّهِ وصارت كالفتات الّا قطعاً منها جمعوها في المتاحف . امّا القمر فلخلوّهِ من الجوّ والهواء تصيبهُ تلك الرجوم بصدمات هائلة وتغوص في باطنهِ لضخمها وشدَّة سرعتها

دلَّت مراقبة النجوم انَّ بعض الكواكب يختلف نورها فبعد ان كانت ساطعة الضياء يقف عليها مجرَّد البصر إذ يتضاءَلُ نورُها حتَّى لا تُرى الّا باكبر النظّارات . وقد ساعدهم على رصدها التصوير الشمسيّ ثمَّ الطيف الشمسيّ وقد جعلوا لها جدولاً وهم يبحثون الآن عن سرّ تغيير نور هذه الكواكب ولم يتَّفقوا بعد في تعليلهِ

## علم طبقات الارض اي الجيولجية

حدثت في العام الماضي عدَّة زلازل دمّرت في البانية والبلغار وجهات ثراقية بعض القرى وقد شعر المصريُّون في غرَّة شهر تشرين الاوَّل بزلزلة قويَّة ذُعر لها الاهلون في سحر النهار نحو الساعة الرابعة وسُمع دويٌّ شديد في الارض لم يدوّن مثلهُ مرصدُ حلوان منذ انشائهِ

انفجر بركان في جزيرة لوسون يُدعى بولوسان كان انطفأ منذ سنين عديدة فالقى في ١٠ من شهر ايَّار بنيران وحُمم ورماد الى علو الفَيْ متر . وفي العشرين منهُ انفجر في جاوة بركان آخر اسمهُ كلوت فذهب بحياة سبعة آلاف من الاهلين

اكتشفوا في اميركة في هذه السنين الاخيرة على مستودعات عظيمة لحيوانات مستحجرة هائلة العظَم غريبة الاشكال ممَّا بادت آثارها بالتقلُّبات الجيولوجيَّة في ڤيومنغ من ولاية ألبرتا وفي مقاطعة كولورادو وفي جهات لوس انجلوس يشتغل الآن الجيولوجي الاميركيّ الشهير برنوم بروْن باستخراجها من مدافنها ونقلها الى متحف نيويرك . وبين هذه المستحجرات هياكل حيوانات عديدة لم تُعرف سابقاً يبلغ طول بعضها من عشرة امتار الى ثلاثة عشر متراً يتقاطر الناس لمشاهدتها

ومن غريب ما وقف عليهِ العالم الفرنساوي ف . غاليب ( V. Galippe ) في اوراق من البردي الراقية الى القرن الثالث قبل المسيح وفي كهربٍ مستحجر بعضُ

من الجراثيم الميكروبيَّة امكنهُ ان يحييها في مُختبره بعد جمودها الفي سنة بنيّف واستدلَّ بذلك على حيويَّتها رغماً عن طول الزمان كما بيَّنوا قبلًا صبرها على البرد القارس

## العلوم الطبيعية

﴿ فنّ الطيران ﴾ لا يزال في ترقٍ متواصل . وانما المقصود منهُ الآن المنفعة التجاريَّة والمواصلات الاهليَّة بدلًا من الفوائد الحربيَّة والمنازعات الدوليَّة . وقد ثبت ترقّي هذا الفنّ المستحدث بمعرض عمومي جرى في باريس في اوائل السنة المنصرمة عُرضت فيهِ اصناف الطيَّارات التي أُنشئت مؤخرًا في فرنسة وبريطانية العظمى وايطالية فتقاطرت الى زيارتها جماهير الوفود واخذهم الاندهاش ممَّا رأوهُ من اشكالها المختلفة وحسن تجهيزها ومحرّكاتها بالبنزين والبخار والكهرباء وتهيئتها لنقل الركَّاب والسِّلَع الخ

وقد بلغ احذق مديري الطيَّارات الى أَن ازالوا كثيرًا من عقَباتها وأَمَّنوا غالباً ركَّابها من اخطار السقوط عنها . وهذه لائحة(١ نشرها الجنرال سَيكس على اعمال الطيَّارين المُلكيين في انكلترة من اول ايار ١٩١٩ الى ٣١ تشرين الاول ١٩٢٠ بياناً لسرعتها وأَخطارها واستنادًا الى احصاءات رسميَّة : كانت ساعات الطيران ٤،٠٠٠ — وعدد الحَوْمات ٢١،٠٠٠ — والرُكَّاب ٥٢،٠٠٠ — والمسافات المجتازة ٤٩٠،٠٠٠ كيلومتر — والطوارئ المفجعة ١٣ — عدد القتلى من المديرين ٢ — والجرحى ٦ — عدد الركَّاب القتلى : صفر — والركاب الجرحى ١٠ . فبناءً على تلك الارقام يكون عدد الركاب الجرحى واحدًا من ٥،٢٠٠ . فما اقلَّ اخطار الطيران في الوقت الحاضر اذا قوبلت باخطار السكك الحديدية . وتُؤيد هذه النتيجة الغريبة الارقامُ التي وردت في احصاء آخر للمستر مَرتين وهو من اشهر صانعي الطيّارات في الولايات المتحدة . فهذه ثلاثة احصاءات اعلن بها :

اولًا نتيجة سباق السيَّارات في إنديانوبوليس . المسافة المقطوعة ٨٠٤،٥ كيلومتر - معظم السرعة في الساعة ١٧٧ كيلومترًا - سرعة الفائز المتوسطة ١٤١ كيلومترًا - المتسابقون الراحلون

---

١) نشكر حضرة الاب رفائيل نخله الذي تفضل فارسل الينا هذه اللائحة

من مبتدأ السباق ٣٣ — الواصلون الى منتهاه ١٥فقط اعني ٤٥ بالمائة —القتلى ٣ اعني معدّل واحد لمسافة ٦٦٣,٦ كيلومترا

ثانياً سباق الطيَّارات من نيويرك الى طورنطو . المسافة ١,٦٧٦ كيلومترًا . معظم السرعة في الساعة ٢١٥ كيلومترًا — سرعة الفائز المتوسطة ٢٠٥ ك— الراحلون ٥٢ — الواصلون ٣٠ اعني نحو ٥٨ بالمائة — القتلى ٧ اعني معدَّل واحد لمسافة ٣٠,٠٠٠ كيلومتر

ثالثاً سباق الطيَّارات بسان فرنسسكو — المسافة ٤,٣٦٠ ك — معظم السرعة في الساعة ٢١٧ ك — سرعة الفائز المتوسطة ١٩٣ ك— الراحلون ٦٢ —الواصلون ٣١ اعني ٥٠ بالمائة—القتلى ٧ اعني معدَّل واحد لمسافة ٣٠,٠٠٠ ك

فمن كان ينتظر ان فنَّ الطيران الحديث المعرَّض لاخطار كثيرة ومصاعب جمّة يفوق بدون قياس السيّارات والسكك الحديدية ليس فقط سرعةً بل وأَمْناً ؟

وقد اطَّلعنا على قائمة اخرى في ايَّار سنة ١٩٢٠ عُدَّت فيهِ ساعات الطيران ٨،٣٦٨ والمسافات المقطوعة في ٣٥،٣٣٠ حومةً بلغت ٩٥٤،١٣٧ كيلومترًا وعَدد الركَّاب ٦٤،٤١٦ لم يحدث فيها الَّا ١٨ طارئاً قُتل فيها اربعة مديرين وقُتل فيها ٣ ركَّاب

وممَّا افادتنا المجلَّات العلميَّة انَّ الالمان يُعدُّون منطادًا من شكل مناطيد زبلين لنقل الركَّاب والبضائع بين اوربَّا واميركة وهم يجهِّزونهُ بكل لوازم السَّفر لخمسمائة راكب ويحملون لتسييرهِ ٦٠ طنـاً من البنزين ما يكفي لقطع مسافةٍ تعادلُ ثلثة اضعاف المسافة الفاصلة بين القارَّتين

وسعى الانكليز بانشاء محطَّات للطيران بين القاهرة ومستعمراتهم في جنوبيّ افريقية . ويهتمُّون الآن بانشاء اللوازم لارسال البريد من لندرة الى اميركة الجنوبيَّة مع الطيَّارات التي ستطير من لندرة الى باريس ثم مدريد ثم رباط في مراكش ومنها الى مستعمرة غمبيا وتقطع الاوقيانوس الاتلنتيكي فتحطّ في پرنمبوك في البرازيل والمسافة ٢،٣٥٠ كيلومترًا

ومن فوائد الطيران ما جرَّبتهُ ولاية كاليفورنيَّة ونجحت فيهِ نجاحاً باهرًا اذ اتَّخذت طيَّارات لمراقبة اصحاب الجنـايات وتعميم الامان في جهاتها فترى الشُرَط يحوّمون فوق البلاد ويتعقَّبون المجرمين . وينقضُّون عليهم انقضاض العقاب على فريستهِ فلا يفلتون من ايديهم . وقد وُكلت اليهم ايضاً حراسة احراج تلك البلاد وصونها من الحريق وكلّ عداء

ومن كمالات فنّ الطيران التي اصابوها مؤخرًا انّهم استطاعوا توقيف الطيّارة مدّةً في الجوّ اذا شاؤوا لبعض غاياتهم

﴿التلغراف اللاسلكيّ﴾ صار اليوم ينوب عن القلوس البحريّة التلغرافيّة فانّ شركة مركوني في انكلترّة تعهّدت ارسال البرقيّات لكل جهات المعمور باسعار متهاودة ارخص من سواها

روت جريدة البشير في تاريخ ١٠ شباط ما قرّرت الحكومة الفرنسويّة انشاءهُ في سنت اسيز قريباً من مدينة ميلن (Melun) ألا وهي اعظم محطّة للتلغراف اللاسلكي وقد وضع حجرها الاوّل من بضعة ايّام وكيل وزارة البرق والبريد. وهذه المحطّة التي سيتمّ بناؤها بعدّة ١٨ شهرًا ستكون اقوى محطّات التلغراف اللاسلكيّ في العالم كلّهِ. وهي تُقسم الى دائرتَين اوربيَّة وكونيَّة. فالدائرة الاوربيَّة غايتها ارسال البرقيَّات الى كلّ جهات اوربَّة ويخصَّص لها صارٍ يركزونهُ على برج علوُّهُ ٢٥٠ مترًا يمكنهُ ان يرسل برقيَّتَين معاً. ويلحق بهذه الدائرة محطَّة لقبول البرقيّات من الخارج. امّا الدائرة الكونيَّة المقصود منها تبليغ البرقيّات الى كافّة انحاء العالم فسيكون لها صارٍ ذو سطح مزدوج يرتكز على ١٦ برجاً علوُّ البرج منها ايضاً ٢٥٠ مترًا ولها محطَّة ثانية لاستقبال البرقيَّات لا تقلّ دوائرها عن السَّبع. وهي تستطيع ان ترسل ثماني برقيّات معًا وتتلقّى منها سبعاً حتى اربع عشرة عند الحاجة. ويمكنها ان تبعث وتتلقّى مليوني كلمة في ٢٤ ساعة. وبين محطَّة ميلن والمركز الاصليّ في باريس اسلاكٌ عديدة تربطها. فستحصل من ذلك منافع للتجارة والصناعة لا يحيط بها وصف لسرعة نقل الاخبار وارسالها من والى سائر اقطار المعمور. وما اصدق قول البشير في ختام كلامها عن هذا المشروع: سبحان الذي اودع الطبيعة اسرارًا عجيبة جعل الاستفادة بها قيد ارادة الانسان واجتهادهِ

وقد اثبت الطبيعيّ الشهير المسيو ادوار برانلي احد اساتذة مكتب باريس الكاثوليكيّ بعد امتحانات اجراها في هذه السنة انّ التلغراف اللاسلكيّ يمكن استخدامهُ لإطلاق الموادّ المتفجّرة على مسافات بعيدة. وذلك ممّا يخوّل المتحاربين واسطةً جديدة للتدمير والفناء

وقد اكتشف الفرنسويّون سرًّا آخر للتلغرافيَّة اللاسلكيَّة لتتمكّن الغواصات

وهي في قلب البحر من ان تتلقَّى الانباء البرقيَّة وترسلهـا الى المراكز المختلفة دون ان تصعد على وجه المياه كما كانت تفعل قبلًا فتتعرَّض لضربات العدوّ . وهي اليوم مجهَّزة بآلةٍ اخترعها المسيو دي بروليِي امتحنوا فعلهـا في عمق ٣٥ مترًا تحت سطح البحر فكان البحريُّون يتلقَّون البرقيَّات من محطَّات باريس ولندرة ورومية

هذا وان «التلفون اللاسلكي» يجري في ترقيهِ مجرى التلغراف الاثيري فانَّ اختبارات حديثة مكنت اهـل لندرة وباريس من استماع حفلة موسيقيَّة عُقدت في رومية وقد تحادث اهل هذه العواصم بعضهم مع بعض دون مشقَّة بالتلفون اللاسلكي

ويحصل من الاختبارات الحديثة التي اجراها المسيو مرتين الطبيعي الفرنساوي في مدينة شربورغ لتبيين سرعة انتقال الصوت في المـاء انَّ الصوت في مـاء البحر اذا كانت حرارتهُ ١٤ درجة فوق الصفر من المقيـاس المئويّ يقطع في الثـانية مسافة ١٥٠٣ امتار فيكون انتقالهُ اسرع من الهواء بنحو خمسة اضعاف . هذا في مـاء البحر المالح اما الماء الحلو في الانهـار فوجد سرعتهُ في الثانية ١٣٩٩ مترًا اذا كانت درجة حرارتهِ ٤ درجات فوق الصفر و١٤٣٥ مترًا في درجة ثمانية و ١٤٤١ مترًا عند بلوغ حرارته ١٣ درجةً

## الكيمياء

انَّ ابحاث العلماء في بسائط الكيمياء قد بلغت بهم الى تغيير آرائهم في تركيب تلك العناصر لاسيَّما بعد اكتشافهم للاجسام المشعَّة كالراديوم والهيليوم والپولونيوم حتَّى انهم يرون الآن انَّهُ لممكن اثبات وحدة المادَّة في كل الاجسام وانَّما اختلافهـا في الكم والكيف بقوَّة عوامل قديرة تسلَّطت عليها لمَّا كانت ارضنا حديثة النشأة متأجِّجة النيران في سطحها

وممَّا يرتأي العالم پروت ان الهيدروجين اصل كل العناصر . امَّا الاوكسيجين الذي كانوا يعدُّونهُ كاحد الاجسام البسيطة فانهم وجدوهُ مركَّبـاً وانَّ الهدروجين احد مركَّباتهِ

وكان العلَّامة الفرنساوي كوري بعد اكتشافهِ الراديوم لحـظ ان هذا العنصر المشعّ يتحوَّل الى هيليوم فارتأى انَّ ذلك دليل على تحوُّل البسائط بعضها الى بعض

وعودها الى عنصر واحد اصليّ . وهذا ما شاع اليوم في انكلترة بمساعي بعض علمائها كرمساي وروثرفُرْد وطومسن فخلاصة ابحاثهم ادّت بهم الى القول انَّ الاجسام البسيطة كلها تتركب من عدّة ذرّات والذرَّة هي مركبّة من نواة اصليّة هيوليّة من المتكهربات المعروفة بالالكترون فباختلاف هذه المكهربات في عددها وتركيبها ووضعها تتكوَّن بقيّة العناصر . وقد استصوب كثيرون من الكيمويين هذا الرأي وحبَّذوه

## علم الآثار

يسرُّنا ان نُعلن بنشر مجلّة سوريّة (Syria) الافرنسيّة التي صدر منها اربعة اعداد وهي تحتوي على اجلّ المباحث الاثريّة التي تهمُّ اقطارنا ويتولّى نشرها نخبةٌ من كبار الاثريين والمستشرقين كالمسيو ادمون پوتيه ودوسُّو وكونتنو وكلرمون غانو وماكلر وفرنتزكومون وشامونار . كفى بذكر اسمائهم الدلالة على عظم شأن المجلّة وفوائدها . فهيّ تسدُّ ثلمةً واسعة لتعريف كنوز الشرق الادنى الثمينة فنهنئ بلادنا بصدورها ونحضُّ اهل الوطن على مطالعتها وعضدها

ومن جملة ما ورد في هذه المجلّة عن آثار سوريّة وصف الحفريّات التي عُهد امرها للمسيو كونتنو في صيداء وضواحيها فهناك عدّة نقوش وخزفيّات وتماثيل تشهد على ما كان لصيداء في عهد الفينيقيين واليونان والرومان من رفعة الشأن

ومن الحفريّات ذات النتائج الجليلة حفريّات عسقلان القديمة الشهيرة في الاسفار المقدَّسة وفي القرون الوسطى فانَّ مصلحة العاديّات المتولّية البحث عنها وقفت على قسمٍ كبيرٍ من آثارها الراقية الى عهد الكنعانيين والفلسطينيين من اعمدة ودُمى وابنية مختلفة تُعرَف بها حضارة ذلك الزمان

واغنى منها بالآثار بابل واشور وعاديّاتهما العجيبة . ومما درسهُ آخرًا الاب شَيْل الدومنيكي والمرحوم المسيو ديلافوا هيكل بعل مردوك المعروف ايضاً بالبرجيل الذي كان استخرَج دفائنهُ الاثريُّ كولدڤاي كما استخرج المسيو اندري دفائن اشور المعروفة بقلعة شرقات . فيظهر من درس الاوَّلين انَّ هذا الهيكل يستحقُّ ان يُحصى في جملة عجائب الدنيا بسعة ارجائهِ وحسن هندستهِ وطبقاتهِ السبع على عدد السيّارات

السبع القديمة . وكذلك استبان لهما ان اليونان في هندستهم الرائعة استعاروا كثيراً من أصول الكلدان البنائية وذلك ايضاً ما يرتأيه الاثريان بوتيه وكوك . وفي بعض الكتابات الاشورية المصونة في المتحف البريطاني في لندن قد وجدوا اسم المهندس الكلداني كيدينو الذي دعاهُ سطرابون وبليندبوس كيديناس (Κιδηνας)

امَّا الآثار المصريَّة فقد اكتشف منها حديثاً الاستاذ پتري العالم الانكليزيّ نواويس من حجر الصوَّان المحكمة الصنع لبعض قدماء المصريين بينها تابوت الملك سنيوسيري الثاني ثم حلياً ثمينة ومصاغات نفيسة بينها ثعبان من الذهب كان يزين تاج احد الفراعنة وهو مرصَّع بالحجارة الكريمة الملوَّنة . وممَّا اكتشفتهُ المدرسة البريطانية في اللاهون مقابر راقية الى اوائل التاريخ المصريّ نحو ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح وجدوا فيها آثاراً جليلة تنبئ بمعتقد اهلها بحياة أخرى ولها بعض العلاقة مع بناء الاهرام

وممَّا يختصّ بالآثار العربية كتابات نبطية وغيرها في عدد ٨٠٠ كتابة تمكَّن العالمان الدومينيكيَّان جوسن وسافيناك من اخذ رسومها في حدود العرب . ومنها ايضاً الحفريَّات التي باشر بعض ارباب الصناعة العربية في مصر العتيقة المعروفة بفسطاط فجاءت اتعابهم مكلَّلة بالنجاح لما وجدوهُ من الآثار الراقية الى عهد الاقباط واوائل الفتح الاسلامي

وقد أسف العلماء على تدمير الكماليين الاتراك كنيسة نيقية القديمة الراقية الى القرن الرابع للمسيح وفيها اجتمع المجمع المسكوني الاوَّل سنة ٣٢٥ م والمجمع السابع سنة ٧٨٧ ودلُّوا بذلك على همجيَّتهم وسوء تصرُّفهم

## الجغرافية

ان كانت الجغرافية الطبيعية لا تزال على حالها فانَّ الجغرافية السياسيَّة اصبحت في تقلُّبٍ متوالٍ ولا نعلم متى تثبت على قرار . فانَّ المؤتمرات الدوليَّة التي عُقدت في العام الماضي لم تقوَ على كبح مطامع بعض الشعوب وارضاء العناصر المختلفة بنصيبها . فهذه الدول الظافرة تجد في طريقها عقباتٍ كؤود تعترضها في احكامها وربَّما اقامها في وجهها اصحابها وحلفاؤها . وهذه الدول المركزيَّة التي تحاول كسر النير الذي يريد

اعداؤها وضعهُ على مناكبها . واوَّل دولة منكودة الحظ اثّرت فيها هــذه الحرب دولة النمسة التي خسرت ثلاثة ارباع سكّانها وثمانية اعشار املاكها . ومثلها دولة المجر التي سقط عدد سكّانها من ٢٠ مليوناً الى ٧ ملايين واصبحت مساحتهــا ١٩ الف كيلومتر مربَّع بعد ان كانت ٣٢٥ الفاً . واعظم منهما خسارةً تركيَّةُ فكادت سلطتهــا في اوربَّة تضمحلّ ما خــلا بعض الولايات التركيَّة وفي آسية ضاق كثيراً نطاق املاكها . وأُصيبت ايضاً بلغارية بخسائر فربحت منها سربية ولايتين ولم يعــد لها منفذ الى البحر . امَّا المانية فانَّها مع ما سُلخ منها فربحتهُ فرنسة وبولونية والدنيمرك وبلجكة لا تزال قويَّة مرهبة تترصد اعداءها لتُعرقل مساعيهم وتستردّ ما فقدتهُ

امَّا الدول المنتصرة فكان السهمُ المعلَّى من الارباح لانكلترَّة بوضع يدها على مستعمرات المانية في افريقية وعلى قسم من ولايات تركية في العراق وفلسطين الخ

واتَّسعت ايطالية فضمَّت اليها ما اختزلتهُ من النمسة كولاية تريدنتي والتيرول وإِستريه وما ربحتهُ من تركيَّة كاضالية وجزيرة رودس . ولم توازِ ارباح فرنسة ضحاياها العظيمة في هذه الحرب المسكونيَّة حيث استرجعت ولايتَي الزاس ولورين واستملكت مستعمرات طوغو وكامرون وانتُدبت كوصية على سوريَّة . وأَفوَز منها ارباحــاً اليونان التي ظفرت ببعض بلاد الاناضول وثراقية وعدَّة جزائر . وقد خرجت من هذه الحرب الى عالم الوجود دول جديدة كاليوغوسلاف وبولونية والحجاز . واتَّسعت اليابان فمدَّت سيطرتها على اقليم شانتونغ وجهات سيبرية ومنغولية وكورية حتَّى اصبحت من اكبر الدول قوَّة واعظمها خطراً على اوربة واميركة

وممــاً يستحق الذكر انَّ دول اميركة المركزية والجنوبية رأت في مطامــع الولايات المتَّحدة خطراً على استقلالها فتحالف خمس منها وهي كوستاريكا ونيكاراغوا وهندوراس وغواتمالا وسان سلفادور حفظاً على كيانها

## الطب والجراحة

في اوائل السنة ١٩٢٠ كانت النزلة الوافدة باسطةً حكمَها المكروه على كثير من البلدان فحصدت في مدَّة خمسة اشهر من اعمار البشر ما لم تفُزْ بهِ الحرب الكونيَّة في مدَّة خمس سنوات فكان عدد ضحاياها ٢٠٬٠٠٠٬٠٠٠ منهم ستَّة ملايين في

الهند ومليونان في الولايات المتّحدة وقد اختلفت اسماؤها وساء فعلها

قد سبق لنا مراراً ذكر الراديوم وعلاج داء السرطان باشعّتهِ لولا انَّ هذا العنصر لا يزال عزيز الوجود يستدعي استخلاصهُ من بعض البلاد اسابيع واشهراً من الشغل . فانَّ كليَّة بوفلو قد اشترت منهُ غرامين وربع غرام بمليون من الفرنكات . وكذلك اشرنا الى فعلهِ في الجسم اذا لم تُتَّخذ الاحتياطات في مراسه وحفظهِ في صوانٍ متين فانَّهُ اذا وقع شعاعهُ على الجلد ربَّما احرقهُ حرقاً لا شفاء لهُ كما حدث للدكتور ڤاليان في باريس الذي أُصيب بجُرح اليم سبَّبتهُ اشعَّة رنتجن في علاجهِ للمرضى فلم ينجع دواء في ابراء الجرح حتَّى قُطع ساعدهُ في آذار الماضي

وقد سُررنا بما نشرهُ المجمع العلميّ في باريس بخصوص معالجة فقر الدم الحادّ (anémie aigüe) فانَّهم حقنوا بعض الممنوّين به بمحلول من الماء المالح والصمغ العربيّ بمقدار ٦٠ جزءًا من الصمغ والف جزء من الماء والحقن يكون في داخل العروق فأتت الامتحانات بنتائج صالحة جدًّا

ومن الحفلات البهيجة التي قام بها مكتب باريس الطبيّ التذكارُ المئويّ لوضع الدكتور لاننِّيك (D^r Laënnec) آلتهُ الشهيرة لمراقبة حركات الصدر وباطن الجسم (stéthoscope) التي تفضل كثيراً على إلصاق اذن الطبيب على جلد المريض وتوقفهُ على أَدَقّ نبرات القلب ونبض العروق وحركات الدم السائل في الشرايين . وقد كان الدكتور لاننِّيك اشدّ اهل زمانهِ تعلُّقاً بدينهِ الكاثوليكيّ مثل معاصرهِ النطاسيّ الدكتور ريكاميه (D^r Récamier)

ويلحق في هذا الباب ما ورد في احصاءات بلاد كاليفورنية انهُ وُجد بين اهلها البالغ عددهم خمسة ملايين نفوس ٣٠٠ شخص بلغوا المئة من عمرهم بل تجاوزوها وقد نسب الاطباء ذلك الى هواء تلك البلاد واعتدال مناخها والى حسن سلوك هؤلاء المعمّرين وقناعتهم في المأكل والمشرب

ومن الاختراعات الجميلة في العام الماضي تركيب ايادٍ لمن قُطعت اياديهم او سواعدهم في وقت الحرب فقد وضع المسيو دَسپيناس ايدياً صناعيَّة يمكن الجريح تحريكها والعمل بها بقوَّة ساعدهِ او منكبهِ حتَّى انهُ يستطيع ان يشتغل بيديه ويقبض

بسهولة على ما يشاء ويحملهُ ولو بلغ ثقلهُ عشرة كيلوغرامات . امَّا وزن هذه اليد الصناعيَّة فلا يتجاوز ٣٥٠ غراماً

## الفلاحة

قد دفعت احوال المعاش الحاضرة ارباب العلم الى البحث عن طرق اقتصاديَّة جديدة لتوفير الغلَّات واصلاح شؤونها . فممَّا وقف عليهِ المستر مكنَّام في ملبورن من اعمال اوسترالية في أوَّل شهور سنة ١٩٢٠ انَّ للكهرباء مفعولاً عظيماً في انماء الغلَّات وتحسين اجناسها حتَّى زادت بها على ما سواها ٢٠ في المئة الى ٤٠ . والحبوب بها اثقل واكبر . وقد وجد طريقة سهلة لعلاج البذور بالكهرباء فانَّهُ يبلُّها بمحلول من سولفات النحاس بعد عرضهِ على مِلفٍّ ثانوي من شكل ملفّ الاطبَّاء الذي يتَّخذونهُ لمرضاهم

وكذلك ادَّت الاختبارات الجارية في انكلترَّة الى بيان مفعول الكهرباء في المزدرعات والغلَّات ليقوها من العلل والآفات الضارَّة بها

وممَّا ينمي المزدرعات الثلج الذي يسقط في بعض الانحاء وذلك لثلثة اسباب تبيَّنها الاختصاصيُّون في العام السابق : الاوَّل لان حرارة الارض يصونها الثلج نوعاً اذ يحجبها ويسترها من تقلُّبات الجوّ . والثاني انَّ الثلج عند ذوبانهِ تنفذ مياههُ بهدوٍّ في التربة فترتوي بها . والثالث لأن الثلج اغنى بالعناصر النترّيَّة والحامض الكربونيك والنوشادر التي يمتزج بها في الجوّ عند سقوطهِ فيغذي بها المزدرعات فتزكو زكاء عظيماً

وقد جرَّبوا في فرنسة الكلوروپكرين لقتل السوس في الحنطة والارزّ فانَّهم يجعلون اكياساً مملوءة منهما في حجرة مُقفلة فيسكبون على كلّ كيس من ٢٠ الى ٢٥ غراماً من هذا المحلول فينظّف الاكياس من السوس بعد ٢٠ ساعة

نبشِّر البلاد الموبوَّة بآفة الجراد بوقوف المسيو ڤاسيار من علماء باريس على علاج فعَّال لهذا الداء العياء فانَّهُ ذهب الى شمالي افريقية حيث كان انتشر الجراد وتناسل فاطلق عليهِ آلة الاسهم النارَّية (lance-flammes) مع زيت الفحم الحجري فكان بثلثة عشر لترًا منهُ يبيد الجراد في مساحة ٣٠٠ الى ٤٠٠ متر مربَّع . وقد جرَّب ايضاً للاشاة الجراد النخالة الممزوجة بالحامض الزرنيخي ( acide arsénieux ) فوجدهُ كثير المنفعة لاتلافها

## الصناعة والتجارة

سعى بعض علماء الالمان وقت الحرب باستخراج حرير جديد من لحوم الخيل الميتة والمقتولة فانهم اغلوها في مراجل ضخمة حتّى تهرّأت وتحلّلت واصبحت عروقها وشرايينها كالخيوط فاتّخذوها ونسجوها فظهرت على شبه اكسية الحرير

ومن هذا القبيل ما توفّق الى اكتشافه العالمان بول بكسيون الفرنساوي وسنسون انطونيو الايطاليّ فانهما عالجا قضبان التوت وقشرا اليافها فاصطنعا منها ثياباً متينة جدًّا تقوم لمكتسيها مقام الكتّان اذ يمكن غزلها ونسجها مع الصوف

نشرت شركة الزيوت الانكليزيّة في العجم لائحةً اعربت فيها عن فكرها بنقل البترول الذي تستخرجهُ في بلاد ما بين النهرين بواسطة القساطل الى مينا حيفا والمسافة بينهما ٥٥٠ الى ٦٥٠ كيلومترًا تبلغ نفقاتها ٢٥٠ مليوناً من الفرنكات وانمّا تُوفّر عليها المبالغ التي تصرفها لنقلهِ على طريقة خليج العجم

قد بحث بعض الاقتصاديين عن سبب نقص الفضّة وقلّة ما يوجد منها حاضرًا فتحقّقوا انّ لذلك ثلاثة اسباب خصوصاً : الاوّل احوال المكسيك وما جرى فيها من الفتن والحروب الاهليّة ومعلوم انّ ثمانية اعشار الفضّة في العالم تُستخرج من المكسيك فهبط المعدّن منها من ٢،٣٠٠ طنّ الى ٩٤٨ . والثاني انّ الصين التي كانت اصدرت من السنة ١٩١٤ الى ١٩١٧ ٢٣٩٥ طنًّا من الفضّة هي اليوم تشتري الفضّة لمصالحها . والثالث انّ الهند تستورد كميّات بالغة من الفضّة بلغت في السنين الثلاث الاخيرة ١٥،٥٥٠ طنًّا صرفتها في مصالحها

انّ الحركة التجاريّة في ترعة پناما تزيد يوماً بعد يوم فقد مرّ فيها السنة ١٩١٨ ٢،٠٢٥ سفينة تجاريّة محمولها ٦،١٣١،٥٧٥ طنًّا فبلغ هذا العدد سنة ١٩١٩ ٢،٤٧٨ مركباً محمولها ٨،٥٤٥،٦٥٣ طنًّا ودفعت رسومها ٨،٨٠٠،٠٠٠ دولار

اطلعتنا مجلّة « الطبيعة » الفرنسويّة على ما يدخل في فرنسة من التبغ فنوردهُ لتنشيط زراعتهِ في بلادنا . مدخول التبغ في فرنسة على صنفين امّا بصفة اوراق وامّا بصفة سكاير . تستجلب فرنسة ورقاً من الولايات المتّحدة ٢٨ ، ٨١٢ ، ٠٦٦ كيلو . ومن كوبا ٩٨،٢٠٧ ك . ومن جزائر الفيليپين ٤،٣٠٠،٩٢٣ ك . ومن كولومبية

٩٢٤،٩٢٤،٢ك. ومن سان دومنغ ٧٦٤،٦٤١،٢ك. ومن براغواي ٣٣٤،٦٩٦ك. ومن الارجنتين ٢١١ ، ٢٢٠ ك . ومن البرازيل ٥١٩،٧٦٠،٦ ك. ومن بيرمانية ١٢٥،٨١٤،٣ ك. ومن الهند ٩٩٠،٠٤٢،١ ك. ومن انكلترة ٨٦٩،٩٠٩ ك. ومن اليونان ٠٥٩،١٤٠ ك. ومن مستعمرات هولندة ٦٨٩،٧٧٠ك

وتستجلب من مصنوعات التبغ والسكاير من هاڤانة ٠٠٠،٨٠٠،١١ سيكار. ومن مانيلّا ٥٥٥،٥١٢،٣ س. ومن المكسيك ٧٠٠،٦٨٨،٣ س. ومن مصنوعات اميركة ١٤،٦٥٥ ك. و ٣٥٢٥ . ومن سكاير البرازيل ١٤٦،٦١٢ ك. و ٤٢٠ . ومن المصنوعات الانكليزيَّة ١٥٤،٨٧٢ ك . و ٩٩٢٥ . ومن السكاير المصريَّة ٦٢،٤٢٠ ك و ٩٧٠

وممَّا اثَّر كثيرًا في الامور الاقتصاديَّة وغلوّ الاسعار الحاضرة ازمة الفحم الذي اصبح اليوم عليهِ مدار العمران ومحور الاقتصاد وهذه قائمة تبيّن استنتاجهُ في اميركة ودول اوربَّة قبل الحرب وما كان يورد منهُ ويصدر حينئذٍ بالطنَّات:

| الدول | ما استخرجتهُ | حاجتها منهُ | الوارد اليها | الصادر منها |
|---|---|---|---|---|
| الولايات المتَّحدة | ٥١٧,٠٠٠,٠٠٠ | ٤٩٦,٠٠٠,٠٠٠ | ١,٤٣٨,٠٠٠ | ٢٢,٥٤٠,٠٠٠ |
| انكلترَة | ٢٩٢,٠٠٠,٠٠٠ | ١٩٦,٠٠٠,٠٠٠ | — | ٩٦,٩٠٠,٠٠٠ |
| المانية | ٢٧٨,٩٨٦,٠٠٠ | ٢٥١,٩٤٠,٠٠٠ | ١٧,٥٢٦,٠٠٠ | ٣٤,٦٠٠,٠٠٠ |
| النمسة | ٥٤,٠٠٠,٠٠٠ | ٦٠,٠٠٠,٠٠٠ | ٤٣,٧٢٥,٠٠٠ | ٧,٧٢٥,٠٠٠ |
| فرنسة | ٤٠,٨٤٤,٠٠٠ | ٥٤,٥٠٤,٠٠٠ | ١٩,٧٩٧,٠٠٠ | ١,٠٣٤,٠٠٠ |
| بلجكة | ٢٢,٨٠٠,٠٠٠ | ٢٦,٤٥٠,٠٠٠ | ٨,٦٥٠,٠٠٠ | ٥,٠٠٠,٠٠٠ |

فترى انَّ فرنسة كانت افقر الدول بالفحم نسبةً الى سكَّانها وقد خسرت في الحرب كثيرًا من مناجمها التي اخربها الالمان فصارت حاجتها الى الفحم ماسَّة ستُصاب صناعتها بضربة قاضية إنْ لم يُستدرك الخلل. والفحم احدى الضرائب المطلوبة من المانية. وفي الاخبار الواردة اخيرًا انَّ انكلترَة ستواصل اليها ارساليَّات فحمها. وقد فكَّروا في طريقة اقتصاديَّة لنقلهِ الى فرنسة بان تحوَّل قوَّتهُ الى كهرباء فينقل بالقلوس في مضيق المنش الى باريس وفي ذلك توفير عظيم

# الرسالة الفرنسيسيَّة
# وشهداؤها في الولاية الحلبيَّة

للاب لويس شيخو اليسوعي

قد احتفلت الرهبانيَّة الفرنسيسيَّة قبل سنتين بتذكار المئة السابعة منذ نزل منشئها الجليـل القديس فرنسيس الاسيزي الى سواحل سوريَّة فوضع اساس رسالة خاصَّة لابنائهِ الفضلاء قاموا بها من بعدهِ في انحاء فلسطين والشام ومصر وقبرس احسن قيام فباشروا من الاعمال ما لا تحصرهُ صحائف الكتب الضخمة وقاسوا من المشقَّات ما لا يصفهُ اليراع ودافعوا دفـاع الابطال عن الاراضي المقدَّسة وكثيرًا ما صبغوهـا بدمائهم الزكيَّة مستشهدين في سبيل الايمان

وليس غرضنا في هذه العجالة أَن نروي مآثر الرهبانية الفرنسيسية في مـا سلف من الاعوام وانَّما نكتفي بذكر ما احرزتهُ من الفخر بتقدمة سبع ضحايا جديدة لله في مطاوي السنة المنصرمة كانوا كمحرقات اصعدتها الى عرشهِ تعالى فتنسَّمها الله برائحة الرضى

*

وقبل ان ندوّن خبر استشهاد هؤلاء الابرار احببنا ان نصف ميدان جهادهم حيث نالوا تاج الظفر

للآباء الفرنسيسيين الكرام في ولاية حلب ما عدا حاضرتها ستّ مراكز احتلُّوها لخدمة النفوس في اواسط القرن الماضي وهي القنيّة وعينتاب ومرعش وينيجه قلعه ومجوك درهسي ودن قلعه

﴿ القنيَّة ﴾ قرية موقعها في جبال انطاكية في جنوبهـا الشرقيّ قريباً من نهر العاصي يبلغ عدد اهلها نحو ٨٠٠ نفس كانوا من طائفة الارمن الغريغوريين فارسلوا الى القاصد الرسوليّ الطيّب الذكر السيد لودوڤيكو پيـاڤي يطلبون منهُ مرسلًا يرشدهم الى الدين الكاثوليكيّ فلبّى دعوتهم وارسل اليهم سنة ١٨٧٨ الاب فيديلي

(امين) اورسيني دي غراتشيو فاستنفد الوسع في ارشادهم وهدى اكثرهم الى الدين الكاثوليكيّ وفتح لهم المدارس منها مدرسة للصنائع وانشأ لمرضاهم مستوصفاً وبنى لاخوتهِ الرهبان ديرًا على اسم القديس يوسف . وقريباً من القنيَّة قرية اخرى تدعى اليعقوبيَّة ردَّها المرسلون الى حجر الكنيسة ايضاً

❊ عينتاب ❊ هي المدينة التي فتحها موخرًا الفرنسويُّون في شمالي حلب على مسافة يومين منها . موقعها في جبال صعبة عدد اهلها ٥٠،٠٠٠ النصارى منهم نحو ١٥،٠٠٠ مسيحيّ نصفهم كاثوليك ارمن وسريان وروم ملكيُّون . ففي سنة ١٨٨١ عهد مجمع انتشار الايمان الى الآباء الفرنسيسيين ان يفتحوا هناك ديرًا ويتصدَّوا لمساعي الرسالة البروتستانيَّة الاميركانية ففعلوا . وكان القائم بهذه المهمَّة الاب ڤنشنزو دا برينو فبنى في عينتاب ديرًا على اسم القديس بوناونتورا وانشأ مدارس ابتدائية للاحداث الذكور والاناث فبلغ عددهم المائتين ثم خلفهُ الاب يعقوب دي كَسْتِلْمَداما فاستحضر الادوية لفتح اجزائية مجَّانية ومستوصف وكان عدد المرتدّين الى الايمان الكاثوليكيّ سنة ١٨٩٦ وحدها ١١٠ من الاهلين

❊ مرعش ❊ كان اسمها القديم جرمانيقية نسبةً الى القائد الروماني جرمانيكس الشهير بحكمهِ على سوريَّة المتوفَّى السنة ١٩ للمسيح . موقعها شمالي غربي عينتاب على مسافة ثلثة ايَّام من حلب عند مصبّ نهرَيْ آق سو وجيحان جعلها الاتراك مركزًا لاحد سناجق ولاية حلب عدد اهلها بين ٥٠،٠٠٠ الى ٦٠،٠٠٠ النصارى منهم نحو ٢٢،٠٠٠ بينهم الكاثوليك نحو ١٥،٠٠٠ منهم سريان وروم كاثوليك وارمن كان للآباء الفرنسيسيين فضلٌ عظيم في ارتدادهم على يد المرسل الغيور الاب جزوالد من جينوا سنة ١٨٥٨ . لكنَّ رسالتهم هناك لم تستقرّ الَّا في سنة ١٨٦٦ فكان مُنشئها الاب ڤنشنزو السابق الذكر الوافر الفضل تفانى في خدمة اهل مرعش مادّيًا وادبيًا فعُني بتهذيب احداثهم وتربية ايتامهم وعيادة مرضاهم ومعالجتهم خصوصاً في زمن فشوّ الهواء الاصفر مع مساعدة فقرائهم . وبنى هناك ديرًا لرهبانيَّتِهِ على اسم القديس انطونيوس البادوي . واقتدى بهِ اخوتهُ فكانوا سدًّا في وجه اعداء الدين لاسيَّما البروتستانت . ولمَّا ثار الاتراك على الارمن سنة ١٨٩٥ نجا كثيرون من النصارى بهمَّة الآباء المرسلين ثمَّ وزَّعوا عليهم الحسنات الوافرة فانقذوهم من

المجاعة كما خلَّصوهم من السيف وواصلوا عنايتهم بهم عدَّة اشهر

﴿ ينيجه قلعه ﴾ اي القلعة الجديدة هي من اكبر قرى سنجق مرعش على بُعد نحو ٣٠ كيلومترًا منها شماليًّا الغربيّ عدد اهلها ٣٥٠٠ بينهم نحو الف ارمنيّ كانوا من الطائفة الغريغوريَّة وعزموا على الإسلام لشحناء وقعت بينهم وبين راعيهم فبلغ خبرهم الآباء الفرنسيسيين في مرعش فاسرع الى اغاثتهم الاب مرشلّينو دي مونتيفرنكو سنة ١٨٧٥ واستنفد الوسع في خدمتهم فانضمُّوا الى الكنيسة الكاثوليكيَّة وثبتوا على ايمانهم . وللآباء المرسلين هناك ايضاً مشروعات ادبيَّة وخيريَّة . وديرهم على اسم القديسة مرغريتا دي كورتونة حرقهُ الاتراك سنة ١٨٩٥ كما اعملوا السيف في نصارى القرية الَّا ان الاب عمانويل غَرْسيا تمكَّن من انقاذ صغار مدرسته فنجا بهم الى نواحي زيتون ثمَّ عاد الى القرية لمساعدة المنكوبين

﴿ مجوك دره سي ﴾ هي قرية تابعة لمرعش على مسافة سبعة كيلومترات غربيّ مرعش اهلها كلُّهم نصارى ارمن ارتدُّوا الى الكثلكة على يد الاب مرشلّينو المومإ اليهِ سنة ١٨٨٤ . ولمَّا وقعت حوادث سنة ١٨٩٥ المشؤومة كان رئيس تلك الرسالة الاب سلڤاتوري لِلّي من قبادوقية فاحاط الاتراك بالقرية واوقفوا رجالها بامر قائدهم مزهر بك وكان في جملتهم الاب سلڤاتوري فساقوهم الى مرعش وقتلوهم في الطريق واحرقوا جثثهم وكان مزهر بك عرض على الاب سلڤاتوري ان يُسلم فزجرهُ الاب بعُنف مستكرهاً فامر مزهر بقتلهِ فقُتل شهيد ايمانهِ مع احد عشر من رفقتهِ في ٢٠ تشرين الثاني . وأُحرق الدير الى ان عاد الاب مرشلّينو في آذار من السنة ١٨٩٦ وسعى باصلاح الخراب

﴿ دن قلعه ﴾ هي قرية ثالثة قريبة من مرعش في شمالها الغربيّ على مسافة ساعتين منها لا يزيد سكَّانها على ٦٠٠ انشأ الاب مرشلّينو رسالتها مع مجوك دره سي وردَّ الثلث من اهلها الى الكثلكة . ثمَّ احرق الاتراك ديرها وبيوتها سنة ١٨٩٥ الَّا انَّ اهلها نجوا بنفوسهم مع الاب الفرنسيسكاني عمانويل تريغو والاخ ڤكتور ولحقوا بجبال زيتون ثمَّ عادوا بعد أَن هدأت الامور وافرغ الاب عمانويل كنانة جهدهِ لتلافي الاضرار ومدَّ يد المساعدة الى المبؤوسين

وكان انشاء هذه المقامات السبع للرسالة الفرنسيسيَّة في ولاية حلب واخصُّها في

حدود الارمن في القسم المعروف بأَرمنيَّة الصغرى في القرن السابق

وأَلحقوا بها مراكز أُخرى ثانويَّة في بندق وكبـان سنة ١٨٨٠ ونصيبين قرب الفرات سنة ١٨٨٠ . هذا ما عدا رسالاتهم في قيليقية وجبل كاسيوس مثل كز بازار (عين زربة) وكسَّاب وباجي اغاز . وربَّما طافوا في الانحاء المجاورة لمراكزهم وبشَّروا بالايمان الكاثوليكي في قراهـا وردُّوا الى حِجْر الكنيسة كثيرين من الغريغوريين وغيرهم

ولمَّا كانت السنة ١٩٠٩ بعد اعلان الدستور التركي تكرَّرت في تلك الجهات الحوادث المؤلمة والفتن والمذابح فنُهبت اموال الارمن وقُتل منهم كثيرون فكان المرسلون يسعون طاقة جهدهم في خلاصهم وردّ الظلم عنهم وتوزيع المساعدات الماليَّة الطائلة على المكروبين منهم وتحمَّلوا بسببهم مشاقّ عديدة . وقد اهتمَّ حينئذٍ كثيرًا لحالهم نيافة قاصدنا الرسوليّ السيّد فريديانو جيانيني فزارهم وساعدهم بيد سخيَّة وتبرَّع المحسنون البيروتيُّون بمبالغ وافرة لتلطيف بلاياهم

*

على انَّ اختلاط بني القديس فرنسيس بالطائفة الارمنيَّة وانقطاعهم الى خدمتها جلب عليهم قسماً من بغض الاتراك للأمَّة الارمنيَّة وكان هؤلاء المرسلون الغيُورون كلَّما يصبُّ العثمانيُّون على الارمن سجـال حنقهم ينالهم نصيب منها كمـا رأَيت في كوارث السنة ١٨٩٥ و ١٩٠٩

ولمَّا انتشبت الحرب العموميَّة في السنة ١٩١٤ وانحازت الدول العثمانيَّة الى جانب الدول المركزيَّة حملت الاتراكَ فظاظتُهم الطبيعيَّة على التنكيل بالنصارى عمومـاً وبالارمن خصوصاً فسالت الدماء انهارًا وارتكبوا من الفظائع ما يسوّد وجه المدنيَّة بل الانسانيَّة عينها

فكان المرسلون كمألوف عادتهم هم الملجأ الوحيد لهؤلاء المساكين لا يألون جهدًا في ضماد جروحاتهم حيثما وُجدوا . لكنَّ اكثرهم اضطرُّوا الى مغادرة مراكزهم ولحق الذين بقوا منهم مِحنٌ شتَّى فمنهم من نُفوا ومنهم من حُبسوا وقُتلوا . وتمكَّن الآباء الفرنسيسيُّون في جهات مرعش وعينتاب ان يحفظوا مدَّةً اديرتهم الى ان دخلت

الدولة الايطاليَّة في الحرب فتفرَّق اكثرهم وتركوا مراكزهم تحت رحمة بني عثمان

وما عاين رؤساء الاراضي المقدَّسة لوائح السلام حتَّى فكَّروا في فتح اديرتهم والاسراع الى خدمة الباقين من النصارى بعد نكباتهم الفادحة · فتقدَّم حضرة الرئيس فردينندو ديونالليفي الى بعض رهبانهِ بان يذهبوا الى رسالتهم في ولاية حلب وما كان ليظنَّ انَّهم بعد إعلان الهدنة سيصيبهم شيءٌ من البلايا وانه يرسلهم كالسيّد المسيح مثل خرافٍ بين الذئاب · فلبَّى المرسلون دعوة رئيسهم بكل نشاط غير مبالين بالاخطار وساروا الى مراكزهم في ايلول من السنة ١٩١٩ فمرَّ عليهم اربعة اشهر وهم في حوزة الكماليين والعصابات الثائرة يتحمَّلون ضروب الشدائد ويقاسون الاوجاع الوانًا الى أن قتلوهم بغضاً بدينهم وغيرتهم الرسوليَّة في كانون الثاني سنة ١٩٢٠ . ولم يبلغ خبرهم اليقين الى رؤسائهم الَّا بعد مدَّة · فلمَّا تحقَّق حضرة رئيس الاراضي المقدَّسة الفائق الاحترام صحَّة الخبر امر باقامة جناز حافل لراحة نفوسهم ووجَّه اليهم بالرسالة الآتية التي ضمَّنها المعلومات المفيدة عن استشهادهم وعرَّبها حضرة الاب ليونردو عتلّيان رئيس الآباء الفرنسيسكان في صيداء فنشرتها جريدة البشير في ١٦ ك ٢ ١٩٢١ :

## الى الآباء والاخوة ابناء الرهبنيَّة الفرنسيسيَّة في الاراضي المقدَّسة تحيَّة وسلام بالربّ

مضت علينا مدَّة من الزمان ونحن بقلق عظيم ننتظر من يوم الى يوم ومن شهر الى آخر خبرًا ما مفرحاً عن اخوتنا المرسلين الموجودين بقيليقية يزيل عنَّا وعنكم الغمَّ والاكتئاب من جرَّاء انقطاع اخبارهم كلَّ هذه المدَّة حتَّى بلغنا اخيرًا الخبر المحزن الذي ازاح لنا الستار عمَّا اصابهم هناك اذ ذاقوا مرارة الموت بانواع مختلفة في الآونة الاخيرة لداعي انَّهم مسيحيُّون وكاثوليكيُّون وفرنسيسيُّون

وكنَّا فيما مضى غير قادرين على الشخوص بذاتنا الى رسالاتنا رغم ما بذلنا من الجهد والاجتهاد لهذه الغاية نظرًا للموانع الجمَّة التي كانت تحول دون اتمام المرغوب : فاضطرَّنا الامر الى ارسال تحارير جمَّة لكثيرين من ارباب السلطة هناك وألححنا بالسؤال بصورة محرَّجة كي يفيدونا صريحاً عنهم · فوردت الينا الاخبار

الحقيقيَّة منهم واذا هي تتضمَّن الاثبات للرأي العام على انَّ اخوتنا هناك أُعدموا عن آخرهم في وسط ميدان اعمالهم الرسوليَّة كجنود امناء وباذلين حياتهم حبًّا بفاديهم الالهي وحفظًا للقطيع المسلَّم اليهم

وعليهِ نبلّغكم أيُّها الاخوة الاعزَّاء الاخبار الصحيحة المدعومة بشهادة الموكلين من قبلنا لتطَّلعوا على تفاصيلها المحزنة والمفرحة معاً. داعينكم الى تقدمة الاسعافات لراحة نفوسهم ان كان ثمَّة احتياج الى ذلك لأنَّ من يقبل الموت صوناً لايمانهِ وحفظاً لاعتقادهِ وذَودًا عن خرافهِ لا شكَّ في انهُ ينال السعادة الابديَّة كما هو اعتقادنا المكين بان اخوتنا هؤلاء حازوا اكليل الاستشهاد المجيد بثباتهم العجيب واحتمالهم الموت حبًّا بفاديهم الالهي

وكان بودّنا ان نسهب الكلام عن كلّ واحدٍ منهم غير انَّ شدَّة وطأة الحزن تمنعنا عن الاسهاب ويتوقَّف القلم جزعاً والتياعاً. لكنَّنا اظهارًا لأعمالهم المجيدة وتبياناً لسامي جهادهم المقدَّس اتينا برسالتنا هذه ذاكرين لكم أيُّها الاخوة الاعزَّاء كلّ واحد منهم على حدة بوجيز الكلام آملين ان يقوم غيرنا بهذه المهمَّة الشريفة احسن قيام في ما يأتي من الايَّام فنذكرهم الآن حسب تاريخ دخولهم في رهبانيَّتنا المقدَّسة فنقول :

*

انَّ الاب فرنسيس دي فكتوريو من روتيليانو (ايطالية) والاخ الفرد دولليتبس من ماجيسز (هنغارية) والاخ سلفاتوري-اباتيني من بيزولي ثلثة من اخوتنا وجَّهناهم في ايلول سنة ١٩١٩ الى رسالتنا في قرية «مجوك دره سي» بجوار مرعش التي كانت بحالة الخراب في غضون الحرب العموميَّة فاعتمدنا على ان نقيمها ثانيةً باذلين كل نفيس في مساعدة وإسعاف مَنْ بقي من المسيحيين الذين عادوا الى وطنهم فقدَّمتْ لهم ترأسانطة ما كانوا مفتقرين اليهِ من لوازم المعيشة وفتحتْ لهم ميتماً يجمع فيهِ اليتامى التاعسين الذين بلغوا منذ الابتداء الثلثين عدًا

وكان اخوتنا المرسلون الثلثة المتقدّم ذكرهم باذلين كلّ ما باستطاعتهم لتخفيف بلايا ومصائب ابنائهم هناك مشتركين معهم بأفراحهم واتراحهم سالكين نحوهم

سلوك ابٍ وطبيب وصيدليّ ومعلّم وكاهن حيث لم يكن هناك من ملجأ لهم سوى المرسلين المذكورين

على انهُ لدى انفجار بركان مذابح كانون الثاني المنصرم اصبح مرسلونا بخوفٍ عظيم. وكان قلقهم على الايتام والمسيحيين اكثر منهُ على انفسهم . غير انَّ احد الاتراك من سكّان تلك القرى المدعوّ «ليان اوغلي عليّ» تقدَّم الى الرئيس ورفقائهِ واخذ يطمّنهم ويشجّعهم بظاهر الصداقة والاخلاص. ودعا اخوتنا الى الذهاب هم والايتام جميعهم مع ما يستطيعون جلبهُ من الاشياء البيتيَّة وما يقدرون على حملهِ وذلك الى منزلهِ الذي لا يبعد كثيرًا عن الدير حيث يجدون لهم ملجأً امينًا . وكان قد اعدَّ على قولهِ محلّات مختلفة لاضافة جميع المسيحيين

فلبَّى المرسلون الدعوة شاكرين وانتقلوا صحبة الايتام والمسيحيين بكل ما لديهم من الاثاث الى بيت المضيف واخذوا قليلًا من الراحة والطعام. ولم يمضِ الَّا قليل من الزمان وهم يتحادثون مع صاحب البيت حتى طرق آذانهم صوت إطلاق بندقيَّة من الخارج. فاندهش اخوتنا وسألوا ليان المذكور عن السبب. فما كان منهُ الَّا أن اظهر ما يُبطنهُ من الخبث وما يكمنهُ من الخداع والخيانة وأخرج غدَّارةً واطلقها على الرئيس واخوانهِ دفعاتٍ متكرّرة اجابةً على سوءالهم وقتلهم وهم عُزَّل بينما كان شركاؤه الاسافل المتوحّشون طبقاً للاتّفاق السابق بينهُ وبينهم يذبحون الايتام والمسيحيين فلم يُبقوا على احدٍ منهم ثمّ نهبوا الموجودات من الكنيسة والدير وبيوت المسيحيين واحرقوا ما بقي

وقد حدث هذا الامر الفظيع كما بلغنا في ٢٣ كانون الثاني. وفيما نحن آخذون باحتفال تذكار خطبة مريم البتول المثلَّثة القداسة طارت نفوس اخوتنا الى مشاركتها بأفراح عرسها في السماء

*

ثمّ انَّ الاب البير من كافي كان رئيساً على رسالتنا في قرية ينيجه قلعه وقد قام بوظيفتهِ احسن قيام نحو المسيحيين مدَّة الحرب العموميَّة فكان يتنقّل من قرية الى اخرى في طلب وجَمْع شتات المسيحيين المتفرّقين في تلك الاصقاع معزّياً ايَّاهم في

كربتهم . فلمَّا اتى الفرج وعاد الى رسالتهِ العزيزة اخذ يصلح ما قد خرب بغيرة ونشاط لا يعرفان الملل . واذا بالاتراك هجموا على القرية وقتلوا بحدّ السيف شرّ قِتلةٍ الاب البير وجميع المسيحيين

*

امَّا الاب اسطفانوس بالنقاتيان من مرعش فكان رئيساً منذ سنين غير قليلة على رسالتنا في دن قلعه . وقد احبَّهُ المسيحيُّون كثيرًا اذ شاهدوا فيهِ قلب ابٍ وراعٍ ومرشدٍ ساهر . وقد شارك قطيعهُ العزيز مدَّة الحرب في احزانهِ واوجاعهِ غير انهُ أُكرِهَ على السير في طريق المنفى . فلمَّا أُتيح لـهُ العَوْد الى رسالتهِ المحبوبة جمع العيـال المتشتّتة واصلح ما كانت أَخربتهُ ودمَّرتهُ ايدي الأَئمة الظالمين واذا بعاصفةٍ جديدة هبَّت على دن قلعه نحو ٢٣ك٢ فهجم الاتراك بقيادة المدعو مصطفى النجّار على القرية التعيسة واضرموا النار في منازل المسيحيين فهرب هؤلاء والتجأوا الى ديرنا . ثمَّ اجتمع الجميع في الكنيسة فـأَحاط بها الاتراك من كلّ جانب واخذوا يطلقون بنادقهم عليها . غير انَّهم حبًّا بتوفير الجبخانة اتَّخذوا اقرب الوسائل اشباعاً لجشعهم وحقدهم فاوقدوا النار في الدير والكنيسة فذهبت تلـك النفوس ضحيَّة النار والأَنقاض المتردّمة واضحت الكنيسة بعد ما كانت ملجأً ومصلًى لهم مذبحاً ومقبرة

*

ثمَّ انَّ الاخ يوسف عقلّيان من مرعش كان احد مرسلينا في ديروطنهِ فعندمـا دخل الاتراك المدينة في كانون الثاني المنصرم ابرزوا الحكم المبرم بالنفي على جميـع المسيحيين . فامتثل اخونا مكرهاً وتبع رفقاءهُ مشاطرًا ايَّاهم التعب المذيب والسَّير المضني حتى وصل آطنه في ١٥ شباط وسط البرد القارس سائرًا في طرق صعبة ومفاوز وعرة منهزماً من وجه الجند التركيّ المتوحّش محروماً من كلّ معونة مضنوك القوى واذ ذاك شعر انهُ اشرف على الموت فاسرع رفقـاؤهُ في البؤس والشقاء مقدّمين لهُ المقوّيات والمنعشات فلم يُجْدهِ كلّ ذلك نفعاً . فاسلم روحهُ في يد فاديهِ الالهي بعد قليل من الزمن بحضور الاب ماتيرن موري رئيسهِ وشريكهِ في المنفى

*

اما الاب ليونردو بلوتشي من اوسيمو ( ايطالية ) فهو الاخير في مصافّ جند الله

في مصاف الشهداء · انتقل هذا الكاهن في شهر تشرين الاوَّل المنصرم الى مدرستنا في حلب حيث تقلَّد وظيفة وكيل الخرج وتعليم صناعة التصوير التي كان بلغ فيها حدَّ الاتقان حتَّى انهُ كان يماثل احسن المصوّرين برسومهِ اللطيفة · وكان ذا غيرةٍ ونشاط في احياء تلك المدرسة مهما كلَّفهُ الامر مشقّة وعناء· فسافر الى القدس لقضاء مصالح هذه المدرسة العزيزة لديهِ · وحينما وصل في ٢٠ آب المنصرم بالسكَّة الحديديَّة الى محطَّة خربة الغزال على طريق حيفا هجمت قوَّة من العربان واكرهتهُ هو ورفقاءهُ على النزول من السكَّة واطلقوا عليهِ طلقَين اصابهُ الاوَّل في صدرهِ والآخر في فمهِ ثمَّ عرّوا جسدهُ ورفعوهُ على خازوق · وقد اخبرنا بذلك رفقاؤهُ بالسفر الذين شاهدوا عذابهُ وميتتهُ هذه الفظيعة المؤثرة· والمذكورون لم يزالوا في قيد الحياة· وقد ذكرتها الجرائد العربيَّة في حينها

*

والآن بما ان اخوتنا هؤلاء السبعة الشهداء فارقوا هذه الفانية فنحن نعتقد اعتقاداً متيناً ثابتاً انهم نالوا اكليل الشهادة وحازوا على السعادة الخالدة مكافأةً على بذلهم حياتهم وسفك دمائهم حبًّا بفاديهم الالهي وغيرتهم القويَّة على حفظ رعاياهم ضمن حظيرة الايمان القويم

وبما ان البشر ختموا مؤتمر الصلح والسلام فلا شكَّ انهم يتضرعون الى الله سبحانهُ وتعالى الذي وحدهُ يستطيع ان يعطي العالم السلام الحقيقي فيصبح هذا السلام سائدًا على الكون كافةً وبذلك يعود البشر الى الحب المتبادل ويكونون كأخوة دافعين كل طمع وجشع من قلوبهم وافكارهم · وسنبتهل نحن ايضاً لاجل حفظ اقليم الارض المقدَّسة من كل ضرر وشرّ لكي يحرسهُ الرب بشفاعتهم ويعضدهُ ويغمرهُ بغيث نعمهِ الفائضة كما انهم قد سقوهُ بدمائهم فيستريح ويحيا وينمو بروح الحب الالهي المسيحي الى الابد



# صفحة منسيّة من تاريخ تونس (١٥٥٠)

## للاب لويس شرل اليسوعيّ

نقتطف هذه النبذة التاريخيّة من كتاب طُبع في العام الماضي في باريس كتبهُ احد المرسلين اليسوعيين في الجزائر الاب لويس شرل الذي توفّي سنة ١٩١١ قبل نجاز تأليفهِ هذا فنشرهُ حديثاً الاب روزيت واهداهُ الى المشرق وهذا عنوانهُ

**R. P. Louis Charles :** Les Jésuites dans les Etats Barbaresques, Algérie et maroc. Ouvrage posthume publié par le R. P. **A. Rosette,** *Paris, P. Lethielleux,* 1920, *in*-16, *VI*-136

والنبذة المذكورة تفيدنا عن حادث قلّما اتّسع في ذكره المؤرخون فاستخرجهُ الاب شرل من سجلّات الرهبانيّة اليسوعيّة وبعض التواريخ الاسبانية

شرقيّ سوسةَ احدى حواضر بلاد تونس على ساحل البحر المتوسّط بازاء جزيرة صقلية مدينةٌ شهيرة تُدعى المهديّة استحدثها سنة ٩١٦م المهديّ عبيد الله اوّل الخلفاء الفاطميين قريباً من مدينة قديمة كانت تسمّى افريقة ( Africa ) وجعلها كرسيّ مملكتهِ. قال ابو الفداء في تقويم البلدان ( ص ١٤٥ ): « انّها على طرف داخل في البحر كهيئة كفٍّ متّصل بزند والبحر محيط بها غير مدخلها وهو مكان ضيّق مثل سَبْتة وحصّنها بسور شاهق في الهواء بالحجر الابيض بأبرجة عظام وابتنى بها القصور الحسنة الشارعة على البحر والظاهرة منهُ وابتنى الناس بالمهديّة اجلّ الابنية وصارت من اجلّ الامصار »

فهذه المدينة الحريزة كانت في القسم الاوّل من القرن السادس عشر تحت حكم الدولة الحفصيّة التي كان كرسيّها في حاضرة تونس الّا ان سلاطين بني عثمان حاولوا بسط سيطرتهم على سواحل افريقية من الجزائر وطرابلس الغرب وتونس ومرّاكش وساعدهم على ذلك بعض مشاهير القرصان اخصّهم خير الدين بربروسة واخوهُ عروج ثم دراغوث وكانوا يعيثون فساداً في تلك الجهات تارةً في سواحل المغرب وحيناً في شواطئ صقآية وايطالية فينهبون ويسلبون ويحرقون ويستبيحون الاهلين اسراً وقتلًا

وكانت صقلّية وقتئذٍ في حوزة الامبراطور شرلكان ولهُ في المغرب وتونس عدَّة مستعمرات فرأى في غارات هؤلاء القرصان إجحافاً باملاكهِ ولاسيَّما بعد موت خير الدين اذ ولَّى السلطان سليمان الغازي المعروف بالقانوني دراغوث على اسطولٍ كبير وقلّدهُ رتبة قبودان باشا فسار الى مدينة المهديَّة واذ رآها حريزة منيعة لا يقدر على فتحها دخلها بالمكر والخداع بواسطة احد سكّانها الذي باع وطنهُ بالاصفر الرنّان

فصفا الجوُّ لدراغوث اذ وجد لسفنهِ مرفأً اميناً وحصناً حصيناً وزاد في استحكامات المهديَّة التي اتّخذها كرسيًّا لملكهِ وجعل الدفاع عنها حاميةً من الاتراك فصارت امنع من عقاب الجوّ وكثيرًا ما كان يخرج لمحاربة النصارى فيضبط سفنهم ويغير على سواحلهم ويشنع في سكّان مُدنها ما شاء

فاهتمَّ الامبراطور شارلكان ليضع حدًّا لهذه الغارات وامر رئيس اسطولهِ الاميرال اندري دُورْيا ونائبهُ في صقلّية جان دي ڤيغا بان يزحفا على مدينة المهديَّة ويستوليا عليها مهما تكلّفا من المشقّات في ذلك

فتحفَّز الاميرال من ساعتهِ لفتح المهديَّة وجمع خمسين مركباً حربيَّة انضمت اليها بوارج البابا يوليوس الثالث وغرندوقة توسكانة مع فرسان مالطة . وكان جان دي ڤيغا رجلًا ديّناً فلم يشأ ان تُحرَم جنودهُ من الكهنة في تلك الحملة ليهتمُّوا بشؤونهم الروحيَّة وكانت الرهبانيَّة اليسوعيَّة المنشأة حديثاً قد باشرت في صقلّيه باعمال جليلة ألفتت اليها نظر جميع الاهلين . وكان رئيسها وقتئذٍ احد مشاهير زمانهِ الاب جاك لَيْنِسْ خطيب المجمع التريدنتيني ونسيج وحدهِ في العلم والعمل فاياهُ انتدب نائب ملك صقلّيَه ليسير في رفقة تلك الحملة باذن رئيسهِ العام القديس اغناطيوس دي لويولا

واذ كانت تلك السنة ١٥٥٠ سنة اليوبيل العظيم طلب الاميرال الى القديس ان يلتمس من الحبر الاعظم بان يَمْنح غفران اليوبيل الجنود المحاربين

خرج الاسطول من بالرمة في ٢٢ حزيران ١٥٥٠ وكان الاب لَيْنس مع الجيش في مركب النائب الملكي يصحَبهُ الاخ المساعد مرتين زُرْنوزا ليقوم معهُ في خدمة الجرحى والمرضى . سار الاسطول مدفوعاً بالرُخاء الى جزيرة قفرةٍ تُدعى فاڤينيانة وبلغ اليها بعد يومين . فتقدَّم النائب الى الاب لَيْنس بان يخطب في الجيش ففعل وذكَّر

الجمهور بصفات الجنديّ المسيحيّ وواجباتهِ نحو خالقهِ ونحو نفسه وما يتحتّم عليهِ لقريبهِ ولاسيّما لرؤسائهِ . ثمّ واصل الاسطول سيره اربعة ايام حتّى بلغ المهديّة

وفي سحر ٢٨ حزيران انحدر الجنود الى البرّ دون ان يتصدّى لهم العدوّ وكان دراغوث غائباً فعسكروا هناك فوق ربوةٍ تُشرف على المدينة ثمّ شرعوا في حصارها بكل نشاط . على انّ حمارّة القيظ لم تلبث ان تضنك قواهم ففتكت الامراض بكثيرين منهم اذ كانوا مضطرّين الى الشغل في الشمس وهم شاكون بالسلاح لئلّا يفاجئهم العدو عزّلاً . فكان الاب لينس والاخ رفيقهُ لا يدّخران وسعاً في خدمة المرضى واذ لم يقويا على مساعدة الجميع استدعى النائب اربعةً من الرهبان الكبوشيين لمعاضدتهما لكن الوباء فشا فيهم بعد قليل فمات اثنان شهيدَي محبّتهما ونُقل الآخران الى المستشفى وأُصيب معهم اكثر من ٥٠ شخصاً من الممرّضين والاطبّاء والجرّاحين الّا انّ الاب لينس ورفيقهُ نجوَا بنعمةٍ خاصة من الله وتفانيا في خدمة الموبوئين الذين كانوا يعدُّون انفسهم سعداء بأن يموتوا بين ايديهما فيقبلون الموت مستسلمين الى رحمة الله ومتأهبين لآخرتهم بقبول الاسرار المقدّسة بكل ندامة وتقىً

وبينما كان الجنود ساعين في تضييق الحصار اذ بلغ القپودان دراغوث انّ مدينتهُ في خطر يتهدّدها الفرنج فعاد اليها مسرعاً وانزل ليلًا الى البرّ ١٢٠٠ من الترك والمغاربة مع ألفين من عرب البادية . ففي صباح النهار اتى احد الضبّاط وهو السيّد الفونس پيمنتل مع فرقة من الجند ليطلبوا علفاً للخيل وخشباً . وارسل النائبُ معهم السيّد لويس پيريس دي ڤرغاس حاكم برج العيون ( la Goulette ) سابقاً مع شرذمة أُخرى ليمكّنوا العملة من شغلهم ويردُّوا عنهم غارات العدوّ

فما عتّم دراغوث مع جنودهِ التركيّة انهجموا عليهم فالتحم القتال بين الفريقين ودام ساعةً وكاد الفرنج يفشلون لقلّة عددهم لولا انّ الخبر بلغ السيّد غرسية الطليطلي فبادر الى معونتهم مع كتيبة من الجند الذين ابلوا احسن بلاء فاوقفوا دراغوث وعسكرهُ وهم يحاولون المرور بينهم ليدخلوا المدينة وينضمُّوا الى اهلها . وقد امتاز في تلك الواقعة فرسان مالطة الفرنسويون فكانوا كالجدار الحيّ في وجه العدوّ كما انّهم منعوا اهل المدينة من الخروج لمساعدة دراغوث . وحمي وطيس القتال حتّى دام خمس ساعات ورأى دراغوث كلّ مساعيهِ خائبة فعاد منكوساً مكسوراً الى سُفنهِ ثمّ أجر

ليطلب لهُ جيشاً آخر فيعود الى الدفاع عن مدينتهِ وهو يحرق الأَرَم على كسرتهِ

وكان جيش الفرنج في اثنـاء ذلك انتهى من تجهيز ادوات الحصار واستعدَّ للهجوم على المدينة فاراد الاب لَيْنِس ان يتأَهَّبوا للامر بقبول الاسرار ورُبح غفران اليوبيل فأعلن ذلك في اطراف المعسكر بضرب الطبول ونفخ الابواق. ولَمَّا احتشد الجند أَلقى المرسل الغيور فيهم خطاباً غاية في البلاغة والتحمُّس حضَّهم فيهِ لإعداد نفوسهم لربح الغفران المذكور وتلا على مسامعهم رسالةً للقديس اغناطيوس يبشِّرهم بهذه النعمة السابغة فدونك تعريبها :

## اغناطيوس دي لويولا رئيس الرهبانيَّة اليسوعيَّة العام

حماية السيّد المسيح ومعونتهُ تحلّان على كافَّة السادة والاشراف والقوَّاد الشهـام والجنود وسائر المسيحيين الذين يجاهدون في افريقية في سبيل الايمان وبه ينالون الخلاص الابدي

انَّ السيّد الكليّ الشرف جان دي ڤيغـا والنائب الملكي على صِقلِيَة والقائد الاعظم على بعثتكم المقـدَّسة سبق فكتب لي باسمهِ الخاص وباسم جيشكم الباسل أَن التمس من قداسة سيّدنا الحبر الاعظم البابا يوليوس الثالث ان يمنحكم انتم ايضاً المجاهدين في بلاد غير المؤمنين لمجد السيّد المسيح وارتفاع شأن ايماننا المقدس نعمة اليوبيل لتربحوا ذاك الغفران الذي ينالـهُ الوافدون الى رومية بزيارة كنائسنا العظمى. فلمزيد انعطـاف قداستهِ نحوكم وبقوة سلطانهِ الرسوليّ تلطَّف ومنحكم جميعاً تلك النعمة الجزيلة. ولذلك لا بُدَّ لكم ان تنيبوا الى الله بالندامة والاعتراف فيزيد تحمُّسكم في محاربة اعداء الصليب على قدر المنَّة التي أفاضها عليكم الربّ من كرمهِ تعالى وجودة الكنيسة عروسهِ المقدَّسة. وهكذا تَجنون من حربكم ثمارهُ الشهيَّة سواء نلتم الانتصار على الارض او فُزتم بالسعادة الابديَّة بالموت في سبيل الله بعد غفران خطاياكم. وقد حرَّرتُ لكم هذه الرسالة لأعلنكم بهذه البشرى وختمتها بطابع رهبانيَّتنا

أُعطي في رومية في ٧ تمُّوز سنة ١٥٥٠

فكان اوَّلُ من اجـاب الى دعوة الاب لَيْنِس اركانَ الحرب ورؤساء الحملة كالسادة الاشراف أَلفُنس دي كويڤا حاكم الغوليطة وفردينند الطليطلي قائد جيش نابولي وأَلڤارو دي ڤيغا قائد عسكر صقلّية وفردينند ابن اخي النائب الملكي وعدَّة ضبَّاط ومعظم فرسان مالطة. فقضى الاب بضعة ايام وليالي يسمع اعترافاتهم ويوزّع عليهم الاسرار المقدَّسة ولا يكترث لاتعابهِ لما يجدهُ من التعزية بمعاينة ايمانهم وتقاهم ثمَّ حدَّدوا يوماً للغارة العموميَّة على البلد في ١٠ ايلول. واذ بلغ المحاصرين

انَّ اهل المدينة اعدُّوا متاريس واستحكامات قويَّة وراء السور حيث نووا فتح ثلمتهم غيَّروا للحال خطَّة هجومهم من البرّ وقصدوا الهجوم من جهة البحر التي كان اهمل المَهْديون تعزيزها . ففي عصر النهار باشرت السفن باطلاق بطاريَّاتها على الاسوار فدكَّتها ونقضت ابراجها وللحال هجم الجنود الاسبانيُّون كالسيل الجحاف لا يلوون على شيء . فدخلوا المدينة وناوشوا القتال الحامية الاتراك ببأسٍ وحماس عجيب لم يقوَ الاتراك على ردّهِ فهربوا من وجههم وسقط منهم صرعى في ساحة الوغى الف ومئتان وأُسر تسعة آلاف . وقُتل من الاسبانيين خمسمائة وجُرح قرب الالف وكان من جملة القتلى فردينند الطليطلي امير الاي جيش نابولي وفرننند لوبو امير الاي جيش لمْبَرْدية وعدَّة قوَّاد وفرسان كَور ورويدا وسُمُرَّاغا واولُوَا وموزوا

فاسرع الاب لينس في ١٤ ايلول وكتب الى رئيسهِ القديس اغناطيوس يبشّرهُ بهذا النصر المبين وهذا تعريب رسالتهِ :

انَّنا والحمد لله بتمام العافية . ولديَّ بشرى سارَّة يجب عليَّ تبليغها لحضرتك وهي انَّ ربَّنا السيّد المسيح في يوم الاربعاء الواقع في ١٠ ايلول تنازل بنعمة خاصَّة من جلالهِ ومكَّننا من فتح مدينة افريقة ( المهديَّة ) . وفي هذا اليوم الاحد قد دخلنا جامع البلد وكرَّسناهُ كنيسةً على اسم القديس يوحنَّا المعمدان . وقد أُقيم فيها قداس حافل القيتُ في خلالهِ عظةً شكرًا لله تعالى على الظفر الباهر الذي اصبناهُ وقد اوضحتُ للرؤساء والجنود ما يترتَّب عليهم من الواجبات ثمَّ منحنا سرّ العماد لاربعة اولاد صغار ولرجلٍ جُرح في الواقعة ومات بعد قليل . والامل معقود انَّ هذا الانتصار يعيد الامان للثغور النصرانيَّة ويساعد المرسلين في جذب اهل هذه البلاد الى الايمان المستقيم . وقد سلَّمت كتابي للسيّد جان اوزوبو من اقارب النائب الملكي في صقلّية ومن اعزّ اصدقاء رهبانيَّتنا . فأحسنوا وفادتهُ حبًّا بالرب الذي نطلب من مراحمهِ ان يصون حياتهُ لمجدهِ

الحقير لَيْنس
ابن حضرتك بالرب

ثمَّ اهتمَّ الاب لَيْنس قبل رجوعهِ الى ايطالية باختيار كاهن فاضل يقوم بخدمة عسكر الاحتلال . فعيَّن لذلك راهباً من فرسان مالطة مع خمسة او ستَّة آخرين يساعدونهُ في وظيفتهِ واعطاهُ كل اللوازم لتقدمة الذبيحة الالهيَّة من حلى كنائسيَّة وآنية مقدَّسة

اما النائب الملكي فاقام ابنهُ السيّد القارو حاكمًا على البلد وعزَّزهُ بحامية عددها ١٥٠٠ جنديّ موَّنهم بذخائر حربيَّة كافية . وكان قصدهُ ان يعود بنفسهِ الى صقلّية

في ٢٥ ايلول لولا نوءٌ عظيم قلب البحر ظهرًا لبطن غرق بسببهِ سفينتان من الاسطول ٠ وكانت سفينة النائب الملكي عتيقة متداعية الالواح وعليها الاب لينس فضايقتهــا الامواج حتّى أيس الجميع من خلاصها وتمكّن النائب ان ينزل الى البرّ ودعا اليسوعيّ الى مرافقتهِ لينجو بنفسهِ فأبى لئلّا يهجر الجند في خطرهم فمنَّ الله عليهم بالنجاة بنعمة خاصّة نسبها الجميع الى قداسة الاب لينس وبركتهِ

ثمَّ هدأ البحر وأَمخر الاسطول الى صقلّية في ٥ تشرين الاوَّل وارسي في مدينة تريپاني حيث التفَّ الجنود حول الاب لينس قبل وداعهِ وشكروهُ على عميم فضلهِ نحوهم وطلبوا بركتهُ كبركة احد اولياء اللهِ وملائكتهِ المنظورين٠ ثم بادر النائب جان دي ڤيغا وارسل الى الحبر الاعظم الرسالة الاتية في تاريخ ١٨ من الشهر :

## ايُّها الاب الاقدس

انَّ حضرة الاب الاستاذ لَينس الذي رافقنا باذن رئيسه في حربنا الافريقيَّة المنتهية بالظفر قد اظهر طول مدَّة هذه الرحلة غيرةً لا توصف وقام بكل ضروب الاعمال الخيريَّة . ولكونهِ ذاهبًا الى رومية فقد كلّفتهُ بان ينوب عني بتقبيل أقدام قداستكم ويفاوضكم في بعض الشؤون الآئلة الى خدمتهِ تعالى وخير حاميتنا في افريقية . فأملي انَّ قداستكم تصدّقون على ملتمسي كما تنازلتم وقبلتم دعوتي في امر اليوبيل الذي اتى بأغزر الثار من التقى والصلاح . فليحفظ الرب قداستكم سنين طويلة لتدبير الكنيسة الجامعة

فصار للاب لينس عند بلوغهِ الى رومية ابهج استقبال واثنى الحبر الاعظم على خدمهِ المتعدّدة للكنيسة واعادهُ الى المجمع التريدنتيني لينوب عنهُ بصفة لاهوتيّهٍ كما كان سابقًا٠ وما لبث بعد قليل ان خلف القديس اغناطيوس في رئاستهِ العــامَّة على الرهبانيّة اليسوعيّة وتوفي في رومية سنة ١٥٦٥

---

# سلطانٌ يسوعيٌّ : المولى محمَّد العبَّاس

للمرحوم الاب لويس شرل اليسوعيّ

هو فصلٌ آخر من الكتاب السابق للاب شرل اليسوعيّ (ص ٩٧-١٠٧) . امَّا السلطان المذكور فقد اشرنا اليهِ في المشرق (١٣ [١٩١٠] : ٥٤٩) في ردّنا على جريدة العرب

انَّ لله عجائب في تغيير قلوب الانام من شأنها مرارًا ان تحيّر الحكمة البشريَّة . وقد لاحت عنايتهُ تعالى في ارتداد لحد سلاطين مراكش فهداهُ بطرائق سرّيَّة الى الدين النصرانيّ ثمَّ ادخلهُ في حِجْر الرهبانيَّة اليسوعيَّة . وقد وقع ذلك في السنة ١٦٥٥ في شخص المولى محمَّد العبَّاس ابن ووليّ عهد سلطان فاس المولى عبد الملك (١

وُلد محمَّد العبَّاس سنة ١٦٣١ وكانت امُّهُ نصرانيَّة اسبانيَّة فنشأ الولد ذكيّ الفؤاد ثاقب العقل أعرب بعد زمن قليل عن مناقب جليلة وحُنكة في الآداب الحربيَّة ثمَّ اقترن بالزواج وولد لهُ ابن اسمهُ احمد وصار نائباً لعمهِ السلطان محمَّد الشيخ المعروف بالاصغر (٢ الذي كان يستشيرهُ في كلّ اموره ويفضل رأيهُ على سواهُ في الحرب والسِلْم . وقد ظهرت شهامتهُ وحسن مراسهِ في محاربة اثنين من قوّاد الدولة شقّا عصا الطاعة للسلطان فظفر بهما الواحد بعد الآخر وألجأهما الى الخضوع لمولاهما . وشكرًا لنعمتهِ تعالى على انتصاره في هاتين الحملتين عوَّل على الحجّ الى مكَّة ليفي بما فُرض من ذلك الواجب على كلّ مسلم غيور . وانما نعمة الله كانت تترقَّبهُ في سفرتهِ هذهِ

خرج محمَّد العبَّاس من فاس بصحبة بعض الموالي وباشر سفرهُ متنكرًا كاحد اعيان وطنهِ وأبحر اوَّلًا الى تونس حيث استقبلهُ ملكها الباي بمزيد الاكرام لأنَّهُ كان محالفًا للسلطان . ثمَّ ركب سفينة شراعيَّة انكليزيَّة اجرت من تونس وذلك بمشورة الباي الذي وجدها مجهَّزةً بادوات الحرب وناشرةً لواء دولةٍ مسالمة لجميع الدول النصرانيَّة فظنَّ انّ لا خوف عليها من عدوّ في طريقها

فما كادت السفينة تخوض البحر اذ أبصر بها اسطولُ فرسان مالطة فامروا رئيسها بالوقوف لتفتيشها رسميًّا وتهدّدوا بضربها ان لم يخنع الى الامر . فلم يَرَ بُدًّا من الخضوع فبعد التفتيش اوقفوا المولى العبَّاس واخذوهُ اسيرًا الى مالطة

---

١) . تولَّى ابوهُ السلطان ابو مروان عبد الملك بن زيدان الملك على فاس سنة ١٠٣٧ هـ وقتلهُ اخوهُ

٢) هو ابو عبدالله محمَّد الثالث الشيخ ابن زيدان سلطان فاس ملك بعد ان قُتل اخوهُ الوليد على مراكش في ١٥ رمضان ١٠٤٥ هـ الى السنة ١٠٦٤ وقيل ١٠٦٣ (١٦٣٥-١٦٥٤م) وكان الحقّ بالملك بعدهُ لابن اخيهِ محمَّد العبَّاس

فلمَّا وقع نظر رئيس الفرسان على الاسير عرف لوقتهِ انهُ من اعيان وطنهِ بل استدلَّ من بعض اللوائح انهُ من قرابة سلطان مرَّاكش ومن ثمَّ طلب منهُ مبلغاً وافرًا يفدي بهِ نفسهُ فبلغ الامر باي تونس فاسرع وجمع ٤٠٠٠٠ ريال لفكّ إساره على انَّ ذلك لم يتمَّ الَّا بعد ثمانية اشهر لقي الاسير في مدَّتها من حسن المعاملة والانس ما قرَّبهُ الى النصرانيَّة ودَرْس عقائدها ومعارضتها على دينهِ حتَّى قنع بصحَّتها ولم يشأ بعد افتدائهِ من الاسر ان يعود الى وطنهِ بل اعلن في ١٢ حزيران من السنة ١٦٥٦ انهُ يريد ان يتنصَّر . فامتحن الفرسانُ صدق نيَّتهِ وثباتهُ وزادوهُ معرفةً بالدين المسيحيّ مدَّة اربعين يوماً . ولمَّا وجدوهُ مصمِّماً على قصدهِ عيَّنوا لعمادهِ آخر يوم من تمُّوز

فلمَّا كان موعد تنصُّرهِ اخذ لـهُ كفيلًا امير فرسان مالطة الكومندور بلتزار مَندِس واراد ان يسمَّى باسمهِ مضيفاً اليهِ اسم لويولا لوقوع عيد القديس اغناطيوس دي لويولا منشئ الرهبانيَّة اليسوعيَّة في ذلك اليوم . ثمَّ تنزَّل عن حقّ الملك على فاس لابنهِ احمد (١) وعُرف مذ ذاك باسم بلتزار لويولا مندس

واوَّل ما فكَّر فيهِ بعد تنصُّرهِ ان يزهد بالدنيا ويعيش ناسكاً في بعض البراريّ كرهبان الصعيد ثمَّ اوحى اليهِ الله بان يخصَّ نفسهُ لخدمة النفوس ولاسيَّما لخلاص اهل وطنهِ فعزم لذلك على درس العلوم الدينيَّة . فقصد رومية العظمى وبعد مدَّة طلب الانضواء الى الرهبانيَّة اليسوعيَّة . لكنَّ الرؤساء قبل التلبية الى ملتمسهِ اوعزوا اليهِ بدرس اللغة اللاتينيَّة مدَّة ثلث سنين وارسلوا احد رهبانهم من مدينة مالقة الى فاس ليتَّخذ سرًّا كلّ المعلومات عن المولى الشريف . فأدَّى بهِ بحثهُ الى صحَّة نسبهِ الى السلاطين وشهد على ذلك بعض تجَّار النصارى ورهبانهم في فاس مثبتين شهادتهم بالقسم مؤكّدين انَّ بلتزار لويولا مندس هو حقيقة ابن سلطان فاس عبد الملك بن زيدان

فلم يبقَ لرؤساء الرهبانيَّة اليسوعيّة شكٌّ في صدق الشريف المتنصِّر فقبلوهُ بين

(١) أنَّ الذي ملك بعد السلطان محمَّد الشيخ بن زيدان على فاس هو احمد الثاني ابو عبَّاس ابن عمّهِ من السنة ١٠٦٥ الى ١٠٦٩ هـ (١٦٥٥–١٦٥٨) لكنَّ اخوالهُ راموا الاستبداد بهِ ثمَّ قتلوهُ وبايعوا الامير عبد الكريم الشباني . وبأحمد هذا انقرضت دولة السعديين من آل زيدان في مرَّاكش

رهبانهم وبعد امتحانهِ كطالبٍ ثمَّ انقطاعهِ الى درس اللاهوت النظري والادبي ساموهُ كاهناً. وكان في ذلك الوقت في لومانات (اي كورك) مدينتَيْ جنوة ونابولي وعلى السفن الراسية في مرافئ ايطالية عدَّة اسرى حرب من المسلمين فوكلوا الى الاب بلتزار ان يرشدهم. فباشر بالعمل بغيرة وايثار عجيبين وتفانى بخدمة اولئك المنكوبين فربحهم لدين المسيح وصبغ منهم بمياه المعمودية نيفاً والفين. وارسل الى احد علماء فاس وطلبهُ الى جنوة وهناك اوضح لهُ صحَّة الدين المسيحي بأدلَّة قاطعة دفعتهُ الى طلب التنصُّر فارسلهُ الاب بلتزار الى فلورنسة حيث حظي بنعمة العماد

على انَّ هذه الارتدادات اثارت على الاب مندس غضب بعض المسلمين المتعصبين في جنوة فأقسم الواحد منهم بان يسقيهُ السمّ او يُفقدهُ عقلهُ. فقدَّم لهُ طاقةً من الزهور كان غمسها في محلول مسموم وتلا عليها اقوالاً سحريَّة. فوقف الاب على نيَّتهِ وقال لهُ: اني عالمٌ بانك تريد ان تقتلني او تُفقدني الرشاد. وها انا استنشق هذه الزهور وروائحها السامَّة ولكن على شرط ان تتنصَّر ان لم اشعر بأذىً. ثم اخذها من يدهِ وشرع يستنشق بكل هدوٍ عبيرها ساعةً. فلمَّا رأى ذلك الاثيم انَّ الاب بلتزار لم يلحق بهِ ضرر من سمّهِ وسحرهِ خرَّ على قدميهِ وطلب منهُ السماح عن فعلهِ وتنصَّر بعد زمن قليل

ومع وفرة الاشغال التي كان الاب بلتزار مندس مرتبكاً بها في خدمة مواطنيهِ استصوب تأليف كتاب يبيّن فيهِ لاهل دينهِ صحَّة التعاليم المسيحيَّة ويفند مزاعمهم الباطلة في حقّهِ وكان أَلَّف قبل تنصُّرهُ عدَّة تآليف. ثمَّ انشأ جمعيَّة من وجوه مدينة جنوة ليقوموا في صوالح المتنصرين حديثاً

وبقي الاب المذكور يعلّمهم ويرشدهم ويؤدي لهم كلّ الخدم حتَّى انتدبهُ رؤساؤهُ الى مهمَّة اعظم واوسع نطاقاً. فتقدَّم اليهِ الرؤساء في تموز من السنة ١٦٦٧ ان يستعدَّ للسفر الى الهند ليبشر بالايمان المشركين من اهل تلك الجهات وكان اذ ذاك عمرهُ ٣٦ سنةً. وكان كبير القامة حسن البنية ناصع اللون جميل المنظر ذا عقل ثاقب راضي الطباع دمث الاخلاق كثير الانس واللطف. وكان ينبغي عليهِ ان يذهب اوَّلاً الى مدينة لسبونة عاصمة البرتغال ليركب هناك البحر الى الاقطار الهنديَّة فسافر من جنوة ورافقهُ احد الخدَّام ليقوم بحاجاتهِ في هذا السفر الطويل الشاقّ

ويُعنى بمركوبهِ

لمّا وصل الى مدينة أَرْل حظي فيها بمشاهدة الامير الكومندور مندس الذي كان وقع في اسرهِ واعتمد بوكالتهِ وتسمّى باسمهِ فسُرَّ الامير بنظر الاب ايَّ سرور واعترف اليهِ بذنوبهِ اعترافاً عاماً والحَّ عليهِ ان يأخذهُ معهُ الى الهند ليرافقهُ في رسالتهِ

وخرج اهل بيزيه (Béziers) لملاقاتهِ فاستقبلوهُ برونق عظيم وكلّ تجلّة واكرام . ولقي هناك بعضاً من جالية الفرنسويين الذين سكنوا في فاس منهم احد المصوّرين كان رسم صورتهُ في وطنهِ ومنهم ايضاً احد الرهبان الدومنيكان . وكان اهل المدينة يتقاطرون الى منزلهِ ليشاهدوهُ ويسمعوا حديثهُ . وزارهُ رئيس الآباء الدومنيكان مع سبعة من رهبانهِ وخطب مثنياً على فضائلهِ وهو لا يناديهِ الّا باسم «جلالة السلطان» وكذلك اتى ليزوره الرهبان الاوغسطينيُّون والفرنسيسيُّون فقدَّموا لهُ فرائض الاكرام . ومثلهم فعل اعيان البلد واميرا فرسان مالطة دي كَسْتِلْمانه ودي كالو (de Castelmanet et de Calaux) اللذان كانا تمتَّعا بمواجهتهِ في مالطة اذ كان اسيرًا وكانوا جميعاً يجلّونهُ ويوقّرونهُ . وتوفّق احد المصوّرين البارعين الى رسم صورتهِ على غير علمهِ . وهذه الصورة اليوم في بيت أُسرة سُون (Saune) الشريفة

وهكذا ايضاً خفَّ لاستقبالهِ اهل طولوز بغاية الأُبهة . ودعاهُ رئيس الآباء اليسوعيين الى اقامة قدّاسٍ صادح في يوم عيد القديس يعقوب الرسول حضرهُ كافّة الرهبان وكثيرون من اشراف البلد فتناولوا القربان من يدهِ . وفي الغد دعاهُ رئيس اساقفة المدينة الى مائدتهِ وزارهُ الحاكم واخصّ الاعيان . وطلب اليهِ المسيو دي سان بابول احد اماثل البلد مع فرسان مالطة ان يقيم الذبيحة المقدّسة في معابد الجمعيَّات الرهبانيَّة . وكان الاب يجيب الى ملتمس الجميع بكل سذاجة ولطف اجتذب بهما قلوب العموم . وكان الناس يرون في هيبتهِ ورزانتهِ صورة العظمة الشرقيّة

على انَّ اتعاب هذا السفر الطويل الذي تجشَّمهُ في ابَّان القيظ اثَّرت في صحَّتهِ تأثيرًا سيئاً . فلمّا وصل الى مدريد اهتزَّ البلد طرباً لوصولهِ لكنهُ بعد يومين اضطرَّ الى ملازمة الفراش لحمَّى شديدة أَضنَتْهُ ونهكتهُ . فدُعي اربعة من اشهر الاطبَّاء لمعالجتهِ فلم يألوا جهدًا في خدمتهِ لكنهم تحقَّقوا بعد قليل انَّ مرضهُ عَياء لا شفاء لهُ . فعرف الاب حالهُ واستعدَّ لآخرتهِ بكل تقى . وقد اسعدهُ الحظ قبل موتهِ ان

يربح نفساً ضالَّة من مواطنيهِ المهاجرين الى اسبانية

وذلك انَّ احد اطبَّائهِ كان في خدمتهِ شابٌّ مسلم عمرهُ سبع عشرة سنة واصلهُ من مملكة فاس. وكان الطبيب سعى في هدايتهِ الى النصرانيَّة فخاب سعيهُ. فذكرهُ للاب بلتزار وهو على وشك النزاع فقال لهُ المريض: هلمَّ بهِ اليَّ. فلمَّا دخل عليهِ استقبلهُ بكل وداد وبشرٍ باسم وكلَّمهُ بالعربيَّة بلطفٍ وبغاية الانعطاف. وكان الحضور لا يدركون معنى كلامهِ الَّا انَّهم بعد ساعة رأوا ذلك الشاب يذرف الدموع السخينة ويقبّل الصليب الذي كان في يد المريض ثمَّ طلب العماد وهكذا ربح الاب مندس تلك النفس قبل وفاتهِ للدين المستقيم. ثمَّ حاول الاب ان يصلّي الى خالقهِ صلاته الاخيرة قبل ان يجود بنفسهِ فلفظ صارخاً مع سمعان الشيخ: « اطلق يا ربَّ عبدك بسلام » فما اتمَّها حتَّى اسلم روحهُ لبارئهِ وذلك في ١٥ ايلول سنة ١٦٦٧

فلمَّا شاع الخبر في المدينة عمَّ الاسف اهلها لهذا المصاب الاليم. وامرت ملكة اسبانية التي كانت سبقت الجميع لواجبهِ عند وصولهِ بان يُحتفل بجنازتهِ احتفال الملوك. فحضر هذه الحفلة جمهور غفير يتقدّمهم كل ارباب الدولة فخطب فيهم احد الآباء اليسوعيين ووفَّى المرحوم الكريم حقَّهُ من الثناء. وبهذه الميتة الصالحة مجَّد الله ذاك العبد الامين الذي اتَّضع حبًّا بهِ. وكان الامل الوطيد انَّ رسالتهُ في انحاء الهند ستأتي عن يدهِ بالثمار الشهيَّة لخلاص اولئك المتسكعين في ظلام الموت فاكتفى الله بحسن نيَّة عبدهِ الذي كان يشتهي ان يهرق دمهُ في خدمتهم فاسرع الى جزائهِ في اخدار ملكوتهِ

وقد كتب ترجمة حياتهِ الاب اغناطيوس دي ڤيو اليسوعي سنة ١٧١٤. وجمع الاب دانيال بروناشي عدَّة كتابات ومعلومات عن تاريخهِ في مجلَّدين. وصنَّف بعضهم روايةً في ارتدادهِ شخَّصوها مرارًا على المسارح



# ألنصرانيَّة وآدابها
# بين
# عرب الجاهليَّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

## العلوم والصنائع بين نصارى العرب (تابع)

وممَّا يدلّ على اتّساع فنّ الحِدادة بين نصارى العرب وَفرة اسلحة ملوك الحيرة. فقد ذكر ابو الفرج في الاغاني (٢٠: ١٣٢) انَّ النعمان بن المنذر لمَّا خاف كسرى وحاول الفرار من وجهِ استودع مالهُ هانئَ بن مسعود الشيباني وكان في جملة وديعتهِ «الف شكَّة ويقال اربعة آلاف شكَّة. والشكَّة السلاح كلُّه». وكان للنعمان بن المنذر كتائب مدجَّجة بالاسلحة الحيريَّة اخصّها كتيبتاهُ الشهباء والدَّوسر. وقد ذكر ابن خلدون في تاريخهِ (٢: ١٨٠): «الباهوت مَسلحة كسرى في الحيرة»

وكانت في بُصرى ايضاً في حوران مصانع اسلحة مشهورة. قال الحصين بن الحُمام يذكر عمرو بن هند ملك الحيرة المعروف بالمحرّق (شرح المفضَّليات ص ١٠٨ éd. Lyall):

عليهنَّ فتيانٌ كساهُمْ محرّقٌ وكان اذا يكسو أجاد وأكرما
صفائحَ بُصرى أخلصَتْها قيونُها ومُطَّردًا من نَسْجِ داوودَ مُبْهما
يهزُّون سُمْرًا من رماحِ رُدَيْنةٍ اذا حُرِّكت بَضَّت عَواملُها دَما

وكانوا يطبعون اسلحتهم ويرسمون عليها النقوش والتماثيل فكان على سيف الحارث بن ظالم صورة حيَّتين وانشد (شرح المفضَّليَّات ص ٦١٦):

علَوْتُ بذي الحيَّات مَفْرِقَ رأسهِ وهل يَركبُ المكروهَ الَّا الاكارِمُ

اراد بذي الحيَّات سيفهُ لِما كان عليهِ من تمثال الحيَّات. وذكر الآخر سيفاً عليهِ صورة سمكة فعُرف بذي النون:

ويُخبِرهُ مكانُ النُّونِ منّي   وما اعطِيَتهُ عَرَقَ الخِلَالِ

﴿التجارة﴾ قد اشتهر العرب منذ القديم بالتجارة كما ورد ذلك في سفر التكوين (٣٧ : ٢٥) في قصّة يوسف الحسن الذي باعهُ اخوتهُ للاسمعيليين المنحدرين بتجارتهم الى مصر . على انَّ هذه التجارة راجت اسواقها بعد المسيح بهمَّة الامم النصرانيَّة المجاورة للعرب لاسيَّما الرومان والحبش . وقد سبق لنا (ص٥٧) ذكر الوفد الذي ارسلهُ الى الحميريين الملك قسطنسيوس ابن قسطنطين الكبير لعقد معاهدة تجاريَّة مع ملكهم . وذكرنا هناك ايضاً ما ورد في الدستور التيودوسيّ لثاودوسيوس الكبير بخصوص متاجرة الرومان والحبشة مع العرب

وقد اشتهر نصارى الحيرة بالتجارة . وقد ذكر ابو الفرج الاصبهاني (الاغاني ٢٠ : ١٣٤) لَطِيمتهم قال : «وهي عِيرٌ كانت تخرج من العراق فيها البزّ والعطر والالطاف يرسلونها الى اليمن» . وقال في التاج (٩ : ٦٠) : «اللَّطيمة وعاء المسك او سوقهُ وقيل كلّ سوق يُجلَب اليها غير ما يؤكل من حرّ الطيب والمتاع غير المِيرة»

وكانت قريش في الجاهليَّة ترتزق بالتجارة وربَّما رحلوا الى الحيرة . وقد ذكر في الاغاني (٨ : ٤٨–٤٩) خروج مسافر بن ابي عمرو بن اميَّة من سادة قُريش وابي سفيان بن حرب الى الحيرة لامورهم التجاريَّة . وقال الثعالبيّ في لطائف المعارف (éd. de Jong, ص ٧–٨) ان هاشماً وهو عمرو بن عبد مناف كان « اوّل من سنَّ الرحلتين في التجارة رحلة الشتاء والصيف وهو اوَّل من خرج الى الشام من قُريش ووفد على الملوك وأَبعد في السَّفر ومرّ بالاعداء واخذ منهم الإيلاف الذي ذكرهُ الله تعالى » يُشير الى سورة قُريش (١٠٦ : ١ – ٢) حيث يقول : «لإيلاف قُريْش إيلافِهم رِحْلةَ الشتاء والصيف» . قالوا الايلاف العهد والذمام قال الفيروزابادي : الإيلاف شبه الاجازة بالخفارة واوَّل من اخذها هاشم من ملك الشام » . وورد في تفاسير القرآن انَّ اصحاب الايلاف كانوا اربعة اخوة وهم بنو عبد مناف اولهم هاشم وكان يؤالف ملك الشام باع منهُ خيلًا فسمح لهُ ان يتاجر في الشام . والثاني عبد شمس وكان يؤالف الى الحبشة . والثالث المطَّلب وكان يرحل الى اليمن . والرابع نوفل وكان يرحل الى فارس وكان هؤلاء يسمَّون المتَّجرين . وفيهم قال الشاعر :

يا ايُّها الرجلُ المحوّلُ رحلهُ   هلَّا نزلتَ بآلِ عبد منافِ

الآخذون العهدَ من آفاقها والراحلون لرِحْلةِ الايلافِ
والرائشون وليس يوجد رائش والقائلون هلمَّ للأَضيافِ
والخالطون غنيَّهم بفقيرهم حتَّى يصير غنيُّهم كالكافي

وقال الثعالبي في ثمار القلوب (ص٩): «انَّ قريش زهدوا في الغصوب فلم يبقَ لهم مكسبةٌ سوى التجارة فضربوا في البلاد الى قيصر بالروم والنجاشي بالحبشة والمقوقس بمصر وصاروا باجمعهم تجارًا خلطاء.» وقال في الاغاني (٨: ٥٢): «وكانت ارض الحبشة لقريش متجرًا». وذكر هناك عمارة بن الوليد المخزوميّ وعمرو بن العاصي بن وائل السهميّ وخروجهما الى النجاشي في الجاهليَّة للاتّجار

وكان للعرب عدَّة اسواق يجتمعون فيها للمقايضات وضروب المبايعات قد ذكرها في المشرق (١ [١٨٩٨] : ٨٦٧) جناب الاديب محمود شكري افندي الالوسيّ. وكان معظم هذه الاسواق في جهات الجزيرة العربيَّة التي يغلب فيها عدد النصارى في الجاهليَّة واكثرهم من الحضَر يرتزقون بالتجارة كأَسواق البحرين في عمان وهَجَر والمشقَّر وصُحار وكأسواق حَضرَمَوت والشِّحرْ وكأسواق اليمن مثل سوق صنعاء وكسوق دَوْمة الجندل وكسوق عُكاظ في الحجاز التي كان يقوم فيها قسّ بن ساعدة واعظًا وخطيباً مصقعاً

وممَّا لم يذكرهُ هناك من الاسواق العربيَّـة النصرانيَّة سوق الحيرة وقد ذكرهُ ابو الفرج في الاغاني قال (١٦ : ٩٩) قال: «وكان بالحيرة سوقٌ يجتمع اليهِ الناس كلّ سنةٍ» وروى هناك خروج الحكم بن ابي العاصي اليهِ ومعهُ عطرٌ يريد بيعهُ واخذ حسَّان بن جَبلَة الخير على نفسهِ ان يقدّم للقوم «كلَّ خمرٍ او لحم او طعامٍ ما اقاموا في سوق الحيرة». وقصد حاتم الطائي هذه السوق ايضاً واظهر فيها شيئاً من كرمهِ الذي ضُرب بهِ المثل بنحرهِ الجزور وإطعام الناس

وما لا يُنكر انَّ اهل اليمن وعمان والبحرين وهَجَر والحيرة كانت تجارتهم واسعةً رابحة ومعائشهم رغدة والخصبُ والرخاء غالبين على اطرافهم مع ما فيها من وفرة الغلّات والذخائر وصنوف المعادن والارفاق بخلاف عرب نجد والحجاز فكانت بلادهم مجدبة قاحلة كثيرة الرمال والصحارى. وقد جاء في سيرة نبيّ الاسلام انهُ تعاطى التجارة في شبابهِ استأجرتهُ خديجة بنت خويلد في مالها فكان يخرج بهِ الى

الشام تاجرًا فرأى اهلها النصارى ودخل صوامع رهبانها وكان محظوظًا في تجارتهِ فدعا ذلك خديجة الى ان تقترن بهِ

وكما كان العرب يخرجون الى بلاد النصارى المجاورة لبلادهم كذلك كان النصارى يقدمون الى الحجاز ويبيعون اهلها محصولات اوطانهم . ولنا على ذلك عدَّة شواهد . منها «موقف النصارى» في مكَّة قال في التاج في مادَّة حسر(٣: ١٤٠) : «بطن مَحْسر وادٍ قرب مزدلفة بين عرَفات ومِنَى . وفي كتب المناسك هو وادي النار لانهُ موقف النصارى . وانشد عُمر رض حين افاض من عرَفة الى مزدلفة وكان في بطن مَحسر :

اليكَ يعدو قلقًا وضينا مخالفًا دين النصارى دينا»

وكذلك «مقبرة النصارى» في مكَّة ايضًا ذكرها الازرقي في اخبار مكَّة (ص ٥٠١) وقال انها دُبر المقلع اي الجبل الذي باسفل مكَّة على يمين الخارج الى المدينة على طريق بئر عنبسة

ومن سلع تجار النصارى في الجاهليَّة وبعدها الخمرُ كانوا يعصرونها ويبيعونها ويشربونها في مجالس الانس . وقد وصفها شاعرهم الاعشى بقولهِ :

وكأسٍ شربتُ على لذَّةٍ وأُخرى تداويتُ منها بها
ليعلمَ مَنْ لام انّي امرؤٌ اتيتُ المروءة من بابها

وقد اعتادوا عَصْر المدامة لدخولها في مشاعرهم الدينيَّة في القربان . كما مر سابقًا . وتغنَّوا في معانيها الرمزيَّة كما فعل ابن الفارض في ميميَّتهِ

وممَّا تاجر بهِ نصارى اليمن والعراق والبحرين الجواهر والحجارة الكريمة كالجَزْع والياقوتَ واللآلئ وقد اشتهر الجَزْع اليمانيّ وقد عُرف ايضًا بالخرز اليمانيّ (Conque de Vénus) وكان يتاجر بهِ اهل ظَفار فنُسب اليهم . قال المرقش الاصغر يصف ظعائن يقطَعْنَ القفار :

تحلَّيْنَ ياقوتًا وشَذْرًا وصيغةً وجَزْعًا ظَفاريًّا ودُرًّا تَوائمًا

وقد ذكر في الاغاني (١١ : ١٦٣) دَرْجًا لطلحة الطلحات كان فيه حجارة ياقوت ثمنُ كلّ حجرٍ منها يساوي اربعين الف درهم

وروى البكري في مُعجَم ما استعجم يصف ركوب ملك الحيرة الى دير اللجّ

(ص ٣٦٦) : « وكان النعمان يركبُ في كلّ احوالهِ وفي كلّ عيدٍ ومعهُ اهلُ بيتهِ خاصَّةً من آل المُنذِر مَن يُنادمُهُ عليهم حُلَلُ الديباج المذهَّبة وعلى رؤوسهم اكاليل الذهب وفي اوساطهم الزنانير المفضَّضة بالجوهر وبين ايديهم اعــلامٌ فوقها صُلبان الذهب فاذا قضَوْا صلاتهم انصرفوا الى مستشرفة على النجف »

امَّا اللآلئ والدُرر الثمينة فكان يغوص عليها اهل البحرين منذ زمن الجاهليَّة . قال النابغة الذبيانيّ :

او دُرَّةٍ صَدَفيَّــةٍ غوَّاصها بَهِــجٌ متى يَرَها يُهِلُّ ويَسْجُدِ

وقد احسن المسيَّب بن علَس في وصفهِ الغائص على اللآلئ وانتخابهِ الثمين بينها واستخراجها من البحر قــال (شعراء النصرانيَّة ٣٥٦ وخزانة الادب ١ : ٥٤٤)

كجُمانة البَحْريّ جاءَ بها غوَّاصُها من لجَّة البَحْرِ
صَــلْبُ الفؤادِ رئيسُ اربعةٍ متخــالفي الألــوان والنَّجْرِ
فتنــازعوا حــتَّى اذا اجتمعوا ألقَوا اليــهِ مقــالدَ الأمرِ
وعلَتْ بهم سَجْحاءُ خادمةٌ (١ تهوي بهم في لُــجَّةِ الــغَمرِ
حتَّى اذا مــا ســاءَ ظنُّهُمُ ومضى بهم شهرٌ الى شهــرِ
ألــقى مراسيَهُ بتَهْــلُكــةٍ ثبتَتْ مراسيها فــا تَجْري
فــانصبَّ أسقَفُ رأسهِ لَبِدٌ نُزعت رباً عينــاهُ للصبْرِ (٢
أشفى يَمُــجُّ الزيتَ (٣ ملتمسٌ ظمــآنُ مــلتهبٌ من القَفْرِ
قَتلتْ ابــاهُ فقــال أتبعُهُ أو استفيدَ رغيبَةَ الدهرِ (٤
نصفَ النهار المــاءُ غامِرُهُ وشريكُهُ بالغَيْبِ مــا يدري
فــاصاب مُنْيَتَهُ فجاءَ بها صــدفيَّةً كمُضيئةِ الــجَمْرِ
يُعطَى بهــا ثمَنــاً فيمنعُها ويقول صــاحبُهُ ألا تشري
وترى الصواري (٥ يسجدون لها ويضمُّها بيــديــهِ لــلنَّحْرِ
فَلَتــلــك شبهُ المــالكيَّــةُ اذ طلعت ببهجتها من الخِدْرِ

(لهُ بقيَّة)

١) اراد بالسَّجْحاء السفينة الطويلة الظهر ٢) اي رمى بنفسهِ في البحر وغاص لإخراج الدُّرَر . والأسقفُ الطويل المنحني ليغوص . واللَّبِد اي المتلبّد ٣) اراد بالزيت الماء اي اشرَف يقذف الماء من فيهِ كعادة الغائص ٤) يريد انَّ ابا هذا الغائص هلك في تحصيل هذه الدرَّة غرقاً فقال ابنهُ اتبعهُ او انالها ٥) الصواري جمع صارٍ وهو الملّاح والبحري . ويُروى : الشواري جمع شارٍ اي المشتري . وسجودهم لفخر الدرَّة ونفاستها

# مطبوعات شرقيَّة جديدة

**J.Rouch.** MANUEL PRATIQUE DE MÉTÉOROLOGIE. 2[e] *éd.,Paris, Masson et* C[ie],8°, *p*.149, *Figures et Planches*

دستور عمليّ لعلم الحوادث الجوّية

مؤلف هذا الكتاب المسيو روش هو ملازم لاحدى المراكب الحربيَّة في البحريَّة الفرنسويَّة ورئيس نظارة الحوادث الجوّيَّة. وقد قام بهذا العمل الجليل في ايَّام الحرب فدوَّن تلك ظواهر الجوّ بكلّ دقَّة واستخلص من ملحوظاتهِ عدَّة فوائد جمعها في هذا الكتاب فجعلهُ دستورًا عمليًّا لذلك العلم الجليل. وقد أدَّت هذه المعلومات خدماً لا تُحصى للجيوش البرّيَّة والبحريَّة ولراكبي الطيَّارات. امَّا الطريقة التي كان يجري عليها لضبط حوادث الجوّ فبأن يُعدّد مراكزها في انحاء مختلفة لرصد الحوادث المذكورة من رطوبة او يبوسة من مطر او صحو من حرّ او برد من ثقل او خفَّة هواء فيجمع تلك المعلومات المتفرّقة في مركز واحد ويقابل بينها وينتزع من معارضة بعضها ببعض نواميس عموميَّة لمعرفة مستقبل مناخ الجوّ فيصحّ توسُّمهُ بها في الغالب وان لم يمكنهُ القطع بصحّتها لما يطرأ على الجوّ من الطوارئ غير المنتظرة والانواء الفاجئة. فهذا الكتاب يبحث بحثاً علمياً عن كلّ ذلك ويمهّد الطريق للاستدلال على حركات الجوّ والاستفادة منها للفلاحة والزراعة ومباشرة الاسفار وغير ذلك. فنمحض شكرنا للمؤلف ونحضّ قرَّاءنا على مطالعة كتابهِ الجليل المفيد للعلماء كما لعموم الناس ج. ل

**Paul Bureau.** L'INDISCIPLINE DES MŒURS. Paris, Bloud et Gay, 1920, in-8, pp. 608

خلاعة الآداب

انَّ انحطاط الآداب في عدَّة بلاد اوربيَّة قد دفع المسيو بورو الى تصنيف هذا الكتاب الذي يدلّ على انَّ كاتبهُ اجتماعيّ وفيلسوفٌ معاً وهو من اساتذة مكتب الحقوق والعلوم الاجتماعيَّة العليا في باريس. فانَّهُ اذ سرَّح البصر في حالة الهيئة الاجتماعيَّة في وطنهِ وغيرهِ من البلاد احسَّ بما مُنيت بهِ من التهتُّك والخلاعة وسوء

الآداب وانتهاك حرمة الزواج الشرعي فوصفها وصف الطبيب العارف بالداء وشقّها بشرط الجرَّاح النطاسي فبيّن انتشار ذلك الوباء العضال مقرّاً مع ذلك بفضل الذين جعلوا الادب دينهم ثمَّ انتقل الى وصف ما اتخذتهُ الدول من الوسائط لحسم ذلك الداء فأثبت قلّة فائدتها . ثمَّ اخذ بوصف الادوية الفعّالة لشفائهِ ألا وهي العفّة بين العزّاب ثمَّ الزواج الشرعي للعموم مع مراعاة قوانينهِ اي تفرُّد الزوجة ونفي الطلاق والحبّ المتبادل . وقد ختم بقولهِ انَّ الزواج كما تفرضهُ الكنيسة الكاثوليكيَّة والتعاليم الدينيَّة افضل طريقة لاصلاح الآداب . فنعمَ القول لرجل ادّت بهِ الحقيقة الى الاقرار بفضل الدين في اصلاح الهيئة الاجتماعيَّة ي . منجان

**Paul Schostakovsky**: Deux ans et demi au Pays des Bolcheviks. *Paris, Hemmerlé, Petit et Cie*, 1920, *in*-12. *pp.* 165

سنتان ونصف في بلاد البولشفيك

مؤلف هذا الكتاب احد ابناء روسيَّة كان غائباً عنها لمَّا أُعلن بالدستور وقُتل القيصر فعاد الى بلادهِ رجاءَ ان يتمتَّع فيها بالحرّيَّة بعد الحكم القيصري المُطلَق . لكنَّهُ ما كاد يربع بوطنهِ حتَّى رأى في الفتنة البولشفيكيَّة شدائد وفظائع انستهُ استبداد القياصرة فذاق من لينين ورفقتهِ ضروب المحن الى ان تمكَّن من الفرار في ليل دامس الظلمة كثير الانواء مع عائلتهِ ووصل الى فنلندة بعد اللتيَّا واللّتي ومنها الى ايطالية حيث بادر الى تأليف هذا الكتاب ليُطلع الدول المتحالفة على احوال البولشفيين وزعمائهم الذين اوقعوا روسيَّة في هاويةٍ لا نجاة لهم منها ما لم يَقُم بعض ذوي الشهامة فيخلّصها من براثنهم . وقد تتبَّع في الكتاب امورهم فرداً فرداً وكشف عن آثامهم التي لا يكاد يتصوَّرها من لم يعاينها ل . ش

Almanach Çatholique Français pour **1921**, Paris, Bloud et Gay, 1921, in-12. pp. 384, Prix. 6fs .50

## التقويم الكاثوليكي الفرنساوي

يظهر هذا التقويم منذ عدَّة سنين فأثبت صحَّة اسمهِ بما يتضمَّنهُ من المعلومات المفيدة العموميَّة والخصوصيَّة لجميع الكاثوليك الفرنسويين منها دينيَّة ومنها اهليَّة واقتصاديَّة ومنها ادبيَّة يحتاج اليها كلّ من يريد الوقوف على النظام الكاثوليكي

ومشروعاتهِ الفنّية ومدارسهِ ومكاتبهِ ومزاراتهِ وشركاتهِ في كلّ انحاء فرنسة. وهو يفيد اهل بلادنا ايضاً الذين يقصدون معرفة الحركة الدينيّة في الدولة المحبوبة المنتدبة الى الوصاة على سوريّة ويجلب نظرهم الى المشاريع الحسنة التي يمكن تشبُّه الشبيبة بها في هذه الاصقاع مع ما هناك من الاعلانات العديدة لاستحضار ما يحتاج اليهِ الاكليروس من الحلل الدينيّة والعلمانيّون من اجناس المصنوعات الفرنساويّة ل. ش

ALMANACH DES FAMILLES CHRÉTIENNES pour **1921**. Einsiedeln, Suisse, Benziger et Cie, in-4. pp. 73

## تقويم العيال المسيحيّة

يمتاز هذا التقويم المطبوع في سويسرة بحسن طبعهِ ونقوشهِ وتصاويرهِ ومضامينهِ الجامعة بين اللذّة والافادة. وهو مطابق لاسمهِ اذ تجد فيهِ العيال المسيحيّة ما تشتهيهِ من المعلومات الدينيّة والاهليّة معاً

**A. Got:** LA CONTRE-RÉVOLUTION ALLEMANDE. in-8°, pp. XII-210, = L'ALLEMAGNE A L'ŒUVRE, in-8°, pp. XIV-296, Impr. Strasbourgeoise, Strasbourg, 1920

مناهضة الثورة في المانية — المانية في العمل

المسيو غوت اخذ على نفسهِ تعريف احوال المانية الجديدة لاهل فرنسة. وقد سبق لنا وصف كتابهِ المعنون «المانية بعد غلبتها» (المشرق ١٧ [١٩٢٠]: ٥٥٣) وها هوذا بكتابين آخرين يواصل فيهما دروسهُ عن المانية المستجدّة. ففي الاوّل يصف نهضة المانية بعد كبوتها وانتصار الحلفاء عليها فانّها بعد سقوط الامبراطور غليوم خيف عليها من اهل الثورة فتوالت عليها حوادث مهمّة كادت تجعلها طعمةً لاهل الفوضى. لكنّها لحسن الحظّ لم يُصِبها ما اصاب فرنسة بعد الثورة العظمى ولم تسقط مثلها في ايدي رجالٍ اشرار كدانتون ومورا وروبسپيار وذلك ما مكّنها من تجديد قواها واستئناف عملها. وقد خصّ الكاتب بهذا العمل الالماني تأليفاً آخر وهو الثالث من قلمهِ وصف فيهِ المشاريع الالمانيّة لاسيّما الاقتصاديّة التي تسوّل لها دفع غرامتها الحربيّة ووفاء ديونها الباهظة. على انّ ذلك يحتاج الى مساعدة الحلفاء وتموينهم ايّاها

بالموادّ الاوَّلية لتستخرج ما لديها من الكنوز الماليّة الغنيَّة بها تربتها لاسيّما الحديد والفحم. وفي فصول هذين الكتابين بعض الخلل في السياق فانهُ كان افضل ان يقدّم الكاتب الحوادث التاريخيَّة متَّسقةً ويدع تراجم بعض الرجال على حدةٍ ج. ل

**Pensées choisies des Rois de France** recueillies et annotées par G. Boissy, *Paris, Grasset, in*-12, *Prix* 7fs .50

نخبة من افكار ملوك فرنسة

من يطَّلع على بعض تواريخ فرنسة التي يكتبها قومٌ من ذوي الغايات المتهوّسين يظنّ انَّ ملوك فرنسة كانوا يضحُّون اوطانهم لاغراضهم الشخصيَّة لا يهتمُّون برعاياهم وبالخير العامّ. فذلك والحقيقة على طرفي نقيض يفنّده هذا المجموع الممتّع وفيهِ شاهد على كلّ عواطف ملوك فرنسة الشريفة وماكان يخطر على بالهم من الافكار السامية والمملوءة حناناً نحو شعوبهم. واللسانُ كما قال الربّ ينطق من ملء القلب. نعم انَّ القارئ لا يجد شيئاً من افكار ملوك فرنسة الاوَّلين وكانوا وقتئذٍ يُعنَون بانشاء دولتهم وتنظيمها والدفاع عنها. وربمــا نسي المؤرخون ان يدوّنوا اقوالهم. امّا اذا اعتبرنا ما نقلهُ هنا الجامع من اقوال القديس لويس التاسع وخلفائه ملكاً بعد ملك نجد في الفاظهم ما يدلُّ على انَّهم كانوا لشعبهم آباء اكثر منهم سادةً وانَّهم كانوا يتّخذون التعاليم الانجيليَّة كدستورهم في سياسة رعاياهم ولا يسعنا ان نورد هنا شيئاً من تلك الاقوال فنحيل القارئ الى مراجعة هذا الكتاب الذي نثني على همَّة صاحبهِ في جمعهِ وتنظيمهِ ونحضُّ طالبي الحقائق على مراجعتهِ الاب ي. منجان

*Chez* Jos. Paillart, *libraire-éditeur, Brd Raspail* 51, *Paris VI*: **I Un Capitaine de Cavalerie.** Jeanne d'Arc, la Sainte de la Patrie, 1920, in-12, p. 92, Prix 2fs,50=II **Yvon de St-Gouric.** Une âme aimante, s.d. in-16, p.79, Prix. 3fs.=III **Abbé Maurice Dubourg.** Sixième et Neuvième Commandements. Entretiens d'un Aumônier avec un soldat de la guerre, in-16. p. 84, 1920, Prix 2fs, 50

جان درك القديسة الوطنيَّة — نفسٌ لطيفة — محادثة مع جندي عن الوصيتين السادسة والتاسعة

هذه ثلثة كتب صغيرة اهدانا ايَّاها الطبَّاع يوسف بليار ويحقّ لهــا ان تزدان بها المكاتب. فالاوّل ترجمة حسنة للقديسة جــان درك بطل وطنها استمدّها كاتبها

العسكري الغُفل من التآليف العديدة التي نُشرت في هذه السنين الأخيرة بعد استخراج المكنونات الدفينة من سجلّات المكاتب من شأنها ان تحبّب تلك الفتاة العجيبة وتبعث في القلوب حبّ الوطن—والتأليف الثاني يصف نفساً مجروحة لما اصابها من آفات الحياة فتلقي عند قنوطها سلواناً ومرهماً لدى قلب حنون يرثي لاوجاعها ويضمّد بودادهِ جراحها. على انّنا كنّا وددنا ان تتوطّد تلك التعزية على دعائم الايمان الامكن والاثبت—امّا التأليف الثالث فهو للكاهن دوبورغ فهو يتألّف من رسائل كتبها في زمن الحرب لبعض الشبّان من اصحابهِ ليرشدهم الى العفاف عقلًا ونقلًا وهم معرّضون حينذاك لاخطار جمّة تفقدهم كنز برارتهم. فاحسن حضرتهُ بنشرها ليتّخذها شبان العصر دستورًا لحياتهم وترياقاً لادوائهم ج. ل

PATROLOGIA ORIENTALIS: LOGIA ET AGRAPHA DOMINI JESU APUD MOSLEMICOS. Collegit, vertit, notis instruxit **Michael Asin et Palacios.** 1, *Paris, Firmin-Didot, in*-4, *p.* 96

الاقوال المنسوبة الى السيّد المسيح في التآليف الاسلاميّة

انَّ من يقرأ تآليف المسلمين الادبيَّة والصوفيَّة يجد في اثنائها عدَّة حكم واقوال ينسبها اصحابُها الى السيّد المسيح منها ما هو مقتطف من الاناجيل المقدَّسة الصحيحة ومنها ما لا تجدهُ الّا في الاناجيل الزور التي سبق لنا عنها الكلام وبعضها ما لا يُعرف اصلهُ وكلُّها مرويّة «لعيسى او عن عيسى عليهِ السلام». وقد جمعنا نحن منها كثيرًا لعلّنا ننشرها يوماً. وقد سبقنا الى شيءٍ من ذلك حضرة الاستاذ الاسباني الشهير ميخائيل اسين پلاثيوس فنشر في مجموع الآباء الشرقيين للمنسنيور غرافين مئة من هذه الاقوال اقتطفها خصوصاً من كتاب احياء علوم الدين للغزالي ونقلها الى اللاتينيَّة وعلّق عليها الحواشي المفيدة. فاستحسنّا هذا العمل ونحن ننتظر تتمّتهُ لنزيد عليهِ ما لدينا من هذه المرويّات الغريبة ونبدي فيها رأينا ل. ش

**E. G. Ledos :** JOSEPH DENAIS, Écrivain et Journaliste angevin. *Angers, G. Grassin*, 1920, *in*-8. *pp*. 328

الكاتب الصحافي جوزف ديناي

بينما كان لويس ڤوليو يشرّف الصحافة بكتاباتهِ العجيبة في جريدة الاونيڤير



ويدافع عن كلّ الحقوق المهضومة اعدَّ الله في مدينة انجه في فرنسة صحافيًّا آخر نزل في ميدان الجهاد للذود عن حرمة الدين والآداب وهو يوسف ديناي المولود في بوفور سنة ١٨٥١ والمتوفى فيها في ٢٠ ت ١ سنة ١٩١٦ . فانّهُ مدَّة خمسين سنة لم ينقطع عن الكتابة والتأليف حتّى انَّ عدد مصنَّفاته بين طويلة وقصيرة في الجرائد وغيرها يبلغ ٣١٥٧ كتاباً او مقالًا قد جمع اسماءها المسيو ليدوس في هذه الترجمة البديعة التي بيَّن فيها فضل ذلك الانسان الفريد في سيرتهِ الصالحة وعلومهِ المتَّسعة ومعارفهِ الاثريَّة والفنيَّة وتآليفهِ الممتعة . وقد خصَّ المترجم شرقنا بكثير من كتاباتهِ لمَّا ساح في انحاء تركيَّة وزار الاستانة ودخل على عبد الحميد ولهُ في كلّ ذلك رسائل مفعمة بالملحوظات المصيبة ولهُ تأليف خاصّ في الفرمسونيَّة التركيَّة وفي عبد الحميد ومراد اخيه . وكان لم يبالِ بالامتيازات والاوسمة وقد اتتهُ مع ذلك على قدر ما كان يفرّ منها من كلّ الدول الاوربيَّة والجمعيَّات العلميَّة من جملتها وسام القديس غريغوريوس من قبل الحبر الاعظم لاون الثالث والنيشان العثماني المرصَّع من قبل عبد الحميد . وآخرُ ما فاه بهِ ان قال لزوجتهِ الكريمة ولاهلهِ : اياكم والبكاء عليَّ فانَّ الفراق قصير والاجتماع عند الله ابديّ

الاب ف . تورنبيز

ESSAI SUR LA LITTÉRATURE DES BERBÈRES. THESE PRINCIPALE POUR LE DOCTORAT ÈS LETTRES présentée à la Faculté des Lettres d'Alger par **Henri Basset,** *Alger, Bastide.-Jourdan*, 1920, *in*-8,*pp.* 446

نظر في آداب البربر

البربر قبائل عديدة وطنيَّة تسكن في شمالي افريقية ادخلها العرب في حكمهم لمَّا فتحوا الجزائر والمغرب والقسم الاكبر منهم اليوم تحكم عليهم الدولة الفرنسويَّة . ولهذه القبائل لغةٌ مستقلَّة ترتقي الى اللغة الليبيَّة والى العنصر الحاميّ القديم كاد يأخذها الضياع باختلاط اهلها بالعرب لكنَّ بعض ذوي الهمّة من العلماء والمرسلين اخذوا يدرسونها في القرن الماضي ويجمعون شتاتها . وقد سرَّنا انَّ المسيو هنري باسّه نجل العلَّامة رينه باسّه المستشرق الشهير ورئيس مكتب الجزائر العربيّ تفرَّغ لدرس هذه اللغة وجمع مآثرها فصنَّف هذا التأليف الواسع لتعريف خواصّها وبيان فرائدها والاختلافات الطارئة عليها في انحاء المغرب ثمَّ روى ما امكنهُ من مآثرها الباقية في

فنون الانشاء من امثال وروايات وقصص وفكاهات واغاني وانتزع منها فوائد تاريخيَّة ودينيَّة واجتماعيَّة . وقدَّم هذا التأليف الجليل لكليَّة الجزائر لينال بهِ شهادة الملفنة . فنهنئ المسيو هنري عن تصنيفهِ هذا ونؤمل لهُ رواجاً مستفيضاً ل . ش

## الدين والوطنيَّة

للمنسنيور باسيليوس موسى وكيل الاقباط الكاثوليك

طُبع بالمطبعة اليوسفيَّة في مصر سنة ١٩٢٠ (ص ٧٢)

انَّ النهضة الوطنيَّة التي قام بها المصريُّون بعد الحرب الكونيَّة لم تنحصر في دائرة السياسة بل تطرَّفت الى ان مسَّت حرمة الدين كأن الوطنيَّة تستدعي التساهل في المعتقدات فتُضحَّى على هيكل حبّ الوطن . وهو بئس الرأي حاول حضرة المنسنيور باسيليوس موسى احد متخرّجي كليَّتنا البيروتيَّة تزييفهُ في هذه المحاضرة فبيَّن عقلاً ونقلاً ما هي الوطنيَّة وكيف يوجب الدين محبَّة الوطن وذلك رغم الاختلافات الدينيَّة بين ابناء الوطن الواحد . ومن ثمَّ ليس من داعٍ يسوّغ التساهل الديني مراعاةً لحرمة الوطن بل هو التساهل الدينيّ الذي يدكُّ ركن الوطنيَّة الصادقة . فنهنئ حضرة الكاتب على ما افاد بهِ واجاد بحيث ازال من العقول رأياً فاسداً بل حجر عثرة تضرُّ الدين والوطنيَّة معاً ل . ش

## التعبئة في لعب الشطرنج

بقلم جبرائيل نصره المهندس

بالمطبعة المصريَّة الاهليَّة بالقاهرة (سنة ١٩٢٠ الجزء الاوَّل ص ١٨٤)

قد قيل في الشطرنج انَّهُ لعبُ الملوك وملكُ الالعاب لما يحتاج اليهِ من الخبرة والتروّي وترويض الاخلاق . وللاوربيين في الشطرنج عدَّة تآليف امَّا العرب فذكروهُ في كتبهم استطرادًا دون التوسُّع . فأحبَّ الاديب جبرئيل افندي نصره ان يسدَّ ذاك الخلل فوضع هذا الكتاب المطوَّل وجمع فيهِ ما امكنهُ من ضروب الالعاب واشكالها وحلّ رموزها . فلا شكَّ ان يُقبل عليهِ كلّ محبّ لعب الشطرنج فينهج لهم طرقاً جديدة للهجوم والدفاع في هذه الحرب الادبيَّة الجديرة بالنفوس الشريفة

# شذرات

﴿رسالة العصر الجديد﴾ هي الرسالة الرعائيَّة التي وجَّهها نيافة قاصدنا الرسولي السيد فريديانو جيانيني فضمَّنها نظرًا اجماليًّا على الطور الجديد الذي دخلت فيهِ الاوطان السوريَّة تحت وصاة فرنسة فاجال نيافتهُ نظرهُ السامي في حقيقتهِ الباطنة والظاهرة واستجلى معانيهُ وأزال كلَّ لَبْسٍ من شأنهِ ان يشوّهُ محاسنهُ وقد بيَّنَ خصوصاً ما للديانة فيهِ من القسط الوافي فلولاها ينقلب النور الى الظلام. وان كان للحكم المدني حقوقٌ لا تُنكر فان للسلطة الروحيَّة ايضاً حقوقها الراهنة ومن ثمَّ رشق بسهم الملام المتحاملين عليها والناقضين اركانها كالشيع الماسونيَّة والتعليم اللادينيّ. وقد اتَّسع نيافتهُ في بيان نعمة الدين الكاثوليكيّ الذي عليهِ مستند التمدُّن والهيئة الاجتماعيَّة واليهِ دعا الاخوة المنفصلين عنهُ الذين شقّوا بعد انفصالهم عن مركز الوحدة اذ الَّفوا كنائس جنسيَّة عقيمة. وتمنَّى لو يعود ابناء سوريَّة القدماء الذين دخلوا في مذهب عرب الحجاز الى دينهم السابق

﴿محفل صنّين﴾ بشّر مراسل جريدة الف باء البيروتي قرّاءها بان محفل صنّين الماسوني عوَّل على استئناف العمل بعد انقطاعهِ وذلك بهمَّة رئيسهِ فارس افندي مشرق. (قلنا) يا لها من بشرى تهتزّ لها معاطف ابناء الارملة. وانَّما نودّ لو افادنا الرئيس المذكور ما هو ذاك العمل الذي يريد استئنافهُ اعضاء محفل صنين أهو عمل خيريّ فندعو اليهِ كلّ محبّي الخير؟ او هو عمل ادبيّ ودينيّ فما احرى بنا ان نشاطرهُ العمل؟ او هو اجتماعي واقتصاديّ فكم تُسَرّ بهِ حكومتنا الجديدة التي تطلب لها مساعدين يؤازرونها في نهضة الوطن وحلّ إسارهِ من أزمة المعاش ووقوف الاحوال. وان كانت هذه نوايا محفل صنّين فما لهُ يسترها ويخصّ بها الماسون؟ او ليس احتجاب الماسون في محافلهم وإيصاد ابوابهم في وجه غيرهم دليلًا على انَّ عملهم هذا «غير نظيف» وانَّهم لا يعمدون الى الانزواء والاعتزال الَّا لغايات غير محمودة. قال الربّ في انجيلهِ الطاهر (٣ : ٢٠) : من يعمل السيّئات يُبغض النور ولا يُقبل الى النور لئلَّا تُفضح اعمالهُ

﴿رئيس الشرق الاعظم﴾ ورد في جرائد مصر خبر وصولهِ الى قطر النيل وفيها

انهُ ينوي زيارة القطر السوري · فهو ايضاً آتٍ بلا شكّ «الى العمل» اقرأ الى الاشتغال بالسياسة ومناصرة المبادئ اللادينيَّة التي يجاهر بها المنتمون الى الجمعيات السرّيَّة · فعلى الكاثوليك بل على كلّ محبي النظام والآداب ان يجعلوا سدًّا بازاء كلّ حركة فوضويَّة ويتصدَّوا لكل من يسعى في محاربة الدين

﴿المارشاليَّة الجدد﴾ هم الجنراليَّة الفرنسويون الثلثة : فايول وفرنشه دسبره وليوتي تقلّدوا آخرًا منصب المارشاليَّة وليس في فرنسة فوقها رتبة جنديَّة استحقُّوا ذلك بمآثرهم العديدة في الحرب الكونيَّة الاخيرة · وثلثتهم تلامذة الآباء اليسوعيين · درس فايول في مدرسة سنت اتيان ودخل اخوهُ الرهبانيَّة اليسوعيَّة · وفرنشه دسبره من تلامذة مدرسة اثنيون والمدرستان من اقليم ليون الذي بهِ منوطة رسالتنا سوريَّة · امَّا الثالث ليوتي فانَّهُ من تلامذة مدرسة باريس الشهيرة بمدرسة شارع البريد (Ecole de la Rue des Postes) · يضاف اليهم المارشال فوش الذي سبق نصبهُ الى هذه الرتبة وهو من تلامذة مدرسة سنت اتيان بعد ان تخرَّج مدَّة في مدرستنا في متز الى حين تملّكها الالمان سنة ١٨٧٠ ولهُ ايضاً اخٌ يسوعي · فهؤلاء اربعة من ستَّة مارشاليَّة في فرنسة حاضرًا يمثّلون الشهامة الفرنسويَّة وهم خرّيجو الرهبان الذين لم يخجل رينان وامثالهُ من نسبتهم الى الفشل في التربية والخَوَر في التعليم

﴿فضل فرنسة على الجزائر﴾ قد تحوَّلت الجزائر بفضل فرنسة الى بلاد جديدة منذ تولَّت عليها واخمدت ثوراتها فانَّها قد انشأت نحو ٧٠٠ مدينة او قرية جديدة · مدَّت ٤،٠٠٠ كيلومتر من السكك الحديديَّة · فتحت عدَّة مرافئ للسفن · طهَّرت النواحي من الاوبئة · عمَّمت التعليم · تضاعف بهمّتها عدد السكّان · حتَّى قال بعض الاختصاصيين انَّ فرنسة احيت الجزائر بعد مواتها

﴿جامعتان اميركيّتان﴾ أُنشئت الاولى في القاهرة في خريف السنة المنصرمة وقد ابتاعت لها دار الجامعة المصريَّة الاولى مع ما يحدق بها من الاملاك ونالت امتيازاتها من مجلس مدينة واشنطون ورئيسها الدكتور تشارلس طومسون · والثانية هي كلّية الاميركيَّة السوريّة الانجيليَّة في بيروت نالت من مجلس كلّيَّة نيويرك براءة ترقيتها الى جامعة وفروع تعليمها الآن ستة : الآداب والطبّ والصيدلة وطبّ الاسنان والتجارة والهندسة · وهي تنوي انشاء فرعين آخرين للحقوق والزراعة

# أسئلة وأجوبة

س سأل مستفيد لمن هو البيت الآتي وهل يُعرف لهُ تابعٌ

ديارٌ بأكناف المغيبِ تَلَمَّعُ وما إن بها من ساكنٍ وهي بلقعُ

روى هـذا البيت ابن العربي في محاضرة الابرار (١ : ١٨٩) ولم يذكر قائلهُ وانَّما قال انَّهُ قرأهُ على باب مدينة الزهراء في الاندلس مع ابياتٍ اخرى هكذا :

ديارٌ بأكنافِ المغيب تلمعُ وما ان بها من ساكنٍ وهي بلقعُ

ينوحُ عليها الطيرُ من كلّ جانبٍ فيصمتُ احيانًا وحينًا يرجعُ

فخاطبتُ منها طائرًا متفرّدًا لهُ شَجَنٌ في القلبِ وهو مروّعُ

فقلتُ على ماذا تنوحُ وتشتكي فقال على دهرٍ مضى ليس يرجعُ

س وسأل حضرة القس مبارك الداموري : ١ً هل يجب على المشترك بثوب السيّدة لبسهُ مدَّةً قبل استبدالهِ بايقونة الثوب وهل يجوز الاشتراك بثوب مستعار ثمَّ تعطى القونة بعدهُ حالًا . ٢ً هل يجوز الاشتراك بالورديَّة بمسبحة مستعارة وهل يلزم لربح غفران الورديَّة ان تبارك مسبحة المشترك كلّ مرَّة تغيَّرت باي وجهٍ كان . وهل يجب تدوين اسم المشترك مع عائلتهِ (فلان بن فلان) . ٣ً هل يجب على المتناول كلّ يوم ان يعترف مرَّة كلّ خمسة عشر يومًا لربح الغفارين

غفرانات ثوب العذراء والورديَّة — اعتراف المتناول كل يوم

ج نجيب على ( الاوَّل ) لا مانع من الاشتراك بثوب مستعار ولو تعدَّد المشتركون وتكرَّر صورة الاشتراك ما لم يكثروا . ثمَّ تعطى حالًا ايقونة الثوب . ولكن اذا عاد المشترك الى لبس الثوب بدلًا من القونة يلزم ان يبارك ذاك الثوب الاوَّل ٢ً نجيب على (الثاني) انَّ الاشتراك بالورديَّة لا يحتاج الى ان تُعطى مسبحة . ويمكن اكتساب الغفرانات بمسبحة غير مغفَّرة . وكذلك لا حاجة الى الاشتراك لمن في يدهِ مسبحة مغفَّرة فانهُ يربح الغفارين الممنوحة لها من الكاهن المأذون . لكن هذه الغفارين تختلف عن غفارين شركة الوردية . والمسبحة يجب اعادة تغفيرها اذا انفرطت او فُقد كثير من حبوبها دفعةً واحدة . واما تدوين اسم المشترك فيكون عادةً باسمهِ واسم نسبهِ . ٣ً نجيب على (الثالث) ان الذي يتقرَّب كلّ يوم او خمس مرار في الاسبوع يربح الغفارين دون شرط الاعتراف كلَّ اسبوعين ما لم يكن فقد حالة بخطيئة ثقيلة

الاب ي . منجان



# خطبة لخميس الاسرار

## بقلم القس شمس الرئاسة ابي البركات ابن كبر

### توطئة

زرنا في اواخر آب من السنة ١٩٠٩ مكتبة البطريركيَّة القبطيَّة غير الكاثوليكيَّة في القاهرة فوجدنا في ناظرها أنساً وتفقّدنا ما في خزانتها من المخطوطات النصرانيَّة القديمة . فمن جملة ما كان هناك مجموعةٌ فيها خطب قديمة للاعياد السنوية بينها بعض الخطب لاحد مشاهير الكتبة الاقباط القس شمس الرئاسة ابي البركات بن كبر فاستحسنَّا لهجتها الفصيحة وانشاءها البليغ من جملتها هذه الخطبة لخميس الاسرار احببنا نشرها بنسبة الاعياد الفصحيَّة . وقد وجدناها بعد ذلك في مجموع خطب عُني بطبعهِ الشمَّاس حبيب جرجس سنة ١٩١٤ تحت عنوان الجوهرة النفيسة في خطب الكنيسة ( ص ٨٩ – ٩٣ ) عثرنا فيها على بعض الاغلاط فاصلحناها

امَّا صاحب هذه الخطبة فيُدعى في صدر كتاباتهِ المخطوطة باسماء والقاب جليلة تدلُّ على تعظيم اهل زمانهِ لهُ فيسمُّونهُ « المولى الرئيس الشيخ والاب الفاضل القس رشيد المتطبّب ابا البركات شمس الرئاسة ابا الشيخ الاكمل الاسعد المعروف بابن كُبَر » ويروى كِبْر . ولم نجد مع فخامة هذه الالقاب من يفيدنا شيئاً عن اخبارهِ في كلّ ما راجعنا من التآليف المطبوعة والمخطوطة . وغاية ما نعلم انه ازهر في اواخر القرن الثالث عشر للمسيح . وكتب للامير بيبرس المنصوري الدوادار الكبير وتعاطى الطبّ وتوفيّ سنة ١٣٦٣ . ولهُ في آخر بعض كتبهِ قولهُ :

اموتُ ويبقى كلُّ ما قد كتبتُهُ　　فيا ليتَ من يقرا كتابي دعا ليا
لعلَّ الهي ان يجود بعفوهِ　　ويغفرَ زلّاتي وقُبح . فعاليا

وامَّا تآليفهُ المعروفة فقد وصفنا منها في المشرق (٩ [ ١٩٠٦ ] : ٧٦٠ ) كتابهُ المعنون بمصباح الظلمة وإيضاح الخدمة وهو من أجلّ الآثار الدينيَّة في الفقه الكنسيّ . وقد وصفنا كذلك لهُ كتاباً آخر (ص ٧٦١) اسمهُ «جلاء العقول في علم الاصول الملقَّب بكشف الاسرار الخفيَّة في اسباب المسيحيَّة »في ١٨ فصلا تاريخ تأليفهِ سنة ١٣٣٤م . ولهُ ايضاً كتاب في تفنيد

القائلين بالقدر والمُبطلين الحريَّة الَّفهُ سنة ١٣٣٣ . والَّف ايضاً خلاصة معتقد الملَّة المسيحيَّة وردودًا على اليهود والمسلمين . ومن تصانيفهِ في اللغة القبطيَّة كتاب السُّلم الكبير او السُّلم المقترح وضعهُ سنة ١٣١٦ وضمنهُ مفردات اللغة القبطيَّة في عشرة ابواب و ٣٢ فصلاً مع شرحها في العربيَّة ( *cfr* Mélanges de la Fac. Orientale, 1907. II. 260-266 ) ل . ش

# خطبة لعيد خميس العهد

## تتضمَّن تأسيس سرّ الشكر (١

المجدُ لله مجدّد شريعة الكمال ، ومبدّد زريعة (٢ الضلال ، وموضح مناهج الفضل والإفضال ، ومرشد المؤمنين الى أَصلح الاعمال ، ولابنهِ الوحيد يسوع المسيح الذي اخرجنا من ظُلمات الطغيان ، واقبل بنا الى نور الحقّ والايمان ، واظهر لنا من غوامض الاسرار الالهيَّة ما كان مستورًا عن العيان ، وخوّلنا معشرَ المسيحيين ما لم يخطر بفكر انسان ، وبذل نفسهُ دوننا فابتاعنا بأنفس الاثمان ، ورفعنا من هوَّة الهلاك الى رتبة الحياة فيا لذلك من إحسان ، كيف لا وهو حمَلُ الله الحقيقي الذي فدانا نحن الخطأة بذبحهِ (يوحنا ١ : ٢٩) ، وأَحيانا بموتهِ عنَّا فيا لعظيم مَنْحهِ ، وجدَّد لنا عربوناً لخلاصهِ على يدي رُسلهِ الاطهار رسمَ مَوْسِمهِ وسُنَّة فِصحهِ . وأعطانا جسدَهُ ودمَهُ المقدَّسَين علامةً لنُصحهِ (٣ ، ونقَض حاجز العداوة الاولى بسلامهِ وصلحهِ ، وامرنا تجديدًا لعهدهِ ان نصنع كلَّ وقتٍ تذكارًا لاسمهِ (لوقا ٢٢ : ١٩) الى حين موافاتهِ ، ومجيئهِ الثاني على سُحُب سمائهِ في أُلوف ملائكتهِ وقواتهِ (١ كور ١١ : ٢٦) ، حسب وعدهِ في انجيلهِ المجيد (متّى ٢٦ : ٦٤) ، فلهُ التسبيح والتمجيد

معشر المسيحيين الذين وصلوا الى هذه المواهب ، وأُخرجوا الى النور المُشرق من ظُلَم الغياهب ، وحصلوا على موهبة العهد الجديد ، واشتُروا بدم الابن الوحيد ، وصار لهم العُتق من عبوديَّة المحَال ، والارتقاء الى اسنى المراتب واشرف المحالّ ، واشتركوا معهُ في النبوَّة الحقيقيَّة (٢ بطرس ١ : ٤) ، كما اشترك هو معهم في الطبيعة البشريَّة ،

---

١) وفي الطبعة المصريَّة « شرّ الشكر » وهو تصحيف قبيح . واراد بسرّ الشكر القربان الاقدس كأنه تعريب اللفظة اليونانيَّة « افخارستيا » ٢) وفي الطبعة المصريَّة « ذريعة »
٣) وفيها « لفصحهِ »

واتّصلوا بالذات العالية الالهيّة، باتّصاله سبحانهُ بالجُبلّة الآدميَّة

هـذا يومٌ جُدّدت فيهِ العهود، يومٌ أَذهَب فيهِ رسمُ الفِصح السيّدي حُكمَ فصح اليهود، يومٌ كمّل الربّ فيهِ السنة الاولى العدليَّة، وابتدأ بوضع السنة الثانية الفضليَّة، يوم أُبطل فيهِ فصح الذبائح والضحايا، وجعل فِصحنا جسدهُ الذي بذلهُ لمغفرة الخطايا، يومٌ ازال فيهِ قُتار اللحوم والدماء الحَيَوانيَّة، وأَعطانا بجسدهِ ودمهِ القرابين الروحانيَّة، اليوم سنَّ لنا ربُّ المجد تقريب الخبز والخمر الذكيّ (١، واغنانا عن دماء الجِداء والعجول بدمهِ الزكيّ، مشيرًا بالخبز الى انهُ خبز الحياة الذي يُشبع الجياع، وبالخمر الى انهُ كرمةُ الحقّ المتعالية عن ملابسة الازدراع، اليوم عوَّضنا عن فطير المرارة والشرارة، خميرَ المحبَّة والطهارة (٢، اليوم سلَّم الينا النواميس العقليَّة، بواسطة الامور الحسيَّة، وجعل الكثيف، وسيطًا للَطيف، لملاءمتهِ للأَبدان الانسيَّة، اليوم سلَّم رئيس الاحبار خدمة الوظيفة الحبريَّة الى الزمرة الحواريَّة، اليوم تولَّى الربّ بنفسهِ خدمة رُسلهِ، وتنازل الى ارجلهم (٣ بغسلهِ، واراهم مثالًا ليقتدوا بفعلهِ، ويفعلوا كمثلهِ،

فيا لهذا التفضُّل الذي تقصر الالسن عن صفاتهِ، ويا لهذا التواضع الذي بلغ من التدبير السعيد اقصى غاياتهِ، يا لهُ من تحنُّن ما اعظَمَهُ، ويا لهُ من سيّد على العبيد ما اكرَمهُ، ويا لهُ من مسلك الى الحياة ما أَقوَمَهُ

ما اعظمَ هذه الفضيلة التي رسمها لنتَّخذها مثالًا، وما اعظم التواضع الذي امر بهِ مقالًا، واكملهُ (٤ فعالًا، واذا كان هذا فِعلَ ربّ المجد جلَّت قدرتهُ، وتعالت عظمتهُ، فكم بالحري يجب علينا ان نبذل الودّ لاخوتنا، والتواضع مع ابناء طبيعتنا (يوحنَّا ١٣ : ١٤)، ومـا عسانا نفعلهُ ونحنُ المقصّرون، او ننتهي الى بلوغهِ في هذا السبيل ونحن السالكون، فلو شربنا الامواه التي تُغسَل بها الاقدام، وجعلنا دأبَنا ذلك على الدوام، وبسطنا الخدود لمن يطأها، وبذلنا الوجوهُ لمن يلطمها ويتخطَّاها، لمَا بلغنا في ذلك المقصود، ولا ماثَلنا سيّدنا لهُ المجد في الفضل والجود،

---

١) وفي الطبعة المصريَّة الزكيّ بالزاي

٢) في هذا اشارة الى استحضار القربان في الكنيسة القبطيَّة على شكل الخمير. وفي رسائل مار بولس ما يدلّ على فضل الفطير (١ كور ٥ : ٧–٨)

٣) في النسخة المصريّة : تناول ارجلهم

٤) وفيها «وكملهُ»

فهلمّوا أيها الاخوة لنتأمل افعال الرب في هذا العيد ، ونتصفَّح اعمالهُ المجيدة في مثل هذا اليوم السعيد،ونتفهَّم ما ارادهُ من سلوكنا في سُبلِهِ،واقتفائنا لمثلهِ (١ ، بحسب امكان طاقتنا،ومقدار وُسع قُدرتنا،ونجعل التواضع لنا مسلكاً ومنهاجاً ، والمحبَّة في سُبلنا نورًا وسراجاً،ولنغسل قلوب اخوتنا بماء المودَّة،ولتكن الرحمة اليهم دائماً مصروفةً مستعدَّة،لكي نرحض من البواطن دَرَنَ افكارها،ونزيل من الضمائر غلّ اسرارها،ونحظى بسعادة هذا الشبه والمثال، وننال ما وُعدنا بهِ من شرف المنال،ولنجتهد في تقويم سُبُلنا،واصلاح قولنا وعملنا،والإقلاع عن خطايانا وزللنا، ولننزع عن مناكبنا جلابيبَ الكبرياء،وارديةَ التعاظم والرياء،ونشدّ اوساطنا بمناطق العزائم،ومناديل الاقلاع عن المآثم،ونصبّ مياه الرحمة في مَطاهر اكفّ المحتاجين ، ونبادر بالتفتيش عن المتضايقين ،ونجدّد شعار التوبة البريئة من الشبهات ،العريَّة من الشهَوات،النقيَّة من معاوَدة الهَفوات ، كما جدَّد لنا ربُّنا شرائع ناموسهِ،وأعلمنا وظائف تسبيحهِ وتقديسهِ،

ولنتأهَّب لتناول هذه الاسرار (٢ الروحانيَّة ، مستعدّين بملءْ القلب وكلّ النيَّة ، ولا نَدنُ من هذه المائدة السِريَّة السَّريَّة ، والوليمة الشريفة الالهيَّة ، ونحن ملوَّثون باوساخ الخطيّة ، او مشتغلون بالافكار الدنيَّة الدنيويَّة ، او مُضمرون لاخوتنا بل ولأعدائنا عداوةً ولا بغضاً،او مُكرمون بعضاً ومُهينون بعضاً ، او راغبون في الشرَه او حبّ المال ، او عاملون بشيٍ من هذه الاعمال، لئلّا يُصيبنا ما اصاب يهوذا الدافع ، ونُحرَم ما حواهُ هذا الدواء الروحاني من جزيل الفوائد والمنافع،ولا نقتصر على عدم الانتفاع بهِ فقط بل ونجلب على نفوسنا ضررًا عظيماً مقدارهُ،وشجباً شديدةً اوزارهُ وعذاباً أليماً دودهُ وناره ، ودينونةً مهلكةً لنفوسنا واجسادنا ، ونارًا محرقة بَكرة ميلادنا ، بل لنجتهد في اصلاح البواطن والظواهر ، وتنقية الخواطر والضمائر،وتطهير السرائر قبل تناول السَّرائر،ونبذل لبعضنا بعضاً المحبَّة الصادقة،ونذبح نفوسنا ذبيحةً ناطقة ،ونتقدَّم بعد ذلك لتناول جسد ربّنا ودمهُ المقدَّسين بواسطة كهنتهِ ،وطلباتهم المقبولة امام رحمتهِ،راجين بهِ مغفرة الآثام السالفة،وشركتهُ في الحياة المستأنفة،فنحصل على الخيرات العتيدة ،والصِلات

١) وفي النسخة المصريَّة «لفعلهِ» ٢) وفي النسخة المصريَّة : هذه السرائر

المفيدة، اعاننا الله وايّاكم على الاعمال المبرورة، والمساعي المشكورة، والاخلاق الحميدة، والمناهج السديدة، وبلّغكم امثال هذا اليوم سنين عديدة واعواماً مديدة، مغفورة لكم الذنوب والآثام، مخصوصين من سعادة الدارَيْن باجزل الأقسام (١، بشفاعة الرسل الاطهار الذين عهدوا الينا هذه الوصايا، واقتادونا الى مغفرة الخطايا، واستحقّوا ان ينالوا عظم هذه العطايا، بصلوات ابينا ورئيسنا المؤتمن على خلافتهم، المرتقي الى رتبتهم المخصوص بوراثتهم، الجالس على الكرسي المرقصي، الحاكم على الشعب الرسولي الداني والقصيّ، البابا انبا فلان (٢ ادام الله تدبيرهُ، ورفع في اعلى الملكوت سريرهُ، وجمّل ببقائهِ الاعياد المسيحيّة، والمواسم الفصحيّة، ورحم بصلواتهِ ابناء المعموديّة، امين

# ميمر في عيد الفصح

## منسوب الى القديس يوحنا فم الذهب

تعريب عبدالله بن الفضل الانطاكيّ

### توطئة

بين المخطوطات التي سبق لنا وصفها في جملة ميامر القديسين ومواعظهم (المشرق ٨[١٩٠٥]: ٤٣٥ و٤٧١) مجموعان قديمان يشتملان على خطب للاباء القديسين تُقرأ في اخصّ الاعياد المسيحيّة. وفي كليهما مَيمر في عيد الفصح ينسب الى القديس يوحنّا فم الذهب وهو معرَّب بقلم عبدالله بن الفضل الانطاكي من كتبة القرن الحادي عشر للمسيح (المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٨٨٦ و٩٤٤). وهو كما ترى اثر نفيس يحسن بنا نشرهُ. وكفى بهِ شأناً انَّ الكنيسة الملكيّة اصطفتهُ ليكرَّر على مسامع المؤمنين في ذاك العيد الجليل. ولقد راجعنا اعمال القديس يوحنّا فم الذهب اليونانيّة فوجدناهُ هناك في مجموعات آباء اليونان لمين (PP. GG., L, 821-824) الّا انّهُ مدرج في جملة ما لم تثبت نسبتهُ الى القديس بين التآليف المشكوك فيها لولا انَّ متولّي طبعها لا يؤيّد قولهُ ببرهان صريح وعلى كل حال انَّ وجودهُ في العربيّة منذ نحو ٩٠٠ سنة منسوبًا الى ذاك الملفان العظيم يدفعنا الى نشره في عيدنا الحاضر لئلّا تأخذهُ يد الضياع . وبين النسختين اللتين نقلنا عنهما اختلاف قليل لم نرَ موجباً الى الاشارة اليه الّا في بعض المواضع ل. ش

---

١) وفي النسخة المصريّة «باجذل» بالذال ٢) في النسخة المصريّة « انبا كيرلُس » اراد بهِ البطريرك الحالي. ولفظة البابا شاعت قديمًا في الكنيسة الاسكندريّة بمعنى البطريرك

# ميمر في الفصح الجديد

## لابينا الجليل في القديسين يوحنَّا الذهبي الفم

### رئيس اساقفة مدينة القسطنطينيَّة

افرحوا يا اخوتي واحبَّائي بالربّ دائمًا واقول ايضاً افرحوا. الرب قريب فلا تهتمُّوا بشيء. (فيلبي ٤ : ٤) . قام الربُّ من بين الاموات ومعهُ جمعُ قديسين كثيرين . فلنعيّدنَّ إذًا عاجلًا تعييدًا لذيذًا ورغدًا (١ لأنَّهُ هـذا اليوم حقًّا الذي صنعهُ الرب فلنجذلنَّ ولنُسرنَّ فيهِ (مز ١١٧ : ٢٤) ولْنُشِيدنَّ بقيامة مخلّصنا ولنهتفنَّ بخلاصنا ولنذيعنَّ بإماتة المحَّال وبسَبْي الجنّ الرَّجسين وبخلاص المسيحيين وبنشور المائتين لانَّ بقيامة المسيح تنطفئ نار جهنَّم ويموت الدود الذي لا يرقد (مرقس ٩ : ٤٣) والجحيم يُغلق وابليس ينوح والخطيئة تموت وارواح الخبث تتفطَّر والذين من الارض يعودون الى السماء والذين في الجحيم يُعتقون من قيود المحَّال . ويهربون الى الله قائلين للمحَّال : «اين شوكتُك يا موت واين غلبتُك يا جحيم» (١ كور ١٥ : ٥٥)

لكنَّ سبب عيدنا المقدَّس ومحفلنا الحاضر هو المسيح الذي هو لنا علّة كلّ الامور الحسَنة لانهُ كما جبلنا منذ البدء من حيث لم نكن هكذا صنع معنا الآن نحن الهالكين فخلَّصنا والمائتين فأحيانا وأنقذنا من جَور المحَّال واذ كنَّا عبيدًا الخطيئة اصبحنا احرارًا ومحا الصكّ الذي كتبناهُ بأيدينا علينا (كولسيّ ٢ : ١٤) لانَّ المسيح ابتاعنا من لعنة الناموس صائرًا من أجلنا لعنةً (غلطية ٣ : ١٣)

تلك هي الامور التي توجب علينا ان نقول عوضاً عنها : بماذا نكافئ الربّ عن كلّ الاشياء التي كافأنا بها (مز ١١٥ : ١٢) فانَّهُ وهو لم يزل إلهًا ارتضى ان يكون من اجلنا انساناً وصار متواضعاً (٢ حتى الموت كي يفتدينا من الموت الابديّ فسيّد الملائكة لبس صورة عبدٍ (فيلبيّ ٢ : ٧–٨) . وكلمة الله اتَّخذ جسدًا (يو ١ : ١٤) والمساوي للاب العديل جوهرهِ (عبر ١ : ٣) صار انساناً . وهذه الامور تصيَّرها كي يخلّصنا من العبوديَّة الظالمة ويفتدينا من الهوان . من اجل هـذا رضي رازقُ حياتنا

١) ورد في النسخة A وهي اقدم النسختين : لذيذًا ورادعًا

٢) في النسخة A : صار مطاوعًا

ان يتألّم جسدهُ المقدَّس . لاجل هذا دُفن ينبوع البقاء لكي يهب للمائتين حياةً ازليةً وقد أحسن الى اهل الارض وشفى آلام الناس فاستوفى المكافأة من اليهود المعاندين الله بما لم يكن لهُ اهلًا

لأنَّ ربَّنا يسوع المسيح من اجل كثرة خيريَّتهِ كان يطهّر البُرص ويهب النظر للعميان ويشفي العُرج ويطرد الجنّ واستنهض العازر من القبر بعد اربعة أيّام وأشبع من خمس خبزات خمسة آلاف ومشى على البحر وأحال الماء خمرًا وشفى النزيف دمُها وأحيا ابنة رئيس المجمع بعد وفاتها وصنع اسرارًا أُخر كثيرة اهلًا للتعجُّب . فامَّا اليهود فحملهم الحسد والغيرة فتارةً راموا ان يرجموهُ ومرَّةً حاولوا ان يُكردسوهُ (لوقا ٤ : ٢٩ ) واخيرًا رفعوهُ على الصليب لكنَّ ربَّنا يسوع المسيح لم يتشبَّه بشرّ اليهود المجدّفين بل بحسب قول النبيّ ( اشعيا ٥٠ : ٦ ) : « بذل نفسَهُ للسياط وخدَّهُ للّطمات ولم يردّ وجههُ من خزي البصاق» وقولهِ : «وسيق اخيرًا مثل الخروف الى الذّبح ومثل الحمَل بين يدي من يجزُّهُ بغير نُطق غيرَ مقاوم وغير مجاوب» (اشعيا ٥٣ : ٧) مفترى عليهِ ولم يردّ الافتراء بصائر السوء ولم يتهدَّد دافعاً نفسهُ الى الحكم (١ بطرس ٢ : ٢٥) لأنَّهُ لم يأتِ في ورودهِ الاوَّل ليعاقب ويعذّب الكفّار بل آثر ان يرشد بطول الاناة والصبر الضالّين الى الحياة (١

واعتبرْ خيريَّة الربّ وصلاحهُ فانَّ اليهود كانوا يجدّفون عليهِ قائلين : « انَّ بك شيطاناً » (يو ٧ : ٢٠) وامَّا هو فلطول اناتهِ كان يطرد الجنّ (٢ من الناس . وكان اليهود يبصقون على المخلص وهو يشفي امراضهم . كانوا يحاولون رجمهُ وهو يهب للعُرج منهم المشيَ . ونهاية كلّ الامور انهُ كان محسناً الى المفترين عليهِ مانحاً اولئك القليل شكرهم والناس الطمئين عوضاً عن الشرور خيراتٍ محتملًا الفريّات بالصبر على الضرّ ولعلّهُ كان مظنوناً بهِ انهُ يقصر عن المجازاة مع انَّ الملائكة تخدمهُ . ولئلّا أُسهب المقال فلنقبلنَّ الى اصول الامور انفسها لكنَّهُ في آخر الامر سيق ملك المجد الى الصليب والموت وسُمّر المسيح على خشبة مَنْ تسجد لهُ الشاروبيم والساروفيم مع

---

١) وفي نسخة A : الى الحقّ

٢) وفي احدى الروايتين : بطول روحهِ كان يضطهد الجن

كلّ القوى الملائكيَّة . وهذه الاشياء حلَّت به وهو حليم وديع مانحاً ايَّانا انموذجاً فصار معلّماً للحلم والدعة

فمن اجل هذا يجب علينا ان نحتمل بشجاعة توعُّد الناس الخبثاء. لأنَّ سيّدنا يسوع المسيح لمّا عُلّق على الصليب اوضح اعمالًا وعجائب اكثر من تلك واعظم منها فهدَّأ هكذا هيَجان المقوتين الكي لا يكون لهم علّة في الكفر ولا يقولوا «صلبنا انساناً محضاً» . وقد احتمل المسيح الصليب ورُفع في الهواء لكي يطرد الجنّ الذين في الهواء . وعُلّق على خشبة لكي يشفي الخطيئة الصائرة قديماً للناس بالخشبة . وطُعن جنبُهُ بحربةٍ من اجل المرأة التي أُخذت من جنب آدم ثم خدعتها الحيَّة فصيَّرت حوَّاء آدمَ ان يعصي وخرجت القضيَّة على كليهما وتملَّك الموت منذ آدم حتَّى موسى وحلَّ على الجميع حتَّى الذين لم يخطأوا (رومية ٥ : ١٤) فمن اجل هذا طُعن جنب المسيح ولنعلم بهذا انَّ آلامهُ لم تسبِّب خلاصاً للرجال فقط بل للنساء ايضاً لأنَّ آدم جُبل اوَّلًا ثمَّ حوَّاء. فامَّا آدم فلم يُخدَع بل المرأة خُدعت وصارت في العصيان لكنَّها خلصت بتناسل اولادها ولاسيَّما بإنسالها ولدَها مريم لأنَّ هذه الطاهرة ولدت المسيح المخلّص ولم تخالط رجلًا كما شهد اشعيا النبيّ (٧ : ١٤) بل ظلّلها الروح القدس كما قال رئيس الملائكة جبرائيل مبشّراً (لوقا ١ : ٣٥)

فمن اجل هذه القضية اذًا التي قُضيت علينا طُعن جنبُ المسيح كي يدبّر الامور المقدَّم ذكرها . واشار ايضاً بذلك الى المعموديَّة التي بها تُشرِف النعمة الجديدة لأنَّ المسيح أنبع من جنبهِ دماً وماء ليمحو بهما صكَّ الخطيَّة ونتطهَّر بدمهِ ونتسلَّق الفردوس فيا لهُ من سرّ ما اعظمهُ ! . فلمَّا تاب اللصّ وكانت تضطرّ الحاجة الى ان يصطبغ (١ وكان الربّ معلّقاً على الصليب ولم يكن للمعموديَّة حالة أُخرى لا عين ولا بُحَيرة ولا مطر ولا مَنْ يكمّل خدمة السرّ لأنَّ التلاميذ كانوا هربوا لاجل خوف اليهود لكنَّ يسوع احضر من جنبهِ دماً وماء كي يعتق اللصّ من الآثام التي ارتكبها فأوضح انَّ دمهُ فداء للمتوكلين عليهِ لأنَّهُ «ان كان دم ثيران وتيوس ورماد عَجَلَةٍ

---

١) هذا من باب التصوُّر لا من باب الضرورة فان السيّد المسيح امكنهُ ان يمنح اللصّ الخلاص دون معمودية . ومن المعلوم انَّ معموديَّة الشَّوق تنوب عن معموديَّة الماء

يُنضَح على المتنجسين فيطهّرهم نحو طهارة الجسد فكم الاحرى بدم المسيح مخلِّصنا ان يصير طهرًا لكافة المسيحيين معاً (عبر ٩: ١٥)

وان يَقُل لك احد الكفرة: لِمَ صُلب المسيح؟ فأَجِبْهُ: لكي يُصلَب الشيطان. وان يَقُل: لِمَ عُلّق على خشبةٍ فنجيبهُ: لكي يخلّصنا من الخطيئة الصائرة في الفردوس بالخشبة. وان يقل لك: ولِمَ كُلّل بالشوك؟ فأَجِبْهُ: لكي يستأصل شوك آدم وقرطبهُ لأنّهُ شُجب فحُكم عليه بان يفلح شوكاً وقرطباً. وبما انّ يسوع محبٌّ للبشر شاء ان يعتني بخليقتهِ فصبر على كلّ سوء من اجلنا لكي يعتقنا من العقوبة. لأنّهُ كما وُلد من امرأة عذراء لكي يمحو الخطيئة الصائرة للناس من امرأةٍ كذلك كُلّل بالشوك ليجعل الارض التي فُلحت من المعصية فلاحةً رديئة تلين وتضحي سهلةً انيسةً بطاعتهِ

وان قال: لِمَ شرب المسيح مرًّا وخلًّا؟ فقُل له: كي يقينا نحن من سمّ التنين المميت وبذلك صارت تلك المرارة حلاوةً وشفاء. وان قال: لِمَ سجد لهُ الجند مستهزئين؟ فأَجِبْهُ لكي يسجدوا لهُ كارهين ويعترفوا بلاهوتهِ مُقرّين • وتنحني لهُ في القيامة العتيدة كلّ ركبةٍ من السماويين والارضيين والذين تحت الثرى ويعترف كل انسان ان يسوع المسيح ربٌّ بمجد الآب حقًّا» (فيلبي ٢: ١٠) . وتدلُّ تلك الحلّة الارجوانيّة التي أَلبسوهُ ايّاها على ملكهِ الثابت رغماً عن سفك اليهود لدمهِ وقتلهم ايّاه. كما انّ القصبة التي جعلوها في يده سوف يكتب بها خطاياهم

لكنّ محاربي المسيح صنعوا بهِ هذه الاشياء جاهلين المصلوب بل عموا اختيارًا اذ كانت البريّة لم تجهل سيّدها وخالقها لانّ الشمس الحسّيّة اذ عاينت المسيح شمس العدل معلقاً على الصليب مشتوماً من المنافقين مهيناً لم تحتمل جرأتهم بل نفرت واظلمت واستشعرت انهُ قبيح هو ان تساعدهم وتُنير عيني المنافقين اعظم النفاق. ولم تغرب الشمس فقط بل اهتزّت الارض ايضاً غير محتملة نفاق اليهود موضحةً معلنةً انّ المصلوب هو الهٌ فلم تشأ ان تحمل على ظهرها اعداء الله. لانّ اليهود بلغوا باثمهم ما لم يبلغهُ غيرهم من الأئمة فانّ قايين قاتل اخيه لم ينجّس الارض مثلهم ولم ينجّسها مثلهم الجبابرة بُناة البرج ولا السادوميّون عَملةُ الفحشاء ولا المشركون باكرام الاصنام ولا اجدادهم باهراق دم زخريّا بل أناف اثمهم على نفاق كلّ هولاء. فلم تُطق الارض

ان تحمل ذلك الثقل الباهظ ومن اجل هذا تشقَّقت الصخور الصلبة لكي يعرفوا ان هذا هو الصخرة الحيَّة التي رُمز اليه بالصخرة التي شرب منها آباؤهم وانَّما الصخرة هو المسيح (١ كور ١٠ : ٤) . فيا لغباوة اليهود وترحاً لقلَّة نصحهم فالصخور تنشقّ وهم جمود بلا حسّ . تهتزّ الاشياء الخالية من النفس وذوو النفوس لا شعور لهم . انشقّ ستر الهيكل لتتَّضح مذ ذاك جرأتهم وتنكشف مستورات الهيكل من اجل قول المسيح : «ها انَّ بيتكم يُترك لكم خراباً» (متى ٢٥ : ٣٨) وذلك انّ كلّ اشباه اليهود الحسنة خربت من اجل قتلهم المسيح وانتقل من المدينة والهيكل الملائكةُ الملازمون لها ليسكنوا في كنيسة المسيح . وقامت اجساد كثيرين من الراقدين والقديسين مع المسيح لكي نعلم نحن انَّ المسيح بقيامته من الموت لم يَقُم وحدهُ بل يقيم معهُ جميع الاموات الذين يؤمنون به

فهذا هو عيد الفصح وهذه هي اسرار المسيحيين . فاذ قد سمعتم ايها الاخوة اقوال مَوْسمنا التي هي عن قيامة الموتى والحياة الابديَّة فسبيلنا أن نعيّد « لا بخمير رذيلةٍ وخبثٍ بل بفطير نقيٍّ وحقّ وانصاف (١ كور ٥ : ٨) مؤمنين بآبٍ وابنٍ وروح قدس ثالوث متساوٍ جوهرهُ غير مخلوق موقنين بالقيامة متوقّعين اتيان الربّ ثانيةً لا بالذلَّة ايضاً بل بمجدٍ عظيم وبهجة سماويَّة وملائكة منيرين بالخوف والفرح فالفرح من اجل الصديقين والقديسين والخوف من اجل الخطأة والظالمين . والله السلامة يؤهلنا اجمعين ان نوجد باعمالٍ مُرضية لاسمهِ القدوس في القيامة مع جماعة القديسين والصديقين الذين ارضوهُ باعمالهم الصالحة وايمانهم المستقيم الرأي الذي لهُ وبهِ يليق المجد والاكرام والتسبحة الآن وكلّ اوان والى دهر الداهرين امين

# اعظم اكتشاف جراحي في الجيل العشرين

للاب رفائيل نخله اليسوعيّ

سبق لنا القول في المشرق عن تجديد فنّ الجراحة على يد الطبيب الفرنسوي كارِل الذي تمكَّن من تلقيح بعض اعضاء الجسم بقطع اخرى منهُ او من غيرهِ على

شرط حفظها حيّة في كل المدّة المتوسّطة بين البَتْر والتلقيح . هذا ملخّص مقالتنا عن ذلك الاختراع العجيب الذي اهتزّ له علماء الخافقين دهشةً وسرورًا لكونه فتح للجراحة العصرية دورًا جديدًا مجيدًا سوف تتعدّد فيهِ مآثرهم في ميـدان العلميّات التي كانت حتى الآونة الاخيرة قد عصَتْ على مشرطهم ومهارتهم وسعة معارفهم

ولا شك ان قرّاء المشرق لدى اطّلاعهم على ذلك الاكتشاف الرائع ايقنوا انهُ آخر آيةٍ بلغ اليها العلم الحاضر فما قولهم لو اثبتنا لهم انهم اساؤوا ظنًّا ? والحق يقال ان فرنسة تفتخر الآن باثنين من نوابغ علمائهـا فاقا على الدكتور كارّل بعجيب اكتشافاتهما الحديثة وسبقاه سبقاً مُبيناً عظيماً ألا وهما ناجوت (Nageotte) مدرّس الهستولوجية بمكتب من اعظم المعاهد العلمية الباريسية وسَنْسِر (Sencert) مدرّس الجراحة في كليّة ننسي . ويليق بنا قبل الخوض في اكتشافاتهما ان نبيّن على سبيل الايجاز جوهرها ثم وجه افضليتها على ما سبق اليهِ الدكتور كارّل

يعود جوهر اكتشاف العالمين الفرنسويين الى هـذا : يمكن تلقيح الاعضاء المقطوعة من حيوان على آخر — والانسان حيوان الّا انهُ ناطق — بدون لزوم حفظ تلك الاعضـاء حيّةً بل ان الملقّحـات الميّتة تتّحد وتحيا بالجسم الملقّح بنوع اسرع واكمل منهـا لو كانت حيّة . وكفى بذلك اشـارةً الى فوز الابتكار الحديث ونوالهِ قصب السبق على مآثر الدكتور كارّل مع ما لهذا الاخير من فضل المتقدّم بنهجهِ للعلماء طريقاً لاحباً لم يسبقهُ احد الى تمهيدهِ . هلمّ بنا الان نوجّه النظر الى الاكتشاف الجديد لندرك اسرارهُ الغامضة

معلوم ان كل الاجسام الحية سواء كانت نباتية او حيوانية هي مركبة جوهريًا من خلايا في غاية الدقّة يلتئم بعضها ببعض لتكوين ما يسميه العلماء انسجةً دلالة على مجانستها الجزئيَّة للمنسوجـات المَحيكة وهي متنوعة بتنوُّع شكل خلايا كلّ منها وخواصّ تلك الخلايا الكيماوية والفِسيولوجيّة . فمنهـا مثلًا النسيج المُوصِل والعصَبي والعَظْمي والغُضروفي . امّا المُوصل فهو الواصل وفقاً لاسمه بين كل اجزاء الجسم ومنه يتكوَّن الجزء الاعظم ممّا ندعوهُ اللحم . واذا فُحص بالمجهر أَسفر عن ملايين الياف يتراوح قُطرها بين بعض الميكرونات وبعض العشرات منها . والميكرون وحـدة القياس المكرسكوبي تساوي جزءا من الف من المليمتر . وتلك ملايين الالياف

مشتبكة بعضها ببعض اغرب اشتباك وترى فيها آلاف من الشقوق والثقوب والقُنيّ وهي ملأى بمُصالة تتجدَّد دوماً وتقطن بها الخلايا التي ليست عديدة في غالب الاجسام

وقد بقيت تلك الاليـاف المشتبكة سرًّا غامضاً طالما اجهد الاختصاصيون فكرتهم في كشف نقابهِ الى المدَّة الاخيرة فعادوا خائبين . فزعم فريق منهم انها مصنوعة بمادَّة تُفرزها الخلايا الحيَّة الماكثة في خلال الالياف كما تتألَّف نخاريب القفير من مُفرَزات النحل . وذهب فريق آخر الى انَّها مصنوعة من نفس جوهر تلك الخلايا. وكان كلا الرهطَين في ضلال مبين كما أوضح الاستاذ ناجوت بأجلى البراهين على اثر فحوصهِ المتعدّدة بالمجهر لأنداب الجروح في كل ادوار اندمالها . وقد اسفرت ابحاثهُ عن كون المادة الجوهرية المتكون منها وشيجُ اليافِ النسيج الموصل هي ناجمة عن تحوّل مادَّة الفِبْرين (fibrine) التي تظهر في النَدْب لكل ذي عينين . والفبرين عنصر يتكون في الدم ويسبّب جمودَهُ في حال خروجهِ من العروق . فالاستاذ ناجوت لدى فحصهِ المجهري لندَبٍ ما في كل ادوارهِ رأى الفبرين المولودة من الدم تتحوَّل تدريجاً بنوع يكاد لا يُشعَر بهِ الى شكل اليافِ النسيج الموصل . والنتيجة الخطيرة لتلك الابحاث هي تولّد الالياف رأساً من جوهر الدم . ولم يبق مجال للشك في ذلك بعد مراقبات العلَّامة ناجوت الذي خطا خطوةً جديدةً باستنتاجه ان تلك الالياف ليست بحصر المعنى مادة حيّة فانَّ البَلْسما اي العنصر الاصلي الدموي الذي تكوَّنت منه ليس حيًّا . ولا يخفى على احد ان الحيّ يتعذَّر قطعيًّا تولُّده من غير الحيّ كما اثبت ذلك نهائيًّا العلَّامة الكاثوليكي باستور الطائر الشهرة . اما الخلايا المتبطّنة في خلال الاليـاف فهي حيَّة دون مراء ويتَّضح ذلـك من تأثُّرها الحيَوي لبعض العوامل وتناسلها وتحوُّلاتها الكيماويَّة مع العناصر الخارجيَّة . وحيث انها قليلة نسبةً الى عدد الالياف المُحيطة بها . لأنَّ كل الجسم البشري البالغ وزنه ٧٠ كيلوغراماً لا يحتوي من الخلايا الحيَّة على اكثر من نحو خمسة كيلوغرامات . فما أنسب والحالة هذه تشبيههُ بمدينة توصف بالحياة رغماً عن كون معظم محتوياتها اي بيوتها ومبانيها خالية من الحياة . وقد جرت كل ألسنة العالم على وسم الشيء بسمة اشرف اجزائهِ

خلاصة القول ان النسيج الموصل في جسم الانسان والحيوانات ليس حيًّا . وانما

هو مسكن الخلايا الحية المنتثرة فيه بقلّة نسبيَّة . وفضل الاستاذَين والعالمين المبرّزين ناجوت وسنسر هو انهما بحثا عما اذا امكن اخلاء ذلك المسكن من قاطنيه وإبدالهم بسواهم . فعمدا الى الاختبارات لحلّ ذلك المشكل المبهم . ومن ثمَّ انتزعا قطعاً من النسيج الموصل في الانسان وبعض الحيوانات وغمساها في مانع قاتل لكل الخلايا الحية ثم لقّحاها على جسم حيّ . كل ذلك يعبّر عنه الآن بالتلقيح الميّت ( greffe morte ) فتيقّن المبتكران الجسوران على اثر امتحانات لا تُحصى ان قطعة النسيج الموصل الملقّحة لا تلبث ان تلتحم بالعضو الملقَّح اشدَّ التحام وتنتعش بجواره بعد موتها بحيث يستحيل على ادقّ الفاحصين المحنّكين تعيين الحدّ الفاصل بينهما

هاك تفاصيل احد اختبارات العالمَين الفرنسويين . بعد تبنيج بعض الكلاب بالكلورفورم عرَيا ثم بترا على طول بضعة سنتيمترات بعض الاعصاب الباسطة لعضَلات الاصابع . ثمّ لقّحا بدلًا من الاجزاء المقطوعة باجزاء اخرى مجانسة مأخوذة من كلب ميّت وموضوعة مدة شهر ونيّف في الكحول القاتل لكل الخلايا الحيّة . ثم قُتلت الكلاب الملقَّحة بضعة اسابيع بعد العمليَّة وقد كانت قبل موتها استعادت حركة اصابعها بغاية السرعة . فكانت نتيجة الفحص الدقيق بالنظر المجرَّد ثم بالمُجهر ان الاعصاب الملقَّحة في احدى رجلي الحيوان لا تختلف ادنى اختلاف عمَّا يقابلها في الرجل الاخرى وانّ قطعة العصب الملقَحة ملتحمة التحاماً تامًّا حيويًّا بجزء العصب الذي خيطت به فهي تقاسمه كل خواصّه النوعيَّة والفسيولوجيّة . بل العجب العجاب انه استحال مطلقاً على الفاحصَين مهما كبَّرا الصور المرتسمة في مجهرهما ان يريا مكان الالتحام بين الملقِح والملقَّح عليه . واغرب من ذلك ان الفلذة الملقّحة انجلت لهما بكل مجالي الحياة والياف نسيجها الموصل عامرة بكثير من الخلايا الحية الواردة اليها ضرورةً من جزء العصب التي لُقّحت عليه . وقد لاحظ العالمان سيرها التدريجي من احدى الجهتين الى الاخرى بقتل الكلاب الملقَّحة بعد مرور اوقات متفاوتة منذ اجراء العمليَّة

واذ نجحا ذاك النجاح العظيم في تلقيح اعصاب العضلات تجاسرا وحاولا تلقيح قطَع من الشرايين ويعلم القاصي والداني مقدار دقّتها . فأبدلا في بعض الحيوانات قطعاً مبتورة من الوداج — وهو الشريان الموصل للدماء من القلب الى النخاع — بغيرها بعد ان

قتلت خلاياها في الكحول . فاسفرت العمليَة عن نجـاح باهر حتى في حيوانات مختلفة الجنس كالخروف والكلب . ويلزم تنبيه القراء الى ان الياف النسيج الموصل المأخوذ من الخروف والمفرَّغ من خلاياه الحية عاش تدريجيـاً بعد تلقيحهِ على وداج الكلب بالخلايا المختصة بالكلب ليس بالخروف

ثم اراد المكتشفان النحريران المقابلة بين التلقيح الميّت—وهو الاسم الذي اطلقاه على ابتكـارهما— والتلقيح الحي وهو التسمية المناسبة لاكتشاف الدكتور كارّل رصيفهما الذي جارياه في الميدان الجـديد الذي فتحه لـلجراحة العصريَّة . هذا هو الاختبار الذي اجرياه بل اعاداه مراراً : لقّحا على كلبٍ فلذةَ وداجٍ ميتةً بدلًا من جزء مبتور من وداجه الايمن وقطعـةَ وداج حيّةً بدلًا من احـد اجزاء وداجه الايسر . فكانت نتيجة المقابلة بين الفلذتين الملقّحتين ان الاولى التحمت بنوع اسهل واسرع من الثانية خلافاً لما كان يتوقَعه في تلك الظروف لفيف العلماء الاختصاصيين وطبقـاً لما كانا هما ينتظرانهِ

وتفسير ذلك السرّ الغريب ان الخـلايا الحيّة اذا انتقلت من جسم الى آخر ولو كانا من جنس واحد لا تلبث ان تُحدث بعض التسميم في الجسم المُضيف لها فكأَنّ هنا حرباً عواناً بين حياتين متضادّتين لا تثبت الواحدة الّا بالحاق بعض الخسارة بالاخرى . وان شئنا ان نضرب مثلًا بسيطاً يقرّب ذلك الناموس الحيوي الى الاذهان فحسبُنا الاشارة الى ان احتلال مدينةٍ لا حامية لها يسهل على ايّ جيش كان بخلاف احتلال بلدة محصّنة عامرة بالجنود ومجهّزة بانواع الذخـائر الحربيَّة فانَّ فتحها لا يُنال الّا ببعض المشاقّ . فأفلاذ النسيج الموصل الملقّحة على جسم الحيوانات بعد قتل خلاياها هي اشبه بمدينة عزلاء خالية من الجند فيتيسَّر على الخلايا المضيفة لها ان تلج بين اليـاف النسيج الملقّح لتنوب عن سكانه السابقين الذين لم يكن فيه عناصر حيّة سواهم . وما نقوله في تلقيح قطع النسيج الموصل ينطبق على تلقيح ايّ فلذةٍ كانت تُبتَر من جسم الحيوان . فقد سبقت لنا الاشارة الى ان القسم الاكبر مما نسمّيه لحماً متكون من النسيج الموصل

ومُذْ تاكد العالمان المكتشفان ناجوت وسنسر افضليَّة طريقتهما على خطة كارّل اعني امتياز التلقيح الميّت على التلقيح الحيّ أَقدما اقتداء بنموذج رصيفهما الشهير على إخراج

ابتكارهما الى حيّز العمل في العمليّات الجراحية فكلّل النجاح مسعاهما منذ الاوائل . وقد ساعدتهما على اجراء التجارب كثرة جرحى الحرب الكبرى : فلنورد تفاصيل بعضها على طريق الايجاز

لقّح انقريسان اعصاباً حيوانية على اعضاء اشخاص مزّقت شظايا الانابل قطعاً من اعصابهم . فنجحت تلك العمليَّات العديدة فوق ما يؤَمَّل واستعاد المعالَجون التمتع التامّ بالعضو الملقَّح بعد ان امتنعت عليه ادنى حركة . وقد بلغ احياناً طول العصب الحيواني الملقّح عشرة سنتيمترات . وعلى هذا المنوال أُبدلت اوتار عضَليَّة مقطوعة بغيرها مأخوذة من حيوانات ميّتة فافلحت المبادلة . ولا نتمالك ان نروي على حدة تفاصيل احدى العمليَّات الاخيرة . كان المعالَج قد فقد كل الاوتار العضليّة المعطِّفة لاصابع احدى يديه فبقيت الاصابع ملتوية نحو الراحة ومن المستحيل تمديدها . فلُقِّحت عليها ثمانية اوتار مثلها منزوعة من كلب فشفي الرجل من عاهته اتمّ شفاء وصار يستخدم كل اصابعهِ كما كان يفعل قبل جرحها

وبما ان تلقيح قطع الشرايين نجح في الحيوانات كلَّ النجاح فالاستاذان ناجوت وسنسر يبنيان عليه اطيب الامل في اجراء مثله على الانسان . فلو تحقّق رجاؤهما وتعمَّمت طريقتهما التلقيحيَّة لنجا من الموت الفجائي الهائل آلاف من المصابين بالنورسما (anévrisme) وهي انتفاخ مُفرط في الشرايين يحدث انقطاعُها نزفَ الدماء في باطن الجسم فلا مناص عندئذٍ من الموت العاجل . فكم وكم حياةً ثمينة تخلص من الهلاك اذا استطاع الجرَّاح الواقف على وجود نورسما في شريان معلوم ان يبتر جزء الشريان المصاب بهِ فيُبدله بجزء ملقّح

ثمَّ انَّ لاكتشاف العالمين الفرنسويين تطبيقاً آخر شديد الخطورة لا يبعد تحقيقه . كان الجرّاحون حتى ايامنا هذه اذا ارادوا معالجةَ عظم فُقدت منهُ قطعة لا بدَّ من التعويض عنها كما في الجمجمة يعمدون الى كسر مثلها من عظم اقلّ اهمية للشخص المعالج ويكمّلون بها العظم الناقص . ومن البديهي ان في ذلك كلفة بل مُصيبة على محتمل العمليَّة فكاني بهِ نجا من العمى بقبول العور . فكم تخفّ بل تزول المصائب ان امكن في مستقبل قريب تلقيح كِسَر من عظام الكلاب او العجول لتنوب مناب ما انتُزع من عظام الانسان . وكثير مثل هذه التطبيقات الجراحيَّة

يسوغ لنا الآن رجاء تحققها العاجل . فما اعظم الخدمة التي اداها للعالم اجمع الجهبذان الفرنسويان ناجوت وسنسر باكتشافهما الرائع الذي كاد ينسينا معجزات الدكتور كارّل مبتكر فن التلقيح الجراحي الحديث

وقبل ختام هذه المقالة نزيد إطلاع القراء على اكتشاف اخر شديد الخطورة يُعزى الى نفس العالمين المذكورين وله علاقات وثيقة بالاكتشاف الاول. كان العلماء عموماً ولا سيّما الاختصاصيين بعلم الخلايا الحيّة موقنين بان لكل نوع من هذه الخلايا اشكالاً ومواضع ووظائف معلومة يمتنع تغيّرها . فالاستاذان الشهيران قد اوضحا استناداً الى اختباراتهما العجيبة بطلان ذلك الرأي

وهذا بيان موجز لكيفية وقوفهما على الحقيقة المحجوبة عن ذات الاختصاصيين . انهما فحصا موضع التلقيح من كلاب بُترت منها قطع وِداج ثم أُبدلت بمثلها من كلاب أُخر . ومعلوم لدى العارفين ان قناة الوداج مكوّنة من طبقات متنوّعة من الخلايا والطبقة الوسطى مركبة في الشريان الحيّ من خلايا خصوصيَّة يتخلل بينها عدة صفائح مَرنة ودقيقة لم يبق سواها في قطعة الوداج الميّت الملقح على وداج الكلب . فالعالمان ناجوت وسنسر لاحظا بعد اجراء التلقيح بمدّة ان خلايا عديدة تسرّبت شيئاً فشيئاً من انسجة الجسم المجاورة لقطعة الوداج الملقّحة وتخللت بين الصفائح المرنة التي بهذه القطعة نيابةً عن الخلايا التي قُتلت قبل التلقيح . ويمكن بالمجهر مشاهدة كل ادوار تحوُّل الخلايا الواردة من جوار الوداج الى مكانٍ وشكل ووظائف جديدة . فقد ثبت علمياً بفضل الاستاذين امكان تحوُّل الخلايا من نوع الى اخر ومن وظيفة الى اخرى . وعلى هذا الاكتشاف الجديد تستند آمال كبرى قرَّب الله موعد تحققها وهي الآتية : كل اعضاء جسمنا مكوَّنة جوهرياً من نسيج مُوصل يمكن تلقيحه على مثله في جسم آخر بعد قتل خلايا الاوَل . ومن جهة اخرى ان النسيج الموصل الملقّح له تأثير على الخلايا المجاورة بتحويلها الى النوع المناسب للعضو الملقَّح مثلًا الى خلايا شريانيّة ان لُقّح الشريان . فما الذي يمنعنا مبدئياً بعد الحقائق الراهنة التي سبقت الاشارة اليها ان نرجّي امكان التلقيح الميّت ليس فقط في قطع العروق والاوتار العضلية ومثلها بل وفي اهمّ الاعضاء الحيوية كالقلب والمعدة والرئة والكلوة . لعمري كل ذلك لم يزل الآن في دائرة الامكان ولو لم يخرج بعد

منها الى حيّز العمليّات الجراحيّة

والحق يقال ان اكتشافات العالمين الفرنسويين ناجوت وسنسر هي من ابعد ما ادركتهُ فكرة العلماء الوقّادة بفضل الفحوص والاختبارات المتعددة التي أَجروها في ميدان العلوم عامَّةً وفنّ الجراحة خاصة منذ شُغِفت الالباب بالتوغل في اسرار الطبيعة طمعاً في ازاحة طرف النقاب الذي اسدلهُ عليها البارئ ريثما يكشفه الانسان بانتصاره المجيد على كل العقبات الحائلة دون مرامه النبيل

---

## رسالة تدبير المنزل لارسطو

بقلم عيسى افندي اسكندر المعلوف اللبناني صاحب مجلة (الآثار)

### تمهيد

لقد طالعت في الجزء الثالث الماضي من (المشرق) الاغرّ مقالة « تدبير المنزل » لمؤلفها (بريسيس) مع مقدمتها وحواشيها بلذَّة لما فيها من المباحث الجديرة بالثناء على الفلاسفة القدماء في ما وضعوهُ لنا من كتب التربية وتدبير الأُسرة والمنزل الخ وما عانى علماء العرب في نقلها الى لغتهم وحفظها بعد ضياع أُصول كثير منها ونشرها الآن بعناية مجلَّة المشرق . ولقد عُنيت بالبحث عن مثل هذه الآثار النادرة لنشرها على صفحات مجلتي (الآثار) او غيرها من المجلات الكبرى حفظاً لها من الضياع . ومما ظفرني به الحظ منذ سنوات مقالة «تدبير المنزل» لارسطو الفيلسوف اليوناني في مجموعة طبيَّة طبيعية فنّية قديمة الخط نادرة الوجود اتصلت بمكتبتي مثل غيرها من المخطوطات النادرة التي حرصتُ عليها كل الحرص ولاسيما في اثناء الحرب العامَّة ونكباتها فزدتها عشرات من النوادر . وقبل وصف الكتاب والرسالة استأذن ناشر المقالة المذكور صديقي العلامة صاحب المشرق بتقديم كلمة في هذا الموضوع :

### كتب تدبير المنزل

لقد وقفتُ على أَسماء كثيرٍ من المؤلفات المتعلّقة بتدبير المنزل وشؤُون الأُسرة والتربية البيتية وسياسة اربابهِ وعرَّفتُ بعضها وما بَحثتَ فيه . فرأيتها ترمي الى اغراض كثيرة مثل تدبير الزوجة وتربية الاولاد وتدريب الخدام وآداب الصحبة وحسن

المعاشرة وصحّة المخالقة وآداب الانسان في مـأكله ومجلسهِ وملبسهِ وسفره واقامته وادارة البيت وإعداد المآكل والتمريض وما يتعلق بذلك من الآداب الرائعة ولولا ضيق المقام في هذه العجالة لعددت منها عشراتٍ باسماء مؤلفيها ومواضيعها وما شاكل ولكنني اقتصر على الاشارة العامّة منتقلًا الى وصف هذا الفنّ من مؤلفاتهم :

انّ طاش كبري زاده في كتابه « مفتاح السعادة ومصباح السيادة (١ » الذي ضمّنهُ كثيرًا من هذه الآداب ذكر في (الدوحة الخامسة) التي تبحث في الحكمة العملية ان لها اربع شُعَب : (الاولى) في علم الاخلاق . و(الثانية) في علم تدبير المنزل . و(الثالثة) في علم السياسة . و( الرابعة ) في فروع الحكمة العملية وهي علم آداب الملوك . ووظائف السلطان . وآداب الوزارة . والاحتساب . وقود العساكر والجيوش

ثم قال بعد تعريفهِ الحكمة العمليّة ما نصّهُ وهو يدلّ على علاقات التقسيم : «ثم ان الحكماء ذكروا علومهم العملية وبحثوا فيها عن الاعمال الصادرة عن البشر . وتلك الاعمال امّا ان تتعلق بالشخص وحده وهي (علم الاخـلاق) . أو تتعلق باهل المنزل لدوام الانس والائتلاف وهي (علم تدبير المنزل) . او تتعلق باحوال اهل البلد لنظام احوال الملك والسلطنة وهي (علم السياسة) وهذه علوم ثلاثة . ولنذكر كلًّا منها في شعبة ثم نردفها بشعبة رابعة لبيان فروعها »

واليك ما ذكرهُ في الشعبة الثانية عن ( علم تدبير المنزل) : «وهو علم يُعرف منهُ اعتدال الاحوال المشتركة بين الانسان وزوجته واولاده وخدّامه . وطريق علاج الامور الخارجة عن الاعتدال ووجه الصواب فيها . و (موضوعهُ) احوال الاهل والاولاد والقرايب والخدّام وامثالها . و (منفعة هذا العلم) عظيمة لا تخفى على احد حتى العوامّ لان حاصلهُ انتظام احوال الانسان في منزلهِ ليتمكن بذلك من رعاية الحقوق الواجبة

---

١ ) وهو الامام عصام الدين احمد بن مصطفى بن خليل المعروف بطاش كبري زاده المتوفى سنة ٩٦٨ ﻫ (١٥٦٠ م) وكتابهُ (المفتاح) من اكبر الموسوعات العربية الباحثة في اقسام العلوم ووصف مؤلفاتها وتراجم المؤلفين يقع في ثلاثة مجلدات كبيرة طُبع منها الأوّلان في الهند بحيدراباد سنة ١٣٢٨-١٣٢٩ ﻫ (١٩١٠-١٩١١ م) في نحو الف صفحة بقطع ربع كبير وهو ما وقف الطابع عليه من المفتاح ولهُ جزء ثالث من نسخة رائعة في مكتبة احمد باشا تيمور من الدوحة السابعة الى آخر الكتاب وهذا حريّ بالطبع لما فيه من الآداب والعادات ولي مقالة مطولة في وصف الكتاب ومعارضاتهِ ربما نشرتها في احدى المجلّات

بينهُ وبين الاشخاص المذكورة ويتفرغ باعتدالها وانتظامها الى كسب السعادة العاجلة أو الآجلة»

ثم قال: « واشهر كتب هذا العلم ( كتاب بروش ). وفي هذا العلم كتب كثيرة غير هذا وستعرف الكتب الجامعة للثلاثة »

انتهى ما رايت ذكرهُ من هذا الكتاب الذي اعتمد عليه الحاج خليفة في كشف الظنون ونقل عنه التعاريف والحدود احياناً بالحرف الواحد كما ترى في علم تدبير المنزل

## مؤلف الرسالة المنشورة في المشرق

لقد رأيت اسم صاحب هذه الرسالة كثير الصور والتحريف . واقدم من ذكرهُ ابن النديم في (الفهرست) صفحة ٢٦٣ بقوله :

« كتاب (روفس) في تدبير المنزل لعلوسوس (١ »

هذا كل ما ذكرهُ عنهُ ولما نقل المرحوم المؤرخ جرجي زيدان كلامهُ في تاريخ دأب اللغة العربية (٢: ٢٣٢) قال : « كتاب تدبير المنزل لبروسن ( كذا ) ذكرهُ صاحب الفهرست وقد ضاع ». فحرّف الاسم خطأً مطبعيًا. وكأن المؤلف لم يطالع الفصلين اللذين نُشرا من هذا الكتاب في مجلة الضياء اليازجية ( ٢ : ١٩٩ و ٢٤٣ و٢٦٦) في البحث عن المال والخدام فقط عدا الفصلين الباقيين اللذين نشرتهما (المشرق) مع الاولين (٢ فلذلك قال انه (قد ضاع)

ولقد عارضت ما نُشر في الضياء بما نُشر في المشرق فرأيت الكتاب الذي نقل

---

١) لا نعلم ما هو مستند جنابه في قولهِ انَّ الكتاب المذكور في الفهرست هو الذي تولَّينا نشرهُ في المشرق ولعلَّه كتاب آخر باسمه مع ما في ايراد الاسم من الالتباس « كتاب روفس . . . لعلوسوس ؟ » (ل . ش)

٢) لم ننتبه الى ما نُقل من كتاب تدبير المنزل في الضياء في سنتها الثانية ولولا ذلك لأشرنا اليها. ومن المرجَّح انَّ المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي اطّلع على ذات النسخة التي اخذنا عنها . ولم يصرّح في الضياء عند من وجد الاصل الذي نقل عنهُ . وقد قابلنا بين ما نشرناهُ في المشرق والقسم الذي نشرهُ صاحب الضياء فرأينا فيهما فرقاً زهيدًا فان الشيخ لم يُشر الى الاصل المغلوط فأصلحهُ توًّا وقد اصلحناهُ نحن بعد ذكر الرواية الاصليَّة صوناً لامانة النقل. امَّا تقاسيم الفصول فزدناها نحن بحرف دقيق تسهيلًا لمطالعتها (ل . ش)

عنهُ الضياء اسدّ مرمىً في بعض المواضع ممّا نقل عنه المشرق ولعلّه اقدم واضبط . على ان ما في المشرق قد يزيد فقرات لا توجد في الضياء احياناً شأن ما ينقل عن المخطوطات القديمة ولاسيا غير المنقوطة منها او التي لم تقابل على اصلها وتضبط بقراءتها على مشاهير العلماء

بقي البحث في (اسم مؤلف الرسالة) فان ما فيه من التصحيف والتحريف وكثرة الإشكال يشوش الذهن حتى ان الاسم جاء في مجلة (الضياء) هكذا (برسس) مهملاً . وفي آخر مقالة المشرق (برولس) ولعلها بروبس لان ما جاء في فهرست ابن النديم هو الاقرب الى الاصل والفيلسوف (روفس) كان من افسس مقدَّماً في صناعة الطبّ ولم يكن في الروفسيين افضل منه . وهو قبل جالينوس المشهور (فهرست ص ٢٩١) ولاخفاء بالتبادل بين الفاء والباء فيقال روفس وروبس

ولقد ترجم هذا الفيلسوفَ ابنُ القفطي (ص ٢٩١) وابن ابي اصيبعة (١ : ٣٣) في كتابيهما (تاريخ الحكماء والاطباء) على ان ابن ابي اصيبعة سماهُ (روفس الكبير) مما يدل على انه يوجد حكيم آخر باسم (روفس الصغير) لعلهُ هو واضع هذه الرسالة . ولقد عدَّدا مؤلفاته . وذكر لهُ ايضاً ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٠٠) (كتاب حفظ الصحة) الذي فسَّرهُ حنين ابن اسحق . ولكنهما لم يصرّحا باسم هذا الكتاب كما اشتهر اسمه (تدبير المنزل) . على ان ابن ابي اصيبعة ذكر له مقالة (في تدبير الاطفال) ولعلّها احدى المباحث الاربعة مفردةً او سمّى الكل بأسم الجزء . وذكر له ابن النديم (كتاب التدبير مقالتان) فافرد له بعض مباحث الرسالة ايضاً . اما علوسوس الذي ذكرهُ ابن النديم فما لا يُهتدى اليهِ ولعله هو الذي دعا الى هذا التحريف والتصحيف

## تدبير المنزل لارسطو

هو رسالة من كتاب طوله ٢٣ س وعرضه ١٦ وكل صفحة معدَّل اسطرها ١٧ في نحو ٤٠٠ صفحة مخروم من اوله واخره ولكنه قديم الخط مجلد بالخشب بقطع ربع عريض خشن الورق مختلف الخط بالحبرين الاسود والاحمر اتَّصل بمكتبتي . وفيه مقالات (التعليلات) للاسكندر الافروديسي . و(ثمار المسائل الطبية) لثاوفرسطس . و(مسائل ما بال) لارسطو في ٢٥ مقالة . و(ثمرة من كلام يحيي وجالينوس) في الترياق .

ومقالات أُخر مختلفة المواضيع لعيسى بن ما سويه ولجالينوس . وبعضُها لم يُذكر مؤلفها وهي في تركيب الادوية والاغـذية والحيوان والشعر والروح والنفس والعـطش والروائح الخ وآخرها (في الموسيقى) لابي الفرج بن الطيّب . وكلها من نوادر المواضيع الجديرة بالنشر . على ان خط الكتاب القديم كان مهملاً فأَعجمهُ بعض مطالعيه فشوَّشوا بعض الفاظه . وسأصف هذه المجموعة مع غيرها من نوادر المخطوطات التي أَحرزها في مكتبتي حرصاً على فوائدها وحفظاً لها من الضياع متى سنحت لي فرصة كافية

اما مقالة تدبير المنزل فقد عُنونت هكذا ( ثمار مقالة أَرسطو في تدبير المنزل ) وهي في نحو سبع صفحات (١ . عارضتها بمقالة (بروفس) في المشرق فرأيت فيها هذه الفروق :

## معارضة الرسالتين

بدأ ارسطو رسالته في الفرق بين السياسة المنزليَّة والسياسة المدنيَّة فأَبدع في التفرقة بينهما ولم يقتضب الكلام اقتضاباً كما فعل ( بروفس ) وجعل اول حاجات المنزل المرأَة فبحث عنها ثم عن الرجل وسياستهما معلّلاً عن مبادلة التعاون مفرّقاً بين الانسان والحيوان في الزواج . باحثاً عن زينتهما وانها خارجية لا تأثير فيها على الاخلاق مفضلاً هذه عليها . وتطرَّف الى الخدَّام وعبَّر عنهم (بالعبيد) ونهى عن السماح لهم بشرب المسكرات وحضَّ على تعهُّدهم بالاستخدام والتأديب والإشباع واسترسل الى وصف اخلاقهم وما يجب ان يفضَّل منها على غيرها

ثم استرسل الى المال وتحصيله وخزنهِ وإنفاقهِ وما شاكل ذلك مشيرًا الى تربية الأُسرة وما يجب فيها من الحكمة

على ان الفرق بين الرسالتين ان ارسطو ادمج كلامه بدون تبويب وبدأ في وصف تدبير المنزل وشؤون اربابه متطرّقاً من موضوع الى آخر بعلاقـات قادهُ اليها البحث

---

١) ولعلّ هذه الرسالة هي عين الرسالة التي اشرنا اليها في مقدَّمتنا على رسالة تدبير المنزل حيث روينا ما نشرهُ العلّامة إِجرْ (Egger) في مجموعة اكادمية الكتابات والفنون منسوباً الى ارسطو في تدبير المنزل فاذا نشرهُ صديقنا عيسى افندي عارضناهُ بتلك الترجمة (ل . ش)

عنهُ الضياء اسدّ مرمى في بعض المواضع ممَّا نقل عنه المشرق ولعلّه اقدم واضبط . على ان ما في المشرق قد يزيد فقرات لا توجد في الضياء احياناً شأن ما ينقل عن المخطوطات القديمة ولاسيما غير المنقوطة منها او التي لم تقابل على اصلها وتضبط بقراءتها على مشاهير العلماء

بقي البحث في (اسم مؤلف الرسالة) فان ما فيه من التصحيف والتحريف وكثرة الإشكال يشوش الذهن حتى ان الاسم جاء في مجلة (الضياء) هكذا (برسس) مهملاً . وفي آخر مقالة المشرق (برولس) ولعلها بروبس لان ما جاء في فهرست ابن النديم هو الاقرب الى الاصل والفيلسوف (روفس) كان من افسس مقدَّماً في صناعة الطبّ ولم يكن في الروفسيين افضل منه . وهو قبل جالينوس المشهور (فهرست ص ٢٩١) ولاخفاء بالتبادل بين الفاء والباء فيقال روفس وروبس

ولقد ترجم هذا الفيلسوفَ ابنُ القفطي (ص٢٩١) وابن ابي اصيبعة (١ : ٣٣) في كتابيهما (تاريخ الحكماء والاطباء) على ان ابن ابي اصيبعة سماهُ (روفس الكبير) مما يدل على انه يوجد حكيم آخر باسم (روفس الصغير) لعلهُ هو واضع هذه الرسالة . ولقد عدَّدا مؤلفاته . وذكر لهُ ايضاً ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٠٠) (كتاب حفظ الصحة) الذي فسَّرهُ حنين ابن اسحق . ولكنهما لم يصرّحا باسم هذا الكتاب كما اشتهر اسمه (تدبير المنزل) . على ان ابن ابي اصيبعة ذكر له مقالة (في تدبير الاطفال) ولعلّها احدى المباحث الاربعة مفردةً او سمَّى الكل بأسم الجزء . وذكر له ابن النديم (كتاب التدبير مقالتان) فافرد له بعض مباحث الرسالة ايضاً . اما علوسوس الذي ذكرهُ ابن النديم فما لا يُهتدى اليهِ ولعله هو الذي دعا الى هذا التحريف والتصحيف

## تدبير المنزل لارسطو

هو رسالة من كتاب طوله ٢٣ س وعرضه ١٦ وكل صفحة معدَّل اسطرها ١٧ في نحو ٤٠٠ صفحة مخروم من اوله واخره ولكنه قديم الخط مجلد بالخشب بقطع ربع عريض خشن الورق مختلف الخط بالحبرين الاسود والاحمر اتَّصل بمكتبتي . وفيه مقالات (التعليلات) للاسكندر الافروديسي . و(ثمار المسائل الطبية) لثاوفرسطس . و(مسائل ما بال) لارسطو في ٢٥ مقالة . و(ثمرة من كلام يحيي وجالينوس) في الترياق .

ومقالات أُخر مختلفة المواضيع لعيسى بن ما سويه وجالينوس. وبعضُها لم يُذكر مؤلفها وهي في تركيب الادوية والاغـذية والحيوان والشعر والروح والنفس والعـطش والروائح الخ وآخرها (في الموسيقى) لابي الفرج بن الطيّب. وكلها من نوادر المواضيع الجديرة بالنشر. على ان خط الكتاب القديم كان مهملًا فأعجمهُ بعض مطالعيه فشوَّشوا بعض الفاظه. وسأصف هذه المجموعة مع غيرها من نوادر المخطوطات التي أحرزها في مكتبتي حرصاً على فوائدها وحفظاً لها من الضياع متى سنحت لي فرصة كافية

اما مقالة تدبير المنزل فقد عُنونت هكذا (ثمار مقالة أرسطو في تدبير المنزل) وهي في نحو سبع صفحات (١). عارضتها بمقالة (بروفس) في المشرق فرأيت فيها هذه الفروق:

## معارضة الرسالتين

بدأ ارسطو رسالته في الفرق بين السياسة المنزليَّـة والسياسة المدنيَّة فأبدع في التفرقة بينهما ولم يقتضب الكـلام اقتضاباً كما فعل (بروفس) وجعل اول حاجات المنزل المرأَة فبحث عنها ثم عن الرجل وسياستهما معلّلًا عن مبادلة التعاون مفرّقاً بين الانسان والحيوان في الزواج. باحثاً عن زينتهما وانها خارجية لا تأثير فيها على الاخلاق مفضلًا هذه عليها. وتطرَّف الى الخـدَّام وعبَّر عنهم (بالعبيد) ونهى عن السماح لهم بشرب المسكرات وحضَّ على تعهُّدهم بالاستخـدام والتأديب والإشباع واسترسل الى وصف اخلاقهم وما يجب ان يفضَّل منها على غيرها

ثم استرسل الى المال وتحصيله وخزنه وإنفاقهِ وما شاكل ذلك مشيراً الى تربية الأُسرة وما يجب فيها من الحكمة

على ان الفرق بين الرسالتين ان ارسطو ادمج كلامه بدون تبويب وبدأ في وصف تدبير المنزل وشؤون اربابه متطرّقاً من موضوع الى آخر بعلاقـات قادهُ اليها البحث

---

١) ولعلَّ هذه الرسالة هي عين الرسالة التي اشرنا اليها في مقدَّمتنا على رسالة تدبير المنزل حيث روينا ما نشرهُ العلَّامة إجِر (Egger) في مجموعة اكادمية الكتابات والفنـ[illegible] ارسطو في تدبير المنزل فاذا نشرهُ صديقنا عيسى افندي عارضناهُ بتلك الترجمة



معتمدًا على فلسفة التدبير العامّة معتمدًا على آداب العبيد المستخدَمين ممــّا يدل على شدَّة عناية القدماء بهم ولاسيما في عصرهِ . بخــلاف تقسيم بروفس مقالته الى اربعة مباحث معنونة

وعبارة رسالة ارسطو تنمّ عن اساليب التعريب القديمة لكبار المعرّبين مع ما في الفاظها من الإشكال لإهمالها ثم إعجامها مما يحتاج الى إعمال النظر لردّه الى نصابهِ

وعلى الجملة فالرسالة جديرة بالنشر بعد تحقيق بعض الفاظها وازالة ما شوَّهها من التصحيف مع كور الايام على هذه النسخة واصطلاح الخــط القديم وكثرة الايدي التي اشتغلت في الكتاب المجموعة فيه نسخاً وتنقيطاً وتشكيلاً. وسأتفرَّغ لذلــك عند سنوح الفرصة

## ختام

ومزية المقالات جميعها انها عبّر عنها في الطب (بالعلّة) وفي غيرها (بالثمرة) فلذلك سُمّيت مقالات كثيرة فيه بالتعليلات واخرى بالثمار وفيها مبــاحث مفيدة في الطب والطبيعيّات والآداب منها في الخمر والمسكر والتعب والاعياء والعُدوى التي عبّر عنها بالمشاركة في الألم وخواصّ الحيوانات والصوت والامزجة والعطش واكثرها لارسطو وغيره من كبار الفلاسفة ولعلها من تعريب ابي الفرج ابن الطيب والله اعلم

---

# شهيدات المحبة

## في ثورة فرنسة الكبرى

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعيّ

انَّ شريعة المسيح قد امتازت عن الشريعة الموسويَّة بكونها غلّبت الفَضل على العدل ورجّحت المحبَّة على القسط والإنصاف. قــال رسول الامم في رسالتهِ الى الرومانيين (١٣ : ١٠): « انَّ المحبَّة هي الناموس بتمامهِ » وقــال في الرسالة الى اهل

كولسّي (٣: ١٤) : «المحبَّة رباط الكمال» . وانَّما المحبَّة فرعان كما قال السيّد المسيح (متَّى ٢٢: ٣٨—٤٠) : «محبَّـة الله وهي الوصيّة العظمى والأولى ومحبّة القريب التي تشبهها وبهاتين الوصيَّتين يتعلّق الناموس كلُّهُ والانبياء»

وبين القديسين في كنيسة الله من اشتهر بتبريزه في احدى تينك الوصيَّتين فهـام بعضهم في حبّه تعالى حتَّى كادوا يذوبون غراماً في مناجاتهِ ويتفانون في الاقتداء بكمالاتهِ . ومنهم من خصُّوا نفسهم في خلاص القريب وبـذلوا النفس والنفيس في صلاحهِ حبًّا بالله

وقد برّز غيرهم في اتمام الوصيَّتين فقدّموا ذاتهم محرقةً ذكيّة على هيكلي حبّ الله وحبّ القريب . منهم اربع رواهب من راهبات المحبَّة قُتلن في السنة ١٧٩٤ في سبيل الله مستشهدات بالايمان بعد ان قضين قسماً كبيراً من حياتهنَّ في خدمة القريب لاسيَّما الفقراء والمبؤوسين . فمجّدتهنَّ الكنيسة بتدوين اسمائهنَّ في عداد المتطوّبين من اولياء الله فـأُقيمت في الشهر المنصرم الحفـلات الشائقة في كنيسة حضرة الآباء اللعازريين في الثغر لاكرامهنَّ وقد شارك المؤمنون على اختلاف طقوسهم راهبات المحبَّة في تعظيم اخواتهنَّ اللواتي يسعينّ هنَّ بامثالتهنَّ فضلًا ومحبّةً نحو الله والقريب

## ١ شهيدات محبة القريب

في شمالي فرنسة مدينة كبيرة اشتهرت في الحرب العموميَّة الاخيرة بما اصابها من جَوْر الالمان وما ابداه سكّانها من الشهامة في حبّ وطنهم . فهذه المدينة دُهمت في السنة ١٧٩٣ بآفة اشدّ وافظع اذ تولّى عليها من قبل رجـال الثورة الفرنسويَّة كاهنٌ كان مرق من دينه واستسلم لكل اهواء قلبهِ الشرّير بغضـاً باهل البرّ ومعاداة لأرباب الصلاح اسمهُ يوسف ليبون مكذّباً اسمهُ بقبيح فعالهِ ومصدّقاً في نفسهِ المثل القائل : ليس فساد اقبح من فساد ذوي الفضل»

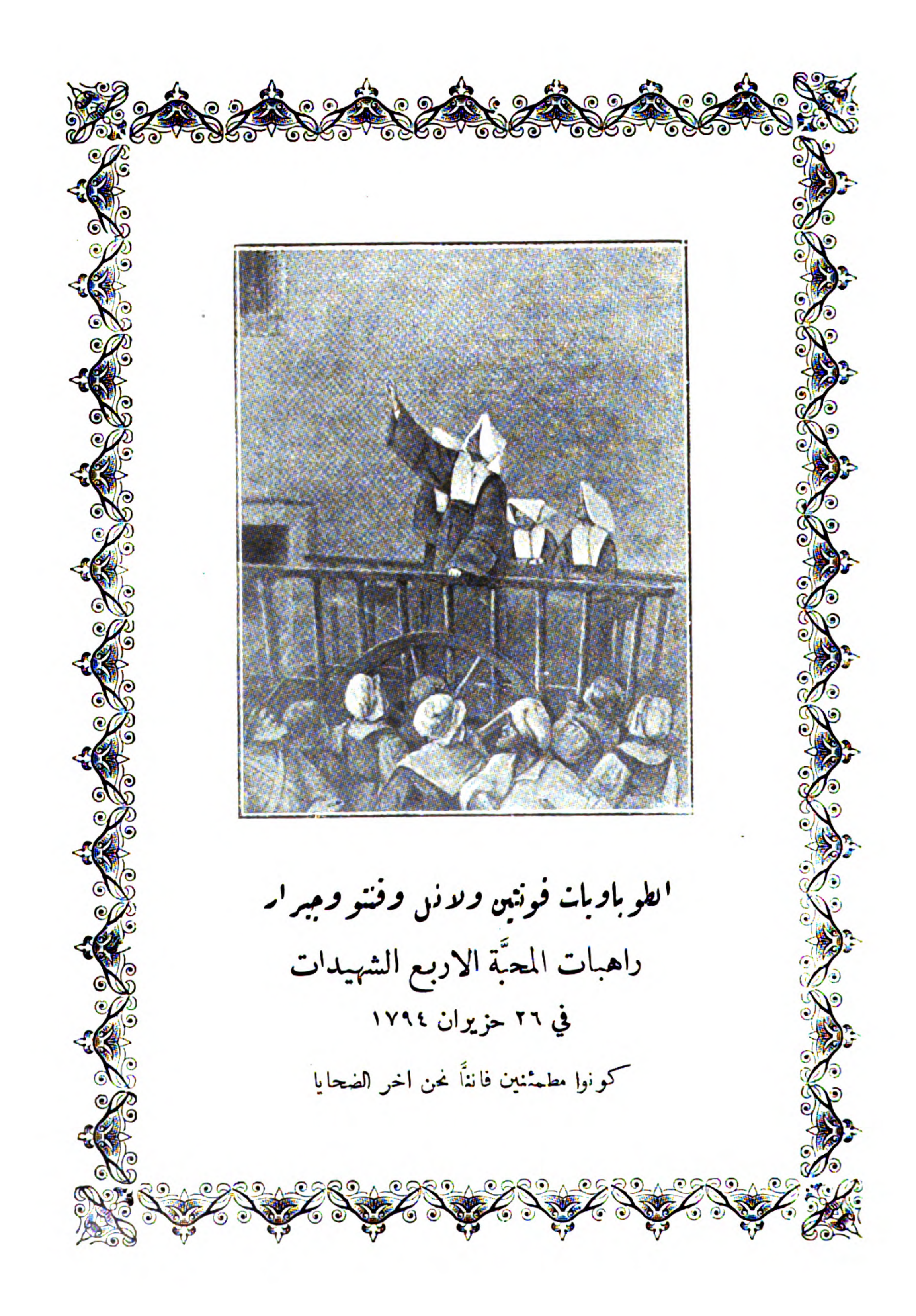
وما كان المذكور الّا اهلًا باولئك العـلوج الهمّج الذين كانوا بمكرهم وقحتهم تمكّنوا من ضبط ازمّة السلطة فاطلقوا العنان الى الاستبداد برقاب العباد واستصفاء اموالهم لا يستثنون من ظلمهم صغاراً او كباراً اغنياء او فقراء ارباب الدين او اشراف العلمانيين حتَّى اضحت فرنسة بمـدّة نحو اربع سنوات منقع دم عموميّ دنّس كل

اطراف البلاد وكفى بذكر اسماء بعض هؤلاء الاشرار المتقمّصين بجسم بشري استدلالاً على سوء سلوكهم. وانّ اسماء دانتون ومورا وروبسپيار وامثالهم لا تزال مرادفةً لمجموع الشرور والآثام لا يفوهُ بها احد الّا بالكراهية والاشمئزاز. فبوكالة مثل هؤلاء الملاحدة الاشقياء اتى لوبون السابق ذكرهُ وفي يدهِ قرار يثبت لهُ الحكم المطلق على مدينة ارّاس واهلها الذين لا يُذعنون لاوامرهِ الشرّيرة مطيعين لهُ الطاعة العمياء او يُفرغ فيهم سجال بغضهِ وحنقهِ

وكان اذ ذاك في ارّاس دير لراهبات المحبَّة يقدّسنَهُ بكل اعمال الرحمة والشفقة نحو المنكوبين من فقراء وأيتام ولقطاء ومرضى وعجّز. ولم تكن تلك الاعمال حديثة بل كانت ترتقي الى عهد منشئَي جمعيَّة المحبَّة اي القديس منصور دي بول والطوباويَّة لويزه دي ماريلياك التي ذكرنا لمعةً من اخبارها (راجع المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٤٠٨). فانهما في السنة ١٦٥٦ كانا ارسلا الى مدينة ارّاس راهبتَيْن فاضلتين باشرتا بكل المشروعات الخيريَّة التي لراهبات المحبَّة الباع الطويل في ادارتها. فمرَّ عليهما وعلى اخواتهما بعدهما نحو قرنٌ ونصف وهنَّ موضوع اعتبار جميع الاهلين ووقارهم وإعجابهم لم يحدنَ في تلك المدَّة الطويلة ذرَّةً عمَّا اعتدنهُ من اعمال الخير والرحمة بل وسَّعنَ نطاق تلك المبرَّات حتّى اضطرَّ اسقف ارّاس سنة ١٧٨١ الى نقلهنَّ الى دار اوسع واصلح ليَقُمن بكلما باشرنهُ من المصنوعات الخيريَّة. وبقي الامر كذلك الى ان انقلبت في فرنسة الهيئة الحاكمة وثُلَّ عرش ملوكها فصارت الامور الى الجمهوريَّة وتفاقمت حتّى اصبحت فوضى يُدير سياستها المتطرّفون من رعاع الناس واهل الغوغاء

ولمَّا حدث الانقلاب السياسيّ في فرنسة سنة ١٧٨٩ وجاهر زعماؤهُ بالحرّيَّة والمساواة والاخاء لم تجد راهبات ارّاس في هذا الشعار ما يتهدَّد اعمالهنَّ بل رأَين فيهِ تأييدًا وتحبيذًا لخدمتهنَّ الاختياريَّة للفقراء والمبؤوسين

وكانت رئيسة راهبات المحبَّة وقتئذٍ الاخت مادلين فونتين (S^r Magdeleine Fontaine) المولودة في قرية اتريپاني سنة ١٧٢٣ فكانت منذ اربعين سنة بنيّف تخدم المنكوبين والبائسين لا يأخذها في عملها الملل والسأم وكان تحت امرها من اخواتها الاخت ماري لانل (M. Lanel) وتريزا فانتو (Th. Fantou) وجان جيرار (J. Gérard) يجارينها حبًّا وايثارًا نحو المكروبين



الطوباويات فونتين ولانل وفنتو وجيرار

راهبات المحبَّة الاربع الشهيدات

في ٢٦ حزيران ١٧٩٤

كونوا مطمئنين فاننا نحن اخر الضحايا

بالأما

فعمل

وملذ

وأدر

متط

وكان اصل هؤلاء الفاضلات الاربع من جهات فرنسة المختلفة من أسر زهيدة بالأملاك الزمنيَّة غنيَّة بالفضائل المسيحيَّة تربين اصلح تربية على ايدي راهبات المحبّة فعمل فيهنَّ مثال اولئك الملائكة المتجسّدين فقصدنَ الاقتداء بهنَّ وهجرنَ العالم وملذّاته ليعشن لله ولخدمة القريب . وبعد أن مكّنَّ في قلوبهنَّ الفضائل الرهبانيَّة وأدركن تماماً ما يطلبهُ الله منهنَّ من التجرُّد وتضحية الذات في سبيل المرضى والمنكوبين تردَّين بثوب خدمة المسيح في ممثّليهِ التعساء على رؤوسهنَّ ترفرف قرنيَّة البرارة وعلى وسطهنَّ نطاق سُبحة البتول مع الصليب المحيي . فسرن مسرعات متطايرات حيثما وَجدنَ بؤساً يُصلحنَهُ وجراحاً يضمّدنَهُ وداءً يداوينهُ .

وكأنَّ الرب وجد في هذه النفوس الاربع ما سُرَّ بهِ قلبهُ الاقدس من سامي الفضل وجزيل البرّ فجمع بينهنَّ في دير واحد ليُعدهنَّ الى دعوة الاستشهاد الجليلة . فاخذن يتنافسن في كلّ عمل مبرور ويتسابقنَ في كلّ مشروع صالح في مدينة ارّاس لم يشاهدهنَّ احد في ذلك المضمار الّا حنى رأسهُ إجلالًا واعتبارًا

قامت الثورة الكبرى واندفعت اندفاع السيل الجارف في كل انحاء فرنسة لم تَخلُ في ثنائها مدينة ارّاس من بلاياها وفظائعها الّا انّ الراهبات كنَّ في ديرهنَّ كفي مَقدس لم تجرأ يدٌ أثيمة ان تمسَّهُ بأذًى بل طمّنهنَّ ارباب الجمهوريَّة قائلين : لا بأس عليكنَّ طالما لا تنوين الّا خدمة الشعب واسعاف البؤساء والمرضى

فواصلت الراهبات اعمالهنَّ المقدَّسة مستورات محصّنات يقدّمنَ لله في السرّ اتعابهنَّ واوجاعهنَّ لخلاص فرنسة من المحن التي دهمتها ولو شاء الله تضحية حياتهنَّ يبذلنها بطيب القلب لسلام وطنهنَّ ونجاته من الفتن والمشاغب

## ٢ شهيدات محبة الله

سمع الله صوت دعائهنَّ فاراد ان يضيف الى استشهاد محبَّة القريب استشهاد الدم في سبيل حبّهِ تعالى فيضاعف جزاءهنَّ بقبوله حياتهنَّ تكفيرًا عن آثام آل الوطن وقد شاركنَهُ بشرب كأس ابنه الوحيد تدريجاً الى عكرهِ . فكان اوَّل ما ذُقن من مرارتهِ انَّهُ قضي عليهنَّ ان يخلَعنَ ثوبهنَّ الرهباني فرضينَ بذلك مؤملات ان يداومنَ خدمتهنَّ للفقراء والمرضى

وبعد زمن قليل امر رؤساء مجلس الجمهوريَّة بان يُكرَه الاكليروس والرهبان على قسَم ملتبس اللفظ غامض المعنى رأى فيهِ الجانب الاعظم من ارباب الكهنوت خرقاً بكرامة الدين ومن ثمَّ عوَّلت راهبات دير ارَّاس على نَبْذ ذلك الحلف. فغضَّ المأمورون طرفهم عن إبائهنَّ فاستمررْن على اعمالهنَّ التقويَّة الخيريَّة الى خريف السنة ١٧٩٣ وهنَّ لا يزلن مكرَّمات مشكورات من الجميع

ففي تشرين الاوَّل من السنة قدم يوسف لوبون السابق ذكرهُ متقلّدًا الحكم في ارَّاس فارتعدت فرائص الجميع لقدومهِ وكان بلغهم سابقاً ما هو عليهِ من فظاظة الطباع وشراسة الاخلاق. فما كادت تستقرُّ قدمهُ في المدينة حتى القى في السجن عددًا عديدًا من سكَّانها مدَّعياً بعدم اخلاصهم الحبَّ للجمهوريَّة . ثمَّ أَرسل مأمورَين يسألان الراهبات أأدّيا القسم المفروض من الجمهوريَّة ؟ فكان جواب الرئيسة كما اجابت سابقاً انَّ الضمير يمنعها واخواتها عن أدائهِ

فاتَّخذ لوبون وجماعتهُ هذا الجواب كحجَّةٍ للتشديد على الراهبات فأتوا مرَّةً ومرَّتين لتفتيش ديرهنَّ دون ان يجدوا شيئاً موجباً لمصادرتهنَّ. ثم أبدلوا اسم المأوى ودعوهُ « دار الانسانيَّة » واحلُّوا فيهِ في ٢٥ تشرين الثاني ناظرًا من قبلهم مع طبيب وجرّاح واجزاني وفرضوا لهم راتباً من مداخيل مستوصف الراهبات اربعة آلاف ليرة فلم يبقَ للراهبات والفقراء من النفقة الَّا ما لا يُعبأُ بهِ ولا يسدُّ رمَقاً

فلم تنفكَّ الراهبات مع كلّ ذلك عن العمل وكنَّ يستعطين في المدينة للقيام بمعاش المرضى والمحتاجين وقوتهنَّ اليومي محتملات تلك المعاملات السيئة باجمل الصبر. وبقين على ذلك نحو ثلثة اشهر اجتهدن في مطاويها ان يكتسبن بلطفهنَّ وخدمهنَّ الصادقة قلوب اولئك الوحوش الضارئة فلم يزدادوا الَّا شراسة. وفي ٥ شباط ١٧٩٤ اتى من قبل لوبون رجلٌ شبيهٌ بهِ قحةً وجفاء يُدعى موري (Mury) وسكن الدير واخذ يسلق الراهبات بالكلام والشتم وبعد أيام استخرج من لوبون وشركائهِ حكماً في حقهنَّ بانْ يكففن ايديهنَّ عن الادارة ويودَعن السجن

فحُبسن اوَّلًا في السجن العمومي الذي كان سابقاً مقاماً لرئيس الرهبان (Abbatiale) فبقين شهرًا بنيِّف ولمَّا أُحضرنَ امام المجلس الاستنطاق لم يجد المستنطقون ما يعلّلون بهِ معاملتهم الَّا امتناعهنَّ عن القسم المخالف لذمَّتهنَّ

فأعتُبر جوابهنَّ كجرمٍ في حقّ الحكومة ونُقلن الى سجنٍ اشدّ ظلمةً وأكره سكناً فضلًا عن حرَجهِ وقلّة سعتهِ يُدعى سجن «پروڤيدانس» كانوا خصّوه سابقاً بالمومسات فاخرجوهنَّ ليُلقوا فيهِ سيّدات واوانس من أُسرٍ كريمة طمعوا في استصفاء اموالهنَّ مدّعين انهنّ من اعداء الجمهوريّة . وكان عددهنّ قريباً من الخمسمائة والمكان يضيق على اكثر من مئة وخمسين اسيرًا . ففي هذا الحبس دخلت الراهبات فرحاتٍ جذلات اذ أُهّلنَ ان يشاركنَ ربّهنَّ بالامهِ

لكنهنَّ ما لبثنَ ان نسينَ اوجاعهنَّ ليفكّرن في خدمة رفيقاتهنَّ . والحقُّ يقال ان اولئك التاعسات كنّ في حالةٍ يُرثى لها وهنَّ غائصات في لجج الاكدار مذ فُصِلن كرهاً عن اولادهنَّ واهلهنَّ وزُججْنَ في السجن لا ينتظرنَ الّا الموت الاحمر . فكان مجيء الراهبات بينهنَّ كبَلْسم على جراحهنّ فاخذنَ يُنهضنَ الهمم ويُنعشنَ القلوب ويُنفّسنَ عن الجميع كُربتهنّ رافعات بنظرهنَ الى صليب الربّ منبع كلّ تعزية وسلوان وحادياتٍ بهنَّ الى التسليم الى ارادة الله

قضت الراهبات نحو شهرين في هذا الحبس يقاسينَ ضُروب الآلام لا ينَلْن من القوت الّا ما لا يفي بحاجتهنَ . وكان عمّال الحكومة يطلبون حجّةً ليحكموا عليهنّ بالموت فلم يجدوا الى ان ادّعوا أنّهن أخفين في دارهنَّ اعدادًا من الجرائد المحظورة وانهنَّ كنَّ يخالطنَ اعداء الحكومة . فنفت الرئيسة الاخت فونتين هاتين الشكايتين واظهرت بكلّ جلاء انهما اوهى من نسيج العنكبوت وانَّ كلّ حياتها وحياة اخواتها مقصورة على خدمة المساكين لا يعاشرنَ غيرهم ولا يتعاطينَ شيئاً من امور السياسة . وكان جواب اخواتها كجوابها دون خلاف

غير انَّ موري واصحابهُ كانوا كالنمورة لا يرضون الّا بدماء فرائسهم فاخذوا يطلبون حججاً على اولئك العذارى القديسات فتارةً يدّعون أنّهم وجدوا خبايا في زوايا بيتهنَّ وطورًا أنّهم وقفوا على اوراق سريّة الى غير ذلك من الترّهات والسفاسف التي لا يبتدعها غير اوباش القوم . وكانوا مذ شهر نيسان نقلوهنَّ الى سجن الدم المعروف بسجن «دي بودي» (des Baudets) فتولّين هناك اعمال الرحمة والحنان مع من وجدْنهم من المبؤوسين الآنسين ولطّفن اوجاعهم كما فعلن بالسجن السابق

وفي تلك الاثناء دُفع الحكم المُطلق الى ايدي يوسف لوبون في حاضرة كمبري

التي ارّاس من توابعها ورُخص لهُ ان يتحكَّم في رقاب الملأ كما شاء .. فكان وصولهُ الى مكان مأموريَّتهِ في اوائل شهر ايَّار وأَعلن من ساعتهِ انهُ سيُجري الحُكم الصارم في كلّ اعداء الثورة. وللحال أَلَّف جماعات من الشُرَط والجواسيس فما عتَّمت السجون أَن ضاقت عن عدد الاسرى

ثمَّ نصب المِصْقلة لقطع الرؤوس في وسط ساحة المدينة فكان بشكاية بعض المدَّعين العموميين يبتّ حكمهُ دون ابطاء فتتوالى عَربات المتَّهمين من دار المجلس البلدي الى منقع الدم والجلّادون يتناوبون باعمالهم الهمجيَّة بينما كان الهلع باسطاً رواقهُ على سائر الاهلين فيلازمون بيوتهم ويتوقَّعون شرَّ العُقبى

ولم يَنْسَ ذاك الوحش الضاري فرانسهُ في مدينة ارّاس وبعد ان ولغ في دماء اهل كمبراي ارسل الامر الى اصحابهِ الى ارَّاس ان: «نحتاج الى رؤوس نقطعها فأسرعوا لئلَّا تبقى المقصلة فارغةً ولا تنسوا الراهبات» . فبلغ الامر في العشر الثاني من حزيران الى ارّاس وذاع الخبر بين الاسرى فعلا الصراخ وتصاعد العويل فكانت ساعة من الكآبة والجزع لا يستطيع القلم ان يصفها اذ كان يُدعى كلّ اسير باسمهِ

وكان اوّل المدعوَّات ليركبن عربات الموت جملةً من شريفات المدينة فأجهشْنَ بالبكاء وغشي عليهنّ لشدّة الخوف فتأثرت الراهبات من هذا المنظر وكأنّ وحياً من السماء حلّ على رئيستهنّ فتقربت منهنّ وقالت بصوت جهور: «اكففنَ الدموع وكنّ مطمئنَّات فانَّنا نحن نكون ختام الضحايا» . فسمعت النساء تلك الكلمة ولم يعلمن ما فيها من الصحَّة ولاسيَّما انهنّ السابقات الى كمبراي فلا شكَّ انهنّ يسبقن ايضاً الى القتل

ولما دُعيت الراهبات بعد ساعات ركبن العَجلة بكل هدوّ وتؤدة وعيونهنَّ الى السماء وفي ايديهنَّ سُبحة العذراء كنَّ يتلونها في الطريق ويطلبن من الله ان يتقبَّل ضحيَّتهنّ ويفدي بدمهنّ رفيقاتهنَّ ويمنّ على شعبهِ بردّ السلام للوطن. فلمَّا بلغنَ نصف الطريق التقينَ بالعربة التي سبقتهنَّ وكان احد دواليبها قد انكسر فاضطرَّ السائق الى ان يصلحهُ فكرَّرت الرئيسة قولها على مسامع السيّدات: «لا بأس عليكنَّ فكنّ مطمئنَّات لأنَّنا نحن خاتمة كلّ الضحايا»

ثمّ يسرْنَ وهنّ الآن في مقدّمة الجميع فبلَغن كمبراي في ضُحى اليوم السادس

والعشرين من حزيران ١٧٩٤ فقادهنَّ السائق الى الحبس المختصّ بالأئمة الذين قرب فيهم نفوذ الإعدام وكان المدّعي العمومي المدعوّ كوبريار قد سبقهنَّ اليهِ ليلقيهنَّ فيهِ ريثما يأتي دورهنَّ للمحاكمة لكن السجّان أبى قبولهنَّ لضيق السجن عن الاسرى. فكان ذلك داعياً الى تعجيل محاكمتهن وموتهنَّ وتتمّةً لنبوّة الطوبويّة فونتين بانهنَّ خاتمة الضحايا

فحملوهنَّ الى الدار الاكليريكيّة سابقاً لينتظرنَ اجتماع المجلس فدخلنَ ساعةً في معبد الدار المجرَّد عن اقداسهِ وجدَّدنَ تقدمتهنَّ للربّ الذي كان قدَّس ذاك المعبد بقربانهِ. وبعد هنيهةٍ استأنفنَ السير الى المجلس الذي انعقد للنظر في امرهنَّ وكان غوغاء الشعب حول نادي القضاء يشاركون القضاة بجلبتهم ويحبّذون حكمهم على المتّهمين. لكنَّهم على خلاف العادة اذ رأوا اولئك الراهبات وعلى وجوههنَّ سمة الحشمة والوقار والسكينة لزموا السكوت التامّ

تجدَّد استنطاق الاخوات دون جدوى ولم يجد سُعاة لوبون واحزابهُ موجباً لحكم الإعدام لبطلان الشكايات السابقة الفريَّة الَّا انَّهم عادوا اخيرًا الى القَسم المطلوب منهنَّ ولم يألوا وسعاً في اقناعهنَّ بابرازهِ لكنهنَّ بازاء الموت ثبتن على امانتهنَّ لصوت الضمير وكرَّرن لآخر مرَّة انَّ الذمَّة لا تسمح لهنَّ بقَسَم كهذا. فللحال صرخ قضاة السوء: «فلتحيَ الجمهوريَّة وليَمُت أعداؤها». وكانوا ينتظرون ان يجد هتافهم صدًى في الحضور فلم ينبسوا ببنت شفة وغلب على قلوبهم الأسف والحنان لكنَّهم لم يجسروا على معارضة الحكّام

ولما نزلت الراهبات درجات المجلس أعدُّوهنَّ لقطع هامتهنَّ. فأماطوا القناع عن رؤوسهنَّ. وحاولوا ان يوثقوهنَّ بالجبال فرأى احدهم في ايديهنَّ سبحة العذراء. فاراد ان ينتزعها من ايديهنَّ امَّا هنَّ فتشبَّثن بها ولم يسمحن ان يجرّدهنَّ عنها. فاعتدَّ المباشرون ذلك خرافةً واخذوا المسابح ووضعوها على رؤوسهنَّ سخريَّةً وتهكُّماً ولم يدروا ان ذلك الاكليل كان رمزًا عن التاج المعدّ لهنَّ قريباً في السماء. كما كانت في اوائل الكنيسة الفتيات الشهيدات يسرنَ الى منقع الدم واكاليل الزهور على رؤوسهنَّ. فزاد تأثر الحضور لهذا المنظر

وصلت الشهيدات الى حف الصقالة التي كانت المقصلة فوقها فجثونَ على الرُّكب

مستحرَّات بالصلاة ثم صعدنَ بملءِ الثقة والشهامة فأُنفذ الحكم اوَّلا في الاخوات الثلاث قبل رئيستهنَّ وهي تقوّيهنَّ بنظرها وصلاتها . وقبل ان يُقطع رأسها التفتت الى الجمهور قائلةً : « أعيروني سمعكم ايها المسيحيُّون انّنا نحن آخر ضحايا حكم الثورة وغدًا ينتهي الاضطهاد وتُخرب عمَّا قليل هذه الصقالة وتُزال المصقلة وتعود هياكل الربّ الى رونقها ومجدها »

وما مرَّ على قولها بضع ثوانٍ حتّى انتقلت روحها البارَّة الى الاخدار السماويَّة . وأُلقيت جثث الشهيدات في الحفرة العموميَّة من مقبرة المدينة . ولمَّا بلغ كلام الرئيسة مسامع يوسف لوبون استغرب ضحكاً وقهقه معهُ كلُّ اصحابهِ ناسبين قولها الى الهذيان بل امر لوبون بان يعدُّوا حفرةً واسعة لاربع وستّين شخصاً عوَّل على إعدامهم . لكنَّ عوائق شتّى حالت دون رغبتهِ فلم يستطع ان يتمَّ قصدهُ فعلًا . ثمَّ وقع عيد الجمهوريَّة فخرب الشعبُ صقالة المقصلة في ١٣ تموز وفي حساب لوبون انَّهُ يعيدها بعد العيد فخاب ظنَّهُ بل اقيم عليه دعوى شغلتهُ عن اسراهُ . وفي تلك الاثناء دارت الدورة على روبسپيار في باريس وظفر بهِ اعداؤُه واعدموه مع اخيهِ في ٢٧ تمُّوز من السنة والقوا القبض على انصارهِ

فبلغ الخبر الى كمبراي في غرَّة آب وفي ثاني يوم اوقفوا يوسف لوبون وزجُّوهُ في الحبس واذاقوهُ مرارتهُ كما فعل بغيرهِ . ولم يزل يتنقَّل من سجن الى آخر مدَّة ١٤ شهرًا ممقوتاً من الجميع مرعوباً بمنخاس ضميره الى أن حُكم عليهِ بالاعدام بنفس المصقلة التي أعدم بهِ المئين من المظلومين في ١٥ ت ١ سنة ١٧٩٥ وازدحم الناس حول جثّتهِ فرجموها بالحجارة تشفّياً . ثمّ فُتحت بعد قليل الكنائس وأُعيدت الواسم الدينيَّة وهكذا تمت بالحرف نبوَّة الطوبويَّة الاخت فونتين

وكما حلَّ غضب الله بالمضطهدين كذلك اراد تعالى ان يمجّد ابرارهُ وبعد الفحص المدقَّق عن حياة تلك الشهيدات وسموّ فضائلهنَّ لاسيَّما في موتهنَّ وذلك في مدينتي اراس وكمبراي رفع اساقفة فرنسة الدعوى الى رومية التي اعادت فيها النظر وتصفَّحت كلّ الكتابات التي حرَّرها الشهود العيانيُّون وغيرهم الى ان لم يبق ادنى ريب في صحَّة ما روتهُ الدواوين الخاصَّة فاثبت اخيرًا الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر بارادتهِ السنيَّة وحكمهِ السامي قداسة تلك النفوس المبرورة ونظمهن في سجلّ

اولياء الله في عداد الطوباويَّات وذلك في ٢ ك١ سنة ١٩١٩ وبعد ان أُقيمت في رومية حفلات شائقة في السنة المنصرمة تكرَّرت الاعياد في غيرها من المدن في السنة الحاليَّة. وقد سُررنا نحن باقامتها بيننا في كنيسة حضرة الآباء اللعازاريين حيث أُكرمت منشئة جمعيَّة راهبات المحبَّة الطوبويَّة دي ماريلياك مع بناتها اللواتي جرين على آثارها فنلنَ ما نالتهُ من الامتياز والشرف. فنهنئ من صميم القلب بنات القديس منصور دي بول بهذه الاعياد ونرفع الى الله شكرنا على ما احظى بلادنا من اعمالهن الخيريَّة ومساعيهنَّ المبرورة زادهنَّ الربّ عددًا وفضلًا لمجد كنيسته ولخير عباده

# تنصُّر الامير عبدالله اللمعي (١

## لحضرة الخوري اسطفان فريحه البشعلاني

نشر المشرق الاغرّ في سنتهِ الماضية (١٩٢٠ : ٥٤٣) مقالًا بشأن تنصُّر الامراء اللمعيين والشهابيين جاء فيهِ ان اول من اعتنق النصرانيَّة هو الامير عبدالله ذكرهُ الرحَّالة الفرنساوي السيد بولس لوقاس في رحلته الى الشرق سنة ١٧١٤ بامر الملك لويس الرابع عشر ولم يصرّح بحقيقة نسبه ولا وطنهِ. ولمَّا كنتُ قد تجرَّدت للبحث عن هذه الحقائق المهمَّة احببت ان اورد خلاصة ما وصلَت اليهِ ابحاثي في هذا الشان خدمةً للتاريخ. وقبل ذلك انقل كلام الرحَّالة بتمامه فانه بعد ان ذكر حادثة خلع البطرك يعقوب عواد واعادته الى كرسيه قال ما تعريبه بكل ضبط (٢ :

« من الحوادث الخطيرة التي كانت ضربةً أليمة على نصارى لبنان عزلُ الامير عبدالله الذي عُرف بجميلهِ الى النصارى وامتاز بتعزيز الموارنة اكثر من سائر الحكام لانه كان يعاملهم بالحسنى ويستعين بهم على الولاة الاتراك محافظة على بقيَّة سلطة طالما حاولوا نزعها من يدهِ

١) قد اقتصرت الان على ذكر تنصُّر هذا الامير على ان اعود انشاء الله الى التبسُّط في تاريخ تنصُّر بقية اللمعيين ولاسيا الامير حيدر الشهير

٢) رحلة لوقاس المجلد ١ الجزء ٣ ص ٣١٩ طبعة روان

«وكان الحاكم المعروف بامير الدروز مطلق التصرُّف في بلاده لكنه يخضع لوالٍ تركي ويقدم لهُ عسكرًا عند الحاجة ولم يكن خضوعهُ هذا ليؤثّر براحته لولا ما كان يلقاه كل يوم من الترك من التضييق والتحكُّم ممَّا يُلجئهُ الى استرضائهم بالمال الكثير

«على ان الامير عبدالله لم يستطع ارضاء ولاة صيدا والشام مع كل ما ابداهُ من التحوُّطات لكثرة مطامعهم. وكان اشدّهم طمعاً والي الشام الذي عُرف بالقسوة والجسارة حتى تمكَّنت هيبتهُ من قلوب الناس وكاد يفوق الصدر الاعظم سطوةً ونفوذًا وزادهُ عُجباً تغلُّبهُ على العصاة من عرب فلسطين وغزَّة ولذلك صمَّم الصدر على عزله خضدًا لشوكته

« ورأى الوالي المذكور انه اصبح الحاكم بامره في البلاد فاخذ يتفنَّن بإرهاق الدروز وحكامهم بانواع المظالم والمغارم حتى اذا لم يستطيعوا القيام بضرائبه الفاحشة اتفق مع والي صيدا على نزع الحكم من يد الامير عبدالله واسرتهِ الذي ورثوهُ كابرًا عن كابر وتسليمهِ الى أُسرة اشتهرت بالعداء والبغض لهم

« فجمع هذان الواليان العساكر واتتهما النجَدات لقتال الامير واحلافهِ واضطُرَّ الاميرُ الحاكم حفيد فخرالدين ان يترك قصره ويتوارى مع امراء البلاد في المغاور والجبال. امَّا الامير عبدالله فانه وقع في ايدي اعدائه الذين دبَّروا المكائد ونصبوا لهُ الأَشراك. فكان حزن النصارى شديدًا ولاسيما المرسلين الكبوشيين الذين اجلَّهم الامير وقرَّبهم اليه وبنى لهم ديرًا في إقطاعته وكان يريد اعتناق الدين المسيحي بعد ان يتلقَّن مبادئ اسراره المقدسة ويصير اهلًا للعماد

«وبينما كان ذلك الامير والشيخ الوقور ملقًى في ظلمة السجن وقد اصبح محروماً من ضروريَّات المعاش كان المرسلون يحتالون لإيصال المساعدات اللازمة لحياتهِ وخاف الامير ان يهلك جوعاً وتذهب ارشادات هولاء الاباء باطلًا فطلب المعموديّة فعمَّدهُ احد خدَّامهِ الموارنة بارشاد المرسلين الافاضل. وقد اقتبل السرَّ بحرارة وتقوى كما يليق بالمسيحيين الاولين وكانت يداهُ مضمومتين وعيناه شاخصتَيْن الى السماء وهما تهطلان الدموع

« واذ ذاك صرح لخادمه الامين بكل شجاعة انه لم يعد يخشى الموت بعد ان نال

الحظ وصار نصرانيًا وطلب اليه ان يُبلغ خبر تنصُّرهِ الى الاباء الكبوشيين. فلمَّا علم المرسلون بذلك طابت نفوسهم ولم يقتصروا على الدعاء لهُ بجزيل النعمة والحياة العلوية بل بذلوا الجهد في سبيل العفو عنهُ فاتَّفقوا مع احد التجار على ان يؤَدي الفدية عن الامير. غير ان الباشا لم يكتفِ بها بل شدَّد في طلب فدية اتباع الامير كلِّهم واذ لم يقدروا على أَدائها ظلَّ الامير مسجونًا

«وأَثَّرت هذة المعاملة القاسية بابناء الامير عبدالله حتى صار يهون عليهم ان تذهب بيوتهم وأَملاكهم ويسلم ابوهم فاخذوا يسعون لتخليصهِ وكان ابنهُ البكر الامير حسين اشجع امير في الدروز فجمع هو واخوتهُ رجالهم ورجال احلافهم وذهب الى الامير الحاكم المختبيء وحمله على ان يجمع اصحابه حتى اذا تمَّ حشد الجيش ساروا الى اعدائهم مصمّمين على النصر او الموت وهكذا زحفوا اليهم وكانوا قد تحصَّنوا في عين دارة

« ولم تمضِ ساعتان من الزمان حتى انتصروا عليهم انتصارًا باهرًا فقتلوا من ناوأهم وغنموا ما كان معهم لكنهم لم يتعرَّضوا لرجال الدولة وعسكرها مخافةَ إغضابها . وبهذا استعادوا حرّيتهم المسلوبة وإقطاعاتهم المغصوبة ولم يبقَ غير الامير عبدالله الذي لم يكن في وسعهِ ان يؤدّي فدية المسجونين أَتباعهِ الباهظة ولذلك ساقوه الى البصرة القريبة من العجم وكان والي صيدا قد نُقِلَ واليًا عليها

« على ان الامير المظلوم كان يعتبر ان عزاءَه من الدنيا الحصول على سرّ العماد فلم يرغب سوى الاجتماع بربه في السماء وكان اوَّل عملٍ فعلَهُ اولادُهُ بعد استعادة إقطاعاتهم انهم بعثو افأتوا بالمرسلين الذين لم يكفُّوا عن عمل الخير في البلاد من ١٧١٠ ايام حدوث الفتنة المذكورة وبناء على اشارة الصدر الاعظم واوامره الشديدة لم يعد والي الشام ولا غيرهُ يقلقون النصارى والدروز من ذلك الحين» (تمَّ المنقول عن رحلة لوقاس)

***

ان الامير عبدالله هذا هو ابن الامير قيدَبَيه ابن الامير ابي اللمع جدّ الامراء اللمعيين وقد اجمع المورّخون على انهم ينتسبون الى بني فوارس التنوخيين من اشرف القبائل العربية المتنصِرة الذين يرتقي نسبهم الى النعمان بن المنذر ملك الحيرة ·هاجرت هذه القبائل بلاد العرب عند ظهور الاسلام واقامت بجوار حلب ثم انتقلت الى لبنان

في اوائل القرن التاسع وكانت عشر طوائف

و لمـّا جرى اقتسام البلاد وتفرّق الطوائف اصاب طائفةً من بني فوارس إقطاعةُ المتن فسكنوا اعاليَهُ وقويت شوكتهم فيهِ الى ان نشأ منهم في اواخر القرن السادس عشر امير كبير يُعرف بابي اللمع مؤَسس هذا البيت المشهور فاتخذ قرية كفر سلوان دارًا لاقامتهِ واقام ولده البكر قيدبيه في صليما حيث نشأ الامير عبدالله حفيـد ابي اللمع وكان وحيدًا لابيهِ (١

ومن مراجعة رواية رحَّالتنا يظهر ان الحوادث المذكورة فيها لا تختلف عما جاء في تواريخ الامير حيدر وطنوس الشدياق وغيرهما من التنازع والتطاحن بين الحزبين القيسي واليمني وتواري الامير حيدر الحاكم الكبير وقيام الامير حسين ابن الامير عبدالله زعيم القيسيين وكيف جمع احزابهُ ودهموا اليمنيّين في عين دارة حتى ابادوهم عن بكرة ابيهم (٢ الى غير ذلك ممَّا يدل صريحًا على ان الامير عبدالله هو اميرنا اللمعي ليس غيره

اما مسئلة وقوعه في الأَسر ونفيهِ الى البصرة فانها وان لم تَرِدْ في التواريخ الوطنية فليست بالامر الغريب وقد رأينا حفيـدهُ الامير حسَن ابن الامير حسين في صليما يؤخذ اسيرًا ويصيبهُ ما اصاب جدَّهُ من النفي الى البصرة حتى فُدي اخيرًا وعاد الى بلاده عن طريق دمشق بعد غيبة طويلة(٣ . هذا وان الرحـالة المذكور كان معاصرًا للامير عبدالله فتقصَّى اخبارهُ ووقف على تفاصيلها من الكبوشيين وغيرهم من الثقات ممَّا فات غيره من المؤرخين المتأخرين

بقيت مسئلة تنصُّر الامير التي هي الغاية من مقالنا هذا فانهُ وان لم يذكرهـا غير لوقاس فقط فان لدينا من البراهين والادلَّة ما يؤكد صحَّتها ويثبت رواية هذا الرحالة الغريب وهذه هي:

١ً ان المؤرخين قـد اجمعوا على ان اللمعيّين يعود اصلهم الى بني تنوخ من

---

١) طالع تواريخ الامير حيدر ( ص ٣٥٠ و ٧٢٢ و ٧٣٢ ) وتاريخ الاعيان للشدياق (ص٦٧ و ٢٥٨–٣٠٤) وتاريخ العينطوريني (في المشرق ٤ : ٧٧٣) وشرشل بك (ج ٣ ص١٠٠) وغيرهم من المؤرخين ٢) طالع هذه الاحداث في التواريخ المذكورة لسنة ١٧١٠ م

٣) تاريخ طنوس الشدياق (ص ٦٨ )

متنصّرة العرب وان اجدادهم ملوك الحيرة اشتهروا بدينهم النصراني والإغراق فيه وكان لهم الايادي البيضاء في عمارة الاديرة وتشييد الكنائس (١ . ولما كانوا في الديار الحلبية ارغمهم المهدي ( الخليفة العباسي ) سنة ٧٧٩ م على الاسلام فاسلم الرجال وكانوا خمسة الاف ونجا النساء وبقين على نصرانيتهن واستشهد رجل فاضل منهم اسمه ليث (٢ ثم رحلوا الى لبنان حتى اذا ظهر مذهب الدروز عضده الامراء وعُرفوا بهِ

وبقي فيهم نزوع الى النصرانية التي كانت تظهر كالنار الكامنة في بعض ادوار حياتهم حتى تنصَّر الامير عبدالله ولم يلبث احفادُهُ ان اعتنقوا النصرانية باجمعهم في اواسط القرن الثامن عشر فيكون هذا الامير قد جاهر بميل عشيرتهِ الموروث ونَزْعتهم المتسلسلة ولا عجب انهم كانوا يكتمون ميلهم هذا كما فعل الامير فخر الدين المعني فلانهم كانوا في وسط محمدي وحكومة اسلامية والاكثرية في إقطاعة المتن كانت من الدروز

٢ً ان لديَّ طائفةً كبيرة من الصكوك والمحرَّرات الموقَّعة بخط الامير عبدالله او الباقية من آثاره الكتابية وفيها ما يدلُّ على مبادئهِ النصرانية فلا نراه يذكر في كتاباته البسملة ولا نبي الاسلام مما جرى عليه الدروز وسائر بني محمَّد . وسوف انشر شيئاً من هذه الكتابات . وكان شهيد الوطن الشيخ فريد الخازن رحمه الله يقول ان عنده صورة مكاتبات منقولة عن محرَّرات توسكانا بين الدوق والامير اللمعي تشير الى مبدإ الامير النصراني وتبرهن عن ذوقهِ الغربي كما اننا لم نسمع ولم نرَ في تاريخ اللمعيين ان اميرًا منهم جرى على قاعدة الطَّلاق المألوفة عند الدروز ولا تمشَّى على شريعة تعدُّد الزوجات المرعيَّة عند المسلمين

٣ً ان كثيرًا من الحوادث التي وردت في رحلات الافرنج لم يذكرها المؤرخون عندنا إمَّا اختصارًا او إغفالًا لها لاشتهارها او لعدم اعتبارهم اهميّتها وإما لانه لم تبلغهم اخبارها واذا بلغتهم فلا يجرؤون على ان يكتبوها . فهذه اخبار بعض المشايخ الخازنيين وبطاركة طائفتنا المارونية التي افاض بذكرها ده لاروك الرحَّالة الفرنساوي لم

---

١) طالع مؤرخي العرب وتاريخ النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة (ص٧٣–٩٣) وتاريخ كلدو واثور (ص٢٠٧) والكولونل شرشل

٢) ابن العبري تاريخه السرياني سنة ١٠٩٠ يونانيَّة

يذكرها الكتبة المعاصرون . وهذه رواية استشهاد الشيخ ابي رزق البشعلاني الذي قُطع راسهُ في قونية سنة ١٦٥٤ وإعدام ولده الشيخ يونس الذي مات في طرابلس شهيداً على الخازوق سنة ١٦٩٦ كما فصَّلها هذا الرحالة باسهاب لم يذكر منها العلامة الدويهي سوى النزر القليل للاسباب التي اوردناها . وهكذا فان المعاصرين ومَن بعدهم لم يذكروا تنصُّر الامير عبدالله لان تنصُّره بقي مكتوماً كما جرى للامير فخر الدين المعني الشهير على يد مرسل من الآباء الكبوشيين او لم تبلغهم أخباره وهو بعيد ولو عرفوا لما تجرَّأوا ان يذكروهُ في هاتيك الايام ...

٤ً ان التقاليد التي تتناقلها الاباء عن الاجداد في قريتنا صليما موطن الامير وفي غيرها من القرى المجاورة ان الامير عبدالله كان من الفضل على جانب عظيم وانه هو الذي قرَّب اليه النصارى وجعلهم من خاصَّتهِ ورجال دولتهِ . وهو الذي بنى لهم الكنائس والاديرة ووقف عليها الاملاك الواسعة . وعلى الجملة فقد كان حمًى للنصارى اللائذين به لجرّ مغنمٍ او دفع مغرمٍ يقطعهم الاراضي ويمدّ اليهم يد المساعدة حتى نما عددهم وطابت لهم الاقامة في قرى المتن ولاسيما في صليما التي رأت من العزّ والجاه في ايام اللمعيين ما جعلها تُباهي البلدان اللبنانية الكبرى حتى صاروا يقولون عنها في اغانيهم : صليما يا امّ البلادِ .

٥ً ان من الاثار الدالَّة على تديُّن الامير والناطقة بفضلهِ على النصرانية وحبّهِ لها الديرَ الكبير الذي انشأه في دير الحرف يوم كان مقيماً في قصره برأس المتن ووقف عليه الاراضي التي تُقدَّر اليوم بألوف الليرات وقد كتب فوق عتبة باب الكنيسة ما نصُّه :

« بسم الله الحي الازلي الدائم الابدي وبه استعين انشأ هذا الدير المبارك ان شاء الله برسم طاعة الله وعنايتهِ حضرة الجناب العالي المكرم الامير عبدالله ابن المرحوم الامير قيدبيه الشهير بابن ابي اللمع عفى الله عنهُ بتاريخ ذي الحجة من شهور اثنين ومائة والف» (١٦٩١م)

وقد كُتب تحته : « عمل المعلم جرجس والمعلم سمعان والمعلم جرجس الشامي » .

والاخبار المروية عن شيوخ بني ابي جوده في قرية دير الحرف ان الامير عبدالله شيَّد هذا الدير باعجوبة وهي : ان الوباء كان يفتك فتكاً ذريعاً في البلاد فخاف الامير على نفسهِ واهلهِ . فظهر القديس جرجس على جوادهِ للامير ولبعض اهله وهم نيام وقال

لهم: «لا تخافوا انا مار جرجس النصراني صاحب كنيسة الوزَّالة» وكان في قرية دير الحرف دير قديم على اسم القديس حلَّ به الخراب ونبت في جوانبهِ الوزَّال المعروف في بلادنا . فلما قام الامير واسرتهُ من نومهم حدَّث كل منهم الآخر بما رآه في الحلم واسرع الامير فرمَّم الدير المذكور وجعل للكنيسة كاهناً يخدمها استقدمهُ من تولا البترون وهو الخوري جرجس الذي اتى بنسيبه خيرالله الزغبيّ من تولا جـدّ أُسرة ابي جوده الساكنة الى اليوم في دير الحرف وغيرها

٦ً والأثر الذي كان في قرية صليما وقد اقيم اقراراً بفضل الامير عبدالله كُتب على رخامة ناصعة بخط مزركش جميل ووُضع فوق السبيل المعروف بعين احمد وهذا نصُّه:

«انشأ هذا السبيل المبارك حضرة الجناب العالي والمقام السامي الامير عبدالله ابن بللمع المكرم بتاريخ نهار الثلثا من شهر رجب من شهور سنة سبع عشر ومائة والف والحمد لله» (١٧٠٥م)

وقد نُقلت الرخامةُ الى قصر ابناء الامير يوسف اسماعيل في بكفيا بعد ان هدم السبيل احد المخربين الغاشمين في زمن الحرب الكبرى

٧ً المعروف عندنا وعند الآباء الكبوشيين ان الامير عبدالله هو الذي انشأ دير الآباء الكبوشيين القائم الى اليوم في صليما وطن الامير حوالي سنة ١٧١٠م وكان يحب مرسلي الكبوشية فدعاهم اليهِ ووهبهم مكاناً جميل الموقع في اعلى صليما كان يُعرف يومئذٍ بعين بقحة فشيدوا فيه ديرهم على اسم القديس بطرس. واخذ عليهم عهداً ان يكون منهم طبيب يعالج الامراء والاهلين فضلاً عما يقومون به من الخدمة الدينية . وكان الامراء يقدمون للبادري جعلاً سنويـاً من الحاجيات لمعاشه وبقي هذا العهد مرعياً زماناً طويلاً . وفي سجلات بكركي صورة صكّ شراء البـادري مخايل الكبوشي الافرنجي رئيس دير صليما من مريم بنت ابي رزق سركيس بن فهـد من قرية الشبانيه من بلاد المتن سنة ١١٢٠هـ قطعة ارض في الشبانيه باعها البادري لرهبان السريان الكاثوليك فشيدوا فيها دير مار افرام الرغم سنة ١٧١٠ بمساعي الاب مخائيل الكبوشي الذي ترَّجح انه صديق الامير عبدالله ومرشدهُ ومساعدهُ في سجنهِ والساعي في تنصُّره . ومن ثمَّ لا يبقى لنـا ريب في انَّ الامير عبدالله اللمعي هو اوَّل امير تنصَّر في لبنـان وانَّ رواية الرحـَّالة لوقاس مطابقة للحقّ وشهادتهُ مثبتة لشرف الاسرة اللمعية في سباقها الامراء المتنصرين

# السبيريتسم او مناجاة الارواح

للابوين يوسف مونجان ويوسف منسَّى اليسوعيين

## تمهيد

قد كثر القال والقيل في هذه الحقبة الاخيرة عن الارواح المنتقلة من هذا العالم الى عالم آخر وما يُروى عنها من الاعمال الغريبة على يد بعض المتوسطين الذين يتعاطون مناجاتها . فتناقلت الالسنة ذكر هذه الرؤى وأشاعتها الجرائد والمجلَّات فتباحث الكثيرون في صحَّتها فمن ناكرٍ وجودها او ناسبها الى الشعوذة والمخرَقات ومن مثبتٍ وقوعها . وربَّما حكم الفريقان جزافاً دون انتقادٍ كافٍ وتروٍّ في الامور . فهذا ما حدا بنا ان نبحث في هذا الموضوع افادةً لقرَّائنا ودفعاً للالتباس وكشفاً لوجه الحقّ

ولا بُدَّ في هذه التوطئة ان نعرّف السبيريتسم ونقرّر حدوده فنقول ان اسمهُ اللفظي مشتقٌّ من كلمة لاتينيَّة معناها الروح موصولةٍ بصلةٍ دالَّة على المعتقد او الرأي او التخصيص فيكون معنى السبيريتسم علم مناجاة الارواح او المذهب الروحاني كما دعاهُ البعض فيجوز تحديده "معرفة الوسائط للاتّصال بالارواح ومناجاتها للاستدلال على مكنونات الامور وخفايا المعلومات ولاسيَّما اسرار العالم الآخر" . ومنهم من ينعتون هذه المعرفة باسم العلم بل يجعلونها مذهباً دينيًّا مبناهُ على ما يوحي بهِ الارواح . ولهذا العلم او هذا الدين خَدَمةٌ يُدْعَون "سبيريت" (Spirites) وهم المتعاطون مع الارواح او المدَّعون بمناجاتها او المتشيّعون لدين الارواح

وفي مقالتنا الحاضرة سنختصر اوَّلاً بالاجمال تاريخ السبيريتسم ثمَّ نروي الحوادث المنسوبة الى الارواح وننتقد صحَّتها ثمَّ نسعى بتفسير معانيها الغامضة . ومن بعد ذلك نبحث عن الدين المزعوم المبنيّ على المذهب الروحاني ونختم مقالتنا باثبات رأي الكنيسة الكاثوليكيَّة وحكمها في السبيريتسم (١

١) دونك اخصّ التآليف الفرنساويَّة التي وُضعت في هذا الشان

**L. Roure**: Le merveilleux spirite, *Paris*, *Beauchesne*, 3e *éd*., 1919
**Le Dr Surbled :** Spirites et Médiums, 1901

## ١ نظر تاريخي في السبيريتسم

لقد طالما حاول الانسان ان يستشفّ اسرار الطبيعة الخفيَّة وما يتّصل بالخلائق والارواح المحجوبة عن نظرهِ . فانَّ التاريخ يشهد على مساعي البشر في ذلك . وها هوذا الكتاب الكريم روى عن شاول في سفر الملوك الاول (٢٨: ٧-٢٠) استقدامهُ للمرأة ذات التابعة في عين دور وكيف أصعدت لهُ روح صموئيل فأخبرهُ عمَّا سيصيبهُ من البلايا . وكان تَبَعة افلاطون والاسكندرانيُّون والأَدريُّون في قرون النصرانيَّة الاولى يدّعون باصعاد الارواح . وقد تكرَّرت هذه المُدَّعيات في القرون الوسطى مع ما كان يخالطها من السحريَّات والشعوذة الى القرن السابع عشر مع ما تبعها من الظواهر الغريبة لمشايعي جنسنيوس في القرن الثامن عشر

على انَّ السبيريتسم لم يبلغ سابقاً ما بلغهُ من الرواج والانتشار في القرن التاسع عشر حيث ثبتت هذه الكلمة لاحد مشاهير الكتبة «انَّ الازمنة التي يغاب فيها الارتياب بحقائق الدين هي هي التي تغالي في المعتقدات الباطلة»

وكان مبدأ هذه نهضة السبيريتسم الجديدة في اميركا نحو السنة ١٨٤٨ . فانَّ ثلاثاً من سيّدات أُسرة «فوكس» بينا كنَّ في بيتهنَّ في قرية هيدسفيل (Hydes-vill) من ولاية نيويرك اذ سمعنَ طرقات سرّيَّة لم يستطعنَ كشف معناها و نسبْنَها الى روح رجلٍ كان توفّي في تلك الدار فسعينَ بمحادثتهِ بواسطة علامات اصطلاحيَّة اتّفقنَ عليها وبها اطّلعنَ على بعض امور الروح المذكورة التي قالت لهنَّ انَّها روح رجل اسمهُ شرل رَين (Ch. Rayn) مات قتلًا ودُفن في تلك الدار قبل سنتين . فاستأنست النساء بتلك الروح وظلّت تتردَّد عليهنَّ بل تبعتهنَّ الى روشستر والى نيويرك لمَّا حللنَ فيها

**Le Dr Grasset :** Le Spiritisme devant la Science, *Paris. Masson*, 1909 = **Id.** : Idées médicales, *ch. sur l'Occultisme*

**Dr Pierre Janet** : L'automatisme psychologique .*Paris, Alcan*, 1903

**A. Arcellin** :La dissociation psychologique: Etudes sur les phénomènes inconscients

**Castelein :** Psychologie, *Bruxelles, Devit*, 1904. *L'Appendice*

ثمَّ بعد مناجاتهنَّ للروح المذكورة وجَّهنَ نظرهنَّ الى ارواحٍ غيرها ظهرَتْ لهنَّ على طرق شتَّى وربَّما حضر الغرباء هذه الجَلَسات فكانوا يحدقون حول طاولة يرقبون الظواهر الروحانيَّة فيشعرون مسيساً على وجوههم واكتافهم ويشاهدون سحابةً من المائع رماديَّةً ويسمعون اصواتاً وجلبةً في مكان اجتماعهم . فكان لشيوع هذه الحوادث تأثير عظيم لم يشكَّ بوقوعها غير القليلين الذين نسبوا تلك الامور الى حركات طبيعيَّة وضرَبات صناعيَّة بالأقدام على الالواح او على الطاولة

وممَّا لحظوا ان بعض الحاضرين لتلك الحفلات كانوا يلعبون فيها ادواراً مختلفة فمنهم مَنْ لم يُكترَث لوجودهم او غيبتهم على خلاف غيرهم الذين كان حضورهم محتوماً واجباً لا تتمُّ دونهم أعراض الارواح فدعوا هؤلاء الآخرين باسم الوسطاء ( Médiums ) لتوسّطهم بين الارواح وعالم الكون لولاهم لا تُبدي الطاولات حركةً وتبقى الارواح جامدةً ساكتة . وما لبث هؤلاء الوسطاء ان زادوا عدداً وانتشروا في كلّ انحاء اميركة فتهافت عليهم العموم ليدرك بواسطتهم اسرار العالم الآخر ويناجوا الارواح . ثم زاد الهوَس وتفاقم الداء حتَّى بلغ اوربَّة وكان اوّل فشوّه في سكوتلندة سنة ١٨٥٢ ثمَّ في لندن في العام التالي ومنها خطا الى المانية ثمَّ فرنسة . وها هو منذ بضع سنين قد ظهر في مصر وانتقل منها الى اقطارنا السوريَّة

وقد وجد السپيريتسم في فرنسة رجلًا يُدعى ألَان كرديك(Allan Kardec) واسمهُ الصحيح لاون هيپوليت ريڤايل (L. H. Rivail) تبطَّن كل اسرارهِ واقام نفسهُ داعياً لمذهبهِ وان شئتَ قلْ رسولهُ ونبيَّهُ . وُلد المذكور في ليون سنة ١٨٠٤ وتخرَّج في سويسرة بين البروتستانت . فلمَّا كانت السنة ١٨٥٥ جعل يتعاطى كلّ ممارسات المذهب الروحانيّ بل ادّعى انَّ الارواح سلَّمت اليهِ مقاليد اسرارها لينشرها بين الملاْ فأخذ يدوّن ما تلقّنهُ الارواح عن عالم الغيب ونشر تلك المعلومات سنة ١٨٥٧ في تأليف دعاهُ « كتاب الارواح » واردفهُ بكتاب الوسطاء ثم بانجيل السپيريتسم وانشأ مجلّة تبحث في المذهب المذكور . وكانت وفاتهُ في باريس سنة١٨٦٩ .

وفي اثناء ذلك كان الكونت اجينور دي غسپارين ألَّف كتابهُ في الطاولات الدائرة وهو يُلقي المحاضرات عن المذهب الروحاني . فيتحامل كثيرون الى ممارسة هذا الفنّ الجديد واتّخذوه كملهاةٍ حتى أَصبح كلعبةٍ متداولة

## ٢ المرويَّات من اعمال السبيريتسم

لا يسعنا ذكر كلّ ما يروى من اعمال الارواح واحصاؤها فردًا فردًا وانَّما ندوّن اخصّ ما ينسبونهُ اليها

١ فمن ذلك وهو اكثرها شيوعاً تدوير طاولة او سكمنة او قبعة فرنجيَّة او سلَّة وما اشبه ذلك باجتماع عدَّة اشخاص متسلسلين او بعمل احد الوسطاء منفردًا

٢ ومثلها انتشارًا طرَقات تضربها الطاولة على الارض اصطلاحاً دلالـةً على اجوبةٍ مقصودة · عند وجود حلقةٍ من الاشخاص حولها او وسيطٍ من الوسطاء

٣ واقلّ شيوعاً ممَّا سبق كتابةُ الطاولة بقلم يعلَّق في قائمتها على ورق يوضع تحت القلم · بشرط وجود الاشخاص او الوسيط السابق ذكرهم

٤ او يجعلون ايضاً قلماً في يد الوسيط في يقظتهِ او نومهِ فيجري القلم كاتباً على الورق ما يوحى اليهِ من قوَّة اجنبيَّة دون معرفتهِ ومشيئتهِ الشخصيَّة

٥ ومثلها ندرةً ان يتكلَّف الوسيط النائم او اليقظان الجواب شفاهاً او بالاشارة على ما يُلقى اليهِ من الاسئلة باسم الروح الساكن فيه

٦ واغربُ من ذلك واندر وَضعُ ورقةٍ او لوحٍ بعيدَين قليلًا عن الوَسيط وعليهما قَلَم وبعد قليل اذا كُشف عنهما يظهران وعليهما سطور مكتوبة

٧ ومثلها غرابةً وندرة ان ينتقل الاثاث من تلقاء نفسهِ من مكان الى آخر

٨ ان تُسمع صوت طرَقاتٍ على جدران المحَلّ حيثما توجد طاولة او بعض الاثاث

٩ واغرب من كلّ ما سبق ظواهر من النور وأشباح يُريها الوسيط او يرسم صورها بالفوتغراف او يأخذ بعض آثارها

## ٣ صحَّة المرويَّات المذكورة وانتقادها

قبل ان نبحث عن اسباب هذه المعلولات والظواهر دَعنا نفحص اولاً صحَة وقوعها وهل هي حقيقةٌ كما يزعم الوسطاء مسبَّبة عن الارواح او هي بالحري مفاعيل طبيعيَّة واعمال صناعيَّة لئلَّا نخوض في طلب امورٍ وهميَّة خياليَّة لا حقيقة لها ومن ثمَّ لا نقبل ولا ننفي ما يرويهِ الرواة بحُكمٍ سابق ريثما تلوح لنا الحقيقة بتمامها · فانَّ العلماء الاثبات لا يُبدون حكمهم الَّا على الامور الراهنة الثابتة بعد تقصّيها تماماً

وهذا ما جرى لاحد مشاهير الطبيعيين وليم كروكس ( W. Crookes ) مع الآنسة فلورنس كوك (Miss Florence Cook) التي كانت تدَّعي بالعلاقات مع روح امرأة اسمها كاتي كنغ (Katie King) عاشت في عهد شرل الثاني وعُرفت باسم انّي مورغان (Annie Morgan) . ففحص العلّامة كروكس تلك الرؤى المزعومة المتجسّمة ونشر ملحوظاته فيها دون ان يستنتج منها نتيجة مقرَّرة ولم يشأ ان يبتّ حكماً في ذلك ثمَّ لحظوا سنة ١٨٨٠ حيلاً تحايلت بها المس فلورنس كوك . وعليهِ لا يمكن الاعتماد على هذه الامتحانات وان كان اصحاب السبيريتسم لا يزالون يشيرون اليها

ثمَّ جرت في فرنسة امتحانات أُخرى لم تأتِ بنتيجةٍ مقنعة واشهر تلك الامتحانات ما تولّاهُ بعضهم في مونفرت لاموري (Monfort l' Amaury) بفحص مدَّعيات امرأةٍ وسيطةٍ كانت تزاول الطبّ اسمها اوسابيا پلادينو (Eusapia Paladino) وذلك بحضور العالمَيْن الطبيعيين فلماريون ودي روشاس . وكذلك امتحن الدكتور ريشه (M. Richet) وسيطاً آخر في بستان كرمين (Villa Carmen) قريباً من مدينة الجزائر . ومثلها امتحانات أُخرى اجراها اعضاء المكتب البسيخولوجي العامّ في السنين ١٩٠٥ و١٩٠٦ و١٩٠٧ بحضور بعض مشاهير الاساتذة كالعلماء يورڤتش (Yourevitch) وبرانلي وكرتيه ودَرْسُنڤال وريشه فعاينوا ما ادَّعته الوسيطة المذكورة اوسابيا پلادينو لكنَّهم لم يتحقَّقوا صحَّة مزاعمها ولم يمكنهم الَّا ثلث دفعات ان يمنعوها بقبول بعض الاحتياطات لتصحيح قولها بل باغتوها غير مرَّة واكتشفوا بعض حيلها

هذا وانّ العلماء الذين عُهد اليهم فحص هذه الامور الغريبة وجدوا في مراقبتها مشاكل عديدة وليس كلامنا هنا عن العمليَّات البسيطة كحركات الطاولة وطرَقاتها لكن عن حوادث السبيريتسم الغريبة . واوّل ما حال دون فحوصهم ان الوقائع المذكورة لا تجري طَوْع مشيئتهم اذ لابدّ من وسيط بينهم وبين الظواهر الواجب فحصها . وكثيرًا ما يعيا الوسيط عن إبراز الاعمال المزعومة . واذا اتمَّ فعلًا شيئاً منها يُقيّد العلماء في فحصها بشروط تخلُّ بفحصهم . فمن ذلك ان تلك الظواهر لا تحدث الَّا في ظلمة نصفيَّة او ظلمة تامَّة ممَّا يمنعهم عن اثبات الامر كما يجب

وممَّا يعوق العلماء عن الفحص المدقّق لهذه الرُّؤَى الغريبة مَكْر الوسطاء وغشُّهم فمنهم من يرتزق بالشعوذة وملاعيب السيمياء اي السحر الحلال . ومنهم من يُخدَعون

بالاستهواء ويخدعون النـاس دون مشيئتهم بسبب تأثُّراتهم . والاولون لا يُحصى عددهم فان في المُمَخرقين والنصَّابين رجالاً بلغوا الغاية في اختراع اعمال الشَّعبذة . فكم يُخدَع الناس بأعمالهم وهم ينسبونها الى السحر وليست هي حقًّا سوى حيَل يُجرونها بخفّة عجيبة وحذاقة غريبة يندهش بها الناس . وقد شاع في اميركة المحتال مُملير (Mumler) كان يُذهل العموم بحيلهِ . ومثلهُ الفرنسويّ بوغه (Buguet) فان هذا ادَّعى ايضاً انَّهُ يستطيع ان يصوِّر بالشمس أرواحاً فيجسّمها وما كانت تلك الارواح سوى مصنوعات من اللفائف او تقاطيع الكرتون كان يخفيها ويأخذ صورها دون ان يشعر بهِ احد . فهذا انكشف خبثهُ وحُكم عليهِ لمكرهِ لكنَّ الذين عاينوهُ لم يزالوا موقنين بصحّة مرويّاتهِ

واعظم ضررًا من السابقين الخادعون المخدوعون فانَّ مثل هؤلاء يغلب عليهم الشعور والحسّ حتَّى يحملهم الوهم الى تأكيد امور لا حقيقة لهـا الَّا في مخيلتهم . فمن جملة هؤلاء الفتاة المسمَّاة حنَّة روثا (Anna Rotha) في المانية . والمسمَّى سلادا ( Slada ) من اشهر وسطاء القرن السابق بكتابتهِ على الواح السَّبُّورات فوجدوهُ ابدل لوحاً اسود بلوحٍ آخر مكتوب قبلًا . والمسمَّى شرل إلدريد ( C. Eldrid ) الذي كان يصوِّر اشباحاً روحيَّة جعل صورها في علبةٍ دسَّها في الكرسيّ الذي يجلس عليهِ . والوسيطة المذكورة اوسابيا في كمبريج ثبت خداعها في عشرين جلسةً حضرها الجمهور . وغير هؤلاء كثيرون تحقّق مكرهم وذلك ما دفع الدكتور غراسّه ( Dr Grasset) الى ان يُعلن وقوع الحيل المتعدّدة في اعمال وسطاء السبيريتسم مع صعوبة مراقبتهم . والدليل على صحّة قولهِ انَّ الاعمـال العجيبة التي يدَّعي بها اصحـاب السبيريتسم تكاد تتلاشى عند اتخاذ المراقبين لهم الوسائلَ الفعَّالة لكشفِ حِيَلهم . وربَّما امتنع الوسطاء عن كلّ عمل اذا شُدّدت عليهم المراقبة

وخلاصـة القول انَّ ما ذكرناهُ تحت الاعداد الاربعة الاولى لا يُمكن نكرانهُ ولا شـكَّ في وقوعهِ . وبقيَّة الظواهر مشكوك في صحّتها لاسيَّما الهَبوات النوريَّة والشهب المنيرة وكذلك ظهور الاشباح ورؤى ارواح هيوليَّة سواء كانت صورتهـا تامَّةً كشخص كامـل او جزئيَّةً كظهور يدٍ او ذراع او عضو آخر . ومثلها تصوير الارواح المذكورة شمسيًّا او طَبع رسومها في البرافين او الآجرّ فهذه المرويَّات وغيرها

من شكلها لم تثبت الى الآن بصفةٍ علميَّةٍ وفي عدَّة حوادث استطاع المراقبون ان يكتشفوا حيلًا لاذ بها هؤلاء المدّعون بالمذهب الروحاني . فهذا هو رأي الدكتور غراسه الذي درس كلّ هذه الظواهر الغريبة . ويرجّح وقوع الدهاء والحيلة في انتقال بعض الاثاث من مكان الى آخر دون مسيسها ظاهرًا . وكذلك طرَقات الطاولة على الحضيض والصَّفَعات على الجدران او بعض الآنية . وانَّما أَشكل عليهِ امرُ الوسطاء ذوي الاستهواء اذ لم يتأكّد فيهم الخداع ولعلّهم مخدوعون . ومثلهُ المسيو مكسويل (Maxwell) الذي انعم النظر في كلّ هذه الحوادث السبيريتيَّة فانَّهُ بعد استقرائها والبحث عن صحَّتها نسبها الى الخداع فختم بعضُهم قولهُ بهذا الحُكم النهائي : «لقد يُحدق بكل هذه الحوادث الغريبة شبهةٌ يُستَشف من ورائها الشعوذة والحيَل»

## ٤ تفسير الحوادث الغريبة المنسوبة الى السبيريتسم

١ لمَّا اعتبر بعض الكتبة ما تحقَّقهُ قومٌ من العلماء عن خُبث اصحاب السبيريتسم وتحايُلهم لم يعودوا يصدّقون من اعمالهم شيئاً بل نسبوها كلّها الى الحِيَل والتَّشعوذ والاوهام . على اننا نرى في حكمهم هذا مبالغةً بيّنة لأَنَّهُ لا يمكن جحود بعض الظواهر ونفي صحَّتها

٢ ومنهم حزبٌ آخر على عكس الاوَّلين وهم المنحازون الى جانب السبيريتسم وانصار مذهبهم الروحانيّ فانَّهم يرون في الظواهر المذكورة امورًا عجيبة تأتي بها الارواح لتجعل بينها وبين البشر علائق ودّيَّة باطنة مفيدة لحياتهم . هذا رأي لاون دنيس خَلَفُ أَلَان كرديك وقال بعض تبَعتهِ :

« إن كانت الطاولات تدور او تطرق الارض بقوائمها . ان تحرَّكت الاقلام فكتبت على الالواح . ان لاحت الايادي في الفضاء . ان ظهرت الاشباح للعيان . ان تكلَّم الوسطاء اضطرارًا فليس ذلك لإلهاء العموم وترويح الناس وانَّما هو دليلٌ على انَّ ارواحًا مجرّدة عن اجسامها تسعى بالاتّصال بعالم الاحياء وهي بهذه العلامات الحسّيَّة تُعلن العموم بحضورها وباستعدادها لخدمتهم فلذلك تجيب على اسئلتهم . . وقد نشأ السبيريتسم من رغبة الاحياء في البلوغ الى موتاهم الاعزَّاء والاجتماع بهم ليتحادثوا معهم ويقفوا على مصيرهم في عالمهم المجهول ويستفيدوا منهم احوال ما وراء القبر . وقد لبَّت الارواح الى مبتغى البشر وهي تظهر لهم لتفيدهم تعزيةً وسلوانًا وتنشّط قلوبهم وتنير عقولهم»

وان سألت هؤلاء المنتمين الى المذهب الروحانيّ وكيف تستطيع ارواح مجرَّدة

عن المادّة ان تتّصل بعالمنا هذا الهيوليّ وبالبشر المتجسّمين ؟ يجيبونك بقولهم : انّ للجسم البشري مائعاً يدعونهُ بالعُنصر الكوكبيّ (corps astral) او العنصر المحدق بالروح (périsprit) يستطيع الانسان ان يبعثهُ من جسمهِ اذا شاء ويمكن الوسطاءَ تويجهُ بنفوذ الارواح. فهذا المائع هو الذي يدير الطاولات ويرفع بها عن الحضيض وينقلها من مكان الى آخر. فالوسطاء على زعمهم يجعلون هذا المائع في حوزة الارواح التي تستمدّهُ لغاياتها تارةً وحدهُ وتارةً ممتزجاً بالمائع الكوني المنتشر في كلّ العالم وبهِ تتمكّن الارواح من إبراز مفاعيلها العجيبة وصورها المختلفة. وربَّما اعار الوسطاءُ مائعَ جسمهم للارواح فيصيب الوسيطَ حينئذٍ انحطاطُ قوًى وضنكٌ عظيم يكاد ان يُتلفهُ

هذا ما يقولهُ انصار السپيريتسم. امَّا العُقلاء والعلماء الثقة فيرون في تفسيرهم السابق تعليلًا بعيدًا عن الصواب. وقبل كلٍّ لا يرضى عقلٌ صائب بما يزعمهُ اصحاب المذهب الروحاني عن استعداد الارواح لخدمة البشر ايًّا كانوا وكيفما شاؤوا. قال المسيو مورين (A. Morin) العالم الشهير : « لا اظنُّ انَّ ارواح البشر بعد تجرُّدها من اغلال جسدها تتوق الى ان تستبطن قطعةً من الخشب كالطاولات وغيرها وتُعلن حضورها بحركاتٍ هزليَّة دنيئة مستحيلة كحركات الطاولات». وقال عالم آخر المسيو بابينه (Babinet) : « انَّ عدد الوسطاء في اميركة يبلغ ستّين الفاً أفليس القول بانَّ ستّين الفاً من مشاهير الاموات هم الآن طوع بنان الوسطاء من الاقوال المُضحكة التي توجب النفي والسّخريَة »

وزد على ذلك انَّ السپيريتسم حتَّى الآن لم يثبت مدَّعياتهِ بالبيّناتِ الصادقة. فانَّ الارواح التي يزعمون انَّها لفلان الشاعر ولفلان الكاتب ولفلان السياسي لم تثبت هويّتها بالدلائل المقنعة والحجج الدامغة. فانَّ ما تفوه بهِ من الاقوال والآراء انَّما هو صدى افكار الوسطاء او الحضور وليس صورة افكار الاشخاص المزعومين. قال المسيو جانه (Mr Janet) : « ان كورنيل الشاعر الفرنسويّ الشهير اذا استحضرهُ الوسطاء وأنطقوهُ بالشعر لا يأتي الَّا بشعر سخيف ركيك اللفظ مبتذل المعنى. واذا استحضروا بوسويه الخطيب المصقع يجعلون في فمهِ خطباً ينبذها أدنى الواعظين »

وقد ادَّعي احد الوسطاء الاميركيين انَّ روح دِيكنْس الروائي الانكليزيّ

الشهير قد حلَّت فيهِ واوحت اليهِ بانجاز احدى رواياتهِ التي حال الموت دون اتمامها . فلما أنجزها أجمع المنتقدون انَّ تتمَّة الرواية بعيدةٌ عن انشاء ديكنس وبلاغة كلامهِ وانسجام عبارتهِ .ثمَّ انَّ فصلًا من هـذه الرواية كان بقي بين اوراق ديكنس لم يُطبع فهذا الفصل لا يوجد في قسم الرواية التي تولَّى كتابتها الوسيط المذكور وذلك دليل قاطع على انَّ روح ديكنس لم تنشئ خاتمة الرواية كما زعم الوسيط الاميركي[١] .ولمَّا حضر العلَّامة وندتْ (Wundt) جلسةً من جلسات السپيريتسم حيث استحضروا بعض ارواح كبار الرجال وجدهم جميعاً من اهل الطبقات السافلة الدنيئة التي لا يجوز ان تُنعت بطبقة عظام الرجال

وما تحقَّقهُ اهل النقد انَّ الارواح المزعومة تسلك في اقوالها وافعالها مسلك الوسيط عينهِ فتجري على افكارهِ وتمثِّل اخلاقهُ وكلامهُ . وفي بعض الاحيان تظهر هذه الارواح مهتمَّةً في تصوير افكار الحضور واحوالهم . فاذا كان الحضور من العلماء تسعى الارواح بمجاراتهم في العلوم الرائجة واذا كان الحضور من رعاع الناس جرت الارواح على منوالهم وسفالة افكارهم . وتكون اجوبة الارواح موافقة لما ينتظرهُ القسم الاكبر من الحضور حتَّى انَّ بعض المنتقدين زعموا انَّ تلك الاجوبة يستمدّها الوسيط من الحضور فيعيرها الارواح

ويؤيد هذا الرأي ما كتبهُ المسيو فلمَّاريون الطبيعي المعروف بعد ان كان هو عينهُ احد الوسطاء في خدمة ألَّان كرديك فانَّهُ لمَّا استحضر روح غاليليوس الشهير وطلب منهُ رأيهُ في تكوين الافلاك وعلم الهيئة وذلك في خلال سنتي ١٨٦٢و١٨٦٣ كان جواب الروح المزعومة صدى افكار فلمَّاريون وآرائهِ السابقة ليس الَّا . وقد نشر صاحب الكتاب الروحاني المطبوع في مصر ما رُوي عن روح غاليليوس في الفصل الثاني (ص٢٠٠ — ٢١٣) . وقد أقرَّ بذلك فلمَّاريون في ٩ تمُّوز سنة ١٨٩٩ في منشورات السياسة والتواريخ الدولية وفي كلامهِ عبرةٌ للمعتبرين قال :

« اني كنت وسيطًا لألَّان كرديك وقد نشر هذا في كتابهِ المنون بسفْر الخليقة الفصول العلميَّة التي كنتُ على زعمهِ اتلقَّنها من روح غاليليوس وامضيتُها انا باسمهِ . وليست هذه

---

١) اطلب ما كتبهُ في ذلك الدكتور سوزبلدْ (ص٥٤) وسجلَّات علم البسيكولوجية في ١ حزيران سنة ١٨٩٢ ص ٤٠)

الفصول الّا صورة خواطري الشخصية والافكار الشائعة وقتئذٍ بين العلماء بخصوص السيّارات والنجوم وتكوين الخليقة واني لم استفد شيئاً البتَّة من روح غاليليوس »

ومثل فلمّاريون احتجَّ عـالمٌ آخر المسيو فكتوريان سردو (V. Sardou) على ألاَن كرديك الذي ادّعى انّ الروح اوحى بمعلومات فلسفيَّة مستقلّة فقال المسيو سردو انَّ تلك الآراء كان سبق هو نشرها وادرجها في كتب السپيريت فانها آراؤهُ ليست تعاليم الارواح

وقد ثبت اليوم بعد الامتحانات العديدة انهُ لا يوجد مطلقـاً حقيقةٌ واحدة من حقائق الفلسفة والدين والآداب قد ابتكرتْـهـا ارواح السپيريتسم فانَّها كلّها متضمّنة في تآليف الفلاسفة او في كتب التعليم المسيحيّ · واذا عرضوا على تلـك الارواح مسائل عويصة فلسفيَّةً كانت او علميَّةً تتملّص منها دون جوابٍ واضح

واغربُ من ذلك انَّ الارواح المزعومة التي يعوِّلون عليهـا لمعرفة حقائق العالم الآخر لا تتَّفق في اجوبتها بل في كلامها تناقض ظاهر حتَّى في اعظم الامور شأناً فيما يخصّ مثلاً عَوْد الارواح الى اجسادها فانَّ بين ارواح الشعوب السكسونيَّة وارواح غيرها آراء مختلفة فهولاء ينكرون واولئك يثبتون

وربَّما ظهرت اكاذيب هذه الارواح وتلفيقاتها · وهاك مثالاً يدلّ على قولنا : كانت المدعوَّة تراڤرس سميث وسيطةً للارواح فأتاها يوماً نبأ روحاني بموت احـد المسجّلين الايرلنديين اسمهُ پيتر روني (Peter Roony) قال الروح ان المذكور انتحر رامياً نفسهُ تحت عجلات السكَّة الحديديَّة · فما اشدّ ما كان انذهالها اذ تأكدت بعـد اربع سنوات سنة ١٩١٤ انَّ المذكور كان حيًّا يُرزَق · فعلمت ان الروح خدعها

ولنا امثلة عديدة على كـذب الارواح روتها جريدة البشير في ردودهـا على المقتطف وخصوصاً في ما يختصّ بالحقائق الدينيَّة التي كانت الارواح تنكر وجودها ثمَّ تُحقّقها بعد الإلحاح عليها وتبكيتها على كذبها

فلا يمكن اذن الإركان الى اجوبة هذه الارواح · قال الدكتور ف · داڤس (Ph. Davis) : « هاءنذا منذ عشرين سنةً ادرس مناجاة الارواح ففي هذه المدَّة كلّها لم يمكنّي ان احصل انا منها بذاتي او بواسطة غيري افادةً واحدة يجوز للعلماء او للفلاسفة الاعتماد عليها »

وما قولك الآن في هذا المائع الحيَويّ التي يزعم الوسطاء انَّ الارواح تتَّخذهُ وسيلةً لاندماجها مع البشر فكيف يثبت هؤلاء الوسطاء وجودَهُ ولم يعرفهُ العلماء حتَّى يومنا . وان صحَّ وجود مثل هذا المائع افليس الأصوب ان يقال انَّ الوسطاء ذاتهم يتوسَّلون بهِ لتلك المفاعيل الخارجة . ومن ثمَّ لا حاجة الى توسُّط الارواح

هذا ما يحضرنا من الجواب على مزاعم المتمذهبين بالمذهب الروحاني الناسبين اليه تلك المعلولات الغريبة . وسنعود الى هذا الامر ونبيّن بطلانهُ في الفصل الاخير

٣ بقي فريق ثالث متوسّط بين الطرفين السابق ذكرهما اعني بين الناسبين كلَّ ظواهر السپيريتسم الى الغش والخداع وبين الذين يَعزون تلك المفاعيل كلها الى الارواح . وهذه الطريق الوسطى نوافقها نحن ايضاً في قولها انَّ لتلك المفاعيل عللاً شتَّى

والعلّة الاولى(مَكرُ الوسطاء) . فلا شكَّ انَّ اموراً كثيرة ينسبونها الى الارواح ليست الاَّ اعمالاً يأتي بها الوسطاء بثقافةٍ ولقافةٍ ممَّا اعتادهُ بعض الظرفاء والمشعوذين تفكهةً للناس واستدراراً لدراهمهم فيَعزونها للارواح لتزيد بذلك ارباحهم . وقد اقرّ بذلك الدكتور پاپوس الساحر (اسمهُ الصحيح الدكتور انكوس Dr Encausse ) قال : « انّ بين عشرة من الوسطاء ثمانية نصَّابون مخرقون يحترفون بالشعوذة والخُزعبلات(١) » . وكثيرون من الوسطاء المذكورين اذا حرّجوهم والحُّوا عليهم يجيبون قائلين : « لا عجب ان نلتجىء الى بعض الحيل لأنَّ الحضور يحوجوننا الى ذلك وهم تائقون الى غرائب الامور لا يرضون الَّا بها » فانَّ المشعوذ الشهير المدعو كلَّار (Kellar) قد اتَّصل في اميركة سنة ١٨٩٥ الى تقليد الكتابات التي كان الوسيط الانكليزي اغلنتون (W. Eglinton ) يدَّعيها للارواح ثمَّ جاهر بانهُ يستطيع ان يصوّر ايَّ كتابةٍ كانت تنسب للارواح المزعومين . وقد اكتشف المراقبون للوسطاء المذكورين حركاتٍ خفيَّة واصواتاً تصدر من كعوب ارجلهم كان السامعون يظنُّونها خارجةً من الطاولة او من الواح الارضيَّة كما تحقَّقوا ان بعضهم كانوا يصوّرون الاشباح بوسائط طبيعيَّة خفيَّة

٢ (الاسباب الطبيعيَّة)لا يمكن تعليل كلّ ظواهر السبيريتسم الى الشعوذة والخداع

---

(١) اطلب كتاب رامي (ص ٥٠) **Remy :** Spirites et Illusionistes

وانمّا يمكن نسبة بعضها الى علل طبيعيّة . قال السيّد تورنياس ( Mgr Turinaz ) اسقف نانسي سنة ١٩١١ في احد مناشيره التي كتبها عن السپيريتسم : « انّ بين الحوادث العجيبة التي يرويها تبعة السپيريتسم قسماً كبيراً يمكن نسبتهُ الى القوى الطبيعيّة ولا نشكّ انّ دارسي الحوادث المذكورة يطّلعون على اسبابها الحقيقيّة » . والحقّ يقال انّ بعض العلماء انقطعوا الى التعمّق في اكتشاف عللها فوجدوا انّ بعض الامراض كالهستريّة والجولان في النوم (Somnanbulisme) والتنويم تشبه اعراضها حالة الوسطاء في السپيريتسم ويلوح لمن درسها انّ في الانسان بعض القوى الخفيّة التي لا يدركها بالشعور وانمّا هي نتيجة تصرّفهِ وعاداتهِ السابقة . فهذه القوى تُبرز اعمالها في بعض الظروف وبفعل بعض التأثيرات . وهكذا يجوز القول انّ ما ينسبهُ الوسطاء الى الارواح انمّا هو لائحة من هذه التأثيرات الشخصيّة فيهم تبرز الى الوجود في حالة تهيُّجهم وتدفعهم الى امور غريبة وتخيُّلات كاذبة فتارةً يدّعون بوجودهم في امكنة سحيقة او في ازمنة مختلفة وحيناً يصفون احوال اشخاص بعيدين عنهم . وطوراً تعمل فيهم تاثيرات اولئك الاشخاص كأنهم امامهم . وقد جمع العلماء كثيراً من هذه الحوادث الطبيعيّة المسبّبة عن العلل السابق ذكرها وعارضوها باحوال وسطاء السپيريتسم فوجدوها مجانسةً لها . منها ما رُوي عن فتاةٍ تدعى هيلينة سميث ابنة احد العمّال في جينيفة حاضرة سويسرة التي تزعم انّها عاشت سابقاً مرّتين على الارض المرّة الاولى قبل ٥٠٠ سنة وانّها كانت ابنة شيخ من العرب والمرّة الثانية كانت الملكة ماري انتوانيت ثمّ بسنّة التناسخ وُلدت الآن بصفة ابنة احد المأمورين لكنّها تتعزّى عمّا فقدتهُ من عزّها السابق بمناجاتها للارواح الساكنة في سيّارة المرّيخ والسيّارة اورانوس وفي القمر وانّها تعلّمت هناك لغةً غريبة وضروباً من الكتابات السرّيّة . فهذه الفتاة قد فحصها الدكتور فلورنسي فوجدها بعيدة عن كلّ مكر وخداع وقال عنها انها جبلتْ في مخيّلتها تذكارات قديمة وتأثيرات سابقة من مطالعاتها ومسموعاتها فترويها كأنها حدثت فعلاً معها وليست هي الّا سفاسف وخزعبلات صبيانيّة جسّمتها لها اوهامها ومخيّلتها

والدكتور غراسه في كتابهِ المعنون : «السپيريتسم بازاء العلم» يميز في الافعال النفسانيّة طبقتين طبقةً عليا من الافعال الاختياريّة الحرّة التي يدركها صاحبها تماماً .


١٩

وطبقةٌ سفلى وهي الافعال التي تنشأ من النفس عفوًا دون ادراك كأنها حركة ادوات لا حسّ لها . وللطبقتين في الانسان جهازان خصوصيّـان يجتمعان عادةً في الافعـال البشريَّة . وانمَّا يحدث في بعض الاحيان انَّهما يتفرَّدان باعمالها دون ان تُدرِك الطبقة العليا ما يصدر عن السُفلى من الاعمال . فالدكتور غراسّه يستند الى هـذا الرأي في تفسيرهِ للاحلام وبعض الرؤى الخياليَّة واعمال التنويم والاستهواء . وينسب اليها بعض حركات الطاولات الدائرة يحرّكها الوسيط دون انتباه وبعض الاجوبة التي يردّ فيهـا على ما يُسأَل ويعلّل بها بعض اعمال المصابين بالهستيرية

وكان الدكتور جانّه (Dr P. Janet) سبق واعتمد الى هذا الرأي عينهِ في كتابهِ المعنون ( l'Automatisme psychologique ) وانحاز الى رأيهما هذا غيرهما من الاطبّاء . نعم انَّ هذا الشرح لا يُزيل كلَّ الشبهات ولا يوضح كلَّ الظواهر وانَّمـا يكشف السرَّ عن عدَّة خفايا . ويؤمل هؤلاء الحكماء انَّهم يميطون القناع عن اشياء غيرها اذا مكَّنهم الوسطاء من التنقيب عن حركاتهم وسكناتهم بفحص مدقّق علمي ( الاسباب الخارجة عن الطبيعة ) فيبقى في اعمال الوسطـاء وارباب السپيريتسم اشياء لا يستطاع تعليلها طبيعيًّا فهـذه لا بُدَّ من نسبتها الى الارواح ولكن ليس الارواح البسيطة كمـا يزعم اهل السپيريتسم بل الى الارواح الشريرة اعني الابالسة والشياطين شاء الوسطاء والملاحدة او ابوا كما سنبيّن ذلك في عدد آخر (لهُ صلة)

---

# التذكار الخمسيني

## لافتتاح قناة سويس

نبذة تاريخية للاب رفائيل نخله

في تشرين الثاني سنة ١٩٢٠ تمت السنة الحادية والخمسون لذلـك الافتتاح . فيليق بنا ان نتكلم عن هذه المأثرة البديعة التي يسوغ احصاؤها في العجائب الهندسيَّة النادرة المثال

منذ نحو ٣٣٠٠ سنة فكّر ساتيل احد الفراعنة في حفر قناة على طول البرزخ القائم كحاجز منيع بين آسية وافريقية . فلم يُخرج مقصده الى حيّز العمل . ثم حاول احد خلفائه لانشاء قناة بين النيل والبحر الاحمر فلم ينجح . فبقوا هكذا نحو ثلاثة وثلاثين جيلًا لم يجسر فيها الملوك العظام ولا جهابذة المهندسين على مباشرة ذلك العمل الجبّاري الى ان اتمّه المهندس الفرنسوي فرنان دي لِسِپس . قدّم رسومه لخديوي مصر سعيد باشا سنة ١٨٥٤ وبعد سنتين نال منه فرمانًا لانجاز مشروعه الّا انهُ لم يبدأ الحفر قبل ٢٥ نيسان سنة ١٨٥٩ . ثمَّ ما لبث ان دُهم بعرقلة لم يكن يتوقعها وهي عدم كفاية رأس المال الاصلي البالغ مئتي مليون فرنك . وما عدا ذلك صادف عقبات سياسية اوقفت عمله مدّة طويلة . اخيرًا بعد المخابرات العديدة المجهدة حصل على تأسيس شركة رأس مالها ١٩ مليون ليرة انكليزيَّة مكَّنتهُ من ابدال الحفر اليدوي بالماكينات الحديثة . وعلى هذا المنوال أنجز سنة ١٨٦٩ ذاك العمل الجبّاري الذي ادهش الخافقين بسرعة ختامه رغمًا عن الصعوبات والنفقات العظيمة التي ثبّطت العزائم مدة ٣٣ جيلًا . وكان عيد افتتاح قناة سويس من ١٦ الى ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٨٦٩ فحضرته الامبراطورة اوجيني حليلة نابوليون الثالث المتوفاة اخيرًا في اسبانية وامبراطور النمسة فرنسوا جوزف وولي عهد المانية وعدَّة امراء وممثلين لكل الدول الاوربيَّة

لقناة سويس ١٦٠ كيلومترًا طولاً و ٩ امتار عمقاً . امَّا عرضها فهو ١٠٠ متر في سطح المياه و ٦٥ في قعرها . وهي تَصِل بورسعيد بسويس أي البحر المتوسّط بالبحر الاحمر . ولكي يقف القرَّاء على الصعوبات العظيمة الحائلة دون حفر مثل هذه القناة نورد التفاصيل الآتية . كان معدَّل عدد الفعلة في اشدّ حركة العمل خمسة وعشرين الفاً وبنوع معتاد خمسة عشر الفاً . وحيث لم يكن في جوارهم ماء للشرب كان ١٦٠٠ جمل تجلب لهم المياه من بعيدٍ بنفقات يومية تبلغ سبعة آلاف فرنك !

واذ كان النيل يُفرغ عند مصبّهِ في البحر المتوسّط كميَّات عظيمة من الرمل المتَّجه شيئاً فشيئاً الى القناة للرسوب في قرارها أضحى من الضروري تشييد أسداد طويلة عريضة وشديدة المتانة لاتّقاء ذلك المحذور بلغ طول بعضها كيلومترين : وكان بناؤُها بكُتَل مصنوعة بمزيج من الملاط ورمل الشواطئ يزيد ثقلها احياناً على ٣٥٠

طُنًا ! . امَّا مجموع نفقات حفر قناة سويس فقد بلغ نحو ٥٠٠ مليون فرنك فيكون معدّل النفقات عن حفر كلّ متر ١٢٥ ،٣ فرنكاً

فلننتقل الآن الى شرح تفاصيل اجتياز القناة . من المعلوم ان كل باخرة تقصد عبورها يلزمها الوقوف في بورسعيد . فيُعلن قبطانها لإدارة القناة وصوله وجنسيَّة الباخرة ومرفأ خروجها ومرفأ منتهى سياحتها وحمولها ومقدار غوصها في الماء وعدد الركاب الخ . فبحسب تلك الافادات تعيّن الادارة القيمة اللازم دفعُها للاجتياز من المتوسط الى البحر الاحمر: كل طُنّ من البضائع عليه رسم ٧ فرنكات وثلاثة ارباع . وعلى كل شخص ١٠ فرنكات ما عدا الاطفال فهم يدفعون ٥ فرنكات . وعلى ذلك يكون معدّل الرسوم المدفوعة من كل باخرة نحو عشرين الف فرنك . وان استكثر القراء هذا المبلغ العظيم ونسبوا شركة القناة الى الطمع في ارباح فاحشة أَلفَتْنا انظارهم الى كثرة النفقات العظيمة التي تقوم بها الشركة لحفظ القناة في حالة صالحة للملاحة . واهمُّ تلك المصاريف هي التي تستلزمها البواخر المجهزة بالات قديرة لجرف الرمل الذي يثيره الريح على توالي الايام ويهبطه الى قعر القناة حيث يتراكم ويُنقص عمقها . وهذا يكاد لا يزيد على ما تقتضيه اضخم السفن . فمجرّد نفقة تلك البواخر الجارفة الرمل تبلغ سنوياً نحو اربعين مليون فرنك !

ومدَّة اجتياز القناة تتراوح حسب سرعة البواخر بين ١٥ وعشرين ساعة وذلك لالتزام السفن ابطاءَ سرعتها المعتادة . ولولا ذلك الاحتياط لأثارت في القناة الضيّقة القليلة العمق امواجاً عظيمة تُجحف بالضفّتين . وما عدا ذلك تُسام إعاقةً اخرى . لان ضيق القناة لا يسمح باجتياز سفينتين على طول المسافة بين بور سعيد وسويس . وحيث يتفق كثيراً ان بعض البواخر لها وجهة البحر المتوسط وغيرها وجهة البحر الاحمر فيلزم وفقاً لنظامات شركة القناة التوقُّف في محطَّات خصوصيَّة ريثما تعبر الباخرة الاتية من الوجهة المعاكسة

امَّا اهميّة القناة للتجارة الدولية فتتَّضح لكل ذي عينين . فان القناة قرّبت آسية وافريقية الشرقية ولاسيَّما الشرقية الجنوبية الى اوربة تقريباً لم يخطر على بال فالمسافة بين لندن وبمباي تُقطع في ٢٤ يوماً بدلًا من ٤٨ . وبفضل تلك السرعة توفر البواخر وقتاً ثميناً وكميَّات عظيمة من الفحم يُعوَّض عنها بالبضائع

والحق يقال لا فـائدة في اجتياز القناة الّا للسفن الحاملة لسِلَـع ذات قيمة متوسطة . وذلك لان رسم العبور ٧ فرنكات و٧٥ سنتيماً عن كل طن بغضّ النظر عن ماهيّة البضائع . ولذلك نرى السفن المشحونة بالاخشاب وجذوع الاشجار والحجارة والغلال لا تفتأ في ايامنا هذه تدور حول افريقية لتنجو من تلك الرسوم الغالية . على كل حال يفوق عدد البواخر العابرة سنوياً من القناة كل مـا يتصوَّرهُ الجمهور . ففي سنة ١٩١١ مثلًا اجتازها ٤،٩٦٩ باخرة ومنها ٣،٠٨٩ انكليزية . اعني معدّل ١٤ باخرة يومياً . فكان معدَّل الرسوم المدفوعة يومياً نحو ٢٨٠،٠٠٠ فرنك

وقد نُصب عند مدخل ميناء بور سعيد الغربي—على حاجزٍ للامواج مستطيل في داخل المياه—تمثالٌ عظيم بديع للمهندس الفرنسوي فرنان دي لسپس صاحب مشروع قناة سويس ومُخرجه الى حيّز الوجود بعد نحو عشرة اعوام من الاشغـال الجبَّارية . وللتمثال قاعدة مرتفعة يَرى عليها السائحُ الواصل من اوربَّة ذاك النابغة فريد عصرهِ منتصباً تُشير يمناه الى مولج القناة ولسان حاله يقول: «هذه مـأثرتي المخلّدة لاسمي ومجدي !» وطول التمثال بصرف النظر عن قاعدته نحو سبعة امتار

---

# الطائفة المارونيَّة والرهبانيَّة اليسوعيَّة

## في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

### في انشاء المدرسة المارونية الرسمي (١٥٨٤—١٥٩٢)

بلغ عدد احداث الموارنة المرسلين الى رومية ليخرَّجوا فيها بالآداب الكهنوتيَّة في ربيع السنة ١٥٨٤ عشرين تلميذًا كانوا يسكنون في دارٍ بقربها كنيسة على اسم مـار يوحنَّا المعمدان كانت سابقاً كنيسة رعيَّة فخصّصها الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر منزلاً لغرباء الموارنة الذين كانوا يأتون من الشرق الى امّ المدائن لغـايات

مختلفة دينيَّة او دنيويَّة بينهم عدَّة فقراء وذلك في السنة ١٥٨٢ بموجب براءة (١ تاريخها اواخر شهر كانون الاول سنة١٥٨٢ افتتحها بهذه الالفاظ (Exigit incum-bentis) وعيَّن لمعاشهم مبلغاً كافياً . ثم الحقها في السنة التالية في كانون الاول ١٥٨٣ ببراءة ثانية (٢ بدوءها (Salvatoris Nostri) اثنى فيها على الطائفة المارونيَّة وطاعتها للكرسي الرسولي وحسن استقبالها لقصَّاده اليسوعيين ثمَّ أعلن بجعله الدار السابق ذكرها مع كنيستها ملكاً للامَّة المارونيَّة مستقلَّةً عن رعيَّة القديس اندراوس (S. André delle Frate) التي كانت قبلًا متولّيةً عليها بحيث يتصرَّف بها الموارنة كما يشاؤون ويقيمون في كنيستها رتبهم وطقوسهم الشرقيَّة دون عائق.

ثمَّ رأى الحبر الاعظم نموَّ التلامذة وما ينجم في اختلاطهم مع ابناء جنسهم من العوائق لتربيتهم الكهنوتيَّة ودروسهم فعاد في السنة ١٥٨٤ في ١٢ آذار منها وامر بان تُفرد الدار المذكورة للاحداث الدارسين مع كنيستها وما يلحق بهـا من الجنينة وبقيَّة توابعها فتُدعى بالمدرسة المارونيَّة لا يسكنها غيرهم مع الكهنة المتولّين نظارتهم والعناية بهم . وقـد ورد ذكر الذين سكنوا تلك المدرسة في اليوم المومـأ اليهِ في المخطوطة الواتيكانيَّة اللاتينيَّة الموسومة بالعدد ٥٥٢٨ (في الصفحة ٣١—٣٣) وهم التلامذة المذكورون آنفاً ثمَّ الكهنة والرهبان الآتون : ١ الخوري مـارون اسطفان الكاهن العالميّ من جزيرة قبرس قدم الى رومية في ٢٧ شباط ١٥٨٢ مع أحـداث قادهم اليها . ٢ً الخوري يوحنَّا أيوب الحصروني الذي استدعاهُ الكردينال انطون كرافاً محامي الطائفة من لبنان لسعة علمه باللغة السريانيَّة ليراقب مطبوعاتها . اتى رومية في ١٤ ك ١ سنة ١٥٨٣ . ٣ً القسّ يعقوب سركيس الحرديني من رهبـان مار انطونيوس اتى رومية بامر الكردينال عينهِ لنظارة المأوى قبل تحويله الى مدرسة في ذات التاريخ . ٤ً الاخ ابراهيم سمعان الادنيتي من الرهبـان المذكورين اتى مع القس يعقوب . ويشير في آخر الكتابة الى ستّة تلامذة آخرين لم يذكر اسماءهم ولعلهم كانوا منتظَرين (desiderantur) «اثنان من دمشق حيث يوجد كرسيّ اسقفيّ» . واثنان من بيروت « ليقوما بخدمة ابناء جلدتهم الـذين يهربون من ظلم الاتراك الى بلاد

١) اطلبها في مجموعة البراءات المارونيَّة للعنيسي Bullarium Maronitarum, pp. 81-83

٢) في المجموعة ذاتها (ص ٨٤—٨٩)

الدروز حيث يعيش معهم الموارنة» . ثم « واحد من بجدرفل ؟ (Becartela) وواحد من جبيل او الجبّه (Gibbeir ?) وهما من اخصّ منازل الموارنة» . وواحد من كورماتيكو (Cormatico) من قبرس . وواحد من غمبيلي (Gambili) من قبرس

فهؤلاء باشروا مذ ذاك عيشةً منتظمة كما تليق بالدارسين ولاسيَّما بالمترشحين للعيشة الكهنوتيَّة . وقد ايَّد الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر بسلطانهِ السامي نظام تلك المدرسة ببراءة خاصَّة (١ اصدرها في ٥ تمُّوز سنة ١٥٨٤ تبتدئ بهذه الالفاظ (Humana sic ferunt) يبيّن في مقدَّمتها ما حملهُ على تخصيص المنزل السابق العمومي بتربية احداث الموارنة وجعلهِ مدرسةً وما يتوقَّع منها من الفوائد الجمَّة للطائفة المارونيَّة كلّها ثمَّ يعدّد ما لتلك المدرسة من المداخيل وباي شروط يدخلها التلامذة وما سيكون نظامهم ومميّزاتهم وطقسهم الشرقي . ويجعل المدرسة تحت نظارة الكردينال كارافا محامي الطائفة ويجعل في يدهِ تدبيرها والاهتمام بسائر امورها مؤمّلًا من نجاحها خيرًا كبيرًا لموارنة لبنان

ثمَّ اردف البابا هذه البراءة ببراءة رابعة في السنة والشهر عينهما اوَّلها (Romani Pontificis) حتم على مجمَع التسجيل الروماني (Dataria) ان يدفع كلَّ سنةٍ من مداخيله ١٢٠٠ دينار لمصروف المدرسة المارونيَّة . فكانت هذه النعمة الممنوحة من ذاك الحبر الهمام كشهادة محبَّتهِ الاخيرة للطائفة المارونيَّة حيث توفّيَ بعد قليل . فخلفهُ سكستوس الخامس الذي احبَّ ان يبرهن عن انعطافهِ نحو الموارنة ومدرستهم فاضاف الى مداخيلها اوقاف كنيسة مريم العذراء والقديس كلوديوس المعروفة بفراسينوريو وكانت فرغت بوفاة الكردينال الكسندر المتمتّع بها فابرز في ذلك براءة (٢ افتتحها بهذه الكلمات ( Inter cœtera collegia ) في تاريخ آب من السنة ١٥٨٥ وألحقها ببراءة ثانية بمعناها في ٧ شباط ١٥٨٦

وقد اشار الدويهي في تاريخهِ الى هذه الهبات البابويَّة فقال عن البابا غريغوريوس انهُ «اجرى على تلامذة المدرسة المارونيَّة وظائف من نفس طعامهِ» ثم قال (ص ١٨٠) : « ولمَّا قام بعدهُ كسوسطس الخامس رتَّب لهم دخلًا يكفي ١٥ طالباً مع جميع من

١) اطلبها في مجموع البولّات المارونيَّة ص ٩١–٩٧
٢) تجدها باللاتينيَّة في مجموع البراءات المارونيَّة (ص ١٠٠–١٠٣)

يقوم بخدمتهم» . وقال في محلّ آخر عنهُ :« ولمَّا علم ان سالفهُ ادركتهُ الموت قبل ان ينهي المدرسة رتَّب لها دخلًا سنويًّا في فراسينوريو وفي السنة الثانية من رئاستهِ عيّن لها وقفاً في العامودية» (ص ٤٢٠)

وقد امتاز بكرمهِ الحاتميّ نحو هذه المدرسة الكردينال انطون كرافا الموما اليه فانهُ مدَّة حياته لم يزل ساعياً بترقّيها ماديًّا وادبيًّا الى سنة وفاتهِ (١٥٩٤) وهو الذي جدّد بناء كنيستها التي كانت في جملة تصاويرها صورةٌ لرفائيل المصوّر الذائع الشهرة ووقف على الدرسة قبل موتهِ جميع تركتهِ بمبلغ عشرة الاف سكودي (١ . وبهذه الارزاق الجارية على المدرسة المارونيَّة اصبحت مماثلةً لافضل المدارس المنشأة في رومية كمدرسة اليونان والمدرسة الانكليزية والمدرسة الايرلندية

امَّا ادارة هذه المدرسة فجُعلت في ايدي الرهبانيَّة اليسوعيَّة فكان يسكن فيها الرهبان الموكولة اليهم العناية بالتلامذة ولاسيَّما الرئيس ومدير المدارس والاب الروحيّ . وكان اوّل رئيس أُقيم عليهم الاب يوحنَّا برونو رفيق الاب اليانو في قصادتهِ الثانية الى الموارنة بقي في رئاستهِ الى السنة ١٥٩٠

وكان التلامذة يذهبون كلّ يوم الى المدرسة الرومانيَّة ليتلقَّوا فيها دروسهم من الآباء اليسوعيين كتلامذة مدارس الانكليز واليونان والارلنديين مباشرةً من اصول اللغتين اللاتينية والطليانيَّة ثمّ العلوم الادبيَّة والرياضيَّة ثمّ الفلسفة واللاهوت فيدوم زمن دروسهم من عشر سنين الى ١٢ سنة

وكان لهؤلاء التلامذة ثيابهم الرسميَّة دَرَّاعة سوداء (قنباز) وزنَّار مثلها مع رداء طويل وقبعة اكليريكية وهم يحافظون على طقسهم السرياني فيقوم بتعليمهم اللغتين العربيَّة والسريانيَّة كهنة من ملّتهم يقطنون معهم . وكانوا يحتفلون كلّ سنة بعيد القديس يوحنَّا المعمدان احتفالاً عظيماً وعلى اسمهِ كانت كنيستهم وكانوا في مساء النهار يعقدون جلسة ادبيَّة في صاحب العيد بلغات مختلفة يحضرها الكردينال محامي الطائفة وكثير من ارباب الاكليرس وذوات رومية . وفي ٩ شباط كان يعيّدون عيد القديس مارون بابهَّة ورونق فيدعون اليه اصدقاء الطائفة ومحبّي الطقوس الشرقيَّة . وكذلك رُتَب الجمعة المقدسة ولاسيَّما الشعانين كانوا يقيمونها بكل مجاليها فيتقاطر الرومانيُّون الى حضورها

١) اطلب تاريخ الدويهي ص ١٨٠

وقد اهتمَّ تلامذة رومية مع الكهنة الموارنة والرهبان الذين في مدرستهم بنشر الكتب الطقسية المارونيَّة بالسريانيَّة . واول ما ظهر من ذلك سنة ١٥٨٥ كتاب الجنـازات طُبع على نفقة البـابا غريغوريوس الثالث عشر في مطبعة دومنيك بازا (D. Basa) بحرف سرياني مع نقوش وتصاوير. وهو من اقدم الكتب التي طبعت بالسريانيَّة

## قوانين المدرسة المارونيَّة

وقد وقفنا على قوانين المدرسة المارونيَّة في سجلَّات رهبانيَّتنا اليسوعيَّة وهي باللغة اللاتينيَّة من انشاء مجمع انتشار الايمان وُضعت بعد تأسيس المدرسة في القرن السابع عشر وكان قبلها الكردينال انطون كرافًا قد وضع لها بعض القوانين المختصرة جرى التلامذة عليها اوَّلاً فنقَّحها المجمع المذكور واوضحها في احد عشر فصلاً

فالفصل الاوَّل يتضمَّن خلاصة تاريخ انشاء المدرسة المارونيَّة بهمَّة البابا غريغوريوس الثالث عشر في السنة ١٥٨٣ (كذا) وما قصدهُ من انشائها اعني تهذيب بعض احداث الموارنة ذوي الآداب الحسنة والذكاء بالتقى والعلوم حتى اذا تخرَّجوا في رومية بكل الآداب الكهنوتيَّة يعودوا الى وطنهم ويتولَّوا نشر الدين الكاثوليكي بين اهل ملَّتهم ومواطنيهم . وفي هذا الفصل ذُكر الكردينـال كرافًا المحسن الكبير الى الطائفة المارونيَّة ومساعيهِ الطيّبة في انجاح هذه المدرسة ماديًّا وادبيًّا

الفصل الثاني مدارهُ على الصفات المطلوبة من اولئك الاحداث وكيف ينبغي انتخابهم قبل ان يُرسلوا الى المدرسة المارونيَّة ولذلك لا بـدَّ ان يقضوا مدَّةً في المدارس المنشأة في وطنهم بفضل الكرسيّ الرسولي فيُمتَحنوا فيها ويتلقنوا المبادئ الغراماطيقيَّة فاذا وجدوهم اهـلاً ارسلوهم الى المدرسة المارونيَّة . ولا يُقبَلوا في رومية الَّا مصحوبين بكتاب من السيّد البطريرك او برخصة مجمع انتشار الايمـان او الكردينال محامي الطائفة

الفصل الثالث يحتوي شروط دخول التلامذة في المدرسة المارونيَّة بـأن يختلوا مدَّة عشرة ايَّام برياضة روحيَّة يتمرَّنون فيها على الواجبات الدينيَّة وبعد اعترافهـم العـام بذنوبهم وقبولهم القربان الاقدس يطَّلعون على قوانين المـدرسة لينظروا

أيستطيعون حفظها فاذا حَسُنت لديهم تلَوْا صورة القَسَم الذي وضعهُ اوربانوس الثامن للشرقيين ووعدوا بتخصيص حياتهم لخدمة النفوس في العيشة الاكليريكيَّة وتأهَّبوا لقبول الدرجات الصغرى مباشرةً بالاكليل

الفصل الرابع خُصَّ بالرياضات الروحيَّة التي يجب على التلامذة ممارستها من صلوات لفظيّة وتأمل يومي صباحاً نصف ساعة وحضور القداس الالهي وتلاوة الكتب الروحيَّة ومواظبة على سرّي التوبة والقربان على الاقلّ مرَّة في الشهر وفي الاعياد الحافلة . وتلاوة طلبة جميع القديسين يوميًّا مع ربع ساعة لفحص الضمير مساء . وفيهِ تحريض على درس الطقس الماروني واللغة السريانيَّة . وفيهِ ايضاً ذكر الرياضة السنويَّة وبعض الرياضات الروحيَّة في الاعياد وأيام الآحاد . وكذلك يُذكر تعيين أبٍ روحيّ يعترف التلامذة لهُ بخطاياهم

الفصل الخامس يفصّل واجبات رئيس المدرسة وهو احد الآباء اليسوعيين وما يُفرض عليهِ لتثقيف الدارسين وتهذيبهم الروحي بحيث يوفّر لهم الوسائل ليتأصَّلوا في ممارسة الفرائض التقويَّة السابق ذكرها فيحسنوا القيام بها ويعيّن لهم اباً روحيًّا يقرُّون لهُ بخطاياهم دون سواه ويمدُّهم بالكتب التقويَّة وسير القديسين وكلّ ما من شأنهِ ان يزيدهم برارةً وقدساً

الفصل السادس عنوانهُ « ما يجب على التلامذة من الطاعة والاكرام للرؤساء » بيّن فيهِ ان نجاح المدرسة وحسن تدبيرها يتوقَّفان خصوصاً على طاعة التلامذة لرؤسائهم وما ينتج من الاضرار بمخالفتها فيحضّ الجميع على اتمام اوامر الرؤساء واكرامهم ويتهدَّد العصاة بالعقوبات الصارمة بل بطردهم من المدرسة

الفصل السابع يبحث عن نظام المدرسة اليوميّ بحيث يحفظون بتدقيق الترتيب العام فيعيشون عيشةً متساوية في شغلهم وراحتهم وصلاتهم ونومهم وخروجهم من المدرسة ورجوعهم اليها دون امتيازات خاصَّة الَّا اذا حكم الرئيس بخلافهِ . ويُحتم عليهم ان يسلّموا ما عندهم من الدراهم لوكيل المصروف فينفقونها باذن الرئيس ولا يحفظوا كتاباً خارجاً عن نظام المدرسة دون رخصة الرئيس . وفي هذا الفصل عدّة قوانين في تصرُّف التلامذة مع بعضهم ومع الغرباء وفي اوقات الدرس وفي ساعات الفراغ وفي الاصوام والقطاعات وفي امراضهم

الفصل الثامن يشتمل على واجبات الرؤساء في عنايتهم بحفظ النظام اليومي لترويض اخلاق التلامذة وتحسين سلوكهم لاسيَّما في الخارج. وهنا كلام عن ملبوسهم وعن زياراتهم لمعابد رومية او لبعض الذوات وترويض اجسادهم بالالعاب المناسبة

الفصل التاسع يبيّن خصوصاً ما يجب على التلامذة من لزوم الحشمة والتقيَّة والانس في كلّ اعمالهم ليكونوا قدوةً لكل من يراهم او يخالطهم ويحذروا من كلّ حديث يسيء الى القريب او يغيظ رفقتهم

الفصل العاشر موضوعهُ الدروس وتحريض التلامذة على ملازمتها بكل حرص واجتهاد مع حفظ نظامها سواء حضروا تعليم الاساتذة في المدارس او تباحثوا في أماثيلهم في ما بينهم او راجعوها وحدهم في غُرَفهم . مع ايضاح الطُرق المناسبة للاستفادة منها . وفيهِ كلام على الاعتناء بالكتب المدرسيَّة والكتب المستعارة من المكتبة العموميَّة

الفصل الحادي عشر يخصّ الرؤساء وفيهِ تعريف ما يقتضى عليهم في تخريج التلامذة بالعلوم وتثقيف عقولهم ليصبحوا يوماً انواراً لاهل بلادهم . فيتتبَّع المجمع المقدَّس سياق دروسهم مباشرةً بالعلوم اللغويَّة والبيانيَّة ثمَّ الفلسفة باقسامها وفروعها ثمَّ اللاهوت النظري والادبيّ وسائر العلوم الكتابيَّة والشرعيَّة الكنسيَّة الى نهاية دروسهم وتقدمة الفحوص عنها والشهادات المؤذنة بنجاح التلامذة فيها . ولم يَنْسَ المجمع درس لغتَيْهم الوطنيَّة والطقسيَّة تحت نظارة الكهنة او الرهبان الذين عُهد اليهم ذلك . وهذا ما أَهَّل تلاميذ رومية لخدمة العلوم الشرقيَّة في اوربَّة كما سترى

وهذه القوانين المذكورة تجد خلاصتها في براءة البابا اوربانوس الثامن التي اصدرها في ٣٠ تمز سنة ١٦٢٥ لاثبات مدرسةٍ تأسست وقتئذ في جبل لبنان لتثقيف احداث وشبان الطائفة المارونيَّة لاسيَّما الذين يرشَّحون للمدرسة المارونيَّة في رومية ليتمّموا فيها سياق دروس الفلسفة واللاهوت . وهذه البراءة قد نُشرت مُعرَّبةً في طبعة المجمع اللبناني الجديدة التي تولَّى نشرها الطيّب الذكر المطران يوسف نجم في الفصل الثاني والاربعين من الذيل (ص ٢١٢٨-١٣) . وقد استفاد ايضاً آباء المجمع اللبناني من قوانين المدرسة المارونيَّة في الباب السادس من القسم الرابع المعنون بالمدارس والدروس

وان عدنا الى ذكر تاريخ المدرسة المارونيَّة في سنيها الثاني الاولى (١٥٨٤—١٥٩٢) وجدناها ساعيةً في سبل النجاح تحت رعاية الاب يوحنــا برونو الذي قام لديهم مقام احنّ الآباء بعد ان زار بلادهم فاختبر محامد اهـل ملّتهم

ولم يكونوا ليذهلوا عن اكبر المحسنين اليهم واعزّ اصدقاء طائفتهم واكبر السُّعاة في فتح مدرستهم الاب جوان باطشتا اليانو. وممّا وقفنا عليهِ من رسائلهم التي حرَّروها للاب المذكور رسالة لجبرائيل الباني اوَّل تلاميذ المدرسة المارونيَّة كتبها كما يظهر بعد رجوع الاب اليــانو من مصر الى البندقيَّة سنة ١٥٨٥ ومنهــا يظهر حبّ هؤلاء التلامذة للاب اليانو وعرفانهم جميلهُ :

## بسم الآب والابن والروح القدس

أُقبّل الارض واحني بالهامة الخاطئة بين الايادي الطاهرات النقيَّات الزكيــَّات اي ايادي المحبّ الحنون وتاج رأسي وقرَّة عيني ومهجة فؤادي المحبّ المحبوب ابي القس باتيستا سلّمهُ الله تعالى

سبب تسطيرها الاشواق الى نظرك البهيّ الله يرونا ايَّاه بخير وعافية . ثم الذي نعرّف به الاب الحنون باني وقت سمعت انك جيت مثلما يكون ابي قام من بين الاموات . فرحت جدًّا وشكرتُ الله على وصولك الطيّب الينا وعلى سلامتك ومجَّدت الله القدوس الذي ردَّك الينا لانك وقت كنت غائب كنَّا مثل اليتامى بلا اب ولاسيما انــك عملت عمل خير عظيم وجبتنا من بلادنا في كلّ جودة . وكنَّا مشتاقين جدًّا لاننا كنَّا دائمًا نصلي حتى الله يرونا وجهــك قبل الموت . ونُعلم الاب الحنون بان البابا غريغوريوس عمل لنا مدرسة وطلبنا جماعتكم حتَّى يدبّرونا والحمد لله الجنرال انعم علينا واعطانا ايَّاهم ليدبّرونا وكنَّا مستنظرينــك زمان طويل لكي تجيء وتدبّرنا وان شاء الله وقت تجي نطلبك من الجنرال . واطلب من احسانك ان كان يجي الخوري حنَّا وانت في البندقيَّة انك تعينهُ وتكون لنا معين في كل ضيقتنا وغربتنــا . وما نعتاز وصيَّة لانك دائم حريص علينا وانت جبتنا وانت ربّيتنا وادام الله بقاك

احقر الناس عبدك وابنك

جبرائيل الباني ابن القس يوسف

وقد وقفنا لتلاميذ رومية على مكتوب آخر كتبهُ جبرائيل المذكور للاب اليانو باسمه وباسم ثمانية من رفقته هذا نصُّهُ :

اقبّل الارض وانحني بين اقدام السائر بخدمة العليّ الشريف ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح الذي وعد بانجيلهِ المقدَّس ملكوت السماوات لــلمجتهدين بعملهِ . . . امين . وسبب تسطيري

هذه الكتابة انا الحقير جبرئيل شوقي لنظرك انت الذي بوساطتك اتيت الى هذا الموضع المقدَّس ثمَّ انّنا نعلم الآن ابوّتك نحن يعقوب ومرقس ونعمة وكسبار ويوحنّاً وانا الحقير مسطِّر هذه الاسطر اننا ممتازين هؤلاء الكتب الذين اساميهم مكتوبين بورقة الاب يوحنّاً (برونو) . فمن كلّ بدّ وسبب يا ابونا نريد انك ترسلهم ولا تتهاون بالحبّ الروحاني الذي انت به مقيَّد نحونا . ونعلمك ايضاً اننا نحن كلنا طيّبين بنظر الله ونظر سيّدنا البابا ونظر سيّدنا الكردينال انطونيوس (كرافاً) وما يخصّنا غير نظرك ورؤياك البهي وهؤلاء الكتب والرب يجمع الشمل بيننا وبينك امين

انا الحقير مرقس القبرسيّ انا الحقير جبرائيل الهدناني انا الحقير موسى العاقوري انا الحقير جرجس الهدناني انا الحقير سركيس ابن اخو البطرك سركيس اقبّل اياديك كثير انا الحقير مخائيل ابن اخو المطران انا الحقير يوحنا الحلبي وبعد السلام كثير كثير امين امين . (وفي اخرها عبارةٌ بالسريانيّة هذا تعريبها)

انَّ التلميذ الذي وُضع من الاب يوحنّاً باطيشتا اليوم يتعلّم اللاهوت وهو يسلك بمخافة الله ويطلب من ابيهِ الروحاني الاب باطيشطا ان يرسل لنا اعمال الشهداء والكتب التي نتنوّر بها

ولدينا مكتوب آخر كتبهُ تلميذه الخوري يوحنّا أيوب الحصروني المار ذكرهُ بعد رجوع الاب اليانو من مصر الى البندقيّة :

## بسم الربّ حافظ خائفيه وموصلهم الى درج الكمال

كما يتوق الايل الى ينبوع المياه كذلك تاقت نفسي الى حضرة الاب القديس الجوهر النفيس الذي ليس في قداستهِ شكّ علَم الاعلام ومصباح الظلام . . . فخر العلماء وزين الكهنة ابي ومعلّمي وتاج رأسي القس باتشتا ادام الرب كهنوتهُ ويرحمني ببركة صلواته . وسبب تسطيرها كثرة الاشواق الى نظر ايقونتكم البهيّة يتمّنا بها الرب قبل الموت . ثمَّ نعلم ابوّتك بان وصل الينا خبر المحنة التي اتت عليك فغمَّنا كثيراً لكن نشكر الله على خلاصك بخير يا ابي قال داود النبي : كثيرة هي احزان الصديق ومن جميعها يخلصهُ الرب . واعرض على معرفتك الكريمة اني انا الحقير تلميذك دخلتُ الى المدينة المعظّمة امّ المدن رومية وصار لي تكريم عظيم من السيد الكردينال انطونيوس كرافاً ادام الله بقاه زمناً طويلاً . وكذلك الاب الاقدس سيدنا البابا انعم علينا بكل شيءٍ طلبناهُ منهُ اخذ لنا كنيسة ولها بستان وعمَّر لنا لزقها مدرسة عظيمة مثل مدرسة الملكيّة (اي اليونان) وأحسن . واولاد الموارنة انتقلوا جميعاً اليها وعمل لنا اسطنپا (اي مطبعة Stampa) بالحرف السرياني الكبير الربّ يجازيهِ في ملكوتهِ السماويّ . وانا ومعلمي القس يوحنا برونا نقلنا الكتب من السرياني الى الافرنجي وهو مجتهد وساعي بكل اشغالنا وتعب كثيراً من اجلنا الرب يجازيهِ . . . ونعلم قدسك ان كان يهوّن الله في شهر نيسان

اتوجّه الى البلاد ونرجوك ان تجعل طريقك علينا حتَّى نقشعك ونفرح فيك قبل الموت وحضر تسطيرها تلاميذك اهل جبل لبنـان يقبلون يديك

تلميذك الحقير في الكهنة يوحنَّا الحصروني

من جبل لبنان

وقد اطَّلعنا على رسالة حرَّرهـا البطريرك سركيس الرزّي الى الاب اليانو في تاريخ ٢٥ آذار ١٥٨٥ يهنّيهِ فيها بالنجاة من محنتهِ ويوصيهِ بالتلاميذ الموارنة :

ܣܪܓܝܣ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܡܪ̈ܘܢܝܐ

السلام والبركة التي حلَّت على جوق الرسل تكون حالَّة على اعزّ الاصدقـاء والمحبّين القس باطيشتا. الربّ يبارك عليك في كل ايَّام حيـاتك ويخلّصك في الدنيا والآخرة ويكون حظَّك في ملكوتهِ السماويَّة بصلوات العذراء الطاهرة والآباء القديسين امين

وسبب تسطيرها كثرة الاشواق الى رؤياك السعيد الله يروينا وجهك بخير وعافية آمين . ثمّ نعلم لمحبَّتك الصادقة ولأمانتك الواثقة بأن وصلت مشرَّفتك الينا وفهمنا مضموغها وصار عندنا غمّ من تحت راس الخسارة والضيق الذي صار عليك لكن نرجو المعونة من الله سبحانهُ وفي نظر السيد البابا يتممها في كل خير جزيل ويمشّي تعليم الكنيسة الرومانيَّة في ذلك البلد المحروس ويكون عندنا فرح بدل الغم الذي اغتمَّينا . وانك ارسلت تقول على احوال البلد وانَّ الحكاَّم يتكدَّروا وجاء الى عندنا باشا صعب قوي وصار عندنا فزع وعرانا اسباب الدير ( ؟ ) لكـن عاد صار لنا رستاق على يد القنصل والخواجكيَّة الافرنج الله يخـلص لك ولهم امين . وانهم دخلوا عند البابا وطالعوا لنا مرسوم توصية في الدير وان لا احد ينكّد علينا فاطمنَّينا بذلك.
وانا الحقير والمطارنة والاساقفة والرهبان بندعي لك في الخلاص وهم يخصُّوك بالسلام ويضيفوا شوقهم اليك كثيراً اعلمناك ذلك وبعد تجديد البركة والسلام عليك كثير

ثمَّ نخبر محبَّتك بان اذا بقي يجيك اخبار من جوَّا ابقَ ارسل عرِّفنـا بذلك وأرسل وَصّ في الشابّين الخوري يوحنَّا وفي ابن اخي الشمَّاس سركيس والقسّ ابرهيم الراهب وبقيَّة الاولاد واهل المدرسة ولا تقطع جميع اخبارك عنَّا

برزت من دير سيّدة قنوبين

نهار عيد البشارة ١٥٨٥

(لهُ بقيَّة)

# النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

## العلوم والصنائع بين نصارى العرب (تابع)

(الملاحة) كما اشتهر نصارى العرب بالتجارة البرّيّة كذلك اصابوا في التجارة البحريّة سهماً فائزاً. وقد بيّنا سابقاً انتشار النصرانيّة في سواحل جزيرة العرب في اليمن وعمان والبحرين فوجدوا في مجاورة البحار وسائل جديدة لتنمية ثروتهم وزيادة ارباحهم. فكان الحميريّون واهل البحرين يحسنون اصطناع السفن وعمارتها فيقطعون بها خليج العرب الى الحبشة وبحر عمان الى الهند وخليج فارس الى جهات العجم. وقد اشاروا الى ذلك في شعرهم قال عمرو بن كلثوم التغلبيّ في معلّقتهِ يفتخر بكثرة سفن قبيلتهِ تغلب النصرانيّة :

مـلأْنا البرَّ حتَّى ضاق عنَّا ... وظَهْر البحْرِ نَمْـلأُهُ سَفينا

وقد احسن طرفة في وصفهِ لسُفن قومهِ في البحرين فذكر بعض سفنهم العظيمة وهي الخلايا والعَدَوْليَّة من سفن البحرين وذكر احد رؤساء البحر المدعو ابن يامن ومَخْر سفينتهِ غمر المياه فقال :

كـأنَّ حدوجَ المـالكيَّة غُدْوَةً ... خَلايا سَفِينٍ بالنواصف من دَدِ
عَدَوْليَّة او من سَفِينِ ابن يامنٍ ... يجورُ بها المـلَّاحُ طورًا ويهتدي
يَشُقُّ حَبَابَ الماء حيزومُها بها ... كما قَسَمَ التُّرْبَ المفائلُ باليَدِ

وذكر الأَعشى النونيَّ السائر بسفنهِ على الفرات عند طغيانهِ

مثـل الفُراتيّ اذا مـا طـما ... يَقْذِفُ بالبوصيّ والمـاهرِ

واشار امرؤُ القيس الى طَلْي السُّفن بالقيرِ :

فشبَّهتُم في الآلِ حـين زَهـاهُمُ ... عصائبَ دَوم او سفينـاً مُقَيَّرا

وقال الشمَّاخ يذكر سُفن البحرين وغُواربها الكبيرة :

رِماحُ رُدَيْنةٍ وبحـارِ لجٍّ غَوارُبها تُقـاذِفُ بالسَّفينِ

وكانوا يُدعون النوتيَّ ملَّاحاً وصراريًّا جمعهُ صراريّ ايضاً وصُرّاء قـال ربيعة ابن مقروم:

واعرضَ واسطٌ فعدَلْنَ عنهُ كما عَدَلَ الصرارِيُّ السفينا

وقال الممزَّق العبديّ :

الا ابنَ المُلَّى خِلْتَنَا وحَسِبْتَنـا صراريَّ نُعْطي الماكسينا مُكُوسا

على انَّ فنَّ الملاحة الذي كان يعرفهُ ويزاولهُ عرب الحضر في سواحـل الجزيرة كان في الغالب مجهولًا لدى عرب الحجاز ونجـد . بل كانوا يعدُّون ركوب البحر كالطامَّة العظمى فبعد انتشار الاسلام وثبوت قدمهِ اذ رأوا في سواحل الشام ومصر سفن الروم . ارادوا ان يعبروا البحر ليغزوا الجزائر كقبرس او سواحل اليونان وآسية الصغرى فالتجأوا الى من كان في حوزتهم من الروم في الشام والاقباط في مصر ومن نصارى العرب في جهات البحرين فتعلَّموا منهم صناعة السفن كما اخذوا صناعة التجارة لأنَّ انشاء السُّفن يحتاج اليها لما يدخلها من الالواح والدسر والصواري والمجاذيف مع هندسة اجزائها فعمَّروا لهم السُّفن وجهَّزوها لحروبهم في ايَّام معاوية ودولة بني اميَّة . وفي اللغة ما يدلُّ على اصول فن الملاحة الاجنبيّ فترى فيها الفاظاً متعدِّدة امَّا رومية واماً آراميَة او حبشيَّة تثبت حدوث الملاحة في الحقبة الاولى من الاسلام وقد تقلَّدوا في صنعها صورة مراكب الروم واليونان في هيئاتها المختلفة واجرامها المتباينة . فممَّـا استعاروه من اليونانيَّة: اسطول (στόλος) أَنجر (ἄγκυρα) نوتي (ναύτης) . ومن السريانيَّة او الآراميَّة : سفينة قـارب قُرْقور دَقَل ربَّان ملَّاح سُكَّان قِلع مجذاف صارٍ . ومن الحبشيَّة : بَحرٌ شِراع مرسى

(النُّقود) انَّ التجارة والمقايضات في البيع والشراء لا تجري عادةً الَّا بمسكوكات ونقود تُدفع بدلًا من السِلع والبضائع . وكان للدول النبطيَّة ولملوك ميشان وخراسان في العراق ولملوك الجزيرة في جهات الرها وحضَر ولملوك تدمر نقود ضربوها باسمهم ذهبيَّة وفضيَّة ونحاسيَّة منهـا امثال حسنة في مناحف اوربَّة وعند بعض الخـاصَّة

فوصفوها ورسموا صورها وفنَّدوا بذلك ما كتبهُ المقريزيّ في كتابهِ النقود القديمة الاسلاميَّة حيث قال :

« كانت نقود العرب في الجاهليَّة التي تدور بينها الذهب والفضَّة لا غير ترد اليها من الممالك دنانير الذهب قيصريَّة من قبل الروم ودراهم فضَّة على نوعين سوداء وافية وطبريَّة عتقاً وكان وزن الدراهم والدنانير في الجاهليَّة مثل وزنها في الاسلام مرَّتين ويسمَّى المثقال من الفضَّة درهماً ومن الذهب ديناراً ولم يكن شيءٌ من ذلك يتعامل بهِ اهل مكَّة في الجاهليَّة وكانوا يتعاملون باوزان اصطلحوا عليها فيما بينهم »

فانَّ علماء النقود العربيَّة كالمسيو فكتور لنغلوا ( V. Langlois ) في كتابهِ عن نقود العرب قبل الاسلام (Numismatique des Arabes avant l'Islamisme) والمسيو هنري لاڤوا (H. Lavoix) في كتابهِ عن النقود الاسلاميَّة المصونة في مكتبة باريس العموميَّة والمسيو دي تيسِنْهَوْزن (de Tiesenhausen) وغيرهم اثبتوا استعمال عرب الجاهليَّة للنقود النحاسيَّة واستغربوا قول المقريزي عن الدراهم السوداء والطبريَّة واستنتجوا من كلامهِ جهلهُ بالنقود القديمة

وما لا يُنكر انَّ العرب قبل الاسلام تداولوا في بلادهم ومع الامم المجاورة لهم النقود النصرانيَّة فراجت بينهم ايَّ رواجٍ على اختلافها ذهبيَّةً كانت ام فضيّة او نحاسيَّة واغلب ما عرفهُ العرب من النقود ما كانوا يتعاملون بهِ من النقود القيصريّة الروميَّة مع رسومها الدينيَّة. وقد اشتهرت بينهم نقود هِرَقل قال المسعودي في مروج الذهب (٢ : ٣٣٣) : « وهو الذي ضرب الدنانير والدراهم الهرقليَّة » وقال البلاذري في فتح البلدان (ص ٤٩٦) : « وكانت دنانير هرقل تَرِد على اهل مكَّة في الجاهليَّة » وروى في الاغاني (١١ : ٥٢) لكُثَيِّر عزَّة قولهُ :

يروقُ عيونَ الناظراتِ كأنَّهُ هرَقليُّ وزنٍ احمرُ التبْرِ راجحُ

وروى الانباري في شرح معلَّقة عنترة (éd. Rescher. 61) :

دنانيرُ ممَّا شِيفَ في ارضِ قيصرِ

اراد الدنانير الجليّة المُعْلَمة الموسومة بالكتابة. وقد ذكر أُحيحة بن الجلاح دنانير مدينة أيلة التي كان صاحبها الامير النصراني يوحنَّا بن رؤبة قال يرثي ابنهُ (ياقوت : معجم البلدان ١ : ٤٢٢) :

ألا انَّ عيني بالبكاء تهلّل جزوعٌ صبورٌ كلَّ ذلك تفعلُ
فما هِبرِزيٌّ من دنانير أيلةٍ بأيدي الوشاةِ ناصعٌ يتأكَّلُ
بأحسنَ منهُ يومَ اصبح غادياً ونفَّسني فيهِ الحِمامُ المعجَّلُ

(قال) يتأكَّل اي يأكُل بعضهُ بعضاً لحسنهِ. والوشاة الضرَّابون. وقد وصفوا كذلك الدراهم الروميَّة. قال عنترة يصف روضةً اصابها المطر الجَوْد فأنعشها:

جادت عليهِ كلَّ بِكْرٍ ثرَّةٍ فتركنَ كلَّ حديقةٍ كالدرهمِ

ومثلهُ الاسود بن يَعفُر (شعراء النصرانيَّة ص ٤٨٢):

من خمرِ ذي نَطَفٍ اغنَّ مُنطَّقٍ وافى بها كدراهم الأَسجادِ

(قال) اراد بالاسجاد اليهود والنصارى. وكانوا يدعون النقود الخفيفة النحاسيَّة نُمّياً وفلوساً قال اوس بن حَجَر (ديوانهُ éd. Haffner):

وفارقَتْ وهي لم تَجْرَبْ وباع لها من الفصافص بالنُّمّيِّ سِفْسِيرُ

وقال جرير يهجو الاخطل (الاغاني ٧ : ١٧٨):

والتغلبيَّةُ مُهْرها فَلْسانِ

ومن الادلَّة التي تشهد على رواج النقود الروميَّة بين عرب الجاهليَّة انَّ معظم الالفاظ الدالَّة عليها يونانيَّة او لاتينيَّة الاصل كدينار (δηνάριον) ودرهم (δράχμη) وقيراط (κεράτιον) ونُمّي (νοῦμμος) وفلس (φόλλις) وقِنطار (centenarium)

ثمَّ ظهر الاسلام والمسلمون لم يعهدوا ضرب النقود فتعاملوا بسكوكات الروم التي كانوا يربحونها بتجارتهم مع بلاد الشام ومصر والعراق او وجدوها في فتح البلدان فأخذوها غنيمةً واقتسمها جنودهم. ولجهلهم لغة البلاد التي استولوا عليها اقاموا لهم عمَّالًا من نصارى الوطنيين ولَّوهم على دواوينهم الماليَّة لجباية الخراج والضرائب المختلفة. وكان من جملتهم في دمشق سرجيوس او سرجون جدّ القديس يوحنَّا الدمشقيّ المعروف بابن منصور

ففي ايَّام الخلفاء الراشدين ولاسيَّما عمر بن الخطَّاب وعثمان بن عفَّان وفي اوائل الدولة الامويَّة ضُربت نقود العرب على هيئتها النصرانيَّة السابقة. ففي متاحف اوربَّة عشرات من النقود التي ضُربت في دمشق وحمص وبعلبك وطبريَّة في ايَّام عمر في السنة ١٧ للهجرة وما بعدها وكلُّها عليها رسم هرقل ملك الروم مع صورتهِ وسائر

أشعرة النصرانيَّة كاوَّل حروف اسم السيّد المسيح وكصليبهِ المقدَّس وصورة النَّسر. وعلى بعضها شعار قسطنطين الكبير: بهذه العلامة انتصر (ἐν τούτῳ νίκα) ثم سمة النقود M مع اسم المدينة باليونانيَّة او بالعربيَّة هكذا: «ضرب. دمشق (حمص. طبريَّة. بعلبك. ايليا. انطاكية). جايز». ومعظم هذه النقود فلوس من نحاس. وقد وُجد على بعضها اسم عمر بالاختصار (عمر بن الخط) واسم خالد بن الوليد واسم يزيد بن ابي سفيان واسم ابي عبيدة (١

وقد وجدوا على عدَّة نقود من ذلك العهد كلمة «باسم الله» وقال ياقوت في معجم البلدان (٤ : ٨٨١) انَّ الحجَّاج بن يوسف اوَّل من ضرب درهمًا عليهِ شعار الاسلام «لا اله الَّا الله ومحمَّد رسول الله». وليس قوله بسديد لانهُ تُعرف نقود لعليّ ابن ابي طالب ضُربت في البصرة سنة ٤٠ هـ عليها هذا الشعار «لا اله الَّا الله وحدهُ لا شريك لهُ» وعلى الوجه الآخر «محمَّد رسول الله ارسلهُ بالهدى ودين الحقّ يظهرهُ على الدين كله ولو كره المشركون (٢ »

ومن هذا ترى غلط معظم مؤرخي العرب الذين زعموا انَّ اوَّل من كتب على النقود الاسلاميَّة بالعربيّة هو الخليفة عبد الملك بن مروان. قال الثعالبيّ في لطائف المعارف (ص١٣): «اوَّل من نقش على الدراهم والدنانير بالعربيَّة عبد الملك بن مروان فانَّهُ عُني بذلك وكتب الى الحجَّاج في اقامة رسمهِ»

وقد اخبر المقريزي في كتاب النقود الاسلاميَّة (ص٥ طبعة الجوائب) ان معاوية ابن ابي سفيان كان قبل ذلك ضرب دنانير عليها تمثالهُ متقلِّدًا سيفاً. ومثل هذه الدنانير لم يجدها بعد الاثريون لكنَّهم وجدوا فلوساً تمثّل معاوية واقفاً وشعرُ رأسهِ مفروق على جبهتهِ وفي يمناهُ السيف وفي ظهر الفلس اسم ايليا وفلسطين مع صليبٍ على هذه الهيئة ⊕. فلمَّا ملك الخليفة عبد الملك جرى اوَّلًا على مثال اسلافهِ وابقى الصليب مع صورتهِ واسمهِ في الدنانير والفلوس الى السنة العاشرة من ملكهِ ويوجد من هذه

١) اطلب مقالةً في نقود الاسلاميَّة الاولى للبارون دي سلان في المجلَّة الاسيويَّة الفرنسويَّة (J. A., 1871², 199-211)

٢) اطلب المجلَّة الاسيويَّة الالمانيَّة (ZDMG. XVII, 39)

النقود بعض الامثلة في المتاحف وهي مضروبة في حمص ودمشق وعمان وقنّسرين ومنبج وسرمين وغيرها

ففي السنة العاشرة من خلافتهِ عدل عن النقود السابقة واتَّخذ نقودًا جديدة خالية من الرسوم النصرانيَّة ولذلك عدَّهُ كتبة العرب كأوَّل خليفة نقش الدنانير قال الطبري في تاريخهِ (٢: ٩٣٩-٩٤٠) : اوَّل نقش الدنانير والدراهم على عهد عبد الملك ابن مروان سنة ٧٦ هـ. والصواب انهُ ضرب اوَّلًا النقود القديمة ونقش فيها صورًا انكرها عليهِ بقايا من الصحابة كما يقرّ بذلك المقريزي في كتاب النقود الاسلاميَّة (ص٦) . وفي السنة ٧٦هـ (٦٩٦م) ضرب نقودًا اسلاميَّة محضة وازال منها الصور والرسوم النصرانيَّة . لكنَّهُ بقي شيءٌ منها لعلَّهُ ضُرب بدون علمهِ ففي متحف باريس دينار ضُرب سنة ٧٧ هـ عليهِ صورة عبد الملك مع ساريةٍ نصرانيَّة . وفيهِ ايضاً نقود نحاسيَّة ضُربت في السنة ٨٠ عليها رسم صليب

امَّا سبب اتّخاذه السكَّة الاسلاميَّة فنفورهُ ممَّا كانت الروم ترسمهُ على سكَّتهم من تعظيم الصليب والاعلان بلاهوت المسيح . وهذا ايضاً ما دفعهُ الى ان يُحدث كتابات الطوامير والقراطيس التي كان في صدرها مثل هذه الأشعرة النصرانيَّة . وقد اخبر بذلك البلاذريّ في فتح البلدان (ص٢٤٠) :

«قالوا كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من ارض مصر ويأتي العربَ من قبَل الروم الدنانير فكان عبد الملك بن مروان اوَّل من أحدث الكتاب الذي يُكتَب في رؤُوس الطوامير من «قُلْ هو الله احد» وغيرها من ذكر الله . فكتب اليهِ ملك الروم : انكم احدثتم في قراطيسكم كتاباً نكرهُ فان تركتموهُ والَّا اتاكم في الدنانير من ذكر نبيِّكم ما تكرهونهُ . (قال) فكبر ذلك في صدر عبد الملك فكره ان يدع سنَّةً حسنةً سنَّها فارسل الى خالد بن يزيد ابن معاوية فقال لهُ : «يا با هشام احدى بنات طبَقٍ» واخبره الخبر فقال : أفرخ رَوْعك يا امير المؤمنين حرّم دنانيرهم فلا يُتعامل بها واضرب للناس سككاً ولا تُعفِ هؤلاء الكفرة ممَّا كرهوا في الطوامير» . فقال عبد الملك : « فرَّجتها عني فرَّج الله عنك» وضرب الدنانير . قال عوانة بن الحكم وكانت الاقباط تذكر المسيح في رؤُوس الطوامير وتنسبهُ الى الربوبيَّة تعالى علوًّا كبيرًا وتجعل الصليب مكان بسم الله الرحمن الرحيم فلذلك كره ملك الروم ما كره واشتدّ عليهِ تغيير عبد الملك ما غيَّرهُ »

وقد اتى هذا الخبر مفصَّلًا في كتاب المحاسن والمساوئ للبيهقي (éd. Schwally, p.498-502) نقتطف منهُ ما يأتي :

قال الكسائي : دخلتُ على الرشيد ذات يومٍ وهو في ايوانهِ وبين يديهِ مال كثير قد شق

عنهُ البدَرَ شقًّا وامر بتفريقهِ في خدَم الخاصَّة وبيده درهم تتلوَّح كتابَتُهُ وهو يتأمَّلهُ وكان كثيرًا ما يحدّثني فقال: هل علمتَ مَن اوّل مَن سنَّ هذه الكتابة في الذهب والفضَّة ؟ قلت: يا سيّدي هذا عبد الملك بن مروان. قال: فما كان السبب في ذلـك ؟ قُلتُ: لا علمَ لي غير انهُ اوّل من أحدث هذه الكتابة. فقال: سأُخبرك. كانت القراطيس للروم وكان اكـثرُ مَنْ بمصر نصرانيًا على دين ملك الروم وكانت تُطرَّز بالروميَّة وطرازها« آبا وابنا وروحا قدّيشا» (ܐܒܐ ܘܒܪܐ ܘܪܘܚܐ ܩܕܝܫܐ) فلم يزل كذلك صدر الاسلام كلَّه يمضي على مـا كان عليهِ الى ان ملك عبد الملك فتنبَّه عليهِ وكان فطينًا فبينا هو ذات يوم اذ مرَّ بهِ قرطـاس فنظر الى طرازه فامر ان يُترجم بالعربيَّة ففُعل ذلك فانكرهُ ... فامر بالكتاب الى عبد العزيز بن مروان وكان عاملهُ بابطال ذلك الطراز .... وان يأخذ صنَّاع القراطيس بتطريزها بسورة التوحيد ...

ثم اخبر استياء ملك الروم من هذه الكتـابة وتهديدهُ بنقش شتم نبيّ الاسلام وكيف استقدم عبد الملك من المدينة محمَّد بن علي بن الحسين ليستشيرهُ في ذلك فدلَّهُ على ضرب سكك الدراهم والدنانير كما روى البلاذري عن خالد بن يزيد بن معاوية فأبطلت مذ ذاك السكك والطراز الروميّة (لهُ بقيَّة)

---

# مطبوعات شرقيّة جديدة

THE ORIGINS OF THE ISLAMIC STATE. Being a translation from the arabic accompanied with annotations, geographlic and historic notes of the KITAB FUTUH AL-BULDAN OF AL-BALADHURI by **Ph. Khûri Hitti**. *Ph. D.,vol. I, New-York, Columbia University,* 1916. *pp.* 515

ترجمة الدكتور فيليب خوري حتي لكتاب فتوح البلدان للبلاذري

قال المسعودي في مروج الذهب يصف كتاب البلاذري المعنون بفتوح البلدان (١ : ١٤) : « لا نعلم في فتوح البلدان احسن منهُ » . فاستحقَّ الدكتور دي خوي (de Goeje) شكر العموم بنشرهِ في ليدن . بيد انَّ منـافعهُ كانت محصورة في المستشرقين فاحبَّ وطنيُّنا الهمام الدكتور فيليب خوري حتّي نقلهُ الى الانكليزيَّة

تعميماً لفائدتهِ فباشر بذلك سنة ١٩١٦ وفي السنة التالية تولَّى الدكتور ريشر (O. Rescher) ترجمتهُ الى الالمانية وقد أدَّى كلاهما خدمةً مشكورة للآداب كان احجم عنها قبلهما العلماء لحصر معاني الكتاب في وجيز اللفظ اذ لم يبقَ من الاصل الَّا خلاصتهُ . على انَّ جناب استاذ الجامعة الاميركانيَّة لم يكتفِ بنقلهِ الى اللغة الانكليزيَّة بل اضاف اليهِ من الافادات ما لم نجدهُ في الترجمة الالمانية ومن ذلك مقدَّمتهُ في تعريف البلاذري والاصول التي اخذ عنها ومن استند اليهِ من الكتبة بعدهُ . وقد اشار جنابهُ (ص ٧٠٦) الى كتاب آخر للبلاذري « انساب الاشراف » وليس هو سوى نسخة غير محكمة من نسخة الاستانة التي عوَّل البعض على نشرها قبل الحرب . ومما زاد فوائد الترجمة الانكليزيَّة ما ذيَّلها بهِ من الملحوظات الدالَّة على سعة معارفه بالآداب الشرقية ومنشوراتها الحديثة في اللغات المختلفة . وقد وجدنا الترجمة عموماً متقنة مضبوطة . وانَّما كان الافضل (في الصفحة ١٨٠) ترجمة « صناعة » بلفظة (arsenal) من ( industrie ) كما تبيَّنَ لهُ ذلك في الصفحة التالية . وكذلك هي (ص ٢٦٣) Dhû Kalā' وليست Kila' . ومما نُقل عن الاصل بغلطهِ (ص٣٦٧) اسم كلثوم بن عياض «القسريّ» وليس القشيري كما ورد هناك (اطلب الطبري والاغاني) . وكذلك اسم ارواد (ص٣٩٦) وليس الكلام هناك عن جزيرة سواحلنا . والصواب ارداد اسم بلدة قريبة من الاستانة تدعى اليوم ارداك . وفي الختام نتمنَّى ان ينجز المترجم عملهُ هذا الجليل قريباً فيربح شكرنا المتضاعف الاب ه . لامنس

**The Day of the Crescent,** Glimpses of Old Turkey, by G. E. HUBBARD, *Cambridge, University Press, in*-12, 1920, *VI*-242 *pp.*

تركيّاً في عهد رونق هلالها

المستر هوبرد كان سابقاً قنصل بريطانية العظمى في الموصل فاراد في أيام الفراغ ان يعود بالنظر الى تركيَّة في ايَّام عزّها في القرنين السادس والسابع عشر قبل انحطاطها الذي ظهرت لوائحهُ في اواخر ذلك العهد . فراجع لهذه الغاية ما كتبهُ قدماء السيَّاح واستعار بعض التصاوير التي نشروها في رحلهم . وممَّا اوردهُ في كتابهِ تركيب الكتائب الينكشريَّة ودخول كبار الدول والسفراء على السلاطين ووصف الاساطيل التركيَّة مع من يتولَّي تدبيرها من عمَّال النصارى كالنوتيَّة ورؤساء المراكب لجهل

الاتراك بفنّ الملاحة . ومن الفصول المؤثّرة ما خصَّهُ باسرى الحرب والعبيد النصارى الذين كانوا يُلقَون في لومانات الاستانة واعماق حبوسها ويقضون السنين في الاعمال الشاقّة . فهذا الكتاب ممّا يلذّ القرّاء باوصافهِ وحسن طبعهِ وتصاويرهِ ه . ل

**Fallex et Mairey.** GÉOGRAPHIE D'APRÈS-GUERRE. L'Europe Nouvelle. *In*-16, 348 *pp. Cartes et figures, Paris, Delagrave,* 1920

جغرافية اوربّة بعد الحرب

قد اسرع محلّ «ديلاغراف» الى خدمة العموم بوضعهِ كتاباً جغرافيّاً يوافق احوال اوربّة بعد ما حدث فيها من الانقلاب في اثر الحرب الاخيرة . فجاء التأليف في وقتهِ يجمع في قطعهِ وهيئتهِ وانشائهِ كلّ صفات الكتب المدرسيّة فلا شكّ انّ احداث المدارس يقبلون عليهِ لاحراز فوائدهِ الجمّة الاب ج . لوقنك

**Axelrod** ( Alexandre ) : L'œuvre économique des Soviets. *Paris. J. Povolozky et C^ie in*-16, 147 *pp. Prix* 6 *f^rs*

عمل السوفيات الاقتصادي

قد تعدّدت التآليف الباحثة عن السوفيات وانّما هذا الكتاب يستحقّ نظراً خاصّاً لانّ كاتبهُ احد الاشتراكيين المسيو اكسلرود الذي عاش مدّةً في روسيّة بين البولشفيين وامعن النظر في معاملاتهم الاقتصاديّة فألّف هذا الكتاب باعتدال وهو مع اقراره بالفوضى الواقعة في روسيّة يستشفّ من وراء هذه الحركة نهضةً جديدة يؤمّل منها تحسُّناً في احوال تلك البلاد الواسعة ويبني رجاءهُ على ثبات البولشفيين في الحكم وارتدادهم عن مساوئهم . حقّق الله تلك الآمال ج . ل

**Vichniac** (Marc) : La protection des droits des Minorités dans les traités internationaux de 1919-20. *Paris, J. Povolozky et C^ne ,s.d., in*-16, *pp.* 70

الدفاع عن حقوق الاقليّات في المعاهدات الدوليّة

بين الابحاث التي دارت في جمعيّة الامم بعد الحرب الاهتمام بحقوق الاقلّيات في الدول . وهذا الكُتيّب قد خصّ فيهِ صاحبهُ النظر بتلك المسئلة فلقي تأليفهُ استقبالاً حسناً في جمعيّة الامم التي قدّمتهُ للشركة الروسيّة فصدّقت عليهِ تماماً . وكفى بذلك دليلاً على اهميّتهِ . والحقّ يقال انّ كاتبهُ لم يدع وجهاً من هذا الامر الّا نظر فيهِ .

وذلك في ستَّة فصول جامعة مانعة تاريخيًا وشرعيًا فبعد ان فحص مساعي الدول سابقاً لحماية الاقلّيَّات وعقدها المعاهدات في ذلك مدَّة القرن التاسع عشر وجدها تتناول غالباً حماية الافراد اكثر منها حماية لفوف الناس وعناصرهم القليلة والامم الصغرى الناشئة بين العناصر الكبرى التي تضبط في كل دولة لزمام الاحكام ومن ثمَّ لا تزال هذه الاقليَّات مضحَّاةً بغلبة العناصر المالكة · وعليهِ قد بيَّن الوسائل الكافلة بحفظ هذه الاقلّيات ونموّها والذبّ عن حوزتها لئلّا ينتهك القويّ حرمة الضعيف ويستبيح ذمارهُ ·فنشكر المسيو فيشنياك على كشفهِ القناع عن وجه هذه المسألة الدوليَّة المعتبرة ج·ل

**Karl Kautsky:** TERRORISME ET COMMUNISME. Contribution à l'histoire des révolutions. traduit de l'allemand par M^me^ **N..Stchoupak.** *Paris, J. Povolozky et C^ie^. s. d., pp.* 244. *Prix* 8 *f^rs^*

دولة الاهوال الاشتراكيَّة

كوتسكي احد الاشتراكيّين العاملين في المانية لكنَّهُ يأبى على قولهِ المبادئ البولشفية وقد وضع هذا الكتاب ليتنصَّل من تَبِعتها ·وبياناً لغرضهِ يسرد في كتابهِ تاريخ الثورة الفرنسويَّة وفتن الكومون سنة ١٨٧١ ويسعى بتبييض وجه الاشتراكيين ويحاول الدفــاع عن آرائهم ·ثم ينتقل في القسم الاخير من كتابهِ الى تسطير اعمال البولشفيين في روسيَّة التي اصاب في وصفها لعلمهِ بتفاصيلها وفظائعها وهو لا يرى انَّ اصحاب هذه الثورة مــا فازوا الَّا بإخراجهم الى حيز الوجود مذهب الاشتراكيين · على انَّهم اذ ظفروا بمرامهم وصارت السلطــة في يدهم اهملوا المبادئ الاشتراكيَّة وتركوا الشعب على حالتهِ من البؤس ليتمتَّعوا هم بمنافع الولاية دون غيرهم ج·ل

VERBUM DOMINI: Commentarii de re Biblica omnibus Sacerdotibus accommodata a Pontificio Instituto Biblico singulis mensibus editi. *Romæ, Vol. I. fasc.* 1 *Janu.*, 1921, *in*-8, *p.* 32

كلمة الرب

هذه مجلَّة ثالثة يتولَّى نشرها المكتب الكتابي البابوي في رومية تبحث الاولى في مباحث كتابيَّة (Biblica) والثانية في الشرقيَّات ( Orientalia ) وهذه الثالثة ( Verbum Domini ) التي ظهرت في غرَّة السنة الحاضرة غــايتها خدمة الكهنة فانَّها عوَّلت على نشر المواد الخاصَّة بالتعليم والارشاد والادبيَّات المسيحيَّة فيستقي من

• واردهـا ارباب الكهنوت لتدبير رعاياهم . وهي منشأة باللغة الـلاتينية تعميماً لانتشارها بين اكليروس جميع الدول. وهذه قائمة الكرّاس الاوّل : ١ً اثمار الكتاب المقدّس العديدة. ٢ً الكتاب الكهنوتي. ٣ً تجربة السيّد المسيح في البريّة. ٤ً الكمال الادبيّ بنظر القديس بولس . ٥ً المزمور ارحمني يا الله . ٦ً الراعي والرعيّة في ارض فلسطين. ٧ً قول الرب لابراهيم : اني سأكون ثوابك العظيم. ثمّ شذرات غيرها ج . ل

**H. Lammens** s. j: Le Califat de Yazid I^er^. Extrait des Mélanges de la Faculté Orientale de Beyrouth. *Imprimerie Catholique. Beyrouth* (*Syrie*). *in*-8. *pp*. 531, 1921

خلافة يزيد بن معاوية

انّ بعض كبار الرجال قد عاشوا في ازمنةٍ مضطربة كانت سبباً لتناقض الآراء في نقد اعمالهم وفضلهم. ولا غرو انّ يزيد بن معاوية احد هؤلاء الرجال فانَّ ذكرهُ لا يزال ممقوتاً بين المسلمين ولاسيَّما بين اهل الشيعة الذين يرجمون قبرهُ المزعوم في دمشق (والصحيح انَّهُ قُبر في حوارين في البادية شمالي دمشق) . ونفورهم هذا لثلثة وقائع مهمَّة حدثت في ايَّامهِ ونُسبت اليهِ اعني: قتل الحسين في معركة كربلاء ثم فتح المدينة وحصار مكَّة مع حريق الكعبة . فحملت هذه الوقـائع كتبة العرب على التشنيع بذكر يزيد ووصفهِ بالبطر والخلاعة والتعطُّش الى اهراق الدماء. على انَّ من يعتبر اخلاق هذا الامير خلوًّا من الغرض ويتصفَّح ما كتبهُ عنهُ اقدم الكتبة يرَ ما في الحكم من التطرُّف وقلَّة الإنصاف . وهذا كتـابٌ واسع لحضرة الاب لامنس خصَّهُ بذاك الخليفة الاموي الثاني وألحقهُ بكتاب اوَّل درس فيهِ تاريخ معاوية وكشف عن عظم فضلهِ وفريد مقامهِ بين الخلفاء. وها هوذا قد دعا ابنهُ يزيد الى محكمة التاريخ مصحوباً بكل الشواهد التي لهُ وعليهِ ففحصها فردًا فردًا بعين العدل وسبرها بمعيار الانتقاد فأثبت انّ يزيد اشبهُ اباهُ بفضلهِ في امور كثيرة وفـاقهُ في امور أُخرى . جرى على سياسة معوية في ترقية بلاد الشام وعُرف بكرمهِ وتساهلهِ مع نصارى دولتهِ وحبّهِ للآداب وجودة قريحتهِ في الشعر وحبّهِ للشعراء منهم الاخطل النصرانيّ . امَّا الامور الثلثة المفجعة التي حصلت في عهدهِ فانَّ حضرة الاب ينسبها الى الظروف والحزازات بين الاحزاب التي كانت بلغت الى حدّتها وغاية حرَجها. وقد اراد يزيد ان يخمد تلك

النيران لولا انَّ الموت حال دون رغبتهِ. ومن آثارهِ الباقية في دمشق القناة المعروفة بنهر يزيد. ومن اراد ان يعرف ما يتضمَّنهُ هذا الكتاب الذي لا يقلّ عن ٥٣٠ صفحة من كنوز المعلومات فليراجع فهارسهُ الموسَّعة في آخرهِ وينظر في ذيل صفحاتهِ عدد التآليف المخطوطة والمطبوعة التي راجعها لتأليفهِ ل. ش

**Vie de la Mère Marie-Madeleine Ponnet,** 1[re] Supérieure de la Visitation de Lyon-Vassieux. D. S. B., *Paris, P. Tequi*, 1921

ترجمة حياة رئيسة دير الزيارة في ليون الام ماري مادلين پونه

انَّ لله في هذا العالم مختاريهِ لا يكاد البشر يعرفونهم وانَّما حياتهم كعرف ذكيّ يتصاعد الى السماء فيسرّ قلب العليّ او كمحرقةٍ مقدَّسة يتنسَّمها الله بالرضى والقبول. وها نحن قد اطَّلعنا على ترجمة حياةٍ مثل هذه قد حوَّلت انظارنا عن اباطيل عالم البوار الى طبقات عالم القدس والبرارة التي لا تشعر بها النفس حتَّى تفوز بذاك السلام الذي يفوق كلّ حسّ وادراك. فنحضُّ كلّ محبّي الحياة الروحيَّة من رهبان وراهبات وذوي تُقى وصلاح على قراءة هذا الكتاب فانَّهُ من أنعش الكتب للعيشة الصالحة وأبعثها الى محبَّة الخالق على مثال فتاةٍ اختصَّها الله منذ حداثتها بنعمهِ وجازاها لامانتها وثباتها في خدمتهِ بترقيتها الى اوج الكمال في رهبانيَّة الزيارة

**El-Bokhâri**: Les Traditions Islamiques traduites de L'arabe avec Notes et Index par **O. Houdas,** *T.* IV. *Paris. E. Leroux,* 1914, *in*-8[s], *pp.* 673

حديث البخاري وترجمتهُ الى الافرنسيَّة

قد اجاد مَكتب تعليم اللغات الشرقيَّة الحيَّة لعهده الى احد اساتذتهِ الافاضل المسيو هوداس بنشر طبعة حسنة من حديث البخاري مع ترجمتها الى اللغة الفرنسويَّة وتعليق الحواشي عليها واضافة الفهارس اليها. وهذا الجزء هو الرابع من الترجمة وبهِ نجاز العمل وما نجد الَّا تقدمة الشكر الى كلّ من سعى بهذا العمل الكبير متمنّين لـهُ كلّ رواج. وهو بعد القرآن اجدرُ كتاب بالدرس لمعرفة الدين الإسلاميّ بين اهل السنَّة. على انَّنا كنَّا نتمنَّى ان يجعل للكتاب فهرس آخر على طريقة حروف المعجم فان فهرس الفصول لا يفي بالمرام ونعلم انَّ حالة صحَّة المسيو هوداس ما سمحت له بذلك فان شاء الله ينوب عنهُ آخر في هذا العمل المفيد ل. ش

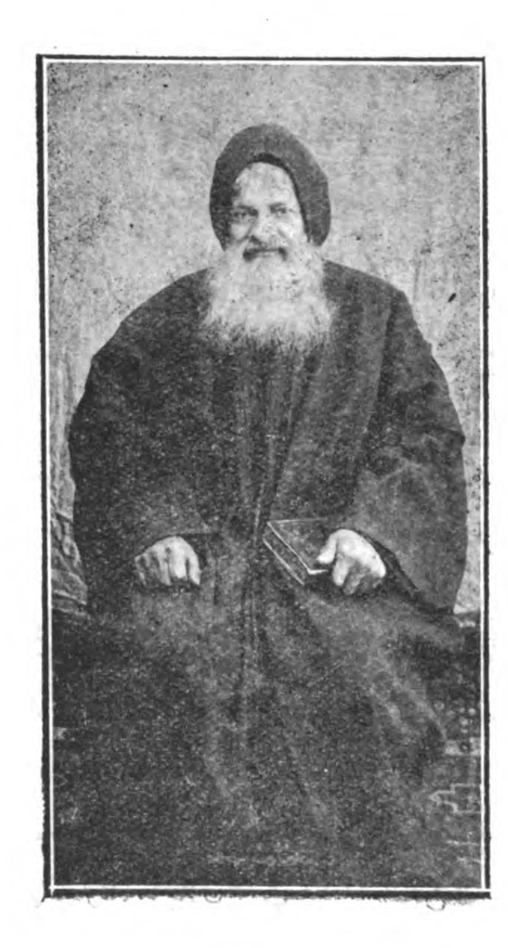
## منية القلوب في سيرة حبيس حوب

بقلم الاب ليباوس داغر التنُّوري اللبناني

بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) سنة ١٩٢٠ (ص٢٩)

انَّ يمين الله لم تقصر وعجائبهُ في خلائقهِ لم تنقص . فهذا راهب بارّ لم يكتفِ بأن يزهد بالدنيا ويلبس الاسكيم الرهباني بل اراد ان يتجرَّد تماماً عن العالم ويعيش في محبتهِ تعالى عيشة ملائكيَّة منقطعاً الى كلّ فرائض النسَّاك وفضائلهم السامية فقضى في عزلتهِ ٥٥ سنة ممارساً لكل الاعمال القدسيَّة الى ان مات في رائحة القداسة في ١ آب سنة ١٩١٦ . فنشكر حضرة الاب ليباوس داغر الذي لم يشأ ان يبقى ذلك النور تحت المكيال فجمع من مآثرهِ ما يحمل القرَّاء على تمجيد الله في قديسيهِ ولاسيَّما الذين عاشوا بيننا وعطَّروا ارجاءنا بأريج قداستهم مثل رجل الله الاب مرقس التنوري كثَّر الله امثالهم

ل . ش



## روضة العابد

### صلوات ورياضات واناشيد روحيَّة منتخبة

جمعها الاب الياس جباره اليسوعي (طُبع بالاسكندريَّة)

قد رقيت اخويَّة الحبل بلا دنس المنشأة في الاسكندريَّة رقياً عظيماً بهمَّة حضرة

الاب الياس جباره اليسوعي مرشدها الغيور . ومن مآثره المشكورة لخدمتها هذا الكتاب الذي جمع فيهِ اخصّ ما يحتاج اليهُ ذوو التقى والعبادة في اجتماعاتهم الدينيَّة من صلوات مختلفة ورياضات روحيّة واناشيد تقويّة وطلبات وغير ذلك ممّا يوجد مفرَّقاً في كتب شتّى فصحَّت تسميتهُ بالروضة المطابق للمسمَّى فنحضُّ اهل العبادة ان يستنشقوا اريج زهورها وعرف انوارها ل . ش

# شذرات

﴿ سيادة المطران كير باسيليوس قطّان ﴾ نهنّئ طائفة الروم الملكيين الكاثوليك الجليلة بقدوم حبرهم الجديد الذي تضاعفت بورودهِ افراح الاعياد الفصحيَّة . وقد صار لهُ من الاستقبال الدينيّ والمدنيّ ما لم يُعهد لهُ مثيلٌ سابقاً واتّسعت في وصفهِ الجرائد المحلّيَّة . ولا غرو فانَّ قلوب اهل بيروت عشقتهُ قبل وصولهِ لِما بلغها من فضلهِ وفضيلتهِ وسعة معارفهِ مع سرور قداسة الحبر الاعظم . باختيارهِ الى كرسي اساقفة بيروت على ملّتهِ وثقة غبطة السيّد البطريرك دمتريوس القاضي بحسن تدبيرهِ وقد رأى جمهور الملاقين بالعين قربَ تحقيق آمالهم اذ دخل كنيستهُ وفاه بذاك الخطاب البليغ الانيق الذي اوضح فيهِ نواياه المستطابة لرعاية ابرشيَّتهِ وقصدهُ لتضحية النفس والنفيس في سبيل نجاحها ورقيها فعسانا نشاهد قريباً في شخصهِ الكريم تحقيق ما كتبهُ سميُّهُ العظيم القديس باسيليوس في الاسقف الكامل واثبتهُ فعلاً كما صوَّرهُ قولاً

﴿ السنة الاربعمائة لوفاة ماجلّان ﴾ في ٢٧ نيسان من السنة ١٥٢١ فقد العالم احد نوابغهِ الرحّالة فرنان دي ماجلّان الذي يحقّ لهُ ان يُعَدّ بعد كرستوف كولمب اكبر محسن الى العالم القديم باكتشافهِ البوغاز الجامع بين البحرين اعني الاتلنتيكي والاوقيانوس الباسيفيكيّ او الهادئ فعرف العالم بواسطتهِ استطاعتهُ من الدوران حول الكرة الارضيَّة ووقف على طريق جديد للسفر الى اليابان والصين والشرق الاقصى . كان مولد مجلّان في پورتو من اعمال البرتغال في ١٧ نيسان ١٤٧٠ من اسرة شريفه ونشأ

في بلاط الملكة اليونورا عقيلة الملك يوحنًا الثاني ثم في قصر الملك دون مانويل وكان مغرماً بالاسفار . فلمَّا بلغ العشرين من عمرهِ سافر الى بلاد الهند وتنقّل في انحائها وتفقّد بعض جزائرها ودخل على ملوكها وسافر ايضاً الى افريقية . وكان في تلك الاثناء يجتمع بمشاهير النوتيّين ويأخذ عنهم معلوماتهم ويدوّن اخبار رحلهم ويرسم خوارط تلك البلاد حتَّى ثبت لهُ من بعض الدلائل وجود ممرّ او بوغاز يوصل الاوقيانوس الاتلنتيكي ببحار أُخرى دعاها بعد ذلك بالاوقيانوس الهادي . وكان مدَّة اقامتهِ في الهند تخرَّج في كلّ آداب الملاحة وتدبير السُّفن . فلمَّا عاد الى وطنهِ لم يجد لدى الملك مانويل ما كان يؤملهُ من الجزاء عن اتعابهِ فغاظهُ هذا العمل ولحق باسبانية سنة ١٥١٧ حيث عرض خدمتهُ على ملكها العظيم كرلوس الخامس (شرلكان) ليكتشف لهُ بلاداً جديدة ويفتح لسفنهِ طريقاً يمكنها من التجوُّل في البحار بدورةٍ تامَّة . فوقع الامر موقعاً حسناً لدى ذلك الملك البعيد المدارك فامدَّهُ باسطول ذي خمس مراكب متوسّطة الحجم وكان على كلّ منها رجالٌ محنَّكون بفنّ الملاحة مع عددٍ من النوتيين يبلغ نحو ٥٠٠ كان بينهم عشرة من الفرنسويين وبعض البلجكيين فخرج الاسطول من مرفأ سان لوكار في ٢٠ ايلول ١٥١٩ ثمَّ ابحر متَّجهاً الى اميركة الجنوبيَّة فبلغ سواحل البرازيل ودخل ريو دي جانيرو المكتشفة حديثاً في ١٣ ك ١ سنة ١٥١٩ ثم توجَّه الى الجنوب حتَّى بلاد پاتاغونية فلقي في طريقهِ عدَّة مشقَّات بسبب المجاعة والامراض وانواء البحر أنقمت عليهِ رؤساء المراكب الذين هيَّجوا البحَّارة على مجلَّان وكاد يفشل في بعثتهِ لولا حزمهُ وكبحهُ معرَّة الثُّوار وحكمهِ بإعدام بعضهم . وبعد اشهر قضاها يبحث عن الممرّ المقصود بين عدَّة جزائر هناك ظفر اخيراً بمرامهِ فنفذ بسفنهِ الباقية بين طرف پاتاغونية والجزيرة المعروفة بارض النار وذلك في ٢٧ تشرين الثاني ١٥٢٠ ثم اكتشف عدَّة جزائر واطلق عليها اسماءها وواصل مسيرهُ الى ان بلغ جزائر فيليبين في اواسط آذار ١٥٢١ فنزل احدى جزائرها المدعوَّة سِبُو فأحسن ملكها المدعو همدار استقبالهُ ورضي بمشورتهِ ان يتنصَّر هو وشعبهُ فشيّد لهُ مجلَّان كنيسةً واقامهُ ملكاً على كلّ امراء تلك الانحاء فاعلن بعضهم الحرب على ملك سبو فانتصر لهُ مجلَّان وسار لمحاربتهم بستين من بحَّارتهِ والاعداء الوفٌ مؤلَّفة فنصبوا لهُ مكيدةً ورموهُ بسهم ثم قتلوهُ في ٢٧ نيسان ١٥٢١ . ولم يرجع الى اوربَّة من تلك البعثة الَّا

١٨ رجلًا . لكنَّ مجلّان خلّد اسمهُ بين مشاهير نوابغ المعمور وأغنى اسبانية بمالك واسعة وشرَّف الكنيسة بروح دينهِ ونشرهِ النصرانيّة لاوَّل مرَّة في جزائر اوقيانية

﴿ الماسونيّة في بيروت ﴾ قد حظيت الماسونيّة في بيروت في الشهرين السابقين بنعمتين باهرتين الاولى بانشاء محفلٍ ماسوني جديد لأبناء الارملة افادتنا عنهُ المجلّة الماسونيّة لصاحبها سيد علي الحريري بمصر بما حرفهُ (السنة الاولى عدد ٤ ص ٩٧) :

## تثبيت محفل بيروت

تمّ تثبيت المحترم رئيس محفل بيروت في حفلة شائقة جامعة للبهجة والصفاء الاخويّ وقد حضرها حضرات الزوّار يتقدّمهم الاخوان الدكتور اسكندر بك بارودي والدكتور اسعد عفيش وموسى صاي ارواس وغيرهم وبعد اتمام تثبيت الاخ المحترم فضل الله ابو حلقة وباقي انوار المحفل (نعم الثريّا !) وموظّفيهِ وقف الاخ يوسف الحاج والقى كلمةً هنَّأ بها الرئيس وتلاهُ بعض الخطباء والشعراء وهم الاخوان الدكتور اسعد عفيش والدكتور اسكندر بك بارودي والمحترم موسى ارواس والاخوان الشيخ ابرهيم منذر وعزيز توما وعليّ ناصر الدين وغيرهم وقد اعرب جميعهم عن ثناء جميل على حضرة الاستاذ الاعظم ورجال المحفل الاكبر واعضاء موظفي محفل بيروت الى غير ذلك من المباحث الجليلة العائدة على الهيئة الاجتماعيَّة بالنفع الجزيل (كذا. فما بالهم يخفون تلك المباحث وراء جدران المحفل أيستحون منها)

امّا النعمة الثانية التي احرزها الماسون البيروتيُّون فهي زيارة « الاستاذ الاعظم للمحفل الاكبر الفرنسويّ الاخ الكلي الاحترام برنرد ولهوف » فبعد ان زار محافل مصر الماسونيّة في ١٦ فبراير شرَّف بيروت مارًّا فيها مرور البرق فاسرع الماسون الى استطلاع انوارهِ في ١٢ آذار ودونك الاعلان الذي نشرتهُ جريدة لسان الحال في ذلك اليوم

## اعلان

ان محفل بيروت رقم ٢٢٦ التابع للمحفل الاكبر الوطني المصريّ يدعو جميع الاخوان الماسون لحضور الحفلة التي سيقيمها في الدار الماسونيَّة عند الساعة الرابعة في مساء اليوم ١٢ آذار سنة ٩٢١ ترحيباً بالاخ الكلي الاحترام برنرد ولهوف الاستاذ الأعظم للمحفل الاكبر الفرنسوي

سكرتير محفل بيروت سليم يوسف نكري

فترى انَّ البنَّائين الاحرار لا يزالون مغرمين بفنّ البناء السياسي واللادينيّ الذي نحن ندعوهُ باسمه خراباً ودمارًا . ها قد مرَّ على الماسونيّة في بلادنا نحو ٨٠ سنة فليدلّنا اصحابها على مشروع واحد خيري او علميّ او ادبي قاموا بهِ

﴿معهد جديد لتربية الحشرات النافعة﴾ لما اطّلع قرّاؤنا على المقالات المفيدة التي نشرها حضرة الاب اسكندر طوران العام الماضي في المشرق (١٨: ٩٤١و٩٩٨) عن الحشرات النافعة المقاتلة للحشرات الضارّة تمنّوا لو يُنشأ معهدٌ يلتجئون اليهِ لطلب تلك الحشرات عند فشوّ الادواء في مزروعاتهم · وها قد تمّ ذلك فعلًا ليس في اميركة فقط في انحاء كاليفورنية لكن في سواحل فرنسة الجنوبيَّة في مدينة مَنتون (Menton) وقد أُنشئ هذا المعهد بعد الحرب في العامين الماضيَين · ومن جملة ما ربّوا هنالك فاصاب نجاحاً تامًّا الحشرةُ المعاكسة للدود الابيض المعدود بين اكبر آفات البساتين واسم هذه الحشرة العلميّ (Cryptolœmus Montrouzieri) فهذه الهامّة ما كادت تتناسل فتنمو حتّى اخذت تلتهم بالمئات والالوف الدود الابيض والامل معقود انّهُ لن يبقى منهُ اثر قريباً في جنوبيّ فرنسة

﴿كفر البولشفيين ومنكراتهم﴾ البولشفيون كبقيَّة اعداء الهيئة الاجتماعيَّة وجّهوا اشدّ ضرباتهم على الدين وارباَبهِ حيثما فاز سهمهم · فقد اطّلعنا على ما نشرهُ احد رؤساء الكنيسة الروسيَّة في المجلّة العموميَّة الفرنسويَّة في اواسط كانون الاوّل المنصرم وهو سرجيوس دي شسين فذكر هناك الشرائع التي سنُّوها بحقّ الكنيسة فصرّحوا عن رغبتهم في قتل كلّ روح دين في الشعب فانهم وضعوا يدهم على كلّ مقتنياتها وانكروا عليها كلّ سلطة في اقتناء الاملاك والوراثة والتعليم وعقد الزواج · دخلوا الكنائس ونهبوها ومزّقوا صورها وكسّروا صلبانها وحوّلوها الى مسارح وعنابر ثمّ طردوا الكهنة واضطرّوا البعض منهم على كناسة الطرق والاشغال الشاقّة حبسوا كثيرين منهم ومثّلوا بهم وقتلوهم قتلًا ذريعاً يستنكف القلم من وصفهِ حتّى بلغ في سنة ١٩١٨ فقط عدد المطارنة والاساقفة الذين شنّعوا بقتلهم اربعة عشر ما عدا الكهنة وبقية الاكليريكيّين · وقد سبق انّ معظم زعماء البولشفيين يهود والباقون فرمسون · ومن هذا نرى انّ زعماء الثورة واصحاب المشاغب والفتن واهل الفساد يجعلون اوّل هدفٍ لسهامهم حيثما حلّوا الدين ورؤساءهُ

﴿اصلاح غلط﴾ قد وقع في الصفحة ٢٠٨ س ١١ غلط في تعيين المساحة بين مرعش ومحوك درهسي فكتبنا هناك «سبعة كيلومترات» والصواب «سبع ساعات»

# أسئلة وأجوبة

س سأل من القاهرة يوسف افندي مدوَّر : ١ً هل تجوز الإحتفالات الدينيَّة وكالقدَّاس والزيَّاحات على نور الكهرباء فقط دون الشمع ؟. ٢ً لماذا تستر الكنيسة اللاتينيَّة الصور مدَّة الاسبوعين السابقين لعيد الفصح ؟. ٣ً وما المقصود من تغطيتها بالالوان القاتمة ؟ . ٤ً لماذا تزيَّن الهياكل في ذلك الوقت بوقوع عيد كبير

اسئلة طقسيَّة

ج نجيب على الاوَّل انَّ المجمع المقدَّس لا يعدّ النور الكهربائي بين الانوار الطقسيَّة كالشمع والزيت وانَّما يُسمَح بهِ للزينة فقط ومن ثمَّ لا يجوز استعمالهُ على الهيكل في الرتب الكنسيَّة . ونجيب على الثلثة الاسئلة الاخيرة انّ ستر الصور من شارات الحزن اللائق بالجمعتين المخصَّصتين لذكر آلام السيّد المسيح . وكذلك الالوان القاتمة كالبنفسجيّ والاسود يوم جمعة الآلام . واماَّ الاعياد الواقعة في تلك المدَّة فيجوز فيها تزيين الهيكل فقط بالزهور ويوم الشعانين باغصان الزيتون او النخل ويوم خميس الاسرار يُبدل حجاب الصليب باللون الابيض تذكاراً لرسم سرّ القربان الأَقدس

س سألت ربَّة بيت ما هي اقرب وسيلة لتنظيف الزجاج

تنظيف الزجاج

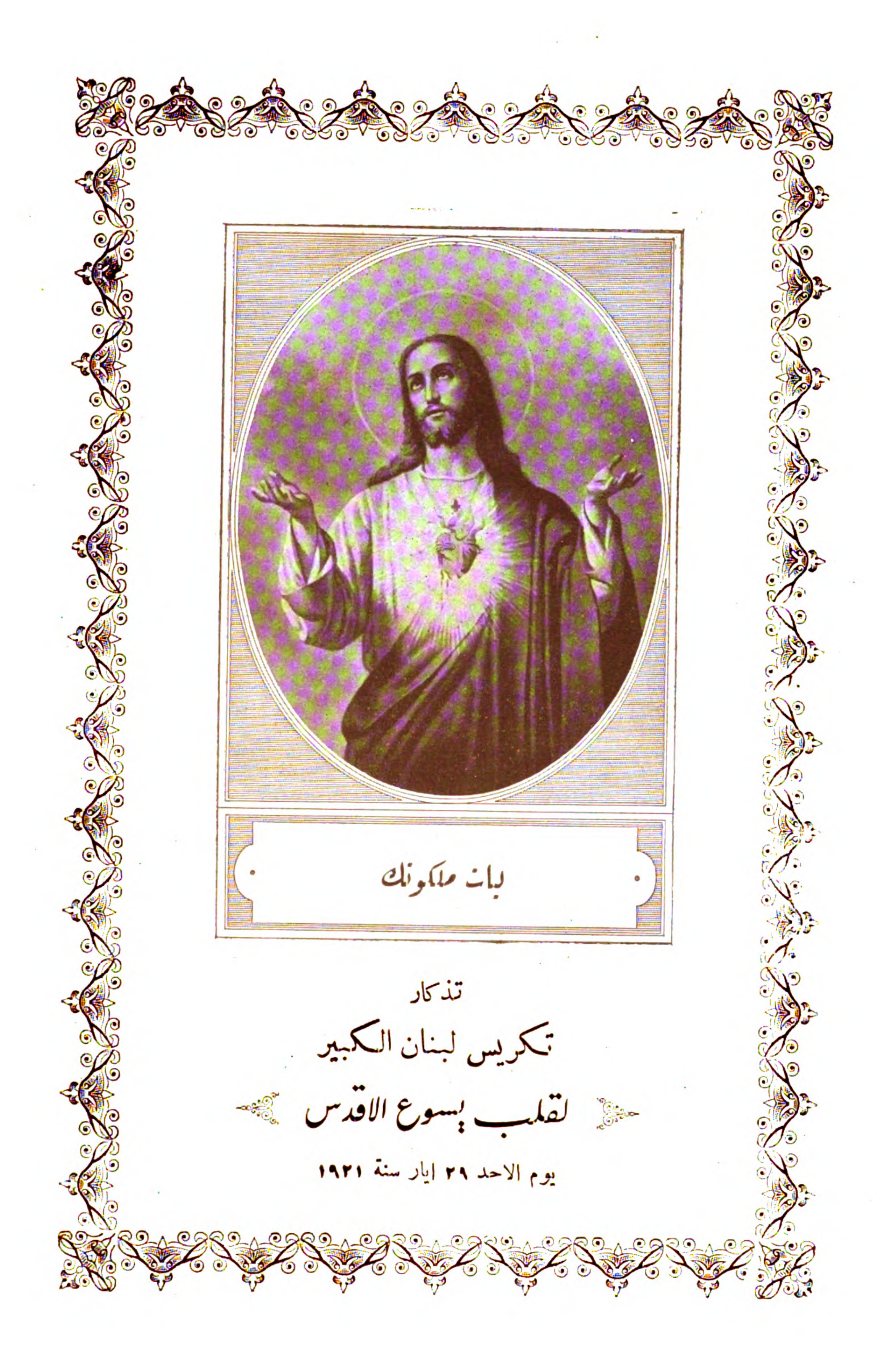
ج هذه طريقة سهلة لتنظيف الزجاج تُسكب ملعقة خلّ في ليتر من الماء ثمّ يُمسح الزجاج بورق الجرائد ثمَّ ينشف بورق آخر نظيف فيصبح الزجاج شفَّافاً نظيفاً لان وسخ الزجاج عادةً من دقائق الاجسام الكلسيَّة فيمتصُّها الخلّ

س سُئلنا اذا وقع عيد بشارة العذراء في يوم جمعة الآلام هل يلزم البطالة فيهِ ؟

وقوع عيد البشارة في يوم جمعة الآلام

ج معلوم انَّ الكنيسة اللاتينيَّة تنقل الاعياد الكبيرة الواقعة في كلّ اسبوع الآلام الى ما بعد الفصح . امَّا الكنائس الشرقيَّة فانَّ العادة الجارية سابقاً كانت عدم نقل الاعياد حتى في يوم جمعة الآلام على انَّ بعض رؤساء هذه الكنائس وجدوا بين الاحتفال بعيد البشارة واحزان يوم جمعة الآلام بعض التناقض فرأوا نقل هذا العيد واشار الى ذلك الطيبّ الذكر السيد جرمانوس معقِد في الميناون . لكنَّ الامر حتى الآن لم يقرَّر نهائيًّا بتقرير رسميّ

ل . ش



ليأت ملكوتك

تذكار

# تكريس لبنان الكبير

# لقلب يسوع الاقدس

يوم الاحد ٢٩ ايار سنة ١٩٢١

السنة التاسعة عشرة　　العدد ٥　ايَّار　　١٩٢١






للاب لويس شيخو اليسوعيّ

قد اعلن غبطة الشيخ الجليل ورأس الطائفة المارونيَّة السامي الشرف والكلّي الطوبى مار الياس بطرس الحويّك بطريرك انطاكيــة وسائر المشرق في منشو ره الصادر في ٨ كانون الاوَّل ١٩٢٠ بانَّهُ عوَّل على تكريس طـائفتهِ الكريمة لقلب يسوع الاقدس وان يجعل لبنان واهلهُ تحت كنفهِ الالهي وحماهُ الخاصّ · وذلك من باب معرفة الجميل لما نالهُ لبنان من الاستقلال واتّساع الحدود تحت نظارة الدولـة الفرنسويّة المحبوبة

ولا غرو فانَّ غبطتهُ لمَّا عوَّل على السفر الى فرنسة في اواسط تمُّوز سنة ١٩١٩ ليدافع عن حقوق لبنان « شعر بعِبْ المهمَّة الخطيرة التي القاها اهلهُ على عاتقهِ لِما كان من تعاكس النيَّات وتشاكس السياسة حول تلك المسألة فلكي يستنهض غبطتهُ همَّتهُ رفع بنظرهِ الى القلب الالهي الحنون قلب يسوع الاقدس ملجأ المبؤوسين وملاذ الملهوفين وابتهل اليهِ بكل حرارة قلبهِ ان يسهّل طرقهُ ويُحظيهُ لدى عظماء الارض بما حاول التماسهُ باسم اهل وطنهِ . فلم يشإ القلبُ الالهي ان يكون التجاؤهُ اليهِ عبثاً بل اراد رحمةً بهِ ومكافأة لتقوى الاجداد أن يحقّق امانيهُ وينيلهُ بغيتَهُ »

فقياماً بهذا المشروع الاثير قد عيَّن غبطتهُ موعداً لتكريس لبنان القلب الاقدس نهار الاحد الواقع بعد عيد الجسد الالهي وهو التاسع والعشرون من شهر ايَّار الحاليّ . وقد ارتأى غبطتهُ ونعم الرأي تخليداً لذكر هذا العمل التقوي ان يُنصَب فوق احدى روابي لبنان تمثال القلب الالهي وهو اثر جليل دعا جميع اللبنانيين الى الاشتراك في نفقاتهِ ليكون ذكرًا مخلَّداً لهم ولابنائهم من بعدهم

*

وليس واجبُ الشكر هو الداعي الوحيد الذي دفع رئيس الطائفة المارونيَّة الكلي الطوبى لتكريس لبنان لقلب يسوع الاقدس بل حدَتهُ اليهِ احوال الجبل وما لحق باهلهِ من الضربات الاليمة فانَّهُ بعد الحرب العوان التي كادت تضعضع اركانهُ وتبيد سكَّانهُ لم يجد غبطتهُ آسياً يضمد جراحهم ومؤاسياً يجبر وَهْيهم كقلب ذاك الاله الذي وحدهُ امكنهُ يوماً ان يُسمع بني البشر تلك الكلمة العجيبة التي لا يستطيع انسان ان يفوه بها صادقاً فقال (متى ١١ : ٢٩) : « تعالَوا اليَّ يا جميع المُتعَبين والمُثقَلين وانا أُريحكم » . ولعمري لقد طالما اختبر لبنان صحَّة هذا الوعد الثابت وليس تاريخهُ غير سلسلة نعم الربّ اليهِ وآيات حنان قلبهِ عليهِ في النكبات التي مُني بها في سياق الاجيال المنصرمة . فاذا رفع بطرفهِ الى عرشهِ السامي وعزّ جلالهِ عرف انَّ بصرهُ لا ينقلب خاسئاً ولا يعود رجاؤهُ خائباً اذ ليس بأحدٍ غيرهِ الخلاص (اعمال ٤ : ١٢)

ثمَّ انَّ لبنان دخل اليوم في طورٍ جديد فانقشعت عنهُ تلك الظلمات الكثيفة التي كانت تركيَّة ركمتها فوق قممهِ الغرَّاء وانكسر ذاك النير الذي ابهظ عاتقهُ مدَّة مئين

من الاعوام فلاح لاوَّل مرَّة رافلًا بثوب الحرّية التامَّة يعيس بين تخومهِ الواسعة يضمّ سواحل البحر غرباً وسهول البقاع شرقاً يبشِره كلاهما بمرافقهِ وخيراتهِ العميمة . فيا حبَّذا البشرى لولا ما هناك من المشاكل الصعبة وعراقيل الامور التي ليس حلُّها سهلًا مع ما نعهد في لبنان من اختلاف الاهواء وتباين المصالح وانقسام الكلمة والمنازعات الدينيَّة والتحزُّبات المليَّة . فمن يا تُرى يستطيع ان يزيل هذه العقبات ويؤلّف بين القلوب ويجرّدها عن الغايات الشخصيَّة لتسعى وراء الخير العامّ ؟ أليس ذاك الذي بشَّر بهِ الانبياء كرئيس السلام (اشعيا ٩ : ٦) واعلن الملائكة بملك سلامهِ في مهدهِ (لوقا ٢ : ١٤) ولم يزل يكرّر على تلاميذهِ رغبتهُ الحميمة في محبَّتهم بعضهم لبعض بل في محبَّة اعدائهم وظالميهم وكان آخر ما طلبهُ من ابيهِ عند وداعهم (يوحنا ١٧ : ٢٣) « ان يكونوا مكمَّلين في الوحدة » . وما قلبهُ الاقدس سوى مثالٍ لذلك الحب الخالص والالفة السامية التي تبعث في الانسان العواطف الشريفة لتضحية نفسهِ لصالح العموم وخدمة الوطن

وما قولنا بالمواعيد العجيبة التي تنازل الربّ وردَّدها على مسامع أمتهِ القديسة مرغريتا مريم ألاكوك وهي تشمل الجماعات كما تعمّ الافراد تُسعد الشعوب كما تؤلّف العيال . فهي التي حملت ارباب دول عديدة على ان يطلبوا تكريس بلادهم الى قلب يسوع فهذه اسبانية وبلجكة ومعظم جمهوريَّات اميركة الوسطى والجنوبيَّة ثمَّ اوسترالية التجأت كلُّها الى حمى هذا القلب لتنال منهُ السلام الوطيد . وها فرنسة التائبة الشاكرة بعد انتصارها الاخير ووفاءً بنذرها الذي نذرتهُ بعد الحرب السبعينيَّة قد دشَّنت في ١٦ ت ١ سنة ١٩١٩ ذاك الهيكل الفخيم الذي اقامتهُ على رابية مونمرتر المشرفة على باريس كعنوان حبّها واخلاصها لقلب الاله وتكفيرها عن آثامها . فما اجدرُ باللبنانيين ان يلوذوا بذاك القلب الذي خفق على سواحل بلادهم وابدى في تخوم جبلهم آيات حبّه ورحمتهِ وأسمعهم صوت حنانهِ بقولهِ (مرقس ٨ : ٢) : «انّي اتحنَّن على الجمع» وكشف لهم بجربة الجنديّ كنوز قلبهِ . فلا جرم انَّهم بحقّ الوطنيَّة اولى بنعم ذاك الاله فاذا تقرَّبوا منهُ نالوا من مراحمهِ سهماً أفوز ومن سوابغ بركاتهِ حظًّا اوفى

هذا الى دالَّةٍ للطائفة المارونيَّة على قلب المخلّص وذلك لسبقها الى التعبُّد لهُ في

المشرق قبل انتشار تلك العبادة في العالم وبينما كان كثيرون يتصدَّون لها ويناهضونها . ومعلوم انَّ السيّد المسيح اوحى بالعبادة نحو قلبهِ الى القديسة مرغريتا مريم المتوفَّاة سنة ١٦٩٠ وانَّهُ اختار لنشرها الرهبانيَّة اليسوعيَّة وكان المرسلون اليسوعيُّون قد احتلُّوا لبنان ومدن سوريَّة منذ السنة ١٦٢٥ فما بلغهم في رسالتهم السوريَّة رغبة السيّد المسيح في نشر العبادة الى قلبهِ حتَّى اسرعوا الى اتمام وصيَّتهِ . وقد وجدوا في الشرقيين عموماً وفي الموارنة خصوصاً آذاناً صاغية وقلوباً واعية . وممَّن دعوهم الى ذلك الآباء يوسف بسُّون (١٦٩١†) مؤلّف كتاب سوريَّة المقدَّسة . والاب اغناطيوس كليسُّون (١٦٩٢†) . ولاسيما الاب بطرس فروماج الذي استوطن الشهباء مدَّة سنين عديدة فانشأ في حلب اخويَّة على اسم القلب الاقدس جعل مركزها في كنيسة الموارنة التي على اسم النبي الياس . فوجدت هذه الشركة التقويَّة اقبالًا عظيماً واشترك فيها جمهور من المؤمنين وكان من جملتهم الطيّب الذكر جبرائيل فرحات الذي سُقِّف بعد ذلك على حلب وعُرف بجرمانوس فقال يتغزَّل بجمال قلب يسوع معرّضاً بشرف تلك الاخويَّة المقدَّسة ولعلَّهُ اوَّل شعرٍ قيل في مديح القلب الالهي استهلَّهُ بقوله :

يا قَلبُ طِرْ من وُكْنَةِ الاحشاء نحو الحبيب الفاخر الأزياء
ورِدِ المنازل حيثُ موردُ حبّهِ تجدِ الحياةَ بتلكمُ الاحياء

ثمَّ قال :

قلب الالهِ يسوعَ أسنى بهجتي او بُغيَتي او مُنيتي وهنائي
يا قلبَ ربّي انت غايةُ مأربي يا ربَّ قلبي انتَ كنزُ غنائي
يا لجَّة الجود الالهيّ الذي اغنى الورى بسوابغ الآلاء

الى ان اشاد بمديح الاخويَّة مقتبساً كلامهُ من سفر نشيد الاناشيد فقال :

من شاءَ فوزاً فليجئْ اخويَّتي سَعْداً لآتٍ حلَّ تحت لوائي
ولْيَكتسِ الثوبَ الذي ألبستُهُ لعروستي اخويَّتي بحِجائي
وليشتهرْ بعبادتي مستمسكاً قانونيَ المرسوم من تلقائي
اخويّتي بستانُ زهرٍ مبهجٍ يحوي طيوب البرّ والتقواءِ
فلأنزلنَّ الى بُسَيتينٍ حوى احواضَ طيب انَّ فيهِ عزائي
كي احتوي مُرّي وأرْني اغتذي بل استقي لبَني وخمري الباني
يا اخوتي واحبَّتي فتجرَّعوا من خمرتي ثمَّ اسكروا بهوائي
كي تنشروا اخويّتي فلأنها بجدي وفيها احتوي نعمائي

وقد ازدهرت تلك الاخويَّة في حلب طول مدَّة القرن الثامن عشر فأتت بأثمار شهيَّة

وما لبثت تلك العبادة ان انتشرت في سائر لبنان بل في انحاء الشام وعلى الاخصّ بين الموارنة. وقد ذكرنا سابقاً (المشرق ٢ [١٨٩٩] : ٥٨٤) تشييد هيكل على اسم القلب الاقدس في دمشق في اواسط القرن الثامن عشر كان يتوارد اليهِ الزوَّار كما انَّ صورتهُ كانت تُكرم في بعض الكنائس منها كنيسة مار يوسف غوسطا المشيَّدة على نفقة الملك لويس الخامس عشر حيث عُرضت صورة قلب يسوع وقلب مريم الاقدسين لاكرام العموم . وقد رأينا قبل عشرين سنة في كنيسة دير النبي اليــاس شوياً لليوم صورةً قديمة لقلب يسوع لعلَّها ترتقي الى ذلك الزمان

ولم يكتفِ الموارنة بالتعبُّد للقَلب الالهي بل اجابوا الى ملتمسهِ واقاموا لهُ عيداً في يوم الجمعة الواقعة بعد الاسبوع المخصَّص لاكرام جسد الرب فاحتفلوا بهِ احتفالهم للاعياد المتازة حتى انَّ البعض منهم كانوا يمتنعون عن الاشغال العالميَّة. ولدينا نسخة قديمة من سنكسار الطائفة المارونيَّة للمطران جرمانوس فرحــات بالقلم الكرشوني وفيها (ص٥٢٥–٥٢٧) ذكر عيد قلب يسوع وملخَّص تاريخهِ مع ذكر براءَتيْ الحبرين الاعظمين اينوشنسيوس الثاني عشر واقليمنضوس الحادي عشر المثبتَيْن لتلك العبادة. وممَّن شهد على قدم هذه العبادة بين الموارنة السيّد البطريرك يوسف اسطفان (١ في رسالتهِ الى الكرسيّ الرسولي سنة ١٧٧٣ حيث يقول :

«عيد قلب يسوع الاقدس وعبادتهُ في كلّ طائفتنا الممتدَّة بهذه الاصقــاع الشرقيَّة امتداداً متَّصماً (كذا) ليس هما حديثان (كذا) ولا خاصَّان بأنفار مفردين . . . بل انها عيد وعبادة عامَّة مشاعة منادى بها في كلّ الطائفة منذ ابتدي (كذا) هـذا الجيل الثامن عشر . وهذا الامر يتَّضح جلياً من سنكساري المطران جرمانوس فرحات الذي درج في كلّ كنائس الطائفة كما هو واضح لكلّ احد»

وممَّا زاد انتشار عبادة قلب يسوع في لبنان انشاء دير راهبات الزيارة في عينطُورا الذي همَّ بتشييدهِ مشايخ بيت الخــازن فتمَّ بناؤهُ ودُشّن في رأس السنة ١٧٤٦

١) (اطلب ترجمة حياتهِ للقس بولس عبُّود الغوسطاوي ج ٢ ص ٨١)

وتولَّى ادارتهُ الآباء اليسوعيُّون المقيمون قريباً منهُ (١ . ولمَّا كانت رهبانيَّة الزيارة قد دعاها الربّ بواسطة راهبتها القديسة مرغريتا مريم الى نشر عبادة قلب يسوع فكان وجود احد اديرتها في لبنان باعثاً عظيماً لنموّ هذه العبادة

على انَّهُ لا يسعنا السكوت عمَّا ابتُخست بهِ تلك العبادة مدَّةً بسبب الراهبة هنديّة عجيميّ الحلبيَّة التي استفزَّتها الهستريّة والاهواء الباطلة فادَّعت بالرؤى والعجائب ونسبت الى القلب الاقدس هواجس مخيّلتها واضغاث احلامها فأقلقت لبنان وشوّشت العُقول وبلغ خبرها الكرسيّ الرسوليّ الذي بعد الفحص المتواتر امر بالغاء رهبانيَّتها وهكذا انقشعت تلك السحابة وتميَّز الغثّ من السمين وصرَّح الحق عن محضهِ

وقد ساعد كثيرًا ما وُضع وقتئذٍ من التآليف الحسنة لتعريف عبادة قلب يسوع وجدنا بينها ما تولَّى نشرهُ الموارنة مع المرسلين اليسوعيّين فمن ذلك تساعيَّة مخطوطة تتضمَّن تقادم يوميَّة لقلب يسوع الاقدس مع مواضيع للتأمّل صباحاً ومساء في مناقبهِ واعتبارات ونتائج ومقاصد لكل يوم مع طلبة قلب يسوع القديمة . وهي من مخطوطات القرن الثامن عشر . منها نسخة ثانية تاريخها سنة ١٨١٥ يقال في اوَّلها « نكتب الاستعداد لعيد قلب يسوع الاقدس الذي هو عيد جمعيَّتنا المقدَّسة »

ومنها الرسالة الجليلة التي كتبها في حلب الاب بطرس فروماج اليسوعيّ سنة ١٧٢٤ وضعها في ١٣ فصلًا وجعلها كدستور شركة قلب يسوع التي انشأها في كنيسة الموارنة هناك فاوضح فيها ماهيَّة تلك العبادة وتاريخها وخواصها ومنافعها مع ذكر قوانينها . وفي السنة ١٧٣٥ نال تثبيتها من الكرسيّ الرسوليّ مع عدَّة غفارين يمكن المشتركين ربحها ممَّا تكرَّم بمنحهِ الحبر الاعظم اكليمنضوس الثاني عشر للاخويّة الحلبيَّة

ومنها تأمُّلات لشهر قلب يسوع عددها ٣١ تأمُّلًا اوَّلها « عذوبة قلب يسوع الاقدس » ثم رحمتهُ ثمَّ دعة قلبهِ الرؤوف ثم جمالهُ الخ . وبعد كلّ تأمل ابتهالات خشوعيَّة . ونسخة مكتبتنا الشرقيَّة مخطوطة منذ نحو ٨٠ سنة ولا يُذكر اسم مؤلفها . وقد استفدنا من عدد آذار الاخير من مجلَّة رسالة السلام الغرَّاء ( ص ٩٣ — ١٠٠ ) انّ مؤلّف هذا الكتاب هو « الاب يواكيم بلاديون بليط الارمني الحلبيّ الكاثوليكي فالراهب المارونيّ اللبنانيّ المولود في حلب سنة ١٧١٦ والمترهب سنة

١) اطلب في المشرق (٤ : ٧٠٤) تاريخ هذا الدير بقلم احد الآباء اللعازريين

١٧٣٦ الَفهُ اجابةً لطلب راهبات رهبانيَّة قلب يسوع الاقدس المؤَسسة في دير سيّدة بكركي من الراهبة هنديَّة المشهورة » . وهذه النسخة توافق تماماً نسخة مكتبتنا في تأمُّلاتها وصلواتها الخمس عشر الاخيرة الَّا المقدَّمة التي هي في نسختنا اطول ولا ذكر فيها للمؤلف ولا للراهبة هنديَّة ورهبانيَّتها غير انَّ الابتهالات كلَّها عن لسَان عابدة او راهية تقيَّة . وعلى كلّ حال نوافق حضرة القسّ لويس بليبل على نفاسة هذا الكتاب ومحتوياتهِ التقويَّة لا شيْ فيهِ من سفاسف هنديَّة وقد الَّفهُ صاحبهُ قبل شرودها لأَنَّ تاريخ نسخة حضرتهِ السنة ١٧٥٣

ومنها ايضاً كتاب الكنز الانفس في عبادة القلب الأقدس الذي عرَّبهُ الاب بطرس فروماج في صيداء السنة ١٧٣٥ يحتوي سيرة القديسة مرغريتا مريم ألاكوك للمطران لانكه اسقف سواسون . وهذا الكتاب نُشر طبعاً في مطبعتنا الكاثوليكيَّة سنة ١٨٨٦ على نفقة راهبات قلبي يسوع ومريم الاقدسين

ومنها ايضاً في مكتبتنا الشرقيَّة رياضة تأمّلات وقراءات وافعال تقويّة اكراماً لقلب يسوع للاب اسكندر درويل(Al. de Rouville) اليسوعيّ وضعها في اواسط القرن الثامن عشر ثمَّ استخرجها من اللغَة الايطاليَّة الى اللغة العربيَّة بطرس جرمانوس صادر الماروني الحلبي سنة ١٨٤٢

هذا دون ما نُشر بالطبع بعد ذلك في بيروت وغيرها وما عدا كتباً أُخرى وُضعت عن سرّ القربان الاقدس ومحبَّة السيد المسيح مثل كتاب محبَّة يسوع الذي استخرجهُ الخوري اندراوس القبرسيّ الماروني تلميذ المدرسة المارونيَّة في رومية ومعلّم اللغتين السريانيَّة والعربيَّة في مدرسة الحكمة في رومية وترجمان المجمع المقدَّس وذلك سنة ١٧٣٧ وكتاب يسوع الحبيب ومريم المحبوبة للاب نيرمبرج اليسوعي الذي عرَّبهُ الاب بطرس فروماج وكتاب اتّحاد يسوع مع الانسان في سرّ الافخارستيَّا المقدَّس . ومنها كلها نسخ مختلفة في مكتبتنا الشرقيَّة وبعض اديرة لبنان كانت تبعث في القلوب محبّة ابن الله والعبادة الصادقة لقلبهِ الاقدس حتَّى اصبح هذا التعبُّد كاحد مميّزات الطوائف الكاثوليكيَّة في لبنان والشام . ولو اردنا بسط الكلام في مجاليهِ بين كلّ طائفةٍ فردًا فردًا مذ ذاك الحين الى يومنا لأَدَّى بنا الى الطول المملّ . فكم شُيِّد على اسمهِ من كنائس وبيع وكم اقيم لذكرهِ من الاحتفالات من عبادة شهريَّة

في حزيران وتساعيَّات وطوافات وزيَّاحات وفروض تعويض. وكم أُنشئت من جماعات رهبانيَّة وشركات ومدارس تحت شفاعته نخصّ منها بالذكر جمعيَّة راهبات قلبي يسوع ومريم الاقدسين المنشأة في لبنان في اواسط القرن السابق

وما قولنا بالنعم والعجائب التي جرت في عدَّة امكنة بشفاعة القلب الالهيّ منها نجاة مدينة زجلة من الطاعون بعد نذر اسقفها بتعييد عيده سنويًّا والتطواف بالقربان الاقدس . ومنها صيانة كلّ اهل حمص من الوباء حيثما عُرضت في البيوت صورة القلب الاقدس وغير ذلك ممَّا أثبت لكل ذي عين عظمَ شأن هذه العبادة وبركاتها العميمة

وذاك ما دفع الحبر الاعظم بيوس التاسع في منشور وجَّههُ الى الشرقيين في تاريخ ٨ ك ١ سنة ١٨٦٤ الى ان يحضَّهم على التعبُّد الصادق لقلب يسوع المملوء عذوبةً وحلاوةً فيلوذوا بهِ في كلّ حاجاتهم . ولمَّا كانت السنة الاخيرة من القرن التاسع عشر تقدَّم قداسة امام الأحبار البابا لاون الثالث عشر بان يُحتفل بعيد قلب يسوع بغاية ما يمكن من الأُبَّهة والرونق مدَّة ثلثة ايَّام في الكنيسة باجمعها فكان ذلك الاحتفال مهيباً جدًّا حضرهُ نحو عشرة آلاف شخص في باحات كليَّتنا . ثمّ كرّس في ختام ذلك القرن في نصف ليلة ٣١ كانون الاوَّل ومفتتح القرن العشرين العالم كلَّهُ لذلك القلب الالهيّ

فتكريس لبنان الكبير الى قلب يسوع انَّما هو تصريح عمومي واعلان رسمي بتشبُّث اهلهِ باهداب حمايتهِ وباعتصامهم غير المنفصم بركنهِ الازليّ فبحقّ هذا التكريس تتولَّد وشيجةٌ جديدة بين اللبنانيين وقلب ربّهم عليها تترتَّب حقوق متبادلة بموجبها يجعل ابنُ الله جبلنا العزيز وكافَّة سكَّانهِ تحت حماهُ فيدرأ عنهم الآفات والبلايا الروحيَّة والزمنيَّة ويفيض عليهم اغزر نعمهِ كما انَّهُ يقضي على اللبنانيين ان يثبتوا في خدمتهِ وامانتهِ ويكرموهُ اكرامهم لوليّ نعمتهم ويجعلوا عليهِ اتكالهم في كلّ احوالهم . فطوبى للبنان ان بقي اميناً في وفاء وعدهِ فانَّهُ سيكون موطن السلام ومرتع الرغد والهناء على مدى الدهر حقَّق الله الاماني بأيدهِ وكرمهِ

# اثر قديم

## للملك يوستنيان في بيروت

للابوين لويس شيخو ورينه موترد اليسوعيين

### ١ تاريخ الحفريات

بينما كانت بلديَّة بيروت ساعيةً في سنة الحرب الثانية في اتمام اوامر الوالي عزمي بك فتنسف الاحياء العتيقة التي كانت عشَّشت فيها جراثيم الاوبئة لتفتح فيها شوارع جديدة اذ وقف العمَلة على آثار بناء قديم موقعهُ غربيَّ جامع النبي يحيى على مسافة نحو ٥٠ مترًا منهُ عند مدخل سوق البزركان. فاستدعى الوالي الاب لويس شيخو والمرحوم مراد بك البارودي ورغب اليهما ان يفحصا تلك البناية ويقدّما لهُ تقريرًا في وصفها وتاريخها

فكان اوَّل ما طلبهُ المندوبان بعد معاينة تلك الآثار الجليلة ان يأمر الوالي مهندساً برسم صورة البناء على طريقة علميَّة مدقَّقة تمكّنهما من درسهِ وابداء رأيهما في اصلهِ وماهيَّتهِ وغايتهِ لكن الوالي لم يُجب الى ملتمسهما فجاء فحصهما للآثار غير وافٍ بالمقصود

ودونك ما قرَّراهُ وقتئذٍ عن البناء المكتشف والآثار التي وُجدت معهُ: البناء المذكور على شكل مستطيل طولهُ نحو ثلثين مترًا في عرض اثني عشر مترًا امَّا علوُّهُ فلم تسمح أطلالهُ المتراكمة من معرفته. وكانت ارضهُ مبلَّطة بالرخام على عمق نحو خمسة امتار من سطح شوارع المدينة وكان اكثر الرخام مكسَّرًا محطَّماً بسقوط اعالي البناء عليهِ. وقد وُجد امام الباب القبليّ عمودٌ من الرخام قطرهُ نحو ٥٠ سنتيمترًا وطولهُ ثلاثة امتار بنيّف من الحجر المنيع الذي يدلّ على متانة البناء نظرًا لجسامة حجارتهِ التي يبلغ طول بعضها نحو ذراعين مع مراعاة نسبة عرضها وسمكها

وقد بلغ عدد ما وجد في تلك الحفريَّات من الحجارة المنحوتة الضخمة الألوف المؤلفة قدَّرها بعضُ العمَّال بنحو ثلثين الى اربعين الفاً نُقلت بامر الوالي الى غابة

الصنوبر لبناء حائطهِ الكبير والى ساحل البحر لتهيئة رصيف جديد

وكان في وسط البناء جدارٌ عموديٌّ في وسطهِ حنيَةٌ او محراب عرضهُ نحو خمسة اذرع معقود بالحجارة الكبيرة وعلى جانبَيهِ بابان كل منهما معقود بحجارة على شكل قوس الَّا انَّ قوس الباب الاسفل كاد ان يكون مسطَّحاً . وكان الداخل الى هذا البناء من الجهة الشرقيَّة يصل اوَّلًا الى رواق على شكل قبو معقود بالحجارة يمتدُّ الى البابين المذكورين المسدودين بالردوم

وتحت هذا البناء طبقة اخرى من الاقبية الواسعة الارجاء المعقودة بالحجارة الرمليَّة لم يمكن معرفة عددها وامتدادها . ومنها يُستدل على انَّ ارض المدينة كانت سابقاً اوطأ جدًّا ممَّا هي عليهِ الآن وربمَّا كانت تقريباً على سواء شاطئ البحر المواجه لها . وفي تلك الابنية آثار ظاهرة لحريقٍ لعلَّهُ كان سبب سقوطها

وقد وُجد على خلاف ذلك جملة من العاديَّات المحطَّمة كالخزفيَّات وقطع الزجاج الملوَّن والنقوش ورؤوس الاكلَّة والسواري المختلفة الحجم بينها سارية منقوش عليها صورة رأس كرأس الجنيَّة مدوزة (Méduse) وكان على سارية اخرى صليبٌ ناتئٌ من الشكل البوزنطي المربَّع

وممَّا وُجد قريباً من تلك الاطلال الكتابة اليونانيَّة الآتي وصفها

## ٢ وصف الكتابة اليونانية

هذه الكتابة مصونة اليوم في مكتب البنات الواقع بجوار حوض ( حاووز ) الوالي وهناك بعض قطع غيرها ستدخل في متحف الآثار البيروتي وهي محفورة في حجر من الرخام الابيض ذي عروق كمدة عرضهُ متر وسنتمتران وعلوُّهُ ٥٩ س في سمك ٤٣ س . وهذه صورة ما بقي منها

ΜΑΡΘΑΝΙΟΥ<br>
CΤΡΑΤΗΛΑΤΟΥ<br>
. . . ΛΑΤΑΕΤΗ<br>
. . . ΤΙCΜΑΤΑ<br>
. . . . . . . . . . .

والكتابة واضحة لا مشكل في قراءتها تحتوي دعاء بطول العمر لاحد القوَّاد

المدعو مرثانيوس مع ذكر تاريخ البناء ودونك تمامها

Μαρθανίου στρατηλάτου[πολ]λὰ τὰ ἔτη. [Τὰ κ]τίσματα? [ἐγένετο? ἔτους?]

تعريبها : « سنين عديدة لمرثانيوس القائد . البناء ( ؟ ) [ قد شُيّد ؟ في السنة ؟ ]

اخصّ ما في هذه الكتابة اسمُ العلم المذكور فيها ثم ذكر البناء المشار اليهِ

امّا العَلَم «مرثانيوس القائد» فهو المعروف ايضاً باسم مرثانيس (Μαρθάνης) كان احد كبار الدولة على عهد يوستنيانوس القيصر واليهِ وجّه هذا الملك سنة ٥٥٨ م احد مراسيمهِ الموسوم بالعدد ١٤٢ والمعنون هكذا باسمهِ Μαρθάνης κόμης πριβάτων (١ اي «مرثانيس وكيل الاملاك الخاصّة» وكان الحرف η والحرفان ος يلفظان في ذلك العهد كحرف ، فمرثانيوس اذن ومرثانيس اسم واحد مع اختلاف صورتهما

وقد اثبت العلّامة الياني (Alemanni) حارس المكتبة الواتيكانيّة انّ مرثانيوس المذكور هو الذي ورد اسمهُ في تاريخ پروكوپيوس السرّي (٢ بصورة مَلْثانيس (Μαλθάνης) وجاء في اعمال مجمع مصّيصة المعقود سنة ٥٥٠ بلفظهِ اللاتيني والقابهِ هكذا :

Marthanius, vir magnificus, comes domesticorum

وقد حضر ذلك المجمع باسم الملك يوستنيان (٣ . ومن هذا يظهر انّ مرثانيوس المذكور في الكتابة البيروتيّة كان رجلًا معتبرًا بحيث دُعي «بالرجل الشريف » (Vir magnificus) وجعلهُ الملك رئيساً على حرسهِ الخاص (Comes domesticorum) . والحقُّ يقال انّ مرثانيوس هذا كان جنديّاً رابط الجأش مخلصاً في خدمة سيّدهِ لا يأخذهُ في تتميم اوامره لومة لائم ولو تجاوز فيها الحدود

وقد اخبر المؤرخ بروكوبيوس انّ الملك ارسلهُ في السنة ٥٥٠ م الى وطنهِ قيليقية ليخمد ما حدث فيها من الفتن . وكان للمدن في ذلك الزمان احزاب تتألّف من فرق فرسان الميادين يشبهون في عهدنا احزاب الفرق السياسيّة وربّما اثاروا المشاغب وهيّجوا الشعب . فلمّا وصل مرثانيوس الى طرسوس شغب حزبُ الميدان المعروف

---

١) اطلب Justin. NOV. CXLII , وهذا العنوان يونانيّ الصورة لاتينيّ الحقيقة Comes [rerum] privatarum

٢) اطلب **Procope** : Hist. Arc., *XXIX*, *Dindorf. pp.* 159-160

٣) اطلب دستور المجامع لمانسي (**Mansi**, IX, col. 274 seqq.)

بحزب الزُرق ولم يرضَ ببعض التدابير التي اتَّخذتها الحكومة فامر مرثانيوس جنودهُ في سحر اليوم التالي ان يسيروا في انحاء المدينة وينهبوها فأخلد الناس الى السكون

فهذا هو مرثانيوس الذي ورد اسمهُ في كتابة بيروت المكتشفة حديثاً . وكان قد نال منذ سنة ٥٥٠ رتبةً جديدةً دوَّنتها كتابتنا فدُعي بالقائد (στρατηλάτης) وعُرف بذلك مدَّةً وزاهُ في السنة ٥٥٨ قد اصاب اشرف مناصب الدولة فيُدعى رئيساً على املاك القيصر الخاصَّة (Comes rerum privatarum) . ومنهُ يُستدلّ على تاريخ الكتابة البيروتيَّة اعني بين السنتين ٥٥٠ و ٥٥٨

فبقي تعريف البناء (κτίσματα) المشار اليهِ في هذه الكتابة فكان لمرثانيوس فيهِ حصَّة هو وجيشهُ كما يظهر فحُفرت الكتابة دلالةً على شكر المدينة لهُ . ولكن ليس هنا لنا دليل كافٍ لنبتّ حكماً في ذلك . لانَّ البناية التي اكتُشفت غربيَّ جامع النبيّ يحيي قد طُمرت دون ان يؤخذ رسمها كما سبق والمرجَّح ممَّا قدَّمنا في اوَّل هذه النبذة انَّها كانت كنيسةً ملكيَّة (basilique) أُقيمت بعدئذٍ بقربها كنيسة مار يوحنَّا المعمدان بهمَّة الفرسان المعروفين بالاسبتاريين او فرسان مار يوحنَّا الاورشليميّ وهي التي حوَّلها المسلمون بعد ذلك الى جامعهم الحالي . ولعلَّ تلك الكنيسة الاولى كانت سقطت بفعل الزلزلة الهائلة (١ التي الحقت بيروت بالدقعاء في ١٦ تمُّوز من السنة ٥٥١ وقد انسحب وقتئذٍ البحر عن المدينة واحترق جانبٌ منها وخربت مدرسة حقوقها الشهيرة فجاءت الاوامر باصلاح الخراب وتشييد الابنية المهدومة فكان لمرثانيوس فضلٌ امَّا في بنائها الاصلي وامَّا في ترميمها بعد خرابها اوجب على بلديَّة بيروت شكرهُ فخلَّدوا ذلك بحفره على حجر الرخام ليُعرض في واجهة تلك الابنية فجاءت بعد ذلك زلازل غيرها وشبَّ سنة ٥٦٠ حريق التهم معظم البلدة فلم يبق من تلك الآثار الَّا بعض الدفائن التي استخرجتْ منها شيئاً حفريَّاتُ سنة ١٩١٦ ولعلَّ اعظمها فائدةً الحجر الذي حاولنا نشر مضامينهِ

---

١) اطلب مجموعة الآباء اليونان لمين- Fragm. Tusc., P. G., LXXXV, 1822 seqq
وتاريخ ميخائيل الكبير Chronique de Michel le Syrien, II, 245.

# الحبُّ البنويّ

رواية تاريخيَّة عرَّبها عن الاسبانيَّة احد الآباء اليسوعيين

## ١ الاسر

كان على تخوم الانـدلس على سيف نهر الوادي الكبير ( Guadalquivir ) حصنٌ حصين شُيّد في القرن الاوَّل او الثاني من القرون المتوسّطة . حصنٌ تُنبئك مناعتهُ عن تاريخ اسبانية في تلك الاحقاب . احقاب الحروب الهائلة والوقائع المخيفة التي دارت رحاها بين الاسبان والمغاربة . فلو كان في استطاعة تلك الاطلال ان تهبَّ من رقدتها وتصحو من سُباتها لأماطت القناع عن غرائب عجائب وردَّدت على الاسماع مآثر كماة الابطال وجرأة فحول الحرب وقرومها . واوقفت على حسرات وزفرات وغصص وكآبات تفتّت الاكباد كانت تتصاعد من صدور اولئك الفرسان . وأنبأت كم من اسيرٍ عاش حزيناً ومات كئيباً دون ان يرجو حلَّ عقالهِ ويأمل فكَّ اغـلالهِ وراء اسوار ذلك الحرز الحريز

هذا وما كاد العرب يفتحون بلاد المغرب ( موريتانيـا القديمة ) الَّا وطمحوا ببصرهم نحو اسبانية ولم تَمِل بهم عنها مخيلةُ املٍ . فـاخذوا يفكّرون في طريقة تبلّغهم الى مبتغاهم ولبثوا عدة سنين يمثّلون لنواظرهم تلك البلاد الخصبة التي تفتن الالباب بحسنها وجمالها . الى ان وطَّأ لهم هذه العقبة الكونت يوليـان فخان وطنهُ وأنالهم تلك البغية

فهذا كانَ امتعض من تبوّءُ مولاه الملك رودريك او رذريق سدَّة الملك فأضمر الشرَّ لسيدهِ وشفاء لغليلهِ منهُ دعا المغاربة الى الاندلس ودلَّهم على عورة البلاد

ولما كانت سنة ٧١١ زحف طارق بن زياد مولى موسى بن نصير قائد المغاربة بخيلهِ ورجلهِ على اسبانية . فجاز بسرعةٍ مضيقَ قادس المعروف بباب الزقاق واستولى على الجبل الذي اشتهر مذ ذاك باسمهِ جبل طارق (Gibraltar ) او جبل الفتوح ومـا لبث ان التقى برودريك ملك اسبانية فناشبهُ القتال فاشتبك الفريقـان وتلاحم

الابطال وتبارز الفرسان فكانت حربعبوس دُعيت بوقعة شريش جرَّت ذيول الدمار على الاسبان وفرَّقت شملهم شَذر مَذر . فيها قُتل الملك وعددٌ من ابطالهِ . وكُبّل عدد آخر من صناديده بقيود الاسر — ثم فتح العرب اشبيلية وقرطبة وسائر الاندلس — وكان بين الاسرى الكماة بطلٌ مغامر وامير مُعمَّم يُدعى « انطونيو راميراس . » فهذا الفارس المغوار برز في القتال وصرع وحدهُ عشرين مغربيًّا حتَّى سقط جريحاً في حومة الوغى وحسامهُ الابتر في يدهِ . ولما رأَى ان الاعداء احدقوا بهِ من كل جانب كما يحدق السوار بالمعصم وانَّ لا منقذ لهُ ولا مناص من هذا المأزق استسلم

اما القائد طارق فدُهش من بسالة راميراس وبُهت من ثبات جنانهِ في معركة الوغى فأَبقى عليهِ . لكنهُ جعل لفدائهِ من الأَسر مبلغاً عظيماً من المال موازياً لشجاعتهِ . امَّا الاسباني الاسير فلمَّا رأى ان ما يطلبه القائد يذهب بثروتهِ كلها ويؤول الى خراب بيته آثر الاسر المؤبَّد ! ورضي بنصيبهِ . فامر اذ ذاك طارق ان يقاد راميراس ويُحصى بين عداد اسرى حصن الوادي الكبير

## ٢ المروءة

كان لراميراس ثلاثة بنين تتلألأ على محيَّاهم مخائل النجابة وتلوح سمات الشجاعة . بل كانوا اشبه بابيهم من حيث البسالة والجرأة « ومَنْ اشبه اباهُ فما ظلم »

كان ابنه البكر يُدعى دياغو وكان لهُ من العمر سبع عشرة سنةً . فهذا لمَّا بلغهُ ان اباهُ أُخذ اسيرًا وعرف المكان الذي حُبسَ فيهِ لم يصبر على تجرُّع هذه الغصَّة بل جمع فئةً من اصحابهِ الأُمناء الابطال الذين كانوا شهدوا وقعة « شريش » الشهيرة وسار بهم الى حيث كان ابوه معتقلًا . فمرَّ هؤلاء الصناديد مرَّ السحاب بين صفوف الاعداء المتفرّقين في الاندلس مختلسين فرصة غفلتهم ولم يزالوا يواصلون سيرهم الى ان انتهوا الى الحصن اوكادوا . وكان راميراس قد صعد على سطح الصرح يسرّح النظر تفريجاً لكربتهِ واذا به قد ابصر عن بعدٍ غبارًا علا وعجاجاً قد ملأَ الجوَّ والفلا وما لبث ان سمع عَدْوَ خيل . فحدَّثتهُ نفسهُ ان الوافدين هم من ابناء جلدته فاخذ يفكر فيما حدا بهم الى هذا المكان وفيما يقصدون . ثم قال : « ما ادراني ان يكون ولدي في صحبتهم » — اما الشاب دياغو ومن معه فما عتّموا ان انتهوا الى اسفل متاريس

الصرح الى الباب السرّي · فوثبوا عليهِ وثبة الاسود وفي ايـديهم الفؤوس الحربية يريدون كسره بل تحطيمهُ · فذهب سعيهم ادراج الرياح وراح تعبهم سدى اذ ان ذلك الباب كان مصفَّحاً بالحديد · امّا المغاربة الذين كانوا يربون على المئات فـاذ احسّوا بعدوّهم من داخل القلعة بادروا الى مقاتلتهم فاخذوا يرمونهم بالحجارة ويصوّبون عليهم سهامهم ثم حملوا عليهم من كل صوب وناحية واحاطوا بهم احاطة الهالة بالقمر · واستعرت وقتئذٍ بين الطرفين معركة هائلة انجلت عن كسرة هؤلاء الصناديد · اما دياغو البطل فكان قد أُصيب بضربة حسام صرعتهُ فـافقدتهُ الرشد ولمّا افاق من غشيته قبضوا عليه واعتقلوه في القلعة مع ابيه

## ٣ الحيلة

قبل ان يستفيض الخبر عن اعتقال دياغو كان فرنسيسكو اخوه البالغ الخامسة عشرة من عمرهِ · احسَّ في نفسهِ عن اخفاق مسعى اخيهِ · بل كأنَّ مناجياً كان يناجيهِ ان الاعداء قد انزلت الوبال في دياغو ومن معه من الابطال · فهذه النكبة لم تكن لتثبّط عزيمته وتقصّر من نشاطه · بل كان يُمثّل لناظريه ان من الواجب عليهِ ان يفكَّ اغلال الاسيرين ويخلّص فريستين من اهوال رق العبودية · ولما كان فتاءُ سنهِ لا يسمح لهُ ان يبدي شجاعةً كبيرة ولا كان مستوثقاً من شدة ذراعيهِ ركن الى الحيلة ضارباً اخماساً لاسداس · فتزيّاً بزي مغربي وملأَ محزمهُ ذهباً وسار توًّا الى القلعة — ولم يكد فرنسيسكو يقرب من اسوار القلعة الّا واخذ ينغّم لحن بلاد الاندلس بصوت شجي يشنّف الآذان وانغام مطربة تُسكر الالباب فللحال صرخ راميراس وابنهُ دياغو : لا شك انفرنسيسكو مقبلٌ ولا مِرْيَةَ انهذا الصوت هو صوته · ثم جعلا يستجيران الله سبحانه من اعدائه الالداء لكي يسدل عليه ستر رحمتهِ ويُسبل دونه الحجاب ويحفظهُ سالماً من كل ضرّ ويصونهُ بعنايتهِ القديرة من كل آفة وشرّ — ثم اخذا يفكّران فيما اغراهُ على القدوم الى هذا المكان الخطر وفيما يرمي اليهِ ويعلّق امله عليه

فبفضل هذا الزي أُتيح لفرنسيسكو الولوج الى داخل القلعة فحاول آنئذٍ ان يخدع الحارس ويستميلهُ بواسطة الذهب فذهب امله هدرًا وسعيهُ طَلًا · ولمّا كان هذا

الحارس داهيةً في الخبث اخذ مال فرنسيسكو وقفل دونه باب القلعة وجعله في عداد الاسرى فصار مع ابيهِ وشقيقهِ ثالثة الأثافي

## ٤ عون الله

بقي للبطل الاسير راميراس ولدٌ ثالث يُدعى مثل ابيهِ انطونيو لكنه حديث السنّ لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمرهِ . تُرى ماذا يستطيع ان يفعل ولدٌ في هذا السن ! لكن ما لا تقدر عليهِ القوى البشرية تقدر عليه المحبَّة البنويَّة المقرونة بالتقوى وخوف الله فانها تُريك عجائب غرائب

واذا طلبتَ من الحوائج حاجةً فادعُ الالهَ وأحسنِ الاعمالا

كان قد مضى على ذهاب فرنسيسكو شهر ولم يكن انطونيو يعلم ما حلَّ باخيهِ بل دار في ذهنهِ ان اخاه اصبح اسيرًا ونال حظَّ والده واخيهِ البكر . فحدَّثتهُ نفسهُ انَّ دَوْره قد حان وان نجاة والدهِ منوطٌ بما يؤتيهِ من حسن التدبير واتقان العمل . فتروَّى في الامر مليًّا الى ان ادَّت بهِ فكرتهُ الوقَّادة الى استنباط حيلة هي في بابها نادرة المثال

وذلك انهُ كان على جانب من التقى والتدين فارتأى قبل الإقدام على العمل واقتحام الاهوال ان يذهب اولًا الى المقبرة الى ضريح والدتهِ فهناك جثا راكعاً يستجير الله بإخبات وخشوع طالباً منهُ عزَّ اسمهُ العون والقدرة والنجاح في امر خطِر يتطلب جرأة غير عادية . ولما اتمَّ صلاته رفع رأسهُ فاذا بجُعَل يصعد على جانب صليب القبر ساحباً وراءه لُعاباً طويلًا . فلما نظر انطونيو هذا اللعاب تحقق ان صلاته قد استُجيبت فقام على الفور وتزيَّا بزيّ راعٍ وتوجَّهُ توًّا الى القلعة حيث كان ابوه واخواه

فلما انتهى الى اسفل الحصن اذا بالحَرَسة واقفون لكنهم لم يكترثوا بهِ ولا همَّهم حضورهُ . بل تركوهُ وشأنهُ ينام في حمارَّة القيظ بكل راحة وسكون — اما انطونيو فكان يتناوم حتى رأى نفسهُ بمأمن من نظر الحرسة فأخرج اذ ذاك من جيبهِ كبَّة غزل ملفوفاً عليها خيط كتَّان رقيق للغاية ثم انتقى جُعَلًا كبيرًا — وهذا النوع يكثر في البلدان الحارَّة — ثم مكَّن جناحي الجُعل بقليل من القطران وربط حول جسم الحشرة احد اطراف خيط كبّتهِ

كان راميراس وولداه لاحظوا ذاك الراعي وهو يقترب من اسفل القلعة . فاخذوا يتتبَّعونهُ ويراقبون حركاتهِ الى ان وضع الجُعَل على صدر الحائط لكنَّهم لم يعرفوهُ تماماً حتى رفع رأسهُ الى فوق فحينئذٍ ارتعدت فرائصهم فرَقاً وهتفوا ! ابني : اخونا ! وودُّوا لو لم يكن طوَّح بنفسهِ في المخاطر

وكانت الدوَيبة في اثناء ذلك تصعد ساحبةً الخيط وراءَها وربَّما حاولت المرَّة بعد الاخرى التملُّص من وثاقها — اما انطونيو فاستأنف نومهُ المتظاهر وهو مضطرب البال قلق الافكار . تتبع عيناهُ خفيةً الخيط الذي كان علَّق عليهِ كل آماله . فكان يخاطب نفسهُ قائلًا : . . أيصل هذا الجعل الى فوق الى حيث ابي راميراس واخواي . . . أيفقهُ الحرسُ حيلتي المنزَّهة عن كل شر ؟ . . . ربي عليك توكلت خذ بيدي . انشل عبدك المسكين من هذا المأزق : انت السميع المجيب :

وفي اثناء ذلك كان العَسس يطوفون على مألوف عادتهم حول القلعة لكنهم لم يروا احداً سوى هذا الولد الراعي المسكين فما اعاروهُ بالًا ولا اكترثوا بهِ بل عدلوا ايضاً الى ظلّ شجرةٍ ليتَّقوا من حمارَّة القيظ

ان هذا المشهد الغريب قد ادهش راميراس اي اندهاش . فاخذ يتبع برغبةٍ سير الجعل حتى اذا وصل الى فوق جذبه اليه فرأى خيطاً دقيقاً فربطهُ . وأدرك ما قصدهُ ابنهُ انطونيو . فلمَّا كان المساء وغاب الحرس سحب الخيط فما لبث ان رأى خيطاً آخر اضخم يتبع الاول فمَحْلًا فحبلًا وفي طرفهِ النطاق الذي كان انطونيو متمنطقاً به على زي محزم

ولما ارخى الليل رواقه اخذ راميراس الحبل وأحكم رَبطهُ في قمة القلعة فنزل فرنسيسكو الاول . ثم تبعه دياغو ثم راميراس وكان انطونيو يرقب حركاتهم وقلبهُ يتنازعهُ عاملا الخوف والرجاء الى ان بلغوا الحضيض فاسرع الاب السعيد مع اولاده الثلاثة وقبَّلوا مخلّصهم وعيونهم تذرف الدموع فرحاً ثمَّ لاذوا بالفرار وكان انطونيو قد اعدَّ لهم في مزرعة قريبة جياداً مطهَّمة — فما مضى على الاب واولادهِ ثلاثة ايام الَّا وكانوا في المقبرة جاثين على ضريح امّهم قرينتهِ بازاء الصلوب الذي كان انطونيو قبَّل اقدامَهُ قبل ان يحاول نجاة والدهِ واخويه طالباً العون والقدرة والنجاح — فهناك قدَّموا الشكر للعزة الالهية على نجاتهم من وثاق الاسر وعادوا الى دارهم سالمين

# العنكبوت

## نظر طبيعيّ لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعيّ

لا يعرف معظم الناس من الحشرات الّا مضارَّها كأنَّ الشهرة منوطة بـأذى الهوامّ كما يشتهر في البلاد اصحاب السوابق وقطَّاع الطرق . ولسنا لننكر انَّ في جملة الهوامّ المنتشرة في ارضنا انواعاً ينظمها العموم بين الحيوانات الضارَّة ولكن كم بينها ايضـاً من الخشاش التي تخلو من كلّ أذى فضلاً عمّا بينها من الدوابّ التي تستحقُّ شكر الانسان لصلاحها واحسانها اليهِ

وربَّما جهل الانسان فضل الهوامّ لخمولها وصغر حجمها مع ما خصَّها بهِ الخـالق من العجائب ما عدا ما تؤدّيهِ لهُ من الخدم العديدة المجهولة منهُ . فما أعجب تركيبها وخواصّ اعضائها . وما اعجب سَعْيها في الارتزاق وفي ابتنائها مآويها واعشاشها . بل ما اعجب ما تقوم بهِ من الاعمال وتنتج من المحـاصيل . وأَعجِبْ بها في اوهامها الغريزيَّة . لعمري لا يستطيع ذوو الاعتبار ان يتأملوا كلّ هذه العجائب دون ان يمجّدوا الله فيها ؟

وبين الحشرات التي جمع فيها الخالق كثيرًا من هذه الميزات المدهشة جنس قائمٌ بذاتهِ يـدعوهُ الطبيعيُّون بجنس الرُّتَيْلاء (arachnides) وادخلوا فيهِ العناكب والعقارب ونحن نكتفي اليوم بالنوع الاوَّل اي ضروب العنكبوت

### وصف العنكبوت واشكاله وخواصه

لا مراء ان القارئ لدى استماعهِ اسم العنكبوت يتأفَف ويتقزَّز لِما تُصوّرهُ لهُ مخيّلتهُ من تلك الأَنسجة التي تمدُّ اشراكهـا في زوايا الجدران وتبسطها في سقوف البيوت وعليها ما عليها من الغبرة ودقائق الجير . على انَّهـا لا تخلو من الفائدة اذ تلتقط بها طعامها من الذباب والبعوض والبقّ فتخفِّف وطأتها عن صاحب الدار فضلًا عن كونها تدلُّهُ على كسل خدَّامهِ وتغافُل ربَّة البيت عن تنظيفهِ من الاوساخ

وليس العنكبوت البيتي هو الوحيد من جنسهِ فانَّ العنـاكب انواع متعدّدة منتشرة في الحقول تجدي معرفتها نفعاً ولذلك خصصنا بها درسنا هذا

وممَّا تمتاز بهِ العناكب عن اصناف الهوامّ التي في ارضنا كونها خالية من الاجنحة على خلاف معظم الحشرات التي تنبت اجنحتها عند بلوغها اشدّها كالذباب والجراد والفراش. فمنها ذات زوج من الاجنحة ومنهـا ذات زوجين او اكثر. وهذا لا يعوق العنكبوت عن الطيران اذا شاء كما سترى

وتمتاز العناكب ايضاً بقوائمها التي تبلغ اربعة ازواج بينما تقتصر بقيَّة الهوامّ على ثلاثة ازواج فقط. وليس هناك دليل على الترقّي الدرويني وانما هو احد اعمـال الخالق الذي ابدع الحيوان وخصّ كلًّا منهُ بصفاتهِ كما شاء

وكذلك العيون فانَّ للهوامّ عموماً زوجَ عيون فقط وان كان تركيبها من عدَّة عُيَيْنات صغرى ملتحمة ببعضها. امَّا العناكب فان لاكثر انواعها ثمـانية ازواج من العيون مركَّبة في اقسام بدنها المختلفة في جهات الرأس وفي الصدر. ومَنْ للبشر ان يحظوا بجواسّ باصرة وراء الرأس مثلها! وكيف دروين بفضل مذهبهِ لم يمتّعنا بذلك؟ فاين ترقيهِ المزعوم؟

وزد على ذلك انَّ الهوامّ التي تنسج لنفسها شرنقةً لتبيت فيها في فتاء سنّها تمجُّ نسيجها من فيها امَّا العنكبوت فيفرز خيوطهُ الحريريَّة من وراء. فلهُ في موٴخر بطنهِ ثقوب دقيقة يُلقي منها خيوطهُ متى شاء ويتشبَّث فيها ليطير في الفضاء

والعَنكبة وهي انثى العنكبوت رؤومٌ لنسلها تُظهر حنانها على صغارها بما تُعدّ لهم من الفراش الوثير وفي معظم انواعها تعاين الامّ نشأة بنيها وتجعل ظهرها مركباً لهم يعلونهُ مدَّة عدَّة اشهر بعـد مولدهم بعكس اغلب الهوامّ التي تموت بعـد وضعها بقليل الَّا البعض منها

وان دقَّقنا النظر في قبائلها المختلفة وجدنا بعض اشكالها ذات قوائم غاية في الدقَّة وطويلة جدًّا يكفي احياناً صدمةٌ خفيفة لخلعها. وفي مركز هذه القوائم ترى جسماً نحيفاً يختلف عنها بصغر حجمه. ومنها ما يضخم جسمُها في وسط قوائمها الثاني. والبعض منها قصيرة القوائم الَّا انَّها خفيفة الحركة تطفر في سيرها طفراً

ومن العناكب ما جُهّزت شفرتُها العليا بكلّابتين مرهبتَين تحتويان احياناً مادَّة مسمّمة لاعدائها بل للانسان عينه. ومنها شكل ذو سنَّين منعطفين لا بأس بهما. ولغيرها زوجان من المحاجن في شفرتَيها العليا والسُّفلى بهما تُحسن الدفاع والهجوم معاً

كأنها مدجَّجة بالسلاح . ومن هذا الصنف شكلٌ معروف في هذه البلاد

دَعْنا الآن نصف الصنائع التي تزاولها العناكب وتبدي بمزاولتها حذقاً مدهشاً لا يبلغهُ أنطس الصَّنَعة واحذقهم

واوَّل ما تصطنعهُ ابريسمُها تنفذهُ من ٤ الى ٦ حلَمات تُرى في طرف بطنها وكلُّ حلَمةٍ تتألَّف من مَسَامّ عديدة يسيل منها ذاك اللُّعاب اللزج ثمَّ تسحبهُ بقوائمها فيصبح خيطاً غاية في الدقَّة تنصبهُ لصيد الهوامّ او تجعلهُ كيساً تصون فيهِ بيضها او تمدّهُ في الهواء كجسر تسير عليهِ او كعمودٍ ترتفع فوقهُ على اختلاف اجناسها

ولا يُعرف خيطٌ ادق من خيط العنكبوت ولذلك يتَّخذهُ العلماء كشبَك لبعض الآلات الفلكيَّة البالغة الدقَّة والضبط . وقد حسب العلَّامة الفرنسوي مِلْن ادوردسْ في كتابهِ عن الحيوان انَّ عشرة الاف خيطٍ من خيوط بعض العناكب هي اذا جُمعت ادقّ من احدى شعرات رأسنا

ومع دقَّة هذا النسيج يقدر العنكبوت ان يفرز من جسمهِ خيوطاً يبلغ ثقلها من عشرة غرامات الى ١٥ غراماً اعني ما يوازي نحو مئة مرَّة ثقل الحشرة عينها . ولمَّا عاين العلَّامة الطبيعيّ الشهير لاسيپاد (Lacépède) عنكبوتاً ينسج شبكتهُ على باطن زجاجةٍ صقيلة الجدار بعث فيهِ هذا النظرُ الرغبة في درس عجائب الطبيعة فصار احد علمائها المبرّزين وصِنوًا لكوڤيه معاصرهِ النابغة

وتختلف طُرُق صيد العنكبوت لغذائهِ فانواع كثيرة تنسج خيوطها على صور هندسيَّة عجيبة لا يفلت منها الذباب والفراش والبعوض اذا وقع في أشراكها . ومنها انواع تلطأ في ثقب من الارض تراقب فريستها فاذا اقتربت منها هامَّة ألقت عليها حبالها اللزجة فتكبّلها بها ثمَّ تمتصُّ لحمها على فراغ . ويعيش غيرها في شقوق الحيطان او في وسط الحشيش لا تحتاج الى نسيج لصيد غذائها

ومن أعجب مصنوعات العنكبوت تلك الاكياس الناعمة التي تودع فيها بيضها رجاء نسلها . وهذه الاكياس تكون تارةً على شكل قبَّة هوائيَّة مركَّبة من أطلس متموّج ذي نسيج لزِز الحلقات متين لا ينفذ فيهِ الماء . وتارة يشتغلها العناكب على صورة جُلَل مستديرة كحبوب من الحرير ليّنة المسّ ناعمة . وحيناً تصطنعها كاللبَّاد الكمد اللون تلصق في وسطها دقائق الورق والرمل والحشيش . وهذه الاكياس

تحيكها حتَّى العناكب التي لا تتصيّد بنسيجها وانَّما تجعلها مهدًا لصغارها

وقد سعى اهل بعض البلدان باتخاذ نسيج العناكب لحاجاتهم . فقد اخبر المرسلون والسيَّاح انَّ اهل بلاد باراغواي في جنوبيّ اميركة كانوا ينسجون في القرن السابع عشر ثياباً من خيوط صنفٍ من العنكبوت يُدعى بلسان العلم (Epeira socialis) . وقد ورد مثل ذلك في تواريخ الصين والهند وافريقية الغربيَّة حيث ذُكرت في الاجيال السالفة انسجة مصنوعة من حرير العنكبوت . وجاء في تاريخ فرنسة أَن رئيس دفاتر الحسابات في مدينة مونپليه استخرج في سنة ١٧٠٨ من انسجة صنفٍ من العنكبوت يدعوهُ العلماء (Epeira diadema) كميَّةً وافرة اصطنع بها بعض ازواج من القفافيز والجوارب

وأقرب منَّا عهدًا ما اختبرهُ احد الآباء اليسوعيين وهو الاب كمبوه (P. Cam-boué) المرسل في جزيرة مدغسكر فوجد هناك شكلًا من العناكب عُني بتربيتهِ وتنميتهِ فكان يستخرج في تحليل نسيج عنكبة واحدة من ثلثمائة الى اربعمائة متر من الحرير المتين ثمَّ يكرّر ذلك اربع وخمس مرَّات كلَّ عشرة ايام . فكان الحرير المجموع من هذه العناكب ذا لون ذهبيّ جميل وغاية في المتانة

وكان الاب اتَّخذ لهذه العناكب صندوقاً نظَّمها فيهِ ثم جعل وراء ظهرها مكبَّة (حلَّالة) ميكانيكيَّة تسحب الخيط من ظهر العناكب فكانت كلّ أُنثى تفرز من ١٦ الى ٤٠ مترًا من الحرير الاصفر الضارب الى الحمرة وكان اذا انتهت الدويبة من افرازها يقطع خيطها ويطلق سبيلها فتذهب الى قرنة معدَّة لها حيث تجد كميَّة وافرة من الذباب والبعوض فتفترسها بنَهَم . وقد ورد كلّ هذا الوصف في مجلَّة الكوسموس العلميَّة (Cosmos, 17 Avril 1913) . وقد يُتَّخذ هذا النسيج الذي هو اخفُّ من الحرير كصوان للمناطيد والمراكب الهوائيَّة لحراسة غلافها الخارجي

فلا مراء بانَّ العنكبوت نسَّاج ماهر وليست هذه صفتهُ الفريدة فانَّ لهُ في المزايا الحسنة ما يشفع بقبح صيتهِ وها نحن نعدّد مناقبهُ

## ١ العنكبوت المهندس

قل لي رعاك الله أَما شاهدت مرارًا في مسيرك في الحقول او في جنينة دارك

تلك الانسجة الممتدَّة بين الاعشاب والمحيكة على صورة شبكات دقيقة . فأفحصْها عن كثبٍ تجلبْ لبَّك بحسن هندستها . فهناك نقطة مركزيّة تخرج منها عدَّة خيوط كالاسهم وهذه الخيوط تثبتها خيوط اخرى على شكل الدوائر بغاية الضبط . فليت شعري ايُّ مهندسٍ يستطيع عملًا كهذا لا يخلُّ ذرَّةً عن القواعد الهندسيَّة في استدارتهِ حول مركزهِ وضبطِ سعة دوائره وزواياه الحادَّة المتساوية ولو كرَّر شغلهُ مرارًا ما لم يستعِنْ بالقاعدة والبيكار . امَّا العنكبوت فدون علمٍ سابق وبلا آلةٍ البتَّة يباشر عمله بوضع مركزٍ ينسجهُ بخيطٍ أغلظ ثم يمدُّ خيوطهُ بنظام عجيب ويقسم الدائرة اقساماً معدودة حسب اجناس العناكب . فلكل جنس زوايا لا تختلف درجاتها فمنها ٢١ درجة ومنها ٣٢ ومنها ٤٢ دون زيادة ولا نقصان . ثم يعود الى المركز فيعلّق خيطاً جديدًا يديرهُ حول المركز ويناطهُ بالخيوط المسهَّمة ويزيد سعة الدوائر كلَّما ابتعد عن المركز على قياس الدائرة المعروفة عند العلماء بالدائرة اللوغرثميّة او هي بالحريّ كما قال العلّامة فابر خطٌّ متعدّد الزوايا (لأنَّها قائمةٌ شعاعٍ الى آخر) مرسوم في وسط دائرة يقطع في وسط دائرةٍ لوغرثميّة كلَّ الاشعّة بزوايا شبيهة الاقيسة

فكل هذه العجائب الهندسيّة يقوم بها العنكبوت لاوَّل وهلةٍ بلا دليل ولا معلّم منذ اوّل إفرازهِ لنسيجهِ . ومن العناكب اجناسٌ تردد كل مساء ما بقي من نسيجها وتعود في اليوم التالي الى تنسيقهِ جديدًا . فيا حبّذا المهندس !

## ٢ العنكبوت التلغرافي

بين قبائل العنكبوت المهندس والنسَّاج عشائر تستخدم التلغراف السلكيّ . وليس كلامنا هنا عن العناكب التي تلطأ في وسط نسيجها فتقف افريستها بالمرصاد طول نهارها فان هذه تشعر بادنى حركة في نسيجها وتخطف صيدها كالبرق . وانَّما يوجد اصناف أُخر تحيك شبكتها وتبتعد عنها امَّا احتجاباً من النور الباهر وامَّا خوفاً من حرارة الشمس وهي اعلم بسرّها . ويبتعد بعضها عن اشراكها الى مسافة متر ومترين وثلاثة امتار فتلبدُ في الظلّ دون حراك كأنَّها نائمة . فكيف تعلم يا تُرى أوقعت في فخاخها حشرةٌ ام لا ؟ فدونك صنيعها فانها اذا نسجت شبكتها الهندسيَّة علّقت رجلها بخيط تربطهُ بمركز الشبكة وتسحبهُ الى مكان استظلالها فاذا مسَّ ذُباب او

هامَةٌ ما شبكتَها شعرت بذلك حالًا وركضت الى فريستها الناشبة في النسيج وافترستها . فهذا سلكها التلغرافيّ الذي يوقفها على نشوب صيدها في الفخ ولو قطعتهُ لَما علمت بهِ مطلقاً مهما هزَّ الصيدُ الشبكة

## ٣ العنكبوت صانع الغراء

هذه مزيَّة ثالثة خُصَّ بها العنكبوت فانَّهُ لا يصطنع فقط شبكةً ذات لُحمةٍ وسَدًى بل يطليها بغراء لَزِج اذا احتكَّ بهِ ذبابٌ في طيرانهِ لصق بدِبْقهِ ومهما سعى في النجاة منهُ زاد ارتباكه فيأتي العنكبوت فيلفُّهُ بنسيجهِ لينجو من شرّهِ بدفاعهِ عن نفسهِ ويسحبهُ الى ثقبهِ حيًّا فيمتصُّهُ ويغتذي بهِ هنيئاً مريئاً

قال المسيو فابر نابغة علم الحشرات انَّ خيط العنكبوت احد اسرار الطبيعة فانَّهُ مع دقَّتهِ الغريبة هو مثقوب اسطوانياً فترشح من وسطهِ مادّة لزجة غرويَّة تلتصق بها فريستهُ كما ترى العصافير المصيدة بالدبق التي يزيد تغرّيها على قدر حركتها . فالعنكبوت يصيد ايضاً بالدبق . وان سألت وكيف لا يلصق العنكبوت بدبقه ؟ هنا سرٌّ آخر . أفما رأيت الغلمان الذين يصيدون بالدبق فانّهم لا يعالجون الدبق الّا بعد ان يمسحوا ايديهم بقليل من الزيت . ففي قوائم العنكبوت زيتٌ طبيعيّ يصونهُ من لزوجة نسيجهِ . ولعلّ هذا الزيت هو الذي يمكّن بعض العناكب من الصيد على البِرَك فتسير على الماء بسرعةٍ كسيرها على الارض

## ٤ العنكبوت البهلوان

هذا فنٌّ آخر تَتفقهُ بعض العناكب ليس جنسها الاسود الذي يلطأ بثقوب الارض ولا الجنس الذي يمدّ خيوطهُ في زوايا البيوت. لكنَّ جنساً آخر نحيفاً خالياً من كل أذى ذا الوان لطيفة يعيش فوق الاعشاب او يعلو فوق اغصان الشجر . ولعلّك سرتَ بين النبات او اوراق الشجر فلحظتَ عنكبوتاً يثب على ثيابك فتنفضهُ فيسقط واذ تظنُّهُ صريعاً على الارض فاذا بهِ قد تعلّق بردن ثوبك فانَّهُ في حال سقوطهِ أنفذ خيطهُ الى ذراعك بلمحة عين وتشبَّثَ بهِ طائرًا في الهواء . فتعمد الى قطع خيطهِ باصبعك فيلصق الخيط بالاصبع ويمتدّ الى الارض فيجري العنكبوت عليه ثمَّ يطفر من الارض ثانية الى

ردنك . وان طلبت خيطهُ لم تجد لهُ اثرًا فان العنكبوت ابتلعهُ بذات سرعتهِ في افرازهِ . فللّه درُّهُ من بهلوان يرقص على حبالٍ هو ينتجها ويمدُّها ويطفر فوقها ثمَّ يلتهمها ليفرزها ثانية عند الحاجة فلا تُفقَد ضائعةً

ثمَّ انظر الشجر فربَّما تعاين بين اغصانها خيوطاً من نسيج العناكب فتراها تسير فوقها مسرعةً وتتناقل عليها بكل طمأنينة كما نسير نحن على أمكن الطرق وأرحبها . وكيف نصبت تلك الأخياط ? أنزلَتْ من شجرةٍ فسحبت خيطها ثمَّ رقيَتْ الى شجرةٍ اخرى لتمدَّهُ بينهما ? كلَّا ثمَّ كلَّا . بل هي تُلقي نفسها من علٍ وتمدُّ خيطها في هبوطها ثم تصعد عليها وتمكنهُ بخيطٍ ثانٍ ويبقى الخيطُ المبرم في الفضاء من طرفه الاسفل فاذا هبَّ الهواء نقلهُ الى شجرةٍ اخرى وعلَّقهُ باغصانها فأصبح جسرًا ممدودًا تجري عليهِ العناكب او تتَّخذهُ كمدماكٍ اوَّل لبناء نسيجها

## ٥ العنكبوت الطيار

أصحيح انَّ العنكبوت يطير وهو خالٍ من الاجنحة ? ولِمَ لا يطير كالانسان وهو ايضاً لا اجنحةَ لهُ . على انَّ الانسان يتصاعد في الجوِّ بقوَّة المحرِّكات اما العنكبوت فلا حاجة لهُ الى محرِّك بل يحلِّق في الهواء ويتجوَّل فيهِ ويكفيهِ لذلك خيطهُ فهذا الخيط لدقَّتهِ وخفَّتهِ يرتفع بفعل الهواء ويطير العنكبوت معهُ محمولًا عليهِ كمركبةٍ هوائيَّة

ومن غريب ما يُعرف عن بعض اجناس العنكبوت في اوَّل حياتها انَّ الاناث تلدها بيضاً ثمَّ تودعها في اكياس تحيكها او تُركبها على ظهرها على حسب اجناسها وربَّما بلغ عددها المئات فيبقى ذلك النسل اشهرًا في اكياسهِ او على مركبتهِ الى ان يبلغ اشدَّهُ ويحتاج الى سعةٍ في مبيتهِ ومعاشهِ . فيفرز الصغارُ اذا ترعرعوا لاوَّل مرَّة خيطاً نهاية في الدقَّة لا يكاد يكشفهُ مجرَّد النظر وهذا الخيط يمتدُّ في الفضاء لأدنى حركة من الهواء بل لأخفّ تموُّجات الجزرة الارض عند طلوع الشمس فصغار العنكبوت ترتفع مع ذاك الخيط فتراها تتجوَّل في الفضاء كأنَّها طائرة لا سند لها فتتبع هَبوات الجوّ وتتفرَّق ايدي سبا الى حيثما تسير بكلٍّ منها عناية الخالق ليرتزق ويعيش . ولعلَّ ارتفاع اولئك العناكب في الهواء انَّما هو حرارةٌ في جسمها تعلو بها الى

الفضاء او ينفذ في ثقب خيطها الدقيق شيء من الحرارة يمكّنها من الطيران. وكلّ هذا من اسرار الطبيعة وما لاخلاف فيهِ ان العناكب الصغار تتجوَّل في الهواء وتبلغ الى مسافات بعيدة عن مولدها

## ٦ العنكبوت الجامع للقوى الحيوية

لا يسعنا ان نختم كلامنا عن العنكبوت دون ان نفحص ما خوَّلتهُ الطبيعة من خاصةٍ لا يزال الطبيعيُّون ساعين في البحث عن سرّها نريد بذلك ما خُصَّ بهِ صغارهُ من اكتناز القوى الحيويَّة وحفظها دون طعام . فكم من الناس يودُّون لو استطاعوا ان يكتنزوا فيهم قوًى مثل هذه فيستغنون عن الغذاء اليومي. وقد رُوي عن بعض الكيمويين انهم يهمُّون لوضع اقراصٍ يودعونها لباب اطعمة تكفل بحفظ القوَّة في آكليها زمناً طويلاً . وما لم يكتشفهُ البشر الى يومنا قد اعتادهُ العنكبوت منذ مولدهِ وهو يستطيع ان يعيش اشهراً دون طعام

قلنا انَّ انثى العنكبوت تودعُ نسلها في اكياس حريريَّة من نسيجها. وذلك نحو شهر ايلول وربمَّا احتوى الكيس من مئة الى ٥٠٠ بيضة على حسب انواعها . وما يلبث هذا البيض ان ينقف بعد اسابيع قليلة فماذا يصيبها أيا تُرى؟ أتخرج من مشيمتها بعد تمزيقها ؟ ولكن كيف يمكنها ان تقاسي تقلُّبات جوّ الخريف وبرد الشتاء ؟ وكيف تُصيب معاشها في ذلك الفصل الذي به تموت الهوامّ ؟

فاستدراكاً لهذه الاخطار انظر ما اعدَّتهُ الطبيعة لحفظ تلك المواليد فانَّ نسل بعض اجناس العنكبوت بعد نقفهِ يلزم مشيمةَ مولدهِ ويبقى فيها مع حَرَجها الى اواخر الشتاء واوائل الصيف في ايَّار وحزيران فحينئذ تنفتح المشيمة ويفلت الصغار

وفي اجناس أُخرى يخرج الصغار من مشيمتهم في الخريف لكنَّ الامّ تبسط ظهرها لهم وتحملهم الى الشمس ليستدفئوا بحرارتها وربمَّا تزاحموا على ظهرها فيسقطون على الحضيض لكنَّهم يتشبَّثون بقوائم امّهم فيعودون الى منصَّتهم

على انَّ هنا مشكلاً آخر . كيف يعيش هؤلاء الصغار سواء بقوا في كيسهم الحريري ام ركبوا مَتْن والدتهم ليتشمَّسوا اذ لا عيشة للحيوان الَّا بالاغتذاء ؟ نعم انَّ هذا الغذاء يختلف كميَّة في وقت راحة الحيوان او في شغلهِ كما ترى في الدبّ وبعض

الحيوانات التي تصرف فصل الشتاء في نوع من السُبات تستطيع ان تحيا زمناً طويلاً دون طعام الّا انّها تصرف في تلك المدَّة ما اكتنزهُ بدنها من الدهن . امَّا هذه العناكب فليس لها في جسمها ما تغتذي بهِ مدَّة السبعة او الثمانية اشهر التي تقضيها في اكياسها او فوق ظهر امّها فمن اين لها تلك القوَّة الحيويَّة ? قد فحص المسيو فابر هذا السرّ بكل تدقيق ولم يجد لهُ حلًّا الَّا بقولهِ انَّ هذه الحيوانات تستمدُّ قوَّتها الحيويَّة من حرارة الشمس سواء تعرَّضت لأشعَّتها رأساً فوق ظهر الام او نفذت تلك الاشعَّة في اكياسها وقوَّت اجسامها

ثمَّ أثبتَ قولهُ بمثل مواليد الطبيعة من النبات او الحيوان وبيَّن فعل حرارة الشمس فيها . ألاَ ترى كيف ينتعش الشيخ الطاعن في السنّ والشابّ المنهوك القوى اذا تعرَّضا للشمس ومثلهما الحيوانات المتجمّدة بالبرد وبيضها اللاصق بالارض وكذلك حبوب النبات المدفونة في التربة فانَّها كلها تقتبس حياةً من الشمس . وقد اثبت العلماء انَّ الشمس هي مورد كلّ حياةٍ في ارضنا . والقوَّة الحيويَّة التي تصدر منها تتراكم وتكتنز في نبات الحقل وفي اشجار الغابات وفي مياه البحار وفي التربة وفضاء الجوّ حتى في الجليد عينهِ . وهذه القوَّة الحيويَّة تلوح للانسان من حيث لم ينتظر فانَّ الفحم المعدني الذي يستخرجهُ اليوم من اعماق الارض قد تكوَّن بفعل هذه الحرارة . ومثلهُ تلك الانهار التي يحرّك بقوَّة مياهها معاملَهُ وتسمَّى بالفحم الابيض هي ايضاً من مفاعيل الحرارة المستبطنة فيها فيستعين بها الانسان لسائر اشغالهِ فتلوح هنا على صورة حرارة وهناك على صورة نور وفي موطن آخر على صورة كهرباء

فلا عجب اذن ان يُقال انَّ العناكب أيضاً تستمدّ قوَّتها الحيويَّة من الشمس فتحيا وتتنفَّس وتتحرَّك بفضل حرارتها دون ان تحتاج الى التعويض عمَّا تفقدهُ من القوَّة الى غذاء آخر

فما اعجب اعمال الله الذي يظهر حكمتهُ في جميع كائناتهِ ليس الكبيرة فقط بل في هذه الالوف المؤلفة من الحشرات التي تقطن في كلّ نقطة من عالمنا

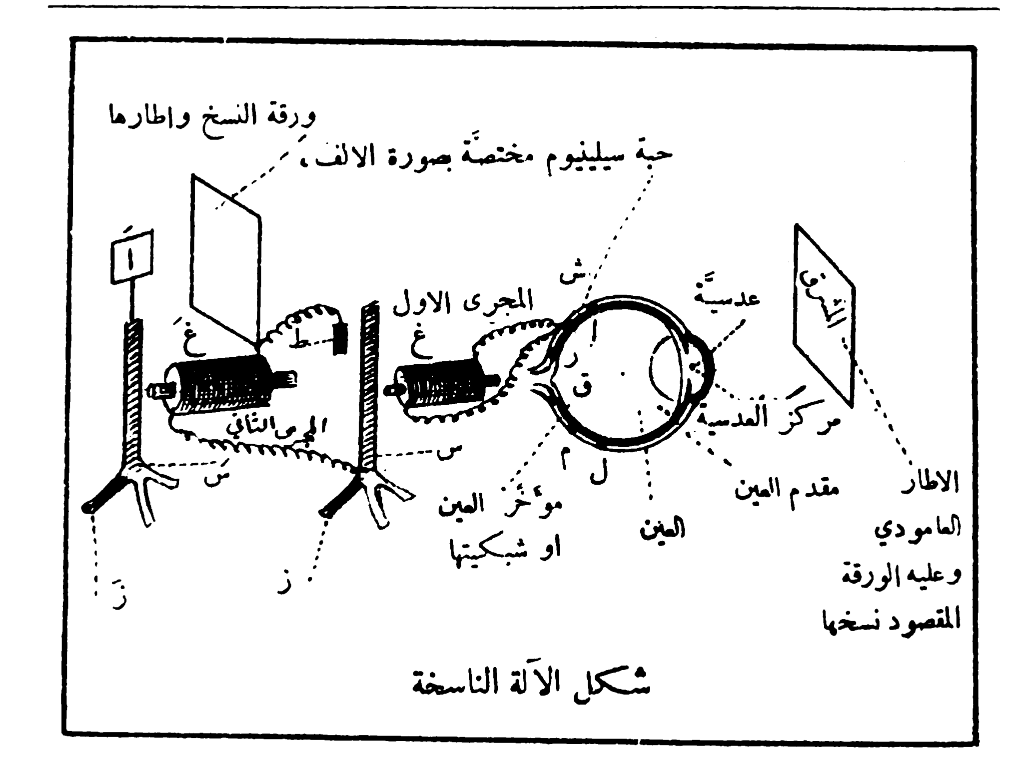
# الآلة الناسخة

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعيّ

لقد اخترع الانسان في القرن السابق وفي اوائل جيلنا الحاضر مئاتٍ من الآلات المتنوّعة التماساً لترويج اعمالهِ ولزيادة اتقانها فضلًا عن كونهِ يستغني في تشغيلها كليّاً او جزئيًا عمَّا كان يحتاج اليهِ سابقاً من العَمَلة . وهذه لعمري نعمةٌ عظيمة نال بها تخفيفاً لعنائهِ في ما لا يُحصى من ضروب الاشغال والمصنوعات . فكم من هذه الاختراعات العجيبة التي فتنت عقول الناس في اوَّل ظهورها ثم زال عجبها بعد انتشارها لشيوعها وابتذالها . فهذا التلغراف الناقل بسرعة البرق حتى بلا سلك ما جرى في احد البلاد الى اقاصي المعمور . وهذا التلفون الباعث الصوت الحيّ بكل نبراتهِ ونغماتهِ الى مسامع اهل البلاد السحيقة . وهذه السيَّارات تسبق اسرع الجياد وتنهب المسافات نهباً في المدن والارياف والجبال والوديان طوع بنان راكبها . وهذه الطيَّارات فتح بها الانسان مملكة الهواء المنيعة فطار في كلّ ارجائها شرقاً وغرباً معلناً بسلطانهِ المطلق عليها

ودونك آلةً مستحدثة تأتي بعملٍ دقيق يقتضي بذل القوى العقليَّة فكأنَّ مخترعها نفخ فيها شيئاً من إدراكهِ وفهمه . وهي لا تزال محصورة في نطاقٍ ضيّق لكنَّها لن تلبث ان تُصبح أُحدوثة الخاصَّة والعامَّة نريد بها الآلة الناسخة من تلقاء نفسها وهو تعريب اسمها الاصلي بالانكليزيَّة (the autocopist) . والغاية المقصودة من استنباطها هي وفقاً لاسمها نسخ الكتابات أيَّةً كانت بشرط ان تكون مطبوعةً او مكتوبةً على الاقلّ بالة الكتابة الشائع استعمالها اليوم في كل البلاد شرقاً وغرباً حتَّى اوشكت ان تُعَدّ من جملة الحاجيَّات التي لا غنى عنها

نشأ اختراع الآلة الناسخة في اميركة بلاد العجائب منذ سنين قليلة لكنَّنا لم يمكنَّا ان نقف على اسم مخترعها الذي يستحقُّ كل ثناء على ما ابتدعهُ . ولا شكّ انَّ القارئ اذا سمع بوجود آلةٍ كهذه يتصوَّرها معقَّدةَ التركيب كثيرة الادوات كبعض الساعات الميكانيكيَّة . ولو صدق ذلك الوهم الطبيعيّ لَما وجب ابتخاسُنا لقدر آلةٍ




شكل الآلة الناسخة

تقوم بعمل كالناسخ دون ان تمسّها يد الانسان ولو تعدَّدت واشتبكت ادواتها . على انَّ الامر في الحقيقة ليس كذلك وانَّما هذه الآلة مبنيَّة على مبدإٍ بسيط وليس في تركيبها اشتباك كبير كما سترى . فليتفضَّل القارئ ويُعِرْني مدَّة بضع دقائق اذناً صاغية فأُوقفهُ على كنه هذه الآلة الناسخة بحيث يحيط بتجهيزها علماً ويجني من ادراك سرّها لذَّةً عقليَّة وافرة

تصوَّرْ إطاراً عمودياً تُرْكَز عليهِ ورقة مطبوعة او مكتوبة بالآلة يُراد نسخها ( انظر الشكل ) . وعلى مسافة معلومة من الإطار عَيْناً معدنيَّة في وسطِ مُقدَّمِها المحاذي لهُ عَدَسيّة . وللاطار حركتان ذاتيَّتان الاولى عموديَّة من اسفل الى اعلى لترفع كل سطر الى علوّ مُستوَى مركز العدسيَّة . والثانيَّة افقيَّة تتجَّه من اليمين الى اليسار في نسخ الكتابات الاوربيَّة ومن اليسار الى اليمين للكتابات الساميَّة كالعربيَّة وما شاكلها . فيمرّ السطر بتمامهِ امام العدسيَّة ويجعل كل حرفٍ من حروفهِ بازاء مركز العدسيَّة فترسمهُ الآلة الناسخة

امَّا كيف يتمُّ ذلك فبتحديد البَوْن الفاصل بين الاطار والعدسيَّة ثمَّ البون

الحائل بين العدسيَّة وموُّخر العين او شبكيتها . فقد حُدّد كلاهما بأدقّ ضبطٍ بحيث ترتسم صورة كلّ حرف مكبَّرةً على الشبكيَّة لدى مثولــهِ تجاه العدسيَّة . وقد لحظ المخترع النِحرير انَّ حروف الهجاء اللاتينيَّة المستعملة في معظم لغات الشعوب المتمدّنة اذا صُفّ الواحد منها فوق الآخر كان لكل منهــا على الاقلّ نقطةٌ واحدة لا تغطّيها بقيَّةُ الاحرف . ويسهل على من شاء من قرَّائنا ان يحقّق ذلك بالاختبار في احرف الهجاء الفرنسويَّة او الانكليزيَّة اذا رَسم الواحدَ منها فوق الآخر تماماً على شرط ان يُتقن كتابتها ويجعلها كلها على حجم واحــد كبير ليسهل تمييز كل حرف عن سواه . فمن اجرى هذه العمليَّة السهلة وجد انَّ لكلّ حرفٍ على الاقلّ نقطةً مختصَّة به دون غيرهِ

ومن البديهيّ ان ذلك يتحقّق ايضاً في صور تلك الاحرف التي تتصوَّر مكبَّرَةً على شبكيَّة الآلة الناسخة اعني انَّ كلَّ حرف تمتاز صورتهُ بنقطةٍ على الاقلّ لا تغطّيها بل لا تمسُّها قطعاً صورُ بقيَّة الاحرف . فلنفرض مثلًا انَّ لفظة «المشرق» مُثلت تجاه العدسيَّة فيرسم كلُّ حرفٍ من حروفها صورتَهُ بالتنــاوب مكبَّرةً على الشبكيَّة ويبرز الالف مثلًا بنقطةٍ معلومة «أ» خاصَّة بهِ (انظر الشكل) ومثلهُ الاحرف الاخرى «ل» «م» «ش» «ر» «ق» التي لكل منها نُقط مميَّزة لها . وهذا احد اركان الآلة الناسخة لولاهُ لعجزت الآلة عن القيام بوظيفتها الصعبة

وهاك رُكنَهــا الآخر . في النقطة المختصَة بصورة حرف الالف حبَّةٌ من معدن السِيلينيوم قد رُكبت في الشبكيَّة واندمجت بها اندماجَ فصٍّ من الماس في دائرة خاتمٍ ذهبيّ معدَّة لهُ . وكذا قل عن حروف ل م ش وبقيَّة حروف الهجاء فانَّ في النقطة الخاصَّة بكل منها في الشبكيَّة حبَّةً من السيلينيوم . والسيلينيوم هذا معدنٌ مكتشف من عهدٍ قريب لهُ مزيَّة غريبة وهي تأثيرهُ في قوَّة المجرى الكهربائي . فاذا وُجد في احد اجزاء دائرة ذلك المجرى زاد او أنقص قوَّةَ ذلك المجرى بنسبة زيادة او نقصان النور الوارد اليهِ . وذلك هو المبدأ الثاني المبني عليه اختراع الآلة الناسخَة الاميركيَّة

فلنفرض الآن انَّ اوَّل حرف من لفظة «المشرق» المائل تجاه العَدَسيَّة رسم صورتهُ السوداء على الشبكيَّة . فسوادهُ يغطّي حبَّــة السيلينيوم «أ» دون سواهــا وبسبب نقصان النور الوارد الى هذه الحبَّة نقص المجرى الاول الذي هي مُدرَجة في دائرته . فبناء على ذلك تضعف قوّة الملَفّ المغناطيسي (électro-aimant) (غ) الذي

كان من برهةٍ جاذباً للساق الحديدية (س) فتميل عنه الآن الى اليسار (على رسمنا) بقوّة الزنبرك (ز) فتلتصق بقطعة معدنيَّة (ط) مندمجة في دائرة مجرًى كهربائي ثانٍ تمرّ بالساق (س) . تلك الدائرة التي كانت مانعة بانقطاعها لمرور المجرى كما يتَّضح من معاينة الرسم تمكّنهُ الآن من سيرهِ حيث اتصلت بالتصاق القطعة (ط) والساق (س) . وبقوّة هذا المجرى الثاني يتمغنط المِلَفّ المغناطيسي (غَ) فيجذب طَرَفهُ الايسر الساقَ الحديدية (سَ) التي كانت حائدة عنه قبلًا بفعل الزنبرك (زَ) . وفي اثناء حركة تلك الساق المجذوبة ينطبع حرف الالف الذي في اعلاها على ورقة النسخ المركوزة على اطارٍ معدني والمتحرّكة كالاطار الاوَّل بحركتين ذاتيّتين عمودية من تحت الى فوق وافقيّة من اليمين الى اليسار او من اليسار الى اليمين . والآن اذا تصوَّر القراء ان لكل من حبَّات السيلينيوم المندمجة في شبكيّة العين مجرَيَيْن كهربائيَّيْن كالسابق وصفُهما وان الاحرف المختلفة المركوزة في طرف السيقان المجانسة للساق (سَ) تتّجه في حركة كل ساق الى نقطة واحدة وهي نقطة ورقة النسخ المعدّة بحركة اطارها لطبع الحرف المتحرّك فقد وقفوا وقوفاً كافياً على سر الآلة الناسخة . فهل بالغنا بقولنا انها بسيطة المبدأ والتركيب نظرًا الى صعوبة العمل المطلوب منها ؟

بقي علينا الان لئلا نُنسَب الى المغالاة واخفاء بعض الحقيقة ان نشير الى العوائق التي وجدها المخترع الاميركي في طريقهِ وحالت دون رغبتهِ في جعل آلتهِ الناسخة كاملة الأهبة سريعة السير جزيلة الفوائد . واهمّها فتورٌ خفيف في حبَّات السيلينيوم المندمجة بشبكية العين عند القيام بوظيفتها الموصوفة آنفاً . وذلك لسببين الاوَّل لان الصورة السوداء المارَّة بها لا تؤثّر عليها فجأةً بل تقتضي وقتاً يسيرًا لإحداث مفعولها في السيلينيوم وبواسطتهِ في المجريَيْن التابعين لكل حبّة . ومن الواضح ان ذلك يقلّل سرعة سير الآلة حيث يلزم لنسخ كل حرف ايقافُ الاطار الاول مدّةً كافية ليست لمحة عين كما يُرجى . والسبب الثاني ان تأثير الظِلّ على حبَّات السيلينيوم كما يحدث تدريجاً كذلك يتلاشى بالتدريج . فينتج عن هذا ان الحرف «ا» مثلًا (أُنظُر الشكل) يميل الى الموضع المناسب من ورقة النسخ ويبقى ملتصقاً به برهةً تُذكر وذلك سبب آخر لبطوء سير الآلة — على كل حال فبغضّ النظر عن سرعة حركتها يسوغ التصريح بانها تامّة الجهاز قادرة ولو بتمهّل على اتمام عمل صعب كالنسخ لم يخطر على بال العلماء

والخبراء انفسهم إمكان تفويضه الى آلة صمّاء فتقوم به خير قيام وإن بطيئاً

هـذا ولاننا سمعنا اول مرّة بهذا الاختراع المدهش حول السنة ١٩١٦ فـلا يُستبعَد بل يُرجّح ان يكون صاحبهُ الحاذق اللوذع كرّر تجاربهُ وابتكاراته المتنوعة فتوصّل بها الى غاية مناه. وان صحّ حدسُنا هذا فانّ الآلة الناسخة مزمعة ان تؤدي متى عمّ انتشارها وقلّ ثمنها بنسبة تعمّم استعمالها خدماً لا تحصى في كل فروع السعي البشري. اجل انها عاجزة عن نسخ المخطوطات ولكن مَن يجهل في جيلنا ان ملايين من الرسائل التجارية والمؤلفات المرسلة للمطابع وكتابات كثيرة غيرها تكتب يومياً ليس بالاقـلام بل بالآلات المعروفة. وكم تمسّ الحاجة الى نسخها كليًّا او جزئيًّا فيستغرق ذلك وقتاً طويلاً ويستلزم خصوصاً في التجارة زيادة نفقات يُعتدّ بها. وكل هذه المحاذير تخفّ كثيراً اذا انتشر استعمال الآلة الناسخة فهي تشتغل بدون اجرة بل لهـا على شغل الانسان مزيّتان غريبتان اخريان الاولى انهـا تقرأ المتن المراد نسخهُ وتنسخهُ في آنٍ واحد وذلك ما يفوق اقتدار امهر النسّاخ. والثـانية انّ نَسْخها خالٍ من الغلط لا يشوبهُ ادنى خطـأ ومن منهم يتجاسر على مفاخرتها في ذلـك الكمال الممتنع ؟

ثم اننا نريد قبل ختم هذه المقالة ان نوضح الفائدة العظمى الناجمة للعلماء والعلم من استخدام الآلة الناسخة. لا يخفى على كل مطّـلع ان العلم العميق لا يُكتسب بمجرد استخدام العين في قراءة الكتب المفيدة بل ايضاً باستخدام اليد في تقييد بعض فوائدها ائلا تزول سريعاً من ذاكرتنا القاصرة. واجلى شاهـد على سداد هذه الخطّة العادةُ الجارية عند كل علماء الخافقَيْن فمـا منهم واحد الّا وفي مكتبه اكداس من المقيَّدات المنقولة من مصادر شتّى. فكم يقتضي ذلك النسخ المتواتر من الوقت الطويل وبذل القوى العقليّة الثمينة لعمل ماديّ اكثر ممـّا هو عقلي. فبانتشار الآلة الناسخة يكسب العلماء ليس اياماً بل شهوراً وسنوات من حياتهم الجزيلة الفوائد للنوع البشري اجمع فتزداد العلوم ترقّياً بازدياد الاشغال الآئلة مباشرةً الى ذاك الترقي

وقائلٍ يقول معترضاً: «لو كان شأن الآلة الناسخة جليلاً كذلك لطار صيتها في الآفاق والحال انها حتّى الآن خاملة الذكر». نجيب على هـذا أوّلاً انها ربما كانت حتى الوقت الحاضر في حاجة الى بعض التحسينات التي لا يزال المخترع دائبـاً على

ايجادهـا قبل عرض آلتهِ للبيع في مخازن بلادهِ وغيرها . ثانيـاً ان اهمّ واشهر الاختراعات حاضراً كالتلغراف والتلفون والفونغراف والسيّارات والطيّارات واخيراً لة الكتابة المجانسة نوعاً للآلة الناسخة بقيت في اول نشأتها نسياً منسيـاً ولم تخرج آمن عميق خمولها لتصعد الى عالم الشهرة والانتشار الّا بعد سنين عديدة . فـلا بد ان يكون ذلك السير التدريجي نصيب الآلة الناسخة ان قيّض الباري لمبتدعها ان يُبلغ اختراعهُ الى غاية الكمال

والآن بعد استيفاء الكـلام عن تركيب تلك الآلة وما كانت تقتضيهِ من التحسينات الجوهرية منذ نحو خمس سنوات وما يؤمل بشيوع استعمالها من عظيم الفوائد ولاسيما في عالمَي العلم والتجارة فلنُصعد ثناء عاطراً الى الخالق سبحانه تعـالى الذي خوّل الانسان قدرةً تشبه بعض الشبه البعيد قدرته الخـالقة بحيث يستطيع بعجيب حذقهِ ان يمكّن الجماد الاصمّ من اتيان اعمال مختصّة بعقله السامي

# السبيريتسم او مناجاة الارواح

للابوين يوسف مونجان ويوسف منسّى اليسوعيين (تتمّة)

## ٥ الديانة السبيريتية

ما اكتفى انصار السپيريتسم بنسبة بعض الظواهر السابق ذكرها الى الارواح بل حاولوا إنشاء ديانة جديدة مؤسسة على مذهبهم . فانّ «ألّان كرديك» زعيم هذه البدعة أعلن في مُصنّفيهِ المعنونين « بكتاب الارواح وانجيل السپيريتسم » انّ الدين المبنيّ على نِحلتهِ هو كمال الاديان « وكما انّ المسيح تمّم شريعة موسى فهو اي ألّان كرديك يكمّل شريعة المسيح دون مساعدة الكنيسة او بالحري على خرابها » لأنّهُ على زعمهِ لم تَعُد الكنيسة تصلح لروح العصر وتقدُّم العلوم فالواجب عليهـا ان تلغي عقائدَها وتتخلّى عن سلطتها وتكتفي بالآداب الانجيليّة . وذلك ممـا لا ترضى بهِ

الكنيسة فلا بُدَّ اذًا من مناهضتها وإلغاء تعاليمها وملاشاتها (١

هذا هو الانجيل الجديد الذي يدعو اليه نبيّ السپيريتسم وقـد برح عن بالهِ انَّ الكنيسة كانت في كلّ الازمنة في مقدَّمة انصـار العلوم وانَّ اكبر العلماء كانوا من ابنائها مسترشدين بروحها كما اثبت ذلك كثيرون بالبراهين الساطعة . اما سلطة الكنيسة الزمنيَّة التي اشار اليها كرديك فها هي ذي خمسون سنةً قد فقدتها ولم تفقد شيئـاً من سلطتها الروحيَّة التي يقرُّ اعداؤها نفسهم انَّها اعظم قوَّة ادبيَّة في العالم

ولكن دَعْنا ننظر ما أَوحتهُ الارواح الى نبيّها . قد لخَّص كرديك دينهُ الروحاني بما يأتي من المعتقدات والآداب :

اوَّلا (المعتقدات) يعترف كرديك بوجود الله وهو العقل الاسمى والعلَّـة الاولى لكلّ الموجودات يلوح للبشر بمخلوقاتهِ وهو الربّ الاعظم الباسط سلطانهِ على كلّ الارواح وعلى الهيوليّ . ويقول عن الارواح انَّها سبقت العالم المنظور وانَّها منبثَّة في كلّ انحاء الفضاء ويزعم انَّها تتَّحد بالاجساد وانَّ نفوس البشر انَّما هي ارواح حلَّت في الاجسام وقد كانت غير كاملة قبل حلولها فاذا تجسَّدت طهرَتْ وبلغت كمالها . اماَّ القائم بجمعها مع الجسد انَّما هو وسيط بين الروح والجسد وجوهرٌ مائع يدعوهُ صوانَ الروح (Périsprit) . وبالموت تعوذ النفس الى عالم الارواح ريثما تتناسخ من جديد ولا تزال تتنقَّل هكذا من جسم الى آخر حتَّى تحظى اخيرًا بالاتحاد مع الله

ثانياً (الآداب) خلاصة الادب عند اصحاب المذهب الروحاني في هـذه الوصيَّة الوحيدة «حبّ القريب والتضامن والرحمة »

فان أَعملنا في هذه المزاعم نظر الانتقاد وجدنا قولهُ في الله عزّ وجلّ مشتبهـاً لا يفي البتَّة بما وعدهُ بقولهِ انهُ يكمّل الوحي . فـانَّ الاله كما وصفهُ كاد لا يختلف عن عالم الكائنات ولم يصرّح بصفتهِ العظمى اعني قيامهُ بذاتهِ . وان اقرَّ بان الله روح فانَّهُ لم يَفِدْنا شيئاً عن عقلهِ ومشيئتهِ . ذكَرَ عنايتهُ وانَّما جعلها جامدةً لا فِعلَ لها سوى حضورها في الكائنات واذ انكر وقوع العجائب حصر تلك العناية والقدرة الالهيَّة وليس قولهُ عن الارواح اصدق واثبت . فـانَّهُ يجعل لنفوس البشر حياةً سابقة

---

١) قد عرَّب صاحب كتاب المذهب الروحاني هذه السفاسف وصدَّقها وهو لم ينظر انَّها تدكُّ اساس دينهِ الاسلاميّ الذي خصَّ فصلًا من كتابه بمديحهِ كما تنافي النصرانيَّة

لاتحادها مع الاجساد ولكن ما لنا لا نتذكر شيئاً من هذا الوجود السابق؟ وقد جعل تناسخ الارواح تطهيراً لما اقترفته من الآثام . فمن يا ترى من البشر يعقل شيئاً من تلك الآثام المزعومة ؟ . ثم يزعم ان النفوس بتنقلها من جسم الى آخر تزيد كمالاً فما لاصحاب السپيريتسم اذا اصعدوا روحاً من ارواح مشاهير الرجال يبرزونهُ اذلّ واخسّ مما كان سابقاً على الارض كبوسويت ودانتي والقديس اوغسطينوس فهيهات ان نشاهد فيهم شيئاً من نبوغهم السابق وسموّ فضلهم

وما قولنا بالآداب السپيريتيّة فانها عقيمة لا تقوى على شيءٍ من المحاسن . يزعم كرديك انَّ الطبيعة جُبلت من اصلها على الشرّ وهو لا يرضى بمقاومة اهوائها الباطلة . فيكفي المرء ان يعيش مستسلماً للهدوء والرحمة فلا حاجة لتوبة او تقشُّف ولا لقهر أميال النفس الامارة . ثمَّ انهُ يعتبر أمانة الزواج وعدم انفساخهِ كناموس مضادّ للطبيعة . وقد ضرب صفحاً عن الفجور والزنى كما انهُ نفى الخوف من خلود العقاب . ومهما ارتكب الانسان من المحرَّمات والكبائر فلا بُدَّ لهُ ان يبلغ يوماً الى السعادة الخالدة . فيا لها من تعاليم سيئة تنقض اسَّ الآداب وتميتها

وفي تعاليم ريڤايل اعني كرديك غير ذلك من الاضاليل . فانَّ تعريفهُ لحقائق راهنة غاية في الاشتباه يجيب عنها سلباً او ايجاباً دون ايضاح . وهو ينكر تقريباً كل العقائد الدينيَّة كالثالوث الاقدس ولاهوت السيِّد المسيح ولا يسلّم بوقوع العجائب . ومع كونهِ يجحد كلّ تعاليم الكنيسة يريد من تَبَعتهِ ان يؤمنوا ايماناً اعمى بما يلقّنهم من تعاليمهِ الفلسفيَّة استناداً الى وحي الارواح

ثمَّ انَّ تعاليم احبار المذهب الروحاني تستند الى وحي الارواح وقد علمنا بطلان ذلك الوحي لأنَّ التعاليم المذكورة توحي بها الارواح عن يد الوسطاء وقد سبق القول انَّ الوسطاء كثيراً ما يتوسَّلون بوسائل الخداع والمكر كما اقرَّ بذلك ألَان كرديك بل لم يأنف من الاقرار بانَّ الارواح نفسها تقدر ان تخدعنا ومن ثمَّ يجب الاحتراز منها لأنَّ بينها ارواحاً صادقة وارواحاً كاذبة . فان كان الامر كذلك فكيف يا تُرى يمكننا التمييز بينها ؟ ولعلَّ الارواح التي نعدُّها صالحة صادقة قد تزيَّت بزيّ الصلاح لتخدعنا فأنَّى لنا ان نأمن من مكرها ؟

ولنا عبرة في رؤساء المذهب نفسهم فانَّهم لا يتَّفقون في التعاليم التي ينسبونها

الى الارواح وربَّما أنكرت الارواح الاميريكيَّة ما اثبتتهُ الارواح الاوربيَّة . منها ما قرَّرهُ ألَّان كرديك عن تناسخ الارواح واشياء كثيرة غيرها . فزه ! زه ! من ديانةٍ روحانيَّة يخبط زعماؤها خبط عشواء ويهيمون في كل وادٍ

وان سرَّحتَ النظر في ما كتبهُ احد اساطين السپيريتسم لاون دانيس المولود في مدينة طور (Tours) وجدتَهُ يكرّر الكلام تكرارًا مملًّا في المجلَّدات الستَّة التي ألَّفها في ذلك . وهو يكاد يتبرَّأ من نفوذ الارواح فلا يبالي بها . وانَّما يزعم انهُ يكتب بمساعدتها . والحقّ يقال انَّ ابحاثهُ لا تخرج عن دائرة العلوم الفلسفيَّة يمزجها بترَّهات مذهب الحلول ويدخل فيها كثيرًا من مزاعم الودّ (Védas) والبوذيَّة ويصوّب خصوصاً سهامهُ الى الديانة النصرانيَّة وهو يبشّر ذويهِ بفناء كل الاديان الوضعيَّة المنسوبة الى الوحي

وكفى بهذا بياناً لاوهام المتمذهبين بالدين الروحاني . ومن اطَّلع على كتاباتهم وخطبهم في مؤتمراتهم وجدها متباينة متضاربة بل أقرب الى اضغاث الاحلام

## ٦ موقف الكنيسة الكاثوليكية بازاء السپيريتسم

كان موقف الكنيسة الكاثوليكيَّة في اوَّل ظهور حركة السپيريتسم دالاً على حكمتها وتصوُّنها . واذ عُرضت عليها السؤَالات لتُفتي في صحَّتها او كذبها اجابت بفتاوى موجزة ايجابيَّة ثابتة في بعض الامور وببعض التحفُّظ والفطنة في غيرها . وكانت تلك الفتاوى تشمل اوَّلًا المغنطيسيَّة والتنويم والسپيريتسم لما من الارتباط بينها ولأن الاوَّلَين يمتزجان عادةً باعمال السپيريتسم . والفتاوى المذكورة لم تحرم المغنطيسيَّةَ والتنويمَ في ذاتهما وانَّما حظَرت سوء استعمالهما كاتخاذهما لغايات اثيمة او بذيئة فاحشة والتوسُّل بهما الى ادراك امور غير طبيعيَّة . امَّا السپيريتسم فلكون اصحابهِ يلتجئون الى الارواح فالكنيسة حرَّمتهُ لدخولهِ في حيز الممارسات الباطلة والخرافات والسحر

ودونك آخرَ قرار اصدرهُ في هذا الشأن ديوان المجمع المقدَّس تاريخهُ ٢٤ نيسان ١٩١٧ جواباً على من سألهُ السؤال الآتي :

« هل يجوز حضور محادثات او رؤى لاصحاب السپيريتسم سواء اتّخذوا لذلك وسطاء او

دون وسطاء او استعانوا بالتنويم او دون تنويم او اذا كانت تلك المحاضرات بمراعاة الادب والتُّقى سواء أُلقيت الاسئلة على النفوس والارواح او اكتُفي باستماع اجوبتها بل بمجرَّد معاينة ما يحدث في تلك المحاضرات مع تجريد الفكر صريحاً او ضمناً عن اي مشاركة كانت مع الارواح الشرّيرة ? »:

فكان جواب الكرسيّ الرسولي على هذا السؤال وعلى كلّ قسم منهُ سلبيًا اي انَّ كلّ ذلك لا يجوز مطلقاً (١ وبهِ تقرَّر عدم جواز مزاولة اعمال المذهب الروحاني وتصعيد ارواح الموتى الذي هو كُنه السپيريتسم

## ٧ الدواعي التي حملت الكنيسةَ على تحظير السپيريتسم

اجل انَّ الكنيسة لم تنكر بتحظيرها للمذهب الروحاني استطاعةَ الارواح لمناجاة الاحياء. وفي تاريخ الكنيسة وتراجم القديسين عدَّة حوادث ثابتة تقرّر ظهور الارواح لبعض البشر ولا تصدّ الكنيسة احدًا من تصديق هذه الوقائع الجارية من تلقاء الارواح باختيارها وباذن الله لكنَّها تحظَر من تصعيد هذه الارواح وبقهرها على ذلك. لأنَّ العقل الصائب وتعاليم الكنيسة يتَّفقان كلاهما على رَذْل استحضار الارواح لتصبح طوع اوامر الاحياء وعلى مناجاتها لتُلقى عليها اسئلة باطلة وفضوليَّة وعلى عرْضها بطرائق صبيانيَّة او مستقبحة

وقد أثبتت الكنيسة في معتقداتها انَّ نفوس الابرار بعد انحلال اجسادها تكون عند الله وتحت ملكهِ الخاصّ اذ هي حينئذٍ مجرَّدة عن الحواسّ وعن الاميال المنحرفة. فمن المحال ان يدع لله هذه الارواح المقدَّسة أُلعوبةً في ايدي البشر ولا ترضى حكمتهُ تعالى بان يشارك اصحابَ السپيريتسم مظاهرهم المضحكة بل قُلْ وفي مشاهدهم الخلاعيَّة. فبكل صواب انكرت الكنيسة اختلاط الارواح العلويَّة بخزعبلات المذهب الروحاني بعد ان دخلت في دار الخلود واشرق عليها نور الخالق واصبحت ثابتةً في الصلاح معصومةً عن كلّ شائبة ونقص

فان كان اذًا من المستحيل امتزاج الارواح القدسيَّة بترَّهات السپيريتسم وان صحّت رواية مشايعيهِ بتداخل عَمَلةٍ روحيين في محاضراتهم يتحتَّم القول بانهاتيك الارواح

١) اطلب مجلَّة اعمال الكرسي الرسولي Acta S^te Sedis, *Junii*, 1917, p. 268

ارواحٌ شرّيرة وانّها هي التي ندعوها بالشياطين . والحقّ يقال ان ما يرويهِ انصار السپيريتسم من اعمال الارواح في مجتمعاتهم يوافق ما تنسبهُ الكنيسة للابالسة فانَّ الكاثوليك يعتقدون كون الشياطين ارفع طبيعةً من البشر لكنهم مُلجَمون مقيَّدون بقوَّة الله . يعترفون بأنَّهم خلائق غنيَّة بالمواهب الطبيعيَّة لكنَّهم افسدوا طبيعتهم وخسروا مقامهم . فلا شكَّ ان ترويج المذهب الروحاني احد مكايد تلك الارواح التي تزوّر اعمال الله وتتقلّدها لتُغوي البشر وتضلّهم بشبه العجائب والمظاهر الخالبة للعقول والمواعيد العرقوبيَّة لتعاكس بذلك كلّهِ سلطة الكنيسة وتعاليمها الخلاصيّة

وما لا يُنكر ان السپيريتسم لا يختلف الّا بالصورة عمّا اشتهر في القرون السالفة باستدعاء الموتى ( nécromancie ) . والحال قد ثبت لدى العلماء انَّ استدعاء الموتى كان تصعيد الارواح الشرّيرة والالتجاء اليها في امور عالمنا . وذلك ممّا تنفيهِ العقول الراجحة فضلًا عن الكنيسة المقدَّسة . فاحسنت اذن الكنيسة برذلها المذهب الروحاني كما ناهضت استدعاء الموتى

وان اعترض القارئ بقوله وما ادرانا انَّ السپيريتسم هو كلّهُ مكرٌ وخداع من اعمال النصّابين المشعوذين ومن ثمَّ كان اولى بالكنيسة ان تضرب عنهُ صفحاً . نجيب عن ذلك بقولنا ان للكنيسة حقًّا في مناهضة ذاك الكيد والخداع لما ينجم عنهُ من الاخطار الادبيَّة كما سترى مع الخطر بتداخل الارواح الشرّيرة

## ٨ الاخطار الناتجة عن السپيريتسم

عديدة هي الاخطار التي يوقع بها السپيريتسم اصحابهُ . واوَّلها فَقْد عافية الجسم وسلامة العقل فانَّ الذين يواظبون على مناجاة الارواح يصيبهم غالباً نوعٌ من الهَوس يُغريهم فضولُهم بتكرار تلك المشاهد الغريبة واستفتاء الارواح بالامور المجهولة فلا يلبثون ان يشعروا بمسيس في عقلهم فيشردون عن الصواب ويقادون الى بيوت المجانين . ومن اراد الوقوف على صحّة قولنا عليهِ بكتاب المسيو ارسلين (Arcelin) المعنون باسم ( La dissociation psychologique) في الصفحة ٢١٢ وما يليها . وفيهِ تفاصيل عن الوسطاء الذين فقدوا الشعور . وفي الصفحة ٢١٥ منهُ ذكر ثلثة فتيان أُصيبوا بنوبات هستريَّة غاية في الشدَّة بعد حضورهم حفلة سپيريتيَّة

والخطر الثاني تضليل العقول كما سبق القول فانَّ في تعاليم الَان كرديك ودنيس وپاپوس وغيرهم عدَّة اقوال مضادَّة للعلوم الصادقة من فلسفة ولاهوت الخ

ويضاف الى الخطرين السابقين فساد الآداب وانتهاك حرمة الفضيلة فكم صدر من افواه الوسطاء من بذيّ الكلام والاقوال المجونيَّة وكم عرضت الارواح على الحضور من الاعمال المستهجنة فانَّ في معاهد اصحاب المذهب الروحاني من روائح الاثم ما تشمئزّ منهُ النفوس الابيَّة ويأنف منهُ الفضلاء والعقلاء

ومن ثم ينبغي القول بان الاشتراك مع اصحاب السپيريتسم خطيئة ثقيلة لإرهاق الانسان نفسهُ بهذه الاخطار الباهظة . لا بل لا يجوز مطلقاً تحت طائلة الخطإ الكبير ان يحضر الانسان حفلات المذهب الروحاني كتدوير الطاولات واستفتائها ولو جرَّد فكرهُ عن اي مشاركة كانت وعلى سبيل التفكُّه والفضول الَّا في بعض الظروف النادرة التي تخلو عن كلّ تداخل الاعمال السپيريتيَّة وهي مجرَّد ظواهر طبيعيَّة

امَّا المغنطيسيَّة والتنويم فقد سبق لفقيد العلوم الاب لويس رنزڤال مقال خطير «في التنويم الصناعي (الهپنوتزم) والادب» (المشرق ٧ [١٩٠٤] : ١١٣١—١١٣٨) فنحيل اليهِ القرَّاء وقد ختمهُ بهذه الالفاظ العسجديَّة : «ان كان التنويم في بعض الاحيان يُعَدّ من الوسائط العلاجيَّة فانّ في مزاولتهِ اخطارًا جسيمة للنفس والجسد فلا يجوز لاحد من النصارى استعمالهُ للعلاج الَّا عند الضرورة مع اتخاذ الوسائل لدفع كلّ اذًى يلحق بدين المرء او بنفسهِ او جسدهِ وايَّاهُ ان يحضر نوادي المنوّمين والحذر كل الحذر من ان يقود اليها اولادهُ »

ونحن نختم كلامنا عن السپيريتسم بان مزاولتهُ اشدُّ خطرًا واعظم اثمًا من المغنطيسيَّة والتنويم وانهُ ليس موجب البتَّة من تطويح الانسان بنفسهِ في شرورهِ الجمَّة . ولا يتنصَّل احد من تبعاتهِ محتجًّا بمثل الاوربيين فانَّهُ بئس المثل اذ لا يباشرهُ الَّا المهوَّسون منهم او المنخدعون بالظواهر وسوف يندمون ولات ساعة ندم . والاحرى بالشرقيين ان يقتدوا بمزايا الاجانب الحسنة ومناقبهم الطيّبة « فانَّ التمثُّل بالكرام فلاحُ »

# المحاورة الدينيَّة

## التي جرت بين الخليفة المهدي وطيماثاوس الجاثليق

### توطئة

هذه المحاورة شهيرة في تأريخ النساطرة منها عدَّة نسخ في مكاتب اوربَّة كباريس ورومية وفي مكتبتنا الشرقيَّة منها نسختان فأحببنا نشرها وهي من أقدم الآثار النصرانيَّة في ايَّام الخلفاء العبَّاسيين. والمهدي المذكور هنا هو الخليفة ابو عبدالله محمَّد بن عبدالله المنصور وثالث خلفاء بني عبَّاس الذي تولَّى الامر في بغداد بعد المنصور من السنة ١٥٨ الى ١٦٩ ﻫ (٧٧٥-٧٨٥م). امَّا طيماثاوس فهو طيماثاوس الاوَّل من اعظم جثالقة الكلدان النساطرة الذي دبَّر ملَّتهُ مدَّة ٤٣ سنة في ايَّام الخلفاء المهدي ثمَّ الهادي ثمَّ الرشيد الى ايَّام المأمون وتوفي سنة ٨٢٣م ولهُ عدَّة آثار باللغة الكلدانيَّة نُشر منها بعضها بالطبع. ولعلَّ المحاورة التي ننشرها هنا اصلها بالكلدانيَّة ثمَّ عُرِّبت بعد وفاتهِ بزمن. وترى في شروطها ومضامينها من المعاني البليغة والاجوبة السديدة ما يدلُّ على سعة علوم صاحبها ورسوخ قدمهِ في امور الدين رغمًا عن مذهبهِ النسطوري

ل. ش

وهذه المحاورة في الاصل رسالة وجهها طيماثاوس الى احد اصدقائهِ يقول فيها هكذا:

انَّا قد دخلنا قبل هذه الايام الى حضرة ملكنا المظفَّر وعندما تكلَّمنا عن الطبيعة الالهيَّة وأزَليَّتها قال لنا الملك ما لم نسمعهُ منهُ قط وهو: ايُّها الجاثليق لا يليق برجل مثلك عالم وذي خبرة ان يقول عن الله تعالى انَّهُ اتخذ امرأةً وولَدَ منها ابناً

فجاوبناهُ قائلين: يا ايُّها الملك محبَّ الله من هو ذاك الذي أتى بكذا تجديف عن الله عزَّ وجلَّ؟

فحينئذٍ الملك المظفَّر قال لي: فماذا تقول اذًا عن المسيح مَن هو؟

فجاوبنا الملك قائلين: انَّ المسيح هو كلمة الله الذى ظهر بالجسد لاجل خلاص العالم

ثم سالني ملكنا المظفَّر: أمَا تعتقد ان المسيح هو ابن الله؟

فقلتُ: انَّا نعتقد ذلك دون شك لان هكذا تعلَّمنا من المسيح نفسهِ اذ هو مسطور عنهُ في الانجيل والتوراة والانبياء انَّهُ ابن الله لكنَّ ولادتَهُ ليست كالولادة الجسديَّة

نية بل هي ولادة عجيبة تفوق ادراك العقل ووصف اللسان كما يليق بالولادة الالهية

فسأل ملكنا المظفَّر : وكيف ذلك ؟

فقلنا ان المسيح هو ابن الله ومولود قبل الدهور فلا نستطيع ان نفحص عن هذهِ الولادة ولا ان ندركها لان الله غير مُدرَك في جميع صفاتهِ . ولكن نأتي بتشبيهٍ ما مأخوذٍ من الطبيعة فكما تتَّلد الاشعَّة من الشمس والكلمة من النفس هكذا المسيح بما انه كلمة الله ولد من الاب قبل الدهور

فقال لي ملكنا المظفَّر : أَمَا تقولون ان المسيح وُلد من مريم البتول ؟

فجاوبنا قائلين : اننا نقول ونعتقد بان المسيح مولود من الآب بما انَّه كلمتهُ ومولود من مريم العذراء بما انهُ انسان وولادتهُ من الآب هي ازلية قبل كل الدهور . وولادتهُ من مريم هي زمنيَّة دون أب ومن غير زواج وبدون انثلام بتولية امّهِ

فملكنا محبّ الله قال لي : ان ولادة المسيح من مريم بغير زواج هي مكتوبة ومقرَّرة : ولكن كيف يمكن ان تكون هذه الولادة دون انثلام بتولية الوالدة ؟

فجاوبنا الملك وقلنا : ان هذا الامر نظرًا الى الطبيعة هو محال وغير ممكن ان يصير دون انثلام البتولية . ولا يمكن ان يتَّلد انسان ولا ان يُحبَل بهِ اصلًا بغير اشتراك رجل مع امرأة . واماَّ نظرًا الى قدرة خالق الطبيعة فمستطاع ذلك اي ان البتول تلد بدون انثلام بتوليتها لان الله سبحانهُ قادر على كلّ شيء وليس عندهُ امر عسير

ولنا برهان على ذلك في الكتاب وفي الطبيعة اللَّذين يُوضحان لنا انَّهُ تمكن ولادة انسان دون انثلام بتولية الوالدة . ( اوَّلًا ) من الكتاب قد سُطّر ان حوَّاء قد أُخرجت من ضِلْعَة آدم دون ان تنشقَّ تلك الضلعة . والمسيح عليهِ السَلام قد صعد الى السماء دون ان يشقّ الجَلَد(١ . فهكذا مريم البتول ولدت ابنها دون ان تنثلم بتوليتها ويعتريها ضرر . (ثانيًا) من الطبيعة فان الاثمار تولد من الاشجار والنظر من العين والروائح من الزهور دون انشقاق وانفصال بعضها من بعض . وكذا تتَّلد الاشعة من الشمس . فعلى هذا المنوال قد ولد المسيح من مريم دون ان تنثلم بتوليتها . وكما انَّ ولادتهُ الازليَّة فائقة عن العقل هكذا ولادتهُ الزمنية هي عجيبة

١) هذا محمول على اعتقاد القدماء بأنَّ السماء شبه الزجاج الهيولي . وكان الاولى بهِ ان يذكر خروج المسيح من قبرهِ والقبر مختوم ودخولهُ العلّيَّة والابواب مقفلة

فقال لي ملكنا : كيف ذلك؟ أأزليٌّ ولد زمنيًا ؟

فجاوبنا قائلين : ان المسيح ليس بما انه ازليٌّ مولودًا من مريم بل بما انه زمنيٌّ وبشريٌّ

فحينئذٍ قال لي ملكنا المظفّر : فالمسيح اذًا هو اثنان الواحد زمنيٌّ والآخر ازليٌّ . فالازلي هو إله من إله حسب قولك والزمني هو انسان من مريم

فجاوبنا قائلين : ايها الملك ان المسيح ليس باثنين ولا بابنين بل مسيحٌ واحد وابنٌ واحد ذو طبيعتين إلهية وانسانيةٍ من حيث هو كلمة الله واتخذ جسدًا بشريا وصار انسانًا

وعندها قال الملك : بل المسيح هو اثنان الواحد مخلوق ومصنوع والاخر ليس بذلك

فقلتُ لهُ : انّنا نقرّ بان المسيح ذو طبيعتين مميَّزتين احداهما من الاخرى ولكن نعتقد ايضاً ونقرُّ انهُ من هاتين الطبيعتين مسيح واحد وابن واحد يُعرَف

وملكنا جاوبنا قائلًا : فان كان المسيح واحدًا فليس باثنين وان كان اثنين فليس بواحد

امَّا نحن جاوبناهُ على ذلك بهذا البرهان وهو : كما ان الانسان هو واحد من جهة التركيب والاتحاد وهو اثنان ايضاً من جهة النفس والجسد اللذين هما طبيعتان مميَّزتان احداهما مركَّبة ومنظورة والاخرى بسيطة غير منظورة . هكذا كلمة الله بتجسّدهِ صار ذا طبيعتين مميَّزتين احداهما إلهيَّة والاخرى انسانيَّة كما قلنا . ومع ذلك لا يزال ان يكون مسيحاً واحدًا وابناً واحدًا من اجل وحدانيّة شخصهِ

فملكنا المظفَّر قال لي : اما قال عيسى عليهِ السلام انني سانطلق الى إلهي وإلهكم؟

ونحن جاوبنا قائلين ان مخلّصنا اتى بهذه الآية حقيقةً ولكن توجد آية اخرى مسطورة قبلها التي تستحقُّ الذكر وهي ( يوحنا ٢٠ : ١٧ ) : « انني سامضي الى ابي وابيكم والى إلهي وإلهكم »

فقال ملكنا : انهُ يوجد تناقض ههنا كيف يمكن ذلك فان كان اباهُ فليس بإلههِ . وان كان إلههُ فليس بابيهِ

فنحن جاوبناهُ قائلين : ايُّها الملك محبَّ الله لا يوجد هنا تناقض البتَّة لانهُ بما انهُ ابوهُ طبيعيًّا فليس هو إلههُ بالطبيعة . وبما انهُ إلههُ بالطبيعة فليس هو اباهُ طبيعيًّا . بل هو

ابوهُ بالطبيعة الالهية اذ هو وَلدَهُ ازليًّا كانّلاد الاشعّة من الشمس والكلمة من النفس وهو ايضاً إلهُ نظرًا الى الطبيعة البشريّة اذ هو مولود من مريم زمنيًّا . فواحد هو المسيح ولهُ والدان احدهما ازليٌّ والآخر زمنيٌّ

فملكنا المظفّر قال لي: كيف يمكن ان الرّوح يَلِد اذ ليس لهُ اعضاء الولادة ؟

جاوبناهُ : كيف يمكن ان الرّوح يخلق اذ ليس لهُ اعضا فاعليّة ؟ فكما انّهُ خلق البرايا بدون هذه الاعضاء هكذا ولد الكلمة دون اعضاء الولادة . ومثلما ان الشمس تلد الاشعّة من النور دون اعضاء فاعليّة هكذا الله عزّ وجلّ قادر ان يلِد ويَخلُق ولو انّهُ روح بسيط محض وغير مركّب فيلد الابنَ ويُصدر الروحَ من جوهره كما ان الشمس تُصدر النور والحرارة

ثم قال لي ملكنا : أتؤمن بالآب والابن والروح القدس؟

فجاوبتهُ : نعم

فقال لي : فانّك اذًا تؤمن وتعتقد بثلثة آلهة ؟

فجاوبناهُ قائلين : ايّها الملك ان الاعتقاد بهذهِ الاسماء الثلاثة هو الاعتقاد بثلثة اقانيم اعني الآب والابن والروح القدس الذين هم إله واحد وطبيعة واحدة وجوهر واحد كذا نؤمن ونعتقد على ما علّمنا صريحاً عيسى عليهِ السلام . وتعلّمنا ذلك ايضاً من الانبياء ولنا برهان على ذلك في المخلوقات . فكما أنَّ ملكنا محبَّ الله هو واحد مع كلمتهِ وروحهِ وليس بثلثة ملوك ولا يمكن ان ينفصل منهُ كلمتهُ وروحهُ ولا ان يسمّى ملكاً دون الكلمة والروح هكذا الله تعالى انّهُ واحد مع كلمتهِ وروحهِ وليس بثلاثة آلهة اذ لا يمكن ان ينفصل منهُ الكلمة والرُّوح . كذا الشمس مع اشعّتها وحرارتها هي واحدةٌ وليس بثلاث شموس

حينئذٍ قال لي الملك : هل ينفصل الكلمة والروح من الله؟

فجاوبناهُ : حاشا وكلّا فكما ان الاشعّة والحرارة لا تنفصلان من الشمس قطعاً هكذا كلمة الله وروحهُ لا ينفصلان منهُ ابدًا . وكما انّهُ اذا انفصلت اشعّة الشمس وحرارتها منها يزول نورها وحرارتها ولا يمكن ان تُدعى شمساً هكذا الله سبحانهُ اذا انفصل منهُ الكلمة والروح يكون لا ناطقاً ولا حيًّا . وامّا الناطق فلا يقال عنهُ انهُ معدوم الحياة والروح . فان تجاسر احدٌ وقال عن الله انهُ كان موجودًا في زمانٍ ما دون

الكلمة والروح فقد جدّف لان الله سبحانهُ منذ الازل كان لهُ الكلمة مولودًا كينبوع النطق وكان ينبثق منهُ الروح سرمديًا كينبوع الحياة

وملكنا قال لي: هل لك بيّنات كتابيّة على ان الكلمة والروح كانا في الله منذ الازل؟

فجاوبناهُ قائلين: لنا على ذلك بيّنات شتى: (اوّلًا) من كتب الانبياء قد قال داود النبي (مزمور ٣٢: ٤): «بكلمة الرب صُنعت السموات وبروح فيهِ كل جنودها». وقال ايضاً (في مزمور ٥٦): «أُسبّح لكلمة الله». ثم اذ يعلّم عن قيامة الاموات يقول (مز ١٠٣: ٣٠) «تُرسِل روحك فتُخلَق وتجدّد وجه الارض» فهنا لم يكن داود النبي ليمجّد ويسبّح للخليقة ولا يُسمّي المخلوق والمجبول خالقاً ومجدّدًا. وفي مكان آخر يتكلّم عن كلمة الله انهُ ليس لهُ بداية ولا نهاية اذ يقول (مز ١١٨: ٨٩): «الى الابد يا رب كلمتُك مثبتة في السموات» وهكذا ايضاً اشعيا النبي مثل داود يتكلم عن كلمة الله اذ يقول (اش ٤٠: ٨): «ييبس الحشيش وذبل الزهر واماً كلمة الهنا فتدوم الى الأبد»

(ثانياً) من الانجيل المقدس (يوحنا ١: ١): «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله». ثم عن الروح يقول هكذا (يو ١: ٤): «فيهِ كانت الحياة والحياة كانت نور البشر». اعني في الله الكلمة والحياة يريد بها الروح. واماً قولهُ «كان الكلمة» لا يشير بذلك أنَّ لهُ بداية بل يعني انّهُ كان قبل الدهور. ثم بالكلمة لا يدلّ على خلقتهِ بل على ازليته على انهُ غير مخلوق. واذا كان الروح هو الحياة فالحياة موجودة في الله منذ الازل فالروح اذًا موجود في الله ازليًا وروح الله فهو حياة ونور للبشر

ثم عيسى عليهِ السلام لما كان يخاطب اباهُ قال (يوحنا ١٧: ٥): «الآن مجّدني يا ابتاه بذاك المجد الذي كان لي عندك من قبل انشاء العالم». فبهذا يثبت انّهُ كان لهُ مجدٌ قبل كل الخلائق وليس لمجده بداية من حيث يقول «بذاك المجد الذي كان لي عندك قبل انشاء العالم». وحينما عرّج الى السماء أمر الحواريين قائلًا (متّى ٢٨: ١٩): «اذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمّدوهم باسم الآب الابن والروح القدس». فعيسى عليهِ السلام لم يكن ليُحصي المخلوقات مع الخالق ولا الذي هو زمنيّ مع الذي

ليس لهُ بداية ولا نهاية . وكما ان الاشياء المختلفة بالطبيعة كالشمس والحجر والفرَس واللؤلؤ والنحاس الخ لا يحصيها المنطقيّون بَعْضها مع بعض بل يعدّون مثلًا ثلثة لآلئ مع بعضها او ثلثة نجوم مساوية لبعضها بالطبيعة وتشبهُ بعضها بعضاً في كل شيء هكذا المسيح لم يقدر ان يعدّ الكلمة والروح مع الله لو لم يعرف انهما متساويان بالطبيعة والّا كيف يمكن ان يساوي اللهَ بالاكرام والسلطان الملكي ذاك الذي ليس هو إله بالطبيعة . وهل يشترك بالجوهر من هو زمنيّ مع الازليّ اذ ليس للعبيد ان يشتركوا بالاكرام الملكي بل للبنين

ثم قال لي ملكنا : ايُّ تميز يوجد بين الابن والروح وكيف إنّ الابن ليس بالروح والروح ليس بالابن اذ لا يوجد فرق عند الله بان يكون مُولِدًا او مُصْدِرًا لانك قلتَ « انهُ بسيط وغير مركّب »

فجاوبناهُ قائلين : ايُّها الملك إنَّ الاقانيم نظرًا الى الجوهر لا يوجد بينهم تميز البتّة ولكن نظرًا الى بعضهم بعض يوجد هذا التمييز وهو إنَّ الواحد لهُ خاصّة ان لا يولد والآخر أن يولد والاخر ان ينبثق فالآب هو مبدأ للابن والروح القدس معاً فيلد ذاك ويُصدر هذا منذ الازل وذلك ليس بانفصال وانقسام جسميّ ولا بواسطة الاعضاء المولّدة والمُصْدرة على ان الله ليس بمركّبٍ ولا بجسم . والانفصال والاعضاء تُقال عن الاجسام وكل جسم هو مركّب فاذًا الانفصال والاعضاء هي مختصة ايضاً بالاشياء المركّبة والاجسام . والله ليس بذلك فاذًا لا يمكن ان يعتريهُ تعالى شيءٌ من الانفصال والانقسام المذكورَين . ولنا تشبيه آخر في الطبيعة وهو إنَّ من النفس تتَّلد الكلمة وتصدر المحبَّة دون انفصال وبلا واسطة الاعضاء والمحبة مميَّزة عن الكلمة والكلمة ليست بالمحبة . وكذا الشمس فانَّها تُصدر النور والحرارة وليس ذلك بانفصال او باعضاء مخصصة فالنور يتَّلد كلهُ من الشمس كلّها والحرارة تصدر من دائرة الشمس كلّها . ثمَّ انَّ الكلمة والمحبة باسرهما موجودتان عند النفس . والنور والحرارة كذلك هما عند الشمس ولا يختلط النور بالحرارة ولا الحرارة تختلط بالنور . كذا الكلمة والروح الواحد يتَّلد والاخر يصدر من الله الآب ليس بانفصال ولا بواسطة اعضاء مخصصة بل بنوع غير مدرَك وغير محدّد والابن لا يكون الروح والروح لا يكون الابن نظرًا الى خاصّتهما . ثم كما ان الرائحة والذوق يصدران من التفّاحة فليس الرائحة

تصدر من جزء والذوق من جزء اخر بل كلاهما يصدران من التفاحة كلها فالذوق لا يكون الرائحة ولا الرائحة تكون الذوق. هكذا يتلد الابن من الآب ويصدر منهُ الروح بنوع غير محدَّد اعني الازليّ يخرج من الازليّ وغير المصنوع يصدر من غير المصنوع فالآب والابن والروح القدس لا ينفصلون من بعضهم بعض ولا يمتزجون ولا يختلطون ويتميّزون بالاقانيم ويتساوون بالطبيعة لان الله تعالى هو واحد بالجوهر والطبيعة ومثلَّث بالاقانيم

ثم قال لي ملكنا: ان كان الاقانيم لا ينفصلون ولا يفترقون من بعضهم بعض فاذًا الآب والروح القدس تجسَّدا مع الكلمة ؟

فجاوبنا قائلين: كما ان كلمة الملك اذا اتّحدت اي سُطّرت في القرطاس ليس يقال عن نفسهِ وذهنهِ انهما اتّحدا اي رُسما في القرطاس مع ان نفسهُ وذهنهُ لاينفصلان من كلمتهِ . هكذا كلمة الله اتّخذ جسدًا من دون ان ينفصل ويفترق من الآب والروح القدس ولا يقال عن الاب والروح القدس انّهما اتّخذا جسدًا. وكما ايضاً ان الكلمة التي تتلد من النفس تلبس الصَوت بواسطة مفعولات الهواء من دون ان تنفصل من النفس والذهن. ولا يقال عن النفس وعن الذهن انهما لبسا الصوت اذ لا واحد يقول قط «انني سمعتُ نفس فلان او ذهن فلان» بل يقول «سمعت كلمة فلان التي ليست بعيدة عن النفس والذهن ولا تنفصل وتفترق منهما». كذا كلمة الله اتخذ جسدنا ولا انفصل ولا ابتعد عن الآب والرّوح ولا يقال قط عن الآب والرّوح انهما لبسا بجسد مع الكلمة

وبعد ما شرحنا ذلك قال لنا ملكنا: من هو رأسك ومرشدك ؟

جاوبتهُ : انهُ يسوع المسيح عليهِ السلام

ثم سألني الملك: هل ان المسيح كان مختتناً ام لا ؟

فجاوبتهُ: نعم

فقال لي الملك لماذا اذًا انت لا تختتن اذا كان رأسك ومرشدك يسوع المسيح قد اختتن فيلزمك من الضرورة ان تختتن انت ايضاً

فجاوبتهُ قائلًا : ايّها الملك ان يسوع المسيح قد اختتن واعتمد ايضاً وختانتهُ كانت بعد ثمانية ايام حسب امر الناموس وعمادهُ صار بعد ثلاثين سنة تقريباً وابطل

الختانة بعماده فالمسيح حفظ الناموس كلهُ ليجذب اليهود الى الخلاص وانا لستُ ملتزماً بان أحفظ الناموس الّا الانجيل. فلأجل ذلك ولو كان المسيح قد اختتن فانا لا اختتن بل اعتمد بالماء والروح مثلهُ واعتقد بهِ لأن المسيح اعتمد فالضرورة تلزمني بالعماد وبذلك اترك الظلمة والرمز واتبع الاصل والحقيقة

ثم سألني الملك : كيف ابطل يسوع عليهِ السلام الختان وما هو الرمز الذي قلت عنهُ ؟

فجاوبناهُ : ايها الملك انَّ التوراة باسرها كانت رمزًا للانجيل . والذبائح التي كانت مسطورة في الناموس كانت رمزًا لذبح المسيح . ثم الكهنوت وحبريّة الناموس كانتا رمزًا لكهنوت المسيح وحبريّتهِ والختانة الجسديَّة كانت رمزًا لختانتهِ الروحيّة . وكما ابطل بانجيلهِ التوراة وبذبحهِ الذبائح وبحَبْريّتهِ الحبريّة الناموسيَّة هكذا قد ابطل الختانة التي كانت تكمل بفعل الايادي البشريّة بختانتهِ ( اي بعمادهِ ) التي لم تصر بفعل ايادي البشر بل بقوَّة الروح القدس وهي سرٌّ من أسرار ملكوت السماء ورمزٌ عن القيامة من بين الاموات

فقال لي ملكنا : اذا كان عيسى عليهِ السلام أبطل الناموس وجميع اوامرهِ فاذًا كان عدوًا لهُ ومضادًا لان المضادة تقال عن الاشياء التي تنقض بعضها بعضاً ؟

فجاوبناهُ قائلين : كما انَّ ضياء النجوم يبطل بنور الشمس والافعال الطفوليّة بافعال الرجوليَّة والكمال والملكوت الارضي بالملكوت السماوي فلا يقال انَّ الشمس هي مضادة للنجوم او الانسان لذاتهِ او ملكوت الله لملكوت البشر هكذا لمَّا ابطل عيسى عليهِ السلام الناموس الموسوي بانجيلهِ ليس هو مضادًا لهُ ولا عدوًّا

فملكنا قال لي : من حين ولادة عيسى عليهِ السلام الى صعودهِ الى السماء اين كان يصلّي ويسجد أليس في البيت المقدس وفي اورشليم ؟

فجاوبناهُ : نعم

فقال لي الملك : فلماذا انت تسجد وتصلّي لله في المشرق ؟

فجاوبناهُ : ايها الملك إنَّ السجدة الحقيقية هي التي تصير من البشر لله في ملكوت السماء وان الفردوس الارضي كان رمزًا عن الجنة السموية والحال ان الفردوس كان

في المشرق فاذًا بالصواب نحن نسجد ونصلّي في المشرق حيث كان الفردوس الارضي الذي كان رمزًا عن الجنَّة كما قلنا (١

حينئذٍ قال لي ملكنا : ماذا تقول عن عيسى عليهِ السلام هل صلّى هو ايضاً وسجد ؟

فجاوبناهُ :نعم هو ايضاً صلّى وسجد

ثم قال لي ملكنا : انك بهذا القول تنكر لاهوت المسيح . ان كان قد صلّى وسجد فليس بإله وان كان إلهاً فلم يصلِّ ولم يسجد؟

فجاوبناهُ : بما انهُ اله لم يسجد ولم يصلِّ بل لهُ يُسجدَ ويُصلّى . وبما انه انسان سجد وصلّى وقد بيَّنا آنفاً انهُ اله وانسان معاً

بعد ذلك ملكنا انتقل من هذا البحث الى موضوع آخر وقال لي: ما هو السبب انك تقبل المسيح والانجيل من شهادة التوراة والانبياء ولست تقبـل شهادة المسيح والانجيل عن محمَّد عليهِ السلام؟

فجاوبتهُ قائلًا : ايها الملك اننا اقتبلنا عن المسيح شهاداتٍ كثيرة من التوراة والانبياء جميعهم يشهدون اتّفاقاً على ذلك تارةً يشهدون عن امّهِ قائلين ( اشعيا ٧ : ١٤ ) : «هوذا العـذراء تحبل وتلد ابناً» . ومن ذلك نعلم انهُ قد حُبل بهِ ووُلد من دون اقتران رجلٍ مع امرأة كـذا كان يليق بكلمة الله الذي وُلد من الآب دون امّ أن يولد من امّ دون ابٍ لتكون ولادتهُ الثانية شهادة عن ولادتهِ الاولى . وتارةً يصرّحون لنا فيقولون انهُ (اش٧ : ١٤و٩ : ٦) «يُدعى اسمهُ عمانويل وعجيباً ومشيرًا وإلهاً قديرًا رئيس العالم» . وتارةً يتكلمون عن عجائبهِ ومعجزاته هكذا ( اش ٣٥ : ٤—٦) : «ها ان إلهكم يأتي منتقماً وجزاء الله نفسه يأتي ويخلصكم حينئذٍ تتفتح عيون العميان وتتفتح آذان الصُمّ حينئذٍ يقفز الاعرج مثل الغزال ويترنَّم لسان الابكم» . وتارةً يعلّمونا عن آلامهِ قائلين (اشعيا ٥٣ : ٥) : « هو يُذبح لاجل خطايانا ويتضع لاجل آثامنا» . ثم عن قيامتهِ يقولون (مز ١٥ : ١٠) : «لانك لم تترك

١) كانت عادة المؤمنين لاسيَّما الشرقيين ان يتّجهوا في صلاتهم الى الشرق لظهور السيّد المسيح في الشرق ولأن النبي زكريا (٦ : ١٢) دعاهُ باسم المشرق وانمَّا هذا من باب اللياقة ليس من باب الفرائض

نفسي في الجحيم ولم تعطِ لصفيّك ان يرى الفساد» وقال (مز ٢ : ٧) : « والرب قال لي انت ابني وانا اليوم ولدتك» . ثم عن صعودهِ الى السماء قيل (في مز ٦٧ : ١٩) : «صعدتَ الى العلاء وسبيت سبياً وقبلت مواهب لبني البشر» : وايضاً : (مز ٤٦ : ٦) «صعد الله بالمجد والرب بصوت البوق» . وفي محل آخر قيل عن مجيئهِ الثاني من السماء (دانيال ٧ : ١٣—١٤) : «وكنتُ ارى في رؤيا الليل واذا مع سحاب السماء مثلُ ابن بشر جاء ووصل الى القديم الايام وقدَّموهُ الى قدامه فأُعطيَ سلطاناً وكرامةً وملكوتاً لتتعبّد لهُ كل الشعوب والامم والالسنة ان سلطانهُ سلطان ابدي لن ينزع وملكوتهُ لن ينقضي» . فهذه الآيات وغيرها كثيرة تشهد جليًّا عن يسوع المسيح . ولكن لم أرَ البتة آية واحدة في الانجيل او في الانبياء وغيرهم تشهد عن محمد وعن اعمالهِ واسمهِ

حينئذٍ ملكنا الحليم الوديع اشار اليَّ ان لا اقول اكثر من هذا . ثم سالني تكرارًا الم ترَ شهادةً عن محمد عليهِ السلام ؟

فجاوبتهُ : كلّا ايها الملك محب الله

فسالني : ومن هو الفارقليط (١ ؟

فجاوبتهُ : ان الفارقليط هو روح الله

فسألني الملك : وما هو روح الله ؟

فجاوبتهُ : ان روح الله هو الله ذو الطبيعة الالهية ولهُ خاصة ان ينبثق كما علمنا عنهُ يسوع المسيح

وملكنا المعظم قال لي : ومن هو الذي تكلم عنهُ عيسى عليهِ السلام ؟

فجاوبتهُ : ان المسيح قال لتلاميذهِ لـمَّا صعد الى السماء « أرسل لكم الروح الفارقليط الذي ينبثق من الآب الذي العالم لم يقدر ان يقبلهُ وهو عندكم وفي وسطكم الذي يعرف كل شيء ويفحص كل شيء حتى اعماق الله وهو يذكّركم بجميع الحقّ الذي قلتهُ لكم . ذاك يمجّدني لانه ياخذ مما لي ويخبركم » (يوحنا ١٦ : ١٤)

فملكنا قال لي : هذه جميعها تدل عن مجيء محمَّد عليهِ السلام

فجاوبتهُ قائلًا : ان كان محمد هو الفارقليط فالفارقليط هو روح الله فاذًا محمد

---

١) فارقليط لفظة يونانيَّة (Παράκλητος) وردت مرارًا في الانجيل ومعناها المحامي والمعزّي وقد زعم بعض المسلمين انها تصحيف (περικλυτός) بمعنى الشهير اي محمَّد

هو روح الله. وروح الله ليس بمحدود كآدم فاذًا محمَّد هو غير محدود. والذي هو غير محدود لا يُدرك بالنظر فاذًا محمد لا يُدرك بالنظر. والذي هو غير مدرك بالنظر هو غير مجسَّم فاذًا محمَّد هو غير مجسَّم. والذي هو غير مجسَّم هو غير مركَّب فاذًا محمَّد هو غير مركَّب. وان كان محمَّد هو مركَّب ومجسَّم ومنظور ومحدود فليس هو بروح الله والذي ليس هو بروح الله ليس هو الفارقليط فاذًا محمَّد ليس هو الفارقليط. ثم ان الفارقليط هو من السماء ومن طبيعة الآب ومحمَّد هو من الارض من طبيعة آدم فاذًا محمَّد ليس بالفارقليط. والفارقليط ايضًا يعرف أعماق الله (١ كور ٢: ١٠) ولكن محمَّد يعترف بانهُ يجهل ايضًا الامور التي تُصنع بهِ وبالذين يؤمنون بهِ فاذًا محمَّد ليس هو الفارقليط. ثم ان الفارقليط كان مع الحواريّين وفي وسطهم كما قال المسيح اذ كان يخاطبهم (يو١٤: ٥٧) ومحمد لم يكن مع الحواريين ولا في وسطهم. فاذًا ليس هو بالفارقليط. وايضًا ان الفارقليط بعد عشرة ايام اصعود عيسى عليهِ السلام الى السماء تظاهر للحواريين (اعمال٢: ١—٤) ومحمَّد ظهر بعد ستمائة سنة ونيّف فاذًا محمَّد ليس بالفارقليط. وايضًا ان الفارقليط علَّم الحواريّين عن الله انَّهُ بثلثة اقانيم (يو١٦: ١٣) ومحمَّد لا يعتقد بذلك فاذًا ليس هو بالفارقليط. ثم ان الفارقليط قد صنع على ايادي الحواريين معجزات كثيرة وآيات متعدّدة ومحمَّد لم يصنع آية واحدة على ايدي اصحابهِ وتابعيهِ فاذًا ليس هو بالفارقليط. ثم ان الفارقليط هو مساوٍ للآب والابن بالطبيعة ومن ذلك يُعرف انَّهُ ايضًا خالق القوّات السماوية مثلما قال داود النبي عن روح الله (مزمور ٣٢: ٦): «وبروحهِ خُلقت جميع القوات السموية والارضيَّة» والحال ان محمدًا ليس هو بخالق فاذًا ليس هو بالفارقليط. فلو كان صار لهُ ذكرٌ في الانجيل لكان ينبغي ان يصرّح عن مجيئهِ واسمهِ وذكر امّتهِ وشعبهِ في الكتب كما يوجد محرّرًا عن مجيء عيسى عليه السلام في التوراة والانبياء بنوع واضح فلا شيء من ذلك مذكور عنهُ البتة وليس لهُ ذكرٌ في الانجيل قط

وملكنا محب الله قال لي: كما صنع اليهود في عيسى عليهِ السلام وما قبلوهُ هكذا فعل النصارى ايضًا في محمَّد عليهِ السلام ولم يقبلوهُ

فجاوبتهُ قائلًا: ان اليهود اذ لم يقبلوا المسيح استحقُّوا الجزاء والقصاص لان التوراة والانبياء مشحونة من البراهين والشهادات عنهُ ولكن نحن لم نقبل محمَّدًا من

حيث ليس لنا برهان واحد عنهُ في كتبنا فلذلك ليس لنا ذنب في هذا

فالملك قال لي: كانت موجودة في كتبكم براهين وشواهد كثيرة عن محمّد عليهِ السلام ولكنكم أفسدتم الكتب وحرَّفتموها

فجاوبتهُ قائلًا: ايها الملك من اين لكم معلومات بانّنا حرّفنا الكتب واين يوجد ذاك الكتاب الخالي من التحريف الذي علمتم منهُ انّنا قد حرّفنا كتابنا؟ ائتُوا بهِ لنراهُ ونتمسَّك بهِ ونترك الكتاب المحرَّف. فمن اين اذًا تعرفون بان الانجيل هو محرَّف وأيّة فائدة كانت لنا من تحريفهِ؟ فلو وُجد ذكرُ محمّد في الانجيل لَما كنَّا نرفع اسمهُ منهُ بل كنَّا نقول: انهُ لم ياتِ بعدُ وليس هو هذا الذي تقولون انتم عنهُ بل مزمع ان يأتي كما ان اليهود لم يستطيعوا ان يحذفوا اسم عيسى عليهِ السلام من التوراة والانبياء بل يخاصمونا قائلين: ان المسيح لم يأتِ بعد الى العالم بل سوف يأتي وبذلك يشبهون العميان الذين ليس لهم عيون وينكرون ظهور الشمس في نصف الظهر. هكذا نحن ايضاً لم نكن نستطيع ان نرفع اسم محمّد من الكتاب بل كنا نحاجُكم عن الزمان وعن الشخص كاليهود. ولكن اقول الحقَ لو رأيتُ نبوَّة واحدة في الانجيل عن مجيء محمّد لتركتُ الانجيل وتبعتُ القرآن وكنت انتقل من هذا الى هذا كما انتقلتُ من التوراة والانبياء الى الانجيل

ثم ملكنا قال لي: ماذا تقول عن كتابنا اليس هو منزل من الله؟

فجاوبتهُ قائلًا: ان كان منزلًا من الله لا استطيع ان احكم بذلك ولكن اقول ان كلام الله المسطور في التوراة والانبياء والانجيل والحواريّين قد تثبَّت كلهُ بآيات ومعجزات كما لا يخفى ايضاً عن روَيّتكم ولكن اقوال هذا الكتاب لم تُثبَت بآيةٍ واحدة قط. وكان ينبغي ان تظهر بحقّهِ آيات ومعجزات اخرى كما ان الله عزّ وجلّ لمَّا اراد ان يُبطِل العهد العتيق الذي كان قد اثبتهُ بآيات ومعجزات كثيرة ويجعل عوضهُ الانجيل صنع آياتٍ اخرى وعجائب على يد عيسى عليهِ السلام والحواريّين فثبَّت الانجيل وابطل العهد العتيق. هكذا كان يقتضي ان يصنع معجزات وآيات جديدة لاجل اثبات القرآن وتبطيل الانجيل وذلك لان الآيات والعجائب هي برهان قاطع عن ارادتهِ تعالى ومن ذلك تعلم روَيّتكم النتيجة

وملكنا المظفّر قال لي: من هو ذاك الذي قيل عنهُ انهُ شوهد وهو راكبٌ جملًا؟

فجاوبناهُ قائلين : ان هذه الآية أتى بها اشعيا النبي (٢١ : ٧) حيث يقول «فأبصرَ ركّاباً ازواج فوارس من راكب حمارٍ ومن راكب جملٍ »

فملكنا سألني : من هو الراكب حمارًا والراكب جملًا ؟ . فجاوبتهُ ان الراكب حمارًا هو داريوش بن احشورش الماديّ والراكب جملًا هو كورش الفارسيّ الذي هو من عيلام وهو ضبط مملكة الماديّين واضافها الى مملكة الفرس . وداريوش المادي قد ضبط مملكة البابليّين واضافها الى مملكة الماديين

وملكنا سالني كيف تثبّت ذلك ؟ فجاوبتهُ انّني اثبّت هذا من سياق الكلام لان النبي اشعيا قد قال سابقاً في ذات الاصحاح المذكور (عد: ٢) : «إصعدي يا عيلام وحاصري يا ماداي» . فبعيلام اشار الى كورش الفارسي الراكب جملًا . وبماداي اشار الى داريوش الراكب حمارًا . ثمّ يقول (في العدد ٩) : النبي المشار اليهِ : « واذا بِركبٍ من الرجال وأزواج من الفرسان أتوا . فاجاب وقال : سقطتْ سقطتْ بابل » فيشير جليًّا بهذه الآية الى داريوش وكورش لانّهما قَرَضا مملكة البابليين

ثم سألني ملكنا قائلًا : «لماذا شُبِّهت هذه الممالك براكب جمل وراكب حمار ؟

فجاوبتهُ قائلًا : « لان في ناحية الماديّين توجد على الاكثر حمير . وفي ناحية فارس وعيلام توجد جمال . فبدوابّ الحمير والجمال يشير النبي بالاستعارة الى النواحي . وبالنواحي الى الممالك التي كان عتيدًا ان يخرج منها الملكان المشار اليهما . ثم ان مملكة الماديّين كانت مُزمعة ان تصير رخوةً وضعيفة ومملكة الفرس او عيلام كانت عتيدة ان تصير قويّة ونشيطة فلذلك شبَّه الله مملكة الماديّين بالحمار الرخو والفُرسَ اوعيلام بالجمل القويّ والنشيط . وايضاً دانيال النبي ( في الاصحاح ٧ والعددين ٥و٦ ) شبَّه مملكة الماديّين بالدبّ الرخو ومملكة العيلاميين والفُرس بالنمر السريع الحركة حيث يقول : «واذا بالحيوان الآخر الثاني كشبه الدبّ وقف ناحيةً وفي فمهِ بين اسنانهِ ثلاث أضلع . . . ثمّ كنتُ أنظر واذا الآخر مثل النمر ولهُ اربعة اجنحة مثل الطائر على ظهرهِ » . ثم في دانيال (٢ : ٣٢-٣٣ ) قد شبَّه الله تعالى مملكة الماديّين بالفضّة لانّها ليّنة والفُرس والعيلاميين بالنحاس لانّهُ صَلب . فاذًا يريد النبي اشعيا بالحمار مملكة الماديّين وبالجمل مملكة الفرس والعيلاميين

وملكنا قال لي: ان راكب الحمار هو عيسى عليهِ السلام ·وراكب الجمل هو محمّد عليهِ السلام

فجاوبتهُ قائلًا : ان ترتيب الازمنة والامور ينفي نسبة هـذا المعنى الى يسوع ومحمّد في هذا الموضع وتُعلَم الحقيقة من ملاحظة الأزمنة ورؤيات الانبياء·فيُستدَلّ بها ان لفظة الحمار تشير الى الماديين ولفظة جمل الى العيلاميّين ولا الى اشخاص آخرين·فربمّا عبارة الحمار أطلقها اناسٌ اضطرارًا على يسوع اذ يوجد في موضع آخر مسطور عنهُ في زكريا ( ص ٩عد ٩ ): « ابتهجي يا بنت صهيون ها هوذا مَلِكُكِ يأتيكِ وهو عادلٌ ومنصورٌ وديعٌ وراكبٌ حمارًا وجحشًا ابن اتان» ·وامّا عبارة الجمل فلا يمكن ان تُطلَق على محمد البتة

فملكنا قال لي : ولايّ سبب؟

جاوبتهُ لان يعقوب النبي قــال في سفر التكوين (ص٤٩ عد: ١٠) : «لا يزول القضيب من يهوذا (اي قضيب الحكم) والمدّبر من بين رجليهِ (اي ذو النبوَّة)حتى يجيءَ الذي لهُ (اي ليسوع المسيح الملك والحكم) ولهُ يكون خضوع الشعوب »· فبذلك يبيّن يعقوب المذكور ان بعد مجيءْ عيسى تنتهي الانبياء والنبوّات · وايضـاً دانيال النبي قــال ( ص ٩ عد : ٢٥) : « فــاعلم وأدرِ انّهُ من خروج الكــلام لتُبنَى ايضاً اورشليم الى المسيح القائد سبعة اسابيع واثنــان وستون اسبوعاً ·ويبنى ايضـاً السُّوق والسُّور في ضيقة الاوقات» وكذا (عد : ٢٦) « وبعد الاثنين والستّين اسبوعـاً يُقتَل المسيح ولا يكون لهُ وشعبُ الرئيس الآتي يخرب المدينة والقدس » فبذلك بيَّن دانيال النبي ان في المسيح تتمّ الانبياء والرؤيات · ويسوع نفسهُ قــال ايضاً (متّى ١١ :١٣) : «ان جميع الانبياء والتوراة تنبأوا الى يوحنا المعمدان»فاذًا جميع النبوّات التي صارت انتهت بالمسيح ومن بعد المسيح لا تكون نبوَّة ولا نبي فالانبياء جميعهم تنبأوا عن يسوع المسيح · والمسيح علّمنا عن ملكوت السماء فلم يَعُد يفيدنا ان نكتسب معرفة اخرى دائر الامور البشرية والارضية بعد اكتسابنا المعرفة عن سرّ اللاهوت وملكوت السماء ·لان الانبياء تنبأوا تارةً عن امور هذا العالم وعن ممالكهِ وتارةً عن ظهور كلمة الله بالجسد · وامّا المسيح فانّهُ لم يعلّمنا عن الامور البشرية بل عن الامور الالهية وعن ملكوت السماء كما قلنا ·فاذًا ان كانت النبوّات قد انتهت بالمسيح

كما رأينا ومن عهد المسيح فيما بعد يبشّر بملكوت الله كقوة يسوع فباطلا اذًا وعبثاً يكون اعتقادنا في نبوّة اخرى بعد تجسّد كلمة الله المسجود لهُ لان الترتيب الحسن والجيّد هو ذاك الذي يُصعدنا من اسفل الى فوق اي من الأمور البشرية الى الأمور الالهية ومن الارضيّات الى السماويات . واماَّ النزول من فوق الى أسفل ومن الأمور الالهيَّة الى الأمور البشريَّة ومن السماويَّات الى الارضيّات فهو ترتيب معكوس ومرذول

وملكنا الحليم المملوّ حكمةً قال لي: ماذا تقول عن محمّد ؟

فجاوبتهُ قائلًا : ان محمّدًا يستحقّ المدح من جميع العرب وذلك لاجل سلوكهِ معهم في طريق الانبياء ومحبّي الله لان سائر الانبياء قد علّموا عن وحدانيَّة الله ومحمّد علّم عن ذلك فاذًا هو ايضاً سلك بطريق الانبياء. ثم كما ان جميع الانبياء أبعدوا الناس عن الشرّ والسيّئات وجذبوهم الى الصلاح والفضيلة هكذا محمَّد أبعد بني أُمّتهِ من الشرّ وجذبهم الى الصّلاح والفضائل فاذًا هو ايضاً قد سلك معهم في طريق الانبياء . ثم ان جميع الانبياء منعوا بني البشر من سجدة الشياطين وعبادة الاوثان وحرّضوهم الى عبادة الله عزّ وجلّ والسجود لجلالتهِ هكذا محمّد منع بني أُمّتهِ من عبادة الشياطين والسجدة للاوثان وحرَّضهم على معرفة الله والسجود لهُ تعالى الذي هو وحدهُ وليس بإلهٍ آخر سواهُ . فقد اتّضح اذًا ان محمّدًا سلك معهم في طريق الانبياء . ثم ان كان محمّد قد علّم عن الله وكلمتهِ وروحهِ فجميع الانبياء تنبأُوا عن ذلك فمحمّد اذًا قد سلك في طريق الانبياء . فمن لا يمدح ويكرّم ويبجّل ذاك الذي حارب من اجل الله ليس بالكلام فقط بل بالسيف ايضاً أظهر الغيرة لاجل البارئ تعالى . وكما فعل موسى النبيّ في بني اسرائيل الذين صنعوا عجلًا من الذهب وسجدوا لهُ فقتل بالسيف واباد جميع الذين سجدوا للعجل هكذا محمّد ايضاً صنع لمَّا أظهر الغيرة لاجل البارئ سبحانهُ تعالى فالذين كانوا يتبعونهُ في اكرام الله ومخافتهِ كان يمجّدهم ويكرّمهم ويمدحهم ويعدهم ايضاً بالخير والمجد والاكرام من لدن الله في هذا العالم وفي الآخرة بالجنَّة والذين كانوا يعبدون الاصنام ويسجدون لها كان يحاربهم وينذرهم بعذابٍ أليم في نار الجحيم التي بها يحترق المنافقون وهم فيها خالدون . وكما فعل ابرهيم خليل الله الذي ترك الاوثان وابناء جنسهِ وتبع الله وسجد لهُ فصار يعلّم وحدانيَّة الله للأمم هكذا صنع ايضاً

محمّد لَمّا ترك سجدة الاوثان والذين كانوا يسجـدون لها من بني جنسهِ وغيرهم من الغرباء فـاكرم فقط ذاك الذي هو وحدهُ إله الحق وسجد لهُ · لاجل ذلك عظَّمهُ الله تعالى جدًّا واخضع تحت مواطئ قدميهِ الدولتين القويّتين اللتين كانتا تزأران كالاسد وكالرّعد فكان يُسمع في العالم صوت كليهما أعني دولة الفُرس ودولة الرومانيّين فالأُولى كانت تسجد للمخلوقات عوض خالقها والاخرى كانت تنسب آلاماً وموتاً لذاك الذي لا يتـألم ولا يموت (١ مطلقاً فوسّع الله تعالى سلطة مملكتهِ بيد أمير المؤمنين واولادهِ من المشرق الى المغرب ومن الشمال الى الجنوب · فمن لا يمدح أيُّها الملك المظفَر ذاك الذي مجّدهُ الله وبجّلهُ ؟ فذلك ما نقولهُ عن محمّد أَيها الملك المظفَرِ

وملكنا قال لي: فاذاً ينبغي لك ان تقبل كلام النبي

فجاوبتهُ: عن ايّ كلام يقول ملكنا ؟

فقال لي الملك: الكلام الذي يقولهُ عن الله انهُ واحد وليس آخر دونهُ

فجاوبتهُ قائلًا ان الاعتقاد بإله واحد قد تعلّمتُهُ ايّها الملك من التوراة والانبياء والانجيل وبهِ انا متمسك ومن اجلهِ أموت

وملكنا المظفّر قال لي : انّك تؤمن وتعتقد باله واحد كما قلت ولكن تقول ان هذا الإله هو مثلّث وواحد

فجاوبتهُ : لا أنكر ذلك ايّها الملك بل اعترف باله واحد وهو مثلّث ولكن ليس مثلث بالأُلوهيّة بل باقانيم حكمتهِ وروحهِ وانه ايضاً مثلّث وواحد ولكن ليس واحدًا بالاقانيم بل بالالوهيَّة كما ثبتنا ذلك أَنفاً

فملكنا المظفّر قال لي: لماذا انتم تسجدون للصليب؟

فجاوبتهُ قائلًا : انّنا نسجد للصليب لانّهُ علّة الحياة

(لهُ صلة)

---

١) اشار بذلك الى الشيعة المنوفيسيتيّة او اليعقوبيّة القائلة بوحدة الطبيعة في السيّد المسيح. فكان اصحابُها ينسبون آلامهُ وموتهُ الى الطبيعة اللاهوتيَّة . وتبعهم في ذلك بعض ملوك الروم

# الطريد الارمني ونجاتهُ من الاتراك

## كتبها الفتى الطريد بدروس ارا كليان

كان مولدي يوم عيد الميلاد عند الارمن سنة ١٩٠١ في مدينة من ولاية قونية جميلة المنظر مشرفة على بطحاء تسيل فيها الينابيع الصافية تدعى بالتركية نوشهر اي المدينة الجديدة لحداثة نشأتها وهي احدى قائمقاميات سنجق نِكْدى يبلغ عدد اهلها نحو ٢٥،٠٠٠ منهم ١٥،٠٠٠ تركيّ والباقون من اليونان ثمّ الارمن الغريغوريين وقليل من الكاثوليك. وكان اهلي من طائفة الارمن الغريغوريين فاصبحتُ يتيماً بوفاة والديّ وانا صغير السنّ

فلمَّا بلغتُ من العمر عشر سنين كان المرسل الغيور الاب حنّا غرنسو (J. Gran-sault) اليسوعي يتردَّد على مدينتنا ويسعى بشؤون طائفة الارمن الكاثوليك حتَّى باشر لهم بتشييد كنيسة مع راعيهم الفاضل الخوري جان اطمنيان . وكان هذا يعرف قرائبي فعرض على اعمامي ان يرسلني الى مدرسة الآباء اليسوعيين في قيصريَّة لأتخرَّج هناك في مدرستهم الرسوليَّة فرضوا بذلك ورضيتُ بهِ فرحاً وقضيت سنتين في قيصريَّة ارضع فيها افاويق التقوى والعلوم مع نخبة من اولاد الارمن

فلمَّا كانت سنة الحرب ١٩١٤ عدتُ الى وطني لأقضي فيهِ وقت العطلة السنويَّة ثمَّ عدتُ الى قيصريَّة في اواخر تمُّوز فمرَّ بنا الاب لوبون اليسوعي (P. Lebon) واختار منَّا خمسة لينقلهم الى مدرسة اكليريكيَّة جديدة أُنشئت في اماسية وكنت انا احد الخمسة . وكان موعد سفرنا في اوائل تشرين الثاني فقضينا نحو شهرين في دنديل المجاورة لقيصريَّة حيث كان حضرة الاب غرَنسو ردَّ قوماً من الارمن الى الكثلكة واقام لهم كنيسة

فلمَّا حان وقت سفرنا ونحن ننتظرهُ بفروغ الصبر اذ اتانا من قيصريَّة الاب غرَنسو وانبأنا بدخول الدولة العثمانيَّة في الحرب وبسفر الآباء المرسلين الى فرنسة وامرنا بالرجوع الى قيصريَّة . فكان لهذا الخبر اسوأ وقع في قلوبنا . وكان معنا الاخ اليسوعي باليان الذي قتلهُ الاتراك بعد حين مع كاهنَين ارمنيَّين كاثوليكيين بين سيواس

وقيصريَّة. فهذا استأجر لنا دوابَّ فاتجهنا الى قيصريَّة حيث ودَّعنا الآباء قبل سفرهم الى فرنسة. لكنَّ الاب الرئيس اوصى بنا السيّد انطون بهامنيان اسقف قيصريَّة الارمنيَّ ورغب اليهِ ان يبلّغ كلًّا منّا الى وطنهِ. فبقيت في الدار الاسقفيَّة نحو شهرين ثم قفلتُ راجعاً الى مسقط رأسي في نوشهر وذلك في فصل الشتاء. وسكنت عند اهلي الى شهر آذار من السنة ١٩١٥

ونحن كذلك اذ سمعنا في سحر احد ايَّام الشهر المذكور منادياً يجول في البلد صارخاً: « أيُّها الارمن استعدُّوا للخروج من المدينة ». وبعد قليل نحو الساعة الخامسة صباحاً تهافت مأمورو الحكومة الى بيوت الارمن مع الشُّرط المسلَّحين بالبنادق فاوقفوا الرجال من سنّ الخامسة عشرة الى الستّين فأوثقوهم وسلَّموهم الى الشُّرط الذين ساقوهم الى الحبس بالشتم والضرب. فاستمرَّ ذلك نحو اربع ساعات حتَّى لم يبقَ اثرٌ لرجال الارمن وشبَّانهم. وبقيت النساء والصغار وكلُّهم يبكون

ومع كوني لم ابلغ من العمر ثلث عشرة سنة ساقوني الى الحبس مع بقيَّة الاسرى. وبعد ثلث ساعات جاء مفوَّض الشرط مع خمسة من مأموري الحكومة وعشرين شرطيًا وكلُّهم شاكُون في الاسلحة واخذوا يفتّشونا لعلّهم يجدون معنا فرودًا او سكاكين. ثم أفرز المفوَّض من بين الاسرى الذين لم يبلغ عمرهم التاسعة عشرة وردُّوهم الى اهلهم ليسافروا الى المنفى مع النساء

فخرجتُ من الحبس وتأهَّبت للسفر مع اختي وابناء اعمامي وخالاتي. وكان والديَّ قد توفّيا كما سبق ولم يبقَ لي غير اخٍ واحد واختي هذه واسمها وَرْد. امَّا اخي فكانت الحكومة اخذتهُ كجندي وارسلتهُ الى الاستانة وكان هناك زوجُ اختي ايضاً. وكان اخي لمَّا خرج من البيت اودع كلَّ اثاثهِ في غرفةٍ أقفلها وسلّم مفتاحها الى عمّي. فطلبت منهُ المفتاح لأبيع ذاك الاثاث وننتفع بثمنهِ. فلمَّا وصلتُ الى بيتنا وجدت الباب محطَّماً وبعض شبَّانٍ من الاتراك ينهبون ما فيهِ من الاثاث ويقتسمونها بينهم. فخفتُ على نفسي وعدتُ مسرعاً الى اختي لكي اخبرها بما عاينت. ولم يكن معي شيءٌ من الدراهم الَّا ان اختي كانت اخذت معها عشرين ليرة تركيَّة. امَّا اثاث البيت فقطعتُ منهُ الامل ولو كنتُ عرضتُهُ للبيع لَما كان اشتراهُ مني احد لأنَّ اهل البلد الاتراك كانوا عارفين انَّ سفرنا سيكون مشياً ولا يمكنَّا ان نحمل اثاثنا

ففي تلك الليلة استحضرنا شيئاً من الزاد ما يكفينا لبضعة ايام مع ثلاثة ألحفة وبعض الثياب . وفي الصباح أعطت الحكومة لكل عائلة حماراً الى اورلو قشله حيث توجد محطَّة للسكَّة الحديديَّة . وكنَّا نحن اربعة انا واختي وَرْد مع ولديها اغوب واراكل وعمرُ الاوَّل ثماني سنين والثاني خمس سنوات . فأكَفنا الحمار وجعلنا عليهِ حوائجنا واركبنا الولدين فوقها وسرنا انا واختي ماشيين بجانبيهما انسندهما

ولمَّا كانت الساعة التاسعة كنت ترى كلَّ هذه عيال نوشهر الارمنيَّة سائرةً على طريق بوزنتي . فيا لهُ من منظر يفتّت الاكباد فلا يُسمَع الَّا عويل النساء اللواتي يبكين على ازواجهنَّ والاطفال على والديهم وليس لهم من يسهر عليهم وكأنَّهم يجهلون ما سيكون نصيبهم وما سيحلُّ بالاسرى المحبوسين

وصلنا عند المساء قريباً من جدول ماء بجوار نكدى فنزلنا هناك في حقلٍ وفرائصنا ترتعد خوفاً من عصابات اللصوص الذين تجمَّعوا لمطاردتنا وليس يخفرنا سوى شُرطيَّين لا يهمُّهما امرُنا فانَّهما قالا لنا : «إن دفعتم لنا المبلغ كذا حميناكم والَّا تركناهم وشأنكم لا بل نخبر اللصوص فيأتون ويسلبون كل مالكم ويقتلونكم» فكان كلامهما كسيف في قلوبنا كاد يخرجنا عن صوابنا . امَّا النساء فاخذنَ يبكينَ ويولولن . الَّا ان ذلك لم يؤثر فيهما الى ان قام احد الشبَّان فجمع خمسة ريالات من كلّ عائلة واعطاهما ايَّاها

فبتنا تلك الليلة بالهدوء . وفي الصباح الساعة السادسة رحلنا سائرين الى بلدة «اورلو قشله» التي بلغناها في اصيل النهار . وكانت البعض من عجائز النساء والبنات يتخلَّفن عن القفل لضعفهنَّ عن المشي فكان اشقياء اللصوص والشركس يسلبون ما عليهنَّ ويخطفون البنات

مكثنا في اورلو قشله خمسة ايَّام قضيناها تحت الخيام ننتظر مسير قطار السكَّة الحديديَّة . الَّا انَّ البعض ركبوا عربات فسبقونا الى بوزنتي . امَّا انا فواجهتُ رئيس المحطَّة في اورلو قشله وكان من اليونان فأحسن معاملتي وآنسني وسهَّل لنا السفر عند ورود القطار ولولاهُ لاضطررنا ان نسير مشاةً ثلاثة ايام في وسط جبال شاهقة وغابات الشجر الكثيفة . فليت شعري ماذا كان حلَّ بنا فلا شكَّ انَّ قوانا كانت خارت فنضطرّ الى ان نلقي قسماً من امتعتنا ! وكيف العمل مع الوالدَين والصغيرُ يصبح مُعوَّلاً اذا

ابتعدت أُمهُ عنهُ قليلًا ؟ فشكرنا الله على عنايتهِ بنا

وفي الغد الساعة الثامنة من يوم الثلاثاء ٢٥ آذار سار بنا القطار فنقلنا الى بوزنتي التي اليها كان منتهى خطّ السكّة الحديديَّة . وبوزنتي هذه قرية صغيرة الّا انها حريزة موقعها في مدخل جبال طورس وهي من حدود ولاية آطنة وصلنا اليها في مساء النهار

وكان يلزمنا ان نسير منها الى طرسوس مدَّة يومين . فلم نَدْرِ ما نصنع اذ لا نستطيع المشي مع الصغار وكان الحوذيُّون يطلبون عشر ليرات أجرة عَرَبة . فاتَّفقنا اخيرًا مع عائلة أخرى وتقاسمنا نفقة العربة . وكم وجدنا في طريقنا من فقراء ومبؤوسين بل من النساء الرخائص والمُترَفات وهنَّ لم يعتَدْنَ المشي كنَّ يدافِنَ ويسقطن مرارًا لعجزهنَّ ومعهنَّ اطفالهنَّ في اسوإ حالة لا يشأنَ ان يَترُكْنَهم او يَمُتْنَ معهم . وكنَّ يصرخنَ الى السابلة : «أَلا من مُحسنٍ يسعفنا وينظر الى شقائنا» ولكن «لا سماعَ لمن تنادي»

قضينا سبعة ايام في طرسوس وساقونا منها الى آطنة حيث مكثنا شهرًا ثمَّ اخذونا الى عثمانية فنزلنا هناك في سهل فنصبتُ للحال خيمتنا الصغيرة ليستظلَّ تحتها صغارنا وهناك تفاقمت اوجاعنا . فاننا كنا صرفنا كلَّ دراهمنا ونحن نتوقَّع اسفارًا بعيدة . وكانت اختي تهطل الدموع السخينة بسبب همّها فكنتُ اعزّيها بقولي : «لا تأسفي يا وَرْد فانَّ الله رحوم قدير واذا وصلنا الى حلب فاني سأجد شغلًا ولن نموت جوعاً»

وبعد خمسة ايَّام قدَّم بعض من الارمن معروضاً لقائمقام العثمانيَّة يقولون فيه : «لا نستطيع ان نبقى هنا اذ ليس معنا دراهم لنشتري لنا طعاماً ولا نلقى شغلًا نكسب بهِ معاشنا فأرسلونا الى محل آخر او أَعطونا طعاماً» فاستدعانا القائمقام وقال لنا : «ان شئتم ان تسافروا فهنا اربعون عربة تجرُّها الجواميس اجرةُ الواحدة سبع ليرات ذهباً من هنا الى قطمة فاركبوها والّا فلا يهمُّني امركم» . فقلنا : «كيف نُسافر ونحن فقراء لا مال عندنا» . فاجاب : «فليسافر الذين يمكنهم دفع اجرة العربات . ولينتظر الباقون وصول عربات الحكومة بعد عشرين يوماً»

فأقنعتُ اختي الرحيل مع غيرنا ودفعنا الثلث ليرات الباقية معنا . وكانت المسافة بين «العثمانيَّة» وقطمة ستَّة ايَّام فنالنا في هذا السَّفر مشقَّات عظيمة واتعاب

جسيمة . فقطعنا طرقاً صعبة بين الاحراج وبلغنا بعد ثلثة ايّام الى قمّة جبلٍ عالٍ فاراد الحوذيّون ان يُفلتوا منّا ويدَعونا في وسط الطريق . فناشدناهم الله أَلا يهملونا في تلك القفار بعد ان دفعنا لهم اجرة العربة . فاجابوا : انّ الجواميس قد كلّت فلم تَعُد تستطيع ان تسير بنا لتعبها » فلم يبقَ لنا الّا ان نتحوّل عن العربة انا واختي وراكبان آخران فسرنا على الاقدام مدّة ثلثة ايّام حتّى بلغنا قطمة بعد الجهد الجهيد . وكان لا يزال الشتاء شديداً فقضينا قسماً منهُ هناك فاصابنا أَذى البرد والامطار وكنّا مع ذلك نشتغل على قدر طاقتنا فنكسب معاشنا اليومي . ثمَّ دخل الربيع والصيف ونحن في قطمة فلمّا كان شهر تشرين الثاني ركبنا القطار الى حلب فوصلنا اليها بعد ساعتين

*

كان كيسنا قد فرغ تماماً عند دخولنا الى حلب وكنّا قضينا مدّة طويلةً بلا اكل البتّة . فلمّا نزلنا الى المحطة اتى الشرط وقادونا الى احد خانات المدينة وظلّوا يراقبوننا لئلّا نفرّ هاربين ريثما يؤلّفون قفلًا فيضمّونا اليهِ ويسوقونا الى داخل البلاد . فنزلنا في احد اطراف الخان وشرع ولدا اختي يبكيان ويطلبان طعاماً ولا طعام عندنا فصارت اختي تذرف الدموع مثلهما . فقلت لها : « كفكفي دموعكِ فها انا اذهب وآتي بطعام » . فاخذتُ كيساً صغيرًا وطفتُ في احياء المدينة استعطي . فبعد ساعتين وجدتُ كيسي قد امتلأ فرجعتُ فرحاً الى الخان

وانا في الطريق اذ مررتُ ببيتٍ كان واقفاً على بابهِ الدكتور اوغست كوسا مع قرينتهِ . فدعاني اليهِ وكلّمني بالعربيّة ولجهلي هذه اللغة لم أُجِبْه . ثمَّ لحظتُ انّهُ يحادث زوجتهُ بالفرنسويّة فكلّمتهُ انا ايضاً بها . فسُرَّ من كلامي وسألني عن اصلي وعن سبب وجودي في حلب . فلمّا سمع خبرنا وكيف نُفينا من بلدنا نوشهر واتينا حلب فأخذتهُ الشفقة علينا فتكرَّم عليَّ بعشرين غرشاً واهداني زوج كلسات واحذية ورداء واوصاني ان اعود اليهِ لأطلب منهُ طعاماً . فاقتبلت كلَّ ذلك شاكرًا وانا في امسّ الحاجة اليهِ وحملتهُ الى اختي التي لقيت فيهِ فرجاً

وذهبت الى كنيسة الارمن الكاثوليك فواجهت الكهنة واخبرتهم بحالنا فقالوا لنا : ان أَمكنكم ان تهربوا من الخان فنحن نجد لكم مأوًى اميناً وقد اظهر لنا الخوري جبرائيل الارمني كلَّ شفقة وحنان واحسن الينا كثيرًا . فبعد ايّام قليلة

خرجتُ لأتسوَّل في المدينة فلمَّا رجعتُ وجدتُ اختي تذرف الدموع وتعانق ولدَيها . فسألتها ما الخبر ؟ . قالت : اتى شرطيٌّ وامرنا ان نسافر الى كِلّس . فذهبت لاستعطفهُ فقلتُ : سيّدي ترَحَّم علينا ليس عندنا شروى نقير وهاكَ ما جمعتهُ متسوّلًا في انحاء البلد فماذا يحلّ بنا ان خرجنا من حلب ؟ — فكان جوابهُ ضربتين بسَوْطهِ ثمَّ قال : ان لم تخرجوا بعد ربع ساعة من الخان قتلتكم . فلم نرَ بُدًّا من الخروج فلممنا امتعتنا في صُرَّة جعلتها على ظهري وامسكتُ الطفل اراكل بيدي وحملتْ اختي اللحاف واخذت ابنها اغوب وسرنا مع الشرط الى المحطَّة الجديدة واذا هناك عدد كبير من الارمن يزاحم بعضهم بعضاً وهم يزفرون وينوحون . وكان الجميع موقنين بالموت العاجل لقرب حلول الشتاء

*

لا تبلغ السكَّة الحديديَّة الى كلّس فقُضي علينا ان نعود الى قطمة . فانتظرنا هناك شهرًا قبل ان يستحضروا عربات تقلُّنا الى كلِّس فنقلونا اليها في كانون الثاني سنة ١٩١٦ وانزلونا في بيوت اهلها الارمن الذين كانوا نفوهم الى الداخليَّة . وكان الشتاء شديد الوطأة ونزل الثلج بعد وصولنا بقليل فبقينا محتارين في امرنا ونحن لا نملك دراهم وليس لنا ثياب دافئة ولا وقود لنستدفئ . فقمتُ ثانيةً اجول في البلد لالتمس الصدقة فما كان احد يحسن اليَّ بشيءٍ ولم يكن في البلد نصارى اذهب اليهم وغاية ما كانت الحكومة توزّع على كلٍّ منَّا رغيفان صغيران من الخبز لا يتجاوز وزنهما نصف كيلو ( ١٥٦ درهماً ) . فمات حينئذٍ ابن اختي اراكيل الصغير جوعاً وبردًا

وقد قاسينا نحن في كلّس من البرد ما يطول شرحهُ وكنَّا نتلهَّب جوعاً الَّا انَّ الحكومة خفَّفت نوعاً من ظلمها ونفحتنا بشيءٍ من الدراهم . بقينا في كلّس نحو شهرين وعيَّدنا فيها عيد الفصح لكنَّ حالتنا التعيسة لم تسمح لنا بأن نذوق شيئاً من افراح العالم النصرانيّ . وفي اوائل شهر ايَّار اتت اوامر جديدة بان نخرج من كلّس ونتوغَّل في الجهات الداخليَّة وكان البرد لا يزال شديدًا . واذا بالشُرط وافونا يوماً تهطل فيهِ الامطار مدرارًا وهم مدجَّجون بالاسلحة فقالوا : «قوموا لنقودكم الى احدى القرى» . فيا لله كيف نسير والامطار متوالية والبرد قارس . لا شكَّ انَّ الحكومة تريد ان نهلك بردًا وجوعاً . فبعنا لحافنا بخمسة ارغفة من الخبز لئلَّا نموت من الجوع

في الطريق ولكن ماذا تفيد خمسة ارغفة لمن يتضوَّر جوعاً فلا تسدّ عوزهُ ساعةً . فاخذتُ ابن اخي اغوب وحملَتْ اختي معطفَيْن عتيقَيْن لنتَّقي بهما البرد

فكان خروجنا من كلّس والمطر يهطل سيولًا ولم ينقطع طول طريقنا فصارت ثيابنا عُصرةً وسرنا على هـذا المنوال ساعاتٍ حتَّى وصلنا الى عزيزيَّة . وكان هناك سهلٌ نُصبت فيهِ نحو مـائتي خيمة يبيت فيها الارمن المنفيُّون مثلنا فانطرحنـا على الحضيض قريباً من بيت خراب وثيابنا مبلولة فكنَّا نقفقف ونرتعد من شدَّة البرد ولا نار لنصطلي بها فأنسانا البرد جوعنا وكدنا نيأس من الحياة فتوسَّلنـا الى الله لكي ينقذنا من تلك التهالك اماَّ أنا فتلوت فعل الندامة وظننتُ انَّا لا نعيش الى الصباح . وكيف نعيش بعد ان مشينا الساعات الطوال مع البرد القارس ودون غذاء ثمَّ نرقد بثيابنا المبلولة . فلولا رحمة الله لمَا بقينا في الحياة

فلمَّا اصبح الصباح نظرت الى الخيام واذا ستُّون منها قد مات اصحابها ولا عجب بعد ما خارت قواهم من الجوع وجُلدت اجسامهم من القرّ . فتركوهم وشأنهم دون ان يدفنوهم فأصبحوا طعمةً للكلاب وللضواري . وقد عاينت كلباً نتر ذراع احدهم وذهب بها ليغتذي بلحمها . ورأيت رجلًا جمَّدهُ البرد كان على آخر رمق فكان يَعد بليرتَين من يطمرهُ في زبل الخيل ليدفأ

بقينا في العزيزيَّة ثلثة ايَّام ساكنين في القفر ثمَّ اتت اوامر اخرى لينقلونا الى « الباب » سائرين على الاقدام فكان اكثر الارمن اعلَاء لا يستطيعون الحركة الَّا انَّ المأمورين لم يرحموا احدًا وكانوا يضربون بالعصيّ كلَّ من يتأخر عن المسير وقد رأيتُ شرطيًّا يضرب ضرباً مبرّحاً اثنين من الارمن حتَّى سقطا بلا حراك فامر بدفنهما قبل ان يموتا

فقلتُ حينئذٍ لأختي : « لا سبيل الى الخـلاص فَلْنَسِر متّكلين على الله وان خارت قوانا فنموت على الطريق » . ولكن ماذا نصنع بأغوب ابنها وكان مريضـاً ؟ فحملتُهُ على ظهري لكنَّهُ ما كان يمكنهُ ان يتمسَّك بي . فاخذتهُ بين ذراعيَّ وانا اعلم اني لا استطيع ان احملهُ طويلًا وبعد قليل اضطررتُ الى وضعهِ على الارض . وكانت اختي تسحفُ سحفاً لضعفها . فرأينا موكب الارمن يبتعد عنَّـا وكدنا نبقى وحدنا مع خطر اللصوص المترَصّدين لكل من يتخلَّف عن الجمع . ولكن أيمكنَّا ان نمشي

والولد ملقًى على الحضيض وقلب امّه يتفطّر عليهِ حزناً

وبينما نحن نفكّر في امرنا واذا بقوم من العرب خرجوا علينا فصرختُ لاختي : «الويلُ لنا ان لم نسرع فها هوذا العدو يدركنا» . قالت : «دعني اموت هنا وانج بنفسك» . قلتُ : « كيف ادعكِ وهؤلاء اذا ادركوكِ خطفوكِ . فهلّمي وانا اسندكِ وبعد ساعة نصل الى قرية قريبة . . . امَّا اغوب فانَّهُ كاد يُسلم الروح فنُودعهُ لرحمة الله» . ثم جذبتُها وسندتها على كتفي وعينها متَّجهة الى ولدها ومشينا هكذا حتى وصلنا بقوَّة الله الى بلدة الباب وهي مدينة صغيرة الساحة على مسافة ٤٠ كيلو متراً شرقيَّ حلب تحفُّها البساتين واهلها نحو ٨،٠٠٠ وفيها قائمقام

فما وصلنا اليها حتَّى خرجتُ الى سوقها لأتسوَّل وانعش قواي وقوى اختي المنهوكة . لكني لم أَجد مُحسناً وليس عندي ما ابتاع طعاماً فتغلَّب عليَّ القنوط وساومتُ امرأةً رغيفين من الخبز طلبَتْ فيهما عشر غروش فاخذتُهما كأني أُريد معاينتهما ثمَّ تسلّلتُ بين الناس راكضاً فقامت ورائي لكنَّها لم تدركني في تلك الزَّحمة

ورحمنا الله في «الباب» فانا وجدنا هناك امرأة عمّي وولديها وكلّهم مثلنا في حالةٍ يُرثى لها لكنَّنا جمعنا القوى مذ ذاك الحين واخذنا نتعاطى معاً بعض الاشغال فحصلنا على كفاف معاشنا . ثمَّ ان الله رزقنا بوجهٍ آخر . خرجتُ اختي وخالتي معاً الى حيث كان نزل الارمن فوجدنا هنالك اسمالاً ملقاةً من ثياب المائتين فاخذناها واذا في جيب ثوبٍ منها ستّ ليرات ذهباً كانت لنا بمثابة كنزٍ ثمين ولولا ذلك لهلكنا كمئاتٍ من ذوي جنسنا كانوا يموتون كلّ يوم

كان مقامنا في الباب خمسة عشر يوماً . ثم امرونا بأَن نتوَّجه الى دير الزور فاكترينا جملًا بليرتين وسرنا بأمان الله وقد وجدنا في طريقنا شذّاذ العرب المتلصّصين لكنَّ الله نجَّانا من يدهم

*

كان وصولنا الى دير الزور في اواخر حزيران سنة ١٩١٦ فقصدنا ان ننزل في داخل المدينة لكنَّ الحرَّاس لم يسمحوا لنا بذلك فقطعنا نهر الفرات وانزلونا في البرِّية . وكان عدد الارمن المتجمّعين هناك نحو ١٥،٠٠٠ كانوا يسكنون المضارب وكان يزيد عدد القادمين منهم كلّ يوم نحو الف . فاخذوا ينقلونهم فرقاً فرقاً الى

جهات مختلفة ليقتلوهم فمنهم من ساروا بهم الى رأس العين ومنهم الى ابي كمال وغيرهم الى عانة

وكنَّا نعلم ما ينتظرنا فأصابنا من الشدائد والهموم ما انسانا اوجاعنا السابقة اذ كنَّا نؤمل في طريقنا ان نفلت من ايدي اعدائنا امَّا هنا فلم يَعُد لنا بارقةُ أَمل في النجاة فغُصنا في بحر الاكدار

واوَّل من دَعوهم الى الإعدام الرجالُ والشبأن فكانوا يربطون ايديهم ثمَّ يسوقونهم امامهم كالنعاج ويقتلونهم اشنع قَتل امام نسائهم واهلهم . ثم كانوا يقتلون النساء ويسبون البنات فيأتي الشركس ويخطفوهنَّ . وكان بلغهم انَّ بعض نساء الارمن كنَّ ابتلَعْنَ نقودًا لئلّا يأخذها الاتراك فكان هؤلاء يبقرونهنَّ لاستلابها

ثمَّ وصل الدور الينا فدعوا اختي وخالتي وأبعدوني عنهما فتفتَّت كبدي لهذا الفراق وكانتا تعلمان انهما سائرتان الى الموت اذ انَّنا كنَّا نسمع صوت البنادق وصياح المائتين . وكانوا يرمون الرجال بالرصاص امَّا النساء فكانوا يزربونهنَّ كالغنم في مغارة هناك محفورة في الرمل ويجعلون على مداخلها اعشاباً يضرمونها فيمُتْنَ خنقاً او حرقاً

وقد دامت تلك المجازر في دير الزور ثلثة اشهر لكثرة من جلبوهم الى تلك الانحاء من الارمن ما عدا الذين قُتلوا في رأس العين وابي كمال وعانة وفي ضياع اخرى

وكان الاتراك في دير الزور لا يمسُّون الصغار فجمعوا الاطفال والاحداث بعد قتل اهلهم وفرَّقوهم في الخانات . فاخذني احد الشرطيّين مع ولدَي عمي وجعلنا في خان كبير دعوهُ بالمأوى وكانوا لا يعطونا كلَّ يوم سوى الماء ونصف رغيفٍ من الخبز فكان الاولاد يموتون كلَّ يوم بالعدد العديد وكان نومنا على الحصر . فما لبث ابنا عمي ان هلكا من الجوع وكنت انا في حالة من الضنك اتوقَّع الموت قريباً وبلغ الجوع ببعض الفتيان الى ان اكلوا العظام او لحوم الحيوانات الميتة بعد نتنها

فقصدت يوماً ان افوز بنفسي واهرب عند احد اهل المدينة فتلوتُ فعل الندامة والتمستُ من الله ان يخلِّصني من كربتي ونذرتُ اذا نجوت ان اخصّص نفسي لخدمتهِ تعالى في الكهنوت فخرجتُ من الخان هائماً في وجهي الَّا اني سقطتُ بعد قليل لضعف قواي وكان اصحاب الخان لحظوا فراري فجاء الحارس مسرعاً وضربني بعصاهُ ضرباً اليماً فغُشي عليَّ فظنَّ اني قضيتُ فذهب ورجع بعد ساعةٍ فرآني بين حيّ

وميت فرحمني واعطاني ماء فشربتُ واطعمني رغيفين فعادت اليَّ قواي شيئاً فشيئاً فرجعتُ معهُ الى المأوى

*

على انَّ الاتراك بعد شهرين عزموا على قتلنا . وكان متصرّف دير الزور زكي باشا علجاً شرس الاخلاق ظالماً . ومن اعماله الهمجيَّة انَّهُ صوَّب يوماً غدَّارتهُ على أَمَةٍ ارمنيَّة كانت في خدمتهِ فقتلها . وكان يخاف من ان يسمّم احد طعامَهُ فكان كلَّ شهر يستبدلُ خدَّامهُ واذا اتوهُ بطعام ألقى منهُ لقمةً لكلبهِ ليختبر خلوَّهُ من السم . ويوم سار الى مضارب الارمن ليأمر بقتلهم كان يسوق عربتهُ خوذيٌّ ارمني فما قطع الفرات حتَّى رماهُ بالرصاص والقى جسمهُ في النهر . وكان اذا تلهَّى يجعل بازائهِ بعض الارمن او غيرهم فيقتلهم بيدهِ . فزكي باشا المذكور اراد ايضاً ان يقتل الاولاد كما قتل اهلهم . لكنَّ الله انقذني من جورهِ

ففي مساء احد الايَّام ارسل عرباتٍ الى مأوانا فقال المأمورون للصِّبية : اركبوا لنأخذكم الى احدى الضياع . فركبوا هؤلاء المساكين على بعضهم . فادركتُ غايتهم في قتلنا وكانت رجعت اليَّ بعض قواي فعوَّلت على الهرب بعون الله . فاسعدني الحظّ على تحقيق نيَّتي . فما خرجنا من المأوى حتَّى اعتزلتُ عن رفقتي وسرتُ متَّجهاً الى الجبال المجاورة لكنّي بعد نصف ساعة اضنكني المسير فرميت نفسي في خندقٍ ومن هناك كنتُ اسمع صياح الاولاد الذين كانوا يرمونهم في الفرات . وقد اخبرني بعد ذلك واحد منهم انهُ تمكَّن من الخلاص بالسباحة مع بعض الاحداث ثمَّ هربوا الى بعض منازل العربان

وفي صباح اليوم التالي رجعتُ الى البلد مستخفياً وذهبت الى بيت احد النصارى من اعيان طائفة الموارنة يُدعى يوسف توْتل . فهذا الرجل الكريم اخفاني في دارهِ مدَّة شهرين ولم يدعني اخرج لأنَّ الشُّرط كانوا يدورون البلد ويفتِّشون البيوت لعلّهم يجدون ارمنيًّا ليقتلوهُ . فبقيت عندهُ وتعلَّمتُ قليلًا من اللغة العربيَّة . وكان الخواجا يوسف يعاملني معاملة الاب الحنون وقد خلَّص من الموت غيري ايضاً من نساء واولاد . ومثلهُ الخواجا يوسف سكَّر فانَّهُ طاف في احياء العرب حول دير الزور وجمع في بيتهِ من وجدهُ من اولاد الارمن واحسن اليهم . جازى الله خيرًا هذين الرجلين

فبعد اشهر لمَّا هدأت الامور وانتهى عمَّال الدولة من قتل الارمن ألبسني معلّمي لبساً لائقاً واخذني الى مخزنهِ وادَّعى اني اصغر اخوتهِ ودعاني كامل توتل. فاحسَّ بي الشُّرط وارادوا القبض عليَّ لكن المسيو توتل كان يدافع عني ويكسبهم ببعض الدراهم وهكذا نجوت من يدهم

صرفتُ سنتين في خدمة هذا رجل الخير حتى دخل الانكليز في تشرين ١٩١٨ دير الزور فسلَّمني بضائع من مالهِ لأَبيعها في بغداد ففعلتُ ثمَّ عدتُ راجعاً اليه. ولمَّا بلغني دخول الانكليز الى حلب طلبت من المسيو توتل ان يسمح لي بالسفر فرضي بذلك واعطاني كل ما احتاج لسفري

فلمَّا وصلتُ الى الشهباء واجهتُ كاهناً ارمنيًّا فافادني عن رجوع الآباء اليسوعيين الى آطنه ومن جملتهم الاب غرَنسو فكتبتُ لهُ حالًا كتاباً أُعلمهُ بأمري. وبعد ثلاثة ايام قبل ورود جوابهِ سافرت الى آطنه فنالني من الفرح لمشاهدتي الآباء ما لا يصفهُ لسان وقبلني الاب الرئيس في جملة تلامذة المدرسة فقضيتُ هناك سنةً بنيّف. ثمَّ كتبت لحضرة الاب لوبون وبيَّنت لهُ امر دعوتي للكهنوت وبواسطتهِ تيسَّر لي الدخول في مدرسة بيروت الاكليريكيَّة في السنة ١٩١٩ فوصلتُ اليها في ١٠ تشرين الاوَّل وفي اليوم عينهِ لبست ثوب الاكليريكيين ولم ازل مذ ذاك الى الآن اقدّم آيات الشكر لله على نعمهِ اليَّ طالباً من مراحمهِ ان يؤهلني لبلوغ سرّ الكهنوت

# ألنَّصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

## العلوم والصنائع بين نصارى العرب (تابع)

وها نحن ننقل هنا صور ثلاثة نقود عربيَّة ترتقي الى اوائل الاسلام وعليها صور ملوك الروم ورموزهم السيحيَّة



A دينار عربيّ على وجههِ صورة هرقل ملك الروم وفي يمناهُ الصليب وفي يسراهُ كرة يعلوها صليب صغير . مع اسم طبريَّة باليونانيَّة . وعلى ظهر الدينار سمة النقود M مع اسم خالد (بن الوليد) باليونانيَّة

B فلس عربيّ على وجهه صورة هرقل الموصوفة . وعلى ظهرهِ مع سمة النقود هذه الالفاظ العربيَّة : صدر . دمشق . جائز

C فلس عربي على وجههِ صورة الخليفة «عبد الملك امير المؤمنين» وعلى ظهرهِ صورة الصليب المرتكز على سارية مع اسم سيرين حيث ضُرب . وهذا الفلس ممسوح اكثرهُ وانمَّا وُجدت منهُ نقود اخرى اجلى صورة مع كتابتهِ العربيَّة

وهذه النقود في متحف باريس

وقد ضرب امراء المسلمين في افريقية والاندلس بعد فتحها نقودًا عليها ايضاً شارات النصرانيَّة كالصليب واسم السيّد المسيح باللاتينيَّة مع اسماء الامراء المسلمين

وقد سبق لنا القول انَّ السلجوقيين في بلاد الروم والارتقيين في ما بين النهرين ضربوا ايضاً نقودًا عليها صور ملوك النصارى مع علامات النصرانيَّة بينها صورة السيّد المسيح والبتول مريم والدتهِ الطاهرة

﴿التعليم﴾ ومن الصنائع الشريفة التي دخلت بين العرب بفضل النصرانيَّة صناعة التعليم . وكان شيوع المدارس اوَّلًا بين الامم المجاورة للعرب كالكلدان والسريان في العراق وما بين النهرين وكالروم في جهات الشام وفلسطين فلمَّا تنصَّر العرب اخذ احداثهم يتردَّدون على المعلّمين المنصوبين للتعليم في الجهات المجاورة لمساكن قبائلهم في مدارس كانوا يدعونها بالاسكولات وهي كلمة دخيلة استعارها السريان من اليونانيَّة (σχολή) اشتهر منها مدارس الرها ونصيبين والمدائن والحيرة

ودمشق. ومع انَّ التعليم في هذه المدارس كان في السريانيَّة او اليونانيَّة لم يعدم العرب فيها وسائل لدرس لغتهم

وممَّا يؤيّد الامر اخبار بعض شعراء العرب . فمن ذلك ما ورد في كتاب الاغاني (٥: ١٩١) عن المرقّش الاكبر حيث قال: « وكان مرقّش يكتب وكان ابوهُ دفعهُ واخاهُ حرملة وكانا احبَّ ولدهِ اليهِ الى نصراني من اهل الحيرة فعلَّمهما الخطّ ». ورُوي عن عديّ بن زيد (الاغاني ٢ : ٢٠) انَّ اباهُ زيد طرحهُ في الكتَّاب مُذ نشأ ثمَّ ارسلهُ مع شاهان مُرد الى كتَّاب الفارسيَّة حيث « تعلَّم الكتابة والكلام بالفارسيَّة حتَّى خرج من افهم الناس بها وافصحهم بالعربيَّة » الى ان صار كاتباً للملك النعمان. وجاء ايضاً في اخبار طرفة والمتلمّس (الاغاني ٢١: ١٩٣—١٩٥) انَّ المتلمّس لمَّا اراد ان يطَّلع على ما كتبهُ في حقهما عمرو بن هند الى المكعبر عاملهِ في البحرين عدل الى غلام عباديّ من غلمان الحيرة فاعطاهُ الصحيفة ليقرأها لهُ ففعل ووقف على مضمونها اذ اوصى بقتلهما فألقى المتلمّس الصحيفة في النهر وفرَّ سالماً بنفسهِ وقُتل طرفة . فيتَّضح من ذلك انَّ العباديين وكانوا من نصارى العرب كانوا يواظبون على المدارس . وقد ذكر في محلّ آخر ( اغاني ١٨: ٧٨) فَضل معلّم نصرانيّ على سراهُ في البصرة في عهد بني اميَّة وولاية الحجَّاج. وفي طبقات ابن سعد (٣: ٢٥٨) انَّ في عهد عُمر بن الخطَّاب كان جُفَيْنة النصرانيّ من اهل الحيرة يعلّم الكتاب في المدينة وذلك بعد أن امر عُمر بخروج النصارى من جزيرة العرب . وفيهِ دليل على حاجة المسلمين في اوائل الاسلام الى المعلّمين. وفي قائمة المعلّمين التي سردها قدماء الكتبة كالجاحظ في البيان والتبيين (١: ١٠١) وابن قتيبة في كتاب المعارف (ص ١٨٥) وابن رسته في الاعلاق النفيسة (ص٢١٦) اسماء ذمّيين وموالٍ من نصارى ويهود كانوا يتعاطون مهنة التعليم

هذا فضلًا عمَّن كانوا يختلفون الى الرهبان والكهنة النصارى في صوامعهم واديرتهم ليتعلَّموا القراءة والكتابة. كما ذُكر عن ابي نصر البرَّاق بن رَوْحان (شعراء النصرانيَّة ص ١٤١) انَّهُ كان يتردَّد الى راهب فيتعلَّم منهُ تلاوة الانجيل. وكما قال في الاغاني (٣: ١٤) عن ورقة بن نوفل انهُ «كان يكتب بالعبرانيَّة ( يريد السريانيَّة ) من الانجيل ما شاء ان يكتب». ولعلَّ الراهب الذي اشار القريشيُّون اليهِ بقولهم عن محمَّد (سورة النحل) «انَّما يعلِّمهُ بَشَرٌ» كان احد معلّمي النصارى في مكَّة . كما تعلَّم

اهلُها الكتابة من بشر بن عبد الملك النصراني اخي اكيدر الكندي صاحب دومة الجندل (السيوطيّ في المزهر ١ : ٣٩٠) و كانوا يسمُّون هذه الكتابة بالجَزم اي الفصل سواء فصلوها عن خطّ حمير المعروف بالمُسْند كما ارتأى ابو حاتم (التاج ٨ : ٢٢٨) او بالحري لفصلها عن الحروف الكلدانيَّة وهي اقرب اليها . وفي فضل بشر على قريش قال احد شعراء كندة منشدًا :

لا تجحدوا نَعماءَ بِشرٍ عليكمُ فقد كان ميمون النقيبةِ أزهرا
أتاكُمْ بخطِّ الجَزْمِ حتّى حفظتمُ من المال ما قد كان شتّى مُبَعْثَرَا
وأبقيتمُ ما كان بالمال مُهْمَلا وطأمنتمُ ما كان منهُ مُبَقَّرا
فأجرَيْتُمُ الاقلامَ عَوْدًا وبَدْأةً وضاهَيْتمُ كُتَّاب كسرى وقيصرا
وأغنيتمُ عن مُسْنَدِ الحيِّ حِمْيرا وما زبرَتْ في الصُحف اقلامُ حميرا

وممَّا نسبوهُ الى قسّ بن ساعدة اسقف نجران في كتاباتهِ انهُ اوَّل من كتب في رسائلهِ «من فلان الى فلان بن فلان» ونسبوا اليهِ فصل الخطاب بأن قال بعد حمد الله والدعاء «اما بعد» افتتاحاً للخطاب . ومثلها قولهم « باسمك اللهمَّ » زعموا انَّ اوَّل من كتبها الشاعر النصراني اميَّة بن ابي الصلت الثقفي

فكل هذه الشواهد تدلُّ على شيوع صناعة التعليم بين نصارى العرب واجتهادهم في تعميمها . وقد سبق لنا بين القبائل المتنصرة (ص ١٢٤) ذكر قبيلة اياد وقد روينا انَّهم اشتهروا بمعرفة الكتابة فقال فيهم اميَّة شاعرهم (سيرة بن هشام ص ٣٢) :

قومي ايادٌ انَّهم أمَمٌ او لو اقاموا فتهزَلُ النَّعَمُ
قومٌ لهم ساحةُ العراق اذا ساروا جميعاً والقطُّ والقَلَمُ

ومثلهم الحميريُّون ولاسيَّما نصارى نجران وانَّما كانوا يكتبون الخطَّ المعروف بالمُسْند . قال ابن خلدون في مقدّمته : « ومن حمير تعلَّمت مُضَر الكتابَةَ العربيَّة » . والى حذاقة حمير في الكتابة يشير ابو ذؤيب بقولهِ (لسان العرب ١٨ : ٣٠٦) :

عرفتُ الديار كخطِّ الدُّويِّ م حَبَّرَهُ الكاتبُ الحِمْيَرِي

وممَّن سعى في نَشر التعليم من اساقفة النصارى في عهد بني اميَّة فثيون احد جثالقة الكلدان قال عنهُ ابن ماري في تاريخ بطاركة كرسيّ المشرق من كتابهِ المجدل (ص٦٦) انهُ « نصب في كرسيهِ اسكولًا فتشبَّه بهِ الاساقفة في عمارة البِيَع والاسكولات »

وبهِ نختم فصلنا عن العلوم والصنائع النصرانيَّة بين عرب الجاهليَّة واوائل الاسلام

# مطبوعات شرقيّة جديدة

**E. Duvillard**: Les Tendances actuelles de l'enseignement primaire. *In*-16, 163 *pp.*, 5 *f*rs. *Delachaux et Niestlé. Neuchatel* (*Suisse*)

**Ketty Jentzer**. Jeux de plein air et d'intérieur. *In*-16, 200 *pp.*, 3 *frs* 50. *Mêmes éditeurs*

التعليم الإبتدائي ووُجهتهُ الحاليَة – الالعاب في الخارج وداخل البيت

١ً ينحو اليوم ارباب المدارس الى تهذيب الدروس على اسلوب متعقّل . فللدروس الابتدائيّة حظّها في هذه الابحاث كما يليق لأن العلوم الثانويَّة تُبنى على هذا الاساس الاوَّل فان ساء الاساس لم يحسُن البناء والعكس بالعكس . وممن كتبوا فاجادوا في هذا الموضوع المسيو دوڤيليار . فقد اطلعنا على كتابهِ هذا الصغير الحجم الكثير المعنى حيث اوضح ما يحتاج اليهِ عقل الولد من العناية والتدبير فلا تُكبَس المعلومات في عقلهِ كبساً بل يُنفذها المعلم في ذهنهِ بكل هدوء وتؤدة فيتلقَّنها برغبة ويُقبل عليها بشوق . وللمؤلف فصول يذكر فيها ما يرتئيهِ في ذلك جمهور العقلاء كتوجيه الدروس الى المعارف الصناعية وتخفيف موادّ التعليم بتقليلها وتوجيهها الى العمل اكثر منها الى النظر . واخيرًا حِفظ النظام التعليمي مع تليين شدَّتهِ وثبات حزمهِ . وفي اواخر الكتاب تعليمات مفيدة واوصاف مبهجة لألعاب الاولاد الصغار من السابعة الى العاشرة من عمرهم

٢ قد جمعت الآنسة جنتسر في كتاب لطيف عددًا عديدًا من الالعاب التي يمكن تعليمها للاحداث ليتلهَّوا بها في الاحواش او داخل الدار وهو غاية في الافادة للطلبة ولارباب المدارس معاً لترويض ابدان الاولاد وتهذيب عقولهم الاب ا . لاي

**Emile Lesueur**: La Franc-Maçonnerie Artésienne au XVIIIe siècle- 2 Livres d'Architecture de la Loge « La Fidélité » à l' O.·. d'Hesdin, *Paris*, *Leroux*, 1916, *in*-8, *pp*. 388 *et* 461

الشيعة المسونيَّة في مقاطعة أرتوا في القرن الثامن عشر

انَّ الحركة الماسونيّة في زماننا انهضت همم الذين عرفوا دسائسها واختبروا اعمالها السيئة في اطراف العالم ولاسيَّما في اوربَّة فتألَّفت عدَّة جمعيات لمناهضتها

وكشف دفائنها المستورة ووضعوا لذلـك مجلّات خصوصيَّة وعقدوا المؤتمرات .
واعجب من ذلك ما صنعهُ المسيو ليسيور اذ قدَّم لكليَّة الجزائر كتابين ضخمين في ماسونيَّة مقاطعة ارتوا الفرنسويَّة مدَّة القرن الثامن عشر عموماً وتاريخ محفل «الامانة» خصوصاً لينال بهما شهادة الدكتوريَّة في الآداب وكلاهما محشوٌ بالفوائد والآثار المستخرجة من بطون المكاتب ومن القماطير المنسيَّة . ومنها يظهر ما كانت عليهِ تلك الشيعة منذ ذلك الحين تختلف لوائحها عن خباياها وظواهرها عن بواطنها وهي تسعى لثلّ عروش الملوك ودكّ كلّ سلطة روحيَّة وزمنيَّة وقلّما يتّفق اصحابها بينهم الّا في مناهضة روح الدين . فجاء كتابا المسيو ليسيور مؤيِّدين لكل ما كتبناهُ سابقاً في تأليفنا السرّ المصون في شيعة الفرمسون ل . ش

**Fournol** (Etienne): LES CHEMINS QUI MÈNENT à ROME. Remarques sur le rétablissement de l'Ambassade du Vatican. *Un Vol. in*-16. *Edition. Bossard. Paris VI. Prix* 4fs 80

استئناف السفارة الفرنسويَّة لدى الفاتيكان

بنسبة المباحثات التي جرت في العـام الماضي واوائل السنة الحاضرة في مجلس العموم في فرنسة لاستئناف السفارة لدى الفاتيكان قد ألّف المسيو فورنول هـذا الكتاب ليبيّن فيهِ الدواعي التي من شأنها ان تدفع الحكومة الفرنسويَّة الى تـلافي الاضرار التي نجمت عن قطع العلاقات مع الكرسيّ الرسوليّ وفنّد اعتراضات الحزب المعادي لهذا القانون ونحن نشكر المسيو فورنول لدفاعهِ عن هذه السياسة المعتدلة وانمَّا نأخذ عليهِ جهلهُ بالتعاليم الكاثوليكيَّة وسياسة الكرسيّ الرسوليّ فان الكنيسة كما اثبت ذلك لاون الثالث عشر لا تقصد ملكاً زمنيَّا لكنّها لا يسعها ان تهمل شيئاً من الامور الروحيَّة التي لها بعض العلاقة بالـدين وخلاص النفوس . فهذه سياستها الجليلة لا تستطيع أَن تتخلّى عنها ابد الدهر ج . لوقنك

**La Chesnais** (P. G.): LES PEUPLES DE LA TRANSCAUCASIE PENDANT LA GUERRE ET DEVANT LA PAIX. 1 Vol. in-16, 3 Cartes, 1921, Paris VI., Editions Bossard. 1921. Prix 9fs

موقف الامم التي ما وراء القفقاز في الحرب والسلم

اخصّ هذه الامم الارمن والكرج يتنازعهم البلشفيون غرباً والاتراك شرقاً .
ولا شكَّ انَّهــم لو خيَّروهم بين الجهتين لفضَّلوا الغرب على الاتراك وهمجيَّتهم الّا

انهم يجدون اليوم في البولشفيين وتصرفهم الغريب ما يملأهم رعباً فيتمنَّون لو امكنهم الحصول على الاستقلال. فمؤلف الكتاب الذي نحن بصدده قد اخذ على نفسهِ تعريف احوال تلك البلاد واهلها واميالها وموقفها قبل الحرب وبعد اعلان السلام وما لحقها من قبل اعدائها من الاذى والغارات في العامين الاخيرين. ويعرض على الدول المتحالفة الوسائل لخلاصها مبكّتاً للمتحالفين على قلّة اكتراثهم لنكبات تلك الامم. ويؤمل خيراً من اتحاد الارمن مع الكرج ليقووا على اعدائهم. وهذا الكتاب يميط الستار عن احوال تلك البلاد المجهولة التي عرفها حقّ المعرفة ج.ل

**Dr Jean Loris-Mélicof:** La Révolution Russe et les nouvelles Républiques Transcaucasiennes. *Paris, Librairie F. Alcan. in--8, XVI*-211. 1920

الثورة المسكوبيَّة والجمهوريَّات الجديدة في ما وراء القفقاز

هذا الكتاب اوسع نطاقاً واوفر معلومات من الكتاب السابق اذ يشمل مجموع الامم القاطنة في ما وراء جبال القفقاز من كرج وارمن وتتر ويتتبَّع اخبارها وما طرأ عليها من التقلُّبات في الاجيال السابقة وما صارت اليهِ احوالها بعد ظهور الحركة البولشفيَّة. وبعد استقرائهِ لنظامها وتاريخها وجغرافيَّتها واحوالها الاقتصاديَّة واخلاق اهلها واديانهم يستنتج من نظرهِ انَّ تلك البلاد لا تستطيع ان تنال سلاماً ثابتاً فترقى في سلَّم الحضارة الَّا بتوحيد كلمتها وضمّ قواها والَّا اضحت طعمةً للدول المجاورة لها لاسيَّما الجمهوريَّة الارمنيَّة التي تتهدَّدها الاعداء من كلّ ناحية. امَّا كيف يخمد بركان تلك الاصقاع وتنطفئ نيرانهُ المتأجّجة فالله وحدهُ يعلم بهِ لانشغال الحلفاء عنها بما لديهم من المشاكل في مواطنهم ل.ش

**Gaillard** (Gaston): Les Turcs et l'Europe. 1 vol. in-16. pp. 384. 1920 Paris, Librairie Chapelot

الاتراك واوربَّة

هذا الكتاب دفاعٌ عن الاتراك لتحوير معاهدة سيفر صنَّفهُ رجلٌ يجهل كثيراً من المسائل الاسلاميَّة. فالمسيو غَلْيار يجعل الوهابيين مقاربين لاهل الشيعة (ص ٣٢٧) يزعم انَّ الخلافة لا تقوم الَّا بموافقة العلويين واشراف مكّة (ص٣٠٣) ولو درس

التاريخ لرأي بني اميَّة ثمَّ بني عبَّاس تولَّوا الخلافة دون ان يكترثوا للامامة العلويَّة او الشريفيَّة · ولَعلم ايضاً انَّ الشرافة المكيَّة لم تسبق القرن العاشر · وليست معرفة المسيو غليار بالجغرافيَّة الشرقيَّة اثبت من علمهِ بالتاريخ فيكتب (ص ٣١٩) اسم حماة Harma واسم حمص Horms واسم العلويين Alamites · وظنَّ انَّ قرية صافيتا اسم علم شخص بذاتهِ (ص٣١٩) وقد نقل جبل عكَّار الى جهات انطاكية (ص٣٣٣) وهو يريد جبل اقرع المجاور لمصبّ نهر العاصي · وللمؤلف آراء غريبة في الاتراك وسياستهم · فبعد ان نقل تقرير اللجنة الهنديَّة في الخلافة التركيَّة واتَّسع في ترجمة حياة مصطفى كمال صاحب النهضة التركيَّة في الاناضول يساوي بين التمدُّن التركي والحضارة الانكليزيَّة والاميركيَّة (ص ١٢٦—١٢٧) ويزعم انَّ الاتراك بفتحهم جزيرة العرب سنة ١٥١٣ (والصواب ١٥١٧) انهضوها من كبوتها · كما انَّهم أولوا بلاد الشام عوناً وفضلاً (ص١٢٨) فيستنتج من ذلك وجوب مساعدة تركيَّة وصيانة مقامها لأنَّها على رأيهِ مؤيدة للتمدُّن الاوروبي محافظة على الآداب القديمة (ص٣٧٥) «كاسرة لشوكة رومية التي تسعى بمدّ سلطتها على كلّ العالم باستنادها الى البروتستانت والى اليسوعيين في المجر» (ص١٣٣) فترى من هذه السفاسف مبلغ علم المسيو غليار وتعمّقهُ في البحث · فتأمَّل !

الاب ه · لامنس

Journal d'un Converti par **Pierre van der Meer de Walcheren,** 2de éd., Paris. P. Téqui 1914, XVI-285

جريدة اخبار احد المرتدّين الى الكثلكة

نوصي بمطالعة هذا الكتاب جميع الذين خارجاً عن الكنيسة الكاثوليكيَّة يبحثون عن الدين الصحيح لاسيَّما البروتستانت · فانَّ مؤلفهُ احد افاضل الكتبة في هولندة واعيانها المسيو فان دير مير كان احد تبَعة الشيع اللوترانية اذ هداهُ الله الى الدين المستقيم وقد دوَّن في مفكّرةٍ خصوصيَّة سياقَ خواطر حياتهِ منذ استولى عليهِ الشك في صحَّة البروتستانيَّة الى ان حصل على معرفة الديانة الكاثوليكيَّة فزالت بها كلّ شكوكهِ ونبذ اضاليل شيعتهِ وترهَّب في الرهبانيَّة البندكتيَّة وبناشره هذا الكتاب يتمنَّى لكل الضالّين مثلهُ ان يحصلوا على ما نالهُ من فرح القلب وسلامة الضمير ل · ش

**M. Bernfeld.** LE SIONISME . Un vol. 8°, 477 pp.. Paris. Jouve et Cie . 1920. Prix. 12fs . 50

## الصهيونيّة

المسيو برنفلد من اكبر انصار الصهيونيَّة في فرنسة فاتَّخذ البحث عن شؤونها كموضوع تأليفٍ واسع قدَّمهُ للجنة المقامة لمنح امتيازات الدكتوريَّة . وكتابهُ هذا هو الآن في يدنا قد تصفَّحناهُ برغبة لِما ضمَّنهُ صاحبهُ من الآراء الموافقة لأميال اليهود في عهدنا . فاذا هو قد بنى كلامهُ على اربعة اصول حقوقيَّة وهي: اوَّلاً كون اليهود في العالم امَّةً واحدةً رغماً عن تشتُّتها . ثانياً ما لهذه الأمَّة من الرغبة في جمع شتاتها لتثبت وحدتها الادبيَّة . ثالثاً قيام هذه الوحدة بانشاء دولة يهوديَّة في فلسطين . رابعاً ثبات هذه الدولة بضمانة الحقوق الدوليَّة . وهذه المبتغيات قد يسعى اليوم في تحقيقها الصهيونيُّون . ولكن في اتمامها عوائق كثيرة ولا ندري كيف يغلبونها . منها صغر مساحة بلاد فلسطين التي لا تكفي لإعاشة ربع اليهود وعددهم كما قال المؤلف يبلغ من ١٤ الى ١٥ مليوناً من النفوس . ومنها تملُّك المسلمين والنصارى على معظم املاك فلسطين فلا يرضى اكثرهم بالتخلّي عنها . الى غير ذلك من العوائق التي يتغاضى عنها الصهيونيُّون مؤمّلين اتمام نبوَّة اشعيا (ص ٤٣) حيث يعد الربّ بني اسرائيل بان يجمع شتاتهم من اقاصي العالم ج . ل

**P. R. Desribes S.J:** INDUSTRIE PALÉOLITHIQUE EN PHÉNICIE. Quelques ateliers paléolithiques aux environs de Beyrouth. *Beyrouth*, *Impr. Catholique*, 1921. *pp.* 22. *in*-8, 18 *Planches* (*Extrait des Mélanges de la Faculté Orientale.*)

### معامل ظرانيَّة حوالي بيروت

سبق في المشرق (١ [١٨٩٨] : ٩٧ و٣٥٣) مقالة ممتِعة لحضرة الاب زُموفن في الظرَّان في فينيقية . وقد عُني مذ ذاك الحين بهذه الابحاث عدَّة آباء من كليَّة القديس يوسف فجمعوا آثاراً حسنة من الطَّور الحجري في سواحل الشام ولاسيَّما في جوار بيروت . وقد امتاز بينهم حضرة الاب راول ديريب من اساتذة المكتب الطبي الفرنساوي . فأنشأ منها متحفاً ذا شأن جمع فيهِ عدداً عديداً من الادوات الصوَّانيَّة

كالمقاطع والمخارز والمُدى من طور الظرَّان الاقدم وجدها في رأس بيروت ومينا الدالية وسنّ الفيل والدكوانة وفرن الشبَّاك وها هوذا قد وصفها في مقالة فريدة نشرها في مكتبنا الشرقيّ والحقها بتسع عشرة صورة جميلة تمثّل تلك الآثر الظرَّانيَّة التي تكشف لنا شيئاً من اسرار تاريخ بلادنا في الازمنة السابقة للتاريخ

The Poetical Remains of Muzāḥim al'Uqaili, edited and translated by **F. Krenkow.** *Late E. J. Brill, Leiden, in*-12. 1920. *pp.*22+٤٠

قصيدتان لمزاحم بن الحارث العقيلي مع ابيات منسوبة اليهِ

مزاحم العقيلي على ما ورد في كتاب الاغاني (١٧ : ١٥٠) «بدويّ شاعر فصيح اسلامي صاحب قصيد ورجز كان في زمن جرير والفرزدق وكان جرير يصفهُ ويقرّظهُ ويقدّمهُ» فبيّن بهذا الثناء علوّ مقامهِ في الشعر وسموّ طبقتهِ في اللغة. فذلك ما حدا بجناب المستشرق الانكليزي فرتز كرنكوف الى نشر قصيدتين طويلتين استدلّ اليهما في خزانة المخطوطات المصونة في جامع السلطان الفاتح في الاستانة: الاولى لاميَّة كاملة عدد ابياتها ١١٠. والثانية ناقصة لم يبق منها سوى ٦٣ بيتاً. وقد نشرهما مع ما عليهما من الشروح ثمَّ اضاف اليهما ٢٥ قطعةً ممَّا وجدهُ متفرّقاً في كتاب الاغاني وغيرهِ من تآليف الأدباء مع الدلالة الى الروايات المختلفة على كلّ بيت هذا فضلًا عن نقلهِ كلَّ هذه المقاطيع الى اللغة الانكليزيَّة وتعزيزها بفهرسين لأعلام الاشخاص والاماكن. فترى عناية المستشرقين بإحياء آثار لغتنا العربية وكم يقتضينا من الهمَّة لنبلغ شأوهم

ل. ش

## الاتّحاد اللبناني

### في القطر المصري والمسألة اللبنانيَّة

مطبعة المعارف بشارع الفجالة بمصر (ص ٣٣)

لا يجهل القرَّاء انَّ مواطنينا نزلاء القطر المصري كانوا ألَّفوا منذ احدى عشرة سنة جمعيَّة دعوها بالاتّحاد اللبناني لم تدّخر وسعاً في مساعيها الطيّبة وراء صوالح وطنهم ومستقبلهِ. ولا جرم انَّ لاعضائها في ما نالهُ لبنان مؤخرًا من الامتيازات قسماً صالحًا استحقُّوا لهُ شكر السوريين عموماً واللبنانيين خصوصاً. وهذا ما دعاهم الى

ان يخلّدوا ذكر تلك الاعمال في هذا الكرَّاس ويودعوهُ لائحة آمالهم ومطاليبهم ليبلغ اهل الجبل غاية ما ينتظرونهُ من الرقي بانتداب الدولة الفرنسويَّة الى ان يُصبح الجبل قادرًا على تدبير اموره بالاستقلال التام. فعسى اللبنانيُّون يصرفون هممهم ليؤلفوا امَّةً تغضّ النظر عن كلّ الغايات الشخصيَّة ولا ترمي الّا الى رقيّ الوطن وخيره العمومي

## كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان

للشيخ ابرهيم الاحدب الطرابلسيّ (طبعة ثانية)

المطبعة الكاثوليكيَّة في بيروت سنة ١٩٢١ (ص ٥٧٢)

ان اقبال الادباء على مطالعة رسائل بديع الزمان التي تولّى شرحها صاحب الفضيلة المرحوم الشيخ ابرهيم الاحدب وكشف النقاب عن كثير من مُعمَّياتها كان أنفد نسخها قبل الحرب. فلم تشأ المطبعة الكاثوليكيَّة أن يُحرَم العلماء من فوائدها رغمًا عن غلاء اسعار الورق وزيادة اجور العملة وانتدبت الى الوقوف على طبعها الاستاذ يوسف افندي الفاخوري مدرّس البيان سابقًا في كليَّة القديس يوسف. فجاءت هذه الطبعة الثانية تباري شقيقتها في محاسنها وزيادة اتقانها

## نبذة تاريخيَّة

في حياة الجمعيَّة المنصوريَّة الدمشقيَّة (١٨٦٥—١٩٢٠)

بقلم الارشمندريت ميشل عسَّاف (مطبعة حريصا ١٩٢١ ص٧٦)

كلّ يعلم ما لجمعيَّات مار منصور دي بول من الفضل العميم في كلّ معارض الخير. وقد امتازت بذلك الجمعيَّة المنشأة في دمشق قبل ٥٥ سنة على عهد الطيب الذكر البطريرك غريغوريوس يوسف بهمَّة بعض افاضل الروم الكاثوليك وتثبيت رئيس الجمعيَّة البيروتيَّة رجل الخير المرحوم بطرس ديشان. فكانت شركة دمشق الثانية بعد بيروت (راجع مقالتنا في تاريخ شركة مار منصور دي بول في المشرق ١٣ [١٩١٠] : ٤٨١—٤٩٣) فنشكر حضرة الارشمندريت مشيل عسَّاف المحترم الذي اوقفنا على مآثر جمعيَّة الفيحاء في هذه الحقبة من الدهر ليمجّد الناسُ الله في اعمال ارباب الخير ويجري الخلف على امثال السَّلف فيستحقُّوا اجرهم ولا يضيع عند الله اجر المحسنين

ل. ش

## رسبوتين الراهب المحتال

للكاتب الانكليزي وليم لوكو تعريب اسعد خليل داغر

عُني بنشره يوسف توما البستاني بمطبعة التوفيق بمصر سنة ١٩٢١ (ص١٧١)

الراهب رسبوتين احد النصَّابين من فلَّاحي روسيَّة توصَّل بخبثه ومراءاته ومدَّعياته الباطلة الى ان خدع كثيرين من مواطنيه حتى بلغ بدسائسه وحيله الى العرش الامبراطوري وتقرَّب من القيصر نيقولا الثاني ولاسيَّما قرينته الامبراطورة الكسندرة فكان هو احد اسباب سقوط القيصر وهلاك الاسرة الامبراطوريَّة. وقد لقي هو ايضاً حتفهُ بظلفهِ وهذه الاخبار مع صحَّتها غالباً قد رُويت هنا على صورة خياليَّة اكثر منها تاريخيَّة وهي لروائي انكليزي شهير بتفنُّنهِ وقد اخرجها معرِّبها اسعد افندي خليل داغر على صورة شائقة فصيحة العبارة

## نوادر الحرب العظمى

عُني بجمعها يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب

طُبع في مصر بالمطبعة اليوسفيَّة سنة ١٩٢١ (ص٢٥٦)

هذه ٣٨٧ نادرة من «قصص رسميَّة واقعيَّة فكاهيَّة مؤثرة» انتزعها جامعها الاديب من الجرائد والتآليف المختلفة التي نُشرت في زمن الحرب العظمى وبعدها فنظم سلكها في هذا الكتاب اللطيف. بحيث يتنقَّل القارئ من نادرة الى اخرى بلذَّة وبهجة دون ان يلقى بقراءتها عناء حتى يأتي الى آخرها بل تتجدَّد في قلبهِ شواعر ساعات الحرب اذ كان يتوقَّع اخبارها ويتوق الى معرفة تفاصيلها. وقد شبَّهنا الكتاب بمعرض الصور المتحرّكة التي تقرُّ لها الابصار وتثلج بمحاسنها الصدر ل. ش

# شذرات

❁منشور بطريركي❁ قد وجَّه غبطة بطريرك السريان الانطاكي مار اغناطيوس افرام الثاني الى لفيف اكليروس وشعب كنيسته الكرام رسالة غاية في الحسن لفظاً

ومعًى كتبها بنسبة إعلان القديس افرام كلفان الكنيسة جمعاء وضمّنها خلاصة تعاليم ذاك الرجل العظيم وسيرتهِ الصالحة فاجتنى من تآليفهِ شهاداتٍ ساطعة في إثبات اخص المعتقدات الكاثوليكيَّة ومن حياتهِ أَمثلةً جليلة في اسمى الفضائل المسيحيَّة التي يحتاج اهل العصر الى ممارستها · فنشكر غبطتهُ على هـذا الاثر البديع ونطلب الى شفيعهِ المشفَّع ان يبارك اعمالهُ ويحقق امانيهُ في ارتداد الضـالّين الى حجر الكنيسة المقدَّسة

❀ دار الكتب الكبرى في بيروت ❀ من جمـلة نعم الدولة الفرنسويَّة منـذ احتلالها في اصقاعنا توجيهُ عنايتها الى انشاء مكتبة كبرى في بيروت يقصدها الادباء للدرس والمطالعة والتأليف · وهي امنيَّةٌ طالما رغبنا في تحقيقها في عهد الدولة التركيَّة وبيَّنَّا لعمَّالها حاجتنا الماسَّة اليها · فكان كلامنا كالكتابة على صفيحة الماء او كضربة في الفضاء · وها قد باشرت بالعمل فعيَّنت موقَّتاً طابقاً من مدرسة الدياكونيس الالمانيَّات فخصَّتهُ لانشاء المكتبة وانتـدبت لتنظيمها وادارتهـا أَعلم ابناء الوطن بالكتب والمطبوعات جناب الكونت فيليب دي طرَّازي وبعض المساعدين الاختصاصيين · فما لبثوا ان شمَّروا عن ساعد الجدّ واعدُّوا الخزائن فجمعوا فيها قريباً من ٥٠٠٠ كتاب والامل معقود على ترقّي هذا المشروع الجليل · وقد نشرت الادارة اعلاناً بذلك وتدعو كل محبي الآداب الى معاضدتهِ · وقد بلغنا ان بعض ذوي المروَّة وارباب العلم أتحفوا هذا المعهد الكتابي بعدَّة مطبوعـات وتآليف مختلفة فربحوا بذلك شكر العموم · فعسانا نشاهد قريباً في بيروت مكتبة وطنيَّـة حافلة بالاسفار الجليلة لاسيَّما الشرقيَّة فتضاهي دور الكتب الكبرى التي لا تخلو منها في اوربَّة مدينة راقية

❀ حرير الموز ❀ قد توفَّق احد البرتغاليين الى اصطناع انسجة حريريَّة استحضرها من ليف اوراق الموز أُعجب بها كل من نظرها · وقد اخترع ذلك في اوان الحرب اذ تصاعدت اسعار الاقمشة والملبوسات · والبرتغاليُّون يبنون على هذا الاكتشاف اطيب الآمال لغنى بلادهم ومستعمراتهم بالموز

❀ الاصداء الشهيرة ❀ في بلدة بَلِمس من اعمال سويسرة صدًى اشتهر بدويّهِ وانعكاساتهِ المتعدّدة فاذا أُطلق هناك مدفع أصدت لهُ الأَودية المجاورة مدَّة نحو خمس دقائق فيخيّل لك انَّ ثمَّة ساحةَ وغًى هائلة وهناك رجلٌ يكسب معاشهُ باطـلاق مدفعين امام الزوَّار المتقاطرين الى تلـك الجهة · ومن اغرب الامكنـة الصَدية بعد

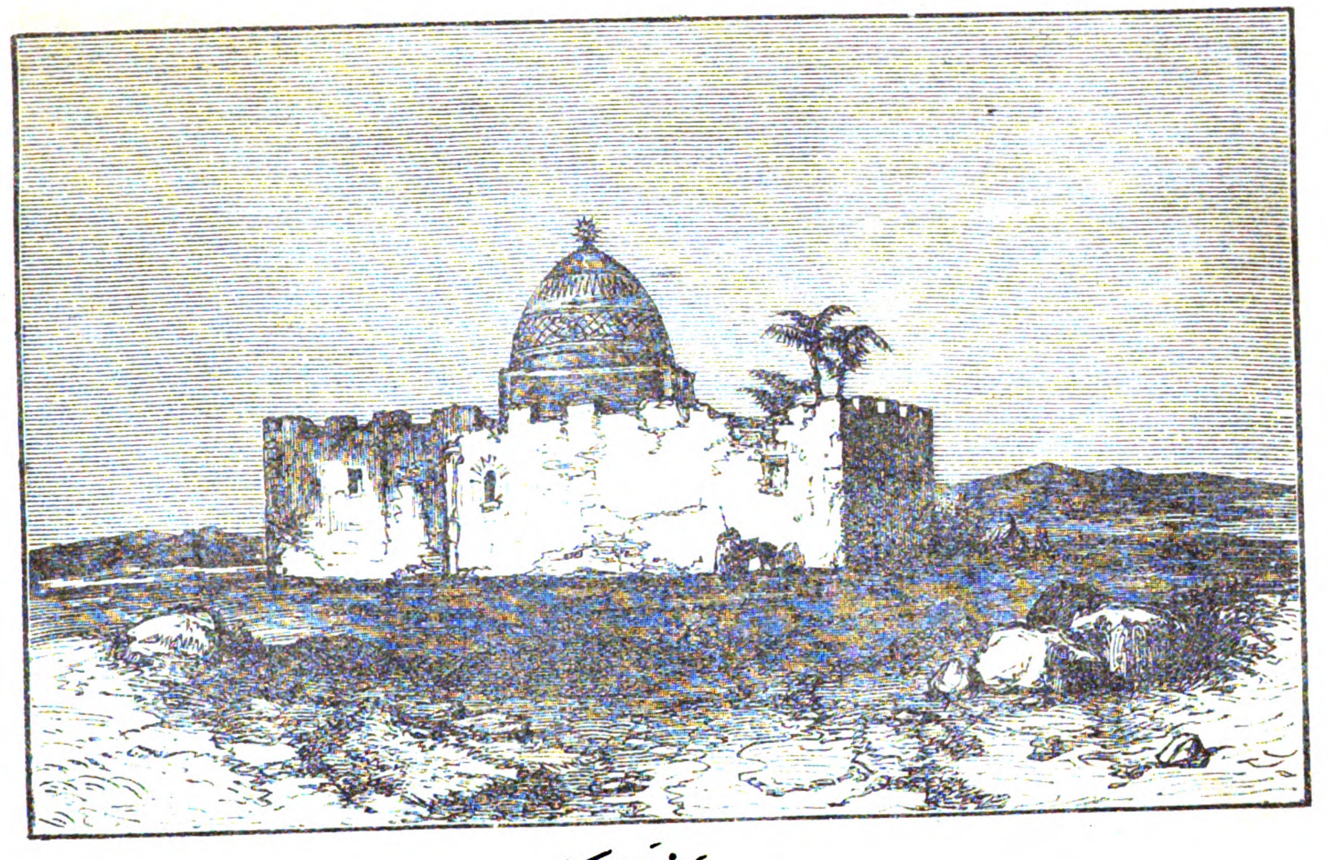
بلمس قبّة العماد في كاتدرانيّة مدينة بيزا في ايطالية فانّها تحوّل الصوت بل ايّ دويّ او جلبةٍ كانت الى اصداء موسيقيّة رخيمة

﴿متانة خيط العنكبوت﴾ بيّن حضرة الاب طوران في مقالتهِ عن العنكبوت العجائب التي خصّ بها تعالى هذه الهامّة الغريبة . ولولا ضيق المكان لذكر ما يُعزى لنسيج العنكبوت من الفوائد الطبيّة كضمادٍ للجراح وعلاج للامراض العصبيّة ومداواة للحُمّيات . ومما روتهُ احدى المجلّات العلميّة انّ خيط العنكبوت مع دقّتهِ امتن من الفولاذ عينهِ الذي هو معروف كأمتن جميع المعادن . وبيّنت ذلك بالمقابلة بين ما يحملهُ قضيب من الفولاذ اسطواني قطرهُ سنتيمتران ونصف وما يحملهُ خيط العنكبوت فان القضيب لا يقوى على حمل اكثر من ١٠٠ طنّ . امّا خيط العنكبوت فانهُ يحملهِ عنكبتهُ يحمل دون انقطاع ١٠ غرامات فلو كان قطرهُ كقطر قضيب الفولاذ لَحَمل ١٤٨ طنًّا . وزادت المجلّة بهذه المناسبة انّ طول خيط العنكبوت البالغ ثِقل نصف كيلوغرام يوازي دائرة كرتنا الارضيّة عند خطّ الاستواء اعني اربعين الف كيلومتر

﴿نابغة السباحة﴾ في بدء هذا العام سبح الايطالي تيرابسكي مدة ٢٤ ساعة متواصلة من جمهورية اورغواي الى بوانس أيرس . مجتازًا مسافة ٥٠ كيلومترًا ولم يسبقه احد في مثل هذا الشوط

﴿مأثرة الليوتنان كازال الفرنسوي﴾ فاق كل الطيّارين اقرانهُ في بدء هذا العام حيث صعد الى علوّ ١٠،١٠٠ متر . اعني انهُ ارتفع نحو كيلومترين فوق اعلى جبال الارض كحملايا ومن عجيب امر هذا الطيّار انّهُ لم يستغرق اكثر من ساعتين صعودًا وانحدارًا . ومن ١٣ سنة كان معظم الارتفاع الذي ادركهُ سانتوس دومون ستة امتار فقط ! . والحقّ يقال قلّما ورد في تاريخ ترقّي الاختراعات البشرية العديدة ما يضاهي اختراع الطيارات في سرعة رُقيها وانتشارها

﴿ اعظم اكتشاف علمي من غرّة الجيل العشرين حتى اليوم ﴾ بتوفّق العقل البشري كل يوم الى اختراعات جديدة والمجلّات العلميّة مشحونة بما يبتكرهُ اذكياء الناس من ادوات ومصنوعات لا تُحصى . ولكن هيهات ان يُكتشف في كلّ جيل مبدأٌ علمي يغدو ركنًا لعدّة اختراعات في الاعصر اللاحقة . ولنا مثال جليل في احد



مشهد عَزْرَا الكاتب

على ضفَّة دجلة قريباً من شط العرب



تلك المبادئ الغزيرة النتائج ألا وهو مبدأ تجاذُب كلّ الاجرام بنسبة حجمها وعكس مربّع المسافة الفاصلة بينها . اكتشفه الرياضي الشهير نيوتن استنادًا الى أرصاد الفلكيين النوابغ كوپرنيك وكِپلر وغليلاي . فعلى ذلك ناموس التجاذب العامّ تأسّس كل علم الفلك منذ نيوتن حتى ايّانا هذه حيث توصّل العلماء بواسطتهِ الى ادراك مكنونات حركة كلّ سيّارات المجموع الشمسي ما عدا عُطارد وحركات المذنّبات المارّة كالسهم تخرق الفضاء ومئات من النجوم الدائرة واحدة حول اخرى

امّا دَوَران سيّارة عطارد حول الشمس فلم يتبع تماماً ناموس التجاذب وقد عيّ جهابذة الرياسين الفلكيين عن تفسير تلك الاحجيَّة الغامضة وذاك الشذوذ الفريد في نوعه حتى قام منذ نحو اثنتي عشرة سنة العلّامة الالماني ألبر أينشتَين (A. Einstein) وهو اصغر اعضاء اكادِميَّة العلوم البروسيانيَّة سنًّا — فهذا عرض على علماء الخافقين ناموساً اكمل من الذي اكتشفه نيوتن لتفسيرِ حركات الاجرام السماوية . والدليل على ذلك انهُ يفسّر تلك الحركات وفي جملتها حركات عُطارد . وكان اجلى تأييد لصحة ناموس أينشتين انَّ صاحبهُ سبق فوصف بعض النتائج للخسوف الشمسي الذي شوهد في البرازيل في ايّار سنة ١٩١٩ . قال : «ان اشعَّة نجمٍ معلوم لا تصل الى الارض بعد مماسّة طرَف القُرْص الشمسي الَّا تحيد عن خطّها المستقيم بمقدارٍ معيّن مختلف بالكلّيَّة عن الذي يقتضيهِ ناموسُ نيوتن » . فحقَّقت الرصودات العديدة الحادثة اوانئذٍ ناموس العلّامة الالماني وأكسبت صاحبه شهرةً عظيمة في كل المعاهد ولاسيَّما الاكاديميات العلمية . الحق يقال لم يغير اينشتين ناموس نيوتن قطعاً من قبيل محتوياتهِ لكنهُ زاد عليه زيادة ضرورية لتفسير كل الحركات الفلكية . وتلك الزيادة مبنيَّةٌ على امرٍ كان يجهله ليس فقط نيوتن ومعاصروه بل لفيف الفلكيين حتى اواخر الجيل التاسع عشر . وهو الآن من الحقائق الراهنة التي لا يختلف فيها اثنان . اعني حركة كل المجموع الشمسي المتَّجهة الى نقطة من الفضاء لم يستطع العلماء تحديدها بكل دقَّة ولكنهم يجعلونها في حدودٍ معلومة من القبة الزرقاء . ومن البديهي ان منظر حركات الاجرام السماوية من الارض يختلف ضرورة مع وجود حركة المجموع الشمسيّ عمَّا يكون بفرض عدم وجودها

الاب رفائيل نخله

# أسئلة وأجوبة

س سأل مستفيد ما قولكم بما كتبهُ احد المستشرقين في مقدَّمتهِ على ترجمة كتاب الحمامة لابن العبري ( Wensieck : The Book of the Dove, p. LXIII ) انَّ الامام ابا حامد الغزَّالي قال بمادّية النفس ؟

## الغزَّالي ورأيهُ في النفس

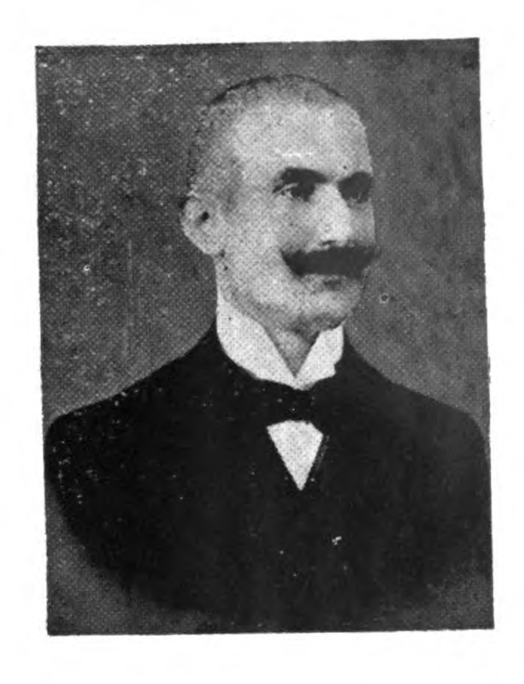
لا شكَّ في انَّ الامام الغزَّالي كان يقول بروحانيَّة النفس وتجرُّد جوهرها عن المادَّة . والظاهر انَّ المستر ڤنسيك لم يُدرك ما اراد بهِ ابو حامد في كلامهِ عن الروح والنفس في احياء علوم الدين (ج ٣ ص ٤) فنسب اليه هذا الرأي الشنيع زورًا

س وسال احد قرَّاء مجلَّة العرفان الغرَّاء أصحيح ما روي في عدد هذه المجلَّة الاخير أن ڤولتير جاء من اوربَّة في عهد الجزَّار وزار قلعة شقيف تيرون ووصفها في كتاب رحلتهِ ڤولتير ورحلتهُ الى سوريَّة

ج انَّ ڤولتير امام الزندقة في زمانهِ لم يخرج قطّ من اوربَّة وكان قد مات في عهد الجزَّار ولعل الاسم التبس على الكاتب وهو يريد ڤولنه (Volney) ورحلتهُ الى بلاد الشام مشهورة

س وسأل الكتبيّ يوسف افندي صفير متى عاش الشيخ صالح بن محمَّد الغزّي التمرتاشي صاحب كتاب «معونة المفتي والقاضي وسعفة الداني والقاصي» الذي حصل على نسخة منهُ الشيخ صالح الغزّي وكتابهُ معونة المفتي والقاضي

ج الشيخ صالح الغزّي هو ابن محمَّد بن عبدالله الغزّي التمرتاشي ترجمهُ المحبّي في تاريخ خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر (٢ : ٢٣٩ ) وذكر ولادتهُ في سنة ٩٨٠ ووفاتهُ ١٠٥٥ هـ (١٥٧٢—١٦٤٥م) نبغ في العلوم الفقهيَّة في مصر . وعدَّ لهُ بعض التآليف لكنَّهُ لم يذكر كتابهُ معونة المفتي والقاضي . ويُعرَف لوالدهِ ابي صالح محمَّد بن عبدالله كتاب ذكرهُ الحاج خليفة في كشف الظنون وهو معين المفتي في الجواب على المستفتي وقد تصحَّف هناك (٥ : ٦٤٥) اسم «الغزّي» بالعربيّ وكذلك في كتاب بروكلمان Brockelmann: Gesch. d. arab. Litter., II, 311 منهُ نسختان في مصر في المكتبة الخديوية وفي الاستانة ل . ش





شهيدا لبنان

الشيخان الشقيقان فيليب وفريد قعدان الخازن

(† ٦ حزيران ١٩١٦)



## شهداء لبنان

# الشيخ فيليب والشيخ فريد قعدان الخازن

لسيادة المطران عبدالله الخوري النائب البطريركيّ الجزيل الشرف

ما أصلتَ الاتراك سيفَ نقمتهم علينا إلَّا لصِدق وطنيَّتنا وشدَّة تمسُّكنا بامتيازاتنا وفرط حبّنا وإخلاصنا للأُمَّة الافرنسيَّة حامية ذمارنا. وقد تفنَّن اولئك الغاشمون في ضروب الانتقام وأماتوا العدد العديد من مواطنينا الكرام شفاء لغليل سخطهم وظنًّا منهم انّهم بتلك وسائل الإرهاب المقوتة يخنقون فينا شعائر وطنيَّتنا وعواطفنا وحبّنا لفرنسة. غير انهم خابوا ظنًّا وأخطأوا حدسًا لأنَّ صوت شهدائنا الاعزَّاء الذين لا ننسى أبدَ الدهر تضحية دمائهم الزكيَّة في سبيل الوطن المحبوب لا يبرح يطرق مسامعنا فانهم «وان ماتوا لا يزالون يتكلَّمون» (عبر ١١ : ٤) ويدعوننا الى اقتفاء آثارهم المجيدة والنَّسج على منوالهم بالاستبسال في المحافظة على المبادئ الشريفة مبادئ الشهامة والاستقامة والعدالة والحرّيَة. وانَّ من هؤلاء شهداء الوطن فئةً قد امتازت بمجموع من الصفات الحميدة الغرَّاء تجعل أسفنا عليها شديدًا وتحملنا على نَشر ما انطوى واستَطوَتهُ الايَّام منها تخليدًا لذكرها واقرارًا بجميلها كالأسوف عليهما كلَّ الأسف الشيخَيْن الشقيقين فيليب وفريد قعدان الخازن اللبنانيَّيْن

نشأ هذان الشهيدان في قرية عرامون من اعمال كسروان ورضعا مع الحليب تقاليد العائلة الخازنية واعتبرا طول حياتهما إباءَ النفس والإخلاص لله وحبَّ الوطن وفرنسة اشرف وأمجد ما ورثاهُ عن الاجداد ولم يكن ذلك في اعينهما بالشيء القليل. فحبُّ الوطن وحبّ فرنسة والتمسُّك بالدين والائتمار باوامرهِ والعمل بنواميسه تلك

كانت الصفات الشريفة والحُلية البهيَّة التي تحلّى بها شهيدانا العزيزان وقد كانت ممتزجة مقترنة فيهما الى درجة لم نشأ معها التفريق لا بينها ولا بينهما

ما كاد الشيخ فيليب يبلغ اشدَّهُ حتى نشط للعمل بل للمكافحة والجهاد في سبيل ما كانت توحيهِ اليهِ روحهُ الوطنيَّة فما كان يأتي الاتراك او من حذا حذوهم في بغض الوطن اللبناني مظلمةً او اجحافاً في حقٍ الَّا ورفع صوتهُ احتجاجاً دون ان يخشى بطش الحكومة وشرَّها. وقد قبضت عليهِ حكومة ذلك العهد معتقدةً انَّها تكمُّ فاه بالإرهاب فازداد جرأةً وواصل الاحتجاج بلسان الصحافة المصريَّة على المظالم التي تحمَّلها لبنان في عهد متصرفيَّة واصه باشا. ولم يكن بعد اخوه فريد بلغ من السنّ ما يسمح له بمشاطرته الجهاد في سبيل خير الوطن ومصلحتهِ لكنَّهُ ما شبَّ حتى نهج منهج اخيهِ دون ان يحيد عنه ذرَّةً حتى كان يخيّل للناظر الى الاثنين وللمتقرّب منهما انَّ روحاً واحدةً تنعشهما

من اكبر الآفات ومن اعظمها شرًّا على البلدان انمَّا هو حبُّ الوظائف الذي يُقعد النفوس عن العمل الجدّي ويميل بها الى ايثار المصلحة الشخصية على المصلحة العمومية . وكلٌّ يعلم ما كان من تفشّي هذا الداء في تركيا ولبنان وكم كان من ورائه من اذلال النفوس وهضم الحقوق الى غير ذلك مما يُخجلنا ذكرهُ وتبيانهُ . على ان ما خُصَّ بهِ فقيدانا العزيزان من اباءِ النفس والشهامة وما امتازا بهِ من الحبّ المخلص لوطنهما وقاهما من شرّ ذلك الداء الوبيل فعلما باعتقادهما الراسخ في ذهنيهما من ان الوطنيَّ الحقيقي هو من ترفَّع عن المصلحة الشخصية وعاش لوطنهِ لا لنفسهِ وأزدريا بكلّ الوظائف التي كانت تعرضها عليهما الحكومة ليقينهما انها لم تكن تفعل الَا لاكتسابهما بهذه الطريقة وحَملها على الإغضاء عن مساوئها لتنتفع ويستفيد البلاد من خدمتها. وجلُّ ما تمنَّياهُ بهذا الشأن وكان مصدرهُ المحبَّة الوطنيَّة انَّما كان ان ينال احدُهما الحماية الافرنسيَّة فيعمل على مصلحة وطنهِ باوفر جُرأَة في ايَّام سار فيها الاستبداد والجور والظلم وخَفَتَ صوت الحق وكانت ارادة الحاكم هي الشريعة والقانون

وما نالا هذه الأُمنيَّة من تعطُّفات الحكومة الافرنسيَّة الجليلة بتعيين احدهما فيليب ترجماناً فخريًّا للقنصليَّة العامَّة في بيروت الَّا سعيا في تحقيق رغبةٍ اخرى كانت

في اعينهما بمكان يُذكر من الاهمية وهي تأسيس جريدة تمكّنهما من نشر مبادئهما الشريفة وخدمة مواطنيهما بالدفاع عن حقوقهم وما لبثت رغبتهما هذه ان تحقّقت وظهرت جريدة الارز فادّت الخدمات الجلّى للدين والوطن وفرنسة نيّفاً وعشرين سنة وقد قيل عنها انها كانت اقرب الجرائد العربيَّة الى روح الصحافة

وقد ظلَّ منشئاها الفاضلان يدبّجان مقالاتها الشائقة الغراء بكل جرأة ونشاط الى ان سنَّ المجلس النيابي التركي قانون الصحافة فاراد حاكم الجبل في ذلك العهد تنفيذهُ في لبنان وتقييد الصحافة بهِ فهبَّ الاخوان للمعارضة والاحتجاج على عملٍ رأيا فيه شديد المساس بامتيازات لبنان لكن فوزَهما لم يكن بالامر السهل ايام عَضْد اوربا افتيان الاتراك عضداً قد دفع بهؤلاء الى هاوية التعصُّب الذميم ضد كل العناصر غير التركيَّة ولذا لم يُعبأ باحتجاج شيخينا فاوقفت جريدتهما

وكانت صدور الاتراك وصنائعهم لا تزال تلتهب حقداً على الشقيقين لانهما كانا قد قاما حاجزاً منيعاً دون تحقيق رغائبهم في ضمّ لبنان الى السلطنة العثمانية ضمّاً كاملاً يوم قامت تلك الفئة اللبنانيَّة على اثر اعلان الدستور العثماني واخذت تلحّ في وجوب انتخاب مَن يمثّل لبنان في مجلس المبعوثان. وكان الاتراك يرمون من وراء ذلك الى حرمان لبنان استقلالهُ ومنع الدول الاوربيَّة بهذه الطريقة من المداخلة في شؤون هذه البلاد . ففطن الشقيقان للامر واشهرا في جريدتهما الارز الحرب العوان على تلك الفكرة وقد أيَّداها بمقالات ضافية تجلَّت بها وطنيتهما الحقة ومقدرتهما الكتابية المنطقيّة اذ بيَّنا بالحجج الراهنة والادلَّة القاطعة ان لا سبيل الى تمثيل لبنان في المجلس النيابي التركي وهو على ما هو من استقلالهِ الذاتي الممنوح له بموجب دستور خاصٍ موافَق عليه من الدول العظمى . وقد قيَّض الله لهما النجاح في الامر وحبطت مساعي الذاهبين فيه غير مذهبهما

وممَّا كان ينشّط عزيمتهما ويثبّتهما في الخطة التي اختطَّاها لنفسهما انما كان مع حبّهما لوطنهما تمسكهما المتين العُرَى بحبّ فرنسة وتفانيهما في سبيل مصلحة تلك الامَّة النبيلة التي كان من عنايتها بهذه البلاد وسكَّانها منذ القديم ما اكسبَها حقوقاً مقدَّسة فيها. وهذا ما دفعهما الى تجشُّم المشقَّات وتكبُّد النفقات الطائلة في سبيل نشر المحرَّرات السياسية التي تبادلَتها الدول بخصوص لبنان تعميماً للفائدة وتبياناً لِما لفرنسة من الفضل

والحنان على لبنان واهلهِ . وعندنا ان نشر تلك الكتابات باللغة العربيَّة كان من اهمّ الاسباب لحنق جمال باشا وسخطهِ على الشقيقين الخازنيَّين فدفعهما الى الموت شنقاً وقد زاد ذلك في علوّ منزلتهما في القلوب ورفعة شأنهما وتقدير فرنسة والبلاد تضحيتهما

وهنا مجال لذكر حادثتين تُبيّنان اجلى بيان الى ايّة درجة بلغ الشقيقان من الوطنيَّة ومن حُبّهما لبلادهما ولفرنسا . بلغهما ما كان في نفس دارولاد (P. Deroulède) الافرنسي الشهير من عواطف الوطنيَّة السامية . ولمَّا اتصل بهما خبر الحكم عليهِ بالنفي نظم احدُهما فيليب قصيدةً عربيَّة رنَّانة طلب الى صديقهِ المأسوف عليهِ كل الاسف المطران بطرس شبلي ان ينقلها الى الشعر الافرنسي . فطَبع الاصل مع الترجمة وركب البحر الى اسبانية وتوجَّه الى مدينة سان سابستيان حيث كان دارولاد وقدَّم لهُ قصيدتهُ المعبّرة عمّا كان يكنُّهُ فؤاده من العواطف النبيلة الشريفة . فأجَلَّ دارولاد استقبال ضيفه الكريم واثنى على شعوره الثناء العاطر واهدى اليه مع رسمهِ مجموعة مؤلفاتهِ . وقد شاهدنا رسم ذلك الوطني الافرنسي الصادق يعلو مكتب الوطني اللبناني الكبير

وحين استعرت نار الحرب منذ اعوام بين الدولة العثمانية وايطاليا وأمَّت دارعتان ايطاليتان مياه بيروت ودَمرت فيها النسَّافتين العثمانيَّتين انقره وعون الله اسفَ الشيخ فيليب كلَّ الاسف لان الضربة لم تكن من فرنسا لانه لم يكن في نظرهِ يحقّ لغير فرنسا ان تأتي عملًا في هذه البلاد

وكأن جمال باشا الظالم ادرك دنوّ الاوان نفوز السياسة التي يسعى وراءها الشقيقان الخازنيان فأمرَ غير مبالٍ بالعفو الصادر بتاريخ ١١ ك١ سنة ١٩١٣ ان تصير محاكمة الشيخين امام ذلك الديوان العرفي الذي اشتهر اعضاؤه بغشمهم وجُبنهم وتضحية شعورهم امام ارادة جمال السفَّاح فاصدر عليهما الحكم بالاعدام وبلّغهما اياه قبل تنفيذه بثلاثة ايام خلافاً لِما عومل به سائر المحكوم عليهم . وقد تساءل الناس كثيراً ولا يزالون يتساءلون دون جدوى عن مستندات ذلك الحكم الجائر التي ظلّت مكتومةً رغماً عن انَّ جمال باشا نشر كتيباً بالعربية والافرنسية ذكر فيه اسماء المحكوم عليهم بالاعدام مع الاسباب التي اوجبت الحكم . فكأنه خشي ملامة الرأي العام فلم يأتِ على ذكر شيخينا العزيزين ولا ذكرِ الاسباب التافهة التي دفعتهُ الى الانتقام منهما

وما انتشر خبر اعدام الشقيقين في البلاد حتى تولّت الكآبة جميع القلوب لِما كان لهما فيها من الحب والمكانة الرفيعة . ولِما كان يُعقد عليهما من الآمال الكبيرة . وقد بكاهما اللبنانيون دماً لانهما كانا اخبرَ الجميع بمعرفة تاريخ البلاد واشدّهم تمسكاً بالوطنية يدلُّ على ذلك منشوراتهما العديدة في تأييد حقوق البلاد . من ذلك ما كتبهُ احدهما فيليب باللغة الافرنسية حينما ارادت الحكومة العثمانية إحداث بعض شرائع وقوانين جديدة في لبنان فبيَّن اجلى بيان ان لبنان مستقلّ منذ القديم بعدليتهِ واحكامهِ . وقصارى القول انّه ما من جهة هجم منها الهاجمون الّا صادفوا فيها الشقيقين في اوّل خطّ الدفاع معرّضين صدرَيهما للذبّ عن حقوق وطنهما وعن حريتهِ ومن تصفّح مجموعة جريدتهما يكاد لا يرى صفحة تخلو من مقالة او نبذة او على القليل كلمة للمدافعة عن المبادئ الصحيحة

من الناس مَن تكون اعتقاداتهم ومبادئهم نظريَّة بحتة فيعملون بكل الطرق على نشرها وتحبيبها غير انك اذا نظرت الى حياتهم لا تراها مطابقةً في شيءٍ للمبادئ التي يكونون قد ملأوا بها اعمدة الصحف وبطون الكتب . ومنهم مَن اذا اتبع مبدأً من مبادئهِ عسر عليه العمل بالمبادئ الاخرى . فذلك لم يكن شأن فقيدينا العزيزين فانهما قد ظلَّا حياتهما كلها عاملين بمبادئهما الشريفة ولم يكن انهماكهما في الشؤون الوطنية ليُقعدهما عن الاهتمام بامر الدين وواجباتهما نحو الخالق كما يعلم كل من عرفهما فعملًا بتقليدات العائلة الخازنية المجيدة لم يغفلا قط عن القيام بواجباتهما الدينيَّة . بل لم يكتفيا بما هو واجب عليهما من باب الوصيَّة فكانا يعملان ايضاً بما هو من باب المشورات الانجيليَّة كسماع القداس يومياً والمناولة المتواترة وغير ذلك ممَّا كان دليلًا ساطعاً على رسوخ الدين فيهما وخصوصاً في احدهما فريد الذي كان الدين يزيد في مناقبهِ الطبيعية بهاءً وجمالًا يحمل مَن يدنو منه على حبّهِ حبًّا مشفوعاً بنوع من الاحترام . ولم يكن ليغرب عنه انَّ كثيرين لطيشهم وقعوا في حبائل صفاتهم الطبيعية فأفرط في السهر على نفسه سهرًا حفظ فضيلته من كل شائبةٍ

وقد تجلّت فضيلة هذين الشهمين بأبهى مظاهرها ابّان الحرب العمومية ولاسيما في الايام الاخيرة من حياتهما في سجن عاليه فما استعرت نيران الحرب حتَّى فقها ما كان يبطنه الاتراك من الشرّ لهذه البلاد وما عتمت ماجريات الامور ان اظهرت صحة

تخوفهما . فما لبث الجوع ان عضَّ بعض العائلات بنابهِ وكان فيليب وفريد اوَّل مَن فكَّر في الاقتصاد بالمعيشة ليتمكنا من مساعدة بعض المعوزين بما كان يتوفَّر لديهما من هذا الاقتصاد . وكثيرون من القراء قد شاهدوا بأُم العين ما كانا يوزّعانهِ في تلك الآونة الضيّقة على الفقراء اللاجئين الى جونيه . وما لبث ان حذا حذوهما بعض اقاربهما الخازنيين الكرام فتناوبوا توزيع الطعام على الفقراء يوميًّا الى ان كان من طول مدة الحرب ما جعل الخازنيّين في ضيقةٍ كغيرهم

علم الكل ما كان من خمول السلطان محمَّد رشاد وانتقال الحكم من يدهِ في اول الحرب الى زمرة الثلاثة طَلعت وأَنور وجمال واقتسامهم المملكة العثمانية . وكان نصيب جمال منها سورية والبلاد العربية . ولدى وصولهِ توسَّل بالإرهاب للبلوغ الى غايتهِ واتخذ له اعواناً من تلك الفئة السافلة التي تعرَّى أَفرادها من الشهامة والشعور الوطني فاخذوا يدسُّون الدسائس لمواطنيهم ويعملون على الايقاع بهم بالتقريرات الزورية التي كانوا يرفعونها الى جمال . فبدأ هذا بأَن أَبعد تراجمي قنصليات الدول المتحاربة في المدن السورية ولم يشفق على المريض والمسنّ منهم . وقد لقي بعضهم حتفهُ في منفاه كالمرحومين حبيب دوناتو ترجمان قنصلية فرنسا في الشام وعزيز الفيعاني ترجمان قنصلاتو روسيا في بيروت وغيرهما

على ان الشيخ فيليب لم يكن الَّا ترجماناً فخريًّا لقنصليَّة فرنسا في بيروت وكانت المرحومة والدتهُ في مرضها الاخير ومع هذا اصابه ما اصاب غيرهُ وتقرَّر إبعادهُ الى قيسارية غير انه عند بلوغه مدينة حلب صدر الامر ان يبقى فيها فظَلَّ هنالك الى ان توفيت والدته فرُخص له بحضور دفنها . ولكن ما واروْها رمسها حتى طُلب مع شقيقهِ الى الديوان العرفي في عاليه . وقد حضر الشقيقان امام هيئة ذلك الديوان ومثلوا غير هيَّابين لدى اعضائهِ الذين يأبى القلم تسطير ما اتوه من المظالم التي لا يحيط بها وصف والذين اقلُّ ما يقال عنهم انهم ظلُّوا خمس سنوات يلعبون بحياة نخبة رجال هذه الديار لعب الطفل بالأُكر . وكانت سجون عاليه ملأى بأمثال فقيدَينا من صادقي الوطنية . وما استُنطق الشيخ فيليب واخوه حتَّى تحقَّق لديهما سوء نيَّة القضاء وانهما صائران الى ما كان قد صار اليه نخبة من رجال سورية ولبنان الذين كانوا موقوفين معهما وسيق بعضهم الى الشام والبعض الآخر الى بيروت حيث تنفذ فيهم

حكم الاعدام كشفيق المؤيد والزهراوي ورفاقهما الذين سيذكر السوريون طويلاً جرأتهم وتقديمهم حياتهم ضحيةً للوطن التاعس . فبدماء اولئك الابطال استحقت البلاد ان تطهَّر من العنصر التركي ومفاسده

ولا بدَّ لنا هنا من ان نُثني ثناء عاطراً على وطنية اخواننا المسلمين العرب الذين رغماً عن الروابط الدينيَّة التي تربطهم بالاتراك لم يُخدعوا بمواعيدهم العرقوبيَّة بل استاءوا اشدَّ الاستياء مما اتوه من المظالم وارتكبوه من الجنايات الفظيعة وشرعوا يهتمُّون الاهتمام كلهُ لمستقبل البلاد . والذي ساعد على ذلك كل المساعدة ومن حيث لا يدري انما هو جمال باشا . فسياستهُ الخرقاء وهمجيَّة اسلوبه حفرت بين العرب والاتراك هاويةً عميقة فصلت بين العنصرين انفصالاً ليس بعده اتصال

قلنا ان شهيدينا علما من الجلسة الاولى سوءنيَّة قُضاتهما ومذ ذاك الحين تدرَّعا بالصبر الجميل وبفضل ما امتازا به من التديُّن والوطنية وشهامة النفس اخذا ينتظران الموت برباطة الجأش غير مكترثين الَّا للتأهب لملاقاة الخالق فلم يكونا يتناولان من الاطعمة المرسلة اليهما الَّا ما يكفي لحفظ حياتهما والباقي كان يجودان به على الفقراء . وكان كتاب الاقتداء بالمسيح سميرَهما في كل تلك المدة فلم يكونا ينقطعان عن الصلاة الَّا الى التأمل والهذيذ بآياته العسجديَّة التي كان بعضها يوافق حالتهما اشدَّ الموافقة فيشدد عزائمهما اذ يبدد عنهما الكروب الزائلة ويُفرح قلبهما بالخيور الابدية . وقد شهد الكاهن الذي ساعدهما في ساعتهما الاخيرة انهما تأهَّبا للموت تأهب الابرار فاقتبلَا الزاد الاخير بكل خشوع واخذا ينعشان في قلبيهما شواعر التوقان الى الوطن السماوي . وعند ما اقتادهما الجند الى المحلّ المعدّ لإعدامهما اجتازا المسافة تاليين طلبة العذراء عليها السلام . ولمَّا بوشر بتلاوة الحكم عليهما لاح لاحدهما ان اخاه يهتمّ ليفهم شيئاً من النصّ التركي علَّهُ يعرف السبب في إعدامهما فقال له اخوه : « لنرفع قلوبنا وعقولنا الى العلاء يا اخي ولندع الناس يقرأون ويحكمون كما يشاؤون » . ثم ما لبث ان قُضي الامر وطارت روحهما الى الخالق فاصيب لبنان بخسارة اثنين من أخلص واعزّ بنيهِ وفقدت فرنسة بهما شهمين كانت قد اختبرت اخلَاصهما وامانتهما وتناولت الخسارة فيهما الدين ايضاً لانهما كانا من اشدّ انصاره يحبّبانه الى الناس باقوالهما ولاسيما بمثلهما

قلنا وتأييدًا لما تقدَّم نثبت هنا بعض فقرات من وصيتهما الاخيرة

« . . . فيليب وفريد الخازن وهما على اهبة ركوب السفر الطويل الى امام الديان الرهيب يسألان سيادة المطران عبدالله خوري النائب البطريركي صلواتهِ المقبولة لديهِ جلَّ شأنهُ ليرحم نفسيهما الفقيرتين بالاعمال الصالحة فيكون لهُ الفضل دنيا واخرى . ثمَّ يرجوان ان يحيط الغلام ( وهو كاوڤيس ولد احدهما فيليب ) وعائلتيهما بذات العناية والالتفات اللَّذين متعنا بهما ويسهر على تربيتهِ وتلقينهِ الآداب والعلوم الصحيحة عملًا بالمبادئ الدينيَّة موجباً على والدتهِ ان تسهر بعين لا تنام على إبعادهِ عن العشرة الرديَّة المفسدة للاخلاق لان التربية الاولى هي الاساس المتين الذي يبنى عليه مستقبلهُ ديناً ودنيا . على انه اذا كانت دعوته للكهنوت فعلى سيادته نتكل باقناع والدته بعدم معارضتهِ . ( ثم يسألان المساعدة على ايفاء الديون ابراء لذمتهما . . . . . . ) وقصارى القول نرجو ان يعمل ما هو موافقاً لبراءة ذمتنا ومصلحة الغلام وراحة بال قرينتينا المنكودتي الحظ ونسأل الله ان يكافيهُ عن اعماله هذه اضعاف حبَّات الرمال

«وقبل الختام نسأل سيادة عبدالله مغفرة على ما حمَّلناه من الاثقال بنا وبعائلتينا بعد براحنا هذه الدنيا ونشكر له كلَّما ابداه وشقيقهُ معنا من المروءة النادرة والمساعدة والحب والاهتمام بنا والفضل ونسألهُ ان يظلّل الغلام بعنايته ويشملنا وغبطتهُ وسائر الاساقفة والكهنة اصدقاؤنا بالصلوات . عن سجن عاليه في ٤ حزيران سنة ١٩١٦ بعد ظهر الاحد

| ظهر الاحد | والدك | والدك |
|---|---|---|
| | فريد قعدان | فيليب قعدان |
| | الخازن | الخازن |

اوصيك بعائلتنا وان كان لا لزوم لهذه الوصية فريد

# المحاورة الدينيَّة

## التي جرت بين الخليفة المهديّ وطيماثاوس الجاثليق (تتمَّة)

فملكنا المظفَّر قال لي : لماذا انتم تسجدون للصليب ؟

فجاوبتهُ قائلًا : اننا نسجد للصَّليب لانَّهُ علَّة الحياة

فقال لي ملكنا تكرارًا: انَّ الصليب ليس علّة الحياة بل علّة الموت

فجاوبتهُ: ايّها الملك ان الصليب هو علّة الموت كما قلتَ ولكنَّ الموت هو علّة القيامة والقيامة هي علّة الحياة وعدم الموت. فاذًا الصليب ايّها الملك هو علّة الحياة وعدم الموت فلذلك نقدّم بواسطتهِ السجدة لله تعالى الذي فتح لنا بهِ ينبوع الحياة وعدم الموت. فذاك الذي قال في البدء (٢ كور ٤ : ٦): «انهُ من الظلام يُشرق النور» وقد أحلى المياه المُرَّة بخشبة مرَّة (خروج ١٥: ٢٣) وبمنظر الحيّة القتالة اعطى الحياة لبني اسرائيل (عدد ٢١: ٩) هو أخرج لنا من خشبة الصليب ثمار الحياة وهو ايضاً اشرق لنا بين اغصان الصليب أشعَّة الحياة وعدم الموت. وكما اننا نبذل الجهد في إكرام الاشجار وخدمتها حبًّا باثمارها هكذا نحن نكرّم الصليب ونوقّره اجلالاً لثمرة الحياة التي خرجت منهُ. ثم ولئن تتلألأ اشعَّة محبَّة الله الساطعة نحو الكل في المخلوقات المنظورة والغير المنظورة ولكن لمَّا أُسلم الى الموت على خشبة الصليب حبًّا بخلاص الكل وحياتهم وانبعاثهم ازدادت اكثر اشعَّة هذهِ المحبة تلألوًا نحو الناطقين. فبالصواب ايّها الملك المظفّر يُفترَض على الكلّ ان يُظهروا محبتهم لله بواسطة الصليب الذي أظهر بهِ تعالى محبتهُ نحو الجميع

وملكنا قال لي: ايمكن ان يموت الله كائناً ما كان؟

فجاوبتهُ قائلًا: ان يسوع بما انّهُ إله لم يَمُت بل مات في الطبيعة البشريّة بما انّهُ انسان. فكما ان الإهانة تُنسب للملك نفسهِ حينما ينشقّ ارجوانهُ باهانةٍ او تتمزّق ثيابهُ الملوكية بحقارةٍ هكذا موت يسوع عليهِ السلام الذي صار لهُ في الجسد يُنسب لاقنومهِ الألهي

وملكنا قال لي: أعوذ بالله انَّ عيسَى عليهِ السلام «ما قتلوهُ وما صلبوهُ ولكن شُبّهَ لهم هكذا» (سورة النساء ١٥٦)

فجاوبتهُ قائلًا: انهُ مكتوب في سورة عيسى (١ وهي «السلام عليَّ يومَ ولدتُ ويومَ أموتُ ويومَ أُبعَثُ حيًّا» فيتَّضح من هذه الآية جليًّا ان يسوع قد مات وقام. وفي سورة آل عمران (ع ٤٨): «قال الله لعيسَى انّي متوفيكَ ورافعُكَ اليَّ»

فملكنا قال لي: إنَّ عيسَى لم يَمُت بعد وسوف يموت

١) تدعى اليوم هذه السورة سورة مريم (ع ٣٤)

فجاوبتهُ قائلًا : ان كان عيسَى لم يَمُت حتى الآن فلم يصعد بعدُ الى السماء ولم يُبعَث حيًّا بل سوف يصعد فيُبعَث حيًّا . ولكن ان كان ايها الملك معلوماً ومقرّرًا لدى الجميع صعود يسوع الى السماء منذ أمدٍ مديد وانبعاثهُ حيًّا كما يشهد عن ذلك كتابك ايضاً فبصوابٍ تقول ان عيسَى قد مات على خشبة الصليب كما تنبَّأ عنهُ الانبيآء قبل مجيئهِ

فملكنا قال لي : وايّ من الانبيآء تنبأ عن عيسَى انّهُ يموت على خشبة الصَليب ؟

فجاوبتهُ ان كثيرين من هولآء تنبأوا عن ذلك فاوّلاً قال داود النبي (مز ٢١ : ١٧–١٩ ) : « ثقبوا يديّ ورجليّ وأحصَوا كلّ عظامي وهم نظروا وتفرّسوا فيّ وقسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي اقترعوا » . وقيل في الانجيل ان هذهِ جميعها قد جرتْ بالفعل . ثم اشعيا النبي يقول عن المسيح (٥٣ : ٥) انّهُ « يُذبح لاجل خطايانا ويتَّضع لاجل آثامنا » . ويقول النبي المشار اليه بمنزلة شخص عيسَى (٥٠ : ٦) « جسدي اعطيتُهُ للضاربين وخدّي للناتفين لم أستر وجهي عن المعيّرين والباصقين » . ثم ارميا النبي (١١ : ١٩) يقول هكذا : « وانا مثل حملٍ داجنٍ يُساق الى الذبح وانّهم فكرّوا عليَّ نيّات قائلين : لنُلقيَنَّ العود في خبزهِ ونهلكهُ من ارض الاحياء » . وايضاً دانيال النبي (٩ : ٢٦) يقول : « ان المسيح يُقتَل ولا يكون لهُ » . كذلك زكريا النبي (١٣ : ٦) يقول : « ما هذهِ الجروح في يديك ؟ فيقول : هذهِ التي بها جُرحتُ في بيت احبّائي . يا ايّها السيف انتبه على راعيَّ » . فذلك واكثر من ذلك قال الانبياء عن موت المسيح وقتلهِ وصلبهِ

ثم ملكنا قال لي : ان الانبياء تشبيهاً شبّهوا المسيح هكذا

فجاوبتهُ : ممَّن اتاهم هذا التشبيه ايّها الملك أمن الله او من الشيطان ؟ فان كان من الله سبحانه كيف كان يوحي الى الانبياء ما ليس لهُ وجود حقيقةً اذ لا يليق بهِ تعالى مطلقًا ان يُوحي شيئاً يُغشّ بهِ الناس . فان كان الله جلَّ شانهُ اتى بهذا التشبيه الخالي عن الحقيقة والحواريّون كتبوا ما اوحي اليهم فصار هو علّة هذا الغشّ للجميع ولكن هذا محال و غير ممكن . فمن أتى بكذا التشبيه واظهرهُ للحواريّين ؟ هل الشيطان ؟ ولكن أيّة مشاركة للشيطان اخزاهُ الله مع الحواريّين في الامور المختصَّة بالعناية الربانيّة ومن يتجاسر على القول بان الشيطان الرجيم كان يستطيع ان يغشّ الحواريّين الذين

كانوا بالقوّة الآلهيّة يضطهدونهُ ويطردونهُ وهو كان يهرب من امامهم مُدبِرًا ومُولولاً ؟ فاذًا يجب القول انّ ذلك موحىً من الله

وملكنا قال لي: انّ عيسى المسيح كان مكرّماً لدى الله فلم يكن ليسلّمهُ بيد اليهود ليقتلوهُ

فجاوبتهُ قائلًا: انّ الانبياء الذين احتملوا القتل من اليهود لم يصيروا بذلك مرذولين لدى الله ومحتقرين فاذًا ليس كلُّ مقتول من اليهود مرذولاً ومحتقرًا. هذا ما يلاحظ الانبياء. واماّ نظرًا الى يسوع المسيح فنقول انّ اليهود قد صلبوهُ حقيقةً لا من حيث كان ضعيفاً ولم يقدر عليهم بل من حيث احتمل ذلك بارادتهِ كما قال هو في انجيل يوحنا (١٠: ١٧): « انّي اضع نفسي لآخذها ايضاً. ليس احدٌ ياخذها مني بل أضعها انا من ذاتي: لي سلطان ان اضعها ولي سلطان ان آخذها ايضاً». فالمسيح اذًا اظهر بذلك انهُ تألم بارادتهِ ولا من اجل انهُ كان ضعيفاً واليهود اقوياء. لانّ الذي زعزع السماء وهو على خشبة الصليب وزلزل الارض واظلم نور الشمس واظهر علامات الدم في القمر ومن اجلهِ الصخور تشقّقت والقبور تفتّحت والموتى انبعثت لم يكن حقيقةً ضعيفاً ولا ممّن لا يستطيع ان يخلّص نفسهُ من يد اليهود فاذًا تألُّمهُ على خشبة الصليب كان بارادتهِ وحرّيتهِ

فملكنا قال لي: فاذًا اليهود ليس لهم ذنب في صلب المسيح وموتهِ لأنّهم كمّلوا ارادتهُ

فجاوبتهُ هكذا: ان كان اليهود صلبوا المسيح لاجل هذهِ الغاية وهيَ ان يقوم من بين الاموات منوّرًا ويصعد الى السماء ممجّدًا فليس لهم ذنب لا بل يستحقون المدح والتبجيل ولكن غاية اليهود في صلب المسيح اذ كانت موجّهةً الى قتلهِ واهلاكهِ من الارض لاجل ذلك يستحقّون العذاب والموت لانهم صلبوا المسيح لكي يهبط الى الجحيم. فالله مجّدَهُ اذ اقامهُ من بين الاموات واصعدهُ الى السماء

وملكنا محبّ الله قال لي: ايًّا من هذين الامرين تقول هل كان المسيح يريد ان يُصلَبْ ام لا ؟ فان كان يريد فاليهود ليس لهم ذنب لانهم عملوا ارادتهُ فلماذا يكونون ملعونين ومرذولين ؟ وان كان صُلِبَ دون ارادتهِ فاليهود صاروا اقوى منهُ فكيف يمكن ان يكون ويُدعَى الهاً من لم يستطع ان ينجّي نفسهُ مَن يد صالبيهِ؟

فارادتهم صارت اقوى من ارادتهِ جدًّا

فجاوبته انا ايضاً معترضاً عليهِ : ماذا يفتكر ملكُنا الغنيّ الذهن والغزير الحكمة ايًّا من هذَين الامرَين يقول : هل كان يريد الله سبحانهُ ان الملاك يصير شيطاناً ام لا؟ فان قلتَ ايجابيًّا فلم يبقَ عتاب على الشيطان اذ صار هكذا لانهُ صنع الارادة الالهيّة وكملها . وان جاوبتَ سلبيًّا فارادة الشيطان اذًا تغلّبَتْ على ارادة الله وقويت . فكيف يمكن ان يكون ويُدعَى إلهاً ذاك الذي غُلبَتْ ارادتهُ من ارادة ابليس ؟ اقول ايضاً : هل كان يريد الباريْ سبحانهُ ان يُطرَد آدم من الجنَّة (اي من الفردوس) ام لا ؟ فان قلتَ ايجابيًّا فينجو الشيطان من العتاب لانهُ ساعد ارادة الله جلّ شانهُ في اخراج آدم من الجنّة وطردهِ منها . وان جاوبتَ سلبيًّا فكيف لا تقول ان الله غُلِبَتْ ارادتهُ واضحى ضعيفاً اذ من دون مشيئتهِ حدث هذا الامر ؟ فكما ان الباريْ تعالى لا يزال إلهاً قديرًا وان اخطأ ابليس وآدم ضدّ ارادتهِ الالهيّة . ثم ان آدم وابليس لا يخلوان من الذنب وان كان ارتضى الله بكلَيهما اي بان ابليس يسقُط من السماء ويُطرد آدم من الفردوس وذلك لانهما لم يكونا مخطئين تبعاً لارادتهِ تعالى بل لاجل تكميل ارادتهما في الخطيئة . هكذا يسوع المسيح لا يزال ان يكون ويُدعى إلهاً ذا القدرة وان قلنا ان اليهود تجاسروا وصلبوهُ بإثمهم فلا يقدرون ان ينجُوا انفسهم من الجحيم واللعنة وان كان المسيح قد ارتضى بان يتألم على خشبة الصليب حبًّا بخلاص البشر لان اليهود لم يصلبوا عيسى تبعاً لارادتهِ بل لاجل البغضة والحقد نحوهُ ونحو الذي ارسلهُ فلهذا السبب صلبوهُ اي لكي يموت ويَهلك من الارض وامّا المسيح فانّهُ اراد ان يُصلَبْ حتى بموتهِ يُحيي الجميع كما قلنا

وملكنا المظفّر قال لي : ايها الجاثاليق ينبغي ان تعلم كما ان الله عزّ وجلّ اعطى اولاً الناموس اي الشريعة على يد موسى وبعدهُ الانجيل على يد عيسى هكذا ايضاً جعل الخلاص على يد محمّد عليهم السلام

فجاوبتهُ قائلًا : ايُّها الملك نظرًا الى الشريعة الموسويّة التي كانت مزمعة ان تنتسخ قد سبق الله واعلن عنها جهرًا بفم الانبياء اذ قال الله تعالى في ارميا النبي (٣١ : ٣١—٣٤) هكذا : «ها انَّ اياماً تأتي يقول الرب وأُعاهد آل اسرائيل وآل يهوذا

عهدًا جديدًا ليس مثل العهد الذي عاهدتُ بهِ اباءَهم يوم امسكتُ بايديهم لأُخرجهم من ارض مصر حيث هم نقضوا عهدي وانا سَئمتهم يقول الرب. بل هذا يكون العهد الذي بهِ أُعاهد آل اسرائيل بعد تلك الايام يقول الرب أجعل شريعتي في احشائهم واكتبها على قلوبهم واكون لهم الهًا وهم يكونون لي شعباً ولا يعلّم ايضاً الرجل صاحبَهُ والانسان اخاهُ قائلًا: اعرفوا الرب لانهم سيعرفونني باجمعهم من صغيرهم الى كبيرهم». فهذهِ الآيات تُعلِن واضحاً بانتساخ العهد العتيق اي الناموس الموسوي وبانزال العهد الجديد اي الانجيل واثباتهِ. وايضاً في يوئيل النبي يتكلم الله عزّ وجلّ صريحاً عن المعجزات المزمع حدوثها في زمان انتساخ الشريعة الموسويَّة واثبات الانجيل وعن الروح الفارقليط الذي كان عتيدًا ان يحلّ على الحواريين فيقول (٢: ٢٨): «ويكون بعد هذهِ اني أُفيض روحي على كل بشرٍ فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم احلاماً ويرى شبّانكم رؤًى وعلى العبيد ايضاً وعلى الإماء أُفيض روحي في تلك الايام». فيريد بالروح الفارقليط الذي بعد صعود يسوع المسيح الى السماء أُرسِل الى الحواريّين كما سبق عيسى ووعدهم. ثم يقول النبي المشار اليهِ (ع ٣٠-٣١): «واجعل مُعجزاتٍ في السماء وعلى الارض دماً ونارًا واعمدةً من دخان فالشمس تتحوّل الى ظلمةٍ والقمر الى دمٍ» فهذهِ جميعها جرت امام الكل عندما تألّم يسوع المسيح علىَ خشبة الصَليب. فلمّا انذر بهذهِ الآيات يوئيل النبي اردفَ قائلًا (ع ٣١): «انّهُ ياتي يوم الرب العظيم المخيف» يريد اليوم الذي بهِ كلمة الله المتأنّس في طبيعتنا يظهر من السماء كالبرق مع قوَّةٍ ومجدٍ كثير « ذاك اليوم الذي بهِ جميع قوّات السّماء تتزعزع والنجوم تسقط من السماء كما قال يسوع نفسهُ في الانجيل (مرقس ١٣: ٣٥) ثمّ يقول هذا النبي (ع٣٢): «ويكون كلّ من يدعو باسم الرب ينجو» اي كل من يقرأ انجيل الله ويفعل بما يأمر بهِ ينال الحياة الدائمة. فاتضح اذًا ان الله بهذهِ الايات المنزّهة عن كل غشّ وكذب أعلن جليًّا بانتساخ العهد العتيق اي الناموس الموسويّ وبالانتقال منهُ الى العهد الجديد اي الانجيل. ولكن لم يعلّم سبحانهُ تعالى في موضع البتة عن انتساخ الانجيل والانتقال منهُ الى شيءٍ آخر اي الى القرآن. ثم انَّ العهد القديم كان رَمزًا عن الانجيل والانجيل هو رمزٌ عن ملكوت السماء الذي لا شيءَ افضل منهُ

وملكنا المظفّر قال لي: أليس موسى عليهِ السلام قال علانيةً لبني اسرائيل في تثنية الاشتراع (١٨: ١٥): «ان الرب سوف يُقيم لكم نبيًّا مثلي من بين اخوتكم» فمن هم اخوة بني اسرائيل سوى الاسمعيليين؟ ومن صار نبيًّا مثل موسى سوى محمّدٍ؟

فجاوبتهُ قائلًا: ايّها الملك انّه يوجد اخوة كثيرون لبني اسرائيل في هذا الاعتبار ما خلا الاسمعيليّين. فاولاً ان الآدوميّين هم أقرب لبني اسرائيل من بني اسمعيل وذلك لان الاسرائيليّين قد وُلدوا من يعقوب والادوميّين قد تسلسلوا من عيسو. واماً يعقوب وعيسو فكانا ابني اسحاق ابي اليهود واخي اسمعيل الذي منهُ المسلمون فاذًا هم أقرب لبني اسرائيل من بني اسمعيل. وان كان الكلام الذي قالهُ موسى عن اخوة بني اسرائيل لا يُطلق على اسباطهم الاثني عشر بل على انسبائهم الأُخر نقول انّهُ ينبغي ان يطلق بالأَحرى على الادوميّين لانّهم أقرب لبني اسرائيل من بني اسمعيل كما رأينا. ثانيـاً ان اخوة الاسرائيليّين ما هم الاسمعيليون فقط بل والعمونيّون والموابيّون. ثم ان موسى لم يَقُل للاسمعيليين بل لبني اسرائيل «ان الرب يقيم من اخوتكم» ولا من الغرباء نبيًّا مثلي ولا مخالفاً لي في التعليم. فهذهِ الآية تشبه تلك التي خاطب بها الباري تعالى شعبهُ عن ملكٍ قائلًا (١ ملوك ١٢: ١٣) «من بين اخوتك اقيم عليك ملكاً». فكما إنّ إقامة هذا الملك من بين اخوة بني اسرائيل لا تدلّ على بني اسمعيل هكذا اقامة نبيّ من بين اخوتهم لا تشير الى بني اسمعيل. وايضاً ينبغي ان ننظر الى التشبيه المصرّح في هذهِ الآية حيث يقـول موسى لشعب اسرائيل: «ان الرب يقيم لك نبيًّا مثلي» فان كان محمد نبيًّا مثل موسى كان يقتضي ان يصنع ايات ومعجزات كثيرة كما فعل موسى ولكن محمدًا لم يأتِ بمعجزات البتّة فاذًا ليس محمد مثل موسى. ان كان محمّد نبيًّا مثل موسى كان ينبغي ان يحفظ التوراة ويعلّم الناموس الذي أُعطي في جبل سينا ملازماً مع الختانة السبوت والاعياد كما كان يفعل موسى ولكنّ محمّدًا لم يعمل بذلك فاذًا ليس هو مثل موسى

وملكنا قال لي: انّ كلامك ظريف ومعانيك حسنة لو قبلتَ محمدًا بين الانبياء

فجاوبتهُ هكذا: انّه مذكور عندنا ان نبيًّا واحدًا يأتي الى العـالم بعد صعود يسوع الى السماء ومن قبل نزولهِ من هناك كما تعلمنا ذلك من ملاخي النبي ومن جبرائيل الملاك الذي بشّر زكريا بحبل يحيى ابنهِ

وملكنا قال لي : ومن هو هذا النبي الذي قلت عنهُ ؟

فجاوبتهُ هكذا : هو اليًا لان الله تعالى في ملاخي النبي الذي اتى اخيرًا بالنبوّة في العهد العتيق يقول عنهُ (٤ : ٤–٥) هكذا: « اذكروا شريعة موسى عبدي التي أمرتهُ بها في حوريب لكل اسرائيل اوامر واحكاماً هاءنذا أرسِل اليكم اليًا النبي قبل ان يجيء يوم الرب العظيم المخيف فيردّ قلوب الاباء على الابناء وقلوب الابناء على آبائهم لئلّا آتي انا واضرب الارض بالحرم » . وجبرائيل الملاك لمّا بشّر زكريا بحبل يحيي أتى بهذا الكلام نفسهِ في لوقا (١ : ١٩) ) : «فقال لهُ الملاك: لاتخف يا زكريّا لان صلاتك سُمِعَتْ وامرأتك اليصابات ستلد لك ابناً وتسمّيهِ يوحنا ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرون سيفرحون بولادتهِ لانّهُ يكون عظيماً امام الربّ ومن بطن امّهِ يمتلئ من الروح القدس ويردّ كثيرين من بني اسرائيل الى الرب إلاههم ويتقدّم امامهُ بروح اليًا وقوّتهِ ليردّ قلوب الآباء على الابناء والعصاة الى فكر الابرار لكي يهيّئ للربّ شعباً مستعدًا » . فانظر يا ايّها الملك المظفّر كيف ان الملاك يدعو عيسى المسيح ربًّا والاهاً . ثم ان الآيات السابقة تعلّمنا ما يأتي اي انهُ كما ان يحيي بن زكريّا سبق مجيء يسوع المسيح وأرى الجميع شخصهُ قائلًا (يوحنا ١ : ٢٩) : « هوذا حَمَل الله الذي يرفع خطيّة العالم» وقال ايضاً (١ : ٣٣) : «هذا هو الذي يعمّد بالروح القدس والنار هذا هو ابن الله الذي لستُ مستحقًّا ان احلّ سيور حذائهِ » . هكذا سوف يأتي اليًا النبي قبل شروق عيسى المسيح من السماء فيسبق منذرًا جميع الناس ومحرّضاً اياهم على ان يكونوا بظهورهِ المجيد الثاني مستعدّين للقائهِ وموبّخًا المسيح الدجّال . فلا فرق بين يوحنا المعمدان واليا النبي نظرًا الى قوّة الروح المتكلم فيهما اذ انهُ واحد الاَّ انَّ يوحنا المعمدان قد اتى واليًا سوف يأتي امام يسوع المسيح الذي سيظهر من السماء بقوةٍ ومجدٍ كثير ليقيم البشر من بين الاموات لانّهُ كلمة الله وخالق في البدء كل البرايا فهو يجدّدها اخيرًا كلها وهو ملك الملوك وربّ الأرباب ولملكهِ لا يكون انقضاء

ثم ملكنا العزيزة حكمتهُ قال لي : لو لم تغيّروا التوراة والانجيل لكنتم تشاهدون محمدًا ايضاً مع الانبياء الأُخر

فجاوبتهُ قائلًا : ايّها الملك المعظّم إنَّ الله تعالى منحكم التاج والعرش

والصولجان الملكي ومع هذه كلّها اعطاكم ابضاً ذهناً غزيرًا وقلباً وسيعاً ومستعدًّا لتدبير أمور الجماعة والأفراد كما تستحق دولتكم ذلك فيليق بشأنكم العزيز ان تفحصوا عن جميع هذه الامور التي تقولون عنها فايّ شيءٍ كان يحملنا على ان نغيّر الكتب لان التوراة والانبياء يصيحان جملةً كصوت الرعد ويعلّمان عن الوهيّة المسيح وعن ناسوته وعن ولادته الالهيّة العجيبة التي صارت من الآب قبل كل الدّهور التي لا يقدر احد ان يصفها البتّة كما قال اشعيا النبي (٥٣: ٨): «وجيلَهُ مَن يَصِفُهُ» فهو الذي قيل عنهُ (مز ١٠٨: ٣): «من البدء قبل خلقة العالم ومن رحمٍ قبل الفجر ولدتُك» وايضاً (مز ١٧: ١٧): «وقبل الشمس موجود اسمهُ». وعن ولادته الزمنية من الأمّ يقول اشعيا النبي (٧: ١٤): «ها ان العذراء تحبل وتلد ابناً ويُدعى اسمهُ عمانوئيل». وإنّ داود الملك واشعيا والانبياء جميعهم يعلّمون صريحاً وواضحاً عن العجائب والمعجزات التي كان عتيدًا ان يفعلها في وقت ظهوره بالجسد وعن معرفة الله الحقيقة التي كانت تمتلئ منها المسكونة في وقت مجيئه الى العالم ويخبّرونا عن آلامه وصلبه وموته بالجسد كما قلنا أنفاً. ويتكلمون ايضاً عن قيامته من بين الاموات وعن صعوده الى السماء وعن مجيئه الثاني الى العالم وعن قيامة الموتى وعن الدينونة التي يدين بها الجميع لانهُ الهٌ وكلمة الآب. ولمّا كان التعليم المسيح كلّهُ محتوياً في التوراة والانبياء فلأجل اي سبب كنّا نغيّرهُ ؟

ثم لو فرضنا انّنا قد غيّرنا وحرّفنا التوراة والانبياء التي هي عندنا وبيدنا ولكن كيف كنّا نستطيع ان نغيّر ونحرّف التي هي بيد العبرانيّين؟ ثم اذا اعترض أحد قائلًا: ان النصارى غيّروا وحرّفوا الكتب التي كانت بيدهم واليهود صنعوا كذلك بكتبهم. فنقول لاي سبب لا يغيّر ويحذف اليهود الآيات الموجودة في كتبهم التي تفتخر بها الديانة المسيحية وتستند عليها اذ ليس توجد عداوة في العالم مثلما كانت قبلًا والآن بين النصارى واليهود واذ قلنا ان اليهود غيّروا وحرّفوا كتبهم فكيف نحن كنّا نسكت عن هذه الآيات المحرّفة من هولآء اذ عليها يقوم مدار ديانتنا ولكن لا النصارى ولا اليهود غيّروا او وحرّفوا الكتب كما تشهد العداوة الموجودة بينهم التى من سببها لا يمكن يتّفقوا مع بعضهم في كذا أمر مهمّ فاتضح اذًا انّهُ لم يكن ممكناً ان يتفق مع ان بعضهم النصارى واليهود في تحريف الكتب ولا ننكر

ان اليهود يخاصموننا في شرح بعض الكلمات والاسماء وعن الأزمنة . ولكن نظراً الى وجود الالفاظ والكلمات وحقيقتها ليس مخاصمة بين بعضنا قط لان الألفاظ والكلمات هي موجودة عند الطرفين على حدٍّ سواء . فيا ايّها الملك نحن لم نغيّر او نحرّف التوراة والانبياء

وكذلك ينبغي ان نقول عن الانجيل لان ما قال الانبياء الاوّلون عن المسيح هو هو مكتوب في الانجيل عنهُ . فاذًا واحدٌ هو شعاع النور الذي يضيء لنا من التوراة والانبياء والانجيل . ولكن مع هذا الفرق وهو انّه في التوراة والانبياء قد سبق الكلام والرموز وفي الانجيل ظهرت الأفعال والحقيقة فالانجيل ينذرنا بما علّمَ الانبياء عن لاهوت المسيح وناسوتهِ دون أدنى تغيير لان واحدًا هو معطي التوراة والانجيل وهو الله

ثم لو غيّرنا وحرّفنا الكتب لكُنَّا نجتهد في تغيير الأمور المظنونة دنيّةً وحقيرةً ومضادّةً لديانتنا كالخوف والضرب والآلام والصّليب والموت وما اشبهَ ذلك ولكن ليس فقط لم نغيّر هذه الامور بل نفتخر بها ونكرّمها كما نفتخر بالأمور التي هي سامية في ديانتنا وعظيمة ونكرّمها . لاننا كما نعتقد في يسوع انّهُ الهٌ ليس لهُ بداءة ولا نهاية وهو مُساوٍ للآب بالطبيعة هكذا نعتقد بهِ انّهُ انسان حقيقةً وهو مساوٍ لنا بالطبيعة البشريّة

فلم نغيّر او نحرّف ايّها الملك سطرًا واحدًا من كتاب الله . فلو كان موجودًا اسم محمّد في كتبنا لكنّا ننتظر الى مجيئهِ بالاشتياق كما اشتقنا الى استقبال الذين كتب عنهم الانبياء . ثمَّ ايّة قرابة لنا مع اليهود اكثر ممّا لنا مع الاسمعيليّين ؟ ولماذا كنّا نقبل المسيح الذي هو من جنس اليهود ونرفض محمّدًا الذي ظهر من ذريّة الاسمعيليين ؟ لانَّ واحدة هي قرابتنا بالطبيعة مع الاسمعيليين ومع اليهود . والحق يضطّرني ان اقول ان قبل ظهور المسيح كان اليهود ذوي اعتبار عند جميع الامم وعند الله ايضاً وبعد ظهور كلمة الله في الجسد منهم صاروا مرذولين ومحتقرين عند الله والناس لأنّهم غمّضوا عيونهم لئلاّ يبصروا ويتمتّعوا بالنور الذي أتى الى العالم ليُغيّر البشر فأضحى اذًا اليهود مبغضين ومكروهين من كل احدٍ . واماّ الاسمعيليون فبالعكس فانّهم مكرّمون معتبرون عند الله والناس لتركهم عبادة الاوثان والشيطان

وسجودهم وتكريمهم لله وحدهُ فلذلك يستحقون ان يحبهم الجميع ويكرّموهم . فلو وُجد في الكتب نبوّة ما بحقهم ليس فقط لم نكن نغيرها ونحرّفها بل كنا ننظر اليها بفرح عظيم وننتظر تماماً كما ننتظر ذاك الذي سيأتي في المنتهى كما قلنا عنهُ اعلاه . لاننا لسنا منقحين وصايا الله بل بالأحرى نحفظها بكل تدقيق

وملكنا قال لي متبسماً : فلنترك الآن المحاورة ونتكلم عن هذهِ الأمور في وقتٍ آخر حينما يصير لنا فرصة لنعكف عليها

فنحن مجدنا الله الذي هو ملك الملوك وربّ الأرباب وهو يعطي الحكمة والفهم للملوك لكي يدبّروا محاكمهم بالعدالة والرّحمة . ثم دعونا للملك ولدولتهِ طالبين من الله ان يؤيدها ويحفظها في العالم دائماً وان يثبّت سدّة عرشهِ بالعدل والبرّ الى الابد امين . وهكذا خرجنا من عندهِ

# قبر عَزْرا الكاتب (١

## للاديب يوسف افندي غنيمة

### توطئة

عزرا والعرب يدعونهُ باسم عُزَير هو الكاتب والكاهن الذي كان في خدمة ملك بابل ارتحششتا المعروف بالطويل اليد الذي ملك من السنة ٤٦٤ الى ٤٢٤ قبل المسيح . يرتقي نسبهُ الى هارون (سفر عزرا الاوّل ٧ : ١-٥) وهناك ورد شيءٌ من تاريخهِ (١عزرا ٧ و ١٠ ثمَّ ٢ عزرا ٨-١٢) وذكرهُ يوسيفيوس في العاديات العبرانيَّة (ك ١١ ف ٥ ع ١-٥) . حظيَ لدى ملك بابل ونال منهُ ان يعود الى اورشليم مع قسم من اهل الجلاء الذين لم يعودوا مع زربابل وكان عددهم ١٧٠٠ واهداهُ مئة وزنة فضّة فكان وصوله الى اورشليم في غرّة الشهر الخامس من

١) هذا فصل استللناه من كتابنا «نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق» الذي انجزنا تأليفه ولم نطبعه بعد . وقد نشرنا فذلكةً منه في مجلّة المقتطف الغرّاء (ايلول وتشرين الاول ١٩٢٠) ونشرنا ثلاثة فصول في وضيعة دار السلام في بغداد (٢٢ آب و ١٩ ايلول و ١٤ تشرين الثاني ١٩٢٠) وهذا فصل لم ينشر بعد ارصدناه للمشرق الاغرّ

السنة ٤٥٩ ق م فسعى باصلاح احوال اليهود في فلسطين وتطبيقها مع امور الشريعة فاستحقّ بذلك شكر أُمّتهِ . ثمّ ساعد نحميا في اصلاحاتهِ ايضاً سنة ٤٤٤ ( ٢ عزرا ف ٢ : ١ و ٨ : ١ ) . وكانت وفاتهُ قبل السنة ٤٣٣ . وعلى رأي يوسيفوس انهُ توفّي في اورشليم . وفي تقليد اليهود انهُ عاد الى بابل فزعم بعضهم انهُ فيها توفّي ولهُ من العمر ١٢٠ سنة وارتأى غيرهم انهُ توفّي في زمزومو على ضفّة نهر دجلة قريباً من القرنة حيث تجتمع دجلة والفرات في شط العرب . وهناك مشهد على اسمه . يحجُّ اليهِ اليهود منذ قرون عديدة . وهو الذي ورد هنا وصفهُ ( المشرق )

يقوم هذا المعهد الديني اليهودي في بقعةٍ من الارض على عَدْوة دجلة اليمنى بين القرنــة والعمارة على مقربة اثنين وعشرين ميــلًا من ملتقى الرافدَين حيث تكثر المستنقعات وتتوفّر القصباء والحلفاء . هناك في تلك الخلوة البعيدة عن ضجيج الناس وقلاقل المدن . هناك حيث يسود السكون والهــدوء وتجري دجلة متعرّجة وملتوية حاملة بين امواج مياهها من ذكرى التاريخ أبدعها ومن عِبَر الايام أوقعها في النفوس تجعل تقاليد يهود العراق مرقد عَزْرا الكاتب : كاتب الشريعة ورائد بني اسرائيل في رجوعهم الى مسقط راسهم وبيت عزّهم وقدس اقداسهم . ويحفّ بالمقام اشجار النخل الباسقة التي تهديهِ آيات السلام وشعائر الاحترام

اختلف ثقات المؤرخين في مدفن هذا الرجل الإمام ومحلّ وفاتهِ فمنهم من قال انه دُفن في عَورَتا من اعمال نابلس (١ . ومنهم من قال انه قُبر في زمزومو ( Zam-zumu) في اسفل دجلة بينما كان مسافرًا الى بلاد فارس (٢ واثبت غيرهم انهُ لُحِد في اورشليم (٣ وربما كانت هذه الرواية على شيء من الصحّة . الّا ان تقليد اليهود في العراق وتواتر روايات المؤرخين والراحلين من غيرهم يعتبران مدفنهُ في العراق حيث يزوره بنو قومهِ

امّا نحن فلا نبتّ في هذه المسئلة التاريخية المتوغلة في القدم بل ندع الاهتمام بها الى الاثريّين الاختصاصيين والمنقّبين البحّاثين ربما يتوصّل واحد منهم الى إماطة اللثام عن هذه الحقيقة التاريخية الكتابية وجلّ قصدنا في كتابة هذا الفصل ان ننقل اقدم النصوص الواردة في كتب التاريخ عن المزار العراقي اليهودي ووصفه

ان ياقوت ذكر مدفن عزرا في اعمال نابلس على ما مرّ بك بيد انهُ ذكره ايضاً

---

١) معجم البلدان مادة عورتا ٢) Sir, E. A. Wallis Budge : *By Nile and Tigris, vol. I, p. 171* ٣) يوسيفوس . كتاب العاديات الفصل الحادي عشر العدد الخامس

في محلّه في اعمال بصرة العراق في موضعين من معجم البلدان في مادتي ميسان ونهر سَمُرة واليك ما جاء عنه في كل منهما :

جاء في مادّة ميسان : «اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط قصبتُها مَيْسان . . . . وفي هذه الكورة قرية فيها قبر عزرا النبي عليه السلام مشهور معمور يقوم بخدمته اليهود ولهم عليه وقوف وتأتيهِ النذور وانا رأيتهُ »

وجاء في مادة نهر سَمُرة : «قرية فيها قبر العُزَير النبي عليه السلام في ارض ميسان»

وقد ذكر القزويني (١ من رجال القرن الثالث عشر للمسيح مشهد عزير النبي وهو يكرّر كلام ياقوت بالحرف في كتابهِ آثار البلاد

وقد زاره في القرن الحادي عشر الرحّالة بنيامين التطيلي الّا ان مما يؤسف له ان في اخبار هذه الرحلة التي نشرها آشير قد سقط اسم المكان الموجود فيه هذا المزار فورد كلامهُ على هذه الصورة مبتورًا قال : «ان مدفن عزرا الكاهن والكاتب واقع في . . . . حيث دهمهُ الحِمام بينما كان مسافرًا من اورشليم الى الملك ارتحششتا وحيث يأتي اليهود للصلوة ايام الاعياد (٢ »

وقد ذكر هذا المزار يهوذا الحريزي الذي زاره في اوائل القرن الثالث عشر وقال عنه في رحلته التي بدأ بها سنة ١٢١٧ م في الفصل الخامس والثلاثين منها ما ملخَّص تعريبهِ : انه غادر بلاد اسبانية وسافر في البحر وكانت قِبلته بلاد الكلدان قرب شوشن وعلى مقربةٍ منها موضع يدعى سمدا ( وربما صحيحهُ نهر سمرا ) وبالعبرية اهوا (٣ . فعلى بعد ثلاثة فراسخ من هذا المكان تقريباً قبر عزرا الموجود منذ عهدهِ الاول اي منذ بناء الهيكل الثاني الى نحو السنة الألف من الأسر . وكان بعد انقضاء هذا العهد العهيد عبارةً عن كومة اطلال ولم تسمح تلك الدوارس للمطّلع الوقوف على شيء من ذلك الاثر . وقد علمنا من اناسٍ كثيرين انه منذ ١٦٠ سنة أُوحي الى

١) اطلب طبعة غوتنجن سنة ١٨٤٨ (ص ١٣٠)

٢) راجع M. Edouard Charton: *Voyageurs Anciens et Modernes, II, 188*

٣) اعتمادًا على هذا النصّ نشر حضرة الاب انستاس الكرملي فصلًا في ١١ كانون الثاني ١٩٢٠ في وضيعة دار السلام البغدادية رجّح فيه توحيد نهر سمُرا ونهر اهوا الوارد ذكره في سفر عزرا ( ٨ : ١٥ و ٢١ و ٣١) مخطّئًا رأي من سبقهُ من العلماء الكتابيين في موضع اهوا او نهر اهوا

احد الرعاة موضع رمس هذا الملك الالهي وتكرَّرت هذه الرؤيا ثلاث او اربع مرات. وقد ايَّد قدرته بشفاء عين الراعي فاعاد اليه بصرهُ. وعلى اثر ذلك دعا الراعي سكان تلك البقعة وروى لهم حلمهُ وعيَّن المكان الذي فيه القبر وتأييدًا لصحَّة مروياتهِ قصَّ عليهم خبر شفائه العجيب. وعند ما الحَّ عليهم كل الالحاح حفروا الارض فوجدوا صندوقًا من حديد محفوظًا في تابوت آخر مسدودٍ ومختوم وفيهِ كتابة لم يتمكن من قراءتها القوم. فتقدَّم احد علماء اليهود وفكَّ طلسمها وقرأ فيها اسم عزرا واسماء اجداده الى هرون الكاهن العظيم. وكانت تُشاهَد احيانًا انوار فوق ذلك القبر المحتاط بقبور سبعة صالحين آخرين. وقد حاول كثيرون من الدهريين ان يتَّخذوا تلك المعجزة حادثةً غريبة من الحوادث الجيولوجية او يعتبروها انفجارًا ارضيًا منبعثًا من أطيمةٍ او ينبوع قطران تشتدُّ نارهُ ليلًا (١. وقد شاهدتُ هذه المعجزة بعيني وسجدت امام هذا المظهر من مظاهر العناية الالهية (٢. اه

وقد وصفهُ ريج (Rich) (٣ في بدء القرن التاسع عشر وصفًا دقيقًا قال: «هو بناء يشبه جامعًا يقوم على لسان بارزٍ في النهر. وقد نشأ هذا اللسان من دورة تدورها دجلة هناك حيث تلتوي كل الالتواء. وقد التفَّ حول المكان عدد من الاعراب يسكنون قريةً مساكنها من القصب. وموقعهُ في الجانب الايمن من النهر محتاط بجدار وحصون والقبَّة مغشَّاة باجرّ اخضر مطليّ بدهان الخزف (يريد الواصف بهذا الاجرّ القاشاني المشهور في العراق) يعلوها زينة من نحاس اصفر تمثل كفًّا مفتوحًا تحيط به اشعة جلال. وبعد ان جزنا الباب رأينا ساحة دارٍ صغيرة ثم بلغنا قاعةً فسيحة مظلمة فيها طيقان تسندها كوم مربَّعة من الاجرّ (اي اعمدة مربَّعة من الآجرّ) مجرَّدة من كل زينةٍ. ومن هنا جُزنا بابًا منخفضًا افضى بنا الى غرفة مودع فيها مَن هو موضوع احترام اليهود الديني. انَّ سقف الغرفة معقود وفيها نوافذ صغيرة مشبَّكة بالحديد

---

١) اشار الكاتب الى النار التائهة التي يدعوها الفرنسيون ( feu follet ) وتشاهد في المستنقعات والمقابر وقد ضلَّ كثيرون في تعليلها فانزلوها منزلة المعجزة وما هي الّا من مظاهر الطبيعة ٢) راجع Archives de l'Orient Latin, I, 237 ٣) ان المستر ريج (Rich) كان قنصلًا انكليزيًا في بغداد سنة ١٨٠٨. راجع كتابه: Residence in Koordistan, II. p. 389

مرتفعة كل الارتفاع . والغرفة مبلّطة بآجرٍ ابيض واخضر مرصوفاً ترصيفاً متناوباً . وفي روزنةٍ صغيرة قنديلٌ موقد

« يقوم القبر في منتصف الغرفة وهو مستطيل الشكل منحرف السطح معمول من الخشب ومُسجّى بِمَخْملٍ اخضر وطوله ٨ اقدام وعرضه ٤ اقدام وارتفاعه ٦ اقدام وبينه وبين كل طرفٍ من اطراف الغرفة ٣ اقدام . وكانت زواياه واعــلاه مزدانة بكُرِيٍّ كبيرة من النحاس الاصفر المذهّب ... وقد اخبرنا الاعرابي الذي طوّفنا ان الذي اقام البناء الحاضر قبل نحو ثلاثين سنة هو خوف يعقوب Khoph Yacoob (ربما اراد الكاتب ان يقول خوجه يعقوب او خلفة يعقوب) »

ولا يخلو من فائدةٍ ذكر الوصف الذي وصفه به الرحّالة بنيامين الثاني (١ قال :

« وبعد انحدار ثلاثة ايام في دجلة يقوم على عدوةِ النهر بناء مربّع في منتصف فلاةٍ فيه قبر العزير ويحيط بالبناء بعض دور صغيرة . واما البنــاء عينه فمؤلّف من غرفتين كبيرتين متنافذتين تخصّ الاولى منهما المسلمين والثانية مع القبر اليهودَ . وهناك عتمة حالكة يقاطعها نور ضئيل يأتي من الباب . وفيه ماصطبة طولها ١٦ قدماً وعلوها عشر اقدام وعرضها ست اقدام . وعلى اطرافها الاربعة كتابة لا تُقرأ اليوم وهي مسجّاة بقماش ثمين مزركش ومحلّى بالذهب . ويزوّق الغرفةَ كثيرٌ من الزين النفيسة ولا يخشى بتاتاً على سلامة تلك الكنوز وان كان موقع المزار في وسط بيداء تحيط بها عشائر البدو ... وقد كان قبر عزرا موضوع بحثي وتنقيبي اذ ان الكتاب لا يذكر موتهُ ولا محلّ دفنهِ فخامرني شك في حقيقة هذا الحدث الّا اني رغمــاً عن ذلك تأكدت الأمر من مطالعتي كتاب «سدر هدروث» وغيره من الكتب التاريخية ..... ان كتاب «سدر هدروث» لا يصرّح بموضع الدّفن ولهذا تمسكتُ بالتقليــد اذ لم اقف على شيءٍ اصحّ منه بعد البحث المدقق فيه

«وتحتفل جماعة من يهود بغداد والبصرة بعيد الاسابيع (شبيعوت) عند قبر عزرا

---

١) ان اسمهُ الحقيقي يوسف اسرائيل ( ١٨١٨–١٨٦٤ ) كان من يهود رومانية وانتحل اسم بنيامين الثاني تشبُّهاً ببنيامين التطيليّ واحياءً لذكر ذلك الرحّالة الذي عاش في القرن الثاني عشر . وقد بحث في رحلته الاولى عن الاسباط العشرة المفقودة وكان عمره يومئذٍ ستّاً وعشرين سنة . توفي في لندن بينما كان يتأهب لرحلةٍ ثانية للبحث عن يهود الصين

فيشتركون بالحفلات التقوية . ويعرفُ العربُ غاية تلك الزيارات ولا يُقيمون عقبات في سبيلها » (١ (انتهى)

وقد زرتُ (كاتب هذه المقالة) هذا المرقد سنة ١٨٩٣ فكانت تَرِد اليه جماعات اليهود من كل اطراف العراق للتعفّر بثرى رفات الراقد الصالح وزيارة ضريحهِ في عيد الاسابيع فيدخلون غرفة الجدَث وهم حفاة حرمةً للمكان ويوقدون قناديل اكراماً الراقد هناك ويطوّف القيّمُ الزائرين فينفحونه بحلوان . ومن اقسام البناء دار قوراء فيها غرف عديدة لضيافة زائري المكان من اليهود وللسكنى فيها مدة اقامتهم هناك . وقد نُكب بعد زيارتي المذكورة ببضع سنوات زوّار هذا المعهد نكبة احزنت القوم اذ هوى قسم من بناء المنزل فمات عدد منهم تحت الردم ورضّت اعضاء غيرهم . ولكن جماعة اليهود جددت ذلك البناء واحكمت أُسسه (٢

وقد جرى حول هذا المعهد معارك بين البريطانيين والاتراك في ربيع سنة ١٩١٥ ولكنه لم يصب باذى بل غاية ما كان ان اليهود لم يتمكنوا من القيام بزيارة العزير كل مدة الحرب

وآخر وصفٍ ننقل منه نتفةً للقراء يُظهر حالة المعهد في ايامه الاخيرة . ومن مقابلة كتابات الرحّالين المختلفة على توالي الاعوام يقفون على تطوّر ذلك البناء مع الزمان والوصف المذكور نُشر في شهر تشرين الاول سنة ١٩١٧ في مجلة انكليزية (٣ قال الكاتب : ان مساحة الغرفة تبلغ نحو ثلاثين قدماً مربعاً وجدرانها بيضاء مزينة بكتابات ونقوش عربية (٤ ملوّنة بالازرق الباهر والاصفر والاحمر مما يبهر النظر وارضها مبلّطة بقطع من الرخام الملوّن وفي زواياها (اي زوايا القطع) مربّعات صغيرة من الصخر الاسود او الرخام (٥ وفي وسطها القبر ومساحته ٥×٧×١٥ قدم . انتهى

---

١) راجع Sidney Mendelssohn: *The Jews of Asia, p. 199-200*

٢) عن مذكرتي ٣) راجع Blacwood's Magazine, *October 1917, P. 538*

٤) ان الصفة العربية ترجع الى النقوش فقط وكلتا الكلمتين ترجمة arabesques

٥) ان بلاط الغرفة هو القاشاني الملوّن فليس هناك رخام ولا صخر كما توهّمه الكاتب

# نقل الصور الشمسيَّة بالمجرى الكهربائي

## ومشكل التَّرائي عن بُعد

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعيّ

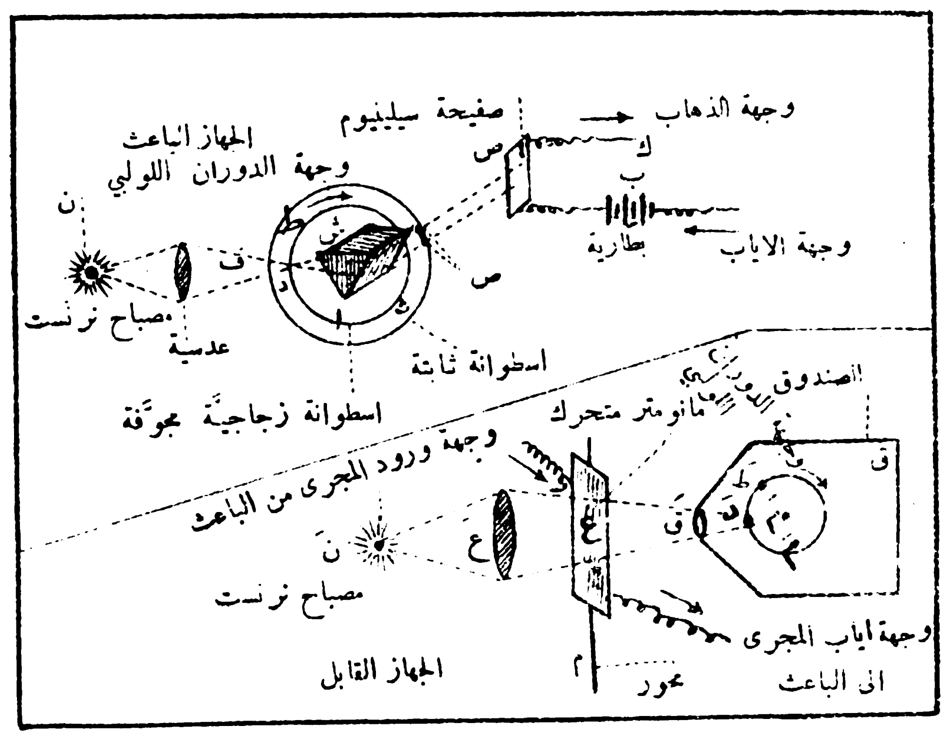
كلُّنا نعلم بل قد علم آباؤنا وبعض اجدادنا إمكان نقل الحروف المكتوبة او الكلمات الملفوظة من مكان الى آخر بواسطة المجرى الكهربائي وجهاز التلغراف او التلفون. وقد امتاز جيلنا هذا على سلفهِ باستغنائهِ في ذلك عن المجرى واسلاكهِ الطويلة الكثيرة النفقات المتعدّدة بعدد وجوه المراسلة او المحادثة اذ ظهر من نحو عشرين سنة التلغراف اللاسلكيّ ومن نحو ١٣ سنة التلفون اللاسلكيّ. ففي عام ١٩٠٢ أرسل مخترعُ التلغراف الاثيري المهندسُ الايطالي مَركوني البرقية الاولى بين اوربّة واميركة. وفي ١٩٠٧ حادثَ مواطنُهُ العلاّمة مايوراما (Majorama) بدون سلك شخصاً يبعد عنهُ ٦٠ كيلو متراً

لكن مهما كان من العجب العجاب في كل هذه الاختراعات ولاسيّما في اللاسلكيَّين اللذين هما من أبهى مفاخر الجيل العشرين فايّ انسان ولو عالماً كان يؤمل في غرَّة جيلنا هذا نقل الصور الشمسية بواسطة المجرى الكهربائي في ظرف بضع دقائق الى مسافات بعيدة بالغة آلافاً من الكيلومترات؟ أَما كانت هذه الامنيّة في ذلك العهد تُعدّ كرابع المستحيلات. مع ذلك قد صنع هذه المعجزة الاستاذ الالماني كُرن (Korn) من كلية مونيخ قبل سنة ١٩٠٧. ففي اول شباط من تلك السنة عرض ذلك المبتكر الجَسور اختراعهُ على جلَّة علماء باريس بحضرة المسيو برتو ناظر الاشغال العمومية حينذاك. فجعل في جهاز الباعث صورة شمسيَّة لرئيس الجمهورية في ذلك العهد اعني المسيو فَليار ونقلها في مدَّة وجيزة امام الجمهور المحتشد الى جُليدة فوتغرافيَّة ملفوفة على جهاز القابل. وكان الجهازان ظاهرًا على مسافة بضعة امتار الواحد من الآخر لكنَّ البون الحائل بينهما كان بالغاً في الحقيقة ١٠٢٤ كيلومترًا لأنَّ الباعث كان موصولاً بالسلك التلفوني المُتَّجه من باريس الى ليون والقابل بالسلك العائد من ليون الى باريس. فنجح اختبارهُ نجاحاً باهرًا واخذ الناس يستعينون بهِ ولا سيّما في

البعض من اصحاب اشهر المجلات الفرنسوية والانكليزية. فما عتَّم استعمالهُ هذا ان كشف بعض معايب طريقة الاستاذ كُرن فقام رصيفه الفرنسوي ادوار بِلان (Belin) وتوفق الى وجود طريقة جديدة خالية من نقائص اختراع سلفهِ . فهلّم بنا الآن نفسّر هاتين الطريقتين على سبيل الايجاز باوضح ما يمكننا من الكلام

## ١ طريقة الاستاذ الالماني كرن

يشتمل «جهازهُ الباعث» على مصباح نرنست نِ (انظر الشكل الاول) وهو من أنور المصابيح الكهربائية الجاري استعمالها ذات سُلَيك متأجج . فهو يرسل اشعّتهُ على عدسيّة عِ تجمعها كلها في المستوقد دِ . ونقطة المستوقد واقعة على سطح اسطوانة مجوَّفة اِ من زجاج تدور حول محورها وفي الوقت ذاته تنتقل على طولهِ بسرعة




(الشكل الاوَّل) نقل الصور الشمسية على طريقة الاستاذ كُرن

متساوية . وقد أُطلق على تلك الحركة المزدوجة اسم الحركة اللولبية . وهي حركة اسطوانات الفونغراف القديم الطرز . وقد لُفَّت على الاسطوانة الزجاجيَّة اِ الجُلَيدة الفوتغرافية المراد نقلها الى الجهاز القابل . وبما ان هذه متحركة مع الاسطوانة بحركة

لولبيّة فمن الواضح ان كل نقطها ستمرّ الواحدة بعد الاخرى بالنقطة د الثابتة في الفضاء وهي كما اسلفنا مستوقَد العدسيّة ع . والاسطوانة ا تحتوي في تجويفها على موشور زجاجي ثابت ش وهي نفسها في داخل اسطوانة ثابتة ث أُدمجت في جهتها التي تجتمع فيها الاشعة الصادرة من المستوقد د والعابرة بالموشور ش . والصفيحة ص من معدن السيلينيوم (قد جعلناها في الشكل الاول خارجاً عن الاسطوانة الثابتة لزيادة الوضوح) . وفي مقدّم الاسطوانة الثابتة ث نافذة مستديرة ف صغيرة جدًّا يمرّ بها النور المنبعث من مصباح نرنست ن قبل انحصاره بأَجمعه في المستوقد د . ومن خواصّ معدن السيلينيوم انهُ اذا أُدرج في دائرة مجرًى كهربائي يزيد قوّة هذا المجرى او ينقصها بنسبة ازدياد او نقصان النور الوارد اليه . وتلك المزيّة الغريبة هي الركن الاساسي لاختراع الاستاذ كُرن

قلنا انَّ كل نقطة من الجليدة الفوتغرافيَّة الملفوفة على الاسطوانة ا تمرّ بالمستوقد د وذلك بسبب الحركة اللولبية . والحال ان لكل نقطة درجةً معيّنة من البياض والسواد وبعبارة اخرى من النور او الظلمة . فأَشعّة المصباح ن المتجمّعة بالمستوقد د تتجمع بكل نقطة من الجليدة حين مرور هذه النقطة بالمستوقد فتنفذ هذه بتمام سطوعها او نقصانهِ او زوالهِ حسبما تكون النقطة بيضاء او بينَ بينَ او سوداء . فيترتب على ذلك ان تلك الاشعة بعد عبورها في الموشور ش تقع على صفيحة السيلينيوم ص بدرجة سطوع مطابقة تماماً لدرجة بياض او سواد النقطة المارّة بالمستوقد . ثم تزيد او تنقص قوة المجرى الكهربائي ك الواصل بين الباعث والقابل بحسب زيادة او نقصان النور الوارد الى صفيحة السيلينيوم ص . فلنبيّن الآن كيف تؤثّر تلك تغييرات المجرى على الجهاز القابل

«الجهاز القابل» فيه ايضاً مصباح نرنست نَ يرسل اشعّتهُ على عدسيّة عَ تجمعها في المستوقد دَ بعد دخولها من النافذة المستديرة فَ التي في مقدّم صندوق قَ مقفل من كل جهة . والمستوقد دَ على سطح اسطوانة زجاجية اَ تُشبه تمام الشبه الاسطوانة ا من الباعث وتتحرك مثلها حول المحور م بحركة لولبيّة . ومن الضروري طبعاً ان تحدث هاتان الحركتان بسرعة واحدة وفي وقت واحد بحيث اذا مرّت نقطة معلومة ط من جُلَيدة الباعث بمستوقده د تمرّ حينذاك النقطة طَ المقابلة

لها في جُليدة القابل بالمستوقد دَ . ومن البديهي ان هذه الجليدة الاخيرة هي التي ستُنقل اليها نقطةً فنقطةً الصورةُ المرتسمة على جليدة الباعث . ولكن كيف ذلك ؟

قد وُضع بين العدسيَّة عَ والنافذة فَ غلڤانومتر غ وهو مقياس لقوَّة المجرى الواصل اليه من الباعث في النقطة ر والمنطلق منه الى الباعث في النقطة ز . وهذا الغلڤانومتر يدور حول محوره م دورةً صغيرة او كبيرة بحسب نقصان او زيادة المجرى المارّ به ونهائياً بحسب درجة سواد او بياض النقطة من جليدة الباعث المارَّة بمستوقده د

ثم وفقاً لصغر او كبر دورة الغلڤانومتر غ الحائل بين العدسيَّة عَ والنافذة فَ تزيد او تنقص الاشعة الواردة من تلك العدسيّة الى المستوقد دَ ان لم يَرِد مجرًى الى الغلڤانومتر فوجهته عاموديَّة بالنسبة الى العدسيّة عَ ولذلك قلنا انه بصغر دورته الناشئة طبعاً من ورود مجرى ضعيف تزيد الاشعة الواردة من العدسيّة الى المستوقد دَ عمّا تكون عند دورة كبيرة ناجمة عن مجرى شديد

اخيرًا بحسب زيادة او نقصان الاشعَّة المتجمّعة في المستوقد دَ تتأثر كل نقطة من جُليدة القابل المارَّة بذلك المستوقد فتصير ذات درجةٍ من البياض او السواد مساويةٍ تماماً للنقطة المقابلةلها في جليدة الباعث . وعلى هذا النمط تُنقل الصورة بواسطة المجرى الكهربائي من الباعث الى القابل .

هذا ملخّص اختراع الاستاذ كُرن وقد بلغ في سنة ١٩٠٧ درجةً من الكمال مكّنت صاحبَهُ من نقل صورة ملك انكلترة سابقـاً ادوار السابع من مونيخ الى نورمبرغ ثمّ الى مونيخ اياباً في ظرف احدى عشرة دقيقة ونصف لا غير بتاريخ ١٦ كانون الثاني من العام المذكور

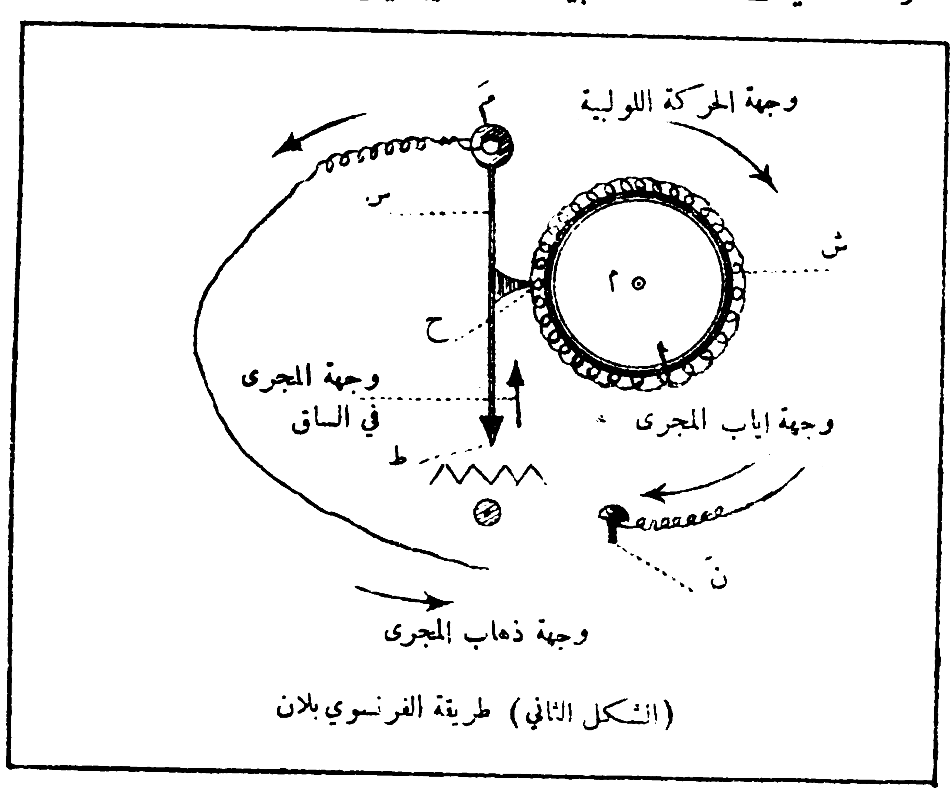
والحالة هذه ما الذي حال دون انتشار طريقة كُرن رغماً عن اقبال بعض المجلات المصوّرة الشهيرة على هذا الاختراع منذ نشأتهِ ولاسيّما على جانبي بوغاز المَنْش بين فرنسة وانكلترة ؟ ان اتقان الصورة المرتسمة على جليدة القابل يستوجب في جهاز العلّامة الالماني خلوّ دائرة المجرى الكهربائي من ادنى اضطراب طول مدّة العمليّة . والحال ان ذلك قلّما يتمّ لان الاسلاك التلغرافية والتلفونية كثيرًا ما تجتمع وتتوفّر بين بلد وآخر فبعضها يؤثر على بعض تـأثيرًا مزعجاً في طريقة كُرن . وما عمّ

الاختبار الطويل ان كشف ذلك العيب الجوهري الـذي لم يظهر من اوَّل وهلة . وتأثيرُ الاضطرابات السابق ذكرها على جليدة القابـل هو ان الصورة تُشان بخطوط سوداء متواصلة او مُنقطة تذهب برونق الاصل

ذاك ما حدا بالخبير الفرنسي بِلان (Belin) الى ابتكار طريقة جديـدة سالمة من تلك الشوائب فتوفَّق بعونه تعالى الى بلوغ مراده كما سترى

## ٣ طريقة الفرنسوي بلان

لا يوجد فرق جوهري بين قابل بلان والذي ابتكره كِرن انما الفرق عظيم بين الباعثين . وهاك بغاية الايجـاز وصف باعث المخترع الفرنسي . يحتوي كجهاز كِرن على اسطوانة معدنية ا ذات حركة لولبية قد لُفت عليها ليس جليدة فوتغرافية كما في الطريقة




(الشكل الثاني) طريقة الفرنسوي بلان

السابقة بل صورة شمسية ش على ورق سميك . ويلزم ان تكون هذه قد أُخذت على طريقة بُوَتڤان (Poitevin) التي لا مجال هنا للإفاضة في شرحها . حسبنا ان نعرف أنَّ في هذه الطريقة سُمك الطبقة الحسَّاسة لتأثير النور المنطّية للورق البسيط

يزيد او ينقص بحسب درجة بياض او سواد كل نقطة من الجليدة التي أُخذت منها الصورة . ولذلك رسمنا الصورة الملفوفة على الاسطوانة بوهادٍ وهضابٍ كبّرناها كثيراً لزيادة الايضاح . ثمَّ تجاه الاسطوانة ساقٌ معدنية س يمكنها الدوران حول محورها م ولها على احد جانبيها المتجه الى الصورة المقصود نقلها حدٌّ ح من الصَّفير اي الياقوت الازرق دقيقٌ للغاية ملامس دائماً لسطح الصورة الشمسية ش بفعل زنبرك . فمتى دارت هذه دورتها اللولبية تجتاز كلَّ نقطها واحدة بعد اخرى على الحدّ الصَّفيري ح فيصبح بمثابة مِسْبَر يسبر كل اجزاء الصورة المتفاوتة كثافةً كما اسلفنا . وطرف الساق س المشار اليه بحرف ط في الشكل ينتقل حين دورتها حول محورها م على صفّ أنصابٍ شتى ن صوَّرناها بهيئة حدّ المنشار بخلاف الحقيقة لتقريب وظيفتها من الاذهان . فكلٌّ نُصبٍ عُلّق به طَرَف ملفٍّ ذي طول معلوم اذا مسّه طرف الساق س سبَّب في المجرى الكهربائي الساري فيها مقاومةً لهذا المجرى تختلف درجتها بنسبة طول الملفّ اللاحق للنصب الممسوس . ومقاومات الملفّ تزيد تدريجاً في الصف ن من اليمين الى اليسار . فحين تمرّ وهدةٌ اي نقطةٌ قليلة الكثافة من الصورة ش بالحدّ الصَّفيري ح يميل هذا يسيراً الى اليمين (انظر الشكل) فيُدير الساق الحاملة له الى تلك الوُجهة فيمسّ طَرَفُ الساق ط نصباً يُدخل في المجرى الكهربائي مقاومةً يسيرة تنقصه بنسبة درجتها . وحين تمرّ هضبة اي نقطة شديدة الكثافة من الصورة ش بالحد الصفيري يميل هذا الى اليسار وينقل طرف الساق الى نصب ذي مقاومة شديدة تُضعف المجرى كثيراً

### ٣ المقابلة بين الطريقتين

فاذا قابلنا الآن بين قابل كُرن وقابل بلان رأينا ان الاول يسبر كلّ نقطة جُليدة فوتغرافية بمسبر من النور . اعني بمُتَجَمَّع اشعّة مصباح نرنست في مستوقد عدسيَّةٍ فينفذ هذا المسبر الشعاعي كل نقطة ثم يَصِل سالماً او ناقصاً بحسب درجة بياض النقطة او سوادها الى صفيحة سيلينيوم تزيد او تُنقص المجرى الكهربائي التي هي مندمجة فيها بنسبة درجة سطوع المسبر الشعاعي الواصل اليها . اما مسبر بلان فهو حدٌّ صَفيري ينتقل على كل نقطة صورة شمسية على ورق فيميل بوهادها يميناً وبهضابها

يساراً وبتلك الحركات المختلفة المتوالية يجعل طرفَ الساق التي تحملهُ وبها يمرّ المجرى الكهربائي مماساً لانصاب ذات مقاومات متفاوتة تُنقص او تزيد المجرى بنسبة درجة كثافة كلّ نقطة يسبرها الحدُّ الصَّفيري

هلُمّ بنا الآن نفحص عن ايّة الطريقتين لها قصب السبق على الاخرى. (اوّلاً) انّ باعث بلان أَبسطُ بدون قياس من باعث الاستاذ كُرن كما يتضح من مجرَّد النظر الى رسميهما. (ثانياً) مدَّة ارسال الصورة الفوتغرافية على الطريقة الالمانية كانت نحو ربع ساعة ونظراً لطولها كثيراً ما كانت تحدث فيها الاضطرابات الكهربائية الشائنة لكمال الصورة المرتسمة في قابل كُرن وقد أَلفتنا الانظار اليها سابقاً. اما طريقة بلان فقد مكَّنَتْهُ منذ اوائل سنة ١٩٠٩ وهي تقريباً في نشأتها من ارسال صورة حاكم ليون من هذه المدينة الى باريس في ظرف خمس دقائق وعشرين ثانية لا غير. ورغماً من هذا قِصر الوقت العجيب قد وصلت تلك الصورة الى العاصمة بغاية الوضوح في كل اجزائها فيوقن الناظر اليها انها خارجة من معمل احد المصوّرين الشمسيّين. وقد رأيناها اثناء كتابة هذه المقالة ممثَّلةً في احدى المجلّات الفرنسوية الشهيرة فأُعجبنا بها. (ثالثاً) ان طريقة كُرن لا تنطبق الّا على الجُلَيدات الفوتغرافيَّة. امّا اسلوب بلان فهو مناسبٌ ايضاً بادخال تغييرات جزئية لارسال كلّ مخطوط او رسم بسيط بشرط ان تكون نقطهُ المختلفة متفاوتةً في النتوء او الكثافة وكثيراً ما يتمّ ذلك

فينتج من هذه المقايسة الدقيقة بين ابتكار كُرن واختراع بلان ان لهذا السهم الفائز. امّا فوائد نقل الصور الشمسية بالمجرى الكهربائي وقد أُطلق عليها في اوربة اسم التَّلافوتغرافية (téléphotographie) فهي واضحة لكل ذي عينين. هي التي مكّنت مجلاّت شهيرة مثل الإلّستراسيون (L'Illustration) وجرائد يوميّة ذائعة الصيت مثل إكسلسيور (Excelsior) — وكلتاهما صادرة في باريس — من ان تنشرا اسبوعاً فاسبوعاً بل يوماً فيوماً صور الحوادث الهامّة ورجالها المستلفتين انظار كل المجتمع الانساني. فلولا التلافوتغرافيَّة لتعذّرت المقارنة بين الواقعات اليومية وصورها التي تكاد تحييها لنظر ملايين من الذين لم يعاينوها فتزداد بذلك معرفة حوادث المعمور فائدةً وكمالاً ولا سيّما لذّةً فانّ الاختبار اليومي يثبت إقبال الاحداث والكهول على معاينة الصُوَر خصوصاً اذا كان موضوعها ماجريات العالم

## ٤ امكان التراني عن بعد

قبل ختام مقالتنا هذه لا نتمالك ان نلقي نظر البحث الى مسألة هامَّة بل مُنيةٍ بعيدة طالما اشرأَبت اليها اعناق العلماء والمخترعين نعني بذلك التراني عن بُعدٍ ايةً كانت المسافة الفاصلة بين الشخصين. والحق يقال لم تدنُ تلك الامنيّة السحيقة الى أمل جهابذة العلماء الّا بعد تحقّق التحادث عن بُعد بواسطة التلفون ولا سيّما حين اصبح لاسلكيًا وهو الآن جاري الاستعمال خصوصاً في الولايات المتحدة. لعمري ما اعظم سعادة الامّ السورية التي هاجر ابنها وفلذةُ كبدها الى نويرك مثلًا لو استطاعت ليس فقط ان تسمع كل نبرات صوتهِ المحبوب بالتلفون اللاسلكي بل ان تمتّع مقلتيها بمشاهدة كل تقاطيع محيّاه المرتسم بخطوط ناريّة في اعماق فؤادها الوالدي الشديد التألم من مضض النوى

فتلك السعادة الغريبة التي كانت بغرّة هذا الجيل يعدّها العلماء مستحيلةً اضحت اليوم بفضل التلافوتغرافيَّة من الممكنات بل ممَّا يُحتمل تحقيقهُ في عصرنا هذا مُولِد العجائب باختراعات لا تُحصى كالطيران والمواصلات اللاسلكية. وهاك دليلين لتوطيد مدّعانا. (الاول) ان من الامور الجارية اليوم ارسال الصور الفوتغرافية في خمس دقائق بل اقلّ الى مسافة تزيد عن الف كيلو متر. (والثاني) انهُ لا يوجد نظريًّا ادنى مانع يحول دون بعثها من اقصى العالم الى اقصاه وان تكاثرت العوائق العمليّة في قطع المسافات البعيدة جوًّا ولاسيّما ان لزم عبور بحرٍ محيط واسع كالاطلنتيك. وهل من عجَبٍ في ذلك؟ أَليس امرًا ثابتاً بالتاريخ وبالاختبار اليومي ان المواصلات البحرية بوجه الإجمال اصعب بدون قياس من المواصلات البرّية. هذا التلغراف الكهربائي يرقى اختراعهُ على يد فرنسوي الى سنة ١٧٧٠ ومع ذلك فانّ اول برقيَة جازت الاطلنتيك اتت من جزيرة الارض الجديدة الى اوربّة بتاريخ ١٢ آب سنة ١٨٥٨ اعني ٨٤ سنة بعد اختراعه المذكور. والحالة هذه لا يُستبعد امكان المواصلات التلافوتغرافيَة بين اوربة واميركة بل بين هذه والشرق الادنى في الجيل العشرين. فاذا تمّ ذلك استطاعت الوالدة السورية التي ضربناها مثلًا فيما سبق ان ترى في بيروت او دمشق او حلب صورة ابنها القاطن في نويُرك بضع دقائق بعد إرسالها من هناك. تلك سعادةٌ عظمى

فانّ الوالدة ترى على هذا المنوال الغريبِ ولدَها كما هو حالاً ليس كما كان من مدة اسبوعين او اكثر

ولكن اين ذلك من فرح الترائي الحقيقي الذي يرى فيه القريب قريبهُ والحبيب حبيبه ليس بحالة الجمود والصمت بل يسمع كل رنّات صوته الشائق ويرنو الى كل ما تنطق بهِ تغييرات محيّاه من عواطف الوداد والأُنس · فهل كل ذلك ايضاً دخل الآن بفضل التلافوتغرافيّة في حيّز الإمكان ؟ أُجيب أَجَل ثم اجل ولست اخشى تكذيب مكذّب · (اولاً) ان المحادثة بل المحادثة اللاسلكيَّة بين اوربة واميركة تحققت منذ ٥ سنوات بنيّف فانّها جرَت اول مرّة بين برج إِيْفِل في باريس وبين واشنطن في تشرين الاول سنة ١٩١٥ · (ثانياً) ان الترائي لا يختلف جوهريًّا عن ارسال صورة فوتغرافيّة بل يقتضي فقط بعث «فِلم» (film) سينماتغرافي اعني شريطاً طويلاً من جُليدات فوتغرافيَّة تُمثِل كل حركات وسكنات الشخص المُصوّر · ثم يلزم لإمكان الترائي ان تَرِد تلك صورُ الفِلم من نويرك الى بيروت مثلاً بحساب عشرة على الاقل في الثانية · فان تمّ ذلك وتتابعت تلك الصور مُنارةً بنور شديد ومُكبَّرةً على حاجز قماشي كما في ردهات السينماتغراف فلا ينقص الترائيَ شيءٌ

ومن معترضٍ يقاطعنا بقوله : كيف يُحتمل امكان بعث عشر صور على الاقل في الثانية حال كون ارسال صورة واحدة بالتلافوتغرافية يستغرق على طريقة بِلان المكمّلة نحو خمس دقائق؟ ذاك الاعتراض معقول وهذا جوابي عليهِ · الوقت المشار اليه ضروري لبعث صورة ذات كبر اعتيادي امّا صور الفِلم السينماتغرافي الكافية لحلّ مُشكل الترائي عن بُعد فلا مانع من ان تكون عشر مرّات اصغر من الصور المعتادة بل عشرين مرّة بشرط ان تؤخذ بواسطة جهاز فوتغرافي بغاية الكمال · فاذا اعتمدنا على درجة الصغر الاخيرة قد يمكن حاضرًا ارسال صورة فِلميّة صغيرة هكذا في جزء من عشرين من خمس دقائق اعني في ١٥ ثانية · فيترتّب على ذلك ان مكان الترائي التلافوتغرافي المقتضي بعث عشر صور على الاقلّ في الثانية متوقف حاضرًا على زيادة سرعة الارسال مائة وخمسين ضعفاً فمَن يتجاسر ويستطيع دون الحياد عن جادّة الصواب ان يؤكد استحالة بلوغ تلك السرعة وإن لم يختلف اثنان في صعوبتها

وهاك ايضاً شهادة احد نوابغ فرنسة تأييدًا لحجتنا :

انّ العالم الفرنسوي جورج كلود (Claude) المشهور باختراعه طريقةً مكمّلة لاصطناع الهواء المائع قد نشر سنة ١٩٠٥ مؤلفًا حسناً على الكهرباء كرّس فيه فصلًا كاملًا لإرسال الصور الشمسيَّة بواسطة المجرى الكهربائي . ومن عجيب امرهِ انهُ تنبأ فيه سنتين على الاقلّ قبل اختراع الاستاذ كُرن لاوّل جهاز تلافوتغرافي بإمكان ذلك النوع الغريب من المواصلات . بل سبقت قريحتهُ الوقّادة فوصفت بدقَّة عجيبة ما يقتضيهِ ذلك من الادوات والعمليّات المختلفة في الباعث والقابل وأشار في وصف الاول الى فائدة استخدام معدن السيلينيوم الذي استعمله فعلًا المخترع الالماني . ثم ان جورج كلود في نفس الكتاب المنوّه به يصرّح بان التراني التلافوتغرافي المقتضي بعث عشر صور على الاقل في الثانية يمكن على الارجح تحقيقهُ رغماً عن الصعوبات العظيمة الحائلة دون ذلك. ولا شك عند من يعرف قيمة هذا العالم والمخترع المشهور ان قوله الاخير جديرٌ بالتصديق ولا سيّما ان قولهُ الاول النبوي قد تمّ حرفيًّا بكل تفاصيلهِ الدقيقة عامين ليس الّا بعد ان فاه به . وكفى بذلك دليلًا باهرًا على سموّ عقله وبُعد نظره

زد على ذلك ان كلّ ما سبق من بحثنا وحَدْسنا لم يخرج عن دائرة التلافوتغرافيّة السلكيّة وهي ضيّقة النطاق . فكم يتّسع امامنا مجال الامل في دنوّ تحقق التراني عن بُعد ان اصبح لاسلكيًّا . وهنا ايضاً مَن مِن جهابذة العلم انفسهم يقدر ان يُصرّح بامتناع ذلك الترقي . لو كنتَ استفتيتَهم في غرّة هذا الجيل عن امكان التحادث التلفوني اللاسلكي . أما كان كثيرٌ منهم ان لم نقل السواد الاعظم صرّحوا لك بانّ تلك الامنيّة هي اشبه شيءٍ ببيضة الديك ? وهل تجهل ان طائفة من ائمَّة الرياضيّين الغائصين في بحر النظريّات المستخِفّين بالعمليَّات والمتعامين عنها جاهروا غير مرّة بناء على حساباتهم الدقيقة العميقة باستحالة فنّ الطيران اي انطياد الانسان في مركبة اثقل من الهواء ايّةً كانت الوسائل المستخدمة لبلوغ هذه الغاية ? فما عتَّمت الحوادث التي لا يستطيع انكارها مُكابر ان كذّبت هؤلاء المدَّعين بمعرفة ما تعجز القوى الطبيعيَّة عن ادراكه من افانين الاختراعات العجيبة . ويا ليت اولئك الانبياء الكذبة يرتشدون بتلك العِبرة المبطلة لدعواهم !

واخيرًا ربما سألنا سائل بعد امعانهِ النظر في وصفنا الآنف لجهازي كُرن وبلان

بدقتهما وتركيبهما للعقد الذي ليس فيه ادنى اداةٍ باطلة وكيف يُحتمَل إمكان الاستغناء عن كل تلك الاجهزة الكثيرة الاجزاء والوظائف لمجرّد استخدام اللاسلكي اي التموّجات الكهربائية الاثيرية ؟ فجوابنا على هذا السؤال الحصيف ان التلافوتغرافية اللاسلكية تنفي ضرورةَ سلك المواصلة ولكنها لا تطرح جانباً بقيّة الاجهزة كما ان التلغراف والتلفون اللاسلكيين لا يقومان بدون باعث وقابل يفوقان كثيرًا بتعقيدهما اجهزة المواصلات السلكية . فمن يجهل مثلًا ضرورة تشييد صوارٍ عالية جدًا للتمكّن من العلاقات اللاسلكيَّة ؟

والحالة هذه يكفي لتحقّق التلافوتغرافية الاثيريّة ايجاد مِسْبَرٍ يسبر كل اجزاء الصورة المقصود إرسالها فيُحدث في حين مماسّته لكلّ نقطة تموّجات كهربائية تناسب درجةُ شدّتها درجةَ بياض او سواد النقطة الممسوسة . وبعبارة اخرى ما احدثهُ مِسبَرا كُرن وبلان من التغييرات في المجرى الكهربائي الناقل للصورة لا نرى وجه امتناع إحداثه في التموجات الاثيرية . ولنا شاهدان جليّان على امكان الاستغناء بهذه عن ذاك في التلغراف والتلفون اللاسلكيّين

فينتج من الايضاحات السابقة التي استوجبت بعض الافاضة في الشرح ان التحادث اللاسلكي امرٌ متحقق منذ نحو خمسة اعوام وان التراني بحصر المعنى اي بدون تحادث لكن بمرأى كل شخص لحركات الآخر وسكناته أمرٌ لا يقتضي ايجادهُ سوى زيادة سرعة الارسال الحاضرة نحو مائة وخمسين ضعفاً بل يُحتمل تحققه بالطريقة اللاسلكية . فماذا يعوق الآن تحقّق التراني والتحادث معاً وهما ضروريّان لكمال المؤانسة ؟ لعمري اذا سلّمنا بامكان كلٍّ من الامرين بمفردهِ فلا مندوحة لنا من الاقرار بامكانهما مجتمعَين . ولنا ايضاً شاهد على ذلك في السيناتغراف المتكلّم الذي وان لم يكن جاري الاستعمال بسبب وعورة مسلكهِ وكثرة نفقاته فقد دخل في حيّز الوجود منذ ١٥ سنة على الاقلّ وقد حضرنا احد مشاهدهِ حول سنة ١٩٠٦ في ثغر الاسكندرية

فيسوغ لنا في آخر هذا المبحث العويص الشائق ان نُسَرّ بكوننا استدرجنا القارئ اللبيب فبيّنا لهُ إمكان الجمع بين التراني والتحادث عن بُعد حتى بين اميركة والشرق الادنى بل على الاسلوب اللاسلكي . ويلوح لنا انّنا لم نحدْ شعرةً

عن المبادئ العلمية الراهنة في كل الادلّة التي اوردناها لتأييد ذلك الإمكان الذي سيضحي ان تحقق يوماً ما اعجوبةَ العجائب الناتجة من قوّة العقل البشري الناطقة الف مرة افصح من سواها بسيادة الانسان المطلقة على العالم المادّي رغماً من عدم التناسب الفاحش بين فرط ضعف جسمهِ والقوى الكونية الهائلة التي اذلّها مرغومةَ الانف لسلطانه السامي . وأَيم الحق ما اعظم قدرة الله جلّ جلاله حيث استطاع بمجرَّد مشيئته ان يُنعش حفنة الطين التي جُبل منها جثمان جدّ البشر بروحٍ صاغها على مثال ذاته سبحانه وتعالى فسلّطها بواسطة العقل على العالم الهيولي وقدّرهـا على فتح كل ممالكهِ حتى الاشدّ خفاء ومناعةً

ولا نتمالك ان نزيد على ملحوظنا السابق اعتبارًا فلسفيًّا آخر جليل الفائدة وهو هذا : ان كان من المؤكّد الذي لا يحوم عليه ادنى ريب ان امراء العلـم انفسهم جاهلون — وايّ جهل ! — لحدود القوى الطبيعية عاجزون في كثير من الاحوال عجزًا مطلقاً عن التصريح اليقيني بما هو في دائرة الإمكان وما هو خارج عنهـا فما اعظم قحة الزنديق في رذلهِ كل الكائنات والحقائق اللامادّية الفائقة لحواسّه بحجة تعذّر إحاطتهِ بغامض اسرارها . بل ما اشدّ جنون المؤمن بوجود الله وروحانيّة النفس وخلودها بنعيم الآخرة او جحيمهـا ان يكتفي بقبول تلك الحقائق التي يدركها عقله ويَنبذ نَبذ النواة الحقائق الفائقة الادراك التي تنازل رب العباد واوحى بها الينا على لسان انبيائه الكرام ولا سيَّما ابنه الوحيد سيدنا يسوع المسيح له المجد والجلال والملك الى دهر الداهرين !

---

# التعليم الاجباريّ

نظر تاريخي اجتماعي للاب لويس شيخو اليسوعيّ

كنّا انتقدنا في بعض اعداد سنتَي المشرق الحادية عشرة والثانية عشرة (١٩٠٨ و ١٩٠٩) «الفاظاً سحريَّة» شاعت في زماننا على أَلسنة الناس ولا تزال تزمّر بها الجرائد وتُطبّل كأنَّ سعادة البشر تتوقّف عليها وهي اشبه بالسراب ينخدع بهِ التائه في

الصحاري فلا يلبث ان يقف على ضـلالهِ فيزيد اسفهُ · فمن ذلك الحرّيّة والمساواة والاخاء والتساهل والتمدُّن نسمع بها ولا يكاد يرينا المنادون بها غير قشرتها

وفي باب التعليم والمدارس مفرداتٌ يردّدها المتشدّقون ويبنون عليها كل الاماني الطيّبة وينتظرون منها حلّ كلّ مشاكل المجتمع الانساني · فهذا يطرئ المـدارس العلمانية وقد فنّدنا سابقاً اوهام القائلين بها ( المشرق١٣ [ ١٩١٠ ] : ٦٢٠ و ٦٩٠ ) وذاك يطلب المدارس الوطنيَّة كأنَّ المتخرّجين في مدارس الاجانب لم يكونوا عادةً في مقدَّمة السُّعادة في ترقية الوطن ومنهم فقهنـا معنى الوطنيَّة فمات بعضهم شهداء حبّهم للوطن (راجع مقالة شهيدي لبنان وكلاهما تخرَّج في مدارس الاجانب) ومعظم الذين يعوَّل عليهم اليوم في نهضة الوطن رضعوا افاويق العلوم في مدارس الاجانب · ويطنطن غيرهم بالمدارس المجَّانيَّة كانهم لم يُسبَقوا اليها منذ ثمانين سنةً · فالرهبانيَّات الاوربيَّة التي خدمت بلادنا بالتهذيب والعلوم قبل الحرب الكونيَّة انشأت مئات من هذه المدارس للذكور والإناث · فان كانت الآداب انتشرت في هذه البلاد السوريَّة فلهم يعود معظم الفضل وكانوا يجمعون النفقات من اهل الكرم في فرنسة لفتح هذه المدارس المجانيَّة · امَّا الدُّول فاذا انشأتها لا تصرف عليها من مالهـا الخاص بل من الضرائب التي تتقاضاها على الشعب · فتلك اذن كلُّها اسماء بلا اجسام · يكفي العاقل ان يعتبرها مليًّا ليكتشف ما وراءها من البهرجة والترويق الباطل

ومن التمويهات التي عمدت اليهـا بعض الجرائد في هذه المدَّة الاخيرة « التعليم الاجباري » فنسبت اليه تمدُّن الدول الاوربيَّة ورقيَّها كما نسبت تأخُّر بلادنا لخلوّها منها فأحببنا مجاراتها في هذا الميدان لترى ما في قولها من الصلاحيَّة فنؤيّدهُ او عدمها فنفنّدهُ

## لمحة في تاريخ التعليم الاجباري

انَّ من اطّلع على تواريخ الامم الراقية التي يُنسب اليهـا بلوغ اوج التمدُّن بين قدماء الشعوب كالمصريين والبابليين واليونان والرومان حيث كانت الحضـارة نامية والآداب معزَّزة لا يجد فيها أثرًا لِما يُدعى بالتعليم الالزاميّ او الاجباري وغاية مـا كان يُعنى بهِ ارباب الدول انَّهم كانوا يجلُّون الآداب والأُدباء ويمنحون الامتيـازات لمن برَّز في العلم واذا انشأوا المـدارس العموميَّة رغَّبوا الاهلين والاحداث في تربيتها

وتهذيبها واناطوا الى المتخرّجين فيها المناصب الشريفة وقلّدوهم الرُتب المنيفة

وما قولنا الآن بالشعوب المسيحيَّة فانَّ الكنيسة ما كانت تبسط سلطانها على احد الاقطار حتَّى تُسرع الى نشر الديانة والعلوم معاً . فان كانت تشيّد بيعةً كانت تضيف اليها مدرسة للاحداث . ومثلها الرهبانيَّات التي نشأت في حجر الكنيسة فانَّ كلّ دير من اديار الرهبان كان في الغالب يشتمل على دارٍ للعلوم يتقاطر اليهِ اولاد الاغنياء والفقراء معاً بكل ارتياح دون إجبار ولا كراهية . ولو اردنا سرد تاريخ تلك المدارس في كلّ بلد من بلدان الشرق والغرب معاً لما حصرتهُ المجلّدات الضخمة . كفى بذكر مدارس الاسكندريَّة وانطاكية والرها ونصيبين وبيروت في الشرق ثم مدارس رومية وميلانو وجبل كاسّين وليون وباريس واكس لاشابل وتريف ومئات غيرها في الغرب . وقد تخصَّصت عدَّة رهبانيَّات لتعليم الناشئة نخصّ منها بالذكر رهبانيَّة القديس مبارك بكل فروعها ثم الرهبانيَّة اليسوعيَّة ثمَّ جماعة اخوة المدارس المسيحيَّة

وكانت الكنيسة اذا عقدت مجمعاً عموميًا او خصوصيًّا لا يبرح من فكر المندوبين اليهِ الوصاة بانشاء المدارس للاحداث وحسن تربية الشبيبة . حتَّى اقرَّ اعداء الكنيسة نفسهم انَّها نالت السبق في تعميم العلوم . قال الوزير غيزو وهو بروتستاني النحلة في مجلس النواب في فرنسة في ١٦ آذار سنة ١٨٥٥ : «انَّ فرنسة لكثرة ماكان فيها من المدارس قبل سنة ١٧٨٩ بفضل الرهبانيّات العديدة والمنشآت الدينيَّة وغيرها اصابت قصبة السبق على كلّ الدول . لكنَّها الآن ( اي السنة ١٨٥٥ ) قد انحطَّت عن مقامها حتى صارت في مؤخر كلّ الدول »

وانَّما كان اكبر اسباب ذاك التأخر منافاة المدارس الدينيَّة وسعي الجمهوريَّة الاولى باحتكار التعليم ووضع المدارس في عهدة الحكومة وحدها

ثمَّ أُعيدت الحرّيَّة سنة ١٨٥٠ للكنيسة وارباها ولرؤساء الرهبانيَّات لفتح المدارس الدينيَّة فعاد معها إقبال العموم على المدارس الابتدائيَّة والثانويَّة خصوصاً حتَّى انَّ وزير المعارف فكتور دورويّ في عهد نابليون الثالث تخوَّف من نموّها العظيم فقال سنة ١٨٦٣ «اذا بقيت المدارس المنشأة من الرهبان على ترقّيها سيأتي زمنٌ قريب لن يبقى في فرنسة مدرسة علمانيَّة واحدة »

والحقُّ يقال انَّ هذا النموّ المتواصل قلّل عدد الامّيين في فرنسة حتَّى سقط الى

قريب من عشرة في المئة قبل سنة ١٨٨٢ باقرار ارباب الحكومة نفسها كما سترى

ففي هذه السَّنة سعى وزير المعارف جول فرّي بوضع سُنَّة التعليم الاجبـاري ولم يزل ينادي بها ويحرّض على تصديقهـا ويموّهُ في بيان منافعها لتعميم العلوم حتَّى فاز بغايتهِ وأُدرجت شريعة التعليم الالزاميّ في دستور الدولة

وهذه سُنَّة الاجبار دخلت ايضاً في بلاد غير فرنسة كالولايات المتَّحدة وانكلترَّة لكنَّها لطَّفتها كثيرًا بمنحها الحرّيَّة التامَّة لعناصرها وارباب اديانها بأن يفتحوا المدارس الحرَّة ويهذّبوا الشبيبة كما يشاؤون على حسب روح دينهم واساليبهم التعليميَّة فمنعت الشريعة على هذه الصورة كثيرًا من اضرارها. لأنَّ نفي العلم الديني يقلّل ثقة الاهلين بالمدارس الاجباريَّة. واذا كانوا فقراء لا طاقة لهم بوضع اولادهم في المدارس الدينيَّة الحرَّة يفضِّلون البقاء على جهلهم من ارسالهم الى المدارس اللادينيَّة

امَّا فرنسة فزادت شريعتها حراجةً بوضع سنَّة أُخرى سنة ١٨٨٦ اذ حرمت التعليم على الرهبانيَّات غير المأذونة ثمَّ الحقتها بشريعة ثالثة في منع التعليم على الرهبانيَّـات المأذونة ايضـاً سنة ١٩٠١ فأقفلت الوفاً من المدارس الـدينيَّة ليخلو الجوّ لمدارس الحكومة وحدها اي العلمانيَّة اللادينيَّة او قُلْ بالحري المعاكسة للدين وهي الداهية الدهياء وانمَّا سُمح للكاثوليك انشاء مدارس دينيَّة على نفقتهم يديرها غير الرهبان دون ان يستفيدوا شيئاً من الضرائب العموميَّة كأنَّ الاهلين لا يمكنهم ان يتمتَّعوا من فائدتها الَّا بتخريج اولادهم في مدارس الحكومة مع كونهم شاطروا الفرنسويين كلهم في دفع تلك الضرائب

## الدواعي الى التعليم الاجباري

لا شكّ انَّ القـارئ وجد بين سُنَّة التعليم الاجباري ومطـاردة الرهبانيَّات المرصَدة للتعليم تناقضاً ظاهرًا فيتساءل كيف التوفيق بينهما وما الداعي الى حصر التعليم في ايدي الدولة بوضع النواميس لإلغاء المدارس الدينيَّة

لذلك سببان: الواحد اختلاقيّ تمويهيّ كاذب نودي بهِ لمخادعة العموم وكمّ أفواه المحتجّين. وهو انَّ التعليم الاجباريّ لا بُدَّ منهُ لتعميم العلم بين كلّ أحداث البلاد. وقد ثبت بالامتحان الذي اشرنا اليهِ انَّ انتشار العلم يزيد على قدر مـا تُمنح الحرّيَّة

لكل عناصر الدولة ولاسيّما ارباب الدين والرهبان وكما سترى قريباً في بيان نتائج التعليم الالزاميّ

والسبب الثاني وهو الحقيقي لم يُعلَن بهِ جهارًا وانَّما صرَّحت بهِ الجمعيات السرّيَّة وهو قَتل الدين في المدارس وتخريج الشبيبة على المبادئ الاباحيَّة الكفريَّة لتكون المدارس العلمانيَّة الرسميَّة هي الكلّ في الكلّ فيخلو الجوّ لاعداء الدين ليسطوا على عقول الصغار ويبذروا في قلوبهم بذور الكفر والفساد

وليس قولنا هذا وهماً فريًّا بلا سند فانَّ الفرمسون صرَّحوا بنيَّتهم غير مرَّة بحيث لا يبقى في الامر ادنى ريب. وقد اثبتنا في كتابنا «السرّ المصون في شيعة الفرمسون» (٣ : ٣٣) فصلًا واسعاً اوردنا فيهِ اقوالهم في مجتمعاتهم السرّيَّة منقولةً عن النشرات الرسميَّة التي وقفنا عليها. وقد كانت المحافل الماسونيَّة سبقت وسنَّتها في « هياكلها » قال الاخ ** لوبلتيه (Lepelletier) سنة ١٨٨١ لمَّا سنَّ مجلسُ العموم التعليم «المجاني العلمانيّ الاجباريّ » : انَّ الشريعة التي اشترعها آخرًا مجلس العموم انمَّا هي الشريعة التي سبقنا وقرَّرناها في محافلنا منذ سنين عديدة بحرفها الواحد فحصلنا اخيرًا على مرغوبنا ». وكان المسيو پول برت (Paul Bert) كاتب لجنة التعليم الاجباريّ ادَّعى زورًا بدفاعهِ عن شريعة التعليم العلماني الاجباريّ «انَّ اصحاب الدين ليسوا اهلًا لتربية الاولاد وإعدادهم للعيشة العائليَّة والمجتمع البشَري وذلك لاعتبارهم الزيجة ادنى شأناً من العزوبة » لكنَّ الاخ ** فرّوليا ( Ferrouillat ) المدافع عن الشريعة ذاتها في مجلس الشيوخ كان اصدق لهجةً بقولهِ «انَّ السبب الحقيقي لمطالبتنا بهذه الشريعة انَّ إله اللوائح المدرسيَّة هو غير إله الجمعيَّات الرهبانيَّة. الهنا هو إله الفلسفة اله الديانة الطبيعيَّة ليس إله الوحي»

وكان في جملة مقاصد المؤتمر الماسونيّ المنعقد في ليون سنة ١٩٠٥ البند الآتي: «يجب الغاء كلّ تعليم ايًّا كان ابتدائيًّا او ثانويًّا غير التعليم العلماني ولذلك لا بُدّ من نزع التعليم من كلّ الجمعيَّات الدينيَّة »

فالتعليم الاجباريّ اذن احد الاسلحة الماسونيَّة لا يُراد بهِ الَّا محاربة الدين وارباب لتنزع منهم أقدس حقوقهم التي خوَّلهم ايَّاها الدين وثقة الشعوب وتقاليد الامم المتواصلة

## نتائج التعليم الاجباري

انَّ الذين يطلبون وضع سنَّة التعليم الاجباري يستندون عادةً الى فرنسة التي يعتبرون شرائعها مثال العدل والحكمة ويا ليتنا كنّا نستطيع ان نوافقهم في حكمهم بخصوص التعليم الاجباريّ . ولئلّا ينسبنا احد الى الغرض الشخصيّ نورد هنا شواهد من ارباب الحكومة الفرنسويَّة نفسها وهم يقرُّون بعدم صلاح سنَّة التعليم الاجباريّ وأضرارهِ ونؤيد قولنا بالتقاويم الرسميَّة التي اصدرتها الحكومة

ولإثبات الامر لا بُدَّ من المقابلة بين ما قرَّرتهُ الحكومة عن شيوع التعليم في فرنسة قبل وضع شريعة التعليم الاجباريّ في ٢٨ آذار سنة ١٨٨٢ وبعدها . ولنا على ذلك شاهد صادق في قرار المسيو پول برت المعروف بمعاداتهِ للدين الذي قدَّمهُ لمجلس الشيوخ ليلتمس بهِ شريعة التعليم الالزاميّ قال : « انَّ في فرنسة حاضراً (١٨٨١—١٨٨٢) عُشر الاولاد البالغين هم امّيون يجهلون القراءة والكتابة » . اما مسيو بريان رئيس المجلس الحالي فادَّعى انَّ عدد الاميين كان وقتئذٍ ١٤ بالمئة . لعمري وان سلَّمنا بتقويم المسيو بريان نرى كلا العددين قليلًا وما ذلك الّا بفضل المدارس الدينيَّة التي كانت الجمعيَّات الرهبانيَّة العديدة من كهنة ولاسيَّما اخوة المدارس المسيحيَّة وغيرهم انشأوها في كلّ مكان فكان الاولاد يقبلون اليها بكل ارتياح من تلقاء نفسهم دون اكراه ولا إجبار

فما مرَّ على شريعة التعليم الاجباري ١٨ سنة بعد ان أُقفلت الوف من المدارس الدينيَّة التي كان يديرها الرهبان واضطرَّ الكاثوليك ان يفتحوا على نفقتهم مدارس حرَّة غيرها حتى زاد عدد الاميّين فبلغ قريباً من ٢٥ بالمئة اي ضعف عددهم قبل شريعة التعليم الالزاميّ . وذلك باقرار المسيو بريان عينهِ سنة ١٩٠٠ . ومن ذاك الحين نرى هذا العدد يزيد كلَّ سنة لنفور الاهلين من المدارس الالزاميَّة مع ازدياد عدد التلاميذ في المدارس الكاثوليكيَّة

ولدينا قوائم نقص التلاميذ في مدارس الحكومة للسنة ١٩٠٣ وما بعدها فترى كلّ سنة عددهم يقلّ في كلّ مقاطعة من مقاطعات فرنسة حتى نادى الراديكاليون

ذاتهم بالويل والثبور . ولمّا أُعلن بالحرب الكونيَّة الاخيرة اخذ رؤساء الجيش العجب العجاب من عدد الاميين في فرنسة

ولا يظنَّنَّ احد ان الحكومة ضنَّت بمالها واقتصدت من مصروفها على مدارسها . فالامر على خلاف ذلك فانَّ ميزانيَّة التعليم كانت في السنة ١٨٨٠ سبعة عشر مليوناً من الفرنكات . فبلغت بعد عشر سنين مئة مليون ثمَّ زاد هذا العدد عشرة اضعاف حتى بلغ مليارًا !!! قبل الحرب وفي السنة ١٩١٤ قدَّم المسيو كالون ( Mr Callon ) للحكومة قائمة لمدارس ٢٣ معاملةً من ولايات فرنسة فكان معدّل عدد التلاميذ الذين يحضرون مدارس الحكومة يبلغ خمسة بالمئة بينما يبلغ في المدارس الدينيَّة الحرَّة للكاثوليك ٩٥ بالمئة . وذكر ١٥٠ مدرسةً لا يحضرها البتَّة احدٌ من التلاميذ

وها قد انتهت الحرب الكونيَّة منذ نحو ثلث سنوات فماذا حلَّ بالتعليم الاجباري ؟

قد صار في حالة يُرثى لها : اوَّلاً لقلَّة المعلّمين رغماً عن زيادة رواتبهم ثلاثة اضعاف فيدفعون للمعلم في اوَّل سنة تعليمهِ ٣٦٠٠ فرنك وكان راتبُهُ لا يتجاوز الى سنة ١٩١٩ ١٢٠٠ فرنك ويزاد هذا الراتب بعد حين حتىَّ يبلغ ٦٥٠٠ فرنك . ومع كلّ هذا ترى عدد المعلّمين ينقص كلّ سنة بضعة مئات

ثانياً لنفور الاولاد عن المدارس الرسميَّة وعدم ثقة الاهلين بحسن تعليمها وتربيتها وميلهم الى المدارس الكاثوليكيَّة الحرَّة . مثال ذلك معاملة مين ولوار فانَّ تلاميذ الحكومة اخذوا يهجرون مدارسها منذ سنة ١٩١٣ فكانوا اوَّلاً تلثة فبلغوا سنة ١٩١٤ ٢٧٠ ثمَّ ١٣٥٠ سنة ١٩١٦ حتىَّ بلغوا ٣٢٢٨ سنة ١٩١٨

وها نحن نختم بتقرير المسيو هيريو (Ed. Hérriot) الوزير السابق واستاذ الآداب في جامعة ليون من مندوبي مجلس الشيوخ ورئيس حزب الراديكال . عيَّنتهُ الحكومة كرئيس لجنة ميزانيَّة التعليم في هذه السنة الحاليَّة فقال في خطابهِ الوارد في الجريدة الرسميَّة :

« انَّهُ لمن الامور المقلقة ان نرى عدد الاميين في فرنسة رغماً عن مدّعياتنا الشرعيَّة بالتمدُّن والحضارة الراقية . ولو سمعتم المسيو فردينان بريسون لصرَّح امامكم

بجدارةٍ لم أَبلغها انا فيقول لكم انَّهُ ليست بلاد فيها مواظبة التلامذة على المدارس في اسوإِ حال من بلادنا » (١

ثمَّ عَرَض على المندوبين ميزانيَّة التعليم للسنة ١٩٢١ فاذا هي بالغة ٣٤٠٠٠٠٠٠٠٠ ، ١٠٣٤٠ اي مليارًا و٣٤٠ مليونًا من الفرنكات

فهذه الارقام ابلغ ما يمكننا ايرادهُ في ختام هذه المقالة لإفحام الذاهبين الى المطالبة بالتعليم المجاني والاجباري

## التعليم الاجباري امر مستحيل

لعلَّ القارئ يستغرب قولنا هذا . وهو مع ذلك يطابق الواقع بالتمام ويُستنتج من الكلام السابق

وذلك (اولًا) لأنَّ الانسان من طبعهِ لا يُحبّ ان يُكرَه على الامور التي يرشدهُ اليها صالحهُ . فانَّ عقلهُ يدعوهُ اليها اذا وجد فيها منفعةً او حبَّبتها اليهِ الحكومة اذا تغاضى عنها ببيان فوائدها المادّيَّة والادبيَّة . والتعليم من هذا القبيل فان استعملت السلطة التهديد والعقاب مع الاهلين نفَّرت منها ومنهُ القلوب وربَّما حملتهم على مخالفتها في حين كانوا مستعدّين للقيام بواجباتهم دون مداخلتها الجبريَّة فيسيئون الظنّ بها وينسبون فعلها الى بعض اغراضها

(ثانيًا) انَّ التعليم الاجباريّ اذا سنَّتهُ الحكومة تتجاوز حقوقها . فايُّ حقٍ رعاك الله تدَّعيهِ لوضع سنَّةٍ كهذه ؟ فلا شكَّ انك تقول انَّ للحكومة حقًّا أَن تعدّ للوطن رجالًا يقومون في مساعدتها لتدبير المجتمع الانساني الذي هو موكول اليها . نجيب انَّنا لا ننكر ذلك ولكن أَتدرك رغبتها بالجبرِ والاكراه ؟ او ليس الاحرى بها ان تشوّق القلوب اليهِ وتسهّلهُ على الناس وتضع لذلك المجازيات والامتيازات المرغّبة فيهِ وتساعد الجمعيَّات القائمة بهِ ؟

---

١) هذا قولهُ بالحرف « Il est bien inquiétant de constater que la France, malgré toutes ses légitimes prétentions à la civilisation et à la haute culture, soit encore le pays comptant le plus d'illetrés!...M. Ferdinand Buisson vous le dirait avec une autorité qui me manque : la fréquentation scolaire n'est nulle part plus mauvaise que dans notre pays » (*Journal Officiel*, 19 *Févr.*, 1921, *p.* 821. *Rapport de Mr Ed. Herriot*)

وعلى مثل هذا تسير في امور كثيرة يعود نفعها الى الوطن وهي لا تجبر عليها مطلقاً وانّما تسعى في استمالة القلوب اليها . أليس مثلاً نموّ المواليد بالزواج خيرًا عظيماً للوطن فهل فكّرت الحكومة في جعل الزواج اجبارياً ؟ لا لعمري

ثمَّ انَّ التعليم الاجباريّ لا يُمكن تنفيذهُ الَّا بمعاقبة مَن خالفهُ . فقُلْ لي ناشدتك الله كيف تستطيع الدولة ان تعاقب بالحبس او بالغرامة الماليَّة والدَين يحتاجان الى مساعدة اولادهما لكسب معاش عائلتهما إمَّا برعاية المواشي او بصناعةٍ ما . وهذا ما اجابهُ آخرًا بحسن نظره وسلامة ذوقهِ في جلسة اللجنة الاداريَّة المعقودة في ١٠ ايَّار المسيو بتي مندوب الحكومة على قول احد اعضاء اللجنة حسن بك بيهم اذ « طلب التشبُّث بجعل التعليم الابتدائي الزامياً تدريجاً » قال المسيو بتي : « انَّ الحكومة لا تستطيع جعل التعليم اجبارياً . . . وان عدنا الى المبدأ فنصرّح انهُ رغماً عن ميل الحكومة الى تعميم التعليم الابتدائي فالالزام بهِ بموجب قانون يقتضي فَرْض عقوبات على مخالفيهِ ذلك ليس من الحكمة لا بل ينفّر القوم من العلم . فهل تُحبَس الامّ التي تهمل ارسال ولدها الى المدرسة ؟ او يُغرَم الاب الذي لا غنى لهُ عن ولده لمصالحهِ اذا لم يرسل ولدهُ الى المدرسة ؟ » لله درُّهُ من قول رجل حكيم !

(ثالثاً) وان أتت الحكومة عملاً كهذا فسنَّت التعليم الالزاميّ فتحت امامها باباً واسعاً من المشاكل والمنازعات والتظلُّم والدواعي لا تستطيع سدَّهُ وتعجز عن اقفالهِ . فكم من الاولاد لأسباب عديدة لا يمكنهم حضور المدارس . فهذا فقير وذاك يتيم وغيرهُ ضعيف والآخر في مكان بعيد عن المدارس و . و . و . . أ فتقيم الحكومة في كلّ مكان فِرَقاً من الشرَط ليتجوَّلوا ويعاينوا البيوت ويسحبوا الى السجون المخالفين ؟ او تزيد الحكومة على ميزانيَّتها القناطير المقنطرة لتقوم بمعاش كلّ هؤلاء وتفتح لهم المآوي ؟

(رابعاً) ثمَّ التعليم الالزاميّ يستوجب من النفقات ما تنوء دونهُ عوائق الوطن ولا يقوم بهِ مال قارون . فانَّ التعليم ليأتي بثمرتهِ لا بُدَّ لهُ من معلّمين قديرين تعلّموا مدَّة عدَّة سنين فنّ التعليم . ثمَّ يجب توفيرهم الى عشرة اضعاف ما هم عليهِ اليوم وزيادة رواتبهم وتموينهم بالكتب المدرسيَّة المجَّانيَّة . وهذا كلّه يستدعي المصاريف الطائلة . وما قولنا عن بناء المدارس واستئجارها وهنا الطامَّة العظمى . ثمَّ كم وكم من

القرى التي لا يمكنها ان تجمع عشرين تلميذاً بل عشرةً منهــم افتُشيِّد لهم مدارس ايضاً ؟ . أفكَّرت الجرائد لمَّا طلبت التعليم الالزامي بكل هذه الامور ؟ او اعتبرها جناب حسن بك بيهم لمَّا عرض على المجلس الاداري التعليم الالزامي ؟أو ليس يصحُّ بعد هذا قولنا انَّ التعليم الاجباري امرء مستحيل ؟

لكنَّنا نعرف واسطـةً سهلة لتعميم الآداب والعلوم بين الاحداث دون اجبار ولا كراهية ألَا وهي تنشيط ارباب المدارس والطلبة معـاً بأن يوزَّع ما يُجْبَى من الاموال لهذه الغاية على المكاتب كلّها بلا فرق على قدر عدد تلامذتها وبمقتضى نجاحهم في الامتحانات العموميَّة ثمَّ تُعهد الوظائف لمن نال منهم قصبة السبق في الامتحانات المذكورة . والسلام

# المعارض والاسواق

نظر تاريخي اجتماعي للاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ معرض بيروت الذي استوقف في هذا الربيع انظـار اهل لبنان الكبير وسوريَّة عموماً قد ابان لزائريهِ مـا يُنتَظر من هذا المشروع لرواج التجارة وترقية الصناعة بين انحاء الوطن فتزيد بهِ المواصلات وتنمو حركة المعاملات فتبلغ البلاد الى ما يؤمَّل من الحضارة بتوفير الإنتاج والصادرات الوطنيَّة وبفضل الاقتصاد من الواردات الاجنبيَّة

وقد رأينا بنسبة معرضنا هذا ان نكتب شيئاً عن المعارض والاسواق عمومـاً مباشرةً بما شاع منها في الشرق ثمَّ في الغرب وما صارت اليه من النموّ والاتّساع في القرن السابق

## ١ المعارض والاسواق في الشرق

قيل انَّ النور من الشرق . وليس نورنا هــذا الهيوليّ فقط بل النور الادبي نور الحضارة والترقّي . والمعارض والاسواق احد اشعَّة هذا النور الذي انبعث من الشرق

قلّما ورد في تواريخ الامم القديمة ذكر المعاريض والاسواق . على انَّ الذي يُروى في آثار البابليين والاشوريين والمصريين عن سعة نطاق تجارتهم وتعداد ما كان يُرى في عواصم ممالكهم من محصولات البلاد المختلفة كحرائر الصين واسلحة الهند وافاويه العرب وأُرجوان صور وزجاج صيداء ومعادن افريقية ومنسوجات العجم لا يُمكن تعليل وجوده في بلد واحد دون اقامة الاسواق والمعارض

وقد نسب البعض اختراع الاسواق والمعارض الى اهل الصين لِما عُرفوا بهِ من النشاط في الاعمال الصناعيَّة والمتاجرات . ولعلّ الفينيقيين قد نالوا في ذلك قصبة السّبق لموقع بلادهم في جوار البحر ومتاخمتهم للبلاد الغنيَّة بخصب تربتها ووفرة مصنوعاتها . وقد ثبت وجود مستعمراتهم ومستودعاتهم في كلّ انحاء المعمور المعروفة في زمانهم حتَّى اقاصي أفريقية وفي كلّ دائرة البحر المحيط فكانوا حيثما يحُلّون يقيمون تلك الاسواق الحافلة ويتَّخذون المستودعات الجامعة لكنوز الشرق . وكان لصور وصيداء اسواق شهيرة كانت تُقبل عليها تجار البلاد السحيقة . وقد وصف النبي حزقيال في الفصل السابع والعشرين من سفر نبوَّتهُ تلك الاسواق بكلام شعريّ يدلّ على عزّها وغناها وذيوع شهرتها قال :

«جميع سُفُن البحر وملاَّحوها كانوا فيكِ لترويج مَوْسمك . ترشيش متَّجرة معكِ في كثرة كلّ غنىً وبالفضَّة والحديد والقصدير والرصاص اقامت اسواقكِ . . . أرام متَّجرة معكِ في كثرة صنائعكِ وبالبَهْرمان والأُرْجوان والوشي والكتَّان والمرجان والياقوت اقامت اسواقكِ . يهوذا وارض اسرائيل متَّجرتان معكِ وبحنطة مِنّيت والحلاوى والعَسَل والزيت والبَلَسان اقامَتَا اسواقكِ . دِمَشق متَّجرة معك . . دان وياوان بالغَزْل اقامتا اسواقكِ . العرب وجميع رؤساء قيدار هم تجَّار يدك بالحملان والكباش والتيوس فانَّهم بهذه اتَّجروا معك . تجَّار شبأ ورَعْمة متَّجرون معكِ وبأفضل كلّ طيب وكلّ حجر كريم وبالذهب اقاموا اسواقكِ . . . سُفن ترشيش سيَّارة لك لِموْسمك»

فمن هذه الاوصاف وتَعداد المتَّجرات التي كانت تُقام بها اسواق صور يلوح جليًّا ما بلغت تلك الاسواق من الفخامة والثروة العظيمة وإقبال الناس اليها لعرض محصولات بلدانها

وقد جارى العربُ الفينيقيين في اقامة الاسواق وقد ساعدتهم على ذلك قوافلهم التي كانت تتنقَّل في كلّ انحاء البلاد من الهند والعجم الى الشام ومصر والحبش .

وقد مرَّ في السنة الاولى للمشرق (١٨٩٨ : ٨٦٥ — ٨٦٩) فصل حسن للاديب البغدادي محمود شكري افندي الالوسيّ حيث ذكر عدَّة اسواق كانت تقام في جهات الجزيرة في الجاهليَّة وتدلّ على طول باع العرب في المتاجرات كسُوق (دَوْمة الجَندل) في غرَّة ربيع الاوَّل كانوا يجتمعون في اسواقها للبيع والشراء والاخذ والعطاء. وكان ملكُها أُكَيْدِر يرعى الناس ويقوم بامرهم الى نصف الشهر. وكسوق (هَجَر) في ربيع الآخر كان يتولى امرهم صاحب هجر في البحرين المُنذر بن ساوي الدارميّ. وكسُوق (عُمان) في البحرين ايضاً كانوا يقيمونها في جمادي الاولى. وكسوق (المشقَّر) وهو حصن في البحرين كذلك كان موسمُها في جمادى الاخرى. وكسوق (صُحار) في اوائل شهر رجب. وسوق (الشَّحْر) بين عُمان وعَدَن في اواسط شعبان. وكأسواق أُخرى في اليمن كسوق (عَدَن) وسوق (صَنعاء) في اواخر شعبان وايَّام من رمضان كانت تُعرض فيهما انواع الطيب والأُدُم والبُرود وسوق (حَضرَموت) في ذي القعدة. واسواق الحجاز كسوق (ذي المجاز) بناحية عَرَفة وسوق (مِجَنَّة) قرب مكَّة. ولاسيَّما سوق (عُكَاظ) الشهيرة على عشرة اميال من الطائف وكان من اعظم مواسمهم واسواقهم تقصدهُ طوائف العرب قبل اتمامهم لمناسك الحجّ. وقد ذكر في الاغاني (١٦ : ٩٩) سوقاً أُخرى سنويَّة في الحيرة كان يجتمع اليها الناس. وذكر المسعودي في مروج الذهب (٣ : ٤١٧) الاسواق الصَّفَريَّة باليمن قال: «كانوا يمتارون منها ومن تخلَّف عنها هلك جوعاً» فكلّ هذه الاسواق وغيرها لم نذكرها احسنُ شاهد على شيوع المواسم بين العرب بحيث لم يَخلُ منها شهرٌ واحد في احدى جهات الجزيرة

وقد بقي من هذه الاسواق البعض منها في زمن الاسلام الى ان بطلت بسبب الحروب وقلَّة الامن. وقد اقيم غيرها بدلًا منها في عهد الاسلام كسوق الثلثاء ببغداد سبقت بناء المنصور لبغداد قال ابو الفداء في تقويم البلدان (ص ٢٩٥): «كان يقام في الجانب الشرقي عند نهر معلّى في بقعة بغداد قبل بناء بغداد وكان في كل شهر يقام هناك سوق في يوم الثلثاء . . . ثمَّ صار بهِ معظم سوق البزَّازين» . وكانت تقام سوقٌ شهيرة في خوزستان ورد ذكرها في اوصاف البلدان

وقد بُني في بعض الامكنة مدنٌ كانت قبل بنائها اسواقاً فأُطلق عليها اسم

السُوق كسُوق الاهواز وسوق الخميس مدينة في انحاء البصرة وسوق الأَربعاء بلدة من نواحي الاهواز

ومما ذكرهُ كَتَبة الروم سوقٌ ذائعة الشهرة كانت تقام كلّ سنةٍ في مدينة الرُّها كان يقدم اليها الناس بالالوف حتىَّ من الشرق الاقصى بينهم الصينيُّون كانوا يعرضون فيها مصنوعات الحرير التي لم يكن بعد يصطنعها غيرهم . وقد ذكر ايضاً أَميان مرمّلين (ك ١٤ ف ٣) سوقاً اخرى في مدينة بطنة وهي سَرَوج كان اهلها يقيمون كلّ سنة في اوائل ايلول سوقاً حافلة تُرى فيها كلّ محصولات الهند والصين

ولمَّا احتلَّ الفرنج الصليبيّون في القرون الوسطى سوريَّة وفلسطين راجت اسواق التجارة رواجاً عظيماً وتوفَّرت المعاملات بين الشرق والغرب . ومِمَّا ساعد على تلك النهضة اسواق سنويَّة او شهريَّة كانت تُقام في مدن سواحل الشام في ايَّام المواسم عند ورود السُفن الاوربيَّة اليها . فكانت خانات الوطنيين وفنادق الفرنج كمعارض عموميَّة لكل غنى الخافقَيْن وقد خصَّوا منها بالذكر عكّا وصور وصيداء وطرابلس واللاذقيَّة وحلب ودمشق . والبعض من هذه الاسواق في القرون الوسطى كانت تُقام كلّ سنة في مدن الداخليَّة كالرَّقة قريباً من الفرات وفي مدائن صالح على طريق الحاج وعند النبيّ روبيل فى فلسطين

وقد خمدت تلك الحركة بفوز الاتراك وضغطهم على التجارة الوطنيَّة والاجنبيَّة الى ان عُقدت المعاهدات الجديدة بين فرنسة وتركيَّة الَا انَّ تلك الاسواق والمعارض السابقة بقيت منزويةً محصورةً في بعض النواحي

ومن الاسواق الشرقيَّة التي اصابت شهرةً في القرون الاخيرة سوق سمرقَند تتوفَّر فيها ضروب المرافق واصناف الاعمال الصناعيَّة

وكان قبلها الرحَّالة نيبوهر (Niebuhr) في القسم الثاني من القرن الثامن عشر وجد في تهامة واليمن مواسم واسواقاً كسوق الجمعة وسوق السّبت ونومة ولحان وغيرها

ولم تخلُ في ازمنتنا هذه الاسواق السنويَّة ومما ذكرهُ منها في جهات العرب الرَّحالة بلغراف (١ : ٢٢٣) اسواق الاحساء والحفوف ومبرَّز فعدَّد ما يُعرَض فيها من الامتعة والاقمشة والمصوغات والبزور والافاويه والاثمار والمواشي والخيل والابل

ومثل هذه الاسواق في بعض جهات سوريَّة كسوق حماة الشهيرة وسوق النبطيَّة بقرب صيداء وسوق الخان وسوق جزّين وسوق بنت جبيل في بلاد بشاره

وقد سعى بعض ذوي الهمَّة في لبنان ان ينشئوا معارض دعوا اليها اهل الوطن من تجَّار وصنَعة وعمَّال ليعرضوا فيها المصنوعات الوطنيَّة المختلفة من اقمشة ومنسوجات وحرائر واشغال خشبيَّة وادوات معدنيَّة واثاث بيوت وغير ذلك فأُقيمت مرَّة اولى في الشوير سنة ١٩٠٥ ثمَّ تكرَّر ثانيةً فيها في تموُّز من السنة ١٩٠٦ ثمَّ أُقيم ثالث مرَّة في زحلة فصار عليها بعض الاقبال لكنَّ القائمين بهذه الاسواق لم يكن لهم صفة رسميَّة من قبل حكومة لبنان ولذلك انحصرت منافعها في دائرة ضيِّقة وانَّما بيَّنوا ما وراءَها من المنافع الاقتصاديَّة لو تولَّت عملها حكومة منظَّمة . وهذا ما قصدهُ فخامة المفوَّض الاعلى الجنرال غورو باستدعاء اهل سوريَّة الى معرض حافل في عاصمة لبنان الكبير لتكون بيروت مجمع البحرين وملتقى الخافقين

## ٢ الاسواق والمعارض في الغرب

ان كان الفضل للشرق في سبيل التمدُّن وترويج الصناعة والتجارة وابتداع الاسواق والمعارض الَّا انَّ الغرب اصاب ايضاً في ذلك مفاخر لا تُنكر . فقد جاء في قصائد هوميروس الالياذة واسفار عوليس وفي التواريخ القديمة ما يشير الى الاسواق التجاريَّة في بعض مدن اليونان وجزائرها كان يتوارد اليها الزوَّار من انحاء البلاد وكان الفينيقيُّون يقصدونها بسلعهم الثمينة

وقد راجت بين الرومان الاسواق الشهريَّة والسنويَّة كان رؤساء الدين يعيّنون مواسمها ويفتتحونها بذبائح يقدّمونها للآلهة وهم يدعونها باسم تساعيَّات (nun-dinæ) المختزلة من (novemdinæ) لأنَّها كانت اوَّلاً تدوم تسعة ايَّام ثمَّ جعلوها اسبوعاً واحداً . وهذه الاسواق ترتقي الى اوائل المملكة الرومانيَّة . واشهرها السوق المقامة في غرَّة كانون الثاني كانوا يحتفلون بها احتفالاً عظيماً

وكان لمدن المملكة وفي بعض قراها اسواقٌ أُخرى تعدَّدت مع نموّ الثروة واتّساع نطاق الدولة وتكرَّرت غير مرَّة في السنة بل في الشهر والاسبوع حتَّى صارت لا تختلف عن الاسواق اليوميَّة الثابتة

ولمَّا سقطت المملكة الرومانيَّة وقامت بعدها الممالك اللاتينيَّة وجدت في الاسواق السنويَّة وحشد المبيعات في بعض الامكنة من انجع الوسائط لتعميم الرفاهية ورخاء العيش في البلاد . فتمهَّدت السُّبل للمتاجرة مع اهـل سوريَّة فكان السوريُّون منذ القرن الرابع للمسيح ينقلون الى الغرب كلَّ صادرات الشرق . وقد ذكر المسيو براهيه (L. Bréhier) ماكان لهم من المستودعات والمستعمرات في ايطالية كرومية وراڤنَّة وفي فرنسة كليون وبوردو ونربونة وفي المانية كتراڤ ما يدلُّ على سعة ثروتهم ووفرة اعمالهم

وممَّن عُني من ملوك فرنسة باقامة الاسواق التجاريَّة ذاك الملك الملقَّب بالكبير شرلمان واليهِ تُنسب سوق بوكار (Beaucaire) التي كانت ملتقى المجازات بين اسبانية وفرنسة وبين فرنسة وايطالية والشرق كان يزورها في ايَّام السلم نحو ثلثمائة الف زائر فتُعْرَض فيها في العشر الاخير من تمُّوز كلّ ضروب السِلع من انسجـة واجواخ وحرائر وضروب الغلّات والاثمار والمشروبات يتولَّى تدبيرها لجنة مؤلَّفة من ١٢ عضواً

وفي القرن الثامن للميلاد الى القرن السادس عشر اشتهرت اسواق مدينة ترويه (Troyes) المعروفة باسواق شمپانية كان يتزاحم فيهـا كلّ اهل اوربَّة الغربيَّة أُقيمت بمساعي امرائها دوقة دي شمپانية فكانت مورداً عظيماً لثروة تلك الاصقاع ويجري ولاتها على قواعد غاية في الضبط والدقَّة

ومثلها شهرةً سوق لَندي (Lendit) كانت تُقام في بطحاء رَحبة موقعها بين باريس ومدينة سان دنيس وكانت قبلًا تُعقد هناك حفلات دينيَّة عظيمة تُعرض فيها ذخيرة عود الصليب مع ذخائر اخرى ثمينة يُطاف بها بأُبهة وجلال فاتَّخذها التجَّار موقعاً لمواسمهم فكانوا يفتتحونهـا في اواسط حزيران الى آخره . ثم نُقلت في القرن السادس عشر الى مدينة سان دنيس الى ان أُلغيت في القرن الثامن عشر

وقد اشتهرت في المانية اسواق لَيپسيك منذ القرن الرابـع عشر ولا تزال الى يومنا هذا تجذب اليها برونقها الجماهير المجمهرة بما يُعرَض فيها من اصناف الفراء والجلود والاصواف والادوات الحديديَّة والصينيَّات وكلّ لوازم الكتابة والطباعة والاصباغ الخ . وهي تُقـام ثلاث مرَّات في السنة في كانون الثاني ثمَّ في عيد الفصح وفي الخريف

ولروسيَّة سوقها الشهيرة في اواسط ممالكها في مدينة نوفغورد (Novgorod) التي هي من اقدم مدنها وكانت مدَّةً حاضرة بلادها . ففي القرون الوسطى تمتَّعت بالاستقلال وصارت جمهوريَّةً تجاريَّة راجت امورها بحسن موقعها عند مفرق الطرقات بين اوربَّة والشرق الاقصى

## ٣ المعارض العمومية

على انَّ تلك الاسواق مع وفرة مرافقها وكثرة معروضاتها وعدد زوَّارها كانت وطنيَّةً لا يشترك باعمالها الَّا القليل من الغرباء. وبقيت على ذلك حيناً من الدهر الى اواسط القرن التاسع عشر الَّا انَّ تلك المواسم الوطنيَّة كانت بلغت مبلغاً عظيماً من الشهرة منذ صرف نابليون بونابرت جهده في توسيع نطاق معرض باريس سنة ١٨٠٣ فعرض فيهِ ١٤٢٢ تاجراً مصنوعاتهم المختلفة. ثم زاد هذا العدد في المعارض الصناعيَّة التالية الى ان بلغ عددهم في معرض سنة ١٨٣٤ ٢،٤٧٧ وسنة ١٨٣٩ ٣،٢٨١ فكان نجاح هذه المعارض داعياً الى تحويلها الى معارض دوليَّة تشترك فيها الدول تعميماً لفوائدها وتنشيطاً لارباب الصنائع بالمباراة والمنافسة

وكانت الدولة السابقة في اقامة هذه المعارض الدوليَّة الدولة الانكليزيَّة اذ شيَّدت في لندن قصرها المعروف بقصر البلَّور (Cristal Palace) سنة ١٨٥١ فكان عدد العارضين فيهِ مصنوعاتهم ١٧،٠٠٠ وزاره ستَّة ملايين شخص وبلغت نفقاتهُ نحو سبعة ملايين ونصف من الفرنكات امَّا ارباحهُ فزادت على ١٢ مليوناً. وهذا قصر البلَّور قد حوَّلتهُ الدولة الى متحفٍ يزورهُ الناس من كل الاقطار

ثمَّ وليهُ سنة ١٨٥٥ معرض باريس ارصدت الحكومة لأبنيتهِ ١٦٨،٠٠٠ متر مربَّع وعُرضت فيهِ مصنوعات ٢٣،٢٥٤ تاجراً . ومع كثرة مَن قصدهُ من الزوَّار خسرت فيهِ الدولة نيِّفاً وثمانية ملايين من الفرنكات

ثمَّ تتابعت بعد ذلك المعارض الدوليَّة في عواصم الدول الاوربيَّة في انكلترة (لندن ١٨٣٢و١٨٧١—١٨٧٤ وغلاسكو ١٩٠٣) وفي باريس (١٨٦٧و١٨٧٨ و١٨٨٩و١٩٠٠) وفي ڤينَّة (١٨٧٣) وفي ليون (١٨٧٣) وفي هولندة (امستردام ١٨٨٣) وفي بلجكة (انفرس ١٨٨٥ وبروكسل ١٨٨٨ و ١٨٩٧ ولياج ١٩٠٢)

وفي اسبانية ( برشلونة ١٨٨٨ ) وفي دنيمرك (كوبنهاغن ١٨٨٨) وفي ميلانو ١٩٠٦ وما لبثت اميركة أن فتحت ايضاً معارض حافلة (فيلَدلفية ١٨٧٦ واورليان الجديدة ١٨٨٥وشيكاغو ١٨٩٣ وسان لويس ١٩٠٤)بل ارادت اوسترالية ان تجاري اوربَّة واميركة فانشأت معرضين سنة ١٨٧٩ في سيدني وسنة ١٨٩٠ في ملبورن. وأنشأت فرنسة معرضاً عمومياً لمستعمراتها في هانوي عاصمة تونكين (١٩٠٢ )

ولكلّ هذه المعارض تواريخها المشعرة بفخامتها واتّساع مساحتها وعدد العارضين فيها المصنوعات والاختراعات الجديدة وما تكلَّفتهُ في انشائها الدول والجمعيَّات الخصوصيَّة مع ما اصابت من النجاح او الارباح او تكبَّدتهُ غالباً من الخسائر

وقد امتازت بين هذه المعارض معارض باريس التي كانت تضمّ ما خلا السلع وضروب المصنوعات البشريَّة والفنون الجميلة كلّ ما يروق النظر من الملاهي والالعاب وتمثيل عادات الشعوب في حفلات باهرة . وكان لكل دولة بنايتها الخاصَّة تعرض فيها محصولات بلادها تُشبه كلّ واحدةٍ منها بلدةً كاملة . وفي احد هذه المعارض (سنة ١٨٨٩ ) بُني برج ايفل البالغ علوهُ ٣٠٠ متر كلّهُ من الحديد وجُهّزت العيون المنيرة وكادت ارباحهُ تغطّي نفقاتهِ . وفي معرض سابق(١٨٧٨)بُني قصر التروكاديرو الفخيم ذو الحدائق البديعة والشلّالات الرائعة

وامتاز ايضاً بين المعارض برونقهِ وعظمتهِ وضروب محاسنهِ معرض فينَّة المقام في ساحتها الشهيرة المعروفة بالبراتر ( Prater ) في مساحة بلغت قريباً من مليونَيْ متر مربَّع مع جملة من العارضين اناف على ٤٢٠٠٠ عارضٍ الّا انَّ النفقات عليهِ خسَّرت النمسة ٤٨ مليوناً من الفرنكات

ومثلهُ ابَّهةً وجمالاً معرض شيكاغو سنة ١٨٩٣ تذكارًا للمئة الخامسة منذ اكتشاف اميركة على عهد كريستوف كولومب عارض ابهى معارض باريس بفنون محاسنهِ وعدد زوَّارهِ الذي بلغ نيّفاً و ٢٧ مليوناً من الزوَّار

وطبَّق على هذه المعارض بطرائفهِ وفنونهِ معرض سان لويس في عاصمة لويسيانة الذي تناصر الاميركيُّون ليجعلوهُ آية الحسن والجمال واستعدُّوا في تجهيزهِ نحو سنتين . ومثلهُ معرض لياج سنة ١٩٠٥ الذي بلغت مساحتهُ مئة هكتار وقصورهُ ثمانين قصرًا وعَرضت فيهِ ثلثون دولة طرائفها

ثمَّ خمدت نوعاً حركة المعارض الدوليَّة الفخيمة لما كانت تقتضيهِ من المبالغ العظيمة وما يلحق الدول بسببها من الخسائر وفضَّلت الرجوع الى المعارض الوطنيَّة الخصوصيَّة . منها معرض مرسيلية الوطنيّ سنة ١٩٠٦ الذي امتاز خاصَّة بالعلوم البحريَّة ومحصولات البحر المختلفة . ومن الاسواق الوطنيَّة التي أُقيمت بعد الحرب سوق باريس التي أنشئت هذه السنة من ١٢ الى ٢٤ ايَّار عُرضت فيها للبيع منتجات البضائع الافرنسيَّة كموادّ البناء من الحديد والزجاج وموادّ الزينة والاثاث والمجوهرات والساعات والحلي وازياء الخياطة والجلد وغير ذلك من الالبسة والحاجيَّات الضروريَّة ومن الموادّ الكيماوية وادوات الصيدليَّات والموسيقى والكتب والورق وادوات التصوير الشمسي ولوازمه وآلات الصور المتحرّكة والسيّارات والطيَّارات والدرَّاجات والالات الزراعيَّة وغيرها

فمن هذه اللائحة يرى القرَّاء ما كان للاسواق والمعارض من عظم الشأن وسبب إقبال الدول والشعوب عليها فانَّها بجمع المحصولات المتفرّقة في انحاء المعمور ووضعها تجاه اعين الزوَّار لبيان منافعها في مساعدة الانسان في سائر اعمالهِ تفتح لهُ سبلًا جديدة من الاقتصاد والترّقي في بلوغ غايتهِ في حياتهِ المادّيَّة وحياتهِ الادبيَّة معاً وبهما ينال سعادة الدارين

وان شاء الله نخصّ في عدد آخر مقالًا في معرض بيروت

---

# مديح قديم لمار افرام

وضعهُ القديس غريغوريوس اسقف نيسس

نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعيّ

## توطئة

في هذه السنة تحتفل الكنيسة الكاثوليكيَّة باجمعها لأوَّل مرَّة عيد القديس افرام السرياني الذي اعلن بهِ ملفانًا على البيعة كلها الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر . وعيدهُ واقع في ١٨ من الشهر الحالي حزيران فاحببنا انتهاز هذه الفرصة لنشر اثر قديم يحتويهِ احد مخطوطات مكتبتنا

الشرقيَّة . والمخطوط المذكور سبق لنا وصفهُ في المشرق (٧ [١٩٠٤] : ٦٧٦-٦٧٨) . فيهِ خمسون ميمرًا من ميامر القديس افرام نسخهُ في السنة ٦١٢ ﻫ الموافقة للسنة ١٢١٥ مسيحيَّة « ابو الفتح بن ابو النور». امَّا معرّب هذه الميامر من السريانيَّة فلم يُذكر ولعلَّهُ عبدالله بن الفضل الانطاكي الذي اشتهر بتعريب اعمال كثيرين من الآباء اليونان والسريان (راجع المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٩٤٨ – ٩٥٤ ) . وفي آخر هذا السِّفر الجليل مديح القديس افرام لمعاصرهِ القديس غريغوريوس اسقف نيسس اخي القديس باسيليوس الكبير وهو منقول الى العربيَّة فقابلناهُ مع اصلهِ اليوناني في مجموعة آباء اليونان لمين ( Migne, PP GG. XLVI 819-850 ) فوجدناهُ مطابقًا لهُ . وقد رأينا في نشرهِ فائدتين : الاولى اثبات ما اصابهُ مار افرام من علوّ المقام والرفعة في اعين اهل زمانهِ حتى الغرباء عن امّتهِ السريانيَّة . والثانية ايراد مثالٍ من كتابة النصارى في القرون الوسطى بالعربيّة ومقدرتهم في الترجمة من اليونانيَّة ولذلك لم نتعرَّض لإصلاح الاصل الَّا في جُمل قليلة غامضة المعنى ذهب العثّ ببعض الفاظها فاستدللنا على معناها من الاصل اليونانيّ . وهذا المديح يبتدئ في الصفحة ٧٨٢ من نسختنا ل . ش

## هذا مديح

### الاب القديس غريغوريوس اسقف نيسس (١

## في الاب افرام السريانيّ

١ توطئة الخطاب . لا يجوز ان يوضع السراج تحت المكيال بل على المنارة فالقديس افرام هو ذاك السراج

انَّ الذي يحرّكني على هذا الموضوع الذي انا متكلمٌ فيهِ المَثل الذي قيل في الانجيل الالهي وهو مثل المصباح فيحلُّ لساني بعد ما كان لِلجام الصمتِ خادماً ويوضح لي طرق المعاني ويمهّد تمهيدًا للسبل التي تتهاجن (تتهاجمُ) فيها الحِيل فيسهّل لمركبة الكلام المختلفة انواعهُ السلوكَ في طريق سهلة ناهجة بما صرَّح في هذا المثل قائلًا (متى ٥ : ١٥) : « انهم لم يشعلوا مصباحاً ويضعوهُ تحت القفيز بل على منارة لينير لجميع مَنْ في البيت » ثمّ يتبع المثل بالمعنى المكنون في القول وينادي : « هكذا سبيلُ ضوئكم ان ينير امام البشر حتّى يروا اعمالكم الصالحة ويمجّدوا اباكم الذي في السماوات »

١) وفي الهامش : « اخو القديس الكبير باسيليوس

٢ ان نفور القديس افرام من كلّ مديح في حياتهِ هو سببٌ يضطرُّنا الى مديحهِ بعد وفاتهِ ليمجّد الناس الله في اوليائهِ

فمن هاهنا استُ مطالبًا بالجُبن والاستتار فيما امر السيّد ان اتجرَّأ عليهِ واذكرهُ في هذا المصباح البهي الذي كان ضوؤهُ اشرقَ من ضوء الشمس . وذلك ما ذُكر في الحديث عن سيرة ابينا الالهيّ (افرام) ولا نلزم بترك ذكرها ودفنها (٧٨٣) في قعر الصمت بل نستنفد الوسع في ان نشهرها في ذروة البيعة حتى تظهر لجميع المتطرّفين في مسكن العالم فاذا اشتهرت للناظرين مجّدوا الآب الذي في السماوات . وما سبيلنا ان نهاب ونتّقي الرباط الذي ربطنا بهِ ذلك القديس لأَنّنا في تهيُّبنا لذلك نتهاون بما امر بهِ السيّد المسيح . فالضرورة الآن توجب ان نأخذ مبادئ المديح من هاهنا . على انَّ أَخذَنا ذلك ربَّما كان في وضعهِ مخالفًا لنيَّة القديس . لكن من يعرف تمييز الامور يعرف انَّ ذلك الرباط المانع عن اطلاق اللسان بالمدح وتكليل الزهد بالمجد البشري انَّما هو رباط لا يربط وضبط لا يضبط من اجل حرص عشّاق الفضيلة على ما ذكرهُ ذلك القديس فيما امر بهِ من فرارهِ من مديحنا وصَدّهِ ايَّانا عن التعرُّض لمديحهِ ووجب ان نجعل نحن السبيل الى نعتهِ وتقريظ فضيلتهِ من هاهنا لا سيَّما وانّ كلّ واحدةٍ من فضائله حجّة واضحة الى الثناء عليهِ . ولمَّا كان هو لا يُسَرّ بمديحٍ كان ذلك زيادةً في فضلهِ وتضعيفًا لفضيلتهِ . وكان (٧٨٤) غرضهُ أَلّا يظهر صالحًا بل ان يكون على الحقيقة بارًّا . فلو لم يكن لهُ من الفضل الّا زهدهُ في الاوصاف لقد كان في ذلك كفافٌ يكتفي بهِ من يهمُّ ان يمدحهُ لاسيَّما وانهُ لم يقنعهُ الزهد في المديح حتىّ اضاف الى ذلك رباطًا ربط بهِ من يريد الثناء عليهِ

فهذا وحدهُ من فضائلهِ قد فتح لنا في الاوَّل ميدان الكلام الذي ينبغي لنا فيهِ ألا نجازف ولا نبعد عن الغرض ولا نهوي في جرفٍ بل نسلك طريقًا ملكيَّة ونتأمَّل ان ذلك الرجل العجيب لو لم يعلم انهُ اهلٌ للمديح لَمَا كان يمنع من يُريد مدحهُ لأنَّ من يعلم انَّ لا فضل فيهِ يستحقُّ بهِ المديح لن يوصي احدًا بان لا يمدحهُ بل يكون غرضهُ ان لا يهمل امر نفسهِ جملةً . فمع ذلك ينبغي ان نزيد اهتمامًا في مدحهِ . أَلا ترى ما قال الخطيب النبيل بولس مزيّن الكنيسة وفم المسيح (١ كور ١٥ : ٩) : « انني لستُ اهلًا ان أُدعى رسولًا » فلم تمنع عليهِ هذه اللفظة ان يُدعى رسولًا بل زادت في فضلهِ

ومجده لما ظهر فيها من تطأطئه وتواضعه . وكذلك هذا الاب الجليل لمّا حكم على نفسه بانهُ غير اهل للمديح(٧٨٥) لتُقاه وتقشفه فهو من هاهنا اهلٌ لكل اصناف المديح لأن ناموس كنيستنا المقدَّسة يريد ان نُكلّل الراغبين في الفضيلة في كلّ نوع من انواعها . ونوع التواضع وإحناء العقل الى التطأطؤ والخضوع هو من افضل انواعها بحسب ما قيل في بشارات الرب (لوقا ١٤ : ١١) : « انَّ مَنْ يُذلُّ نفسَهُ ويتواضع فهو الذي يرفعها ويجلُّها » فقد صار من ها هنا كلُّ من تعرَّض لوصف هذا الاب الطاهر بعيداً من كل مذمّة في تقريظه ووصف مناقبه حتّى يصير مثل مصباح على منار شامخ يبيّن لكل احد نورهُ وينادي بذكر سيرته الطاهرة

واذا ما شاهد السامع الحكيم لما وعدنا به عرف الصدق في اثر القول عند افتراعه واستقرائنا نوعاً نوعاً من فضائله التي منها نحن قد ولَّفنا (أَ لَفنا) اكليلاً ذهبياً مرصَّعاً بانواع من الاحجار الثمينة وقدَّمناهُ لعروس المسيح التي هي البيعة المقدَّسة تقدمةً مأثورةً وهديّةً مخبورةً فانَّها تبتهج لما ترى في ابنائها من المواهب اذا ما حصل للصديقين ذكرٌ تشيد به الالسنة في وقته . فانَّ الزمان في هذا عند تصرُّفه قد قدَّم افرام الى مديحنا (٧٨٦) وكيف لا تقبل الكنيسة مثل ذكره بسرور وهو ذاك الانسان الذي افواهُ جماعة النصارى لا تشبع من ذكره والثناء عليه اعني هذا افرام السريانيّ

٣ ليس مديحنا لافرام لاجل مناقبه الطبيعيَّة بل لاجل فضيلته

فاني لا استحي من ذكر جنسه اذ كنتُ اتجمَّل بأخلاقه وهو افرام الذي ضوء سيرته وعلمه قد انار العالم فصار معروفاً عند كلّ من تطلع عليه الشمس ولم يجهلهُ الّا مَنْ جهل باسيليوس الكبير الذي هو كوكب الكنيسة المنير . قلتُ افرام الذي هو نهرُ فراتٍ معقول (١ للبيعة الذي منهُ يشرب جماعة المؤمنين فيثمر كلّ واحدٍ منهم من زرع الامانة بدل الواحد مئة . افرام كَرْمةُ الله الكثير ثمرتها وكان حملها قيد حلاوتها الشديدة من تعليمه . وكانت تُسرُّ أَتراب الكنيسة بتمليه من المحبَّة الالهيَّة . افرام مدبّر الكنيسة الحسن السياسة الامين الذي كان يوزّع اقوالهُ في الفضائل

---

١) اشارة الى وطن القديس افرام قريباً من الفرات

على مشاركيهِ في العبوديَّة توزيعَ البرّ (١ ويسوس منزل سيّدهِ السياسة التي لا عيب فيها التي متى ما ذُكر جنسُهُ ووطنُهُ ونباهة والديهِ وشرف اهلـهِ وميلادهُ وتربيتهُ ونُشوءُهُ وهيئة جسمهِ وحظُّـهُ وصناعتهُ وما جرت عـادة مؤلّفي الاقوال (٧٨٧) ان يوشّحوا بذكرهِ مديحهم كان ذلك فضلًا لا نحتاج اليهِ. اذ كان لم تجرِ عادتُنا ان نمدح الرجال الالهيين بما هذه سبيلهُ . على انَّهُ قد كان لهُ من هذا المعنى اكبر حظٍّ لو ذُكر لكان فيهِ كفاية . الَّا انَّ ما زُيّن بهِ هو نفسَهُ في سيرتهِ ومقالهِ كان اجلّ من ذلك وافضل فوجب ان نجعل لهُ الاكاليـل من القول على هذا المعنى اذ كانت المـدائح الحقيقيَّة انَّما هي من الاشياء التي الينا فعلُها والكرامة الواجبة انَّما هي لمن لهُ السلطان على الفعل واما غير ذلك ممَّا تقدَّم ذكرهُ وتعديدهُ فالذمّ عليهِ أَولى ولا يستحقُّ المديح

وعلى كلّ حال كيف يرضى هذا الرجـل ان نؤتيهُ الوصف من جنسهِ وهو قد اطّرح كلّ حسَبٍ في العالم واختار ان يكون لله وحدهُ ولدًا باتخاذهِ الاعمال الخطيرة ؟ وكيف يتباهى بوطنٍ من كان يتصوَّر انَّهُ غريب في الارض كلّها ويستنكف من كلّ قُنيةٍ هيولانيَّة ويتصوَّرها عدوًّا لما كان يرجوهُ من الطوبى الازليَّة في الدار الباقية؟ وكيف كان يمكن من قـد وطئ وداس (٧٨٨) كلّ جنس من حلى العالم وكان يستثقل مع ذلك ثوب نفسهِ الذي هو جسدُهُ ويتصوَّر انهُ يعوقهُ عن العَدْو في طريق الفضيلة ان يلتفت بعد ذلك الى غُرَف والدٍ او أَملاك جدٍّ ؟ وكيف كان يريـد الاوصاف والمدائح من نشوٍ جسماني وتربية شريفة وهيئة جميلة وصنعة مأثورة وغير ذلك ممَّا يُتباهَى بهِ في العالم مَنْ كانت تربيتُهُ منذ ابتداء نشوئهِ في درس الكتـب الالهيَّة وكان شربُهُ وريُّهُ من المعين الجاري ابدًا منها ولم يزل يزيد فيما هذا سبيلهُ الى ان وصل الى المسيح . فاذا كنا نحن قد عرفنا هذا من طرائقهِ واخلاقهِ وانَّ ابانا هذا الكبير الجليل لا يرى فيما ذكرناهُ مديحًا بل هزءًا وضحكةً فسبيلنا ان نعود الى ما يخصُّهُ ونروم تفضيلهُ بما يلائمهُ . لعمري انَّهُ ليس من شأن القول ان يتجـاوز مقدار الطاقة والجدّ بل ان يقف عند الصواب فينبغي أَلَّا نقصد طريقةً يكونُ الافراطُ فيها عائقًا من المأثور ولا نجري في سبيلٍ غريبة فنخطئ طريقة الآباء الملكيَّة القاصدة فيجب من

١) تـلميح الى يوسف الحسن في توزيع القمح على المحتاجين مع اشارة الى معنى افرام اي المثمر

ها هنا ان (٧٨٩) لا نحيد في تقرير القول عن مقدار القصد

والذي يجب ان نقدّمهُ لِما نرتّبهُ من القول هما العملُ والعلمُ اللذان تتبعهما العشرةُ الاجزاء من الفضائل وهي الامانة والرجاء والمحبَّة وحسن العبادة لله ودرس الكتب الالهيَّة وتطهير النفس والجسم والدموع الدائمة وما يتبع ذلك من سُكنى البراري والانتقال من موضع الى موضع والهرب من المضرَّات ومداومة التعليم والصلاة التي لا تفتر والصوم والسَّهر اللذان يُجاوزان كلَّ حدٍ والهجوع على الحظيظ (الحضيض) والاضّجاع على الخشونة التي تفوق القول والزهد في القنية والخضوع الواصلان الى ابعد غاية والرحمة التي تتجاوز الطبيعة البشريَّة والغيرة الالهيَّة على الذين كانوا يتكالبون على من يستعمل حسن العبادة وغير ذلك ممَّا شأنهُ ان يماثل خالقَهُ الانسانُ الذي يكون متجرّدًا ويجعل جميع عيشهِ لله مُرضياً. فبهذه المدائح يتجمَّل ابونا هذا. وهذا المقال نعرفهُ ونعلم أنهُ يخصُّهُ فنميل الى ذكرهِ وتعديدهِ للمنفعة بذلك لا لهُ بل لنا. لأنَّ اسمهُ المطلق يرشد الى الفضيلة ذوي (٧٩٠) الحرص اذ كنَّا لا نعلم شيئاً من اخبارهِ الَّا اليسير قد اقتطفناهُ ممَّا زرعهُ في مواضع مختلفة من اقواله فجمعنا نحن من ذلك ما تشبَّهنا فيهِ بالنحلة الممدوحة التي تجمع انواع الزهر واصلحنا من ذلك شمعاً روحانياً. وان ينقم هو علينا لا محالة فيما نحاولهُ من ذكرهِ لأنَّهُ لا يجزع من الشيطان الشرّير الذي من شأنهِ ان يُعرقل جماعة عند اواخر جهادهم وقد وصل هذا الاب في هذا الوقت الى موانئ الروحانيين وحصل خارجاً من كلّ اضطراب وتقلقل. فهلمَّ يا صاح نتأمَّل حال هذا الرجل العجيب في كلّ صنفٍ من الاصناف التي عددناها فنشرح ما لهُ في ذلك المعنى والى ايّ مقدارٍ من الصعود الروحاني وصل اليهِ ونبيّن ذلك للذين قد اجتمعوا هاهنا

٤ ايمان القديس افرام وجهادهُ في سبيلهِ

فنبتدئ بالامانة التي وصل منها الى الطريقة المستقيمة التي لا تعدل عن حسن العبادة بحسب ما عرفنا من مصنَّفاتهِ وما تسلَّمناهُ من رأي الكنيسة المقدَّسة فيهِ. فانَّهُ بالسواء رفض ما جمعهُ سابلّيوس (١ في غير وجههِ وما توَسْوَس آريوس في قسمتهِ (٢

١) نكر سابلّيوس التمييز بين اقانيم الثالوث الاقدس ٢) قسمة اريوس أنَّهُ جعل اقنوم ابن الله مخلوقاً من الآب ليس مولوداً فقط

فوقف عند الحدّ المستقيم فيما بين القولين فقسم الثالوث المقدَّس الواحد الذي لا يختلط ولا يمتزج بالعدد وجمعهُ بالجوهر (٧٩١) حتَّى لا يلحقهُ عارٌ من فَقر اللاهوت على رأي اليهود ولا يأتيهِ من كثرة الآلهة رأيُ اليونانيَّة الذين صُرعوا فيهِ . وهذان المعنيان لعمري هما اللذان يبكّتان مَن قد سكر من الآراء المختلفة ولم يتعهَّد الواجب في معرفة اللاهوت الذي لا يُدرك . فاماً ابوليناريوس (١ فانَّ الاب افرام دفع رأيهُ البهيميّ بكل حرصهِ واخرجهُ من كلّ نفس مسيحيَّة

واماَّ الذين يقولون بعدم التشبيه (٢ فسدَّ افواههم بحجج الكتاب وبراهينهِ وبكَّتهم وخلَّف لنا آثارًا من اقوالهِ لا تُرام أَوحاها اليهِ الباري . واماَّ نواطس (٣ فان هبوطهُ بسهام افرام كمثل هبوط الشرير وسقطتهِ بقوّة صليب المسيح ففي اقوالهِ يجد الطالب قوَّة معلّمنا هذا ويعرف بهذا المقدار انهُ رجلٌ شهمٌ في المصارعة وانَّ خصمهُ صبيٌ ضئيل في الانخزال ولم يقنع بسفسطة من اشتهر في ذلك الزمان من الهراطقة اذ يرى كيف قطع افرام اصول زؤانهم بسيف الامانة وبأقوالهِ السديدة بل اضاف الى ذلك قَطع الأوهام التي كانت ستنتشر في المستأنف بما ابصرهُ منها بعين النبوَّة فحصدها وملأَ كتبَهُ سلفاً واشعارهُ من البراهين على ذلك(٧٩٢) . وقد وصل هكذا ابنُ الحقّ الى ما لم يصل اليهِ قبلاً غيرهُ

• رجاء القديس افرام

واماَّ رجاؤهُ وثقتهُ بالله وحدَهُ فدلَّت عليها النعمة الحاصلة لهُ من الرجاء والخيرات المخزونة لذوي الثقة في المعاد . وكان لا يزال يهذُّ بقولهِ وعملهِ في جميع عمرهِ بقول الزبور (٢٧ : ٧) : «قلبي على الربّ عوَّل فسُوعدتُ ونما جسدي» ولمَّا كان رجاؤهُ وثقتهُ بالله على هذا المعنى «احاطت بهِ نعمةُ ربّهِ والتوكُّل على رحمتهِ ( مز ٣١ : ١٠ ) لأن الرحمة تجعل المتوكِّل عليها مثل جبال صهيون وترفعهُ الى شاهق من الطوبى والسعادة الصادقة وكان يعرف اتمَّ معرفة ما قيل في الانبياء كقول داود (مز ١٢٤ : ١) : «طوبى

١) ابوليناريوس زعم انَّ السيّد المسيح كان خالياً من النفس البشريّة وانَّ اللاهوت كان يقوم في جسدهِ بدلًا منها ٢) هؤلاء صنف من الهراطقة الاريوسيين كانوا يُدعَون باسم الأنوميين اي القائلين بعدم شبه الاقنوم الثاني باقنوم الاب وكان زعيمهم فوتينوس

٣) احد هراطقة القرن الثالث للمسيح أنكر سلطة الكنيسة في غفران بعض الخطايا

للرجل الذي اسم الربّ رجاؤهُ». وكقول هرميا (١٧: ٧): «مبارك الرجل الذي توكَّل على الربّ ويكون الرب رجاءَهُ» فيكون «مثل العود النامي عند المياه الذي اصلُهُ قد نُصب في الثرى» (مز ١: ٣). وكقول اشعيا (٣٣: ٢٢): «انَّ ملكنا هو الربّ فالربّ مخلّصنا» واني «ساكون معوِّلًا عليهِ فاخلص» (اشعيا ١٢: ٢) وكقول بولس المغبوط وعظُهُ (عبر ١٠: ٢٣): «سبيلنا ان نتمسَّك بالميعاد فانَّ الذي وعدنا ثقةٌ امين». فلمَّا كان ابونا هذا افرام مغتذياً بهذا الرجاء تهاون بالعالم وبكل ما فيهِ واشتاق وصبا الى المجد (٧٩٣) الدهريّ الباقي الى الابد

٦ محبَّة القديس افرام لله

واماَّ محبَّتهُ لله ولقريبهِ فقد وصل من الاستقصاء في حفظها الى المقدار الذي قالهُ هذا الاب الالهيّ عند انصرافهِ من العالم ممَّا لا نحتاج معهُ الى برهان من جهة اخرى قال: «انّي ما جدَّفتُ على الربّ في جميع عمري ولا خرجتْ كلمة جهلٍ من شفتيَّ في جميع حياتي ولا لعنتُ احدًا ولا خاصمتُ احدًا من المؤمنين» فيا لهُ من لسانٍ سعيد تجاسر ان يلفظ بهذا اللفظ الذي لا يليق ان يقولهُ بالحقيقة الَّا الملئكة الذين لا هيولي لهم ولا اضطراب في حياتهم. واماَّ نحن المرتبطون بخدمة الجسد فهذا القول غريبٌ فينا وفوق طبيعتنا وقد يصعب علينا ان نقوم بالواجب فيهِ. وستتعب كثيرًا أيها السامع في الفحص عن جماعة المذكورين بالفضل قبل ان تجد مثل هذا الاب القديس في طهارة حياتهِ وخالص ودّهِ لأنَّ المحبَّة اجلّ الفضائل واكبرها وقد حفظها افرام وقام بواجبها اكثر من غيرهِ من الآباء. ولكن «اذ يأخذ كلّ احد في المعاد على قدر اعمالهِ» (متىً ١٦: ٢٧) فانَّا نترك القول في هذا لغيرنا ممن يريد (٧٩٤) ان يستقصيهُ حتىَّ لا نُتَصوَّر بصورة من يريد ان يقابل بين الآباء ويعادل الواحد منهم بالآخر. ولم نذكر ما ذكرناهُ على جنس المعارضة والمباراة وانَّما ذكرناهُ لنبيّن منهُ نموذجاً من اعمالهِ حيث رقي بسُلَّمها الروحانية الى ابعد غاية اعني ابانا هذا بل ابا العالم ومعلّم جميع المسكونة افرام الالهيّ (لهُ صلة)

فوقف عند الحدّ المستقيم فيما بين القولين فقسم الثالوث المقدّس الواحد الذي لا يختلط ولا يمتزج بالعدد وجمعهُ بالجوهر (٧٩١) حتّى لا يلحقهُ عارٌ من فَقر اللاهوت على رأي اليهود ولا يأتيهِ من كثرة الآلهة رأيُ اليونانيّة الذين صُرعوا فيهِ . وهذان المعنيان لعمري هما اللذان يبكّتان مَن قد سكر من الآراء المختلفة ولم يتعهّد الواجب في معرفة اللاهوت الذي لا يُدرك . فامّا ابوليناريوس (١ فانّ الاب افرام دفع رأيَهُ البهيميّ بكل حرصهِ واخرجهُ من كلّ نفس مسيحيّة

واماّ الذين يقولون بعدم التشبيه (٢ فسدَّ افواههم بحجج الكتاب وبراهينهِ وبكّتهم وخلّف لنا آثارًا من اقوالهِ لا تُرام أَوحاها اليهِ الباريْ. وامّا نواطس (٣ فان هبوطهُ بسهام افرام كمثل هبوط الشرير وسقطتهِ بقوّة صليب المسيح ففي اقوالهِ يجد الطالب قوّة معلّمنا هذا ويعرف بهذا المقدار انهُ رجلٌ شهمٌ في المصارعة وانَّ خصمهُ صبيٌّ ضئيل في الانخزال ولم يقنع بسفسطة من اشتهر في ذلك الزمان من الهراطقة اذ يرى كيف قطع افرام اصول زؤانهم بسيف الامانة وبأقوالهِ السديدة بل اضاف الى ذلك قَطْع الأَوهام التي كانت ستنتشر في المستأنف بما ابصرهُ منها بعين النبوّة فحصدها وملأَ كتبَهُ سلفاً واشعارهُ من البراهين على ذلك(٧٩٢) .وقد وصل هكذا ابنُ الحقّ الى ما لم يصل اليهِ قبلًا غيرهُ

• رجاء القديس افرام

وامّا رجاؤهُ وثقتهُ بالله وحدهُ فدلّت عليها النعمة الحاصلة لهُ من الرجاء والخيرات المخزونة لذوي الثقة في المعاد . وكان لا يزال يهذُّ بقولهِ وعملهِ في جميع عمرهِ بقول الزبور (٢٧ : ٧) : «قلبي على الربّ عوّل فسُوعدتُ ونما جسدي» ولمّا كان رجاؤهُ وثقتهُ بالله على هذا المعنى «احاطت بهِ نعمةُ ربّهِ والتوكُّل على رحمتهِ ( مز ٣١ : ١٠ ) لأن الرحمة تجعل المتوكّل عليها مثل جبال صهيون وترفعهُ الى شاهق من الطوبى والسعادة الصادقة وكان يعرف اتمّ معرفة ما قيل في الانبياء كقول داود (مز ١٢٤ : ١) : «طوبى

١) ابوليناريوس زعم انَّ السيّد المسيح كان خالياً من النفس البشريّة وانَّ اللاهوت كان يقوم في جسدهِ بدلًا منها ٢) هؤلاء صنف من الهراطقة الاريوسيين كانوا يُدعَون باسم الأنوميين اي القائلين بعدم شبه الاقنوم الثاني باقنوم الاب وكان زعيمهم فوتينوس .

٣) احد هراطقة القرن الثالث للمسيح أنكر سلطة الكنيسة في غفران بعض الخطايا

للرجل الذي اسم الرب رجاؤه». وكقول هرميا (١٧: ٧): «مبارك الرجل الذي توكَّل على الربّ ويكون الرب رجاءه» فيكون «مثل العود النامي عند المياه الذي اصلهُ قد نُصب في الثرى» (مز ١: ٣). وكقول اشعيا (٣٣: ٢٢): «انَّ ملكنا هو الربّ فالربّ مخلِّصنا» واني «ساكون معوِّلًا عليهِ فاخلص» (اشعيا ١٢: ٢) وكقول بولس المغبوط وعظهُ (عبر ١٠: ٢٣): «سبيلنا ان نتمسّك بالميعاد فانَّ الـذي وعَدَنا ثقةٌ امين». فلمَّا كان ابونا هذا افرام مغتذياً بهذا الرجاء تهاون بالعالم وبكل ما فيهِ واشتاق وصبا الى المجد (٧٩٣) الدهريّ الباقي الى الابد

٦ محبَّة القديس افرام لله

واماَّ محبَّتهُ لله وتقريبهِ فقد وصل من الاستقصاء في حفظها الى المقدار الذي قالهُ هذا الاب الالهيّ عند انصرافهِ من العالم ممَّا لا نحتاج معهُ الى برهـان من جهة اخرى قال: «انّي ما جدَّفتُ على الربّ في جميع عمري ولا خرجتْ كلمة جهلٍ من شفتيَّ في جميع حياتي ولا لعنتُ احدًا ولا خاصمتُ احدًا من المؤمنين» فيا لـهُ من لسانٍ سعيد تجاسر ان يلفظ بهذا اللفظ الذي لا يليق ان يقولهُ بالحقيقة الَّا الملئكة الذين لا هيولي لهم ولا اضطراب في حياتهم. واماَّ نحن المرتبطون بخدمـة الجسد فهذا القول غريبٌ فينا وفوق طبيعتنا وقد يصعب علينا ان نقوم بالواجب فيهِ. وستتعب كثيرًا أيهـا السامع في الفحص عن جماعة المذكورين بالفضل قبل ان تجد مثل هذا الاب القديس في طهارة حياتهِ وخالص ودّهِ لأنَّ المحبَّة اجلّ الفضائل واكبرها وقد حفظها افرام وقام بواجبها اكثر من غيرهِ من الآباء. ولكن «اذ يأخذ كلّ احد في المعاد على قـدر اعمالهِ» (متى ١٦: ٢٧) فانَّا نترك القول في هذا لغيرنا ممن يريد (٧٩٤) ان يستقصيهُ حتىَّ لا نُتَصوَّر بصورة من يريد ان يقابل بين الآباء ويعادل الواحد منهم بالآخر. ولم نذكر ما ذكرناهُ على جنس المعارضة والمباراة وانَّما ذكرناهُ لنبيّن منهُ نموذجاً من اعمالهِ حيث رقي بسُلَّمها الروحانية الى ابعد غاية اعني ابانا هذا بل ابا العـالم ومعلّم جميع المسكونة افرام الالهيّ (لهُ صلة)

# ألنصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

## الفصل الثاني عشر

### العادات النصرانيَّة بين عرب الجاهليَّة وفي اوّل الاسلام

قد شاعت في جزيرة العرب في عهد الجاهليَّة واوائل الاسلام عادات لا يمكن تعليلُها الَّا بنفوذ النصرانيّة واندماجها في القبائل العربيَّة . فمن هذه العادات ما هو دينيّ بَحت . ومنها ما هو شرعيّ . وبعضها مدنيّ واجتماعيّ . فهـا نحن نتتبَّع هذه الاقسام الثلثة بالتوالي

#### ١ العادات الدينية

﴿ الصلاة ﴾ هي في مقدَّمة الواجبات الدينيَّة بها يرتفع الانسان عن حضيض عالمهِ هذا الهيوليّ الى ربّهِ وخالقهِ ليسجد لهُ ويشكرهُ ويستغفرهُ من ذنوبهِ ويلتمس نعمهُ . على انَّ اهل البادية كانوا في كلّ اطوار تاريخهم قلَّما يكترثون لهذه الفريضة كأنَّ لسان حالهم يقول مع احدهم (١ :

لا لصـلّي (نصـلّي) ولا لـصوم (نـصوم) ولا لذكر (نذكر) ربّنا حمَّا (لمَّا) لقوم (تقوم)

فلمَّا دخلت النصرانيَّة بينهم أَلِفت القبائل المتنصّرة الصلاة والدعاء الى الله كما يلوح من عدد الكنائس التي كان النصارى اقاموها في جهات العرب وكما بيَّنَّا في القسم الاوَّل من كتابنا بشواهد مختلفة رويناها عن كلّ ناحية من جزيرة العرب

ولمَّا ظهر الاسلام فرض صاحبهُ على تَبَعتهِ خمس صلوات في النهار فاستعار ذلك ممَّا وجدهُ شائعاً بين الرهبان الذين كانوا يقيمون صلواتهم السبع في خمس قومات من

١) اطلب كتاب الكولت لندبرغ Landberg: *Dialectes de l'Arabie Méridionale*

النهار والليل جاء في نقائض جرير والفرزدق(ص٥٢٥) عن صلوات النصارى: «وكانت اخصُّ صلواتهم خمساً قال الفرزدق يذكر عجوزًا من بني جعفر عاذت بابيه غالب :

عجوزٌ تصلّي الخمس عاذت بغالبٍ فلا والذي عاذت لا أُضيرُها »

واخصّ صلوات المسلمين في طرفي النهار حين يصبحون وحين يُمسون (سورة هود ع ١١٦ وسورة الروم ع ١٧) وهكذا كان رهبان جزيرة العرب يبكِرون الى الصلاة ويواظبون عليها في ليلهم. قال مجنون ليلى :

كأنّهُ راهبٌ في رأس صومعةٍ يتلو الزَّبُور ونجمُ الصبحِ ما طاما

وقال الآخر (اللسان ١٤: ٨٩) :

عن راهبٍ متبتّلٍ متهمّلٍ صادي النهارَ لِلَيْلِهِ متهجّدِ

ومن سُنَن الاسلام (الوضوء) والاغتسال قبل الصلاة. وهي عادة كان سبق اليها نصارى الشرق فتجدها في قوانينهم القديمة. ففي كتاب الايثيقون اي الآداب لابي الفرج ابن العبري بابٌ وهو الثالث من مقالتهِ الثالثة قسمَهُ الى عشرة فصول بحث فيها عن طهارة الجسد واحكامها وشروطها كما كانت شائعةً في كنائس ملّتهِ اليعقوبيَّة. وذكر الاحواض التي كانت في ساحات الكنائس لإتمام فريضة الوضوء. وقد وصف حضرة الخوري ابراهيم حرفوش في المشرق(٦[١٩٠٣]: ١١٦-١٢٣) احد مخطوطات دير مار شليطا القديمة وفيهِ قوانين جارية في الاعصار السالفة في ٥١ باباً ورد في احدى صفحاته (ص١٠٨) شروط الصلاة وحدودها على هذه الصورة :

« فامّاً حدودها ( اي الصلاة ) وشروطها فانّها تحتاج في اوّل شيءٍ الى الطهارة وهو الاغتسال بالماء في إثر الحدث. فان لم يجد الماء فليتجمَّر بثلاثة حجار وما زاد عليها حتىَّ ينفي اثر النجوى. ثم غَسْل اليدين بالتسمية وغسل الوجه برسم الطيب المحيي ويستحبُّ ايضاً غسلُ الرجلين في كلّ غداة. فامّاً مَن لم يُحدث فلا يحتاج الى الاستنجاء بل يستحبُّ منهُ غسل اليدين والوجه وغاية الغسل ان يعمَّ الماءُ العضو الذي يغسلهُ وعوماً كاملًا الخ. (ثمّ يليه فصلٌ في الاغتسال من الجنابة غسلًا عامًّا .. مع الاعتراف الى الكاهن وقبول صلاة الاستغفار) »

ومن شروط الصلاة في الاسلام الاتجاه الى (القِبلة) وهي ايضاً عادة مستعارة من قدماء النصارى الذين كانوا يتَّجهون في صلاتهم الى الشرق اذ يتَّخذون الشمس الشارقة رمزًا عن السيّد المسيح المعروف بشمس العدل والموصوف بالشرق. قال صرمة

ابن أَنس قبل الاسلام (كتاب البدء ١ : ٧٦) يصف صلاة النصارى الى مطلع الشمس :

ولهُ شمَّس النصارى وقاموا كلَّ عيدٍ لهم وكلَّ احتفالِ

فاتَّخذ محمَّد على مثالهم قبلةً للصلاة كانت اوَّلا اورشليم ثمَّ حوَّلها الى الكعبة في مكَّة

وفي الصلاة الاسلاميَّة (القيام والسُّجود والركوع ورفع الايدي) وكلّ ذلك سبق اليهِ النصارى ووصفهُ شعراء العرب . وقد وصف البعيث رهبان النصارى عند وقوفهم في الصلاة (اطلب الصفحة ١٧٧ من الجزء السابق) :

رجالٌ يُتَلُّون الصلاةَ قيامُ

وقال المضرّس الاسدي في سجودهم :

ومخال ساجيةِ العيونِ خواذلٍ بجماد لينةَ كالنصارى السُّجَّدِ

وقال النابغة الذبياني في الراهب الراكع (تاج العروس ٥ : ٣٦٣) :

سيبلغُ عُذرًا او نجاحًا من امرئٍ الى ربّهِ ربِّ البريَّةِ راكعِ

وقال اخر في رفع اكفّهم في الصلاة :

فذا فضلُ ايدي المستغيث المُسبّحِ

واذا تلا المسلمون القرآن لحَّنوا فيهِ (بالتجويد) ولعلَّهم اخذوهُ عن تلحين الرهبان بالزبور والتسابيح . قال ابن قتيبة في المعارف (ص ١٨٠) :

كان اوَّل من قرأ بالالحان عبيد الله بن ابي بكرة وكانت قراءتهُ حزنًا ليست على شيء من الحان الغناء ولا الحداء فورث ذلك عنهُ ابن ابنهِ عبدالله بن عمر بن عبيد الله فهو الذي يقال لهُ قراءة ابن عُمَر واخذ ذلك عنهُ الاباضيّ واخذ سعيد العلّاف واخوهُ عن الاباضيّ قراءة ابن عُمَر وكان هرون الرشيد معجبًا بقراءة سعيد العلّاف . . . وكان القرَّاء كلهم الهيثم وابن اعين وغيرهم يُدخلون في القراءة من الحان الغناء والحداء والرهبانيَّة فمنهم من كان يدسُّ الشيء من ذلك دسًّا رفيقًا ومنهم من كان يجهر بذلك »

فلا مراء انَّ القراءة المُحزنة والحان الرهبانيَّة تدلُّ هنا صريحًا الى نفوذ الغناء الرهباني في التجويد

ويجوز ان نضيف الى هذا الباب (السُّبحة) التي يدعوها النصارى المسبحة يتلون

عليهـا صلوات معلومة اختلفت مع الازمنة وقد وُجد منها في مقابر سيَّاح الاقباط في الصعيد. وهي قديمة في الاسلام لورود ذكرها في كتاب العين للخليل قال (١: «السبحة خرزات يُسَبَّح بعددها» وجاء في مجلّة المنار المصريَّة لمنشئها محمَّد رشيد رضا (١٥: ٨٢٣) فصل في السبحة واصلها في الاسلام قال:

«كنّا نرى هذه السُّبَح في ايدي القسّسين من النصارى والرهبان والراهبات ونسمع انّها مأخوذة عن البراهمة... والظاهر انَّ المسلمين اخذوها اوَّلًا عن النصارى فكانوا في مهد الاسلام عند ظهوره في جزيرة العرب وفي البلاد المجاورة لها كالشام ومصر فلا بُدَّ ان يكونوا قد اخذوا السُّبحة عنهم فيما اخذوهُ من اللباس والعادات. والامر في السبحة ينبغي ان يكون اشدّ من اخذ غيرها عنهم لأنّها تدخل في العبادة وتُعَدّ شعارًا... فالسبحة من البدع الداخلة في العبادة (كذا)»

❊ الصوم ❊ احد اركان الاسلام لم يعرفهُ المشركون من العرب في الجاهليَّة وانَّما كان المتنصِّرون منهم يقومون بهِ على مقتضى نواميسهم ولعلَّهم كانوا يصومونهُ في رَجب وهو وقتئذٍ من اشهُرهم الثابتة يوافق شهرنا نيسان قال المقريزي في الخطط (١: ٢٨٢):

«رَجبٌ شهر حرام ويقولون لهُ الاصمّ لانهم كانوا يكفُّون فيهِ عن القتال فلا يُسمع فيه صوت سلاح... ورجب الاصمّ هو شهرُ مُضَر وكانت العرب تصومُهُ في الجاهلية وكانت تمتار فيه وتمير اهلها وكان يأمن بعضُهم بعضاً فيهِ ويخرجون الى الاسفار ولا يخافون

قال اميَّة ابن ابي الصلت يذكر جزاء الصائمين في دار النعيم:

اذا بلغوا التي أُجرَوا اليها تقبَّلَهم وحُلّل مَن يَصُومُ

وكان اخصُّ اصوامهم صوم الفِصح قال نمر بن تولب:

صدَّت كما صدَّ عمّاً لا يحلُّ لهُ ساقي نصارى قُبَيل الفصح صوَّامُ

ومن صوم النصارى اقتبس محمَّد صومَ رمضان ثلثين يوماً وكان صوم الفصح لا يزيد على ذلك في بعض الكنائس (٢. ومنهم ايضاً اخذ عادةَ الإفطار بعد غروب الشمس الَّا أنَّ النصارى لم يأكلوا حينئذٍ الَّا مرَّة واحدة على خلاف المسلمين الذين حلَّل

١) اطلب مجلّة لغة العرب (٢: ٢٤٥)

٢) اطلب معجم العاديَّات النصرانيَّة Dict. d'Archéologie et de Liturgie. *art.* CARÊME

لهم الاكل طول الليل . وكذلك كان النصارى لا يأكلون الّا الاعشاب والبقول والاثمار دون اللحم والبياض وكلاهما مسموح به للمسلمين . قال العلّامة توماس پتريك هيوس (U. Patrik Hughes) في معجم الاسلام (ص٥٣٤) -Dictiona ry of Islam) : « انَّ الارجح عندنا انَّ محمَّدًا اخذ عن النصارى ناموس الصوم ثلاثين يوماً . وكان صوم النصارى في الشرق غاية في الشدَّة يمتدُّ الى النهار والليل معاً فخفَّف محمَّد هذه السُّنَّة وحصرها في النهار دون الليل تلطيفاً لشدَّته كما قال ( سورة البقرة ع ١٧١) : « يريد اللهُ بكم اليُسر ولا يريد بكم العُسر »

امَّا الخيط الابيض والخيط الاسود اللذان ذكرهما هناك (ع ١٨٣) فانَّ اميَّة بن ابي الصلت كان سبق الى الاشارة اليهما بقوله ( تاج العروس ٥ : ١٣٧ ) :

الخيطُ الأبيضُ ضوءُ الصُبْحِ منفلقٌ والخيطُ الأسودُ لونُ الليلِ مركومُ

﴿ الزكاة ﴾ هي ايضاً من اركان الاسلام المفروضة على ذويه بقوله ( سورة البقرة ٢ : ٧٧) : « أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » اي الصدقة وما يُرصَد من الاموال لوجه الله واعانة الفقراء . وعندنا انَّ صاحب الشريعة الاسلاميَّة تقلَّد فيه اهل الكتاب اي اليهود والنصارى فانَّ موسى في كتاب التثنية الاشتراع وسفر اللاويين يفرضُ على بني اسرائيل تعشير مالهم لخدمة الكهنة والهيكل . . امَّا النصارى فمن وصايا كنيستهم الراقية الى قرون النصرانيَّة الاولى الوصاة بوفاء العُشر

ولمَّا دخل النصارى في طاعة المسلمين من العرب وُضعت عليهم العشور والمكوس . قال المقريزي في الخطط (٢ : ١٢٢) :

« قال زياد بن جرير : اوَّل من بعث عمر بن الخطَّاب رضَ منَّا على العشور انا فامرني ان لا افتّش احدًا وما مرَّ عليَّ من شيءٍ اخذتُ من حساب اربعين درهمًا درهمًا من المسلمين واخذتُ من اهل الذمّة من عشرين واحدًا وممَّن لا ذمّة لهُ العُشر . وامرني ان اغلّظ على نصارى بني تغلب . . . فلعلّهم يسلمون »

﴿ الحجّ ﴾ هو ايضاً من اركان الاسلام ومعلوم انَّ الحجّ الى مكَّة سبق الاسلام . وكان نصارى العرب يحجُّون في الجاهليَّة لمزارات مختلفة . ولاسيَّما للقدس الشريف فانَّ القديس ايرونيموس في اواخر القرن الرابع واوائل الخامس ذكر في رسائله (Migne, P. L: XXII, 489, 870) بين زوَّار الاراضي المقدَّسة الذين كان

يشاهدهم في بيت لحم عرب اليمن وهو يدعوهم على موجب اصطلاح ذلك العهد باهل الهند. وقد وصف امرؤ القيس تزاحم الاولاد على الراهب المقدِّس اي العائد من زيارة القدس الشريف بقوله (اللسان ٨: ٥٠) :

كما شَبرَق الولدانُ ثوبَ المقدّسِ

وفي ذلك القرن الخامس كان عَرَب حمير والعراق يحجُّون زرافات الى مقام القديس سمعان العموديّ كما روى ذلك في تاريخه تاودوريطس الذي عاينهم هناك (Migne, P.G.,LXXIV. 104)

ومن مزارات العرب التي كانوا يحجُّون اليها مشهد القديسين سرجيوس وباخوس في الرصافة وقد مرَّ لنا ذكر الكتابة العربيَّة السابقة للإسلام التي وَردت هناك

وكانوا يحجُّون في جزيرة العرب الى كنيسة القُلَيس التي شيّدها ابرهة في صنعاء بعد فتح اليمن (راجع الجزء السابق ص ٦٤ و ٣٣٤) ومثلها كنيسة ظفار

ومن المحاجّ التي كان النصارى العرب يقصدها ايضاً في الجاهليَّة طور سينا ومعابدهُ الشهيرة المقامة في مشارف ذاك الجبل حيث يروي التقليد مناجاة الله عزَّ وجلَّ لموسى النبيّ واوحى اليهِ بشريعتهِ

بل كان نصارى العرب واليهود في الجاهليَّة يحجُّون الى مكَّة كما روى ذلك ياقوت في معجم البلدان لأنهم كانوا يرون في الكعبة تذكارًا لما ورد في سفر التكوين (ف ٢١) عن هاجر واسمعيل بن ابرهيم الخليل متَّفقين في ذلك مع تقليد عرب الحجاز. وقد ذكر في الاغاني (٢١: ١٦٤) خروج هدبة بن خشرم الى الحجّ وكان نصرانيًا كما ذكر التبريزي في شرح الحماسة (ص٢٣٥)

وقد مرَّ لنا (ص ٦٤ و ١٧٤) انَّ النصارى كانوا يدعون بعض بيَعهم بالكَعَبات مثل كعبة نجران الوارد ذكرها في شعر الاعشى وكعبة اليمن. قال عبَدةُ بن الطبيب (المفضَّليات ٢٩١):

في كعبةٍ شادها بانٍ وزيَّنها فيها ذُبالٌ مُضيءُ الليلَ مَفتولُ

وكان لكعبة مكَّة منذ عهد الجاهليَّة حَرَمٌ اي حدود تُحدق بها لا يجوز انتهاكها. ووضع محمَّد حَرَماً لمسجد النبيّ في المدينة. وانَّما الحَرَم شاع قبلًا عند اليهود حول هيكل اورشليم واتَّخذهُ النصارى لبعض كنائسهم الكبرى لامتيازها وهو الحِمَى

كان الداخلون فيهِ في امان . وقد مرَّ في المشرق (١٣ [١٩١٠] : ٧١) اكتشاف المسيو نويل جيرون لنُصب اي عمود ضخم من الحجر المانع في دمشق كان دالًّا على حمَى كنيسة دمشق قبل الفتح الاسلامي كما تبيّنهُ كتابة يونانيَّة اثبتناها هناك . وكان للنصارى قرب بعض الكنائس بروجٌ للاطيار لا يجوز صيدها كحمام مكَّة التي يضرب المثل في امانها فيقال آلف من حمام مكَّة

وكان العرب يطوفون حول الكعبة . وكانت تلك عادةً جاريةً بين النصارى العرب يطوفون حول الكنائس قال الشاعر الجاهليّ يذكر طواف النصارى حول الصليب فدعاهُ زُورًا بالوثن (لسان العرب ١٧ : ٣٣٤) :

يطوفُ العُفَاةُ بأبوابهِ كطَوْفِ النصارى بِبَيْتِ الوَثَنْ

وقال الحارث بن خالد يصف بشرة أَمَة عائشة بنت طلحة (اغاني ١٥ : ١٣٣) :

وبشرةُ خَوْدٌ مثلُ تمثالِ بيعةٍ تَظَلُّ النصارى حولَه يومَ عيدها

وممَّا رواهُ في الاغاني (٧ : ١٨٤) لعنترة وقيل بل لعبد قيس بن خفاف البُرْجمي قولهُ :

تمشي النَّعامُ بهِ خَلاءٌ حولهُ مَشْيَ النصارى حول بيت الهيكلِ

(لهُ بقيَّة)

---

# مطبوعات شرقيّة جديدة

**Jacquier** (l'abbé E.) : Etudes de critique et de philologie du Nouveau Testament. *Vol. in*-12. *pp. VI*-513, *Paris, Gabalda*

دروس انتقاديّة ولغويّة على العهد الجديد

كان المسيو جاكيه احد مشاهير اساتذة مكتب ليون الكاثوليكيّ نشر قبل ١٥ سنةً كتابهُ الخطير المعنون بتاريخ العهد الجديد في اربعة مجلَّدات ولم يزل مذ

ذاك الحين يراقب ما ينشرهُ العلماء في هـذا المعنى فجمع عدَّة معلومات استفادها من تلك المنشورات ومنها أَلَّف هذا الكتاب الجديد الذي وضعهُ كملحق لكتابهِ يفيد بهِ القرَّاء ما استجدَّ من العلوم الكتابيَّة كي ينتقدها انتقادًا حسنًا من حيث مضامينها وملحوظاتها اللغويَّة. وقد تتبَّعنا فصولهُ فردًا فردًا فرأيناهُ غالبًا يكتفي ببيان آراء الكتبة الذين راجعهم دون ان يقضي في صحَّتها او فسادها واذا فعل اكتفى بكلمةٍ يسيرة دون ان يتَّسع في تأييد حكمهِ . ويظهر لمطالع هـذا الكتاب انَّ المؤلّفين المحدثين الذين يتقصَّون الابحاث الكتابيَّة لا يزالون على اختلاف آرائهم وانَّما اتَّفقوا فقط في بعض مسائل ثانويَّة كتحديد زمان تأليف اسفار العهد الجديد ولغتها . وامَّا الباقي فكلّ فريق ثابتٌ على مذهبهِ السابق . ولم يجد المسيو جاكيه في من خالفهُ ادلَّةً مقنعة لتغيير آرائهِ الشخصيَّة الاب ي . ديلنسيغر اليسوعي

**Tixeront** ( l'abbé J . ) : Mélanges de Patrologie et d'histoire des Dogmes. 1 *vol. in*-12, *pp. V*-279, *Paris. Gabalda*

مجموعة ابحاث في بعض آثار الآباء وتاريخ المعتقدات

هذه سبع محاضرات القاها المسيو تيكسرون في جامعة ليون الكاثوليكيَّة في السنتين ١٩١٩ – ١٩٢٠ مع خمس مقالات نشرها في مجلَّات شتَّى في ازمنة مختلفة يرتقي بعضها الى السنة ١٨٩٩ واقربُها عهدًا ظهر سنة ١٩١٣ . ومدار المحاضرات كان على آثار القديس اغناطيوس النوراني ثمَّ كتاب الراعي لهرماس ثمَّ رسالة كنيسة ليون وڤينَة عن شهداء السنة ١٧٧ م ثمَّ تأليف اقليميس الاسكندري المعنون بالمعلّم ثمَّ مآثر ترتليانوس الادبيَّة واعمال القديس ايريانوس . امَّا المقالات فهذه عناوينها : دفاع اثيناغورس عن الدين المسيحيّ . اقوال الآباء والكتبة في اللاهوت وجوهرهِ واقانيمهِ في القرنين الخامس والسادس . رسالة فيلوكسينوس الى ابي نفير . تعليم القديس غريغوريوس الكبير في سرّ التوبة . الطقس الارمني المعروف بالمَتَل . فمن مجرَّد اسماء هذه المحاضرات والمقالات يرى القرَّاء ما يتضمَّنهُ الكتاب من الفرائد التي كانت بتفرُّقها مفقودةً وقد صارت بنظمها قلادةً ثمينة يتحلَّى بها جيد مطالعيها . وليست غاية كاتبها أن يُحيط بكل معانيها فان ذلك يستدعي كُتبًا مطوَّلةً لكنَّهُ احسن في انتخاب اخصّ فوائدها وكنه مضامينها الاب ي . د

**Labriolle** (Pierre de);HISTOIRE DE LA LITTÉRATURE LATINE CHRÉTIENNE. in-8, VIII- 741 pp. 1920. Prix 20 f^rs.Paris, Société d'édition « les Belles-Lettres » B^rd S^t Germain, 157

تاريخ الآداب اللاتينيَّة المسيحيَّة

قد تألَّفت في فرنسة في سنة الحرب الاخيرة جمعيَّة منسوبة الى غيليوم بوده-.G) (Budé غايتها نشر تآليف كتبة اليونان والرومان الاقدمين مع ترجمتها والبحث في مضامينها لتسدّ مسدّ مطبوعات سابقة تولّاها پنكوك (Panckoucke) ولومار -Le) (maire ونيزار (Nisard) فتبقى فرنسة في مقدَّم الدول المهتمَّة باحياء دفائن القدماء. وقد نشرت الى اليوم عدَّة تآليف مهمَّة كأعمال افلاطون وتاوفوست ولوكراس وپرْسعي بطبعها فرعٌ منها يُدعى بفرع الآداب وقد نالت لبعضها الجوائز والامتيازات الفخريَّة. وممَّا برز من منشوراتها آخرًا الكتاب الذي نحن بصدده للمسيو لابريول في الآداب اللاتينيَّة المسيحيَّة التي كان أهملها اهل العصر السابق وعاد اليها علماء زماننا اذ عرفوا بحُسْن نظرهم ما تحتويهِ من الكنوز الغالية الثمن فنشروا كثيرًا منها. فالمسيو لابريول شمل بنظرهِ كلّ هذه المكنونات فوضع كتابهُ هذا في تاريخ تلك الآداب الجليلة وتعريف اصحابها وبيان محتوياتها وانتقادها بكل اعتدال. وليس اجدر منهُ بهذا العمل الجليل كيف لا وقد علَّم مدَّة سنين طويلة هذه الآداب في جامعة فريبورغ في سويسرة فلم يَفُتهُ شيء من جلائلها ودقائقها. ومع اقرارهِ بفضل بعض كتبة عصرنا المبرّزين في هذه الموادّ كالمسيو شرل بابو (Ch. Babut) لم يوافقهُ في كلّ مزاعمه مثلًا بخصوص القديس مرتينوس وسولپيس ساويرس على انَّهُ لم يطَّلع على ما كتبهُ الاب ديلهاي (H. Delehaye) البولندي في هذا المعنى (.,Anal.Boll (fasc.I -II,1920. وقد استحسنَّا جدًّا ما ختم به الكاتب تأليفهُ من الجداول والفهارس التاريخيَّة والجغرافيَّة وذكر ما لكل كاتب من التآليف. فنتمنَّى ان يدخل هذا الكتاب في جملة التآليف المدرسيَّة في المكاتب العليا والمدارس الجامعة فضلًا عن المدارس الاكليريكيَّة

الاب ج لوفنك

**Clérissac** (Humbert O. P.) : LE MYSTÈRE DE L'EGLISE. In-12, pp. XXII-370, Paris, Téqui. Prix 6 f^r

سرّ الكنيسة

قد توفّي صاحب هذا الكتاب وهو احد افاضل الرهبان الدومنيكان قبل نجازه

لتأليفهِ فتولَّى نشرهُ المسيو ماريتان (Mr Maritain) استاذ الفلسفة في جامعة باريس الكاثوليكيَّة . وهو من احقّ الكتب بالاعتبار يبحث عن مسائل قلَّما يعيرها بالًا اهل العصر حتى الكاثوليك . امَّا موضوع الكتاب فمدارهُ على الكنيسة وقد بنى كلامهُ عنها على كلمة قالها القديس اوغسطينوس حيث وصفها بجسم تامٍّ ذي اعضاء مناسبة لها . فتتبع المؤلف تركيب الكنيسة اوَّلًا في انشائها للسيّد المسيح ثمَّ في مجالي حياتها الروحيَّة والنبويَّة والمدنيَّة والسرّيَّة وعمل الروح القدس فيها لتنمية ابنائها وبسط سلطتها مع مظاهر اعيادها الجليلة وكلّ ذلك بوصف مؤثر كاوصاف لاروشفوكو او لابرويار . وقد وجدنا مع ذلك بعض الخلل في تبويب الكتاب وتنظيمهِ على يد متولّي طبعهِ كما انَّنا كنَّا فضَّلنا إثبات الحواشي في ذيل الصفحات ليس في آخر الكتاب ج . ل

**Guilloux**(Pierre):L'Esprit de Renan. *Un vol. in*-16, *pp.* 412. *Paris, de Gigord, s. d.*

روح رينان

لعلَّ قرَّاءَنا يعلمون ما بلغ اليهِ من السمعة ارنست رينان في زمانهِ في عهد نابليون والجمهوريَّة الثالثة وقد عرفهُ بعض اهل الوطن في بعثتهِ الى فينيقية لوصف آثارها . فهذا الرجل الذي اتَّخذتهُ الزندقة كرايةٍ تسير تحت كنفها قد ضعفتْ سطوتهُ منذ وفاتهِ وكاد يزول التهوُّس الذي كان استفزَّ معاصريهِ لتمجيدهِ . وها هوذا كتاب غاية في الانصاف والصدق وضعهُ المسيو غيليو اماط فيهِ الحجاب عن ذلك الرجل الذي بعد ان تخرَّج في مدرسة سان سولپيس الاكليريكيَّة قلب للدين ظهر المجنّ ومال الى الإلحاد ومذ ذاك الحين أقام نفسهُ قاضياً على كل امور الدين والدنيا معتبرًا ذاتهُ الكلّ في الكلّ لكبريائهِ المفرط . وقد اختار المؤلف لإثبات حكمهِ اقوال رينان في تآليفهِ ورسائله السرّيَّة والعلنيَّة التي من شأنها ان تنفر منهُ كلّ انسان ذي فكرة وذوق وقد اخذت الناشئة الحديثة تستنكف منهُ حتىّ حفيدهُ ارنست بسيخاري (E. Psichari) استكرهُ تلك الاخلاق الدنيَّة وارتدَّ الى الدين وهو يسعى ان يكفّر عن ذنوب جدّهِ ويعوّض عن الشرّ الذي فعلهُ ج . ل

**Mgr Gibier :** Les reconstructions nécessaires. 1 vol. in-12, Paris, Téqui, Prix 6frs

ترميم الابنية المتداعية

الابنية المتداعية التي يدعو الى ترميمها سيادة رئيس اساقفة ڤرسايـل المنسنيور جيبيه ليست الابنية المادّية التي أخربتها الحرب وانّما اراد بها الابنية الادبيَّة التي يقوم بها المجتمع الانساني والتي أُصيبت بزماننا بضربات مؤلمة مباشرةً بالنفوس ثم العيال ثمَّ المدارس ثمَّ الصنائع ثمَّ الرعايا والمدن والمجتمع الانساني كلُّهُ فانَّ سيادتهُ يستقري كل هذه الابنية ويثبت ما لحق بها من الأَذى بالروح العصري وضعف الدين وانتشار الاراء الفاسدة والاميال الباطلة ثمَّ يدلُّ على الوسائط لعلاج هذه الأَدْواء وذلـك بكلام لطيف ولهجة حيَّة مستطابة ج٠ل

**L'Arabe parlé.** Dictionnaire-Grammaire par **Bruce Millard** avec la collaboration de W. Catzéflis., *Paris., Libr.Garnier Frères in*-16, *pp. IX*-164

اللغة العربيَّة العامّيَّة : اصولها ومعجمها

قد سبق بعض المستشرقين وأَلَّفوا كتباً في اللغات العاميَّة العربيَّة في مصر والجزائر ومراكش والشام تسهيلًا للمتجـوّلين من الفرنج في تلك البلاد فأحبَّ جنـاب الانـكليزي ميلّار مع مواطننا وليم كتسفليس ان يضمَّا في كتاب واحد لهجات تلك البلاد المختلفة فوضعا هذا التأليف الجامع للاصول اللغويَّة وللمفردات والمباحثات الدارجة بين العموم وذلك باللغتين الفرنسويَّة والانـكليزيَّة ٠ امَّا العربيّ فهو بالحرف اللاتينيّ وذلك على طريقة غريبة ليست بمأنوسة فيصوّر مثلًا الثاء بحرف s والحاء بحرفي hh والخاء بحرفي qh والقاف بحرفي kk ولا فرق بين الذال والزاي والظاء فكلُّها مصوَّرة بالحرف z وهلم جرًّا ل٠ش

**Manuel de Conversation Français-Marocain** par **B.Tedjini.** Paris, Libr. Garnier Frères, in-32, pp. 204

محادثات بالفرنسويَّة والعربيَّة المراكشيَّة

هذا كتاب صغير الحجم وُضع لافادة المسافرين من الفرنج الى مرّاكش يشتمل على مباحثات في الامور الجارية والحاجات اليوميَّة التي لا غِنى عنها للمتجوّلين في تلك

الاصقاع وهي باللغتين العربيَّة والفرنسويَّة والالفاظ العربيَّة ممثَّلة بحرف افرنجي كالسابق. الَّا انَّ اصطلاحاتهِ في تمثيلها غير اصطلاحات الكتاب الموصوف وهي غريبة ايضاً. فيا ليت كان يتَّفق الفرنج على قاعدة واحدة في تلك الاصطلاحات التي يضيع فيها المبتدئون بل العلماء ايضاً !

Arabic Romanic Transliteration and arabic Reading, by **Najeeb Mitry Saleeby.** *M. D. D. Sc., Sarkis Press, Bayrut, Syria,* 1920. *in*-8, *pp. V*-78

تمثيل العربيَّة بالاحرف اللاتينيَّة والقراءة العربيَّة

في هذا الكتاب حلٌّ معقول لتمثيل حروف الهجاء العربيَّة بالحروف الاوربيَّة شرح فيهِ مؤلفهُ الاديب نجيب افندي متري صليبي قواعد ذاك التمثيل بعد وصفهِ للحروف العربيَّة وبيانهِ لمخارجها وصحَّة لفظها ثم أتبعها بعدَّة تمرينات عليها بموجب طريقتهِ. ولعلَّهُ كان يستطيع اختصارها ايضاً بنبذهِ للحروف الاوربيَّة المزدوجة كالثاء والخاء والذال والشين والغين فانَّ الطريقة التي ننهجها الآن في مطبعتنا يفضّلها عدَّة علماء اوربيين هكذا: ث(ṯ) خ (ẖ) ذ (ḏ) ش(ś) غ (ğ)بدلًا من th, kh, dh, sh, gh, وعلى هذا النمط يكتب جناب المؤلف اسمهُ الكريم Najib Salibi لا Najeeb Ṣaleeby

ل. ش

Los Precedentes Musulmanes del « PARI DE PASCAL » por **Miguel Asin Palacios** presbitero, *Santander,* 1920, *in*-12, *pp.* 64

سَبْقُ الكتبة المسلمين الى رهان پسكال

ورد في خواطر (les Pensées) پسكال الكاتب الفرنسويّ الشهير كلمةٌ تعرف برهان پسكال جعلها في وجه الملحدين كسيف ذي حدَّين وظنَّها مُقنعة مرغمة لكفرهم فقال «لا بأس من الايمان بالمعاد لأنك ان امنتَ بوجودهِ فصدَقَ ايمانك كنت فائزًا كلَّ الفوز وان لم يصدق ايمانك بهِ فلا تخسر شيئاً» وقد ورد مثل هذه الكلمة في كتب قديمة الَّا ان پسكال اخرجها على صورة قياس وجيز يؤثر في ذهن سامعهِ. وقد جاء للعرب مثل ذلك قال ابو العلاء المعرّي:

زعم المنجّم والطبيبُ كلاهما أنْ لا معادَ فقلتُ ذاك اليكما
ان صحَّ قولكما فلستُ بخاسرٍ او صحَّ قولي فالويل عليكما

وللغزالي في إحياء علوم الدين وفي الميزان والاتحاف كلام يشبههُ . فبحث العلَّامة

الكاهن الاسباني الشهير بدروسهِ الاسلاميَّة الاب ميكال اسين پلاسيوس عمَّا يوجد من العلائق بين قول پسكال واقوال الغزَّالي فوضع هذا الكتاب الذي اودعهُ نتيجة ابحاثهِ وهو يرجّح انَّ پسكال اخذ القياس المذكور عن الغزَّالي مع جهلهِ باللسان العربيّ سواء بلغهُ قول الغزَّالي ببعض تراجم كتبهِ او بواسطة بعض المستشرقين في زمانهِ . وعلى ظنّنا انَّ ادلَّتهُ مبنيَّة على الحدس والتخمين لا تكفي لاقناع العلماء لا سيَّما انهُ ورد لغير العرب اقوال مثلهُ . لكنَّنا قد سُررنا بمطالعة كتابهِ الدالّ على تعمُّقهِ في درس كتب فلاسفة الاسلام والمتصوّفين ل . ش

I. GOLDZIHER. **Le Dogme et la Loi de l'Islam,** HISTOIRE DU DÉVELOPPEMENT DOGMATIQUE ET JURIDIQUE MUSULMAN. Traduction de Felix Arin.. *Paris*. Libr. P. Geuthner, 1920, in-8. pp.315

عقيدة الاسلام وشريعتهُ

ليس اليوم بين المستشرقين بل قل بين الشرقيين كلهم من يبلغ في معرفة تاريخ العقيدة الاسلاميَّة وشريعتها مبلغ العلّامة اغناسيو غولدسيهر احد اساتذة جامعة بوذابست في المجر كما يتَّضح ذلك لمن وقف على كتاباتهِ الاسلاميَّة السابقة . وكتابهُ هذا المنقول حديثاً الى الفرنسويَّة هو كخلاصة دروسهِ الطويلة للشرع المحمَّدي منذ ظهور نبيّ الاسلام الى القرون الاخيرة فانَّهُ اعتبر تلك الشجرة الباسقة في جذرها البسيط في الطور الاوَّل من تاريخها ثمَّ في شُعَبها العديدة وفروعها واغصانها المختلفة المتباينة التي ظهرت في انحاء الاسلام ثمَّ نمت وبسقت وكثيرٌ منها تلاشى فلم يبقَ منهُ الَّا آثار قليلة . فالمعلّم غولدسيهر في كتابه هذا يتتبَّع سلسلة تلك التعاليم واستنادها الى القرآن والحديث وما جرى بسببها من الاختلافات والمجادلات والحروب بين اهل السنَّة والشيعة وبين الخلفاء والخوارج وبين زعماء الملل والنحل . فكتاب الاستاذ غولدسيهر يكشف النقاب عن كلّ هذه المعمَّيات بحيث يقف القارئ على تطوُّراتها ودقائقها . فنشكرهُ على ما افاد وأجاد ونثني على مترجم الكتاب المسيو أرين وطابعهِ المسيو غوتنر ونحضُّ كلّ من يتوق الى معرفة احوال الاسلام الدينيَّة على درسهِ ل . ش

La Mer dans les traditions et les industries indigènes à Rabat et Salé par **Louis Brunot**. *Paris, Ernest Leroux, in*-8, 1921, *p*. 358

البحر وتقاليدهُ واعمالهُ الوطنيَّة في رباط وسلا

في مرَّاكش مدينة شهيرة بُنيت في القرن الثاني عشر للميلاد تُدعى رباط وفي

ضواحيها بلدة سلا التي قامت في القرن العاشر على اخربة المستعمرة الرومانيَة شلَّا . وكلتاهما قد لعبت في القرون الوسطى الى ايّامنا دورًا مهمًّا في تاريخ مرّاكش ولاسيّما في الاعمال البحريّة لموقعها بجوار البحر الاتلنتيكي فرأى المسيو لويس برونو في درس تاريخها ومآثرهما البحريّة موضوعاً شائقاً من شأنهِ ان يستوقف نظر القرّاء ولاسيّما مواطنيهِ بعد بسط سلطتهم على مرّاكش . وهذا الكتاب يلذّ جدًّا مطالعيهِ لما ضمّنهُ صاحبهُ من الفوائد التاريخيّة ووصف الاخلاق والعادات القوميّة والمواسم الدينيّة الشائعة في مرّاكش وسواحلها بين الاهلين وخصوصاً بين الملّاحين واهل البحر مع بيان صنائعهم البحريّة وفنّ الملاحة عندهم وتعميرهم للمراكب وارتزاقهم بالصيد مع ذكر الاسماك التي يصطادونها والاهازيج التي يتغنّون بها واشياء اخرى كثيرة يطول تعدادها ولا يجدها العلماء في غير هذا الكتاب . فنهنئ المسيو برونو على وضعهِ هذا التأليف الفريد في جنسهِ الذي يوقفنا على مجاهل تلك البلاد المغربيّة ل . ش

## ١ شهر قلب يسوع : تأمُّلات وجيزة (طبعة ثانية ص ١٢٠) = ٢ الكنز الروحي للعابد المسيحي (ص ٤٣٧) = ٣ فرض الحبل بلا دنس (ص ٢٩)

(طُبعت كلّها في مطبعة الآباء اليسوعيّين في بيروت سنة ١٩٢١)

١ وافق تجديد كتاب شهر قلب يسوع دخول حزيران المخصَّص لاكرامهِ . وهذا الشهر قد نقلهُ من الايتاليَّة حضرة الاب انطون صالحاني وهو في الاصل موجَّهُ للعمَلة الَّا انَّ حضرة المترجم رأى في تعميمهِ بين كلّ النفوس التقوية فائدةً اعظم فأخرجهُ في هذه الطبعة الثانية على صورة تشمل جميع المتعبّدين للقلب الالهيّ . ومن خواصّ هذا الشهر انهُ جامع بين الوجازة والوضوح وبين النظر والعمل مع النوافذ التقويّة ولذلك اصابت طبعتهُ الاولى قبولًا واستحساناً

٢ الكنز الروحي للعابد المسيحي هو طبعة جديدة لكتاب الصلوات المكرَّر سابقاً نشرهُ في مطبعتنا الَّا انَّ حضرة الاب صالحاني المتولّي طبعهُ قد اعاد فيهِ النظر واصلح كثيرًا من عباراتهِ الركيكة وألغى منهُ قسماً لا يحتاج اليهِ اهل العبادة فاستبدلهُ بصلوات تقويّة جديدة متفرّقة مع طلبات وادعية وافادات شتَّى تتوق اليها النفوس الصالحة فتشكر لحضرتهِ تقريب مواردها من اهل الصلاح

٣ هذا فرض الحبل بلا دنس انتزعهُ حضرتهُ من الكتاب السابق لفائدة المتعبّدين للبتول الطاهرة في اخويّاتها . وقد راجعهُ على اصلهِ اللاتينيّ وضبط ترجمتهُ

## ١ رواية العَلَم السماوي ٢ كتاب نَغَمات الملائكة

كلاهما بقلم الشيخ امين ظاهر خيرالله صليبا

طُبعا في مصر في السنتين ١٩١٩ و ١٩٢٠ ( ص ١٠٤ و ٨٠ )

قد عشق صديقنا الشيخ امين افندي ظاهر خيرالله المواضيع الدينيَّة جارياً بذلك على آثار رجل الوطن والدين والدهِ المأسوف عليهِ . وقد اثنينا غير مرَّة على ما دبَّجه قلمهُ السيَّال نظماً ونثرًا قبل الحرب الكونيَّة بوضعهِ التآليف الادبيَّة الدينيَّة ترويضاً لأخلاق الناشئة العصريَّة . وها هوذا قد اهدانا كتابين جديدين انشأهما حديثاً على غط كتاباتهِ السابقة . فالاوَّل يتضمَّن اهتداء الملك قسطنطين الكبير الى الايمان المسيحيّ اخرجهُ على صورة رواية غاية في الحسن دعاها بالعلَم السَّماوي مشيرًا الى ظهور الصليب لقسطنطين في كبد السماء يوم محاربتهِ لمكسطنيس . والثاني تسابيح تقويَّة واناشيد مطربة يبلغ عددها ٥٤ تسبحة في كلّ مواضيع التُّقى والدين والادب بنظم رائق ومعانٍ بليغة تُحقّق اسم الكتاب بنَغمات الملئكة . فنمحض شكرنا للمؤلف عن هديتيهِ النفيستين ونتمنَّى لهما رواجاً عظيماً لا سيّما في المدارس وبين ناشئة الوطن

## هدايا مرسلة الى المشرق

١ ﴿منشور رعائيّ﴾ وجَّههُ سيادة مطران دمشق بشاره الشمالي الجزيل الشرف الى اكليروس ابرشيَّة دمشق المارونيَّة واعيانها وشعبها عموماً بمناسبة تكريس الطائفة المارونيَّة لقلب يسوع الاقدس اعلن فيهِ حقوق الله على خلائقهِ ثمَّ واجبات الخلائق نحو ربّهم لاسيَّا خدمتهم لهُ تعالى بكل اعمالهم طول حياتهم وذلك ما يدعوهم اليهِ غبطة السيد البطريرك بتكريس نفوسهم وعيالهم للقلب الاقدس

٢ ﴿ انَّ هذا السرّ عظيم﴾ خطاب لحضرة الاب الخوري مارون غصن القاهُ في ١٣ نيسان الاخير في كنيسة القديس ميخائيل بالشيَّاح بيَّن فيهِ عظم سرّ الزواج

المسيحيّ بازاء التاريخ المقدَّس وتقليد الكنيسة المتواصل . ثم تخلَّى الى اثبات ما يستحقّ من الكرامة والاعتبار في اعين جميع المسيحيين وبايّ خشوع وورع يجب ان يُحتفل بهِ لا في البيوت بل في الكنيسة حيث تُقام الاسرار المقدَّسة عادةً

٣ ﴿ رواية شهيد الدين وابطال المروءة ﴾ هي رواية تمثيليَّة ذات ثلاثة فصول أَلَّفها نثرًا مع بعض النظم حضرة الخوري فرنسيس نجم مدارها على بيان شهامة بعض المسيحيين في الدفاع عن وطنهم وايمانهم ثمَّ انتصارهم على اعدائهم الوثنيين والعفو عنهم بعد اسرهم كرماً وامتثالًا لاوامر الدين

٤ ﴿ مقالة في الاعتقاد الباطل ﴾ لحضرة الخوري بطرس قزح من دير الاحمر ذكر فيها بعض الخرافات والاعتقادات الباطلة التي يتناقلها الناس ويعوّلون عليها لالتماس بعض الخيرات المادّية او لدفع بعض المضرَّات فاثبت حضرتهُ بطلان تلك المزاعم وفنَّدها عقلًا ونقلًا وخطَّأَ الملتجئين اليها

٥ ﴿ الكَرْميَّات ﴾ مجموعة مقالات وقصص في موضوعات شتَّى بقلم احمد شاكر الكرميّ نشرها محيي الدين رضا صاحب مكتبة السعادة في مصر . في هذه المقالات عدَّة مزاعم لم يتروَّ فيها كاتبها البعض منها لهُ كمقالاتهِ في الزواج والبعض منقول عن غيرهِ كمقالة الفلسفة الشرقيَّة المؤدِّية الى تعطيل الاديان ونكران الوحي

٦ ﴿ سوريا للسوريّين ﴾ هي رسالة سياسيَّة اجتماعيَّة تاريخيَّة حسنة وجَّهها احد افاضل المسلمين الى قومهِ ليبيّن لهم شطط اللائذين بالحكومة العربيَّة الحجازيَّة التي لا يُرجى منها خير لبلاد سوريَّة فسرد تاريخ دخولها في جهات الشام في نهاية الحرب الكونيَّة وتتبَّع مساوئ ممثّلها الامير فيصل الذي كاد مع حاشيتهِ يقلب البلاد ظهرًا لبطنٍ ليفوز بمطامعهِ تارةً بالمواعيد الفارغة وحيناً بسياسة التلوُّن ودسّ الدسائس واخيرًا بالعداء المكشوف وسياسة الخراب فكانت النهاية فشل الامير وعلوّ الحقّ ورجوع السلام الى نصابهِ بحسن دراية الدولة المنتدبة وحكمة المفوَّض الاعلى فخامة الجنرال غورو . فنوصي بمطالعة هذه الرسالة كلّ من غرَّهُ السراب العربي

٧ ﴿ الدواء الشافي ﴾ بقلم شكري افندي الخوري صاحب ومحرّر جريدة « ابو الهول » في سان باولو : البرازيل . هي مقالة صادرة عن قلب يتلهَّب غيرةً على الوطن يستدعي فيها الدولة الفرنسويَّة الى كسر شوكة المتعصّبين ومناصرة الضعفاء

٨ ﴿ معارضات قصيدة «يا ليل الصبّ» للحُصَري القيرواني ﴾ جمعها الاستاذ الاديب عيسى اسكندر المعلوف اللبناني صاحب مجلّة الآثار من شعراء مختلفين زمناً ووطناً واضاف اليها معارضتهُ . وكنّا أحببنا لو خصَّ صديقُنا الجامع لهذه المقاطيع وقتهُ الثمين لما هو ارفع وانفع من هذه المعارضات العشقيَّة التافهة

٩ ﴿ الحقّ يعلو ﴾ بقلم يوسف نصر . لا نشكُّ في انَّ الحقَّ لا يُعلَى عليهِ ولكن ربّما اشتبه الحقّ على كاتب هذه المقالة فنسب اليهِ اوهامهُ الباطلة

١٠ ﴿ الوقائع الماسونيَّة ﴾ بلغتنا في آخر دقيقة والمجلّة ماثلة للطبع نسخة من الوقائع الماسونيَّة المطبوعة في بيروت «لمؤلفها وناظم عقدها يوسف الحاج». وسنفرد لها فصلًا في العدد القادم انشاء الله

---

# شذرات

﴿ قلب يسوع في صدر لبنان ﴾ هي القصيدة العامرة الابيات التي نظمها في الاسبوع الماضي حضرة الخوري رافائيل البستاني فنشرها في البشير . نحديها قرَّاءنا كتذكار تكريس لبنان للقلب الاقدس في غرَّة شهر حزيران المخصَّص باكرامهِ

أَلُبنانُ سِرَّ مَسَرَّاكَ لا تكتمِ الحبَّا ... ففي صدرك المحبوبُ قد أودعَ القلبا

فنزل هذا القلبِ قلبٌ ومُهجةٌ ... فأَخلِ لهُ مثوًى يروقُ لهُ رَحبا

حبيبُك لا يرضى نديدًا مُزاحماً ... فينأَى اذا ما غيرُهُ يطلب القُربا

أبى الطهرُ نُزلًا حيثُ تأوي مآثمٌ ... وهل أَلِفَ الحقُّ الأضاليلَ والكذبا

أَلبنانُ هذا القلبُ يأبى تقلُّباً ... فجافِ انتقالًا في الولاءِ وما يأبى

فقلبُ يسوعٍ ليس ضيفاً مغادرًا ... ولكنهُ مَلْكٌ يسود بك الحُقبا

مليكٌ على عرش القلوب قد استوى ... وعن غير هذا العرش ما ملك الشعبا

فسائلْ رفاتاً في ضريحِ جدودنا ... فتعرفَ عن ذا القلب ما شئتَ مِن أَنبا

فما عصمَ الأجدادَ شمٌّ بواذخٍ ... وان حكَّ في الافلاكِ منكبُها الشهبا

وما كفَّ كفَّ الفاتحين كتائبٌ ... ولا هابَ مغوارٌ معاقلَ او عَضبا

ولكنَّ هـذا القلبَ قد كان مَوئِـلًا يردُّ غُزاةً جاعـلًا رأسهم كَعْبـا
فكـان ولم ينفكَّ ذلـك دأبَـهُ فتـابعْ أيا لبنـانُ نهجـك والـدأبا
تقدَّمَـكَ الأجـدادُ فألزم صِراطهم فإرثـاً اتاك الحبُّ منهمُ لا كَسْبـا

أحبُّوا حبيباً حبُّـهُ قـد عـلا بهِ عـلى خشبٍ يستمطرُ الهونَ والـضربا
وقـد ساقهم حبُّ الحفـاظ ودينُهم الى قُلَـلٍ شمّـاءَ تخترقُ السُّحبـا
اقـاموا بهـاتيـك الرواسي وآثروا عـلى مُخصبـات الريفِ بائرةً جـدْبا
ثوَوا مثلمـا تثوي القشـاعمُ رفعـةً وقد تخذوا مأواهمُ الجلمدَ الصُلبـا
وقـد وَغـاوا في الغِيل خشيةَ غِيـلةٍ كـأنهمُ الآسـادُ مُخْـدِرةً غضبى
عـلَوْا قُنَنَ الأطواد ضنـاً بدينهـم كما اقتعـدوا جُرْدًا مطهَّمةً قُبـاً
أُبـاةٌ أبوا ضيمـاً وعـافُوا معرَّةً وقـد أَنِفوا ذلاً ولم يـألفوا السبـا
غضـافرُ لم يَعْنُوا لسلطـة غـاشمٍ فكـلٌّ بنفسٍ عن مـذلَّتهـا يربا
فمـن كل مقتولِ السِّبـال وسـاعدٍ يرى في الرَّدى لـلذَّود عن عرضه قُربى
يُـفَدُّون بالارواح كـنْزَ يقينهـم ولم يرهبوا الإمـلاقَ فيهِ ولا الخطبـا
اذا قـلبُ فـاديهم يـناجي قلوبهم ترى فيهمُ رَوْحَ المكارم قد هبَّـا
يحيُّـون قلباً في اصيـلٍ وغـدوةٍ ويَحيَوْن فيـهِ مـارحين بـهُ عجبـا
فمنـهُ قواهـم والحيـاةُ ومجدُهـم كمـا استسهلوا في حبّهِ الأوْعرَ الصَّعْبا
فقـاموا كأسوارٍ حـديدٌ بناؤهـا بوجهِ طُغـاةٍ حاولوا الفتـك والنهبـا
وصـالوا كما صـالت قساورُ حرَّدٌ حِفـاظـاً على دينٍ وعـذراء ان تُسبى

أأحفـادَ ابطـالٍ ضراغـمَ مُرَّدٍ شـذا ذكرِهم خاضَ المشارقَ والغربا
ويا نسـلَ امجـادٍ كرامٍ تتبَّـعوا سبيلَ جدودٍ وألزموا ذلـك الـدربا
سبيلٌ يقود الخطوَ لـلفضل والعـلى ويُرضي بني الدنيـا ويستعطف الربَّا
فمـا الدينُ الَّا مهيعُ العـدل والهدى يرى الطـاهرُ الظمـآنُ موردَهُ عَذْبا
يمـجُّ زُلالَ المـاءِ من حُمِّ جسمـهِ ويُغضي شعاعُ الشمس من ارمدَ الهـدبا
ومنـظرُ شُرْطيٍ يبلبـل سارقـاً ويلقي بقلب السافـك الغـادر الرعبـا
فـلا غرو ان يحتـكَّ بالـدين فاسدٌ فمـا الحـكُّ الَّا دأبُ مهزولةٍ جَربى

فما هال ليثاً في العرينة ثعلبٌ وما ارتاع نسرُ الجوّ إنْ سَمع النَعْبا
فأتوا الى الحسَّاد نظرةَ مزدرٍ فتُضرمَ نارُ الحقدِ في جوفهم قُضْبا
وكونوا كما كان الجدود فتَسْعدوا ولا تخشَوُنَّ العذلَ في الدين والعَتْبا
فتمشالُ فاديكم يمثّل قلبَهُ هلمُّوا لِجُوهُ فهو قد فتح الجنبا
فللقلب نطقٌ بل لغاتٌ فصيحة يحيط بها الأُمّيُّ والدارسُ الكتبا
يحادثُ قلبُ الحِبِّ قلبَ حبيبه ولا حائلٌ دون الحديث ولا حَجْبا
فناجوا حبيباً بل خطيباً قد اعتلى على منبر الآلام لم يأنفِ الصَّلبا
أحِلُّوا فؤادًا في شِغاف فؤادكم ومن أطهرِ الاميالِ أهدوا لهُ صَحْبا
أيا قلبُ كُنْ في صدر لبنان مُحْيياً نفوساً واجساماً فيكتسب الخصبا
وكن سائدًا تنهي وتأمر مطلقاً وأصلِ الاباطيلَ المضلَّلةَ الحربا
وحافظْ على كنز العقائد مُبعِدًا عقاربَ غيٍّ تبتغي نحوه الدَّبَّا
أضِئْ ما دجا في النفس والقلب والنُّهى وبدِّدْ ظلاماً يفسد الدين واللُّبَّا
ولا تدع الاهواء تعصفُ ريحُها ليَسريَ روحُ الطُّهر ذا أَرَجٍ رطبا
وصُن من سَموم الفسق زهر شبيبةٍ ومن سُمّ حيَّاتٍ تروم بها لَسْبا
فشبَّاننا نبني عليهم رجاءنا وهم في غدٍ يضحون للموطن القُطْبا
فسدِّدْ خطاهم في الغضاضة انّهُ يَشيب على ما في صباه الفتى شبَّا
فيُختَم عمرٌ في رضاك كما ابتدا فنسعدَ في الدارين هذهِ والعُقبى

﴿النباتات النيّرة﴾ لبعض الاشجار المقطوعة والاغصان المتعفّنة خاصّةُ التشعشع كالفسفور فتضيء في الظلمة. وقد روى احد العلماء انّهُ عاين في اميركة قوماً يجرُّون شجرةً مقطوعة على طرق مفروشة بالبلاط فكانت تخطُّ بمرورها خطّاً نيّرًا على البلاط وكان نور الشجرة يكاد يبهر النظر بسنائهِ وبقيت منها شظايا مضيئة بضعة ايام. وشوهدت امكنة شتّى كانت تضيء فيها ميلًا جذوع الاشجار المقطوعة فتنير ما يجاورها

﴿ اطول قناة في العالم ﴾ هي قناة الصين الكبرى الممتدَّة من هنغ شو الى تيان تسِن. طول قسمها الجوهري ١٠٣٧٠ كيلو مترًا ، اعني ٢٨ مرة ونصف اكثر من طول قناة سويس. بوشِر حفرُها في الجيل الخامس قبل المسيح حيث كانت تباشير التمدّن الاوربّي بادية على افق العالم الشرقي البالغ في ذلك العهد عمرانًا اثيلًا. ولم تختم

حتى الجيل الثالث عشر بعد المسيح فاستغرق انجازها ١٧٠٠، سنة ونيّف . اما الآن فليست قابلة لاجتياز السفن في كثير من اجزائها وقد عزمت الحكومة الصينيَّة على تخصيص المبالغ الطائلة لترميم تلك مأثرة جدود ابناء السماء !

﴿الماسونيَّة والحرب الكونيَّة﴾ كان ورد في لسان الحال في عدد السبت ٣١ أيار ١٩١٩ ما حرفهُ : « رأي غليوم الثاني في الحرب . كتب غليوم الثاني كتاباً الى الدكتور شليمان من كليَّة برلين اتهم فيهِ الماسونيَّة بأنها اثارت الحرب واكد انَّ الانتصار التامَّ كان مضموناً لالمانيا لولا الهدنة وانَّ انكسارها لم يسببهُ غير مكايد الاشتراكيين الديموقراطيين في المانيا »فان صحَّ قولهُ عن الماسونيَّة كانت «شنشنةً نعرفُها من اخزمِ»

﴿اصلاحات وفوائد﴾ ورد في الصفحة ٣٣٩ س ٣ انَّ لبعض الهوام من الاجنحة «زوجين او اكثر »والصواب «لا اكثر» . ويُصلَح س٩ «انَّ لاكثر انواعها ثمانية عيون» لا «ازواج من العيون» . وكذلك س ٢٦ «ولغيرها زوج من المحاجن في كلّ من شفرتيها العُليا والسفلى» لا « زوجان »=وقد الفت الاستاذ منصور افندي جرداق نظرنا الى خطاٍ وقع في الارقام في الصفحة ٤٤ سطر ٤ من عدد ك ٢ حيث ورد ٣٠٠،٠٠٠ كيلومتر والصواب ٣٠٠،٠٠٠،٠٠٠ .وافادنا جنابهُ انَّ فارس الشويريّ المذكور في رحلة الامير بشير الاولى الى مصر ( ايلول ١٩٢٠ ص ٦٨٩–٦٩٠ ) والذي لم نقف لهُ على تاريخ «هو فارس جرجي مرهج من قرية الشوير والمعروف عنهُ انَّهُ قدَّم خدمات مشهورة للامير في ايَّام كربتهِ ولذلك جعلهُ كاخيَّتهِ وبواسطتهِ رقَّى الامير بيت عسَّاف مرهج المشهورين وقرَّبهم اليهِ» = واستفدنا من مجلَّة العرفان الصادرة في صيداء (ص ٣٤٤) انَّها سبقتنا الى نشر قصيدة ابن دريد في المقصور والممدود في الصفحة ٣١٥ من سنتها الرابعة . وعذرُنا في جهلنا لِما نشرت انهُ لم يبلغنا من اعداد سنتها الرابعة الَّا ثلثة اجزاء اي ١ و ٩ — ١٠ ومن السنة الخامسة العددان ٥ و ٨ فلو تفضَّلت بارسال ما ينقصنا من اعدادها كنَّا لها من الشاكرين . ومن إفاداتها انَّ الكاتبة زينب فوَّاز التي نشرنا ترجمتها لجان درك في شباط الماضي (ص ١٠٨) هي «عامليَّة شيعيَّة معروفة ولم تزل اسرتها موجودة في تنين وانَّها توفيت في غضون الحرب » امَّا ما زاد صاحب المجلَّة هناك عن تطرُّف البشير والمشرق في ذكر اعمال الشيعة في بلاد بشاره فجنابهُ أعلم منَّا انَّهُ دون الحقيقة وليس من جنايات « شذَّاذ واخلاط منهم فقط » ولو سكتنا لصرخت الحجارة

# أسئلة وأجوبة

س سأل احد السادة الافاضل: ١ً باي عهد ترك الموارنة استعمال البدلة الشرقيَّة اي الغفَّارة في القدَّاس واتخذوا البدلة اللاتينيَّة ؟ . ٢ً هل يمانعهم الكرسيّ الرسولي اذ ارادوا العود الى استعمال بدلتهم الشرقيَّة ؟

البدلة الشرقيَّة في الطقس المارونيّ

ج نجيب على الاوَّل انَّ الموارنة لم يتَّخذوا البدلة اللاتينيَّة في وقت واحد وانَّما دخلت عندهم تدريجاً بما اهداهم الكرسيّ الرسوليّ من البدلات المتعدّدة على يد المرسلين اللاتين بسبب فقر كنائسهم لاسيَّما في سفارتي الاب اليانو اليسوعي اللتين رويناهما في المشرق. وكانوا قبل ذلك يلبسون الغفَّارة في التقديس كالسريان. ونجيب على الثاني انَّ الامر في عهدة مجمع الطقوس ولو عُرض عليهِ رغبة الاكليروس في الرجوع الى البدلة الشرقيَّة لا نظنُّ انَّهُ يجد في ذلك مانعاً

س سألنا كثيرون ما سبب تأخر الروم هذه السنة في تعييد الفصح حتَّى زاد الفرق بينهم وبين الكاثوليك اكثر من شهر ؟

تأخر الفصح عند الروم في السنة الحاليَّة

ج قد استوفينا في المشرق مسألة الحساب الشرقيّ في تعييد الفصح والاصلاح الغريغوريّ لهذا الحساب. راجع في المشرق (٣:[١٩٠٠] : ٢٢٥—٢٣٠) مقالة للاب موريس كولنجت تحت عنوان «اصول الحساب السنوي» ثم مقالة ثانية لحضرتهِ تحت العنوان : « الفصح تاريخهُ وبيان حسابهِ » (المشرق ٥ [١٩٠٢] : ٣٢٦ و ٣٤٤) . ثم مقالة ثالثة لنا تحت العنوان «توحيد الحسابين» (المشرق ٤[١٩٠١] : ٤٢٢—٤٢٦).

فمن مراجعة هذه الفصول يتَّضح لك انَّ التابعين للحساب القديم في هذه السنة كانوا مخالفين لقانون المجمع النيقاوي الذي امر بان يُعيَّد الفصح في الاحد الواقع بعد اوَّل بدر يلي للاعتدال الربيعي فالاعتدال الربيعيّ كان في ٩ آذار غربيّ وكان البدر الواقع بعدهُ في ٢٥ منه والاحد الاول في ٢٧ آذار هو الفصح في الحساب الغريغوريّ اما تبعة الحساب القديم فانَّهم لم يحتفلوا بعيد الفصح الَّا في الاحد الواقع بعد البدر الثاني من الاعتدال الربيعي اعني في ٢٤ نيسان وذلك بسبب الغلط الواقع في حسابهم ل. ش



# الوقائع الماسونيَّة

نظر انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ

كانت الماسونيَّة في بيروت ولبنان وانحاء بلاد الشام الى العهد التركيّ الاخير لا تجسر على البروز الى النور شأن كلّ من يخاف ان تُفضَح اعمالهُ (يوحنَّا ٣: ٢٠). وكأنَّها استبشرت بالحرّيَّة منذ احتلال الدولة المنتدَبة مؤمّلةً في وجود من يَشدُّ بأزرها من الجمعيَّات السرّيَّة الاوربيَّة. ولعلَّها استحكمت شكيمتها بزيارة « الاخ الكلّي الاحترام برنود ولهوف الاستاذ الاعظم للمحفل الاكبر الفرنسويّ » في شهر أيَّار الماضي فرأت الوقت مناسباً لتميط شيئاً من الستر الذي يحجبها عن اعين العموم

ولنا دليل على ذلك بنشرة نشرها آخرًا احد اعضاء الماسونيَّة البيروتيَّة ألا وهي مجلة «الوقائع الماسونيَّة لمؤلفها وناظم عقدها الاخ ** يوسف الحاج». فتراها برزت بثوبٍ قشيب عليهِ الرموز الماسونيَّة: النجمة الباعثة باشعَّتها على اقطار المعمور والنسر ذو الراسين وفي براثنهِ سيف السلطة ليحطِّمهُ ثمَّ الدائرة والهلال والبيكار والزاوية حتَّى التاج والصليب تمويهاً على اصحاب الدين والدنيا مع الحرف السرّي G المُختلَف في تفسيرهِ. فسُررنا لدى نظرنا الى هذه الواجهة الحُسنى وسفور الماسونيَّة عن وجهها الوضَّاح. ولم يُرِبْنا شيء من محاسنها الباطنيَّة الَّا كلمةٌ صغيرة قرأناها تحت عنوانها وتلك قولها « وهي (اي مجلَّة الوقائع الماسونيَّة) محصورة بالاخوان فقط» فيا لله كيف لم يرَ صاحب المجلَّة انَّهُ بهذه العبارة يكسف ذاك النور الباهر المنبعث من الشمس الماسونيَّة ويحصرهُ في المتنوّرين الذين لا حاجة اليهم بهِ. فيا خيبة أملنا اذ كنَّا نرجي خيرًا بمطالعة هذه المجلَّة التي لولا «احد الاخوان الاحرار» بقيت مستورةً عنَّا دون ان نستنير بضيائها الساطعة!

ولكن دعنا من الواجهة واشكالها الملتبسة التي وعدنا صاحب الوقائع «شرح رموزها» هلمَّ بنا نتصفح المجلَّة لنستضيء بانوارها

واوَّل ما نجدهُ في باطن الغلاف انَّ «الماسونيَّة جمعيَّة خيريَّة غرضها ترقية الفكر بدراسة كليَّات الادب والعلوم والصنائع والفنون وممارسة عمل الخير»

فهذه نغمةٌ قد سمعناها غير مرَّة من ابناء الارملة وحتَّى الآن لم نجد لها صدًى في ايّ بلدٍ كان . فمهما حدَّقنا النظر الى اخبار الامم وبحثنا البحث المدقَّق لنطَّلع على اعمال الماسونيَّة الخيريَّة خابت آمالنا بل تحقَّقنا كذب هذا المدَّعى . وبرهاننا قريب فليدلَّنا الفرمسون في كلّ سوريَّة ولبنان وفلسطين ومصر على مشروع خيريّ تقوم بهِ تلك الشيعة باسمها ويُعرَف بها ما لم يكن في فلك القمر فلم يبلغنا خبرهُ . وقد فنَّدنا هذه الاكاذيب بفصل واسع في كتابنا السرّ المصون في شيعة الفرمسون (١ : ١٧–٢١) واوردنا إقرار الفرمسون انفسهم في انَّ جمعيَّتهم ليست خيريَّة

وما هي ترى تلك «ترقية الفكر البشري بدراسة كليات الادب والعلوم والصنائع والفنون ؟» هذا كذبٌ آخر افظع من الاوَّل . يُرقَّى الفكر البشري بالعلوم الادبيَّة والدينيَّة والفنيَّة . فاين يا ترى جمعيَّة ماسونيَّة تسعى بنشر الآداب والفنون ؟ واننا نسكت عن العلوم الدينيَّة وهي الدّ اعدائها . أيعرف الماسون مدرسة جامعة او كليَّة او مكتباً علمياً او صنائعياً يتولَّاها «الاخوان» ويبذلون عنها الدرهم رخيصاً فليذكروا لنا ذاك نحبذهم ونطري سموَّ غرَضهم . ولكن هيهات !

ثمَّ أتبع الاخ .*. يوسف افندي الحاج وصفهُ للماسونيَّة بقولهِ انَّها «تحرّم في مجتمعاتها تحريماً قطعياً كلَّ مناقشة دينيَّة او سياسية ... او القدح في اعمال السلطة الدينيَّة والحكومة» . هذا كذبٌ ثالث تشهد لهُ كلُّ صفحة من تاريخ الماسونيَّة في كلّ البلاد منذ نشأتها من اوائل القرن الثامن عشر الى يومنا الحاضر . ومن درس تاريخ الدول الاوربيَّة مذ ذاك العهد رأى للماسونيَّة يداً في كلّ ما جرى من الامور السياسيَّة المهمَّة في تلك الدول طبختها في مجتمعاتها السرّيَّة ثمَّ انفذتها بدسائسها العديدة ومكايدها المختلفة لا يردعها في ذلك ضمير ولا يردّها سلطان . وان طلب الاخ .*. يوسف الحاج شهادةً على قولنا ذكرنا لهُ إقرار احد شيوخ الماسونيَّة الاخ غونار سنة ١٨٧٦ : «كنَّا سابقاً قد ألِفنا القول على سبيل الفطنة اننا لا نتعرَّض للاديان وللسياسة ... كنَّا

نقول ذلك احترازاً من مراقبة الشرَط لنخفي عنهم ما تقضي به علينا واجباتنا الماسونيَّة . واما الآن فاني اقول جهاراً بأننا في محافلنا نشتغل بالسياسة ونعم السياسة سياستكم ايها الاخوان »

امَّا معاكسة الماسونيَّة للدين وارباب فانها كالشمس في رائعة النهار اذا عليها شواهد لا تحصرها المجلَّدات الضخمة . وكلّ ذلك موضح في كتابنا السرّ المصون في شيعة الفرمسون الذي لم يحاول واحدٌ من الاخوان تفنيده

فلنقلِّب الآن صفحات المجلَّة ولنجتنِ شيئاً من ثمراتها الشهيَّة . يفتتحها صاحبها بسلام وتمهيد فيها لهُ من كلام شعريّ يهدي بهِ الكاتب سلاماً مثلَّثاً باسم الاخاء والمساواة والحريَّة « على الصديق الذي اوصلهُ الى البناية الحرَّة .. الذي عرَّفهُ معنى الحياة ... الذي قادهُ برحلاتهِ الثلث فاخرجهُ من الظلمة » بل قل انهُ ادخلهُ فيها اذ وجب عليهِ الآن كتمان اسرارها والتستُّر وراء جدران هياكلها بعد ان تقيَّد بالحلف المغلَّظ على حفظ لسانهِ . فيا له من نور بل من تسكُّع في الظلمة !!

وكأنَّ الاخ ... يوسف لم يجد في تعريفهِ السابق للماسونيَّة وجهاً معقولاً عاد اليهِ في فصل عنونهُ « بغاية الماسونيَّة » على انَّهُ لم يزدنا بكلامهِ الَّا التباساً في حقّها . فتارةً يصوّرها كمدرسة كلّ الفضائل قال « الماسونيَّة تبيّن لأتباعها كلّ نقيصة لا بُدَّ من تجنُّبها وكلّ فضيلة يجب اتباعها طلباً للكمال » وحيناً ينعتها « بالمجتمع للمبادئ والاميال المختلفة ويمزج فيها كلّ الآراء والحالات الاجتماعيَّة ... فتحدث المناقشة والانتقاد » ومع ذلك « ليس هنالك من عقيدة مقرَّرة دينيَّة كانت او سياسيَّة » . وخلاصة الكلام انَّ الماسونيَّة « ترفع الشخصيَّة وتبنيها بينما نرى الحياة تضلّلها وتهدمها ... تسوق الفرد الى السعادة بمساعدتهِ على تكوين ذاتهِ .. تساعد على وجود النظام العام سالماً من كلّ ضغط يشوّههُ . ترفع لها هيكلاً حيث يشتعل دائماً لهيب اشواقنا الابديَّة .. فهي باقية دائماً مساوية لنفسها قويَّة ببنيانها فتعفر لكل اعدائها »

فيا لهُ من لغط لا يُدرك لهُ رأس من ذنب فمن يا تُرى يعيرنا مجهراً لنقف على شيء من المعمَّيات الماسونيَّة !

ويلي هذا الفصل الحلو نبذة عنوانها « حقائق مختصر تاريخ الماسونيَّة قبل عام ١٧١٧ » يردّد فيها الكاتب كلّ الخرافات والسفاسف التي اعتادها الماسون ليعظّموا عشيرتهم

فلا يخجل أن يذكر هناك تلك الآراء المتضاربة والاقوال المتباينة التي يريد ابناء الارملة ان يضلّلوا بها السُذَّج فهذا يرقيها الى آدم في الفردوس (بل قل الى الحيَّة التي تقمّص فيها ابليس) وذاك الى بناء هيكل سليمان والآخر الى جماعات البنّائين في القرون الوسطى وكفى بهذه الاقاويل دليلًا على التمويهات الماسونيَّة

ثمَّ تتبعهُ ترجمة جان تيوفيل ديزاغليه وهو احد متطرّفي البروتستانت الذي اشتغل مع فرمسون انكلترّة لمحاربة الدين الكاثوليكيّ في القرن الثامن عشر فنعم المثل يقدّمهُ الاخ *.* يوسف الحاج ليثبت صحَّة قولهِ انَّ الماسونيَّة لا تتعرَّض للاديان . وهناك هيكل جسم دزاغليهِ صوَّرهُ كرمز لطيف من تهوبلات الماسونيَّة

وبعد هذا رسمان ماسونيَّان الاوَّل رسم «ف باستور» الذي «انتُخب استاذًا اعظمًا (كذا) للشرق الاكبر الفرنساوي تسع سنوات متتابعة » فنسأل الاخ *.* يوسف الحاج من هو «ف باستور» ؟ فان كان اراد بهِ باستور العلّامة الشهير فقد طاش سهمهُ فان ذاك اسمهُ لويس پستور وكان رجلًا عريقًا في الدين توفّي متزوّدًا بكل اسرار الكنيسة كما روى ذلك في ترجمتهِ الاب هرنو (المشرق ١٤ [١٩١١]: ٥١—٥٧) وان كان غيرهُ فليس هو ممَّن تشرَّفت بهِ الانسانيَّة اذ لم نجد لهُ ذكرًا في معاجم المشاهير . امّا الجنرال بنيه (Général Peigné) فانَّهُ كاد في اوَّل الحرب الكونيَّة يسقط فرنسة في التهلكة ولذلك عُزل من منصبهِ فنعم المثال للماسون !. ومالهُ لم يذكر رجال الحرب العظام المعادين للماسونيَّة والمتأصلين في الدين كالمرشال فوش والمرشال فايول والمرشال فرنشه دسبري والجنرال كستلنو وجنرالنا المحبوب غورو . وان اراد صور كبار الماسونيَّة وجدها بسهولة في تاريخ أئمة البشر والزنادقة كويسهويت وكَلْيوسترو وڤولتير وروبسپيار ودانتون وامثالهم فهؤلاء مثال الكمال الماسوني!!

ولا نتعرَّض للفصل التالي في تاريخ الماسونيّة منذ عام ١٧١٧ فانَّهُ لم يذكر منهُ الَّا بعض الاسطر وان اراد الوقوف على تفاصيلهِ فليراجع الكتب الضخمة التي ألَّفها باروپل (Barruel) وديشان (Deschamps) ومنها تواريخ لبعض الماسون لا تُنقَض شهادتهم كلوبس بلان (L. Blanc) وراغون (Ragon) وكلاڤل (Clavel) يفيدوهُ عن كمالات الماسونيَّة وكلّ مساوئها ومعايرها لا تجد فيما يذكرونهُ عملًا يستحقّ الذكر والثناء

وفي الصفحة ٩ نبذة في توحيد « الماسونيَّة بين الامم » وفي قوله احسن ردّ على ما يقولهُ في آخر المجلّة (ص ٤٠) انَّهُ لا يُقبل في الماسونيَّة من لا يعتقد بالله او لا يؤمن بخلود النفس. ولا يجهل احد انَّ الماسونيَّة الفرنسويَّة والماسونيَّة الهولنديَّة وكثير غيرهما قد نبذوا اسم الله وجاهروا بالالحاد وبنكران خلود النفس. فتوحيد الماسونيَّة بين الامم هو مناقض رأساً هذا القول اذ يتَّحد الماسون سواء كانوا ملحدين ام معتقدين فاتّحاد المؤمن مع الكافر يؤثم المؤمن وينفي صدق ايمانهِ

وبعد هذا ٠« كلمة الى ابناء المحافل السوريَّة » ليس تحتها كبير امرٍ يليها فصل مفيد عنوانهُ «المحافل ووقائعها » نعلم منهُ انَّ محافل بيروت حاضرًا ستَّة : ١ً محفل لبنان شيخ محافل سوريَّة المتأسس منذ نحو ٥٤سنة ٢٠ً محفل السلام الذي يشتغل تحت رعاية الشرق الاكبر الاسكوتلندي وبتدبير رئيسهِ الدكتور اسكندر البارودي فنال من مراحمهِ ان ينشئ شرقاً اقليميًّا في سوريَّة ( تهلّلي يا سوريَّة لمثل هذه البشرى ! ) ٣٠ُ محفل صنّين ٠ تزعزع بنيانهُ مدَّةً لمَّا سرق الاخوان الاحرار صندوقهُ (راجع كرَّاسنا السادس في الماسونيَّة ص ٢٢) لكنَّ اعضاءهُ قاموا بنهضة جديدة وكفاهُ فخرًا انَّ رئيسهُ هو الاخ ... فارس مشرق الشهير بالكمال الماسونيّ. ٤ً محفل بيروت الذي انتخب باجماع الرأي الاخ ... محمَّد باشا مخزومي رئيساً شرفيًّا . ٥٠ً محفل الرشيد المؤسس آخرًا وقد ذكرنا انَّ رئيسهُ الاخ ... فضل الله ابو حلقة ٦٠ً محفل فينيقية المؤسس جديدًا ببراءة من الشرق الاكبر المصريّ ورئيسهُ الاخ ... الداماد احمد نامي بك . دُشّن المحفل في ٥ ايَّار بمفوَّضية الاخ ... ميشال مرزا وناب عن محفل السَّلام الاخ ... ابراهيم منذر وعن محفل الرشيد الاخ ... سليمان سعد وعن محفل بيروت الاخ ... فليكس فارس . وكان سابقاً في بيروت محفل بهذا الاسم فما نجح (راجع كرَّاسنا الثاني في الماسونيَّة ص ٤٩) وقد نسي الكاتب محفل المغارة السوداء في المعاملتين فأحرقهُ الاخوان الاحرار بمنازعاتهم

ثمَّ روى صاحب الوقائع الماسونيَّة (ص١٦) انَّ الشيعة دخلت دمشق بمساعي الامير عبد القادر . وقد اتينا سابقاً بشواهد تثبت ان الامير نبذ الماسونيَّة لمَّا عرفها كما جحدها الشيخ محمَّد عبده بعد ما تحقَّق انَّ غايتها مقاومة الملوك والباباوات ( اطلب كرَّاسنا الرابع في الماسونيَّة ص٤٠٩ ) وكذلك أبى الدخول فيها الشيخ جمال الدين الافغاني لمَّا

ارسل اليهِ الفرمسون في مصر وفداً يدعونهُ رسمياً الى الانضواء الى شيعتهم بقولهِ :
«انكم تريدون أن انتظم في جماعتكم لكي تفتخروا بي امـًا انا فأراني مهاناً اذا انتميتُ اليكم» فرجعوا خائبين خجلين

ثمَّ هناك خطابان (ص١٣) الواحد « للاخ حقّي بك العظم حاكم دولـة دمشق القاهُ في محفل بيروت صرَّح فيهِ للاخوان « انَّهم لهُ وانهُ لهم » وتوسل « الى مهندس الكون الاعظم ليشدَّ همَّتهُ للقيام بالواجب نحو عشيرة البنَّائين الاحرار» . والخطاب الآخر للاخ الشيخ سليم البابا في محفل السلام « ندَّد في اصحاب الرأي فيهم الذين اذا خطبوا او وعظوا افتخرت بهم اعواد المنابر . . واذا رجعوا الى قومهم نفثوا من السموم ما يقتل عاطفة الالفة »وهذا لعمري شأن الماسوني ذي الوجهين

وتجد بعد ذلك (ص١٥ – ٢٠) مجموعاً واسعاً من الاكاذيب الماسونيَّة والدَّعيات الفارغة التي يندى من ذكرها خجلًا جبين كلّ رجل ذي عقل صائب ما خـلا جبين الفرمسون . اسمعْ واحكمْ قال (ص ١٥) «انَّ الماسونيَّة العمليَّة انتشرت في انحاء سوريًا في اوائل التاريخ المسيحيّ واوائل الهجرة وقد بنى البنَّاؤون الاحرار بنايات متعدّدة لا تزال آثارها الى الآن من الكنائس والجوامع والقلـع والاسوار » فيا لله كيف لم يستحي الاخ ** يوسف الحاج من كتابة اسطر كهذه وكلّ كلمة منها كذبٌ ظاهر وهو القائل قبلًا (ص ٥) « انَّ التاريخ الماسونيَّة مظلم صعب » فكيف الآن اصبح لهُ واضحاً . يا للتناقض !

ومثلهُ كذباً وسفاسف مضحكة باب « لوائـح القوانين والشرائع الماسونيَّة من اوَّل عهدها الى اليوم » (ص١٦) فروى انَّ «اوَّل الشرائع الماسونيَّة وضعت سنة ٧١٥ ق م لمدارس البنَّائين التي اسَّسها توما(كذا توما بالتاء ! !)بومبيليوس في رومية» فكان بودّنا ان يخرج مؤرخو رومية من قبورهم ليطَّلعوا على هذه الاكتشافات التي جهلوها في زمانهم واوحى بها الله الى الاخ ** يوسف الحاج

واغرب من هذه اللائحة«لائحة سانت البـان سنة ٢٩٠ ب م الذي . . . ادخل الماسونيَّة الى انكلترا . . وقد ذهب شهيداً بامر الامبراطور ديوقليتوس » ( كذا ديوقليتوس)ومن العجب انَّ هذا القديس سانت البان الشهيد استاذ الماسونيَّة الاعظم قد عرَّفهُ الاخ الماسونيّ اليَّا الحاج في كتابهِ الخلاصة الماسونيَّة (ص٣) وروى عنهُ انَّهُ

انشأ الماسونية في بريطالية العظمى عام ٩٢٦ (كذا) وانهُ «احد الثلثة الذين ماتوا شهداء بانكلترة عام ٢٦٨ ايام اضطهاد دقلديانوس » (كذا) فينتج من هذه الترهات الماسونيَّة انَّ الشهيد سانت البان الذي على قول الاخ اليَا الحاج انشأ الماسونيَّة سنة ٩٢٦ (كذا) واستشهد عام ٢٦٨ (كذا) هو هو الذي على قول الاخ يوسف الحاج وضع اللائحة المعروفة باسمهِ سنة ٢٩٠ (كذا) اعني ٢٢ سنة بعد موتهِ فايمُ الحق ماكنا لنظنَّ ان المعدة الماسونيَّة يمكنها ان تهضم مثل هذه «المحشَّيات» . وقس على هاتين اللائحتين عدَّة لوائح كلائحة يورك سنة ٩٢٦ ولائحة ادوار الثالث سنة ١٣٤٠ الخ . ومثلها المؤتمرات الماسونيَّة المزعومة التي عُقدت قبل سنة ١٧١٧ لا يتَّفق عليها اثنان من المؤرخين لا بل من الماسونيين نفسهم وكلّها مدوَّنة في المجلَّة كحقائق تاريخيَّة راهنة

ثم يأتي فصل عن « الملوك والامراء الماسون الفرنساويين » يفتتحهُ « بماسونيَّة نابوليون الاوَّل في مصر » وهو كلام رماهُ على عواهنهِ فانَّ ما ذكرهُ المؤرخون اجمالًا عن ماسونيَّة نابوليون حدسٌ وتخمين فانَّ البعض يزعمون انَّهُ دخل الماسونيَّة في جزيرة مالطة وغيرهم في باريس في محفل شارع سان مرسيل وبعضهم في مصر مدَّة بعثتهِ فهذه الاقوال المتضاربة تبيّن انَّ الامر غير اكيد . وعلى كلّ حال نعرف انَّ نابوليون اضحى بعد ذلك من الدّ اعداء الماسونيَّة لاطّلاعهِ على دسائسها . ولولا اثنان من قوَّاده كباسيريس وماسّينا كان ألغى كلَّ محافل الفرمسون في فرنسة فاقنعهُ القائدان بحفظها لتكون الةً في يدهِ لتثبيت ملكهِ . ولما وضع نابوليون سنناً في مراقبة الجمعيَّات ليمنع استقلالها طلب اليهِ الكونت مورار (Cte Muraire) ان يستثني من هذا الحكم الشيعة الماسونيَّة فاجابهُ نابوليون: «كلَّا ثم كلَّا لأنَّ الماسونيَّة لا بأس منها اذا بقيت تحت قبضتنا واذا استقلَّت تُصبح خطرة مخيفة» . ولمَّا عرف نابوليون انَّ وزيرهُ فوشه (Fouchet) دخلها واخذ يدسّ الدسائس للحال عزلهُ . الَّا انَّ الماسونيَّة نقمت على نابوليون وتصدَّت لهُ وكانت اكبر عاملٍ في خذلانهِ في حروبهِ الاخيرة وسقوطهِ . أفما كان الاحرى بالفرمسون ان يخجلوا من سعيهم في مناهضتهِ ؟ وزد على ذلك ان نابوليون بموتهِ في حضن الكنيسة وقبولهِ الاسرار الاخيرة جحد الماسونيَّة فعلًا واقرَّ بمساوئها . امَّا بقيَّة الامراء الذين ذكرهم فانَّ تاريخ حياتهم جميعاً لَممَّا يسوّد وجه الماسونيَّة ولا يشرّفها

ثمَّ اورد الاخ ••• يوسف الحاج فصلًا مطولًا عن وجود الله وكمالاتهِ . فسُررنا بقراءة هذا العنوان في مجلَّة ماسونيَّة . ونحن نعلم انَّ عددًا عديدًا من الماسون ينكرون وجود الله . ولكن لسوء الحظ وجدنا في مقالة الكاتب امورًا ملتبسة . تقرُّ يا افندي بان الله موجود لكنّي لا اجد في مقالتك كلمةً تدلّ على انهُ خالق المخلوقات ومُخرجها من العدم الى الوجود فلا شك انك تعتبر الله عزّ وجلّ كاخوتك الماسون الذين يعتقدون بوجودهِ انهُ « مُهندس الكون الاعظم » اعني انهُ فقط محوّل الكائنات من صورة الى أُخرى كما يفعل الكيموي والطبيعيّ والمهندس

والدليل على انَّ هذا هو معتقدك في الله تعالى انك تقول (ص ٢١) : « لسنا ننكر انَّ قوى الطبيعة ازليَّة لأَن فعل الخلقة ازلي لا بدء لهُ ولا انتهاء . انَّما منذ الازل اقتضى لهذه المعلولات وجود علَّة تنظّمها . انَّ القوى الطبيعيَّة ماديَّة آلية محضة وليست بذاتها عاقلة فتحتَّم اذًا وجود علَّة عاقلة حرَّكتها ونظَّمتها على نسق مناسب لقوام الكائنات »

فنتيجة هذا القول انَّ المادَّة ازليَّة كالله سبحانهُ تعالى وذلك احد الاضاليل المنافية للكتب المقدَّسة ولتعاليم الكنيسة والعقل . امَّا قولك « انَّ فعل الخلقة ازلي لا بدء لهُ ولا انتهاء » فكلام ملتبس أتريد بهِ انَّ الله تعالى كما انَّهُ واجب الوجود منذ الازل هو ايضاً منذ الازل قادر على خَلق الكائنات وانَّ هذا الكمال في الله لا بدء لهُ ولا انتهاء فذلك نسلّم بهِ . امَّا اذا نويت بذلك كما يظهر من قرينة كلامك انَّ الله منذ الازل خلق الكائنات وانَّ وجوده لم يسبق كيانها وانَّهُ لم يكوّنها على حرّيتهِ فكل ذلك من الاضاليل المنافية لكمالاتهِ تعالى الدالَّة على إلحاد الفرمسون وكفرهم

وفي هذه المقالة اقوال أُخرى تدلّ على مذاهب مشتبهة استقاها الكاتب من موارد عكرة كقولهِ (ص ٣٤) : « لسنا نعلم ان كان العنصر العامّ الذي منهُ تتولَّد وتستفرد الانفس بفعل القدرة الالهيَّة قابلًا ام ليس بقابل لتوليد افراد على حالة الكمال والنقاء » فما هو هذا العنصر العام؟ وكيف تتولَّد منهُ الانفس كأنَّ الله ليس هو خالقها رأساً من العدم وانَّما يستخرجها من ذلك العُنصر العام ؟ وكذلك قولهُ (ص ٢٥) عن الجسد انّ النفس تتَّخذهُ كساء ولا « يضرُّ بها ان تجدّدهُ مرارًا متعدّدةً » يشير بهِ

الى مذهب التقمُّص الباطل الذي يزيّفهُ كلّ الفلاسفة . لا بل يجعل غاية التنازع بين الحيوانات التي يفترس بعضُها بعضاً ان تجدّد ارواحُها كساء جسدها فترتقي من حياتها البهيميَّة الى ان تبلغ دور الانسانيَّة » وهذا نوع جديد لتأييد المذهب الدرويني وترقي الحيوان وبلوغهِ الى كمال الانسان !!

فترى مبلغ علم الفرمسون حتَّى عندما يحاولون الدفاع عن الحقائق الطبيعيَّة كوجود الله وخلود النفس يخلطونها بالآراء السخيفة والاقاويل الصبيانيّة

ثمَّ ينقلنا الاخ ••• يوسف الحاج من تلك المقالة الفلسفيَّة الى خرافات جديدة تحت عنوان « الجمعيَّات السرّيَّة القديمة اراد بها العقائد المصريَّة القديمة » نقلاً عن كتاب المذهب الروحاني المطبوع في مصر . فدونك اوَّل هذه المقالة لتعلم سعة علم الماسونيَّة بالتاريخ : « ذهب اكثر العلماء المستشرقين انَّ المصريين اخذوا علومهم وتمدُّنهم عن الهنود وذلك قبل مجيء المسيح بسبعة آلاف سنة قصد مانس وهو احد براهمة الهند ان يفتن البلاد فهاجر وجماعتهُ الى ارض مصر فاعمروها » فبالله عليكم يا علماء الماسونيَّة اعلمونا من هم المستشرقون الذين قالوا ذلك ؟ من هو مانس المذكور ؟ ما هي آثارهُ الدالَّة عليهِ في مصر ؟ . وقس عليهِ بقيَّة هذا الفصل المضحك فانَّ اوَّلهُ يدلّ على بقيَّة دُررهِ الثمينة

ثمَّ في الصفحة ٣٢ ترجمة « الاخ الكونت تولستوي فيلسوف روسيًا ورجل الحقيقة كفى بالنظر الى صورتهِ الغريبة هناك لتعرف « أبا البولشفيين » الذين يذيقون الان مواطنهم الامرَّين . وقد الحق بهذه الترجمة فصلًا بقلم تولستوي دعاهُ « الضمير الحيّ » وانَّما اراد بهِ ان يبغّض السلطة الى الشعب وينسب الى القيصر ما يحدث من الوقائع الشائنة ليثير عليهِ الخواطر . وهذ ايضاً مما يوافق الروح الماسونيَّة

ومن الفصول التي لم نتعرَّض لها فصل « الرموز الماسونيَّة » (ص ٢) يدَّعي فيها الاخ ••• يوسف الحاج انها نوع من العلوم الفلسفيَّة . ونِعْم العلوم وبينها التهاويل الماسونيَّة التي وصفناها في كتابنا « السرّ المصون » كالحراب والسيوف والمطارق وهياكل الموتى وجماجمهم والتوابيت والصدر المكشوف للخناجر والرأس المظلَّل بالسيوف والنار المشعلة تحت انف الطالب والكأس ذات الشراب المرّ والسلَّم المعلّق بالهواء . فهذه هي علوم الماسونيَّة الفلسفيَّة فما احراها بهم وما احراهم بها !

امّا القانون الماسوني الذي ختم به المجلّة (ص ٤٠) في ١٥ بندًا ثم ما نقلهُ عن الدستور الماسوني في ظهر الغلاف فلا يصعب على احد نسبتهُ كلّهُ الى غير النفاق والشعوذة بعد ما قلنا سابقاً . فهذه خلاصة الوقائع الماسونيّة وباكورة اعمال ابناء العشيرة فان شاء الله لا يحرموننا من دراري اقوالهم مرّة اخرى ولا يحصرون كنوزها بين الاخوان !

---

# كشف الظنون عن حال الفرمسون

لمحمَّد علي بن علي بن محمَّد عزّ الدين الشامي العامليّ

هذه الرسالة صنَّفها كاتبها سنة ١٢٨٨ هجريَّة ثمَّ اعلن بها سنة ١٢٩٠ (١٨٧١–١٨٧٣) لمَّا ابتدأت الحركة الماسونيَّة تنتشر في بيروت وبعض انحاء الشام . وقد اوقفَنا عليها السنة ١٩١٠ احد اصحابنا المسلمين من جبل عامل – وكنَّا اشرنا اليها سابقاً في كراريسنا السرّ المصون في شيعة الفرمسون (٤: ٢٦–٣٠) ونقلنا عنها نُتَفًا فرأينا ان ننشرها هذه المرَّة بتمامها لفوائدها وخصوصاً لمنفعة المسلمين الذين ينخدعون بهذه العشيرة الناقضة لاركان كلّ دين وسلطان ل . ش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله عالم الاسرار ومُسبل الاستار وصلَّى الله على نور الانوار وصفوة الجبَّار محمَّد وآله الابرار وصحبهِ الاخيار . وبعد طالما وقع النزاع واضطرب الفكر وقضى بالعجب في قضيَّة هذه الطائفة المشهورة بالفرمسون . فمن الناس من يزري عليهم ويتَّهمهم بالزندقة ومنهم من يذبّ عنهم ومنهم الساكت عن حالهم المتحيّر في امرهم . والعمدة في ذلك اخفاء امرهم على وجه لا يمكن الاطّلاع عليهِ الَّا لمن دخل مجالسهم وصار في جملتهم . وانا اذكر لك في هذه الجملة الخفيفة الحكم في ذلك على وجه يريح فكرك ويزيح الهمّ عن قلبك

وتمام الكلام في ذلك يتوقّف على مقدَّمات : احدها انَّهُ لا ينبغي لعاقل ان يتكلَّم بما لا يعلم ولا يزري على مجهول فانَّ ذلك من الجهل المركَّب لانَّ صاحبهُ

يفعل فعلَ العالم وهو جاهل . قال الله تعالى في ذمّ قوم (سورة النساء) : « ما لهم بهِ من علمٍ الَّا اتّباع الظنّ إنْ هم الَّا يظنُّون إنْ هم الَّا يخرصون » وقال تعالى (سورة الاسرى) : « لا تقفُ ما ليس لك بهِ علم انَّ السمع والبصر والفؤَاد كلّ اولئك كان عنهُ مسئُولًا » . وقال عالمٌ لجماعة من اصحابهِ : « ما علمتم فقولوا وما لم تعلموا فها » . واومأ بيدهِ الى فيهِ

(ثانيها) انَّ القيل والقال وهَتك أعراض الرجال غير جائز عقلًا ولا شرعاً الَّا لمظلوم بُغي عليهِ او لإقامة امرٍ دينيّ كالكلام على ضالّ بيّن الضلالة تريد دفعهُ عن ضلالهِ . امَّا عقلًا فلأنَّهُ ظلمٌ بلا داعٍ موجود وكلّ ظلم عند العقل حرام وامَّا شرعاً فلقولهِ تعالى (سورة الحجرات) : « لا يَغتَب بعضكم بعضاً أيحبُّ احدكم ان يأكل لحم اخيهِ مَيتاً فكرهتموهُ » الى غير ذلك ممَّا نصَّتْ عليهِ الكتب السماويَّة وصرَّحت بهِ السنن النبويَّة

(ثالثها) انَّ دفع الضرر المظنون واجبٌ والمحتمَلِ حسنٌ عند العقل . مثلًا اذا وجدتَ في طريقك وادياً وأخبرك مُخبر انَّ فيهِ سباعاً مؤْذية ولـك مناصٌ عنهُ بارتفاعك في سفح او سلوك طريق آخر فانَّهُ يجب عليك العدول عن الوادي الى السفح او الطريق الآخر وهذا دفعُ الضرر المظنون . واذا لم تجد من يُخبرك واحتملتَ ذلك من نفسك فانهُ يَحسن عقلًا سلوك السفح او الطريق الآخر لتحقُّق السلامة وهذا دفع الضرر المحتمَل . (فان قلتَ) أليس من اصولك أصالةُ الاباحة وردّ قول كلّ من يدَّعي التحريم وتروي انَّ كل شيء لك حلال حتَّى تعلم الحرام بعينهِ وكلّ شيء لك مطلق حتَّى يرد فيهِ نهيٌ وبهذا استحللتم قهوة البنّ وشرب الدخان وغير ذلك من الحادثات بعد النبوَّة . (قُلتُ) ولكنَّ ذلك فيما لا ضرر فيهِ بل وفيما لا يُظنُّ فيهِ الضرر بل وفيما لا يُحتمل فانَّهُ ايّ شيء حصل من ذلك يقطع الاصل فلا يجوز أكلُ شيء من الاعشاب التي يُخشى منها السمّيَّة او نحو ذلك من الادواء المضرَّة

(رابعها) ان ماهيَّة هذه الطريقة على التمام لا يمكن ان تُعلم الَّا لمن دخل في ذلك الامر وانتظم في سلكه وانَّما الذي نعرفهُ على وجه الاجمال كما تواتر النقل به عنهم وعن غيرهم انَّ لهم مجلساً يجتمعون فيهِ وفيهِ او في داخلـهِ محلٌّ للسرّ وهو في بلاد الشام موجود في مدينة بيروت فقط وان كان لهم مجالس في غيرها ولكن ليس

فيها محلّ للانتظام في سلكهم غير بيروت الآن (١ فمن اراد الدخول يكتب الى مجلس الجمعيَّة يستأذن فاذا وصلت كتابتهُ سألوا مَن يثقون بهِ منهم او من غيرهم اذ لا يقبلونهُ الَّا اذا كان عاقلًا غنيًّا من ذوي البيوت فلا يقبلون من كان مجنونًا او مغفَّلًا او غير موثوق بهِ في تعقُّلاتهِ ولا مَن كان من السَّفلة ولا من كان فقيرًا لاسيَّما اذا كان يطلب هذا الامر لفقرهِ ولا يلتفتون الى شيءٍ وراء ذلك من مذهب او عدالة او صناعة او غيرها . فاذا شهد عليهِ بذلك جماعةٌ وختَم الشهود على اسمهِ أُذن لهُ فيقدّم قبل دخولهِ مبلغاً من الدراهم قيل اقلُّهُ اثنا عشر ذهباً ثمَّ يُرَسم عليهِ تقديم ذهبٍ واحد كلّ سنة . وهذه الدراهم موضوعة في الصندوق يُعمل بها كباقي البنكات ويُصرَف الناتج في مصالح مجلس الجمعيَّة وفيما اذا احتاج احد من تلك الطريقة وقصدهم بل ربَّما اعطوا مَن استعطاهم من غيرهم على حسب احوال اهل الشيم (٢

ثم بعد دخول هذا المجلس ينقطع العلم عن الذي دخل في الطريقة ولا يُعلم ما يصنع ولا ما يُصنَع بهِ غيٌّ او رشاد صلاحٌ ام فساد واذا خرج وسُئل لا يبدي شيئاً ولو قُطع رأسهُ . فلا ادري أهو مجرَّد امان منهم لكتم سرّهم وهو في غاية البُعد ام لأَيمانٍ او عهود تؤخذ عليهِ او لعمل يربط على قلبهِ ولسانهِ كالرصد او لغير ذلك . ونقل لي جماعة عن بعض ثقاتهم انَّهُ يؤخذ عليهم من الأَيمان المغلَّظة والعهود كلٌّ حسب مذهبهِ ولا يقدر ان يبدي شيئاً من السرّ . ولكن كم سمعنا ورأينا من عهد نُبذ ويمين انتُقض ومجامع تفرَّقت ومواثيق تمزَّقت . نعم هم قد يستحلُّونهُ ويسعون في ضررهِ ولكن ذلك لا يرفع الإشكال فكم دخل في هذه الطريقة مَنْ لا يخاف الضرر من ملك ذي صولة لا يخشى من احد او غريب منقطع لا يدري اين يذهب والله اعلم بحقيقة الحال وكيف كان فلم نرَ لهذه القضيَّة فائدةً سوى ما هو ظاهر من الائتلاف بينهم والتحابّ كما هو شأن اهل الطرائق او ازيد منهُ حتَّى انَّ هذه الطريقة لتسمَّى بالاخوَّية هذا غاية ما اطَّلعنا عليهِ من ماهيَّة هذه الطريقة وغايتها

(خامسها) انَّ هذه الطريقة لم نجد لها اثرًا في الشرائع المقدَّسة ولا كتبها الثلاثة التوراة والانجيل والقرآن ولا في اخبار احد من الرُّسل واوصيائهم . وما يُنقل عن بعض اهل هذه الطريقة من أنها من اوضاع سليمان بن داود عليهِ السلام فلم نجد لهُ

---

١) قال هذا قبل انشاء المحافل المختلفة ٢) الكرَم الماسوني اعزُّ من بيضة الديك .

اثرًا ولعلَّهُ تمويه. على انَّها لو كانت من آثار سليمان لكان ذكرها في الكتب المقدَّسة من اهمّ آثار سليمان وداود المذكورة فيها واهمّ من ذكر إرَم ذات العماد المذكورة في القرآن ومن قصَّة راغوت واستير ونشيد الانشاد المذكورة في العهد القديم . . .

اذا عرفت هذه المقدّمات اتَّضح لديك ان هذه الطريقة مجهولة الماهيَّة لا يُدرى ما كُنهها ولا ما فيها صلاحٌ او فساد ضلالٌ او رشاد وهل هي سحرٌ او شَعْبذة او نحوها من التمويهات او امور حقَّة وحيث الحال ذلك وانَّ اهلها لا يتفوَّهون ببنت شفة ولا يظهرون امرًا من امورهم لغيرهم فلا يجوز الكلام عليهم ولا لهم بوجه من الوجوه لا بقدح ولا بمدح الَّا على ما ظهر منهم (١ كما نعرف ذلك . امَّا القدح فلانَّهُ مجرَّد غيبة وانتهاك عرض بشيءٍ هو مخرَّص وقد عرفتَ المنع منهُ في المقدَّمة الثانية وامَّا المدح فما هو الَّا مجرَّد تكلُّم بما لا يغني وإتعاب اللسان والجنان بما هو رَجم بالغيب يعدّك العقلاء فيهِ مكثارًا تقول ما لا تعلم وتتكلَّم بما لا يُفهم وذلك جهل مركَّب وقد وضح لك قبحهُ في المقدَّمة الاولى . وان بقيت مهتمًّا في اصل القضيَّة يدعوك الوسواس الى الاطَّلاع عليها فان كنتَ تحاول الاطّلاع على كنهها من دون الدخول في سلك اهلها كنتَ محاولًا للمحال كما عرفناكهُ في المقدَّمة الرابعة (١

على انَّك لو أَعرتَني سمعك لأرحتُك فاقول لك انَّهُ لا داعي الى الاهتمام بهذه القضيَّة ولا إتعاب الفكر فيها لأنَّها ليست داعية لامر ديني (٢ فانَّا نرى الداخلين فيها على اختلاف مذاهبهم باقون على ما هم عليهِ من التديُّن بدينهم فقد دخل بيت الفرمسون في عصرنا هذا جماعة من المسلمين والنصارى وغيرهم من الفروق وخرج كلٌّ على ما هو عليه لم يتغيَّر عن حالهِ في الظاهر (٢ من مذهبهِ في التفكُّر في ذلك وطلب النفس اياهُ الَّا من باب «المرء حريصٌ على ما مُنع» وهذا ليس من شأن العقلاء بل العاقل لا ينبغي لهُ ان يشغل نفسهُ الَّا بما يهمُّهُ من امر دينهِ ومعادهِ وشيءٍ يسير هو بلاغ من امر معاشهِ . فنتج من ذلك انَّ إهمالها احرى وترك النظر فيها اجدى على انَّهُ كم من مغطًّى لو كُشف لانكشف عن اضحوكة او مكروهٍ وكم من شيءٍ حقير

١) هذه الظواهر قد تعدَّدت اليوم بما نشروهُ في كتبهم السرّيَّة التي شاعت على الرغم منهم او ضبطت بين ايديهم مع ما كشفهُ المرتدُّون عنها فكاد لم يبقَ شيء محجوب من احوالهم

٢) بل الغالب على الداخلين في الماسونيَّة عدولهم عن الدين ومعاداة الاديان كما اثبتنا

تعظّمهُ الافئدة والابصار للجهالة بكنههِ فاذا عُرف صَغُر وندم طالبهُ على طلبهِ . وان كنت تريد الاطلاع عليها بالدخول فيها والانتظام في سلك اهلها لإراحة الفكر من تعب القلب فعلى رِسلك ما أهونَهُ لولا خطر الطريق

دونك اموراً عقليّة وشرعيَّة يجب ان تعتبرها . امّا (اوّلاً) فلما ذُكر من عدم معرفة ماهيّة الفرمسون وغايتهم وكلّ طالب شيءٍ مع عدم معرفة ماهيَّتهِ وغايتهِ طالبٌ جاهل راكبٌ في ذلك مَتْن عمياء خابطٌ خبط عشواء . (فان قلت) كفى من الفائدة إراحة النفس من تعب الطلب واخراجها من ظلمة الجهل الى نور العلم . (قلتُ) إراحتُها في الإعراض عن الخطر اولى وكلُّ عاقل اذا رأى شيئاً لا يدري حالهُ رأى الإعراض عنهُ اجدر فاذا أدخل فيهِ نفسهُ وكان فيهِ شيءٌ مما يلوم نفسهُ عليه كانت جنايتهُ على نفسهِ واوقعها في أعظم ممَّا فرَّ منهُ . ولقد بلغنا عن بعض عوامّ بداوة العجم انَّهُ دخل السوق ليأكل فعرض عليهِ الطبَّاخ شيئاً من ورق العنب المحشو بالارز واللحم فقال بالفارسيَّة : « اذا لم يكن ثَمَّة حيلةٌ فلا معنى لهذه اللفلفة » . وامّا دعوى اخراج النفس من الجهل الى العلم فهي خدعة وَسْواسيَّة كدعوى بعض الوساوس الى تعليم السِحر والشعوذة وغيرها ممّا يكون فساداً او بطالةً بل تعليمُ أمثال ذلك اجدر بالنفس والقادم عليها قادم على بصيرة بخلاف ما نحن فيهِ

(فان قلتَ) الفائدة ظاهرة وهو تحصيل الاخوَّة والتحابّ . (قلتُ) نعم هذه الفائدة لعلَّها حاصلة ويمكن ان تكون من الاستخدام او الرصديَّة ولكن لا يحسن الدخول لاجلها مع عدم العلم بالماهيَّة والسمّ القاتل في لين الافاعي . ثم نقول زيادة على ذلك انَّ الفائدة تُحصَل بادنى سبب ولا حاجة الى النظم في هذا السلك الذي لا يُدرَى نوعهُ ولا جنسْهُ والدخول في هذا الامر الذي لا يُعرف وجهُ الخروج منهُ . والراعي لا يُورد إبلهُ الّا حيث يعرف مصدرها فما اقبح الانسان الذي اطلق الله سبحانَهُ قلبهُ وجعلهُ وإنْ صغر حجمُهُ ليسع ما في السماوات والارضين ان يغلقهُ ويربط عليهِ ويقصرهُ على جهة واحدة وصحبة شخص واحد او اشخاص احسنوا او اساؤوا !

امَّا (ثانياً) فلمَّا ظهر لك في المقدَّمة الثالثة عدم جواز المخاطرة بالنفس وحسن تجنُّبها عن كلّ ضرر مظنون او محتمَل لاسيَّما وليست هي الّا نفس واحدة . وانت في دخولك هذا البيت مع تصميم اهلهِ على عدم إظهار ما فيه كالداخل على بيتٍ يُحتمَل فيهِ وجود

عقارب تلدغ وحيّات تلسع واسود تبلع فانَّ العقل يأبى دخولهُ وان احتُمل وجود كتب تنفع وثياب تلمع وجواهر تتشعشع . (فان قلتَ) ارى الداخلين فيها عقلاء بل لا يدخل في هذا الامر سوى ذوي العقول ولا اراهم ينكرون على انفسهم شيئاً . (قلتُ) وما يدريك ولعلّهم ابتُلوا فصبروا وأُخذ على قلوبهم كما أُخذ عليها في إخفاء الماهيَّة . على انهُ كيف يصحّ لك ان تتأسَّى بهم لمجرَّد عقلهم وهل يُبتلى بالامور الكبار والداء العضال الَّا العقلاء ؟ وهل تعد ابليس مجنوناً ام تُعدُّ احداً من النصارى والمسلمين وغيرهم من ذوي العقول خارجاً عن حدّ العقلاء ؟ مع انَّ كلّ طائفة منهم تخطِّئ الاخرى ؟وهل ظهور العقل من شخص حاجزٌ عن الخطإ ؟ كلّا لا يقول بهِ جاهل فضلًا عن عاقل

امَّا (ثالثاً) فانَّا نقول لمريد الدخول في هذا البيت عرّفنا مذهبك فان كنت لستَ من اهل الكتب السماويَّة كالملُحدة والزنادقة وعبَدة الاوثان فاصنع ما شئت لانَّ ما انت فيهِ اعظم من كلّ عظيم فاذا اردت الشفاء فداوِ جُرحك الاخطر . وان كنت من اهل الكتب السمويَّة كالمسلمين والنصارى واليهود قلنا لا يسوغ على شريعتك ان تدخل هذا البيت وكلُّ من دخلهُ قبلك من اهل ملّتك غافل عن وجه المنع لانهُ قد يخفى على العلماء منهم فضلًا عن الجهلاء .

ولنتكلم على طريقة المسلمين اوّلًا فنقول انَّ هذا البيت لا يُمنع منهُ احد من اهل النِحَل لنِحلته واكثر اهلهِ من الهند مجوس خارجين عن الملل الثلاث . وحيث صحَّ ذلك وكان هذا البيت ممَّا يدخلهُ الملحد والموحّد فكيف تدخلهُ أيها المسلم اذ لم يظهر لك منهُ الَّا الاخويَّة وهي لا تجوز في مذهبك وقد قال لك ربّك جلَّ وعلا على لسان نبيك عم (سورة الممتحنة) : «ما جعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودَّة» . وايضاً اذا حصل جهاد دخلتهُ ما تصنع لو تواقف الصفَّان من المسلمين والمشركين وكنتَ في صفّ المسلمين وكان في صفّ المشركين او بعضهم ممن دخل هذا البيت فان قاتلتَهم بطلت الاخويَّة التي لا فائدة لك غيرها وان لم تقاتلهم ورميتَ سلاحك تركتَ مذهبك الذي اوجب عليك الجهاد وكتابك الذي يقول (سورة التوبة) : «قاتلوا المشركين حيث وجدتموهم» . وايضاً اذا فعل اخوك المسلم ما يوجب الحدّ من زنى او سرقة او قتل وامرك إمامك وسلطانك بجَلْدهِ او قطع يدهِ او قتلهِ وكان

ممَّن دخل هذا البيت فما تصنع ? ان فعلت بطلت الاخويَّة وان تركت خالفتَ وليَّ امرك الذي قال لك الله في حقهِ (سورة النساء) : « أطيعوا الله ورسولهُ وأولي الامر منكم »وربك الذي قال (سورة النور) : « الزاني والزانية فاجلدوا كلَّ واحد منهما مائة جلدة» وقال(سورة المائدة) : «السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما والنفس بالنفس» . وغير ذلك ممَّا وجب عليك من اقامة الحدود . وايضاً اذا دعاك الاخ الفرمسوني لطعامهِ وكان ممَّن يبيح لحم الخنزير وشرب الخمر وغير ذلك مما لا يباح لك في مذهبك ولم يكن في السفرة طعام يُباح لك فان لم تُجِبْهُ فاين الاخوية وان اجبتهُ تركت دينك وخالفت شريعتك

ولو اردتَ ان اسرد عليك هذا واشباههُ لطال المجال واتَّسع المقال وفيما ذُكر مُقنعٌ لكل ذي بال . (فان قلتَ) لعلَّ مبني هذه الاخويَّة على الامور الدنيويَّة واَمَّا الدينيَّة فلا بل يبقى كلٌّ على ما يوجبهُ مذهبهُ والمسلم لا يناكح المشرك ولا يأكل ممَّا حُرم عليهِ في مذهبهِ ولا يُصلي بصلاتهِ ويقاتلهُ على الدين ويقطعهُ ويقتلهُ للحدّ الى غير ذلك وبالعكس . (قلت) على ذلك تكون الاخويَّة جعليَّةً اصطلاحيَّةً والمحبَّة ظاهرةً قشريَّة لا تستأهل خسارة مال ولا دخول في مجهول ولا اتعاب فكر ولا غير ذلك ممَّا يوحش قاصدي هذه الطريقة ومثل هذا يحصَّل باقلّ من ذلك ولا كلفة ولا استيحاش . فانَّ ما هو حاصلٌ بين جملة من الدُّول في عصرنا هذا من المدنة والتحابّ والغيرة على بعضهم بعضاً والاتّحاد حتَّى كأنَّ الجميع دولةً واحدة آكدُ من الاخوَّة الفرمسونيَّة على هذا التقدير ما عدم اخفاء شيء من الامور موجب التهمة وشغل الفكر والمودَّة الحاصلة من اهل كلّ دين مع بعضهم بعضاً بل اهل كل بلاد بل اهل كل جامع من حرفة او عمل آكد وآكد

وبالجملة ايها المحمَّدي قل ما شئت وقدِّرْ ما اردت ان كانت هذه الاخويَّة على النحو السابق فهي تُبيح حمى الشريعة والخروج عن جملة من احكام الله الذي انزلها على لسان نبيّهِ صلعم وآلهِ فان قصدتَها وادخلتَ نفسك فيها خالفتَ بل ألحدتَ ولا خَيْرَ بخيرٍ بعدَهُ النار ولا شرَّ بشرٍّ بعدهُ الجنَّة . وان كانت على النحو الثاني ذهب تعبك ضياعاً ولا ادري لك فيها فائدة وهل هي اذ ذاك الّا مُداهَنة ومحبَّة كاذبة ودعوى غير صائبة ويا ليت شعري هل تريد شرفاً وعزّاً يزيدك عن شرف

الاسلام وعزّه او اخواناً غير مَنْ تصطفيهم للدين. ولعلّهُ قد يجول في خاطرك ما لو اردت ابداءَهُ لتقطّعت نفسك حسرات بل خفت من الحيطان وقلت: لها آذان. وارتعت من شعارك ودثارك. وليلك ونهارك. وهو انَّ الزمان قد خان. وخلا المكان من الخلّان والاخوان. والملوك لا يعبأون بالصعلوك. والعمّال في اغفال والقضاة مشتغلة بالرشوان والناس عبيد الدنيا والفخار. يدورون مع الدرهم والدينار. والدين في السباق يلفّ الساق بالساق لم يبقَ منهُ الّا صبابة كصبابة الماء في قعر الاناء وذبالة جفَّ عنها الدهن فيُحتاج في حفظ الجاه والعرض والمال والدين الى مداهنة الشياطين فضلًا عن الاناسين والدخول الى بيت محظوظ عاقل او مجنون فضلًا عن بيت الفرمسون الذي شرّفهُ الملك بابليون وغيرهم ممّن يقومون في العزّ ويقعدون ويرتعون في الشرف ويمرحون. (فاقول لك) لا الومك لو عرفت الماهيّة وامنت الغائلة وذلك موقوف على الدخول والدور باطل عند اهل المعقول. وقد جاء في آثار النبوّة: « دع ما يريبك الى ما لا يريبك» وجاء ايضاً: « حلالٌ بيّن وحرام بيّن وشبهات بين ذلك فمن ترك الشبهات أَمن من الهلكات». وجاء ايضاً: « اخوك دينك فاحتَطْ لدينك » ومن حكم الشعر:

ونفسك فاكرم عن امور كثيرة فما لك نفسٌ بعدها تستعيرها

على انَّ ما شكوتهُ من احوال الزمان هيّن عند اهل الهمّ واظنُّك منهم وما مصائبهُ عندهم الّا خدش. انظر الى قائدهم كيف يقول:

فبات يريني الخطبَ كيف اعتداؤهُ وبتُّ أُريهِ الصبرَ كيف يكونُ

والى قول الاخر:

فيا نفسِ قرّي انمّا الدهر ساعةٌ ويا دهر هوّنْ حسبك الموتُ ميدانا

وهل الدنيا الّا دار زوال واهلها كركبٍ عرّسوا ساعةً ثمَّ ارتحلوا

دع الدنيا ولا تركن اليها فزخرفُها سيذهبُ عن قليلِ
وان ضحكت بوجهك فهو منها كضحكِ السيف في وجهِ القتيلِ

ولا آلوك نصحاً دَعْ طلب الجوهر من الباعة المكّاسين في الاسواق بالاثمان الغالية الكاذبين عليها لنفاقها واطلبها من معادنها ومن يُعطيها مجّاناً اجلُّ عليك وارفع للتهامة عنك وارفق بك واوثق لك. اطلب الشرف والعزّ من الله الذي لا يمنع سائلًا ولا يبخل بنائل ولا يمنّ على عطيّة فلقد قال وهو اصدق القائلين (سورة آل عمران):

«ومن يُرِدْ ثواب الدنيا نؤتهِ منها . ومن يُرِد ثواب الآخرة نؤتهِ منها» . وقال جلّ وعزّ (سورة الطلاق) : «ومن يَتَّقِ الله لا يجعل لهُ مخرجاً ويرزقهُ من حيث لا يحتسب ومن يتوكّل على الله فهو حسبهُ انّ الله بالغُ امرهِ قد جعل الله لكلّ شيءٍ قدرًا » وقال عزّ وجلّ من قائلٍ (سورة العنكبوت) : « والذين جاهدوا فينا لنهدينَّهم والله مع المحسنين »

وحيث عُرف الحال على طريقة المسلمين فاعلم انّ مثلهُ جارٍ في اهل الكتاب من النصارى واليهود فانّ اقامة الحدود ونحوها من الاحكام في الحلال والحرام والموالاة في الله والمعاداة في الله ممّا يشترك فيهِ الجميع وان اختلفوا في الماهيَّات والشروط . والتوراة والانجيل لاسيَّما الاولى مملوءان من ذلك ان اردتَهُ فراجعها خصوصاً في سفر الاحكام من التوراة بل احكام التوراة اصعب من احكام القرآن . ولولا خوف الملل لأوردتُ عليك جملةً من ذلك . وكذا ما دلّ عليه العقل من عدم جواز المخاطرة بالنفس والدخول في مجهول وحسن تجنُّب ما يُظَنُّ فيهِ الضرر

ثمّ اقول لليهوديّ : اذا كنت ممَّن دخل بيت الفرمسون وجاءَك بعض من دخل هذا البيت مسلم او نصراني او مجوسيّ ودعاك يوم السبت الى مهمٍّ او عمل لا يمكن تأخيرهُ عن ذلك اليوم فان لم تُجِبْهُ فسدَت الاخوّة وان اجبتَهُ عطّلتَ سبتك وهتكتَ دينك . وعلى هذا قِسْ غيرهُ من الاحكام المختصَّة باليهود . فان قلت ليست اخوَّةٌ توصل الى ذلك قلنا لك ما قلناهُ للمسلمين حرفاً بحرف

واقول للمسيحيّ : اذا كنتَ في صفّ القتال وامرك البطريق وكان بين العدوّ بعض من دخل هذا البيت فان قاتلتهُ بطلت الاخوّة وان تركت وخالفتَ رئيس مذهبك الذي تطلب خلاص نفسك بطاعتهِ نقضت دينك . وعلى هذا تُقاس بعض الاحكام التي تختصّ بالنصارى وممّا تقدَّم ثبت انهُ واجب على المسيحيّ ما يجب على المسلم واليهوديّ من التوقّف عن الدخول في هذا الامر المجهول وسبحان واهب العقول . والحمد لجلالهِ اوّلا وآخرًا وظاهرًا وباطناً وصلّى الله على انبيائهِ ورسلهِ وتابعيهم الى يوم الدين آمين

وكان ختام هذه الرسالة البديعة عصر نهار الجمعة ثاني شوّال المبارك سنة ١٢٨٨ (١٨٧١) والحمد لربّ العالمين وصلّى الله على سيّد المرسلين وآله الاطيبين

# مسألة البترول

نظر تاريخي واقتصاديّ للاب رفائيل نخله اليسوعي

منذ سيّر الاميركي فلتن (Fulton) في سنة ١٨٠٧ الباخرة الاولى على نهر هُدْسُنْ (Hudson) حتى غرَّة الجيل العشرين بقي الفحم على اختلاف انواعهِ الوقودَ السائد استعمالُهُ في كل بحريّات الدول الراقية . امَّا في عصرنا هذا ابي العجائب والغرائب فقد جاراه رصيفٌ قديرٌ حديث النعمة ومع ذلك كبير الحظوة لدى اعظم الامم أَلَا وهو البترول الذي اصبح اليوم من اخطر مواضيع السياسة والاقتصاد السياسي وقد غدت طُرق اقتنائهِ بكمّيات وافرة في مقدّمة هموم الحكومات العظمى . ومأربنا في هذه المقالة القاء نظرة سريعة على الحوادث التي افازت رصيف الفحم بمقامه السامي وشهرتهِ الطائرة

## ١ لمعة من تاريخ البترول

كان اكتشاف اوَّل آبار البترول في اميركة سنة ١٨٥٨ . وحول هذا العام شرعت بعض مُدن رومانية وفي مقدمتها بكرش باستخدام البترول للاستنارة وكان ذلك غريباً جديدًا في ذلك العهد . ومن سنة ١٨٦٠ الى سنة١٨٦٣ بعد فتح الروس للقوقاز اكتشفوا منابع بترول في غاية الاتساع بشبهجزيرة أبشرون (Apchéron) على الضفّة الغربية من بحر قزبين او بحر الخَزَر فباشروا تعدينها بهمّة قعساء . ولم يمضِ على ذلك سنون قليلة حتى انتشر بترول مدينة باكو في كل البلاد المحيطة بالبحر المتوسط وما عتَّم ان خلف فيها الزيوت النباتيَّة في استنارة الافراد اعني البيوت الخاصَّة دون الشوارع والطرق العامّة . وكان سبب رواجهِ العظيم شديدَ رُخصهِ . ومن نحو عشرة اعوام اكتُشفت ينابيع هامّة في المكسيك . ويوجد مثلها على جانبي جبال لُورِسْتان الواقعة تقريباً على الحدود بين ايران وتركية وهي التي اثارت مطامع انكلترة فحدت بها الى نشر نفوذها بل حمايتها على بلاد العجم وما بين النهرين ولا مطمح لها في كل ذلك سوى ان تجعل تعدين آبار البترول بين ايدي رعاياها دون سواهم . ففي سنة ١٩٠٩ تأسّست في ايران بسعي الحكومة البريطانية شركة البترول الانكليزي

العجمي (Anglo-Persian Oil) وفي سنة ١٩١٤ في ما بين النهرين شركة البترول التركي (Turkish Petroleum C°) التي لانكلترة فيها حصّة تُذكر

ومن العجب العجاب ان البترول على حداثة عهدهِ بلغ في بريطانية العظمى مكانةً سامية جعلتهُ في السنين الاخيرة يقوم مقام الفحم بكل سفن الاسطول الانكليزي تقريباً . والالمان تهافتوا على البترول من سنين عديدة ولا تهافُت الجياع على القصاع بل كان لهم القدح المعلى في آبار غاليسية ورومانية وروسية وما بين النهرين . امّا فرنسة فلم يدرك فيها للآن مثل تلك الحظوة ولو ان استعمالهُ لا يزال ينتشر فيها يوماً فيوماً بحيث لا يحوم شكّ على كونه يسُدّ فيها مسدّ الفحم في مستقبل قريب

هلُمّ بنا الآن انستقري على جناح السرعة تاريخ البترول بفرنسة للاستفادة بما فيهِ من العِبَر لكل معتبر . كان امتحانهم لرصيف الفحم على الاقل سنة ١٨٦٤ في مَدْفعيَّة نهريّة فرنساوية رست عند شاطئَي نهر السين في باريس فتقاطرت الجماهير لتشاهد هذه البارجة الظريفة الغريبة بوقودها المبتكر . وفي سنة ١٨٦٩ أُحميت مراجل بعض القاطرات بالمازوت فأسفرت هذه التجربة عن نجاح كامل على مثل السابقة . والمازوت هو مادة لزجة ثقيلة يُخلفها البترول بعد التهاب عناصره المتطايرة المستخدمة في محركات السيّارات والمعروفة في فرنسة باسم خلاصة البترول ( essence ) وقد سطعت للعيان في الاختبارين السابقين افضلية البترول على الفحم المبنيَّة على المزايا الآتية : سهولة الاحماء وسرعة تحويل الوقود الى حالة الضغط المحرّك وزيادة الحرارة الناتجة عمَّا تكون مع الفحم وقلّة المكان الذي تقتضيه ذخيرة البترول واخيرًا تقليل عدد الأُجراء المستخدمين في احماء المراجل ولاسيّما في نقل كمّيَّة الوقود اللازمة الى عنبر البواخر

اجل ان تفوُّق البترول انجلى اوانئذٍ اتمّ جلاء . فما الذي حال اذن دون قيامهِ مقام الفحم في سفن الاسطول الفرنساوي ؟ لذلك سببان كلّ منهما اوهى من خيط العنكبوت : (الاول) استنبطه لترويج مصالحهم الشخصية آلافٌ من ارباب مناجم الفحم ومديريها ومهندسيها وعَملتها وهو ان فرنسة غنيَّة بالفحم لكنها فقيرة بالبترول فكيف تسحب يدها من كنوزٍ مكنوزة امامها لتمدّها الى البلاد الاجنبيَّة مستعطيةً

منهـا بنفقات هائلة كميّات الوقود العظيمة التي لا غنى عنها . وقد زاد ذوو الغايات هذا الخطر الوهمي روعـاً حيث طبّلوا وزمّروا مكرّرين على أسماع الملا النغمة الآتية: لو حدا الجهل والتهوّر بوطننا العزيز الى اتخاذ البترول رسمياً بصفة الوقود الوحيد فما اسوأ ما يكون مصير فرنسة وما اهولَ ما يغدو صحوُهـا من نشوتها المتمادية اذا نشبت بها حربٌ عوان وضرب الاعداء نطاق الحصار حول كل شواطئها ليمنعوهـا عن التموّن بالوقود الضروري لأسطولها بل ولوقاية حياتها الاقتصادية ؟

امّا السبب الثاني الملفّق لمناهضة البترول فهو ادّعاء كون شدّة قابليّتهِ للالتهاب خطرَ حريقٍ دائم . وقد راجت سوق هذا المدَّعي الى حدّ انهُ دخل في تعليم المـدارس البحريَّة . والحقّ يقال ان البترول المُجرّب في ذلك العهد اعني نحو سنة ١٨٧٠ كان وارداً من اميركة ومحتوياً حتى ٧٢ جزءاً في المائة من الموادّ المتطايرة القابلة الالتهاب . وزد على ذلك ان السفن عموماً والبوارج خصوصاً كانت يومئذٍ من خشب يُوطّده في داخل المركب بناء من حديد يُشبه هيكل الجسم البشري المجرَّد عن لحمهِ . والحالة هذه لم يكن خطر الحريق وهمياً بل من ارهن الحقائق . ولكنّه كان يمكن تخفيفهُ في نفس ذلك العهد لو استجلبت فرنسة عوضـاً عن البترول الاميريكي بترول باكو المحتوي ٣٣ جزءاً في المـائة ليس الّا من الموادّ المتطـايرة السريعة الالتهاب المناسبة للاستنارة المُخلفة بعدها راسباً اسمه مازوت (mazout) صالح لاحماء المراجل لا يلتهب الّا بحرارة عالية تبلغ نحو ١٥٠ درجة من القياس المئوي وهو لا يتـأثر بفعل الموادّ المنفجرة . فيتَّضح ان خطر الحريق الذي كان اصحاب الغايات يهوّلون النـاس بهِ كان يتوقّف دَفعُهُ على اختيار اجود وآمن صنوف البترول . امّا خطر افتقـار فرنسة العاريةِ عن الوقود الجديد الى دول اجنبيَّة تموّنها به ما لم يَحُلْ الوغى دون ذلك فلم يكن الّا بعيداً بل طفيفاً . واليك شاهدين جليَّين على حكمنا هـذا : الاول ان بريطانية العظمى الخالية هي ايضاً من البترول لم تكترث بذلك الخطر الموهوم بل قرّرت وجوب استخدام المازوت في بوارج اسطولها وهي ملتزمة باستيراده من الخارج بكمّيات عظيمة . والثاني ان الدول الاتفاقيَّة بل والدول المركزية استطاعت اثناء الحرب الاخيرة استجلاب مِيَر وذخائر لا تحصى من وراء البحار رغمـاً من المصاعب الشديدة والاخطار الهائلة

وعلى كلّ حـال فقد نجح ذوو الاغراض بفرنسة سنة ١٨٦٥ في تمويه الحقيقة على اهل الربط والحلّ وأوهموهم بان العدول عن الفحم والإقبال على البترول. لمن اكبر المهالك لحياة الامّة. ومن جهة اخرى كان حينذاك ارباب السلطة والنفوذ بالبحريّة الفرنساوية في شغل شاغل بنقل الجنود من وطنهم الى المكسيك حيث دارت رحى الهيجاء فلم يضعوا امر البترول موضع الاهتمام. ثم زاد الطين بلّة بنشوب الحرب السبعينية الوخيمة العواقب لفرنسة كما هو مشهور. فبقي امر البترول نسياً منسياً الى عهد ظهور الغوّاصات

فانها لم ترَ بُدًّا من استخدامه حيث استحال عليها حفظ المداخن(١. وقليلاً بعد ذلك دخلت سنة ١٨٩٠ السيّارات المحملة هي ايضاً بالبترول (٢ في ميدان طرق المواصلات السريعة وحازت فيه بمدّة يسيرة قصب السبق حتى انك تكـاد لا ترى سواها الآن في كل الولايات المتحدة واعظم المدن الاوربيّة. فراجت سوق البترول أيّ رواج بعد طول كسادها وكان لذلك الاقبال خير وقع في البحرية الفرنسوية الساهية منذ نحو ثلاثين سنة عن حلّ مشكل الوقود حلًّا علميًّا مُرضياً من كل جهة. واخيراً جاء منهضاً ايّاها من سنتها فنُّ الطيران بترقّيه العجيب السرعة خصوصاً منذ سنة ١٩٠٨ ومآثره العديدة الفتانة ومحرّكاته التي هي نسيج وحدها لجمعها بين غاية القوة ومنتهى الخفّة. ومعلوم لدى القـاصي والداني ان وقودها البترول او ما ضـارعَهُ من الموادّ المتطايرة الملتهبة. ومع تلك العِبَر الفصيحة الحاثّة لهممها كانت البحرية الفرنساوية شديدة التعلّق بعوائدها وتقاليدها الآمرة بالمحافظة على الفحم مهما تكـاثر عدد خصومهِ. فتأمل يارعاك الله كم تحول عادةٌ متأصّلة ولو غير معقولة دون التقدّم المادّي والادبيّ! وفي النهاية قرّ رأي زعماء الاسطول بعد التيّا والتي على اعادة التجارب في اواخر الجيل المنصرم ليس على البترول وحده بل مرشوشاً بشكل قطرات دقيقة للغاية على الفحم

---

١) الغوّاصات الاولى وفي مقدمتها غوّاصة المهندس زدِه (Zédé) المصنوعة سنة ١٨٨٦ كان محرّكها في حين الغوص الخزّانات الكهربائيّة (accumulateurs) لكن الاختبار اوضح افضليّة البترول عليها من عدة اوجه

٢) اول محرّك بالبترول للسيّارات اتى بنتائج مُرضية هو الذي ابتكره دَيْملر (Daim-ler) سنة ١٨٩٠

المتأجج وقد أُطلق على هذه الطريقة اسم الاحماء المختلط (chauffe mixte) . فأفرغ صانعو المراجل جعبة قرائحهم في تجهيزها بمراش البترول على النمط المذكور غير ان مساعيهم ذهبت ادراج الرياح حيث لم تأت بالفائدة المطلوبة . فاعرضت البحرية عن الاحماء المختلط الذي ابلغته بعد ذلك انكلترة الى اوج الكمال فعمد ذوو الهمة في البوارج الافرنسية الى تجربة المازوت وحده واقبلوا عليه بعد النجاح التام . فلما شبّت نار الحرب الكونيَّة كان لفرنسة عِدَّة سفن خفيفة مُحماة بهِ ليس الَّا والكيلغرام منه ينتج ١٣ ضِعفاً من البخار . ولكن المراجل بقيت هي هي كما كانت في عهد الفحم ولم تُستخدم المحركات ذوات الالتهاب الباطن المغنية عن المراجل والجاري استعمالها في السيَّارات والطيَّارات الَّا في الغوَّاصات حيث لا مندوحة عنها فيها

اما سواد الشعب فانهُ لم يعبأ بمُشكل البترول حتى الحرب العظمى بيد انَّهُ شرع يُعيرهُ بالًا بل يتأثر من خطورته وصعوبة حلّهِ يومَ ادرك مسيس حاجة الجيوش الذائدة عن حياض الوطن الى ذلك الوقود الجوهري لتسيير الطيَّارات والسيَّارات وعرف العقبات الكؤودة الحائلة دون استجلابه من اميركة او من غيرها الناجمة خصوصاً عن نشاط الغوَّاصات الالمانيَّة الضاربة في ذهابها وايابها المتواصل نطاقَ حصارٍ حول كل الشواطئ الفرنساوية . وزادت قلقَ الجمهور ندورةُ بترول الاستنارة وغلاؤهُ الفاحش ثم الشكوى التي بلّغتها قيادةُ الجيوش العليا في سنة ١٩١٧ الى الحكومة بسبب ازمة البترول الوخيمة العواقب وكون المؤونة الشهرية المعيّنة بقدر اربعين الف طُن (!) لا تفي بهذه الكميّة التي لا غنى عنها . وكانت علّة هذا التشويش الخسارة العظيمة الملتزم باحتمالها منذ شهر آب سنة ١٩١٤ الاتحاد الفرنساوي لمستوردي البترول من الخارج وقد تعهّد بازاء الحكومة منذ نشوب الحرب بتموين الجيوش . وخسارتهُ ناجمة عن صعوبة النقل البحري وغلائهِ وتعسُّر الدفع بالدولارات الاميركة . وعلى إثر تلك الحوادث المزعجة المؤلمة اخذت الحكومة على عاتقها مسؤولية هذا التموين الحيوي (١ والتمست لاجل ذلك من الرئيس ولسن ان يبذل جهدهُ ويُعمل نفوذه الواسع في امدادها بكل ما تحتاج اليه من هذا الوقود . فلبَّى دعوتها بأريحيَّة

١) كان للجيش الفرنساوي في آب سنة ١٩١٤ ١٦٠ سيّارة نقل فاصبحت ٨,٥٠٠ سنة ١٩١٥ و٧٠,٠٠٠ سنة ١٩١٨ . وكان له ١٣٢ طيَّارة فصارت ٤,٠٠٠ ثمَّ ١٢,٠٠٠

شريفة وفي تموز سنة ١٩١٨ شكّلت فرنسة لجنة البترول ورأست عليها المسيو برانجه من مجلس الشيوخ . وناهيك بكل تلك الشؤون شواهدَ على فائق خطورة مشكل البترول في عين فرنسة اثناء الحرب الكونيَّة ! فصحَّ قول لورد كرزن : « ان الحلفاء ساروا الى الظفر على امواج البترول »

وبحسن عناية لجنة البترول ومحكَم نظامها رُتق فتق الامور فقرَّرت الحكومة في تشرين الثاني سنة ١٩١٧ تموين الجيوش كل شهر بـ ٥٥،٠٠٠ طن من الخلاصة اي البترول المصفى و ٢٥،٠٠٠ من البترول المعتاد او الخام وقد رفعت في كانون الثاني سنة ١٩٢٠ هاتين الكميَّتين الى ٦٠،٠٠٠ طن من الاول و ٥٥،٠٠٠ من الثاني . امَّا الاسطول المعتاد من قبل الحرب على التموّن بنفسه فكان من باب الاقتصاد خصّص سفينةً لاستجلاب البترول اللازم له من باطوم ميناء القوقاز الواقعة في شرقي البحر الاسود او من قُسطنطنة الثغر الروماني على ضفَّة ذلك البحر الغربيَّة او لدى الاقتضاء من الولايات المتحدة والمكسيك . فسارت اموره على قدمٍ وساق وشرع في انشاء مستودَعات عظيمة للبترول في موانئ فرنسة دفعاً للمحاذير الناتجة عن قلّة أَمن النقل البحري . وقد جاءت هذه المشاريع باشهى الفوائد فقُرّر انشاء مستودعات اخر في بعض ثغور ابعد المستعمرات تعميماً للمنفعة وقد جرى ذلك الآن في الموانئ الآتية : دَكار ( سينغال ) — فوردُفرَنس ( عاصمة مرتينيك ) — دِياغو سُوَارس ( في شمال مدغسكر ) — سيغون ( عاصمة الهند الصينية الفرنساوية ) — نُومِيا ( عاصمة كالِدونية الجديدة ) — پپايتي في جزيرة تَيْتي (Taïti) عاصمة المستعمرات الفرنسوية في اوقيانية

ولما هالت فرنسة الخسائر الفادحة والاخطار الدائمة المسبّبة لها من الغواصات الالمانية منذ اواخر سنة ١٩١٤ زادت في اسطولها البوارج الخفيفة المحماة بالبترول زيادة عظيمة فأدّت هذه لها خدماً لا تحصى سوف يُقدّرها القرّاء قدرها حين تأتي المقابلة بين الفحم ومُزاحمهِ

من البديهي ان الرواج العجيب الفجائي الذي فاز به البترول في الجيش والاسطول الفرنساوي طول سني الحرب الضروس بل وبعدَها كانت بخسَت قدر الفحم ايَّ بخس وحطّت من مكانته في اعين الحكّام والرعايا . ولعلّ الطامّة الكبرى بل الضربة القاضية له بفرنسة ازمة الفحم المستفحلة في العام المنصرم ولا تزال بلاد كثيرةٌ تحت

ثقل وطأتها . واخصُّ دواعي تلك الازمة هي كما لا يخفى من جملة اعتصابات عملة المناجم في انكلترة وشدة صعوبة النقل على السكك الحديدة وعلى الانهر نفسها بفرنسة وغيرها . كان ملايين من الفرنساويين يستضيئون بالبترول قبل سنة ١٩٢٠ بيد انه لم يدُر على خلَدهم تعميم الاستدفاء به واحماء عدد لا يُحصى من مراجل الصناعة الكبرى والوسطى بهذا الوقود الثمين . فما اشدَّ ما كانت دهشتهم يوم أَعلن وكيل الحكومة العامّ في تموين البترول الى سكان باريس وضواحيها انه مستعدّ لإمداد الملّاكين وارباب المصانع بكل ما يلزمهم من هذا الوقود بل حثَّهم بمزيد الجدّ على إبدال مراجلهم المحماة بالفحم بغيرها موافقة لاستخدام البترول لعظم فضلهِ على الفحم

وقد حان لنا الآن امعان رائد النظر العميق في المزايا العديدة التي تجعل السبق للبترول على سلفهِ بمراحل رغماً من رواج سوق قرنهِ طول الجيل الماضي تقريباً دون ادنى مزاحمة يُعتدّ بها . اما اللمعة التاريخية الآنفة فهي برهان ضمنيّ جليّ على افضليّة البترول فضلًا عن كونها طافحة بالعِبر المفيدة ولعلّ خلاصتها شدّة صعوبة استئصال العوائد القديمة ولو عاكست تيّار التمدّن والترقي معاكسةً بيِّنة . فلا بدّ والحالة هذه من حدوث حوادث جلّى وانقلابات خطيرة تفتح عيون القوم المُصِرّ على حفظ تلك الفوائد المضادَّة لرُقيّه

## ٢ فضل البترول على الفحم

ان استخراج البترول من آباره اهون وارخص كثيرًا من استخلاص الفحم في مناجمه . حسبنا شاهدًا على صعوبة هذا وفرط نفقاتهِ ان تعدين الفحم يستلزم جيشاً جرّارًا من المعدّنين فهم يُحصَون بمئات الآلاف في فرنسة وغيرها من البلاد الغنيَّة بالفحم ! زد على ذلك ان بئر المَنجم ودهاليزَهُ البالغ مجموع طولها في كثير من الظروف عشرات كيلومترات يقتضي انشاؤها ملايين من الفرنكات ولاسيَّما انها محتاجة الى تخشيب غاية في الغلاء (١ ومتى استُخرج الفحم من احشاء الارض يلزم انتقاؤهُ ثمَّ غسله وذلك

١) الخشب اللازم لذلك يَرد عادةً من اقطار اوربة الشمالية ولاسيَّما نروج . ولذلك رأينا الغوّاصات الالمانية تطارد اثناء الحرب السفن الشراعيَّة والبخارية الذاهبة من نروج الى انكلترة موسوقةً بالاخشاب الضرورية للمناجم البريطانية . ومن جراء تلك المطاردة نقص انتاج الفحم الانكليزي نقصاً هاماً

امرٌ طويل كثير النفقة . ثم ينبغي نقله من اعماق المنجم الى السفن او الشاحنات ومتى بلغت نهاية سيرها يلزم نقله ثانيةً منها الى محلّ استعماله . وهاتان العمليّتان ارخص بدون قياس في البترول منهما في خصمهِ كما سترى . اخيرًا ان احماء المراجل بالفحم يقتضي تواتُر إدخالهِ فيها بعكس ما يحدث في البترول حيث يكفي صبُّه في انائهِ مرَّةً واحدة ليوم كامل بل لايام عديدة . ومن هذا الوجه لا غير امكن في بعض الظروف الاستغناء عن ٩/١٠ العمّال السابقين . زد على كل تلك عوائق الفحم وجوب تنظيف المراجل المتواتر الوعر المسالك الكثير المصاريف

امَّا البترول فلا تجد في استخراجهِ واستعمالهِ ادنى اثر للعوائق المذكورة . فلا حاجة هنا الى بذل قناطير مقنطرة من الاصفر الرنان لحفر منجم يضاهي في عين المتبصّر مدينةً تحت الارض . يكفي هنا حفر بئر ضيّقة القطر فإمّا ينبجس البترول من فوهتها وامّا يُدفع اليها بالمضخّات وعلى كلا الحالتين فلا حاجة لسوى نفر قليل من العمّال . واذا طلبتَ حجّةً دامغة على قولنا هذا ضربنا لك بصفة مثل بئرًا في المكسيك يُستخرج منها يوميًّا مائة الف برميل من البترول وهناك اقلّ من خمسين عاملًا — امَّا نقل البترول الى معامل التقطير فانهُ يتمُّ بالقنوات والمضخّات كنقل ماء الشرب وغاز الاستنارة وفي ذلك الاسلوب ما فيه من السرعة والرخص الواضحين . وفي اميركة اليوم قنيّ يُقدَّر الآن طولها بـ ٤٦٬٠٠٠ كيلو متر اعني نحو مرَّة وسُدس طول دائرة الكُرة الارضيّة . امَّا قُطرها فيتراوح من خمسة الى ثلاثين سنتيمترًا . والمضخّات المُصعِدة للبترول من جهة منخفضة الى اخرى عالية والمسهّلة لسيله تراها هناك متتابعة والبون الفاصل بينها يختلف من ٢٥ الى ٣٠ كيلومترًا . وتُستخدم في الشتاء مثلًا محطّات لاحماء وتسييل ما يجمد منهُ بسبب الزمهرير . والبترول المصفّى في معامل التقطير تنقله الى كل اصقاع الولايات المتحدة نحو ٦٠٬٠٠٠ شاحنة مصنوعة على شكل خزّانات وما يُصدَّر الى الخارج تُوسَق بهِ سفن خاصّة اطلق عليها اسم السفن البتروليّة . لكن الولايات المتحدة تستهلك من البترول ضِعفي ما يفي اليوم بحاجة كل بقيّة اقطار المعمور !

ونذكّر القراء بهذه المناسبة ان المتموّل الشهير رُكفلر لُقّب ملك البترول وان المزاحمة شديدة بين شركتهِ الجبّارية المسمّاة ستاندرد أيل (Standard Oil)

ورصيفتها الانكليزية المدعوّة رُيَل دُيْتش (Royal Dutch)

فلنَعُد الآن بعد هذا الاستطـراد الطويل الى معامل تقطير البترول . فيها ترى ماكينات يديرها النفر القليل من العمّال تحلّل البترول الخام الى كل اجزائهِ المفيدة من خلاصات (وهي البترول المصفّى) وزيوت التدهين والمازوت والفازلين والپارافين المستعملة في صناعة أنور اصناف الشموع والبقايا الجامدة القابلة الالتهاب وهي تستعمل كوقود في نفس عمليّة التقطير . ثم ان نقل كميّات البترول العظيمة من هذه المعامل الى السفن والشاحنات التي تذهب به الى اقاصي المعمور ايضاً آيةٌ في السهولة وقلّة النفقة بسبب امكان تسييلهِ بالقُنيّ السابق ذكرها . أَجل ان انشاءها يقتضي بذل آلاف مؤلفة من الليرات ولكن متى تمَّ ذلك زالت المصاريف بالكليّة او كادت بخلاف ما يحدث في نقل الفحم كما يلوح لكل ذي عينين

ونُعلم القرّاء بهذه المناسبة انَّ في نيّة فرنسة انشاء قنيّ البترول من هڤر (Le Havre) وهو من اعظم موانئها على الاطلنتيك الى باريس . وبما ان باريس اعلى من ثغرهِ اعني هڤر فمن الضروري اصعاد البترول بواسطة مضخّات جاذبة موزَّعة على طول المسافة الفاصلة بين المدينتين . فيترتّب على ذلك النظام ليس فقط اقتصاد كبير في استخدام اليد العاملة بل وفي عدد قطارات البضائع ولا يخفى ما يجرُّه قطار واحد من النفقات الفاحشة ولا سيما في الازمة الماليّة الحاضرة الممتدَّة بدرجات متفاوتة على كل بلاد الغبراء

ولعل اهمّ اسباب افضليّة البترول على الفحم التفوّق العظيم الذي حازتهُ في السنين الاخيرة المحرّكات بالبترول على سواها . فان الاولى وخصوصاً التي على المثال المُبتكر من المهندس الالماني دِيزِل (Diesel) الشبيهة بمحرّكات السيّارات لها ثلاثة اضعاف قوة المحركات بالفحم البخاريّة . واذا ضربنا صفحاً عن القوة ناظرين الى مجرّد الحرارة المُنتجة وجدنا ان كيلوغراماً من البترول يُحمي مرَّة ونصف على الاقل كمِثلهِ من الفحم . فعلى الوجهين نتحقق ان للاول قصب السبق على الآخر

هلمّ الآن لنقابل بين ثمن هذا وذاك فعلى الاثمان مدار كل الصناعة والتجارة . في شباط سنة ١٩٢٠ كان طُنّ الفحم يساوي نحو ٢٣٠ فرنكاً في ميناء هڤر حيث الفحم الانكليزي رخيص وطنّ المازوت ٤٠٠ فرنك . لكن اذا اسقطنا من المبلغ

امرٌ طويل كثير النفقة . ثم ينبغي نقله من اعماق المنجم الى السفن او الشاحنات ومتى بلغت نهاية سيرها يلزم نقله ثانيةً منها الى محلّ استعماله . وهاتان العمليّتان ارخص بدون قياس في البترول منهما في خصمهِ كما سترى . اخيرًا ان احماء المراجل بالفحم يقتضي تواتُر إدخالهِ فيها بعكس ما يحدث في البترول حيث يكفي صبُّه في انائهِ مرّةً واحدة ليوم كامل بل لايام عديدة . ومن هذا الوجه لا غير امكن في بعض الظروف الاستغناء عن ٩/١٠ العمّال السابقين . زد على كل تلك عوائق الفحم وجوب تنظيف المراجل المتواتر الوعر المسالك الكثير المصاريف

امّا البترول فلا تجد في استخراجهِ واستعمالهِ ادنى اثر للعوائق المذكورة . فلا حاجة هنا الى بذل قناطير مقنطرة من الاصفر الرنان لحفر منجم يضاهي في عين المتبصّر مدينةً تحت الارض . يكفي هنا حفر بئر ضيّقة القطر فإمّا ينبجس البترول من فوهتها وامّا يُدفع اليها بالمضخّات وعلى كلا الحالتين فلا حاجة لسوى نفر قليل من العمّال . واذا طلبتَ حجّةً دامغة على قولنا هذا ضربنا لك بصفة مثل بئرًا في المكسيك يُستخرج منها يوميًّا مائة الف برميل من البترول وهناك اقلّ من خمسين عاملًا — امّا نقل البترول الى معامل التقطير فانهُ يتمّ بالقنوات والمضخّات كنقل ماء الشرب وغاز الاستنارة وفي ذلك الاسلوب ما فيه من السرعة والرخص الواضحين . وفي اميركة اليوم قنيّ يُقدَّر الآن طولها بـ ٤٦٫٠٠٠ كيلو متر اعني نحو مرّة وسُدس طول دائرة الكُرة الارضيّة . امّا قُطرها فيتراوح من خمسة الى ثلاثين سنتيمترًا . والمضخّات المُصعِدة للبترول من جهة منخفضة الى اخرى عالية والمسهّلة لسيله تراها هناك متتابعة والبون الفاصل بينها يختلف من ٢٥ الى ٣٠ كيلومترًا . وتُستخدم في الشتاء مثلًا محطّات لاحماء وتسييل ما يجمد منهُ بسبب الزمهرير . والبترول المصفّى في معامل التقطير تنقله الى كل اصقاع الولايات المتحدة نحو ٦٠٫٠٠٠ شاحنة مصنوعة على شكل خزّانات وما يُصدَّر الى الخارج تُوسَق بهِ سفن خاصّة اطلق عليها اسم السفن البتروليّة . لكن الولايات المتحدة تستهلك من البترول ضِعفي ما يفي اليوم بحاجة كل بقيّة اقطار المعمور !

ونذكّر القرّاء بهذه المناسبة ان المتموّل الشهير رُكْفلّر لُقّب ملك البترول وان المزاحمة شديدة بين شركتهِ الجبّارية المسمّاة ستاندرد أيل (Standard Oil)

ورصيفتها الانكليزية المدعوّة رُيَل دُيتش (Royal Dutch)

فلنَعُد الآن بعد هذا الاستطراد الطويل الى معامل تقطير البترول . فيها ترى ماكينات يديرها النفر القليل من العمّال تحلّل البترول الخام الى كل اجزائهِ المفيدة من خلاصات (وهي البترول المصفّى) وزيوت التدهين والمازوت والفازلين والپارافين المستعملة في صناعة أنور اصناف الشموع والبقايا الجامدة القابلة الالتهاب وهي تستعمل كوقود في نفس عمليّة التقطير . ثم ان نقل كميّات البترول العظيمة من هذه المعامل الى السفن والشاحنات التي تذهب به الى اقاصي المعمور ايضاً آيةٌ في السهولة وقلّة النفقة بسبب امكان تسييلهِ بالقُنيّ السابق ذكرها . أَجل ان انشاءها يقتضي بذل آلاف مؤلفة من الليرات ولكن متى تمّ ذلك زالت المصاريف بالكليّة او كادت بخلاف ما يحدث في نقل الفحم كما يلوح لكل ذي عينين

ونُعلم القرّاء بهذه المناسبة انّ في نيّة فرنسة انشاء قنيّ البترول من هڤر (Le Havre) وهو من اعظم موانئها على الاطلنتيك الى باريس . وبما ان باريس اعلى من ثغرهِ اعني هڤر فمن الضروري اصعاد البترول بواسطة مضخّات جاذبة موزَّعة على طول المسافة الفاصلة بين المدينتين . فيترتَّب على ذلك النظام ليس فقط اقتصاد كبير في استخدام اليد العاملة بل وفي عدد قطارات البضائع ولا يخفى ما يجرُّه قطار واحد من النفقات الفاحشة ولا سيما في الازمة الماليّة الحاضرة الممتدَّة بدرجات متفاوتة على كل بلاد الغبراء

ولعل اهمّ اسباب افضليّة البترول على الفحم التفوّق العظيم الذي حازتهُ في السنين الاخيرة المحرّكات بالبترول على سواها . فان الاولى وخصوصاً التي على المثال المُبتكر من المهندس الالماني دِيزِل (Diesel) الشبيهة بمحرّكات السيّارات لها ثلاثة اضعاف قوة المحركات بالفحم البخاريّة . واذا ضربنا صفحاً عن القوة ناظرين الى مجرّد الحرارة المُنتجة وجدنا ان كيلوغراماً من البترول يُحمي مرّةً ونصف على الاقل كمثلهِ من الفحم . فعلى الوجهين نتحقق ان للاول قصب السبق على الآخر

هلُمّ الآن لنقابل بين ثمن هذا وذاك فعلى الاثمان مدار كل الصناعة والتجارة . في شباط سنة ١٩٢٠ كان طُنّ الفحم يساوي نحو ٢٣٠ فرنكاً في ميناء هڤر حيث الفحم الانكليزي رخيص وطنّ المازوت ٤٠٠ فرنك . لكن اذا اسقطنا من المبلغ

الاخير الاقتصادات العديدة في اليد العاملة ونفقات النقل فانه يهبط الى ٢٠٠ فرنك في المحركات البخارية المحماة بالبترول والى ما دون ١٥٠ في التي أطلق عليها اسم المحركات الانفجارية ( moteurs à explosion ) وهي الجاري استخدامها في السيارات فضلاً عن المصانع حيث لا تزال تنمو رواجاً ولاسيَّما التي على مِثال ديزل المشار اليها سابقاً . وقد حسب الكنترامیرال دُغوي ( Degouy ) انهُ لو أُدخلت محركات ديزل في كل السفن التجارية الفرنساوية—وكان مجموع محمولها نحو ٦٠٠،٠٠٠ طنّ في الشطر الاول من سنة ١٩٢٠ —لأَصبحت فرنسة في غنى عن ملايين من طنّات الفحم وزادت ثروتها بنسبة ما في ذلك الاستغناء من عجائب الاقتصاد وقد غدا القرّاء اهلاً لتقديرها قَدْرها بعد ايضاحنا اياها ولو بايجاز

هذا ولا نتمالك قبل ختام الكلام ان نذكر للبترول مزيَّةً عظيمة على رصيفهِ من الوجهة الحربيَّة فانَّ الحرب وان تكن ولا سيَّما في ايَّامنا داهيةً دهياء بل مجموع كل الدواهي . فلا نكير ان الامم صغيرةً او كبيرةً لا تزال ولن تزال تُعِدّ لها عُدّتها بكل وسائل التمدّن العصري . ومن هذا القبيل يفوق البترول على الفحم ايَّ تفوّق لكونهِ يمكّن من نفي الدخان في البوارج وبقيّة السفن اللهمَّ اذا كان لها محرّكات انفجارية . وما ادراك يا صاح ما الدُخان ابان الحرب ؟ هو جاسوس خائن يشير سواد وجههِ الى سواد نواياه يصعد بقامتهِ الهيفاء المتلوّية الى ما فوق اعلى البروج والصواري ويُطلع بارجة العدوّ على موقع السفينة عن بعد يبلغ احياناً زهاء ٧٥ كيلومتراً ! فهل من خيانة شرّ من هذه واوخم عاقبةً وما اثمن البترول واسمى قدرهُ حيث انه يخلو منهُ بتاتاً . ودليل ذلك ان البارجة السائرة بمحرّك انفجاري (١) لا ترتسم على أُفق العدوّ الّا بشكل خطّ افقي غاية في الدقة فيصبح فعلاً اصابة هذا المرمى الضئيل بالقنابل او الطروبيل مستحيلاً

واليك قبل ختم هذا الباب بعض تصريحات الاميرال فيشر الانكليزي المشهور له بطول الباع . قال « ان اتخاذ زيت البترول بصفة وقود لمحرّكات الباخرة موريتانية اسفر عن اقتصاد اليد العاملة فأغنى عن نحو ٣٠٠ عامل » . ولا يظنَّن القارئ ان الاميرال يعني

(١) يكاد هذا المحرّك لا يخرج الآن في الاسطول الفرنساوي عن دائرة الغوّاصات وقد ولجها مز اعوام عديدة

بقولهِ مجرَّد العمّال القائمين بادارة المحرّكات والّا لكان الغلوّ فاحشاً . انما عنى كل العمّال الذين كان استعمالُ الفحم يستدعي شغلهم رأساً او ضمناً

ثم اردف هذا الاميرال بما حرفه : « ان امّتنــا الحمقاء ( كذا ) لا تعتقد بافضليَّة زيوت البترول (على الفحم) والمحرّك الانفجارى (على غيره) . امــّا انا فانّي على يقين من ان هذين العاملين الجديدين سيحدثان انقلاباً عظيماً ليس فقط في الحرب البحرية بل وفي التجارة البحرية ! »

وهو يشير على حكومة بلاده بتجربة هذين الابتكارين في السفن القائمة بنقل البترول من الخارج الى بريطــانية العظمى . ويجدر بنا ان ننوّه بهذا الاميرال العظيم معرِّفين القرَّاء انهُ هو الذي ادخل الغوّاصات في الاسطول البريطاني رغماً من مقاومات كل ذوي السلطة وكانوا يعتبرونها أَلَاعيب لا طائل تحتها

وقد اعلمَنا هو ايضاً ان انكلترّة تنظر في مسألة انشاء مستودعات بترول في وسط البحار لتموين السفن عند الحاجة !

ولا نكير ان لبريطانية العظمى في الوقت الحاضر «سياسة البترول » كما يقول بعض الصحافيين . وهي قائمة في وضع اليد على آبار البترول ما امكن ولــدى امتناع ذلك تسعى في عهد اتفاقات مع اصحابها او بلادها بحيث تنال انكلترة بغيتهــا من ذلك الوقود الحيوي بل تُقاسم المعدّنين بعض ارباحهم الطائلة

ويشير الكنتراميرال دوغوي السابق الذكر على فرنسة بان تحــذو حذو جارتها وحليفتها في اتّباع « سياسة البترول » وهو يجاهر بانها تتفق كلّ الاتفاق مع سياستها في البحر المتوسط فان الجزائر والمراكش تحوي على قوله كمّيَّات هامّة من البترول . وان لم تستخرج فرنسة من هاتين المستعمرتين ما يفي بعوزها فهو ينصحهــا بالتموُّن من اميركــة او بالاحرى من شواطئ البحر الاسود ولاسيّما من بلاد قوقــاز ورومانية واوكرانية واخيرًا عند الضرورة من ارخبيل مالازية في جنوب آسية

وقد سبق لنا القول على فائق الرواج الذي حازه البترول بفرنسة خصوصــاً منذ الحرب الكونية . ومن احدث الادلّة على ذلك كون شركات السكك الحديدية تقصد الاستعاضة بالبترول عن الفحم في كل قاطراتهــا مُقْتَفِيَةً على آثار بلاد كثيرة ولاسيّما ولاية كاليفُرنية من الولايات المتحدة . والحــالة هذه فمن المرجّح بل من شبه الاكيد

ان فرنسة تتبع مثل انكلترة سياسة البترول بعد ان وقفت على نتائجها

آن لنا ختم هذه المقالة التي رأينا بها اموراً غريبةً لم تكن في الحسبان ولعلَّ اغربها كون وقود جديد لم ينتشر استعماله في المحركات الّا في اواخر الجيل المنصرم غدا اليوم بل قبل الحرب من اخطر مواضيع سياسة الدول الكبرى الى حدّ كون هذه السياسة وُسمت باسمه . ولا غرو فان اقتناءهُ بكميّات وافرة لتعميم استعماله هو من اعظم المسائل الحيوية للعمران الحاضر

# مديح قديم لمار افرام

وضعهُ القديس غريغوريوس اسقف نيسس ( تتمّة )

نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعي

## ٦ عبادة مار افرام ودرسهُ للاسفار المقدّسة

امّا حسن العبادة فاتّجر منها القديس افرام نقيبة الحكمة على ما ذُكر في ايّوب (١٢ : ١٣) عندما قيل : « ها حسنُ عبادتهِ حكمةٌ » الّا انّا قد ذكرنا في معناها وشرحناهُ عند ذكرنا امانتهُ وطهارته اذ اشبه بولوس وطلع الى السماء مثلهُ (٢ كور ١٢ : ٢) واقتنى فخراً لا يفنى في بيعة المسيح

امّا درسُ الكتب الالهيّة فقد أشعل لنفسهِ فيهِ مصباحاً من قول داود (٢٨ : ٤) : « انّ فيّ تتّقد نارٌ » لأنهُ قد اشتعلت في قلب هذا القديس نارٌ من النظر الالهيّ فألهبت شوقهُ لدرس كلّ كتاب من العهدين العتيق والجديد ففتّش واستقصى وفسّر كلّ كتاب بلفظهِ من اوّل الخليقة الى ظهور النعمة الاخيرة . وقد اظهر المعاني المكتومة في قعر الكتب (٨١٥) فنشرها وبيّنها وكان الروح القدس سراجهُ في ذلك . ولم يشرب كأس الحكمة الروحانيّة فقط المفعمة من الحكمة الالهيّة وسقاها لغيرهِ بتعليمهِ بل ادرك ايضاً حكمة الكتب المقدّسة البرّانيّة وما تمتاز بهِ من تقويم اللسان وتقويم المنطق مع ما تكنّهُ في قعر المعاني فأحكم ذلك كلّهُ وبالغ فيهِ وما وجدهُ من ذلك نافعاً ضبطهُ وما كان غير نافع اطّرحهُ وقوّم تجارتهُ في العمل والنظر بميزان العدل

٧ طهارة نفسهِ وورعهُ

واماَّ الطهارة فقد أَحكمَ وقوَّم منها في النفس والجسد ما وصلت كلّ الطاقة الطبيعيَّة اليهِ بل قد زاد على قوَّة الطبيعة حتَّى أَبانَ ان ذلك كان موهبةً من النعمة فلم يطلق للنفس ان تنحرف وتتراخى في قنية القول المستقيم بل كان على الحقيقة ملكاً في نفسهِ ومنيرًا في احوال جسده . والشاهد على ذلك خبَر تلك المرأة الموسمة الزانية التي كان سوَّل لها ابليس قتَّال البشر خديعة بعلها المصطبغ بالمعموديَّة الطاهرة . فدفعها هذا القديس عن الوصول الى ما امَّلهُ منها الشرّير واجتذبها الى ان تصارع ذلك الملعون بمواعظهِ وصلواتهِ (٧٩٦) واقوالهِ الالهيَّة بعد ان نشلها مما كانت عليهِ وصيَّرها عفيفةً بعد ما كانت فاسقة

واماَّ الدموع فاني اذا رمتُ ذكرها وشرح هطلانها وجَريها الدائم من مقلتَيه ربَّما جرت اليَّ دموعهُ اذ لا استطيع ان اخوض لجَّة عبراتهِ فاشرحها بكلامي دون ان تُسبَل بذكرها عبراتي . فان افرام ما كان يخلو لهُ وقت دون هطـل الدموع لا في نهار ولا في ليل ولا ساعةً بل ولا لحظةً ولا اذكر اني رأيت عينهُ قط ناشفةً بل كان يبكي تارةً جهارًا وتارةً سرًّا وكان يقول انَّ بكاءَهُ على زلَّاتهِ . وكان ربَّما يقطع بكاءَهُ بتنهُّدات وزفرات وربَّما استدعت الزفرات بكاءَهُ فكان بروز هذين الشيئين بالتناوب احدهما سبب للآخر فالزفرات تولّد فيهِ الدموع والدموع تستدعي الزفرات . وكان السبب في ذلك مجهولًا عند الكثيرين لانَّ الزمان ما كان يفصل فيما (٧٩٧) بينهما بل كانت الدموع دوباً تُستَبدَل بالزفرات والزفرات بالدموع وكان ذلك دورًا دائرًا لا يُعرَف المبتدئ من التابع لهما . وللمتأمّل ان يشاهد ذلك في مؤلَّفاتهِ فيجدهُ فيها باكياً ليس فقط فيما أَلَّفهُ على التوبة واصلاح اخلاق البشر بل فيما كتبهُ ايضاً من المدائح التي تحمل عادةً على السرور والجذل لأَنَّ هذا القديس كانت صورتهُ واحدة في النعمة التي كان غنيًّا بها فانَّهُ يدعو سامعي اقوالهِ وبقوَّة نطقهِ الالهيّ المزوج بالدموع الى الحياة الصادقة

فمن يبلغ بهِ العتوّ وتحجُّر القلب الى ان يسمع اقوالهُ فلا يلين ولا يطرح صلابة اخلاقهِ ويرقّ لما يكون قد بَدَرَ منهُ من السيّئات ؟ ومن يكون وحشيًا في خلقهِ وبَريًّا في مذهبهِ فينصت لشيءٍ من تعليمهِ فلا يبكي على الزمان الذي صرَفهُ فيما لا

ينبغي ؟ ومن يكون غليظاً وعديماً من الانسانيَّة فيذوق حلاوة الفاظهِ ولا يسرع الى الخضوع والتأني ومحبَّة الخير ؟ ومن يكون قد ألف السرور واستعمال اللذّات(٧٩٨) والتباعُد عن الدموع والمحزنات ويتأمَّل قولهُ فلا يبكي ولا ينتحب ويندم على ما سلف من تفريطهِ ويتصوَّر انَّ المجازاة على ذلك منتظرة لهُ ؟ قد قيل في الامثال « انَّك انَّما تسلق حجرًا » يقال ذلك في الامور الممتنعة ولقد رأينا لعمري تلك الامور الممتنعة متسهّلة لهذا الرجل القديس لانَّهُ جاء الى النفوس التي لا خضوع ولا ترتيبَ لها فليَّنها واقنعها بان تنثني وترجع الى الواجبات. ومن ذا الذي يطالع ميمرَهُ الذي قالهُ في التواضع فلا يبغض ويُمقت كلَّ تيه وتجبُّر ويعتبر نفسهُ اذلَّ من كلَّ احد ؟ ومن يتلو قولهُ في المحبَّة ولا يحرص ان يصبر على كلَّ شيءٍ في اقتنائها ؟ ومن يقرأ ما أَلَّفهُ في البكوريَّة ولا يجتهد ان يكون طاهرًا في نفسهِ وجسمهِ ؟ ومن يتأمَّل اقوالهُ في يوم الدين وحضور السيّد المسيح فلا يتصوَّر انهُ واقف في ذلك المقام ومطالَب عن اعمالهِ فيقشعرَّ ويرتعد من الدينونة الآتية عليهِ ويتصوَّر انهُ ان لم يرتدع تحلّ بهِ ؟ . فهكذا صوَّر الدينونة المستأنفة هذا الرجل (٧٩٩) النبويّ العظيم ووصف ذلك اليوم الرهيب حتَّى انهُ لم يدع شيئاً لم يذكرهُ بل تكلَّم فيهِ حتَّى صار وصفهُ عند الناس كأنهُ تامٌّ بالفعل. ولأنهُ قد كان التخيُّل والتصوُّر لذلك اليوم وتلك الساعة قد بلغا من هذا القديس اقصى مبلغ كان يهرب من العالم ومن جميع ما فيهِ ويبتعد عنهُ فارًّا نازحاً ويأوي الى البراري والفيافي وينقطع الى التأمل بذاتهِ والى استماع صوت الله فيزيد ترقّياً في الفضائل لعلمهِ انَّ سكنى البرّيَّة يعتق الانسان ويخلّص من يريد الفرار من الشغب والاضطراب كما انَّ الصمت يجعل الانسان مخالطاً للملائكة متشاغلًا بعباداتهم متعالياً بعقلهِ الى نظر الله بحسب طاقتهِ

### ٨ تنقُّل القديس وسياحتهُ. دخولهُ الرها وسفره الى قيصريَّة

امَّا انتقال القديس افرام من موضع الى موضع فانَّ الروح القدس كان يحرّكهُ الى ذلك لعمارة الكثيرين واصلاح حالهم فما كان يمانعهُ ولا يخالفهُ لانقيادهِ الى اوامر الله في كلّ شيءٍ انقيادًا لا يشبههُ فيهِ غيرهُ . ومن ثمَّ لمَّا امرهُ الله ان يترك وطنهُ كما أُمر ابراهيم الالهيّ اجاب الى ذلك وقصد مدينة الرها لانهُ ما كان (٨٠٠) يليق ان تبقى الشمس محجوبةً تحت الارض . وقد قصد من سفرهِ هذا امرين : احدهما ان

يزور المواضع المقدَّسة التي هناك والآخر ان يجتمع برجل يطابهُ من اهل الكلام فيجتني منهُ ثمرة علمهِ او ينيلهُ هو من ثمرتهِ · فلما وصل الى باب المدينة التقى بأمرأة مومسة بدلًا من رجلٍ من اهل التقى والعلم فخاب املهُ وحصل لهُ من ذلك كآبة فحدَّقت المرأة نظرها اليهِ بوقاحةٍ ونظرهو اليها شزرًا فلمَّا رأتهُ يتأمَّلها قالت: لايّ معنًى ينظر اليَّ هذا الحكيم؟· فاجاب القديس قائلًا: بل انت يا مرأة لأيّ سبب تلقين نظرك اليَّ · قالت: امَّا انا فاني انظر الى الرجال لأني من الرُّجل خُلقتُ · امَّا انت فالاحرى بك ان تجعل نظرك الى الارض التي منها خُلقت · فلمَّا سمع افرام منها ذلك الكلام بخلاف ظنّهِ منها اعترف اعترافاً صريحاً بانهُ قد انتفع من قولها ومجَّد الله الذي يُنطق بالحكمة غير اهلها

ثمَّ سار افرام بعد هذا الى قيصريَّة القبادوق وارشدهُ الروح القدس (٨٠١) الى باسيليوس الكبير الذيهو فم الكنيسة الناطق بالآراء الذهبيَّة · فلمَّا رأى ذلك الشيخَ ابتدأ بتكرمتهِ والثناء عليهِ لاسيَّما اذ ابصر بعينهِ الطاهرة حمامةً الهيَّة جاثمة على كتفهِ اليمنى توحي اليهِ بأقوال التعليم وتنقلها منهُ الى الشعب السامع · فعرف افرام ان المتكلّم هو باسيليوس الالهيّ كما علم باسيليوس باشارة الحمامة انَّ القادم هو افرام السريانيّ · فتمتَّع كلّ منهما بصحبة الآخر وعلم افرام انَّ سفرهُ أحظاهُ بمرغوبهِ فلم يَعُد خائباً

٩ هرب القديس افرام من الموبقات ومواظبتهُ على التعليم

ثمَّ ان طبيعة عقلهِ الصحيح كانت ترشدهُ الى الفرار من المضرَّات والتحفُّظ من الموبقات فكان لا يفتكر الّا بالاعمال المختارة النقيَّة ويُؤثر ما فيهِ المنفعة ويطرح ما يعوقهُ عن التعاليم الصالحة · لأنَّ المسيح كان قد وهب لهذا الشيخ وزناتٍ وافرة من الكلام ليتَّجر بها ويوزّعها على موائد قلوب المؤمنين · وقد وجب ذلك عليهِ اكثر من غيرهِ لانهُ كان (٨٠٢) يقول انهُ أبصر عند خروجهِ من سنّ الصبا كرْمةً نبتت على لسانهِ فنشأت وعظمت حتَّى ملأت الارض واستظلَّ بها كلّ طير السماء · وكانت ثمارها تنمو على قدر ما تُقطَف ويغتذي منها الطيور · وقد ذكر رجل من اهل البرّ رؤيا رآها قال: انَّهُ رأى جوقةً من الملائكة منحدرين من السماء ومعهم لوح طرس كبير مكتوب عليهِ من الناحيتين وكان الواحد منهم يقول في مصافهِ لصاحبهِ: الى مَن نسلّم

هذا الطرس ؟ فكان بعضهم يقول: الى فلان وبعضهم : الى آخر . وأما ذكروا جماعة عبيد الله الصالحين قال بعضهم : لعمري انَّ هؤلاء ليس يمكنهم ان يمسكوا هذا الطرس . حتَّى اتَّفقت جماعتهم فقالوا : ليس يقدر احد ان يتسلَّمهُ في زماننا غير افرام . فلمَّا انتبه الرجل الذي آتَرهُ الله بتلك الرؤيا بكَّر الى (٨٠٣) البيعة سحرًا وسمع افرام يعلّم هناك بقولٍ غزيرٍ موشَّح بالنعمة . فتذكَّر ما رآهُ ووقف على معناهُ ومجَّد الله لِما منحهُ لعبدهِ من تلك الموهبة الفاخرة

ولغزارة ما اناله الله من الحكمة صارت مجاري كلامهِ دارَّةً وكانت المعاني تتدفَّق من ذهنهِ حتَّى عجز اللسان عن استيعابها فسأل هذا الشيخُ الكبير طالباً الى الله ان يحصر فيهِ غزارة وحيهِ اليهِ قائلًا : « خفّف يا ربّ امواج نعمتك » لانَّه كان يراها كاللجَّة التي لا قعر لها فتهيج في صدرهِ ولا تترك لهُ راحةً من كثرة ما كان يتوارد على فكرهِ من الخواطر التي يقصر عن تأديتها اللسان فيقطع كلامهُ بالدعاء ويقطع الدعاء بالدموع (٨٠٤) ولم يكن يشغلهُ شيءٌ في كلّ ذلك الَّا النظر الالهيّ . وذلك انهُ كان قد امات جسدهُ مع لذَّاتهِ وجعلهُ بالنسك والامساك عبدًا لرئاسة الفكر لا حراك فيهِ الى ما لا ينبغي لإنهاكهِ بالصوم . الَّا انَّ قوَّتهُ كانت تزيد في النهوض الى الاشياء النافعة التي تفيد خلاص النفس . وما كان الليل ليقطعهُ عن الهجود ومجاهدة العدوّ وتعمُّد الفضيلة وما كان النهار يخدعهُ بخيالات اليقظة لأنَّ الليل كان يستلمهُ من النهار صاحياً وكان يخلفهُ بعد انصرافهِ ساهرًا فلا يخالج تخيُّلٌ باطل فكرهُ وقت درسه . وانَّما كان يتناول من النوم الكفاف لحفظ الحياة لئلَّا ينقلب نظام الطبيعة تماماً فيصيب جسمهُ الانحلال . وكان مع ذلك يطرد النوم عن مقلتيهِ بالهجوع على الحضيض والاضجاع على الخشن واماتة الجسم في كلّ معنى (٨٠٥)

### ١٠ زهد افرام بالدنيا وتواضعهُ العجيب

امَّا الزهد في القنية فانهُ بلغ فيهِ مقدار ما نسمع عن الرسل الالهيين فان رام احد ان يسمّيهُ مثالًا لكلّ الزهَّاد فلن يخطئ عن الصواب . ولنا على ذلك شاهد من كلامهِ الحلو اللذيذ الذي قالهُ عند رحيلهِ الى السماء . وهو قولهُ : « انهُ لم يوجد قطّ لافرام كيس ولا عصاً ولا مِزوَد ولا فضَّة ولا ذهب ولا غير ذلك ممَّا يُقتنى على الارض (متَّى ١٠ : ٩) لاني سمعتُ من الملك الصالح في الانجيل المقدَّس وهو يقول لتلاميذهِ : لا تقتنوا

شيئاً على الارض فلم يكن لهم شيءٌ يؤمّلون عليهِ . فهكذا كان افرام متهاوناً بالجسد وعاشقاً ما هو افضل منهُ واجلّ ومن هاهنا حصل لهُ مساواة الابسطليين (الرسل)

وما لي اذكر تواضعهُ مع انَّ اقوالهُ ومؤلفاتهِ تنادي بانَّ هذه كانت من اكبر فضائله يهتمُّ بها اكثر من كل شيءٍ . فهيهات ان يكون نوى ترفُّعاً او تكون رجلهُ عثرت بالمجد البشري وهو يلازم البكاء بغير انقطاع (٨٠٦) ويأكل الرماد مثل الخبز (مز ١٠١ : ١٠) ويمزج كأسهُ بالبكاء . وكان اذا سمع في حياتهِ احداً يمدحهُ سخط عليهِ وتبدَّل لونهُ غيظاً واطرق الى الارض فينطف العرق منهُ وينقطع كلامهُ من شدَّة الحياء الذي كان يعقد لسانهُ . وعند انصرافهِ من هذا العالم الى الحيـاة الدهريَّة الباقية زجر من يتعرَّض لمديحهِ فقال : لا تلحنوا الحنـاً على افرام ولا تمدحوهُ ولا تكفّنوهُ بثوبٍ نفيس ولا تجعلوا لجسمي قبراً خاصـاً فاني قد عاهدتُ الله ان يكون مضجعي مع الغرباء لأني كنت في العالم غريباً كما كان آبائي (مز ٣٨ : ١٣) . فلك ايها السامع على عظم تواضعهِ دلائل كثيرة صادقة

١١ ترحُّم افرام على المحتاجين وغيرتهُ على خلاص نفوسهم

واماَّ رحمة افرام وتحنُّنه على القريب فـانَّهُ ليس فقط كان ممارساً لهما بل اصبح فيهما (٨٠٧) معلّماً . ولانَّ زهدهُ بالمال لم يسمح لـهُ ببذلهِ على المحتاجين فانهُ جعل العوض من ذلك انهاض الناس وتحريكهم بمواعظهِ المترادفة على اعمال الرحمة . فانَّ كلامهُ كان كمفتاح مصوغ من الله يفتح بهِ خزائن الاغنياء ليفرّقها على المحتاجين . وكانوا اذا شاهدوهُ يخال لهم مشاهدة الملائكة فيحرّكهم نظرهُ على التحنُّن ويجتذب مَن فيهِ العتوّ والغلظة الى الرأفة . وما كان احدٌ ممَّن غلبت عليهِ القحـة يستطيع ان يبصرهُ ولا يستحي بل يحسّن سلوكهُ ويزيد تجمُّلاً

ولعلّ احداً يظنّ انَّ القديس افرام بانقطاعهِ الى هذه الاعمال الفضلى الكثيرة لم يبقَ لهُ فراغٌ ليهتمَّ بامور الكنيسة . كلّا فانَّهُ بتفرُّغهِ لدرس الكتب الالهيَّة وتعمُّقهِ في اسرار الـديانة لم يتمكَّن فقط من ارشاد الناس ووعظهم بل امكنهُ ايضاً ان يميّز الآراء (٨٠٨) الصائبة ويقيم الحجَّة على من يخـالفها . فكان بتعليمه يوضح العقائد الدينيَّة ويُحسن شرحها وبمعرفتهِ لآراء الهراطقة يوبّخ المبتدعين ويبكّتهم ولا تخمد غيرتهُ في ذلك اصلاً

ومما يبيّن شدَّة غيرتهِ انَّ ابوليناريوس المبتدع الفاسد الآراء القليل العقل كان صنَّف تأليفين ندَّد فيهما على التعاليم المستقيمة ودفعهما الى امرأة كانت تخدمهُ في اللذَّات لتحتفظ بهما. فانتهى خبرهما الى افرام الكبير فتزيَّا بزيِّ اصحاب ابوليناريوس وقصد المرأة وحمل اليها بركة السيَّاح ثمَّ سألها ان تعيرهُ المصحفين ليقرأهما وينتفع بما ألَّفهُ المعلِّم حتَّى يقاوم بذلك معشر المعادين للدين القويم. فتسهَّل لهُ بذلك الوصول الى ما ارادهُ واجابتهُ المرأة الى ما سأل (٨٠٩) ثمَّ دفعت لهُ المصحفين لظنّها انهُ من حزب ابوليناريوس وطلبت ان يعيدهما اليها. فلمَّا حصل عليهما تشبَّه هذا القديس الكبير بيعقوب الاب الاوَّل في حيلتهِ على اخيهِ العيس لَّما ربح بكوريَّتهُ. فاخذ كلَّ ورقةٍ من المصحفين وألصقها بالاخرى بغراء السمك ثمَّ اعادهما الى المرأة التي لم تُبصر وتتنبَّهْ الى باطنهما. فلمَّا مضى على هذا ايَّام قلائل اوعز الشيخُ الالهيّ الى قومٍ من الارثذكسيين ان يستدعوا ابوليناريوس الى المناظرة فاجاب الى ذلك واثقاً بما كتب في المصحفين. فلمَّا حضر للمناظرة وكان ابوليناريوس قد طعن في السنّ دفع المصحفين الى بعض اصحابهِ ليجاوبوا عنهُ لكنَّهم لَّما ارادوا فتحهما لم يقدروا على ذلك بسبب التصاق (٨١٠) اوراقهما. فلمَّا رأى شيخهم ذلك تغيَّر لونهُ خزياً واضطربت نفسهُ وانصرف عن المجمع وصُرع وأشرف على الموت من قلَّة صبرهِ على العار. فهذه كانت صورة ابينا هذا الكبير المعلِّم افرام في غيرتهِ على الدين

١٢ وداعة القديس افرام وسلوكهُ في المناظرات

واما الدعة واللين فكان افرام يستعملها عادةً الَّا في اوان المناظرة. فانَّهُ عند الجدال كان يظهر الشهامة والحزم الشديد. وكما انهُ كان يستحقُّ الثناء في صومهِ وصلاتهِ ودماثة طباعهِ في معاملاتهِ مع القريب كذلك كان في وقت المناظرة ودفاعهِ عن الايمان اهلًا بالمديح لبسالتهِ واشتدادهِ على الهراطقة. فكان كالصيَّاد الحاذق الذي تُمتدح غارتهُ في صيد الوحوش الكاسرة. وكمدبّر السفينة الذي تتبيَّن فراهتهُ عند مقاومتهِ الريح العاصفة. وكالطبيب الحاذق الذي يُعرف فضلهُ اذا ما أنقذ المرضى من الآلام التي يصعب برؤها. وكالمقاتل الباسل الذي تتَّضح شجاعتهُ عند مصادمتهِ مصافًّا قويًّا (١١١). فهكذا هذا القديس الغيور والحريص على حسن العبادة فانما عُرف فضلهُ في مناضلة المقاومين للحقيقة

وبالحقيقة نقول انهُ لم يكن نوع من انواع الفضيلة الّا وقد بلغ فيهِ افرام ما لم يبلغهُ غيرهُ فيجوز ان نشبّه نفسهُ بعينٍ تدرُّ مياهاً صافية حلوة يستعذبها شاربها وتخصب ما يُسقى بها . او نشبهها ببستان جميل الازهار يانع الثمار طيب الروائح . او بسماء باسطة رواقها على الارض مزيَّنة بعدةٍ من الكواكب . او بذلك الفردوس الذي كان في عدن ذي الاغراس النامية المنصوبة فيهِ الاشجار المثمرة الّا انهُ ليس فيهِ سبيلٌ الى دخول الحيَّة الخبيثة . فعلى مثال هذه التشابيه تصوَّرت لنا نفس افرام السعيدة وما خُصَّت بهِ من انواع الفضائل (٨١٢) المزيّنة لها

١٣ اقتداء افرام بالقديسين والآباء

وقد كان درس هذا القديس العجيب متّجهاً في كل حال الى هذا الغرض الوحيد ان يجمع في نفسهِ من الفضائل ما كان يراهُ متفرّقاً في غيره من القديسين . فاخذ من هابيل اوَّل الصدّيقين قربانهُ المقبول ولم يقدّم مثلهُ ذبائح اغنام او شحماً او غير ذالك ممّا كان يقدَّم في العهد القديم بل قدَّم ذبيحة ناطقة لا دم فيها قدّم عبادتهُ كمحرقة اصعدها بنار الطهارة والنسك فانتقل بها مثل هابيل الى الحياة الابديَّة دون ان يتمكَّن عدوّ البشر من قتلهِ . وقد اشبه اخنوخ برجائهِ ولم يقتنع بان يدعو الله فقط مثلهُ وان لم ينتقل مثلهُ من الارض الى الفردوس فقد انتقل من أخلاط الهيولي الى الحياة بالروح . واماَّ نوح فلم يشبههُ افرام بخلاص الجنس في سفينةٍ صغيرة من خشب بل اوثق نفسهُ من كلّ ناحيةٍ (٨١٣) حتّى امكنهُ ان يخلّصها من عطب العالم دون ان يفقد شيئاً ممّا اقتنتهُ من الفضائل

وقد اشبه ابرهيم بمعانٍ كثيرة منها الامانة والدعة ومحبَّة الله ولاسيّما في هربهِ من الدنيا ومن اهلهِ واقاربهِ كما هرب ابرهيم من ارضهِ وقد قرَّب بإماتة جسدهِ واعضائهِ ضحيَّة تنسَّمها الله كضحيَّة ابرهيم لابنهِ الوحيد . وبها تشبَّه ايضاً باسحاق بالموت الطوعيّ الذي رضي به لمّا علم انَّ والدهُ قصد ذبحهُ . الّا ان ضحيَّة ابرهيم لم تتمّ امّا افرام فصار كاهناً لنفسهِ مثل السلّيحين فكان كلّ يوم يتجرَّد لله بحياة الروح ويقدّم لهُ اماتة جسدهِ بدلّا من روحهِ كما قدَّم ابرهيم الكبش بدلّا من ابنهِ

اماَّ يعقوب فقد تشبَّه بهِ اذ قاوم المنشقّين عن الكنيسة ونزع عنهم حقوق بكوريَّتها كما فعل يعقوب بالعيس اخيهِ واثبتها للبيعة الحقيقيَّة (٨١٤) . وان لم يرَ مثلهُ

سلّماً بين السماء والارض فانّهُ رأى عمود اسرار الله فادرك غوامضها . وكأني بهِ ايضاً صار شبيهاً بيعقوب في بركاتهِ التي منحها لتلاميذهِ قبل وفاتهِ كما فعل يعقوب لبنيهِ

وكذلك قد اشبه يوسف بطهارتهِ وعفّتهِ كما انه على مثالهِ وزّع بُرَّ التعاليم الخلاصيَّة على الناس متشبهاً بيوسف في توزيعه الغذاء على اهل مصر

امَّا موسى فجرى افرام على آثارهِ وهرب الى البريّة من فرعون العقلي وابصر الله في عزلتهِ بمناجاتهِ تعالى ثمَّ هدى شعباً كثيرًا بتعليمهِ وفوائدهِ واحتال على كتب الهراطقة كما احتال موسى على غنى اهل مصر وشقَّ مثلهُ بحرًا مالحًا لا يُشرَب ألا وهو بحر الكفر فاجتاز بالشعب الارثذكسي وخلّصهُ من غمرات التجديف وغرق (٨١٥)ذوي فرعون وهم اولاد الكفّار وان شئتَ فقل عماليق او الهراطقة اجمعين . ومثل موسى اخذ من يد الرب ناموس الحقّ وسلّمهُ الى المؤمنين . وقد رأى مثلهُ رَسم الخباء في الطور لا خباءً هيوليًّا بل الخباء الرهيب الذي سيقف فيه البشر يوم الدين . وقد عُني مثلهُ في تقديس الكهنوت بما وَضعهُ من الوصايا لقداسة الكهنة . وقد اخرج مثلهُ من القلوب المحَجَّرة كالصخر مياهَ التوبة والندامة ولم يكن ذاك المنّ السماوي الذي قات بهِ موسى شعب الله الّا صورة ضعيفة لاقوالهِ التي غذا بها النفوس ودلّ بها الى ذلك الخبز الجوهريّ الذي ارسلهُ الآب لخلاص العالم وهدانا الى طريق السماء

ولو اردنا ان نقابل بينهُ وبين غير هؤلاء من افاضل القدماء لوجدنا لهُ من المآثر ما لا ينقص بها عن واحد منهم . شقَّ يشوع بن نون نهر الاردن وفتح افرام (٨١٦) بتعليمهِ ايدي الاغنياء المقفلة وبسطها للعطاء على شعب ارض الميعاد العلويَّة اي ملكوت السماء . خصَّ نفسهُ مثل صموئيل لخدمة الله منذ صباه فسمع مثلهُ صوت الله . قرَّع كايليًا كهنة السوء وأوقد في الذبيحة الناطقة لا دفعةً واحدة بل دفعات عديدة النارَ الالهيَة . وبمركبة نار من الفضائل صعد مثلهُ الى السماوات . واستغنى مثل اليشع بنعمة الروح المضاعفة واستأهل مثل الانبياء لبصر الالهيَّات

بل انني لا اتوقّف عن تشبيههِ بذاك الذي كان واسطة بين الناموس والنعمة اعني بهِ يوحنّا المعمدان السابق فانَّهُ قد سكن مثلهُ البريَّة وصارت اليهِ مثلهُ كلمة الله فنادى مثلهُ ايضاً بالتوبة وعلّم القادمين اليهِ ان يعترفوا بخطاياهم . ومثل بولس الاناء المصطفى صبر على كثير من التجارب وما رضي بزرع بَذْر التوبة بل بالغ

مثلهُ في التبشير بالامانة(٨١٧) . وما لي أُطيل الكلام لتشبيههِ بكل واحد من القديسين وقد ملأ المسكونة كلها باعماله الفاضلة . فالإطناب بالكلام عند وجود الاعمال يُنقص شيئاً من فضلها اذ يقصر اللسان عن استيفاء محاسنها

١٤ انتقال افرام الى دار البقاء

الَّا انهُ يحسن بنا ان نزيد في الكلام شيئاً يلتذُّ السامع بذكرهِ وذلك عجيبةً وقعت في ساعة وفاتهِ . فان هذا الرجل الالهيَّ لما حان وقت انصرافهِ الى النعيم تقدَّم الى الحضور بان لا يكفّنوهُ بكفن نفيس وان فكّر احد منهم بذلك فلا يُخرج فكرهُ الى الفعل بل يدفع ما اعدَّهُ للمساكين . وكان هناك رجلٌ من الاعيان قد اعدَّ لكفن القديس ثوباً فاخرًا فلمَّا سمع وصاتهُ هذه قال في نفسه : انني بدلًا من الثوب اعطي المساكين ثمنهُ فقط . فصرعهُ للوقت الشيطان ووقع طريحاً قدَّام (٨١٨) سرير القديس والزبد يخرج من فمهِ فالتفت اليهِ رجل الله المتحنّن فقال لهُ : قل يا انسان ماذا صنعتَ حتَّى جرى عليك هذا العقاب . فنهض الرجل بأمرهِ وهو مضطرب من شدَّة صرعهِ واعترف بذنبهِ الذي فكَّر فيهِ فأبرأهُ الاب بوضع يدهِ على رأسهِ والصلاة عليهِ ثمَّ قال لهُ : تمّم الآن وعدك الذي كنتَ هممتَ بهِ ولا تحرم المساكين ثوبك . فأثبتت هذه الآية في آخر عمرهِ سموَّ قداستهِ في اعين الحضور وزادتهم غيرةً في ممارسة الفضيلة

ثمَّ بعد هذا انصرف افرام الى مينا الملكوت الدهريَّة حيث لا موت ولا اضطراب وانضمَّت الى القديسين نفسهُ الطاهرة المقبولة عند الله فاستقرَّت في المساكن السماويَّة حيث مراتب الملائكة حيث مجموع الآباء وصفوف الانبياء وكراسيّ السليحيين حيث سرور الشهداء وجَذَل الابرار وبهاء المعلمين (٨١٩) ومحافل الأبكار ونغمة المختارين فالى ذاك المقام الجليل والمكان السعيد ارتقت نفس ابينا افرام وقد تقدَّمتهُ في صعودهِ الى الله فضائلهُ السامية التي جمعها في عمرهِ فأرَتهُ كلٌّ واحدةٍ منها ما اكسبتهُ من الحسن والجمال الذي لا يدركهُ البصر ولا يحصرهُ القول . فتقدَّمت الكبيرة من فضائلهِ وهي المحبَّة فقالت : انظري ايتها النفس المحبوبة هذا النعيم الذي بلغتِه بممارستي . ثمَّ تبعها التواضع قائلًا : انكِ بواسطتي حيث اتَّضعتِ في العالم قد ارتفعتِ الآن الى هذه السعادة العظمى . وهكذا تقدَّمت بقيَّة الفضائل يثنين عليهِ

لكونهِ باشرهنَّ في حياتهِ ويرينهُ ما نالهُ من الجزاء بسببهنَّ

فما اشهى هذا الانصراف من العالم الذي يتمنَّى كلُّ واحد منَّا ان يصل الى مثلهِ . ويا لها من ميتة لا تحتاج الى دموع . وانفصال يفيد اجتماعاً ابدياً . ونقلةٍ لا تُولي صاحبها (٨٢٠) ندامةً . ويا تجنيزاً لا يخلف وراءهُ حزنـاً بل سلوانـاً وتعزيةً بذكر فضائل الميت بينما يُخلف غيرهُ الحزن والكآبة . وذلك لأن موت القديسين يوجب السرور ويسبب الافراح وليس موتهم سوى ارتقاء الى مجدٍ اثيل ومقام شريف

فهذا لك منَّا يا افضل الآباء ويا معلّم المسكونة . اقبل عذرنا اذ تجاسر اللسان ان يهديك هديَّة لا تفي باستحقاقك . فانَّنا لم نقدم على مدحك لحاجتك اليهِ مع بُعدهِ عن وصف فضلك السامي وانَّما طلبنا بهِ منفعة الاحياء بعدك ليكون لنا قدوة وباعثاً الى الصلاح . وقد دفعتنا اليه اسبابٌ أُخر منها انقاذك لرجلٍ شريف من اخطارٍ وقع فيها فهو جرّأني على التعرُّض (٨٢١) لمديحك وذلك انهُ كان وقع في اسر قومٍ من بني اسمعيل ولم يهتدِ الى النجاة منهم ليعود الى وطنهِ فالتجأ اليك واستعان بك فما خاب املهُ فيك وبعد ان كان حصل في شدَّة عظيمة حتَّى أَيس من الحياة ولم يكن يتوقَّع غير الموت صرخ اليـك : « يا مار افرام أَغِثني » فأسرعت الى معونتهِ وارجعتهُ الى وطنه سالمـاً بنعمة شفاعتك . فهذا الرجل الوجيه هو الذي دفعني الى القاء خطابي في مديحك . فان كان كلامي قد قام بالواجب نحوك فلك يجب الشكر والمنَّة وان كان على خـلاف ذلك قد بقي بعيداً عمَّا تستحقُّ فانت ايضاً لسموّ فضلك سبب قصوري وقد كنت في حياتك تحجب اعمالك وتصدُّ كلّ من يقصد مديحك . وعلى كلّ حال (٨٢٢) قد وفينا دَيننا بحسب الطـاقة ونحن على ثقةٍ بانك لا تذمُّنـا ولا تصرف وجهك عن الشديدي الحرارة في محبَّة ابوَّتك بل تقبَّل كلامنا كما يتقبَّلُ الوالدان مناغاة اطفالهما عند وقوفك قرب المذبح الالهي وخدمتك للثالوث المقدَّس مع الملائكة فاذكر جماعتنا واسأل الصفح عن خطايانا لنصل الى نعيم الملكوت الدهريَّة بيسوع المسيح ربّنا الذي لـهُ المجد مع ابيهِ الذي لا ابتداء لهُ والروح القدس الالهي الآن وابـداً الى دهر الداهرين آمين

# المذاهب المستحدثة

## لفلاسفة الاعصر المتأخرة

لحضرة الخوري يوسف المشيقي

### تمهيد

كنَّا نشرنا قبل الحرب الكونيَّة كتابنا المعنون بالاجوبة السديدة الذي وقع موقع الاستحسان لدى القرَّاء وقد خطر على بالنا ان نلحقهُ بقسم آخر نجعلهُ كتتمَّة لهُ . على أنَّنا رأينا قبل نشره ان نقدّم عليهِ كتمهيد بحثاً عمومياً في المذاهب المستحدثة التي شاعت في الاعصر الاخيرة نثبتهُ في مجلَّة المشرق فنذكر شيئاً من تاريخ تلك الاضاليل ومصادرها وزعمائها وما احدثتهُ من النتائج الوبيلة الى غير ذلك مماَّ يعدّ الفصول لأبحاثنا في كلّ مذهبٍ على حدةٍ مع تفنيدهِ

لا مشاحَّة في انَّ لا أُلفة بين روح الله وروح العالم . ومن ثمَّ لا عجب في، انَّ الكنيسة لم تخلُ في كلّ عصر من اعداء الدَّاء أصلوها الحرب العوان . فما كادت تنتصر في الاجيال الاولى على اضطهادات الوثنيَّة التي كانت تتعقَّب الاجساد حتَّى قام بعض العاقّين من ابنائها وطفقوا يمزّقون احشاءَها باضطهاد روحيّ اشدّ خطورةً واكثر تأثيراً من اضطهاد القياصرة ولاسيَّما في الجيل الثامن عشر حيث نهض لمقاومتها كثيرٌ من المتفلسفين الملحدين وشرعوا يضاعفون حملاتهم على الدين المسيحيّ وتعاليمهِ . فقُضي على الكنيسة ان تقف أمام كلّ فئة من هؤلاء المبتدعين

اجل لقد قام في كل جيلٍ وعصرٍ ملحدون كثيرون حاولوا أن يشوّهوا جمال التعاليم المسيحية بما تحرَّوهُ من إنكار بعض الحقائق وأتوه من التفاسير التي لا تنطبق البتَّة على حقيقة التعاليم الالهية لكنَّهم مع ذلك لم يزالوا يعتقدون بعض قضايا الايمان وما انفكّوا يمارسون بعض فرائض الدين على خلاف ارباب الفَلسفة المستحدثة الذين لم يكشفوا للكنيسة وجهَ عدواتهم فقط بل حاولوا ان يمحوا كلّ أثر ديني من القلوب بما لفّقوهُ واختلقوهُ من المبادئ السفسطيَّة التي املتها عليهم اهواؤهم واوحاها اليهم روح

العتوّ والتيه . وقد كان لهولاء في مذهب جَنسانيوس (١ ما مهّد لهم السبيل لتحقيق أمانيهم لان تعاليم لوتاروس في الانتخاب والاختيار المعتوق والنعمة كتعاليم كلوينوس التي تنسب الشرّ لله جلّ جلاله ومبادئهما بخصوص السلطة قد أحيت جميع اضاليل مَن تقدّمهما وأهبت العقول للكفر والعصيان بحيث اصبحت تلك التعاليم اساس الفلسفة المستحدثة في الجيل الثامن عشر . ففي حضن المذهب البروتستاني نشأ فرنسوا باكون (١٥٦١—١٦٢٦) فمهّد الطريق للاباحيين ثمّ قام بعدهُ توما هوبس ( Hobbes ) (١٥٨٨—١٦٧٩) وتندال (Tindall) (١٦٥٧—١٧٣٣) اللذان جاهرا بالكفر والزندقة . وقام في هولندة اليهودي باروك سپينوزا (Spinosa) (١٦٣٢—١٦٧٧) فانكر الوحي . واشتهر في فرنسة پيار بايل (P. Bayle) (١٦٤٧—١٧٠٦) بمذهب الريب واللاأدريّة . ومنذ ظهر لوتاروس في المانية انتشرت في انحائها آراء الفلسفة الكاذبة . فنفث كثيرون من البروتستانت سمّ اضاليلهم في ما لفّقوهُ من المبادئ المنافية على خطّ مستقيم جميع الحقائق الاساسيّة ففتحوا باباً واسعاً لمذاهب ناكري الوحي والاباحيّين والمستريبين والوضعيّين والمادّيين وقد تسرّب شيءٌ من هذه المزاعم الى بعض الكاثوليك كالقانوني پيار غَسَندي (P. Gassendi) (١٥٩٢—١٦٥٥) ورينه ديكرت (R. Descartes) (١٥٩٦—١٦٥٠) وبلاز پسكال (B. Pascal) (١٦٢٣—١٦٦٢) ونقولا مالبرنش ( N. Malebranche ) (١٦٣٨—١٧١٥) وغيرهم ايضاً

فينتج اذن انّ اصول الفلسفة المستحدثة قد نشأت خصوصاً في البلاد التي شاع فيها الاصلاح البروتستاني الموهوم اعني انكلترّة والمانية وهولندة فنقضوا اساس التعاليم الدينية وانحازوا الى اوهامهم الباطلة وكان في مقدّمتهم الانكليزيون لوك (N. Locke) (١٦٣٧—١٧٠٤) وصموئيل كلارك (S. Clarke) (١٦٧٥—١٧٢٩) وكولنس (Collins) (١٦٧٦—١٧٢٩) فتاهوا في بيداء الضلال وتحاملوا على الدين

١) جنسانيوس او كرنيليوس جَنْسن (C. Jansen) ولد في هولندة سنة ١٥٨٥ وتوفي سنة ١٦٣٨ اشتهر باضاليلهِ في حقّ النعمة والحرّيّة البشريّة اودعها في كتابه المعنون باوغسطينوس مدّعياً زوراً انّها من تعاليم القديس اوغسطينوس المعلّم الشهير . وقد رذل تعاليمهُ الاحبار الرومانيّون اسكندر السابع واوربانوس الثامن واكليمنضوس الحادي عشر .

المسيحي وندَّدوا بتعاليم الكنيسة ولم يلبث روح عدائهم ان تسرَّب الى فرنسة حيث انتصر لتعاليمهم ڤولتير (١ وروسُّو (٢ واصحاب القاموس العام (٣ الذين شرعوا مذ ذاك الوقت ينشرون مبادئهم الفاسدة وتعاليمهم الكفريَّة مستندين الى بعض اصحاب المقامات العالية فبثُّوا روح العداء ضد ارباب الدين وضد الكنيسة والجمعيَّات الرهبانيَّة وعلى الخصوص الطغمة اليسوعية التي اشتهرت بعلمائها الافاضل ومرسليها الغيورين الذين وقفوا إزاء تلك الاضاليل وفندوها بالبيّنات القاطعة والحجج الدامغة . وقد كان ڤولتير اشد زملائه عداء لهذه الجمعية المقدسة التي كان تخرَّج على معلِّميها واقرَّ بفضلهم لكنَّهُ اضطرَّهم الى طرده من مدرستهم وهذا ما كتبهُ لاحد اصدقائه هلڤاسيوس قال: « يهمُّنا ان نسعى اوَّلًا في الغاء الرهبنة اليسوعية وعندئذٍ يتيسَّر لنا الغاء الدين المسيحي» وهذه لعمر الحق اكبر شهادة من اعداء ابناء يسوع تدلُّ على عظم منزلتهم وما لهم من الشأن الخطير في الدين المسيحي والتربية

١) اسمهُ فرنسوا ماري أروَه (F. M. Arouet) ولد في باريس سنة ١٦٩٤ وتوفّي فيها سنة ١٧٧٨ قضى حياةً سياسيَّة غاية في الاضطراب حتَّى أُلقي غير مرَّة في السجن ونُفي لوقاحته وخلاعته ثم رفع لواء الكفر في زمانه ولم يحترم شيئًا مقدسًا . وكتبهُ مشحونة بالاكاذيب التاريخيَّة والادبيَّة والدينيَّة الَّا القليل منها (طالع ما حدث لهُ قبل وفاته بكتابي الاجوبة السديدة ص ٢٤ و ٢٥ )

٢) جان جاك روسُّو (J. J. Rousseau) وُلد في جنيڤ سنة ١٧١٢ وتوفي سنة ١٧٧٨ كان ابواهُ بروتستانيين وصرفَ ايَّام شبوبيَّته بمطالعة القصص الخياليَّة وكتب الملحدين . وكفى بذكر تأليفيهِ الموسومين بالمعاهدة الاجتماعيَّة (Contrat Social) وباميل (L'Émile) تنوهًا بغرابة عقله وتطرُّفه في الالحاد وفساد قلبه

٣) القاموس العامّ معجم علميّ وتاريخي واجتماعي اتَّفق على تأليفه في اواسط القرن الثامن عشر عدَّة كتبة عُرفوا باسمه فدعوا اصحاب القاموس العام (les Encyclopédistes) وكانوا عصبةً من دُعاة الفلسفة المستحدثة فتضافروا في كتابة موادّه وانَّما كان بالواقع مجموعًا للاضاليل والغوايات والمثالب ضدّ الدين فأصبح مستودع اسلحة الكفر لمعاداة كلّ الاديان . وقد كان لديدرو (D. Diderot) (١٧١٣-١٧٨٤) ودالمبير (d'Alembert) (١٧١٧-١٧٨٣) اليد الطولى في انشائه . واشترك في تأليفه معهما زنادقة من جنسهما كڤولتير وروسو وكنديلياك (E. Condillac) (١٧١٥-١٧٨٠) وهلڤاسيوس (Helvétiurs) (١٧١٥-١٧٧١) وللالماني هولباك (D. Holbach) ( ١٧٦٣) ١٧٨٩ ) ودوبنتون ( L. Daubenton) (١٧١٦-١٧٩٩) ومرمونتيل (J. F.Marmontel) (١٧٢٣-١٧٩٩) وبوفون (G. Buffon) (١٧٠٧-١٧٨٨) ومونتسكيو (Montesqieu) (١٦٨٩-١٧٥٥ )

والآداب . ولكن لسوء الحظ لم يلبث نفوذ هـذه الشرذمة من ارباب الفـلسفة المستحدثة أن انتشر بين العامّة والخاصّة حتى في قصور ملوك اوربا بما تذرّعوا به من الحيل واتخذوه من الاسباب المهيّجة فقامت قيامة هؤلاء على المعاهد الدينيّة وخصوصاً على الرهبنة اليسوعيّة التي دافعت دفاع الابطـال عن حقائق التعاليم المسيحية مفنِّدة اضاليل الفلسفة الكاذبة ومبيِّنة ما ينجم عنهـا من الاخطار العظيمة على المملكة والدين والوطن بما لا يدع مجالًا لمرتاب ممّا اوغر صدور اولئك الخدَعة فازدادوا حقداً وغضباً واخذوا يثيرون الخواطر ضد الجمعية المذكورة ويتّهمونها بالدسائس والمؤامرات حتى تمكّنوا اخيراً من حمل ملوك اوربا على اضطهاد هذه الفئة من اهل البرّ ظلمـاً وعدواناً . ففي البرتغال قام لمناصبتها الملك يوسف الاول منقاداً لوشاية وزيره كرڤاليو المعروف ببمبال (Pombal) الذي كان ينسب لها المؤامرة ضد شخص الملك !! .

وفي فرنسة نهض لمقاومتها الملك لويس الخامس عشر منقاداً لوشايات وتخرصات وزيره شوازيل (Choiseul) وعشيقته بومبادور (de Pombadour) اللذين تمكّنا اخيراً من الحصول على امرٍ من الملك لنفي آباء هذه الجمعية من مملكته ومثبتاً في الوقت عينه الاحكام التي كانت اصدرتها المجالس بشأنهم فأبطلها الملوك لظلمها

وفي اسبانية قام الامير درَانْدا d'Aranda صديق شوازيل وزير فرنسا واخذ يحرّض الملك ويغريه على طرد اليسوعيين من مملكتهِ أسوةً بفرنسا والبورتغال وما لبث المذكور يعمل الحيل على شارل الثـالث حتى استحصل منه الاذن بطردهم . ففي شهر نيسان سنة ١٧٦٧ احاط جنود الملك في ليلة واحدة وساعة واحدة بجميع اديرة اليسوعيين في اسبانيـة وطردوهم بعد ان ساموهم خسفاً ونـكّلوا بهم اشد التنكيل

وما حدث في اسبانية قد حدث في نابولي وصقلية وپارما ومالطة ما خلا مملكتي روسيّة وبروسية اللتين مـا انفكّتا عن معاملة هذه الجمعية الفـاضلة بالحسنى إقراراً بفضلها وما لها من الخدم الجلّى والآثار المشكورة

واما غاية هذا الاضطهاد فقد ابانها صريحاً البابا اكليمنضوس الثالث عشر في رسالته الصادرة في اول تشرين الثاني سنة ١٧٦٤ . « ان اعداء الدين يعلمون حسناً أنْ لا نصرة لهم ولا فوز إلّا بتدمير هذه الجمعيَّة المقدسة التي هي حصن الدين القويم »

على ان البعض من اصحاب الفلسفة المستحدثة ممَّن مرقوا من الدين لم يقفوا عند هذا الحدّ من بثّ روح الثورة بين العامَّة والخاصَّة واضطهاد الجمعية المشار اليها بل توفقوا اخيرًا في هدم هذا السدّ المنيع بواسطة اعوانهم ولاة ذلك العصر الذين طلبوا الى البابا اكليمنضوس الرابع عشر الغاء الرهبنة اليسوعية تحت حجج فارغة وتوعّدوهُ باضطهاد الكنيسة ومناوأتها إلَمْ يُجب طلبهم واتحد لهذه الغاية شوازيل في فرنسا واميرنابولي وحاكم پارما ووزير اسبانية وكرڤاليو في البرتغال واستولوا على عدة اماكن من املاك الكرسي الرسولي واخذوا يواصلون طلبهم تارةً بالمجاملة وطورًا بالوعد والوعيد واحياناً بالتهديد حتى اكرهوا البابا اخيرًا على اجابة طلبهم بالغاء هذه الطغمة الملائكية في براءَتهِ المؤرخة في الحادي والعشرين من شهر تموز سنة ١٧٧٣ تحت عنوان « Dominus ac Redemptor » وقد صار تنفيذ هذه البراءة في كل مكان على حياة الحبر المذكور الَّا في روسيًا وبروسية بناء على طلب ملكيهما اللذين كانا يُنزلان هذه الجمعية اعظم منزلة من الحب والاعتبار

بيد أنّ تلك البراءة بالغاء الجمعية اليسوعية لقد أتت باسوأ النتائج واوخمها لانّ الكنيسة بالغائها الجمعية المذكورة قد فقدت اكبر انصارها والدين افضل محاميهِ والعائلة البشرية احكم مهذّبيها . ومذ ذاك الوقت خلا الجوّ لاصحاب الفلسفة الكاذبة فازدادت فلسفتهم انتشارًا وتأيدت المذاهب الكفريَّة فعمّ الشقاء وساد الشقاق وانتشرت الفوضى وقامت الثورات على قدم وساق . اما البابا اكليمنضوس الرابع عشر فلم يكن يرتاح لهُ بال بعد تلك البراءَة بالغاء جمعية ابناء يسوع الذين كانوا ويشهد بهِ الحق اعمدة الدين الكاثوليكي واكبر عضد للكنيسة كما كتب عنهم الاحبار الرومانيون والمؤرخون الصادقون من كاثوليك وغيرهم كثيرين لا يسعنا المقام ذكرهم (١

١) ويحسن بنا ان نذكر هنا ما كتبه العلَّامة دي سيغور في محاماته عن الرهبنة اليسوعية (ص٢٢ من مذكراته وجه ١٣٩) (de Ségur: *Causeries, p. 139*) « ان كلوين كان يعدّ ابناء يسوع من الدّ اعدائه وعليه لم يكن يقوى على اخفاء ما اضمره من الحقد والضغينة ضدّ هؤلاء بل كان يقول جهارًا : انه ينبغي التخلّص منهم . وقد كتب بكل قحة لاحد اصحابه : اذا لم نتمكن من اهلاك هذه الفئة ينبغي على الاقل ان نسعى في طردهم وسحقهم باكاذيبنا ووشاياتنا

وقصارى الكلام قد كان من نتائج الفلسفة المستحدثة تفاقم الشرور وازدياد الثورات والمروق من الدين وثلّ العروش خصوصاً في فرنسا التي روّت ارضها بدماء

« Jesuitæ vero qui se maxime nobis opponunt aut necandi, aut si hoc commode fieri non potest,ejiciendi,aut certe mendaciis et calumniis opprimendi sunt »

على ان ابناء كلوين ومن بعدهم ابناء ڤولتير قد تلقّوا هـذا التعليم بكـل امنٍ وحرص ولم يكونوا يقصّرون في شيء مما تركه لهم اجدادهم من الوصايا والتعليات بحق الطغمة اليسوعية . ونحن لا نحتـاج الى تبرئة هذه الرهبنة الفاضلة ممـا قرّفها به اعداؤها حسدًا وبغضاً بل ندع الكلام عنها لاشهر كتبة البروتستان واصدقهم كشول (Schœll) ورانك (Ranke) . وهاك ما اجاب به ملك فرنسة هنريكوس الرابع ديوان الندوة واساتذة كلية باريس ردًّا على ما افترى به هولاء ضدّ الاباء اليسوعيين واتهموهم به» : «اشكر اهتمامكم بشخصي وبما يعود الى تحسين حال المملكة . امّا ما ذكرتموهُ من امر كلية سُربون مع اليسوعيين فليس فيه ما يؤثّم هؤلاء ويبرّر اولئك . لان احكام كليّة سُربون بحق اليسوعيين لم تستند الى قواعد الحكمة والعدل لان اصحابها حكموا عليهم قبل ان يعرفوهم كما فعلتم انتم ولئن كانت كليّة سُربون القديمة رفضتهم حسدًا فالحديثة تلقّتهم بملء الاعتبار والتكريم واتخذتهم من اشهر وافضل اساتذتها . اما قولكم بان مشاهير علماء ديوانكم لم يتخرّجوا عليهم ولم يأخذوا عنهم شيئًا فنسلّم بهِ اذا كان المراد بهولاء العلماء الشيوخ الذين سبقوا عهد اليسوعيين في فرنسا . واذا كانت مدارسكم تعلّم احسن من مدارسهم .فلِمَ اقفرتْ ولم تقم لهـا قائمة بعد مغادرة اليسوعيين لها ؟ أو لم يلجأ الامر اخيرًا الى طلبهم وإرجاعهم في دواي ( Douai ) وپنتاموسون ( Pont-à-Mousson ) وخارج المملكة رغمًا عن الاوامر المشدَّدة التي اصدرتموها بطردهم والغاءِ رهبانيتهم ؟ . اما قولكم بانهم ينتقون من الاحداث امضـاهم ذكاء وافضلهم عقلًا فقولكم هـذا هو شهادة لهم لا عليهم . أفلسنا نحن نختار افضل الشبّان واشجعهم انعدّهم جنودًا يحمون ذمـار المملكة والوطن وندفعهم لساحات الحرب . اما قولكم انهم يتداخلون في تدبير اموركم كما يستطيعون فذلك لا يحطّ بشأنهم بل هي حكمة لا تنكرها عليهم وانا ذاتي تسنّمتُ العرش كما استطعت . إنما ما يذهلني بهم على الخصوص هو صبرهم وجلَدهم واحتمالهم الذي يؤدي بهم الى تحقيق ما يرغبون

« اما قولكم بانهم مدقّقون بحفظ قوانينهم فهذا مما يؤيّدهم ويثبتهم وفي الوقت عينهِ يزيدهم حظوةً بعيني واعتبارًا في قلبي وعليه لا اشاء ان ابدّل او اغيّر شيئـًا من قوانينهم بـل اريد المحافظة عليها . واذا وجد من الاكليروس من ينظر اليهم شزرًا فـلا عجب فالجهّال كانوا او يكونون دائمًا اعداء العلماء وعندما قصدت إرجاع اليسوعيين الى فرنسا لم يرُق ذلك بعين ذوي الاصلاح الموهوم واصحاب السيرة المتراخية من طبقة الاكليروس وهذا لَعَمر الحق ما ضاعف اعتبار هؤلاء الاباء الافاضل بقلبي » آه

ولم نكن نعجب نحن فيما اذا صادف اليسوعيون في كل عصرٍ اعداء الدّاء يحاولون الحطّ

ابنائها كما يؤيد ذلك تاريخ الثورة الفرنسيَّة وساغويار في خطابه المشهور سنة ١٧٧٠ وجمال الدين الافغاني احد فلاسفة الشرق المشهورين في ردّه على مذاهب الفلسفة المنوه بها . ومما قال هو : ان البعض من هولاء الفلاسفة قد اسّسوا مذاهبهم على بطلان الاديان كافة وقد درجوا الاديان بين عداد الاوهام الباطلة . . وغرسوا بذور الاباحة والاشتراكية ففسدت الاداب وقامت الثورات وعدمت السلطة نفوذها وتضعضعت اركان الهيئة الاجتماعية . لانّ الدين هو سلك النظام الاجتماعي وبدونه لا اساس للآداب والتمدن » . ومما لا مريةَ فيه ان الفلسفة المستحدثة اضحت في ذلك الوقت مرسحاً للضلال : اضاليل علميَّة وقوامها تشويش الافكار والقاء الريب في الحقائق الاساسيَّة . واضاليل عمليَّة وغايتها ثلّ العروش وهدم المعابد وقلب كل نظام وبكلمة واحدة إقامة مملكة الشرّ على انقاض مملكة الخير . فمن اضاليل الاولى نشأ مذهب العقليّين(le Rationalisme) اي ناكري الوحي في فرنسة والمانية ثم المذهب الوضعي (le Positivisme) ثم مذهب الاباحية (le Libéralisme) الذي اتى به بعض علماء الكاثوليك . ثم مذهب الاشتراكية (le Socialisme)

١ : مذهب نكران الوحي الالماني . ان هذا المذهب المادي ينكر بتاتاً وجود النفس والارواح غير المنظورة . ومانويل كَنْت (١ احد المنتصرين لهذا المذهب لم يقف عند حدّ نكران وجود النفس والعالم غير المنظور بل ينفي تحقيق وجود العالم الماديّ ايضاً وهو يزعم ان الدين لا حقيقة له بل هو امرٌ وهميّ لا يمكن اثباتهُ الى غير ذلك من الامور التي تدعو طبعاً الى الريب وقد أيّد مذهب كَنْت فيكتْ (٢ الذي جاهر ان كل ما هو خارجٌ عن الفاعل المفكِّر (le moi) هو وهميٌّ لا حقيقة له . واما شالينغ (٣ فقد انكر الفاعل المفكِّر وما ينسب الى الموضوع (٤ . واما

---

من كرامتهم بما يختلقون عليهم من القول الهراء والتهمات الباطلة لان الجهّال قد كانوا دائماً اخصام العلماء والاشرار اعداء الابرار . وبغض الجهّال والاشرار والكفرة والاراتقة لابناء يسوع هو افضل شهادة على فضلهم وصلاحهم وبيّنة جُلّا على عظم منزلتهم وما لهم من الشأن الخطير في عالم الدين والعلم

١) (Emmanuel Kant) ولد سنة ١٧٢٤ توفي ١٨٠٤

٢) (J. Fichte) فيلسوف الماني اخذ عن كَنْتْ ونهج منهاجهُ ولد ١٧٦٢ توفي ١٨١٤

٣) (Sehelling) فيلسوف الماني ولد ١٧٧٠ توفي ١٨٥٤ ٤) ونعني بالفاعل المفكر Subjectif والموضوع Objectif

الفيلسوف الالماني هيغل ( Hegel) ١٧٧٠ - ١٨٣١ فليس احدٌ يجهل امره وامر ترَّهاته العلمية بخصوص صور نطق الحياة فهذا الفيلسوف اتى في مذهبهِ بامور متناقضة وهو يعتقد بوحـدة الذات بين الله والمخلوقات وعدم الفرق بين الخير والشرّ وبين السلب والايجاب (النعم واللّا ) الى غير ذلك مما سيأتي الكلام عنهُ في حينهِ

١ً : مذهب (l'Hermésianisme) نسبة الى الكاهن الالماني هرمس (١ قد شاء هذا الفيلسوف تهذيب المعارف البشرية واصلاح الدين المسيحي على اسلوب جديد بالاستناد الى مدارك العقل البشري فقط وكان يزعم انه بهذه الطريقة الجديدة يخدم الدين الكاثوليكي افضل خـدمة ويوفّق في الوقت عينهِ بين العقـل والايمان ويزيل كل خلاف بين الفلاسفة لكنّه هدم اساس العقائد الموحاة والتقليد العام الذي مشت عليه الكنيسة منذ نشأتها وقد كان لمذهب الكـاهن المذكور تأثير عظيم في المانية فاتخذتهُ الكليات حتى المدارس الاكليريكية دستورًا للتعليم . ولما رأى البـابا غريغوريوس السادس عشر ما اتى بهِ من الاضاليل حرَّم تآليفه بمنشوره الصادر في سنة ١٨٣٥ تحت عنوان Ad augendas وجدّد هذا التحريم بيوس التاسع ١٨٤٧

ب : وقد نشأ في المانيا عن مذهب نكران الوحي مذهبٌ اخر لم يكن اقلّ ضلالًا وخطورةً ممَّا تقدّمهُ لان البعض من اولئك الفلاسفة لم ينكروا اليقين الفلسفي فقط بل تخطّوا الى نكران اليقين التاريخي ايضاً . وزعيم هولاء كان الدكتور ستروس (٢ الذي انكر حقيقة الاناجيل التاريخية فاصدر سنة ١٨٣٥ تأليفه المشهور الذي دعاه «حياة المسيح» زعم فيه بأن الاناجيل انما هي عبـارة عن تصوُّرات شعرية وقصص خيالية لا يتمثل بها شبه الحق وان من يدعونه المسيح انما هو خيال استعاره كَتَبة الاناجيل من الخرافات الوثنية وقصص اديانهم . وقد حذا رينان (٣ الفرنساوي

١) Hermes وُلد في مونستر ١٧٧١ توفي سنة ١٨٣١ ٢) David Strauss احد زنادقة الالمان . ولّف «الدروس في اصل الديانة المسيحية» وصاحب «حياة المسيح» ولد في ورتمبرج ١٨١٨ وتوفي ١٨٧٤ ٣) E. Renan ولد في ترِكويـار في ٢٧ شباط ١٨٢٣ ودخل مدرسة سان سولپيس الأكليريكية حيث درس الفلسفة واللغات القديمة وكان شديد الميل لمطـالعة فلسفة الالمان وتآليفهم الجدليَّة ممـاَّ ضعف به روح الايمـان واخيرًا ترك الثوب الاكليريكي وبعد ان تقلّب مدَّة بين الشكّ واليقين نبذ دينهُ واعلن بكفرهِ وقد فنَّد علماء الكاثوليك آراءهُ الواهنة . توفي سنة ١٨٩٢

حذو ستروس ونهج منهاجهُ في تأليفه «حياة المسيح» التي حرَّم قراءتها مجمع فحص الكتب سنة ١٨٦٤

٢ : مذهب ناكري الوحي من الفرنسيس. ان طريقة فلاسفة الالمان لم تكن لتروق بأعين فلاسفة الشعب الفرنسيسي الملحدين بل رأى احدهم كوزين (١ ان يلطِف المذهب الالماني بخصوص الوحي فأتى بمذهب آخر هو اشبه شيء بمذهب الحلول فانكر اولًا الوحي بالمعنى الكاثوليكي واقام العقل حكماً فاصلًا بامور الدين ناكرًا سلطة الكنيسة والاسرار والعجائب والانبياء خصوصاً سرّ التثليث والتجسُّد والفداء والنعمة وقد اطلق على مذهبه اسم مذهب الاختيار (٢ . وكان من انصار هذا المذهب جوفروا (Th. Jouffroy) (١٧٩٦—١٨٥٢) وداميرون (Damiron) (١٧٩٤—١٨٦٢) وقد حرَّم مجمع فحص الكتب قراءة تأليف كوزين المعنون تاريخ الفلسفة (١٨٤٥) والمجمع الفاتيكاني رذل جميع الاضاليل التي اتى بها المذكور في تعاليمه (١٨٧٠)

٦ : ( le Positivisme ) ان أول من انتصر لمذهب هولباك الالماني وهلفاسيوس الماديين كان كابانيس (P. J. Cabanis) ( ١٧٥٧—١٨٠٨ ) وبروسه (Broussais) (١٧٧٢—١٨٣٨) ودوتراسي ( deTracy ) (١٧٥٤—١٨٣٦) زعم هؤلاء ان تصوّرات الانسان انّما هي نتيجة تأثُرات دماغية. وان الخير والشر هما كلمات فارغة لا حقيقة لها . وبالجملة قد نسب هولاء كل معارفنا وتصوّراتنا الى المادَّة ومن هذا التعليم نشأ مذهب البوزتيفِسم . وحقيقة هذا المذهب هو عدم التسليم بشيءٍ الّا ما يثبته الاختيار الحسّي والعلمي. وأوّل من ايّد هذا المذهب كونت (Auguste Conte) ( ١٧٩٨—١٨٥٧) ونشرهُ باسم العقل والعلم ليتره ( Emile Littré ) (١٨٠١—١٨٨١) وتان ( Hippolyte Taine ) ١٨٢٨—١٨٩٣) وسانت بوف (Sainte - Beuve) (١٨٠٤—١٨٦٩ )

ان هذا المذهب لا ينكر الامور الفائقة الطبيعة فقط بل النفس والعالم العقلي والادبي وقد اطلق عليه ارباب المدارس اللادينيَّة اسمَ التقدّم العقلي والنجاح العلمي

١) (Victor Cousin) ولد في باريس سنة ١٧٩٢ تقلّب في عدة مناصب علميَّة ومدنيَّة وقد كان خطيباً وفيلسوفاً وكاتباً فصيحاً توفي في كانَ في ١٣ كانون ثاني سنة ١٨٦٧

٢) (l'Eclectisme) اي اختيار ما يراهُ حسناً في جميع التعاليم

وقد رشق المجمع الڤاتيكاني تعاليم هـذا المذهب بالحرم الشديد وببراءة السِلّابوس «le Syllabus» المشهورة

ب : le Libéralisme مذهب الإباحية : نشأ هذا المذهب بين البعض من ابناء الكنيسة الكاثوليكية ولم تكن غاية اصحابه مناهضة الدين ومقاومة تعاليمهِ بل التوفيق بين العقل والايمان وبين الكنيسة والمذاهب المستحدثة . قد حرّم تعاليم هذا المذهب غريغوريوس السادس عشر ببراءته التي اوّلها «Mirari» سنة ١٨٣٢ وبيوس التاسع في منشوريهِ « Quanta cura » و « Syllabus » سنة ١٨٦٤

اول من جاهر بالمذهب المشار اليه كان لامَنهْ (١ الذي جعل العقل العام (ويريد به الرأي العام) مصداقاً على اليقين لينفي عن العقل الفرديّ المعرفة الاكيدة المتعلّقة بعلم الكلّي والاداب وقد وهم المذكور انهُ سيتيسّر له إيقاف اضاليل عصرهِ عند حدّها بما اختلقهُ من المبادئ فتعدّى في ذلك حدود الصواب ولكنَّه لم يقف عند هذا الحدّ من مبادئه المغايرة بل شاء ان يجمع بين الحقيقة والضلال باطلاقه العنان للحرية البشريَّة وقد انشأ تأييدًا لمبادئه جريدته المشهورة التي دعاها « المستقبَل » l'Avenir سنة ١٨٣٠ وقد حرّم كثير من اساقفة فرنسا مطالعة الجريدة المذكورة كما ان رومية رشقت بسهم الحرم الشديد تعاليم الاب المذكور ومن ثمّ انفصل عنه صديقاه لاكوردير (٢ ومونتالمبر (٣ ولم يكن لامِنه ليقلع عن ضلاله بل ازداد قحةً ونشر تأليفه المشهور الذي حرمته الكنيسة «Les paroles d'un croyant» ١٨٣٤ . وقد حذا حذوَ لامِنه الاب بوتن (Bottain) استاذ كلية ستراسبورج فحرمت الكنيسة تعاليمه لكنَّه ما عتَّم ان رجع عن ضلاله وقدّم للكنيسة خضوعهُ

ثانياً : اضاليل عمليَّة . ان الاعمال تتبع عادةً الاعتقاد فمن ضلّ اعتقادهُ ساء عملهُ

١) (Lamennais) ولد في برتانيا من اعمال فرنسا سنة ١٧٨٢ وتوفي في باريس ١٨٥٤ وقد كان المذكور كاتباً بليغاً سريع الخاطر متوقد الذهن لكنَّهُ شديد التمسك برأيه

٢) (Lacordaire) وُلد في ١٢ ايار سنة ١٨٠٢ . كان اولاً محامياً دعاوى ثم ترك مهنتهُ ودخل المدرسة الاكليريكية بعمر ٢٢ سنة . تعرّف بلامنّهْ واخذ عنه ثم شاركه في تحرير جريدته لكنه افترق عنهُ عندما انفصل عن الكنيسة . وفي سنة ١٨٤٠ دخل لاكوردير بسلك رهبان القديس عبد الاحد وسنة ١٨٦١ نقله الله الى دار كرامتهِ

٣) كان (Montalembert) (١٨١٠–١٨٧٠) خطيباً مفوّهاً وكاتباً بليغاً

وهذا ما حدث لبعض ابناء الجيل الثامن عشر والتاسع عشر فكان من نتائج فلسفتهم الكفريّة المروق من الدين وتأليف الجمعيّات ضدّ كل سلطة وانتشار روح الثورة في البلاد وحدوث المشاجرات بين الكاثوليك انفسهم خصوصاً في فرنسا كتأسيس بعض الجمعيّات تحت اسم كنائس نذكر منها الجمعية التي أسسها احد الكهنة الاب شاتِل (Châtel) فهذا الكاهن انكر العصمة وبعض الاسرار وجعل مرجع الكنيسة الى الحكومة المدنيَّة ولكنَّ المنكود الحظ لم يتخلّص من جدران الحبس سنة ١٨٤٢ اقتصاصاً منه على جرائم قضت عليه بسوء العاقبة. ومن اسوأ هذه العصابات جمعيّات ابناء الارملة والجمعيّات الاشتراكية والمدارس اللادينية

ومن نتائج الفلسفة الكفريّة ايضاً مناهضَة الاديان واطفاء كل شاعرة دينية في القلوب وعلى الخصوص مقاومة كل سلطة شرعية وقد عزمنا على ان نثبت ذلك بالادلة لراهنة والحجج الصادعة . . .

---

# معرض بيروت

## نظر اجمالي تاريخي اقتصادي اجتماعي

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

قد حان لنا بعد كلامنا العموميّ عن الاسواق القديمة شرقاً وغرباً وعن المعارض لوطنيَّة والدوليَّة ان نلقي نظرًا الى معرضنا البيروتي الذي انتهى آخرًا زمنهُ الرسميّ فنروي شيئاً من تاريخهِ واسواقهِ وميّزاتهِ وفوائدهِ لتزدان بهِ صفحات مجلّتنا . وكان بودّنا لو خُصص لهذا المعرض كتاب مستقلّ يشتمل على تفاصيل اخبارهِ ومحاسنهِ المادّية والادبيَّة فيُستند اليهِ لتاريخ بيروت حاضرة لبنان الكبير فيكون كغُرَّةٍ في جبينها وكتاج على مفرق هامتها . وليس الامر عويصاً بعد ما ورد في الجرائد الوطنيَّة ولاسيَّما في جريدتنا البشير المنير من الاوصاف المتفرّقة في اعدادهِ المتوالية منذ شهر نيسان الى اليوم . وها نحن نسعى بسدّ هذه الثلمة بكتابة فصل اجمالي يبقى كتذكار لهذه المأثرة الوطنيَّة

## ١ لمعة تاريخية عن معرض بيروت

ما كادت تستقرُّ قدم فخامة الجنرال غورو في مدينة بيروت حتَّى اخذ يفكّر في نجاحها وترقيتها وتوسيع نطاق تجارتها وصناعتها لتنهض من كبوتها بعد ما اصابها من الانحطاط بسوء تدبير الدولة التركيَّة ولاسيَّما في ايَّام الحرب الكونيَّة . فكان اوَّل ما خطر على ذهنهِ الوقَّاد انشاء سوق عموميَّة يُدعى اليها اهل سوريَّة ولبنان مع بعض الممثّلين للمحلَّات التجاريَّة الافرنسيَّة في باريس وليون ومرسيلية وغيرها فيكون اجتماعهم في بيروت واسطةً للتعارُف بينهم وسبباً لتوثيق عرى المواصلات فيطَّلع الغربيُّون على مصنوعات الشرق ويقدّرونها قدرها كما يستفيد اهل الشرق من الاختراعات الاوربيَّة العديدة

لكنَّ مشروعاً كهذا مع ما كان عليهِ اذ ذاك الوطن من القلق وغلاء الحاجيَّات لم يكن بالامر السهل ان لم نقل ضرباً من المحال الَّا انَّ المثل يقول : « انَّ كلمة المستحيل ليست بلفظة افرنسيَّة » ومن ثمَّ لم يعبأ فخامتهُ بتلك العوائق مهما عظمت فخابر رئيس الجمهوريَّة الفرنسويَّة المسيو ميلران واجتمع في فرنسة بارباب الفنون والصنائع وشكَّل اللجن وانتدب لادارة انشاء المعرض وابنيتهِ واعمالهِ بعض الاختصاصيّين ولم يزل يتتبع كلّ اقسامهِ حتَّى اخرجهُ بهمَّتهِ القعساء من بطون الارض بابنيتهِ ومخازنهِ ومطاعمهِ وضروب معروضاتهِ الى حيز الوجود . ثمَّ ألفت اليهِ انظار دولتهِ الكريمة التي ارسلت وفدًا خاصًّا لحضور تدشينهِ يرأسهُ المسيو فرنان دافيد .

فوقع افتتاحهُ مساء يوم السبت ٣٠ نيسان بحفلة توفَّرت فيها كلّ اسباب المؤانسة وحضرها علية القوم من فرنسويّين في مقدَّمتهم الجنرال غورو والاميرال مورنه والمسيو روبر دوكه والجنرال غرنيه دوبلسي والمسيو سوليه نائب باريس ووطنيّين يتقدَّمهم حاكم لبنان مع قناصل الدول والاعيان فتفقَّدوا ابنية المعرض في اقسامهِ الثلثة في شارع اللّنبي وحديقة الاتحاد وفي الربوة المشرفة على البحر وراء السراي القديم واستعرضوا بضائع التجار وسُرُّوا خصوصاً بنظر المصنوعات الوطنيَّة وقضوا بقيَّة النهار في حضور مشاهد بهجة ووليمة فاخرة وألعاب ناريَّة مختلفة فاه في اثنائها الخطباء البلغاء وأثنوا على كلّ من عُنوا باقامة السوق البيروتيَّة

هذا ونضرب الصفح عمَّا جرى بعد ذلك في الايَّام التالية من الحفلات البهجة ومجالس الانس الشائقة منها سباق السيَّارات ومعركة الزهور اللطيفة لنحوّل النظر الى ذات المعرض

## ٢ مشتملات المعرض

يطول بنا تعداد كلّ ما عُرض في سوق بيروت من المصنوعات الشرقيَّة والغربيَّة فها نحن نذكر منها ما امكنَّا مشاهدتهُ نوردها مقسَّمةً الى بعض اقسام عموميَّة

### ١ الفنون الجميلة

لها حقّ التقدُّم اذ تدلُّ اكثر من سواها على آداب الشعوب وترقّيها

واوَّل ذلك (فنّ الهندسة) الذي ظهر في هذا المعرض بكلّ جلائهِ . وليس كلامنا على الحوانيت والمخازن التي قُسمت اربعة اسواق في شارع اللنبي فانَّها وان لم تخلُ من الاتقان والتفنُّن لكنَّها أُقيمت على طرز بسيط اقتصادًا لتكفي لعدد العارضين العديد . وانَّما نُريد تلك البنايات الفخيمة التي تشيَّدت بسرعة غريبة وبكل ذوق . منها مداخل اقسام المعرض الفخيمة سواء كانت في شارع اللنبي ام في المنشيَّة فانَّ هندستها على جانب عظيم من الأبهة والجمال وقد أُفرغ الجهد في زخرفة ابوابها تلوح عليها مسحة من بهاء الابنية الشرقيَّة القديمة

ويلوح ذلك خصوصاً في المعاهد التي شُيّدت في حديقة الاستقلال لمدن سوريَّة المختلفة . فهناك ستَّة ابنية تأخذ هندستها بالبصر لحسن تنسيقها ولطف تنظيمها وترى لها الغرف المختلفة والمقاصير والنوافذ تعلوها السطوح والشرفات بهيئات شتَّى تروق النظر وينشرح لها الصدر . وقد وضع رسومَها ذوو الخبرة بالذوق الشرقيّ متفننين في وضعها ما امكن ليجد فيها الوطنيُّون امثلةً لمبانيهم

ولا نتعرَّض لذكر المطعم القائم كصرح عظيم على التلّ المشرف على المرفأ الكاشف على البحر وسواحلهِ وعلى لبنان ومناظره الفتَّانة وهو مثال حسن للهندسة الاوربيَّة لا ينقصهُ شيء من اسباب الهناء

وانَّما نأخذ على معظم هذه المباني قلَّة متانتها وهي من الخشب المطليّ بالجبصين

فلا تصلح الَّا لزمن المعرض ثمَّ تُخرب وتزول بهجتها

و ( لفنّ التصوير ) في المعرض حصَّة وافية فرأَينا لعدَّة مصوّرين وطنيين اعمالًا تدلُّ على حذقهم في هذا الفنّ الذي بقي دفيناً مدَّة اجيال طويلة في سوريَّة فاحياه بعض اهل بلادنا البارعين كالفضلاء داود القرم وحبيب سرور وكم صليبي والفرد بك سرسق وحمصي . فهناك لهم عدَّة تصاوير منها صور اشخاص احياء او مائتين بملابسهم الشرقيَّة ومنها صور ازياء اهل البادية ومنها صور حيوانات او زهور او ابنية وعدَّة رسوم على درجات مختلفة من الجمال بين حسن ووسط ودون . وقد استحسن الزوَّار صورة يوحنَّا المعمدان في شبابهِ لداود افندي القرم

وكذا (فنّ النحت) فمنهُ أمثلة متقنة الصنع فعند مدخل بناية لبنان تمثالان من رخام رُمز بهما الى رقود الجبل سابقاً والى نهضتهِ المستقبلة بشخص امرأَتين نائمة فمستيقظة من نومها وكلتاهما من رخام ابيض نحتهما "يوسف سعدالله الحويك" وما كان ضرَّهُ لو كان ستر عريهما بثوبٍ ما ! . وقد امتاز ايضاً بالنحت الخواجا خوكاز

وقد عُرض في داخل البناية صليب عليهِ شخص السيّد المسيح مصلوباً على كبرهِ الطبيعيّ وهو منحوت في خشبة واحدة من السنديان الَّا ذراعيهِ . وهيئة المصلوب جليلة وسيمة في اوجاعهِ قد اجاد عملهُ الياس افندي متَّى

وهناك عدَّة تماثيل صغيرة من الطين الاحمر لجان افندي دبس خطر لهُ ان يمثِّل بها على منوال مؤثر احوال لبنان المفجعة في ايَّام الحرب فترى مصائب اهلهِ في كلّ هيئاتها من عري ومرض ومجاعة وموت واكدار يصعب على القلم رسمها وانَّما اخرجها المصوّر بدقَّة تثير عواطف الحزن والحنان في قلوب ناظريها

وممَّا يلحق بهذا الباب ثمانية قطع من الفسيفساء القديمة العهد عرضها في قسم دمشق صاحباها سليم افندي سمرا وعزيز افندي سرجي . وهي اشغال بهيَّة ليست سابقة للتاريخ النصرانيّ كما كُتب هناك لكنَّها مع ذلك جديرة بالذكر لحسن رصفها وتركيبها بالفسيفساء الناصعة الالوان . فاثنتان تمثّلان الالهتين هيرا المدعوة ايضاً جونون وپروزرپين إلهة الجحيم . وبعضها يمثّل إلهة الشعر ايراتوْ وعَجَلة سباقٍ في الميدان وصورة الشتاء على هيئة شيخ متلفع بردائهِ وصورة جبل اولمپيوس فقرأها بالغلط صاحب الكتابة المعلَّقة عليها اولمپياس وظنَّ انَّها والدة الاسكندر ثمَّ صورة ثلاثة

نشخاص من اليونان كتب احد المازحين فوقها بقلم حديث اسم الشيطان مفيستوفيلس

## ٢ الصنائع

للصنائع في معرض بيروت الحظّ الاوفى لاسيَّما مصنوعات دمشق من محلّات جورج وجبرائيل نعسان وجرجي بيطار واصفر وسركيس وابرهيم قرواني ومصنوعات بيروت من معامل ومحلات سيوفي وترزي والياس متى وامين وهبه وجبران زياده ونقولا عجوري واسكندر عكّاوي ومن دار الصنائع والفنون الاسلاميَّة

واخصّ المصنوعات الدمشقيَّة الآنية النحاسيَّة المنقورة المنقوشة المزيّنة بالاشكال الهندسيَّة والكتابات العربيَّة والعبرانيَّة بينها الاطباق والصوانيّ والبواطيّ والقناديل والثُّريَّات والمسارج والمناقل والمواقد واللكُنُ والاباريق والقماقم على اختلاف اجناسها واحجامها وهيئاتها ممَّا اندهش لحسنها الزوَّار وخصوصاً الاوربيُّون وبادروا الى اشترائها

ومنها المصنوعات الخشبيَّة الرائعة من طاولات وخزانات ومكاتب واسكمنات ومقاعد وقباقب وعُلَب كلُّها مطعَّمة باجناس الاخشاب الملوَّنة او بقطع من الفضَّة او الاحجار الملوَّنة على شكل الموزائيك فتروق للعين بتنسيقها ولطف تقاطيعها واسواقها البديعة ورسومها الهندسيَّة

ومنها ايضاً الصفائح الصينيَّة الزرقاء ذات الزهور والآنية المحلّاة بالميناء والأسلحة القديمة المجوهرة كالسيوف والقامات والخناجر مع نقوشها الذهبيَّة المرصَّعة بالمينا والكتابات المنزلة فيها ( اطلب وصفها في المشرق للاديب يوسف غنام ثابت ٣ [١٩٠٠] : ٥٧٧ و ٧٠٠ ) (و ٤ [١٩٠١] : ٧٨٤)

امَّا المصنوعات البيروتيَّة فانَّها اقرب الى الصناعة الغربيَّة كادت تفوق عليها ببعض خواصّها . فانَّ اثاث البيوت وما يدعونهُ بالموبيليا يشبه اتمَّ الشبه اصنافهُ المجلوبة من اوربَّة مع ما تمتاز بهِ من التقليدات الشرقيَّة . فهناك المنضدات اللطيفة وطاولات الشغل او اللعب والأُطُر (البراويز) والحواجز البيتيَّة بينها صفائح جداريَّة بحجارة ملوَّنة شغل اسعد فرج وغير ذلك من المصنوعات الرائعة

ولبيروت السَّبق في شغل المنسوجات والاقمشة واشغال الابرة والتطريز والزركشة بالالوان وبالذهب . وقد شاعت خصوصاً في بلادنا بفضل راهبات المحبَّة والراهبات اليوسفيَّات وراهبات العائلة المقدَّسة وراهبات قلبي يسوع ومريم فقد عُرض البعض من اعمالهنَّ الجميلة . والبعض الآخر لبنات دار الصناعة الاسلاميَّة ولبعض الاوانس الوطنيَّات كاماً جورج صفير وروز بجاح ومدام سابم جلخ وغيرهن من الفاضلات أعربن عن براعتهنَّ في النقش والرقش والتخريج من خوجات ووجوه طاولات وازياء اخرى جميلة . ونضيف الى المنسوجات الوطنيَّة اشغال الديما في بكفيا وبيت شباب

وقد عَرض حابيُّون كثيراً من الثياب الشرقيَّة القديمة المزركشة بالذهب والمحلَّاة بالقصب الصالحة لامراء العَرَب . وتعارضها مصنوعات الزوق التي وصفها سابقاً في المشرق (٤ [١٩٠١] : ٤٤١) حضرة الخوري جبرائيل كيرلُس كما وصف مقصَّبات حلب الفريدة (٤ : ٧٥١) المرحوم يوسف مشحور

ومن مصنوعات حلب المرسلة الى المعرض السجَّادات والطنافس بالوانها المُشرقة ونقوشها البديعة . وقد عرض مثلها ايضاً محلّ بشاره اصفر وسركيس من دمشق

ومن مصنوعات القدس تُحفهم التقويَّة اللطيفة منها خشب ومنها صدف او عاج لهم فيها السبق منذ الزمن القديم اتى بها المعرض بعض اهل بيت لحم ومن جملتها تمثيل العشاء السرّي وصورة السيّد المسيح ورسلهِ كلُّها من الصدف على احسن طرز

وممَّا عُرض ايضاً من المصنوعات الوطنيَّة اشكال الصابون امتاز بينها صابون جرجي افندي ابي سعد . وعُرض ايضاً قرميد جان افندي دبس الذي مرَّ ذكر تماثيلهِ بالآجر

امَّا المصنوعات التي عرضها الفرنسويُّون وغيرهم من الفرنج فانَّها راقت في اعين الوطنيين كما راقت في اعين الفرنسويين مصنوعات الشرق وبذلك تمَّت الفائدة بامتزاج الشرق والغرب . وقد بلغ عدد مَن عرض من الاوربيين نحو الالف حضر من محلَّاتهم من يمثّلهم او اتخذوا لهم وكلاء . فممَّا يستحقّ الذكر حلى ومجوهرات ومصاغات محلّ تياري وماسون وشركائهم ومنها كلّ لوازم الطباعة واصناف الورق ومعدَّات التجليد من محلَّات دابرني وبريو وغوت وبلانكان في باريس ومنها اطياب وعطريَّات محلّ ڤينيون في ليون ومنسوجات مختلفة وازياء من عدَّة محلَّات . مع جلود واجواخ

واصباغ ومواد بنائيَّة. امَّا الادوات الحديديَّة والمحرّكات والمضخّات والمطافي والادوات الكهربائيَّة فانَّ الفرنسويين وغيرهم من الاوربيين عرضوا منها ما لم يكد يخطر على بال الوطنيين فاخذ منهم العجب بنظرها كلَّ مأخذ كساعات سويسرة واوتومبيلات اميركة ومواقد ايطالية للغاز واجواخ بلجكة

وقد كان للمعروضات المدرسيَّة قسم صغير استحسنَّا بعض الطافه. الَّا انَّنا وجدنا ما عرضتهُ المدرسة العلمانيَّة من اشغال تلامذتها مبتذلًا لا يشرّفها كثيرًا

## ٣ الزراعة والاعاشة

انَّ سوريَّة ارض زراعة تصلح تربتها في مناطقها المختلفة لضروب الغلَّات والمزدرعات فسُررنا بما اجتمع في المعرض من لوازم الزراعة والفلاحة. وقد نالت طرابلس في ذلك قصب السبق فانَّ بنايتها احتوت على ضروب مساطر الحبوب والبزور والغلَّات المختلفة في سائر اصنافها مع ما يستخرج منها من الزيوت والاسمان والمشروبات والمربَّيات المختلفة. وقد عرض اهل بيروت كثيرًا من هذه الحلويات لبعض البارعين في عملها من المسلمين كالافنديَّة بكري رمضان والبحصلي والعريسي. كما عُرضت مشروبات محلّيّ مانولي وغيركم

وكان في المعرض للمغتذيات والمشروبات الاوربيَّة مقام رفيع منها واردات المستعمرات الفرنسويَّة وغيرها كالارزّ والبنّ والسكَّر والكاكاو ومنها مصنوعات فرنسة الشهيرة من باقسماط ومعجونات وملبَّسات وحلويات. ومنها خمورها الذائعة الصيت كالكونياك وبوردو وشمپانية. هذا فضلًا عن مياهها المعدنيَّة الفاخرة وموادّها الطبيَّة مع الادوية الانكليزيَّة. وكان لكل هذه المعروضات من يمثّلها في المعرض ويشرح خواصّها وفضلها

وممَّا يلحق بباب الزراعة التبغ اللبناني واصنافهُ المختلفة عُرضت منهُ نموذجات جيدة في بنايتي طرابلس ولبنان نخصّ بالذكر تبغ بكفيا للامراء بلمع ومحل فريحه (اطلب مقالة الاجزائي الاديب يوسف افندي جميل في التبغ وزراعتهِ في لبنان في المشرق ١٤[١٩١١] : ٤٥ الخ). وكذلك زراعة التوت وتربية دود القزّ وبزورهُ خُصَّت ببعض الالتفات في معرض بيروت

ومما لهُ علاقه كبيرة بالزراعة الآلات الزراعيَّة التي تؤدي اليوم للملّاكين وارباب الفلاحة خدماً مشكورة لا تُحصى. في كلّ اطوار الحراثة والزرع والحصد والكدس فجرى امتحان ما اتى بهِ منها بعض التجار الفرنسويين بحضور جمهور كبير عرفوا فضلها عياناً. وكذلك عُرضت ضروب السمادات الاصطناعيَّة الكيموّيَّة التي من شأنها ان تُحسّن التربة وتُخصبها

امَّا الإعاشة فكان لها معرض خاصّ في اقبية قاعة البورصة قريباً من السراي القديمة. فُرش صحنها بالسجَّاد العجميّ والبسط الشرقيَّة ممَّا اصطنعهُ فتيان وفتيات ويتامى كانوا يشتغلون في وسط المعرض اشغالًا مختلفة من حياكة واحذية وبُسط وغزل الصوف. واذا دخل الزائر غرفةً من عن شمالهِ او توغَّل الى داخل المعرض سُرَّ بما يراهُ من انواع الحبوب والملبوسات الوطنيَّة والاجنبيَّة. ومن اكداس الاطعمة كاكياس الدقيق والقمح والارزّ والبنّ والسكر وغيرها من المآكل التي وزَّعتها الحكومة ولجنة الاعاشة على البؤسين بعد دخول الفرنسويين الى بيروت فأنقذتهم من المجاعة والموت الباسطَين رواقها عليهم. ويدلُّ على حالتهم التعساء ما ترى هناك من الصور الملوَّنة بريشة بعض الُملحقين بادارة المعاشة فلا يتمالك الزائر ان يصرخ: لله درُّ فرنسة انَّها حقيقة ملجأ البائسين واحنُّ الوالدات على الملهوفين ايَّدها الله مدى الدوران

## ٤ الفنون الحربية

وكأنَّ لجنة المعرض رأت من الواجب بعد الحرب الكونيَّة الاخيرة وما بلغ آذان اهل بيروت من ويلاتها ان تعرض على السوريين شيئاً من ادواتها وذخائرها وتهاويلها برًّا وبحرًا فخصَّت رواقاً وهو المشيّد جنوبيّ حديقة الاستقلال لتلك الغاية فاذا دخلهُ الزائر عدَّ نفسهُ في مسلحة ودار صناعة حربيَّة. ولمَّا كانت الامور تلوح حقائقها بالمقابلة فقد عُرض هناك عدَّة اشخاص من فرسان وجنود القرون الوسطى الى الاجيال المتأخرة فتراهم بشكَّتهم الحربيَّة مقنَّعين ومدرَّعين من الرأس الى القدم وفي ايديهم الاسلحة القديمة من تروس ورماح يمشون الى العدوّ فيصارعونهُ او يرمونهُ عن كثب امَّا اليوم بعد الاكتشافات الحديثة فقد تغيَّرت كلّ اداب الحرب فترى في المعرض المدافع والرشَّاشات والمتراليوز وضروب البنادق والموادّ الانفجاريَّة كالرمَّانات

والقنابل واصناف القذائف . هذه للحرب البرّيّة . امَّا الحرب البحريَّة فقد عُرضت أَلغامها العائمة وادوات الطربيد او النسَّاف التي تنفذ في قلب البحر الى ان تبلغ الى سفينة العدوّ فتنفجر تحتها فتهلكها

ومن حسن ذوق مهندسي هذا القسم تنظيم الاسلحة كالحراب والسيوف والغدَّارات على هيئة جميلة فترى بعضها كطاقة الزهور وغيرها على هيئة الآلات الموسيقيَّة كالقيثارات وغيرها . وهناك ايضاً ادوات التلغراف والتلفون اللاسلكي اللذين لعبا في الحرب الاخيرة دورًا معتبرًا

فهذا نظر اجمالي يمكّن القرَّاء من الحكم على منافع معرض بيروت الذي زارهُ نحو خمسين الفاً من سوريين وغيرهم . ولعلَّ كثيرين منهم لم يقدّروهُ قدرهُ الذي هو جديرٌ بهِ وعلى كلّ حال فانهُ كان اجلى برهان على رغبة فخامة المفوَّض الاعلى وارباب الحكومة المنتدبة في السعي بشؤون الوطن وترقيتهِ وتوفير الوسائط لتحسين امورهِ المادّيَّة والاقتصاديَّة وتوثيق الروابط بين الشرق والغرب لفائدتهما جميعاً . يشهد على ذلك كلّ منصف مثنياً اعطر الثناء على كلّ من قام بهذا المشروع الجليل واخرجهُ الى حيز الوجود

# نظرة الى بعض عجائب قعر المحيط

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

من اجمل واغرب الإيالات الجديدة التي امتدّت عليها فتوحات العلم العصري قعر البحار وكل ما انطوى عليه من آيات الحسن الرائعة التي بقيت آلافاً من السنين مدفونة في اعماق الاوقيانوس محجوبة عن انظار العلماء انفسهم . وقد توصل البحَّاثون في اواخر الجيل المنصرم وفي عصرنا هذا الى سَبْر تلك الاغوار الفسيحة المطمورة تحت غمار المحيط باستخدام الغوّاصات المجهزة بعدة آلات في غاية الدقّة لمعاينة عجائب الحياة في قعر البحار . وقد تجاسر بعض المصورين المشغوفين بتلك المحاسن المستفزّة لقلوبهم فتوشَّح بجهاز الغوَّاصين وانحدر الى قرار المحيط على حبل مُرخى من

ظهر سفينة ما بلغ بهِ الى قعر اليمّ حيث رسَّخهُ ووَتَّرهُ حجر ثقيلٌ . وعلى هـذا النمط كان يتوقَّف اخو الفنّ هنيهةً على طول الحبل كلما رأى ما يستلفت اليهِ ناظريه فيرسم الغرائب البادية امامه على ورق مخصوص لا تأثير للماء عليه رسماً سريعاً قليل التفاصيل والدقّة . وكان اذا خرج من المياه يُكمّل هذا الرسم الغليظ ويُحكمهُ بما وعاه في خزانة ذاكرته بل في حدقتي مقلتيهِ من الاشكال والالوان الشائقة وآيات الحياة البحريَّة الآخذة بمجامع القلوب

ولم تقف جسارة البحث العصري عند هذا الحدّ . مع انهُ لم يكن في الحسبان بل تخطَّته متجهة الى التصوير الشمسيّ لاعماق البحار . وقد سبق الى ذلك المستر وِلْيَمسون الذي توفَّق بعد الجهد الجهيد الى اختراع جهاز فوتغرافي بحري . وهاك على جناح السرعة كيفية استخدامه . انهُ يُجعَل هو والمصوّر في اسفل انبوب معدني واسع القُطر وقابل التمدّد مُناط بظهر مركبٍ خاص . وكانت التجربة الاولى لهذه الطريقة الغريبة في ميناء تاسّو الواقعة في جزائر انتيل (Antilles) الانكليزية والبحر هناك ذو صفاء وشفوف لا مُتجاوَز وراءهما . وقد وُسمت السفينة الاولى للتصوير الشمسي البحري باسم القصَّاص الفرنسوي الشهير جول ڤِرن تذكاراً لروايتهِ الخيالية المُعنونة بـ «عشرين الف فرسخ تحت البحـار » . ومن عجيب امرهِ وقدرة مخيّلتهِ انهُ وصف الغوّاصات اعواماً طويلة قبل اختراعها بل وصف عجائب قعر المحيط كأنهُ شاهدها مشاهدة العيـان

يحول ضيق المقـام دون افاضتنا في سرد آيات الحسن الرائع التي تمكّن العالم العصري من معاينتها بواسطة الوسائل المشار اليها آنفاً وما ضارعها . على اننا لا نريد ختم هذه العجالة قبل ازاحة طرف الحجاب عنها ليقف القرّاء ولو بعض الوقوف على شيء من البدائع المكتنة في جوف المحيط

كثيراً ما تشاهد هناك العين المفتونة من الوهاد والهضاب المغطّاة بالغابات الغنَّاء النضيرة ما يُمثّل امامها جبال الألپ المشهورة في الخافقين بفائق محاسنها . واشجار تلك الغابات هي في الغالب نوعٌ من نبات الماء يُدعى الخُثّ المعروف في كثير من اللغات الاوربية باسم ألْغَا ( alga في الانكليزية و algue في الفرنسوية ) . امَّا سكَّان تلك الاحراج الممتدَّة الى مدى العين فحدّث عن كثرتهـا وتنوّعها ولا حرج .

منها الانواع الضئيلة التي تلوح لناظريك بشكل زُهيرات نَبَضَ فيهـا عرق الحياة · ومنها الطوائف الساطعة الضياء كانها مصابيح حيّة او حُلى مرصّعة بأبدع الحجارة الكريمة · ومنها فصائل الاسماك الغريبة التي لم تحلم المخيلة بوجودها على ارضنا هذه · واليك بعض الامثلة منها : السمكة المنعوتة في عرف البرازيليّين بالقَمَريّة (peixe-lua) المشوب سوادها بالحُمرة — والسمكة المعروفة عنـد الطبيعيين باسم كيتودُنْت (chetodonte) وهي ذات منقار كالطيور واسنانها بدقّة الإبر تصيدُ بها الحشرات المائية الحاطّة على نباتات البحر · وهذه السمكة بديعة الالوان ولاسيما الزرقة والخضرة والصفرة فكأنها تشعّ اشعاعاً · ثمّ سمكة الوَرَنْك ( raie ) الهائلة الكبر المتوشّحة ثوباً لمّاعاً من الذهب والقِرمز (١

واذا طاف رائدٌ باعماق المحيط في ارجاء ذلك العالم الجديد شاهد من تنوُّع وتغيُّر مناظره الجذّابة ما يسحر مُقلتيه بل عقله · فهنا قمم الجبال العالية المكسوّة بما يحاكي غابات الصنوبر في لبنـان · وهناك ثُغرةٌ عجيبة العمق والطول قائمـة بين طودين شامخين · وفي جهة اخرى ترى مغاور بعيدة الغور فاغرةً فاها على منحدر علَم منيف · ثم ان الارض التي تطأها او تُشرف عليها تبهر ناظريك بضيائهـا كأنها لابسة رداء يققاً من الثلج وهي في الواقع متّشحة بثوب غريب من الرمل النـاعم العسجدي · وكثيرًا ما ترى هناك غابات المرجـان (٢ الورديّ اللون في نشأته والاحمر في عنفوان شبابه والابيض في دور شيخوخته كشعر الانسان الطـاعن في السنّ والاسود بعد موته كثياب الحداد · واذا تعدّيت تلـك الغابات فربما افضى بك السير الى مروج فسيحة وفرت فيهـا الحيوانات المعروفة بنجوم البحر ( étoiles de mer ) البديعة الهيئات والالوان · وما يزيد بهاء كل تلك المشاهد العجيبة ان الاشعّة والظـلال تمتزج وتتلاعب على سطح تلك الجبال والوديان تلاعبُها السحريّ المعهود في سفوح لبنـان مثالًا · ولعمري لولا ان الشمس تنفذ بضيائها المحيي الفتّان الى اعماق البحار لتجرّدت هذه عن كل ظواهر الحياة ومحاسنها الرائعة · لكنّ هناك اغوارًا شديدة العمق تنحدر اليها الغوّاصات فتراها محاطة بظلام دامس كأنّ ليلًا دائمًا مدّ رواقه على ارجائها · عندئذٍ

١) راجع مقالة الدكتور كونيغ في هذه الاسماك العجيبة في المشرق (١٠ [١٩٠٧] : ٨٧; ٢٠٤ )
٢) وهو من الكائنات الحيّة كما لا يخفى

يستخدم الرّوّاد أنور المصابيح الكهربائية فهي تبدّد بلمحة عين تلك الغياهب المتراكمة على مسافة طويلة فتمكّن الانسان من التمتّع ببعض البدائع التي ذكرناها آنفاً على سبيل السرعة والايجاز

امّا اصفى البحار مياهاً وبالتالي انسبها للتنقيب هي الواقعة في جوار دائرتي الانقلاب مثلاً حول جزيرة تاهيتي (Tahiti)

واخيراً لا يندّ عن ذهن المطّلعين ان من اجمل واوسع العلوم العصرية الجديدة علم المحيط ( l'Océanographie ) المتناول في نطاقهِ الواسع كل ما انطوت عليه اعماق البحار من الجمادات والنباتات والحيوانات على اختلاف انواعها . ومن اشهر رافعي لواء هذا العلم المتضلّعين من فروعه العديدة الواسعة امير موناكو وهي الامارة الصغيرة المستقلة الواقعة على شاطىء البحر المتوسط بين فرنسة وايطالية . فهذا النابغة هو من اعظم روّاد اعماق المحيط وقد كرّس لهذه الغاية قواه ووقته ومالهُ فوسّع نطاق العلم الحديث توسيعاً اطار صيتهُ من المشارق الى المغارب وضمن له الخلود في تاريخ المعارف البشرية . ومن اجلّ الخدم التي ادّاها لعشّاق علم المحيط تأسيس متحفين لـه احدهما في مدينة موناكو قاعدة امارته والآخر في باريس وكلاهما حافل ببعض الكنوز الدفينة في قعر البحار . فسبحان الخلّاق العظيم القدير الذي يتنازل ويكشف لنا على توالي العصور في هذه الارض الصغيرة الحقيرة آياتٍ رائعة الحسن تنبئنا ولو يسيراً بما عسى ان يكون جمال الاله اللامتناهي الكمالات

---

# المئة السابعة

## لإنشاء رهبانيَّة مار فرنسيس الثالثة

للاديب نقولا پاپانيقولا

في يوم عيد الغطاس الاخير اصدر الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر المالك سعيداً براءةً جليلة الفحوى بليغة المعنى وجّهها الى الكنيسة جمعاء ذكر فيها وقوع موسم عظيم اراد بهِ تذكار المئة السابعة لانشاء الرهبانيَّة الفرنسيسيَّة الثالثة المعروفة برهبانيَّة

التوبة فأطرأ ذاك المشروع السامي الذي باشرهُ فريد عصرهِ القديس الكبير فرنسيس الاسيزيّ الساروفيمي الذي ما اكتفأ بتأسيس رهبانيّتين لجنسي ابناء الكنيسة الذكور والاناث فقدّس بهما الوفاً بل ربوات ومئات الوف من الناس فدعاهم الى الكمال الرهبانيّ الذي بلغوا على مثالهِ ذروتهُ فشرّفوا العالم بممارسة اعظم الفضائل بل اراد ايضاً ان يقدّم لكافّة المؤمنين العائشين في العالم وسائط قريبة المنال تنقذهم من شروره وتؤهّلهم لخلاص نفوسهم بل تساعدهم على بلوغ الكمال المسيحيّ . فللّهِ درُّها شجرةً عاديّةً متأصلة الجذور باسقة الفروع نامية الاغصان لم يقوَ الدهر على استئصالها مدَّة سبعة قرون

فهلمَّ بنا نلقِ النظر الى ذاك الفرع الثالث الذي يقع في هذه السنة تذكار قرنهِ السابع فنروي شيئاً عن اصلهِ وقانونهِ وشرفهِ وامتيازاتهِ

## ١ اصل رهبانية مار فرنسيس الثالثة

كان القديس فرنسيس في السنة ١٢٢١ خرج الى الدساكر والقرى المجاورة لوطنهِ اسّيزي ليلقي فيها المواعظ ويرشد اهلها الى التوبة فبلغ الى قلعةٍ تُدعى كرنيريو ( Carnerio ) تبعد اربعة اميال عن اسّيزي فهناك تألّب الشعب لاستماع كلام الله فخطب القديس في احتقار العالم واباطيلهِ بغيرةٍ عظيمة أثارت في قلوب سامعيهِ الرغبة في جحود الدنيا والزهد بحطامها فطلبوا الى القديس ان يقبلهم في عداد رهبانهِ وراهباتهِ واذ وجدهم مرتبطين بروابط الزواج لم يسمح لهم فرنسيس بان يهجروا بيوتهم بل عرض عليهم رهبانيّةً اخفّ توافق حالتهم في الدنيا دعاها برهبانيّة التوبة بحيث يخدمون الله في بيوتهم رجالًا كانوا او نساء ويقدّسون حياتهم بالعيشة الصالحة وممارسة الفضائل المسيحيّة في العالم ووعدهم انّهُ يضع لهم قانوناً مناسباً لهذه الغاية . فسُرَّ العموم لهذا الخبر واقبلوا على تحقيقهِ اقبالًا عظيماً كان سبباً لإصلاح مدنٍ بل اقطار برمّتها . وكان اول من طلب الانضواء الى هذه الرهبانيّة العاليّة احد تجّار مدينة كنّارا (Cannara) المستوطن في قرية كاجيانوني ( Caccianone ) اسمهُ لوشيوس كان القديس ردَّهُ الى التوبة بمواعظهِ وكان مقترناً بامرأة صالحة فجعلها فرنسيس باكورة رهبانيّتهِ الثالثة وكلاهما قد نُظم في عداد اولياء الله

وما لبث ان تبع مثالها غيرهم من المؤمنين في جهات فيرنسة وبلاد توسكانا فاهتمَّ فرنسيس بوضع قانون خاصّ لهؤلاء المتعبّدين كما انَّهُ البسهم ثوباً غاية في الحشمة امتازوا بهِ في اعين الناس وهو عبارة عن ثوب طويل رماديّ اللون يثبتهُ على احقائهم زنَّار حبلٍ معقَّد

## ٢ قانون الرهبانية الثالثة

ان الجماهير المجمهرة التي تزاحمت حول القديس فرنسيس لتتبع رهبانيَّتهُ العالميَّة الجديدة اضطرَّتهُ الى ان يُسرع ويكتب لهم قانوناً يجرون عليهِ في العالم. فوضعهُ بعد ان استحرّ بالصلاة وطلب معونتهُ تعالى وجعلهُ في ٢٣ فصلًا اودع فيها لباب التعاليم الانجيليَّة. وكان اوَّل ما حتم بهِ على طَلَبتهِ الحفظ التامّ لوصايا الله العشر ولوصايا كنيستهِ ثمَّ فرض عليهم ان يلبسوا لبساً بسيطاً بعيدًا عن الجاه العالميّ ويمتنعوا عن حضور المراقص والولائم والمسارح وبالاجمال كلّ الحَفَلات العالميَّة الباطلة وينكفُّوا عن حلف اليمينات الَّا وقت الضرورة ثم يحتموا عن اكل اللحم كلّ يوم اثنين واربعاء ما عدا انقطاعات الكنيسة وكذلك قيَّدهم ببعض الاصوام غير الاصوام المفروضة وبتلاوة صلوات معلومةٍ كلّ يوم صباحاً ومساءً وقبل الاكل وبعدهُ مع وجوب التقرُّب من الاسرار المقدَّسة في بعض الاعياد. وممَّا قضى بهِ في قانونهِ ان لا يحمل الاخوة الاسلحة الَّا لاجل الدفاع عن الكنيسة والايمان المسيحي والوطن باجازة مرشديهم وان يخصُّوا شيئاً من مالهم للصدقات والاعمال الخيريَّة ويَسعوا في تأليف القلوب ونشر السلام ويزوروا الاخوة المرضى ويصلُّوا لراحة نفسهم بعد وفاتهم

فليس هذا القانون كما ترى سوى نظام الحياة المسيحيَّة وعيشة المؤمنين الصادقين. وجعل القديس فرنسيس للمنتمين الى هذا القانون مرشدين من رهبانيَّاتهِ الكبيرة يزورونهم من وقت الى آخر ويراقبون انطباق اعمالهم مع القانون المذكور ويردعونهم عن كلّ ما يخالف بنودهُ السابقة

وهذه الرهبانيَّة الثالثة تَصلح ليس لاهل العالم فقط بل لكل الكهنة العالميّين قد جعل لها اطوارًا كأطوار الرهبانيَّات كطور الطالب الدخول وطور المبتدئ ثمَّ اخيرًا بعد سنة تامَّة اذا قام فيها المبتدئ بواجباتهِ يُنظَم في سلك الاخوة ويفوز بكل النعم الممنوحة لهم في حياتهِ وبعد مماتهِ

ثمّ انَّ هذا القانون الذي وضعهُ القديس فرنسيس اثبتهُ كثيرون من ائمَة الاحبار كالباباوات اونوريوس الثالث وغريغوريوس التاسع ونقولا الرابع وكثيرون غيرهم ونوَّهوا بفضلهِ وحرَّضوا المؤمنين على التقيُّد بهِ ولذلك رأوا تحوير بعض بنودهِ لتوسيع نطاقهِ في كلّ انحاء المعمور فخفّفوا شيئاً من اثقـالهِ من جهة اللبس الرمادي وغيرهِ وبخصوص الانقطاعات والاصوام والصلوات دون ان يغيّروا شيئاً من جوهرهِ بخصوص العيشة المسيحيّة والابتعـاد عن كل فخفخة وتفنُّخ والمواظبة على الاسرار والصلاة العقليّة وفحص الضمير وما اشبه من الرياضات الروحيّة الجارية بين الرهبان

والثوب المختصّ اليوم بالرهبان الثالثيّين يُلبس تحت الثوب العادي وهو عبارة عن رقعتين كثوب الكرمل اكبر قطعاً منهُ وكذلك الزنَّار يتمنطق بهِ الاخوة تحت ثوبهم العالميّ . وفي بعض حفلاتهم الرسميّة يلبسون ثوبهم الكامل

امَّا الاصوام فقد يُفرَض منها للثالثيين حاضراً يومان اعني في بيرموني عيد الحبل بلا دنس وعيد مار فرنسيس

وكذلك الصلوات فانَّها مقتصرة على الكهنة بتلاوة فرضهم اليومي وعلى اهل العالم بتلاوة فرض اخويَّة العذراء او بـدلًا منهُ بتلاوة الصلاة الربيّة والسلام الملائكي والمجد اثنتي عشرة مرَّة كلّ يوم

فبهذه التسهيلات اضحى قانون الرهبانيَّة الثالثة قريب المنال يستطيع الانضواء اليهِ وتتميم فرائضه اليسيرة كلّ المؤمنين . فيا ليتهم يبادرون الى اتّباعهِ مع ما ينالونهُ بهِ من الشرف والنعم الجزيلة

## ٣ شرف الرهبانية الثالثة ونعمها الوافرة

انَّ الكنيسة الكاثوليكية منذ ظهرت الرهبانيَّة الثالثة لم تزل ترعاهـا بعينها الساهرة وتجزل عليهـا نعمها الفائضة وتنهض همم مرشديها وتنشّط المؤمنين على الانتظام في سلكها لِما عاينت من اثمارها الجنيَّة ومفاعيلها العجيبة في النفوس

واوَّل فضل يُعزى لهذه الرهبانيَّة الثالثة انَّها نفخت في الكنيسة روحاً جديداً غيَّر وجه العالم في تلك القرون الوسطى التي كان غلب عليها روح المنازعات القوميَّة والحروب الاهليَّة مع الانصباب على الترفُّه ورغد العيش . فكانت الرهبانيَّة الثالثة احسن دواء لهذين الدائين بنشرها روح السلام وبتجرّد اصحابها عن الترَف والتخنُّث

وكان المنتمون الى هذه الرهبانيَّة أُلوفاً موءلّفة من كهول وشبّان ينبذون مهنة الجنديَّة ليرتزقوا بالزراعة والصناعة حتَّى انَّ الامبراطور فردريك الثاني أَيس من تجنيد جيش كان يعدُّهُ لحروبهِ لمناهضة الدين

ومن شرف الرهبانيَّة الثالثة انَّهُ نشأ منها رهبانيَّات قانونيَّة عديدة كان يعيش اصحابها في الاديرة ويبرزون النذور الرهبانيَّة . ولكلّ منها اعمال جليلة وتاريخ واسع

وعلى مثال هذه الرهبانيَّة الثالثيَّة الفرنسيسيَّة قامت ايضاً بين اهل العالم رهبانيَّات ثالثيَّة اخرى من الدومنيكان والكرمليتان والاوغسطيين تقدَّست فيها نفوس الوف ومئات الوف من الأُسر الشريفة والعائلات المسيحيَّة فكان الفضل للسابق

وممَّا يشهد على شرف الرهبانيَّة الثالثيَّة في الكنيسة وجميع انحائها ما خرج منها من اولياء الله وقديسيه وقدّيساتهِ المثبتة قداستهم من الكنيسة كالقديس كونراد والقديس ايڤو والقديس لويس ملك فرنسا والقديس فرديناند الملك والقديس روكس والقديس إلزيار وبعض شهداء اليابان وكالقديسات انجيل دي مريسي ومرغريتا دي كورتونا واليصابات ملكة المجر واليصابات ملكة البرتغال والقديسة روزا دي ڤيترب . ونال غيرهم في الكنيسة رتبة الطوبويين والمكرَّمين يطول بنا تعدادهم لكثرتهم

وممَّن انحازوا الى هذه الرهبانيَّة الثالثة ملوك وامراء ثمَّ كهنة عديدون تشرَّف بعضهم برُتَب مختلفة منهم اساقفة ومنهم كرادلة ومنهم احبار رومانيُّون نذكر بعضاً منهم ليرى القرَّاء فضل هذه الرهبانيَّة على الدين والدنيا معاً

فمن ملوك فرنسة لويس الثامن ملك فرنسة وابنهُ القديس لويس التاسع ومن ملوك اسبانية كرلوس الثاني وفيلبوس الثاني والثالث والرابع وفردينندس الثالث ومن ملوك النمسة القديس رودلفوس وكرلوس الخامس وفردريكس الثالث ومن ملوك پولونية كازيميروس الرابع ومن ملوك البرتغال الفونس الاوَّل وفردينندس وبطرس ومن ملوك بوهيمية كرلوس الرابع ثم لويس ملك المجر وميخائيل باليولوغ ابو اندرونيكوس ملك الروم . ومثلهم ملكات عديدات كمريم تريزا ملكة فرنسة ومرغريتا امرأة القديس لويس الملك وامه بلانش دي كستيلية وحنة ملكة كستيلية وايزبلَّا ملكة اسبانية الخ

وممَّن رُقيَ الى السدَّة البابويَّة بعد دخولهِ في الرهبانيَّة الثالثيَّة الاحبار الرومانيُّون غريغوريوس التاسع والعاشر ومرتينوس الرابع وكفى فخرًا الرهبانيَّة الثالثيَّة انَّ منها خرج الباباوات الاربعة الأخيرون بيوس التاسع ولاون الثالث عشر وبيوس العاشر وبنديكتوس الخامس عشر الجالس حاضرًا على العرش الرسوليّ

وقد تشرَّفت هذه الرهبانيَّة الثالثة بما نالتهُ من المناشير والبراءات الرسوليَّة التي اثنى فيها رؤساء الكنيسة الاعظمون اطيب الثناء على هذا المشروع الجليل ولولا ضيق المقام لأثبتنا منها قسماً صالحاً فنكتفيْ بنُتَف قليلة ننقلها عن منشور قداسة الطيب الذكر لاون الثالث عشر الذي اصدرهُ في ١٧ ايلول سنة ١٨٨٢ قال:

« انَّ هؤلاء الرهبان العالميين كانوا حقيقةً جنودًا للمسيح وقاموا في الكنيسة كالمكابيين الجدد فأضحوا سندًا امينًا للسلام العام. وبما انَّهم اقتفوا آثار فضائل مؤسّسهم واتَّبعوا قوانينهُ اجتهدوا ما استطاعوا على إحياء وترقية الآداب المسيحيَّة في البلاد فاطفأوا نيران الفتن ونزعوا الاسلحة من ايدي الثائرين وقطعوا اسباب ودواعي المخاصمات فكم عزَّوا من بائسين وجبروا من مهملين وكم استأصلوا من جرائم الدعارة والزنى وكم ناهضوا من فساد وازالوا من شرور. فمن هذه الطغمة الثالثة كمن ينبوع صافٍ جرت مياه الفضائل المسيحيَّة من دماثة اخلاق وطمأنينة عامَّة وسلام بيتيّ وحفظ حقوق الافراد والتمدُّن الصحيح فكل اوربَّة واجب عليها الشكر للقديس فرنسيس لأنَّها بهِ امكنها حفظ جميع املاكها »

ثمَّ حرَّض المؤمنين على الدخول فيها مبيّناً لهم ما سيربحون من فضلها . وقد عاد لاون الثالث عشر في براءات اخرى عديدة وكرَّر الثناء عليها ولاسيَّما في براءتهِ الصادرة سنة ١٨٨٣ التي اوَّلها Misericors Dei Filius . ومثلهُ فعل البابا بيوس العاشر .

وفي البراءة التي اشرنا اليها في اوَّل هذه المقالة للحبر الاعظم بنسبة هذا العيد المئويّ فصول كنَّا نودّ ان نعرّب معانيها البليغة واقوالها المسجديَّة . وممَّا وصفهُ هناك المحبَّة والسلام الفضيلتين اللتين اوصى بهما السيّد المسيح وكانا كشعار الرهبانيَّة الثالثيَّة في كلّ نواحي المعمور مارسهما ابناء القديس فرنسيس الثالثيُّون بمثالهم كما نشروهما بتعاليمهم فدعا امام الاحبار اهل عصرنا اليهما ونحن الآن في حاجة ماسَّة الى ممارستهما بعد ما أصيب بهِ العالم من الحرب الكونيَّة

وممَّا اوصى بهِ ايضاً الحبر الاعظم على مثال الرهبانيَّة الثالثيَّة العود الى بساطة الحياة والاستنكاف من الاعتناء المفرط بالجسد والحياد عن الازياء النسائيَّة الباطلة والملابس الخلاعيَّة وكلّ ما ينافي الروح المسيحيّ ويدفع العموم الى الشهوة والفساد

وممّا يدلُّ على اعتبار رؤساء البيعة للرهبانيّة الثالثة النعم العديدة والغفارين المختلفة التي لم يزل الكرسي الرسولي يمنحها للمنتمين الى هذه الرهبانيّة فهي بعد الرهبانيّات الكبرى اغنى الجمعيّات الرهبانيّة بتلك الكنوز الروحيّة . وناهيك بها داعياً قويّاً يكفي ليحدو بجميع المؤمنين الى رجها لتمتّعهم بسعادة الدارين

## ٤ الرهبنة الفرنسيسية الثالثة في انحاء الشرق

انَّ اثمار القداسة والبرارة التي اجتناها الغرب عن يد الرهبان الثالثيين قد اصاب الشرق منها قسماً صالحاً . وذلك منذ انشاء الرسالات الفرنسيسيّة في اصقاعنا الشرقيّة وكان ذلك منذ عهد القديس فرنسيس الذي قدم الى مصر ثمَّ ارسل البعض من تلاميذهِ الى عكّا والقدس الشريف ثمَّ نمت هذه الرسالة وأنشأت بتمادي الزمان عدَّة اديرة في انحاء سوريّة وفلسطين وفي جزيرة قبرس . فكان الرهبان يسعون حيثما يحلّون بان يجذبوا اهل العالم الى الرهبانيّة الثالثة فوقع كلامهم احسن وقع بين نصارى الشرق واجاب كثيرون الى دعوتهم واعتنقوا بطيب القلب القانون الثالثي . ثمَّ جاء الى سوريّة الرهبان الكبوشيّون في القرن السابع عشر فنشروا مثل الفرنسيسيين بين المؤمنين الدعوة الى الرهبانيّة الثالثة فوجد صوتهم صدى استحسان في قلوب الكثيرين فشاعت هذه الرهبانيّة خصوصاً في حلب كما يشهد على ذلك كتاب مخطوط في مكتبة الآباء اليسوعيين للاب لاونردوس يشرح فيهِ كلّ ما يختصّ بهذا القانون والمنتمين اليهِ والكتاب تاريخهُ سنة ١٧٣٣ يُستدلُّ منهُ انتشار الرهبانيَّة الثالثة في جهات هذه البلاد حيثما كان للآباء الفرنسيسيين اديرة ورسالات . وممّا ذُكر هناك في جملة المنتمين الى هذه الطائفة امير من امراء بغداد المتنصّرين لم يروِ شيئاً عن اخبارهِ

والرهبانيَّة الثالثيَّة في الوقت الحاضر يتبع قانونها كثيرون في القدس الشريف وفي جهات فلسطين والشام ومصر وما بين النهرين تحت ادارة ابناء القديس فرنسيس وهم غالباً يعيشون عيشةً فرديّة ويقومون بواجباتهم كلّ منهم في بيتهِ . وفي بعض الانحاء كما في دمشق وحلب يجتمعون في ايّام معلومة لإقامة مناسكهم التقويّة

وقد سعى حضرة الآباء الكبوشيين في تنظيم الرهبانيَّة الثالثيَّة في جهاتنا على صورة اخويّات يُعنون بجمعها في بعض أيّام السنة . باشر بذلك حضرة الاب ريمي المرسل

الغيور ثمَّ لما تراكت عليهِ الاشغال خلفهُ في هذا العمل التقوي حضرة الاب يعقوب حدَّاد الغزيري سنة ١٩٠٦ ومذ ذاك الحين استنفد وسعهُ في تنشيط الاخوان وتنميتهم فنفخ فيهم روحاً جديدًا يُشار اليهم بالبنان في تقاهم وعيشتهم الصالحة وغيرتهم وبلَّغ حضرتهُ عددهم الى نحو اربعة آلاف لولا انَّ المجاعات والاوبئة في ايَّام الحرب أودت بحياة كثيرين منهم

وقد وقفنا على بعض معلومات عن حالة الرهبانيَّة الثالثيَّة في بيروت ولبنان تدلُّ على نجاحها واقبال الاهلين عليها . فانَّ حضرة الاب يعقوب يتولَّى اليوم ادارة خمسين شركة من الاخوان رجالًا ونساء انشأها في ٢٥ مكاناً من قرى لبنان وسواحل بيروت كالدامور وجونية وانتيلياس وجبيل وبترون وحارة حريك وشننعير وساحل علما ومعراب وغيرها فيجتمع الاخوان في اوقات معلومة ليسمعوا مواعظ مرشدهم ويجدّدوا نشاطهم في اتمام واجباتهم . ولهم عيد سنويّ غاية في الرونق والبهاء وهو يوم عيد الصليب الواقع في ١٤ ايلول يجتمعون فيهِ من كلّ فجّ وصوب ويلبسون ثوبهم الرهباني ويقضون النهار في العبادة وتوثيق عرى الاخاء فيختبرون «ما اطيب وألذَّ ان يسكن الاخوة معاً » . وهذا اليوم قد تعيَّن منذ عهد قريب كعيد الثالثيّين الرسميّ . ومن اعيادهم الرسميَّة ايضاً عيد القديسة اليصابات ملكة المجر التي شرَّفت هذه الرهبانيَّة بعظم قداستها

وفي الختام نتمنَّى للرهبانيَّة الثالثيَّة كلّ ازدهار وانتشار فانَّ العالميين من المسيحيين قلّما يجدون مثلها وسيلةً لينجوا من اخطار العالم ويزيدوا فضلًا وصلاحاً ويجلبوا عليهم وعلى عيالهم نعم الله وبركاتهِ العميمة

## مطبوعات شرقيَّة جديدة

Mélanges de l'Université S$^{t}$ Joseph. T. VII$^{e}$, in.-8°, pp. 448, 40 Planches. *Imprimerie Catholique, Beyrouth,* 1921

مجموعة كلّية القديس يوسف

هي مجموعة المكتب الشرقي الذي لم يَعُدْ الى نظامهِ بعد الحرب . وقد تأخر

نشرها الى الآن لِما نال مطبعتنا الكاثوليكيَّة من الآفات التي كادت تقضي على حياتها ·
ومع ما لقيهُ اصحاب هذه المجموعة في طريقهم من العثرات قد تمكَّنوا بأيدهِ تعالى
من ازالتها · ومن يَرَ هذا الجزء الجديد لا يحسبهُ ادنى مقاماً من زملائهِ السابقين وهو
لا يقلّ عن ٤٤٨ صفحة يُضاف اليهِ قسم خاص يحتوي ٤٠ صورة من العاديَّات الموصوفة
فيهِ وكلُّها في غاية الاتقان · وهذا فهرست اهمّ المقالات المدرجة فيهِ :

(١ كتابات بلاد قبادوقية وبنطوس للاب دي جرفانيون اليسوعي . (٢ المقابلة بين لغة
طنجة العاميَّة ولغة الشام للمرحوم الاب لويس رنزفال اليسوعيّ . (٣ تصوّف الإمام الغزَّالي
للدكتور اسين پلاسيوس . (٤ دروس آثار شرقيَّة للاب سبستيان رنزفال اليسوعي . (٥ مصانع
ظرَّانية قديمة في بيروت للاب رينه داريب اليسوعي . (٦ خلافة يزيد بن معاوية . ملحوظات
وفهارس للاب هنري لامنس اليسوعي . (٧ فهرس مخطوطات المكتبة الشرقيَّة (الوارد وصفهُ)
للاب لويس شيخو اليسوعي . (٨ ليس ابن قتيبة مؤلف كتاب النَّعَم الاب موريس بويج
اليسوعي . (٩ خواطر عن علي بن ابي طالب للاب ه. لامنس . (١٠ نقائض جرير والاخطل
جمعها ابو تمَّام للاب انطون صالحاني اليسوعي . (١١ كتابات يونانيَّة مكتشفة في بيروت .
للكابيتان مينيل دوبويسون وللاب رينه موترد اليسوعي · (١٢ ما عرفهُ اللاتين في القرون
الوسطى عن فلاسفة العرب . ثمَّ وصف عدَّة مطبوعات ج . لوقنك

Inscriptions grecques de Beyrouth par le Lieutenant **du Mesnil du Buisson** et le Père **René Mouterde**

١٠ كرَّاس ذو ١٣ صفحة يحتوي وصف اربع كتابات يونانيَّة اكتشفها حديثاً
الملازم دومنيل دو بويسون والاب رينه موترد اليسوعي في بيروت وفسَّرا مضامينها
تفسيرًا وافياً وفيها عدَّة معلومات لتاريخ مدينتنا القديم

Catalogue raisonné des Manuscrits de la Bibliothèque Orientale de l'Université de Beyrouth, par le **P. L.Cheikho S. J.**, *fasc.II*, 1921. *pp.* 93-152

١١ هو جزء ثانٍ من وصف مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة تابعٌ لما سبق لنا وصفهُ
من المخطوطات التاريخيَّة (المشرق ١٦ [١٩١٣] : ٧١٠) يحتوي وصف ٩٥ مخطوطاً
منها ١٣ كتاباً تاريخياً جديداً ثم ١٤ كتاباً جغرافياً ثم ٣٨ كتاباً في علم الهيئة وعلم
النجوم ثم ١٢ كتاباً في الطبيعيَّات وفنّ الموسيقى وعلم الاثقال واخيرًا ٢٠ كتاباً في
الرياضيَّات · على انَّنا لا نزال آسفين على بعض من المخطوطات الموصوفة التي اخذتها
يد اثيمة في مدَّة الحرب ونطلب من ذوي المروءة ان يدلّونا اليها اذا وقفوا عليها

**C. Leclerc**: HISTOIRE DU MOYEN-AGE. Collection belge de Manuels d'histoire. *Etablissements Casterman. Tournai*, 1919

تاريخ القرون الوسطى

باشر محلّ كسترمان في تورناي من اعمال بلجكة بنشر مجموعة تواريخ لافادة المدارس. وتاريخ القرون الوسطى هو واحد من المجموعة المذكورة يشهد لاصحابه بحصافة العقل وحسن الذوق في انشائهِ وترتيبهِ . وهذا الكتاب يستحقّ ان تتّخذهُ المدارس ليست الوطنيّة فقط بل الاجنبيّة ايضاً كدستور لتعليمها التاريخي. وفيهِ من الفوائد وصادق المعلومات ما يصلح المعلّمين والمتعلّمين معاً فلا يكاد يفوت شيء. مؤلفهُ من تعريف المشاريع المادّية والادبيّة والفنيّة التي امتازت بها الاجيال المتوسّطة مع خلاصة احوالها السياسيَّة فيستطيع القارئ الوقوف على حقيقتها دون الخوض في غمراتها. ويزين الكتاب عدَّة تصاوير موافقة للمتن ج . ل

**F. Mourret**: HISTOIRE GÉNÉRALE DE L'EGLISE. T.IX, L'Eglise Contemporaine. 2ᵉ partie. 1878-1903, 1 *vol. in*-8 . *Paris. Bloud et Gay*, 1921

تاريخ الكنيسة العام . القسم التاسع: الكنيسة العصريَّة

التاريخ الكنسيّ العام الذي يؤلفهُ الكاهن موره قد تمّ منهُ تسعة اجزاء بزمن قليل . والقسم الذي نحن بصددهِ هو التاسع من المجموع يتناول تاريخ الكنيسة من السنة ١٨٧٨ الى ١٩٠٣ اعني تاريخ بابويّة الحبر الرومانيّ الطيّب الذكر لاون الثالث عشر روى فيهِ المؤلف البليغ ما جرى في تلك الحقبة من الامور الدينيَّة سواء كان في باطن الكنيسة ام في علائقها مع الدول فبسط كلّ ذلك بنوع واضح وانشاء منسجم مستندًا الى اخصّ التآليف واصدقها. وفي الكتاب فهارس للموادّ غاية في التدقيق وحسن التنسيق ج . ل

**Dʳ Le Bec** : CRITIQUE ET CONTRÔLE MÉDICAL DES GUÉRISONS SURNATURELLES. 1 vol., in-16. Paris, Beauchesne, 1920

انتقاد وتحقيق طبي للشفاءات العجيبة الفائقة الطبيعة

أُقيم صاحب هذا الكتاب الدكتور لوباك رئيساً على اللجنة التي تفحص في مدينة لورد المرضى الواردين اليها طلباً للشفاء من العذراء البتول فكتب سنة ١٩١٧ تأليفاً

بهذا العنوان البيّنات الطبيَّة على صحَّة عجائب لورد حيث اثبت انهُ ممكن تحقيق بعض الشفاءات العجيبة الجارية هناك ونسبتها الى قوَّة فائقة الطبيعة وذلك ببراهين مقتبسة من العلوم الطبيَّة . وها هوذا قد اضاف الى كتابهِ تأليفاً آخر خصَّهُ بانتقاد العلل وتشخيصها واسبابها وعلاجها الطبّي ثمَّ روى على عكس ذلك ما يجري في لورد من الشفاءات على طرائق مخالفة لكلّ ما يقرّرهُ الاطباء في تآليفهم وامتحاناتهم . وهذا الكتاب من شأنهِ ان يقنع كلّ رجل صائب الادراك يطلب باستقامة الوقوف على حقيقة عجائب لورد طبيباً كان او لا ج . ل

**Pierre Redan** : La Cilicie et le Problème Ottoman avec préface de M. R. Pinon, *in*-12, *Gauthier-Villars, Paris,* 1921

قيليقية والمسألة العثمانيَّة

قال المسيو پينون في مقدّمة هذا التأليف : « انَّ هذا الكتاب قد اتانا بمعلومات راهنة وحديثة عن قيليقية » . والحقّ يقال انَّ المسيو ريدان مؤلفهُ جدير بهذا الثناء لانهُ عرف ان يجمع في كتاب صغير الحجم معلومات واسعة واحكاماً صادقة تدلُّ على حسن نظرهِ وكثرة ابحاثهِ فانَّهُ افتتح كلامهُ بتعريف جغرافيَّة البلاد وسكَّانها وبيان عناصرهم واديانهم واخلاقهم ثمَّ روى ما جرى من الامور بعد دخول الفرنسويين الى قيليقية من السنة ١٩١٨ الى ١٩٢٠ ثمَّ خصّ فصلًا بمحصولات قيليقية وخصب تربتها وما يؤمل من ارباحها لو أُحسن القيام باستثمارها . ثمَّ يفحص ما هناك من المشاكل السياسيَّة معلناً باعتدالهِ في حكمهِ دون ميلٍ خاصّ الى الارمن او الى الاتراك فيقرّ بما للاوَّلين من المطالبات غير المعقولة لكنَّهُ يبيّن ايضاً انَّ للكماليين مدَّعيات لا حدَّ لها . وممَّا يثبتهُ هناك انَّ عدد النصارى في قيليقية على ما ورد في جداول الاتراك الرسميَّة ٢١٥،٠٠٠ والمسلمين ١٨٥،٠٠٠ امَّا العنصر التركي فقليل جدًّا . ثمَّ بيَّن سوء نيَّات الكماليين والاتراك خلافاً لما اشاعهُ المسيو لوتي وعدَّد مظالمهم وخيانتهم اذ قتلوا ٣٠٠ جندي فرنسوي وسبعة الى ثمانية آلاف ارمني في مرعش واذ خانوا الرابطة الفرنسويَّة في اورفة سنة ١٩٢٠ بعد ان صدَّقوا على معاهدة الصلح . ثمَّ يستقري الكاتب ما في قيليقية من العناصر ليبيّن علائقها مع الدولة الفرنسويَّة . فهو يثني اوَّلًا الثناء الطيب على الطوائف الكاثوليكيَّة وعلى المرسلين اللاتين الذين بمشروعاتهم

المختلفة حبّبوا فرنسة الى اهـل الشرق حتّى صار اسم الفرنسوي مُرادفـاً لاسم الكاثوليكي ثم يذكر الارمن وخواصهم المميّزة لهم عن بقيّة الطوائف وهو ينحي اليهم باللائمة في بعض الامور لكنّهُ يزكّيهم في كثير منها و يُطري نخوتهم في عينتاب وحجين حيث فقدوا عشرة الاف نفس في السنة ١٩٢٠ لسبب تعلّقهم بفرنسة وهم مستعدُّون في كلّ وقت للانضمام اليها على شرط ان تعضدهم وتصونهم من ضربات اعدائهم . وقد ختم الكاتب كلامهُ بذكر ممثّلي فرنسة حاضراً في قيليقية وما نالوهُ من الاعتبار بحسن تصرُّفهم بين اهلها ولاسيَّا بدراية وحكمة الجنرال دوفيو الذي لا ينقصهُ شيءٌ لبسط السلام في تلك الانحاء بشرط ان تمدَّهُ الدولة بالمساعدات اللازمة .

الاب ف . تورنبيز

**Comte Emmanuel de Rougé :** Manifestations diaboliques contemporaines, *in*-12, *Paris, Téqui,* 1921

الظواهر الشيطانية العصريَّة

قد سبق للابوين يوسف مونجان ويوسف منسى مقالتان في المشرق عن السپيريتسم حيث تتبَّعا تاريخ المذهب الروحاني ومظاهراتهِ المختلفة وما يدخل في كثير منها من الخزعبلات ومكر النصَّابين مع تعريفهما بأحكام الكنيسة في بعضها التي لا يُستطاع نسبتها الى غير قوى خارجة عن الطبيعة المحسوسة اعني الى الارواح الشريرة . وهـذا الكتاب المعنون آنفاً يؤيّد هذا الحكم بما يرويهِ من عدَّة وقائع ظهر فيها جليـاً عمل الابالسة خزاهم الله . على انّنا نقرّ بانّ المؤلف وهو الكونت مانويل دي روجه قد تجاوز حدود الاعتدال في بعض آرائهِ لاسيَّا في ما كتبهُ عن المغناطيسيَّة والتنويم اللذين لم تبتّ الكنيسة فيهما حكماً نهائيَّاً الى الان ل . ش

**F. Cocart** (l'abbé): ENFANT QUE FERAS - TU PLUS TARD ? in-16°. pp. XIII-66. Paris, Pierre Téqui., 82 rue Bonaparte

ماذا تريد ان تصنع يا بني في مستقبل حياتك ؟

انَّ العدد العديد من الكهنة الذين ذهبوا ضحيَّة الحرب في فرنسة أخلى كثيراً من الامكنة من رُعاتها فقلق الاساقفة من جرَّاء ذلك واخذوا يسعون في تلافي هذا الضرر العظيم بتنمية عدد المترشّحين للدعوة الاكليريكيَّة وهذا الكتاب الصغير ممـاً يمهّد الطريق لكثير من الاولاد ليجحدوا العـالم وينتظموا في سلك الاكليروس . فان

الكاهن مؤلفهُ يوجّه الكلام الى الناشئة بين السنّ العاشرة الى الرابعة عشرة ويفسّر لهم ما هي الدعوة الكهنوتيَّة وكم عظيم هو شرفها وكيف يمكن الولد ان يميّز هذه الدعوة وبأي واسطة يستطيع ان يتبعها ويغلب العوائق التي تحولـهُ دون تلبية صوت الله لاسيّما من قبل والديهِ اللذين لا تجيز لهما الذمَّة بان يتصدَّيا لدعوة اولادهما . فهذا الكتاب يصلح ان يتَّخذهُ الكهنة كدستورهم في ارشاد الشبيبة ومساعدة الاولاد في ادراك دعوتهم ويا حبَّذا لو عرَّبهُ احد الغيورين ليجني من ثمارهِ الشهيَّة اهل الشرق فيزيدوا اعتبارًا للدعوة الاكليريكيَّة ويساعدوا طوائفهم في تهذيب كهنة صالحين كما يريدهم الله ويحتاج اليهم المؤمنون الاب ي . ديلنسيغر

## التأمُّلات اليوميَّة في الحقائق المسيحيَّة والاكليريكيَّة

للاب شيفاسي عرَّبهُ القس مبارك ثابت الديراني اللبناني

المجلَّد الاول . طبع في بيروت في مطبعة الاجتهاد ١٩٢٠ (ص ٣١٧)

بين الاسباب التي تساعد على تفاقم الشرور في الارض ما قالهُ ارميا النبي (١٢ : ١١) : « قد خُرِّبت الارض كلُّها لأَنَّهُ لا انسانٌ يتأَمَّل في قلبهِ » فلو كان المسيحيون يصرفون نظرهم الى اعتبار الحقائق الابديَّة لارتدُّوا الى الصلاح وعاشوا بالتقى وممارسة الفضيلة . وها هوذا كتاب يحسن بهم أن يتَّخذوه كدليل للحياة الفضلى يحتوي لكل يوم من ايَّام السنة تأمُّلًا في احد اسرار حياة السيّد المسيح وتعاليمه السماويَّة قد نقلهُ حضرة رئيس دير بحنين القس مبارك ثابت من الافرنسيّة نقلًا محكماً بلغة فصيحة وهو مقسم الى اقسام سهلة ثمَّ يُشرح كلُّ قسم شرحاً وجيزًا نظريًّا وعمليًّا يرشد المتأمّل الى كلّ واجباتهِ نحو خالقه ونحو قريبهِ ونحو نفسهِ . فنحضّ كل المؤمنين ولاسيَّما الكهنة والرهبان والاكليريكيّين على مطالعتهِ واجتناء اثمارهِ الطيّبة ل . ش

## التعليم الوطني اللبنانيّ

من آثار جمعيّة المساعي اللبنانيّة في مصر

طبع بمصر في مطبعة الهلال سنة ١٩٢١ (ص ٦٨)

غاية مؤلفي هذا الكتاب ان يرشدوا اللبنانيّين منذ حداثة سنّهم في المدارس الى معرفة واجباتهم الوطنيَّة . ولذلك قد وضع على طريقة التعاليم المدرسيّة بالسؤال والجواب وهو يُقسم الى ثلثة ابواب : الاوَّل في الوطن اجمالًا لتعريف لبنان واسمهِ

وحدوده وعناصره ومميّزاته وبعض تاريخهِ . والثاني في حبّ الوطن واصل هـذه الغريزة واسبابها والادلَّة على خلوص الوطنيَّة وصدقها . والثالث في الواجب نحو الوطن بخدمتهِ والسعي في ترقيهِ وبذل المال سدًّا لنفقاتهِ العموميَّة والدفـاع عنهُ بالخدمة العسكريَّة . فمن هذه الخلاصة يستدلّ القرَّاء على حسن نيّة واضعي هذا الكتاب ليعدُّوا للبنان رجال الغد الذين سيتولَّون تدبيرهُ لاسيَّما اذا فاز الجبل بالاستقلال التامّ وفي الكتاب بعض شوائب خفيفة يحسن اصلاحها في طبعة ثانية . (ص ١٢) منذ اكتشاف رسالات العمارنة صار مرجع تاريخ سواحل فينيقية الى ١٥٠٠ سنة قبل المسيح . (ص ١٦) قـد ثبت اليوم لدى العلماء ان احرف الهجاء ليست من اختراع الفينيقيين وانَّما ساعدوا كثيرًا على نشرها . ثمَّ نسي المؤلف في تلك الصفحة ان يذكر بيروت في جملة اشهر المدن الفينيقيّة القديمة . (ص ١٤) الخدمة العسكرية العموميَّة في نظر الفلسفة الصحيحة ليست بالامر المعقول وانَّما يكفي ان يخصّ للدفاع عن الوطن فرقٌ منظَّمة اختياريَّة تقوم الدولة بنفقاتها ل . ش

## يا للحيف : انتقاد قرار الديون

بقلم عبدالله رزق الله خير

بيروت ١٩٢١ ( ص ٤٢ + 47 )

قد عرف القرَّاء جهاد صديقنا الاديب ع . ر . خير في امر الديون المعقودة وقت الحرب وما عرضهُ من الوسائط لحلّ هذا المشكل الكبير واذ لم يجد كلامهُ اذناً صاغية عاد الى المسألة في هذه الكرَّاسة كتبها في اللغتين العربيَّة والافرنسيَّة رجاء ان يستدرك الامر اصحابهُ وينال كلّ ذي حقّ حقَّهُ . وانَّما كنَّا وددنا لو اكتفى الكاتب بعرض افكارهِ بايضاح واعتدال متحايدًا عن كل كلمة جارحة لعواطف الذين لم يجروا على رأيهِ . وعسى ان ينظر أولو الامر الى تقريرهِ بعين الرضى والقبول ل . ش

## غاية الحياة

محاضرة بقلم ميّ . مطبعة المقتطف بمصر ١٩٢١ (ص ٣٢)

يسرُّنا أن نرى سيّدات فاضلات كالمحجوبة تحت اسم ميّ يسعين في نهضة بنات جنسهنّ والحديد بالحديد يُفلح وبما انهنَّ اعلم بالداء ربَّما كنَّ ايضاً اخبر بالدواء . وقد قرأنا بلذَّة هذه المحاضرة في غاية الحياة وقد حاولت الكاتبة الفاضلة ان تعدل

بالنساء عمّا ينخدعن بهِ من اعراض العالم وحطامهِ وتحوّل نظرهن الى ما هو انفع لهنّ واجدى لعيالهنّ ولخدمة الوطن والمجتمع الانساني بتهذيب نفوسهنّ والعمل المفيد والآداب النسائيَّة الفضلى . وكنَّا وددنا لو سكتت (ص١٥) عن « السفَّاحة ماري تيودور» اي ماري تودور ( M. Tudor ) فانَّ في هذه التسمية من تحامُل اعدائها البروتستانت ما لا يجهلهُ مؤرخ مُنصف وانَّما السفَّاحة الطالة الاثيمة اختها الملكة اليصابات قاتلة ماري ستوار والوف من افاضل بلادها ومن الكاثوليك الابرار ل . ش

# شذرات

﴿ الكلّيات الكاثوليكيَّة في الولايات المتحدة ﴾ من اجلى الشواهد على انَّ الدين حليف العلم وان رافعي لواء الكثلكة هم ايضاً في مقدّمة رافعي منار العلم ما نشاهدهُ اليوم من الازدهار العجيب في الكلّيات الكاثوليكيَّة بالولايات المتحدة . فانَّ عددها قد بلغ في غرَّة هذا العام ٢٢ ويضمّ مجموعها نحو ١٬٩٠٠ استاذ و ٣٠٬٨٤٩ تلميذاً وكل هذه الكلّيات تحت ادارة رهبنات شتى ولاسيما اليسوعيين فانَّ لهم وحدهم اثنتي عشرة كلية جامعة ولا يُستثنى من ذلك الحكم العامّ سوى كليَّة واحدة يُديرها كهنة عالميون . وهاك جدول اعظم تلك الكليات باعتبار عدد الطَلبة وفقاً لاحصاء غرَّة هذه السنة :

١ كلية ماركيت لليسوعيين في ميلوُكي وبها ٣,٦١٢ طالباً
٢ كلية فُردهام لليسوعيين في نيويرك وبها ٢,٩٢٤ طالباً
٣ كلية سان لويس لليسوعيين في سان لويس وبها ٢,٦٧٠ طالباً
٤ كلية نتردام دولاك (Notre Dame Du Lac) في نُتردام لجمعية الصليب المقدس وبها ٢,٤٦٠ طالباً
٥ كلية القديس منصور دي پول في شيكاغو لجمعية رسالة هذا القديس وبها ٢,٣٩٥ طالباً
٦ كلية جورجتَوْن لليسوعيين في واشنطن وبها ٢,٢٦٢ طالباً
٧ كلية دوكان ( Duquesne ) لجمعية الروح القدس في پتسبرغ وبها ٢,٢٢١ طالباً
٨ كلية لويولا لليسوعيين في شيكاغو وبها ٢,١٠٠ طالب

ويلي هذه الكليّات الثاني الفائق عدد طلبة كل منها الالفين اربع اخرى يزيد في كل منها عدد التلامذة على الالف

ومما يبيّن فضل هذه الكلّيات الكاثوليكيَّة المقابلة بينها وبين الكليّات البروتستانيَّة فانَّ طلبة الكلّيات البروتستانيَّة لا يرضون بالانقياد لايّ نظام كان فينبذون اوامر روسائهم الّا اذا وافقت اهواءهم وذلك لما طُبعوا عليهِ من روح الاستقلال والحريَّة المفرطة . على خلاف تلامذة الكليّات الكاثوليكيَّة فانَّ الدين اصلح كثيرًا أخلاقهم القوميَّة لاسيَّما لمواظبتهم على الاسرار المقدَّسة ومنذ نُشرت في كلّ انحاء العالم براءة البابا بيوس العاشر في التناول المتواتر قد اقبل عليهِ الطلبة الكاثوليك كلّ اقبال . ففي اثنا الصوم الاربعيني في العام المنصرم بلغ عدد المناولات بين طلبة احدى الكليَّات الكاثوليكيَّة الكبرى في الولايات المتَّحدة كليَّة نُتردام في مدينة انديانة ٢٥،٠٠٠ وكان عددها يتراوح بين ٤٠٠ و ٥٠٠ يوميًا في بقيَّة أيّام السنة

الاب ر . نخله

﴿حامل كفنهِ﴾ قرأنا في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (طبعة ليدن ٢ : ١٨٢) ما حرفهُ : «في سنة ٢٩٩ (٩١١ م) توفي محمَّد بن يحيي بن محمَّد البغدادي المعروف بحامل كفنهِ كان فاضلًا وقع لهُ غريبة وهو انهُ مرض فأُغمي عليهِ فغُسل وكُفّن ودُفن فلمَّا كان الليل جاءَهُ نبَّاش فنبش عنهُ فلمَّا حلَّ اكفانهُ ليأخذها استوى قائمًا فخرج النبَّاش هاربًا فقام هو وحمل اكفانهُ وجاء الى منزلهِ واهلهِ وهم يبكون عليهِ فدقّ الباب فقالوا : مَنْ . فقال . انا فلان . فقالوا : يا هذا لا يحلّ لك ان تزيدنا على ما نحنُ فيهِ . فقال : افتحوا فوالله انا فلان . فعرفوا صوتهُ وفتحوا لهُ وعاد حزنهم فرحًا وسُمّي من حينئذٍ «حامل كفنهِ» سكن حامل كفنهِ دمشق وحدَّث بها»

﴿مدينة الزهراء في الاندلس﴾ ورد في تاريخ ابن تغري بردي عن بناء هذه المدينة ما يلي : « في تاريخ سنة ٣٢٥ (٩٣٧ م) اسَّس امير المؤمنين الناصر لدين الله الاموي مدينة الزهراء . وكان منتهى الإنفاق في بنائها كلّ يوم ما لا يُحَدّ . كان يدخل فيها كلّ يوم من الحجر المنحوت ستَّة آلاف صخرة سوى الآجرّ وغيرهِ وحُمل اليها الرخام من اقطار الغرب ودخل فيها اربعة آلاف وثلثمائة سارية واهدى لهُ ملك الفرنج اربعين سارية رخام واماً الورديّ والاخضر فمن افريقية والحَوْض المذهَّب

جُلب من قسطنطينيَّة والحوض الصغير عليهِ صورة اسد وصورة غزال وصورة عُقاب وصورة ثعبان وغير ذلك والكلّ بالذهب المرصَّع بالجوهر وبقوا في بنائها ستَّ عشرة سنة . وكان ينفق عليها ثلث دَخل الاندلس وكان دَخل الاندلس يومئذٍ خمسة آلاف الف واربعمائة الف وثمانين الف درهم . وبين هذه المدينة اعني الزهراء وبين قرطبة اربعة اميال وطولها الف وستمائة ذراع وعرضُهـا الف وسبعون ذراعاً . ولم يُبْنَ في الاسـلام احسن منها لكنَّها صغيرة بالنسبة الى المدائن وكان بسورها ثلثمائة بُرْج وعُمل ثلثها قصورًا للخلافة وثلثها للخدم وثلثها الثالث بساتين . وقيل انهُ عُمل فيها بحرة ملأها بالزئبق وكان يعمل فيها الف صانع مع كلّ صانع اثنا عشر أَجيرًا وقد أُحرقت هذه المدينة وهـدمت في حدود سنة ٤٠٠ ( ١٠٠٩ م ) وبقيتْ رسومُها وسورها *

❊ فقيدان عزيزان من تلامذة كلّيتنا ❊ اوَّلهـما غبطة كيرلّس مكار بطريرك الاقباط سابقاً استأثر الله بهِ في ١٨ ايَّار الماضي وكان المرحوم قد تلقَّى في مدرستنا الاكليريكيَّة علومهُ الكهنوتيَّة ولهُ عدَّة تآليف تُعرب عن سعة مداركهِ . كان فُصل عن رئاسة طائفتهِ لاسباب يطول شرحها فأتت الحرب الكونيَّة وهو يعيش بيننـا بكل سذاجة وتُقى فمات مزوَّدًا بكل اسرار الكنيسة وقد انجز بضع ساعات قبل وفاتهِ كتاباً فنَّد فيهِ ما شاع باسمهِ من الاعتراضات على سلطة الكنيسة . والثاني هو احد مكاتبي مجلّتنا فقيد الادب والدين والوطن المرحوم سليم اصفر توفّي وهو في عزّ كهولتهِ في ١٤ حزيران بعد حياة كلُّها صلاح وعمل في خدمة آلهِ الكرام ووطنهِ . وقد ابقى في مجلّة المشرق وجريدة البشير وكتاب لبنان عدَّة آثار تُنبئ بمعارفهِ الواسعة في الفنون الزراعيّة والصناعية وقد استعدَّ لملاقاة ربّه استعداد المسيحيّ الصادق بل الراهب الورع . افاض الله سجال رحمتهِ على الفقيدين العزيزين

❊ خديعة ماسونيَّة ❊ اخبرنا الثقة من اصحابنا انَّ احـد المنتمين الى الشيعة الماسونيَّة ادخلهُ بيتهُ وأراهُ صورة السعيد الذكر البابا بيوس التاسع وعليهِ الاوشحة الماسونيَّة مدَّعياً انَّ ذاك امام الاحبار كان داخلًا في الماسونيَّة . فسألنا ما رأْينا في ذلك . جوابنا انَّ هذه من اكاذيب الفرمسون وترَّهاتهم التي يكفي لتفنيدها ذكر براءات هذا البابا التي وجَّهها الى عموم الكنيسة فرشق الشيعة الماسونيَّة بسهام الحرم المحفوظ

حلّه للحبر الاعظم راجع كرّاسنا الرابع السرّ المصون في شيعة الفرمسون (ص٩) فلو كان هو احد ابناء الشيعة ما لهم سكتوا ولم يذكّروهُ بانضوائهِ سابقاً الى جمعيّتهم . فانظر يا رعاك الله صحّة ما قلناهُ قبلًا انَّ كلّ اعمال الماسونيَّة مراء ونفاق تجري على حسب تعليم احد زعمائهم ڤولتير «اكذبوا اكذبوا فلا بُدَّ ان يبقى من كذبكم بعض الاثر»

﴿ المقتطف واليسوعيُّون ﴾ سرّنا ما قرأناهُ في عدد المقتطف الاخير لشهر حزيران عن بعض آثار اليسوعيّين العلميَّة كمقالة الاب كورتي اليسوعيّ عن النجوم الجديدة (ص ٥٤٥) وقد عرفنا الاب المذكور اذ كان يشتغل في مرصدنا الشهير في ستونيهرست (راجع المشرق ٩[١٩٠٦]: ٨٩٨) . وكذكرهِ مقالات الاب هنري لامنس في المشرق (ص ٥٤٠) ومقالات الاب جوليان في البشير . وكاطرائهِ لرصد سكاوي في الصين وما نالهُ الآباء اليسوعيُّون من الامتيازات الشرفيَّة لاشغالهم الفلكيّة هناك (ص ٦١٢) فنشكر الرصيفة على حسن ظنّها بعلماء رهبانيَّتنا وقلّما قرأنا في صفحاتها شيئاً من ذلك سابقاً

﴿ عاديَّات قدَس ﴾ قدَس مدينة قديمة أَصبحت في الالف الثاني قبل المسيح عاصمة الحثّيّين فاشتهرت بحضارتها . وقد فتحها رعمسيس الثاني في القرن السادس عشر قبل المسيح . ثمَّ خربت بعد ذلك ولم يبقَ منها سوى ردوم تعرف في يومنا بتلّ نبيّ مندو . وقد باشر فيها العلماء الفرنسويون آخرًا حفريَّات اوقفتهم على عاديَّات شتَّى من جملتها كتابة لرعمسيس الثاني فاتح المدينة وقد نُقلت آخرًا الى متحف بيروت

﴿ المجمع العلميّ العربيّ في دمشق ﴾ قد اسعدنا الحظّ في رحلتنا الاخيرة الى عاصمة الشام ان نجتمع باعضاء المجمع العلمي العربي للافاضل الذي يسعون طاقة جهدهم في رفع منار العربيَّة وآثارها . فوجدنا في رئيسهم الهمام محمَّد افندي كرد علي وفي جميع اصحاب المجمع من الحفاوة باهل العلم والهمَّة في ترقية العلوم الشرقيَّة ما وطّد أَملنا في نجاح مساعيهم الطيّبة . وكفى دليلًا على ذلك مجلّة المجمع التي ظهر منها اربعة اعداد حافلة بالمقالات الحسنة في كلّ ابواب الكتابة . زاد الله المجمع المذكور رقياً ونجاحاً

﴿ وفاة الكاتبة زينب فوَّاز ﴾ نقلنا في عددنا السابق (ص٤٧٥) عن مجلَّة العرفان ان زينب فوَّاز العامليَّة « توفّيت في غضون الحرب » وقد افادنا احد أُدباء مصر انَّ وفاتها وقعت في ٢٠ صفر ١٣٣٢ (١٩ ك ٢ ١٩١٤) اي قبل الحرب بعدَّة اشهر فوجب التنبيه

# أسئلة وأجوبة

س سأل احد الكهنة أيجوز أن تُعطى الحلَّة عن الخطايا لكاثوليكيٍّ منتمٍ الى الشيعة الماسونيَّة ؟

## المنتمون من الكاثوليك الى الشيعة الماسونيَّة

ج قد صرَّح المجمع المقدَّس غير مرَّة بأن الكاهن لا يستطيع ان يحلَّ كاثوليكيًّا منتمياً الى الشيعة الماسونيَّة ما لم يجحد الشيعة بتاتاً ويقطع جهاراً كلَّ علاقةٍ مع اهلها

س سألنا احد المرسلين الفرنسيسيين في الصين أيوجد شهادة قديمة في كتب السريان او الكلدان عن تبشير القديس توما الرسول في بلاد الصين ؟

## تبشير القديس توما الرسول في بلاد الصين

ج نعم قد وردت في ذلك شهادة في الطقس الكلداني في تسابيح عيد القديس توما تجدها في طبعة المرحوم الطيب الذكر الاب بولس بدجان اللعازري ( الجزء الثالث الصفحة ٤٧٦ ) هذا نصُّها :

ܒܝܕ ܡܪܝ ܬܐܘܡܐ ܒܛܠܬ ܛܘܥܝܝ ܕܦܬܟܪܘܬܐ ܡܢ ܗܢܕܘܝܐ ܒܝܕ ܡܪܝ ܬܐܘܡܐ ܐܦ ܨܝܢܝܐ ܥܡ ܟܘܫܝܐ ܦܢܘ ܠܫܪܪܐ

تعريبها : « بواسطة مار توما تلاشت اضاليل الوثنيَّة من بين اهل الهند . بواسطة مار توما الصينيُّون ايضاً مع الحبش رجعوا الى الحق » . وقد اثبت العلماء ان هذه الصلوات الكلدانيَّة من اقدم الآثار الكنسيَّة ترتقي الى نحو القرن الرابع للمسيح

ومن الآثار الصينيَّة التي تؤيّد صحَّة هذا الخبر قولهم انَّ رجلاً من الزهَّاد اسمهُ « تامو » قدم من الغرب الى الصين و كان على صدرهِ صليب وبشَّر بشريعة الهيَّة . فتامو هذ الذي يكرمهُ الصينيُّون كأحد الفلاسفة العظام ويصوّرون صورتهُ في معابدهم قد ذهب كثير من العلماء انهُ الرسول توما[1] . والله اعلم ل . ش

[1] اطلب L. Gaillard s. j ; *Croix et Swastika*, p. 80 ss 9.

السنة التاسعة عشرة العدد ٨ آب ١٩٢١



# المئة الثالثة لوفاة يسوعيَّين جليلَين

## القديس يوحنا بركمانس والمكرم الكردينال بلرمين

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

يقول الروح القدس في الاسفار المقدَّسة ان ذكر الصدّيقين يثبت على طول الزمان وها نحن نجد مصداقاً على صحَّة هذا القول في تذكار المئة الثالثة لرجلَين من عبيد الله توفَّيا بمثل هذه السنة في رومية العظمى لم يكد يفصل بين موتهما الصالح شهر واحد نريد بهما شابًّا بلجكيًّا مرآة البرارة انتقل الى جوار ربّهِ في عزّ شبابهِ يُدعى يوحنَّا بركمانس وشيخاً كبيرًا زيَّن كنيسة الله مـدَّة ثمانين سنة بعميم فضلهِ وسعة علومهِ وقداسة حياتهِ يعرفهُ الشرق والغرب معاً المكرَّم الكردينال بلرمينس الايطالي. فانَّ بلجكة وايطالية يتباريان في اكرام هذين الرجلين العظيمين اللذين شرَّفا ذينك القطرين في مدَّة حياتهما كما سترى وماتا جَنباً لجنب في عاصمة الكثلكة بعد ان التمس الشاب بركة الشيخ الجليل وشهد الشيخ على برارة الشاب وسامي فضلهِ

### ١ القديس يوحنا بركمانس

هو الزنبقةُ اليقق التي ابهج بهاؤها نظر السماء والوردةُ العـطرة التي سرَّت الكنيسة بأريجها والمحرقةُ التي تنسَّم الله رائحتها الذكيَّة بالرضى · قال احد الفلاسفة انَّهُ لا يعرف على الارض مشهدًا اجمل واشهى من نظر شابٍّ عاش بارًّا ومات بارًّا دون ان يدنّس ثوبهُ بحمأة الخطيئة · ويوحنَّا بركمانس في مقدَّمة الذين يستحقُّون هذا الثناء الطيّب كما تثبتهُ شهادة الوفر من الشهود العيان الذين صحبوهُ في كلّ ادوار حياتهِ

## الشاب الصالح

كان مولد يوحنَّا بركمانس في ١٣ آذار سنة ١٥٩٩ في مدينة صغيرة من اقليم برابَنت من اعمال بلجكة تدعى دِيسْتْ ليست بعيدًا من حاضرة لوڤان . وكان والداه اغنى بالخيرات الروحيَّة منهما بغنى العالم فلم يألُوَا جهدًا في تربية ابنهما وكان بكر اخوتهِ الخمسة الذين اشتهر منهم ادريان فبشَّر بالايمان في جزائر الفيليپين في رهبانية الاوغسطيين ثمَّ شرل الذي خلف اخاهُ في الرهبانيَّة اليسوعيَّة ثمَّ سميُّهُ يوحنَّا الذي اقترن بالزواج وبعد وفاة قرينته دخل في مصافّ الكهنوت وصار قانونيًّا على كنيسة مدينتهِ سان سولبيس التي كان خدمها سابقًا كوافه

ففي هذه التربة نبتت تلك الغرسة المختارة فنمت وترعرعت مشمولةً بنظر السماء والارض فلم يكد الولد يبلغ سنّ الرشاد حتَّى اظهر من الفضائل ما لم يُعهَد في امثالهِ من تُقًى ووداعة وصبر على الاوجاع وإكرام للوالدين حتَّى قيل فيهِ كما قيل في سميّهِ القديس يوحنَّا المعمدان : « ما عسى ان يكون هذا الصبيّ »

وكان مع حداثة سنّهِ ينهض باكرًا من الفراش فيسرع الى الكنيسة ليخدم هناك قدَّاسين او ثلاثة قدَّاسات بكل ورع وتقوى . وثبت على عادته هذه الحميدة حتَّى في ايَّام دروسهِ قبل ذهابهِ الى المدرسة . وكان اذا وجد في نهارهِ فراغًا من الشغل بادر الى مناجاة الله في الصلاة وهو يجد فيها من العذوبة والسلوان ما يصغِر في عينهِ الالعاب والملاهي الصبيانيَّة

باشر يوحنَّا الدرس في السنة السابعة من عمرهِ وانكبَّ عليهِ بمنتهى الرغبة والنشاط . وكان الله انعم عليهِ بذهن ثاقب وفؤاد ذكي فما لبث ان فاق على اقرانهِ واضحى لهم قدوةً في طلب العلم كما كان مثالهم في الفضيلة

ولمَّا بلغ العاشرة من عمرهِ شعر في باطنهِ بدعوة الله الى العيشة الاكليريكيَّة فاستعدَّ لها بدرس اللغة اللاتينيَّة ومبادئ العلوم . واذ رأى انَّ والديهِ لا يستطيعان القيام بنفقة دروسهِ دخل بيت احد الرهبان المدعو بطرس إمْريك الذي كان جمع في دارهِ بعض الفتية النجباء ليُعنى بتهذيبهم ويخرّجهم على الآداب الكهنوتيَّة . فانضمَّ

يوحنّاً اليهم ليخدمهم ويكتسب بخدمتهم معاشهُ ويواصل بصحبتهم دروسهُ الاكليريكيَّة

فما مرَّ على الاب آمريك بضعة ايَّام حتَّى عرف ايَّة درَّةٍ ثمينة ربحها فلم يعتبر يوحنّا كخادم بل كملاك يعرضهُ على فتيتهِ ليتشبَّهوا بهِ في حركاتهِ وسكناتهِ . فكان هو صباح مساء ساعياً في كل حاجاتهم لم يدع واحدًا منهم يأخذ عليهِ خللًا في خدمتهِ بل كان يسبق رغائبهم ويؤدي لهم خدماً اختياريَّة لم يكن مضطرًّا اليها

ومن العجب العجاب انَّ هذه الاشغال لم تَعُقْهُ عن النجاح في دروسهِ ولا عن اتمام رياضاتهِ الروحيَّة . فكان اذا فرغ من خدمتهِ اسرع الى كتابه او جثا راكعاً امام صورة تقويَّة للبتول العذراء مريم التي رضع مع الحليب عبادتها وكرَّس نفسهُ لها في مزارٍ قريب يُدعى مونتاغو كان يتردَّد اليهِ لاكرامها . واذ حظي في تلك الاثناء بالتقرُّب لاوَّل مرَّة من المائدة الالهيَّة زادهُ القربان الاقدس حرارةً حتَّى خيل لرفقتهِ انهُ احد الارواح السماويَّة المتقمصة بجسم بشريّ

بقي يوحنّا ثلث سنين في خدمة الاب آمريك وتلامذتهِ ومع كونهِ لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمرهِ كان نبغ في دروسهِ الثانويَّة وهو يستعدّ لختامها بالدروس البيانيَّة والخطابيَّة . بيد انهُ في غضون ذلك قد جرت لهُ محنٌ كادت تقطع آمالهُ من دعوتهِ الاكليريكيَّة فانَّ والدتهُ أُصيبت بمرض مزمن وشعر ابوهُ بعجزهِ عن القيام بأود عائلتهِ فاستدعى ابنهُ يوحنّا وعرض عليهِ احوال بيتهِ وطلب منهُ ان يساعدهُ في مهنتهِ

فكان كلام والدهِ هذا كصاعقةٍ انقضَّت عليهِ فخرَّ على اقدامهِ بازاء فراش اوجاع والدتهِ واجهش باكياً ثمَّ استحلف والديهِ بألَّا يصدَّاهُ عن اتباع صوت الله الذي يدعوهُ الى الكهنوت وبقي كذلك جاثياً مذرفاً للدموع السخينة حتَّى اثَّر كأبهُ في قلب والديهِ التقيَّين فخافا ان يقاوما مشيئة الله واطلقا لهُ الحرّيَّة لاتمام دروسهِ على شرط ان يسعى بنفسهِ بامر معاشهِ

الَّا انَّ الله لم يهمل يوحنّاً واذ كان صيت برارتهِ قد انتشر في وطنهِ ألهم كاهنين فاضلين بأن يسعفاهُ في مواصلة دروسهِ في بلدتهِ اوَّلًا ثمَّ في مدينة مالين احدى حواضر بلجكة حيث استخدم للقانونيّ فروامون كما خدم الكاهن آمريك وتمكَّن

من حضور المدارس المنشأة هناك وكان حيثما يمرّ يحرز لـهُ محبّة الجميع بمناقبهِ الفريدة واذا فارقهم اسفوا على فقدانهِ اسفهم على فراق اعزّ الخلّان . ولثقة القانوني فروامون بهِ انتدبهُ الى نظارة ثلثة اولاد من اسرة شريفة كانوا في عهدتهِ فتولّى الامر بغيرتهِ المعهودة حتّى اصبحوا بتدبيرهِ وحكمتهِ اطوع اليهِ من بنانهِ فحبّب اليهم الفضيلة والعلم بمثالهِ اكثر منهُ بأقوالهِ وزرع في قلوبهم بذار البرّ والطهارة كما كانوا يقرّون بذلك في بقيّة حياتهم

وبينما كان القديس بركمانس منكبًّا على هذه الاعمال لم يكن ليهمل دروسهُ الاكليريكيّة بل كان يتفرّغ لها في ساعات الليل واطراف النهار . وحدث في غضون ذلك انّ الرهبانيّة اليسوعيّة تلبيةً الى دعوة بلديّة مالين فتحت في هذه المدينة مدرسةً لتثقيف الناشئة فيها وكان ذلك سنة ١٦١٥ . فتقاطر الشبّان اليها ليستقوا من مناهلها العذبة . ورغب يوحنَّا بركمانس ان يحضر ايضاً دروسها البيانيّة والخطابيّة فعزّ الامر على معلّميهِ السابقين لئلّا يفقدوا تلميذًا كاملًا مثلهُ فتصدّوا لهُ برهةً لكنَّ القديس ثبت على عزمهِ واخذ يتردّد الى المدرسة الجديدة وهو باقٍ في خدمة القانوني فروامون

قضى يوحنَّا سنةً ونصف في مدرسة الآباء اليسوعيين ختم فيها الآداب اللاتينيّة وتعلّم اليونانيّة واصاب في كلتا اللغتين قصب السبق على اقرانه . لكنّهُ وجد فيها وسائل جديدة لنموّ عبادتهِ وتقديس نفسهِ بفضل مرشديهِ كالتأمّل اليومي وفحص الضمير . ومن ذلك ايضاً انهُ انضوى الى اخويّة العذراء المنشأة للطلبة فكان من اخصّ اعضائها ولم يكتفِ بالفرائض المعتادة لاكرامها بل كان يصوم السبت وفي بيرامونات اعيادها لينال شفاعتها

وكان يوحنَّا لم يفكّر قبلًا الّا بالدعوة الكهنوتيّة الّا انهُ لمّا عرف الآباء اليسوعيين ورأى عياناً فضائلهم شُغف حبّاً برهبانيّتهم وسمع صوت الله يدعوهُ الى عيشة الكمال في طغمتهم على انّهُ لم يشأ ان يتسرّع في امرهِ فعمد الى الاستحرار بالصلاة والى طلب مشورة ابيهِ الروحيّ والفحص المتكرّر عن دعوتهِ حتى لم يبقَ لهُ ريبٌ في مشيئة الله . ومذ ذاك الحين نوى ان يقطع كل علاقة مع العالم مهما وجدهُ في طريقهِ من العوائق ولاسيّما من قبل والدهِ الذي توسّل بكل الوسائل ليردّ ابنهُ عن قصدهِ . لكنَّ القديس برسائلهِ وكلامهِ اثبت لهُ بالادلّة الواضحة انّها هي ارادة الله فلا يجوز

للانسان ان يحول دونها . فاراد ابوهُ ان يختبر دعوتهُ على يد بعض الاصحاب من رهبان وغيرهم فما عاينوا ابنهُ قليلًا حتى وافقوهُ على عزمهِ واقرُّوا بصحَّة دعوتهِ واقنعوا اباهُ بتخلية سبيلهِ

## الراهب الكامل

ما نال يوحنَّا الاذن من والدهِ باتّباع دعوتهِ حتَّى بادر الى دير ابتداء اليسوعيين في مالين دون ان يذهب الى بلدتهِ ليودّع اقاربهُ لئلَّا يلقى موانع جديدة تعترضهُ في سبيل دعوتهِ . وكان اوَّل ما فاه بهِ عند دخولهِ الدير : « لقد كسرتَ يا ربّ اغلالي فانّي اقدّم لك ذبيحة الشكر » . والحقّ يقال ان يوحنَّا مذ وضع يدهُ على المحراث لم يلتفت الى الوراء بل اخذ على نفسهِ ان يسير الى ذروة الكمال . واذ رأى ساعة دخولهِ احد الاخوة المساعدين يشتغل بحراثة الجنينة تناول المعول من يدهِ وجعل يكرب الارض ليفتتح حياتهُ الرهبانيَّة ببعض اعمال التواضع

وجد بركمانس يوم دخولهِ دير الابتداء في ٢٤ ايلول ١٦١٦ سبعين شاباً من ابناء وطنهِ جحدوا مثلهُ العالم واباطيلهُ وطلبوا خدمة الله في الرهبانيَّة وكان بينهم الادباء والشرفاء والعلماء وذوو الخصال الفريدة والمناصب العالية فما انتظم في سلكهم حتَّى عدَّ نفسهُ كالاخير بينهم وكخادمهم امَّا هم فما لبثوا ان اعتبروهُ كملاك مرسل من الله ليكون بينهم كمثال حيّ للكمال الرهبانيّ

وكان اوَّل ما باشر بهِ في ابتداء حياتهِ الرهبانيَّة انهُ تعمَّق في درس قوانين القديس اغناطيوس لئلَّا يفوتهُ في حفظها شيءٌ مهما كان طفيفاً فسار بموجبها ولم يحدْ عنها ذرَّةً حتَّى قيل عنهُ انَّهُ احيا تلك القوانين في سلوكهِ ولو ضاعت يوماً لوجدوها في شخصهِ وكلّ سيرتهِ . وقد سعى رفقتهُ في ان يراقبوهُ لعلَّهم يرون في تصرُّفهِ ولو نقصاً خفيفاً او هفوةً زهيدةً فخاب مسعاهم واقرُّوا ليوحنَّا بتمام الكمال

امَّا القديس فكان على خلاف ذلك يزيد تواضعاً ويلتمس من مرشديهِ أن يتشدَّدوا عليهِ ويوبّخوهُ على نقائصهِ ويفرضوا عليهِ الاعمال الذلَّة الشاقَّة وقد اختار بين الفضائل الرهبانيَّة تلك التي تزيدهُ تجرُّدًا من نفسهِ وتقرُّباً من الله ولاسيَّما الطاعة وهي من مميّزات الرهبانيَّة اليسوعيَّة فانَّهُ كان يمارسها بكل دقَّة نحو كلّ من كان

لهُ عليهِ بعض السلطة حتى من المبتدئين مثلهِ فكان يتمّم اوامرهم كأنَّها من الله لا يفرق بين الاوامر السهلة او الشاقّة. وكان تواضعهُ يدفعهُ الى مزاولة الاعمال الدنيئة ككناسة الدار وتمريض المرضى وخدمة المساكين

وكذلك الفقر الرهباني فان يوحنَّا بركمانس كان يختار لنفسهِ احقر الألبسة ويكتفي بما يرضى بهِ الفقراء المدقعون من مطعم ومشرب بل يزيد على ذلك ما يسوّلهُ لهُ روح التقشّف والاماتة الاختياريَّة حتَّى اضطرَّ الرؤساء الى ان يردعوهُ عن افراطهِ في ذلك خوفاً على صحَّتهِ

وفي مدَّة الابتداء أُطلق خصوصاً العنان لعبادتهِ لاسيَّما نحو القربان الاقدس ونحو البتول الطاهرة جعلهما كمحور حياتهِ الروحيَّة . فكان يزور في نهارهُ متواترًا ابن الله سجين هياكلنا ليحيا بهِ ويضرم قلبهُ بحبهِ ولا يذهب الى النوم الَّا بعد تقدمة رقادهِ للاله الساهر في قربانهِ ليلًا مع نهار لينوب عن البشر في اكرام ابيهِ السماويّ . امَّا البتول فكان مشغوفاً بحبّها ساعياً في اكرامها ومجتهدًا في نشر عبادتها . وممَّا يُخبر عنهُ انَّهُ كتب بدمهِ صكًّا وقيَّد نفسهُ بالنذر ان يدافع عن عقيدة حبل العذراء بلا دنس الخطيئة الاصليَّة التي لم تُعلن بها الكنيسة الَّا في اواسط القرن الماضي فاستحقّ بذلك ان تشملهُ ملكة السماء بأسبغ نعمها

وكان بركمانس مع اجتهادهِ في تحصيل الفضائل ونفورهِ من كلّ الشهوات العالميَة دمث الاخلاق ليّن العريكة سهل المعاملة باسم الثغر يخدم الله بفرح وسعة قلب ويجتذب قلوب رفقتهِ الى الله فيهتفون عند نظرهِ : « ما ألذّ وما اشهى ان يسكن الاخوة معاً »

قضى بركمانس سنتين في دير الابتداء في مالين احرز في مدتهما جميع الفضائل الرهبانيَّة وختمهما بابراز النذور الثلثة المعتادة اي الفقر والعفَّة والطاعة مرتبطاً لبقيَّة عمرهِ بطريقة ابناء القديس اغناطيوس

ما انتهى يوحنَّا من محن الابتداء حتَّى انتدبهُ رؤساؤهُ الى درس الفلسفة فارسلوه الى رومية العظمى حيث كانت نخبة شبَّان الرهبانيَّة اليسوعيَّة على مقربةٍ من الكرسي الرسوليّ ومن رئيسهم العامّ . وكانوا تقدَّموا اليهِ قبل سفره ان يودّع اهلهُ فكتب الى ابيهِ يعلمهُ بالامر الَّا ان الله كان استدعى والدهُ الى دار البقاء قبل ذلك باسبوع .

فلمَّا وقف على الامر رفع الى الله الادعية لراحة نفسه ثم سعى جهده في تعزية والدتهِ واخوتهِ واهتمّ طاقتهُ بمستقبل اخوته الصغار موصياً بهم الاقارب والاصحاب وخصوصاً القانوني فروامون وليّ نعمتهِ

## قدوة الدارسين

كانت الاسفار في ذلك العصر طويلة شاقَّة معرَّضة لعدَّة اخطار فتجشَّم القديس هذا السفر بأمر الطاعة مع رفيقٍ آخر يشبههُ بصلاحهِ وتقاهُ فقطعا طريقهما بشهرين ونيّف وكانا حيثما يحلّان يستلفتان نظر من يراهما بحشمتهما وحسن سلوكهما . وكان وصولهما الى رومية في آخر يوم من السنة ١٦١٨ في شدَّة الزمهرير وكان السفر انهك قواهما حتَّى ان رفيق يوحنَّا لم يلبث ان أُصيب بداء عُضال فتوفّي بعد قليل

امَّا القديس فانَّهُ منذ اوَّل ايَّام قدومهِ استوقف نظر رئيس الرهبنة العام الاب موشيوس ڤيتلَسكي وبقيَّة الآباء حتى هتف احدهم : « انَّ بلجكة قد انعمت علينا بملاكٍ محْض » وقال غيرهُ : « كنَّا فقدنا لويس غونزاغا فها قد احياهُ الله في شخص هذا الشابّ »

كانت المدرسة الرومانيَّة حيث دخل يوحنَّا بركمانس من اعظم مدارس الرهبانيَّة اليسوعيَّة يتخرَّج فيها نحو مئتين من الرهبان الواردين اليها من كل اصقاع اوربَّة يدرسون فيها العلوم الدينيَّة العليا اعني الفلسفة واللاهوت وتفسير الكتاب المقدس والحقّ القانوني وكان لمعلّميها شهرة ذائعة في كل الانحاء بطول باعهم وكثرة تآليفهم كفى بذكر بعض من شرفوا اذ ذاك تلك المدرسة كالكردينال بلرمنيوس والكردينال دي لوغو والاب قرنيليوس الحجريّ وغيرهم كثيرين .وكان رئيس المدرسة الاب ڤرجيل سيپاري رئيس لويس غونزاغا سابقاً وكاتب ترجمته كما صار رئيساً على بركمانس ونشر ايضاً ترجمة حياتهِ وهو اصدق المؤرخين

واوَّل ما اثَّر في بركمانس عند وصولهِ الى رومية نعمةُ وجودهِ في عاصمة الكثلكة ومركز الايمان المستقيم تُحدق بهِ من كل جهة مآثر الدين الجليلة كالكنائس الفخيمة ومقامات القديسين الشهيرة وقبور الشهداء مع قربهِ من نائب المسيح وخليفة هامة الرسل فزادتهُ تلك الآثار عبادةً وأنهضت بعواطفهِ الى عالم البقاء

واذ كان تذكار لويس غونزاغا حيًّا بين رفقتهِ الدارسين وقبرهُ في كنيسة المدرسة قصد يوحنَّا ان يتَّخذهُ كشفيعهِ الخاص ويقتدي بكل امثالهِ وقد شهد من عاش معهُ انهُ اشبههُ الشبهالتامّ وقال الواحد منهم: « لم أَعُد اقرأ ترجمة لويس لأَنّي ارى فضائله حيَّةً في سيرة يوحنَّا » وما لا يُنكر انهُ لم يدع من قانون الرهبنة والمدرسة صغيرًا او كبيرًا الَّا انجزه بكل تدقيق اذ يرى فيهِ مشيئة الله

وما سبق لنا ذكرهُ من فضائلهِ في دير الابتداء في مالين قد ثبت عليهِ في رومية او بالحري قد نمى وازداد كثيرًا ولولا ضيق المكان لروينا لهُ في كلّ فضيلة آثارًا عجيبة تنبئ بعظم برارتهِ وذلك على سواء في كل اطوار حياتهِ في امورهِ الروحيَّة او في سلوكه مع روءسائهِ وفي تصرُّفهِ مع اخوتهِ الرهبان. فكان مع ربّهِ خشعاً ورعاً ومع روءسائهِ بسيطاً سليم النيَّة ولاوامرهم مذعناً ومع رفقتهِ كلًّا للكلّ وديعاً لطيف المعاشرة مستعدًا لخدمتهم في كلّ الحاجات مهما كلَّفهُ ذلك من المشاق

واذ كان الدرس اهمّ اشغالهِ انكبَّ عليهِ بملء قواهُ ليكون العلم في يدهِ وسيلةً لخدمة الدين. فكنت تراهُ يُصغي بكل حرص الى تعاليم معلّميهِ في الفلسفة والرياضيَّات ثم يعود اليها في انفرادهِ ليدرك كلّ مشاكلها واذا اعتاص عليهِ شيءٌ منها عرضهُ على معلّميه واستمدّ من الله ادراكهُ بالصلاة ثمّ يدوّن خلاصة تلك التعاليم في دفاترهِ ويردّدها في ذهنهِ ثمّ يتباحث فيها مع اقرانهِ حتَّى انَّ كثيرين منهم كانوا يقصدونهُ في صعوباتهم فيحلّها لهم حلًّا مرضياً. واذ رآهُ الروءساء في ختام الفلسفة قديرًا على مدافعة كل قضاياها امام جماهير المعلمين والتلامذة اوعزوا اليهِ بان يستعدَّ لهذا الامتحان في حفلة يحضرها وجوه رومية وعلماؤها فقام بهذه المهمَّة احسن قيام حتَّى اثنى على سعة علمهِ كلّ الحضور مع اطرائهم حشمتهُ وتواضعهُ في اجوبتهِ

## ميتة الابرار

على انَّ اجتهادهُ العظيم لهذه الحفلة الحافلة ليحقّق آمال معلّميهِ فيهِ أَثَّر في صحَّتهِ تأثيرًا موءلماً ولاسيَّما انَّ ذلك وقع ابَّان الصيف الذي تفتك في فصلهِ الامراض في اهل رومية وعلى الاخصّ في الغرباء

ففي العشر الاوَّل من شهر آب شعر يوحنَّا بوعك في صحَّتهِ فلقيهُ رئيسهُ في

طريقهِ ووجدهُ ممتقع اللون عليل القوى فامرهُ ان يذهب الى مستشفى الدير ليُري نفسهُ للاخ وكيل المرضى. فذهب ممتثلًا . فما عتَّم الاخ بعد فحص جسمهِ ان وجدهُ مصاباً بداء الرئة فقلق لذلك والزمهُ الفراش . فأحسَّ القديس باضطراب الوكيل فطمَّنهُ بقولهِ : « مهما حدث فانَّنا في يد الله ابينا فلتكن مشيئتهُ » ولمَّا اعلمهُ الاخ بعد مدَّة بخطر الموت ضمَّهُ الى صدرهِ شاكرًا لهُ على هذه البشرى

ثمَّ انتشر بعد ساعة خبر مرض بركمانس بين الرهبان اخوتهِ حتَّى عمَّهم الحزن كأنهم أُصيبوا باعظم المصاب وتباروا في الصلاة والدعاء الى الله ليحفظ لهم تلك الحياة العزيزة. لكنَّهُ تعالى وجد تلك الثمرة ناضجة لجنَّتهِ فآثر ان يقطفها وينقلها الى دار الخلود

سطا الداء على بركمانس مدَّة خمسة ايَّام كان فيها مثال الصبر الجميل والطاعة للممرّضين والوداعة نحو كلّ من يعودهُ وهو لا يذكر اوجاعهُ الَّا كنعمة من الله معلناً بفرحهِ ان يموت في عنفوان شبابهِ كسلفهِ لويس غونزاغا وكان كلّ كلامهِ عن السماء وامور الابديَّة . ولولا امر رئيسهِ لكان اقتبل الاسرار الاخيرة جاثياً على الحضيض في هيئة التوَّابين والخطأة وطلب من الجميع السماح عمَّا فرط منهُ في حقهم فأجابتهُ دموع اخوتهِ لدى سماعهم هذا الكلام المشعر بتواضعهِ . وكان يعدُّ حياتهُ كلا شيءٌ ويتوسَّل الى الاطبَّاء ان لا يُنفقوا عليهِ مال الرهبنة ويلتمس من اخوتهِ ان يكفُّوا عن طلب شفائهِ ليذهب ويتمتَّع بربّهِ

وقد نمى خبر مرضهِ الى بعض اعيان رومية من ارباب الدين وغيرهم فأتوا ليعودوهُ ويطلبوا دعاءَهُ وكانوا اذا خرجوا يصرخون : حقًّا هذا احد اولياء الله

ثمَّ تفاقم الداء دون ان يفقد القديس شيئاً من رشادهِ بل كان يزداد رغبةً الى مواجهة إلههِ وكان آخر ما فاه به اسم يسوع ومريم ولمَّا بلغ الحضور الى دعاء طلبة العذراء «يا عذراء العذراء يا امًّا طاهرة » اسلم الروح بكل هدوء وسكينة وتطايرت نفسهُ الى الاخدار السماويَّة . كأنَّهُ بلسان حالهِ يردّد قول النبيّ : « ما اجمل الجيل العفيف الطاهر فانَّ ذكرهُ يبقى خالدًا » وكان ذلك في ١٣ من شهر آب سنة ١٦٢١ وهو في الثامنة والعشرين من عمرهِ

هذا هو البارّ القديس الذي تحتفل بلاد بلجكة وطنهُ مع الرهبانيَّة اليسوعيَّة بالمئة

الثالثة لوفاتهِ . فانَّ الله اراد ان يمجّدهُ بعد موتهِ بعدَّة معجزات باهرة بيَّنت ما لهُ عندهُ تعالى من الكرامة . فالكنيسة اذ بلغها خبر تلك الآيات اقامت لجنةً خاصَّة للبحث عن فضائل يوحنا بركانس السامية وعن العجائب التي جرت بشفاعتهِ فلما تبيَّنتها ادرجت اسمهُ اوَّلًا سنة ١٨٦٥ في عداد الطوباويين على عهد بيوس التاسع ثمَّ بعد معجزات جديدة تحقَّقها ديوان المجمع المقدَّس نظمه السعيد الذكر البابا لاون الثالث عشر سنة ١٨٨٨ في سلك القديسين فعُدَّ احد انوار المنارة المثلَّثة التي سطعت ضياؤها في الرهبانية اليسوعيَّة في رومية اي ثلثة من شبَّانها الكرام الاجلَّاء استانسلاوس كوستكا البولوني ولويس غونزاغا الايطالي ويوحنَّا بركانس البلجكيّ الذين لا تزال حياتهم تبعث في الناشئة المسيحيَّة روح التقى والبرارة

## ٢ المكرَّم الكردينال بلرمينوس

قد اعتبرنا الشاب الصالح الذي احبَّهُ يسوع لحفظهِ كلّ وصاياهُ ومشوراتهِ ( مرقس ١٠ : ٢١ ) فلنوجّه نظرنا الى الشيخ الجليل الذي شبع من الايام ولم يحِدْ طول عمرهِ عن سَنَن الفضيلة والكمال . نريد بهِ المكرَّم الكردينال بلرمينوس سراج الكنيسة المنير الذي جمع بموجب وصيَّة المسيح بين العلم والعمل فاستحقَّ ان يدعى بذلك عظيماً في ملكوت السماوات

### حداثة بلرمينوس

ولد الكردينال بلرمينوس في مدينة مُنتيپلشيانو من اعمال توسكانة في ايطالية في ٤ تشرين الاوَّل ١٥٤٢ يوم عيد القديس فرنسيس الاسيزي فدعي في المعموديَّة روبرتوس فرنسيس رومولس . وكانت اسرتهُ عريقة في الشرف واعرق في الفضيلة والبرّ ولاسيَّما أُمهُ شقيقة الحبر الاعظم مرسيل الثاني التي لم تدَّخر وسعاً في تربيتهِ المسيحيَّة . وكأنَّ الولد قبل بلوغهِ سنّ الرشاد ادرك نوايا والدتهِ فكان في يدها كالشمع الرخص الليّن يسير فَرِحاً على كلّ تعاليمها الصالحة . وكان اوَّل ثمرة ذهنهِ الثاقب خطبةً صغيرة قالها في آلام المسيح امام والدتهِ واخوتهِ ثم اردفها بقصيدة لطيفة في مديح البتوليَّة اندهش الكلّ لحسنها . وكان روبرتوس ذا صوت رخيم فاذا دعاهُ احد الى الغناء رسم على جبهتهِ إشارة الصليب وغنَّى الاغاني التقويَّة ليس الَّا وكان

يقول: «معاذ الله ان استعمل صوتي لغير خدمتهِ تعالى ومديح الفضيلة»

كان الآباء اليسوعيُّون فتحوا حديثاً مدرسةً في وطن بلرمينوس فألحَّ على اهلهِ ان يكون من تلامذتهم فما انتظم في سلكهم حتَّى ظهر فضلهُ على جميع اقرانهِ بل كان شرفاً لمعلّميهِ. وممَّا يُروى عنهُ انَّهُ سمع يوماً احد الاعيان يُحقّر تعليم اليسوعيين فقام للحال وذهب الى عمدة المدينة وطلب منهم ان يعيّنوا لجنةً تفحصهُ هو وبقيَّة الدارسين في المدينة ليروا فضل معلّميه فاجابوا الى ملتمسهِ فخرج ظافرًا من هذا الامتحان وافحم الثالبين

ثمَّ عُقدت حفلة ادبيَّة في المدرسة وعرض الدارسون مثالًا من انشائهم فقوبل خطاب بلرمينوس بالتصفيق الحادّ وطلبوا منهُ ان يعيدهُ لبلاغتهِ

وكانت شبيبة الاشراف في البلدة قد فتحت نادياً يتردَّد اليهِ أُدباؤها فارسلوا الى روبرتوس يدعونهُ ليخطب فيهم مع حداثة سنّهِ فأبى اوَّلًا ثمَّ كرَّروا عليهِ الدعوة الى ان اقنعوهُ فتأبَّوا لاستماعهِ قائلين: «هلموا بنا نسمع عظة الملاك روبرتوس» فلم يخب ظنُّهم فيهِ وكان لكلامهِ احسن وقع في قلوبهم

## الراهب والمعلم

كان ابو روبرتوس يعلّق على ابنهِ آمالًا بعيدة لاسيما في المناصب الدينيَّة. غير انَّ روبرتوس لم يشأ ان يُذعن لصوت اللحم والدم بل اراد ان يفحص دعوتهُ امام الله ويضحّي لها كلّ اعتبار بشري فانفرد ايَّاماً بالخلوة وتأمل الحقائق الابديَّة في رياضات القديس اغناطيوس فعلم دون مراء انَّ الله يدعوهُ الى الرهبانيَّة اليسوعيَّة. فقام بينهُ وبين ابيهِ نزاع طويل كان لهُ فيهِ الظفر بمساعدة خالهِ اسكندر سرڤين شقيق البابا مرسيل الثاني فقرأ الوداع لاهلهِ وسار الى رومية طالباً من الاب جاك لينيس خلف القديس اغناطيوس في الرئاسة العامَّة على الرهبانيَّة اليسوعيَّة ان يقبلهُ بين رهبانهِ وكان بلغهُ ما لروبرتوس من الصفات الجليلة فقبلهُ دون تريُّث وعافاهُ بامتياز خصوصي نادر جدًّا عن امتحانات الابتداء وامرهُ بدرس الفلسفة

وكان بلرمينوس ضعيف المزاج عليل الصحَّة فزادتهُ دروسهُ انحرافاً الَّا انَّ جودة قريحتهِ وحصافة عقلهِ مكَّنتاهُ من ادراك كلّ غوامض الفلسفة حتَّى دُعي الى

المدافعة عن كلّ تعاليمها بحضرة جمهور الاساتذة والطلبة فأجمع كل الحضور على بُعد شأوهِ في كلّ فروع النظريات (١

ففي إثر هذه الحفلة ارسلهُ الرؤساء الى مدينة الفنون الجميلة فيرنسة ليدرّس فيها الآداب اللاتينيَّة . فلبَّى دعوة رؤسائهِ وهو يشعر بانحطاط قواهُ لا يعلم كيف يقوم بمهنتهِ هذه الصعبة لكنَّهُ انطرح عند اقدام السيّد المسيح في قربانهِ الاقدس وطلب منهُ بحرارة وثقة الصحّة والعافية ليخدمهُ كما يليق في الرهبانيَّة ويتمّم اوامر رؤسائهِ . فقام معافًى بالصحَّة التامَّة ومذ ذاك الحين الى آخر حياتهِ لم يعد يشعر بضعف في جسمهِ ولم يتمّم فقط تلك السنة وظيفتهُ بل اضاف اليها عدَّة اشغال كالمواعظ والارشادات ونظم القصائد . وفي السنة التالية علّم الخطابة في مدرسة أُخرى وتكلّف باعباء مختلفة مدَّة ثلث سنوات دون ان تصاب صحّتهُ بأذًى . وكان في خطبهِ اوَّلًا يُعنى كثيرًا بالفصاحة وتزويق العبارات لكنهُ في بعض الايَّام دُعي الى الخطابة بغتةً فقُضي عليهِ الارتجال فلحظ انَّ كلامهُ زاد تأثيرًا في النفوس لسذاجتهِ فلم يَعُد بعد ذلك الى التأنق في الخطاب وانَّما كان يستقي افكارهُ من مورد العبادة ومناجاة الله ثمَّ يلقي الكلام عفوًا فيأتي بالثمر المرغوب

وفي تلك الاثناء قام القديس فرنسيس بورجيا بعد وفاة الاب لينس رئيساً عامًّا على الرهبانيَّة اليسوعيَّة فارسل بلرمينوس الى مدينة كابوا ليَدرس اللاهوت فقضى هناك سنتين فقط فأتقن تلك الدروس التي لم يُحكمها غيرهُ الَّا في اربع سنوات وقدَّم عنها فحصاً علنيًّا عموميًّا في كنيسة جنوة الكاتدرائيَّة أُعجب بهِ كل من حضرهُ . وكان في درسهِ لا يطلب الَّا وجه الله فيتَّخذ العلم كوسيلة الى معرفة خالقهِ وزيادة حبّهِ لهُ

فلمَّا عرف القديس فرنسيس بورجيا ما نالهُ بلرمينوس من الشهرة في جنوة اراد ان يرسلهُ الى مدينة لوفان عاصمة بلجكة ليجعلهُ فيها كسدٍّ بازاء سيل البروتستانيَّة الزحاف الذي اندفع الى تلك الجهات . فذهب بلرمينوس وهو لم يزل شمَّاساً بسيطاً . فعند وصولهِ عُهد اليهِ الوعظ في كنيسة المدرسة . فلمَّا رآهُ الجمهور متأهباً للخطابة

١) وكان بين معلميّ بلرمينوس الاب يوحنَّا اليانو علَّمهُ العبرانيَّة وهو الذي أُرسل سفيرًا الى الموارنة في لبنان كما روينا ذلك في المشرق سنة ١٩٢٠ .

وهو في مقتبل الشباب لا يزينهُ الاكليل الاكليريكي والدرع الكهنوتي اخذهم العجب وكادوا يزدرون بكلامهِ ومن ثمَّ اسرع الرؤساء وامروهُ ان يستعدَّ للرتبة الكهنوتيَّة فتمَّ ذلك فعلًا في السنة ١٥٧٠ ثمَّ عاد الى ارشاد المؤمنين فاقبل السامعون اليه بكل رغبة حتَّى ضاقت بهم الكنيسة واذ اتَّخذ كموضوع خطبهِ تفنيد الاضاليل البروتستانيَّة ذاع صيتهُ في كلّ انحاء بلجكة بل بلغ خبرهُ الى هولندة وانكلترَّة حتَّى ان كثيرين من اهلهما كانوا يأتون الى لوڤان ليسمعوا خطبهُ الدينيَّة فردَّ البعضَ منهم الى حجر الكنيسة

وكان بلَّرمينوس مع مواعظهِ في الكنائس يعلّم ايضاً اللاهوت النظريّ في كليَّة لوڤان فيدهش الجميع بعارضتهِ وقوَّة براهينهِ وسعة مداركهِ . الَّا ان تقواهُ وقداسة حياتهِ كانا يحيكان في القلوب اكثر من علمهِ . وقد وُجد في مفكَّراته انهُ كان يلتجئ في امورهِ الروحيَّة الى قلب يسوع الاقدس . فسبق بتعبُّدهِ نحوهُ عهدَ وحي الرب بهذه العبادة الى القديسة مرغريتا مريم

بقي بلرمينوس سبع سنوات في لوڤان وكان بلغ مسامع البابا غريغوريوس الثالث عشر ما نالهُ هناك من المجد الاثيل بردّهِ غارات البروتستانت فامر الرئيس العام بان يستدعيهُ الى رومية ليتولَّى في المدرسة الرومانيَّة علم الجدال لنقض اضاليل ذلك العصر فأجاب بلرمينوس مسرعاً الى ما امرهُ بهِ رئيسهُ الَّا انَّ اهل بلجكة عدُّوا فراقهُ كمصاب عظيم لوطنهم فودَّعوهُ والقلوب آسفةٌ على فَقْد مثله كنزًا ثميناً

كان سفر بلرمينوس كثير الاخطار والبروتستانت يرصدونهُ في طريقه فأبدل ثيابهُ بثياب العالميين واخذ لنفسهِ احد اسمائهِ الثلثة فسمَّى ذاتهُ السيّد رومولوس ثمَّ سافر برفقة بعض البروتستانت الذين لم يعرفوهُ فكانوا يُسَرُّون بأُنسهِ وآدابهِ ولمَّا وصل الى جَنَوة عاد الى لبسهِ الكهنوتيّ فتعجَّب رفقتهُ من تغيير زيّه وقالوا : «ما كنَّا لنظنّ ان يسوعيًّا يبلغ الى هذا الحدّ من اللطف والمؤانسة

جلس بلرمينوس على كرسيّ تعليم المجادلات في المدرسة الرومانيَّة اثنتي عشرة سنة (١٥٧٧—١٥٨٩) فكان يتقاطر اليه اشراف رومية وارباب الاكليروس ليسمعوا تعاليمهُ وطلبوا كلهم منهُ ان يمثّل تلك التعاليم للطبع فنُشرت بمجلَّدين ضخمين وراجت في انحاء اوربَّة ايّ رواج ونُقلت الى معظم اللغات الاوربيَّة . واجمع العلماء

على انَّها كانت ضربةً لازبة على الهراطقة اللوترانيين والكلوينيين والانغليكان .
وممَّن شهد على فضل مجادلات بلرمينوس القديس فرنسيس دي سال فانَّهُ كان في رسالتهِ بين الهراطقة لا يأخذ معهُ الَّا ثلثة كتب كتاب صلاتهِ والكتاب المقدَّس ومجادلات بلرمينوس ويقول : مع هذه الاسلحة الثلثة لا اخاف عدوًّا . وكان تاودورس دي بيز احد كبار زعماء البروتستانت يقول : « انَّ مجادلات بلرمنيوس قد أتلفَتْنا » . وتقدَّمت اليصابات ملكة الانكليز الى علماء شيعتها بان يردُّوا على تلك المجادلات فلم يستطيعوا فامرت بإعدام كلّ من يُدخل منها نسخة في انكلترَّة لئلَّا يرتدّ اهلها الى دين اجدادهم . لكن اوامرها زادت رغبة الناس في مطالعتها وفقًا للمثل انَّ كلّ ممنوع متبوع حتَّى انَّ احد باعة الكتب في انكلترَّة كان يقول انَّ مجادلات بلرمينوس اغنتْهُ اكثر من بقيَّة كتبهِ المبيعة . وخلاصة القول انَّ مجادلات بلرمينوس أَوقفت تيَّار البدع البروتستانيَّة وفتحت ايضاً اعين كثيرين من الضالّين فارتدُّوا عن ضلالهم وكتبوا الى مؤلفها شاكرين لهُ على ما اوضح لهم من انوار الحقّ
ولمَّا كانت السنة ١٥٨٩ صارت امور فرنسة الى حالة سيئة بعد وفاة هنريكس الثالث وتحامل البروتستانت على الدولة حتَّى خيف من انقلاب بنت الكنيسة البكر وتحوُّلها الى المذهب البروتستاني فاراد البابا سكستوس الخامس خلف غريغوريوس الثالث عشر ان يتلافى هذا الخطر العظيم فارسل الكردينال غايتاني كقاصدٍ رسولي ليسعى في تدبير الامور ثمَّ انتدب الاب بلرمينوس ليرافقهُ بصفة لاهوتيّ في المجادلات مع البروتستانت ونشرَ وقتئذٍ براءةً ممتِعة اظهر فيها محبَّتهُ لفرنسة ورغبتهُ في رقيّها
ولنا في تاريخ هذه السفارة عدّة شواهد على ما ادَّاهُ بلرمينوس في باريس من الخدم لكنيسة فرنسة بمناهضة البدع البروتستانيَّة وجَمْع كلمة الكاثوليك من جملتها رسالة جليلةٌ وجَّهها الى كلّ اساقفة الدولة وسطَّر لهم واجباتهم لخلاص دولتهم فكان لكلامهِ صدى استحسان في كلّ القلوب وكان من اقوى الاسباب لكبح سورة البروتستانت ولردّ هنريكوس الرابع الى دين الملوك آبائهِ
ثمَّ عاد بلرمينوس في السنة التالية الى رومية فوكل اليه الرئيس العام الاب اكوافيفا مهنة مرشد روحيّ للمدرسة الرومانيَّة التي كانت تتربَّى فيها زهرة الرهبانيَّة اليسوعيَّة الواردين اليها من كل اصقاع اوربَّة ومنها خرج عدد لا يُحصى من عظام

الرجال فتولّى بلرمينوس إرشادهم في كلّ الآداب الرهبانيَّة وأعدَّهم طاقةَ جهدهِ الى ما ينتظرهم يوماً من اعمال رهبانيَّتهم ومشاريعها المختلفة. وكفى فخراً بلرمينوس انَّ بين الرهبان الموكولين الى عنايتهِ كان لويس غونزاغا قدوة الشبَّان المتوفَّى بين ذراعيهِ ووطنيُّنا الحلبي ابراهيم جرجس المارونيّ شهيد الرهبانيَّة اليسوعيَّة في مصوَّع

ومن الوظائف المهمَّة التي قام بها بعد ذلك بلرمينوس رئاستهُ على المدرسة الرومانيَّة السابق ذكرها مدَّة سنتين (١٥٩٢–١٥٩٤) ثم رئاسة اقليم نابولي (١٥٩٤–١٥٩٧) كان في كلتاهما مثال الحكمة والعزم والمحبَّة في كلّ اموره حتَّى انَّ الجميع كانوا يودُّون لو يتولَّى تدبيرهم فيرون فيهِ قدوة الرؤساء كما وصفهم القديس اغناطيوس في قوانينهِ لا يسير في كلّ اعمالهِ الَّا بموجب الخير العموميّ ومجد الله الاعظم. وفي تلك الاثناء توفّي الكردينال توله (Cal Tolet) اليسوعي فاحتاج البابا اقليميس الثامن الى لاهوتي حاذق في كلّ العلوم الدينيَّة فاشار اليهِ الكردينال بارونيوس بتقليد هذه الرتبة الاب بلرمينوس

## الكردينال

كان احد الاسباب التي دفعت بلرمينوس الى الدخول في الرهبانيَّة اليسوعيَّة انَّ ابناءَها ينذرون الفرار من المناصب الاكليريكيَّة كالرتبة الاسقفيَّة وشرف الكرديناليَّة والطمع بكل رئاسة. غير انَّ احكام الله ربَّما خالفت احكام البشر وهذا ما جرى لبلرمينوس فانَّ ابتعادهُ من هذه المناصب الجليلة اضحى سبباً لتقليده ايَّاها

وذلك انَّ البابا اقليميس الثامن منذ اوقفهُ الكردينال بارونيوس على فضل بلرمينوس فكَّر في ترقيتهِ الى رتبة الكردينالية لئلَّا يبقى ذاك السراج تحت المكيال. لكنَّ بلرمينوس كان يمانعهُ على قدر استطاعتهِ ومثلهُ رئيس الرهبانيَّة العام بموجب قوانين الرهبنة لكنَّ الحبر الاعظم في آخر الامر حكم الحكم الفصل وفرض عليهِ بأمر الطاعة وتحت الخطأ الثقيل بان يقبل منصب الكردينالية فأذعن الى مشيئة الله مرغوماً وكان ذلك سنة ١٥٩٩ ولمَّا أعلن البابا بعزمهِ امام المجمع الكردينالي قال: « انَّنا قد خوَّلنا الاب بلرمينوس منصب الكردينالية لأنهُ فريد وحدهِ في كنيسة الله من حيث العلم ولانهُ ابن اخت ذلك الحبر الرومانيّ الجزيل الشرف والسامي القداسة مرسيل الثاني »

دخل بلرمينوس في مصافّ الكرادلة لكنَّهُ لم يغيّر شيئاً في بساطة سلوكهِ وشظافة عيشهِ وانّما كان يردّد لمن يهنئهِ بمنصبه الجديد كلام الكتاب المقدَّس عن ناعمة في سفر راعوث: « لا تدعوني نُعمي بل ادعوني مُرَّةَ » مشيرًا الى هنائهِ في الرهبنة وعنائهِ خارجاً عنها وكان يطلب بإلحاح من اخوتهِ الرهبان ان يصلُّوا لاجلهِ لينجو من اخطار تلك الوظيفة ومسؤوليتها امام الله

ومن ثمَّ قصد ان يتمم كلَّ واجباتهِ دون مراعاة الاشخاص ويعيش مرتديـاً بالارجوان عيشة اخوتهِ اليسوعيين في الفقر الاختياري والتواضع . امَّا رواتب المعاش التي عيَّنها لهُ الحبر الاعظم فما كان ينفق منها الَّا القليل لحاجات دارهِ وكان الكثير الباقي يصرفهُ كلَّهُ على الفقراء والمحتاجين . والى كرمهِ هـذا وعلمهِ معاً اشار الله بعد وفاتهِ اذ ظهر بلرمينوس لاحد الابرار برونق المجد وعلى جانبيهِ ملاكان في يد الواحد كتاب مفتوح وفي يد الآخر كيس دراهم صدقاتهِ التي بسببها دُعي أبا الفقراء

خدم بلّرمينوس الكرسيّ الرسوليّ خدماً جليلة منذ وقف حياتهُ لهذه الـدعوة بصفة كردينال فكان يباشر اعمال الكرادلة بهمَّة لا تعرف المَلَل وكان اذا استشارهُ الحبر الاعظم في بعض المهامّ عرض فكرهُ بصدقٍ وصراحة لا يأخذهُ في ذلك لومة لائم . وقد ظهرت نزاهتهُ هذه في عدَّة امور لاسيَّما في تبرير المكرَّم الفرنساوي الاب جان دلا بَرْيار منشىء رهبانيَّة الفوليان الذي كان اوقعهُ اعداؤهُ في تهمةٍ باطلة وبقي سبع سنوات معرَّضاً لسهـامهم بازاء الكرسي الرسوليّ . ففحص بلّرمينوس دعواهُ بكل حذاقة ونشاط واثبت شرعيًّا برارتهُ واعادهُ الى رهبانيَّتهِ معزَّزًا مكرَّماً

ومن مآثرهِ الجليلة دفاعهُ عن قضيَّة النعمة الالهيَّـة والتوفيق بينها وبين الحرّيَّة البشريَّة وهي المسألة التي استفحل فيهـا الجدال بين الآباء الدومنيكان والرهبان اليسوعيين وكاد البابا اقليميس يحكم فيها للاوَّلين فبيَّن لهُ بلّرمينوس الرأي الصواب واوقفهُ عن الحكم ولعلَّ البابا امتعض عن فعلهِ هذا نوعاً . ففضَّل بلرمينوس خدمة الحقّ على رضاه

وفي السنة ١٦٠٢ احتاجت مدينة كابوا الى رئيس اساقفة يُعنى بشؤونهـا بعد وفاة راعيها فدعا البابا اقليميس بلرمينوس ورقَّاهُ بيدهِ الى درجة الاسقفيَّة . فمن وقتهِ خرج من رومية وسار كالراعي الصالح الى ابرشيَّتهِ ليرعى شعبهُ على مثال الرُسل الاوَّلين .

والحقّ يقال انهُ تجرَّد هناك لكل اعمال الخير والغيرة الرسوليَّة مدَّة ثلاث سنين بقي فيها فكان يزور ابرشيَّتهُ وكلّ رعاياها ويمنح سرّ التثبيت للاولاد وربَّما كان هو يسعى بتعليمهم مبادئ الدين وكان لا يدع احدًا او عيدًا الَّا يعظ فيهما الشعب وكان كثير الاهتمام بالآداب العموميَّة واستئصال العادات الذميمة وكان يهتمّ خصوصاً بارباب الدين من كهنة او رهبان ليصلح ما يراهُ فيهم من النقص ويجعل حياتهم مطابقةً لشرف دعوتهم. وكان في كابوا كما في رومية يصرف كلّ اموال الكنيسة في اسعاف المعوزين والفقراء

وفي تلك الاثناء استأثر الله بنفس الحبر الاعظم اقليميس الثامن فسار بلّرمينوس الى رومية ليشترك مع الكرادلة اخوتهِ في اختيار خلفٍ لهُ. فكانت اعين الجميع متَّجهة اليهِ وكثيرون يفكّرون في تقليدهِ تلك المهمَّة السامية امَّا بلرمينوس فصرف نظر الكرادلة عن نفسهِ وعدل بهم الى اختيار من كان يراهُ اهلًا لرئاسة الكنيسة جمعاء. وذلك في الانتخابات الثلثة التي حضرها لمَّا قُلّد البابويَّة لاون الحادي عشر القصير الايَّام (سنة ١٦٠٥) ثمّ بولس الخامس (١٦٠٥–١٦٢١) وغريغوريوس الخامس عشر (١٦٢١–١٦٢٣) وكانوا كلُّهم يجلُّونهُ ويعتبرونهُ كاشرف واقدس وأعلم رجال عصرهِ

ولمَّا صارت الخلافة الرسوليَّة الى البابا بولس الخامس امر بلّرمينوس بان يبقى في رومية ليساعدهُ في تدبير الكنيسة. فتنزَّل حينئذ عن ابرشيَّتهِ لئلَّا تُصاب بأذًى في غيبتهِ فيقوم بشؤونها غيرهُ. فسكن منذ ذاك الحين رومية الى آخر عمرهِ اعني خمس عشرة سنة قضاها متفانياً في خدمة الكنيسة ومساعدة الحبر الرومانيّ

وقد لعب في تلك الحقبة ادوارًا مهمَّة لاسيما في الدفاع عن الكنيسة وتعاليمها فهو الذي أفحم بكتاباتهِ بعض البنادقة الذين عصوا على الكرسيّ الرسولي مع زعيمهم پاولو سرپي. وهو الذي فنَّد ما كتبهُ ملك انكلترَّة جاك الاوَّل ضدَّ الكنيسة الرومانيَّة. وهو الذي بيَّن باجلى برهان حقوق الحبر الرومانيّ وعصمتهُ في تعليم الكنيسة ضدّ البدعة الجانسينيَّة والبدعة الغلّيكانيَّة فأعدَّ مذ ذاك ما حدَّدهُ بعدئذٍ المجمع الڤاتيكانيّ حتَّى دُعي بلاهوتيّ الباباويَّة. وقد انتشرت تعاليمهُ هذه في كلّ الانحاء حتَّى انَّ اعداء الكنيسة ولاسيَّما في انكلترَّة كانوا يسمُّون الكاثوليك بلّرمينيين او بابويّين

على انَّ قداسة بلرمينوس لم تكن دون علمهِ فانَّهُ مارس اسمى الفضائل بدرجة سامية كما اعلن بذلك المجمع المقدَّس في العام الماضي ٠ وقد اراد الله ان يؤيد قداستهُ هذه بالكرامات حتَّى في حياتهِ فمن ذلك ما شهد بهِ كلّ اهل كابوا اذ احيا شجرةَ تين لاحد الفقراء المسمَّى سلفادور دي نيكَنْدروس كانت احترقت وحُكم على حارقها بجزاء نقدي لكنَّ الكردينال امر صاحبها بان يذهب ويجني ثمارها واذ اكَّد لهُ هذا انَّها يبست ولم يبقَ منها لا ثمر ولا ورق كرَّر عليهِ الامر فذهب امتثالًا لامرهِ واذا بالشجرة مكتسية بالورق مثقلة بالثمر اللذيذ فقطف منهُ سلَّة قدَّمها للكردينال شكرًا لهُ فعُرفت مذ ذاك بتينة الكردينال القديس وقطع كثيرون من اغصانها فغرسوها كبركة في بساتينهم ٠ ومثل ذلك الصيدُ العجيب الذي اجراهُ بامرهِ بعض فقراء الصيَّادين فتكرَّرت ببركتهِ معجزة الصيد التي رواها الانجيل عن السيّد المسيح

وكان بلرمينوس بلغ السنة الثمانين من عمرهِ وهو في تمام العافية الَّا انَّهُ بوحيٍ من الله عرف قرب زمان وفاتهِ وعيَّن سابقاً وقوعهُ في يوم عيد جروحات القديس فرنسيس شفيعهِ فطلب من الحبر الاعظم غريغوريوس الخامس عشر بان يعتزل عن الاشغال ويستعدّ لسفرهِ الاخير فاذن لهُ فاختار دار الرهبان اليسوعيين المبتدئين في رومية التي تُدعى بدار القديس اندراوس حيث كان توفي القديس استانسلاوس كوستكا وهناك استعدّ لملاقاة ربّهِ بكل تؤدة وسكينة وكان مع ذلك يحضر الاجتماعات البابويَّة في اوقاتها ٠ فلمَّا قرب عيد جروحات القديس فرنسيس شعر بانحطاط قواهُ واضطرّ الى ملازمة الفراش وكان يتكلَّم عن موتهِ بكل رغبة كأنَّهُ ذاهب الى مأدبة فاخرة ٠ وكان سبقهُ الى الابديَّة ببضعة ايَّام يوحنَّا بركمانس السابق وصفهُ وكان عرفهُ جيدًا واثنى على فضيلتهِ وينشّط نفسهُ بذكر وفاتهِ الصالحة ويتمنَّى ان يراهُ قريباً

ولمَّا علم الحبر الاعظم بدنوّ اجل بلرمينوس اراد ان يعودهُ بذاتهِ ليباركهُ فأتى اليهِ مع حاشيتهِ فاستعظم بلرمينوس تواضع الحبر الاعظم وصرخ عند دخولهِ : «سيّدي لستُ مستحقًّا ان تدخل تحت سقفي » فوقع هذا الكلام في قلوب الحاضرين موقعاً عظيماً

ولمَّا كان صباح عيد جروحات القديس فرنسيس رقد بلرمينوس بالرب وذلك في

١٧ ايلول سنة ١٦٢١ بعد ان ضمَّ الى صدرهِ مرَّة اخيرة صليب رهبانيَّتهِ وتلفَّظ باسم يسوع المبارك

وقد جرى بشفاعة بلّرمينوس بعد وفاتهِ معجزات جديدة اثبتت قداستهُ منها زجاجةٌ من دمهِ الذي لم يزل سيَّالًا حتَّى يومنا هذا في مدينة سلَمنكا في اسبانية وغير ذلك ممَّا يبعث الرجاء انَّنا سنراهُ في العاجل القريب مكرَّماً على هياكلنا بصفة طوباويّ

وقد خلَّف بلّرمينوس للكنيسة مكتبةً واسعة من تآليفه التي تنيف على الخمسين عدًّا. نذكر هنا بعضها ما عدا مجادلاتهِ السابق ذكرها فممَّا أَلّفهُ كتاب شرح المزامير وكتاب تراجم الكتبة الكنائسيين. ولهُ غراماطيق اللغة العبرانية وكتاب صعود العقل الى الله من اجلّ الكتب الفلسفيَّة وكتابان في واجبات الاساقفة وفي واجبات الامراء المسيحيين وكتاب في سلطة الحبر الاعظم الزمنيَّة. ولهُ في الادبيَّات كتاب سجع الحمامة في شوق النفس الى دار البقاء وكتاب الاستعداد للميتة الصالحة وكتاب في سعادة القديسين في السماء مع مجموع واسع من المواعظ والخطب وتراجم بعض القديسين منها ترجمة القديسة مريم المجدليَّة. ومن تآليفه التي نُقلت الى لغتنا العربيَّة كتابهُ تفسير التعليم المسيحي المستفيض الشهرة عرَّبهُ الخوري يوحنَّا الحصروني من تلامذة مدرسة الموارنة في رومية سنة ١٦٢٧ وطبعهُ هناك ثمَّ تكرَّر طبعهُ في مطبعتنا من تعريب الاب بطرس فروماج وقد نُقل الى لغات عديدة. وكذلك شرح المزامير الذي عرَّبهُ الاب ارتودي اليسوعيّ بمساعدة الشمَّاس عبدالله زاخر وطُبع في المطبعة المخلّصيَّة في بيروت بثلثة اجزاء قد استمدَّهُ خصوصاً من شرح بلرمينوس وكتابهُ في سبعة اقوال المسيح على الصليب عرَّبهُ المثلَّث الرحمات السيّد غريغوريوس حجَّار رئيس اساقفة صور وصيداء وطبعهُ في بيروت سنة ١٩١١ وهو ايضاً الذي عرَّب لهُ كتابهُ سُلَّم السعادتين وطبعهُ سنة ١٩١٠. فهذه الآثار كلّها تنعش روح الايمان وتحيي شواعر التقى الى يومنا هذا في نفوس المسيحيين وتخلّد ذكر ذلك الرجل العظيم الذي لا يزال اسمهُ مباركاً في كنيسة الله. ولا عجب اذ شاء مواطنوهُ في ايطالية ان يحتفلوا هذه السنة بتذكار المئة الثالثة لوفاتهِ متَّعنا الله بشفاعتهِ امين (١

١) قد عوَّلنا في تسطير هذه الترجمة على سيرة المكرَّم الكردينال بلّرمينوس التي كتبها في مجلَّدين الاب كودرد اليسوعي سنة ١٨٩٣ **P. Couderc** S. J: Le Vénérable Cardinal Bellarmin. 2 *vols in*-4, *Paris*, 1893

# اثر عربي قديم للقديس يوحنا فم الذهب

نشرهُ حضرة الخوري لاونديوس كلزي رئيس دير الشير

## المقدمة

بينما كنتُ اسرّح الطَّرْف في سجلّ مكتبة دير الشير وقـع نظري على كتيّب مخطوط خطاً قديماً وموسوم بالعدد ٥١ يبلغ طولهُ ١٥ سنتمترًا بعرض ١٠ س ينطوي على ٧٠ صفحة وفي الصفحة ١٥ سطرًا . وفي الكتاب رسالتان . الثانية للشمَّاس عبدالله الزاخر الحلبيّ وجَّهها الى البطريرك اثناسيوس دبَّاس سنة ١٧٢٤ يثبت فيها انه يجوز للمسيحي العلماني ان يدافع عن قضايا الايمان . وهي رسالة شهيرة . امَّا الرسالة الاولى وهي التي تهمُّنا حاضرًا فانَّها لذلك الملفان العظيم شرف الكنيسة عموماً والشرق خصوصاً القديس يوحنَّا فم الـذهب وجَّهها الى المدعو ثاودورس الذي كان ترك الرهبانيَّة وعزم على الزواج

وللقديس يوحنَّا فم الذهب في مجموعة اعمالهِ في مين (Migne PP. GG, XLVII, 277-319) رسالتان الى ثاودورس المذكور الواحدة مطوَّلة والاخرى اقصر طولاً وهذه الاخيرة هي التي وجدناها في مخطوط دير الشير وتبلغ منهُ ٣٩ صفحة صغيرة . والحقّ يقال انَّها اهلٌ بذلك المعلّم العظيم اذ اودعها كلّ الادلَّة التي من شأنها ان تبيّن للراهب الساقط الجاحد لدعوتهِ سوء فعلهِ بخروجهِ من الرهبنة بعد ان انضوى اليها وتورد لهُ كلّ الاسباب المقنعة التي تحدو بهِ الى الرجوع الى دعوتهِ بالتوبة الصادقة

امَّا ثاودورس المذكور هنا فهو ثاودورس الـذي اشتهر بعد ذلـك بكتاباتهِ وتآليفهِ المختلفة لاسيما بشرح الكتب المقدَّسة وجنح فيها الى بعض آراء النسطوريَّة . كان مولدهُ سنة ٣٥٠ وتوفي سنة ٤٢٨ بعد أن نُصب اسقفاً على مدينة المصّيصة . وكان في شبوبيَّتهِ ترهَّب مع القديس يوحنَّا فم الذهب في دير كرتيريوس وديودوروس . ثمَّ سئم الحياة النسكيَّة وكاد ينخدع بأباطيل العالم لو لم يردّهُ الى دعوته القديس يوحنَّا صديقهُ بالرسالتين اللتين اشرنا اليها والتي نورد هنا احداهما

ولم يُذكر في مخطوطنا اسم كاتب المقالة ولا وقت كتابتها ولعلّ معرّبها من اللغة اليونانيَّة هو عبدالله بن الفضل الانطاكي في اواسط القرن الحادي عشر للمسيح وقد بيَّنت مجلَّة المشرق انَّهُ قد نقل الى العربيَّة كثيرًا من اعمال القديس يوحنَّا فم الذهب . وقد اردتُ نشر هذه الرسالة الذهبيَّة ليقف عليها محبُّو الآثار الدينيَّة القديمة مع ما في نصوصها من بعض الركاكة طمعاً بالفوائد الجمَّة المتضمّنة فيها ولأنَّ من شأنها ان تشجع الخطأة وتدفعهم الى الرجوع الى الله ثمَّ رغبةً في إخراج هذه الجوهرة الثمينة من مدفنها في بطون المكاتب

## رسالة لأبينا الجليل في القديسين يوحنا فم الذهب

ارسلها الى ثاودورس الراهب الشاب الذي سقط وترك الرهبانية وقصد الزيجة والدخول في العالم . فكتب له القديس هذه الرسالة لينشطه الى الرجوع والتوبة مذكرًا لهُ بالدينونة والحساب امام منبر الديان المرهوب

. . .

انه لو كان ممكن ان تُحمَل الدموع والتنهُّد بالكتُب لكنتُ املأُ بهما لك كتابي هذا وأُرسلهُ اليك . اذ قد بلغني عنك انَّك أفرزتَ نفسك من مصافّ الاخوة وتركتَ العهود التي عاهدتَ الله بها . ولهذا أَفزع واجزع واخاف وأَرعب لأَن الذي ينتظم مع الفرسان من غير عهد ولا اكتتاب لا يُلام اذا ما ترك الفروسية ورجع الى الوراء . وأَمَّا الذي اكتتب مع الفرسان وانتظم في مصافّهم فاذا ما ترك الفروسيَّة فان بهذا الفعل يوجب على ذاته العقوبة الجزيلة

فاعلم ايها الحبيب ثاودورس ليس هو امرٌ صعب اذا ما وقع المُصارع بل ان الصعوبة اذا ما ثبت في سقطتهِ . ولا هو حزنٌ اذا ما انجرح المقاتل بل الحزن هو اذا ما قطع رجاءَهُ ولم يُعانِ العلاج للجرح وأَيس من ذاتهِ . أما ترى التجار الذين يسافرون في الابحار فانهم وان أُصيبوا في البحر وضاعت اموالهم فلا يمتنعون من ركوب البحر لكنهم بعد ذلك يرجعون ويركبون البحر ايضاً ويصبرون على تلاطُم الامواج واهوال اللُّجج ويقصدون الاماكن البعيدة مجتهدين بكل حرص ليردُّوا اليهم غناهم . وكثيرون من المجاهدين قد رأيناهم بعد وقعات كثيرة نهضوا وحَظُوا باكلَّة الغلبة . وآخرون كثيرون من الفرسان حينما كانوا يصافُّون الاعداء انغلبوا منهم وفرُّوا هاربين ثمَّ بعد ذلك تشجَّعوا ورجعوا وقاوموا بجلادة وشهامة فقووا عليهم وغلبوهم وظهروا ابطالًا في الحرب . وغيرهم كثيرون ايضاً من المؤْمنين بالمسيح من شدة العذابات الصعبة المراس ارتخت عزائمهم وعزموا ان يطيعوا ( المضطهدين ) بل البعض منهم اطاعوهم وسقطوا في العبادة الباطلة . ثمَّ بعد ذلك رجعوا وجاهدوا فنجحوا ولبسوا اكلَّة الظفر مع الشهداء الغالبين . فلو انَّ كلَّ واحد من المذكورين كان قطع رجاءَهُ من اول مرَّة لَما كان يحصل على الخير الذي حصل عليه فيما بعد . هكذا انت يا حبيبي وان كان العدو قد زعزعك من مقامك قليلًا فلا تفشل خائفاً

وتطرح ذاتك وترجّ بنفسك في الهوتة المهلكة مؤيساً بل قِفْ بجلادة وارجع سريعاً من حيث خرجت ولا تظن ان هذه الضربة لك عارٌ فهل يعيّر احدٌ بعض الفرسان اذا ما نظره راجعاً من القتال جريحاً . بل ان الفارس الذي يطرح السلاح ويمكّن الاعداء من نفسه فهذا الذي يُعيَّر ويُهزأ به . ولكن اذا ما هو وقف متجلّداً في القتال فانَّهُ وان جُرح وتأخر قليلاً فالذين لهم معرفة بالحروب لا يلومونهُ اصلًا

ان الذين لا يعاينون الحروب اولئك لا ينجرحون امَّا الذين يحاربون الاعداء بجلادة ويصافُونهم بسلاحهم فعلى الغالب ينجرحون ويصابون كما أُصبتَ انت . لانك اذ اردتَ ان تقتل الحية بجرأة فلسعتك فلا تيأس ايها الحبيب بل ثِقْ واطمئن يا اخي لانك لا تحتاج الَّا الى علاج قليلٍ وانتباهٍ وشجاعة فلا يبقى فيك اثر الجراح والضرب . بل انك ترضّ رأس العدو بنعمة المسيح . ولا تحزن لانك جُرحت في ابتداء جهادك بل اعلم ان العدو الغاشّ حينما ابصر بمكرهِ فضائل نفسك وانك مجاهد بطل حيث انك ابتدأتَ بقتالهِ بحرص وجلادة فخاف منك جدًا وافتكر في انك ان بقيتَ على هذا الحال تغلبه وتقهره فحرص واجتهد بل أفرغ جهدهُ وقاومك بكافَّة حيلهِ . فحينئذٍ توانيتَ انت ايضاً متراخياً لانه لولا توانيك لَما قدر العدو ان يجرحك . ولو قصدت أنت ان تقف مقابله بجلادة لَما امكنه ان يصرعك ويسقطك بل كان شرّه يرجع على هامتهِ

لأَنَّ من ذا الذي لا يتعجب بل كان سُرَّ من انقلابك الاول السريع الحار . ومن لا يندهل من انتقالك من اشراك العالم وفخاخه الى اقتناء الفضائل والصلاح اذ انك رفضت نعيم الاطعمة اللذيذة كلها وطرحت الملابس الثمينة وتوطَّأتَ الكرامات والعظمة المرغوبة من الكثيرين . وحرصُك ورغبتك اللتان كانتا لك في الحكمة البرّانية رددتهما بسرعة الى كتب الله بهذا المقدار حتى انك كنت تصرف النهار كله في مطالعة المصاحف المفيدة وتجيز الليل كله في الصلوات والتضرُّعات ولم تذكر شرف جنسك وعزّ آبائك بل كنت تفضّل السجود لأَقدام الاخوة على كل شرف . فاذ شاهد منك العدو هذه المناقب حزن جدًا واستيقظ وابتدأ باجتهادٍ ان يقاتلك قتالًا شديدًا . غير انَّهُ يا اخي لم يجرحك جرحاً ليس له شفاء . ولو انه تركك الى زمان طويل الى ان تقتني كل نوع من انواع الفضائل والصلاح بعد ان تتعب تعباً زائدًا

شديدًا ثم ابتدأ في قتالك وغلبك فقد كان يقال انك خسرتَ خسارة جزيلة · حتى وان كان ذلك كذلك فلا ينبغي ان تيأس وتقطع رجاءك · بل جرحه اياك في ابتداء مصادمتك له خيرٌ لك كي تزداد تحفظاً وحذاقة في قتاله فلا يعود قادرًا على ان يظفر بك · ولأَن هذا اللص الخبيث لم يخرج لمقاومتك حين رجوعك من سفرك وتجارتك وجزيل ربحك بل انه نهض عليك في ابتداء نزولك في البحر قبل ان تعاني جزيل اضطرابهِ وكثرة اخطارهِ وجرى امره معك كمثل مَن يريد ان يقتل وحشاً كاسرًا فاذا ما هو خدش جسمهُ يسيرًا لم يضرَّهُ ذلك · وانما يصير هذا سبباً لاحتفاظهِ منه وحرصه كي لا يسلم ذاته في يده دفعةً اخرى · هكذا فعل عدو جنس البشر اذ انه قصد ان يضربك ضربة صعبة بالغة فاخطأ الغرض لانهُ صيَّرك ان تنتبه وتسهر بحرص مترقباً وروده ايضاً

واعلم ايها الاخ ان طبيعة الانسان سريعة الزلَق والانتقال من حال الى حال الَّا انها كما تسقط سريعاً كذلك تنهض ايضاً سريعاً · انظر ما اصاب النبي والملك داود الـذي بعد ان اقتنى فضائل كثيرة وكان مختارًا من الله سقط بخطيئة العشق لتلك المرأَة الغريبة وتمَّ العمل بالفسق · ولم يقف في هـذه الحدود بعد هذا الجرح العظيم بل زاد على ذلك جرحاً آخر اذ مزج الزنا بالقتل ومع ذلك لم ييأس لكنَّهُ حالما نبَّههُ الطبيب انتبه ونهض سريعاً ووضع على جراحهِ مراهم واستعمل ادويةً متفننة وهي الصوم والنوح والبكاء والصلاة الدائمة والاقرار بالخطيئة والندامة عليها وبهذا اجتذب الله الى الرحمة اليه والرجوع الى رتبته الاولى بعد تلك السقطة المريعة واستحقَّ بافعالهِ هذه ان يستر خطأ ابنه سليمان حينما سقط بعبادة الاوثان لكي يرضي نساءهُ وابتعد من اله آبائهِ اذ وقع في الفخّ الذي وقع فيه ابوه

فانظر يا اخي كم شرّ يعمل من لا يضبط شهوتهُ وكيف تنقلب فيه الرئاسة الطبيعية التي خُلق فيهـا ويصير عبدًا واسيرًا للشهوة والنساء · وحقاً ان سليمان قد كان استحق ان يُنزع من الملك والسلطنة لاجل افعالهِ هذه ولكن لاجل صلاح والدهِ داود تركهُ الله في كرسي الملك والسياسة العظيمة · وانت ايها الحبيب لو كنت حرصت في الامور العالمية والاشياء البرَّانية ثم تماهلتَ وكسلتَ فاني كنت اذكّرك باماكن القضاة وبالذين يكلَّلون هناك ويحصلون على الكرامات · وكنت أطلب

منك ان ترجع الى ذلك الحرص لتحظى بهذه المذكورات . واما نحن اذ قد صار حرصنا كله في الامور السماوية وليس لنا هوى في شيء من الامور الدنيوية فاننا نذكرك في يوم الدينونة الرهيب وكيف اننا كلنا عتيدون ان نقف امام عرش المسيح لنعطي جواباً عن كل ما فعلناهُ وافتكرنا به وقلناه . فحينئذٍ يكون الديَّان جالساً يستفحص كل شيء ذاك الذي خالفتَ مواعيدهُ بماذا تعتذر لديهِ وماذا تجاوبه ان انت ثبتَّ على مخالفتك العهود التي عاهدته بها ؟

قُلْ لي هل تحتجّ بامور العالم ؟ والحال انه قد سبق سيدنا يسوع المسيح وقال لنا : « ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه » . وان انت احتججتَ بانك قد خُدعتَ فلا يبرّرك هذا الاحتجاج كما انهُ لم يبرّر آدم عندما احتجَّ بالمرأة اذ قال : « ان المرأة هي التي غرّتني حتى صنعتُ ما صنعت » . ولم تتبرَّر المرأة ايضاً باحتجاجها بالحيَّة

يا حبيبنا ثاودورس مخيفٌ هو ذلك الموقف الرهيب وتلك الدينونة لانه لا يُحتاج هناك الى اناس يفحصون ويوبّخون ولا الى شهود يشهدون بل الاشياء كلها ظاهرة بين يدي الديَّان . ولا يديننا على الاعمال فقط بل على الاقوال والافكار بما انه فاحص القلوب وعالم الخفيَّات حتى وحركات قلوبنا الصائرة بالليل والنهار

وعساك تتعلَّل بضعف الطبيعة وانك لم تقوَ على حمل نير المسيح الطيب وحملهِ الخفيف فاعلم ان النياح من التعب ليس هو جيداً لان سيدنا يسوع المسيح يدعونا الى هذه الاتعاب ويعدنا بواسطتها الراحة اذ يقول : « تعالوا اليَّ ايها المتعبون والثقيلي الاحمال وانا اريحكم . احملوا نيري عليكم ان نيري طيب وحملي خفيف »

اخبرني يا اخي ايُّ شيء اخفّ من هذا وهو ان يستريح الانسان من الهموم والامور الدنيويَّة ومن الخوف والتعب والنَّصب ويكون خارجاً عن اضطراب العالم وامواجه ويصير الى مينا هادئ . انا اسألك ايها الحبيب ايُّ شيء في امور الدنيا احبُّ الى الناس وافضل عندهم ؟ فلستُ اشكّ انك تقول لي انَّها الرئاسة والغنى والكرامات . وماذا يكون اشقى اذا ما انقلبت . حيث ان الرئيس يخاف ان تقوم عليه الجماعة وتشغب . ويخاف ايضاً من الروساء الذين فوقه . ويلتزم بالاهتمام بالذين هم دونهُ . والذي كان بالامس رئيساً في الغد يصير مرؤوساً . لان امور هذه الدنيا

تشبه الذين يلعبون في الملعب . وكما ان اوليك في ملاعيبهم يصيرون الواحد ملكاً والآخر قائداً وغيره فارساً الى ان يتمّموا ما ابتدأوا بهِ وفي حال انصرافهم من هناك لا يبقى الملك ملكاً ولا القائد قائداً ولا الفارس فارساً

هكذا في ذلك اليوم الرهيب لا يُكافأ الانسان لاجل اسمهِ ووظيفتهِ بل لاجل تصرّفهِ وافعالهِ. انّ الكرامات والشرف العالمي يُرى عندنا لذيذاً وحلواً الّا انه يذهب عنّا الى غيرنا وشيكاً . والكتاب يقول : « الويل للذين يفتخرون بقوتهم والذين يفتخرون بكثرة اموالهم وغناهم » . غير ان الحرية المسيحية ليست هكذا إذ انّ المسيحي الحقيقي لا ينتقل من الرئاسة الى الرعاعة . ولا من الغنى الى المسكنة ولا من المجد الى الهوان بل انه يمكث غنياً اذا ما هو تمسكن ويرتفع اذا ما هو اتضع ولا يقدر احد ان ينزعه من الرئاسة التي يرأسها . لانه لا يرأس على الناس بل على أراكنة وسلاطين ضابطي ظلمة هذا العالم كما قال الرسول

ثمّ تقول ان الزواج مكرَّم ومضجعهُ نقيّ والله يدين الفسَقة والزناة . نعم حقّ ما تقوله وهذه آية رسوليَّة . فاما انت فلا يمكنك منذ الآن ان تحفظ ناموس الزيجة . لان الذي قد عاهد الختن السماوي ان يقيم لله نفسهُ ذبيحةً طاهرة اذا ما هو حنث بوعدهِ واتّخذ لهُ امرأةً فقد فسق وان سمَّيتَ لي ذلك عشرة آلاف مرَّةً بقولك ان هذا زواج فاجاوبك قائلًا : لا بل انه فِسْق . واقول ايضاً انه شرّ من الفسق . واعلم انّ الله افضلُ من البشر بما لا يقدَّر والكتاب المقدس قد روى قولهُ : « اوفوا للرب نذوركم » فلا يغرّنك احد بقولهِ لك ان الله لم يمنع عن التزوُّج . وانا ايضاً اعلم ان الله لم يمنع من التزوُّج لكنه تعالى قد منع عن الفسق الذي تريد ان تفعلهُ باقترانك مع امرأة غير اني ارجو ان ذلك لا يكون اصلًا . ولا تعجب من قولي عن التزوُّج انه فسق حقّ لاجل انَّهُ يتم بمخالفة الله

فربَّما رأينا قتلًا صيَّر فاعلهُ بارًّا لانه تمَّ بطاعة الله وقد رأينا ايضاً فعلَ رحمة عوقب فاعلهُ لاجلهِ اكثر من القتل لانهُ صنعهُ بخلاف ما اوصاه الله . فِنحاس الكاهن لمّا طعن الزاني مع الزانية وصنع القتل حُسب له ذلك برًّا وصدوقيَّةً لانه كان قتلٌ برضى الله . لمّا شاوول الملك لانهُ لم يقتل ملك العمالقة كما امرهُ الله مع ان فعلهُ هذا فعلُ رحمة عاقبهُ الله لاجلهِ عقوبةً صعبة بهذا المقدار حتى ان صموئيل النبي طلب

الى الله من اجله كثيراً ولم يقدر ان يخلّصهُ مما قضى الله عليهِ بهِ . وسهر هذا النبي ليالي كثيرة بالتضرُّع والبكاء الى الله لاجلهِ ولم يترك الله له هذه المخالفة التي صنعها ضدَّ ما اوصاهُ الله ونزع منه الملك واعطاه لداود

فاذاً لا تعجب من قولي ان الانسان يُدان عن التزويج اكثر من الفسق اذا كان ذلك مخالفاً للعهود مع المسيح . وكما قلتُ لك اولًا انك لو كنت من رعاع الناس لمَا كان احد يلومك على تركك الفروسيّة والتجنُّد للمسيح امَّا الذي هو نظيرك فهذا عارٌ عليه . اذ لم يبقَ لك الآن سلطان على نفسك لانك تجنَّدت وتعيَّنت فارساً للملك السماوي . لانه كما انَّ المرأة اذا ما اقترنت برجل لن يبقى لها سلطان على جسدها بل لرجلها السلطان عليه . فكم بالحري اكثر من هذا بأضعاف الذين تعاهدوا مع المسيح فانَّهم لا يعود لهم سلطان على اجسادهم

اعلم ان الذي تركتهُ الآن انت هو الديَّان للجميع في ذلك اليوم الاخير . افتكر في كلامي هذا وتأملهُ في كل وقت . واعلم ايضاً ان في ذلك اليوم الرهيب سيجري نهرٌ من نار امامه وعذابات ليس لها احصاء توجد هناك والذين يسلَّمون الى تلك العذابات لايبقى لهم رجاء خلاص منها . امَّا شهوات العالم فهي كالظلّ والمنام وأضغاث أحلام لأنَّهُ قبل ان تتمّ الخطيئة تنطفئ اللذَّة امَّا العقوبة عنهما فليس لها انقضاء . اللذة هي زمن يسير وامَّا الاحزان فمؤبَّدة . العالم لا يوجد فيه شيء ثابت وقد قال بعض القديسين انَّ حياتنا هي اسرع من الماء الذي يجري . والنفس المجاهدة لايوجد شيء اكرم منها . وهذا لا يخفى عمَّن وصلوا الى اقصى الجهاد

وانا اعلم ايها الحبيب انك لم تسترخِ كثيراً بازاء قتال العدو . بل انك واقفٌ في وسط لهيب نار الفخ . فاذا ما صرختَ نحو العدو قائلًا : انني للذَّاتك النجسة لا أَعبد ولأصل شرورك ومكايدك لا اسجد . ثم اذا رفعت عينيك الى ساكن السماء فحالًا يطفئ عنك وهج اللهيب ويحرق الذين طرحوك في هذا الاتون الناري ويرسل لك في وسط الاتون سحابةَ ندًى وريحاً لطيفاً هادئاً حتى لا تدنو النار منك ولا الى حواسّك وافكارك بشرط ان لا تحرق انت نفسك . لأَن المدن الحصينة لا تسلَّم للاعداء غالباً من قتال الذين هم خارجاً ولا تُهدَم من خيلهم الَّا اذا نافق واحد او اثنان من داخل فيسلّمونها بخيانةٍ منهم الى الاعداء بغير عناء

وكذلك انت ايها الاخ ان لم تتنازل مع العدو بما تُهجس لـك به الافكار من داخل فلا يقدر عليك احد من خارج ولو احتال عليك بحيل شتى لانَّ لك بنعمة الله معاضدين كثيرين اقوياء يتولَّونك جيدًا ويعينونك باجتهاد . ويتحنَّنون على نفسك وهم رفاقك واخوتك الروحيُّون الذين منهم فيلاريوس قديس الله واخوه فلورنطس الفاضل . والمتمهِّر بحكمة المسيح برفيريوس . واخرون كثيرون الذين لا يزالون ينوحون في كل يوم ولم يكفُّوا في كل يوم من الطلبة والدعاء لاجلك . واني لا اشكُّ في انهم كانوا ينالون مـا يسألونهُ لو انك ايضاً تريد وذلـك اذا اجتهدتَ بحرص ان تخلّص نفسك ولا تميل مع العدو بقبول ما يقدّمه لك بل قاومتهُ بضد ذلك . وكيف لا يكون هذا عارًا ايها الاخ وهو ان آخرين لم ييأسوا بعد من سلامتك بل انهم في كل وقت يقدمون لله صلوات وتضرعات طالبين منه تعالى ان يردّ اليهم عضوهم . وانت لا تريد تنهض من سقطتك بل تمكث فيها كمن ليس له رجاء . أَلعلَّ الذي يقع لا يقوم ? فانت تريد ان تضادَّ الكتاب المقدَّس بقطع رجائك عند سقطتـك وكانك تقول بافعالك التي هي لسان حالك : ان الذي يقع لا يقوم

فانا اطلب منك يا حبيب ان لا تظلم نفسك هذا الظلم كلهُ . وارجوك الَّا تُحزن انفسنا بهذا الحزن العظيم وليس اني اقول لك هذا بمـا انك لم تبلغ بعد عشرين سنة من العمر بل لَقلتُهُ لو كنت عشت سنين كثيرة وكلها أَجزتها في رضا المسيح . ولو كنتَ عند الكبر والشيب سقطت بمثل هذه السقطة فمـا كان ينبغي لك حينئذٍ ان تقطع رجاءك . افطن وافتكر باللص الذي آمن على الصليب . أَخطِر ببالك اولئك الـذين عملوا في الساعة الحادية عشر واخذوا الاجرة كاولئك الذين عملوا النهار كلهُ . وكما انَّهُ لا ينبغي للذين يكونون سقطوا في آخر كبرهم ان يقطعوا الرجاء كذلك لا ينبغي للذين يكونون في عنفوان صباهم اذا هم زلقوا ان يمكثوا في حالتهم تلك ويعدوا انفسهم بهذا الرجاء قائلين : نحن نشبع اولًا من لذات هذا العالم وبعد ذلك نتعب قليلًا ونأخذ الاجرة وافرةً

انني يخطر ببالي حينما كنت احذّرك وانت راغب مجتهد فكنتَ تقول لي : كيف اصنع لاني اخاف ان يكون خروجي من الدنيا بعد زمنٍ يسيرٍ فبماذا اعتذر امام الذي قال : لا تُبطئْ في رجوعك الى الرب ولا تؤخره من يوم الى يوم . ردّد في نفسك هذه

الافكار واجتهد في ان تربط السارق . لان سيدنا يسوع المسيح هكذا سمَّى يوم خروجنا من العالم كسارق يأتينا في يوم لا نعلمه . تأمل بهموم الدنيا للجميع الخاصّ منهم والعامّ . تأمَّل بمخافة الأراكنة . بحسد اهل المدن الذي ربما بلغ الى اقصى غاية من البلايا . بالاتعاب وبالمشقات التي لا تعداد لها المحيطة بالبشر من كل جهة وناحية . وانثار هذا التعب والعناء كلّهِ يجوز وينقضي في هذا العالم . فاي شيءٍ يكون اكثر حزناً من هذه المذكورات ؟ ما اكثر الذين تعبوا في امور الدنيا لكي يلتذُّوا ويجدوا لهم راحةً ما يعتاضون بها عن تلك فلم يحصلوا على ذلك غير انهم اجازوا حياتهم بالاتعاب والهموم والبلايا . وحيث ظنُّوا انهم يعتاضون عن ذلك هاهنا فاختطفهم الموت وذهبوا من غير ان يستريحوا قليلًا . وكذلك ايضاً ما اكثر الجنود العالميّين الذين كابدوا اتعاباً كثيرة وخاطروا بذواتهم مرارًا وانتصروا في الحروب لكي يكون لهم دالَّة عند الملك الارضيّ . وقد حدث لهم كثيرًا انهم لم يبصروا وجههُ واياديهُ بل خاب املهم . فكيف يؤمّل الانسان الذي في حياته لم يجاهد الَّا مع العالم والجسد ان سيبصر وجه الملك السماوي

ولو اخذتُ اذكر لك جزءًا من الهموم التي تحلُّ في المنازل من اجل المرأة والبنين لرأيت ما اكثرها . لانهم ان لم يولد لهم ولد يحزنون حزناً عظيماً . حيث ان الذين هم هكذا يرون انهم باطلًا اقترنوا بسنَّة الزواج . والذين يلدون اولادًا يصيرون كانهم في العبودية . لأنَّهُ ان مرض احدهم تنغَّص عيشهم لاجلهِ . وان مات تصير المصيبة اعظم وينوحون عليهِ نوحاً لا عزاء له . وفي كل زمان حياتهم تتجدد لهم هموم مختلفة . والذي يتخذ له امرأة فقيرة له حزن خصوصيّ . والذي يأخذ واحدة غنيَّة له حزن آخر لان الذي يتخذ المسكينة فقد اضرَّ بماله . والذي اتخذ الغنية فقد صيَّر عليه رقيباً ومعلماً واهان حرّيَّته

وماذا اقول ايضاً فيما يكابدهُ الاكابر والاغنياء تارة من كثرة النفقات والمصاريف متى يلتزمون بها ولا تتيسَّر لهم بل احياناً كثيرة تتعذَّر عليهم المكاسب والارباح . وماذا اقول ايضاً عما يتكبدونهُ احياناً من هموم العبيد والإماء وامور كثيرة غير هذه . فتلك هي حياة اهل العالم المملوءة من المشقات والاتعاب ايها الحبيب . وهي ان يزجّ الانسان نفسهُ في هذه المذكورات جميعها بل وفي بلايا اكثر منها

وبالنتيجة تصير حياته لغيرهِ لا لنفسهِ

فاننا نحن نشكر الله لاننا ليس عندنا شيءٌ من هذا وانت نفسك ايها الاخ ثاودورس تشهد بهذا كله . لانك تعلم بكم فرح وسرور تمتَّعت بذاك الزمان الذي فيه افرزتَ نفسكَ لله وانفصلت من اضطرابات العالم ومن بحر امواجه وملكت الحرية التي لا يملكها الَّا الذين ابتعدوا من التزويج واختاروا المسيح اولئك يسعدون بل ينتصرون على هذه البلايا كلها . لأنَّ الانسان اذا ما قصد ان لا يضرَّ بنفسهِ فلا يقدر احد ان يضره اصلًا . ان هو خسر مالًا فلا يحزن لانه قد عرف اننا لم ندخل الى الدنيا بشيءٍ وكذلك لا نخرج منها بشيءٍ . ولا يدخل في قلبه حبُّ المجد الباطل ولا رغبة الكرامات لانه قد علم ان تدبيرنا هو سماوي . وان قرَّفه انسان لا يحزن واذا ضربه لا يغضب . وهلم جرًّا

وانما مصيبة المسيحيين هي واحدة فقط ان يخالف الانسان خالقه . اما بقية الاشياء كخسارة الاموال ليست هي شيئاً عند من حسُنت عبادته كما تقدَّمنا فقلنا . وكذلك الخروج من الوطن وبقية الاحزان الفادحة فلا نرى انها شيءٌ . لاسيما اولئك الذين تركوا العالم والتصقوا بالمسيح كما سبق القول . فالامر الذي كل الناس يخافونه ويرهبونه اكثر من الجميع وهو الخروج من الدنيا هو عندهم احلى من الحياة ولذيذ بهذا المقدار حتى انهم يحتسبون ذواتهم نظير انسان صعد الى جبل عالٍ وهو ينظر الى البحر متأملًا الى الذين يسيرون فيهِ كيف ان البعض قد غرقتهم الامواج والآخرين قد صادمتهم الصخور وتكسَّرت مراكبهم . ويجتهد غيرهم ان يمضوا الى مدينة مقصودة منهم فيأخذهم الريح الى غيرها . والبعض قد غرقوا واخرين قد فارقوا الدنيا وهم طائفون على الماء . ومصائب كثيرة غير هذه

امَّا الذين خصصوا نفوسهم وتجنَّدوا للسيد المسيح فانَّهم يرون ذواتهم انهم قد نجوا من هذه المخاطر وخلَّصوا انفسهم من بحر هذا العالم وامواجه . وحصلوا في مينا هادئٍ . فايُّ شيءٍ يكون اصلح واسهل من ان لا يكون للانسان سوى همٍّ واحد وهو كيف يُرضي الله كما ينطق بذلك إمامُنا ذاك الرسول المفضل بولس الطوباويّ بقوله : «ان المتزوج يهتمّ كيف يرضي امرأته . والغير المتزوِّج يهتمّ كيف يرضي الله»

ارايت يا حبيبي مصايب الذين يسيرون في بحر هذا العالم والمخاطر الحاصلين بها

فانا ارجوك ان تهرب من هـذه اللجج والامواج الخطرة وتستكين في السكينة والهدو حيث لا خوف عليك . ومن المعلوم ايها الاخ ان القيامة والدينونة حقٌ وبعد خروجنا من هذه الدنيا لا بدَّ لنا ان ننتصب امـام عرش المسيح لنأخذ جزاء افعالنا ثواباً ام عقاباً لانه لم تَعُدْ جهنم عبثاً ولاتهيَّأت الخيرات باطلًا . وهذه الاشياء ابدية ليس لها انقضاء . . اما العالم فهو اسرع زوالًا من الظلّ فلا تخسر تلك لاجل هذه مع انـك تقدر ان تربح الامرين كليهما . ان اردت وقصدت ذلك باجتهاد لأنَّ الرسول الالهي بولس المعظم يثبت ذلك للذين يعيشون بالمسيح من غير زواج بقوله : « اني ارقُّ لكم واشير عليكم بهذا لمنفعة انفسكم »

وحقاً ان الذين يهتمُّون بامور الرب وحدهُ هم افضل من المتزوجين وبعد مضيِّنا الى العالم الآتي لا يمكننا ان نتوب لان هاهنا ميدان الجهاد فهل رأيت احد الفرسان المجاهدين بعد ان يجوز موسم الحرب ويمضي الناس من موضع الجهاد . متفرقين يفتكر في ان يجاهد ? فافتكر متأملًا في هذه كلها واكسر سيف العدو المُرْهف البتَّار الذي به يقتل كثيرين اعني به قطع الرجاء الذي بواسطتهِ يصير الذين يسقطون ييأسون من التوبة . وهذا هو سلاح العدو والذي به يقوى على الذين سقطوا . ولكن اذا مـا اردنا فنحن نقدر بنعمة المسيح ان نكسر هذا السلاح ونطفئ هذا السهام المحمى ونرضي ربنا والاهنا يسوع المسيح

انا اعلم يا اخي اني قد تعدَّيت حدَّ الرسالة فاغفر لي . لانني لم افعل هذا كرهـاً بل انني كُلِفتُ من الحب والحزن اللذين اضطرَّاني في ان اكتب اليك هذه الرسالة مع كثيرين كانوا يمنعوني عن ذاك بقولهم لي : كفَّ عن تعب لا يجدى نفعاً ولاتزرع على الصخرة . فلم اقبل ذلك من احدٍ منهم بل انّي اجبتُهم قائلًا : انَّ لي رجاء ثابتاً ان كلام الكتب لا شك ينفع وانا ايضـاً اصلّي واطلب اننا نحن نربح . ولكن لا نُلام ايضاً ولو لم نربح ونكون شرّاً من الذين يركبون السفن في البحار لان اولئك اذا هم رأَوا بعض ركَّاب البحر قد أُصيبوا وانكسر مركبهم . يرخون القلاع ويرمون مراسيهم ويركبون حالًا القارب ويذهبون ليغيثوا الذين قد اصيبوا وصاروا في خطر الغرق حتى وان كانوا اناساً لا يعرفونهم . فـاذا اوليك لم يريدوا ولا يحبون ان يخلصوا فليس احد يلوم الذين اعانوهم وقت هلاكهم

فنحن قد فعلنا ما يجب علينا . وارجو بنعمة المسيح انك انت ايضاً تعمل ما يجب عليك . وانا سنبصرك ايضاً في قطيع غنم المسيح على ما يجب وان يقبلك وانت معافى صحيحاً بالصحة الحقيقية المرضية له بصلوات جميع القديسين . يا حبيبنا ان كنت ترانا في شيء وتحفظ مودتنا بعد ولم تكن طرحتنا بالكلية من فكرك اقرأ رسالتنا هذه وتأملها جيداً واكتب لنا جوابها فانك اذا فعلت ذلك ستسرّنا جدًّا ونفرح جميعنا امام منبر المسيح وتؤهلني انا الحقير ان اقول بدالّة : هاءنذا والبنين الذين اعطانيهم الله . وايضاً : ان الذين اعطيتني لم يهلك منهم احد . جعلنا الله مستحقين ذلك بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبّتهِ للطبيعة البشرية التي فداها بدمه الكريم الذي له المجد والعزّة والاكرام والسجود الان ودائماً والى ابد الدهور كلها امين

# لغزان في المرّيخ

للاب رفائيل نخله اليسوعي

لا نعلم من السيّارات الثاني الدائرة حول الشمس واحدةً استفزّت رغبة الفلكيين في الاطّلاع على غامض احاجيها بقدر المرّيخ . فلا الزُّهرة التي تبدو في شكل ماسةٍ كبيرة زهراء مرصّعة — والزُّهرة اسطع من كل النجوم — ولا زُحَل الذي ادهش الاقدمين والمتأخرين بحلقاته اللامعة الغريبة . ولا نبتون الذي اعلن الفلكي الفرنساوي الشهير لڤريه (Le Verrier) بمجرّد حساباتهِ العميقة موقعهُ الخفيّ في اقاصي النظام الشمسيّ على بعد اربعة مليارات و٨٠٠ مليون كيلومتر من الشمس . وبالاجمال لا نعلم سيّارةً حيّرت عقول العلماء بقدر المرّيخ ولاسيَّما منذ نحو خمسين سنة . وقد زاد القيل والقال وتضاربت الآراء كل التضارب في هذا الكوكب العجيب اثناء العام الماضي حيث دنا في دورتهِ حول الشمس الى اقرب مسافة من الارض . فلاح اوانئذٍ لرهط من قليلي التبصُّر المستندين الى ادلّة واهية ان نبأً لاسلكيًّا ورد الينا من اهل المرّيخ . وكان كثيرٌ منهم قبل ذلك باعوام ارتأوا بوجود أناس مثلنا على سطح هذه السيّارة وانّها مخطّطة بأقنية مستقيمة عديدة لا يمكن تعليلها بسوى عقل منشئيها .

فقصدُنا من هذه المقالة حلّ هذين اللغزين بناء على المبادئ العلمية الراهنة لنرى ما في الرأيين المذكورين من الصحّة

## ١ نبأ لا سلكي من اهل المريخ

لا يجهل قرّاء المشرق ان طائفة من العلماء ولاسيّما المتطرّفين رجّحوا بدرجات متفاوتة وجود بشر مثل بني آدم على ظهر سيّارة المريخ اللاحقة للارض في سلسلة السيّارت المكوّنة للنظام الشمسيّ . واولئك العلماء — وهم النزر القليل نسبةً الى غيرهم — يسندون نظريّتهم هذه الى الشبه الغريب بين سيّارتنا والمريخ من وجوه عديدة كالحجم وتوالي فصول العام الاربعة ودرجة الحرارة التي هي نصف درجة الحرارة الارضيّة المتوسّطة ووجود قارّات وبحار يحيط بها جوٌّ يحتوي على بخار الماء

ولا حاجة للتصريح بان اصحاب ذلك الحدس لم يأتوا ببرهان علمي واحد قاطع لا مردّ عليه لتأييد مدّعاهم مع كونهم افرغوا كنانة المجهود لبلوغ هذه الغاية . وممّا روت الجرائد عن بعض الاميركيين في العام المنصرم اذ كانت الارض متوسّطة بين المريخ والشمس على خط مستقيم (١ انهُ بقي في ولاية نِبْرسكة من الولايات المتحدة سبعة ايام متوالية وعلى اذنهِ قابلُ التلغراف اللاسلكي وهو موصولٌ بصارية تنتهي اليها اسلاكٌ طولها ٣٥ ميلاً ( والميل ١٦٠٩ امتار ) كان قد مدّها على مساحة ٢٥ ميلًا مربّعاً . وكان المقصود من كل هذا الاستعداد الغريب تمكين القابل من قبول النبأ اللاسلكي المرسل الى الارض من اهل المريخ اثناء مقابلتهم لدنيانا . أَجل بقي هذا العالم سبعة ايام متواصلة والقابل على اذنه . لكن وا أسفاه لم يأته رغمَ جلَدهِ العجيب واستعدادهِ الفنّيّ الاعجب منه ادنى برقيّة لاسلكيّة من المريخيّين الموهومين . فيا لخشونة طباعهم وسوء آدابهم !

وضاق صدر عالم آخر اميركي ايضاً — وما اكثر الغرائب في اميركة بالاشياء والاشخاص ! — لطول انتظاره نبأ المريخ وهو على سطح الكرة الارضيّة فحدّثته نفسه بالصعود في منطاد الى علو ١٥ كيلومترًا زاعماً انه يسهل على البرقيّة اللاسلكية

١) في المقابلة يبعد المريخ عن الارض ٨٧,٠٠٠,٠٠٠ كيلومتر وهو بُعدٌ لا يُذكر في نظر الفلكيين !

المرّيخية الوصول اليه . فكادت روحه تبلغ التراقي وبعد ان قاسى الامرّين انحدر الى الحضيض بخفَّي حنين

وفي نفس ذلك الوقت على وجه التقريب هاجت الاذهان وماجت في مشارق الارض ومغاربها عند نشر الصحف للحادث الآتي الذي لم يُعهد له نظير . وهو ان كثيراً من محطَّات اللاسلكي المنتشرة في كل اقطار المعمور قبلتْ تموّجات كهربائية غير ارضيّة اي واردة من احد الاجرام السماوية . وقد اكَّدت الدوائر التلغرافية الشهيرة ان الايطالي مركوني مخترع اللاسلكي اعتقد بصحَّة هذا الخبر

وهاك بعض الحجج التي كان المتنورون يؤيدون بها مدَّعى الجرائد : اولًا لا يوجد سوى محطَّات قليلة قادرة على ايصال انبائها الى كل جهات العالم وهي ترسلها في اوقات معلومة غير الوقت الذي وردت فيه التموّجات العجيبة

ثانياً ان طول هذه (راجع الصفحة ٣٠٣ من المجلد السابع للمشرق) يفوق طول التموّجات الصادرة من كل المحطات الكبرى فانَّ طول التموجات الصادرة يومياً من برج ايفل في باريس للدلالة على الوقت يبلغ ٢٥٠٠ متر . اما التي تبعثها محطة دونا (Dona) بجوار ليون لنفس هذه الغاية فطولها نحو ١٥٠٠٠ متر فهي نحو ثلاثين مليار مرّة اطول من التموجات النورانية البالغ طولها نحو جزء من خمسين مليوناً من السنتيمتر !

وعلى وجه الاطلاق ان طول التموجات الكهربائية يتراوح بين بضعة ميلمترات وملايين من الامتار

ثالثاً لا مستند للقول بانها آتية من الجو — ولا شك الان في امكان ذلك الامر بغضّ النظر عن الظروف الخصوصيَّة — لان شدَّتها تنقص حينئذٍ بنسبة عكس مربّع المسافة الفاصلة بين مصدرها ومنتهاها نعني المحطَّة القابلة لها . والحال ان درجة شدة التموجات العجيبة كانت هي هي او كادت في محطات يبلغ البعد بين بعضها آلافاً من الكيلومترات . وعلى كل حال فمن المؤكَّد لدى الخبراء الاثبات ان التموّجات الكهربائية الجويَّة لا تنتشر الى مسافات بعيدة كالسابقة

فاستنتج مُوردو تلك البراهين الثلاثة ان مصدر التموُّجات المبهمة السريّة شديد البعد عن الارض حيث لم تؤثّر على درجة شدَّتها مسافة آلاف كيلومترات على سطح

الغبراء . ومن ثمّ صرّحوا وهم لا يخشون تكذيب مكذّب ولا لومة لائم بان مصدرها احد الاجرام السماوية . عندئذٍ رقصت احشاء القائلين بوجود أُناس مثلنا في المرّيخ ارتياحاً وتهلّلًا ثم طبّلوا وزمّروا على مرأى ومسمع من الملإ بان اهل المريخ هم الباعثون لتلك التموجات الغريبة وذلك بقصد محادثة اخوتهم بني الغبراء تزلّفاً اليهم !

هلمّ بنا الآن يا رعاك الله لنرى بعين التروّي ما في هذا القول من الصحّة لئلا نرمي الكلام على عواهنهِ . تعلم يا صاح ان التموّجات الكهربائية ناجمة عمّا سمّاه الطبيعيون الشرارة المتذبذبة ( étincelle oscillante ) حيث قد ثبت بالاختبار انها تصدر تارة من القطب الايجابي وطورًا من السلبي . والحال ان رهطاً من العلماء الثقات دوّنوا شرارات متذبذبة منبعثة من الجوّ اثناء العواصف ودوّنوها بآلات لا تختلف عن قابل اللاسلكي . فيتحتم علينا القول بان جهات الجو المضطربة التي هي منشأ الاطلاقات الكهربائية هي ايضاً منشأ تموّجات في غاية الشدة . وقد صُنعت على هذا المبدأ آلاتٌ منبئة بدنوّ الزوابع يدقّ جرُسها المنبّه كل نحو عشر دقائق طالما الإعصار على بعد نحو ٣٠٠ كيلو متر ثم تقصر الفترات وترنّ الدقّات كل دقيقة او كل ثلاثين ثانية اذا كانت العاصفة على وشك الوصول — فهذه الحوادث المقرّرة باختبار سنوات عديدة حدَتْ بالعالم الفلكي الفرنساوي نُردمان الى القول بمحضر من اعضاء اكاديمية العلوم الباريسيَّة بان الشمس تُصدر تموّجات كهربائية مثلما لها إشعاع الحرارة والنور وكان ذلك حول سنة ١٩٠١ . واليك بعض الادلّة التي اسند اليها اللوذعي نردمان آراءَهُ الجسورة في ذلك العهد

اولًا ان من الامور الاكيدة علميًا التي لا ينكرها مكابر ان لكل التموّجات سواء كانت نورًا او حرارة او كهرباء نواميس مشتركة عامّة لا يحيد عنها ايُّ تموّج كان قيْد شعرة . ولو لم يقصر الباريء القوة الحاسّة في شبكيّة عيننا على التموجات النورانية لكنا نرى تموجات الحرارة والكهربائيَّة ايضاً ومن يستطيع ان يرجم مقدار الانقلاب الناتج عن ذلك في شعورنا بأعراض العالم الهيولي ! فحيث لا يوجد في نظر العلم الصحيح العصري فرقٌ جوهري مطلق بين انواع التموُّج الثلاثة فيرجَّح على الاقلّ كونها مجموعة في الشمس المحتوي إشعاعها على النور والحرارة

ولكن شتّان ما بين هذا الدليل الترجيحي واليقين الكامل ! فاليك ايها القارئ الفطن دليلاً آخر يُرضيك اتمّ الرضى. لم يبرح من ذهنك ان جهات الجو المضطربة بالاعاصير هي مصدر تموجات كهربائية. والحال انَّ صور الشمس الفوتغرافية تعلمنا ان سطح هذا الكوكب مكوّن من نحو سحائب نيّرة مشعَّة تبلغ حرارتها زهاء ٦٠٠٠ درجة من المقياس المئوي ومساحة بعضها تفوق مساحة فرنسة (نحو ٥٠٠٠٠٠ كيلومتر مربع) وهي متحركة بسرعة هائلة بحيث تختلف صورتها من دقيقة الى اخرى وتلك السرعة تفوق سرعة اشدّ الاعاصير بدون قياس مع ان هذه تبلغ احياناً ١٦٢ كيلو متراً في الساعة اي نحو ٤٥ متراً في الثانية

هذا ما نلاحظه في سطح الشمس امّا باطنها فقد أرَتْنا فيه النظّارة الطيفيَّة انفجارات دائمة وبمنتهى الشدة . فنستخلص من كل تلك الحركات الانقلابية المحيّرة بقوتها ودوامها ان الغازات المكوّنة للكوكب المنير هي كالجهات المضطربة من الجوّ الارضي اثناء العواصف مصدر اطلاقات كهربائية وبالتالي منشأ تموجات كهربائية ايضاً وان هذه وتلك تفوق ما نشاهده على الغبراء بنسبة تفوق شدّة الاعاصير الشمسية على عواصفنا

ويؤيد ذلك ما رصده العالم الفرنسوي ديلندر ( Deslandres ) اثناء كسوف كامل للشمس وهو ان الطرف الاسود من القمر محاطٌ بشبه هالة ورديّة اللون محزّزة الشكل أسفر تحليلها بالنظّارة الطيفيَّة عن كون أَسنمة الجو الشمسي الناجمة عن الانفجارات الباطنية منارةً بالكهرباء ومتولدةً من اطلاقات كهربائية مضارعة للتي نراها في اعاصيرنا

ومنذ نحو ١٧ سنة صرّح العالم الفلكي نُردْمان بوجود تلك التموُّجات الكهربائية الشمسية بناء على كل الادلَّة السابقة التي ارشدته اليها قريحتهُ الوقَّادة او أَرصاد اخوانهِ ائمة علم الهيئة

فلعمري لو عرف كلٌّ ذلك المطبِّلون والمزمرون في منتصف العام الماضي زاعمين انَّ اهل المريخ توفقوا بفرط حذقهم الى ايصال برقيّة لاسلكية الى سكان الارض لما قالوا بتلك السفاسف ولا تعدَّوا حدود الصواب اذ طلبوا تعليل امرٍ طبيعيّ من بُعدٍ قاصٍ وهو قريب المأخذ بل تحت يدهم . نعني ان الشمس مصدر التموّجات الغريبة

التي ادهشت الجمهور

ولو درى ذلك الفلكيان الاميركيان المذكوران في مستهلّ هذه العجالة لَما أسرف الاول مؤونة علمهِ وتدبيرهِ وصبرهِ ليلصق اذنهُ مـدّة سبعة ايام متواصلة بقـابل اللاسلكي — وما صعد الآخر بمنطاده الى علو ١٥ كيلومترًا حيث كاد يُصمّ صداه واوشكت روحه ان تفيض

وايم الحق يقال ان مثل ذلك الفضول والتشبث العنيد بـآراء واهية خالية عن كل ارجحيّة علمية لمن المضحكات المبكيات . والاصوب في نظرنا ان يُضحك منها

ولكن ليت شعريَ ألا يستند قول العلماء القليلين القائلين بوجود أناس مثلنا في المريّخ الّا على المشابهة بينه وبين الارض من جهة الحجم واربعة فصول السنة ودرجة الحرارة والقارّات والبحار ؟ لعمري كل هذه الادلّة ضئيلة نسبةً الى النتيجة الخطيرة المستخلصة منها . ولو لم يكن هنا دليل آخر اقوى منها كثيرًا — مع انه باطل مثلهـا كما سترى — لَما رأينا بعض الفلكيين يخبطون خبط عشواء في قبول نظريّة ينبذهـا اليوم نبذ النواة معظم ائمة علم الهيئة العـالمين ببجدة الامر . والدليل المذكور كاذب مثل الاوّل وهو هو ما سمّاه الواهمون « أقنية المريخ » وقد افردنا الباب الثاني لايراد البراهين الـدامغة على عدم وجود تلك الاقنية وهي الركن الاقوى لادعاء المدّعين بكون للمريّخ سكّاناً

## ٢ اقنية المريخ الموهومة

نفتتح هذا الفصل ببعض المعلومات على جارنا المريّخ الذي مدار كلامنا عليه وقد سبق لنا القول بانه يلي الارض مباشرةً في سلسلة السيّارات بالانطلاق من الشمس واعتبارها كالطرف الاول للسلسلة . يدور المريخ حول قطبيهِ في ٢٤ ساعة و ٣٧ دقيقة و ٢٧ ثانية من الوقت الشمسي المتوسط . ويدور حول الشمس بمـدّة اقلّ يسيرًا من سنتين وهي بالضبط سنة و ٣٢١ يوماً . وللمريخ قطرٌ يزيد قليلًا عن نصف قطر الارض البالغ نحو ١٢٬٨٠٠ كيلومتر . وثقله يساوي نحو عُشر وزن كرتنا المقدَّر بـ ٥٫٥ × $10^{21}$ طناً . وبعده المتوسط عن الشمس زهاء ٢٢٧ مليون كيلومتر (بُعد الارض ١٤٩ مليون ك) وله قمران لم يُكتشفا الّا سنة ١٨٧٧ لفرط صغرهما فقُطر الاول ١٢ كيلومتر وقطر

الآخر عشرة . واسمها فوبوس (Phobos) ودَيْمُس (Deimos)

والآن بعد تقديمنا المرّيخ للقرّاء هلمّ بنا لنمعن رائد النظر العلمي في أقنيتهِ . اوَّل من لحظها الفلكي الايطالي سكياپارِلي (Schiaparelli) سنة ١٨٧٧ على سطح السيّارة ثم رصدها بعد ذلك رهطٌ من نوابغ الفلكيين في كل الامم الراقية . وهذه الاقنية ظهرت لهم بشكل شبكة من خطوط دهماء مستقيمة في الغالب وملتقية من مسافة الى مسافة بنحو شامات سوداء أُطلق عليها اسم بُحيرات لسبب واضح وهو ان الانسان يحفر في بعض الاحيان اقنية كثيرة متشعّبة من بحيرة واحدة لريّ الاراضي المحدقة بها . وقِيسَ عرضُ اضيق الاقنية فوُجد مساوياً لنحو ٢٠ كيلومترًا . ومن البديهي ان كل بحيرة اعرض من الاقنية الصادرة منها . امّا عدد الاقنية المرصودة فما زال يزداد بهمّة سكياپارلّي وخلفهِ المبرّز الفلكي الاميركي لاوَّل (Lowell) حتى بلغ اليوم عددها فوق اربع مائة ومن العجب العجاب ان المرقب يُري في بعض الاحيان الاقنية مثنّاةً فكل منها يتحوَّل ساعتئذٍ الى خطين متوازيين متقاربين — ومن المميّزات الغريبة للمريخ التي لا مندوحة لنا عن ذكرها لإحكام ارتباط حلقات جدالنا الآتي على حقيقة الاقنية اي ما دعاه العلماء باسم فكيهِ الكُمّتين القطبيّتين اشارة الى هيئتهما المستديرة المنتظمة المغطية للقطبين وما جاورهما الى بعد ٣٥ درجة من كل قطب وهما ناصعتا البياض ويرجّح تكوّنهما من الجليد او الثلج اثناء الشتاء المريخي بدليل كونهما تتناقصان في اوائل الصيف وتزولان بتاتاً في حمارّة القيظ . وقد زعم البعض انهما ناجمتان عن تخثّر الغاز الفحمي اي الحامض الكربونيك الغزير على قولهم في جوّ المريخ . ويمنعنا ضيق المقام عن الخوض في هذه النظرية

وما يزيد قيمة كل هذه الارصادات الشائقة العجيبة كون سطح المريخ غير محاط كالزُهرة والبرجيس (او المشتري) بسحائب كثيفة دائمة الحركة حائلة دون اتقان الرصد . ثم ان جوّ جارنا قليل الكثوفة نسبةً الى غيره وفي ذلك سهولة عظيمة لنا في ملاحظة كل تفاصيل السيّارة الكثيرة الاحاجي الغريبة الاشكال والتطوُّرات

كلُّ ما سبق هو من قبيل المعلومات التمهيدية . فلنلجْ الآن الى كبد المشكل ومنطوقهُ على هذا النمط : ان كانت الاقنية حقيقية فهل يمكن تعليلها بغير عقل

سكّان المريخ ؟ وان كانت خيالًا كاذباً مشبهاً للسراب الخادع او البرق الخلّب فما البرهان العلمي على ذلك ؟

اجاب بعض معاصري سكياپارلي مكتشف الاقنية ورهطٌ من خلفائه باستحالة نسبتها الى غير قريحة المرّيخيين . قال احد هؤلاء العلماء پيكرنج (Pickering) انها اراضي الزراعة المستطيلة الشكل الزائدة النصوع حين تسقيها المياه العرمرميَّة الناتجة عن ذوبان جليد الكمّتين القطبيّتين وثلجها مدَّة فصل الربيع . ولا نكير ان اسطع ما تتراءى لنا في ذلك الفصل

امَّا الاميركي لاوِلْ فانه ضرب على نغَم پيكرنج بل فاقهُ بزعمهِ ان ازدهار حقول المريخ اثناء الربيع ناجم عن كونها مسقيّة باقنية اصطناعيَّة تبرهن استقامتها الهندسيَّة على شأو بعيد من التمدّن العقلي في سكّان السيَّارة جارتنا . اما جهاتها التي لا تتاخم الاقنية فهي قاع صفصف لكونها محرومة من المياه الوافرة لمقاومة جفاف المناخ المفرط . ومن غريب هذيان الفلكي لاوِل انه ادّعى كونه حضر من وراء عدسيّة مرقبهِ افتتاح قناة جبَّاريّة ذات سدود على المريخ !

فما قولنا عن الحجة السابقة على وجود سكّان مثلنا او على الاقل مزدانين بالعقل على سطح جارتنا أَهي من الادلّة الساطعة التي تلقم مَن ينكرها الحجر ! كلّا ثم كلّا واليك شواهدنا

اوَّلًا انه من المحقّق ان المريخ كثير الجبال والوديان والوهاد والهضاب وتؤيد ذلك الصبغات المختلفة في لونه باختلاف اصقاعهِ ثم عدم استدارة طرف الكمّتين القطبيتين على شكل هندسي كامل . فكيف والحالة هذه نرى دليلًا على عقل سامٍ في حفر اقنية في غاية الاستقامة يبلغ طول بعضها آلافاً مؤلفة من الكيلومترات وهي متساوية العرض من اقصاها الى اقصاها ؟ اليس في هذه الاعمال الجبَّارية عناء هائل ذاهبٌ ادراج الرياح ؟ ومن جهة اخرى اين سِمَة العقل في جَلْب المياه من الكمّتين القطبيتين اي من بُعد يبلغ احياناً خمسة آلاف كيلومتر وترك اراضي واسعة مترامية الاطراف بدون ريّ ولا زراعة مع انها متاخمة لها ؟ وايم الحق انه لرابع المستحيلات ان يزن المتبصر هذه الملحوظات بميزان الرشد بدون ان يعتريهُ على الاقلّ شك شديدٌ في وجود المريخيين العاقلين ايًا كان شكل اجسامهم

على اننا لا نقف في تفنيد هذا المذهب الواهي الاساس عند هذا الحد بل نسير الى الامام ونورد اقوى البراهين على فساده الكلّي . اولًا يقرّ الذائدون عن حياضهِ ان كل الراصدين للاقنية رصدوها بنظّارات ضعيفة وعلى الاكثر متوسطة القوة فنظارة مكتشفها سكياپارلي لم يزد قطر عدسيّتها الخارجيّة (objectif) على نحو ٢٥ سنتيمترًا . والحال انه لا يبقى للاقنية من اثر في النزر اليسير من أَقدر المَراقب الاوربية والاميركية كمرقب مرصد ليك في كاليفُرنية البالغ قطرُ نظارتهِ ٩١ سنتيمترًا . والدليل الساطع على غريب قدرته ان الفلكي بَرْنَرْد اكتشف بواسطته القمر الخامس للمشتري مع ان قطره لا يبلغ ٥٠ كيلومترًا وان تلك السيارة تبعد عن الارض نحو ٦٢٥ مليون كيلومتر نعني فوق اربعة اضعاف بُعد الشمس عنَّا . فبهذه النظارة الجبارية تتلاشى الاقنية الموهومة كاضغاث احلام ولا يبقى على سطح المريخ سوى شامات كالحة منشورة بدون هندام في كل جهاته وسيتضح لك عن قريب انها هي ما سمّاه القائلون بحقيقة الاقنية «بحيرات المريخ»

وان لم تكفك ايها القارئ الفطن شهادة مرقب ليك السابقة على عدم وجود الاقنية فأَصغِ الى شهادة أُخرى صادرة من نظّارة مرصد يركس (Yerkes) بجوار شيكاغو وكان لها في منتصف العام المنصرم المقام الاول بين كل نظّارات المعمور اذ قد بلغ قطر عدسيّتها الخارجية ١٠٥ سنتيمترات أَعني بزيادة ١٤ سنتيمترًا على عدسيَّة مرقب ليك . فلمَّا استفتى احدُ الباحثين مديرَ مرصد يركس بخصوص أَرصاد لاوَّل التي هاجت لها اميركة وماجت من فرط الإِعجاب وردت اليه من ذلك العلّامة البرقية الآتية وهي من الغرابة بمكان بالنسبة الى شدة ايجازها وفكاهتها : « مرقب يركس أَقدرُ من ان يرى الاقنية » !

ويؤيد الشهادتين الآنفتين — ان كان ثَمَّ حاجةٌ الى التأييد — كون اقوى مرقب فرنساوي وهو مرصد مودون (Meudon) الشهير الواقع في ضواحي باريس لم يرَ في المريخ شيئاً يشبه الاقنية عن كَثَب او عن بُعد

وفي وسعنا ايراد ادلّة اخرى كثيرة من هذا القبيل ولكن ما لنا فيها حاجة بعد الحجج السابقة . على انّنا لا نجتزئ بذلك لردّ قول القائلين بحقيقة الاقنية بل نتطرق الى تعليل ظهورها الجلي في النظّارات الضعيفة والمتوسطة . الامر الذي حاد بكثير

من الراصدين عن جادّة الصواب. فاذا فسّرنا تلك الظواهر الكاذبة الخادعة تفسيراً علمياً مقبولاً نكون اجبنا جواباً شافياً على كل اعتراضات ومماحكات المدّعين ما لا وجود له الّا في مخيّلاتهم وعدسيّات مراقبهم القصيرة البصر

يُطلَق اسم القوّة الفاصلة في النظارات على طاقتها لتمييز دقائق الاجرام السماوية. والاختبار مع الحساب لسانٌ واحد في التصريح بان تلك القوة تنقص او تزيد بنسبة قصر او طول قطر العدسيّة الخارجيّة. واليك مثالًا يعينك على ادراك ذلك. ارسم يا رعاك الله على ورقة خطّين متوازيين دقيقين وابتعد عنهما تدريجاً. ألا يأتي وقت يخيّل فيه اليك انهما ممتزجان متوحّدان؟ وما داعي ذلك سوى ان ابتعادك يضاهي في تأثيره تضايق قطر العدسيّة الخارجية من مقلتك. بعكس ما لو تدانيت الى الورقة فانك على هذه الحال تميّز فيها ادقّ التفاصيل دون اقلّ عناء. وعلى هذا النسق ذاته ان الشامات الكالحة التي تظهر منشورة في كل جهات سطح المريخ لمن يرصدها بمرقب قوي تتراءى في غيره متكتّلة وموصولة بخطوط مستقيمة توهم بوجود اقنية هناك

وسائل يسألنا معترضاً: « ولماذا نرى تلك الخطوط الوهمية سويّة بغير التواء؟ » نجيب ان الفسيولوجيين لم يتوفقوا حتى الآن الى تعليل ذلك الشعور المخالف للحقيقة ولكن الاختبار يشهد على حدوثه كلما اجتمعت الظروف السابقة. فدونك مثلًا وصف التجربة التي اجراها الفلكي الاميركي الشهير نيوكمب (Newcomb). انه رسم على إطار ابيض جملة شامات دكناء منفصلة الواحدة عن الأُخرى ومتشققة شذر مذر في كل اوب من الإطار بحيث تجانس في عين مشاهدها عن كثب صورة سطح المريخ المنجلية في اقدر المراقب. ثم جعل رهطاً من الفلكيين المعدودين على مسافة معلومة من ذلك الرسم حيث تضعف كثيراً قوة البصر الفاصلة. فتوسل الى كل منهم ان يرسم الشكل الماثل امام ناظريه كما يراه. فرسم الجميع الشامات الدهماء موصولة بخطوط مستقيمة!

ثم انّ الفلكي الايطالي تشِرُلّي (Cerulli) برهن باختباره على امكان رصد مثل اقنية المريخ على سطح القمر نفسه الذي لم تُرَ فيه ابداً وذلك بمجرّد استخدام نظّارة ضعيفة للغاية — واخيراً ان المستر هِل (Hale) صوّر المريخ تصويراً شمسياً بواسطة مرقبه ذي المرآة البالغ قطرها ١،٥٢ متراً وكان من مدّة قريبة نسيج وحده

في المعمور ويُرجَّح انه لا يزال حائزًا على المقام الاول بين رصفائه (١ . فالقوة الفاصلة فيه يُقضى منها العجب ومع ذلك لم يظهر على الصور ادنى اثر للاقنية الموهومة ولو ان كثيرًا من التفاصيل الدقيقة المجهولة في سطح القمر ظهرت عليها مرَّةً اولى — أفلا يسوغ لنا بعد كل تلك الشواهد الآخذ بعضها برقاب بعض ان نختم تحقيقنا بفتوى نيوكمب الطائر الصيت : « ان كل النظريَّات العديدة التي خاض فيها رهط من الفلكيين بخصوص قابليَّة المريخ للسكنى هي ضرب من الخيالات العارية عن كلّ سندٍ من الارصاد الاكيدة »

وقد ضرب على مثل هذا الوتر بل زاده رنَّةً العالم الفرنساوي نُرْدْمَن حيث فاه بما حرفه : « ان اقنية المريخ الشهيرة لا وجود لها فانَّها محض ظواهر ناتجة عن نقائص النظّارات الضعيفة وعدم كفاية قوتها الفاصلة » ويُردف قائلًا : « كان البعض يرتاحون الى وضع اقنية الريّ المريخية — وهي عمل تمدّن راقٍ غير ارضيّ — في موضع الاشياء الثابت وجودها بقوة البراهين — فوا اسفاه لا مناص لنا في انتظار ادلَّة جديدة من الاستمرار على القول باننا لم نشاهد حتى الآن مجالي حياة عاقلة منتظمة في سيَّارة غير ارضنا هذه . ولا نعني بذلك عدم وجود تلك الحياة في السيارات الأُخر مع اننا مائلون الى الايقان بوجودها فيها . انما نعني ان هذا الامر بوجه حقيقته ندَّ الى يومنا هذا عن غِلَظ وسائطنا الرصدية وبعبارة اخرى انه من بنات المخيّلة ليس من نتائج العلم »

# محاورة سريانية بين الخاطئة والشيطان

نقلها الى العربية حضرة القس مبارك مزرعة النهر اللبناني عن بعض ميامر مار افرام بتصرُّف
ونظمها بنسبة عيد القديسة مريم المجدلية الواقع في ٢٢ تمُّوز

لك المجدُ يا من في محبتِك كفَّتِ عُصاةُ البرايا عن ركوب الخطيَّةِ

١) هذا المرقب ذو مرآة هو المدعو تِلِسكوبًا عند الافرنج — امَّا المراقب الاخرى السابقة الذكر فهي محض نظّارات ذوات عدسيات معروفة بالفرنساوية باسم lunette astronomique . وقد اطلقنا على النوعين لفظة « مرقب » جريًا على الاصطلاح العربي

وحلّت بجنّات القداسة والتُّقى فأحببْ بروضِ القدس روضَ المسرّةِ
الى الارض قد وافى الالهُ بجنبهِ وحلّ حثيثاً في فناء البتولةِ
وابدى لأتباع الخطايا وداعةً ليدنوا اليهِ دون خوفٍ ورهبةِ
وامراض اجساد الانام برحمةٍ شفاها وابرا النفسَ من كلّ علّةِ
وقد زار مَنهم في الحياةِ ومَن قضوا تبارك ربٌّ يعتني بالخليقةِ
ومرّت بهِ العميانُ يوماً فابصرتْ وباتت تسير المُقعَدون بسرعةِ
وصارت جميع العُرْج تقفزُ بهجةً وحلّوا جميعاً معبدًا بالسويّةِ
وقد صاد زكّى الباغي من تحت تينةٍ كذا ولدَيْ زبدى دعا من سفينةِ
ومن فوق بئرٍ قد دعا سامريّةً وخاطئةً في بيت أبرصَ حلّتِ
ولما درت تلك الاثيمة أنّهُ نزيلٌ مضافٌ عند سمعانَ مرّتِ
وقالت اذا ما شِمْتُ بارقَ وجههِ بحبٍّ وايمانٍ يرقُّ لذلّتي
تتوق الى رؤياه نفسي ولم تزل تحنّ اليهِ كلّ يوم بلذّةِ
فلا بدّ ان يمحو ذنوبيَ مثلما محا سيئات الغِرّ زكّى بنعمةِ

الشيطان

رآها عدوُّ الخير تبغي ندامةً فشقّ عليه الامر كلّ المشقّةِ
وقال لها : يا ربّة الحسن والبَها لماذا اراكِ في اكتئابٍ وحسْرةِ ؟
لماذا تسحُّ العينُ دمعاً وعَندماً فهل قد شعرتْ من حبيبٍ بجفوةِ
فلا تجزعي اني اسير اليهمِ وألقي بقلب الكلّ بزر المحبّةِ

الخاطئة

فقالت لهُ حسْبي المسيحُ لانهُ يحبُّ جميع التائبين بوفرةِ
وعنكم تميل اليوم نفسي فحبُّكمْ كذوبٌ يسوق المرء نحو الرذيلةِ

الشيطان

محضتُ لكِ نصحاً بحبٍ وانني وَدُودٌ فهل لا تعلمين مودّتي
وبعدَ الكرامات التي قد عملتُها تُسيئين نحوي دون اهل البسيطةِ

الخاطئة

كفرتُ بكَ الكفر الشديد وانني أُقيم على كفري بعزم وقوّةِ

فسعدًا لمن تَتْلوهُ حقاً فانهُ يصير حبيباً لابن تلك البتولةِ

الشيطان

فلا تذهبي نحو المسيح الذي افتدى جميع البرايا ان قبلتِ نصيحتي
لديهِ تلاميذٌ تسامى عفافُهم فلا بدَّ من ان يطردوكِ بنفرةِ

الخاطئة

يَدَ الدهر لا أُصغي اليكِ ولا ولا . . . لانكَ ترمي التائبين ببغضةِ
خدمتُ لك طول الحياة فقد كفى لاني أُريد اليوم إبطالَ خدمتي

الشيطان

لكِ الويل ان رمتِ المصيرَ لبابهِ فانكِ تلقينَ العذاب بشدّةِ
لديهِ تلاميذ قساةٌ وكلُّهم يهمّون في، ان يبعدوكِ خليلتي

الخاطئة

لكَ الويل والتقريع من كل ناطقٍ لانكَ تَتْلو اللائذين بتوبةِ
فانَّ التلاميذ الذين ذكرتَهم بحبرٍ عظيم يشفعون بذلتي

الشيطان

أَلا تعلمين اليوم انَّكِ في الخنا ملطَّخةٌ والفحشُ أقبح خلةِ
فكيف تودّين الذهاب الى الذي يسامره أُولو النقا والفضيلة

الخاطئة

أَجلْ ان آثامي تعاظَم حدُّها وطارت باقطار البسيطة شهرتي
ولكنني ارجو السماح كما رجت سماحَ الخنا راحابُ يوماً ففُزَّتِ

الشيطان

اراكِ واني حائرٌ متعجبٌ ولا علمَ لي من اين جئتِ بفطنةِ
خُلقتِ وكان الجهلُ فوقك ضارباً قباباً فكيف الان جئتِ بحكمةِ

الخاطئة

اراكَ خجولًا مستهاناً ومُبسَلًا لانَّ الهي قد رماك بلعنةِ
وصرتَ كما الصيَّادُ أفلت صيدُهُ فعضَّ اليد اليمنى وناح بحرقةِ

الشيطان

فسعدُيكِ يا ذات البهـا ان أَطَعتِني واحجمتِ عن تكريم ابن البتولةِ
اخاف اذا مـا شام وجهكِ مرَّةً تـذوقين منـه اليومَ شرَّ بليَّـةِ

الخاطئة

فـطوبايَ في ذا اليوم حقـاً لانني تركتـكُ واستأثرت بابن البتولةِ
يُسرَّ كـثيراً بي ويرثي لحـالتي وإنْ هو الّا مغرمٌ بـالاحبَـةِ

الشيطان

فمن ذا الـذي قد بثَّ فيك وساوساً ومن قـد اتاكِ اليوم في شرِّ جرأةِ
صرفتِ أُوَيقـات الهنـاء بخدمتي فمـاذا دهاكِ اليوم ايتهـا التي . .

الخاطئة

انا يـا عـدوَّ الخير أبهى حمـامةً نجت من مخاليب الشقـاء بنعمـةِ
وطرتُ سريعـاً نحو ربّي وخالقي وأسففتُ في اغصـان اجمـل جنَّـةِ

الشيطان

على مَ غمَطتِ اليوم فضلي ونعمتي ألستُ بمولاكِ وانتِ رفيقـتي
وهل ذقتِ غير الحب من سائر الورى غـداة خدمتِ عظمتي حَسْب نيَّتي

الخاطئة

لقد كنتَ ربي واستهنتُك كالعـدى أمـا المرء حرٌّ في ودادٍ وبغضـةِ
واخضعتُ عنقي تحت نـير مخلصي وفي نـيرهِ لـلناس اطيبُ لـذَّةِ

الشيطان

ستُمـلأُ اقطـارُ العوالم سمعـةً وتُعجَبُ منكِ اليـوم كلُّ البريَّةِ
بـأن الزواني المومسات تجـاسرت وحلَّت بقربٍ منه من دون خشيةِ

الخاطئة

ستعلم كل الارض شرقـاً ومغربـاً بـأن المسيح الرب يغـفر ذلَّـتي
فيلقي جمـيعُ التـائبين شجـاعـةً ويـدنون منه دون خوف ورهبـةِ

الشيطان

وشَعرُكِ ذات الحسن كان معطَّرًا فأضحى زريًا مُهمَلًا واحبيبتي
يشقُّ عليَّ ان اراه بحالةٍ تصبُّ لها العينُ الدموعَ بكثرةِ

الخاطئة

فشعري الذي بالمسك كان معطَّرًا وصاد الورى للنار من دون شفقةِ
اذرّي عليه اليوم من عَفَر الثرى واصطاد نفسي للمسيح بتوبتي

الشيطان

وعينُكِ بالتكحيل زاد بَهاؤها فجرَّت لاهل الحب شرَّ مصيبةِ
اراها تسحُّ اليوم صَيّب ادمعٍ بدون انقطاعٍ يا لها من بليّةِ

الخاطئة

على الاعين النُّجْل التي بجمالها نفوسَ الورى جرَّتْ لاعمق هوَّةِ
بان تسكب الدمع الهتون لاجل ان تقدّمها لله أنفسَ تحفةِ

الشيطان

وفوكِ الذي اذ كان يشدو مغنّياً فيجلب للعشّاق اكبر دهشةِ
يرتّل آيَ المجد والسبح دائماً ويبدي نواح الوُرْق في غصن أَيكةِ

الخاطئة

فمي ذا الذي كان الغناء غرامَهُ خليقٌ بان يُبكى عليهِ بلهفةِ
ويشكر للرب الذي عمَّ فضلُهُ ويُسدي له مدحاً باطيب نغمةِ

الشيطان

تعالَيْ اليَّ يا فتاةُ تنعَّمي بكنزي ومالي وارتعي وسط جنّتي
ولا تذهبي نحو المسيح فانَّهُ غضوبٌ والَّا ترجعين بخيبةِ

الخاطئة

مدى الدهر لا آتي اليك وانني اعدّ كنوز المال احقر قيمةِ
واذهب نحو الرب إيسوعَ مَن بهِ سروري حبوري وارتياحي ولذَّتي

الشيطان

ألا تعلمين انَّ ابن مريم طاهرٌ فلا يستجيب الدهرَ آلَ الخطيَّةِ
فحيدي اذًا عمَّا عزمتِ فربما اذا ما رآكِ ينتهرك بنفرةِ

الخاطئة

لَأعلم حقًّا انه اطهرُ الورى بهِ ابدًا رفقٌ باهل الرذيلةِ
فها انني ادنو اليهِ ولا مرا ينيلُني من غفران ذنبيَ مُنيتي

*

فقامت اذًا والطيبُ معها وأَقبلت تسير سريعاً نحو ربِّ الخليقةِ
وقد قرعت باب الرجا بأمانةٍ وحبٍّ فنالت منه اسعد حظوةِ
وخرّت على اقدامهِ غسلَتْهما بطيبٍ ثمينٍ ثمَّ عادت ببهجةِ
فيا أيها المولى الذي بجنوّهِ محا كلَّ ذنبٍ من ذنوب الاثيمةِ
تلطَّفْ بنا واغسل جميع ذنوبنا وامطر علينا سُحْب حِلمٍ ورأفةِ
فنهدي لك التسبيح ما ذرَّ شارقٌ وما غرَّدت في الأَيك طيرٌ وغنَّتِ

---

# المذهب الدروينيّ واصل الانسان

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعيّ

## حقيقة هذا البحث وتعريفه

كان لمذهب الماديّين في القسم الثامن من القرن التاسع عشر نهضةٌ سيئة اثّرت في العقول وقد كان ظهورهُ في اثر مذهب الاباحيين او العقليّين الذين جاهروا بسيادة العقل وسلطتهِ العليا . وكلا المذهبين يتّفق في إنكار الوحي ونفوذ ما يعلو فوق الطبيعة بامور البشر واحوال الكون

امّا الفرق بينهما فكون الاباحيين لا ينكرون وجود الله كالمادّيين ولكنّهم لا يكترثون لوجودهِ ولا يرون حاجةً لعنايتهِ في تدبير العالم ويزعمون انّ الانسان كما العالم في غنًى عنهُ تعالى اسمهُ وتبارك . امّا المادّيون فلا يكتفون بنكران العجائب والوحي وكلّ امور العالم العلَوي وحقوق الله على البشر وعنايتهِ في سياسة الخلائق بل يجحدون اللاهوت وكلّ ما يفوق الطبيعة المادّيّة . ويدّعي ذوو المذهب المادّي انّ اصل الانسان والحيوان يمكن اثباتهُ دون الله وانّ المادّة الهيوليّة ابديّة منها تكوّنت كلّ المخلوقات ومواليد الطبيعة من جماد ونبات وحيوان دون استثناء الانسان وذلك بموجب سنّة ترقّي المادّة . فالحياة على قولهم دخلت توًّا الى العالم بقوّتها . وكذلك النفس البشريّة انّما هي مجموع قوى الطبيعة الهيوليّة التي تطوّرت اطوارًا شتّى فصارت اوّلًا نباتًا ثم حيوانًا حتّى بلغت طور الحيوان الناطق اعني الانسان الفهيم المدرك

فما الانسان الّا نتيجة هذا الترقّي الذي سيزيد رقيًا في مستقبل الزمان . وامّا اجدادهُ فبعض الحيوانات العديدة الاجناس من ذوات الفقرات التي أَنسَلَتْهُ كما أَنسلَتْ القرودَ اخوتهُ . واذا تحقّق انّ الانسان سليل البهيمة وانّ اصل البهيمة من الجماد لا بُدّ من القول انّ ذلك المركّب ينحلّ في الموت ولا يبقى اثرٌ من كيانهِ فلا ثواب ولا عقاب . ومن ثمّ ليس وجود للشريعة الادبيّة في هذه الحياة وما لبني البشر الّا ان يرشفوا في هذا العالم كأس اللذّات ويتمتّعوا بمعظم الشهوات . هذه خلاصة مذهب المادّيين

وقد استند المادّيون في تأييد رأيهم عن جحود الاله والعالم الآخر الى مزاعم الذاهبين الى النشوء وارتقاء الكائنات بتطوّر احوالها وذلك مذهب المُلحد لامرك (Lamarck) في القرن الثامن عشر فأشاعهُ دروين وعمّمهُ في النصف الثاني من القرن السابق وقد بلّغهُ هِكَل (Hæckel) الالماني الى اقصى حدودهِ الهيوليّة . وربّما دُعي مذهبُ النشوء بالمذهب الدرويني وان كان دروين ليس هو مبتدعهُ كما انهُ لم يستنتج منهُ نتيجة الكفران بالخالق كما سترى وانّما الحصّة التي تعود الى دروين وَضْعُهُ للعوامل او الاركان التي على ظنّهِ تثبت مذهب الترقّي اعني الانتخاب الطبيعي والمجاراة الحيويّة وغير ذلك ممّا سيأتي نقدهُ

*

ولو شئتَ تمهيدًا لما يدّعيهِ المادّيون والدروينيّون فادخل الى متحف من متاحف التاريخ الطبيعيّ حيث جُمعت امثلة او مساطر من كلّ اجناس الحيوان والحشرات المعروفة في العالم سواء كانت في الارض ام في الهواء او الانهار او المستنقعات حتى اعماق البحار مباشرةً باصغر الهوامّ وادنى الديدان والحيوانات النباتيَّة البحريَّة ثم الاسماك والطيور والزحّافات الى اعظم الحيوانات ذوات الاربع البرّيَّة واكبر حيتان البحر

وهذه المجاميع المختلفة قد نُظمت وقُسمت تقسيماً لطيفاً على موجب ما بين الاجناس والانواع من التشابه فترى ذوات الاثدي وحدها والطيور وحدها وكذلك الزحّافات وهلمَّ جرًّا . فهناك الرُّتب العليا ثمَّ الاجناس ثمّ الانواع يمثلها احد الافراد الدالّ على خواصها العموميَّة ثمّ مميّزاتها العائليَّة والجنسيَّة . وكلّ ذلك على مقتضى التقاسيم التي اصطلح عليها العلماء بعد الفحص المدقَّق

وفي المتاحف التي كلامنا عنها لم تُعرَض فقط الحيوانات المعروفة في زمننا بل هناك ايضاً امثلة لاشكال متعدّدة قد فُقدت من الكون وانَّما وجدوا في طبقات الارض العميقة بعض مستحجراتها فعرضوها مع الاجناس الموجودة حالًا على وجه البسيطة ونظموها في سلكها على مقتضى ما فيها من الخواصّ التي تقرّبها الى الاجناس والانواع الحاليَّة

على انَّ اكبر المتاحف التي تُعرَف اليوم مهما تعدَّدت معاهدها وغُرفها ومقاصيرها لا تكفي لأن تحصر جميع الحيوانات المعروفة ولا النباتات ولا المستحجرات . لأنَّ عدد تلك الاجناس التي وقف عليها العلماء تبلغ اليوم ٢٨٠،٠٠٠ منها مجنَّحة بجناحين ومنها ذات اربعة اجنحة جلديَّة ومنها غُلافيَّة الاجنحة او متناسقة الاجنحة او نصفيَّة الاجنحة يضاف اليها عشرون الفاً من الفصيلة العنكبوتيَّة هذا ما عدا ثمانية الاف من الديدان وخمسون الفاً من الهُلاميَّات ولا يقلّ عدد ذوات الفقرات عن خمسين الفاً منها الطيور (٣٠،٠٠٠) والحيوانات المائيَّة البرّيَّة (٢،٠٠٠) المُشوكة (٣،٠٠٠) ذوات اثدي مختلفة (٧،٠٠٠) . امَّا الحيوانات الاهليَّة فهي زهاء مائتين فقط [1]

وكما اعتبرنا متحفاً للحيوانات نستطيع ان نتخيَّل متحفاً آخر جُمعت فيهِ كلّ

---

١) ورد هذا الاحصاء في مجلَّة كوسموس (Cosmos, 3 Oct., 1912)

نباتات المعمور من ادقّ الطحالب الى اعظم الاشجار العاديَّة سواء تجدها اليوم على سطح الارض ام استُخرجت من طبقاتها الباطنة في جملة المستحجرات وكلّها ايضاً منظَّمة حسب رتبها واجناسها وفصائلها

فاذا قام انسان عاقل بازاء هذه المجاميع المختلفة من الحيوانات او النباتات التي تجري في عروقها او جرت سابقاً مياه الحياة لا بُدَّ ان يخطر على فكرهِ هذا السؤال: ليت شعري من اين استمدَّت هذه الكائنات حياتها وكيف تشعَّبت فيها شُعَب الحياة فظهرت على هذه الهيئآت المتعدِّدة التي ندعوها نباتاً او حيواناً ؟ . من اين لسلاسلها هذا السياق العجيب فتتشابه من عدَّة وجوه مع اختلافها في خواصّ اخرى ؟ . أفيا تُرى يجوز ان نَنسب ذلك الى الصدفة والى الطبيعة العمياء او بالحري الى عاقل ناطق يدلُّ عليهِ ما فيها من الترتيب وحسن البنية والصورة ؟ وبالاجمال من اين اتى هذه الكائنات ذاك المبدأ المحيي الذي انفذ فيها الحياة ؟

فان طلبت جواباً على هذه الاسئلة اختلفتْ عليك الاجوبة على اختلاف ذوي المذاهب السابق ذكرهم . فانَّ الوحي يجيب بلا تريُّث : انَّ حياة المخلوقات المذكورة بل كلّ مبدأ حياة من الله وحدهُ الذي لم يخلق فقط السماء والارض بل دبّر ونسَّق ورتَّب كلّ شيءٍ بنظام عجيب كلًّا حسب طبقتهِ من نبات او حيوان او انسان ناطق

أمَّا دروين فيجيب ايضاً ان الله هو مُبدع الحياة لكنَّهُ لم يُبدِع كلّ هذه الانواع رأساً وانَّما خلق منها في بَدء الخليقة بعض افراد النبات او الحيوان فجعلها كأمثلة اوَّلية تكوَّنت على صورتها الاجناس والانواع بتمادي الاجيال على موجب سنَّة الترّقي الطبيعيّ بقوَّة العوامل التي سبق التلميح اليها

امَّا هِكَل فانَّهُ يجيب مستندًا الى مذهب دروين في الترقي مع نفيهِ كلّ عاملٍ خارج عن الطبيعة فيقول بكل وقاحة: دعوا الله على جنب فانَّهُ اسمٌ بلا مسمًّى امَّا المادَّة فانَّها ازليَّة ولا تحتاج الى من يخلقها وكلُّ ما يُرى في الارض انَّما هو من منشآت المادَّة اصلًا فالحياة ظهرت اوَّلًا على الارض بصورة بسيطة جدًّا على شبه خليَّةٍ مفردة ثمَّ نمت هذه الخليَّة تدريجًا وتحوَّلت الى هيئاتٍ مختلفة لا تُحصى مع طول الاجيال الى ان بلغت اخيرًا الى كمال الانسان . فاصل الحياة وكلّ حياة من المادَّة والمادَّة ازليَّة . فهذا مذهب المادّيين او الدهريين

فاين الحقيقة يا تُرى بين هذه المذاهب المتنافية ؟ وماذا يقول العلم الصحيح بازاء هذه الآراء المتناقضة ؟ ايلزمنا قول الماديين المولّهِ للطبيعة ؟ او نكتفي برأي دروين او نرجح مزاعم العقليين ؟ او بالحري نؤيد ما اوحى بهِ الله في كتبهِ المنزلة عن تكوين العالم مع التوفيق بينهُ وبين ما ثبت للعلماء الثقات بابحاثهم الصادقة؟

## ما يفيدنا الوحي والعلوم الطبيعية عن اصل الكائنات

### ١ الوحي

انَّ تعاليم الوحي لا تدع لنا ريباً في اصل الموجودات فان سفر التكوين يفتتح كلامهُ بقولهِ : « في البدء خلق الله السماء والارض » ثم يذكر انفصال المياه من اليابسة ويردفهُ بقولهِ تعالى: «فلتنبت الارض نباتاً واشجارًا» حتى اذا بلغ الى اليوم الخامس يقول: « فلتُفِض الارض نفوساً حيَّة على حسب انواعها ... اي الحيوانات» ويختم بقولهِ تعالى: «فلنصنع الانسان على صورتنا وشبهنا »

ولحسن ادراك رواية الكتاب المقدَّس لا بُدَّ من القول بانَّ موسى في وصفهِ لتكوين الخليقة لم يقصد بهِ وضع مقالة علميَّة في مبادئ الموجودات وانَّما غايتهُ كانت اوَّلًا ان يثبّت شعبهُ في معرفة الاله الحقيقيّ الذي اخرجهُ من ارض مصر ويبعدهُ عن عبادة الاوثان التي سقطت فيها الامم المجاورة لبني اسرائيل . وثانياً ان يجعل سندًا للاسبوع الاسرائيليّ مع تخصيص احد ايَّامهِ لخدمة الله اي السبت . فاذا انعمتَ النظر في رواية الخليقة في موسى وجدتهُ مقرّرًا لعبادة الاله الحقّ فيصف وحدانيَّتهُ وازليَّتهُ وتكوينهُ لكل ما هو خارج عنهُ نافياً بذلك ازليَّة العالم وموجباً استخراجهُ من العدم ثم يسرد موسى بالتوالي بازاء شعبهِ تفاصيل الخلائق التي أبدعها الله بقدرتهِ اعني السماء والارض مادَّة العالم ثمَّ الشمس ثم البحار واليبس ثم كواكب السماء ثم النبات ثم حيوان البحار (الاسماك) والسماء (الطيور ) والارض (الدبَّابات) ثم الانسان خاتمة اعمالهِ عزَّ وجلَّ . وبذلك يتحتَّم على الانسان ان يعبد ربَّهُ وحدهُ وخالق العالم بأسرهِ

امَّا تقسيم الخليقة في ستَّة ايَّام او بالحري في ستَّة اطوار من الاجيال فانَّ معظم المفسّرين يرون في ذلك صورة السبَة التي يعقب ايَّامها الستَّة يومُ راحة كما انَّ الله بعد خلقهِ في الستَّة الايَّام كفَّ عن العمل في اليوم السابع وهذا ما صرَّح بهِ الله في

اعلانهِ براحة يوم السبت على طورسينا حيث قال (خروج ٢٠ : ١٠-١٢) « في ستَّة ايَّام تعمل ... واليوم السابع سبت للربّ الهك لا تصنع فيهِ عملًا ... لانَّ الربَّ في ستَّة ايَّام خلق السماوات والارض ... وفي اليوم السابع استراح ولذلك بارك الربّ يوم السبت وقدَّسهُ »

قلنا انَّ موسى لم يقصد في رواية تاريخ الخليقة كتابة فصلٍ علميّ على انَّهُ في وصفهِ هذا قد أحكم ترتيب انشاء العالم وتوالي المخلوقات بنظام موافق لغايتها فانَّهُ يذكر اوَّلًا تكوينهُ تعالى الاستقصَّات واركان المادَّة اجمالًا ثم يبيّن عمل الله بخلقهِ اقسام العالم وتنظيمها في ستَّة ازمنة يدعوها ايَّاماً . والف سنة عند الله كما يقول الكتاب كيوم من ايَّام البشر . ومرجع هذه الاعمال الى ثلثة امور تحقَّقها علماء الطبقات الارضيَّة : الاوَّل انَّ النبات سبق في الخليقة وجود الحيوان في البحر والبرّ (وهذا ما روى موسى في اليوم الثالث) . والثاني انَّ ظهور الحيوان في البحار والطيور في السماء سبق وجود الحيوان على الارض (روى موسى ذلك في اليوم الخامس) . والثالث انَّ الحيوان انتشر بعد ذلك في الارض وكان الانسان خاتمة مخلوقات الله (وهذا عمل اليوم السادس في سفر موسى) . فاكتفى بتعيين هذه الاطوار الثلثة بسياقها دون ان يصرّح بما طرأ عليها بتوالي الدهر من النموّ والكمال سواء كان ذلك بتوسّط الخالق وتكوينهِ لمخلوقات جديدة ام بفعل النواميس التي وضعها في اوَّل الخليقة ولم يُوحِ بها في الاسفار المقدَّسة

قال الكردينال بيليو اليسوعيّ في تفسيرهِ للفصل الاوَّل من سفر التكوين (في مجلَّة الابحاث Etudes, 5 Nov. 1918) ما ملخَّصهُ : انَّ بين مرويَّات موسى في سفر الخليقة امرًا من شأنهِ ان يستوقف نظرنا وهو انَّهُ ذكر هناك ايَّاماً لا تُقاس بحركات الشمس او بكوكب آخر وانَّما حدودُها زمنُ الأعمال الذي يوافقها وبهِ تمتاز فيبتدئ كلّ عمل من اعمال الخالق ثمَّ ينمو ويمتدّ الى ان يبلغ كمالهُ وذلك في مدَّة اجيالٍ لا يعرفها الَّا الله ولا ينطبق عليها قسم من اقسام زماننا الحاضر . وما هذه الايَّام الَّا اطوار العالم المختلفة التي وقفت عليها العلوم الحديثة ولاسيَّما علم طبقات الارض الذي لا دخل لهُ فيما رواهُ موسى في اليومَين الاوَّلين وانما ابحاثهُ تبتدئ مع ما ذكرهُ في اليوم الثالث عن الارض حيث اخذت الرواسب تحطّ في قعر البحار

فامكن الحياة ان تظهر وتنشأ على قشرتها بعد ان بردت نوعاً حرارتها الطبيعيَّة . فمن قابل بعد ذلك بين المعلومات الجيولوجيَّة الثابتة ورواية موسى يأخذهُ العجب من توافقهما وذلك مباشرةً بأوَّل تركيب البحار واليابسة كما رواهُ في اليوم الثالث مع ما ورد هناك من ذكر نشوء النباتات والاشجار الجبَّاريَّة التي منها تكوَّنت تلك المستودعات الفحميَّة التي استمدَّت منها الصناعة العصريَّة قوَّتها المحرّكة . وكذلك اليوم الرابع يوافق ما يثبتهُ الجيولوجيُّون عن تقسيم الحرارة والنور نهائيًّا في نظامنا الشمسيّ وبهِ ينتظم اختلاف الاقاليم ولاسيما اليوم الخامس الذي فيهِ جاء وصف ظهور طبقات الحيوان تدريجاً على وجه الارض اعني الحيوانات البحريَّة اوَّلًا ثمَّ البرّيَّة وفي آخرها كلها الانسان »

هذا ما يُستخلَص من رواية موسى . لكنَّ هناك مشاكل اخرى لم يتعرَّض لها منها مسألة تكوين كلّ نوع من انواع النبات والحيوان فهل خلقها الله منذ البدء او بازمنة معلومة بخواصّها الجنسيَّة فبلغت الينا بالتناسل كما خُلقت اوَّلًا مع ما دخل عليها من الاختلافات العرضيَّة المسبَّبة عن طوارئ الزمان والمكان وغير ذلك من العوامل الطبيعيَّة ؟ او يقال بالاحرى انَّ الله خلق اوَّلًا بعض الاجناس الاصليَّة وأمثلة الرُّتب النباتيَّة والحيوانيَّة فهذه الاجناس وهذه الامثلة التي اصطلح عليها العلماء الطبيعيُّون في كتبهم المدرسيَّة قد تحسَّنت ونمت وتكاملت على مدى الدهور بما طرأ عليها من العوامل الطبيعية كحصولها في اقاليم مختلفة واغتذائها بأغذية شتَّى لم تزل تتحوَّل من تلقاء ذاتها من جنس الى جنس ومن فصيلة الى اخرى كما نراها في عالمنا الحاضر او في بطون الارض بين المستحجرات ؟

فهذان الحلَّان لمشكل تكوين الانواع محتملان ولم تصرّح الاسفار المقدَّسة بواحد دون الآخر كما انَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة لم تحتم باحدهما . فتبقى المسئلة علميَّةً لا تمسُّ الايمان بشيء . نعم انَّ مفسّري الاسفار المقدَّسة الى اواسط القرن التاسع عشر كانوا يرجّحون الرأي الاوَّل اي تكوين الله رأساً لكل نوع من انواع الحيوان والنبات وبلوغها الينا ثابتةً كما خلقها الله وهكذا كانوا يفهمون قول الكتاب انَّ الله خلق النبات والطيور والبهائم «كلًّا حسب اصنافهِ» لكنَّ ترقّي العلوم الطبيعيَّة كعلم طبقات الارض وعلم العاديَّات وعلم النبات وعلم الحيوان استدعى كثيرين من

العلماء حتّى من الكاثوليك الى القول بالرأي الثاني اي بتكوين الامثلة الاصليَة الاولى ثمَّ بترقي الاجناس وتحوّلها بفعل العوامل الطبيعيَّة مع طول الزمان

والكنيسة تطلق الحرّيَّة للقائلين باحد هذين الرأيين بشرط ان يبقى فعل الخالق مصوناً في تكوينهِ للاجناس الاوَّلية التي منها تفرَّعت بقيَّة الاجناس . امَّا تكوين الانسان اي الابوين الاوَّلين بفعل الخالق فانَّ الكنيسة بلسان اللجنة الكتابيَّة المعيَّنة لتفسير الكتاب المقدَّس رسمياً امرت باعتبار رواية موسى حسب منطوقها الحرفي وان لم تحتم شيئاً بخصوص نوع تكوين الانسان وذلك في تاريخ ٣٠ حزيران سنة ١٩٠٩

٢ العلوم الطبيعيَّة

فلننظرنَّ الآن ما تفيدنا العلوم الطبيعيَّة بخصوص نشأة المخلوقات وانواعها ونُعارض معلوماتها بما استفدنا من الكتب المقدَّسة

كلٌّ يعلم انَّ العلوم الطبيعيَّة في فروعها المختلفة قد ترقَّت ترقياً عظيماً في غضون القرن التاسع عشر . وكثيراً ما ساعد على ذلك سهولة الاسفار والمواصلات بين انحاء العالم المختلفة والابحاث الجيولوجيَّة ودرس الطبقات الارضيَّة في عدَّة اقطار ثم قابلوا بين معلومات تلك الابحاث ودوَّنوا نتائجها فوجدوا في كلّ طبقة من طبقات الارض التي رسبت فوق ركنها الاصلي بتوالي الاجيال بقايا نباتات وحيوانات شتَّى وربَّما وجدوا فيها هياكل تامَّة سالمة من الحيوان ثمَّ نباتات كاملة طُمرت قديماً وقت ازدهارها على الارض او في اعماق البحر . وقد اتَّصلوا الى بيان ترتيب تلك الطبقات الارضيَّة ومنها الى تعريف الازمنة التي فيها طُمرت تلك الكائنات . أجل انَّهم لم يستطيعوا تعيين عدد السنين التي بها تكوَّنت كلّ طبقة لكنَّهم اثبتوا ترتيب تلك الازمنة مع ما تقدَّم من مواليدها وما تأخَّر

وممَّا سهَّل ايضاً إحراز هذه العلوم ما أُنشئ في حواضر البلاد من المتاحف فبفضل المواصلات بين سائر البلاد تمكَّن كثيرون من جمع اصناف الحيوان وضروب النبات منها حيَّةٌ ومنها مستحجرةٌ فتولَّوا ترتيبها على طرائق علميَّة راهنة فاثبتوها على حسب رُتبها واجناسها وانواعها وفصائلها لتظهر للعيان حلقاتُها واتّصال بعضها ببعض بحيث يحسب الناظر انَّهُ يطَّلع على مشاهد الطبيعة ومواليدها العموميّة بل يرى خلاصة الكائنات المنبثَّة على وجه الارض

فكلّ هذه الوسائل أدَّت بالعلماء الى وضع معلومات ثابتة يمكن الاستناد اليها ومقابلتها مع المعلومات المستفادة من الاسفار المقدَّسة

فالشائع اليوم بين ارباب الجيولوجية انَّ الارض كانت في اوَّل تكوينها كرةً نارية بردت شيئاً فشيئاً ثمَّ جمد سطحُها الَّا انَّ هذا السطح تكيَّف على مدى الدهور بتكيُّفات متتالية تُرى آثارها الى يومنا . فكثيرًا ما تغيَّرت هيئتهُ في نتوآته وجبالهِ واوديتهِ وعلى الخصوص في القرون الاولى بفعل الانفجارات البركانيَّة وتراكم البرور الخ فكانت الطبقات المغمورة بمياه البحار ترتفع فيصير بعضها اقطارًا بريَّة وبعضها جزائر . وتكوَّنت في بعض الجهات سلسلة اطواد شاهقة وفي غيرها على خلاف ذلك اصبحت اغوارًا عميقة غمرتها مياه الاوقيانوس

ولم تبق القارَّات الناتئة على حالتها بل طرأت عليها العوامل الجوّية كالرياح والامطار واليبس والثلوج والجليد فلم تزل تفتك بها حتَّى اثَّرت في كيانها تأثيرًا عظيماً . ومثلها السيول الجبليَّة والمثالج والانهار وامواج البحر فانَّها كلّها بقوَّة احتكاكها وصدماتها غيَّرت هيئة الارض فكانت السيول والانهار تسحو التربة وتجرفها وتدفعها الى البحر حيث كانت ترسب في قعرهِ وتطمر تحت اجرافها بقايا النبات والحيوان المعاصر لها

ولنا على ذلك مثال خفيف في ما يحدث في زماننا مع اختلاف قوَّة العوامل الجوّيَّة وسَورة المياه في ذلك العهد القديم . فان علماء طبقات الارض يقوّمون الآن بستَّة عشر كيلومترًا مكعَّباً على الأقلّ محصَّل الأجُرُف الارضيَّة التي تحلّلها العوامل الجوّيَّة وسيول المياه في كلّ سنة وتسحوها الى البحر . ويضربون على ذلك مثل نهرَي العراق اي الفرات ودجلة فانهما باجتماعهما في شطّ العرب ونقلهما الى بحر فارس ما يجرفان من التربة يدفعانهِ كلّ سنة خمسين مترًا عن سواحلهِ . وشطّ العرب بالنسبة الى كبار انهار اميركة والهند والصين يُعدّ من صغار الانهار

فكل هذه الأجرف اذا بلغت قعر البحار رسبت فيها واختلطت بما يُجرَف معها من بقايا النبات وهياكل الحيوان وجثث الحيتان التي تموت في البحر والاصداف المختلفة فيتكوَّن من هذه المجاميع طبقة من الطبقات الارضيَّة التي يدعونها بطبقة الارض الرابعة

وعلى هذا المثال تكوَّنت الطبقة الثانية من انحلال موادّ الطبقة الاولى ثمَّ الطبقة الثالثة بتحلُّل الطبقتين الاولى والثانية

واذا افترضتَ انَّ بعض الطوارئ الطبيعيَّة كالزلازل وغير ذلك ترفع يوماً بعدَ آلافٍ من السنين الى ما فوق سطح البحر تلك الطبقة الراسبة في قعرهِ فانَّ علماء ذلك الزمان سوف يجدون في تلك الرواسب بقايا النبات المعاصر لنا والحيوانات التي تُرى في زماننا الحاضر

وكذلك يمكن ان نفترض انَّ انقلاباً أرضياً آخر مع طغيان عرمرميّ يحلّ على قسم من البلاد ويكسوها حمأة كثيفة فيُطمَر معها النبات والشجر والحيوان المنتشر في تلك الانحاء

فمثل هذه الانقلابات قد حدثت في العصور القديمة بعضها بطوارئ شديدة فاجئة وغيرها بفعل الازمنة البطيء والرواسب المتوالية فانطمرت قارات ارضيَّة قديمة تحت المياه وطفا غيرها ناتئاً من قعر البحار حتَّى يجوز القول انَّ كلّ اقسام الارض وقاراتها كانت تارةً في اعماق البحار وتارةً مرتفعةً عنها. وما يُرى فيها من انواع النبات والحيوان المستحجرة في طبقات بلاد مختلفة يدلّ على ما كان شائعاً منها في اطوار معلومة برًّا كان او بحرًا. وبعض هذه الطبقات سميك جدًّا حتَّى انَّ منها ما يُعدّ من جبال المعمور ويبلغ سمك رواسبها في بعض الطبقات الى نحو خمسين كيلومترًا

فهذه سجلَّات تاريخ ارضنا مدفونة في طبقاتها المختلفة ويكفي لمعرفة اقدم ما ظهر على ارضنا من المواليد الطبيعيَّة ان نفحص تلك الطبقات مباشرةً واقربها الى قشرة الارض الاوَّليَّة الى اعلاها واقربها عهدًا منَّا. ومن هذا الفحص يمكن اثبات او نفي ما يدَّعيهِ الدروينيُّون بانَّ في اوَّل الخليقة لم يكوّن البارئ على الارض الَّا بعض امثلة النباتات والحيوانات التي منها تسلسلت في تتابع الاجيال بقيَّة انواع النبات والحيوان. ويقتضي ذلك وجود هذه الامثلة في اعمق طبقات الارض واقدم رواسبها ثمَّ وجود تفرُّعاتها بالتسلسل الى ايَّامنا في الطبقات المستحدثة

وكذلك لو صحَّت مزاعم هكّل والماديين بقولهم انَّ الحياة ظهرت من تلقاء ذاتها في بعض الخلايا التي منها تولَّدت تدريجاً مواليد النبات ثمَّ مواليد الحيوان لا نبغي وجود آثار هذا التسلسل في طبقات الارض بحيث نجد اصغرها وابسطها في الطبقات

السفلى ثمَّ اكبرها واكملها في الطبقات العليا

وقد وضع الجيولوجيُّون لهذه الطبقات الارضيَّة اسماء خاصَّة تسهيلًا لدرسها . فالرواسب الحديثة التي اخذت تتكوَّن قبل خليقة الانسان بزمن طويل الى ايَّامنا هذه تُدعى على اصطلاحهم بطبقة الارض الرابعة (terrain quaternaire) وتحتها بالتدريج الطبقات الثالثة ثم الثانية ثمَّ الاولى التي اقدم رواسبها تعتمد الى قعر الارض الاصلي

ثم يقسّم الجيولوجيُّون هذه الطبقات الاربع الى صفائح ممتازة لكل صفيحة منها اسمُها الخاص تُعرَف بجنس صخورها وبانواع المستحجرات الموجودة في باطنها دون غيرها

فانَّ بقايا الحيوانات الموجودة في الطبقة الاولى الأبعد عمقاً هي حيوانات بحريَّة اكثرها عديم الفقرات . امَّا النبات فيُرى منهُ باسفل الطبقة بعض اجناس الخُثّ ( algue ) البحري ثمَّ فوقهُ في طبقاتهِ المرتفعة عددٌ لا يُحصى من الاشجار العاديَّة المختلفة الاجناس التي طُمرت بانقلاب الارض ظهرًا لبطن وهي مستودعات الفحم الحجري كنز صنائعنا حاضرًا

وفي صفائح الطبقة الثانية معظم ما وجد فيها من الحيوان زحَّافات اكثرها مائيَّة عظيمة الاجرام يبلغ طول بعضها من ١٥ الى ٣٠ بل ٤٠ مترًا وكلُّها ذوات اسنان

وفي صفائح الطبقة الثالثة وجدوا عددًا عديدًا من الحيوانات ذوات الاثدي البالغة الكبر منها الطيور العظيمة . امَّا النبات فما وُجد منهُ هو من ذات الفلقتَيْن ( dicotylédonées ) وفي احدث صفائحهِ تُرى الحيوانات المجترَّة ثمَّ اصناف القرود ثمَّ اجناس الفِيَلَة التي لم يُعرف منها في عهدنا الَّا جنس واحد

واخيرًا الطبقة الرابعة وقد وُجدت فيها حيوانات متعدّدة اكثرها باقٍ الى يومنا وفي آخرها جميعاً يظهر الانسان

فمن هذه الخلاصة التي انتزعناها من كتب الجيولوجية يلوح انَّ الحياة لم تظهر اوَّلًا كما يزعم المادّيون على صورة خلايا غاية في البساطة بل على صورة نباتات وحيوانات تامَّة البنية ذات نوعٍ معلوم . فانَّ في اقدم طبقات الارض وُجدت حيوانات

بحريَّة يدور الدم في شلوشها وعروقها مجهَّزة بالاعصاب وبأجهزة تنفُّسيَّة الخ . امَّا النبات فاقدم ما وُجد منهُ بعض اشكال غير واضحة التركيب . ثم يليها دون وسيط بين الجنسين تلك النباتات والاشجار العاديَّة اصل فحمنا الحجري . وكلّ هذه المواليد العريقة في القدم نباتيَّة كانت او حيوانيَّة تدهش الناظر باختلاف اجهزتها وانسجتها وصورها ولا شيء فيها يدلُّ على انَّها كانت مسبوقة بأمثلة اخرى خلفتها . وكثير من اجناس تلك المواليد قد صبر على الدهور فبلغ الى عهدنا

نعم انَّهُ وجدت بعد ذلك اجناس جديدة على مدى الاجيال الَّا انهُ لا يوجد بينها وبين ما سبقها علاقة تدلُّ على انَّها تولَّدت منها . بل لكل جنس خواصُّهُ في نموّهِ فالبعض منها نما وازدهر مدَّة قرون عديدة والبعض الآخر بعد ظهورهِ زمناً معلوماً لا تعود تجد لهُ اثرًا او لم يبقَ منهُ الَّا انواع قليلة في الازمنة التالية

وكذلك ترى من جانب آخر رُتباً كاملة من الحيوانات تظهر في وقت معلوم بكامل أُهبتها ومميَّزاتها دون ان تجد في ما سبقها انواعاً يستطاع القول عنها انَّها منها تفرَّعت كما انَّها اذا فنيت لا ترى لها خلَفاً يمكن القول عنهُ انَّهُ من مواليدها

هذا ولا ننكر انَّ في ظهور الكائنات المتوالي بعض الترقّي من حيث كمال تركيبها من اجناسها المختلفة فانَّ ارباب الطبيعة يعتبرون الحثّ والنبات العديم الزهر انقص كمالًا من النباتات ذوات الفِلق الواحد وهذه دون النباتات ذوات الفلقَين . وقد وجدوا في طبقات الارض اوَّلًا الحثّ البحريّ ثم النبات العديم الزهر الذي منهُ الخنشار العظيم الشكل في الاراضي الفحميَّة ثم الاشجار المخروطة الشكل كالسرو وهي ذات فلقٍ واحد وفي الاخير الاشجار ذات الفلقين وهو الترتيب النظاميّ الذي يتبعهُ الجيولوجيُّون في تقاسيمهم . ولكن هذا النظام المتوالي لا تُرى بين حلقاتهِ علائق تدلّ على التحام قسمٍ بآخر بل تُرى هذه الاقسام مستقلَّةً ظاهرة بكمالها دون اجناس انقص فأكمل تجتاز بها الى بلوغ كمالها

وكذلك الحيوان يظهر من آثارهِ المستحجرة في طبقات الارض بعض الترقّي اذ ظهرت اوَّلًا الحيوانات المائيَّة العديمة الفقرات ثمّ ثانياً الزحافات الكبيرة وكبار الطيور ذوات الاسنان . ثمَّ ثالثاً الحيوانات ذوات الاثدي كالفيل والقرد ثمّ الانسان الَّا انَّهُ لا يوجد علاقة بين هذه الرتب ولا شيء يمكن اعتبارهُ كتوطئة لجنس آخر

يأتي بعدهُ فانَّ في هذه المستحجرات رُتباً كاملة وعلى الاقلّ اجناساً ظهرت في طبقات الارض بعدد عديد. منها جانس الصدفيَّات المعروفة بأُمونيت (ammonites) البالغ انواعها اربعة آلاف نوع وكلُّها قد فنيت دون ان يتولَّد منها اجناس لاحقة بها كما انَّها ظهرت دون ان يوجد قبلها اجناس تفرَّعت هي منها

فهذه نتائج المعلومات الجيولوجيَّة سوف تمهّد لنا الحكم على مزاعم الدروينيين والمادّيين في آرائهم عن ظهور الحياة ونموّها على وجه الارض. لا بل نستطيع ان نقول مع احد اراكنة علم الطبقات الارضيَّة المسيو دي لاپاران (Mr de Lapparent) مستشهدين بقولهِ الآتي : يظهر من درس تاريخ كُرَتنا الارضيَّة انَّ الحياة لم تدخلها بالتدريج وبترقّي اجهزة الحيوانات بتوالي الازمنة. بل ظهرت بقدر ما يمكنّنا ان نبدي حكمنا في ذلك في وقت واحد بظهور اجناس شتَّى حاصلة على كلّ الكمال الذي تحتملهُ الاحوال المحدقة بها « فكفى بهذا نفياً لمذهب القائلين بترقّي المخلوقات وتسلسلها

( لهُ تابع )

---

# النَّصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

## الفصل الثاني عشر

العادات النصرانية بين عرب الجاهلية وفي اوَّل الاسلام (تابع)

### العادات الدينيَّة (تتمة)

﴿ استلام الحجر الاسود ﴾ ومن المعلوم انَّ المسلمين اذا حجُّوا الى الكعبة وطافوا حولها استلموا الحجر الاسود الذي فيها ولعلَّهم يفعلون ذلك احتذاء بنبيّهم.

قال البخاري في الصحيح (٢: ١٤٧) : « جاء عُمر الى الحجر الاسود فقبَّلهُ فقال : اني اعلم انك حجر لا تضرُّ ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله صلعم يقبّلك ما قبّلتُك » . قلنا ولا يبعد ان العرب اخذوا ذلك عن النصارى الذي يقبّلون حجارة كنائسهم تعبُّدًا او كحجّاجهم الى القدس الشريف حيث يقبِلون قبر السيّد المسيح او الحجر الذي صعد من فوقهِ الى السماء في جبل الزيتون وعليه رسمُ أثر قدمهِ المبارك

وقد سبق لنا ذكر حمام مكَّة ومأمنها من الصيد . ودونك ما رُوي عن حمام الكنائس . روى الطبري في تاريخ (٢: ٨٦١) لرجل من بكر بن وائل ونسبهُ في الاغاني (٢: ٧٢) لعبد الرحمان بن الحكم

أتَتْك العيسُ تنفخُ في بُراها تُكشِّفُ عن مَناكبِها القُطُوعُ
كأنَّ مواقعَ الأكْرار منها حمامُ كنائسٍ بُقْعٌ وُقُوعُ

﴿النذور﴾ يروى عن عرب الجاهليَّة انهم كانوا ينذرون مواليدهم للكعبة . ذكر ابو الوليد الازرقيّ في اخبار مكَّة (ص ١٢٨-١٢٩) عن امرأة اخزم بن العاص الجرهميَّة انَّها كانت عاقرًا فنذرت إن ولدت غلاماً ان تتصدَّق بهِ على الكعبة عبدًا لها يخدُمها ويقوم عليها فولدت من اخزم الغَوْثَ فتصدَّقت بهِ عليها فكان يخدمها مع اخوالهِ من جُرْهم . (قلنا) انَّ هذه العادة اعني نذر المولود الى الله كان سبق العربَ اليها اصحابُ الكتاب من يهود ونصارى . وكلّ يعرف كيف نذرت حنَّة العاقر ان ولدت غلاماً تجعلهُ في خدمة الله فولدت صموئيل فوفت بنذرها . وقد ورد في القرآن في سورة آل عمران نذر امرأة عِمْران (يعني القديسة حنَّة) بابنتها مريم العذراء فخدَمَتْهُ تعالى بالمحراب تحت كفالة زكريَّا الكاهن

﴿ المساجد وبناؤها على شكل الكنائس ﴾ لا مراء في ان المسلمين اوَّل ما شيَّدوا المساجد لصلاتهم بنوها على صورة الكنائس فضلًا عمَّا حوَّلوهُ منها الى جوامع عند فتحهم البلاد النصرانيَّة كالجامع الامويّ في دمشق والجامع الاقصى في القدس الشريف وجوامع حمص وحماة وحلب فكلّ من يدخل هذه الجوامع من المهندسين يحتم لاوَّل وهلة انَّها من هندسة النصارى الاقدمين كما اثبتنا ذلك في فصل الفنون الجميلة (ص ٣٤٣-٣٥٠) . فلمَّا حاول المسلمون تشييد مساجد جديدة تقلَّدوا فيها الكنائس

النصرانيَّة وكان بُناتُها في الغالب نصارى من الروم والقبط واهـل الشام لا يعرفون الَّا هندستهم الدينيَّة

وقد قابل المرحوم فـان برکم ( M. van Berchem ) بين كل اقسام الجوامع كصحنها ورواقها واركانها وعواميدها وسقفها وقِبلتها ومحرابها ومنبرها ومقصورتها ومنارتها وبين الكنائس النصرانيَّة واقسامها المختلفة عند ظهور الاسلام وختم بقولهِ « انَّ وَضع الجوامع يُشبه شبهاً تامــًّا واضحاً بناء الكنائس القديمـة (١ » يريد الكنائس المعروفة بالكنـائس الملكيَّة (Basiliques)

وما نقولـهُ هنا اجمالًا عن هندسة الجوامع نستطيع ان نثبتهُ ايضاً لكل قسمٍ منها مفردًا كالمآذن والمنارات التي تقلَّدوا فيهـا الصوامع النصرانيَّة وكالمنبر الذي مرَّ لنا ذكرهُ في باب النجـارة وهلمَّ جرًّا

﴿ الخطابة في المساجد ﴾ وممَّا استحدثهُ الاسلام الخطب الدينيَّة في المجامع. يروى لصاحب الشريعة الاسلاميَّة بعض الخطب التي القاها في قومهِ يذكّرهم ويحضّهم على الاعمال الصالحة وانَّما تقلَّد في ذلـك ما وجدهُ من العادات الجارية بين النصارى المجاورين لهُ الذين كان اربابهم وكهنتهم يرشدون في الكنائس رعاياهم. وقـد مرَّ لنا فصل في الخطابة بين نصارى العرب في الجاهليَّة مع ذكر إمامهم المضروب فيـهِ المثل قسّ بن ساعدة

وكان منبر الخطابة بين النصارى رمزًا عن الرئاسة والسلطة الدينيَّة. وكذلك اعتبرهُ محمَّد والمسلمون بعده. فكان الخلفاء يرقونهُ ايَّام الاعياد والصلوات العموميَّة فيلقون منهُ الخطب كما كان يفعل اساقفة النصارى في كنائسهم وقد سبق لنا (ص ١٤٩) ذكر العرش الذي اضافوهُ الى المنبر وكان يجلس عليهِ محمَّد كما روى ابن الاثير في اسد الغابة وابن سعد في طبقاتهِ. وكان ذلك على مثال العرش الذي يجلس عليـهِ

---

(١) راجع (**Encyclopédie de l'Islam**, art. ARCHITECTURE, p. 428b
اطلب ايضاً كتاب سلادين في الفنون الاسلاميَّة **H. Saladin** : Mannel d'Art Musulman, I, 7-10 وكتاب تواريخ الاسلام للبرنس كاتياني **L. Caetani** :Annali dell' Islam, I, 432 ومجلَّة الاسلام لبكر **Beker**, Islam, III,392 وكتاب الصناعة العربيَّة لغايه **Gayet** :l'Art arabe, p. 27. 85

رؤساء الدين النصراني في كنائسهم

وكذلك اعتاد الاساقفة اذا خطبوا او صلّوا صلاةً عموميَّة ان يمسكوا بيدهم العصاة الرعويَّة المعروفة بالعكّاز . وقد مرَّ في خبر قسّ بن ساعدة انهُ كان اذا خطب يتكئ على عصاً (وقيل على سيفٍ) ومما رواهُ البخاريّ في صحيحهِ في كتاب الصلاة (١ : ١٣٥) «انَّ النبيّ امر بحربةٍ فتوضع بين يديهِ فيصلّي اليها»

وللجوامع مآذن او منارات يؤذنون منها بالصلاة . وهي ايضاً مما تقلّد فيهِ المسلمون النصارى . فانَّ المسلمين كانوا يؤذنون اوّلاً بالصلاة على باب مساجدهم ثمَّ علوا سطوحها للاذان او اذّنوا فوق اسوار المدن كما ورد في شعر الفرزدق قال (تاج العروس ٩ : ١٢٠) :

وحتّى علا في سور كلّ مدينةٍ    منادٍ ينادي فوقها بأذانِ

ثمَّ اخيرًا تقلّدوا صوامع الرهبان وهي قلاليّ محدَّدة الطرف او أبراج كان يسكنها الراهب لعبادتهِ ويقرع منها الناقوس . فصارت المأذنة مرادفة للصومعة . وورد ذلك في كتب الادباء كابي الفرج الاصبهاني في الاغاني (٢٠ : ٨٥) اذ ذكر مأذنة المدينة فدعاها ايضاً هناك بالصومعة (١ . وروى عن بعض الموسوسين انهم « كانوا يصفعون المشايخ في الصوامع اذا اذّنوا » . وفي خطط المقريزي (٢ : ٢٤٨) انَّ معاوية امر مسلمة بن مخلد ببناء الصوامع للأذان في جامع فسطاط العتيق المعروف بجامع عمرو قال «وجعل مسلمة للمسجد الجامع اربع صوامع في اركانهِ الاربع . . . وامر ان لا يُضرب بناقوس عند الاذان يعني الفجر » . وكذلك ورد في تاريخ الشيخ ابي صلح الارمنيّ (ص ٥٤ éd,. Evetts) : « وكان فتوح مصر في المحرَّم سنة ٢٠ للهجرة ومن الصوامع ما هو باقٍ الى الآن جعلهم المسلمين مواذن (كذا) »

﴿المجامر في المساجد والجنازات﴾ معلوم انَّ النصارى في مناسكهم الدينيَّة في الكنائس وفي جنازات موتاهم يضرمون المجامر ويحرقون البخور ويوقدون الشمع والمشاعل قال الحسين بن الضحّاك يصف كنيسةً (البكري ٣٦٩) :

عجّت اساقفها في بيت مذبحها    اذكى مجامرها بالعود والنارِ

وقد روى الترمذي في صحيحهِ (١ : ١١٦) عن محمَّد انَّهُ كان يجمّر المسجد قبل

١) اطلب مجلَّة الجمعيَّة الشرقيَّة الاميركانيَّة JAOS., XXX, 132-154, art. Gottheil

وفود الجماعة . وذكر ابن الاثير في النهاية (١ : ١٧٥) نعيماً المجمّر الصحابيّ قال «وهو الذي كان يلي إجمار مسجد رسول الله صلعم » وهكذا فعل الخلفاء الراشدون بعده ثمّ معاوية وبعض خلفاء بني اميَّة

وممَّا ورد في كتاب تحقيق النصرة لابي بكر المراغي انَّ عمر بن الخطَّاب عند رجوعهِ من غزوة الشام اتى «بمجمرة من الفضَّة فيهِ تماثيل وكان يجمِّر بها المسجد ثمّ توضع بين يدي عمر بن الخطَّاب» . وممَّا ورد في تجمير المسلمين الموتى ما ذكرهُ ابن الاثير في أُسد الغابة في معرفة الصحابة (٥ : ٥٤٥) وابن حجر العسقلاني في الاصابة في تمييز الصحابة (٨ : ١٨٧) عن مرضية الصحابيَّة قالت : « اراكم تنكرون شيئاً رأيتهُ يُصنع على عهد رسول الله صلعم رأيت الميت على عهد رسول الله صلعم يُتبَع بالمِجْمَر» . وكذلك روى ابن سعد في طبقاتهِ (٨ : ٥٣—٥٤) عن عائشة زوج نبيّ الاسلام انهُ حُملت في دفنها المشاعل من الجريد الملفوف بالخرق والمغموس بالزيت . ثمّ افتوا بتحريم التجمير وفي صحيح ابن ماجة « انهُ لا يجوز اتباع الجنائز بالمجامر وما يشابهها لأن ذلك من فعل الجاهليَّة » يعني النصرانيَّة (١

﴿ اكرام القبور ﴾ يروى في الحديث (جامع السيوطي ص ٣٥٧) : « قاتل الله اليهود والنصارى اتّخذوا قبور انبيائهم مساجد» كأن صاحب الشريعة الاسلاميَّة حرم بذلك اكرام الموتى وزيارة قبورهم . الَّا انَّ المسلمين لم يعيروا بالًا الحديث المذكور كما يثبت ذلك مألوف عاداتهم في اكرام قبر نبيّهم في المدينة وقبور الخلفاء الراشدين هنالك مع ما يزين تلك القبور من الحليّ ويُوقد فوقها من السُرج ويقدّمون اليها من الهدايا . ومن ذلك يتَّضح انَّ العادة النصرانيَّة غلبت عليهم الَّا بعض المتطرّفين منهم كالوهابيين الذين ينكرون كلّ اكرام للاولياء . وممَّا يستند اليهِ اهل السنَّة في اكرام الاولياء ما رواهُ ابن سعد في كتاب الطبقات الكبير (ج ٢ ق ٢ ص ٩—١٠) « انَّ رسول الله صلعم صلَّى على اهل البقيع اي قتلى أُحد بعد ثماني سنين» وقد اخبر الواقدي عن فاطمة الزهراء ابنتهِ انَّها كانت تخرج الى أُحد لزيارة قبر حمزة عمّ محمَّد (٢

١) اطلب المجلَّة الاسيويَّة الالمانيَّة (ZDMG. 1905, 403-404): وتاريخ معاوية للاب لامنس **Lammens:** Mo'âwia, (367, 436)

٢) اطلب كتاب الاستاذ غولتسيهر **Goldziher:** Culte des Saints chez les Musulmans. *Paris*, 1880

﴿الاستشهاد﴾ واخصّ من يكرمهم النصارى شهداء دينهم الذين بموجب وصاة السيّد المسيح فضَّلوا الموت في سبيل ايمانهم على الحياة والغنى والشهوات. وليس للنصارى شهداء غيرهم . فرأى صاحب الشريعة الاسلاميَّة ما في هذه الميتة الشريفة من المجد فعظَّم الاستشهاد ورغَّب فيه بالمواعيد الجليلة في الآخرة . لكنْ بين هذا الاستشهاد والاستشهاد النصرانيّ بوناً عظيماً . فبينما النصارى لا يعدّون شهيداً الَّا من مات لاجل الدين المستقيم ترى المسلمين يكرمون كشهداء كلّ من مات في الحرب والجهاد . بل يعتبرون كشهداء غيرهم ايضاً . جاء في الحديث (جامع السيوطي ص٢٩٣) : « الغريق شهيد والحريق شهيد والغريب شهيد والملدوغ شهيد » . وروى حديثاً آخر ( ص٢٧٢ ) : « الطاعون والغرق والبَطَن والحرق والنفساء شهادة لأُمَّتي » وفي صحيح البخاري (٣ : ١٩٣) : « الشهداء خمسة المطعون والمبطون والغَرِق وصاحب الهدَم والشهيد في سبيل الله »

## ٢ العادات الشرعيَّة

﴿اصول الشرع الاسلاميّ﴾ لمَّا ظهر الاسلام كان معظم العرب لا يعرفون من الشرع الَّا ما يفي بامورهم ويكفي لمعاملاتهم في حياتهم الساذجة . فلمَّا فتحوا البلاد الراقية في التمدُّن كالشام ومصر والعراق والعجم احتاجوا الى شرائع اوسع وادقّ وكان نصارى تلك البلاد يتبعون الشرائع الرومانيَّة التي نقَّحها ونظَّمها يوستنيان الملك فعليها جرى العرب اوَّلًا بمساعدة عمَّال من نصارى الروم والسريان والاقباط وانَّما ثبتوا على بعض نواميسهم الاصليَّة في عيشتهم الفطريَّة مع ما استخلصهُ الفقهاء من القرآن او الحديث . وبقوا على ذلك الى اواسط القرن الثاني للهجرة اذ ظهر كبار الائمَّة كالشافعي وابي حنيفة ومالك وابن حنبل فوضعوا للفقة الاسلامي اصولًا ثابتة يرجع اليها المسلمون حتَّى يومنا هذا . على انَّ الذين يدرسون هذا الفقه لا يزالون يقابلون بينهُ وبين الشرع الرومانيّ ويلحظون اشياء كثيرة مصدرها الحقوق الرومانيَّة

﴿الدواوين﴾ لا قيام لدولة كبيرة الَّا بانشاء دواوين مختلفة يُعهد الى كلّ منها تدبير بعض امورها كبيت المال وتدبير الجُند وديوان الانشاء وديوان التوقيع وديوان الاعمال وديوان الجباية وديوان الخاتم . ولم يكن للعرب الفاتحين دربة في كلّ

ذلك ومن ثمَّ اقرُّوا الدواوين على ما كانت عليهِ قبل فتحهم في ايدي عمَّال من نصارى البلاد. وجاء في كتاب لطائف المعارف للثعالبي (ص١٠) «انَّ اوَّل من دوَّن الدواوين عمر بن الخطَّاب عملًا بما قال لهُ رجلٌ: رأيتُ الاعاجم يدوّنون ديوانًا لهم فدوّن لنا انت ديوانًا فامر بوضع الديوان» على انَّ هذه الدواوين تولَّاها اوَّلًا النصارى لعلمهم بتدبيرها. لنا على ذلك مثال جليل في أُسرة ابن منصور الدمشقيَّة التي اشتهر منها سرجه او سرجون بن منصور من ندماء يزيد بن معاوية (الاغاني ١٦: ٧) وكاتب معاوية بن يزيد وعبد الملك بن مروان على ديوان الخراج والجند (الطبري ٢: ٨٣٧ ابن عبد ربّهِ ٢: ٣٢٢) وابنهُ يوحنَّا هو ملفان الكنيسة اليونانيَّة العظيم المعروف بالقديس يوحنا الدمشقي. وكان هؤلاء العمَّال يكتبون في الروميَّة او القبطيَّة او الفارسيَّة الى ان تمكَّن العرب من نظارة تلك الدواوين فنقلوها الى العربيَّة وذلك في عهد عبد الملك بن مروان ثمَّ الوليد بن عبد الملك

❊ التاريخ ❊ كان للامم المجاورة للعرب تواريخ للاعوام والشهور يعرّفون بها ازمنة الوقائع والحوادث المهمَّة فكان اليونان يؤرخون بسني الخليقة وبتاريخ الاسكندر ذي القرنين وبمولد السيد المسيح. وكان الفرس يؤرخون بيزدجرد بن شهريار او احد ملوكهم وأرَّخ العرب قبل الاسلام بعام الفيل او ببعض ايَّامهم المشتهرة كيوم جَبَلة ويوم الكُلاب ويوم ذي قار. امَّا المسلمون فقيل انَّ عمر اوَّل من ارَّخ منهم في السنة ١٩ او ٢٠ هجريَّة تعلَّموا ذلك من جيرتهم. جاء في كتاب الشماريخ في علم التاريخ للسيوطيّ (ص٩ éd. Seybold) «انَّ رجلًا من المسلمين قدم من ارض اليمن فقال لعُمر: رأيتُ باليَمَن شيئًا يسمُّونهُ التاريخ يكتبون من عام كذا وشهر كذا. فقال عُمر: انَّ هذا لحَسَن فارّخوا» ثمَّ اختلفوا في بدء التاريخ الى ان اصطلحوا على سنة هجرة محمَّد من مكَّة الى المدينة وجعلوا اوَّل العام شهر المحرَّم لانهُ شهر حرام ومنصرَف الناس من الحجّ. قالوا انهُ يوافق يوم الخميس الثامن من شهر ايَّار سنة ٩٣٣ للاسكندر (لهُ تابع)

# الطائفة المارونيَّة والرهبانيَّة اليسوعيَّة

## في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

## ترقي المدرسة المارونية

اثبتنا مبادئ تاريخ المدرسة المارونيَّة ونظامها وتدبير شؤونها المادّية والادبيّة مع ترجمة قوانينها وما نالتهُ من كرم الاحبار الرومانيين من الامتيازات المتّعة فضلًا عن الاوقاف الكافية لمعاش تلامذتها

وبقي الاب يوحنّا برونو على رئاسة المدرسة المارونيَّة في مقامها الجديد من السنة ١٥٨٤ الى ١٥٩٠ وهو يبذل جهدهُ في تمهيد العقبات التي كان يلقاها في طريقهِ مدَّة تلك السنين الاولى فذلَّلها بحكمتهِ وحسن نظرهِ . وقد ساعدهُ كثيرًا على ذلك الكردينال انطون كرافًا محامي الطائفة المارونيَّة الذي كان يعتبر هذا المشروع كأعظم خدمةٍ يؤديها للكنائس الشرقيَّة ليعيد لها رونقها القديم

ولمَّا عاد الاب جوان باطشتا اليانو الى رومية سنة ١٥٨٥ بعد محنتهِ الشديدة في سفارتهِ الى الاقباط عهد اليهِ البابا سكستوس الخامس خلفُ غريغوريوس الثالث عشر وكالة التائبين العظمى فبقي عليها الى سنة موتهِ في ٣ آذار سنة ١٥٨٩ . وكان في تلك المدَّة لا يدَّخر وسعاً في خدمة المدرسة المارونيَّة ونجاحها وكان يكاتب معارفهُ في لبنان ويرسل لهم الصدقات وآنية التقديس ويطّلع على احوالهم الدينيَّة . وممَّا وقفنا عليهِ في سجلَّات الرهبانيَّة اليسوعيَّة المكتوب التالي ارسلهُ الى الاب اليانو من طرابلوس في ١٠ ايلول سنة ١٥٨٦ ثلاثةٌ من اهلها بهذا الامضاء « يونان ويوسف وسركيس» ولعلهم كهنة طرابلوس الموارنة

السلام الباقي على الاب المكرَّم المحب والاخ بالمسيح القس باطيشتا سلَّمهُ الله تعالى من كل شرّ ويرحمنا الرب ببركة صلواتهِ المقدَّسة آمين

ثمَّ نعلم سيدنا وعزيزنا انَّنا نحن بعون الله وبصلواتك طيّبين وشاكرين الله لسمعنا بسلامتك

اذ جئت من مصر طيّب . وانهُ قد وصل الينا من فضلك على يد الخواجا فرنسسكو (١ كأس وصينيَّة فضَّة مطليين ذهب ومبخرتين وقنديل وسطل وسخَّانة نحاس لغسل اليدين واشحيم فرنجي وعتيقة (٢ . وامَّا دوايات الكتابة الذي اوصاك عليهم القس جرجس والبلصام ( والبلسم ) فما بعث لنا منها شيء . ونريد من فضلك واحسانك ان تبعث لنا عودة قدَّاس كاملة وتاج وبلسم وكتاب العتيقة يكون بخط عبرانيّ ولفظ سريـاني مثل الصغير الذي كان معـك والدهن الذي وعدتنا بهِ لقطع الدلف . واكتب لنا حقَّ الحوائج الذي تبعثهم لنا كم تكون حتى نرسل لـك حقَّها كما يريد خاطرك . ونريد من فضلك ان تقبل لنا اياديّ سيّدنا البابا وتشاورهُ ان يرسل لنا ورقة من جهة الصوم والاعياد حتى بدستورهِ نمشي على رتبتكم لانَّ ذمَّتنا تدلّنا باختلاف الطائفة عنكم

امَّا امر القس سركيس فهكذا كان . لمَّا اراد البـطرك ان يرسل الحصروني ام حبقوق ام غنطوس ما احد منهم اراد ان يدخل رومية من شأن ختم الاسطنا (كذا) . ومن بعد مـا جاب البطرك واحدًا منهم جاء لعندنا وقال : أبعث القس سركيس . وتوافقنا معهُ وقنا هنأناهُ . ومن بعد ما وصلتُ لطرابلوس قام البطرك والحصروني عملوا شور غيرذلك ما نعرف ايش بدا لهم ومن ايش الرب يعلم . كنت بعثتهُ من كل قلبي لكن الحصروني جاءنـا خبر انهُ تكلم غرائب وقال اننا كنَّا طلبنا ان نأخذ رعيَّة البطرك واشتكى علينا الى البابـا وانَّنا مخالفين الكنيسة ورتبتها . الله يجـازيه . وباين رجع الينا وهو يقول انه جاء من رومية ميّت من الجوع بـلا زوَّاده وجاب معهُ بعض اوراق كتب نُوَيسات واشياءات ايش نريدهم كان لنـا خاطر ان تنطبع كتب الكنيسة على يدك كما يريد الله وكما تعرف انت لكن ايش في خـاطر البطرك والشرح طويل . وبعد السلام والباقي على الدوام في محبتك الحقير يونـان واخوته كل واحد باسمه ومن المطران يعقوب . كُتب في طرابلس ١٤ ايلول سنة ١٥٨٦ مسيحيَّة . عبوديَّة محبتك بالمسيح يونان يوسف وسركيس

فيؤخذ من هذه الرسالة انَّ الموارنة في رومية باشروا بطبع كتبهم الطقسيَّة في غيبة الاب اليانو . وقد سبق انَّ الكردينال انطون كرافـا كان استدعى لهذه الغاية الخوري يوحنا ايوب الحصروني فنشر بالطبع كتاب الجنازات المعروف بالنويسة . الَّا انَّ الطائفة كانت في حاجة امسَّ الى كتاب القداس والشحيم . وكان الاب اليانو يفكّر في تنقيحها وطبعها ويحثّهُ على ذلك الكردينال كرافًا لولا انَّ الموت عجَّلهُ قبل ابراز فكرهِ الى الوجود

وفي السنة ١٥٩٠ قام خلفًا على رئاسة المدرسة المارونيَّة الاب ايرونيموس فوروفنتي الرومـاني بعد الاب يوحنا برونو ولا نعلم أكان ذلـك بسبب موت الاب برونو أم

١) نظنّ انهُ كان قنصل البندقيَّة في طرابلس واحد تجارها

٢) يريد بالعتيقة توراة العهد العتيق

لوظيفة اخرى عُهدت اليهِ . وبقي الاب فوروڤنتي ستّ عشرة سنة في تـدبير المدرسة (١٥٩٠–١٦٠٦) فجرى على آثار سلفهِ وعُني عناية عظيمة في ترقيتها . وفي اوَّل سنة رئاستهِ كتب البطريرك سركيس بطرس الرزّي الى رئيس عـام الرهبانيَّة اليسوعيَّة الاب كلوديوس اكواڤيڤا يستدعي سبعة من التلامذة الذين كانوا على ما يظهر انهوا دروسهم فحان وقت سيامتهم كهنة . وها هوذا الكتاب :

ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܡܪܘܢܝܐ

البركات المتواترات مع السلام الروحاني الذي خصَّ بهِ سيّدنا تلاميذهُ في الغرفة الصهيونيَّة فذلك السلام بعينهِ يكون مع الاخ العزيز الصائم المصلّي الديّن الخيّر المعلّم العامل في وصايـا ربّهِ ذو الفهم والعقل والمعروفة صـاحب الراي الصالح والتدبير النـاجح المتروّس على الجوقة الاطهار الايسوعيَّة ابونا المحب الجنرال (كلوديوس أكوافيفـا) تكون البركة حالَّة عليك وعلى تلاميذك القسوس والشمامسة كل واحد باسمهِ وعلى رزقكم ومقتنـاكم ويحلّ الرب ويبسط امنهُ وسلامهُ وطاعتهُ ورضاهُ وبركاتهِ وباقي خيراتهِ عليكم وبينكم آمين

والمعروض على المسامع الكريمة كرَّمها الله انهُ وصلت الينـا اخبار اعمالك الصـالحة انت وتلاميذك اولادنا الذين يتعلَّمون في المدرسة وفرحنا وانشرحنـا غاية الانشراح وخصوصاً في تكريمكم ابن اخي الشماس سركيس الله يجـازيكم الخير في ملكوت السماء امين . ونُعلم محبتك بانا ارسلنا نجيب من الاولاد سبعة لعند اهلهم والقصد من محبتك ان يكون نظرك عليهم وتوصي فيهم حتَّى يصلوا الى بلادهم . وابن اخي الحبيس حضر عندي وهو يقبّل ايديك ويوصيك في اخيهِ سركيس حتَّى يكون نظرك عليهِ وتصلّي عليهِ حتَّى يصل هو ورفقاه بالسلامة لعند اهلهم ومهما تعمل معهم من الخير تعملوهُ معنا . وعند محبتَّـك فهم يُغني عن طول الشرح ونكرّر البركـة عليك وعلى كل من يلوذ بخدمتك امين والشكر لله على الدوام

برز من دير قنوبين في جبل لبنان المبارك

سنة ١٥٩٠

ونكلف خاطرك يا اخي ان تكلم عزيزنا الكردينال خرافان (كرافَّا) ان يخلي الاولاد جائين من المدرسة مجبورين الخاطر ولا يعتب علينا في سفر مجيئهم لعند اهلهم ومن شان بعثة الاولاد

فمن هم يا تُرى هؤلاء السبعة الذين طلب البطرك سركيس الرزّي رجوعهم الى لبنان من تلامذة المدرسة المارونيَّة وباكورة اثمارها في خدمة مواطنيهم ؟ ان البطرك سركيس لم يذكر منهم سوى سميّهِ سركيس ابن اخيهِ . وكذلك الدويهي في تاريخهِ لم

يروِ شيئاً عن رجوعهم وانَّما ذكر فقط عرَضاً (ص ٤٤٤) «انَّ يوحنَّا دايس بن يعقوب الحصروني عاد الى لبنان سنة ١٥٩٠ ثمَّ لبس اسكيم مار عبدالاحد وصار اسقفاً». امَّا الخمسة الباقون فنظنّ انهم اوَّلًا التلميذان اللذان قَدِما اوَّلًا الى رومية سنة ١٥٧٨ اعني جبرائيل سعد الادنيتي وكسبار القبرسي ثم يعقوب بن سمعان الحصروني الذي اتى مع يوحنَّا دايس سنة ١٥٨٠. امَّا انطون فرنسيس الحصروني ومرقس بن اسطفان المطوشي رفيقاهُ فان الاوَّل كان مات في رومية كما قال الدويهي (ص ٤٤٤) والثاني مرقس طلب الدخول في الرهبانيَّة اليسوعيَّة فقبلهُ الرؤساء لكنه توفي قبل دخولهِ الدير بعد ان نذر النذور الثلثة كما اخبر الاب سكّيني في تاريخ الرهبانيَّة اليسوعيَّة (ج ١ ك ٥ ع ٣٤). ثمَّ المدعوَّان القس ميخائيل والخوري نعمة الوارد كتابهما الى رئيس عام الرهبانيَّة اليسوعيَّة بعد رجوعهما الى لبنان ولعلَّهما جبرائيل نعمه وميخائيل صليب السابق ذكرهما. وهذا هو المكتوب الذي حرَّرهُ هذان الاخيران الى الاب كلوديوس اكوافيفا باسمهما واسم رفقتهما يشكرانهِ ويشكران الرهبانيَّة اليسوعيَّة التي اهتمَّت بتهذيبهم في المدرسة المارونيَّة (من سجلَّات الرهبانيَّة اليسوعيَّة) :

نقبّل الارض ونحن جماعتنا تحت موطئ اقدام الاب الحنون الرحوم الطاهر الحاذق الماهر الممتلئ نعماً ومواهب من روح القدس الذي هو مزيَّن في جميع الاصطلاحات والفضائل العالي في العلوم الروحيَّة الذكيّ في اعمالهِ البهيَّة قائد غنم سيّدهِ يسوع المسيح في الطريق المستقيمة مرشد الناس الى طريق الحياة السراج المضيء بين الشعوب والشمس التي بشعاعها تضيء الدنيا وجميع اقطارها القمر البهيّ بين النجوم حافظ الوصايا الالهيَّة عمود البيعة القاتوليقيَّة السائر في الطريق الابوسطليَّة وهو معلمنا وابونا وعزُّنا ورافع طائفتنا نحن الموارنة وتاج رأسنا الجنرال (كلوديوس اكوافيفا). يرحمنا الرب نحن الحقيرين في تلاميذك الكهنة الرهبان الخوري نعمة والقس ميخائيل في بركة صلاتك المقدَّسة امين. ادام الله محبَّتك علينا ورئاستك على طائفتنا وعلى مدرستنا نحن الموارنة زمناً طويلًا واياماً كثيرة امين

ونُعلم روحك انَّنا وصلنا نحن وارفاقنا الى بلادنا طيّبين بعون الله وبركة صلواتك المقدَّسة امين. اخوتنا الرهبان شاكرين فضلك واحسانك عوَّض الله عليك الخير الذي عملتهُ معنا ومع ديورتنا يجازيك الله عوضاً عنَّا في ملكوتهِ السماوية امين. ونُعلم قداستك انَّنا قبل ما نظهر من المدرسة بيومين كنَّا مشتاقين ان نتبارك من قداستك وسألنا المدبر كي يسمح لنا بذلك فقال لنا انَّ قداستك رحت الى برَّا المدينة. واماَّ نحن تلاميذك الرهبان ما دمنا طول ايَّام حياتنا ساكنين في ديورتنا ما ننسى فضلك واحسانك وحنّيتك علينا برَّا بلادنا. وما نحتاج ان نوصي قداستك بالأولاد (الباقين في رومية) لان الاب لا يحتاج الى وصيَّة باولادهِ لأنَّهم اذا كانوا

مريضين طيّبين الخاطر جميع ايَّام حياتهم يطلبون لك الخير . وسبب تسطير هذه الرسالة هو كثرة الاشواق الى نظر ايقونتك البهيَّة الله يُسمعنا عن قدوسيَّتك الاخبار الصالحة

الحقير القس ميخائيل والخوري نعمه
في ٢٩ آب سنة (الف وخمسمائة) وتسعين مسيحيَّة

ولا نشكّ في انَّ هؤلاء السبعة بعد رجوعهم اخذوا يفلحون كرم الرب بنشاط ويسعون في خير طائفتهم . الَّا انَّ آثار تلك الازمنة لا تكاد تروي شيئاً عن اعمالهم وسوف ندوّن مع جدول اسمائهم ما عثرنا عليه من اخبارهم

وفي السنة ١٥٩٣ رجع الى لبنان جرجس عميره الذي صار بعد ذلك بطركاً على الطائفة . فهذا بعد وفاة الاب اليانو اهتمَّ مع بعض رفقتهِ بطبع كتاب القدَّاس الماروني في مطبعة المديشيس في رومية فطُبع سنة ١٥٩٤ طبعاً متقناً بحرف سرياني جميل ونقوش وصور الَّا انَّهم لم يحسنوا انتخاب المخطوطات التي مثَّلوها للطبع فنشروا نوافير بعض اليعاقبة ولم يصلحوا ما فيها من آثار هرطقتهم واذ لم يكن في رومية من يُحسن اللغة السريانيَّة لم تنقَّح هذه الشوائب . على انَّ المجمع المقدَّس شعر بهذا الخلل ولم يسمح بنشر الكتاب الَّا السنة ١٦٠٨ وفي آخرهِ ترجمة مار مارون منقولة الى السريانيَّة عن تاودوريطس بقلم ثلثة من تلاميذ الموارنة في رومية هم جرجس الكرمسداني وميخائيل الادنيتي وجبرائيل الصهيونيّ

وفي الصفحة ٢٨٦ انَّ الكتاب طُبع في رومية باذن الرؤساء في السنة الرابعة لاقليميس الثامن في زمن الكردينال باليوتي (الذي خلف الكردينال كرافا في حماية الموارنة) وفي عهد البطريرك سرجيوس الرزّي

وقد جاء نشر هذا الكتاب المغلوط احسن مبرّر لما وُشي بهِ الاب جوان باطشتا اليانو حيث قيل عنهُ انَّهُ اتَّهم في رومية الطائفة المارونيَّة واشاع عن كتبهم الطقسيَّة ما لا صحَّة لهُ مع ما نعرفهُ من خلوص محبَّة الاب اليانو للموارنة ودفاعهِ عنهم وتفانيهِ في خدمتهم . وعليهِ يسوءُنا ما رواه الدويهيّ في تاريخهِ عن البطريرك سركيس (ص ١٨٢ — ١٨٣) قال :

وفي السنة ١٥٩٦ ( ١٠٠٥ هـ ) في الثامن عشر من ايلول امر البطريرك (سركيس الرزّي) بالتئام رؤساء الكهنة ومشايخ الجبَّة وعلماء الطائفة وبعد قراءة مكتوب البابا (اقليميس الثامن) برهن امامهم وامام قصَّاد الكرسي الرسولي انَّ اخاهُ البطريرك ميخائيل والطائفة كلها ابرياء

من التُّهم التي اتَّهمهم بها باطلًا جوان باطشتا . ولمَّا وقف الاب دنديني على اقرار علماء الطائفة وفحص الكتب التي كان وقف عليها ووسمها بخطئهِ تحقَّق انَّ كلَّ ما اتُّهموا به هو محض تجنٍّ

فالعجب كلّ العجب من البطريرك سركيس لاحتجاجهِ على الاب اليانو في ما قالهُ عن كتب الموارنة وهو كان احد الشهود العيان في فحص هذه الكتب معهُ ولا نطلب ردًّا على قولهِ سوى هذا الكتاب المطبوع قبل تجنّيهِ بسنتين مع اسمهِ الكريم وبمساعي ابناء طائفتهِ . ولو كان اطّلع عليهِ الاب دنديني لكان امكنهُ ان يدافع عن شرف اخيهِ السفير الرسولي الاب اليانو الذي كان اعلم منهُ بالسريانيَّة والعبرانيَّة والعربيَّة

واعجب من ذلك كيف نسي البطريرك سركيس ما كتبهُ عن شقيقهِ وسلفهِ البطريرك ميخائيل الرزّي ناكرًا ما اقرَّ بهِ عن كتب الموارنة التي افسدها الهراطقة وهو القائل في المكتوب الذي نشرناهُ سابقًا (ص٥٣-٥٤) الى رئيس الرهبانيَّة اليسوعيَّة حيث يثني كل الثناء على الاب اليانو ويطلب منهُ ان يرسلهُ ثانياً الى لبنان وهناك يقول: « انهُ (اي الاب اليانو) قرأ فرائض من كتبنا ووجد فيهم اشياء كثيرة غلط » . وجاء مثل ذلك في تقرير الاب اليانو الذي قدَّمهُ للحبر الاعظم وفيهِ يذكر الكتب التي وقف عليها فوجدها ملوَّثة بالاضاليل على انَّهُ لم ينسب ذلك الى سوء نيَّة او هرطقة صوريَّة بل الى الجهل وبعض الظروف فقال (ص٢٩) : « انَّهُ بتمادي الزمان وبسبب اختلاطهم مع الامم والطوائف المخالفة لدينهم قد تسرَّبت الى كتبهم بعض الاضاليل ودخل في طقوسهم ورتبهم بعض الشوائب التي سبَّبها قلَّة المعلّمين الذين يُعنَون بارشادهم . . . وقد دوَّنَّا هذه النصوص المضادَّة للحقائق الكاثوليكيَّة » . ونحن بيَّنَّا سابقاً انَّهُ يوجد الى اليوم في مكاتب اوربَّة مخطوطات مارونيَّة كالتي وصفها الاب اليانو . وكفى بهذا تزكيةً لذلك الرجل العظيم الذي تشهد لهُ كلّ آثارهِ الباقية الى اليوم وتنبئ بغيرتهِ في خدمة الطائفة المارونيَّة ولو لم يكن لهُ من الفضل الَّا سعيهُ في انشاء المدرسة المارونيَّة في رومية لكان ذلك اكبر دلائل محبتهِ نحوها

(لهُ تابع)

# مطبوعات شرقيّة جديدة

**Aug. Périer:** 1°) Yahiâ Ben Adi, un Philosophe arabe Chrétien du Xe Siècle - 2°) Petits traités apologétiques de Yahiâ ben Adi avec traduction française. 2 *vol. in*-12. *pp.* 228 *et* 135. *Paris J. Gabalda et Paul Geuthner*, 1920

الفيلسوف النصراني العربي يحيى بن عدي ومقالاتهُ

لله الشكر الذي أوحى الى حضرة الكاهن اوغسطين پيريه بتوجيهِ نظرهِ الى احد مشاهير فلاسفة النصارى في القرن العاشر ألا وهو الشيخ ابو زكريَّا يحيى بن عديّ اليعقوبيّ النحلة إمام العلوم المنطقيَّة في القرن العاشر للمسيح. فانَّ هذا الرجل العظيم الذي عارض بسعة علمهِ ووفرة مصنَّفاتهِ ابا نصر الفارابي والشيخ الرئيس ابن سينا كما يتَّضح من جدول مؤلفاتهِ التي سردها ابن ابي اصيبعة في كتابهِ تاريخ الاطبَّاء وابن القفطيّ في اخبار الحكماء وابن النديم في الفهرست قد بلغ في العلوم النصرانيَّة مبلغاً قلَّما بلغهُ احد من اهل ملَّتهِ فصبرت تآليفهُ الدينيَّة هذه على آفات الدهر بخلاف غيرها من تآليفهِ وقد اسعدنا الحظّ بنشر بعضها في مجلَّة المشرق الَّا انَّ عدداً عديداً منها لم يزل متزوياً في بطون المكاتب الكبرى ولاسيما في باريس ورومية حيث كنَّا استنسخنا منها قسماً. وقد اطَّلع عليها في هذه السنين الاخيرة حضرة الكاهن پيريه فأُعجب بها واتَّخذها مادَّةً لتأليفين قدَّمهما لجامعة باريس لينال بهما امتيازات الملفنة. فترى في الواحد تعريف ذاك الفيلسوف النطاسيّ وترجمة حياتهِ وجدول تآليفهِ المفقودة والباقية مع انتقاد ما لم تأخذه يد الضياع انتقاداً علمياً بناهُ على اصول اللاهوت والفلسفة الراهنة مميّزاً ما في تآليفهِ من القوَّة والضعف ومن الغثّ والسمين مقرّاً بسموّ فضلهِ وسعة مداركهِ في عاصمة الدولة العبَّاسيَّة حيث امكنهُ رغماً عن دينهِ ان يُلفت اليهِ نظر اهل زمانه امَّا الكتاب الآخر فقد ضمَّنهُ ثماني مقالات لاهوتيَّة جدليَّة ليحيى بن عدي في اثبات اخصّ العقائد النصرانيَّة مع ترجمتها الى اللغة الفرنسويَّة وقد ذكر هناك ما سبقنا ونشرناهُ منها في المشرق. وقد اضاف الى المقالات خلاصة جواب ابن عديّ على اعتراضات فيلسوف العرب يعقوب الكندي على النصرانيَّة وختمها بجدول

الالفاظ الفلسفيَّة التي لابن عديّ مع ترجمتها الى الفرنسويَّة . فترى ما في هذين الكتابين من الفوائد الجليلة التي من شأنها ان تزين مكاتب المستشرقين والشرقيين

LES SAINTS : **S^t Jean Berchmans** ( 1599 - 1621 ) par HIPPOLYTE DELEHAYE. S. J., *Paris, V. Lecoffre-Gabalda*, 1921, *pp.* 170

ترجمة القديس يوحنَّا بركمانس

أَلَّف هذا الكتاب حضرة الاب ديلهاي البولنديّ الشهير في ايَّام الحرب الاخيرة وهو ملقى في الحبس بتهمة الالمان المستولين على وطنهِ بلجكة ثمَّ اعاد فيه النظر بعد نجاتهِ فنشرهُ بنسبة الاعياد المقامة في هذه السنة لاكرام القديس بركمانس ونظمهُ في مجموع تراجم جديدة للقديسين يراقب نشرها احد اعضاء الاكادمية الفرنسويَّة المسيو هنري جولي (H. Joly) تحت اسم «القديسون» ( Les Saints ) وكلُّها مكتوبة بقلم مشاهير الكتبة جامعةً بين صدق الرواية وبلاغة الانشاء فكفى باسم الاب ديلهاي تنويهاً بفضل هذه الترجمة الجديدة التي كتبها بقلب مفعم حبًّا لوطنهِ ولخير الشبَّان وطلبة المدارس الذين يجدون في يوحنَّا بركمانس مرآة كلّ فضائل الناشئة الكاثوليكيَّة ل . ش

**Ed. Driault** : LA QUESTION D'ORIENT depuis ses origines jusqu'à la Paix de Sèvres (1920), *Paris. F. Alcan, 8^e éd., XV*-479, 1921

المسألة الشرقيَّة

لهذا الكتاب شأن عظيم لأنَّهُ وحدهُ يشمل بنظرهِ سائر المسألة الشرقيَّة ولا عجب انهُ بلغ طبعتهُ الثامنة . ومع اقرارنا بفضل المؤلف في اقسامهِ الجوهريَّة قد وجدنا في دقائقهِ عدَّة اغلاط كان يسهل على صاحبهِ ان يتحايدها فصحَّف مثلًا (ص٨) اسمي اجنادين والقادسيَّة فكتبهما (Aïznadin, Kadéniah) . جعل برابرة افريقية من عنصر سامي (ص٤٩) . زعم ان لا سنَّة للشيعة غير القرآن وان المعتزلة ينكرون وحي القرآن (ص ١٠) . ومن رواياتهِ الغريبة انّ السلطان سليماً وجد في اليمن رجلًا من سلالة العبَّاسيين فباع منهُ حقوق الخلافة (ص٢٨) . وقد خلط (ص١٥٣) بين الامير بشير الثالث ابن قاسم ملحم وبشير الثاني المالطيّ الكبير . وهناك عدَّة تواريخ غير مضبوطة . فهذه الشوائب من شأنها ان تمنع المدارس من اتخاذ كتابهِ كدستور للتعليم .

ولا نظنّ ان ارباب السياسة يوافقونهُ على ما كتبهُ (ص٤٤١–٤٤٣) عن مصير الاستانة اذ يريد ان تُعطى ملكاً لليونان الاب ه . لامنس

**J. Vandervorst** : Israël et l'ancien Orient (Préface du Cardinal Mercier). *Bruxelles, Devitt*, 1915. *XVI-424, pp., in-8°, 9 pl. hors texte, nombreuses figures et une grande carte à part.*

الشعب الاسرائيليّ والشعب القديم

يسرُّنا ان نفيد قرَّاءنا الكرام عن صدور هذا الكتاب النفيس الـذي ظهر في ايَّام الحرب فتأخَّرنا عن وصفهِ . وضعهُ احـد تلامذة المدرسة الكتابيَّة في القـدس الشريف الكاهن ڤندرڤرست الملفان في الـلاهوت والمعلم في مدرسة مـالين الاكليريكيَّة وقد ضمَّنهُ من تاريخ بني اسرائيل في الشرق القـديم ما يحتاج اليهِ كهنة زماننا وذلك على نسق مدرسيّ واضح قريب المنال فنوصي بهِ طلبة المدارس الاكليريكيَّة ونتمنَّى ان يعرّبهُ احد كهنة وطننا او يحذو حذوهُ اذ ليس في لغتنا ما يوقفنا على تاريخ بني اسرائيل في نور الاكتشافات الحديثة التي توضح كثيرًا من اسرارهِ . والكتاب المذكور يسدّ هذا الخلل ويفيد من هذا القبيل عموم اهل وطننا . وقد قسمهُ المؤلف الى ستَّة اقسام تتناول تاريخ شعب الله من اصلهِ الى عهد ملوكهِ ثمَّ من الملوك الى فتح الاشوريين للسامرة ثمَّ منهُ الى جـلاء بابل ثمَّ من الجلاء الى الاسكندر ثمَّ من الاسكندر الى دخول پومپيوس الى اورشليم سنة ٦٣ق م ثمَّ من عهدهِ الى كسرة بركوكب سنة ١٣٥ب م ويلي هذه الاقسام عدَّة ملحقات مفيدة اوَّلها رسالة من رسائل تلّ العمارنة ثمَّ كتابة الملك ميشا ثمَّ جداول ملوك الكلدان وبابل واشور وفراعنة مصر وملوك اليهود والسلوقيين . وفي آخرهِ خارطـة كبيرة لا تحتوي مع كبرها الَّا اعلاماً قليلة . ولنيافة الكردينال مرسيه مقدَّمة في صدر هذا الكتاب حرَّرها في وسط ميدان الوغى الاب س . ر

**Sir Percy Sykes** : A History of persia, 2d ed. London, Macmillan and C°, 2 vols., 1921, 8°, XXVIII-563 et XX-594 pp., cartes et illustrations.

تاريخ العجم

هي هديَّة نفيسة اتحفنا بها متولّي طبع هـذا الكتاب بمجلَّدين ضخمين ضمَّنهما السير پرسي سيكس تاريخ العجم منذ اصولهِ الى عهدنا . وقـد كان طبعهُ اوَّلا قبل

ستّ سنين اذ كان ضابطاً . ثمّ كرّر آخرًا طبعهُ بعد ترقيتهِ الى رتبة جنرال واضاف اليهِ تاريخ العجم الى زماننا حتّى اواخر الحرب الكونيَّة . على ان الله قد توفّى الجنرال قبل نهاية طبعهِ فقامت قرينتهُ المصونة بهذا العمل احسن قيام. والحقّ يقال انَّ المؤلف خدم وطنهُ بتأليفهِ خدمةً مشكورة اذ لم يكن قبلهُ للانكليز سوى تاريخ مَلكولم المطبوع قبل مئة سنة بنيّف فسدًّا لهذه الثلمة عُني بتصنيفهِ مع انتظامهِ في الجنديَّة ليستفيد منهُ ضبَّاط دولتهِ وقناصلها . ولذلك نهج فيهِ منهجاً عملياً يرشدهم في تصرُّفهم . وهناك جدول واسع للتآليف التي راجعها في وضع تاريخهِ وتحقيق معلوماتهِ. فاخذنا العجب من وفرتها حتّى كاد يستوفي مجموعها . وزد على ذلك انَّهُ استشار في وضع كلّ قسم من كتابهِ الاختصاصيين من مواطنيهِ واستفاد خصوصاً من ملحوظاتهِ الشخصيَّة اذ قضى في العجم ٢١ سنة حتَّى ادرك مكنونات صدور اهلها وامتزج بهم امتزاج الماء بالراح . ومن ثمّ يمكننا ان نثق برواياتهِ ملءَ الثقة وان لم يقصد بكتابهِ العلماء الاختصاصيين بل جمهور الوطنيين . وينتهي المجلَّد الاوَّل الى تاريخ هارون الرشيد . وخصَّص ١٦٠ صفحة من الثاني لتاريخ الحرب الكونيَّة في جهات العجم . ويزين هذا الكتاب تصاوير عديدة فوتغرافيَّة وغيرها منها في المتن ومنها على حدة وهي اشبه بمتحفٍ يمثّل للعيان احوال تلك البلاد . وزد عليها سبع خوارط بديعة اربع في المتن وثلثاً خارجة عنهُ الواحدة منها تمثّل الشرق الادنى مع اسماء بلدانهِ القديمة والثانية تحتوي وصف العجم الحاليَّة وافغانستان والثالثة جزيرة العرب وفقاً للاكتشافات الحديثة . فكفى بهذه الاسطر بياناً لمحاسن هذا الكتاب الذي يقوم مقام مكتبة واسعة توقفنا على كلّ احوال العجم . ومن ثمّ لم نستغلِ ثمنهُ البالغ ٣جنيهات ونصف للمجلّدين

س . ر

**P. Loti :** La mort de notre chère France en Orient. 1 *vol*, *in*-16, *Paris*. *Colmann-Lévy*, 1920. *Prix*, 6fs,75

آخرة فرنسة في الشرق

عُرف پيار لوتي منذ زمن طويل بميلهِ الى تركيّا قبل الحرب وفي اثنائها . وقد ثبت على سياستهِ هذه حتّى بعد الحرب فانّهُ صنَّف اربعة كتب ليدعو وطنهُ الى مصالحة الاتراك . وهذا الكتاب الذي ظهر في العام الماضي اشبه بصوت النفير يكرّر

فيهِ الالحاح على مواطنيهِ لمصافحة تركيَّة فتراهُ في كلّ تآليفهِ يدقّ على هذه النغمة.
وسنعلم قريباً ما سيؤول اليهِ امر البلاد

**Rouillon :** POUR LA TURQUIE. Documents, 2^e *éd., Paris. Grasset ,* 1921. 1 *vol., in-18, Prix* 4 *frs*

مآثر لجانب توركيا

المسيو روليون احد جنود فرنسة في الشرق ما رسخت قدمهُ فيهِ حتّى انكشفت امامهُ حياة اهليهِ واحسّ بما تغلّب عليهِ من الاوهـام في حقّ المشرق قبل قدومهِ الى تلك البلاد. وصمَّم العزم على ايقاف اهل بلادهِ على حقائق الامور عند عودته الى الوطن. والحقّ يقال انَّهُ ما لبث بعد الاعلان بالصلح ان قـام بهذا الامر منتصراً للحقّ وللعدل معاً. وكان المسيو روليون قبل خروجهِ من فرنسة يتصوَّر الاتراك على غير حقيقة احوالهم فلمَّا اضطرَّتهُ واجبات الحرب الى التقرُّب منهم في اوطانهم وجد فيهم من الصفات ما حبَّبهم اليهِ وبعد عودتهِ الى بلادهِ صنَّف هذا الكتاب لوصف مزاياهم وشمائلهم الحسنة وهو بذلك يوافق ما كتبهُ پيار لوتي ودي فارير وطارو اخوان. ونحن لا نعارضهُ في كثير ممَّا كتبهُ الَّا انَّنا نراهُ ايضاً كالمذكورين قد تسرَّع في حكمهِ ولو عاشر الاتراك زمناً مديداً لرأى فيهم من الخلال ما لم يستطبهُ واعلن بهِ كثيرون ممَّن عرفوهم حقّ المعرفة ج. لوقنك

**Sokolov** (D^r Boris) : Le Voyage de Cachin et de Frossard dans la Russie des Soviets (Faits et Documents), traduit du russe par **Lydia Krestovsky.** 2^e *éd., Paris, J. Povolosky et C^ie. in-8^e, Prix* 6^fs,50

رحلة كاشين وفروسار الى روسيَّة ومعاينة السوفيات

انَّ الانقلابات السياسيَّة التي حدثت في روسيَّة استدعت الاشتراكيين الغربيّين ان يوفدوا اليها في صيف السنة المنصرمة وفوداً ليقفوا على احوالها. لكنَّ المتولّين على امور روسيَّة خافوا من تلك المراقبة واسرعوا الى استقبال تلك السفارات وراقبوا اصحابها الى الامكنة التي اعدُّوها لهم دون ان يسمحوا لهم بمعاينة الاهلين وفحص الامور بذاتهم لئلَّا يطَّلعوا على صحَّة احوال الدولة فينشروها في بلادهم بعد رجوعهم. الَّا انَّ الفرنسويَّين المدعوَّين كاشين وفروسَّار افرغا كنانة جهدهما لكي يخرجا من تلك الدائرة الضيّقة فتمكنَّا من غايتهما واجتمعا على قدر استطاعتهما

خفيةً بكثيرين من سكَّان روسيَّة من جميع الطبقات ونقلا معلوماتهما فنشراها في هذا الكتاب وبيَّنا في ايّ هوَّة اصبحت روسيَّة وانَّ الشعب الذي كان لينين واصحابهُ وعدوهُ بالمواعيد البالغة هو اليوم على وشك البوار ج.ل

**Landau-Aldanov** (M. A) : LÉNINE, 1 vol. in-8°, 4ᵉ éd., Paris, J. Povolozky et Cⁱᵉ, s. d., Prix 6ᶠʳˢ,50

لينين ضابط الجمهوريّة الروسيَّة

منذ ضبط لينين زمام الامور في روسيَّة تعدَّدت في وصفهِ الكتابات ولعلّ هذا الكتاب احسن وادقّ ما كُتب عنهُ وهو لأحد مواطنيهِ الواقف على عجرهِ وبجرهِ والمطَّلع على كل امور البولشفيين . ويؤخذ من مضامينهِ انَّ لينين ليس بيهودي ولا الماني مثل كثيرين من ذوي حزبهِ وانَّ اسمهُ الصحيح ايليتش دوليانوف ولد سنة ١٨٧٠ في سِنبرسك وكان ابوهُ مستشار الدولة واحد عمَّال وزارة المعارف فسعى بتهذيب ابنهِ وتعليمهِ الدروس الشرعيَّة لكنَّ الشاب مال الى اهل الثورة اقتداء باخيهِ الذي حُكم عليهِ بالإعدام لمكيدةٍ كادها ضد حياة القيصر اسكندر الثالث . فجرى لينين على مثالهِ وانتظم في سلك الاشتراكيين الذين تفرَّعت منهم البولشفيَّة فأُوقف ونُفي من وطنهِ . وفي الحرب الاخيرة حبسهُ النمساويُّون ثمَّ اطلقوا سراحهُ فذهب الى سويسرة واندمج بمشاغبيها . ولمَّا حدثت في روسيَّة ثورة ١٩١٧ عاد الى وطنهِ وتصدَّر بنفوذهِ في مجلس امَّتهِ حتَّى نيطت بهِ الامور وصار صاحب الحلّ والربط . ويصرّح المؤلف في هذا الكتاب بدهاء لينين ومكرهِ واتّخاذهِ كلّ الوسائط مهما كانت قبيحة لبلوغ غايتهِ فاصبحت روسيَّة بفظاظتهِ وجورهِ منقعاً للدم وهبطت بعد عزّها لاسفل دركات الذلّ والهوان ج.ل

## فرض العبادة الواضحة لطالبي الميتة الصالحة

طُبع ثانية بنفقة وعناية الاديب ميخائيل افندي رحمه

بيروت سنة ١٩٢١ (ص٢٩٧)

لم تقلّ هذه الطبعة الجديدة عن الطبعة السابقة حسناً واتقاناً مع ما يلقاهُ الطابعون من المشقَّات لغلاء الموادّ المطبعيَّة وانَّما اراد جناب متولي طبعهِ ان ينشرهُ في اوَّل قدوم سيادة باسيليوس قطَّان مطران بيروت الجديد على طائفتهِ لينال باكورة بركاتهِ وقد

تقبّــل سيادتهُ هذه الهديّةَ الثمينة وارسل اليهِ من القاهرة رسالة اثنى فيها على غيرتهِ ونشاطهِ تجدها في اوّل الكتاب وكنّا لولا ضيق المكان اثبتناها بحرفها الشائق

## خواطر روحيَّة

للقس واصاف كرم اللبناني

بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) ١٩٢١ (ص ٩٥)

هي خطب مختصرة القاها حضرة المؤلف في اديرة اخوتهِ الرهبان لبنيانهم الروحي وتعزيز دعوتهم السامية في قلوبهم فعساها تثمر في تلك التربة الجيّدة اثمارًا شهيَّة تبلغ الستّين والمئة وتبهج نظر السماء وتعود على الطائفة والوطن بالخيرات العميمة

## التربية في العائلة

للمسيو فيلكس توما عرّبهُ عن الافرنسيَّة وديع رشيد شهاب

طُبع بمطبعة طبَّارة في بيروت سنة ١٩٢١ (ص ٢١٩)

هذا الكتاب من اوسع واجمع ما نُقل الى يومنا الى العربيّة في التربية العائليَّة وقد راجعنا بعض فصولهِ فرأينا المؤلف حسن نظر واعتدالًا في امور تهذيب الاولاد. فهو يستقري احوال الابوين في اختلاف مقامهما في المجتمع الانساني ويتتبَّع اطوار حياة اولادهما منذ اوّل نشأتها الى اقترانهم بالزواج ويراقب سلوكهما معهم في تربيتهم المادّيَّة والادبيَّة والدينيَّة والمدنيَّة فوجدناهُ في كلّ ذلك ناهجاً نهجــاً موافقاً للروح العصري دون تطرُّف. واخصُّ ما رمى اليهِ كشف زلّات الوالدين في تلك التربية وجهلهما غالباً قواعدها الصحيحة. ولسنا نقول انَّ الكاتب مُصيب في كلّ اقوالــهِ وانَّما يوضح آراءَهُ بكل صدقٍ واستقامة. فلا بأس من اعتبار كلامهِ بتروٍ والعمل بهِ بفطنة وعلى كل نشكر جناب الامير معرّب هذا الكتاب المفيد ل. ش

# شذرات

﴿ الحمّي الملاريَّة وعلاجها عنــد العرب ﴾ لمّا احتلّ العرب في اوّل الاسلام انحــاء الهند والعراق وجدوا فيها بعض البــلاد الموبوءَة فأنهكتهم حمّياتها وطلبوا لها علاجاً. وقد روى ياقوت في مادَّة «حضوة» ما حرفهُ :

شكا قومٌ من اهل حضْوة الى عمر بن الخطّاب رض وباء ارضهم فقال: لو تركتموها. فقالوا: معاشنا ومعاش إبلنا ووطننا. فقال عمر للحارث بن كلدة: ما عندك في هذا؟ فقال الحارث: البلاد وبيئة ذات الادغال والبعوض هي عشّ الوباء ولكن ليخرج اهلها الى ما يقاربها من الارض العذبة الى تربيع النجم وليأكلوا البصل والكراث ويباكروا السمن العربيّ فيشربوهُ وليمسكوا الطيب ولايمشوا حفاةً ولاينامو بالنهار فارجو ان يسلموا فامرهم عمر بذلك»

﴿ الحُمَّى التيفوئيديَّة ﴾ قرأنا في جريدة علميَّة فرنسويَّة انَّ القرويين من اهل فرنسة اذا أُصيبوا بالحُمَّى التيفوئيديَّة ينجون منها بالعلاج الآتي: يعمدون الى طلاء (لبخة) من البصل يفرمونهُ ثم يسحقونهُ ثم يجعلونهُ على رجلي المريض بحيث يحيط بهما الطلاء تماماً ثم ينزعونهُ بعد سبع او ثماني ساعات فيشفى المريض من حُمَّاهُ. وقد اشاع هذا العلاج احد الكهنة الفرنسويين فاصاب نجاحاً عظيماً. وقد اثبتت لنا احدى راهبات المحبَّة في الثغر صحَّة ذلك بتجربتها

﴿ الجزء الثاني من الوقائع الماسونيَّة ﴾ مهما سعى صاحب هذه المجلَّة ان يبيّض الحبشيَّة الماسونيَّة فانَّهُ يُضيع صابونهُ. وفي هذا الجزء الثاني من التمويهات والخرافات والمدَّعيات الكاذبة ما اشرنا اليهِ في عددنا السابق. ولو اردنا تفنيد كل فصلٍ بفصلهِ لاتَّسع بنا المجال. وان كان صاحب الوقائع الماسونيَّة صادقاً فليردّ على كلّ ما نشرناهُ في كتابنا « الدرّ المصون في شيعة الفرمسون » حيث اوردنا نصوص ارباب العشيرة الدالَّة على نقضهم لأساس الدين والمجتمع الانساني في كلّ البلاد

﴿ الحيوانات الممثلة وتفاوتها في الذكاء ﴾ هو عنوان فصل في مجلَّة الهلال التي اعتادت نشر غرائب الامور دون تمحيصها ببودقة الانتقاد. وفي هذا الفصل اشياء كثيرة حاول الكاتب ان يقنع بها القرَّاء انَّ للحيوان الاعجم فهماً كالانسان فضرب مثال قرود وكلاب وافراس قضى اصحابها السنين لتعليمها بعض الحركات الشبيهة بحركات الانسان. وكلّ ما صحّ من ذلك لا يتجاوز بعض النباهة والذكاء الغريزي ليس الَّا. امَّا ما دلّ على عقل كالفرس الحاسب الذي صوّرهُ هناك (ص٩٥٤) فقد اثبتنا سابقاً في المشرق كيف استدلّ العلماء على حيلة صاحبهِ لتعليمهِ بعض اشارات الى ارقام توضع امامهُ. فكان الاحرى بصاحب الهلال ان يروي ذلك ولا يدّعي «انَّهُ تعلَّم الجمع والطرح والضرب والقسمة» فيضلّل القرَّاء بهذه السفاسف

﴿ البدلة اللاتينيَّة عند الموارنة ﴾ قلنا في جواب سابق (ص٤٧٦) انَّ البدلة

اللاتينيّة دخلت عند الموارنة في اوقات مختلفة بالتدريج بما اهداهم الكرسيّ الرسوليّ من البدلات المتعدّدة على يد المرسلين اللاتين. وقد اعترض علينا في ذلك من رومية حضرة الخوري لويس الخازن بقوله في انَّ ذلك يرتقي الى عهد اينوشنسيوس الثالث كما ورد في منشوره المؤرخ سنة ١٢١٥ حيث يقول (المجمع اللبناني ص ١٦٦): «راسمين للاحبار المقيمين ببلاد الموارنة ان يجروا في استعمال الملابس الحبريّة وشعارها اللازم لمقامهم حسب عادة اللاتينيين صارفين عنايتهم الى تطبيق كلّ ذلك على اصطلاحات الكنيسة الرومانيّة». (قلنا) اوّلاً ان الكلام هنا ليس عن عموم الكهنة بل عن الاحبار. (ثانياً) لا نظنّ انَّ هذا الكلام يتجاوز درجة الرخصة والسماح باستعمال الملابس اللاتينيّة. (ثالثاً) وعلى رأينا انّ ما اتّخذهُ خاصّة الاحبار الموارنة من اللاتين ما ورد ذكرهُ في مقالة حضرة الاب لامنس عن الاخ غريفون وجبل لبنان (في المشرق ١ [١٨٩٨] : ٥٨) «اعني الخاتم والتاج والعكّاز». (رابعاً) وما يؤيد قولنا ما كتبهُ الاب دنديني في سفارته الى لبنان سنة ١٥٩٦ حيث يقول في الفصل الرابع والعشرين من رحلته انّ بدلة الموارنة تشبه الغفّارة اللاتينيّة ثمّ يردف ذلك بقوله: انّ بدلتهم ليست كبدلتنا الّا ما يُرسل اليهم من رومية على تفصيل بدلتنا. وهذا نصُّهُ الواحد (في طبعة باريس سنة ١٦٧٥ ص ١١١):

Ils ne se servent point de Manipule ni d'Estole, et ils n'ont point de Chasubles semblables aux nostres, si ce n'est qu'on leur en envoye de Rome toute taillées à nostre façon. Mais au lieu de Manipule, ils portent sur les deux bras deux pièces de drap de soye ou de laine teinte, qui sont cousues à l'Aube, ou qui en sont détachées, et ils passent l'Estole à leur cou par une ouverture qu'ils y laissent, le reste estant joint partout. Elle est au moins large d'un bon demi-pied, et leur pend devant l'estomach jusqu'aux pieds. Ils prennent ensuite la Chasuble, qu'ils ne font point passer comme nous par la teste, ny descendre devant et derriere ; mais estant tirée de dessus les épaules pour la faire avancer sur la poitrine, elle joint en cet endroit, comme si c'était une Chappe, avec cette différence seulement qu'elle va jusqu'à terre par derriere, et non pas par devant

﴿ اديب الشوير ﴾ نُعي الينا من قصبة الشوير احد ادبائها المعدودين المرحوم جرجس همّام توفاهُ الله في وطنهِ في ٥ تموز المنصرم عن ٦٥ سنة. وقد فقدت بهِ الآداب احد رافعي منارها كمعلّم في مدارس بلادنا وكمؤلف عدّة تآليف مدرسيّة احرزت لمصنّفها شهرة منها ايضاحهُ على مقالات اقليدس في الهندسة الابتدائية وكتاب مدارج العلوم ومدارج القراءة ومعجم الطالب والكنوز الابريزيّة في اللغتين العربيّة والانكليزيّة وغير ذلك

# أسئلة وأجوبة

س سأل مستفيد القس ي.غ ما قولنا في كاهن عهد اليهِ المؤمنون توزيع حسنات قداديس ليقدمها هو او غيره من الكهنة على نيتهم فخدع برجلٍ غريبٍ ادَّعى الكهنوت ووكالة جمعيَّة قسوس كان يتجوَّل ومعهُ شواهد على استقامتهِ وصلاحهِ فسلَّمهُ الكاهن عدَّة حسَنات واخذ وصولها ثمَّ ظهر بعد ذلك مكر جامع الحسنات وتبيَّن انَّهُ نصَّاب ليس بكاهن. أفيجب على الكاهن المخدوع ان يوفي هو القداسات التي سُلِبَت حسناتها ؟

الكاهن موزّع حسَنات القداسات المخدوع

انَّ المجمع المقدَّس في قرارهِ المؤرخ في ٢٥ ايـار سنة ١٨٩٣ والـذي قيِّد بهِ الطوائف الشرقيَّة في ١٨ آب من تلـك السنة يأمر بألَّا يعطي الاساقفـة حسنات القدَّاسات لغير كهنة ابرشيَّتهم ما لم يعرفوا الكهنة الغرباء ولا ريب لديهم مطلقاً في صلاحهم ويتحقَّقوا بعد زمن معلوم وفاءَهم للقدَّاسات المذكورة

وفي قرار المجمع المؤرخ في ١٠ أيَّار سنة ١٩٠٤ يفرض المجمع على الكهنة الموزّعين لحسنات القدَّاسات ان يوفوا بذاتهم تلك القداسات اذا تأكدوا عدم وفائها لسبب من الاسباب كموت الكاهن قبل وفائها او غير ذلك من الحوادث

وقد جاء في الحقّ القانوني المطبوع حديثاً في البند ٨٣٣ انَّهُ من الواجب عـلى موزّع القدَّاسات أن لا يسلّمها الَّا لكهنةٍ يعرفهم حقّ المعرفة ولا شكَّ في صلاحهم ( omni exceptione majores ) او يستند في ذلك الى شهادة اسقفهم الخاصّ الموصي بهم . وفي البند ٨٣٩ انّ الكـاهن المكلّف بتوزيع القدَّاسات يبقى مقيَّدًا بوفائها الى ان يعلمهُ الكهنة ببلوغ الحسنات وقبولهم وفاءَها . ومن هذا يتَّضح انَّ الكاهن الذي خدعهُ النصَّاب لا يزال ملتزماً بوفاء الحسنات المفقودة ي . مونجان

س وسأل آخر ما معنى اسم الشوكولاتا ومن اين اصلها ؟

الشوكولاتا واصلها

ج اسم الشوكولاتا من لغـة الهنود في المكسيك وهي مركبة من كلمتين معناهما ماء شجرة الكاكاو ولمَّا دخل الاسبان الى المكسيك تعلّموا استحضارها منهم وادخلوها اوربَّة سنة ١٥١٣ كما ادخلوا قبلها التبغ الذي وجدوهُ شائعاً بين الوطنيين في العالم الجديد ل.ش

السنة التاسعة عشرة العدد ٩ ايلول ١٩٢١



# ادوار حياة النجوم

للاب رفائيل نخله اليسوعي

يكاد الراصد للنجوم الزُّهر التي رُصّعت بها الزرقاء ان يتصوّرها اجراماً نيّرة ثابتة اللمعان بل ثابتة المكان لا يطرأ عليها احد التغييرات والتطوُّرات التي تمتاز بها الاجسام الحيَّة . فشتَّان ما بين هذا الوهم والحقيقة الراهنة المنجلية في العشرين سنة الاخيرة باكمل جلاء على يد نوابغ الفلكيين ! وقصدُنا في هذه المقالة كشف النقاب عن هذه الحقيقة الغراء استناداً الى اصدق الارصاد واثبت الاختبارات والحسابات . وقد قسمنا هذه العجالة ابواباً شتَّى زيادةً للايضاح

## ١ طبقات النجوم الاربع

سبقت لنا الاشارة في مقالتنا على قياس بُعد النجوم الى ان نور تلك الكواكب اذا مرَّ بموشور مُثلَّث يتحلَّل على شكل مستطيل الى عدَّة الوان ترتسم على حاجز يوضع وراء الموشور ويُطلق على مجموعها اسم الطَّيف . وفي كل طيف على وجه العموم الوان قوس قزح السبعة يتخللها خطوط سوداء تختلف موضعاً وعَرْضاً بحسب ماهيَّة النور المحلَّل وبكلام آخر بحسب ماهيّة العناصر الكيماوية الداخلة في تكوين النجم المرصود . فكلٌّ من تلك الخطوط السوداء هو بمثابة شاهد ناطق بوجود عنصر معلوم كالحديد او الذهب في الكوكب المحلَّل نوره

ولمَّا قابل الفلكيُّون بَعد أَرصاد لا تُحصى بين آلاف من اطياف النجوم وقفوا على إمكان نظمها في اربع طبقات ليس الَّا لكل منها ميّزات بيِّنة . فطَيْف الطبقة

الاولى فيه النزر اليسير من الخطوط السوداء المختصَّة بعُنصُرَي الهيدروجين والهليوم ويكاد لا يوجد فيه ادنى اثر لخطوط المعادن . نضرب مثلًا على هذه الطبقة كوكبة الجوزاء او الجبَّار (Orion) وهي من اسطع ما يُرى على صفحات السماء من النجوم. وقد اشتهرت خصوصاً ببهاء نور فقارها ويدها الآخذين بمجامع القلوب

امَّا طيف الطبقة الثانية فانَّ خطوط الهليوم فيه اضعفُ وخطوط الهيدروجين اقوى وذلك دليل على كون الغاز الاخير هو الغالب في تركيب جوّ تلك النجوم . ثمّ ان خطوط المعادن المختلفة اكثر واعرض بدون قياس منها في الطبقة الاولى . ومن اشهر كواكب الطبقة الثانية الأبرق (Sirius) من نجوم كوكبة الشعرى اليمانيّة (Grand Chien) ثمَّ النسر الواقع (Véga) التابع لكوكبة الصَّنج او اللورا (la Lyre)

وطيف الطبقة الثالثة هو اغنى من السابقين بخطوط المعادن ولاسيّما الحديد وعنصر التيتانيوم وهذا معدن ذو حُمرة ضاربة الى الصُفرة وهو من اعصى المعادن على الذوبان. ومن هذه الطبقة نجم السِماك الرامح (Arcturus) من انور نجوم هذه الطبقة فضلًا عن كوكبة ضابط العنان (le Cocher) وعن شمسنا التي لا حياة ولا قوام للارض بدونها

اخيرًا طيف الطبقة الرابعة يفوق الكل بخطوطهِ المعدنيَّة بل يمتاز عن جميعها بخطوط مختصَّة بكثير من الموادّ المركَّبة كيماويًّا . على خلاف كل الخطوط المشار اليها حتى الآن المتعلقة بالعناصر او البسائط . ومن اهمّ تلك الموادّ المركبة أكسيدات بعض المعادن والسيانوجين (cyanogène) وهو غاز مركب من أزوت وكربون . نضرب مثلًا على نجوم هذه الطبقة كوكبة الجاثي (Hercule)

وخلاصة القول اننا اذا انتقلنا من طيف الطبقة الاولى منحدرين الى طيف الطبقة الرابعة لاحظنا نموًّا متواصلًا في عدد الخطوط وهو دليل على توفُّر العناصر في النجوم. وكذلك ثقل هذه العناصر فانهُ يزداد من طبقة الى طبقة على نمط مطَّرد اذ يزيد ثقل المعادن المكتشفة في الطيوف حتى ينتهي الى بعض الموادّ الكيماويَّة المركبة في الطبقة الرابعة

ومن غريب الامور ان لكل من الطبقات الاربع لوناً مميَّزًا فللأُوليَين البياض الناصع او الضارب الى الزرقة وللثالثة الصفرة الساطعة كلَّ يوم في شمسنا وللرابعة

الحُمرة او اللون النارَنجي. ويقال ان في مائة نجم ستين بيضاً وخمسة وثلاثين صفرًا وخمسة حمرًا

ولكن ليت شعري ما هو سرّ هذه الطبقات المتباينة ظاهرًا وباطناً لوناً وتركيباً. وهل هي بدون ادنى تغيير منذ خلقها رب النجوم او فيها بعض ما في الاجسام الحية من التطوُّرات البطيئة العديدة ؟ ذاك ما سنجيب عليه بالايجاز في الباب الآتي

## ٢ تطور النجوم او انتقالها من طبقة الى طبقة

مجرَّد هذا العنوان يدلُّ القارئ اللبيب على الشبه الغريب الواقع بين النجوم والاجسام الحيّة. فكما تُولد هذه ثم تجوز تدريجاً كل ادوار الحياة من طفولة وشباب وكهولة وشيخوخة وهرَم تُفضي بهِ الى الموت هكذا وُلدت الزُّهر يوم خلقها الباري عزّ وجلّ ثمّ تطوّرت منتقلة من دور الى دور حتى يدركها شبه الفناء. نعم انهُ أطلق عليها اسم الثوابت اشارةً الى جمودها لكنَّ ذالك محمول على الظواهر وفيهِ مغالاةٌ فاحشة. ولا شك في زوال ذلك التأثير متى وقف القارئ على جليّة الامر. فاني ساعرض عليه بغاية الايجاز نظريَّة العلّامة الانكليزي الفلكي الشهير سر أُكيِر (Sir Lockyer) مكتشف عنصر الهليوم في الطيف الشمسي سنة ١٨٦٩ اي ٢٦ عاماً قبل تحقيق وجود هذا العنصر في تربة الارض. فنظريّة أُكيِر آئلة الى تعليل الطبقات الاربع المذكورة سابقاً وكشف النقاب عن تتابعها في كلّ النجوم دون استثناء

وهاك اولّا الاختبارات الشهيرة التي استند اليها ذلك العالم. قد لاحظ انه اذا عُرض عنصر كيماوي معلوم على لهيبٍ بسيط ثم على سعير القوس الكهربائي واخيرًا على كبد الشرارة الكهربائية — ولا يخفى ان هذه ثلاثة مصادر متزايدة الحرارة — يتغيَّر عدد وشكل الخطوط الطيفيَّة بتغير ماهيّة مصدر الوَقود. فاستنتج من هذا الاكتشاف الخطير بجسارة عظيمة ان البسائط نفسها اذا أُلقيت في مصدر حرارة في غاية الشدّة تتحلّل الى عناصر اوليّة ابسط منها ( proto-éléments ). ورغماً مما كان اوانئذٍ في تصريح الفلكي الانكليزي من الغرابة حيث كان الكيماويون موقنين بامتناع تحليل البسائط فقد جاءت في اوائل العصر الجديد الاجسام المُشِعَّة

واشهرها الراديوم مصداقاً لصحّة مُدَّعى أُكير . فقد وجدوا ان عنصر الهليوم مثلاً متولّد من الراديوم مع ان كليهما بسيط في عرف ائمّة الكيماويين !

فملخَّص نظريّة لكير المؤسسة على تجاربهِ المشار اليها أَنَّهُ يُعلّل طبقات النجوم الاربع والتغييرات السابق ذكرها الطارئة على اطيافها تدريجياً بتغيير درجة حرارة النجوم في ادوار تطوُّرها المختلفة . واليك بعض الايضاحات على هذا التطوُّر

يرتأي أُكير مع لفيف الفلكيّين المعدودين ان كلَّ نجم يتولّد من تكاثف المادّة السديميَّة المنتشرة قبل ذلك في الفضاء . وانَ الجامع لشتاتها هو قوة الجاذبية التي تجعل ملايين الذرّات المتباعدة المتبعثرة تتهافت سريعاً متجهةً الى مركز مجموع تلك المادّة المتكوّنة منها . وفي هذه الحركة التكاثفيَّة يحدث بين تلك الذرَّات صدَمات يزداد عددها بازدياد التكاثف نفسهِ كما يلوح من اول وهلة . فينتج عن ذلك حرارة تنمو درجتها نموًّا متواصلًا الّا انّها لا تتعدّى حدًّا معلوماً . لماذا ؟ لان التكاثف اذا بلغ درجةً ما من الشدَّة لا يزيد بعدها الَّا بغاية البطوء فنموّ حرارة النجم التابعة لهذه الزيادة يقلّ بسبب تمهُّلها عن كمّية الحرارة التي يفقدها النجم بإشعاعهِ المتوالي . ومن البديهي ان الخسارة لا تزال تكبر حتى ينطفئ النجم بعد ادراكهِ معظم حرارتهِ وغاية ضيائهِ . فاذا شبَّهنا مبلغهُ ذلك بشباب الانسان — وما اصدق واجمل هذا التشبيه ! — فلا بُدّ من الاقرار بان لكل نجم ولادةً وطفولةً وشباباً وكهولةً وشيخوخةً وهرماً يعقبهُ موت كما يحدث في كل انسان . لعمري مَنْ كان في الجيل الاخير يتصوّر مثل هذه المجانسة العميقة بين اجرامٍ سمّاها الثوابتَ علماء الخافقين على توالي العصور وبين ابن آدم ولعلّهُ اكثر من كل ما سواه تغيّرًا وتطورًا في جسمه بل وفي نفسهِ !

فللكواكب اذًا على رأي أُكير دَوْران جوهريان تُقسم اليهما حياتها : دورُ نموّ متواصل في الحرارة يليهِ دور تناقص يفضي الى الانطفاء وهو بدون مراء موتٌ حقيقي لنيّرات السماء . ففي الدور الاول تنحلُّ العناصر المركَّبة الثقيلة الى ما هو ابسط واخفّ منها . وفي الدور الثاني تنضمّ الذرَّات المنفصلة بالتحليل فتعيد العناصر الاصلية . ثم يترتّب على وجود درجة حرارةٍ لا متجاوز وراءها في تطوّر كل نجم انَّ بعض الزُهر البالغة درجة حرارة معيَّنةً هي في دور النشوء والبعض الآخر في دور

النقصان والانحطاط غير ان كلَّ كوكب اجسم واكثف جرماً بدون قياس في الدور الاول منه في الثاني نظرًا الى دوام تكاثفه في اثناء تطوُّراته المختلفة المتتابعة

وقد ابتكر الفلكي الفرنسوي نُرْدْمَن (Nordmann) من نحو عام طريقةً مبنيَّة على البصريَّات لقياس درجة حرارة النجوم اسفرت عن نتائج أتت موءيدةً باجلى منوال لنظريَّة أكثير المبنية على التحليل الطيفي . ومنها ظهر باكمل بيان ان نجوم الطبقتين الاولَيين البيضاء او الزرقاء هي اشد النجوم حرارةً فسطحُ بعضها تفوق حرارتهُ على عشرين الف درجة من القياس المئوي والبيضاء احرُّ من الزرقاء . ذلك ما يفسّر لنا كون طيف الاولى يكاد لا يحتوي سوى خطوط الهيدروجين والهليوم امّا طيف الاخرى فانهُ يشمل زيادةً عن ذلك خطوط كثير من المعادن التي كانت هناك متحلّلة بسبب فرط الحرارة الى عناصر اولية ابسط منها مجهولة في كيميائنا الارضيّة (١

١) ان وجهة الكيمياء العصرية هي القول بوحدة المادّة رغماً من اختلاف خواصّ العناصر المعتبرة اوليَّةً وبسيطةً حتى اواخر الجيل المنصرم وقد جاءت الاكتشافات المتواترة في الاربعين سنةً الاخيرة موءيدًا قويًّا لصحة هذه النظريّة او اقلَّهُ لارجحيَّتها . وحسبنا هنا الاشارة الى بعض تلك الاكتشافات الغريبة : برهن الكيماوي الفرنساوي پليغو ( Péligot ) على كون معدن الاورانيوم مركّبًا . ومثل ذلك فعل فون وِلسباخ (von Welsbach) بخصوص عنصر الديديم (didyme) وكذلك أوربان (Urbain) اثبت تركيب الإيتربيوم (ytterbium) . ومن المعلوم ان بعض أملاح الراديوم المحلَّلة في الماء يتصاعد منها غاز لا يلبث ان يتحول في ظرف بضعة ايام الى عنصر الهليوم المعدود من البسائط ولم يكن من قبل ادنى اثر لهُ في تركيب ملح الراديوم المحلَّل . وحول السنة ١٩١١ صرَّح السر وليم رَمْسيه (Ramsay) النابغة الانكليزي بان الغاز السابق ذكرهُ يُحوِّل النحاسَ وهو من البسائط كما لا يخفى الى عنصرَين بسيطين آخرين اعني السوديوم والليتيوم

ولعلَّ اسطع الشواهد على صحَّة نظرية وَحْدة المادّة هو الآتي بيانهُ : من الشائع ان المرقب يُرينا في بعض جهات الجَلَد شبه سحائب ضاربة الى البياض يدعوها مجرَّةً أسفر التحليل الطيفي لنورها عن كون كلٍّ منها كتلةً هائلة العظم تحتوي على نحو ستة غازات متأججة مشعشعة منها الهيدروجين والهليوم وعنصر جديد لا يوجد في غير تلك الاجرام السماوية المدعوّة بالفرنساوية (nébuleuses) اي السحابيَّات فأُطلق عليهِ لذلك اسم نبوليوم (nébulium) . ومن جهة اخرى لا يختلف اليوم اثنان من الفلكيين في كون منشأ كل نجم هو من تلك السحابة وانَّ طيف النجوم ولاسيا الصفراء والحمراء يشمل خطوطًا عديدة شاهدة على وجود معادن كثيرة في النجم المحلَّل نورهُ . فيلزم حينئذٍ تأكيد كون هذه المعادن المعدودة بالعشرات والمعتبرة من البسائط تكوَّنت شيئًا فشيئًا من عناصر السحابيَّة الاصليَّة القليلة – ويرتأي العلماء انه لوكان

والنجوم الصفراء من الطبقة الثالثة كالشمس ظهرت دون كواكب الطبقتين الاولين حرارةً وفقاً لأقيسة نُزدمن. وذاك نقصان الحرارة(١ يوقفنا على سبب ازدياد خطوط المعادن في طيف تلك النجوم الصفراء فبهِ نرى خطوط الحديد والتيتانيوم والنيكل والكلسيوم والنحاس بيد ان خطوط الهيدروجين تصبح ضئيلةً الامر الدالّ على نقصان كثافة الجوّ الهيدروجينيّ المحيط بتلك الثوابت

اما النجوم النّارنجيّة والحمراء فقد اتضحت دون سائر النجوم حرارةً والحمراء دون النارنجيّة وقد عرّفتنا الاقيسة المتعدّدة ان درجة حرارة هذه كواكب الطبقة الرابعة تقارب معظم ما توّصلنا اليه على الارض اعني درجة حرارة القوس الكهربائي البالغة نحو ٤،٨٠٠ درجة من المقياس المئوي. فبذلك وقفنا على سبب تضاؤل ثم تلاشي خطوط الهيدروجين في طيف تلك النجوم وازدياد الخطوط المعدنية بل ظهور خطوط جديدة مختصّة ببعض الموادّ الكيماوية المركبة ولاسيما أكسيدات بعض المعادن ثم السيانوجين

واذا عُدنا الآن الى مقابلتنا السابقة بين ادوار حياة النجم والانسان لاحَ لنا كالشمس في الضحى ان الانجم البيضاء والزرقاء في عنفوان شبابها والصفراء في سن الكهولة والنارنجية في الشيخوخة والحمراء في منتهى الهرم على وشك الانطفاء. لعمري ما اعظم واجمل المشاهد الجديدة التي يرفع العلم عنها النقاب فتنجلي بحسنها الفتّان وجلالها الساحر امام انظارنا الطَرِبة المنذهلة ايَّ انذهال!

امّا طول ادوار حياة تلك الثوابت فحدّث عنه ولا حرج اذ ان بعض ائمّة

---

لدينا مصادر حرارة تضاهي ما بالنجوم ليسر علينا تحليل كلّ البسائط واعادتها الى عنصر اوّلي واحد يرجّح كونه الهيدروجين

وبناء على كل هذه الاكتشافات الحديثة المتضافرة لتأييد وحدة المادّة فحجَرُ الفلاسفة المعروف ايضاً باسم الحجر الكريم الذي طالما أجهد كيماويو القرون الوسطى ولاسيما العرب فكرهم الوقّادة وبذلوا مساعيهم واموالهم للحصول عليه بقصد تحويل كل المعادن الى ذهب لم يكن امرًا مستحيلاً كما وهم سواد العلماء في القرون الاخيرة حتّى غرّة الجيل العشرين. اما الآن فقد شاعت نظرية وحدة المادّة شيوعاً ينبئنا بظفرها التام في المستقبل القريب. (راجع الصحيفة ١٩٨ من عدد آذار للمشرق)

١) هذا النقصان نسبي فان درجة حرارة الجوّ الشمسي تبلغ بعض الاحيان ٨,٠٠٠ درجة من القياس المئوي!

الفلكيين كالكاهن الفرنسوي مورو (Moreux) يقدّرون ان مدّة كل منها تتراوح مليون عام ومليون جيل !

طريقة تُزدمن لقياس درجة حرارة النجوم جاءت بالشواهد الساطعة على صحّة نظريّة لُكيِر اعني تناقص الحرارة تدريجياً من الطبقة الاولى الى الرابعة او بعبارة اخرى من دور البياض الذي يبلغ فيه النجم معظم حرارتهِ الى دور الحمرة وهو المنبئ بالانطفاء القريب

ومُعظم درجة الحرارة تختلف باختلاف النجوم ولاسيّما باختلاف ثقلها . فبازدياد هذا تزداد قوة تجاذب ذرّات النجم في تكاثفه فتكثر الحرارة الناجمة عن تصادم تلك الذرّات كما سبقت الاشارة . ومن جهة اخرى فكميّة الحرارة التي تخسرها الكواكب بالاشعاع تنقص بمقدار عظم ثقله . كما ان المكواة تحفظ حرارتها مدة يزيد طولها بنسبة وزن المكواة — وبناء على ذلك فكما انه يوجد كواكب اثقل من الشمس زاد معظم درجة حرارتها عمّا كان في ماضي شمسنا هكذا نعرف نجوماً اخفّ من الشمس لم تدرك ولن تُدرك درجة حرارتها حاضراً مع انها بعيدة عن درجة الحرارة العظمى المنقضي زمانها منذ آلاف اعوام

ومن اغرب الامور لأول وهلة ان كل النجوم التي وزنها الفلكيُّون بميزان أَرصادهم وحساباتهم العميقة لا يوجد بينها ما يفوق ثقل الشمس تفوُّقاً يقارب مليون ضعفٍ مثلاً . وذلك من الغرابة بمكان نظراً الى عدد النجوم الهائل . فقد حدس بعض ائمة علم الهيئة ان خارطة الجلَد المبنيَّة على التصوير الشمسي التي يتضافر منذ سنين عديدة اعظم مراصد العالم على رسمها ستشمل عشرة ملايين كواكب !

ومَّا اوضحهُ من مدَّة قريبة المستر ادكتن (Eddington) النقَّاب عن السرّ العجيب السابق ذكره ما معناهُ قال : ان في باطن الكرة النجمية قوَّتين متعاكستين الاولى دافعة عن المركز ( centrifuge ) وهي ناجمة عن كون النور يُحدث ضغطاً على الذرّات المعترضة لهُ في طريقهِ وقد صاغ العلماء دواليبَ بغاية الصغر تدور بمجرَّد قوة النور في وعاء فُرّغ من الهواء لتسهيل الدوران . اما القوة الثانية فهي التجاذب العامّ الجاذبة كل اجزاء النجم الى مركزه (centripète) . وقد عرف ادنكتن بالحساب ان القوة الجاذبة تساوي عشر مرات بنيف القوة الدافعة في الكواكب التي

ثقلها اقل من نصف ثقل الشمس . امّا التي وزنها عشرة اضعاف وزن الشمس فتتساوى فيها القوّتان المتضادتان . وبناء على ذلك لا عجب في عدم وجود كواكب ثقلها مليون ضعف ثقل شمسنا فلو وُجدت لتشتتت بعد قليل كل ذرّاتها شذر مذر بسبب التفوّق العظيم لقوة النور الدافعة على قوة التجاذب . وخلاصة القول ان الفرق بين اكبر النجوم واصغرها لا يزيد نسبةً عن الفرق بين العلوج والزعانف في العائلة البشرية

*

وقد سبق لنا القول ان بعض الزُهر البالغة درجةً معيّنة من الحرارة هي في دور النشوء والبعض الآخر في دور النقصان غير ان حجم كل كوكب اعظم كثيرًا في الدور الاول منه في الثاني نظرًا الى دوام تكاثفه . وما عسى ان تكون درجة سطوعهِ في هذين الدورين من حياته ؟ في دور النمو اعني عند ازدياد حرارتهِ يزداد معها مقدار لمعان او اشعاع كل متر مربّع من سطحه بيد ان هذا لا يزال يتناقص بسبب التكاثف فينتج من توازن زيادة الإشعاع ونقصان السطح المُشعّ ثباتُ درجة لمعان الكوكب في دور نشوئه اي حتى بلوغ اللون الابيض . امــا في دور نقصــان الحرارة فالاشعاع ومساحة السطح يصغرانِ معاً بالتدريج فيترتب على ذلك تناقص متواصل في درجة اللمعان

وقد جاءت أرصاد عديدة دوّنها مؤخرًا الاستاذ رُسِل (Russel) مصداقاً يؤكد لنا صحة الاعتبارات السابقة التي هي بمثابة مُلحق لنظريّة لكير واليك بيان ذلك

من المعلوم ان الفلكيين قسموا الكواكب الى نحو ١٨ طــائفة بحسب درجة لمعانها سواء كان ظاهرًا للعيان او محجوباً عن الانظار لكن كافياً لــلتأثير في جُلَيْدة جهاز التصوير الشمسي . ثم انهم عرفوا بالحساب بناء على معرفة المسافات الفاصلة بين الارض وكثير من النجوم ماذا تكون درجة لمعان كلّ منها اذا جُعلت كلها على بعدٍ واحد معلوم من ارضنا . فلنفرض ان الشمس يكون لهــا في هذه الظروف الدرجة الخامسة من الــلمعان . فالارصاد المشار اليها سابقــاً اعلمتنا ان درجة سطوع النجوم التابعة لكل من الطبقات الاربع تكون حينئذٍ امــاً ثابتة على وجه التقريب وهي الدرجة الاولى اي معظم الــلمعان وامّا متناقصة بالتدريج من الدرجة الرابعــة الى الحادية عشرة وفقاً لطبقة النجم . ومن البديهي ان نجوم الطبقــة الاولى اعني البيضاء

هي التي في الدرجة الرابعة من السطوع او في ما دونها قليلًا بخلاف كواكب الطبقة الرابعة الحمراء التي في الدرجة الحادية عشرة او في ما يعلوها يسيرًا

وماذا يُستخلص من كل هذه الارصاد الغريبة ؟ ان النجوم المحصاة في الدرجة الاولى هي التي في دور نشوئها . وقد بيّنا آنفاً بمجرّد الحجّة العقليّة ان درجة لمعانها تبقى اوانئذ بدون تغيير بسبب التوازن بين ازدياد الاشعاع التابع لنموّ الحرارة ونقصان مساحة سطح الكوكب الناجم عن تكاثفه . اما النجوم المتراوحة بين الدرجة الرابعة والحادية عشرة بحسب طبقتها فهي التي في دور النقصان والانحطاط . وقد سبق لنا البرهان على التناقص المتواصل في لمعانها بداعي معيّة نقصان الاشعاع وتصاغر المساحة السطحية — ثم ان نجوم الدرجة الاولى ذات عظم جبّاري نسبة الى القسم الاخير من الثوابت لان مدة التكاثف أقصرُ فيها بدون قياس . والحالة هذه أفليست الارصاد الحديثة من اوضح الشواهد على صحّة نظريّة العلّامة لُكير وقد ابتكرها بعد نحو ثلاثين عاماً من الاشغال والدروس التي تعجز دونها عزائم الابطال

ويليق بنا قبل ختم هذا الباب إلفات الانظار الى ان الشمس في اعتباراتنا السابقة هي في درجة اللمعان الخامسة . ولمّا رأينا ان الكواكب التي في دور النشوء حائزة على الدرجة الاولى في طول مدّة ذلك الدور فالنتيجة الواضحة هي ان الشمس في دور النقصان . ويؤيد ذلك كونها ذا لون اصفر وهو المميّز للطبقة الثالثة وهي وسط دور الانحطاط . وان مسّت الحاجة الى تأييد آخر فهو كون ثقل الشمس النوعي يوازي مرّةً ونصف ثقل الماء وذلك اجلى دليل على كون تكاثفها بلغ درجة شديدة لا احتمال لوقوعها بدور النشوء . وبهذا الصدد اذكر نُكتةً لطيفة للفلكي الفرنساوي الشهير نُردمن المنوّه به سابقاً حيث قال في معرض كلامهِ عن انحطاط الشمس: « ان اوقاتها معدودة اعني آلافاً من الاجيال ! »

## ٣ نسبة عددي النجوم النامية والمتناقصة

هذا المشكل العويص طرق بابه اخيرًا المسيو كوملين (Crommelin) وسبب صعوبة حلّهِ كون النجوم النامية اكبر واسطع من سواها كما رأينا في الباب السابق . فهي ترسل لنا نورها من مسافات ابعد كثيرًا من غيرها التي تستطيع ان تبعث الينا

اشعَّتها . فيتعذر علينا والحالة هذه ان نجد النسبة الحقيقية بين عـدد الزُهر النامية وعدد المنحطَّة . ولكن المسيو كروملين ابتكر بعقله النيّر وسيلةً بسيطة لحلّ هذه العقدة ولو جزئيًا . فانهُ امعن النظر في خمسة وعشرين نجمـاً من اقرب النجوم الينا فوجد فيها ثلاثةً نورُها يفوق ٤ اضعاف نور الشمس . واربعة نورها بين ٤ اضعاف والثُلث . وخمسة نورها بين الثلث و $\frac{1}{٢٠}$ و ١٣ نورها دون $\frac{1}{٢٠}$ . وقد حذا الفلكيون حذو كروملين وطبّقوها على طائفة نجوم اكثر من السابقة بدون قياس وابعد منّـا فأسفرت اقيستهم عن مثل النتـائج المذكورة اعني ان عدد النجوم المتناقصة الصغيرة اعظم كثيرًا من عدد النجوم النامية الكبيرة . وهنا تأييد آخر لنظرية أُكير بخصوص تطوّر الكواكب حيث صرَّح بان تكاثف النجم متى بلغ حدًّا معلوماً — اي عند بلوغهِ الدرجة العظمى من الحرارة — لا يتواصل الّا ببغـاية البطوء . وبعبـارة اخرى يؤكد العلّامة الانكليزي ان دور الانحطاط اطول من دور النموّ

هذه الاقيسة الآنف ذكرها عرّفتنا على وجه التقريب والتعميم انهُ في كل ثلاثين كوكباً لا يوجد غير واحد في دور النموّ وانه في ٢٬٥٠٠ نجم لا يوجد غير واحد بلغ معظم نموّه كنجوم الجوزاء (Orion) . امّا الكواكب المنحطَّـة الآن الى اقصى دركات التنـاقص القريبة من الانطفـاء والزوال فعددها على رأي الفلكي نُزدمن يحتمل بلوغهُ ثلاثة ارباع مجموع النجوم . وقد زاد هذا العالم على حدسهِ هذا ان عدد مصابيح السماء الهامدة بالكلّيَّة هو اعظم من السابق كثيرًا وقد ارتأى بعض الجهابذة انه يساوي الف ضعف الكواكب المضيئة . وبناء على ذلك فعالم المجرَّة الذي ارضُنا بل كل النظام الشمسي نظير ذرّة تائهة في هائل فضائه لا يشمل فقط مليارًا ونصف من الثوابت بل ينيف الف مرَّة على ذلك العدد البالغ اي الف وخمسمائة مليار ! فكما ان عدد الاحياء على وجه الارض كلا شيء نسبةً الى الاموات الراقدين في احشائها هكذا عدد النجوم النيّرة يكاد لا يُعبأ بهِ اذا قوبل بعدد الكواكب الهامدة

ويُرجّح نُزدمن امكان احصاء النجوم المنطفئة على وجه اضبط بملاحظة مـا تحدثه من التأثير والتغيير في حركات الكواكب النيّرة . هذا على قوله ميدانٌ جديد يدعو فرسان علم الفلك الى شقّ غبارهِ

## ٤ تطور النجوم وقول الماديين بازلية المادة

لقد طال بنا خوض مسألة حياة النجوم وما انطوت عليه من التطورات القريبة الشبه بادوار عمر الانسان. فليكن مسك الختام اعتبارًا فلسفيًا عميقًا لا اشك في كونه يحظى برضى القرّاء. لا يندّ عن معرفتهم ان سواد الزنادقة — ان لم يكن كلهم — حيث انكروا وجود الخالق جلّ جلاله ولم يجدوا سبيلًا الى التصريح بدخول الكون في حيّز الوجود دون علّة سابقة له وا كمل منه فقد الجأتهم الضرورة الى القول بازليّة المادة بل قد ضلّ بعضهم وبلغ بهم الجنون الى جَعلها الاله الواحد رغمًا مما فيها من ملايين الاشياء والاشخاص المتباينة بل رغم الجرائم الفظيعة المشوّهة كلّ يوم لعالمنا الشقي الاثيم. واولئك الماديّون الكفرة يدّعون بقحة وبهتان عجيبين ان العلم العصري حليفهم والشاهد على صحّة عقيدتهم شهادةً لا يردّها سوى الجهلة الغائصين في دياجي الغباوة. وايم الحق ان العلم العصري لَبَراء من هؤلاء المدّعين الكذبة وفي مقالتنا السابقة العارضة لبعض احدث نتائج علم الهيئة اجلى برهان على نفاق اولئك المتطفلين على موائد العلم الصحيح. اليس من الاكيد حاضرًا عند ائمّة الفلكيين ان الثوابت تتولّد من السحابيات وتتكاثف وتنمو حرارةً فتبلغ معظم تأجّجها وضيائها الابيض اليقق ثم تتناقص حرارتها شيئاً فشيئاً مع دوام التكاثف المتباطئ وتغيّر لونها من البياض الى الصفرة فالحمرة حتى يعتريها الانطفاء التامّ ؟

فقل لي الآن يا رعاك الله ان كان عالم النجوم الماديّ ازليًا كما يدّعي الزنادقة أَفما كان عاش حتى اليوم عددًا لا متناهياً من الاجيال ؟ أَفما كان ينتج عن ذلك ضرورةً بلوغ كل الكواكب في يومنا الحاضر على الاقلّ الى نهاية تطوّراتها اعني الى الانطفاء الكامل ؟ والحال ان في سماء الجيل العشرين ملايينًا من النجوم النيّرة. فاتضح اذن جهل الماديين وسخافة عقلهم !

ولا يخفى علينا انهم يعيدون الكرّة والهجوم على سواد العلماء بل جميع ابناء آدم القائلين بوجود الله الذي خلق هذا الكون الرائع من العدم. وما ادراك ما يتذرّعون بهِ من سلاح البراهين طمعاً بالظفر الباهر ؟ يقولون ان تطوّرات النجوم هي بمثابة دائرة لا ثُلمة فيها فكل كوكب على زعمهم يتولد من السحابيّة فينمو فيبلغ اشُدّهُ

فيتناقص حرارةً وحجماً فينطفئ الّا انه بعد ذلك ينثر ذرّاته في الفضاء فتُعاد السحابيّة الاصليّة فيتولد منها ثانيةً ليجوز كل ادوار تطوره السابقة وهلمّ جرّا بدون ختام

يا لهُ من رأي فائل بل من جنون فاحش ! أجيبوني يا معشر المدّعين التفلسف فضلًا عن العلم ولكم اقوالٌ كالسابقة يلوح فسادها وحمقها للاطفال والاميّين انفسهم ! اجيبوني اين رأيتم ولو مرّةً واحدة بين ملايين النجوم الظاهرة في مراقبكم نجماً مفردًا عاينتم فيه تجدُّد ما تسمّونهُ «دائرة التطور المغلقة»؟ من منكم يتجاسر ويقول: «اجل اني شاهدت ذلك!» بل اين رأيتم ولو مرّة واحدة مصباحاً مُنطفئاً يصبح مُنيرًا من تلقاء نفسه اعني بدون ادنى علّة خارجيّة ؟ أوليس ذلك بالحرف الواحد ما تدّعون حدوثه عددًا لا يحصى من المرار في ملايين من الكواكب منذ ازلها الموهوم؟ ألا الزموا الصمت بدلًا من التشدق على مرأى ومسمع من العقلاء والعلماء الحقيقيين بمثل تلك الاكاذيب الملفقة والسفاسف الحمقى والخرافات العجائزية التي لا يرضى بها نفس الاميين بل يخجل من سفاهتها ذات العقل البشري !

حسبكم قحةً إنكاركم وجود الله عز وجلّ مع ان اسمى شرف الانسان ملك الكون المادّي الاقرارُ بوجوده ووحدانيّته وكمالاته اللامتناهية ثم السجود لعزته والطاعة لاوامره

حسبكم ذلك الانكار الفظيع ! فأستحلفكم ليس باسم الدين الذي نبذتموه نبذ النواة بل باسم العلم وقد ادّعيتم رفع رايتهِ أَلّا تنكّسوها الى حضيض أفنادكم واوهامكم بحجّة تبرير إلحادكم السافل . وايم الحق ان علم الجيل العشرين ولاسيّما علم الهيئة بعجيب اكتشافاته الحديثة يقوم في وجهكم بل يُلقمكم الحجر وهو يؤَدي اجلى الشهادات على وجود الله وعلى كونهِ خالق هذا العالم الهيولي والمودع في احشائه القوى السرّية القديرة التي نشأت منها على توالي العصور ملايين الكواكب التي كنّا من برهة واقفين بفائق الدهش مع ائمة الفلكيين بازاء مشاهد تطوّرها الفتّانة

# مثال العفاف في رواية جنفياف

نظمها الاديب ميخائيل افندي عبدالله الرامي

## مقدمة

يروي الرُّواة ان جنفياف احدى اميرات الفرنج في القرن الثامن للميلادكانت ابنة الدوق دي برابان اقترن بها بالزفاف سيغفريد(Siegfried) او سيجفرُوا امير معاملة تراڤ وما لبث ان دعاهُ الملك شرل مرتل سنة ٧٧١ لمحاربة عرب اسبانية الذين كانوا اغاروا على فرنسة . فلبّى سيجفروا دعوتهُ وجعل قبل سفرهِ زوجتهُ جنفياف تحت نظارة وكيلهِ المدعو غولو (Golo) . فهذا غمط نعمة سيدهِ وراود الاميرة عن نفسها فردّت طلبهُ الاثيم بأنفة . فاراد غولو ان ينتقم منها . ولمّا عاد الامير من حربهِ ظافرًا اسرع اليهِ ورماها بالخنى . وكانت الاميرة ولدت ابنًا فصدّق سيجفروا تهمة غولو وامر بقتلها وقتل ولدها معًا الّا انّ الذين عُهد اليهم بهذا الامر اخذتهم الشفقة عليها وتركوها في القفر فأوت الى مغارةٍ في غابة كثيفة وارضعت ابنها بحليب ظبيةٍ لقيتها هناك واقتاتت هي من الاعشاب والثمار سبع سنين . الى ان خرج الامير الى الصيد في تلك الغابة ورأى الظبية فتأثرها فهربت الى المغارة حيث كانت جنفياف . فعرف الامير زوجتهُ واطّلع على حقيقة امرها واعادها وابنها الى قصرهِ مكرّمةً معزّزة . وامر بقتل الخائن غولو . لكنّ الاميرة لما قاستهُ في تلك المدّة الطويلة توفيت بعد قليل ودُفنت برونق عظيم . فهذه خلاصة رواية جنفياف التي شاعت في كلّ انحاء اوربة . وممّن اخرجوها على صورة شائقة لطيفة الكاتب النمساوي كريستوف شميد وقد عُرّبت هذه الرواية في بلادنا فاحببتُ ان أُفرغها في قالب النظم مع اعترافي بقصر الباع ملتمسًا من رؤساء القريض المعذرة عن هفوات اللسان والله الهادي وعليهِ التكلان

م . ر

| | |
|---|---|
| نارُ الكريهة حين شبَّ لظاها | ظفرت جيوشُ فَرَنسةٍ بعداها |
| وبغابر الازمان كم غالت جيو | ش الغالِ في الهيجاءِ مَنْ ناواها |
| حربٌ ضروسٌ طالما دارت على ال | أعراب في غرب البلاد رَحاها |
| ما بين غاليةٍ واندلسٍ لكم | شبَّت فرنَّ بذي الجهات صداها |
| قد سالت البطحاء من سفك الدما | والارضُ غصَّت من جرا قتلاها |
| والنصر كان حليف جيش أوربَّةٍ | اذ فرَّت الاعرابُ من انحاها |

***

| | |
|---|---|
| «سِيجفرُوَا» الكرَّارُ كان غضنفرًا | ببسالةٍ نارُ الكفاح يطاها |

قـاد الجيوش بنخوةٍ وحميَّـةٍ نحو الكريهةِ باسماً يلقـاهـا
تَخِذ الاميرةَ جِنفِيـافَ حليـلةً في عام حربٍ طالمـا أَصلاهـا
حسناء تحكي البدرَ في كبد السما واللطفُ والاحسانُ من مبداهـا
فعلُ الفضيـلة والتقى من دأبهـا وكذا العفافُ شعارُها ورداهـا
كانت « كطابيثا » غزالةِ عصرهـا تكسو العُراةَ وقلَّ مَنْ جاراها(١

***

« غولو » الخبيث الوَغدُ هام بحبّهـا وغـدا اللـئيمُ متيَّمـاً بهواهـا
قد رام يَغويهـا فخـابَ ولم ينَل يا قوم الَّا سُخْطهـا وقِـلاهـا
فشكَـتهُ حالًا للامير وخصْمُهـا قتلَ الرسولَ وبعد ذا عـاداهـا
وعلى الاميرة صاحبُ الغدر اشتكى للبَعْل ايضـاً مُهملًا شكواهـا
قد قال خانت جِينِيفِيافُ حليلَهـا وتعلّقت بسوى عشيرِ صبـاهـا

***

« سِيجفرُوا » المغرورُ قطَّب وجههُ حين الرسالـةَ فضَّهـا وقراهـا
وبحبس زوجته الامينة قـد قضى فَوْرًا بدون الفحص عن دعواهـا
حبلى بآخر شهرها في الحبس زُجـوها وفرط الطلق قـد ناجاهـا
ذكرًا كبدر التمّ قد ولدت بضنـك العيش والربُّ العظيم وقـاهـا
«دُولُور » سمّتهُ لِمـا مِن لوعـة الا أَلم المُبرّح والشقـاء عراهـا
وطعامهـا في السجن خبزٌ اسودٌ فتبلُّـهُ بمـدامعٍ عينـاهـا

***

حكم القضاةُ بقتلها في ليـلةٍ صرفُ المنيَّة فجـأَةً وافـاهـا
« برتا » اتت سرًّا لتنذرهـا بمـا شرًّا لهـا قد اضرمت اعـداهـا
كتبت الى البعل الحقود رسالةً من غدر «غولو» كيف كان جزاها
ولقـد حَبَت برتا لشدَّة حبّهـا عقدًا ثميناً شاهـدًا لِولاهـا
قـالت لها : ذا الجِيدُ اصبح عرضةً للذبح . والدهر الخؤون جفاهـا

١) يشير الى طابيثا الصالحة التي احياها القديس بطرس كما ورد في سفر الاعمال (ف ٩)

واستاقهـا كالشاة جلّادانِ نحـــو الغاب وا أسفي لسفك دماهـا
فتشاورا في ضرب عنق وحيدها وتأجّجت نار الاسى بحشاهـا
وقعت عـلى اقـدام كلّ منهما تهمي الدموع كوابلٍ عيناهـا
قالت «اذًا في ضرب عنقي فليبـا شر اولًا» ولظى الفراق كواهـا
كلٌّ عفـا عن قتلهـا رفقـاً بهـا والله من غـدر البُغـاة حمـاهـا

***

ودرى وايقن خصمُها «غولو» بأنّ م رسولَـهُ كاس الحمام سقـاهـا
وتوغّلت تلـك الاميرة في القفـا ر وظلُّ كهفٍ قد غـدا مأواهـا
تقتات من بعض البقول وطـالمـا خارت من الجوع الشديد قواهـا
تحنو عـلى طفل ضعيفٍ جائـعٍ باكٍ فضعّف وجدَهـا وأساهـا
بمغارةٍ في الغـاب كان مقـامها عينُ المُهَيمِن ضِمْنَها ترعاهـا
وبقربهـا روضٌ نضيرٌ فيه سا قيةٌ تروّي في الهجـير ظماهـا
تخذت لها طـاساً من القرع الذي قـد عـاينتـهُ نابتـاً بحماهـا
دخلَت الى تلـك المغـارة ظبيةٌ أنِسَتْ بها واستبشرت بلقـاهـا
وطعامهـا اتّخذتهُ من البـانها نقهت وكان الجوع قـد اضناهـا
واتى الشتاء بـبردهِ وصقيعـهِ والثلجُ ارضَ الغاب قد غطّـاهـا
امّـا غزالـة جِنفِياف بقربهـا كانت تبيت وحبّذا ملقاهـا
تقتات من بعض الحشائش عندهـا اذ قلَّ في ارض الفـلا مرعاهـا
ثم انقضى فصل الشتـاء براحـةٍ نالت بها تلك الفتاة مُناهـا

***

جـاءَ الربيـع ورنّمت اطيـارهُ في الروض يشجي المستهامَ غِناهـا
حيث الطبيعة حلّةً خضرا اكتست سبحانَ ربِّ الكون مَنْ أنشاهـا
ونوافحُ الازهـار طاب عبيرُهـا وتسربلت اشجارها برداهـا
وتراقصت اغصـانها طربـاً عـلى شدو الحمائم في حمى جَرْعـاهـا
فغدت فتاة الغاب تحمـد ربّهـا الحـنّان من طيب الحيـاة حباهـا

بَرَزَت من الغار الـذي زمنَ الشتا قد طـال فيه أَسرُهـا وخباهـا
والله كان نصيرهـا ومـلاذَ من القت على الرب الكريم رجـاهـا
واصطـاد ذئبٌ نعجةً بجوارهـا فاستنقذتهـا بعدمـا أرداهـا
واستحضرت صوَّانةً سلخت بهـا فروًا من البرد الشديد وقـاهـا
ولقد كست دولورَ من جلد الظبا ثوبـاً جميلًا والسرورُ اتاهـا
كانت تُجمّع في المصيف طعـامها بعضَ الثمار موُونـةً لشتاهـا
سكنت بذاك الغاب سبع سنين اذ نالت بـدولورَ الحبيب مناهـا
ولقـد نشا وتوردت وَجنـاتهُ ذا طـلعةٍ قرَّت بهـا عيناهـا
ربَّتهُ بالتقوى فكان مهـذَّبـاً ولـدًا مطيعاً ليس من يعصـاهـا
كالشبل في الغـابات ربَّ بسالـةٍ يحمي بهاتيك الجهـات حماهـا

***

فغدت بذاك العـام وهي مريضةٌ والقرُّ في فصل الشتـا اضناهـا
والثلج غطَّى الارض ايضاً والذئـا بُ الطُّلس قد ملأَ الجهات عوامهـا
باتت تـئنُّ واوشكت تقضي من الـحمَّى الشديدة بعد فرط ظماهـا
« دولورُ » كان يعولهـا بالمـاء مع لبن الغزالـة حيث دام حذاهـا
قـالت من الاوجاع لَّما استوقدَتْ نارُ البعاد واضرمت احشاهـا:
« دولورُ يا ولدي الحبيب ومهجتي دنت المنيَّة جـاءَ يوم لقـاهـا
سأموت من فرطِ الكآبة والضنى هيهات أُمكَ ان تعودَ تراهـا
ولئن قضت هذي الحزينة بعدها في الغـاب غيرك لا يقيم عزاهـا
فاحرص على دفني ولا تحزن فـانَّ النفسِ في دار البقـا مثواهـا
أَخبر اباك اذا ظفرتَ بقربـهِ كيفَ الفقيدة في البعاد عراهـا»
دولور أَجهش بالبكاء تأسُّفـاً ودعا المهيمنَ كي تَنالَ شفاهـا
نَقِهت وقـد ولَّى الشتاء وبردهُ عنهـا وزالت برهـةً حمَّاهـا

***

« سيجفروا » بالعُرْب عاد مظفَّرًا وجيوشهُ انتصرت على اعـداهـا
وبقصر « سَفرابورَ » كان دخولهُ في حفـلةٍ لله مـا ابهـاهـا

لكنَّهُ غيظاً تنمَّر صدرُهُ لجريمةِ « غولو » الخبيثُ جناهـا
ولقد تحقَّق غدرهُ وعتوَّهُ برسالةٍ من جِنفياف قراهـا
والوغدُ حالًا قد اقرَّ بذنبهِ مذ طاوع النفسَ اللجوج هواهـا
مولاهُ حتماً رام يضرب عنقهُ لمقاصدٍ بغيابهِ اجراهـا
لكن وصيَّة جِنفياف اطاعها عفواً عن الوغد الذي عاداهـا
القاه في سجنٍ مخيفٍ مظلمٍ والنفس نالت بالعقاب جزاهـا
واقام جنَّازاً بهيجاً حافلًا عن نفس من فاقت بفرط تقاهـا
قد طالما سكب الدموع لفقدها متأسفاً وملازماً لخِباهـا
ملَّ التعازي في الاسى من بعدها طرًّا وبالدمع السخين بكاهـا

***

خرج الامير « سيجفروا » للصيد في ارض تكاثر في الغياض ظباهـا
قصد التنزُّه في الفلاة مسرَّةً كي تستريح النفس من برحاهـا
فغدا يطارد ظبيةً دخلت الى غارٍ به قد شاقها مأواهـا
دخل الامير اليهِ ثم ارتاع من مرأى فتاةٍ كالخيال رآهـا
نادتهُ قِفْ يا ذا الفتى مهلًا ولا تجزع فدونك مَن تروم لقاهـا
فانا حليلتُك الامينة جِنفيا ف اذاً فخذ من قصَّتي فحواهـا
فاجابها يا ذا الخيال ألا ابتعد عني فان النفس طال شقاهـا
أُخرجْ وكلِّمني لأَعلم من ارى فحليلتي رحمَ الالهُ ثراهـا
خرجت اليهِ عاجلًا بتبسُّمٍ ايضاً وقد لَمَست يديهِ يداهـا
فارتدَّ عنها جازعاً متحيِّرًا عند اللقاء وهالهُ مرآهـا
حتى أرتهُ خاتم الاكليل عا د لنفسهِ وبلهفةٍ حيَّاهـا
وبكى بكاءَ المستهام بلوعةٍ متعجباً من حيث طال بقاهـا
في غابةٍ مأوى الوحوش تظلُّها طول المدى وتجول في انحاهـا
قالت لهُ عين العناية طالما جنح الدجى كانت بها ترعاهـا
«دولور» اقبل ساخطاً لما رأى رجلًا عظيماً في الفلاة حِذاهـا
قد صاح يا أمَّاه من هذا فقا لت لا تخف وتبسَّمت شفتاهـا

هذا ابوك «سيجفروا» البطل الذي فاق الاكابر والجبابر جاها
والوالد المشتاق ضمَّ لصدره ذاك الغلام به وعجباً تاها
امّا الاميرة بالامير ترّحبت دخلت به ايضاً الى مأواها
وتحدَّثا من بعد ذاك هنيهةً عمّا بذي الآجام كان عراها

***

سيجفروا بالبوق نادى صحبهُ في غابةٍ وافوهُ من اقصاها
وتألّبوا بالقرب منه دهشةً ممن رأوا واستخبروهُ شفاها
فاجابهم : « ذي جنفياف حليلتي والله جوداً قد اطال بقاها
وعلى ذراعي النجلُ «دولور» الذي في السجن رب العرش قد اعطاها
هيّا اضرموا ناراً وهاتوا كسوةً بعد الطعام لكي تنال غذاها »
واعدَّ ذاك « الكنت » مما يقتضي في خيمةٍ لقرينه وكساها
جلست على خير الطنافس والنما رق والسرورُ بقربه وافاها
ولها اعدُّوا للترحُّل هودجاً والجمعُ سارَ امامها ووراها
اهل البلاد الى لقاها بادروا بمسرَّةٍ كلٌّ وقد حيّاها
حتى اذا دخلوا المدينة وانبرت كل النساء تشوُّقاً اتراها
والآس قد اهدينها رمزاً الى فعل الفضيلة والتقى بصباها
«ثلفُ» الامين لقد سعى حالًا الى الـنمسا فبشَّر أمّها واباها
حضرا الى قصر الامير بلهفةٍ كلٌّ وطار مسرَّةً للقاها
زارتها اعيانُ البلاد وقد غدت تُهدَى وتُهدي كلٌّ من اهداها
ثمّت اتاها ناسكان بسرعةٍ كلٌّ بذلٍ يستميح رضاها
رجعا من القدس الشريف الى البلا د ومدة نسكاً به صرفاها
كانا كسيافين فيما قد مضى إبّان « غولو » رام سفك دماها
فترحّبت بهما وقد جازتهما خيراً كما ربُّ العباد جزاها
قد عوفيت وتوردت وجناتها والسعد ايضاً والهنا وافاها
وكذا غزالتها لذاك القصر قد وافت فسرَّت كل من يلقاها

***

وقضى بذاك السجن غولو بعدما | ايامهُ بالذل كان قضاها
ومضى الى دار الشقاء معذَّباً | يا ويح تلك النفس ما اشقاها
أَنعِم بقصَّةِ جِنفياف وحسنها | فهاك نظماً يا اخي فحواها
رحم المهيمن كل ذات فضيلةٍ | هي مثلها في برّها وتقاها

# المذهب الدرويني واصل الانسان

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعيّ ( تابع )

## ٣ مذهب النشوء والتحول

لمذهب النشوء والتحوُّل دَوْران اصليَّان تطوَّرَ بهما في انتشاره : الدَّوْر الاوَّل هو الذي شاع فيهِ مذهب دروين كما اوضحهُ في كتابهِ المعنون بـأَصل الانواع وهو اوَّل ما صنَّفهُ ثمَّ اردفهُ بكتب اخرى عديدة سعى فيها بتوسيع نطاق مذهبهِ . امَّا الدور الثاني فهو دور الجوهر الفرد ( le Monisme ) الذي ذهب اليه الالماني هكل

### ١ المذهب الدرويني

كان دروين انكليزيّ الاصل مولدهُ سنة ١٨٠٨ ووفاتهُ سنة ١٨٨٢ وكان بروتستانيّ النحلة مؤمناً بالله وبالوحي قائلاً بتكوين الله عز وجلّ للخلائق من العدم في مواليدها الثلثة اي الجماد والنبات والحيوان كما رواهُ موسى في سفر التكوين في غضون كلامهِ عن خلق الله للنبات (تك ١ : ١١) ثمَّ للحيوان الاعجم (١ : ١٣) ثمَّ للانسان (١ : ٢٤) فدروين يسلّم بكل ذلك ضمناً ان لم يصرّح بهِ في كتابهِ اصل الانواع المطبوع سنة ١٨٥٩ بالانكليزية

ولكن كيف خلق الله هذه المواليد ؟ هل ابدع سبحانهُ وتعالى كلّ انواع النبات والحيوان كما هي حاضراً او كما اطّلع عليها علماء طبقات الارض بعد تلاشيها

في كرور الاجيال . او بالحري هـل برأ الخالق في اوَّل الخليقة بعض الانواع التي جعلها كأمثلة رُتَبٍ تفرَّعت منها بفعل الطبيعة بتمادي الاجيال الاجناسُ والانواع التي نعرفها في زماننا ؟

فيجيب دروين على هذا السؤَال غير مرتاب في حكمهِ انَّ هذه الاجناس والانواع الحاضرة او المكتشفة في اعماق الارض لم يخلقها الله رأساً وانَّما تعدَّدت فيها الاجنـاس والانواع بمرّ الدهور وبقوَّة الطبيعة وحدها وهي ترتقي اصلًا الى بعض الاجناس الاوليَّة من النبات والحيوان التي خلقها الله في بدء العالم

واعلم انَّ دروين في كلامهِ عن اصل الكائنات وتفرُّعاتها لا يقسمها كعلماء الطبيعة الى رُتب واجناس وانواع وانَّما يذكر فقط امثلةً اصليَّة (او قل ان شئت مثالًا فردًا) كوَّنها الله في بدء الخليقة كانت تتكيَّف بكيفيَّات مختلفة وتتحوَّل الى صور شتَّى بفعل عوامل طبيعيَّة حتَّى بلغت الى خواصّ جديدة وبالانتخاب الطبيعي اصبحت ثابتةً تتوارثها مواليدها وتلك هي الانواع التي نعرفها

فالمبدأ الدروينيّ يعود اذن الى قولـهِ انَّ الانواع تحوَّلت بواسطة الانتخاب الطبيعي . ذاك هو ناموسهُ الذي أدار على محورهِ كلَّ مذهبهِ . يزعم انَّ انواع النبات والحيوان قابلة التحوُّل من صورة الى صورة ومن جنس الى آخر وانَّ هذا التحوُّل قد جرى جرياً بطيئاً جدًّا وبطريقة غير محسوسة وبزمان لا يُقاس طولهُ . وذلك ما يجعل الانواع المستحدثة مختلفة كل الاختلاف عن الامثلة الاصليَّة المشتقَّة منها . وفي هذا التحوُّل الدائم يبقى من تلك التطوُّرات نخبة من الافراد التي تحفظ الصفـات الجديدة التي اكتسبتها ثم تورثها مواليدَها بينما تتلف بقيَّة الافراد التي دونها بِنْيةً وقوَّة . وهذا ما يدعوهُ بالانتخاب الطبيعيّ على مثال الانتخاب الصناعيّ الذي يعتمدهُ الناس في عهدنا لايجاد بعض الصنوف العرضيَّة في النوع الواحد من الحيوان والنبات

فانَّ الذين يربُّون في الوقت الحاضر بعض الحيوانات ويريدون ان ينالوا منها صنفاً جديدًا يعمدون الى فحولٍ يجدون فيها شيئاً من الخواصّ التي يطلبونها في الصنف الجديد فاذا ولد صغارُها اختاروا منها ما يرونهُ متَّصفاً بتلك الخواصّ وينفون البقيَّة وهكذا ينالون بعد زمن صنفاً من الحيوان المطلوب تثبت فيهـا تلك الصفات بالوراثة . فينسب الناس الى المربّين المذكورين ذلك الصنف الجديد الذي هو نتيجة

الانتخاب الصناعي الحاصل بذكاء عقل اولئك المربّين الحاذقين

وما يصنعهُ مربّي الحيوانات يناله الزرّاع في النباتات والبقول والبستاني في الزهور فانهما يبلغان الى توليد تلك الاصناف الجديدة تارةً بان يجمعا بين صنفين مختلفَيْن من المواليد وتارة بطرائق اخرى لاسيَّما في النبات وكلاهما بعد التوليد ينفي ما يراهُ مخالفاً للصفات المرغوبة

فالانتخاب الصناعيُّ الذي يصير بواسطة الانسان وحذاقة عقلهِ يقوم خاصَّة بالغائهِ للمواليد الضعيفة . فمثل هذا الالغاء يُدخلهُ دروين في مذهبهِ لكنهُ يتمُّ على رأيهِ بقوَّة الطبيعة وحدها في انحاء المعمور وبتمادي الزمان في النبات والحيوان . يزعم ان افراد الصنف الواحد يثبت منها فقط الاقوياء واما الضعفاء فتتلاشى . فيجري بين هؤلاء الافراد ضرب من النزاع للبقاء فلا يعيش منها الَّا الغالب اعني الممتاز بينها بالقوَّة والرشاقة او غير ذلك من الصفات الطبيعيَّة . والعامل في هذا النزاع هو ايضاً على قول دروين الانتخاب الطبيعي

ومن ثمَّ اذ لم يزل هذا الاختيار الطبيعيّ والغاء الافراد الضئيلة جاريين على وتيرة واحدة مدَّة عدَّة اجيال فنتج عنهما اختلافات زهيدة توارثتها المواليد تباعاً حتى اولدت سلالاتٍ جديدة او انواعاً جديدة كما يقول دروين . مثال ذلك انَّ الله خلق في البدء صنفاً من الفرس او حيواناً آخر سبق الفرس ومنهُ تفرَّع في توالي الزمان الحصان والحمار وحمار الوحش والبغل الخ . وذلك بظهور بعض الخواصّ الجديدة التي اكتسبها صدفةً الفرس الاصلي بهذا الانتخاب الطبيعي مع الغاء الافراد الضعيفة ثم اورثها لمواليدهِ من بعدهِ

ومثلهُ الكلب الاصلي المخلوق في البدء تحوَّل الى انواعٍ اخرى فجاء بعد كرور الاجيال على صور شتَّى وراثيَّة يدخل في حيزها الذئب والثعلب وابن آوى والكلب الحاضر وما اشبه ذاك الكلب الاوَّل . وهذه الانواع تولَّدت على رأي دروين في بعض تطوُّرات الجنس الاصلي حيث بلغ احد افرادها الى خاصَّة لم يرثها من مواليد سابقة واورثها هو لمن خلفهُ فثبتت تلك الخاصَّة فيهم واصبحوا هكذا نوعاً مستقلًّا

ودونك مثلًا آخر يُطلعنا على عامل جديد من ذاك الانتخاب الطبيعيّ . يقول دروين انَّ الايل والغزال واصنافهما المتعدّدة رأت قوائمها الاماميَّة تطول شيئاً فشيئاً

في نسلها الى ان ثبتت هذه الخاصَّة في احد مواليدها فصارت نوعاً جديدة تتوارثهُ وما ذاك الَّا الزرافة الطويلة القوائم . وان اعترضتَ على دروين قائلًا : وهب انَّ الزرافة اكتسبت طول قوائمها من نسل الغزالة فما قولك بطول عُنقها من اين ورثتهُ؟ فلا يتردّد دروين في جوابهِ وهنا يدخل عاملًا جديدًا في انتخابهِ الطبيعي يريد بهِ الاحتياج . ولذلك وضع ايضاً هذا المبدأ «ان الحاجة توجد الآلة» فلمَّا طالت قوائم الزرافة بحيث لم تستطع ان ترعى النبات او تشرب ماء السواقي اقتضى الامر ان تُطيل عنقها فاولدت فيها الحاجة امتدادَ العنق وذلك بالتدريج البطيء وفي مدَّة اجيال طويلة ومواليد متعدّدة على حسب ازدياد قوائمها طولًا

وان قلت لدروين : ومن اين للزرافة ذَنبها الطويل على خلاف الايل والغزال؟ اسمع وتمالك عن الضحك فان دروين سبق بنفسهِ وردّ على هذا الاعتراض في كتابهِ عن اصل الانواع : « قال كانت الحيوانات الاصليَّة من ذوات الثدي خاليةً من الذنب وانَّما احتاجت اليهِ بعد ذلك لتقي نفسها من الذباب والهوامّ . فهي الحاجة التي انتجت تلك المذنَّبة الزرافة كما للخيل والبقر الخ» . وسوف نعود الى ذكر هذا الذَنب

وعلى هذا النمط يبني دروين مذهبهُ في كل عضوٍ يجدهُ في انواع الحيوانات الراقية التي في اطوار حاَقاتها احتاجت الى تلك الاعضاء فحصلت عليها شيئاً فشيئاً بالانتخاب الطبيعيّ . وما عيونها وآذانها وحواسُّها وقوائمها ومخالبها سوى نتيجة تلك التطوُّرات والانتخاب الطبيعيّ والحاجة . وما يقولهُ دون ادنى برهان عن الحواسّ والاعضاء الظاهرة يقرّرهُ ايضاً للاجهزة الباطنة كدورة الدم والاعمال الحيويَّة . ولو تتبَّع الانسان سلسلة الكائنات بلغ في سلَّم الاجيال متصاعدًا الى زمن حيث كانت تلك الحيوانات خالية من تلك الحواسّ وتلك الاجهزة الظاهرة والباطنة . وكل ما يوجد من هذه المخلوقات حيًّا او متحجّرًا في قلب الارض وهو مزدان بهذه الحواسّ هو حديث العهد فلا بُدَّ من الترقّي الى ملايين من السنين قبلها اذ كان خاليةً منها

اسمع الآن ما كتبهُ هكّل من اشهر تلامذة دروين في تكوين حاسَّة البصر قال : « لو تتبَّعنا بالتدريج نشوْ هذه الشاعرة صاعدين في مراقي الدهور ومعتبرين توالي

مواليد الحيوان الى اصلهِ الاوَّل وجدنا انَّ حاسَّة العين تحسَّنت فيهِ شيئاً فشيئاً بنشوء انواع جديدة ».

وكلّ هذه التحوُّلات تحدث كما سبق القول من تلقاء ذاتها وإنْ هي الَّا نتيجة قوَّات عمياء ومفعول الصدفة مدَّة قرون عديدة . فهذه العين التي هي احدى عجائب الكون بتركيب كلّ اجزائها التي أُعطيت للحيوان لغايات معلومة قد اوجدتها قوَّات الطبيعة دون فعل عقل سامٍ عُني بتكوينها . وكلّ ذلك مبنيّ على هذا المبدأ انَّ الحاجة اوجدت الآلة . وعلى مثال ذلك يقولون في حاسَّة الذوق والقوَّة المحرّكة . فالذوق نالهُ الحيوان لحاجتهِ الى طعام مريّ وغذاء صالح بينما كانت حاجة الحيوان الى الاكل تجهّز لهُ معدةً لهضم تلك المآكل . ولحاجتهِ الى طلب غذائهِ قريباً او بعيداً عنهُ احتاج الى اعضاء تنقلهُ بالحركة اليهِ وهكذا تولَّدت القوائم للحيوان من اصغر الديدان الى اكبر الدوابّ وكذلك وُجدت في الاسماك الزعانف وفي الطيور الاجنحة ما لم يفضّل احد تعليل وجود الاجنحة بقولهِ مع احد كتبة القرن الثامن عشر الممهّد الطريق للدروينيين : انَّ اسماكاً مجنَّحة وثبت على فرائسها فخرجت الى الشاطئ حيث نشفت زعانفها واضحت اجنحةً فطارت بها الى الجوّ . فهذه الفكاهة التي عرضها ذاك الكاتب كامر وضعيّ كان يسلّم بانَّهُ لا هو ولا غيرهُ قد عاينا شيئاً من ذلك وعلى قولهِ انَّ هذا قد حصل في جهات القطب او في بعض الامكنة المقفرة التي لم تطأها قدمُ البشر . فكم يسمعنا الدروينيُّون مثل هذه الخرافات التي لا وجود لها الَّا في مخيّلتهم ويُضحكون بها الثكلى

وممَّا يزعمهُ ايضاً الدروينيُّون لتأييد مذهبهم انَّ الانتخاب الطبيعيّ والغاء المواليد المستضعفة جَرَيا ويجريان حالًا على ناموس آخر اعني بهِ التنازع على البقاء بين طوائف الكائنات . وهذا مثال عن زعمهم ننقلهُ عن احد علماء العصر الماضي المسيو دي كاترفاج موضحاً بهِ قول دروين قال: معلومٌ انَّ النبات كثيراً ما تأْبرهُ الهوامّ عند ما تجني الزهور لطعامها فتنقل من زهرة الى اخرى مادَّة اللقاح المنتشر على قوائمها . ثم من الزهور ما لا يحطّ عليهِ الَّا بعض اصناف الهوامّ . قال دروين: لا يزور نبات البرسم وزهر الثالوث الَّا الزنبور . فاذا كثرت الزنابير نما ايضاً البرسم والزهر المذكور بالتلقيح . لكنَّ للزنابير في الجرذان اعداء الدّاء تُغير على اوكارهم . ومن اعداء الجرذان الهررة .

فاذا افترست الهرّ جرذوناً نجا بذلك عشٌ من الزنابير فيعيش نسلهم وينشأ ثم اذا كبر صغار الزنابير يلقحون البرسم وزهور الثالوث فيزكوان . فترى انَّ بين الهررة والجرذان والزنابير حرباً عواناً منهُ ينتج توفّر البرسم » (كتاب دروين في اصل الانواع فصل ٣)

وعلى هذا المثال يقول دروين انَّ في العالم اجمع تنازعاً متواصلاً للبقاء تارةً بين الطوائف وتارةً بين الافراد . وفي هذا النزاع يتلف الضعفاء من بعض الوجوه امَّا الفائزون فهم الذين يقوون على خصومهم سواء كان بقوَّتهم او بخاصَّة اخرى . وثمرة هذا النزاع على زعم دروين الانتخاب الطبيعيّ

ويضيف دروين الى التنازع للبقاء عاملاً آخر وهو تأثير الوَسط او التناسب والملاءمة . أَجل لا يشكّ احد في انَّ الظروف المختلفة كالغذاء والسكن ومناطق البلاد وغير ذلك لمَّا يؤثّر تأثيراً معلوماً في كثير من الحيوان والنبات . فاذا زرعتَ مثلاً النبات متقارباً رأيت بعضها تميل الى حيث تجد هواءً ونوراً . بعض الحيوانات قليلة الوبر في البلاد الحارَّة فاذا نُقلت الى بلاد شديدة البرد توفَّر وطال صوفها . وربَّما تغيَّر لون وبرها باختلاف مسكنها او طعامها . فان الخنزير البرّي اذا دَجَنَ وخالف اكلهُ السابق يستأنس فلا يعود الى صيده ليلاً بل يصيب جسمهُ بعض التغيير في بنيته . ولعلَّ الخروف في عهده الاوَّل كان اشرس خلقاً واكثر نفوراً فلمَّا دجن صار أَلوفاً دمثاً بتأثير الوسط في خلقه

وما يدلُّ على فعل الوسط دلالةً واضحة انَّ دواجن الحيوان اذا خرجت من الفة الانسان تعود الى طبعها الاصلي فتستوحش . دع مثلاً الفرس او البقر او الكلب في خلوةٍ من البشر فلا تلبث ان تعود الى وَحشتها . لكنَّ في ذلك دليلاً باهراً ايضاً على انَّ الحيوان الداجن لم يتنوَّع كما يريد دروين بل اختلفت فقط بعض اخلاقه عرضياً بفعل الوسط وذلك على مدَّة تأثير تلك العوامل فيه فاذا كفَّت العوامل رجع الى غريزته

ومن العوامل التي التجأ اليها دروين ليثبت زعمهُ في تنوّع الكائنات استعمال الافراد لبعض الاجهزة والاعضاء او عدم استعمالها ومن المعلوم انَّ الاعضاء تقوى وتشتدّ بالعمل وبالعكس تضعف وتشلّ باهمالها . فاستخرج دروين مبدأ من هذا الملحوظ تأييداً لمزاعمه فيقول مثلاً ان النَّعامة وبعض الطيور المجنَّحة تعجز اليوم عن

الطيران لقلّة استخدامها لأجنحتها . وكذلك بعض الحيوانات القارضة كالخُلد القاصرة البصر او العمياء يزعم دروين انّها فقدت حاسّة النظر تدريجاً لقلّة استعمالها في قلب الارض مع اضافة ذلك الى الانتخاب الطبيعيّ . وعلى هـذا المثال يدّعي دروين انّ كثيراً من الطيور كانت مخالبها تتركّب من خمسة اصابع فلعدم حاجتها اليها اهملت استعمالها فشلّ بعضها ثم فُقد

وآخر ما تشبّث بهِ دروين للدفاع عن تنوّع الافراد الانتخابُ النسلي فاذا تزاوج الحيوان ربّما خلّف في نسلهِ صفاتٍ جديدة تصير مع الزمان وراثيّةً ومن ثمّ اصاب ذكورُ ذوات الثدي اجساماً ذات تركيب اشدّ واقوى وخُصّوا باسلحة للدفـاع عن كيانهم في وجه اعدائهم كالقرون في الابقار والكباش وكالانيـاب في كواسر الحيوان . وكذلك مُنحت ذكور الطيور محاسن جديـدة كالأجنحة الملوّنة الزهيّة وكالتغريد المُطرب وهلمّ جرًّا

على انّ دروين في كتابهِ عن اصل الانسان اذ يستقري انواع الحيوان ليتحقّق فيها صحّة قوله عن الانتخاب النسليّ يلقى في طريقهِ كثيراً من المشاكل التي تُبطل مزاعمهُ الّا انّ قريحتهُ تجد لكلّ مشكلٍ حلًّا ما شاء ام ابى كما سترى

وهاك مثلًا يوقفك على ما ينويهِ دروين . انّ رتبة ذوات الثدي البرّيّة تقسم الى اجناسٍ وانواع غاية في الاختلاف . البعض منها عظيمُ الهيكل كبير الجسم كالفيل الحالي وخصوصاً الفيلة التي عاشت في الاجيال الغابرة البالغ كبرها نحو خمسة امتار . وغيرها اصغر جسماً كالجمل وفرس البحر والبقر الخ . ومنها ذوات جُثث متوسطة كالاسد والدبّ وابن آوى والشاة . ومنها اخيراً انعم وادقّ جسماً كالقرقـدون والخلد والجردون والفارة الخ . فبين كلّ هذه الحيوانات المختلفة نوعاً وحجماً وصورةً يوجد على ما يدّعي دروين وحدة مثاليّة لأنّ هياكلها جميعاً مركّبة على رسم واحد اذ لها اربع قوائم متّصلة بجسمها واظلاف في اقدامها ولها رأس بفكّين وانياب وفي ظهرها سلسلة طويلة من الفقرات تنتهي بذنب الخ . وكذلك يوجـد تشابهٌ في اجهزتها الخارجة في العينين والاذنين واليـدين والثديين المُفرزَين للحليب كما في اجهزتها الباطنة ايضـاً كالجهاز التنفسي والهضمي وفي اتساق كل هذه الاجهزة وتنظيمها

فيضرب دروين صفحاً عن الاختلافات الجوهريَّة بين كلّ هذه الانواع ويزعم انّها كلّها عائدة الى مثال واحد تجنّس وتنوَّع حتَّى افضى الى كلّ الاجناس والانواع الثابتة التي نشاهدها اليوم وكفى لذلك وجود العوامل التي عدَّدهـا ونسبها الى الانتخاب الطبيعيّ اعني تنازع البقاء وتأثير الوسط والانتخـاب الزوجي واستعمال الاجهزة او إهمالها. فهذه وحدها انتجت في تلك الحيوانات الاختلافـات التي نحن ندعوها اجناساً وانواعاً وما هي في الحقيقة الَّا مواليد مثال اصلي واحد

وما يقرّرهُ دروين عن الحيوانات ذوات الثدى يُثبتهُ ايضاً عن بقيَّـة الرُتب الحيوانيَّة ذوات الفقرات كالطيور والزحّافات والاسماك ومثلها رُتب الحشرات العليا كالفَلسيَّة الاجنحة والغشائيَّة الاجنحة والغمديَّة الاجنحة. ويضاف الى الحيوان رُتب المواليد النباتيَّة الراقية ايضاً الى مثال أصلي وحيد فهذه خلاصة المذهب الدروينيّ : وحدةُ المثال الاصلي ووجود ذاك المثال في ظروف مختلفة. قال دروين :

« والمفهوم من وحدة المثال الاتّفاق الاصلي الموجود في كائنات القسم الواحد في تركيبها مع استقلالها في العادات وضروب المعيشة . وعلى رأيي وحدة المثال لازمة لوحدة التسلسل . امّا احوال الوجود المختلفة فداخلة في الانتخاب الطبيعيّ الذي يستخير حالاً الاجزاء المختلفة التي في كلّ فرد فيطبّقها باحوال حياتهِ او يكون استخارَها مدَّة الاجيال الغابرة فطبّقها بها . وهذه التطبيقات ربَّما وقعت بزيادة استعمال الاجزاء او بزيادة اهمالها او تكون حدثت بفعل الاوساط توًّا وهي على كل حال خاضعة لسُنن النموّ والتحوُّل المختلفة. ومن ثمّ يجب القول انَّ سُنَّة احوال الوجود هي الناموس الاسمى لأنها تشمل بواسطة الوراثة تحوُّلاتٍ وتطبيقات سابقة وهي وحدة المثال »

هذا ما كان دروين اقتصرعليهِ في كتابهِ اصل الانواع اعني وضعهُ للانتخـاب الطبيعيّ وعواملهِ المختلفة في توليد الانواع. وليس هناك مـا يُشعر بنكرانهِ لفعل الخالق او لنسبتهِ الانسان الى البهيمة العجماء وغاية ما يمكن تقريعهُ بهِ انهُ يجعل مقدَّمات يُستنتَج منها اصل الانسان من الحيوان . وسوف نبدي رأينا في نظريَّة دروين هذه عند درسنا للحوادث الحاضرة ولما يُستنتج من العلوم الطبيعيَّة كالنبات وطبقات الارض ونبيّن ايضاً كيف اتّسع دروين في مذهبهِ واوضحهُ في تآليفهِ التابعة بعد ان نشرها تلاميذهُ وصارت لها سمعةٌ واسعة فعاد اليها خصوصاً في كتابهِ المعنون اصل الانسان المطبوع سنة ١٨٧١

## ٢ الجوهر الفرد

هذا الطور الثاني الذي تطوَّر اليهِ مـذهب تحوُّل الانواع وهو يُنسب لهكل . وهكل هـذا الماني الوطن مولود سنة ١٨٣٤ وهو لم يجتزئ بنشر المذهب الدرويني وآراء النشوئيّين بل بلغ الى اقصى نتائج المذهب المذكور فنكر وجود الخالق وابتدع طريقة جديدة لتعليل وجود العالم وما فيه من الكائنات سندها الى اوهامهِ واضغاث احلامهِ

يزعم هكل ومثلهُ الماديّون انَّ المادَّة ازليَّة كانت في الاصل مجموعاً بلا صورة ولا حركة ولا تكاثف ولا حياة. وان سألتهُ كيف نُظمت الافلاك؟ ومن اين اتت لها نواميس التجاذب العمومي؟ وكيف تكوَّنت في جملتها ارضنا هذه الصغيرة؟ يجيبك انَّ كلَّ ذلك حدث بحركة ذرَّةٍ واحـدة في الاصل انتقلت منهـا الى بقيَّة دقائق الكون فحصل بذلك بينها تجاذب وباجتماعها حدثت كلّ التركيبـات الكيمويَّة وتكوَّنت المعادن . وجملة القول انَّ الافلاك بأجمعها نشأت من تلقاء ذاتها مع مـا يصحبها من النواميس الطبيعيَّة . وقد دُعي هذا المـذهب بالجوهر الفرد لتفرُّع كلّ الكائنات تدريجاً من الذرَّة الاولى المتحركة

وليس هذا النشوء والتحوُّل محصورًا بالمادَّة بل ثبت على كمالهِ حتَّى كيَّف المادَّة بصورها المعدنيَّة ثم ترقَّى الى النبات والحيوان فانشأ لها صورهمـا وكلّ ذلك بقوَّة الطبيعة اذ ينكر هكل وذووهُ وجود الله ووجود نفس روحيَّة مجرَّدة عن المادَّة . فالمادَّة وحدها لا تزال تنشأ وتتحوَّل بمقتضى نواميس طبيعيَّة ابـديَّة . هذا مذهب الماديّين

ولكن اسأل هكل عن اصل الحياة النباتيَّة والحيوانيَّة أنَّى اتتهما هذه الحياة؟ يجيبك هكل انَّ الحياة ظهرت اوَّلًا من تلقاء ذاتها في بعض ذرَّات المادَّة كما تظهر في الآليات عند فسادها . ومن ثمَّ يقول هكل بالتولُّد الذاتي . يزعم انَّ الحياة تولَّدت اوَّلًا في بعض ذرَّات المادَّة الزلاليَّة التي ترى في اعماق البحر فـأضحت اصل الآليات الحيويَّة وبنشوئها بمدَّة عددٍ عديد من الاجيال تمكَّنت من توليـد النبات ثمَّ تحوَّل ذلك النبات بعد ردهة من الدهور الى الحيوان وما الانسان الَّا احدى حلقات تلك السلسلة الحيوانيَّة

على انَّ الانسان كما زعم هِكّل لم يبلغ بعد الى كمالهِ وانَّما هو لا يزال في ترقٍ متواصل بقوَّتهِ الطبيعيَّة . وكما انَّ جسمهُ هو نتيجة ترقّي جسم الحيوان كذلك نفسهُ ليست هي الَّا ترقّي الحياة الحسّيَّة التي في البهائم فبلغت النطق والادراك بعد الاجيال المديدة . بل يزعم انَّها كلَّ يوم تزيد ترقّياً

فخلاصة تعليم هِكّل انَّ اصل الانسان نفساً وجسداً من القرد . واذ لا يستطيع ان يعيّن قرداً من اجناس القرود الموجودة حاضراً لِما يوجد بينها وبين الانسان من التباين في التركيب الطبيعي زعم دروين انَّ للانسان والقرود الحاليَّة اجداداً اقدم منهما عهداً انقرضت من العالم ولم يبقَ في طبقات الارض اثرٌ منها الَّا انَّهُ لا يشكّ في وجودها ( كذا )

وقد ظنّ بعض علماء العاديَّات انَّهُ وجد هيكلاً لبعض الحيوانات زعم انَّهُ السلسلة المفقودة والوسط بين الانسان والبهيمة فزمَّر المادّيون وطبَّلوا لهذا الاكتشاف لكنَّهم بعد زمن قليل تبيَّنوا انَّ لا اصل لتلك الاشاعة حتَّى انَّ هِكّل ذاتهُ اقرَّ بذلك فكتب : « انَّنا حتَّى الان لم نجد اثراً لذاك الانسان المظنون الذي تفرَّع في طور الجيولوجيَّة الثالث من القرود اجدادهِ . لكنَّ الشبه الموجود بين صنف البشر ذوي الشعر الصوفيّ وبين القرود الشبيهة بالبشر لمَّا يوقف المخيّلة بسهولة على مثال متوسّط بينهما يُرجّح لنا وجود الانسان القرد » زه ! زه

ومع اقرار هكّل بعدم وجود تلك الحَلَقة الموصلة بين بني البشر والقرود تراهُ يتفلسف فيها كأنها قد وُجدت حقيقةً وقد اثبت كيانها فيقول : « كان الانسان غير ناطق وهو اصل كلّ صنوف البشر المتوالية بواسطة الانتخاب الذاتي فاولد اوَّلاً انواعاً بشريَّة فُقد اصلها وانقرضت مع الزمان لكنَّها قريبة الشبه بالانسان القرد وبقي من تلك الانواع جيلان وهما جيل البشر ذوي الشعر الصوفي والبشر ذوي الشعر الصقيل ومن هذين الجيلين تفرَّعت بقية صنوف البشر الحاليين البالغ على زعمهِ اثني عشر صنفاً

فكل هذه الحدسيَّات يعتبرها هكل كحقائق راهنة فيزعم انّ نشوءَ المادَّة والتولُّد الذاتي ونشوء الكائنات الحيَّة وتسلسل الانسان من القرد كلّها لواحق لازمة للمذهب الدرويني ولمبادئ النشوئيّين . فالى هذا الحدّ افضى تعليم دروين بواسطة تلامذتهِ اعني الى المادَّة المحضة !

وهل يا تُرى رَضي دروين في آخر حياته بهذه النتائج حتى نكران الخالق عزّ وجلّ ؟ انّ دروين في كتابه عن اصل الانسان المطبوع سنة ١٨٧١ صرّح باعتقاده عن تنوّع الانسان وتفرُّعه من القرد لكنَّهُ في هذا الكتاب عينه يقرّر صريحاً ايمانهُ بوجود الخالق وبخلود النفس كما سترى

امَّا هكل فيدّعي انَّ دروين صدَّق على كلّ آرائه حتى نفيه وجود الخالق وهو يستشهد برسالة وجَّهها اليه وحقَّق كلّ اقواله . والله يعلم ان كانت الرسالة المذكورة صحيحة او مزوَّرة وقد ثبت تزوير هكل لما هو اعظم شأناً من ذلك اذ بلغت به قحتهُ لإثبات مدَّعاهُ عن تسلسل الانسان من القرد الى انصوَّر نُطَف اجنَّة قرودٍ وادَّعى انَّ بعضها لبني البشر فكذَّبهُ العلماء واضطرُّوهُ الى ان يقرَّ بتلاعبه في تلك الصور في مجلَّة برلين (Berlin Volks-Zeitung, 29 Nov. 1908) . وكذلك كان زوَّر عدَّة اجنَّة ادَّعى انَّها طبيعيَّة دسَّ فيها اقساماً بشريَّة مع اقسام من هياكل القرود . وقد بيَّنت وقتئذٍ مجلَّة المشرق خبث هكل ومكرهُ ردّاً على مجلَّة المقتطف المشايعة لذلك الملحد الكذَّاب (اطلب المشرق ١٣ [ ١٩١٠ ] : ٢٣٨ ; ٣٩٨ ; ٧١٩) . فان قلنا بعد هذا انَّ هكل زوّر كتاباً لدروين لا ترانا مُبخسين لهُ حقًّا

ومهما كان من امر دروين واصحابه فان مذهب الجوهر الفرد هو اختراع هكل الالماني . وقد تردَّد صداهُ في بعض انحاء المعمور لاسيّما بين الذين يعتبرون الحياة كموطن اللذَّات واتّباع الشهوات ليطلقوا لها العنان دون ان يحاسبهم عنها الالهُ الديَّان اذ انَّ كلّ شيءٍ وفقاً لهذا المذهب ينتهي بالموت . وكان اكبر رواج مدَّعيات هكل بين مواطنيه الالمان الذين يقولون بترقّي الطبيعة البشريَّة غير المتناهي الى ما هو فوق الانسان (Sur-homme) ويجعلون لدولتهم البلوغ الى هذا المقام الراقي فيصرخون : «المانية فوق الكل» (Deutschland über alles) فلها التفوُّق على كلّ العناصر والدول التي هي دونها . وقد ألفتت الجرائد والمجلّات الفرنسويَّة انظار قرَّائها الى نفوذ مبادئ هكل في دماغ مواطنيه الالمان الذين جروا في معاملاتهم مع بقية الدول بمقتضى تلك التعاليم على موجب سنَّة الانتخاب الطبيعيّ وتنازع البقاء والغاء العناصر الضعيفة لتصير المانية الكلّ في الكلّ . قال احدهم دي مُنسن (de Munsen) : « انَّ غاية التاريخ هي التمدُّن والتمدُّن يقتضي سَحْق طبقات البشر غير القابلة الترقّي

بواسطة امم ارقى منها » . وقال لمبرخت (Lamprecht) مثل هذا القول الغريب الوحشيّ : « انّ الشعوب الصغيرة كالنبات المتطفّل الذي يجب السعي بالغائهِ » . وقال ادولف لُسّون (A. Lusson) : « انّنا نحن الالمان من عُنصر سامٍ ولذوي هذا العنصر السيطرة والسلطان فيجب على العناصر التي هي دونهم ان يخدموهم » . وقال تريتسك (Trietscke) مهذّب المانية الكبير : « انّ المانية هي الدولة الشريفة بالذات ومن مهمّاتها ان تعدّ للانسانيّة عهدًا جديدًا فعليها ان تسير في طريقها دون ان يثبّطها عائق يعترضها »

فترى من ثمَّ كيف طبّق الالمان تعاليم دروين وهكل على دولتهم بواسطة الانتخاب الطبيعي وتضحية القوى للضعيف . وفي عدد قادم نبحث ان شاء الله عن صحّة كلّ هذه المدّعيات الباطلة فنزيّفها بالبراهين العلميّة (لهُ صلة)

---

# الدَّعوات في مزامير داود

للاب فردينان توتل اليسوعيّ

يحتم السيّد المسيح على تلاميذهِ في انجيلهِ الشريف « ان يحبُّوا اعداءهم ويحسنوا الى مبغضيهم ويُصلّوا لاجل من يُعنّتهم ويضطهدهم » واوصى بولس الرسول اهل رومية (١٢ : ١٦) قائلًا : « باركوا الذين يضطهدونكم باركوا ولا تلعنوا » ومن ثمَّ لم تزل الكنيسة تحذّر ابناءها عن اللعنات والشتائم وقد جعلت تحذيرها المذكور في جملة وصاياهُ تعالى مع الوصيّة الثامنة التي تأمرنا بالامتناع عن شهادة الزور وعن كل ما يسيء القريب من الشتائم

على انك اذا تصفّحت بعض اسفار الكتاب المقدس ولاسيما كتاب المزامير اخذك العجب مما يعرض لك في عدة فصول وآيات من الفاظ الشتم وروح الانتقام كأنها نفثة مصدور قد نكّل به النبيّ عدوّهُ وابتلاهُ باشد النكبات وهو مغلوبٌ على امره يشفي غليله بقذف اللعنات والشتائم على من ظلمه ويستمطر نارًا من

السماء على خصمهِ لعلَّ الديَّان العادل ينتقم لهُ ويشفي كربتهُ (١

ومصداق ذلك ما جاء في المزمور المئة والثامن فـان آياتهِ الاحدى والثـلاثين تشتمل على عواطف ورغائب كأنها تصعد من أتون نار الحقد والضغينة وقد اورد فحواها القديس يوحنا فم الذهب في تفسيره المزامير قال (٢ :

يتمنى صاحب المزمور ان يرى خصمهُ مقبوضاً عليهِ مزجوجـاً في السجن مَقُوداً امـام الحكام محكوماً عليه بالإعدام لا بل يتمنى له ان يرى ما يُسخن عينهُ ويُرعـد فرائصهُ من مشهد آله هابطين في مهاوي الذل والشقاء ورؤية امرأته ثكلى واولاده يبكون صارخين من البرد والجوع وليس لهم من مجير ولا معين لانهم نسل الكـافر ولا حقَّ لهم في الرأفـة ولا نصيب من مودة الناس وهم في لعنـة من ربهم ليُمحى اسمهم من ارض الاحياء وتُحفر خطـايا ابيهم وأمهم على لوح الحساب ويلٌ ويلٌ لعدو النبي فلا بد ان يخوض في لجة الاحزان ويهلـك في هاوية البلايا »

وكأني بكاتب الوحي قد استقلَّ ما رشق به خصمه من الدعوات فزاد عليها وقال في الزبور الثامن والستين في العدد الثالث والعشرين :

لتكن مائدتهم قدَّامهم فخاً وجزاءً وشَرَكاً
لتُظلم عيونهم فلا يُبصروا وأَحنِ ظهورهم كل حين
صُبَّ عليهم سخطك وليدركهم وَغر غضبك
لتَصر دارهم خراباً ولا يكن في اخبيتهم ساكن . . .
زد على اثمهم اثماً ولا يدخلوا في برّك
ليُمحَوا من سفر الاحياء ومع الصديقين لا يُكتَبوا

هذه اللعنات نقرأها في الزبور ال ٣٤ وال٥٤ وال ٥٧ وال ٥٨ وال ١٣٦ وغيرها معتمدين في تعديد المزامير على اعداد الفصول كما نقرأها في الترجمة اللاتينية التي يُرجَع اليها في البيعة (٣

ثم ان مقتضيات مقالتنا هذه تدعونا الى ذكر نظائرها من آيات السبـاب واللعن نقتطفها من المزامير ونوردها في مواضعها استعانةً بها على غرضنا وهو ان نعرف كيف

---

١) راجع مقدَّمـة كرك بتريك على شرح المزامير **Kirk Patrik** A. F. : The Book of Psalms with iutroduction and notes . *Cambrige*, 1902

٢) اطلب شرحهُ على المزمور ١٠٨ في مجموع الآبا لمين ( ج ٥٥ ص ٢٥٨ )

٣) اما الترجمة العربية فاخذناها عن الكتاب المقدس المطبوع عند الاباء المرسلين اليسوعيين في بيروت

يسوغ لنا نحن المسيحيين ان نتلفظ بكلام النبي القاسي وقد علّمنا يسوع الحليم ان نصلي هكذا! : « اغفر لنا ذنوبنا وخطايانا كما نحن نغفر » كأنه اوصانا ان الله لا يغفر لنا ما لم نغفر لاعدائنا . لا بل علّمنا ان نصفح عمّن ظلمَنا واساء الينا لمّا صاح على الصليب : « يا ابتِ اغفر لهم لانهم لا يدرون ما يعملون » ( لوقا ٢٣ : ٣٤ ) وكيف تأمرنا الكنيسة بتلاوة اقوال نستقبحها لا بل كيف تجعلها هي مرارًا على شفاه كهنتها عندما يتلونها رسميًّا في الصلوات العامّة وكيف تحلّ عندنا تلك الاقوال ازاء الانجيل محلّ الاكرام والعبادة بما انها في الكتاب على ما فيها من معانٍ يخالف ظاهرُها ما تعلمناه عن عصمة التوراة من الخطإ والغلط والله مصدرها والروح القدس مؤلفها وهي كتاب الحق الازلي الى البشر واساس شرعنا الكنسي وينبوع ايماننا القويم

وعليهِ قد رأينا ان نجمع اشدّ ما جاء في المزامير من اقوال الانتقام ونلخصها في ثلاث قضايا زيادة في الايضاح والتدقيق في وضع مقالتنا هذه فنقول :

(اولًا) ان النبي يستحلف الديّان العادل ان ينتقم من اعدائهِ اشدّ الانتقام فاين منه المحبة وصفح الذنوب ؟

(ثانيًا) ان النبي يتمنى ان يبلغ القصاص من الشرير اقصاه حتى يحلّ بآلهِ وامّهِ وابيهِ وزوجتهِ واولادهِ فاين منه العدل والانصاف لانه لا عقاب الا للمذنبين اما آل المذنب فهم ابرياء ؟

(ثالثًا) ان النبي يبالغ بالبغض عندما يتمنّى لخصمهِ ما لا يتمنّاهُ مؤمنٌ لألدّ عدوّهِ اعني الهلاك الابدي فاين منه عاطفة الرحمة ومخافة الله ؟

فهل من سبيل الى حلّ هذا المشكل المُريب سيّما وقد شغل النفوس في ايام الحرب العظمى لمّا تساءل بعض المسيحيين هل يحقُّ لهم ان يصوّبوا على اعدائهم اللعنات الواردة في المزامير . وطرحوا هذا السوءَال على الاكليروس الانكليكاني وكانت في انكلترة الكنائس مفتوحة والناس يبادرون اليها زرافاتٍ ووحدانًا يطلبون النصر لعساكرهم من رب الجنود . فانعقد المجلس المعروف بالبيتين للشورى ( The Two Houses of Convocation ) في مدينة كنتوربري وتُبودلت الاراء

واختلفت المذاهب بشأن تلك المزامير (١

فمن المستشارين من كان يخاف من تحريفها صيانةً لحرمتها وهي كتاب الصلوات التقليدي الذي صادق عليه السواد الاعظم من البروتستانت الانكليز حتى امسى كدستور العبادة عند الخاصّة والعامّة منهم منذ انشاء البدعة البروتستانية فخافوا ان يكون تحريفه باعثاً على الشك والريب في قلوب السذّج منهم

الّا ان معظم المستشارين اقنع المجلس بالعدول عن الخطّة القديمة وحذف مزامير اللعنة من كتاب الصلوات لأنها امست في زعمهم قديمة العواطف لا تناسب العصر ولا روح الانجيل الذي هذّبنا واوصانا بالصفح ومحبّة الاعداء

ولم يجهل البروتستانت الانكليكانيون ان الكنيسة الكاثوليكية ما برح كهنتها يردّدون تلك المزامير في الفرض القانوني الّا ان المجلس رأى الاقتداء بها في هذا الامر غير محمود خلاف ما اعتادوهُ من الأخذ عنها فيتدبير شؤونهم الدينيّة. امّا نحن فلا نرى في مزامير اللعنة ما يدعونا الى حذفها من الصلاة العامّة لانها وان كانت في الظاهر غير مطابقة لما تعلّمناه من المحبة للقريب ومسامحة الاعداء هي في الحقيقة ليست الّا اسلوباً قد اختاره الكاتب الموحى اليه من الروح القدس ليدلّ على احدى صفاتهِ تعالى اعني عدلهُ الغير المتناهي وبغضه الغير المتناهي وهذا ما نروم ايضاحه في مقالتنا هذه

حاول كثيرٌ من شرّاح الكتاب المقدس ان يفكوا هذا المشكل الذي نحن الآن في صدده فلنأخذ بذكر بعض ارائهم لزيادة الايضاح ورجاءَ ان نجد بين اقوالهم درّة ثمينة نلتقطها ونضمُّها الى أجوبة جمّة يقتضيها الحلُّ الكامل لمشكلنا هذا

...

ان كلفينوس زعيم بروتستانت جنيف شرح المزمور ٣٤ في كتابه الضخم الذي

---

(١ راجع Tracts on Common Prayer, nº 1. The Use of the Psalter. 1 Plea for a revised used of the Psalter in Public Worship. by the Rev. C.W. Emmet. II The Imprecatory Psalms, by Dr Burney. III The Language of Vindictiveness in the Prayer Book, in the Bible, and in Moderne Life, by Dr Sanday. *Oxford* 1918-*Expository Times, nº* 12-*Sept*. 1918, *Vol*. 29

ضمَّنه مجموع تعاليم المصلحين كلّه (١ قال: « ان داود لا يدافع عن نفسه ولا يطاوع شهوةً ثارت في صدره بلا رويّةٍ ولا حكمةٍ بل انه بالهام روحي يطلب للهالكين ما يستحقونه فلا يدور في خَلَده عاطفة ثأر او ضغينة او غيرهـا من العواطف الغير المحمودة »

الَّا اننا نلاحظ ان صاحب الزبور لا يتكلم عن الهالكين بل عن اناس احياء يدعو عليهم بالويلات في هذه الحياة. امَّا كلفينوس واتباعهُ في البدعة فانَّهم يعتقدون ان الله يَسِم بسمة الهلاك منذ هذه الدنيا اولئك الذين سبق وحدَّد انهم سيهلكون ولذلـك لا يرى كلڤينوس ان في اقوال النبي عليهم بخساً في حقوقهم. الَّا ان هذا تعليمٌ ضالّ فاسد ومناقض لرحمة الله تعالى وجوده الغير المتناهي فانه تعالى كما قـال القديس بولس يريد ان جميع الناس يخلصون ويبلغون الى معرفـة الحق (١ تيموتاوس ٢ : ٤ ) لانه صالح وحنون ولا يفرح بموت الشرير ولكن بخلاصه وقد بذل المسيح دمهُ لخلاص الجميع والانسان ما دام عائشاً على الارض لا يحرمه الله تعالى نعمة التوبة والاهتداء.

ثم انه من طالع هذه اللَّعَنات في مواضعها لا يجد فيهـا شيئاً من الاعتدال كمـا يزعم كلڤينوس ( مزمور ٦٧ : ٢٢ ) :

« ان الله يُهشِّم رؤوس اعدائه
والهامة الشعراء من السالك في آثامه . . .
لكي تتخضَّب رجلك بالدم
وتلحسَ السنةُ كلابك دمَ الاعداء »

. . .

ولقائل ان يقول ان ما جـاء في الزبور ال ٦٨ وال ١٥٨ على لسان النبي من اللعنات انما مصدره الحقيقي اعـداء النبي وهم المؤاخذون برغبة الانتقام والشتم والسباب

هبْ ذلك القول كافياً لإفحام من اعترض على ورود اللعنـة في هذين الزبورين

(١ وهو المسمَّى Corpus Reformatorum. Vol. 58. JOANNIS CALVINI opera quae supersunt omnia. *Brunsvigae*, 1886. *In Psalm.* 108 *et* 34 ... *T. XXX - XXXII*

فكيف يسوغ ما ورد منها في كثير من الاسفار المقدسة ؟ فقد جاء في نبوة ارميا مثلاً (١٨ : ٢١) :

« سلِّمْ بنيهم الى الجوع وادفعهم الى يد السيف
ولتكن نساؤهم ثكالى وارامل ورجالهم قتلى الموت . . .
فلا تغفر اثمهم ولا تمحُ خطيئتهم من امامك »

. . .

وقد حاول بعض المفسرين ان يحملوا كلام اللعنة محمل التفاؤل والنبوة فقط . قال القديس يوحنا فم الذهب : ان الانبياء يتنبأون بالامور المستقبلة فيتكلمون عنها كما لو كانت حاضرة القاء لهيبتهم في قلوب السامعين وتهذيباً لهم بامثال القصاصات التي حلّت بغيرهم من الناس . وكذلك يعلّم اوسابيوس (١ ان الكتاب المقدس يستعمل صيغة الامر حيث تعوّدنا استعمال المضارع . وقد اثبت مار توما اللاهوتي (في شرحهِ المزمور ال ٥٤ )قول القديس اوغسطينوس ان « كُن وكوني » معناهما «سيكون وستكون» وكذلك ارتأى رأي الاباء القديسين عدد غير قليل من المستحدثين فكتب الانباء دوكلو (٢ في مؤلف له ردَّ فيه على من اساء تأويل الكتاب المقدس وعدّه ككتاب بشري عرضةً للزلل والضلال قال : « ان تلك الاقوال التي يسميها لعنات من جعلوا دأبهم نقد التوراة دون فهمها ليست هي شتماً ولعناً إنْ هي الّا نبوآت » . وقال الانبا لسيتر (٣ : « هو الله يتكلم ويتهدد ويلعن فليس في اقواله طلب او تمنٍّ او لعنة بل قال فحكم وجلا عمّا يكون »

وكأني بالاسفار المقدسة تثبت بعضها افلم يورد القديس بطرس آيات الزبور ال ١٠٧ وال ١٠٨ كما لو كانت نبوآت لا لعنات قال ( اعمال ١ : ٢٠ ) : « ايها الرجال الاخوة ينبغي ان تتمَّ هذه الكتابة التي سبق الروح القدس فقالها على لسان داود عن يهوذا . . . وقد كُتب في سفر المزامير لتصِرْ دارُهم خراباً ولا يكن فيها ساكن

١) راجع شروحهُ على المزامير في مجموعة الآباء لمين ج ٢٣ ص ٣٠٠ و ٤٨١

٢) اطلب **Du Clot :** La Ste Bible Vengée. p. 353, *T. II Gautier, Besançon* 1835

(3 **Lesêtre** : les Psaumes, *Lethielleux*.

وليأخذ رئاستهُ آخر » . ولذلك رأى العلامة كورنيلي هذا القول افضل حلّ للمسألة(١ »
ولمّا انتقد هذا الرأي داڤيدسن « لانه مخالف لفكر المؤلف ومُبدل الامر بالمضارع حين
ان الامر عند العبرانيين يُعبّر عن رغبة وقوع الفعل والمضارع عما يستقبل من الزمان »
ردَّ عليه كورنيلي قائلًا : « لا ريب في ذلك ولكن لا يخفى علينا ان كثيرًا ما يأتي الامرُ
بمعنى المضارع على سبيل المجاز كما ورد في اشعيا (٢٣ : ١ ) : « وَلْولي يا سفن
ترشيش فقد دُمّرَتْ حتى ليس بيت ولا مدخل . . . اندهشوا يا سكان الجزيرة . . .
اخزي يا صيدون »

الّا انه ليس بيسير ان يُعدّ كل ما ورد من اللعنات في الاسفار المقدسة كنبوءات
ولا نرى ما يمنع من استعمال حقيقة الالفاظ غالبًا دون المجاز

فلذلك اجتهدنا ان نؤدي بعض الاجوبة نرجو انها تحلّ المشكل حلًا مُرضيًا
لاسيما اذا اتخذتَها ايها القارئ اللبيب لا بأفرادها فقط ولكن بمُجملها فارتباط الادلّة
يزيدها قوّةً ويولد في العقل ذلك الارتياح والاطمئنان الذي يشعره الانسان اذا انتقل
في معرفته من الشك الى اليقين

وبما اننا لخّصنا اقوال اللعنة في ثلاث قضايا رأينا ان نرتب على ذلك التقسيم
الاجوبة عن هذه الاسئلة الثلاثة . فنعرض اوّل سؤال ونقول : كيف لم ينقص صاحب
المزامير من حقوق المحبة نحو القريب ؟

١ التوفيق بين حقوق المحبّة نحو القريب ودعوة الانبياء

قل العلامة سوارز (٢ ان الله تعالى في العهد القديم اخضعَ البشرَ لشريعة العدل
والإرهاب فان نارًا من السماء هبطت واكلت قائد أَخزيا ورفقاءه الخمسين لمّا دعا
عليهم النبي ايليا (٤ ملوك ١ : ١٠) . امّا في العهد الجديد فكأني بالرحمة والرأفة تسلّطت
على العدل والنقمة لان التلميذين يوحنا ويعقوب لمّا طلبا من المسيح ان يُنزل نارًا من
السماء على السامريين قال لهما الرب (لوقا ٩ : ٥٥) : « انتما لا تعرفان من اي روح انتما »
ومعنى كلامه « قد زال روح العهد القديم روح العبودية والخوف وحلّ عليكم الان روح

(1 **Cornely :** Introductio in V.T. libros sacros, *Lethielleux*,1887, p. 122

(2 **Suarez**: T. XIV. p. 15.de Oratione -**c. 19,** 6.

جديد روح المحبة والصفح» . اما صاحب الزبور فقد كان تحت ناموسٍ قاسٍ قيل فيه «العين بالعين والسنّ بالسنّ» فلم يكن مُخطئ اذا عامل خصمهُ بمقتضى ذلك الشرع ودعا عليه بما هو اهلهُ من الويلات والنوائب

لا بل ودعاء النبي على اعدائه وتسليمُ امرهِ الى الله تعالى جدير بالمديح في ايامٍ تعوَّد فيها الناس اخذ حقّهم من خصمهم دون الالتجاء الى سلطة شرعية مرتَّبة فكانوا يسفكون الدماء وشروط الثأر حلّلت لهم تلك الفظائع . امَّا داود فكان مزمعاً ان ينتقم من خصمه نابال ( ١ ملوك ٢٥ : ٣ ) الذي كان اهانه لكنه تنازل عن حقوقهِ الى الله تعالى وطلب منه ان يقتصَّ له من عدوّه وحاز بذلك مديح الكتاب المقدس . فدعاؤه ولعنته كانا برهاناً على ايمانهِ بالعدل الالهي وتسلُّطهِ على شهوته

لا شك ان شريعة المحبة عُرفت عند يهود العهد القديم وكانت عندهم الوصية الثانية «احبب قريبك كنفسك» وهي اشبه بالاولى «احبب الهك من كل قلبك» ولم ينفِ الكتاب حقوق الخصم من تلك القرابة ولكنه لم يذكرها وروح الصفح والغفران في العهد العتيق كان نسبةً الى العهد الجديد كالطفل الصغير بمقابلة الرجل القوي فلا عجب ان لم تظهر تلك فضيلة المحبة برونقها وجمالها في سيرة الابرار الذين حفظوا الناموس الموسوي ولم يشعروا بحلاوة شريعة من قال (متّى ١١ : ٢٩) : « تعلموا مني اني وديع ومتواضع القلب . وقال (متّى ٥ : ٤٤) : «أَحبُّوا اعداءكم وأَحسنوا الى مبغضيكم» . والذلك لم يتجاوز النبي حقوق المحبة لمَّا فاه على خصمهِ بكلام الانتقام والشتم بل عمل بحسب الناموس

٢ التوفيق بين سنَّة العدل ولعنات الانبياء

وربَّ معترضٍ يقول : قد سلَّمنا بذلك ان النبي اذا طلب من الله ان يقتصَّ له من عدوه وعمل بموجب الشريعة فلا حرج عليه وهو لم يتعدَّ حقوق القريب ولكن ليس الامر كذلك فانت تسمعه يلعن اولاد الخاطئ وآلهُ ويتمنَّى موت البريَّ فان كان العدل يسلّح الحاكم بسلاح القوة والقصاص لينتقم ممَّن خالف النظام وذلك العدل فضيلة في الحاكم وهو من اركان المجتمع الانساني الَّا ان من تعدّاه واستعمل ذلك السلاح الجارح في غير موضعه يرتكب جريمةً وقد يستعمل القصاصُ كسلاح في غير موضعهِ اذا عوقب الاثيم من غير ذنبٍ او بعقاب غير مناسب للذنب . فبناء على ذلك

قل يا رعاك الله باي حق يفوه النبي بمثل هذا الكلام في الزبور (٧٨ : ١٢) : « وكافئ جيراننا بالعار الذي عيَّروك به سبعةَ اضعافٍ »

أفلم يكن كافياً ان يقتصَّ الله من اعداء شعبه مرَّةً واحـدة حسبما امر على لسان موسى «العين بالعين والسنَّ بالسنّ» حتى يُنزل العقوبات منزلها ؟ وايُّ خطيئة خطئ هؤلاء الاولاد الصغار وهؤلاء النساء والشيوخ حتى يتمنّى لهم صاحب الزبور عذاباتٍ وآلاماً تقشعرُّ لها الابدان فاين العدل والانصاف ؟

نأتي بثلاثة اجوبة ردًّا على هذا الانتقاد فنقول :

( اولًا ) ان الله تعالى كان يظهر عدله في العهـد القديم ويقتصّ من الخطأة باشدّ صرامة منهُ الآن في العهد الجديد فيهذّب شعبهُ بالامثال والافعال ويُنذره بمـا فاتهُ عن شرّ الخطيئة الجسيم . لاننا منذ اضاءت علينـا شمس الانجيل تعلّمنا ان الخطيئة هي الشر الغير المتناهي والدرَن الملطّخ النفس الفاصلها عن محبة خالقها فمن اجلهِ تنتقل من حال النعمة الى حال اللعنة وتصير مستحقّةً للنار الابدية . وقد نقرأ في جراحات الصليب كل ما احتمله الاله المتجسد ليفتدي بدمه ما خسرناهُ باوزارنا ويكفّر عن معاصينـا تكفيرًا تامًّا فيسهل علينا النظر الى الذنوب بعين الذكاء وتقديرها كما يقدّرها الديّان الرهيب في ميزان عدله

امّا اليهود فلم يدركوا مثلنا ثقل المعاصي ليتحاشوها فحفر الله وصاياه على الحجر وعرضهـا لشعبه على يد موسى لعلّهم يفطنون وانذرهم أن «اجتنبوا المـأثم والّا لأُذيقنّكم مرَّ العذاب فتعلموا (خروج ٢٠ : ٥٤) «انّي انا الرب الهكم اله غيور افتقد ذنوب الاباء في البنين الى الجيل الثالث والرابع من مبغضيّ» وقـد انجز الله ما وعد وانزل نارًا من السماء على سادوم وعاموره (تك ١٩ : ٢٤) وارسل ملاكه فقتل ابكار المصريين وفتك بذينك اللاويّين اللذين مسّا تابوت العهد غير مكلّفَين

أفمن العجب اذًا اذا تكلم على لسان نبيه بتلك اللعنات وتهدّد بها الاثيم وهو الاله ذو العدل الغير المتناهي فـلا جرم اذًا على صاحب الزبور ان تمنّى لخصمهِ وآلهِ واولاده ذلك العقاب الصارم الذي وضعهُ الله جزاءً للخاطئ واهلهِ كمـا انه لا جرم عليك ان رأيت شقياً قد قتل غيرهُ وأبرز العدلُ المدني فيه حكم الاعدام ان ترغب تنفيذ الحكم لينال الشرير ما يستحقه من العذاب ويكفي الدنيا شرّهُ

ولا تقل ان النبي تجاوز حقوق العدل البشري لمّا اقتصّ من خصمهِ كما يقتصّ الله من الخاطئ فاستمطر الويلات عليه وعلى ذرّيته وآله كما لو كانت الاهانة التي صدرت في حقّ النبي تبلغ الاهانة المتوجهة نحو الله بالثقل والفظاعة وشتّان بين شرف الخالق وشرف الخليقة . أجل الآن النبي الداعي على الاثيم لا ينظر اليه كعدوّ شخصي بل كعدو الله نفسهِ ولذلك يطلب قصاصه وقصاص ذرّيتهِ بحسب العدل الصارم ابتغاء لمجد الله عزّ وجلّ

ومن ثمّ نجيب (ثانياً) ؟ لان الله تعالى في العهد القديم كان قد قطع عهداً مع شعبه ان يتولّاه بعناية خصوصية ويدفع عنه غارات اعدائه ان سلك طريق الصلاح وعمل بحسب وصاياه وكان قد تنازل الله تعالى فأملى على لسان انبيائه كشروطٍ عقَد بها اتفاقهُ مع اسرائيل بحيث يؤدون له واجب الخدمة في هيكل قدسهِ ويحافظون على شرائعه فيُنعمهم خيراتٍ ونعماً حتى في هذه الدنيا وان خالفوا عهده يعاملهم بقساوة ويفتقدهم بالآفات والمحن حتى في هذه الدنيا فأصبحت اذ ذاك سعادةُ اسرائيل وتعاستهُ متعلقةً على حسن سيرته وخدمته لربّه او على اساءتهِ اليهِ ومخالفتهِ لما وعد به الله رؤساء الشعب باسم الجميع . فبموجب ذلك النظام الالهي كان الصالحون خير مساعد للشعب والخطأةُ شرّ آفةٍ لهم . فالاولون بايمانهم وامثالهم يثبّتون اخوتهم في الصلاح والبرّ ويستدرّون النعم والبركات والآخرون بقبيح تصرفهم يجتذبون الضعفاء والسذج من اليهود الى الشرّ والكفر ويستمطرون البلايا والويلات . فعلى هؤلاء قام النبي بكلام السبّ والشتم وتمنّى لهم العذاب لعلّهم يرعوون ويكونون عبرةً لمن اعتبر

ولمّا كثر عدد المنافقين واختلطوا بالامم المجاورة تعلّموا منها عبادة الاصنام ثم عادوا بين ذويهم يتعاطون شؤون الدين وهم مدنّسون ومن ثمّ انتصرت الامم على اليهود وقهرتهم وهتكت حرمة الهيكل واقداسه وخيف على وجود الشعب المنتخب وعلى الدين القويم فتسلّح النبي بالحمية الوطنية والغيرة على حقوق الشريعة وبيت المقدس وانشد وقال (المزمور ٧٨) :

« اللهمّ ان الامم قد دخلوا ميراثك
نجّسوا هيكل قدسك جعلوا اورشليم اطلالاً

جعلوا جثث عبيدك طعاماً لطيور السماء
لحوم اصفيائك لوحوش الارض
سفكوا دماءهم مثل الماء حول اورشليم ولم يكن من دافن
صرنا عاراً لجيراننا وهزؤاً وسخرة للذين حولنا »

فلهؤلاء الاشقياء اعداء الله اعداء اسرائيل واعداء النبيّ يتمنى هذا اشدّ البلايا :

أَفِضْ غضبك على الامم التي لم تعرفك
وعلى الممالك التي لم تدعُ باسمك . . .
وكافِئْ جيراننا سبعة اضعاف في احضانهم
بالعار الذي عيّروك به ايها السيد »

فيدعوهم النبي امام الديّان العادل حتى في حياتهم هذه لئلا يزيدهم اهمال القصاص فجوراً فيكونوا كحجر عثرة وشكّ في طريق البار (المزمور ٤١ : ١١) :

« اقول لله انت صخرتي فلماذا نسيتَني
ولماذا امشي بالحداد من مضايقة العدو
عند ترضُّض عظامي عيّرني مضايقيّ
بقولهم لي النهار كله : اين الهك ؟ »

ويتبيَّن لنا جلياً كيف قرن النبي حجّته بحجّة الله تعالى وتمنّى قصاص الخاطئ وهو خصمه في هذه الدنيا اذا تذكرنا ان اليهود كانوا يترقّبون في هذه الحياة إنجاز حكم الله بين الخير والشر . فنحن المسيحيون ان رأينا الشرير سعيداً والصديق تعيساً قلنا : « لابأس لان المسيح قال : طوبى للحزانى طوبى للجياع طوباكم اذا اضطهدوكم من اجلي وسوف يأتي على سحاب السماء يؤدّي لكل بحسب اعماله » . اما اليهود فكانوا ينتظرون عقاب الاثيم في هذه الحياة كما كانوا يرجون المكافأة على الحسنات في هذه الحياة فلذلك يستحلف النبيُّ الله ان يظهر حكمته وتدبيره وقوته وعدله وينتقم حالاً من الشرير لئلا يقول للصديق : اين الهك ؟ الله لا يرى ولا يعرف (مز ٤٣ : ١)

« اللهم احكم لي وخاصم لدعواي مع امة غير صفيّة
ونجّني من صاحب الكدّ والاثم . . . »
(مز ٧٢ : ٢) امّا انا فاوشكت قدماي ان تزيغا وخطواتي كادت تزل
لاني غِرْتُ من السفهاء اذ رأيتَ سلام المنافقين
فانهم لا اوجاع لهم الى الموت وابدانهم سمينة
ليسوا في ضرر كالناس ولا يصابون مع البشر »

وكأنَّ صبر الله زادهم شرًّا وفجورًا اردف النبيّ :

« لذلك تطوّقوا الكبرياء واكتسوا ثوب الجور
فيهم الاثم يخرج من الشحم . . .
لذلك يرجع شعبي هنا ويجرعون مياهاً طافحة
ويقولون كيف يكون الله عالمًا وهل من علم للعلي ان هؤلاء منافقون
وهم مدى الدهر في دعة وقد ازدادوا ثروةً
اذن باطلًا ذكيت قلبي وغسلت كفّيّ بالنقاء
وكنت مضروبًا النهار كله . . .
ولقد هَمَمتُ ان أُدرك ذلك لكنه عسرٌ في عينيّ

ولذلك التجأ النبي الى الصلاة وتبصر في آخرة الاشرار وعلم انهم جُعلوا في مزالق ووقعوا في تهلكات وصاروا الى الخراب في لحظة وانقرضوا وفنوا من الاهوال فطاب نفساً وقرّ عيناً لان الله انتصر على اعدائه ( مز ٥٧ : ١١ ) :

« يفرح الصدّيق اذا شهد الانتقام
يغسل قدميه بدم المنافق
فيقول الانسان ان للصدّيق ثمرًا
ان في الارض لإلهًا ديانًا »

وقد يراعي صاحب اللعنات حقوق الرحمة حتى في الاقتصاص من اعدائه لانه اذا طلب للشرير الخجل والعقاب فذلك ابتغاء لاصلاحهِ وخيره ( مز ٨٢ : ١٧ ) :

« املأ وجوههم عارًا فيسألوا عن اسمك يا رب
ليخزوا ويرتاعوا الى الابد وليخجلوا ويهلكوا
فيعلموا انك انت وحدك اسمك الرب المتعالي على جميع الارض

(ثالثًا) وقد يُسمَع من يقول : سلّمنا ان العدل الالهي في مظاهراته كان اقسى معاملةً للخطيئة في العهد القديم منه الان في الحاضر وانَّ بغض النبي للخطيئة في شخص الخاطي كونهُ عدو الله والصديقين أملى عليه اللعنات والشتائم التي قرأناها لكنَّهُ لا يندر ان تجد في المزامير بعض معانٍ مخالفة لكل روح انسانية ورحمة مما لا يطاق احتماله

وقد جاء في الكتاب الذي وضعه المحترم اِمّت وقد اشرنا اليه في بدء هذه المقالة وعنوانه « استعمال المزامير » ما يلي تعريبه : « ايُّ فائدة روحية يجتنيها مَن دخل الكنيسة وقت صلاة المساء او ايام الاحد فسمع الولد البريء القائم بخدمة الهيكل

او السيدة المعتنية بنظام الترتيل ينشدان باجمل اصواتهما ويطلبان من الله ان يُثكل امرأة عدوهما ويُيَتّم اولاده ويسألان عسى ان يُمنحا النعمة فيخوضا برجليهما في دم الخطأة ( مز ٥٧ : ١١ ) :

وقد ذكر كارل هِنْريش كورنيل الاستاذ في كلية هاله (Halle) الزبور ال ١٣٦ المشهور لما فيه من لطيف العواطف وحسن الشعور :

« على انهار بابل
هناك جلسنا فبكينا
عندما تذكرنا صهيون . . . »

حتى انتهى الى الآيتين الاخيرين :

« يا ابنة بابل الصائرة الى الدمار
طوبى لمن يُمسك اطفالك
ويضرب بهم الصخرة »

فقال : «من لي ان تُقطع يدي اليمنى ولا ارى هذه الآية في نهاية هذا الزبور الجميل!» فهل من وسيلة الى تأويل تلك الآية بحيث تخفف ما يظهر فيها من غليظ المعنى وشرس الطباع فلا نبالغ باستهجانها وتسلم يد الاستاذ كرنيل من القَطْع؟ أُجيب نعم وحسبنا ان نرجع الى مصدرها ونبحث في غاية المؤلف فيها لنفهم معناها

فاقول ان تلك الآية كسائر الاسفار الموحى بها لها مؤلفان الاول هو الله تعالى والثاني هو الانسان . كلٌّ من الاثنين له في كتابة التوراة تأثير العلّة الفعّالة بعلولها امّا الله تعالى فيبتدعها لكونه العامل الاول الاصيل واما الانسان فيؤثر فيها لكونه الآلة التي تنتقل الى انجاز العمل بحسب مشيئة ومعاملة العامل الاصيل . وانما مشيئة الله تعالى اذا استعمل الانسان كالآلة ليست الّا خلاص البشر وما من شأنهِ ان يهدي الناس الى غايتهم القصوى . فلأنَّ الله تعالى املى على صاحب الزبور تلك الاية التي ادهشنا وجودُها في التوراة تحتَّم علينا ان نقول انها موجودة لتعليمنا ومساعدتنا على السلوك في منهاج الصلاح بمخافة الله وتقواه

الا انه ليس ضرورياً ان نتخذ هذه الاقوال وغيرها كما لو كان الله تعالى اوحى بها حرفاً حرفاً وبتمام نصّها الى النبي مهما ذهب اليهِ بعض المفسرين في هذا الزعم بل يسوغ لنا ان تنسب اسلوب المزامير وطرق معانيها واختيار الفاظها الى النبي نفسه

كانه وحده مؤلفها لانه وان كان آلةً في يد العامل الالهي الّا انه آلةٌ حيَّة ولا جرم عليه ان يتصرف في تأليفه كما يتصرف كل مؤلف بحسب ما طُبع عليه من الميل الى الشعر او النثر والى استعمال التخيُّل والمجاز او النص البسيط واستعمال الالفاظ بحصر معناها. فبناء على ذلك اذا توخّينا فهم آية من ايات الكتاب لا بدَّ لنا من المرجع الى المؤلف البشريّ فندرس طبعه وعوائده واساليبه ثم نحكم عن معانيه بالقرائن. امّا صاحب الزبور فبديهي انه كتب كشاعر وقد استعمل اسلوب الشعراء في زمانه وبلاده فلم يخشَ ان يكتب ما كتب عن بنت بابل. وان ابتغينا ادراك حقيقة ما اختلج في صدره من العواطف فلا بدَّ ان نرجع الى عوائد العبرانيين في تلك الايام

هي الدهور مضت عليها لكن اذا قاربنا بين ما جاء من اللعنات في التوراة وما يأتي من الشتم والهجاء والذم في اللغة العربية عاميَّةً كانت او لغويَّةً نرى ان لهذه الالفاظ جزءًا كبيرًا من المجاز يأمرنا ان نخفف كثيرًا من معانيها ان اردنا ان لا نتجاوز حدود الحق في فهمها فلا يندر ان تسمع امًّا اذا عيل صبرها على ولدها تخزيه قائلةً: «تُضرَب» «يَكسِرْ يدك» «يقصف عمرك» ثم اذا هدأ ولدها او اظهر لها الطاعة تلاطفه بهذه الاقوال «تقبرني» «انت عيوني» واذا انصدع له عضو او وقع مريضاً تسمعها تكلمه بالفاظ صاغها الحنو «يا بني انا فداك». أفمن المحتمل ان ينتقل قلب الام من اللعنة الى البركة بعدة بضع دقائق? كلّا ثم كلا ولكن تلك الفاظ الشتم والسب جاءت على لسان الام ولم تفطن لها بل كانت كرجفة تهددت بها ولدها لعله يكفيها ويكفي نفسه شر الاذى. قال الشاعر عن لسان والدة:

ادعو على ابني وقلبي يقول يا ربّ لا لا

واوضح ما يدل على ان كلام اللعنة ليس له تلك المعاني الفظّة التي تظهر لقارئ التوراة غير المتعود على عوائد الشرق ان بعض من الشتائم يتقابل بها الاصحاب على سبيل المزح والضحك «يخرب بيتك» «يلعن ابوك» وغيرها

وانك قد تقرأ في الكتب اللغوية ككتاب تهذيب الالفاظ لابن السكيت وكتاب الالفاظ الكتابية لعبد الرحمان بن عيسى الهمذاني وكتاب مجمع الامثال لابي الفضل النيسابوري المعروف بالميداني ابواباً واقوالًا تختص بالهجو والثأر والشتم واللعنة وقد جمعها المؤلفون ليستعين بها المطالع فيختار منها ما يصلح له في مناقشة او

محاورة او قصيدة سلكت بها عادة العرب الى السباب سواء كان ذلك بحصر المعنى او بالمجاز

وكثرة استعمال هذه الاقوال دليل على انَّ قائليها لم يُفوها حقَّ الانتباه فيَسألون عنها بتمام معناها . فمن الناس من يلعن الطعام سواء خالف او وافق ذوقه . وقد جاء في كتاب مجمع الامثال مـا شابه الآيتين الثامنة والتاسعة من الزبور المئـة والسادس والثلاثين شتماً وطعناً فاورد الميداني هذا المثل « تَرِبت يداك » ثم علق عليه ما يلي (١ . « قال ابو عبيد يقال للرجل اذا قلَّ مالهُ قد تَرِب اي افتقر حتى لصق بالتراب . وهذه كلمة جارية على السنة العرب يقولونها ولا يريدون وقوع الامر أَلا تراهم يقولون : لا ارض لك ولا امَّ لك » ويعلمون ان له ارضاً وامَّاً قال المبرد : سُمِع اعرابي في سنة قحط بمكة يقول :

« قد كنتَ تسقينا فما بدا لكا رب العباد ما لنا وما لكا أنزل علينا الغيث لا ابا لكا

(قال) فسمعه سليمان بن عبد الملك فقال : اشهد انه لا ابا له ولا ام ولا ولد

وكذلك يُضرب المثل لمن يطلب ما لا نفع له : « ثكلتك امُّك ايَّ جدٍ تَرقع »

فمن نقل هذه الالفاظ الى اللغة الافرنسية مثلًا ولم يراعِ بترجمتها اصطلاح المجاز بـل عبَّر عن كل لفظة بحصر معناها ابتعد عن المعنى الاصلي ودفع القارئ الافرنسي الى القول : « يا لهم من امَّة متوحشة » مع ان الضارب بالمثل العربي تمنى الثكل لأُم صديقهِ على سبيل المزاح

ورب شتائم ولعنات جاءت بصورة التمني وليس لها في واقع الامر الَّا معنى الذم « كجدع الله مسامعه » فعلق الميداني على هذا المثل وقال ( ١ : ١١٣ ) : « هذا من الدعاء على الانسان والمسامع جمع السمع وهو الاذن وجمعها بما حولها كما يقال غليظ المشافر وعظيم المناكب » . فهذه وغيرها (٢ من الامثال تسوّغ لنا منهم ما جاء في المزامير من اقوال لا يطابق احتمال معناها كما يفهم العرب اقوال الشتم والهجاء بحيث نعتبرها كاسلوب من اساليب البلاغة ويحق لنا تشبيه عوائد الكتاب العبرانيين بعوائد كتاب

١) راجع الجزء الاول من مجمع الامثال للميداني (طبع بالمطبعة الخيرية سنة ١٣١٠ هجرية في الوجه ٨٨) ٢) مثل ما جاء في كتاب الامثال في الوجه ١٢٩ : « لا ترك الله لهُ في الارض ولا في السماء مصعداً » عن دعاء قالتهُ امرأة على ولدها

العرب لما بينهم من قرابة الاصل واللغة والآداب

٣ التوفيق بين عاطفة الرحمة وتمنّي الانبياء بهلاك اعدائهم

امّا الان فبقي علينا ان نردّ على ثالث سؤال يأتي بهِ مَن انعم النظر باقوال النبي على خصمه «ان يُمحى اسمه من كتاب الاحياء ومع الصديقين لا يُكتب» (مز٦٨: ٢٩) فاننا قلنا سابقاً ان الله تعالى يقتصّ من الخاطئ لاصلاحه وخيره فكيف يطلب النبي من الله ان يُضرَب الشرير فيهلك؟

وقد رأينا ان نعالج هذه الاية بمعزل عن سائر ايات الدعاء واللعنة لما لها من المعنى الخطير لانه لا انسان يدرك حقيقة الهلاك الابدي والافتراق الابدي عن الله الغاية القصوى الّا ويتمنَّى ان يهتدي البشر اجمعين الى خالقهم ويخلصوا من النار فكيف وردت تلك الاية على لسان النبي وهو كاتب الوحي؟ قد شغل المفسرين هذا المشكل فاتوا باجوبة منها:

(الاوّل) ان النبي لمّا تمنّى لخصمه « ان يمحى اسمه من سفر الحياة لم يطلب هلاكه لانه لم يكن يفهم بتلك الحياة السعادة الابدية الفائقة العقول التي علّمنا العهد الجديد انها تكون برؤية الله تعالى وجهاً ازاء وجه والتمتُّع به. وكما ان معرفة اليهود لعواقب الانسان كانت محدودة وغامضة ان بحثوا عن النعيم فكذلك كانت غير تامّة وغامضة ان بحثوا عن الجحيم فيأتي ذكرها خمسين وستين ومرة في التوراة وليس لها المعنى الذي يُراد به عندنا مقر الهالكين

فان قرأت ما كتبه ايوب عن الدار الخالدة بقيتَ في ريب هل فرق المؤلف بين جحيم الصديقين (وهو اليمبوس) وجحيم الخطاة (اي جهنّم) او هما عنده سواء (ايوب ١٤: ٧): «الشجرة لها رجاء فانها اذا قُطعت تُخلف ايضاً وفراخها لا تزول... اما الرجل فاذا مات لبث هناك والبشر متى فاضت روحه فاين يوجد...»

وكذلك جاء في سفر الجامعة من الاقوال بحيث يظهر منها ان اعتقاد اليهود في العهد العتيق لم يكن واضحاً بما يخصّ عواقب الانسان وجزاء الخير والشر في الحياة الاخرى (الجامعة ٩: ٣-٥) «وشر ما يجري تحت الشمس ان حادثاً واحداً للجميع فتمتلئ قلوب بني البشر من الخبث وصدورهم من الجنون في حياتهم وفيما بعد يصيرون الى الاموات... والاحياء يعلمون انهم سيموتون اما الاموات فلا يعلمون شيئاً

وليس لهم من جزاء بعد اذ قد نُسي ذكرهم». ذكرتُ هذه الايات لا كأن العقائد العظمى التي يعرف بها الانسان خلود النفس وجزاء الاعمال في الحياة الاخرى لم تكن راسخةً(١ عند اليهود ولكن لأُبيّن انها لم تكن معروفةً عندهم بتمام الوحي وصراحة التعليم كما هي عندنا منذ اشرقت علينا شمس الانجيل. وقد تعوَّد اليهود كما قلنا سابقاً على انتظار إنجاز حكم الله منذ هذه الحياة فيبارك الصديق بطول العمر وكثرة الاموال امَّا الخاطئ فعقابهُ الموت. ولذلك يُباح لنا ان نؤوّل قول النبي انه لما تمنى لخصمه ان يُمحى اسمه من سفر الاحياء لم يتمنَّ له الهلاك الابدي بل يطلب موته او ابعاده عن شركة الصدّيقين او عن جمع اسرائيل لئلا يصير علَّة للشك والخطيئة بينهم

وكذلك ان تمنى النبي لخصمه ان «لا يُكتب مع الصدّيقين» لا نرى من الضرورة ان نفهم كلامه كانه دعا عليه بفقد حال النعمة وخسارة مودة الله تعالى ومحبته لان تعليم اليهود الديني لم يَرْقَ بهم الى معرفة تلك الحياة الروحية التي علَّمناها المسيح له المجد لكنهم كانوا يقصدون بها فضائل تؤثر بحياة الانسان الخارجية اكثر منها بالداخلية فالطهارة كانت تُحفظ عندهم خصوصاً بالامتناع عن مسّ ما حرم الناموس مسَّهُ والقداسة بالانفراد عمَّا حرم الناموس الاجتماع به ولو كان مباحاً من وجه الشريعة الطبيعية المكتوبة على الواح القلوب. فلذلك ان سمعنا صاحب الزبور يحرم خصمه من جماعة الصديقين فحسبنا ان نفهم كلامه كما لو تمنى طرد الخاطئ من اسرائيل

(الثاني) قال الاب الفريد دوران اليسوعي في شرح هذه الآية كما سمعناهُ من فمهِ ان النبي لما تمنَّى لخصمهِ ان يمحى اسمهُ من كتاب الاحياء تكلَّم على سبيل المجاز كما كان سبقه موسي فقال لله تعالى: «والان ان غفرت لهم خطيئتهم والَّا فامحُني من كتابك الذي كتبتَهُ». وتبعه بولس الرسول في رسالته الى الرومانيين في الفصل التاسع في الآية الثالثة وكتب: «ولقد وددت لو اكون انا نفسي مُبسلًا عن المسيح من اجل اخوتي»

فليس من المحتمل ان صديق الله موسى وصديق المسيح بولس يرضيان بافتراقهما عن محبة الله ونعمته انما تكلما بتلك الشدة ليُظهرا عظم محبتهما للشعب ولا يحق لنا

---

١) واعتقادهم في ثواب النعيم وعقاب الجحيم يظهر حتَّى في الاسفار التي يُشكل معناها على الشارحين كسفر الجامعة. وقد اثبت المشرق سابقًا فصلًا خصوصيًّا في اعتقاد اليهود بخلود النفس وجزائها بعد الموت (المشرق ١٤ [١٩١١]: ٨٧٨-٨٨٦)

ان نأخذ كلامهما بحصر المعنى . وكذلك ان سمعتَ النبي يقول ما قاله من بليغ اللعنة فلا تأخذه بحصر المعنى

(الثالث) ومن الناس من يفضل اخذ الفاظ تلك الاية المخيفة بحصر معناها ولا جرم عليهم في ذلك كما انه لا حرج على النبي ان يتمنَّى التدهور للشرير من خطيئة الى خطيئة الى ان يقع في هاوية العذاب الابدي لانه ينتصر لشريعة الله تعالى ويطلب منه ان ينجز ما قدَّره بعدله الازلي على الخطيئة في شخص الخاطي فيؤدب البشر بتلك القصاصات الرهيبة التي يخشونها اذا رأوها قد حلَّت في غيرهم

ولا نستكبرنَّ ذلك العذاب عذاب النار الابدي والابتعاد عن الغاية القصوى فليس باكبر من شر الخطيئة فاننا لا نتشكَّى من مثل هذه الاقوال وغيرها الَّا لاننا اضعنا المعنى الحقيقي للكتاب المقدس مع ما يتضمن من البغض الغير المحدود لشر الخطيئة» (١ اما النبي فكان ينظر اليها متجسمةً في شخص الخاطئ فلم يفرق بين الشخص وفعله وتمنى له ما استحقَّهُ من العقاب

والمسيح نفسه اله الرأفة والوداعة والغفران صوَّب الفريسيين سهاماً صائبة وويلات مرهبة لعلمه انهم متمردون بخطيئتهم فكرههم ككراهته للخطيئة . وكذلك الكنيسة في صلواتها تطلب انكسار اعدائها لئلا ينتصر الشر على الخير بانتصارهم

جئنا بعدة جوابات حاولنا ان نحل فيها المشكل المتولد من قراءة دعوات المزامير فبيَّنا كيف انها مع ما تتضمنه من الكلام الفظّ والعبارات المستقبحة لا تتعدى حقوق العدل وقد جاءت في الكتاب المقدس لتهذيب الشعب الاسرائيلي وردعه عن المآثم

الَّا اننا عند الختام لا بدَّ لنا من الجواب على من يسأل هل يجوز لنا معشر المسيحيين ان نتلو في صلاتنا هذه المزامير وان نصوّب اعدانا بالدعاء والشتم فاقول ان الكنيسة هي المعلمة للايمان وللصلاة وبما انها امرت كهنتها بتلاوة المزامير اجمعها فلا جرم علينا ان تلونا تلك المزامير ايضاً على شرط ان نتمسك بالمعاني المفيدة لنفوسنا والملائمة لروح الانجيل ونبعد عن فكرنا ما جاء فيها مخالفاً لمحبة الاعداء والغفران لهم

ولا بأسَ ان نوجّه تلك اللعنات الى اعداء نفوسنا غير المنظورين اعني الابالسة الاشرار اعداء الله واعداء نفوسنا وقانا الله شرَّهم

---

١) قالهُ برني في شرح هذه الآيات « We have largely lost the true Biblical conception of the exceeding sinfulness of sin» p. 38

# المئة السابعة لوفاة القديس دومينيك

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

هذه السنة الحاضرة غنيَّة بتذكار ما وقع في مئاتها السالفة من الامور الخطيرة ولاسيَّما وفيات افرادٍ من كبار الرجال . وقد مرَّ لنا في الاعداد السابقة ذكر البعض منهم وضربنا الصفح عن غيرهم ولا يسعنا السكوت عن واحد منهم خدم الدين والهيئة الاجتماعيَّة بنفسهِ وبتلامذتهِ من بعدهِ نعني بهِ القديس دومينيك منشئ الرهبانيَّة الدومنيكيَّة الذي احتفل رهبانهُ الاجلّا ووطنهُ اسبانية بتذكار المئة السابعة لوفاتهِ في ٦ آب المنصرم

## حداثة القديس دومينيك

دومنغو دي كزمان ولد سنة ١١٧٠ للميلاد في بلدة كلاروجة من اعمال قسطيلة في ابرشيَّة أوسما . وكان ابواه من اشراف تلك البلاد يُدعى والدهُ فليكس ووالدتهُ حنَّة أزرا . وكانت هذه سيّدةً صالحةً عريقة في البرّ والتقى يُروى عنها اذ كانت حبلى بابنها انها رأت في حلمها كلباً وبفيهِ سراجٌ منير يطوف بهِ في الارض . وكذلك رأوا يوم تنصيرهِ كوكباً ساطعاً على جبينهِ فتوسَّموا بذينك الامرين خيراً لمستقبل الصبيّ ودُعي الطفل دومنيك اي عبد الاحد

نشأ الولد في حجر والدتهِ على الصلاح والورع الى ان ترعرع فسلَّمتهُ اُمهُ الى خالهِ وكان رئيس كهنة من افضل ارباب الدين ليتخرَّج تحت نظارتهِ في الآداب والفضيلة فبلغ فيهما حيث لم تبلغ الآمال والهمم وقرن بين العلم والدين حتَّى أُشير اليهِ بالبنان في كليهما

وفي الخامسة عشرة من عمرهِ ارسلهُ ابواهُ الى جامعة مدينة بالنشيه من اعمال مملكة لاون فانكبَّ هناك مدَّة تسع سنين على درس الفلسفة واللاهوت فنبغ فيهما واستفاض صيتهُ فكان الناس يقصدونهُ في فكّ مشاكلهم فيلبّي دعوتهم ويُحسن

معاملتهم ويرشدهم الى ما فيهِ صلاحهم فيعودون شاكرين يلهجون بسموّ فضيلتهِ ويطرئون سعة علمهِ

وفي سنة ١١٩١ أُصيبت بلاد اسبانية بالمجاعة فازدحم الفقراء على ابواب المحسنين فما كان من دومينيك الّا انهُ افرغ جيوبهُ وفرّق ما كان لهُ من الدراهم على المحتاجين ثمّ باع امتعتهُ وكتبهُ ووزّع عليهم اثمانها . وبلغ بهِ حبُّ القريب الى ان عرض على امرأةٍ ان يفتدي ابنها من أُسر المسلمين ويقوم مقامهُ لولا انّ اصحابهُ تصدّوا لهُ ومنعوهُ

## ٢ الكاهن رجل الله

ذاع صيت دومينيك في وطنهِ فاستدعاهُ اسقف مدينة أُوسْما ومع كونهِ في مقتبل الشباب اقامهُ في كنيستهِ في جملة اكليروسها القانوني بصفة ارشدياقون فما لبث ان اصبح قدوةً لكل رصفائهِ بعبادتهِ واستحرارهِ بالصلاة وتجرُّدهِ عن كلّ ملاذّ الحياة بالاصوام المتواترة والتقشُّفات اليوميَّة كلبس المسوح والنوم على الحضيض وجلد جسدهِ بالمقارع

فحدا ذلك باسقفهِ الى ان يرسمهُ كاهناً ليفلح كرم الرب وينقطع الى خلاص القريب . فزادتهُ نعمةُ الكهنوت غيرةً فعلّم اوّلًا اللاهوت وشرح الكتاب المقدّس في پالنشية ببلاغة عظيمة . ثم اخذ يطوف اقاليم مملكة اسبانية كغاليسية وقسطيلة وليون يدعو اهلها الى قداسة الحياة فكان حيثما يعظ او يوزّع الاسرار يحيي في القلوب شواعر الايمان ويردّ الخطأة الى التوبة ويهدي الضالّين من اهل البدع الى حجر الكنيسة فكان لكلامهِ في النفوس وقع عظيم

ولمّا كانت السنة ١٢٠٣ طلبهُ اسقف أُسْما ليرافقهُ الى فرنسة ليقوم بمهمَّةٍ عهدها اليهِ ملك قسطيلة الفنس التاسع لدى ملك فرنسة . فجاء النجاح موافقاً لرغبتهما على انهما لم يعودا الى اسبانية اذ عاينا انّ جنوب بلاد فرنسة اضحت كشعلة من النار بما اثارهُ الهراطقة الالبيجيُّون من الفتن اذ كانوا يندفعون اندفاع السيل الجحاف على المدن والقرى ينهبون اموالها ويقتلون سكّانها ويبثُّون فيها اضاليل ماني المبتدع اي الثانويَّة والاشتراكيَّة . ومن ثمّ قصدا المدينة الخالدة رومية العظمى وطلبا من الحبر

الاعظم اينوشنسيوس الثالث ان يرخّص لهما في مناهضة اولئك المبتدعين وارشادهم لعلّهما يمنعان الشرّ من الاستفحال والتفاقم. فرضي البابا بكل طيب قلب بما عرضا عليهِ وبارك نيّتهما وتمنّى لهما خيرًا

## ٣ الرسول الغيور

عاد الرسولان الى فرنسة واجتمعا بممثلي الكرسي الرسولي وبرهبان القديس مبارك وزعماء الكاثوليك ليتّفقوا على الوسائل الواجب التوسّل بها لكبح جماح الهراطقة. واذ كان بعضهم يجنحون الى استعمال القوّة والتنكيل رأى دومينيك انّ وسائل الاقناع أفضل واولى. ومن ثمّ اشار الى الحضور ان ينبذوا في معاشهم كلّ ترفُّه وبذخ ويسلكوا سلوك الرُسل فيكتسبوا بمثالهم اولئك الخوارج ويردُّوهم الى السراط المستقيم. فاجاب كثيرون الى نصائحهِ

امّا القديس دومينيك فانّهُ مشى في مقدَّمة الجميع ونزل في ذلك الميدان يدعو اليهِ كالراعي الصالح تلك الخراف الضالّة. وأقام في بهرتهم في مدينة ألبي حيث قويت صولتهم واشتدّت شوكتهم ومنها اشتقُّوا اسمهم الالبيجيين. فكان يواصل عملهُ ليلًا مع نهار تارةً بالوعظ والارشاد وحيناً بالمحادثات والمجاملات وطورًا بالعجائب التي كان يجترحها ليثبت صحّة اقوالهِ من شفاء مرضى وخلاص غرقى واحياء موتى وطرد الابالسة. وممّا اقترحهُ على الهراطقة أن تُلقى في النار كُتب الفريقَين فاذا ثبت بعضها على اللهيب عرفوا صحّة ايمان كَتَبتها فرضي الجمهور واضحت صحائف الالبيجيين بلمحة عين رمادًا بخلاف الكتب الكاثوليكيّة التي أُلقيت ثلاثاً في الموقدة فلم تؤثّر فيها النار. فكانت هذه الاعجوبة مدعاةً لارتداد بعض الهراطقة الى الدين الحق

لكنّ معظمهم بقي مصرًّا على ضلالهِ فأثّر عنادهم في صدر دومينيك ولم يشأ ان يشتدّ عليهم بالعقاب فالتجأ الى العذراء مريم التي كان واثقاً بحمايتها وطلب اليها بالحاح ان تشير اليهِ بواسطة فعّالة يُلين بها تلك القلوب الصمّاء. فظهرت لهُ ووعدتهُ خيرًا اذا نشر عبادة تأمّلات اسرار حياتها وحياة ابنها الالهي الخمسة عشر من فرح وحزن ومجد في الورديّة المقدّسة او المسبحة. فاسرع القديس وعلّمها سامعيهِ فانتشرت بعد قليل في جنوبي فرنسة ولاسيّما في الجهات الموبوءة ببدعة الهراطقة فارتدّ بممارستها

الوفٌ منهم . ومن النعم العجيبة المنسوبة الى الورديَّة انَّ ملكة فرنسة بلَنْش دي قسطيلية قصدت القديس وطلبت اليهِ ان يباركها ويصلّي لاجلها كي يمنحها الله وارثاً للمملكة فاشار اليها بصلاة الورديَّة فتبعت مشورة القديس ولم تزل تتلوها بحرارة حتَّى حبلت بذاك الملك العظيم والقديس الجليل مار لويس التاسع فخر دينهِ ودولتهِ معاً ومرآة اشرف الفضائل المسيحيَّة

وممَّا يُنسَب الى فضل القديس دومينيك انتصار الجيوش الكاثوليكيَّة على عساكر الالبيجيين . فانَّ الحبر الاعظم اينوشنسيوس الثالث اذ رأى الفظائع التي يقترفها الهراطقة في بعض انحاء فرنسة وانَّ شرَّهم لا يزال يستفحل رغماً عمَّا ينزعهُ القديس دومينيك من كنانة الجهد لهدايتهم أوعز الى ملك فرنسة بان يحاربهم فامر احد كبار الامراء وهو المدعوّ سيمون دي مُنفور ان يفلّ شبانهم فحشد الامير جنوداً من الكاثوليك في عدد الف وثمانمائة مقاتل فاسرع الهراطقة الى محاربتهِ وكان عددهم ينيف على مائة الف جندي وحاصروهُ في قلعة حريزة كان تحصَّن فيها فلم يهلع قلب سيمون دي منفور الباسل وانَّما تقرَّبوا من الاسرار الالهيَّة وخرجوا كالاسود الى ساحة الوغى بينما كان القديس دومينيك يصلّي لاجلهم كموسى يوم محاربة الاسرائيليين لاعدائهم فانتصر الكاثوليك على الالبيجيين انتصارًا باهرًا فبدَّدوهم شذر مذر ورجعوا سالمين لم يُفقد منهم سوى سبعة جنود وذلك هو انتصار موره (Muret) في ١٢ ايلول من السنة ١٢١٣

وقد انتهز اعداء الكنيسة هذه الفرصة ليرموا القديس دومينيك بتهمة باطلة زاعمين انهُ كان سبباً لما جرى من الدماء في تلك الحرب وهي لعمري شكاية بلا سند ومماً يشهد لهُ التاريخ أنهُ كان اذا وقف على فعل ذميم في احد الجنود الكاثوليك كان يرفع الامر الى القائد ويبكّت الفاعل بجرأة فيردعهُ . على انَّ الآثام والمظالم التي كان يقترفها الهراطقة لم تسمح لهُ بالسكوت عنهم فعيَّنهُ البابا اينوشنسيوس كمفتِّش عن دُعاتهم وناشري ضلالهم لمحاكمتهم وقَطْع نظامهم ففعل بكل همَّة وانصاف

## ٤ منشئ الرهبانيات

رأى دومينيك انَّ الاعمال العظيمة لا تثبت الَّا بجمع القوى والاتحاد وذلك ما

حدا بهِ الى انشاء جمعيَّات رهبانيَّة تساعدهُ في سائر مشروعاتهِ الرسوليَّة

وكانت اوَّل رهبانيَّة فكَّر في انشائها رهبانيَّة نساء لتهذيب بنات جنسهنَّ وكان ذلك في السنة ١٢٠٦ في مدينة تولوز انتشرت بزمن قليل في عدَّة بلاد واتت بأثمار يانعة سواء كان لتقديس الراهبات لنفوسهنَّ ام لتربية الفتيات وخصوصاً بنات الأعيان والاشراف

وكان يصحب القديسَ دومينيك في اعمالهِ الرسوليَّة بعضُ الرجال من ذوي الصلاح والغيرة يشاطرونهُ اتعابهُ ففكَّر بعد انتصار الكاثوليك من الالبيجيين ان يضمَّ اليهِ رجالًا تجمعهم روابط الاخاء والدين ليبشّروا في انحاء فرنسة واسبانيــة ويساعدوا الكاثوليك في شؤونهم الدينيَّة . ولم يفرض عليهم اوَّلًا رسوماً ولم يكد يفرزهم عن الكهنة العالميّين في معاشهم ولبسهم وانَّما نظمهم في جملة القانونيّين . وتمَّ ذلك اوَّلًا في مدينة تولوز . فما لبث ان رأى ما ينجم بتبشيرهم من الخير فقصد روميــة لينال من الحبر الاعظم تثبيت جمعيَّتهِ كرهبانيَّة قانونيَّة وكان اذ ذاك الجالس على كرسيّ القديس بطرس اينوشنسيوس الثالث وهو لا يرى في انشاء رهبانيَّات جديدة منفعةً للكنيسة . وصادف وصول القديس دومينيك الى عاصمة الكثلكة وفودَ القديس فرنسيس الاسيزي اليها وهو ايضاً يطلب تثبيت رهبانيَّتهِ فلم يجدا في اوَّل امرهمــا اذناً صاغية في الحبر الرومانيّ الى ان اراهُ الله في الحلم كنيسة مار يوحنَّــا اللاتراني الكبرى متداعيةً على وشك السقوط لولا انَّ فرنسيس ودومنيك سنداها بمنكبيهما وقوَّيا دعائمها فعدَّ ذلك وحياً من الله واثبت الرهبانيَّتين في السنة ١٢١٥

واذ اقيم في تلك السنة مجمع مسكونيّ في رومية وهو اللاترانيّ الرابع حضرهُ دومنيك وسُرَّ لضرب البدعة الالبيجيَّة فيهِ بالحرم ثمَّ عاد الى فرنسة لتدبير رهبانيَّتهِ فاتَّخذ لها قانون القديس اوغسطينوس كما اوعز اليهِ الحبر الاعظم . على انَّ اختــلاف الازمنة وتباين الاحوال اضطرَّا القديس الى ان يحوّر ذلك القانون ويزيد عليهِ بنوداً مختلفة فعاد الى رومية لينال الاجازة عنها

وكان في غضون ذلك توفّي البابا اينوشنسيوس الثالث وخلفهُ اونوريوس الثالث فأثبت تلك التحويرات ومنح القديس دومينيك كنيسةً مع ملحقاتهــا في رومية ليقيم فيها ديراً لرهبانه . فما كاد يسكنهُ حتَّى تقاطر اليهِ جمهور الطلبة فانافوا على المئة عداً

فعني القديس بتهذيبهم على الآداب الرهبانيَّة وانتشر في ايطاليـة عَرف فضائلهم فعُرفوا بالاخوة الواعظين لاهتمامهم خصوصاً بالارشاد والتبشير . ثم عيّن لهم القـديس ثوباً ابيض كما اوحتْ بهِ لاحد رهبانهِ العذراء مريم مع شملة سوداء فوقهُ كعـلامة لطهارة قلوبهم وتجرّدهم عن الجاه العالميّ

وبعد ان رأى دومينيك انَّ رهبانيَّتهُ قويت جذورها ونمت فروعها في ايطالية عاد الى فرنسة واجتهد في تعزيزها وترقيتها في انحاء اوربَّة فلم تخب مساعيهِ . فدعا الاساقفةُ والملوك وارباب الصلاح رهبانَ مـار عبد الاحد ففتحوا الاديرة في نواحي فرنسة ولاسيَّما فيعاصمتها باريس حيثسمَّوهم باسم «جاكوبين» لسكناهم في كنيسة يعقوب الرسول برخصة كليَّة باريس . ثم انتشروا في اسبانية والبرتغال والمانية والمجر وبولونية وروسيَّة وممَّا كان يساعد على نموّهم شهرة منشئهم الجليل وما كان يأتيهِ من المعجزات والكرامات العديدة حيثما ترسخ قدمهُ

وقد اضاف القديس دومينيك الى فضلهِ هذا على الكنيسة فضلًا آخر تمّ بهِ الحبلُ المثلَّث المتين ألا وهو انشاؤهُ للرهبانيَة الثالثة المختصَّة باهل العالم . وقد مرَّ لنا في عدد سابق ذكر الرهبانيّة الثالثة التي انشأهـا القديس فرنسيس لتقديس حيـاة المؤمنين الساكنين في العالم وما نجم عنها من الخيرات العميقة ولاسيَّما لانعاش الروح المسيحي بين الشعوب . فما قيل هناك عن الرهبانيَّة الفرنسيسيَّة يصدق تماماً عن الرهبانيَة الثالثيَة الدومنيكيَّة التي استحقَّت بغيرتها الاسم الذي دعاها به عسكر المسيح وانمَّا نشير اليها إشارةً اذ لا يسمح لنا ضيق المقام بالاتّساع في وصفها

فكل هذه المآثر الجليلة قام بها القديس دومينيك في السنين الاخيرة من حياتهِ . وكان آخر ما انشأهُ ديرًا كبيرًا لراهباتهِ في رومية في كنيسة القديسة سابينـا وكان قفل اليها راجعاً لبعض شؤون رهبانيَّتهِ ثم غادر رومية ووصل الى مدينة بولونيـة فأنذرهُ الله بقرب وفاتهِ ونوال جزائهِ في دار الخلود فتهلّل قلبهُ لهذا النبـأ واستعدَّ لملاقاة ربّهِ بقبول الاسرار وبعد ان جمع ما لقيهُ هناك من تلامذتهِ واوصاهم وصاتهُ الاخيرة بممارسة كلّ الفضائل الرهبانيَّة وزوَّدهم ببركتهِ الصالحة لفظ روحهُ البارَّة بين يـدي خالقهِ في اليوم السادس من شهر آب سنة ١٢٢١ وكان في الثانية والخمسين من عمره

## ٥ تمجيد الله لوليه — نمو سلالته

ما برح دومنيك هذه الفانية حتَّى اوحى الله بمجـده في جنَّة النعيم فظهر بالبهاء والجلال لبعض رهبانهِ وتضاعفت الآيات السماويَّة عند قبرهِ حتَّى اضطرَّ ارباب الدير الى ابتناء كنيسة متَّسعة الارجاء لكثرة من كان يقصدها لاكرام ذخـائر وليّ الله . وبلغ خبر تلك الكرامات مسامع الحبر الروماني غريغوريوس التاسع فامر بان يشاد لهُ قبر جديد اجلُّ واشرف من السابق فما فُتح القبر الاوَّل حتَّى فـاحت منهُ روائح طيّبة تعطَّرت بها الكنيسة مدَّة ايَّام وجرت عجائب جديدة بنقل جثمانه وكان ذلـك سنة ١٢٣٣ وفيها اعلن البابا المؤما اليهِ بقداسة دومينيك وادرج اسمهُ في سجلّ القديسين

امَّا رهبانيَّتهُ فها قد مرَّ عليها سبعمائة سنة وهي لا تزال كدوحةٍ نامية تبهج كنيسة الله بأعمال ابنائها الاجلَّاء. فلا تـكاد تجد نوعـاً من الفضل الَّا وقد امتازوا بهِ سواء كان في التعليم ام في التبشير او في الوعظ او في الكتابة والتـأليف ولو لم يَقُم بينهم غير المعلّم الملاكي القديس توما الاكويني شمس المـدارس لكفى لهم بهِ فخرًا فما قولُك بعدد لا يُحصى من رجالهم العظـام بينهم احبار رومـانيُّون كالقديس بيُوس الخامس وبندكتوس الثالث عشر وقدّيسون كرام كالقـديس انطونينوس الفقيه والقديس منصور فرَّاريوس بوق الدينونة والقديسة كاترينة السيانيَّة والقديسة وَرْدة من ليما ومرسلون غيورون كالقديس هياكنتوس ودي لاس كازاس . ومن يجهل في زماننا الذين اشتهروا في عهدنا في القرن المنصرم كالاب لاكوردار منشئ المحاضرات الدينيَّة في كنيسة باريس الكبرى ومجدّد رونق الرهبانيَّة الدومنيكيَّة وكالابوين مونسبراي وجانفيه الواعظين المبرّزين

وقد اصاب شرقنا العزيز نصيبهُ من افضال الرهبانيَّة الدومينيكانيَّة وذلك منذ عهد الصليبيين برسالات موقتة انتدبهم اليها الاحبار الاعظمون ثمَّ برسالاتهم الثابتة لاسيَّما الرسالة الموصليَّة حيث فتحوا الاديرة وادارو المـدارس وانشأوا المطابع وقد اشتهر بينهم رئيسهم الطيب الذكر السيّد غنزالس دوفال الذي تعيّن بعد ذلك كقاصد رسوليّ على سوريَّة فخدم بلادنا بغيرة لا تعرف الملل . ومن آثارهِ ذاك التمثال الجميل الذي يزين مشارف حريصا اقـامهُ بالاتفاق مع غبطة مار الياس الحويّـك بطريرك الطائفة المارونيَّة الجزيل الشرف

ومن مآثر الرهبانيَّة الدومنيكيَّة قريباً منَّا ايضاً مكتبهم الكتابي الشهير في القدس الشريف الذي تخرَّج فيهِ عدَّة من ارباب الدين واشتهر رهبانهُ بما نشروهُ من التآليف العلميَّة والاثريَّة في مجلَّتهم الكتابيَّة وفي تآليف اخرى متعدّدة. وقد اناطت الحكومة الفرنسويَّة بمدرستهم بعد الحرب الكونيَّة كلَّ الابحاث الاثريَّة في فلسطين فكان لهذا الامتياز احسن موقع في قلوب العارفين بفضلهم

ونحن نضمُّ صوتنا الضعيف الى صوت إمام الاحبار الذي نشر بنسبة هذا التذكار المئويّ براءة اطرأ فيها القديس دومينيك واذاع على رؤوس الملأ محاسن بنيهِ الكرام ونطلب من الله ان يزيدهم عددًا وفضلًا

# قصَّة سليمان بن داود في قصر عاد بن شدَّاد

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعيّ

## توطئة

بين مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة كتاب ضخم مكتوب بخطّ جليّ حسن يرتقي الى القرن الثامن عشر وهو مجموع قصص عربيَّة قديمة ورد البعض منها في جملة قصص الف ليلة وليلة كقصَّة سندباد البحري وحكاية هارون الرشيد وباسم الحدَّاد وخبر الملك جليعاد. وقد وصف حضرة الاب انطون صالحاني هذا المجموع وصفاً مختصرًا في اوَّل كتابهِ المعنون «طرائف فكاهات في اربع حكايات» استخرجها منهُ وعُني بنشرها لاوَّل مرَّة سنة ١٨٩٠ ثمَّ كرَّر طبعها حديثًا في هذا العام

وفي اوَّل هذا المجموع قصَّة لم تُنشر حتى الآن بالطبع وهي قصَّة سليمان الملك ورحلتهِ الجويَّة محمولًا على بساطهِ العجيب الى ان بلغ الى قصر عاد بن شدَّاد حيث أطلعهُ الجنّ على قبر ذاك الملك العظيم فقرأ ما كُتب عليهِ من الحكم شعرًا ونثرًا وكلُّها تذكّرهُ بزوال الدنيا وبتقوى الله. فهذه الحكاية الشبيهة بقصص الف ليلة وليلة بما يُرى فيها من عجائب اخبار الانس والجنّ والحيوان جديرة بان تُلحق بتلك الفكاهات ولذلك احببنا تدوينها في هذا العدد من مجلَّة المشرق ليستفيد من مضامينها الباحثون عن اصل القصص العربيَّة

وقد ورد في الجزء الثالث من كتاب الف ليلة وليلة ( اطلب طبعتنا البيروتيَّة ص ٣١٩-

٣٤٤) حكاية لها بعض الشبه بقصّتنا هذه نريد بها حكاية القماقم السليمانيّة التي ارسل الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان نائبهُ على مصر موسى بن نصر ليطلبها لهُ في مدينة النحاس . على انّ هذا التشابه في بعض اقسام الحكايتين لا يفقد شيئًا من رونق حكايتنا هذه التي لا يُعرف منها نسخة عربيّة غيرها . وانمّا نشر منها العلّامة الحاخام جلينك (Jellinek) ترجمة عبرانيّة في كتابهِ بيت مدراش (ج ٥ ص ٢٢) فلخّصها العالم البلجكي شوڤان في كتابهِ المعنون
**Chauvin** : Bibliographie des Ouvrages Arabes , V , 38 - 39
ثمّ انّ بين مخطوطات برلين (ج ٩ . ص . ١ ع ٨٩٦٦) قصّة النملة مع سليمان المذكورة في اوّل حكايتنا واعلم انّ هذه الحكاية تبلغ في نسختنا ٣٧ صفحة دللنا عليها في مواضعها . ولغة هذه النسخة بسيطة تركناها على اصلها الّا ما وقع فيها من الاغلاط النحويّة كرفع فاعل ونصب مفعول ممّا لا يعبأ بهِ . وكذلك وقع في رواية بعض الابيات الشعريّة اغلاط وخلل بالوزن ممّا شوّههُ النسّاخ فاصلحناهُ على قدر الامكان

(١ᵛ) نبتدي بعون الله وحسن توفيقه

## ونكتب خبر سليمان ابن داود وما جرى لهُ في قصر عاد ابن شدّاد

## وهي اخبار لذوي العقول

(قال) انّ الله تعالى اعطى لسليمان المُلك العظيم الذي لا يُحدّ ولا يوصف ولا اتفق لاحد من ملوك الدنيا لا من قبلهِ ولا من بعدهِ . وهذه هي اوصافهُ انّهُ قد سخّر له الله تعالى الانسَ والجنّ والوحوش والطيور والهواء وسائر ما خلق الله تعالى . وقد اعطاهُ الله سريرًا من حرير اخضر طولهُ سبعة فراسخ وعرضهُ كذلك . وكان سليمان يبسط ذلك السرير وينصب كرسيهُ عليهِ ويجمع حولهُ وزراءهُ وغلمانهُ ويجلسون معه فوق ذلك (٢ʳ) السرير . وكان يجعل الانس عن يمينه والجنّ عن يسارهِ ويركب هو وعساكره فوق ذلك البساط وكان يأمر الريح ان يرفع البساط بين السماء والارض . وكان سفره ومرحلته شهرين ورجوعه كذلك . وكان لهُ اربعة وزراء : وزير من الانس اسمه آصاف . ووزير من الجن اسمه الزرياط . ووزير من الطيور اسمه العقاب . ووزير من الوحوش وهو الاسد

قال الراوي : فركب سليمان ذات يوم على البساط هو وعسكرهُ . وقد احدقت بهِ علماء بني اسرائيل والوحوش من ورائه والطيور من فوق رأسهِ والانس عن يمينهِ

والجن عن شماله . واما ما كان من الطيور فصفَّتْ اجنحتها بعضهـا على بعض حتى لا تقع عليه حرارة الشمس . ثم انه أَمر الريح ان يحمل ذلك البساط فارتفع البساط من فوقه وساروا . وبينما هم سائرون(2^٧) بين الشمس والارض مرُّوا على وادي النمل . فلمَّا ابصر النمل انَّ سليمان الملك قد اقبل هو عساكرهُ وعلوّ شأنه وعظمته واذا بنملة سوداء كبيرة وهي على صخرة صمَّاء تنادي وتقول : « ادخلوا ايها النمل الى بيوتكم لئلَّا يدوسكم سليمان وجنوده وما تحيون » . فلما سمع سليمان هـذا الكلام أمر ان يُنزَل البساط على الارض . وانفذ سليمان وراء النمل وقال لهم : من هو الذي قال منكم هذا القول ؟ واذا بالنملة قد تقدمت الى سليمان وقالت لـهُ : السلام عليك يا نبيّ الله . وسجدت له فقال سليمان : « وعليكِ السلام يا ايتهـا النملة . فما هو القول الذي قلتِه : ادخلوا الى مساكنكم لئلَا يدوسكم سليمان وجنوده . فكيف انا ادوسكم وانا بين السماء والارض » . فقالت النملة : « نعم يا نبي الله قلتُ هذا القول . واعلم يا نبي الله ان كل راعٍ يسألـهُ الله عن رعيته (3^٢) وانا رعيتي هم هؤلاء النمل في هذا الوادي . فلما اقبلتَ انت وعظم شأنك لأنَّ الانس عن يمينك والجن عن شمالك والوحوش من ورائك والطيور فوق رأسك وكان الوقت وقت تسبيح النمل خفتُ ان ينظروا الى عظم شأنك وملكك وسلطانك فيشتغلون عن ذكر الله فيهلكون . وكان يصيبك انت امرٌ من الله فـدخل في قلبي منك عُجب وان العُجْب يُهلك الجبابرة » . فتعجب سليمان من كلام النملة وقال : « مسائل كثيرة أُريد اسالكِ ايتها النملة » . فقالت لهُ : « يا نبي الله لستَ انت في موضع تسأل . والسائل اجلُّ وأعلى من المسؤول وانت على سرير ملكك وانا على وجه الارض »

فامر سليمان ان يقدموا النملة اليهِ فقال لها : أَسأَلكِ الآن ايتها النملة ؟ فقالت لهُ : لا . فقال لها : ولماذا ؟ فقالت لهُ : « يا نبي الله انت رجل جليل القدر وعظيم الشأن . وانت خلقتك اعظم من خلقتي ولو مررتُ على بعض اذيالـك لغاب شخصي ( 3^٧ ) واختفى كلامي » . فتبسَّم ضاحكاً وقال : اشكر نعمتك يا سيّدي الذي انعمتَ عليَّ بهذا وادخلتني مع عبيدك الصالحين . ثمَّ قال للنملة : ما تريدين ان اصنع معك ؟ فقالت لهُ : « خذني على يدك وارفعني قبالة وجهك . وعند ذلك اسألني ما تريد »

فمدَّ سليمان يده واخذ النملة ووضعها في كفهِ واقامها مقابل وجههِ . ثم قال لها :

اسألكِ الآن يا نملة هل سمعتِ عن الملوك المتقدّمين ان احدًا قد أُعطي مثلي من الملوك ؟ فقالت لهُ النملة : « وايش قد أعطيتَ انت ؟ فقال لها سليمان : ان الله لقد سخّر لي الانس والجنّ والطيور والوحوش والهواء وسائر خلائقهِ تعالى . فقالت لهُ النملة : نعم يا نبي الله . وانا قد رأيت من الملوك من هو اكثر منك واكبر منك . فقال لها سليمان الملك : ومن هو ذلك ؟ فقالت لهُ النملة : انا . فقال لها : ويحكِ ايتها النملة وانتِ ايش قد أعطيتِ من الملك وغيره . وما انتِ ؟ قالت لهُ (4[r]) : « انتَ يا نبي الله قد سخّر الله لك جميع مخلوقاتهِ وقد سَخّرك الله انتَ لي . حتّى حملتني بيدك ورفعتني قبالة وجهك وصيّرتني اعلى منك » . فغضب سليمان لمّا سمع هذا الكلام من النملة . ثم انه ألقاها من يدهِ على الارض . وقال لها : يا نملة هل تعرفين من انا ؟ فقالت لهُ النملة : « نعم اعرف من انت . وانت لولا عناية الله ايش كنت ؟ واعلم يا سليمان ان اوّلك نطفة مَذِرة وآخرك جيفة قذرة » . فتعجب سليمان من كلام النملة وعجّزهُ الله عن ردّ الجواب لها . فقالت النملة لسليمان : « رُحْ يا سليمان فلا بدّ ان يجري لك امر حتى يتحدثون به على شارع الطريق » . وانصرفت النملة الى حال سبيلها

ثم ان سليمان امر الريح ان يرفع البساط فرفعهُ وجعل يسير بين السماء والارض . فسار نحو عشرة ايام وعشرة ليالي . وفي اليوم الحادي عشر بينما هم سائرون اشرفوا على قصر عالي (4[v]) البنيان ومشيّد الاركان شاهق في الهواء لا يكاد يوصف . وهو مبني لبنة من ذهب ولبنة من فضّة . فلما نظره تعجّب من بنيانهِ وامر الريح ان يهبط البساط على الارض واقبل الى وزيرهِ آصاف وقال لهُ : « يا اصاف قد طفت الدنيا مشارقَها ومغاربَها وبلغتُ ما لم يبلغهُ الاسكندر (١ . ولم أرَ مثل هذا القصر وان قدّرني الله تعالى فلا بدّ ان اعرف مَن بناهُ ومَنْ صاحبه ومتولّي عليه »

ثم ان سليمان نزل عن سريرهِ واخذ آصاف وزيرهُ واقبل نحو القصر . فنظر ارضًا زكيّة التراب بهيّة الجناب فقال سليمان : يا آصاف ترى الموت حلّ باهل هذا القصر ؟ فقال اصاف : « يا نبي الله اذهب بنا نحو القصر فانه لا يخلو من ساكن يسكنه حتى نسألهُ عمّا نريد » . فاقبلوا نحو القصر ومعهم علماء بني اسرائيل وجعلوا يطوفون حول القصر وهم متعجبون من بنيانهِ ولم يجدوا لهُ باباً ولا مضرباً فقال سليمان : يا آصاف ما

١) معلوم انّ الاسكندر عاش بعد سليمان بعدة اجيال

أَزْيَن (؟) هذا القصر وما احسنهُ . فانهُ ما يخلو من ساكن يسكنهُ

عند ذلك تقدّم الى بين يدي سليمان وزير الزرياط قائلاً لهُ : « يا نبي الله مُرْني بما شئت . فلا تغتمّ من امر هـذا القصر فاني اجيءُ لك بخبرهِ بالحقيقة » . فقال لـهُ سليمان : افعل ما شئت

ثم ان الزرياط اخذ ثلاثة من العصافير العفاريت وارتفعوا في الهواء فغابوا ساعةً زمانيَّة واتوا وهم مرتعبون مطروحون من الجو ووقفوا بين يـدي سليمان . فقـال وزيره الزرياط : « وحياتك يا نبي الله اننا صعدنا حتى بلغنا سماء الدنيا واننا اشرفنا على اعلى القصر وأردنا الهبوط عليهِ فكان مانعٌ يمنعنا . وكلّما اردنا النظر اليهِ كان رادٌّ يردُّنا وغشاوة تغشّي ابصارنا . فلم نقدر على الدنو منه » . فقال لهم سليمان : هل وجدتم على اعـلاه شيئاً من الطيور ؟ قالوا : نعم يا نبي الله رأينا على جـانب القصر نسراً وافراخه . فقال سليمان : ائتوني بالعقاب (؟) . فدعوا العقاب فاتى الى عند سليمان . فقال لهُ سليمان : اذهب يا عقاب في طلب النسر

فارتفع العقاب وغاب ساعةً زمانيَّة وعاد ومعهُ نسر عظيم كبير . فلما وقف بين يدي سليمان قال : السلام عليك يا نبيَّ الله . فقال لهُ سليمان : وعليك السلام يا ايها النسر ما اسمك ؟ قال لهُ : اسمي الاجير . فقال لهُ سليمان : كم لك من العمر ؟ قال : يا نبيَّ الله لي من العمر سبعمائة سنة وفي هذا القصر صرتُ . فقال لهُ سليمان : يا نسر هل رأيت في هذا القصر انيساً او سمعتَ فيه حسيساً ؟ فقال : لا وحياتك يانبيَّ الله لكن النسر الذي في البرج الآخر هو اكبر مني وافضل مني ذهناً وعقلاً فادعُ بهِ اليك فانَّهُ لا يخلو علمهُ من ذاك . فقال سليمان للعقاب ائتِني بهِ . فارتفع العقاب والنسر وجاءا معهما بنسر عظيم اكبر من الاول فوقف بين يدي سليمان فقال لهُ : السلام عليك (؟) يا نبي الله . فقال لهُ سليمان : وعليك السلام ايها النسر ما اسمك ؟ قال لهُ : اسمي الاهيف . فقال لهُ سليمان : كم لك في هذا القصر ؟ فقال : فيهِ صرتُ . ثم قال لهُ : كم لك من العمر ؟ فقال : تسعمائة سنة . فقال لهُ سليمان : هل رأيت في هذا القصر انيساً او سمعت فيهِ حسيساً ؟ فقال النسر : لا وحياتك يا نبي الله . لكن النسر الذي في البرج الآخر اكبر مني سنّاً وافضل مني عقلاً وذهناً . فأحضِرْهُ اليك فانه لا يخـلو علمه من ذلك . فقال سليمان للعقاب : ائتِني بهِ

فارتفع العقاب والنسران في الجوّ وغابوا ساعة زمانيَّة . واتوا ومعهم نسر عظيم اكبر من الاوَّلين . وقد حملوه على اجنحتهم من كبره وقد انتفض ريشهُ وبقي مثل الفرخ الذي ليس لهُ ريش . فلما وقف بين يدي سليمان قال : السلام عليك يا نبي الله . فقال لهُ سليمان : وعليك السلام يا ابا النسورة . ما اسمك ؟ فقال : اسمي المعار . فقال لهُ سليمان : كم لك من العمر ؟ قال لهُ : لي (6[v]) من العمر الف وخمسمائة سنة . قال لهُ سليمان : كم لك في هذا القصر ؟ قال لهُ النسر : يا نبي الله اتيتُ لهذا القصر في اهنا شبابي . وانا لي الآن مقيم في القصر الف ومائتَيْ سنة . قال له : يا ابا النسورة هل رأيت في هذا القصر انيساً او سمعت فيهِ حسيساً او تعرف له باباً ؟ فقال : « نعم يا نبي الله انا اعرف لهُ باباً عظيماً بمصراع من الذهب الاحمر ومصراع من الحديد الصافي وعليهِ قفل من ذهب الاحمر ولهُ عن ايسار الباب خندق وعلى جانبهِ حوض من رخام ابيض مكتوب ابيات شعر لطيفة . ولكن يا نبيَّ الله لي في هذا القصر دهر طويل وكلما اريد النظر اليهِ كأنَّ راداً يردّني وغشاوة تغشّي بصري . لكن كنت اسمع فيهِ جلَبة وضجيجاً » . فقال سليمان : « يا ايها النسر انا متعجب من وصفك لانك تقول ان له باباً ومصراعاً . وانا قد طفتُ حولهُ (7[r]) فما وجدت لهُ باباً ولا طريقاً » . فقال لهُ النسر : « يا نبي الله ذلك من كثرة ما مرَّت عليهِ الايام والرياح والزوابع فطمَّت الباب واختفى فان اردت ان يظهر لك ذلك فَمُر الريح ان تهبَّ في القصر ولا تؤذي بهِ شيئاً بل تكشف لك حيطانهُ وبابه فتنظر ما ذكرتهُ لك

فعند ذلك امر سليمان الريح فخرج منها مقدار منكار ثور ؟ . ثم هبت فقلعت الارض وكشفت الباب والطريق . فنظر سليمان باباً عظيماً بمصراع من ذهب الاحمر تغيَّر لونهُ فصار مثل الرغيف المحروق من طول الايام والدهور والازمان . وعلى الباب قفل الذهب الاحمر

قال الراوي : فنظر سليمان واذا على الباب شُرفةٌ بلون الحجر الازرق ومجرى عليها بالذهب الاحمر وقد كشفت الريح القصر وبنيتهُ وكان فيهِ شيءٌ يحيّر العقول . وظهر الخندق الذي على يسار الباب . فحينئذٍ دعا سليمان النسورة وصرفهم الى حال (7[v]) سبيلهم ثم تقدَّم الى الباب ومعهُ علماء بني اسرائيل وعظماؤهم وملوك الجن وساداتهم والتفت الى وزيرهِ آصاف وقال لهُ : يا اصاف ليت شعري من كان صاحب

هذا القصر ومَنْ بناهُ ؟ فما هذا الامر الّا عجب . يا هل ترى ايش عمل الزمان فيهم . ويا ترى اين الذي عمّره ؟

وفيما هو يتكلّم بهذا الكلام واذا بهِ رأى ابياتَ شعر مكتوبة بالفَهْلوي (١ فلم يعرف سليمان يقرأها فدعا علماء بني اسرائيل فقرأوها . وهي هذه الابيات من الشعر اللطيف :

| | |
|---|---|
| آثارُهم بعدهم حقٌ وما صنعوا | وأخبرونا بأنّا لهمُ تَبَعُ |
| يا واقفاً بازاء القصر مرتجياً | اخبار قومٍ وعن املاكهم نزعوا |
| فادخل لقصرٍ اذا ما ترتجي خبراً | عن سادةٍ في الثرى بإصاحٍ قد وُضعوا |
| كانوا جميعًا فجاء الموت فرّقهم | وخلّفوا لسواهم كلَّ ما جمعوا |
| فإنْ تأمّلتَهمُ يوماً كأنهمُ | ماعاينوا الارضَ في عيش ولاسمعوا |
| ولا جرى بينهم يوماً مؤانسةٌ | لا كان فيهم ضراءٌ لا ولا نفعوا |
| ($8^r$) كانوا كبارًا فحُطُّوا من مراتبهم | وحالهم ظاهرًا سقطٌ وما ارتفعوا |

قال الراوي : فتعجب سليمان من ذلك ثم تقدم نحو الخندق واذا على جانبهِ حوض من الرخام الازرق طولهُ عشرون ذراعاً وفي ذلك الحوض الف جمجمة تلوح مثل بيض النعام من كثرة ما مرّت عليها السيول والامطار . وهي كأنها ناظرة الى نحوهم ومشيرة اليهم . فقال سليمان لآصاف وزيرهِ : يا تُرى اين هو الابيض من الاسود ام الحُرّ من العبد ام الذكر من الانثى ام الشيخ من الشاب ؟ فما أتمّ سليمان كلامهُ والّا وقد ماجت تلك الجماجم مع بعضها بعض وأذن لها ملّاكُها بالكلام . فعند ذلك لما نظر سليمان هذا الامر . قال ما هذا الّا امرٌ عجب وقدرهُ عظيم . واذا هو بلوح عند رأس الحوض موضوع على عامود حديد ومكتوب عليه اربعة سطور باليوناني . وهذا معناها ($8^v$) :

| | |
|---|---|
| نزلنا هنا ونحن الملوك ولنا الجاهُ | قتلنا الجوع بشيءٍ ليس طقناهُ |
| سكنا بحمى القصر زماناً ملكناهُ | بدلنا الدرَّ بالخبز فما وجدناهُ |
| فاسأل النسر عن القصر من بناهُ | سكنّاً فيه زماناً كثيرًا نزلناهُ |
| فمن يغترَّ بالدنيا يجمع مالًا لا يجناهُ | فهذي عاقبتهُ وذلك قد شرحناهُ |

قال الراوي : عند ذلك بكى سليمان لمّا قرأ هذه السطور . ثم انه عاد الى الباب

١) الفهلوي اللغة الفارسيّة القديمة

وقال لوزيرهِ آصاف: ادخل بنا نحو القصر حتى ننظر عجائبهِ ٠ فاذا كان هذا ظاهر القصر وخارجه فكيف يكون من داخله ؟ فوقفوا جميعاً على باب القصر ٠ فتقدم سليمان الى الباب ليفتحه ٠ واذا مكتوب عليهِ اربعة سطور باليوناني وهي هذه الابيات :

يا طالباً صفو عيش كلُّهُ كدرُ ⁂ افنيت عمرك لهواً ماذا تنتظرُ
ماذا تردُّ جواباً عن مساوئهِ ⁂ والذنبُ يربو عليه الرمل والمطرُ
وقد حملت ذنوباً لو تحمَّلها ⁂ صمُّ الشواهق لم يُعرف لها اثرُ
فحذّر النفسَ قبل الموت تزجرُها ⁂ عن المعاصي عسى ان ينفع الحذرُ

قال الراوي: واذا على يسار الباب مكتوب يقول: «لا يدخل (٩ʳ) هذا القصر الّا ملك او نبي فاذا اراد الدخول اليهِ يحفر عند يمين الباب وينزل اربعين درجة فيجد تابوتاً من رخام ٠ فيكسر ذلك التابوت ويُخرج منه المفاتيح ويفتح الباب ٠ ويدخل القصر فيرى فيهِ عجائب كثيرة وفي وسطه بركةٌ من الياقوت والجوهر ويرى فيهِ الزمرّد الاخضر ٠ ويرى فيهِ قبّةً لها اربعة ابواب ٠ فيعدّ ثلاثين آية ويجتهد الّا يغلط في العدد فيرى عقرباً من نحاس وفراشهُ من اللؤلؤ الابيض ٠ ثم انه يعدّ احدى وعشرين آية فيجد عقرباً من فضّة فيفرك ذلك العقرب فينفتح قدامهُ باب فينحدر تحت الارض في سرداب ويسير في مكانٍ واسع جدًّا ٠ فيرى هناك قبرًا واسعاً طولهُ خمسون ذراعاً وعند القبر صنم مرصَّع بالزمرّد والجوهر وعيناهُ من الياقوت الاحمر وقوائمهُ من الزمرُّد الاخضر ٠ وفيهِ مكتوب حديث هذا القصر ومَنْ أنشأهُ »

فلما وقف سليمان على (٩ᵛ) هذا القصر والمقاصير وقرأ ذلك المكتوب امر لخدامهِ ان يحفروا عن يسار الباب فحفروا واذا قد ظهر تابوت من رخام فكسروا ذلك التابوت فوجدوا فيهِ المفاتيح ٠ فاخذها سليمان وفتح الباب فدخل هو ودخل معهُ وزراؤهُ وعلماء بني اسرائيل واقبل يميناً يتمشى في الدهليز ٠ ثم انهُ التفت الى الحائط داخل الدهليز واذا مكتوبٌ عليهِ هذا الابيات :

قد كان صاحب هذا القصر في دَعةٍ ⁂ مَلْكاً عزيزًا تخاف الناس من باسهِ
فبينما هو مشغولٌ بنعمتهِ ⁂ في مجلس اللهو مسرورٌ بجلّاسهِ
وافاهُ امرُ قضاءِ لا مردَّ لهُ ⁂ فارتدَّ ميتاً وزال التاج عن راسهِ
يا داخل القصر ابصر في محاسنهِ ⁂ قد صار قفرًا فهو يبكي على ناسه

قال الراوي : ففتح سليمان الباب واذا وراء الباب دهليز معتم . فدخل اليهِ ومشى فيهِ . فوصل الى البـاب من ورائهِ واراد ان يفتحهُ فرأى عليهِ مكتوباً هذه الابيات (١ (١٥٦) :

| | |
|---|---|
| المـال بعـدك للورّاث تجمعهُ | بعـد انصرافـك من دارٍ الى دارِ |
| وما سمحتَ بمـا خلّفتهُ كرهـاً | لولا المنونُ وحكمٌ بالورى جـاري |
| قد ضاع ما كنتَ مسرورًا برؤيتهِ | تحمي حمـاك بنصلِ الصارم الصاري |
| لا تستقرُّ ولا تسخو بخردلةٍ | شحاً عليهِ ولو أُلقيتَ في النارِ |
| حتى رُميتَ بأقدارٍ مقدَّرةٍ | من الاله العظيم الواحد الباري |
| ولا الجنود التي جمّعتها نفعت | ولا فداك صديقٌ من جرى العارِ |
| فجآك الموت محتومـاً على عجلٍ | ليس ليدفعهُ ملـكٌ بـاموالِ |
| حتى اذا صارت الاكياس وافرةً | وانت تتبـع اسفارًا باسفـارِ |
| عادت لغيرك قبل الصبح كاملةً | وقد اتوك بجمـالٍ وحفـارِ |
| ويوم عرضك تلقي الرب منفردًا | بحمْـل اثمٍ واجرامٍ وأزوارِ |
| فلا تغرّنك الدنيا وزينتها | وانظر الى فعلهـا بالاهل والجارِ |

قال الراوي : عند ذلك بكى سليمان بكاء شديدًا لمّا سمع هذه الابيات ثمَّ انهُ فتح الباب ودخل الى القصر فرآهُ مليح البناء وفيهِ قبّة وقُبَب ومقـاصير وفيهِ اجساد قد اكلها (١٥٧) التراب وهي مملوءَة ياقوت وجواهر وفيهِ من الاموال شي. كثير لا يُعدّ ولا يوصف . فلمّا عاين سليمان ذلك سبّح الله تعالى وقال : تبارك الله العظيم ثمَّ انهُ تقدَّم قليلًا قليلًا واذا هو بمقصورةٍ كأنها لؤلؤة بيضاء فتعجَّب من حسنها وعليها مكتوب هذا البيت شعر لطيف

هذي منازلُ اقوامٍ وقد رتعوا     في ظلّ مُلْكٍ وقاموا شرّعدوانِ

قال الراوي : فتقدَّم سليمان الى المقصورة واذا فيها بركة عظيمة من الذهب الاحمر وفيها دقيقٌ صافي البياض فقـال لوزيرهِ : يا آصاف مـا ترى هذا الدقيق وما اشدَّ بياضهُ فكيف كان اهل هذا القصر يشكون من الجوع ومن قلّة الزاد . فقال آصاف : يا نبيَّ الله ليس هذا زادًا لكنّهُ ياقوت وجواهر طحنتها ملوك الجبابرة فما سدَّت لهم من جوع ولا قامت لهم مقام الزاد

١) هذه الابيات وردت بروايات مختلفة في الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٣٣٦

فتعجب سليمان الملك وقال: سبحان (١١ʳ) الله العجيب ما اعجب هـذا القصر وما احسنهُ . ثمَّ انهُ تقدَّم الى داخل القصر واذا هو بقبَّة لم يرَ الناظرون مثلها وهي من الزمرُّد الاخضر ولها اربعة ابواب فتقدَّم الى البـاب الاوَّل واذا مكتوبٌ عليهِ هذه الابيات :

أيا ابن آدمَ لا يهزأْ بك الامل ... يقضي عليك الذي املتهُ الاجل
اراك ترفع للبنيان مجتهـدًا ... وقد بنى قبلك الاسلافُ والأوَّلُ
ماتوا فما انتفعوا بكل مـا عملوا ... وخلَّفوا المال والاملاك وارتحلوا

قال الراوي: ثمَّ تقدَّم سليمان الملـك الى الباب الرابع ليفتحهُ وكان عليـهِ سترٌ مسبول وهو منسوج باللؤلؤ والياقوت واذا مكتوب عليهِ هذه الابيات :

تزوَّدْ من الدنيـا قليلًا بمـا يبقى ... ودعْ ما مضى قبلًا لتحظى بما تلقى
فاني ملكتُ الملك والخلق والورى ... افرّقـهم غربـاً وابعثهم شرقـا
اتاني رسولُ الموت فورًا بسرعة ... واصبحتُ رهنًا في القبور بما أتقى
(١١ᵛ) وحيدًا فريدًا بالتراب بذلَّةٍ ... ويرعى بجسمي الدود يمرقهُ عَرْقا

فرفع سليمان الستر ودخل الى القبَّة فرأى فيها سريرًا طولهُ خمسون ذراعاً وعليهِ من انواع الياقوت الاحمر وفرشهُ من الديباج الحسن المنظر . فرفع سليمان السرير فصار في يدهِ قطعاً قطعاً من كثرة السنين والاعوام وعاين عند رأس السرير لوحاً من الزمرّد الاخضر كُتبت عليهِ هذه الابيات :

انظر الى معشرٍ بـاتوا على دعَـةٍ ... واصبحوا في الثرى رهنًا بما عملوا (١
فاين راحت مـلوك الارض قاطبـةً ... ابادهم هـادمُ الـلذَّات فـارتحلوا
باتوا عـلى قوَّةِ الحرَّاس تحرسهـم ... غـابوا وذلُّوا ولم تنفعهمُ الحِيَـلُ
وأُستُنْزلوا بعـد عزٍ عن معـاقلهم ... فأُودعوا حفرًا يـا بئس ما نزلوا
دعـا بهم صارخٌ من بعـد عزّهمِ ... اين الاسرَّةُ والتيجـانُ والحُلَلُ
اين الوجوهُ الـتي كانت منعَّمـةً ... من دونها تُضربُ الاستـار والكُلَلُ
فـأفصح القـبر عنهم ثمَّ جـاوبني ... تلك الوجوهُ عليهـا الدودُ يقتتلُ

(لهُ تابع)

١) تجـد بعض ابيات هذه القطعة في القصيدة اللاميَّة المنسوبة الى علي بن ابي طالب والى غيرهِ ايضاً (اطلب مجاني الادب ج ٣ ص ٢٧-٢٩)

# ألنّصرانيّة وآدابها
# بين
# عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

## الفصل الثاني عشر

العادات النصرانية بين عرب الجاهلية وفي اوَّل الاسلام (تابع)

### ٣ العادات الشرعية والاجتماعية

﴿الحَلَف﴾ قد اعتاد العرب على القسَم بالله وبما يقرب اليهِ كالملائكة والاولياء. قال عبيد بن الابرص (ديوانهُ):

حلفتُ بالله انَّ الله ذو نعَمٍ  لمن يشاء وذو عفوٍ وتَصفاحِ

وقال الآخر (امالي القالي ٣: ٢٩)

امَا والذي لا يعلمُ الغيبَ غيرُهُ  ومن هو يحيي العظم وهو رميمُ
لقد كنتُ اطوي البطنَ والزادُ يُشتهى  محافظةً من ان يقالَ لئيمُ

وكانوا في الجاهليَّة يحلفون باصنامهم كاللات والعزّى ونَسر. ثمَّ شاع ذلك بينهم حتَّى النصارى واليهود دون اشارة الى معتقدهم بها كما يقال باللاتينيَّة حتَّى في عهدنا بحقِ هِرْكل (me hercle) او بالايطاليَّة بحق بخُوس (per Bacco) فكذلك نصارى العرب حلفوا باصنام الجاهلَّية وبالانصاب على سبيل العادة ليس عن اعتقاد دينيّ. فمن ذلك قول عبد المسيح المتلمّس يهجو عَمْر بن المنذر:

أطردتني حَذَرَ الهجاء ولا  واللاتِ والانصاب لا تئِلُ

ويروى: والله. ومثلهُ مهلهل التغلبيّ حلف بالانصاب:

كلّا وانصابٍ لنا عاديَّة  معبودةٍ قد قُطِّعَتْ تَقطيعا

وحلف اوس بن حَجَر باللات والعزّى فقال :

وباللات والعُزّى ومن دان دينَها وبالله انّ الله منهنّ اعظم

وحلف الاخطل بالعزّى وبنَسْر وما يُضَحّى عليهما من الضحايا :

اما ودماء مائرات تخالُها على قُنّةِ العزّى وبالنَّسْر عَنْدَما

وذكر لهُ في الاغاني (٧ : ١٧٣) حلفاً قالهُ افتخاراً على جرير والفرزدق : « انا واللّاتِ اشعرُ منهما » فاردف الراوي قائلًا : « حلف باللات هزوًا واستخفافاً بدينهِ » (قلنا) بل حلف بها جرياً على عادة العرب دون حملهِ ذاك الحلف على الدين مع ما نعلمهُ من تشبُّث الاخطل بدينهِ حتّى في مجالس الخلفاء . وممّا حلف بهِ مشيرًا الى دينهِ ما رواهُ ايضاً ابو الفرج في الاغاني (في الصفحة المذكورة :) «وحقّ الصليب» . « وحقّ الصليب والقربان » وروى لهُ في محلّ آخر (٨ : ٨٥) : « قدّوس قدّوس .. وحقّ الصليب» وقد ذكر لهُ في نقائض جرير والفرزدق حلفاً بالمسيح

وكذلك لم يأنف النصارى عن الحلف بمكّة ومناسك الحجّ (اطلب ديوان الاخطل ص ١٠٠ وشرح مغني اللبيب للشيخ محمّد الامير (١ : ٢١٠) قال:

اني حلفتُ بربّ الراقصات وما أُضحي بمكّة من حُجبٍ وأستارِ
وبالهدايا التي احمرّت مذارعُها في يوم نسكٍ وتشريكٍ وتَنْحارِ
وما بزَمْزَمَ من شُمطٍ محلّقةٍ وما بيثربَ من عُونٍ وأبكارِ
لألجأتني قريشٌ خائفاً وَجِلاً وموّلتني قريشٌ بعد إعسارِ

وحلف الآخر بالكعبة وإله اسرائيل (امالي القالي ٢ : ٤٦) :

قُلْتُ وكنتُ رجلًا فطينا هذا وربّ البيت اسرائينا

**وقد جمع عديّ بن زيد الشاعر النصرانيّ الشهير في حلفهِ بين مكّة والصليب (الاغاني ٢ : ٢٤) :**

سعى الاعداء لا يألون شرًّا عليك وربِّ مكّةَ والصليبِ

ومثلهُ الاعشى حلف بأسكيم الرهبان وبالكعبة :

حلفتُ بثوبَيْ راهبِ الدير والتي بناها قُصيٌّ والمضاض بن جرهم

وورد في الاغاني (١٢ : ٧٥) لعبد الرحمان بن الحكم بن ابي العاص :

حلفتُ بربّ مكّةَ والمصلّى وبالتوراة احلفُ والقرانِ

وهو القائل ايضاً (اصلاح المنطق ص ٢٢٤) :

واني وربّ الساجدين عشيّةً وما صكَّ ناقوسَ النصارى ابيلُها
أُصالحكم حتى تبوُءوا بمثلها كصرخة حُبلى اسلمتْها قبيلُها

وممّا لا شبهة فيهِ عن ايمانهم بالمسيح قول عمر بن عبد الحقّ :

وما قدّسَ الرهبان في كلّ بيعةٍ ابيل الابيلين المسيح بن مريما

قال في اللسان (١٣ : ٦) : وكانوا يعظمون الابيل ويحلفون به وحلف عديّ ابن زيد بالقربان ودعاهُ الشَّبر (اصلاح المنطق ١٦٩)

اذ اتاني خبرٌ من مُنْعمٍ لم أَخُنْهُ والذي اعطى الشَّبَرْ

﴿ الختانة ﴾ معلومٌ انهُ لا ذكر للختانة مطلقاً في القرآن وانّما يجري عليها المسلمون بموجب السنّة والتقليد. والشائع بين الكتبة المحدَثين انَّ العرب قبل الاسلام كانوا يختتنون. وفي زعمهم هذا نظر فانَّ لنا عدَّة شواهد تثبت ان كثيرين من العرب لم يألفوا الختانة ومن المحتمل انَّ النصرانيَّة ابطلتها بينهم. روى صاحب الاغاني لحاجب يزيد بن المهلّب ابياتاً في هجو اليمن وممّا ينسبهُ اليهم انهم غُرْل غير مختتنين قال (١٣ : ٥١) :

فللّزنجُ خيرٌ حين تنسب والدًا من أَبْناء قحطانَ العفاشلةِ الغُرْلِ

وجاء في التاج (٢ : ٣٢٤) بيت للفرزدق عن آل حوران غير المختتنين. وكذلك هجا حريث بن عناب بني ثُعَل ودعاهم بالغُلف (اغاني ١٣ : ١٠٣). ومما ورد في نقائض جرير والفرزدق (ص ٦٦٩) انَّ بني عامر يوم شعب جبلة قتلوا ثمانين غلاماً أَغرل. وفي امالي القالي (٣ : ٤٦) ما يثبت رأينا قال : « روى الاصمعيّ عن سَلْم بن قتيبة قال : كانت اياد تَرِدُ المياه فيُرَى منها مائتا شاب على مائتي فرس بشيَةٍ واحدة وكانوا أَعدَّ العرب وانهم استقلُّوا بعشرين الف غلام أَغرل فاوغلوا حتّى وقعوا ببلاد الروم »

وقد ذكر ابن الاثير في تاريخهِ في وصف ايّام العرب انّه كان ٦٠،٠٠٠ منهم غُلفاً دون ختانة. فلا شكَّ انَّ النصرانيَّة بانتشارها في جزيرة العرب قبل الاسلام كانت ابطلت تلك السنَّة بين كثير من القبائل

﴿الحجاب﴾ قد فرض الشرع الاسلاميّ التحجُّب على نساء المسلمين . وليس المسلمون اوَّل من سبقوا الى الامر بهِ . فانَّ الامم القديمة كانت تحجب الفتيات الى عهد زواجهنَّ فاذا تزوَّجنَ أَسفرنَ عن وجوههنَّ . ولنا على ذلك شواهد في سفر التكوين (٢٤ : ٦٥ و ٣٨ : ١٤) . وقد ورد مثل ذلك في الآثار الاشوريَّة والرومانيَّة وغيرها . وكذلك الكنيسة لم تزل توصي النساء بالحشمة وتغطية رؤوسهنَّ ولاسيَّما وقت الصلاة في الكنيسة (١ كور ١١ : ٣ — ١٧)

على انَّ صاحب الشريعة الاسلاميَّة عمَّم ذلك وفرض بهِ على جميع النساء مطلقاً ناهياً عن سفور وجوههنَّ الَّا بازاء اقاربهنَّ الادنين . وهذه سنَّتهم الى يومنا الَّا من تقلَّدوا الآداب العصريَّة وتمثَّلوا بامم الغرب فيعتبرون الحجاب مضرًّا بتربية الاناث مانعاً لترقية جنسهنَّ باخساً من قدرهنَّ

وما لا شكَّ فيهِ انَّ عرب البادية لا يحجبون نساءَهم تلك عادةٌ جروا عليها منذ القديم . ومثل القناع والنصيف والخمار الَّا اكسية كانت نساؤهم يسترنَ بها رؤوسهنَّ دون الوجوه وعلى الاقلّ دون العيون كما ترى في وصاوص المصريَّات . وفي الشعر الجاهليّ ما يؤيّد زعمنا قال المثقّب العبديّ (المفضَّليات ص ٥٧٩) :

أَرَيْنَ محاسناً وكَنَنَّ أُخرى من الأَجياد والبَشَرِ المصونِ

وورد هناك بين الشروح عن منجول البراقع : « لا يلبس منجولَ البراقع الَّا الحسانُ لأَنهنّ يحببْنَ أَنْ تُرى وجوههنَّ منها لحسنها والقباحُ تلبس الوصاوص لضيقها حتَّى لا تُرى وجوهها لقبحها . وقال عمر بن ابي ربيعة (المفضَّليات ص٢٥٩) :

ولمَّا تواقفْنا وسلَّمْتُ اقبلَتْ وجوهٌ زَهاها الحسنُ ان تتقنَّعا

وروى في الحماسة (ص٥٥٣) : « ولما تفاوضنا الحديث واسفرت » . قال : « وهكذا كانت نساء العرب تفعل اذا كانت جميلة » بل نبذت كثير من نساء الاسلام الحجاب كما روى المؤرخون . اخبر الصفدي في شرح لاميَّة العجم (١ : ٦٨) : « كانت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله لا تستر وجهها بشيء فلمَّا دخل بها مُصعب ابن الزبير كلَّمها في ذلك فقالت : انَّ الله عزَّ وجلَّ قد وسَمني بوسم جمال فأَحببتُ ان يراهُ الناس والله ما فيَّ وصمةٌ استترُ لها »

وقد ذكر صاحب الاغاني (١٠ : ١٢٨) انَّ الخليفة المأمون كان يخرج الى الشمَّاسيَّة

ليتنزّه بعد قدومهِ من خراسان . ثمَّ اخبر ان ابراهيم الموصلي دخل اليهِ « وهو يشرب مع الجواري وما كانوا يحجبون جواريهم في ذلك الوقت ما لم يلدنَ »

﴿ الردافة ﴾ هي من العادات التي اتخذها العرب من الامم النصرانيَّة المجاورة لهم وهي كالوزارة شاعت عند ملوك الحيرة وملوك غسَّان النصارى . (قال في التاج ٦ : ١١٥) : كانت الردافة في الجاهليَّة لبني يربوع لانهُ لم يكن في العرب احد اكثر غارة على ملوك الحيرة من بني يربوع فصالحوهم على ان جعلوا لهم الردافة ويكفّوا عن اهل العراق الغارةَ . . . قال جرير وهو من بني يربوع :

ربَعْنا وارد َفنا الملوكَ فظلّلوا وطاب الاحاليب الثمامَ المنزّعا

وقال المبرّد (الكامل ٧٦٣) : « للردافة موضعان احدهما ان يردفهُ الملوك دوابّهم في صيد والآخر ان يخلف الملك اذا قام عن مجلسهِ فينظر من امر الناس . (قال) كان الملك يردف خلفهُ رجلًا شريفاً وكانوا يركبون الابل وارداف الملوك هم الذين يخلفونهم في القيام بامر المملكة بمنزلة الوزراء في الاسلام واحدُهم رِدْف والاسم الردافة كالوزارة » . وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان (٣ : ٥١٨) في مادَّة طِخْفة اليوم المنسوب الى هذا المكان بين بني يربوع وجيش ملك الحيرة لمّا اراد بعد موت ردفهِ عتّاب بن هرمي بن رياح بن يربوع ان ينقل الردافة الى غيرهم فأبت بنو يربوع ذلك ورحلت فنزلت طخفة وبعث الملك اليهم جيشاً فيهِ قابوس ابنهُ وابن لهُ آخر وحسّان اخوهُ فانتصر عليهم بنوا يربوع وبقيت الردافة فيهم

﴿ العمامة ﴾ تُنعَت العمامة عند العرب بتاجهم . وقد وصفها ابو الاسود الدولي بقولهِ : العمامة جُنّة في الحرب ومكنةٌ من الحرّ ومدفأةٌ من القرّ ووقار في النوادي وزيارة في القامة وهي تُعَدّ من ميزة سادة العرب : قالت الخنساء في اخيها :

فارسُ الحرب والمعمَّم فيها مدرهُ الحرب حين تلقى نطاحا

وقد شاعت العمامة خصوصاً بين نصارى اليمن والعراق : وممّا يروي صاحب الاغاني عن خبر اساقفة نجران مع نبيّ الاسلام انهم كانوا «من السادة المعمَّمين» وترى الى يومنا العمامة من مميّزات كهنة واساقفة وبطاركة الكلدان في العراق وجهات ما بين النهرين (لهُ تابع)

# مطبوعات شرقيّة جديدة

An arabic History of Gujarat, by ʿABDALLAH MUHAMMAD BIN ʿOMAR AL-MAKKI AL-ASAFI ULUGHKHANI, ed. by **E. Denison Ross** Ph. D. *Vol. II, J. Murray,* 1921, *XXXVIII*-٨٥٢-٣٩١

القسم الثاني من تاريخ كجرات لعبدالله محمَّد بن عمر المكي الاصفي ألغخاني

سبق لنا ذكر الدفتر الاوَّل من هذا الكتاب الفريد المعروف بظفر الواله بمظفَّر وآله (المشرق ١٣ [١٩١٠] : ٥٤٩) يشتمل على تاريخ كجرات احدى معاملات الهند والملوك الذين حكموا عليها . وهذا المجلَّد الثاني يحتوي تتمَّة الدفتر الاوَّل ويبتدئ بتاريخ السلطان ابي الفتح احمد شاه ويمتدّ من السنة ٩٢١ الى ٩٨٤ ويليهِ الجزء الاوَّل من الدفتر الثاني مداره على بقيَّة اخبار كجرات وامرائها . ولهذا التاريخ شأن كبير لندرة المعلومات من اخبار الدول الاسلاميَّة في الهند . وقد بيَّن جناب الناشر لهذا الكتاب الفريد في مقدّمتهِ الانكليزيَّة خواصَّهُ والاصول التي اخذ عنها مؤلفهُ وقابل بينهُ وبين ما يُعرف من اخبار تلك الانحاء الهنديَّة مع ما يُستخلص من الكتاب من اخبار مؤلفهِ ولاسيَّما انّ النسخة فريدة مكتوبة بقلمهِ فنشكر السر دنيسون روس الذي احيا هذا الاثر الجليل ونتمنّى ان ينجز قريباً ما بقي منهُ ونحضّ كلّ محبّي تاريخ الهند الاسلامية على اقتنائهِ

ل . ش

**Mylès** (HENRI) : LA FIN DE STAMBOUL. Essai sur le monde turc., 1 *vol, in*-16.*Editions E. Sansot. Paris. s. d.,Prix* 6f.

خاتمة الاستانة

لم يقصد واضع هذا الكتاب الانتصار للترك او للعناصر المعادية لهم من يونان او بلغار وانَّما رأى ما آلت اليهِ احوال الاستانة حاضرًا وتضعضع امورها فلم يشأ ان تُفقَد تلك المشاهد التي كانت تقرُّ لها عينهُ قبل الحرب فاراد ان يحييها بقلمهِ فيصفها وصفاً حيًّا كما عاينها فتراهُ يذكر في عدَّة فصول قصيرة عادات تلك العاصمة التركيَّة في كلّ طبقاتها من وزراء واعيان وعمَّال وصنَّاع فينقل كلامهم ويروي حكاياتهم ويصوّر كلّ احوالهم تصويرًا مبهجاً . وممَّا دوّنهُ هناك ميل عموم الاتراك

الى الفرنسويين حتّى في ايّام الحرب وكيف ثبتت مدرسة غلطه سراي على خطّتهـا الفرنسويّة في التعليم رغماً عن مساعي الالمان في تحويلها الى خطّة تعليمهم الوطني

ج . ل

LA FOI DE NOS PÈRES, par S. Em. **le Cardinal Gibbons,** traduit de l'anglais par l'abbé **A. Saurel.** *Paris, P. Téqui*, 82 *rue Bonaparte XIII*-474, *in*-12, 1921

ايمان اجدادنا

هذا الكتاب البديع لفقيد الكنيسة الجليل نيافة الكردينال جبّونس رئيس اساقفة بلتيمور وضعهُ بالانكليزيّة فراج ايَّ رواج حتى بلغ طبعتهُ الثامنة والعشرين. فطلب الكاهن سورل من المؤلف الرخصة بترجمتهِ الى الفرنسويّة وفي يدنا منهُ الطبعة الرابعة . ولا غرو ان شاع الكتاب هذا الشيوع وقد ضمّنهُ صاحبهُ الدفاعَ عن اخصّ العقائد الكاثوليكيّة لاسيّما الحقائق التي ينفيها البروتستانت كعصمة الحبر الاعظم في امور الدين وكتساهل الكنيسة الكاثوليكيّة في تدبيرهـا وسياستها على خلاف كثير من الشيع البروتستانت وكمسألة الاقرار بالخطايا في سرّ التوبة . وقد اوضح المؤلف كل ذلك ببراهين قاطعة قريبة المنال وبكلام يسيلُ عذوبةً ولطفاً . والترجمة الفرنساوية مضبوطة تكاد تحاكي الاصل رقّةً وانسجاماً

الاب بطرس كسنتاكس

**Roger Lambelin :** LE RÈGNE D'ISRAËL CHEZ LES ANGLO-SAXONS. Paris, B. Grasset, in-12. pp. 270 Prix. 6 fr, 75

ملك اسرائيل في العنصر الانكليزي السكسوني

المسيو لَمبْلان احد الذين تعمّقوا في درس احوال اليهود ونفوذهم ودسائسهم وكثيراً ما نشر في المجلّات الاوربيّة المقالات الشائقة المبنيّة على قرارات اليهود انفسهم واثبت ما يتهدّد اوربّة من الاخطار بترقّي العنصر اليهودي . والكتاب الذي نحن في صدده قد خصّهُ الكاتب البارع بالامم الانكليزيّة في اوربّة وفي اميركة فيثبت انّ اليهود قد كادوا اليوم يعدّون على العالم سيطرتهم بواسطة تلك الامم فتراهم حيثما يزداد النفوذ الانكليزي تزداد ايضاً شوكة بني اسرائيل . ولنا على ذلك شاهد قريب منّا بالحركة الصهيونيّة في فلسطين . وخلاصة هذا الكتاب مدوّنة في كلمة قالها احد

كتبة اليهود المسيو مُنبارت انّ الحرب الكونيَّة الاخيرة فتحت باباً واسعاً لأمّته لتسود على العالم ولا شكَّ انهُ كان لها في اعلانها الحظّ الوفيّ وختم ذلك بقوله (ص ٢٧): «انّ الحروب والثورات والفتن هي لليهود ايّام حصادهم !!» . ثمّ استقرى المؤلف الحوادث التي جرت بعد الحرب فتتبّع في كلّ منها الحركة اليهوديّة بحيث لم يُبقِ شكًّا في القضيَّة التي اراد تأييدها انّ العالم اليوم آلة في يد اليهود وذلك خصوصاً بواسطة العناصر الانكليزيَّة السكسونيَّة . فنحضّ قرّاءنا على تصفُّح هذا الكتاب ليدركوا اسرار السياسة الحاضرة ب . ك

**Alb. Monniot:** Le Crime rituel chez les Juifs. Paris. P.Téqui, 1914, pp. 376, in-12, Prix. 3fr. 50

الضحيَّة الطقسيَّة عند اليهود

انّ الذين وقفوا في بلادنا على قتل اليهود للاب توما الكبوشي ولهنري عبد النور ولحوادث اخرى عديدة جرت في حلب واللاذقيَّة والاسكندريّة لا يشكّون في ما اعتادهُ الموسويّون من سفك دم النصارى ليمزجوهُ بفطائرهم الفصحيَّة وقد جمع صاحب هذا الكتاب الدلائل العديدة لاثبات هذه القضيَّة التي طالما انكرها بنو اسرائيل وصرفوا القناطير المقنطرة ليمحوا اثرها من تاريخ الشعوب ولاسيَّما بواسطة الصحافة التي كمّوا افواهها بالرشوة . على انّ صوت الحقّ يُفحم كلّ هؤلاء المتشدّقين ويَسِم اليهود بسمةٍ من العار لا تطمسها الدهور . فنهنّي المسيو مونيو لكشفهِ الستار عن هذه الحقيقة بما لا يُحصى من الشواهد بينها الاقراراتُ الرسميَّة في المحاكم الشرعيَّة ل . ش

**E. Rabaud:** Eléments de Biologie Générale 1 *vol.*, *in*-8, *Paris*, *Alcan*, *Prix*, 15fr.

اصول علم الحياة العموميّ

علم الحياة علم مستحدث لم يتَّفق العلماء حتّى الآن على تحديد اصوله وبيان خواصّه كما يقرّ بذلك مؤلف هذا الكتاب لأنّ مرجعهُ الى مراقبة الطبيعة واعمالها وتعليل ظواهرها وكثيرًا ما يفضِل العلماء الطبيعيّون نظرهم الشخصي على الوضعيّات . وهذا ما بيّنهُ المسيو رابو في مقدّمات كتابهِ . وكأنهُ نسي بعد ذلك هذه المبادي لمّا

اراد ان يبيّن اصل الحياة فانَّهُ يجنح الى تعليم المــادّيين ويزعم انّ الحياة تولّدت من مجموع عناصر كيموِيَّة دون توسّط عــامل يفوق الطبيعــة . وهو قول لا يسندهُ الى برهان ويستنتجهُ من مقدّمات غير صائبة ومن زعمه بانــهُ لا يوجد فرقٌ جوهري بين الخلايا الاوَّليَّة التي تتركّب منها الاجساد وان الحيّ منهــا يظهر كالميت . فيا لهُ من دليل سفسطيّ كأنّ الحياة تقع تحت العيان او يمكن نظرها في غير مفاعيلهــا فساء اذن ظنّ الكاتب وبنى كتابهُ على شفيرٍ هارٍ ج . لوقنك

**S. Arrhénius**: LE DESTIN DES ETOILES, études d'Astronomie physique, *Trad. franç. par* **T. Seyrig.** 1 *Vol., in*-16, *Alcan*, 1921

مصير الكواكب

مؤلف هذا الكتاب اسوجيّ واحد مشاهير الفلكيين لهُ في علم الفلك تآليف ممتعة منها كتابه المعنون بتطوُّر العالم وكتابهُ الموسوم بحياة الكون . وها هوذا قد جمع في هــذا الكتاب الجديد الصغير الحجم عدَّة معلومات عن الكواكب اتَّصل اليهــا العلماء منذ عهد قريب . فمن ذلك تعريف المجرَّة وتكوين النجوم عن مادّتها السديميَّة يليه فصول عديدة في تركيب النجوم وحركاتها ثم في الآثار الجوّيَّة وابخرتها ثمَّ ابحاث في سيَّارات نظامنا الشمسيّ وما يُعرف عن كلٍّ منها لاسيَّما عطارد والمرّيخ والزهرة ويفنّد ما شاع عن اقنية المرّيخ وسكَّانهِ ويثبت الشبه بين الزهرة حاضرًا وارضنا في اطوارها الجيولوجيَّة الاولى على خلاف عطارد والمرّيخ اللذين هرما ويُعلنان لاهــل ارضنا ما ستصير اليهِ سيَّارتنا اذ تنطفئ فيها الحياة . وكأني بقارئٍ هــذا الكتاب يأخذهُ العجب من اعمال الخالق فيردّد مع النبي داود : «السماوات تذيع مجد الله والفلك يخبر باعمال يديهِ » ج . ل

**Une Française d'Alsace** : M[lle] LOUISE HUMANN par **M[me] Paul Fliche,** Paris, P. Téqui, in-12, XV-189, 1921. Prix. 3f^r, 50

الآنسة لويزة هومان الفرنسويَّة الالزاسيَّة

انَّ الله يظهر قوَّتهُ عند فشل البشر وعجزهم فيرسل الى العالم نفوسًا مملوءَةً من روحهِ الالهي يعالج بها ادواء العــالم . والآنسة لويزة هومان احدى هذه النفوس التي ادَّت لوطنها بلاد الالزاس ولدينها الكاثوليكيّ خدمًا لايفي بها احصاء فانَّها ولدت

وعاشت في ايَّام الثورة الفرنسويَّة وعاينت ما حلَّ على فرنسة في غضونها من البلايا فوقفت نفسها للدفاع عن الايمان والآداب دون ان تبالي بمعاكسة البشر ومعاداتهم حتَّى بلغت الى رفع منارة الدين بعد هبوطها وارتدَّ على يدها كثيرون من الضالّين الذين جاهدوا معها الجهاد الصالح فرأت قبل وفاتها سنة ١٨٣٦ انَّ الله كلَّل مساعيها بتعزيز المبادي المستقيمة التي كانت من اصدق انصارها . وهذا الكتاب يحتوي تفاصيل حياتها البارَّة المثبتة قول الرسول انَّ الله يختار مستضعف هذا العالم ليخزي الاقوياء ل . ش

**Notes Lexicologiques** sur le Vocabulaire Maritime de Rabat et Salé par **Louis Brunot**. *Paris, E. Leroux*, 1920, *XVI*-153, *in*-8

معجم الالفاظ الجارية بين البحريّين في رباط وسلا

مرَّ لنا في المشرق (ص ٤٦٨) وصف الكتاب الذي ألَّفهُ المستشرق لويس برونو في التقاليد البحريَّة والاعمال الوطنيَّة الجارية في بلاد مرَّاكش وخصوصاً في مرفأي رباط وسلا وها هوذا اضاف اليهِ كتاباً لغويًّا جمع فيهِ كلَّ الالفاظ التي سمعها هناك من افواه النوتيين ودوَّنها على ترتيب حروف المعجم واضاف اليها شروحاً باللغة الفرنسويَّة لئلَّا تأخذها بعد حين يد الضياع . فنعم العمل الذي يفيد تعريف اللهجات الخصوصيَّة واصولها التاريخيَّة . ونتمنَّى ان يقوم في بلادنا من يحذو حذو المسيو برونو ويؤلف معجماً للَّهجات العاميَّة في سوريَّة كما فعل حضرة العلامة الاب ميشال فغالي للغة وطنهِ كفر عبيدا فنال شكر العلماء ل . ش

**The Maronite Liturgy** of the Holy Sacrifice in the Syriac-Maronite Rite, *translated by* **Jos. P. Gorayeb,** Buffalo, 1915, in-16, pp.60

ان العدد العديد من مهاجري الموارنة الى اميركة الشماليَّة قد أَلفت اليهم ابصار اهلها ولاسيما الكاثوليك منهم فتراهم يقبلون الى كنائسهم ويأنسون بحضور رُتَبهم الشرقيَّة فتمنَّوا غير مرَّة لو نُقلت صلوات قدّاسهم الى الانكليزيَّة فانتدب حضرة الخوري فرنسيس شمالي احد مواطنيهِ الاب اليسوعي يوسف غريّب الداموري من اساتذة مدرسة بوفالو لهذا العمل فاجاب اليهِ بطيب الخاطر . وقد سُررنا لهذا العمل وكان بودّنا ان يترجم اكليروس كلَّ طائفة صلواته الى الافرنسيَّة كما فعل الروم الكاثوليك ليزيد اقبال الفرنسويين على طقوسنا الشرقيَّة ولاسيَّما في الحفلات

الرسميَّة التي يُدعى اليها ممثِلو الدولة الفرنسويَّة. وكثيرًا ما اعلنوا برغبتهم في ترجمتها ليجتنوا من طيب اثمارها . وعلى كلّ حال نشكر حضرة الاب غريّب لقيامهِ بهذه الخدمة في المهاجرة لابناء وطنهِ الذين لا يعرفون السريانيَّة وللاجانب معاً

## تقاليد فرنسا في لبنان

للمسيو ريستلهوبر نقلهُ الى العربيَّة القس بولس عبُّود

طُبع بمطبعة القديس بولس في حريصا لبنان سنة ١٩٢١ (ص ٣٦١)

وقد وصفنا سابقاً (المشرق ١٨ [١٩٢٠] و ٧١٢) هذا الكتاب في اصلهِ الفرنساوي وبيَّنَّا ما يستحقُّهُ من الاعتبار بما يتضمَّنهُ من الفوائد العظيمة واشرنا الى بعض ما وقع فيه من الاغلاط التاريخيَّة فنثني على همَّة الخوري بولس عبُّود الذي نقلهُ الى العربيَّة ليستقي من موارده العذبة اهل الوطن. امَّا ما وقع فيهِ المؤلف من الخطأ فقد وعدنا حضرة الناقل بان يخصّ لتصحيحهِ بحثاً ارجأهُ الى فرصة ثانية. وكلّ آتٍ قريب

## تاريخ المسئلة الشرقيَّة

تأليف حسين لبيب استاذ التاريخ بمدرسة القضاء الشرعيّ

طُبع بمطبعة الهلال سنة ١٩٢١ (ص ١٢٠)

ظنّ البعض انّ الحرب الكونيَّة الاخيرة بضربها على الممالك العثمانيَّة تحلّ المسئلة الشرقيَّة العويصة التي تشغل الافكار منذ ثلثمائة سنة الَّا انّ سياسة الحلفاء لم ترضَ بحلّها نهائيًّا لما ينجم من ذلك من المشاكل بين الدول الاوربيَّة ولاسيَّما بعد نهضة مصطفى كمال ومطالبتهِ بحقوق قومهِ الاتراك وانتشاب الحرب بينهُ وبين اليونان والله اعلم كيف تكون نهايتها. وقد أحسن حسين افندي لبيب بتدوين تاريخ هذه المسئلة ليعرف الشرقيُّون اصولها ويميّزوا بين غثّها وسمينها وقد ألف علماء الغرب عدَّة كتب في هذا الموضوع مرَّ لنا ذكر بعضها ل. ش

## مختارات جرجي زيدان (الجزء الثالث)

طُبعت في مطبعة الهلال في مصر سنة ١٩٢١ (ص ١٥٦)

انتقدنا في بعض اعدادنا الماضية (ص ١٦٧) الجزئين الاوَّلين من هذه المنتخبات

التي تدلّ على سعة معارف صاحبها وتوقُّد ذهنهِ في إدراك الامور مع ما لحظنا فيها من الآراء الضعيفة في بعض المسائل الفلسفيَّة والاجتماعيَّة. وهذا الجزء قد قُدَّ من ذاك الصخر فيه طرفة من محاسنهما ومسحة عن مساوئهما. فممَّا لا نوافق فيه المرحوم جرجي زيدان مقالتهُ عن التعليم الالزامي (ص١٣) وقد اثبتنا في المشرق (١٩٢١: ص٤٣٥) ما في الإجبار من الأضرار. وكذلك قولهُ في تعليم العلوم العصريَّة في اللغة العربيَّة بيَّنَّا ما فيهِ من الخلل من عدَّة وجوه. على ان مقالات فقيد الآداب جرجي زيدان تفوق على كثيرٍ من امثالها برزانة كاتبها واعتدالهِ وبيانه فانَّهُ احد الذين ساعدوا كثيرًا في ترقية الآداب العربيَّة فجازاهُ الله خيرًا ل. ش

﴿ هدايا أُرسلت الى المشرق ﴾ ١ً مدحة الخور فسقفوس جرجس شلحت في مار افرام كنَّارة الروح القدس. طبعت بمصر سنة ١٩٢١ (ص٨) مذيَّلة بشروح لغويَّة وتاريخيَّة

٢ً برنامج شركة القديس منصور دي پول في حلب عن السنتين ١٩١٩—١٩٢٠ وهما السنتان الحادية والثانية والعشرون لتأسيسها. طُبع في مطبعة الثبات في حلب (ص٢٩)

٣ً حزب العمَّال في دولة لبنان: القسم الاوَّل البروغرام والقانون الاساسي طبع في مطبعة جدعون في بيروت (ص ٨ و 7)

## شذرات

﴿ الذباب ﴾ من المعلوم لدى الخاصة والعامة ان الذباب من اسرع وشرّ النَّقَلة للامراض الوبائية فيفتك كل سنة بمئات الآلاف من البشر. وتأييدًا لتلك الحقيقة الراهنة نذكر الحادث الآتي. قد أُحصي في ذبابة واحدة ٦،٦٠٠،٠٠٠ جرثومة لامراض شتَّى منها الدوسنطارية والتيفوس والهيضة والطاعون الخ. الذبابة تعيش نحو خمسة اسابيع ليس الَّا ومع ذلك ففي هذا الوقت اليسير تلد نسلًا. وهذا يلد غيره وهلمَّ جرًّا حتى النسل الثاني عشر فيبلغ عدد كل افراد الذباب المتناسلين على النمط السابق وصفه زهاء ١،٠٩٦،١٨١،٢٤٩،٣١٠،٧٢٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ ويسوغ التعبير عن هذا الرقم الهائل على الوجه التقريبي الآتي وهو مليارٌ مضروب مرَّتين في مثله. ولو بقي كل هذا الذباب حيًّا لكان مجموعه يساوي حجم الكرة الارضيَّة!

ولكن اغلبه يهلك قبل انقضاء الخمسة الاسابيع . فتأمل في حكمة الخالق وعنايته بالبشر

﴿إكرام العلماء في البصرة﴾ قرأنا في مواسم الادب للسيد جعفر البيتي (٢ : ١٠٤) ما حرفهُ قال : ضاقت المعيشة على النضر بن شميل (العالم اللغوي الكبير) فخرج يريد خراسان فشيَّعهُ من اهل البصرة ثلثة آلاف رجل ما منهم الَّا محدّث او نحوي او لغوي او عروضي او إخباري فلما صار بالمربد جلس ثمَّ قال : «يا اهل البصرة يعزُّ عليَّ فراقكم فوالله لو وجدتُ كلَّ يوم كيلة باقلَّاء ما فارقتكم» . فلم يكن منهم من يتكفَّل لهُ ذلك . ذكرهُ ابو عبيدة في مثالب اهل البصرة والنضر هذا من اصحاب الخليل توفي سنة ٢٠٤ (٨١٩ م)

﴿تاريخ ضريح المرحوم جرجس همَّام﴾ اوقفنا صديقنا اسعد افندي رستم على هذه الابيات التي نظمها قبل وفاته المرحوم جرجس همَّام لتُحفر على قبره وضمَّنها ايمانهُ بالقيامة ودار الخلود :

كأني وقد أمسيتُ في القبر ثاويا وحوليَّ اصحابي واهلي بواكيا
يذوبون من فرط الكآبة والأسى ويَسقون من ماء الدموع ترابيا
اقولُ لهم والبَيْنُ قد حال بيننا سيبعثني ربّي ويحيي عظاميا
ويجمعني في من أُحبُّ فنلتقي ونحرز في دار الخلود الامانيا

﴿ترقّي الرسالات الكاثوليكيَّة في الصين﴾ وقفنا على آخر احصاء المتنصِّرين في الصين بهمَّة المرسلين الكاثوليك فاذا هو بالغ في السنة ١٩٢٠ : ١،٩٩٤،٤٨٠ وفي هذه السنة قد زاد نحو ١٠٠،٠٠٠ وكان عددهم سنة ١٩٠٦ اقل من مليون . فناهيك بهِ دليلًا على نجاح الدين المستقيم في تلك البلاد المتسكّعة في ظلام الوثنيَّة

﴿وسام جوقة الشرف لمدير فرصة شنغاي﴾ روينا (ص ١٥٥) ما نقلتهُ مجلَّة المقتطف عن الامتيازات التي نالها الآباء اليسوعيُّون مديرو مرصد زيكاوي وقد انبأتنا رسائل الصين عن تفاصيل الحفلات التي أُقيمت في قنصليَّة فرنسة بحضور الجالية الافرنسيَّة واشراف الدولة الصينيَّة بنسبة تعليق وسام جوقه الشرف على صدر الاب فروك الذي منذ ٢٥ سنة يؤدي للدول الاوربيَّة خدماً لا تُحصى بنشره المراقبات الفلكيَّة والارصاد الجوّيَّة التي عليها يعتمد ارباب السفن الحربيَّة والتجاريَّة في بحار الصين . وكلهم لسان واحد في اطراء المرسلين الكاثوليك على اختلاف دولهم واديانهم

﴿بعثة علميَّة في اقطار الصين﴾ وممَّا استفدنا من رسائل الصين انَّ حضرة

الاب ليسان (Licent) اليسوعيّ من كبار العلماء الطبيعيين تجوَّل في هذه السنين الاخيرة في عدَّة ولايات صينيَّة لدرس طبيعيَّاتها لاسيَّما ولايتي خنسو وكوكونور فجمع من المعلومات ما يؤمَّل نشرهُ في عدَّة تآليف عن جغرافية البلاد وتعريف عناصر اهلها وبيان خواصها المعدنيَّة والجيولوجيَّة والنباتيَّة والحيوانيَّة وكلّ ما يصلح لترقية الصين في الاقتصاديَّة وممَّا جمعهُ من الامثلة النباتيَّة يبلغ علوهُ اربعين متراً ومن الهوام والحشرات في العلب مترين مكعَّبين ومن جلود الطيور لتصبيرها ٢٥٠٠ جلد ما عدا الفَي صورة فوتغرافيَّة لغرائب تلك البلاد . فأثنت الدولة الفرنسويَّة على عمله هذا واتّسعت الجرائد والمجلاَّت العلميَّة في وصف كلّ هذه الاكتشافات

﴿ الحيَّات المطلقة ﴾ من ظريف ما اخبر بهِ المقريزي في الخطط (٢ : ٣١٩) عن احد الحُواة ما ننقلهُ تفكهةً للقرَّاء قال : حدَّث الامير ابوعليّ تاج الملك جوهر المعروف بالشمس الجيوشي قال : اجتمعنا ليلةَ جمعة مع جماعة من الامراء في جامع القرافة في مصر . وعملنا سماطاً وجلسنا واستدعينا مَن في الجامع فاكلنا ورفعنا الباقي الى بيت قيّم الجامع ثمَّ تحدَّثنا وغنا وكانت ليلةٌ باردة فنمنا عند المنبر . واذا انسان نصف الليل ممّن نام في هذا الجامع من عابري السبيل قد قام قائماً وهو يلطم على رأسهِ ويصيح : وا مالاهْ ! وا مالاهْ ! فقلنا لهُ : ويلك ما شأنك ? وما الذي دهاك ? ومَنْ سرقك ? وما سُرق لك ? فقال : يا سيّدي انا رجل من اهل طرا يقال لهُ ابو كريت الحاوي أمسى عليَّ الليل ونمتُ عندكم واكلتُ من خيركم وسَّع الله عليكم ولي جمعة اجمع في سلّتي من نواحي طرا والحيّ الكبير والجبل كلّ غريبةٍ من الحيَّات والافاعي ما لم يقدر عليه قطّ حاوٍ غيري وقد انفتحت الساعة السلّة وخرجت الافاعي وانا نائم لم اشعر . فقلت لهُ : ايش تقول . فقال : اي والله يا للنجدات . فقلنا : يا عدوّ الله قد اهلكتنا ومعنا صبيان واطفال . ثمُ انَّ نبّهنا الناس وهربنا الى المنبر وطلعنا وازدحمنا فيهِ ومنَّا من طلع على قواعد العمد فتسلّق وبقي واقفاً . واخذ ذلك الحاوي يتجسَّس وفي يدهِ كنف الحيَّات ويقول : قبضتُ الرقطاء . ثمَّ يفتح السلّة ويضع فيها ثمَّ يقول : قبضتُ امَّ قرنين . ويفتح ويضع فيها ويقول قبضتُ الفلانيَّ والفلانية من الثعابين والحيَّات وهي معهُ باسماء ويقول «ابو تليس وابو زعير» ونحن نقول : ايه . الى ان قال : «ابس انزلوا ما بقي عليّ همّ . ما بقي يهمّكم كبير شي . قلنا : كيف . قال : ما بقي

الّا البتراء وامّ رأسين انزلوا فما عليكم منهما. قلنا: كذا عليك لعنة الله يا عدوّ الله لا نزلنا للصبح فالمغرورُ من تغرّه. وصحنا بالقاضي ابي حفص القيم فأوقد الشمعة ولبس صباغات الخطيب خوفاً على رجليهِ وجاء فنزلنا في الضوء وطلعنا المئذنة فنمنا الى بكرة وتفرّق شملُنا بعد تلك الليلة. وجمع القاضي القيّم عياله ثاني يوم وادخلوا عصيًّا تحت المنبر وسعفاً وشالوا الحصر فلم يظهر لهم شيء. وبلغ الحديث والى القرافة ابن شعلة الكتاميّ فاخذ الحاويَ ولم يزل بهِ حتّى جمع ما قدر عليهِ وقال: ما اخلّيه الّا الى السلطان وكان الوزير اذ ذاك يانس الارمنيّ

وهذه القضيَّة تُشبه قضيَّةً جرت لجعفر بن الفضل بن الفرات وزير مصر المعروف بابن حزابة وذلك انهُ كان يهوى النظر الى الحيَّات والافاعي والعقارب وامّ اربعة واربعين وما يجري هذا المجرى من الحشرات. وكان في دارهِ قاعة لطيفة مرخمة فيها سلل الحيات ولها قيّم فرّاش حاوٍ من الحواة ومعهُ مستخدمون برسم الخدمة ونَقل السلال وحطّها. وكان كلّ حاوٍ في مصر واعمالها يصيد ما يقدر عليهِ من الحيّات ويتباهون في ذوات العجب من اجناسها وفي الكبار وفي الغريبة المنظر. وكان الوزير يثيبهم على ذلك اوفى ثواب ويبذل لهم الجُمَل حتّى يجتهدوا في تحصيلها. وكان لهُ وقت يجلس فيهِ على دكّة مرتفعة ويدخل المستخدمون والحواة فيُخرجون ما في السلل ويطرحونهُ على ذلك الرخام ويحرّشون بين الهوام وهو يتعجّب من ذلك ويستحسنهُ. فلمّا كان ذات يوم انفذ رقعةً الى الشيخ الجليل ابن المدبّر الكاتب وكان من اعيان كتّاب ايّامهِ وديوانهِ وكان عزيزًا عندهُ وكان يسكن الى جوار دار ابن الفرات يقول لهُ فيها: «نُشعر الشيخ الجليل ادام الله سلامتهُ انهُ لمّا كان البارحة عرض علينا الحواةُ الحشرات الجاري بها العادات انساب منها الى دارهِ الحيّة البتراء وذات القرنين والعقربان الكبير وابو صوفة وما حصلوا لنا الّا بعد عناء ومشقّة وبجملةٍ بذلناها للحواة ونحن نأمر الشيخ وفّقهُ الله بالتقدُّم الى حاشيتهِ وصبيتهِ بصَون ما وُجد منها الى ان نُنفذ الحواة لاخذها وردّها الى سللها». فلما وقف ابن المدبر على الرقعة قلبها وكتب في ذيلها: «اتاني امر سيدنا الوزير خلّد الله نعمتهُ وحرس مدّتهُ بما اشار اليهِ في امر الحشرات والذي يعتمد عليهِ في ذلك انّ الطلاق يلزمهُ ثلاثاً ان بات هو واحد من اهلهِ في الدار والسلام»

# أسئلة واجوبة

س سال الاخ دانيال الراهب اللبناني : ١ ما هو هذا سفر المستقيم المذكور في كتاب يشوع بن‌نون (ف ١٠ ع ١٢) . ٢ هل الآية الواردة هناك في وقوف الشمس والقمر كانت سابقًا في اصل الكتاب او كانت على هامشه فادخلها النسَّاخ في المتن ؟

سفر المستقيم – آية وقوف الشمس

ج نجيب على (الاوَّل) انَّ سفر المستقيم هو احد الاسفار المفقودة من التوراة وقد ورد ذكرهُ هنا في سفر يشوع ثم في كتاب الملوك الثاني (ف ١ ع ١٨) وقد فسَّرهُ البعض عن العبرانيَّة بسفر الصدّيقين وامَّا في الترجمة السريانيَّة فيدعى سفر التسابيح (ܣܦܪܐ ܕܬܫܒ̈ܚܬܐ) والظاهر انهُ كان مجموعاً من التسابيح التي كانوا يترنَّمون بها في اعيادهم . ونجيب على (الثاني) انَّ بعض المفسّرين يرون انَّ آية وقوف الشمس بامر يشوع نُقلت من بعدهِ من سفر المستقيم فاعتُبرت من الوحي بتصديق الانبياء عليها

س وسأل مستفيد ما لنا ننظر الى الشمس عند شروقها وغروبها ولا نطيق النظر اليها في رائعة السماء

النظر الى الشمس في طرفي النهار وفي الظهيرة

ج السبب في ذلك انَّ نور الشمس ينفذ في طرفي النهار طبقة من الجوّ اكثف واقلّ صفاء منهُ في الظهر بسبب الابخرة المتصاعدة من الارض عند الافق

س وسأل ايضًا هل يمكن وجود نور بلا حرارة او حرارة بلا نور

وجود النور والحرارة

ج لا يوجد عادةً نور بلا حرارة وانَّما الحرارة لا تزيد دائمًا بنسبة زيادة النور فان بعض الاجسام ساطعة النور قليلة الحرارة كبعض الانوار الكهربائيَّة . امَّا الحرارة فكثيرًا ما تحصل دون نور وقد تمكَّن العلماء من تجريد اشعَّة الشمس عن نورها مع ثبوت حرارتها المحرقة ل . ش

***

السنة التاسعة عشرة العدد ١٠ تشرين الاول ١٦٢١

# المشرق

## نقل المسافرين والبريد بالطيّارات

من قلم الاب نخله اليسوعي

انّ فنّ الطيران خرج الآن من دور المآثر البطَليّة التي أودت بحياة عدد لا يحصى من رافعي لوائه ودخل بعد الحرب الكونية في دورٍ عمــلي اقلّ خطرًا بدون قياس لكنّهُ اجزل فائدة لكل المجتمع البشري . ومن اعظم الخدم التي يقوم بهــا حاضرًا نَقْلهُ للمسافرين وللبريد من بلد الى آخر ولاسيّما من عاصمة الى اخرى على جناح السرعة ولا استعارة هنا في هذا التعبير !

### ١ نقل المسافرين

اجل ان القطارات والبواخر تنقل حتى يومنا هذا تقريباً كل المسافرين فلا يُستثنى من هذا الحكم العام سوى النزر القليل منهم وهم الذين تُلجئهم ضرورةٌ ماسَّة الى تقصير مدّة السفر بقدر الامكان او الذين شُغفوا بالتحليق في مملكــة الهواء و نَهب رحيب الفضاء والتحرّر من اغلال الجاذبية . وعدد الفئة الاخيرة لا يزال ينمو يومــاً فيوماً وقد هان الآن على هؤلاء المغرمين بالطيران إشباع نَهمتهم فيهِ بدون تبــذير الاصفر الرنَّان فان نفقة السياحات الهوائية لا تتجاوز كثيرًا مصاريف السفر بالدرجة الاولى من القطارات او البواخر بل هي دونها في بعض الظروف وان يكن ذلــك من الغرابة بمكان

هاك جداول اهمّ خطوط الطيران الاوربية لنقل المسافرين والبريد والبضائع . أقمناه استنادًا الى معلومات عديدة طلبناها لاجــل قرّاء المشرق من وكالات شركات الطيران في باريس :

١ (من باريس الى لندرة) خطّان جوّيان تبلغ في احدهما نفقة السفر ٣٠٠ فرنك بدلًا من نحو ١٧٠ في الدرجة الاولى من القطار والباخرة بالسفر الاعتيادي. المسافة بين العاصمتين نحو ٣٧٠ كيلومترًا تُقطع في ساعتين ونصف بسرعة زهاء ١٥٠ كيلومترًا في الساعة. والسفر يوميّ في احد الخطّين ويجري ثلاث مرات كل اسبوع في الخطّ الآخر

٢ (من باريس الى بروكسل) السفر يوميّ ما عدا الاحد. المسافة نحو ٢٧٥ كيلومترًا والنفقة ١٧٥ فرنكًا

٣ (من باريس الى ستراسبرغ) السفر يومي ما عدا الاحد. المسافة نحو ٤٢٥ كيلومترًا تُجتاز في ساعتين ونصف ليس الّا بسرعة ١٧٠ كيلومترًا في الساعة وهي اعظم ما نعرفه في خطوط الطيران. والنفقة ١٥٠ فرنكًا بدلًا من ١٠٦ فرنكات بالدرجة الاولى من السكة الحديدية

٤ (من ستراسبرغ الى پراغ) عاصمة تشاكوسلوفاكية: السفر يجري ثلاث مرار في الاسبوع. المسافة زهاء ٥٣٠ كيلومترًا يقطعونها في ثلاث ساعات ونصف بسرعة نحو ١٥٢ كيلومترًا في الساعة. والنفقة ٣٥٠ فرنكًا — ومن العجب العجاب ان السياحة طيرانًا من باريس الى پراغ على الخطّين الاخيرين تعاقبًا تتمّ باجتياز نحو الف كيلومتر في ست ساعات ومع ذلك تراها ارخص من السكة الحديدية. فتأمل!

٥ (من پراغ الى ڤرسوفية) المسافة زهاء ٥٣٠ كيلومترًا والنفقة ٣٠٠ فرنك

٦ من تولوز (فرنسة) الى كازابلنكا (مراكش) على طريق برسلونه وأليكَنْت ومَلقة ورباط. السفر يجري ثلاث مرات في الاسبوع. مجموع المسافات يبلغ نحو ١٨٥٠ كيلومترًا تُقطع في ١٤ ساعة بمعدّل سرعة ١٣٢ كيلومترًا في الساعة — ومقدار النفقة ١،٦٨٠ فرنكًا

في نيسان سنة ١٩٢١ كان للشركة المالكة هذا الخط ٧٠ طيارة لجميعها محرّكات قوّتها إجمالًا تفوق على ٤٥،٠٠٠ حصان بخاري. ومن غرَّة ايلول سنة ١٩١٩ وهو تاريخ افتتاح هذا الخط الى نهاية سنة ١٩٢٠ اجتازت طيّارات الشركة ٦٠٠،٠٠٠ كيلومتر بنيّف

ولكل من شركات الطيران السابق ذكرها جداول مطبوعة لمواعيد قيام وورود

الطيّارات ولنفقات نقل الاشخاص والبريد والامتعة والبضائع . وكل ذلك ناطق بسرعة ترقّي تلك المواصلات الجديدة

ولكي يقف قرّاء المشرق على بعض تفاصيل تلك الاسفار الجديدة ويتحققوا جزيل فوائدها وجميل مستقبلها رأينا ان نحدّثهم هنيهةً عن التي تجري الآن يومياً بين اندرة وباريس وهما كما لا يخفى اعظم العواصم الاوربية بل اكبر مدن المعمور اذا ضربنا صفحاً عن نويرك وحدها فان لها المقام الثاني بعد لندرة

تقوم الآن كما مرَّ بك شركتان بنقل المسافرين هواءً بين باريس ولندرة واحدة انكليزية والاخرى فرنساوية وكلتاهما تتنافس بقوة الطيّارات ومهارة سوّاقها وفاخر مراكبها اي المخادع المعدّة للسيّاح المغلقة من كل جانب كما في القطارات . فهي مفروشة باجمل الاثاث ومدفّاة على الدوام بحيث لا يشعر الركّاب بادنى برد مع ان الطيّارات ترتقي احياناً الى علوّ نحو ١٥٠٠ متر

هلمَّ بنا الآن لنلقي نظرة سريعة الى بعض ظروف الاسفار اليومية بين باريس ولندرة فيقف القرّاء بذلك المثل على كيفية السياحات الجوّية عموماً

من يقصد السفر من باريس مثلًا يذهب الى مكتب احدى الشركات في العاصمة الفرنساوية فيدفع ثمن تذكرتِهِ بعد الاطلاع على كل المعلومات المفيدة. وفي اليوم المعين تنقلهُ احدى سيّارات الشركة الى محطة الطيران الواقعة على مسافة نحو ستة كيلومترات من باريس في بقعة اسمها بورجهْ (Le Bourget). وقد أُطلق على المحطة اسمان ظريفان وهما المحطة الهوائية (aérogare) والميناء الهوائية (aéroport) وكلاهما جاري الاستعمال . ولا مراء ان الثاني اغرب واجمل من الاول مع انه لا يخرج عن دائرة الحقيقة كما يتّضح للمعتبر. والحق يقال ان محطة باريس الهوائية تفوق جميع رصيفاتها الاوربيَّة بحركة طيّاراتها واليك عددها لسبعة الاشهر الاولى من السنة المنصرمة :

كانون الثاني (٢٠٠) شباط (٢٧٠) آذار (٣٥٠) نيسان (٥٠٠)
ايار (٧٠٠) حزيران (٩٠٠) تموز (٩٥٠) الخ

تلوح سرعة الترقي لاول وهلة من محض تلاوة هذا الاحصاء فقد زاد عدد «السفن الهوائية» الراسية شهرياً في ميناء بورجهْ من ٢٠٠ الى ٩٥٠ نعني بنسبة ١

الى ½ ٤ وذلك في مدَّة سبعة اشهر ليس الَّا. أفليس هذا من العجب العجاب وهو ايضاً خير كفيل برواج تلك الاسفار في المستقبل القريب؟ هذا ولم نتوقف على وجود بقية هذا الاحصاء لآخر السنة ١٩٢٠ ولِما مضى من السنة الحاليَّة الَّا اننا على يقين من مواصلة النموّ المشار اليه

ولاحظ يا رعاك الله ان الارقام السابقة مختصة بمجرد الطيّارات القائمة بالاسفار بين باريس وغيرها من عظيم المدن الاوربيّة على وجه منتظم على الاقل وكثيراً ما يجري يومياً (راجع الجدول السابق) والحالة هذه لا تجد في ذلك الاحصاء ادنى اثر للطيّارات الواردة من مدن فرنساوية قريبة او المنطلقة اليها ولا الّتي يُقصَد منها مجرَّد «النزهة الهوائية» فتأمل!

امّا سبب تفوُّق محطة باريس الهوائيـــة على كل مزاحماتها فهو موقع العــاصمة الفرنساوية في ملتقى اهمّ الطرق الجوية في كل المعمور وهي الواصلة اليوم او المزمعة ان تصل غداً اوربة بأفريقية. واميركة باوربة. وهذه بآسية. وشمال اوربة بجنوبها وشواطئ المتوسط. ولذلـــك ترى ذوي الفكر البعيد من الفرنساويين يبنون على مستقبل محطة باريس اطيب الآمال لرواج كل مصالح بلادهم بل لانتشار التمدّن والنفوذ الفرنساوي في مشارق الارض ومغاربها

والآن حيث ادرك القرّاء خطير شأن تلك المحطة الهوائية المركزية للعالم اجمع نورد لهم وصفها على جناح السرعة اذ نحن في الطيران والطيّارات! شتّان ثم شتّان ما بين هذه المحطة ومحطّات السكك الحديدية في المدن الكبرى وهي في الغالب بنايات طويلة عريضة شامخة فخيمة يقف المرء مبهوتـــاً لدى مرأى عظمتها وجلالها. امّا في محطة بورجه فانك تـكاد تُحصي حجارة ابنيتها لقلة العمارة

وهناك تمتّع ناظرَيك بمشهد سهل فسيح منبسط امامك وترى في بعض جهاته طيّارات ترتاح من عناء شوطها المُنهِك فيخيَّل لك انها طيور جبّارية عائدة من مهجرها وراء البحار الى تربة الوطن العزيز في غرَّة ربيعٍ ساطع الانوار باسم الازهـــار. ثم اذا رفعت مقلتيك رنوت الى طيّارات أُخر محلّقة على مسافات متباينة فمنها الوافد ومنهـــا

الراحل . وحول السهل ترى كثيرًا من مستودعات الطيارات (١ (hangars) مصطفةً كالجنود ولها سقوف واطئة وابواب في غاية العرض . اما بناية المحطة نفسها فهي عبارة عن بعض ردهات صغيرة متلاصقة هي اشبه بالاكواخ منها بدور المدن فقد شيّدت بالخشب من باب الاقتصاد والاكتفاء موقتاً بالضروري الذي لا بدّ منهُ . والحق يقال انك تجد فيها كل ما انت في حاجة اليه فهناك مطعم يقدّم لك مأكولات شتّى شأن كل المحطات الكبرى . وهناك ردهة الجمرك حيث تُلصَق الوُرَيقات المعروفة من الجميع على الأعكام . وهناك ايضاً مكتب جوازات السفر فلسنا لننسى انّنا في الميناء الهوائية لباريس . وهناك اخيرًا محلّ البريد الجوّي السائر الآن على قدم وساق وترى الواحاً معلقة امامك تنبئك بمواعيد وصول وانطلاق الطيّارات في ذلك اليوم مع بيان وجهة «السفن الهوائية» الراحلة

ومن مزايا هذه السياحات على غيرها انّك لا تحتاج الى ابقاء امتعتك معك ولا يخفى على المتعوّدين الاسفار الطويلة ما في ذلك من فرط العناء . امّا هنا فيأتي احد العمّال ويأخذها منك مقابل وَصلٍ وينقلها الى المحلّ المعدّ لها في مؤخر جسم الطيارة المعروف عند الفرنساويين باسم fuselage وترجمته «المغزليّة» وقد سُمّي هكذا باعتبار شكلهِ المستطيل الدقيق نِسبيًا . ومتى وصلت الى منتهى سياحتك اتى مستخدم آخر واعاد اليك ازاء وَصلك كلَّ الامتعة . فتُعتَق من همّها طول السفر

ثم ان السهل الرحيب مقسّم الى قسمين يحيط بكل منهما حاجز فالاوّل مختصّ بالرحيل والثاني بالوصول وتعلو كلًّ واحد كتابةٌ طويلة عريضة واضحة لكل ذي عينين تدلّ على غايته دفعاً للالتباس الشديد الخطر في الطيران

أصغِ الآن يا رعاك الله الى ما يجري قبل انطلاق كل طيّارة من العمليّات التمهيدية المقصود منها تأمين السفر ضدّ كل الطوارئ الممكن ملافاتها . ترى اوّلًا الميكانيكي الساهر على المحرّكات يقلّب عينيهِ في كل اجزائها من دواليب ودفّاعات او رفّاصات ومخازن البترول واساطين مواقدهِ الى غير ذلك من الاعضاء الجوهرية التي يجرُّ ادنى اختلال فيها البوارَ العاجل . ويجري هذا الفحص الدقيق تحت مراقبة

١) من اغرب ما قرأنا بشأن ترقي الطيران ابتكار مستودع على شكل خيمة مستطيلة خفيفة نسبيًا تحملها الطيّارة حيثما اتجهت وتضربها اينما حطّت للالتجاء اليها

السائق او الرُبّان (pilote) الموكول اليهِ تدبيرها في فضاء الجوّ

واثناء ذلك ترى منطادَ التجربة الخفيف صاعـدًا فوق المحطة في طبقات الجو فتزيد او تنقص سرعتهُ في كلّ منها ويحيد كثيرًا او قليلًا عن الخط العمودي بحسب شدّة الريح ووجهته في كل طبقة. ويلاحظ كل هذه التفاصيل شخصان احدُهما يتبع المنطاد بنظّارته والآخر بيده كرونومتر وهو ساعة في غاية الضبط يقيّد بواسطتها الوقت المستغرَق في اجتياز منطاد التجربة لكل من الطبقات. فبفضل هذه العمليّة يتمكّن السائق المطّلع على نتائجها من احكام تسيير الطيّارة مهما كان ارتفاعها اثناء السياحة ولاسيّما انهُ يواصل ما استطاع طول مدّة شوطه ملاحظة الاحوال الجوّية بمساعدة الموازين المختلفة كميزان ثقل الهواء والحرارة والرطوبة والريح التي هي تحت نظره

كل كلامنا حتى الآن يدور على محور الامور العرضيّة في حكم المتروّي امّا الجوهر في السياحات الجوية فهو الطيّـارة بدون مراء. فلا مندوحة لنا من وصف احـدى الطيّارات الفرنسوية من طرز « جُليات » وهي من اقدر التي تقوم بنقل المسافرين من باريس الى لندن وبالعكس. ولعلّ القارئ اللبيب يرجم بالظنّ انها وُسمت باسم الجبّار الشهير في تاريخ اليهود نظرًا الى عظمها ولم يخطئ المرمى. فانّ عرض جناحيها المنبسطين يبلغ ٢٨ مترًا وطولها ١٤ مترًا. ولها محرّكان مركوزان على جانبي جسم الطيّارة او «المغزليّة» وقد نيطت بها المركبة المستطيلة المغلقة من كل جهة المحاطة بالنوافذ الزجاجيّة والمدفأة صيفاً وشتاء. هـذه مختصة بالركّاب وترى بها صفّين طويلين من المقاعد الفاخرة المصنوعة من الخيزران طلباً لمعظم الخفّة. فمتى جلس المسافر على احدهـا تمتّع من النافذة التي على جانبه الايمن والايسر بمشاهد فتّانة تتبدّل على الـدوام من وهاد وهضاب وجبال وسهول وانهار وبحار هيهات ان تجاريها مناظر السكك الحديدية

امّا إحكام درجة التدفئة اللـذيذة فكفى شاهدًا عليه ان كثيرًا من السياح يخلعون معاطفهم طول مدة الطيران لئلا تثقل عليهم وطأة الحرارة مع انهم يرتقون احيانًا الى ٥٠٠٠، متر ونيّف. امّا السائق والميكانيكي فانهما يجلسان في اعلى جهة «المغزلية» المتوسطـة فهو انسب مكان لادارة السفينة الهوائية كما يتضح

وثقل «جليات» فارغاً ألفا كيلوغرام ويقدر على حمل ٣،٠٠٠ غيرها من مسافرين وامتعة وبضائع ومن وقود. وسرعتهُ في الساعة نحو ١٦٠ كيلومترًا فهي ضعف سرعة

القطارات المستعجلة وتمكّنه من قطع ال ٣٧٠ كيلومترًا تقريباً الفاصلة بين محطة بورَجه التي وصفناها (١ ومحطة كريدن (Croydon) من ضواحي لندرة في ظرف ساعتين وثلث (٢ . ومعلوم ان السفر المعتاد يستغرق على الاقل ثماني ساعات فتأمل! . ولا يخفى ما في الاسفار الارضيَّة والبحرية من ضروب العناء كرَجة القطارات ودخان مداخنها ودُوام البحر ودوختهِ والانتقال من القطار الى الباخرة ومن هذه الى قطار آخر بقطع مسافة تُذكر ترجلًا وبتجشم الانتظارات المملّة الذاهبة بمؤونة الصبر . فلا اثر لكل تلك العوائق والشرور في السياحات الجوّية فضلًا عن عجيب سرعتها وبديع مناظرها ومُنعش هواء طبقات الجوّ العليا وهو يكاد يشفي المدنف ويجدّد حياته !

اخيرًا ان سرعة صعود « جليات » تبلغ كيلومترًا في اربع دقائق ليس الّا مع انه لا يقوى على الارتقاء عاموديًا كما هو معلوم من القاصي والداني فما ادهش تلك السرعة حيث تقدّره على الصعود بك الى قمة جبل صنّين بعلو ٢،٦٠٠ متر في ظرف عشر دقائق و ٢٤ ثانية !

ومن أبدع ما يجمّل السياحات الجوّية ان سائق الطيارة يُصعدها او يُحدرها في الجو وهي طوع بنانه ليمتّع المسافرين اكمل تمتُّع بمناظر الطبيعة فيعتلي مثلًا فوق الغابات العظيمة ليمكّنهم من شمولها بنظرة واحدة وينخفض لدى المرور بالمدن لينعموا بمشاهدة اهمّ بناياتها الفنّية ومجالي حياتها اليومية

وبعد التلذُّذ بتلك الرؤى الفتّانة والتحليق في علوّ لا ينقص معدّلهُ عن نحو الف

---

١) مدة السفر في الواقع ساعتان ونصف لما في معظم السرعة من المحاذير وقد توصلوا الى جعلها ساعةً و ٥٠ دقيقة بسرعة نحو ٢٠٠ كيلو متر في الساعة

٢) ولا بدع فان لجليات مأثرتان هما من اجمل التي سجّلها تاريخ الطيران . الاولى انه طار من باريس الى ميناء دكار الواقعة في اقصى غرب افريقية تقريبًا وذلك من ١٠ الى ١٦ آب سنة ١٩١٩ فكان لهذه المعجزة صدى إعجاب وتحبيذ في افئدة كل الفرنساويين . وقد قام بها وبما يليها الليوتنان بوسوترو (Bossotrot)

امّا الثانية فهي الطيران بدون توقف مع ٨ ركاب من باريس الى كازابلنكا في مراكش . والمسافة بينهما عبارة عن نحو ٢،٢٠٠ كيلومتر وقد اجتيزت في ١٧ ساعة و ٤٥ دقيقة نعني بسرعة نحو ١٢٤ كيلو مترًا في الساعة ولم يأت بمثل هذه المأثرة احد الطيارين الفرنساويين حتى غرة سنة ١٩٢٠

متر تنزل الطيارة نزلة فجائية ولو انها غير مزعجة ولا خطرة فتنحطّ على تربة محطة كرُيدن من ضواحي لندرة برشاقة النسر الواقع بعد حومة طويلة على صخرة جذبتهُ بناصع صفرتها الذهبية . فيكاد السائح لا يصدّق انه هبط من مملكة الهواء الى مُلك الثرى مع ان باب مركبته قد فُتح وسُلَّم النزول الى الارض رُكز على عتبته . ولا بدَّ من هذا السلَّم حيث للطيارة دواليب تجري بها على الحضيض بغاية السرعة لتستطيع الارتفاع في الجو . ومتى انحدر المسافر من سفينتهِ الهوائية وتزوَّد منها بنظرة الوداع مبشراً نفسه بأفراح العودة فانه يقدم جواز سفره ويعرض امتعته لعامل الجمرك بمحطة كرُيدن وعند خروجه منها يركب السيَّارة المعدّة لهُ ولرفقائه وهي تقلّهم الى العاصمة الانكليزية في نحو عشرين دقيقة . فلا يزال يردّد في مخيلته ذكر تلك السفرة العجيبة الآخذة بمجامع قلبه ويودُّ لو ان كل سياحاته تجاريها ولو نوعاً في السرعة والراحة والتمتع

فيتضح من مقالتنا هذه على السياحات الجوية المنتظمة بالطيّارات ولاسيما بين باريس وبعض حواضر المدن الاوربية خصوصاً لندرة ان تلك الاسفار ادركت اليوم رقياً يضمن لها مستقبلاً مجيداً . ومع ذلك يُخشى عليها في رأينا من مزاحمة المناطيد من طرز زبلين فهذه وحدها تقدر الآن على حمل مئات من الركاب وعشرات آلاف الكيلوغرامات من البضائع بسرعة نحو ١٢٠ كيلومتراً التي لا تقلّ كثيراً عن السرعة الجارية في الطيارات كما مرَّ بك . والحالة هذه فمزيّة المناطيد الزبلينية قدرتُها العظيمة ومزيّةُ الطيارات خفّتُها المدهشة فلكلّ منهما حينئذٍ وظيفتهُ في تسهيل وتعجيل المواصلات الدولية . ولا نرى امكان الاستغناء المطلق عن المناطيد ما لم تُجارِها رصيفاتها في القوة وشتان ما بينهما الآن من هذا القبيل

ولعل خير الادلة على صحّة رأينا هو الحادث الآتي (١ وهو ان المدير العام للشركة الصانعة للمناطيد الزبلينية اتفق في الشطر الثاني من سنة ١٩٢٠ مع رهط من اكبر المتموّلين في اميركة الشمالية لانشاء سياحات منتظمة في الاتلنتيك بين اوربّة والولايات المتحدة . والمدير المشار اليه صرّح لهم بمقدرتهِ على صنع منطاد جديد الطرز

١) قد ذكر المشرق جوهر ذلك الخبر في عدد آذار المنصرم بالصحيفة ١٩٦

يستطيع نقل ٥٠٠ راكب ونحو ٨٢ طنًا من البضائع وعبور الاتلنتيك ثلاث مرَّات يعني اجتياز مسافة نحو ١٨،٠٠٠ كيلومتر بدون تجديد مؤونة وَقود محرّكاته البالغ ٦٠ طنًا من البنزين وبسرعة نحو ١٣٠ كيلومترًا في الساعـة تمكنه من قطع المسافة الفاصلة بين القارّتين في اقلّ من يومين ٠ فتأمل !

## ٢ نقل البريد بالطيارات

هذا النقل هو الفائدة الثانية العظمى التي تجنيها الآن بعض الدول الكبرى من الطيارات لتعجيل المواصلات البريدية بين حواضر مدنها ٠ ومن البديهي الذي لا يختلف فيه اثنان ان الطيارات لا تخشى هنا مزاحمة المنـاطيد فان المعوَّل في هذا النقل على السرعة وخفَّة الحركات ليس على القدرة وذلـك نظرًا الى قلّة وزن البريـد حتى في العواصم ولاسيما اذا كاد ينحصر في الرسائل كما هو الآن

قد سبق لنا القول (راجع الصحيفة ٦٤٧ من عدد ايلول لسنة ١٩٢٠ من المشرق) ان اوّل نقل بريدي بالطيَّارات على وجه منتظم كان بين تولوز (فرنسة) وبرسلونه (اسبانية) ٠ ومن ذلك العهد ما زالت هذه الطريقة المبتكرة الجليلة العوائد تمتـدّ وتوسّع نطاقها ولعلّها ادركت في الولايات المتحدة اوج عزّها الحاضر ٠ الامر الذي حدا بنا الى وصف بعض ما بلغت اليه في بلاد « العمّ سام» من غريب الترقي المنبئ بقرب تعميمها في كل اقطار المعمور

وما ادراك يا صاح مقدار رواج البريد الطائر هناك ؟ كان يصل في غرّة هذا العام بين نويرك وسان فرنسسكو مارًّا بمدن ذات شأن مثل كلافلند وشيكاغو وأُوماها وسُلت لِـك سِتي (Salt Lake City) ٠ وخـلاصة القول ان هذا الخط البريدي يجتـاز كل عرض الولايات ذاهبًا من اقصاهـا شرقًا الى اقصاها غربًا ٠ وطولـهُ يبلغ نحو ٤،٢٠٠ كيلومتر فيكاد يساوي المسافة بين نويرك وليفربول وهي زهاء ٥،٠٠٠ كيلومتر

وعلاوة على هذا الخط الجبـاري أُنشئت عدَّة خطوط ثانوية تربط اهمّ نقطـة بالمدن الكبرى الخارجة عنهُ فمنها ما يصل نويرك بفيلادلفية ثم واشنطن — وشيكاغو بمنيپوليس (Minneapolis) — وشيكاغو بسان لويس

كانت اوائل هذا البريد الجوّي في منتصف ايار سنة ١٩١٨ وعلى حداثة عهده قد نقل في العام الماضي مائة مليون رسالة ! وذلك تقريباً عدد رعايا الولايات . اما سرعتهُ وجليل خدمهِ فحدّث عنها ولا حرج . كانت المسافة بين نويرك وسان فرنسسكو ٩٠ ساعة ونصف بالقطار فهبطت الى ٣٥ ساعة اعني نحو ثلث طولها بفضل الطيارات . وكانت بين نويرك وشيكاغو زهاء ٢٤ ساعة و ٢٠ دقيقة فقصرت حتى تسع ساعات ونصف وقس على ذلك في بقية الاحوال وانت تعلم ان قطارات الولايات لا ندّ لها في الخافقين من جهة السرعة — وكذلك الاقتصاد في النفقات عجيب ايضاً فقد نقصت مصاريف «البريد الطائر» عن مصاريف البريد المعتاد بمبلغ ٤٢٥٠٠ دولار في الخط بين واشنطن ونويرك وبما يفوق ١٠٠٠٠٠ دولار في الخط بين نويرك وشيكاغو . فما اجمل الاقتصاد مقروناً بسامي المزايا المنوّه بها آنفاً !

وقد دفع هذا النجاح الباهر الحكومة الاميركية الى انشاء خطين بريديّين جديدين هما الآن على غاية الانتظام . الاول بين مدينة كِيوِست ( Keywest ) الواقعة في طرف شبه جزيرة فلوريدة وبين جزيرتي كوبة وهافانة الغنيَّتين بانواع المحصولات كما هو مشهور . فالبريد الطائر يسبق البواخر على هذا الخط باربع وعشرين ساعة — والثاني هو الواصل بلدة سيتل ( Seattle ) الواقعة في الولايات بميناء ڤيكتورية الكَنَدِيّة التي ترسي بها مئات من بواخر الشرق الاقصى اليابانية والصينيَة الخ . فبريد تلك البلاد يصل الى داخل الولايات بربح ٢٤ ساعة ايضاً بواسطة هذا الخط الثاني . وفي نيّة الحكومة نشر مثل تلك الخطوط البريدية الجوّية في طول البلاد وعرضها تعميماً لفوائدها الجمة . قال المسيو بريغر (Praeger) المعاون الثاني لمدير البريد العامّ في الولايات منوّهاً بالخدم العظيمة التي تقوم بها الطيّارات : « كل طيارة بريدية تحمل ما يتراوح بين ١٨٠ و ٧٢٥ كيلوغراماً من الرسائل في كل شوط ويحدث هذا النقل على اكمل ما يرام من الانتظام ٩٠ مرةً في المائة وقد جاء الاقتصاد في النفقات مصوّباً لادارة البريد في انشائها الخطوط الجوية وانزالها بدل النقل الى سَنتين (١ (two cents) عن كل ٢٨ غراماً على وجه التقريب » . وكفى شاهداً على حسن تقدير حكومة الولايات للبريد الطائر انها تمدُّهُ سنويًّا بمبلغ ١٢٥٠٠٠ دولار معيّنة له

١) السنت يساوي خمسة سنتيات من العملة الفرنساوية

في الميزانيَّة ليقوم بوظيفته الحيوية خير قيام. ثم ان مجموع طول خطوطهِ كان بالغاً في غرّة هذا العام نحو ٥٣٦،٥ كيلومترًا منها نحو ٤،٢٠٠ في الخط الاكبر الواصل نويرك بسان فرنسسكو كما مرّ بك

ولما اقترح من زمن قريب بعض الجهلة على ندوة واشنطن — المسيطرة على كل الولايات بسلطتها الاشتراعية كما لا يخفى — إلغاء البريد الجوّي ونفقاتهِ الطائلة قام وقعد سوادُ نوّاب الأُمة وأَبوا قبول طلبه باكثريّة الاصوات: وقالت احدى امّهات الجرائد الاميركية النويرك تيمس (Newyork Times) وقد حمي وطيس جدال الصحافيّين في هذا الموضوع قولًا حكيماً نترجمه حرفيًّا: « اذا أُلغيت مساعدة الحكومة المالية فستهبط الولايات الى ما دون الصين في نقل البريد فالصين قد انشأت خطًّا جويًّا دائمًا بين باكين وتيان تسين (١ »

هذه لمعة وجيزة في ترقي البريد الطائر آثرنا فيه اميركة على غيرها اذ لاح لنا كالشمس في رائعة النهار ان الترقي هناك اعظم بدون قياس منه في سائر الاقطار خصوصاً بالنسبة الى طول الخطوط وشدة حركتها التي برهنت عليها ارقام عديدة سابقة

وقد اعلم المشرق قراءهُ (راجع الصحيفة ١٩٦ من عدد آذار الاخير) انه كما نوت انكلترة انشاء محطّات للطيران بين القاهرة ومستعمراتها في جنوب افريقية هكذا تفكر في انشاء بريد جوّي بين عاصمتها واميركة الجنوبية على طريق باريس فمدريد فرباط في مراكش فمستعمرة غمبيا في غرب افريقية الوسطى فميناء برنمبوك في البرازيل بعد عبور الاتلنتيك. وطول هذا الخط الجبّاري الذي ليس له مثيل حتى الآن سيكون نحو ٨،٠٠٠ كيلومتر وذلك يساوي خُمس دائرة الكرة الارضية !

فكل هذه الحوادث وكثير مثلها كافلة بتعميم البريد الجوي في المستقبل القريب لأنَّ فيهِ مع نقل المسافرين خدمتين جليلتين يقوم بهما فن الطيران الحاضر الَّا ان الاولى هي الآن على الاقلّ اشد خطورة بدون قياس بل يرجّح امتناع مجاراة الطيّارات في هذا الميدان. امّا الآخر — نعني ميدان السياحات الجوية — فلا تزال المناطيد والطيارات تتسابق فيه كفرسي رهان ولا نرى وجه امكان الجزم بان لاحدهما افضليَّة واسبقية مطلقة على الآخر حيث تفرّد كل منهما بكمالاته المشروحة آنفاً

١) المسافة بين هاتين المدينتين لا تزيد عن نحو ١٥٠ كيلومترًا

ومن العجب العجاب وما كذّب انتظار الفنيّين انفسهم ان الطيران العصري يقوم بخدمتيه الجليلتين باخطار اقل كثيرًا من التي تودي بحياة الناس في القطارات والسيارات مثلًا . والحجج الدامغة لاثبات ذلك هي الاحصاآت التي ورد منها شيءٌ غير يسير في عدد آذار من المشرق (الصحيفة ١٩٦) . فنحيل اليها القارئ هرباً من الاعادات المملّة التافهة . ونزيد عليها الاحصائين الآتيين : اولًا لم يبلغ عدد القتلى في كل خطوط البريد الاميركي الموصوفة سابقاً سوى الثمانية وذلك من نشأتها في ١٥ ايار سنة ١٩١٨ الى غرة سنة ١٩٢١ رغماً من كونها تطير بغض النظر عن حالة الجو ولو عصفت اشدُّ العواصف . ثم ان كثيرًا منها كان مستخدماً في الحرب مصنوعاً لها ثم أُجري فيها بعض التغييرات بقصد توفيقها لنقل البريد غير انها لم تزل مع ذلك مشوبة بنقائص تُعرّضها لاخطار اكثر (١ — ثانياً ان جميع الطيّارين المُلكيين الفرنساويين اجتازوا من غرَّة كانون الثاني الى منتصف تموز من العام المنصرم نحو ١،٣٠٠،٠٠٠ كيلومتر اعني نحو ٣٢ مرَّة دائرة الكرة الارضيّة ومع ذلك العدد الهائل لم تسفر كل الطوارئ التي اعترتهم في تلك السبعة الاشهر الا عن خمسة قتلى وسبعة جرحى . فايُّ شركة ملاحة او سكك حديدية او سيارات تقدر ان تنافس الطيّارين بأمن اسفارها استنادًا على مثل الاحصاء الاخير ؟

اليس من الغرابة بمكان ان ركوب جواد الريح الحَرون العاتي غدا اليوم آمن من خوض الدأماء بل من نهب الفضاء على صعيد الغبراء !

ويزيد تعجبنا زيادةً عظيمة اذا انتبهنا الى قصر المدّة التي نال في منتهاها الانسان ذلك الانتصار الشريف الباهر الذي فتح به مملكة الهواء المنيعة فطاف بسرعة السهم المرشوق في كل رحابها مشرقاً ومغرباً بأمن اعظم ممّا لو تجرَّل بهذه السرعة في انحاء ملكهِ القديم . فلم يبرح من ذهن القرّاء ان الطيران لم يخرج قبل سنة ١٩٠٦ من دور التجارب المُودية بحياة مئات من راغبيه المتفانين في رفع لوائه وهاك جدولًا وصيحاً في وجازتهِ يريك عظم ترقّي هذا الفن من ذلك العهد حتى غرّة هذا العام :

---

١) لانكلترة ايضاً كثير من الطيارات القديرة المعدة في الحرب لرمي القنابل وقد حُوِّلت اليوم الى طيارات ملكية تجارية وبعضها يقوم بنقل المسافرين بين لندرة وباريس

| | سنة ١٩٠٦ | سنة ١٩٢٠ |
|---|---|---|
| مُعظم السرعة في الساعة | ٤١ كيلومترًا | ٣٠٠ |
| اطول شوط بدون توقف | ٢٢٠ مترًا | ١٩١٥ كيلومترًا |
| اطول مدة الطيران « « | ٢١ دقيقة | ٢٤ ساعة و ٤٢ دقيقة و ٤٥ ثانية |
| معظم الارتفاع في الطيران | ٤٥٣ مترًا | فوق ١٠٠٠٠ متر |

فلا نتمالك عند مشهد ذلك النصر المبين المكلّل جبين المرء سلطان الكون المادّي بتاج من اشرف واجمل تيجانه ان نصعد آيات الثناء والتعظيم الى سلطان السلاطين البارئ عزّ وجلّ الذي زان الانسان بالعقل وجعل بيده عن لطفٍ وتنازُل عجيبين صولجانَ الملك المطلق على كل ممالك العالم الهيولي !

# قصّة سليمان بن داود في قصر عاد بن شدّاد

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعيّ (تتمّة)

(12ʳ) قال الراوي: فلمّا سمع سليمان الملك هذه الابيات صرخ صرخةً ووقع مغشيًّا عليهِ ساعةً زمانيَّة. فلمّا افاق من غشيتهِ جلس على سريرهِ وقال: يا آصاف قد طُفت مشارق الارض ومغاربها فما نظرتُ مثل هذا القصر ولا احسن منهُ ونظرتُ انَّ صاحبهُ كان لبيباً عاقلًا فيا ليتني كنتُ رأيتهُ وعرفتُ كيف كان حديثهُ ثمّ انهُ مشى حول السرير واذا مكتوب على جوانبهِ هذه الابيات :

سَـل الملوك اذا وافت منيّتهم ابن الجنودُ وابن الخيـلُ والخَوَلُ
اينَ الفوارسُ والغلمان مـا صنعوا اين الصوارمُ والخطيّـةُ الـذُّبلُ
هيهات ما منعوا ضيمـاً ولا دفعوا عنهم أذى حينا وافـاهمُ الاجـلُ
الى القبور وضيق االحد قد نزلوا رهنًا بمـا صنعوا يومًا ومـا عملوا

قال الراوي: فجعل سليمان يدور في تلك القبَّة ويتعجَّب من بنيانها (12ᵛ) وبينما هو دائر رأى بركةً عظيمة في وسط القبَّة وسمع في اعلاها ضجيجاً وصياحاً فرفع رأسهُ

فظهر لهُ اشخاص مختلفة الالوان ابدان بلا روؤس وروؤس بلا ابدان وبكاء وعويل في اعلى القبَّة . فصرخ سليمان من صحن القبَّة هو ومن معهُ ليزجرهم فلم يبطل الصراخ فزاد تعجُّبهُ وقال لوزيرهِ : يا آصاف ما هذا الصياح الذي اسمعهُ ؟ فقال آصاف : يا نبيّ الله لا شكّ انّ بعض الجنّ ساكن هاهنا وقد غلب عليهم العصيان والتمرُّد

فعند ذلك دعا سليمان الملك العفاريت فحضر منهم في الحال مائتان وخمسون عفريتاً كأنهم النخل الشواهق وسجدوا بين يدي سليمان وقالوا لهُ : ما تريد يا نبيّ الله ؟ فقال : اريد منكم بان تأتوني بمن يزعق في هذه القبَّة . فصعدوا وطافوا جميع القبة فما وجدوا شيئاً فحضروا بين يدي سليمان والصراخ لم يبطل . ثم انهم غابوا ثاني مرَّة فوجدوا حيَّة عظيمة (I3²) كأنها جمل وكانت من الجنّ فوقع العفاريت عليها وقالوا لها : ويحكِ يا حيَّة لماذا هذا الصياح والضجيج والصراخ والملك سليمان قد دخل هذا القصر ؟

ثمَّ انَّهم احضروها بين يدي سليمان الملك وقالت لهُ : السلام عليك يا نبيّ الله . فقال لها سليمان : وعليك السلام . ثم سألها : ما هو الذي حملكِ على هذا الصراخ وانا داخل القبة . قالت لهُ : يا نبيّ الله زعقتُ وصحتُ حتَّى تسمع صوتي وتطلبني فآتي بين يديك لاشتكي لك ما قد حلَّ بي من اهل هذا القصر ومن نكبات الدهر . فقال لها سليمان : ما اسمكِ ؟ قالت لهُ : اسمي الغائلة . فقال لها سليمان : كم لكِ في هذا القصر ؟ فقالت : اساسُهُ عليَّ كان وخرابُهُ على يديَّ صار . فقال لها سليمان : وكيف خربتِهِ واهلكتِ اهلهُ ولاي سبب صنعتِ بهم ذلك ؟ فقالت لهُ : انا اخبرك يا ملك الانس والجن (I3³)

اني قبل العمارة كنتُ تحت الارض فبدأ صاحب هذا القصر في بنيانهِ وكان صاحبهُ رجلًا جبَّارًا عظيم الشأن قويّ السلطان . قال لها سليمان : وايش كان اسمهُ ؟ قالت لهُ : كان اسمهُ عاد بن شدَّاد بن تامر بن لود بن سام بن نوح عليهِ السلام . وكان عادٌ ذا بطش وهيبة فملك الدنيا باجمعها من اوَّلها الى آخرها وبنى هذا القصر في ثلاث مائة سنة واتقن بنيانهُ واحكم هندستهُ ثمَّ ملأهُ بالجند والعساكر وكنتُ انا وبعلي ساكنَين فيهِ مع اولادي . وبعد وفاتهِ قام غيرهُ في تمادي الزمان فجاء خدمُهُ وهجموا

علينا فهربنا فجدُّوا في طلبنا وتبعونا الى خارج القصر وقتلوا اولادي الاربعة ونجوتُ انا وبعلي منهم

ولمَّا كانت السنة الثانية قتلوا لي ثلاثة اولاد آخرين فاشتدَّ علينا (١٤ ر) الأَلَم وبقينا خمس سنين ما طلعنا من مكاننا وما رأينا ضوءَ الشمس من الحزن الذي اصابنا . ثمَّ من بعد ذلك خرجنا في بعض الأيَّام وهم في اكل وشرب وفرح وسرور . فلمَّا رأونا جدُّوا في طلبنا فهربنا منهم فلحقوا بعلي وقتلوهُ ونجوتُ انا منهم وبقيتُ وحدي متزويةً في مكاني ولم أَرَ احداً من القوم لأن أَجل بعلي واولادي كان على يد هؤلاء القوم وليس لي حيلة في حكم الله معهم . ثمَّ اني أَقمتُ على حزني مقدار عشرين سنة فظهرتُ على وجه الارض حتَّى خرجتُ في بعض الأيَّام الى مشارق الدنيا وهم في اكل وشرب وفرح وسرور فلمَّا رأوني جدُّوا في طلبي وانا هاربة منهم فلحقوني وانا داخلة في وكري فضربوني ضربةً شديدة فقطعوا ذنبي فأَلَّمني ذلك الماً عظيماً وبلغ مني الوجع حتَّى لم استطع اصبر عنهم ولا ساعة من عظم ما نابني منهم ومن (١٤ ﻭ) فعلهم الرديّ ثمَّ غلب عليَّ طبعي الخبيث في ضررهم فخرجتُ الى الماء الذي كانوا يشربون منهُ فنفثتُ فيه السمَّ ثمَّ صرتُ أَلدغهم وارمي سمّي في طعامهم حتَّى اهلكتُهم جميعاً وما بقي في القصر غير النسر الذي في اعلاه

ولمَّا مرَّ عليَّ سنون واعوام كثيرة جاء ملك ومعهُ الف وزير وتحت يد كل وزير الفُ الفٍ من الاعوان فضجَّت بهم هذه الارض من كثرتهم فسكنوا في هذا القصر زماناً طويلًا ثم سلَّط الله عليهم جوعاً شديداً فماتوا باجمعهم وهلكوا وبقي القصر على حالهِ زمناً طويلًا . وبعد ذلك اتى الى هذا القصر عفريتٌ عظيم وكان اسمهُ الدّغوة وهو من اولاد الشيطان ومعهُ من جندهِ مائة عفريت فجاء وسكن في هذا الصنم الذي كان يعبدهُ عاد واعوانهُ معهُ وهو الى الآن في هذا القصر (١٥ ر)

فلمَّا سمع سليمان الملك ذلك قال للحيَّة : قد عجبني حديثكِ وقد أَشرحتِ قلبي من الهمّ والغمّ . ثمَّ قال لها : واين هو هذا العفريت ؟ قالت لهُ : يا عظيم الملك هو في هذا السرداب تحت هذه المقصورة . فلمَّا سمع سليمان نهض قائماً وطاف القصر ولم يترك فيهِ مغلوقاً الَّا فتحهُ ولم يترك باباً مفتوحاً الا اغلقهُ . فلما وصل الى باب المقصورة وجد مكتوباً عليهِ هذه الابيات :

حتّى متى تبتغي العليـاء يـا رجلُ ترجو الخلود فلن يبقى لـك الاملُ
اراك ترفع بنيـانـاً فتُحكمهُ وقد بنى قبلك الاسـلافُ والأُولُ
قد جمّعوا المال من حلٍّ ومن حرمٍ ولم يُرَدَّ القضا لمّا انقضى الاجلُ
فقـال صاحبهم لـلقوم ليس لكم فيها مقامٌ فساروا بعد ما نزلوا
(15v) اللهُ ربّي تعالى الله خالقُنا فانظر لنفسك قبلَ الموت يا رجلُ
وخذ من الزاد ما يُرضي جلالتهُ خيرًا وذلك تقوى الله والعملُ

قال الراوي: فبكى سليمان عند ما قرأ هذه الابيات ثمَّ انهُ فتح تلك المقصورة واذا هي من العقيق الاحمر وفرشُها من البلّور الابيض وبينها العواميـد من الذهب الابريز. فجعل سليمان يخطو الفراش ويعدُّها حتَّى عدَّ عشرةً منها فوجد باباً من الحديد الصافي وعليهِ عقرب من الفضَّة فنركهُ فانفتح لـهُ باب سردابٍ تحت الارض فنظر سليمان الى باب عليهِ مكتوب هذه الابيات :

أَلَا بَعْدَ المولى لدارٍ تروغها كُفيتم بَلاَ الدنيا كُفيتم ظنونها
فما زالت الدنيـا محـلًّا لباطلٍ وللناس ارزاقٌ فيستكملونها

قال الراوي: فتعجَّب سليمان من هـذه الابيات وامر وزيرهُ آصاف (16r) ان يكتبها ولم يزل يقرأها حتَّى حفظها وانحدر الى السرداب فعدَّ واحدًا وعشرين درجةً وكان مع اصاف شمعة فهبَّ ريحٌ فاطفأها. فعند ذلك همَّ سليمان بالرجوع فلم يعلم الى اين يمضي. وفيما هو كذلك اذ نظر ضوءًا من بعيـد فقصدهُ ولمّا وصل اليهِ نظر واذا هما عينا ذلك الصنم تلوحان مثل البرق من فوق ذلك السرير. وكان الصنم مرَّصعاً بالذهب وعينـاهُ كدرَّتين تشعَّان وتلمعان في رأسهِ فقال سليمان: يا آصاف انظر هذا الصنم كأنهُ حيّ ناطق. فقال آصاف: يا نبيّ الله هذا الـذي تراهُ طلسمات عملها ملوك الجبابرة من قديم الزمان

فعند ذلك دنا سليمان نحو الصنم فصـار الصنم على كرسيّه وكان يدور كدوران (16v) الرحى وصار يخرج من عينيه لهيب نار ومن مناخيرهِ دخان وكبريت وصار الصنم يرتفع الى اعلى القبَّة ويظهر منهُ صياح وصراخ عظيم وصوت كصوت الصواعق والرعد وكان ينادي باعلى صوتهِ ويقول: «يا شياطين يا ابالسة ويا اهل الفتن والطغيان تعالوا هاهنا لقـد اتاكم سليمان وليحضر اليَّ اوَّل الشياطين وجنودهُ فهـا قد حضر سليمان وهو يذلُّـكم ويفلُّ جنودكم ويكسر اصنـامكم ويهلك ملوككم

ويعذّبكم . تعالوا حتى نقتلهُ ونخلّص الانس والجنّ منهُ» فاجابهُ للحال مائة عفريت مردة وظهروا على سليمان الملك وكشفوا عصيانهم وبيّنوا عزمهم على مقاتلتهِ

فعند ذلك صرخ سليمان صرخةً عظيمة وقال لهم: الويل لكم يا جنود ابليس يا ملاعين يا ويلكم يا ملاعين يا عفاريت أتتمرّدون عليّ ايضاً وانا ملككم وسلطانكم والحاكم (17r) عليكم ومُذلّكم لانّ معي آيات الله العظيمة . ثمّ انهُ اومأ عليهم بالخاتم فوقع الصنم على الارض وغُشي على الشيطان الذي كان ساكناً فيهِ وانهزمت العفاريت المتمرّدون . فزعق عليهم سليمان فوقعوا بعضهم على بعض ثمّ قاموا وصعدوا في الفضاء وبقوا هاربين يفتلون في الهواء.

وبعد ذلك دعا سليمان وزيرهُ ودنا من كرسيّ الصنم وطاف حولهُ ونظر في ضوء الشمس واذا لوحٌ من الذهب عليهِ مكتوب هذه الابيات :

ستُزعجك المنايا في بَوارِكْ ... وتُهلكك الردى بحذاء دارِكْ
وتترك ما شقيتَ بهِ زماناً ... وتُنقَل عن غناك واقتدارِكْ
فقدّم توبةً تُحظيك عفوًا ... تجدْ عزًّا وتسعدْ في جِدارِكْ

قال الراوي (17v) : فبكى سليمان عند ذلك بكاءً شديدًا ثمّ انهُ تقدّم الى الكرسي فرأى من ورائهِ قبرًا طولهُ خمسون ذراعاً وهو مرصّع بالذهب والجواهر الثمينة واصناف السَبَج والعقيق الاحمر وجميع الاصناف من الياقوت والزمرُّد . فتأمّل ذلك سليمان وتعجّب غاية العجب . ثمّ تطلّع ايضاً فرأى عند رأس القبر لوحاً مكتوباً عليهِ هذه الابيات :

انا ابن شدّادَ المليكُ تجلّني ... ألارض جمعاء وكلُّ مكانِ
فيَّ القبائل والجحافل والملا ... كلّ البلاد واهلها تخشاني
وجمعتُ مالًا ليس يُحصى وصفهُ ... وذخيرةً لنوائب الازمانِ
فاتانيَ الموتُ المفرّق للورى ... فنُقلتُ من عزّي لدار هواني
فندمتُ حتى لا تُفيد ندامتي ... اسفًا على فخري وعالي شأني
وقد رأيت جميع ما قدّمتهُ ... اني الرهينُ بهِ وكنتُ الجاني
(18r) فانظر لنفسك يا فتى قبل الفنا ... واحذر شديد نوائب الازمانِ

فقال الراوي: فعند ذلك بكى سليمان بكاءً شديدًا حتّى انهُ بلَّ لحيتهُ من الدموع ثمّ تقدّم عند رجلي الصنم فوجد لوحاً مكتوباً عليهِ هذه الابيات :

تزوَّد من الدنيـا فانك راحلُ قريباً لانَّ الموت لا شكَّ نازلُ
فعمرُك في الدنيا غرورٌ وبلوةٌ وعيشك في الدنيا مُحالٌ وباطلُ

فلمَّا قرأ سليمان هذه الابيـات نظر واذا لوح آخر مكتوبٌ عليهِ يقول « انا ابن شدَّاد بن تامر بن لود بن ارام بن سام بن نوح . قد بنيتُ الف مدينة على ترتيب هذا القصر وجعلتُ ارضهُ مسكاً وعنبرًا وبنيتهُ لبنةً من فضَّة ولبنةً من ذهب وركبتُ في عمري الف جواد سوابق وملكت الدنيا شرقهـا مع غربهـا (18v) وبرَّها مع بحرها وقمعتُ الفاً من الملوك وتزوَّجت كثيرًا من النساء وبعد هـذا جميعه بقيت انا وحدي في هذه الدنيا الغرور فلا تغرَّنك الدنيا وشهوتها واعرفْ بيان مذموم فعلها ومن يركن اليها يكون طاغياً باغياً عاصياً لربّهِ . فقد بان لي الآن اني بعد هذا جميعهِ لا اكلتُ ولا شربتُ ولا ملكتُ ولا فرحتُ ولا بنيتُ ولا عمَّرتُ ولا رحتُ ولا جئتُ . والآن بالله عليكم يا سامعون انَّ كلَّ من يتأمَّل فيَّ ويبصر ما حلَّ بي يعتبر بحالهِ فانَّ العاقل يعتبر بغيرهِ فتحلَّ عليهِ طاعة الله مولاه وبعد هذا جميعه اقول وانوح وابكي على نفسي بدموع لا تنشف :

علوتُ على الملوك بكـل امرٍ وفقتُ على الموالي في زمـاني
(19r) وحاكيتُ الثريـاً في علاهـا وها انا في التراب كما تراني

قال الراوي : فبكى سليمان الملك بكاء شديدًا لمَّا سمع هذه الابيات هو ومن معهُ . ثمَّ سجد على الارض وخرَّ على وجههِ قائلاً : المغرور بهذه الدنيا جاهـل . ثمَّ انهُ خرج خارج القصر وقفل الابواب كما كانت واستدعى بالحيَّة والنسور وطيَّب قلوبهم ورتَّب لهم رواتب من اللحوم ثمَّ ارسلهم الى القصر وصرفهم الى حال سبيلهم ومضى ولم يلمس شيئاً من القصر لاهو ولا وزراؤهُ ولا عسكرهُ

ثمَّ ركب على البساط وامر الريح ان ترفعهُ فرفعتهُ وساروا ايَّامـاً وليالي حتَّى وصلوا الى بيت المقدس هو ومن معهُ وهو حيران (19v) ومتعجب من هـذا القصر العجيب وممَّا رأى فيهِ ومن جواهرهِ الفريدة ومن عمارتهِ الفائقة العقول ثمَّ عاد يسبّح الله العظيم المالك علينا دائماً امين

# المذهب الدرويني واصل الانسان

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعيّ ( تابع ) ·

## انتقاد مذهب التحوُّل والترقّي

### ١ التولد الذاتي

انَّ مــذهب التحوُّل وتـكوُّن الانواع بالنواميس الطبيعيَّة أدَّى بالمُتَمَذهبين بهِ شا·دروين ام ابي الى نكران العالم الفائق للطبيعة والى جحود الخالق والنفس المجرَّدة عن الهيولي · امَّا اصل الحياة على زعم هؤلاء المنتمين الى المــذهب المذكور فهو من التولُّد الذاتي حيث اتَّقدت الشرارة الاولى من الحياة في بعض ذرَّات المادَّة الخالية منها سابقاً · ظهرت صدفةً في خليَّة من الخلايا ثمَّ نمت بعد ذلك وانتشرت

وهنا لا بُدَّ ان نستفتي كبار العلماء عن رأيهم في التولُّــد الذاتي · اصحيحٌ هو يا تُرى ما يزعم البعض ان بعض الاحياء مهما كانت صغيرةً تولد دون جرثومةٍ سابقة اي دون التناسل الطبيعيّ · فان ثبت ذلك امكن هكِل ان يسند رأيهُ في اصل الحياة الى مبدإٍ شبيه بالحقيقة يحتمل الصحَّة نوعاً · امَّا اذا تبيَّن بطلان التولُّد الذاتي فيسقط مذهب هكل كبناء لا اساس لهُ · وهنا لنا ادلَّة مبنيَّة على الاختبار الذي ينفي كل التأويلات والمماحكات

نقرُّ بان العلماء الاقدمين الى اواسط القرن التــاسع عشر كانوا يقولون بحدوث التولُّد الذاتي ساندين زعمهم الى ما نراهُ كل يوم في الموادّ النباتيَّة والحيوانيَّة التي عند فسادها يظهر فيها الدود ثمَّ يتحوَّل الدود الى ذُباب · واذا فحصتَ تلك الموادّ بالمجهر رأيت الوف الالوف من الحُيَيْوينات البالغة الصغر المدعوَّة بالخَلَميَّات والميكروبات · فكان العلماء منــذ ارسطو الى آباء الكنيسة وعلماء القرون المتأخرة ينسبون هــذه المواليد الى التولُّد الذاتي

وقد ظهر بطلان هذا الزعم بما اكتشفهُ وقرَّرهُ بالامتحانات العديدة ذلك الجهبذ العظيم والنابغة الفرنسويّ الكبير لويس پاستور حيث اثبت ان الحيّ ايًّا كان يتولَّد

من حيّ سابق. وهذا المبدأ الجليل اثبتهُ في باريس مجمع العلوم الفرنسويّ بعد ان عيّن لجنةً من العلماء الاختصاصيين لفحصهِ وبعد ان كثر القال والقيل بين المناقضين لهُ والمتشبّثين بهِ حتّى تحصحص الحقّ وزهق الباطل فاعلن المجمع المذكور حكمهُ بما نصُّهُ: «ان الكائنات الآليَّة في حالة ارضنا الحاليَّة تنال حياتها من احياء اخرى سبقتها الى الوجود وليس حيٌّ بينها كبيراً كان او صغيراً الَّا وقد تناسل عن أجداد لهُ سابقة» ثمَّ عاد كاتب اسرار المجمع العلميّ المذكور مصرّحاً بقولهِ: «انَّ الامتحانات التي بلغ اليها العلّامة پاستور هي ثابتةٌ مقرَّرة اذا نكرها احد دلَّ بنكرانهِ الى انهُ يجهل القضيَّة جهلاً مطبقاً»

والحقّ يقال انَّ الفضل في اكتشاف هذا الامر وتبيانهِ بالاختبارات المقنعة يعود الى پاستور المومأ اليهِ وقد تبعهُ في تكرار هذه الاختبارات اكبر علماء العالَمَين فلم يَعُدْ احد يشكّ ببطلان القول بالتولُّد الذاتي. وقد نتجت ايضاً عدَّة معلومات ممَّا وجدهُ پاستور عن تولُّد الكائنات الآليَّة من جراثيم سابقة. كنسبة الاوبئة الفاشية الى جراثيم حيَّة وكسلامة الاطعمة من الفساد وكاتّخاذ الاحتياطات الصحيَّة في العمليَّات الجراحيَّة الخ

ومن هذه الاكتشافات ايضاً تولّد احد العلوم المستحدَثة علمُ الميكروبات او البكتيرولوجيا الذي مبناهُ على هذه الحقيقة «انَّ كلَّ جرثومة تنشأ عن جرثومة سابقة من نوعها». وقد دخلت هذه المعلومات في الصناعة كتربية دود القز واختمارات الخمور والجعة والجبن الخ وفي الطبّ لمعالجة امراض شتَّى تصيب الانسان والحيوان والنباتات الزراعيَّة

ليس تولُّدٌ ذاتي! ذلك يعلن بهِ فنّ الجراحة فان الجراحيّين اذا باشروا عمليَّة ابتدأُوا بالاحتياطات التعقيميَّة الواجبة الماء الغالي والقالب المعقَّم مع تعقيم الآلات الجراحيَّة والعناية بالنظافة التامَّة لئلَّا ينال المجروحَ شيءٌ من أذى الجراثيم السابقة

ليس تولُّد ذاتي! هذا ما يجاهر بهِ الطبّ حيث يبحث عن الميكروب الخاصّ بكل علَّة وعن الوسائل لتخفيف وطأتها ان لم يستطع منع فشوّها

ليس تولُّد ذاتي! قد تحقَّقهُ فنّ الفلاحة وهذا ما ساعد الفلَّاحين على معرفة الامراض المصيبة للكرمة والبطاطا والعلل الفاشية في دود القزّ والحيوانات الداجنة.

وكثيرًا ما سبق العلماء وارشدوا الفلّاحين الى الوسائط الكافلة بازالتها ومنع رجوعها ليس تولُّد ذاتي ! كما اجمع عليهِ علماء الصحّة ( الهيجين ) . ألا ترى كثيرين من الحلّاقين ينشرون اعلاناً على باب محلّاتهم عليهِ هذه الكلمة «تعقيم» ليطمئنوا زبناءهم ويفيدوهم انَّ ادوات حلاقتهم معقَّمة لا تنقل جراثيم وبائيَّة من وجه شخص الى آخر. فتراهم قبل استعمالهم للموسى يعرضونها على شعلة نار قنديل لاستئصال كل جرثومة ضارَّة . وفي عدّة بلاد قوانين تقضي على العطَّارين والجزَّارين باتّخاذ الوسائل الكافلة بنظافة مبيعاتهم وذلك كلُّهُ لِما ثبت عند الجميع بانَّ الاوبئة تنتج عن جراثيم سابقة الوجود

وخلاصة القول انهُ اليوم لم يبقَ رجل صائب العقل سديد الرأي يذهب الى التولُّد الذاتي اللهمَّ الَّا بعض المادّيين تأييدًا لزعمهم الباطل ويُشار اليهم بالبنان لتأخُّرهم عن حركة العلوم . وبذلك يسقط بناء المذهب الدرويني المشيَّد على اساسٍ واهٍ فيُقضى على الناكرين لوجود الخالق احدُ امرين امّا ان يقرُّوا بهِ عزَّ وجلَّ وذلك ما يثبتهُ العلم وامَّا ان يقولوا بالتولُّد الذاتي وينفردوا في رأيهم الباطل عَمِهين في طغيانهم

ولعلَّ هكل والمتشيّعين بزعمهِ يدَّعون بانَّ التولُّد الذاتي قد بطل الآن وانَّما كان جارياً في الاجيال السالفة . هذا كلام بلا سند يرميهِ هؤلاء المتشدقون على عواهنهِ لا يستحقُّ اعتبارًا

وقد حاول الدكتور هِكسلي ( Hexley ) الانكليزي سنة ١٨٦٨ اثبات رأي هكل فادَّعى انهُ وجد في قعر الاوقيانوس مادَّةً اوَّليَّة نشائيَّة دعاها باثيبيوس زعم انَّ الحياة تتولَّد فيها ذاتياً . فطبَّل المادِّيون الالمانيُّون وزمَّروا لهذا الاكتشاف اذ رأوا ذاك الهلام المنتزع من اعماق البحار فحسبوهُ اوَّلَ جسمٍ آليّ نشأت عنهُ الحياة وانتشرت في العالم . على انَّ فرحهم هذا ما لبث الى ان آل الى خزيٍ وعارٍ واقرَّ علماء الالمان في مؤتمر همبورج المنعقد سنة ١٨٧٦ انَّ العنصر المزعوم عديم الحياة . وفي مؤتمر آخر عُقد في انكلترة سنة ١٨٧٩ اذ حاول احدهم ان يهنئ هكسلي عن اكتشافهِ المزعوم لاصل الحياة قام هذا ورفض تهنئتهُ قائلًا «انَّ الباثيبيوس الذي ظننتُهُ مصدر الحياة ليس هو شيئاً سوى راسب سلفات الكلس» . وباقرار هكسلي هذا لم يَعُد احد الى ذكر الباثيبيوس المشئوم

وما يستوقف النظر في هذه الكائنات الدقيقة والجراثيم والحلميّات وما يدعوه العموم بالعفونيّات انها ليست فقط متولّدة من حُبَيْوينات سابقة بل هي كلّها انواع مستقلّة ثابتة غير قابلة التحوّل من نوع الى آخر كما يدّعي مشايعو دروين . ومن ثمّ يجب نَبْذ اراء الماديين ومزاعمهم الباطلة في تولُّد الحياة ذاتيًّا في بعض دقائق المادَّة وانتشارها تدريجاً في بقيَّة الكائنات بتحوُّلها من نوع الى آخر . وان صحّ ذلك في المواليد السفلى فما قولك بالنفس الانسانيَّة ذات النطق والادراك أفيستطيع هكل وانصاره ان يرقّوا أَصلها الى المادَّة الجامدة . فليخزَ هؤلاء جَحَدةُ اللاهوت الذين لم يلتجئوا الى التولُّد الذاتي الّا ليُفلتوا من تكوين الخالق ويتنصّلوا من تبعة واجباتهم نحوهُ تعالى كما اقرّ بذلك هكل حيث قال : « لا مناص لتعليل وجود الحياة من احد امرين او القول بالتولُّد الذاتي وتحوُّل المادَّة الآليَّة بتمادي الزمان او الاقرار بالاعجوبة (يريد بالاعجوبة تكوين الخالق للكائنات) . هذا ما كتبهُ دي سوري (de Soury) في شرحهِ مذهب هكل . ومرجع قولهم الى هذا المبدأ الغريب « انّنا معشر الماديين في حاجة الى إثبات التولُّد الذاتي فنفضّل القول بالمستحيل من الاقرار بوجود الله » زه ! زه

## ٢ الانتخاب الطبيعي

سقطت توهُّمات هكل في قدم المادَّة واصل الحياة الطوعيّ وما حملهُ الى مزاعمهِ الباطلة سوى بغضهِ لما يفوق الطبيعة . وفي ما سبق الكفاية لردّ ترهاتهِ

ولعلّ سائلًا يطلب منّا قائلًا : « لقد ثبت لدينا بطلان اقوال هكل . ولكن ألا يمكن يا تُرى الانضواء الى مذهب دروين بقولنا معهُ انّ الله خلق باديْ بدء بعض الانواع التي تحوَّلت بعدئذٍ الى انواع أُخرى ? او يوجد في هذا الرأي شيء ينافي الايمان المسيحي او يردُّهُ العقل الصائب أَوَ ليس هو بالحري رأياً راجحاً ? وما هو مبلغ رجوحهِ ? وهل يجوز ان نُعير بالًا لتلك العوامل التي يدعم عليهِ دروين رأيهُ اعني النزاع لبقاء الحياة وحاجة الكائنات الى بعض الاعضاء وعمل الوسط والوراثة وهلمّ جرًّا ? وهل اثّرت تلك العوامل المزعومة في احوال النبات والحيوان الى ان ثبتت اخيرًا على الانواع التي نعرفها اليوم ? وخلاصة القول اذا نفينا زعم هكل في قدم المادَّة ونكران الخالق هل من داعٍ لقبول مذهب دروين وانصارهِ الذين يقرُّون

بوجود الخالق وانّنا يحصرون فعلهُ في تكوين بعض الامثلة الاوّليَّة النباتيَّة والحيوانيَّة التي منها تولَّدت بفعل الزمان كلّ الانواع ؟

وهنا يجب تكرار ما سبقنا الى ايراده اعني انَّ الاسفار المقدَّسة لم تصرّح بشيءٍ ينفي اصلًا مذهب دروين اللهمَّ الّا ما يختصّ بتكوين الانسان . وكذلك الكنيسة لم تبتّ حكماً في المسائل العلميَّة التي لا مناط لها بالدين وبعقائدهِ . لا مراءَ في انَّ الله هو خالق المواليد الثلثة الجماد والنبات والحيوان ولكنَّهُ تعالى امكنهُ ان يخلق جملةً او تباعاً بعض الامثلة النباتيَّة والحيوانيَّة فمكَّنها حسب الظروف ان تنتج بقوَّتها انواعاً جديدة على كرور الدهور فهذه القوّة المودعة في الاصول الاوليَّة تعود اليهِ تعالى كما يجب ان تُنسب اليه الانواع والتحوُّلات الناجمة عنها

فبعد هذه المقدَّمات علينا ان نوضح رأينا في مبدأ دروين المتوقف على الانتخاب الطبيعيّ

اعلم انَّ دروين لاثبات قولهِ في فاعليَّة هذا الانتخاب الطبيعي استند الى ما ينالهُ الانسان بحذقهِ من الانتخاب الصناعيّ اذ يوفّر اصناف النوع الواحد من النبات والحيوان الداجن . وقد بيَّنا سابقاً كيف اتَّصل الانسان بتوقُّد ذهنهِ وحسن نظرهِ الى ان يستخرج من بعض الانواع ضروباً جديدة من الزهور الزاهية والاثمار اللذيذة والجذور الغذائيَّة . كما انهُ توصل الى توليد صنوف عديدة من الحمام والدجاج والكلاب والخيل والشاء الخ وذلك بالتربية اعني بإجهاد فكرهِ في اتّخاذ الوسائل لهذه الغاية لاسيما حسن انتخابهِ للمولّدين . فاذا بلغت هذه الكائنات الى بعض الصفات التي قصدها الانسان ثبتت فيها واورثتها نسلها . فايت شعري ماذا يستطيع الدروينيُّون ان يستنتجوا من ذلك غير هذه النتيجة الواضحة وهي قدرة الانسان بذكائهِ على تربية الحيوان او النبات ليصدرا بهمّتهِ بعض خواصّ ثانويَّة عرضيَّة ليس الّا . ولكن هيهات ان يستولد بذلك نوعاً جديداً قائماً بذاتهِ ثابتاً في نسلهِ

وما يدلُّ على انَّ هذه التحوُّلات الناتجة عن عقل الانسان وهمَّتهِ هي عرضيَّة انَّك لو تركت هذا النبات وهذا الحيوان بعد تربيتهِ الى غريزتهما الطبيعيَّة واهملت تربيتهما تراهما بعد حين يعودان الى حالتهما السابقة ويفقدان الخواصّ المكتسبة . فدَعْ مثلًا البقر والخيل في البراري هُمَّلًا كما يفعل الاميركيُّون في مفاوزهم والمنغوليُّون في

صحاريهم القاحلة تجدها بعد ردهة من الدهر مستوحشة نافرة

فان كان الانسان مع كلّ حذاقته وافراغ مجهوده واتخاذه ما لديه من الوسائط لم يستطع حتّى الآن ان يستولد نوعاً جديدًا ثابتاً فكيف تستطيع الطبيعة العمياء المهملة لذاتها ان تدرك بقوَّة سحريَّة هذه الغاية فتستولد عددًا لا يُحصى من الانواع والفصائل مع ما فيها من النظام العجيب وما لكل منها من جميل التركيب. فلو كان لهذه النباتات ولهذه الحيوانات ما يتوهمهُ فيها مشايعو دروين لأمكنها ولاسيَّما بمساعدة الانسان ان تُظهر شيئاً من تلك التحوُّلات النوعيَّة الثابتة التي يدَّعونها لها. وحتى اليوم خابت آمالهم فيها. فان كان الانتخاب الصناعيّ عجز عن ذلك فكم بالحري الانتخاب الطبيعيّ المزعوم

وان ذهب الدروينيُّون الى أنَّ الطبيعة في سالف الدهور كانت في توليدها للانواع اقوى منها في زمننا الحاضر أجبنا انَّ لدينا آثارًا من التاريخ والجغرافيَّة راقية الى أُلوف من السنين وكلُّها تنبئ بانواع ثابتة وتنفي كلَّ تحوُّل وترقٍ. ادخل مثلًا مدافن مصر التي يرقي العلماء اصلها الى ستَّة آلاف سنة تجد فيها ما لا يُحصى من محنَّطات المصريين بينها جُثث ملوكهم واعيانهم وجثث حيوانات شتَّى اهليَّة ووحشيَّة وضروب النباتات فلا فرق بينها جميعاً وبين المواليد الشائعة منها اليوم في انحاء وادي النيل

وكذلك التصاوير البديعة التي نقشها المصريُّون على جدران تلك المدافن تمثّل اجناس الحيوان كالكلاب مثلًا بينها كلاب الصيد والكلاب البيتيَّة وكلاب الرُّعاة لا تختلف البتَّة عن اجناسها الحاضرة كأن هذه بعض مواليدها في الامس لا تمتاز عنها بايّ خاصَّة نوعيَّةٍ كانت

على انَّ الدروينيين فرارًا من هذه المشاكل العويصة يزعمون انَّ هذه التحوُّلات النوعيَّة حدثت في دهور عريقة في القدم وذلك ببطء وبنوع غير محسوس. فهلمَّ نفحص تلك الدهور ومواليدها فلا شكَّ انها تُفحمهم بلسان حالها

اكتشف الاثريُّون في اعماق الارض قبورًا سبق عهدُها طور زمن التاريخ فلقوا فيها اصدافاً بريَّة وبحريَّة اذا قابلت بينها وبين ما يُرى بجوارها حاضرًا لا تجد فيهما اختلافاً. وبعض العلماء يزعمون انَّ تلك القبور ترقى الى ٢٠٠،٠٠٠ سنة بل الى ٣٠٠،٠٠٠ سنة وهيهات ان نسلّم لهم باقوالهم ولكن كفى بظنونهم هذه لردّ مبدأ

الترقي والتحوُّل اذ في كلّ هذا العدد من الدهور لم يحصل تحوُّل في تلك الاصداف

وكذلك النبات فقد وجدوا في سويسرة في طبقات الارض السفلى انواعاً من الشجر دُفنت فيها في الطور الجليدي الذي سبق وجود الانسان على الارض بالوف من السنين. وهذه الاشجار لا تختلف قط عن شجر سويسرة حاضراً بينها السنديان والشربين والسَّرو والصنوبر والبندق المعروفة في زماننا في اواسط اوربَّة

وقد روى الجيولوجيُّون الذين درسوا في عهدنا طبقات الارض انَّ قسماً عظيماً من النباتات والزهور التي نعرفها اليوم قد وُجدت ايضاً في العهد الجيولوجي المعروف بالميوسان (miocène) وهو القسم الاوسط من الطور الثالث. وكذلك وجدوا حيواناتنا الحاضرة في القسم الاخير من ذلك الطور وهم يعرفونهُ بالپليوسان (plio-cène). وليس فرق بين القديمة والحاضرة الَّا انَّ بعض حيوانات ذلك العهد قد تلاشت وفنيت اليوم. امَّا ما بقي منها فانَّ انواعها كانواع زَمننا الحاضر. فهذه الوف من السنين كما يطلبها الدروينيُّون فاين ما يشيرون اليهِ من الترقّي واستحالة الانواع؟ فمذهبهم اذن لا سند لهُ ابتدعَتهُ مخيّلتهم ولا يفيدهم القول بالانتخاب الطبيعي كما لم يستفيدوا من التولد الذاتي. نعم انَّنا نوافقهم على مفاعيل العوامل المختلفة كالغذاء والمناخ في إحداث بعض التغييرات العرضيَّة المنحصرة في الحجم واللون والخلق الخ لكنَّ هذه التغييرات لا تبلغ الى تحويل نوعٍ الى نوعٍ آخر

انظر الى جنينتك حيث جمعتَ ضروباً من الزهور من عدّة اشكال ومن بلاد مختلفة ترَ فيها صنوفاً يابانيَّةً واميركيَّة ومن جنوبي افريقيَّة وكذلك النباتات الغذائيَّة. فانَّها تكيَّفت كلها بكيفيَّات خفيفة عرضيَّة على حسب هواء بلادها الاصليَّة لكنَّها لم تغيّر نوعها على الاطلاق. وكذلك ترى في كلّ قارَّة وفي اعراض كل بلاد انواعاً خاصَّة من النبات والحيوان لا تجدها في غيرها من الجهات الَّا ان ذلك ليس برهاناً على ان تلك الانحاء هي ولَّدت تلك الانواع المختلفة

ولو ثبت انَّ هذه الانواع الخاصَّة ببعض البلدان تتحوَّل الى انواع اخرى بنقلها الى غيرها من الاقاليم لاستطاع الدروينيُّون ان يتَّخذوا ذلك دليلاً على زعمهم لكنَّ الامر ليس كذلك فان اشجار اوسترالية واميركة وزهور الصين واليابان وبُقول افريقية الجنوبيَّة تبقى على نوعها اذا نُقلت الى اوربَّة ولا يطرأ عليها سوى بعض

الاختلافات العرضيَّة · ومثلها المواشي الاوربيَّة التي نُقلت الى اوسترالية والى زيلندة الجديدة فانَّها بقيت على خواصها دون تغيير يذكر

خذ بذور كل النباتات وازرعها في ايّ البلدان تشاء تجد انَّ بعضها ينشأ وينمو على شكلهِ من نبات او شجر ثمَّ يأتي بثمره الخاصّ ويتوطَّن مكان زرعهِ والبعض الآخر ينشأ ضئيلًا ضعيفاً ثم يتلف قبل ان يثمر ومنها ما لا يكاد ينبت ولا ينمو · والسبب في هذا الاختلاف انَّ لكل نبات مزاجهُ الخاصّ فيحتاج لينمو الى تُربةٍ تناسبهُ والى عَرْض من البلاد يوافق مزاجهُ من برد او حرارة او رطوبة · فالبذور التي تزرعها تتكيَّف بكيفيَّات الارض التي تقع فيها · ويحصل هناك ضربٌ من الانتخاب الطبيعيّ فلا تربّي كلُّ تربةٍ غير المزدرعات المناسبة لطبعها واحوالها · وشتَّان بين هذا الانتخاب الطبيعي والانتخاب الدروينيّ الذي يدَّعي ببروز انواع جديدة · وبذلك تحبط كلّ آمال الدروينيين الذين ينسبون الى الطبيعة العمياء والى الصدفة نتائج لا يقوى عليها العقلاء · يريدون انَّ الصدفة في توالي الاجيال استخارت بين الانواع الاوَّليَّة ما رأتهُ ملائماً لطبيعتها ولم تزل هذه الانواع تترقّى وتتحسَّن الى ان تصبح انواعاً جديدة · وكل يعلم ان الصدفة والنظام على طرفي نقيض فحيثما يوجد نظام وترتيب وهندام فهناك عامل فهيم ناطق وهو الله سبحانهُ وتعالى يظهر قدرتهُ غير المتناهية وسموّ عقلهِ في اصغر الكائنات بما يودعهُ فيها من هذا النظام العجيب

وفي المذهب الدرويني تناقض آخر فهو يزعم من جهة انَّ انتخاب الانسان الصناعي للنبات وللحيوان من شأنهِ ان يحدث في الطبيعة انواعاً جديدة · وبقولهم هذا يعترفون بان تكوُّن الانواع الجديدة يمكن حدوثهُ في ظرف ستَّة آلاف الى عشرة آلاف سنة اعني بعد تكوين الانسان · ومن جانب آخر اذا انكرنا على دروين ومشايعيهِ عدم حدوث هذا التحوُّل النوعيّ في قديم الزمان واثبتنا قولنا الى الآثار التاريخيَّة والى فحص الطبقات الجيولوجيَّة ورقينا هكذا الى الازمنة السابقة للتاريخ دون وجود تغيير في النبات والحيوان القديمين وبذلك نُبكم افواههم يجيبوننا قائلين انَّ تغيير الانواع لا يحدث ببضعة الاف من السنين لا بدَّ لذلك من سياق اجيال عديدة سبقت عهد الانسان بمدَّة طويلة · وبذلك يظهر تناقضهم بنوع جليّ · فترى ان المذهب الدرويني في مزاعمهِ يتبع تخيُّلاتهِ واوهامهُ ويحيد عن البراهين المؤيّدة بالعلم الصحيح

## ٣ راي الجيولوجية والعاديات الارضية في المذهب الدرويني

رأيت ان المُتَمَذهبين بالمذهب الدرويني لم يجدوا مناصاً من تفنيد رأيهم في التحوُّل والترقي الَّا بان ينسبوا ذلك الى الاعصار السالفة وفي زمن الاطوار الاولى من تركيب ارضنا . فلنَستفتِ اذن ما خلَّفتهُ لنا تلك الاجيال الاولَيَّة لعلَّها توقفنا على صحَّة الامر

فَلنعد الى تلك المتاحف التي سبق لنا ذكرها حيث جُمعت كل مواليد الطبيعة النباتيَّة والحيوانيَّة ونُظمت بترتيب على حسب اجناسها وانواعها وضروبها المختلفة المعروفة منذ اوائل تكوين ارضنا الى يومنا فيشملها النظر في تسلسلها وترتيبها الاصطلاحيّ . وانَّا نعتبرها نحن ليس على صورة شبهها هذا ولكن على حسب قدمها فنجعل في رأس كلّ جنس وكلّ نوع اقدم ما يُعرف منهُ ثم نضمّ اليه ما اكتُشف من امثالهِ قديماً ثم حديثاً بالتوالي الى يومنا

فان كان المذهب الدرويني صحيحاً وجب ان يكون اقدم مولود من كل جنس ومن كل نوع أبسط تركيباً ثم تأتي بعدهُ الافراد المتولّدة منهُ بالتدريج أرقى بنيةً وألطف تركيباً الى ان نبلغ الى المواليد العصريَّة التي يجب على رأي دروين ان تكون في اوج الكمال غنيَّة بما ورثتهُ من اسلافها السابقين . فبناء على ذلك هذا جدول النباتات التي اكتشفها الطبيعيُّون على حسب قدمها في طبقات الارض :

١ بعض اصناف الحتّ البحريّ (algues marines)
٢ الخنشار (fougères) الجبَّاري المتحجّر في الطبقات الفحميَّة وقد درست اثارهُ
٣ اشجار عاديَّة مخروطة الشكل (cicadées, conifères) تشبه اشكالها المعروفة اليوم
٤ اشجار ذات الفلقة الوحيدة (monocotylédonées)
٥ اشجار ذات فلقتين (dicotylédonées)

وان اعتبرنا بين الحيوان اصنافَ الطيور وجدنا اقدمها في التاريخ وفي الطبقة الارضيَّة الثانويَّة طيورًا جبَّاريَّة مسنَّنة ليس الَّا . ثمّ في الطبقة الارضيَّة الثالثة وُجدت عدَّة طيور مختلفة خالية من الاسنان لم يبق اليوم من اشكالها الَّا النزر القليل . امَّا طيورنا الحالية الشائعة في زماننا فلا يظهر منها شيءٌ قبل الطور الجيولوجي الرابع وهي تخالف انواع الطيور السابقة وليس علاقةٌ بينها جامعةٌ لحلقات طور مع آخر

وكذلك الحيوانات ذات الثدي قد وجدوا منها بعض الامثلة في طبقة الارض الثانويَّة ممَّا ذهبت آثارهُ حاضراً . ثم وجدوا في طبقة الارض الثالثة انواعاً من ذوات الثدي وكان بالغة الضخم كبيرة الحجم يدعونها مَسْتودُنت وپاليوثيريوم وغير ذلك وكلّها طمست آثارها في الطور الرابع

وخلاصة القول انَّ في طبقات الارض المختلفة عدَّة نباتات وحيوانات توالت على سطح الارض الَّا انها ليس بينها علاقة تمكّن الدروينيين من القول بأنَّها تحوَّلت تباعاً وترقَّت فاصبحت بترقّيها انواعاً جديدة

فلو شاء الدروينيُّون ان يقنعوا الناس بصحَّة رأيهم في تحوُّل الكائنات وترقّيها لاقتضى عليهم ان ينظِّموا انواع كلّ جنسٍ ويثبتوا ان ابسطَها تركيباً اقدمُها وان في سياق ظهورها على الارض زادت اختلافاً ورقياً جيلًا بعد جيل وانَّهُ لم تظهر فوراً في اطوار الاجيال امثلة جديدة كاملة مخالفة للامثلة السابقة بل ارقي تركيباً من الانواع التي ظهرت من بعدها وانَّ بين الانواع الحاضرة والانواع الاصليَّة سلسلةً منظومة الحلقات دون انقطاع تترّقى صورها تدريجاً الى غاية كمالها

وكلّ هذه المطالب قد عجز عن تبيانها دروين وهكّل وكلّ انصارهما ولم يستطيعوا قطّ ان يثبتوا هذا ترّقي الانواع واختلافها

سبق لنا في جدول النباتات انَّ اقدم ما يعرف منها انواع الحتّ البحريَّة (algues) ثمّ بعد زمن طويل ظهرت اشجار باسقة عاديَّة تحوَّلت بعدئذٍ الى مستودعات فحمنا الحجري الدفونة في باطن الارض والمستخرجة منهُ في عهدنا . فليقل لنا الدروينيُّون ايَّ علاقة يرونها بين الحتّ وبين هذه الاشجار الجبَّاريَّة واين النباتات المتوسّطة بينهما؟

وكذلك المواليد الحيوانيَّة . كيف ظهرت تلك الطيور الكبرى ذوات الاسنان القاطعة دون ان يسبقها طيور اخرى مهَّدت لظهورها السبيل ؟ ومثلها تلك الحيوانات ذوات الثدي البالغة الضخم والحجم التي ظهرت في الطور الجيولوجي الثالث فاين الحيوانات التي أعدَّت وجودها بالتحوُّل والترّقي وما السبب لظهور ما هو ادنى كمالًا منها بعد فنائها على عكس المبدأ الدروينيّ ؟

وقس على ذلك حشرات صدَفيَّة مستحجرة كالأُمونيت (Ammonites) التي وُجد منها في الطور الجيولوجي الثاني ازيد من اربعة آلاف نوع . وكفصيلة البلَمْنيت

(Belemnites) العديدة الاشكال والانواع . وكلُّها لم يبقَ منها اثر في عهدنا فكيف لم تترقَّ وتتحوَّل الى انواعٍ جديدة على مقتضى المذهب الدروينيّ ؟

فترى انَّ الجيولوجية تنسف المذهب الدروينيّ نسفاً حيث نرى بتمادي الاجيال انواعاً من النبات والحيوان كاملة الأُهبة تامَّة البنية تعيش على الارض في طور او طورين من الاجيال ثمَّ تفنى عن كثب دون ان تبقي نسلاً اكمل منها بعدها . وكذلك تلك الطيور الغريبة الشكل والبالغة العظم وتلك الزحَّافات الهائلة التي تُرى آثارها في طبقات الارض قد توارت وقام بعدها طيور وزحَّافات صغيرة الحجم متوسّطة العظم . وكلّ ذلك مخالف للمبادئ الدروينيَّة

وممَّا ينقضها ايضاً وجود انواع عديدة حيَّة معروفة في عهدنا كالحيوانات المتوسّطة بين النبات والجماد كالاسفنج والاصداف النجميَّة الشكل والبطليموس فهذه وغيرها موجودة آثارها في اقدم ما نعرف من مستحجرات الاطوار الاولى فبلغت عهدنا دون ان يطرأ عليها تغيير في كيانها وصورتها . ولو صحّ رأي دروين لوجب ان نجد فيها ترقّياً متواصلاً منذ تلك الادهار السالفة الى اليوم . وليس شيءٌ من ذلك

فكل هذه الدلائل تبيّن لذوي العقول الراجحة انَّهُ ليس علاقة يُبنى عليها تطوُّر معظم الانواع . فان الفحص الجيولوجي يثبت لنا ليس فقط انواعاً واجناساً تامَّة من الحيوان والنبات بل رتباً وفصائل مستقلَّة ليس قبلها ولا بعدها ما يتَّصل بها او يتبعها بعد ظهورها

وحبَّذا ما قالهُ الجيولوجيّ العصريّ الكبير المسيو دي لاپاران (de Lapparent) السابق ذكرهُ : « انَّ الحياة استولت على ارضنا تقريباً فجأةً على قدر ما يمكنَّا القطعُ بهِ بظهور كائنات « جامعة منتهى كمالها الموافق للاحوال المحيطة بها »

وان لم يقنع الدروينيُّون بهذه البيّنات اللامعة والحجج الراهنة اتينا لهم بإقرار دروين نفسهِ الذي شعر بتداعي مذهبهِ وسقمهِ قال في كتابهِ عن اصل الانواع كما رواهُ الاب ڤيكورو : « ان بنية كلّ حيوان محدودة منظّمة بكل تدقيق بحيث لا يجوز لنا في حالة علومنا الحاضرة ان نتَّخذ تركيبها كحجَّة لإثبات ما نرويهِ من التحوُّل في انواعها المختلفة من ذوات الفقرات الى الحلقيَّات ومن الهلاميَّات الى السيلنتريات (Cælentères) وذلك ليس في عهدنا فقط بل في كلّ اطوار التاريخ

التي يبحث عنها الجيولوجيُّون ... ليس لنا برهان وضعي ثابت يجوز لنا ان نركن اليهِ اللهمَّ الَّا بعض دلائل غير كافية لتبيان التحوُّلات التدريجيَّة في انواع الحيوان... نعم انَّنا نجد في كلّ فئة بنوعٍ جلي اختلافات عديدة الَّا انَّنا ما نطلبهُ فيها من الترقّي لا يظهر فيها مطلقاً»

فهذا الكلام إقرارٌ واضح على انَّ المزاعم الدروينيَّة اوهام وتخيُّلات لا صحَّة لها في الطبيعة وانَّما هي كالبرق الخُلَّب او كالسراب في الصحراء او كاضغاث الاحلام ينخدع بها الناظر برهةً ثمَّ لا يلبث ان يقف على حقيقة الحال فيزيد اسفهُ على ما امَّل منها خيراً فكان ضيراً (لهُ صلة)

# رحلة حديثة الى الشهباء

للاب لويس شيخو اليسوعي

حلب احدى عواصم سوريَّة الكبرى لها مع بيروت ودمشق التقدُّم على سواها من مدن الشام. وقد زرناها سابقاً ونوَّهنا في المشرق غير مرَّة بعظم شأنها وحسن آثارها ومناقب سكَّانها

على انَّنا كنَّا نودّ ان نقف على ما استجدَّ في الشهباء في هذه الحقبة الاخيرة فندوّن على صفحات المشرق ما يستحقُّ الذكر مما جرى فيها واذا بأمر من رؤسائنا اتانا بغتةً لنذهب اليها لبعض الشؤون الدينيَّة فانطبق امرهم مع رغبتنا

ركبنا القطار في بيروت في مساء يوم الاحد الواقع في ٢١ تموز وما لبثنا ان شعرنا في مشارف لبنان بريحهِ البليل فنسينا حرّ سواحلنا اللافح. وفي سحر النهار بلغنا رياق حيث انتقلنا الى قطار حلب الواسع الاسلاك ذي المراكب الرحبة المُريحة

عشر ساعات وازيد من ٣٠٠ كيلومتر تفرق بين رياق وحلب فيقضي الراكب صاب نهارهِ في مركبته يسرّح الابصار من نوافذها الى مدن عامرة كبعلبك وحمص وحماة والى قرى خصبة كرأس بعلبك وقصير وحميديَّة ويسرّحُ النظر الى قمم لبنان مع بعض المثالج التي لم تقوَ اشعَّة الشمس على تذويبها والى وادي العاصي وبساتينهِ الغناء

والى ما يلوح عن بُعد من الآثار القديمة كهرمل ودير مار مارون ورستان وخصوصاً تلّ مندو قريباً من بحيرة حمص حيث قامت لجنة من الاثريين الفرنسويين بحفريات حديثة فوجدوا هناك بعض العاديّات منها كتابة هيروغليفيّة لرعمسيس الثاني التي يُستفاد منها ان في ذلك الموقع كانت عاصمة الحِثّيين المعروفة بقدَس وفيها انتصر عليهم الفرعون في القرن الخامس عشر قبل المسيح

على انَّ القطار اذا قطع حماة سار في مفاوز قاحلة تلوّحها الشمس في هذه الأيّام بنيرانها المحرقة فمتّعت نظرنا برؤيا السَّراب في الافق

وفي تلك الجهات حدثت قبل اشهر تلك الغارات من عشائر البدو التي عكَّرت مياه الامان فضربت الجنود الفرنسويّة على ساعد المقلقين وفتّت في عضدهم وقد اقامت الدولة المندوبة في عدَّة امكنة مخافر من جنودها البواسل فاطمأنّت القلوب

اوَّل ما يلوح لنظر ركَّاب القطار من الشهباء. قلعتُها الراقية طبقاتها السفلى الى الالف الثاني قبل المسيح (اطلب المشرق ٢ [١٨٩٩] : ١٧) ففُرشت جوانبها بنحيت الحجارة ثم تكلّل اعلاها بالابنية المنيعة التي تكرَّر ترميمها بتعاقب الدول فبلغت من العزّ شأواً عظيماً في القرون الوسطى. وفيها يقول الخالدي شاعر سيف الدولة بن حمدان :

وخرقاء قد قامت على من يرومُها    بمرقبها العالي وجانبها الصعب
يجرّ عليها الجوّ جيض غمامهِ    ويلبسها عقداً بانجمهِ الشهبِ

وبقيت على ذلك حتّى تمّ خرابها في عهد الدولة العثمانيَّة على ان الجنود الفرنساويّة المرابطة فيها قد تولّت في هذه الأيّام اصلاحها

محطَّة حلب في غربي المدينة تبعد عنها نصف الساعة فيمرُّ المسافر في حيّ جديد يُعرف بالجميليَّة يزدان كل يوم بأبنية رحبة محكمة البناء ثمَّ يدخل الاحياء القديمة التي ضاقت عن سكَّانها فانفرجوا منذ خرجوا الى ضواحيها القريبة قبل ٣٠ سنة فشيَّدوا احياء العزيزيَّة والحميديَّة والتلل والنيَّال التي يسكنها اعيان البلد وذوو الثروة. ولا عجب فان اهل حلب ينمون نموّاً متواصلاً مع ما استوطنها من مهاجري الارمن وغيرهم ولا نستبعد ما قيل لنا انّ عدد النفوس في حلب يبلغ اليوم ٢٥٠،٠٠٠

وما لا يُنكر انَّ موقع حلب قد ضمن لها في الاجيال السالفة ترقّياً ونجاحاً

ولعلّ مستقبلها القريب يكون افضل وانجع من ماضيها . كيف لا وهي في وسط بلاد عامرة وافرة الخيرات لا تستغني عن المرور بها كقيليقية والارمن وانحاء الشام وما بين النهرين مع قربها من البحر لاسيا اذا تمّت عمًّا قليل السكّة الحديديّة بينها وبين الاسكندرونة وكذلك موقعها على طريق العراق وفارس والهند بسكّة بغداد التي سوف تُعيد لها بالربى ما خسرتهُ بفتح ترعة سويس قبل خمسين سنة . وذلك ما كان يجعل بعض الدول الغربيّة ترنو اليها بعين الطمع كالمانية قبل الحرب وفي غضونها ولاسيَّما انكلترّة بعد عقد الصلح تأميناً لطريقها الى الهند

انّ الحرب الكونيَّة التي عركت بكلكلها معظم البلاد فاذاقتها العلقم قد كانت لحلب اوان خصبٍ وغنًى على حدّ ما قيل :

بذا قضتِ الايَّامُ ما بين اهلها مصائبُ قومٍ عند قوم فوائدُ

فانّ تجارتها قامت على ساق فأتتها الارباح الطائلة بمعاملاتها مع المانية والنمسة وجنودهما في الشرق ومع قبائل البادية التي توفَّر لديها المال المدفوع لها لتبقى في سلمها ولا تزيد بفتنها وطأة الحرب على اعتاق الدولة العثمانية . فتدفَّقت في صناديق تجَّار الشهباء الاموال واتّسع نطاق معاملاتهم فكادوا يحبّذون الحرب . وزد على ذلك انّ الدولة العثمانيَّة بازاء الالمان لم تشأ ان تضغط على الحلبيين حتّى الارمن منهم الذين كادت تستأصل شأفتهم في انحاء ممالكها . وكان ولاة حلب يجاملون سكّانها مسلمين ونصارى ولم ينفوا منها الّا بعض الاجانب . فكلُّ ذلك ادّى الى نجاح احوال حلب ونموّ حضارتها ولولا ما اصاب اهلها من الامراض الوبائيَّة بمرور العساكر العثمانيَّة في ارجائها لخرجت من الحرب ظافرةً بنباها رافلةً بغناها

*

على ان هذه الحال السعيدة زالت بنهاية الحرب فانقلبت الامور وأُصيبت حلب كبقيَّة مدن سوريَّة بآفة الغلاء وكسدت اسواقها بما حدث فيها من تفرُّق الكلمة والتحزُّبات السياسيَّة فانتمى كثيرون الى الامير فيصل ودولتهِ العربيَّة ورأى غيرهم ان تملُّك احد ابناء البادية على مدينة راقية كحلب بخسٌ بشأنها وهبوطٌ لعلوّ مقامها . ثمّ بلغ مسامع الحلبيين صدى الفتن الجارية في دمشق وفي بعض انحاء الشام فكادت هذه الاخبار تهيج بعض الاشقياء في الشهباء والعرب المجاورين للبلد وتثير بين اهلها

الفتن والمشاغب لكنَّ الدولة الفرنسويَّة اسرعت قبل انتصارها على الفيصليين في ميسلون وارسلت فئات من عساكرها المظفَّرة الى حلب فدخلتها دون عناء وبسطت الامان على سكَّانها. وها قد مرَّ عليها سنةٌ بنيِّف واهلها راتعون ببحبوحة سلامٍ لم يعهدوا مثلهُ في سابق تاريخهم لاسيما بهمَّة الجنرال دي لاموط الذي يسهر على كلّ صوالح المدينة ويطيّب قلوب الاهلين جميعاً دون مراعاة الوجوه ودون تمييز في الاديان لا يرشدهُ في سياستهِ غير روح العدل والخير العامّ

امَّا غلاء الاسعار في الحاجيَّات والمأكولات وان هبط قليلًا فانَّهُ لا يزال ثقيلًا على كاهل العموم وسببهُ انقطاع المعاملات بين حلب والمدن الداخليَّة الشماليَّة والشرقيَّة كمرعش واورفة وبرهجك ودياربكر وماردين والموصل فانَّ القوافل التي كانت تتردَّد من تلك المدن الى حلب كانت تغني الشهباء بوارداتها وصادراتها . والامل معقود على قرب استئناف هذه المعاملات لخير البلاد ورحمةً بالعباد

وممَّا يشكرهُ الجميع لفرنسة انشاؤها مأوى رحب الارجاء للاولاد الايتام والمنقطعين يجدون فيهِ طعامهم اليومي ومنامهم ويُسمح لهم في النهار ان يرتزقوا باي شغلٍ يلقونهُ في المدينة . ذلك فضلًا عن الجمعيَّات الخيريَّة التي لكل طائفة من الطوائف ولاسيَّما جمعيَّة مار منصور دي بول التي بلغت في هذا العام السنة الثالثة والعشرين منذ انشائها وصرفت في سبيل الخير بعد الحرب في سنتي ١٩١٩ و ١٩٢٠ ما بلغ ١٤١،٣٣٤ غرشاً بهمَّة رئيسها الغيور ديزيره افندي حمصي واعضائها الافاضل اثاب الله اجزل ثوابهِ كلّ عاملي الخير

ومع ما اصابتهُ حلب من الترقّي في هذه السنين الاخيرة هي لا تزال في حاجةٍ الى عدَّة امور لولاها لا يمكنها ان تُنظَم بين امَّهات المدن العصريَّة . فمن ذلك حاجتها الى الماء الشروب فان اكثر اهلها يشربون مياه الآبار والصهاريج الَّا الذين يبتاعون ماء عين التلَّة على بعض المسافة من المدينة . وكثيرًا ما فكَّر ارباب الامر واعيان البلد في جلب مياه الفرات او بعض الينابيع او الانهر الى حلب وحتَّى الآن لم يبرز الفكر الى حيّز العمل . وكم يحتاج اهل الشهباء ايضاً الى المياه لسقي مزروعاتهم لقلَّة مياه نهر قويق الذي لا يفي بهذا المقصود وينضب في الصيف

وممَّا تحتاج اليهِ حلب احتياجاً كبيرًا إنارة البلد سواء كان بالكهرباء ام بالغاز

على الاقلّ . فان مدينة ذات شأن لا غنى لها عن مصابيح نيّرة وهّاجة ليلًا لتنوير شوارعها ومعاهدها العموميَّة . والبترول قليل النور لا يقوى على ذلك . فمن شاهد حلب واحياءها ليلًا عدَّها بلدة خاملة او قريةً صغيرة

ثمَّ انَّ حلب في حاجةٍ ماسَّة الى ترامواي يسير بين احيائها المتفرّقة . فانَّ العجلات قليلة واقلّ منها الاوتوموبيلات لا يستطيع العموم ركوبها لغلاء اسعارها ولصعوبة السير عليها في وسط البلد لضيق الطرقات

*

وان سالت اين مبلغ حياة حلب الادبيَّة ? اجبنا ان اهل الشهباء قد عُرفوا منذ سابق الازمنة بولوعهم بالمعارف والفنون ولو سعى احدهم ان يكتب في ذلك تأليفاً خاصًّا لَمَا ضاق بالامر ذرعُهُ مع كثرة من شرَّفوا وطنهم من كتبة وشعراء ومؤرخين بعضهم سريان وبعضهم يونان ومنهم عرب نصارى ومسلمون وقد ذكرنا في المشرق (٩[١٩٠٦]: ٦٢٩ : ٦٩١) عددًا عديدًا ممَّن اشتهروا في القرون الاخيرة في حلب الى زمننا القريب بحيث يصحّ ان يُنسب اليهم قسمٌ صالح من النهضة الادبيَّة التي ظهرت في سوريَّة في الجيلين السابقين

على انَّ بيروت في الحقبة الاخيرة اصابت من هذا القبيل بالسهم الافوز منذ احتلَّها المرسلون الاوربيُّون والاميركيُّون ففتحوا المدارس والكليّات وانشأوا المكاتب والمطابع وابرزوا التآليف المتعدّدة مع الجرائد والمجلَّات بينما كانت حلب ضاجعةً في بطحائها غائصة في متاجراتها الداخليَّة كأنها منقطعة عن عالم التمدُّن وانَّما تحسد سواحل الشام على رقيّ آدابها

بيد انَّها فيمفتتح القرن العشرين احسَّت بهذا النقص فأحبَّت ان تتلافى الخلل . واليوم ترى في حلب عدَّة مدارس ثانويَّة يتعلّم فيها الاحداث مع اللغات الوطنيَّة والاجنبيَّة مبادئ العلوم العصريَّة أقدمُها مدرسة الآباء الفرنسيسيين في الشيبيني ثمَّ مدارس الطوائف الكاثوليكيَّة الارمن والروم والموارنة والسريان يجاري طلبتها بعضهم بعضاً في هذا الميدان الشريف . وللاباء اليسوعيين مدرسة حديثة للمعارف الفنيَّة استقبلها الاهلون بالترحاب . وللروم الاورثذكس والمسلمين ايضاً مدارسهم الناجحة . وكذلك في حلب عدَّة مدارس للاناث تقوم بعظمها راهبات الكاثوليك

خصوصاً اليوسفيّات وراهبات المحبّة المعروفات براهبات بزنسون وراهبات سان شرل الالمانيّات وراهبات الارمن وراهبات قلبي يسوع ومريم الاقدسين . وكان الالمان في وقت الحرب يديرون في حلَب مدرسة كبيرة وهم يؤملون تحويلها الى كلّيَة جامعة لكن الزمان دار عليهم فاحبط مساعيهم . وكذلك اصحاب المدارس العلمانيَّة اللادينيَّة خاب املهم في مجاراة المدارس الكاثوليكيَّة

امَّا المطابع في حلب فقد دوَّنَّا تاريخها في المشرق (٣ [ ١٩٠٠ ] : ٣٥٥) الى اواخر القرن السابق وقد زاد انتشارها في العشر السنين الاخيرة وقلَّما تنشر من المطبوعات المهمَّة ومعظم اشغال اصحابها بنشر الجرائد كالتقدُّم والأمَّة والصاعقة والنهضة وغير ذلك مع مجلَّات قليلة كالشعلة . ونؤمل من أُدباء الشهباء ان يتحفونا بما هو اجدر بذكائهم وسعة معارفهم

ولا يفوتنا انَّ الآداب لا تترقَّى الَّا اذا عُني بإنعاشها المكلَّفون بترقيتها وذلك خصوصاً بهمَّة مدير المعارف وعمَّالهِ بأن يقرّبوا للادباء وسائل التأليف ويفتحوا لهم المكاتب العموميَّة ويجهّزوها بكل ما من شأنهِ ان ينشّط الكتبة ويشحذ قرائحهم

على انَّ في حلب بعض المكاتب للوقوفة على المجامع وانَّما يصعب الانتفاع بها لتفرُّقها وقلَّة الوسائط لدرسها واستنساخها . فكان الاولى لو جُمعت في نادٍ واحد يُعدُّ لهذه الغاية كما فعل سابقاً في دمشق المرحوم مدحت باشا لمَّا جمع في جامع الملك الظاهر المخطوطات المتفرّقة في جوامع المدينة . ومن اللازم اللازب ان يُضاف الى هذه المخطوطات اخصّ الكتب الشرقيَّة المنشورة في جهات الشام ومصر وفي اوربَّة ليقف عليها الوطنيُّون

ومن مكاتب حلب المعتبرة مكتبة الدار الاسقفيَّة المارونيَّة التي وصف قسماً كبيرًا من مخطوطاتها حضرة الاب ابرهيم حرفوش المرسل اللبناني في المشرق في السنة ١٩١٤ . وقد قيل هناك انَّ اوَّل من اهتمَّ بانشائها السيّد الشهير الطيّب الذكر المطران جرمانوس فرحات . وقد سمح لنا سيادة المطران الجليل ميخائيل اخرس بان نستقري مضامينها فقضينا عدَّة ايام نتصفَّح مخطوطاتها في الديوان الاسقفي حيث أُعدت لها خزائن كبيرة أُودعت فيها . وهناك ما عدا الكتب الخطّيَة النفيسة الاسلاميَّة والنصرانيَّة مطبوعات اوربية قديمة كان معظمها يخصّ الرهبنة اليسوعيَّة قبل الغائها

سنة ١٧٧٣ فتضعضعت وتشتّتت فسعى مطارنة حلب الموارنة الافاضل باقتنائها لئلّا تأخذها يد الضياع وعلى اكثرها مكتوب في صدرها « مكتبة دير الآباء اليسوعيين في حلب» وهي تدلّ على عناية الرهبان اليسوعيين في كلّ وقت وبلد بإنشاء المكاتب المفيدة للدرس والتأليف وتوسيع نطاق العلوم

ولسائر الطوائف مكاتب صغيرة فيها بعض المخطوطات ليست بالنادرة . واقلّ منها شأناً مكتبة الروم الارثذكس الاسقفيَة التي لم نجد فيها ما يستحقّ الذكر وقد قيل لنا انهُ كان في حلب مكتبة معتبرة تخصّ البطريركيَّة وانّها فُقدت كنوزها بفعل الزمان وتغافُل ناظريها . وقد اهدى غبطة البطريرك الحالي اثمن واعزّ ما وجدهُ فيها القيصر المرحوم نقولا الثاني لما رحل الى روسيَة . وكان في جملتها رحلة البطريرك مكاريوس الحلبيّ الى روسيّة وهو سِفرٌ جليل غاية في الشأن لم يُنشر الى اليوم بالطبع

وعند بعض الخاصّة مكاتب تحتوي مخطوطات نفيسة ذكرناها سابقاً كمكتبة المنسنيور جرجس شلحت السرياني ومكتبة الخورفسقفوس جرجس منش الماروني . واطّلعنا على مكتبتي الادباء نقولا ورزق الله أيوب . وفي كلّها بقايا من آثار الاقدمين ولاسيَّما من اعمال قدماء النصارى والمرسلين

واحسن مكتبة خاصّة وجدناها في حلب مكتبة الوجيه الفاضل اسعد بك العينتابيّ جمع فيها معظم مطبوعات الشرق العربيّة مع بعض المخطوطات الدينيَّة القديمة العهد البديعة الكتابة بينها ما كتبهُ المصنفون بيدهم فتتضاعف قيمتُهُ

*

وممَّا يذهل الزائر لحلب نشاط اهلها في الشغل فانّك حيثما تسير تجد الجميع صغارًا وكبارًا في اشغال شاغلة يصرفون في إتمامها كنانة جهدهم لاسيَّما الصَّنَعة وارباب الحرف . وترى الاسواق حافلة بالجماهير للبيع والشراء وفيها كلّها الخيرات دارَّة واسباب المعاش متوفّرة اذ يأتي القرويون كل صباح باوساق الخضر والبقول والفواكه اللذيذة كالعنب والبطيخ الاصفر والاحمر (الزبش) والفستق الحلبيّ الشهير في كلّ البلاد . واراضي حلب تصلح للزراعة فتذكو فيها الغلّات على اختلاف اجناسها . ومن مزروعاتها النامية القطن الفاخر والسمسم والذرة والدخن والكروم . وقد روى ياقوت في معجم البلدان انّ القرى اللاحقة بحلب كان عددها بالغاً ٨٢٠ عدّاً

وكذلك الصناعة في حلب تكـاد تجاري صناعة دمشق فيهـا معامل الصابون والرقم والـدباغة . ومن مصنوعات حلب الممتازة المنسوجـات المختلفة الحريريَّة والغزليَّة والصوفيَّة يقال انَّ عدد الانوال التي تصطنعها لا تقلّ عن عشرين الف نول يعيش منها ربوات من اهلها . ومنها الاقصاب الثمينة وصناعتها التي مرَّ لنا ذكرها في مقالة خاصَّة (المشرق ٤ [١٩٠١] : ٧٥١)

وحلب غنيَّة بالمواشي وبالخيل الجياد والابل لقرب حلول عرب البادية منها

وابنية حلب جميلة تبنى حاضرًا على الاطراز الجـديدة وكانت قديمًا تُشاد على نسق شرقي لطيف فتحلّى سقوفها بالاصباغ والدهون الملوَّنة وتُرقم على مدارها بالذهب الحكم وابيات الشعر . وعلى اطراف البلـد توجد مقالع الحجارة البيضاء والصفراء والحمراء والسوداء القاريَّة

والغالب على حلب واهلها التجارة امتازوا بها منذ سالف الاعصار وذلك لحسن موقعها اذ كانت محطّ قوافل شرقي آسية وسوريَّة . وفيها تُستودَع البضائع الاوربيَّة والاميركانيَّة المختلفة . وكان يقدم اليهـا تجار الفرنج منذ عهد دولة المماليك في مصر بينهم البندقيّون والجنويّون ثمَّ الفرنسويّون والانكـليز واستوطن كثيرون منهم حلب كان لهم فيها الخانات الواسعة الجميلة . واسواق حلب القديمة كلّها مسقوفة تقي تجارها من حرّ الصيف ومن برد الشتاء وامطاره

امَّا اخلاق الحلبيين فقد اشتهرت بالانس واللطف على موجب المثل السائر «حلبي چلبي» فيجد الغريب بحسن معاشرتهم ولين عريكتهم ما يطيّب نفسهُ ويؤلف قلبهُ ويجذبهُ الى معاملاتهم

وكذلك روح الدين شائع بين اهل حلب تدلُّ عليهِ مشروعاتهم العديدة ولاسيَّما الكاثوليك ولعلّنا نفرد لها مقالًا خاصًّا تنويهاً بتقاهم واريحيّتهم . وكذلك المسلمون يقومون بفرائضهم الدينيَّة بكل حرص على انَّ بعض جهـلائهم تجاوزوا الحـدود فارادوا في هذه الاسابيع الاخيرة ان يضطرّوا ذوي دينهم الى ان يقفلوا مخـازنهم طول يوم الجمعة كما سعى بذلك بعض المسلمين في بيروت على خلاف السنن الاسلاميَّة . غير انَّ المراجع الدينيَّة في حلب كما في بيروت رأوا في عملهم إجحافًا بصوالح العموم ونشروا اعلانًا رسميًّا بانَّ صـلاة الجمعة وحدهـا مفروضة على المسلمين وليس من

موجب في يوم الجمعة تبطيل الاشغال واضطرار الناس الى الامتناع عن البيع والشراء

وقد علمنا انَّ الالفة غالباً تسود بين اهل حلب رغماً عن اختلاف الاديان ولا يُعبأ ببعض الاوباش الذين يحاولون تعكير صفاء الولاء والحبّ . وقد عاينّا ذلك في غرَّة ايلول في موسم استقلال سوريَّة ونجاتها من النير الحجازي . فكان العيد بهيجاً اشترك في افراحهِ كلّ الاهلين واعربوا عن عواطفهم المخلصة لمندوبي الدولة الفرنسويَّة وممثّليها . ومما لا ينكر انَّ اعيان المدينة ورؤساء الاديان وخصوصاً السادة الاساقفة لم يألوا جهدهم في جمع القلوب وتوحيد مساعي العموم لترقية المدينة ونجاح امورها

على انَّ اهل حلب عموماً وتجارها خصوصاً يتوجَّسون خوفاً من خطر عظيم يحلّ بمدينتهم فيكون عليها ضربةً لازبة . يرون في تحديد الانتداب الفرنساوي على مسافة بضعة كيلومترات من حلب شمالًا وشرقاً وتخصيص ما وراء تلك الحدود بالاتراك سوف يحرم حلب من معظم مواردها بقطع معاملاتها مع داخليَّة البلاد فتصبح شلوًا هامدًا لا تحييهِ جوارحهُ او نهرًا لا تمدُّهُ السواعد فتنضب مياههُ وقد عرضوا الامر على الدولة الفرنسويَّة لتتلافى هذا الخطر فعساهم ينالون غايتهم

وفي الختام نتمنَّى لحلب رقياً متواصلًا ونجاحاً دائماً لتكون نقطة الدائرة بين البلاد التي تحدق بها كما هي مركز حياتها التجاريَّة والاقتصاديَّة والادبيَّة

# الطائفة المارونيَّة والرهبانيَّة اليسوعيَّة

## في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

### سفارة الاب ايرونيموس دنديني الى لبنان (١٥٩٦–١٥٩٧)

كان مرَّ على سفارة الاب يوحنَّا اليانو الثانية الى لبنان خمس عشرة سنة وعلى وفاتهِ ستّ سنوات . وكان تعيَّن على محاماة الموارنة في رومية بعد الكردينال كرافا

سنة ١٥٨٩ الكردينال جبرائيل باليوتي ثم الكردينال ألدوبرندني سنة ١٥٩٤ . اما الحبر الاعظم فكان البابا اقليميس الثامن جلس على السدَّة البطرسيَّة في آخر كانون الثاني من السنة ١٥٩٢ فتولَّى تدبير الكنيسة ١٣ سنة . وكان البطريرك سركيس الرزّي لا يزال يرعى طائفتهُ بكل عناية . قال الدويهيّ في تاريخ الطائفة المارونيَّة ( ص ١٨٢ ) :

« وفي السنة ١٥٩٥ أقام البطريرك سركيس في عيد ميلاد الرب يوسفَ بن موسى اخيهِ اسقفًا وارسلهُ سفيرًا الى البابا اقليميس الثامن في بعض مصالح الطائفة ولتهنئتهِ بعرش الخلافة. فأجلَّهُ البابا غاية الاجلال وعند عودتهِ ارسل في صحبتهِ قسّيسَين من الشركة اليسوعيَّة وهما ايرونيموس دنديني وفابيوس برونا »

ولهذه السفارة شأن عظيم في تاريخ الطائفة المارونيَّة فلا بدَّ من تقديم بعض الملحوظات عليها :

كان رئيس هذه السفارة الاب ايرونيموس دَندبني . ولد في مدينة سيزانو من اعمال ايطالية سنة ١٥٥٤ من أُسرة شريفة ودخل الرهبانيَّة سنة ١٥٦٩ وهو اوَّل يسوعيّ علَّم الفلسفة في باريس ثم عُهدت اليهِ عدَّة مهامّ من تعليم ورئاسات شتَّى تدلّ على ما كان لهُ من الاعتبار لدى رؤسائهِ وعند اهل عصرهِ

فبينما كان يعلّم اللاهوت السنة ١٥٩٦ في مدينة پروزة اذ طلبهُ الحبر الاعظم اقليميس الثاني ليذهب الى لبنان بصفة قاصد رسولي ليتحرَّى امور الموارنة ويستقصي احوالهم الدينيَّة فيوقف على صحَّتها إمام الاحبار . وقد شرح ذلك هو عينهُ في اخبار رحلتهِ قال ( ص ٤ من طبعة باريس سنة ١٦٨٥ ) ما تعريبهُ :

«كانت بلغت مسامع الحبر الاعظم والكرادلة منذ مدَّة طويلة بعض الوشايات بحقّ الموارنة . وكان قومٌ نسبوا اليهم عدَّة اضاليل وبدع . وكان الموجودون منهم في رومية يسعون جهدهم في تذكية طائفتهم الَّا انَّ الامور لم تنجلِ فكان البعض ينفون ذلك والبعض يصدّقونهُ حتَّى صعب الوقوف على الحقيقة . واذ كان الكرسيّ الرسولي يصرف المبالغ العظيمة لتهذيب احداث الطائفة في المدرسة المنشأة لهم وقد اتى منهم الى رومية اخرًا فرقةٌ عديدة واكثرهم لا يستطيعون ان ينكبُّوا على الدروس لغضاضة سنّهم حتَّى زادت المصاريف بورودهم فسبَّب ذلك بعض الاستياء في الحاشية البابويّة لاسيما وقد بلغهم انَّ الذين كانوا أتموا دروسهم ورجعوا الى مواطنهم في العام المنصرم لم تُعهَد اليهم وظائف يقومون بها مع كونهم اتقنوا الدروس الفلسفيَّة واللاهوتيَّة وبلادهم في غاية الحاجة الى عملة نشيطين لتأييد الدين . وبناء عليه عزم قداسة الحبر الاعظم على ان يرسل

الى بلاد الموارنة رجلًا ثقةً يبحث بحثًا مدققًا عن احوالهم الدينيَّة وامورهم الادبيَّة فيوقف الكرسي الرسولي عند رجوعهِ عمَّا لحظهُ وتبيَّنهُ . ثمَّ يسعى في سفارته بحسن اختيار الاولاد المرسلين الى المدرسة المارونيَّة من حيث بلوغهم السنّ المناسب وذكاء عقلهم كما يجب عليهِ ان يهتمَّ بامر التلامذة الذين انهوا دروسهم ليولّوهم رعاية النفوس وتدبير كنائس طائفتهم »

هذا ما كتبهُ الاب دنديني في اسباب سفارتهِ الى لبنان كما دوَّنهُ في اوَّل تاريخ رحلتهِ التي ستذكر خلاصتها . ومن قولهِ هذا يتَّضح بان التُّهم في صحَّة ايمان الموارنة لم تصدر كما ظنَّ البطريرك سركيس من الاب اليانو المتوفَّى قبل ستّ سنين بل من ناس احياء كما يلوح من كلامهِ . ولعلَّ هؤلاء كانوا من الشرقيين الذين اتوا رومية من طوائف أُخرى فاطَّلعوا على كتب الموارنة التي اتى بها سابقًا الاب اليانو وكان الهراطقة دسُّوا فيها اضاليلهم فنشروا ذلك في رومية وعاكسهم الموارنة الذين فيها

فلمَّا تعيَّن الاب دنديني لهذه السفارة توجَّه الى امّ المدائن فامتثل بين يدي الحبر الاعظم ليقف على سائر نيَّاتهِ والتمس من فضلهِ ان يمدَّهُ بكل النعم الروحيَّة تسهيلًا لاعمالهِ كما التمس منهُ الرخصة لزيارة الاراضي المقدَّسة . فنال من فضل قداستهِ كل ما طلبهُ لخير الموارنة وتنمية العبادة بينهم وسمح لهُ بمنح الغفرانات وتعليقها على المسابح والايقونات وتماثيل حمل الله ورخَّص لهُ بحلّ الخطايا المحفوظة والمسامحة بالتأديبات الكنسيَّة . ثمَّ سلَّمهُ براءةً تاريخها ١٢ حزيران ١٥٩٦ الى البطريرك سركيس يذكر فيها عناية الكرسيّ الرسولي بالطائفة المارونيَّة رغمًا عن بُعدها عنهُ ثمَّ يذكر انَّ عنايتهُ هذه هي التي دفعت الحبر الاعظم الى تعيين الاب ايرونيموس دنديني الممتاز بتقاه وعلمهِ وغيرتهِ ليزور الطائفة المارونيَّة ويعزّيها في مصائبها ويستعلم عن كلّ احوالها فيوقف عند عودتهِ قداستهُ على كل حاجاتها . ويختم بذكر ما يرسلهُ معهُ من الهدايا كعربون انعطافهِ اليهِ والى ابنائهِ الموارنة (١

ثمَّ اجتمع الاب دنديني برئيسهِ العامّ الاب كلوديوس اكوافيفا فعيَّن لهُ كرفيق ومستشار الاب فابيوس برونو من افاضل آباء الرهبانيَّة الذي تقلَّد بعد رجوعهِ رئاسة المدرسة المارونيَّة وسعى بترقيتها ودفع ابرهيم الحاقلاني الى تأليف غراماطيقهِ السرياني

١) اطلب نصَّ هذه البراءة في اللاتينيَّة في مجموع البراءات المارونيَّة للاب طوبيا العنيسي **T. Anaissi :** Bullarium Maronitarum, p. 106 وفي تاريخ الكنيسة الانطاكيَّة بالعربيَّة للخوري ميخائيل غبريل (ج ٢ ص ٣٨٦)

اللاتيني . ولدينا المفكّرة التي اعطاها الرئيس العام المرسَلَين في ١٩ باباً وهي مملوءة حكمة وتقى يوصيهما بها كيف يجب عليهما ان يتصرّفا في بعثتهما بخصوص واجباتهما الروحيَّة والرهبانيَّة ثمّ في معاملاتهما مع رؤساء الطائفة المارونيَّة وشعبها وفي زيارة كنائسهم واديرتهم ورعاياهم ليحقّقا آمال الكرسيّ الرسولي ويوثّقا روابط الايمان والطاعة الواجبة نحوهُ . واذ كان الابوان يجهلان العربيَّة والسريانيَّة عيَّن لهما الرئيس العام بصفة ترجمانين اثنين من تلامذة المدرسة المارونيَّة اللذين كانا انجزا فيها دروسهما القسّ موسى العنيسيّ الذي كان عاد الى لبنان في السنة السابقة والشدياق يوسف اليان الحلبيّ الذي رافقهما في السفر . على انَّ جهل المرسَلَين للغات البلاد اضرَّهما كثيرًا اذ لم يستطيعا ان يتحقّقا بنفسهما كثيرًا من الامور التي وقف عليها الاب اليانو قبلهما . وكأنَّ قصر الوقت لم يسمح لهما بمطالعة كتابات ذلك الاب ورسائلهُ التي وصف فيها لبنان واهلهُ وسائر اموره احسن وصفٍ . وذلك ايضاً كان خللًا اذ حُرما عدَّة معلومات كانت افادتهما في القيام بمهمّتهما وفي الدفاع عن التُّهم التي اشاعها البعض بحقّهِ زورًا

أبحر القاصد ورفيقهُ وترجمانهُ من مينا تقرب البندقيَّة بعد ان لبسوا ثياب زوَّار الاراضي المقدَّسة وذلك في ١٤ تمُّوز ١٥٩٦ . وكان مركبهم مجهَّزًا بالمدافع لردّ غارات القرصان الَّا ان سفرهم كان ميموناً والريح في الغالب موافقةً . وقد وصف الاب دنديني في رحلتهِ ما حدث لهم في طريقهم على جزائر اليونان وكندية وقبرس فيتَّسع في اخلاق السكَّان وعاداتهم واديانهم وخواصّ بلادهم . وزار في قبرس الموارنة المستوطنين فيها . ثمَّ ركبوا سفينة أُخرى نقلتهم الى طرابلس فبلغوها في اواخر شهر آب ونزلوا ضيوفاً فيها على احد تجار البنادقة فاستراحوا قليلًا من اتعاب السفر ولاسيَّما الاب فابيوس الذي بقي مريضاً بضعة ايَّام

وقد خصَّ هنا الاب دنديني عدَّة فصول من كتابهِ لوصف اخلاق اهل طرابلس وعاداتهم المختلفة ديناً ودنيا ولاسيَّما الاتراك والمسلمين ليوقف مواطنيهِ على امورهم في كلّ اطوار حياتهم

## ٢ الاب دنديني في لبنان

ثمَّ ينتقل الاب الى ذكر صعودهِ الى قنُّوبين مارًّا بقرية اهدن حيث قدَّم الذبيحة

الالهيَّة في معبدٍ على اسم القديس يعقوب «اشبه بقبرٍ منهُ بكنيسة» . ولمَّا قرب من قنُّوبين وجد عدَّة كهنة اتوا لاستقبالهِ باسم السيّد البطريرك سركيس الذي كان مريضاً يلزم الفراش . وكان وصولهُ في غرَّة ايلول الى قنُّوبين فدخل على البطريرك فوجدهُ جالساً على فراشهِ وقدَّم لهُ براءة الحبر الاعظم ورسائل الكردينال باليوتي محامي الطائفة ورئيس الرهبانيَّة اليسوعيَّة العام فقبَّل البراءة ووضعها على رأسهِ اجلالاً ثمَّ دار الحديث بين القاصد والسيّد البطريرك مدَّةً عن احوال الحبر الاعظم والمدرسة المارونيَّة وغير ذلك

وفي الغد شرح الاب دنديني للسيّد البطريرك الغَرَض من سفارتهِ وما يرغبهُ الحبر الروماني من الخير للموارنة فطلب منهُ ان يجمع السادة الاساقفة ليتفاوضوا في امور الطائفة ويتذاكروا في احوالها الدينيَّة والادبيَّة . وهنا اخذ البطريرك سركيس يتشكَّى ويتجنَّى ويتذمَّر تارةً على الحبر الاعظم الذي لم يرسل لهُ سوى براءة بسيطة بدلاً من منشور رسمي كما لأسلافهِ وتارةً على الذين شوَّهوا على زعمهِ صيت الموارنة في رومية وخصوصاً على الاب اليانو مدَّعياً انهُ اتَّهم الموارنة بتُهم باطلة وانَّهُ زوَّر باسمهم بعض الكتابات (كذا) وان المجمع الذي عُقد بحضرتهِ وحضرة الاساقفة الممضى بتوقيعهم كانت اعمالهُ مغشوشة واشياء أُخرى اندهش الاب دنديني لاستماعها ولم يكن مطَّلعاً على حقيقتها فبقي محتاراً في الجواب عنها (١ وانَّما حاول إخماد غضب البطريرك الذي كان المرض يزعجهُ ويثير طباعهُ حتَّى تمكَّن من تطييب قلبهِ وقدَّم لهُ ما ارسلهُ لهُ الحبر الروماني من حُلل اسقفيَّة وآنية ثمينة للحفلات الدينيَّة . امَّا المجمع الذي طلب الاب دنديني اقامتهُ فرأى ان ما يجري في الشام وفتنة من الحروب بين الامير فخر الدين الكبير وآل سيفا وامراء الاتراك يحول دون اجتماع الاساقفة الَّا اثنين منهم ففضَّل تأجيلهُ الى زمن آخر ريثما يشفى البطريرك وتهدأ الامور

وكان الاب فابيوس بقي في تلك الاثناء في طرابلس فلمَّا عوفي لحق برفيقهِ وسار كلاهما يتجوَّلان في انحاء لبنان ليستطلعا احوالهُ ويراقبا شؤون اهلهِ وكلَّ ما يألفونهُ من العادات في عيشتهم الفرديَّة والعائليَّة والاجتماعيَّة . فعيَّن لهم البطريرك

---

١) وقد رأيت في ما سبق بطلان كلّ هذه الشكايات التي لم نجد لها سندًا في كل ما لدينا من كتابات الاب اليانو

ليسير في خدمتهم احد شمامستهِ المدعو يوسف خاطر فزاروا قرى لبنان وفحصوا ارزها واراضيها ومزروعاتها وحيوانها وطيورها واجتمعوا باهلها فوقفوا على عاداتهم وتفقَّدوا احوال رهبانها وراهباتها وفحصوا اديرتهم وكنائسهم . وبحثوا عن امور الاكليروس . وقد نشر الاب دنديني كلَّ ذلك في رحلتهِ التي تحتوي من المعلومات عن لبنان وعن الموارنة ما لم يسبقهُ اليهِ كاتب آخر فجاء كتابهُ كمرآة تاريخ ذلك الزمان وصورة حيَّة تمثل كل اطوار حياتهم منذ ولادتهم الى وفاتهم فيصف ملبوسهم رجالًا ونساء ومأكولهم ومشروبهم وافراحهم واحزانهم وتعمُّقهم في الدين وقلَّة معارفهم . وهناك بيان لما يلحقهم من الدولة من الجور وضروب المظالم والاهانات . وفيهِ ايضاً ذكرُ عادات شتَّى بطلت بين الموارنة منذ زمن طويل منها تعمُّم رجالهم باللفَّة المنيَّرة وحَلقهم لشعر رؤوسهم مع ارخاء لحاهم وتقلُّدهم السيوف وتنكُّبهم الاقواس (ص ٨٩) ومنها مناولة الشعب على الشكلين : الخبز والخمر (ص ١١٤ و ١١٩) ومناولة الاطفال الصغار . ومنها مباشرة القدَّاس وتهيئة الذبيحة قبل ان يلبس الكاهن الحلَّة الكهنوتيَّة كما يفعل كهنة السريان حاضرًا (ص ١١٠ — ١١١) وقد سبق انَّ هذه الحلَّة كانت ايضاً في ايَّام دنديني كحلَّة السريان اي الفنَّارة (ص ١١١) . ومنها انَّهم في الصوم يقدّمون الذبيحة عند العصر ويفطرون بعدها (ص ١١٦) وللاب دنديني فصلٌ عن رهبان وراهبات ذلك العهد في لبنان (ص ١١٤ — ١١٨) يفيدنا عن عيشتهم ومناسكهم وذلك قبل انشاء الرهبانيَّات الحديثة بنيّف ومائة سنة يذكر فيهِ ما استحسنهُ من عاداتهم وما استنكف منها

وممَّا افادنا هناك (ص ١٥٠) ذكر الاعياد التي كانت شائعة عند الموارنة . واضاف اليها الكلندار السنوي مع جدول الاعياد المفروضة بالاتفاق مع المجمع وهي هذه ختانة الرب . الغطاس . دخول العذراء الى الهيكل . مار متيَّا الرسول . عيد البشارة . مار يعقوب ومار فيلبُّس الرسولان . مار يوحنَّا المعمدان . مار بطرس ومار بولس . تجلّي الرب . انتقال العذراء . مار برتلماوس الرسول . ميلاد العذراء . مار متَّى . ارتفاع الصليب . مار ميخائيل . الرسولان مار سمعان ومار يهوذا . عيد جميع القديسين . مار اندراوس الرسول . مار توما الرسول . ميلاد الرب . القديس اسطفانوس اوَّل الشهداء . ما عدا آحاد كل السنة واليومين التابعين لعيد الفصح وصعود الرب . واليومين التابعين

لعيد العنصرة · الثالوث الاقدس · عيد جسد الرب وشفيع المكان

فهذا الجدول اقدم كلندار نعرفهُ للكنيسة المارونيَّة وهو يسبق ٧٧ سنةً كلندارًا اخر نشرناهُ سابقاً عن بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة في هذه المجلَّة (٨ [١٩٠٥]: ٨٧١ — ٨٧٤) · وما من شأنهِ ان يُذهِل القرَّاء انَّ لا ذكر فيهِ لزعيمي الكنيسة المارونيَّة القديس مارون الناسك ومار يوحنَّا مارون · وقال الاب دنديني انَّ الكلندار المذكور وُزّعت نسخهُ على كل الكنائس وامروا الكهنة ان يعلنوا يوم الاحد في القداس بالاعياد الواقعة في الاسبوع

## ٣ مجمع قنوبين في سنة ١٥٩٦

بعد أن قضى القاصد الرسولي ثلثة اسابيع في قنُّوبين والقرى المجاورة ودقَّق النظر في المناشير البابويَّة المرسلة الى الموارنة من اينوكنت (زخيا) الثالث سنة ١٢١٥ واسكندر الرابع سنة ١٢٥٦ ولاون العاشر سنة ١٥١٥ وغريغوريوس الثالث عشر سنة ١٥٧٧ ليتَّخذ مضامينها كموادَّ يعرضها على المجمع المنويّ رأى ان صحَّة السيّد البطريرك قد تحسَّنت نوعاً وانَّ امور البلاد قد هدأت بعض الهدوء فرغب الى غبطتهِ ان يستدعي الاساقفة الى قنُّوبين فوافقهُ البطريرك وأبَى الاساقفة دعوة رئيسهم وانتظم عقد المجمع في ٢٨ من شهر ايلول على الحساب الغربي الموافق لليوم ١٨ منه (١ في الحساب الشرقي الذي كان يجري عليهِ وقتئذٍ الموارنة كبقيَّة اهل الشرق

فافتتح الاب دنديني المجمع بتلاوة براءة الحبر الاعظم التي يفوّض اليهِ فيها ان يعقد مجمعاً مليًّا للوقوف على احوال الطائفة ويسعى في كلّ ما يؤول الى خيرها بواسطة الاكليروس وخصوصاً السادة الاساقفة

ثمَّ تخطَّى الاب الى عقائد الايمان التي كان الحبر الروماني يودّ ان يطَّلع على معتقد الموارنة فيها · فما كاد يعرض ذلك على المجمع حتَّى «طفق السيّد البطريرك يحتجّ بعبارة مطوَّلة احتجاجاً قويًا على مجمع كان انعقد في السنين الماضية منكرًا انعقادهُ او تثبيتهُ منهُ او من الاخ سالفهِ · ثمَّ حرم اغلاطاً جمَّة عزاها بعض الناس اليهِ والى قومهِ ورمى

١) جاء في ذيل المجمع اللبناني (ص ٩) المطبوع حديثًا « في ثاني ايلول » والصواب « في الثامن عشر ايلول »

بالحرم القائلين بها (١ » مؤكّدًا انهُ لم يزل مرتبطاً بالكنيسة الرومانية وانهُ سيثبت دائماً على ايمانها. ثمّ قام رئيس الشمامسة مدفوعاً بغيرةٍ عظيمة قائلاً : « نعم انّنا نريد ان نتبعها ولا ننفصل عنها حيثما سارت ولو انحدرت الى الجحيم » (كذا في رحلة الاب دنديني ص ١٣٥)

فيلوح من هـذا الكلام تعلُّق الموارنة بالكنيسة البطرسيَّة وانفتهم من كلّ الاضاليل الشائعة في المشرق. على انّنا لا نفهم كيف امكن البطريرك سركيس «ان يحتجّ على المجمع المنعقد سابقاً سنة ١٥٨٠ منكرًا انعقادهُ او تثبيتهُ منهُ او من الاخ سالفهِ » واعمال ذلك المجمع باقية الى اليوم في ترجمتها السلاتينيَّة التي نشرها المرحوم الاب انطون ربَّاط في كتابهِ « مآثر تاريخيَّة للكنائس الشرقيَّة » (ص ١٥٢—١٦٩) وليس هناك ما يمسّ البتَّة شرف الطائفة المارونيَّة وفي آخرها امضاء السيّد البطريرك ميخائيل الرزي واخيه وخلفهِ سركيس. وانَّما فيها اعلان صريح بايمان الموارنة وتشبُّثهم بالكرسي الرسوليّ . امَّا اصلهُ العربيّ فلم يُفقد تماماً وقد نشرنا سابقاً (ص ٤٨ ) خلاصتهُ التي ارسلها البطريرك ميخائيل الرزي الى كنائس لبنان بصفة « وصايا يجب على الجميع قبولها وحفظها ». ولا شكَّ انَّ البطريرك سركيس نسب الى الاب اليانو ما هو براء منهُ وكثيرًا ما دافع هذا الاب عن الموارنة وعن صدق ايمانهم وعزا ما وجد في كتبهم من الاضاليل الى الجهل او الى خبث النسَّاخ الهراطقة. وبهِ تسقط ايضاً احتجاجات البطريرك الدويهي على الاب اليانو الذي ثبت حبّه الخالص للموارنة ودفاعهُ عنهم بما سبق نشرهُ (٢

وليست اعمال مجمع قنُّوبين هذا الثاني الَّا صورة اخرى للمجمع السابق. وقد احسن الطيّب الذكر المطران يوسف نجم بتعريب بنودهِ عن اصلها السلاتيني في ذيل المجمع اللبناني (ص ٩—١٧) وهذه البنود في عدد ١٣ بندًا صدَّقوا عليها في هـذا المجمع باتّفاق الاصوات مصرّحين باعتقادهم في السيّد المسيح اقنوماً واحدًا الهيًّا في طبيعتين ومشيئتين وفعلَين وفي انبثاق الروح القدس من الآب والابن وفي معنى

١) في الذيل المذكور ( ص ١٠ )

٢) انَّ للاب بطرس مرتينوس اليسوعيّ في تاريخ لبنان الذي لا يزال مخطوطاً دفاعاً طويلاً من الاب جوان باطشتا اليانو وردًّا عن التهم الغريبة التي اشاعها بعض الجهَّال في حقّه وردّ عليها الدويهيّ في تاريخهِ

التقديسات الثلث الواردة في كتبهم(Trisagion) وفي وجود المطهر وعموم الخطيئة الاصليَّة ودخول الانفس البارَّة الى السماء قبل الـدينونة مع بعض اعتقـاداتهم في الاسرار المقدَّسة لاسيَّما التثبيت والقربان الاقدس

وهناك ايضاً ٢١ قانوناً بخصوص الفرائض الدينيَّة والعيشة المسيحيَّة (١ اقرَّها الآباء وألحُّوا في التماس تثبيتها بسلطان قداسة البابا فوعدهم بذلـك القاصد الرسولي ثمَّ انحلَّ المجمع في غرَّة تشرين الاوَّل وهو اليوم العشرون من ايلول عـلى الحساب الشرقي

## ٤ وفاة البطريرك سركيس الرزي وانتخاب خلفه

بعد ارفضاض المجمع اراد الاب دنديني ان يتجوَّل في بعض انحاء لبنان ليعاين اديرة الرهبان فانطلق الى حبس قزحيَّا ودير مار انطونيوس المجاور لهُ وكان الرئيس على قزحيَّا المطران يوسف ابن اخي البطريرك سركيس وكان معهُ شقيقهُ سركيس الذي كان تلقَّى العلوم في مدرسة الموارنة في رومية. امَّا دير مار انطونيوس فوجـد فيهِ الاب دنديني ثلثـة اخوة وكلّهم اساقفة . ثمَّ انتقل الاب دنديني الى اهدن فتجمهر اهلها واتوا لاستقبالهِ وتحفَّوا بهِ واكرموهُ اكرامـاً عظيماً فوزَّع عليهم عدداً وافراً من المسابح والصلبان والايقونات فشكروهُ ايَّ شكرٍ على تلك الهبات الثمينة

ثمَّ صعد الاب من اهدن الى دير مار سركيس الذي يبعد عنها ميلًا فسار امامهُ نخبة من رجال اهدن يتغنَّون بالتسابيح كمألوف عادتهم عند زيارة السيّد البطريرك . فدخل الدير بكل ابَّهة ورونق وبعد الصلاة في الكنيسة عاد رئيسَ الدير الذي كان اسقفاً طاعناً في السنّ ضريرًا. وما كاد يدور الحديث بينهما حتَّى ورد ساعٍ من قنُّوبين يعلم القاصد بان السيّد البطريرك أُصيب بنوبةٍ قويَّة وانهُ على وشك النزاع فقام الاب المـذكور من ساعتهِ وانفتل راجعاً بكل سرعة الى قنُّوبين لكنَّهُ عند وصولهِ عرف انَّ البطريرك كان فارق الحياة قبل ساعتين وانتقل الى رحمـة ربهِ وذلـك في ٥ من تشرين الاوَّل (٢ الموافق لليوم ٢٥ من ايلول. فوجدهُ الابوان قد عُرض في الكنيسة

---

١) تجدها مطبوعةً في ذيل المجمع اللبناني (ص١٣-١٣) وفي تاريخ الموارنـة للدويهي مع صورة المجمع ( ص ٢٨٧-٢٩١) ٢) امَّا الدويهي فيزعم انَّ وفاتهُ كانت في ٧ منهُ

بحلّتهِ البطريركيّة جالساً على عرشهِ في يدهِ العكّاز وعلى رأسهِ التاج وحولهُ النائحات والنادبات بجلبة عظيمة . وفي الغد تقاطر الناس من كلّ صوب فدُفن البطريرك بحفلة حافلة في معبد القديسة مارينا المجاور لدير قنُّوبين

وقد وجدنا للبطريرك المذكور في سجلّات رهبانيّتنا رسالة وجّهها سنة ١٥٩٢ الى رئيس الرهبانيَّة اليسوعيَّة العام الاب كلوديوس اكواڤيڤا يوصيهِ بقسيسين يرسلهما الى بلاد الفرنج لجمع الحسنات لدير قنُّوبين هذا نصُّهُ :

## الحقير بطرس بطريرك الموارنة

حضرة الاخ الجنيرال

البركة الالهية والسلام الروحاني الذي خصَّ بهِ سيدنا تلاميذه لما دخل اليهم والابواب مغلقة تلك البركات التي خصَّهم بها وذلك السلام الذي اهداهم اياه ذلك يكون بعينه حالّ على الاخ العزيز صاحب الفهم والمعرفة والمشورة الصالحة الاخ البار والاناء المختار صاحب الفضل علينا وعلى اولادنا الذين في المدرسة هو وتلاميذه . وايضاً نخص في البركة الالهية الجوقة اليسوعية الروحانية تكون البركة حالة عليهم وبين ايديهم وعلى رزقهم ومقتناهم امين

والذي نعرض على المسامع الكريمة كرمها الله بان واصل لعند محبتك اخوتنا القس ابراهيم والقس يعقوب ولهم خاطر انهم يمشوا في البلاد صوب المزارات ونحن مشرفتك ان اين ما راحوا يكونوا مكرمين وان كان برسم فضلك حتى يحوشوا للدير شوية نفقات لانهُ كثر علينا ظلم الترك والمَحْل قطع بلادنا وخلّى داخله وخارجهُ مثل البرّ وهذا الكرسي يا اخي هو ملجأ الفرنج في الفضل وفي كل ضيقة يجي عليهم بقوة المسيح وعلى يدينا في الكرسي يسرّ كثير ما لهم عدد (كذا) اذا اطلعوا عليهِ الملوك والتجار بشيءٍ نخرج عليهِ ما هو عيب الله يكون معك يا اخي انك تمشي لنا درب مثل معرفتك ليكون لنا بها نجي على دربك ويبقى لك الاجر والحسنة عند الله : ومثل محبتك ما يدل على صواب وعندك فهم يغني عن طول الشرح وبعد البركة والسلام عليك وعلى اخوتك العزيزين تلاميذنا كل واحد باسمهِ والشكر والخير لله رب العالمين آمين

برز من دير قنُّوبين جبل لبنان المبارك بيد الحقير بطرك الموارنة طائع ومعتقد كرسي بطرس بابا رومية سنة ١٥٩٢ مسيحيَّة ثامن يوم من شهر تشرين الآخر

قال الدويهي في تاريخهِ : « وفي النهار التاسع خلفهُ في البطريركيَّة يوسف ابن اخيهِ موسى الرزّي ولهُ من العمر ٤٦ سنة وهو الثامن من البطاركة في دير قنُّوبين »

امَّا الاب دنديني فيقول انَّ انتخاب خلف البطريرك سركيس صار في ١٩ يوماً بعد وفاتهِ وانَّ الاساقفة والاعيان رغبوا اليهِ ان يُعيّن خلفاً للسيد سركيس فمن شاءهُ اختاروهُ لكنَّ القاصد الرسوليّ أبى ان يتداخل بالامر ونزل الى طرابلس ينتظر نتيجة الانتخاب فتمَّ ذلك في ١٣ ت ١ بموجب الحساب الغربي الموافق للثالث منهُ في الحساب الشرقيّ. ووقع اختيار الاكليروس والشعب على المطران يوسف الرزّي رئيس حبس قزحيَّا وابن اخي البطريرك المتنيح فخلفه على محبسة قزحيَّا اخوهُ سركيس تلميذ رومية السابق ذكرهُ

وما كاد البطريرك الجديد يتبوَّأ سدَّة اسلافهِ حتَّى ارسل واستدعى من طرابلس الاب دنديني. فلمَّا قدم اعرب عن سرورهِ برؤياهُ واكَّد لهُ انهُ مصمّم النيَّة على السلوك بموجب كلّ رغائب الكرسيّ الرسوليّ فانتهز الاب تلك الفرصة ايعرض عليهِ عدَّة امور لم تتقرَّر في المجمع الاخير فاجابهُ اليها لكنهُ أجَّل ذلك الى زمن رجوعهِ من عند امير البلاد ابن سيفا وهو ذاهب ليزورهُ كما كانت العادة جارية قبلهُ

فلمَّا خرج البطريرك لمقابلة الامير اراد الاب دنديني ان يغتنم تلك الفرصة ليزور القدس الشريف مع رفيقهِ ريثما يكون رجع البطريرك يوسف الى قنُّوبين فسافر الى طرابلس ليركب قارباً يقودهُ الى يافا لكنهُ حدثت وقتئذٍ امطار وانواء شديدة منعتهُ من السفر فعاد الى قنُّوبين بعد رجوع البطريرك من زيارتهِ لامير البلاد وحضر جنَّازاً حافلاً أُقيم في ١٣ ت ٢ لراحة نفس البطريرك عمهِ حضرهُ عدد لا يُحصى من الشعب

فاجتمع الاب دنديني في اثناء ذلك بالبطريرك يوسف وفاوضهُ اوَّلاً في امر تلامذة رومية العائدين منها بعد دروسهم كي يعطوهم المراتب التي هم اهل لها فيخدموا الطائفة بعلومهم وآدابهم فاجابهُ البطريرك الى ذلك بأن اقام اسقفاً على افقيسية (قبرس) موسى العنيسي من العاقورة وسقَّف يوحنَّا الحوشبيّ وجعلهُ معاوناً لهُ في تدبير شؤون دير قنُّوبين (١. وسقَّف اخاهُ سركيس مطراناً على دمشق فخلفهُ على رئاسة دير قزحيَّا. وكلّ هؤلاء من تلامذة المدرسة المارونيَّة في رومية. وبايعاز الاب دنديني

١) في تاريخ الدويهي (ص ١٨٥) انَّ تسقيفهُ كان سنة ١٦٠٣ وفيها ارسلهُ سفيراً الى البابا بولس الخامس. امَّا المستفاد من اقوال الاب دنديني ان تسقيفهُ كان بحضورهِ وكذلك يؤخذ من رواية دنديني انَّ سيامة سركيس الرزّي وجرجس عميره كانت سنة ١٥٩٦ لا السنة ١٦٠٠

سليم جرجس عميره كاهناً ثمّ اسقفاً «رغماً عن معاكسة بعض السالكين على غايات بشريّة» (ص ١٧٢) سامهُ كاهناً المطران موسى العنيسي ثمّ رقّاهُ البطريرك بمساعدة مطرانين آخرين الى رتبة الاسقفية وعهد اليهِ بتأليف كتب لارشاد الكهنة وهو الـذي كان طبع سابقاً غراماطيقاً سريانيًّا لاتينيًّا وعُني بطبع كتاب القدّاس في مطبعة المديشيس

ولمّا رأى الاب دنديني حسن استعداد البطريرك الجديد لاصلاح الامور المخلّة وتحوير العادات الباطلة استلفت نظرهُ الى بعض ما يحسن بهِ استدراكهُ بعد اثبات المجمع المقدَّم ذكرهُ فالبطريرك يوسف « لم يكتفِ بأن اثبت ذلك المجمع وسلّم بكل ما فيهِ باباً باباً وامر بان يرعاهُ الجميع بكل اجتهاد بل جمع اليهِ كلّ الاساقفة بحضرة سفير الكرسيّ الرسولي ايرونيموس دنديني وزاد عليهِ القوانين الآتية » وهي ستّة تجدها مفصَّلةً في ذيل المجمع اللبناني (ص ١٧–١٩) وكان تاريخ هذه المزيدات في ٣ تشرين الثاني (١ سنة ١٥٩٦

وقد نشر المرحوم رشيد الشرتوني في المشرق (٧ [١٩٠٤] : ٦٨٩–٦٩٣) قوانين مجمع ضيعة موسى كايضاح وتتمّة لمجمعَي قنّوبين في السنتين ١٥٨٠ و ١٥٩٦

ولمّا رأى الاب دنديني انّ سفارتهُ لدى الموارنة قد تمّت على مقتضى رغائبهِ استعدّ لوداع البطريرك والسادة الاساقفة واراد قبل فراقهم ان يسلّم السيّد البطريرك مفكّرةً في بعض الامور لئلّا تبرح عن بالهِ

فممّا ورد هناك ان لا يُرسَل اولاد الى المدرسة المارونيّة قبل بلوغهم السنة الرابعة عشرة من عمرهم ومعرفتهم القراءة والكتابة وان يُعطَوا عند رجوعهم من رومية رتباً موافقة لمعارفهم . ومن وصاتهِ للبطريرك ان يعيّن اسقفاً لقبرس يقيم فيها وكذلك في العاقورة . ومنها ان يرسل الى رومية مَن يقدّم الطاعة باسمهِ للكرسي الرسوليّ (وقد تمّ ذلك سنة ١٥٩٨ كما روى الدويهيّ ص ١٨٣ اذ ارسل الخوري جرجس بن يونان من قرية ايليج مع الشدياق يوسف اليان الحلبي تلميذ رومية) وفي وصاتهِ ايضاً اشياء كثيرة في اصلاح الرهبان كفصل بيوتهم عن اديرة الراهبات وتقييدهم بالعيشة العمومية وفَرْض سنة ابتداء على طالبي الترهّب يبرزون بعدها النذور الرهبانيّة الثلثة مع عدم السماح للاخوة بامتلاك شيء من المال . وهناك وصايا

١) لا « تشرين الاوّل » كما ورد سهوًا في ذيل المجمع اللبناني (ص ١٩)

أخرى للاكليريكيين والكهنة لاسيّما لإرشاد الشعب والوعظ ايّام الآحاد الخ

وليس في بقيّة رحلة الاب دنديني ما يهمّنا فـأنهُ زار مع رفيقهِ الاب برونو الاراضي المقـدَّسة ثمّ رجع الى طرابلس وبقيا فيهـا الى ان امكنهما ان يبحرا الى ايطالية في اوائل كانون الثاني سنه ١٥٩٧ بعـد مرورهما بالاسكندرونة ثمّ بقبرس ومنها الى البندقيَّة فلم يبلغاها الّا بعد اتعاب واخطار كثيرة في اواسط شهر حزيران. ثمَّ رحلا الى رومية فدخلا المدينة المقدَّسة في ١٧ تموز. واذ كان الحبر الاعظم عاپلًا لم يمكن الاب دنديني ان يعرض عليهِ اخبار سفارتهِ الّا في شهر تشرين الاوَّل فسُرَّ قداستهُ بنجاح السفارة ووعد بانَّهُ يداوم اهتمامهُ بالأمَّة المارونيّة مثنياً على اكليروسها وشعبها وإشعارًا بمحبَّتهِ نحوها عيَّن لحمايتها ابن اخيهِ الكردينال ألدُوبرنديني خلفـاً للكردينال پاليوتّي

ثم نشر الاب دنديني رحلتهُ بعد سنة باللغة الايطالية في رومية فنقلها الى الافرنسيَّة العلّامة المستشرق ريشرد سيمون سنة ١٦٧٥ وعلّق عليها عدَّة ملحوظـات في ميئتي صفحة تدلُّ على سعة علمهِ باحوال الشرق وحسن نظرهِ وجودة فكرتهِ (لهُ صلة)

---

# الاسقف الطريد

## صفحة من تاريخ الكثلكة في الاستانة

للمرحوم القنصل الفرنساوي فردينند رنزفال

حدث الواقع الآتي سنة ١٨٥٨. وفيها تعيَّن السيّد نابوليون بنيـامين كنيس اساقفة على سَراياڤو عاصمة الهرسك والبشناق بعد ان قام احسن قيام بأمور اسقفيَّة غَلَطة في الاستانة. وكان السيّد المذكور يميل الى الدين الكاثوليكي دون ان يُعلن بهِ الّا انَّهُ كان يتشبَّه في لبسهِ بلبس الاساقفة الكاثوليك فيتردّى بثوب ذي أزرار وعُرى صغيرة مثلهم تحت البُردة اليونانيَّة الواسعة

وبقي على ذلك مدَّةً حتّى لحظ الكهنة الذين في حاشيتهِ نَزْعتهُ الى الكثلكة

فاسرعوا ووشوا بهِ لبطريرك الفنار فتقدَّم اليهِ بالعود من مقامهِ سراياقو الى الاستانة . فادرك السيّد نابوليون معنى هـذا الامر وفهم انهُ مطلوب ليقوم بازاء محكمةٍ ومع هذا لم يتريَّث في اجابتهِ لامر البطريرك وبكل جرأة قدم الى عاصمة الدولة لكنَّهُ لم يطلب الضيافة في الفنار واتَّخذ لهُ سكناً آخر اميناً في المدينة

فخرج يومـاً لترويح النفس في بعض احيـاء الاستانة واذا برجلين من عصبة المتولّين مطافئ البلدة من اشقى الناس وشرّ العباد هجما عليهِ كالذئاب ورمياهُ مكرهاً في عجلةٍ مقفَلة كانا اعدَّاها لذلك ثم سارا بهِ كلمح البرق الى جهة أدرنة . وقد حدث الامر على فور بالقوَّة الجبريَّة دون ان يستطيع احد الحضور في ذلك الحيّ ان يحتجَّ عـلى الجانيَين او يصدَّهما عن العمل وكان الشقيَّان قد احتاطا لنفسهما واستخرجا من الباب العالي بواسطة الفنار فرماناً يبرزانهِ لكل من يتصدَّى لهما في فعلهما الاثيم ولو كانوا من رجال الشرط

على انَّ الخبر ما لبث ان انتشر في العاصمة فاستنكف منهُ كل من سمعهُ من اهل العدل وارباب الصلاح . والتجأت القصادة الرسولية في الاستانة الى سفير فرنسة هناك المسيو توڤنيل (M. Thouvenel) لينقذ المظلوم من ايدي اعدائهِ . فقدَّم السفير الى الصدر الاعظم رقيماً طـالباً بإلحاح من البطريركيَّـة اليونانيَّة تحرير السيّد نابوليون بنيامين . لكنَّ البطريرك انكر بكل عتوّ وقوفهُ على هذا الامر مؤكداً انهُ يجهل الواقع تماماً ولا علم لهُ بما جرى بحق الاسقف المظلوم وباي مكان هو

فلمَّا رأى السفير حبوط مساعيهِ بالطريقة الرسميّة لدى الـدولة حاول بنفسهِ كشف السرّ المكنون واثقـاً بنشاطهِ وذكاء عقلهِ لفكّ اغلال ذاك الاسير البئيس . فبحث عن وسيلة للبلوغ الى حبسهِ لينال من يدهِ وثيقةً يقدّمها لارباب الدولة العثمانيَة تضطرُّهم الى طلب حرّية الاسقف الطريد ضحيَّة الظلم والاستبداد

ولكن ليت شعري كيف الوصول الى السجين ولا احـد يعلم في ايّ مكانٍ حُبس ! . على انَّهُ ليس امر عسير على العناية الصمدانيَّة التي ساعدتنا بنوع عجيب

كلّ يعلم انَّ بين الاديار التى اعتاد الروم اليونان الحجّ اليها مزارَين خصوصـاً مبنيَّين فوق صخور شاهقة وكلاهما مشهور بقدمهِ وبما ينسبهُ اليهِ العموم من الأقاصيص الغريبة احدهما دير جبل آثوس في مقدونية والآخر دير مار يوحنَّا الريلي القريب من

مدينة سماكوف في بلغارية موقعهُ في اعلى قمم جبال البلقان · فخطر على بال السفير مسيو توڤنيل انَّ الاسقف الجليل قد يكون حُبس في احدهما لوحشة موقعهما وبُعدهما عن كل مجتمع بشري وبناء عليهِ كتب للحال الى المسيو شَمْپوَزو (Champoiseau) النائب القنصلي في فيليپي (Philippopolis) ليسعى بالتفتيش عن الطريد في احد هذين الديرين

وكنتُ الفقير وقتئذٍ من عمَّال قنصليَّة فيليپي فاستدعاني وعهد اليَّ بتلك المهمّة لعلمهِ بمعرفتي التامَّة للُغة اليونانيَّة ووقوفي على كلّ عادات الروم الارثذكس فرجَّح كوني اجدر بهذه المهنة من غيري فاتمكَّن من انقاذ السيّد نابوليون

*

فخرجت من فيليپي محتارًا بنفسي لا اعلم ما ستكون نتيجة بعثتي هذه · فسرتُ متَّجهاً الى مدينة سماكوف الواقعة في سفح الجبل الذي في قممهِ مبنيّ دير القديس يوحنَّا الريليّ فقدَّمتُ زيارتهُ اوَّلًا قبل دير أثوس لوقوعهِ على طريقي مؤجِّلًا سفري الى جبل اثوس اذا ما خابت ظنوني في دير سماكوف

فسرتُ الى هذه المدينة وبلغتها بعد ثلثة ايَّام ونزلتُ فيها ضيفاً على الدكتور أُنتربرغ (Dr Unterberg) المتولّي فيها امور دولة النمسة والنمسويين المتعدّدين الذين استوطنوا تلك المدينة لتعدين معادن حديدها الغنيَّة · وكان نائب القنصل النمساوي في فيليپي كتب اليهِ يوصيهِ بحسن استقبالي فرحَّب بي ولم يدَّخر وسعاً في إراحتي فهيَّأ لي فراشاً وثيرًا لليلتي واتاني بما لم انتظرهُ من المعلومات كما سترى

فبعد العشاء اخذنا نتداول الحديث الشجون فعرفتُ من كلام الدكتور انهُ كاثوليكيّ فنشَّطني علمي بدينهِ ان أُشير امامهُ الى الوقائع الحديثة مازحاً فسألتهُ هل بلغهُ ما جرى لرئيس اساقفة سراياڤو السيّد نابوليون

فاجاب الدكتور على الفور : أجل اني اعرف قصَّتهُ برمَّتها وقد دُعيت آخرًا لاجبر لهُ ساقهُ المكسورة لمحاولتهِ الفرار من حبسهِ

فلم اكد اتمالك عن إبراز عواطفي لدى استماعي هذا الكلام لكني ضبطتُ نفسي وتظاهرتُ بعدم الاكتراث فقلتُ : أَو لعلَّهُ هنا ؟

فانحنى الدكتور اليَّ كأنهُ يبوح بسرّ خفي قائلًا : نعم هو محبوس في دير مار

يوحنَّا الريليّ الذي صرتُ منذ زمن قليل طبيبَ رهبانهِ الرسميّ ‥ امَّا الاسقف فهو في حالة يُرثى لها ولذلك اراد النجاة من مضطهديهِ فاخذ قطعاً من جوخ عتيق وجدها تحت يدهِ فعقدها مع بعضها كحبلٍ مدَّهُ من نافذة قلَّايتهِ وتمنطق بهِ الَّا انَّ حبلهُ انقطع في الهواء فسقط على الحضيض وانكسرت ساقهُ فحملهُ الرهبان الى حبس آخر وضاعفوا نحوهُ سوء معاملاتهم

فاستفدتُ من هذا الحديث كلَّ ما كنتُ راغباً في معرفته ولذلك كففتُ عن السؤَال الزائد لئلَّا يشعر الدكتور بسبب سفري وحتَّى انظر كيف اتصرَّف في امري في الغد

فما كاد يسفر الصباح حتى نفضتُ من الفراش بكل نشاط وبملء الرجاء في ادراك غايتي واعددتُ رُزْمة أمتعتي الصغيرة وسرتُ مع خادمٍ أَلبانيّ امين من عمَّال قنصليتنا في فيليبي وكانت وجهتي الى دير مار يوحنَّا بصفة احد زوَّارهِ . ولحسن الحظّ كان ذلك النهار يوم عيد القديس شفيع الدير فأمكنني ان اختلط ببقيَّة الزوَّار دون ان تقع عليَّ شبهةٌ ما

ولا بُدَّ ان أُضيف هنا شيئاً مهمًّا الى ما سبق : كنتُ قبل ان اتجشَّم السفر قد واجهتُ في فيليبي السيد كانوڤا اسقف هذه المدينة اللاتيني من رهبنة الكبوشيين فسمح لي ان احضر في كنائس اليونان كلَّ رتبهم الدينيَّة وان اتقرَّب عندهم اقبول الاسرار على شرط ان لا يتشكك احد من فعلي هذا . فاستنادًا الى هذه الرخصة اتممتُ كل الفرائض الدينيَّة الجارية عند الروم وشاركتهم في مطانيَّاتهم وفي كلّ حركاتهم وسكناتهم وانا لا اجهل منها شيئاً اذ كنت مولودًا في جزيرة زَنْتي الغالب على سكَّانها الطقس اليوناني الارثذكسيّ فكنتُ متقناً لكل رُتبهِ . وكنتُ ايضاً اتَّخذتُ لي اسماً يونانياً فدعوتُ نفسي ديونيسيوس باسم احد الرهبان القديسين المكرَّمين في جزيرة زَنْتي . فبعد ان انجزتُ كلّ صلواتي وكرَّرت مطانيَّاتي خرجتُ من الكنيسة وطلبت ان ازور الدير

فاتَّفق ان الرئيس عيَّن لمرافقتي شمَّاساً يونانياً من الاستانة كانت البطريركيَّة ابعدتهُ ليسكن هذا الدير تكفيرًا عن بعض الذنوب التي كان اقترفها بأَشر شبابهِ . وكان هذا الشمَّاس في مقتبل العمر وسيم الوجه يُدعى اغاثنجلوس وكان يلوح على منظرهِ

انهُ مضنوك القوى ومتضايق في سكنى هذا الدير الذي يحول دونهُ ونوال رغائبهِ في رخاء العيش والحرّية المشتهاة

فما كدنا نتعارف حتَّى اخذ يفتح لي قلبهُ ويعدّد لي اوجاعهُ ويذكر امتعاضهُ من معاشرة الرهبان البلغاريين العائشين في هذا الدير. وبذكرهِ اسم البلغار اظهر في لهجتهِ ما يدلُّ الى بغضهِ لهم واستخفافهِ بهم . والامر ليس فيه ما يجلب الانذهال لأن اليونان والبلغار مع كونهم على دين واحد لا يزالون يتشاحنون ويتباغضون

وعند المساء عاد اليَّ الشمَّاس فزاد انساً وانبساطاً لِما شعر بهِ من الهدوء بقرب الشمس الى المغيب ولمنظر الطبيعة البهيج وبما سقيتُهُ من الروحيّات تهيئةً لاكل العشاء فاتَّسع في الكلام عن امور شتَّى الى ان قال لي بغتةً بصوت خافت :

قد زعمتَ انك سكنت في الاستانة في حيّ غلَطة فلا بُدَّ انك عرفت هناك السيّد نابوليون بنيامين رئيس اساقفة سراياڤو الشهير او تكون على الاقلّ سمعتَ باسمهِ

قلتُ : نعم اني سمعتُ بذكرهِ وبقصَّتهِ ولكن بطريقة مبهمة غير واضحة

قال : أَبلَغكَ يا سيّدي انَّ هذا الاسقف هو عندنا في هذا الدير وانهُ لا يبعد عنَّا الَّا بمسافة بضع خطوات ؟ . . أَسفي عليهِ ! . . . فاني اظنُّـهُ شريد العقل ممسوساً بفهمهِ ! . . قد خطر في بالهِ فكر غريب . . يريد يتبع الشيعة البابويَّة ! . . . فهذا يا سيّدي امرٌ مستقبح . . هذهِ مصيبة لهُ وللملَّة الارثذكسيَّة جمعاء ! .

قال هذا وهو يُشعرني بصوتهِ انَّهُ متحسّر على ضلال الاسقف وانَّ الرحمة عليهِ غالبة على قلبهِ. ثمَّ اردف قائلًا : «امَّا انا فكلُّ ما تسنح لي الفرصة لأَراهُ ابكّتهُ على فعلهِ . ولذلك يعدُّ مواجهتي لهُ كعذاب اليم واذا حادثتهُ سكت واجماً لا ينبس ببنت شفة »

قلت : «لا غرو من فعلهِ هذا فانك انت شابٌّ فكيف يرضي شيخ جليل مثلهُ ان يسمع تبكيت فتًى في مقتبل العمر . ولعلَّـهُ ينصت الى كلام رجل غريب يتكلَّم امامهُ ليس باسمهِ فقط بل يوقفهُ على ما هو شائع من الرأي العام »

فوقع كلامي هذا موقع الاستحسان في قلب اغاثنجاوس ورأيت في ملامح وجههِ انهُ اثَّر فيهِ ولذلك اردفتُ قائلًا : أَلا يمكنّي ان اراهُ

قال الشمَّاس : لا بأس ان تجرّب . . . فلعلَّك تستطيع ان تهدي هذا الضالّ

المسكين . . واني لأعلم انهُ اذا رآني يبقى على جمودهِ ولذلك اني سأدَعك معهُ وابتعد عنكما بعد ان أقودك الى قلّايتهِ

فرضيتُ بما عرضهُ عليَّ دون ان اظهر اثرًا من الانبساط كأني اشكُّ في نتيجة زيارتي لاعادة النعجة الضالة الى حظيرتها ولو استطاع اغاثنجلوس ان يرى ما خامر قلبي من الفرح لأخذهُ الانذهال من معارضتهِ بين خفايا نفسي وجمود ظواهري

وبعد ان تعشَّينا سواءً بكل انشراح عيَّن لي لليوم الثاني موعد زيارتي للاسقف ثمَّ سلَّمنا على بعضنا واوينا الى فراشنا

*

سبقني الشمَّاس في صباح يوم الغد مستأنسًا بمعاشرتي وهو كاد يعدُّني كاحد مواطنيهِ . فاسرعتُ الى استقبالهِ فاخذني معهُ وقادني في دهليز طويل وضيّق حتَّى بلغنا الى باب مظلم شبيه بباب السجون . وكان قلبي يجبُ وَجبانًا قويًّا وكاد التأثر يخنقني . ففتح الشمَّاس الباب واذا بي رأيتُويا للاسف رجلًاجايل المنظر يناهز الخمسين وهو جالس على الحضيض على جبهتهِ غضونٌ وعلى وجههِ تجعّدات من تأثير الاوجاع والجوع . . ذلك السيّد نابوليون ! . . وكان بقربهِ على الارض مثلهُ ولدٌ لا يزيد عمرهُ على ١٢ سنة . وهو يرقّع للاسير بعض اسمالهِ المتخرّقة والولد احد طالبي الترهب كان في خدمة الاسقف يقرأ لهُ ويكتب ما يملّهُ عليهِ . وكان ضوء خفيف ينفذ الى القلاية من كوَّة فيها فيزيد منظر ذاك المكان كدرًا ووحشة . ففي هذا الحبس كان الرهبان ألقوا الاسقف الطريد بعد محاولتهِ النجاة من ايديهم وموقعهُ في وسط الدير حيث لا سبيل الى الفرار

فلمَّا رأى السيّد نابوليون انَّ باب حبسهِ قد فُتح رفع رأسهُ مندهلًا واذ لمح وجه الشمَّاس دليلي اكبَّ منحنيًا . فاخذ اغاثنجلوس يشرح لهُ سبب زيارتنا لكنَّ الاسقف لزم السكوت كعادتهِ ولم يجب بكلمة فالتفت رفيقي اليَّ قائلًا : ترى انَّنا لا نستفيد شيئًا وهو يأبى ان يكلّمني فأدَعك وحدك معهُ وأطلب من الله ان يؤيّدك بعونهِ . قال هذا وخرج واقفل الباب فبقيتُ وحدي بازاء السيّد بنيامين

أنَّى لي ان اصف ما شعرتُ بهِ حينئذٍ من العواطف المتباينة كالترحم على الاسير والغيظ على مضطهديهِ ولاسيَّما الفرح لفوزي بالمرغوب ! . . . لكنَّ قيامي بالواجب

أخمد في تلك الشواعر لئلّا تفوتني برهة من ذاك الوقت الثمين . فأسرعتُ الى الباب ومكّنتُ منهُ الزلاج وتحقّقتُ انهُ ليس ثمّ أذنٌ صاغية تُراقبنا ثمّ عدتُ الى جهة الاسقف وخررتُ على اقدامه وقبّلتُ يديهِ بمنتهى الشوق

فرفع اليّ عينيهِ بعد ان بقي ناكساً واجماً ونظر اليّ نظير الرجل الحذر كأنهُ يقول بلسان حالهِ : ألستَ تريد ان تخدعني

امّا انا فقلتُ لهُ بملءِ الثقة : « سيّدي السرعةَ كلَّ السرعة . أمَا عندك هنا قرطاس وقلم وحبر ؟ فارجوك ان تخطّ بيدك كتاباً تُعلن فيهِ بمجسك في هذا الدير

ففكّر الاسقف هنيهة كأنّ الرجاء بالخلاص احياهُ ثمّ قال : نعم اني استطيع ذاك ولكن يوم غدٍ اذ ليس عندي اليوم شيءٌ من ادوات الكتابة

فاردفتُ قائلًا لِما خالج نفسي من الريب : ومن هو هذا الولد الذي كان بجوارك عند دخولي أيوثق بهِ ؟

قال الاسقف : لا خوف علينا منهُ فانهُ نعم الفتى يودّني ويتفانى في خدمتي

فتفاوضنا اذ ذاك في اي طريقة يمكن السيّد نابوليون ان يبلّغني كتابهُ فاتّفقنا على تسليمهِ الكتاب الى خادمهِ الصغير فيأتي بهِ ويضعهُ في احد المستراحات المختصّة بالزوّار . فبعد ان قرّرنا هذا الامر ودّعتُ الاسقف وخرجت من قلّايتهِ . ثمّ واجهتُ الشمّاس لأعلمهُ بإصرار الحبيس على افكارهِ

وفي صباح اليوم التالي قمتُ باكرًا اترصّد مجيءَ الولد فجاء في الوقت المعيّن وليس هناك احدٌ من الزوّار فما دخل المستراح ووضع الكتاب في كوّة منقورة في حائطهِ ينفذ منها نورٌ ضئيل حتى خرج وتبعتهُ فوجدت فوطةً زرقاء من الخيش ملفوفةً وضمنها المكتوب المرغوب الذي خرجتُ للحصول عليهِ فتجشّمتُ كلّ هذا العناء . ولولا وقوفي في ذاك المسرح الغريب واحتياجي الى حفظ هيبتي متظاهرًا بعدم الاكتراث لأندفعتُ مترنّمًا بتسبحة الشكر (Te Deum) بملءِ الفؤاد لكنّني طويتُ ذلك في صدري وسبّحت الله في قلبي

وبعد هنيهةٍ عدتُ الى قلّايتي وهناك بازاء ملائكة السماء الذين مهّدوا طريقي خررتُ ساجدًا وتلوتُ آيات الشكر لذاك الذي بارك مشروعي العسير بنوعٍ محسوس ولم يبق لي بعد هذا الّا الترحال فودّعتُ الشمّاس اغاثنجلوس ورهبان الدير

ثمَّ قفلتُ راجعاً الى فيليبي فوصلتُ اليها بعد ايَّام والسرورُ طافحٌ من جناني فسلَّمتُ رئيسي كتاب السيّد بنيامين كعلامة انتصاري · فاهتزَّ فرحاً لهذا النبإ واسرع فارسل الى سفير فرنسة المسيو توفنل الكتاب المومأ اليهِ فاخذه السفير وقدَّمهُ رسمياً للصدر الاعظم ليفكَّ اغلال السيّد نابوليون بنيامين ويطلق سراحهُ

فلمَّا وقف الصدر الاعظم على هـذا الكتاب وهو المتَّفق مع بطريرك الفنـار لتوقيف الاسقف الكاثوليكي اخذ منهُ الاندهـاش كلَّ مأخذ وهو لم يعلم بايّ طريقةٍ امكنَّا الحصول على هذه الوثيقة · لكنَّهُ لم يستطع إنكار مضمونها فارسل الى بطريركيّة الفنار وطلب ان يُطلق سبيل السجين وبعد ايام قليـلة اخرجوهُ من مكمنهِ وسلَّموهُ الى ارباب الدولة في سماكوف ثم وجَّهوهُ الى فيليبي راكباً عربةً فوصل الينا منهوك القوى بعد تعب السفر ومشقَّاتهِ الشديدة في حبسهِ · فنزل عندنا في دار القنصليَّة ضيفاً كريماً واقام يومين فسُررت لمرآهُ ايَّ سرور وشاطرتُهُ غرفتي للمنام · ومن فيليبي ارسلناهُ الى ادرنة واوصينا بهِ المسيو ڤرنزًا نائب قنصلهـا الذي عُني بتسفيرهِ الى الاستانة فاحتفى بهِ السفير وحاشيتهُ واكرموهُ إكرام اولياء الله وشهداء الايمان

وبقي السيّد نابوليون بعد رجوعهِ من منفاهُ مجاهرًا بايمانهِ الكاثوليكي منقطعاً الى الله وكان يعيش في دير الآباء الفرنسيسكان في حيّ بيرا فيتمّم عندهم في كنيسة مار انطونيوس كلّ فرائضهِ الدينية شاكرًا لهُ تعالى على ما انعم بهِ عليهِ من معرفـة الايمان المستقيم والعيشة في حظيرة خليفة هامة الرسل وراعي كنيسة المسيح التي لاجلها كان رضي بتضحية حياتهِ · وبقيتُ اكاتب سيادتهُ من وقتٍ الى آخر حتَّى تراكمت عليَّ الاشغال في المنـاصب الرسميَّة التي قلَّدتني ايَّاها دولتي فاضطررتُ ان اقطع تلك العلاقات الودّية وتلك الذكرى الطيبة والمبهجة للقلب

وقد بلغ الكرسيّ الرسولي خبر نجاة السيّد بنيامين العجيب فأثاب رئيسي المسيو شمپوزو ومنحهُ وسام القديس غريغوريوس ونلتُ انا الفقير وسام القديس سلوسترس جزاءً لخدمتنا للكنيسة · اما السيّد بنيامين فبقي عزيزًا مكرَّماً الى وفاتهِ الصالحة في السنة ١٨٩٧ .

# النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعي ( تابع )

## الفصل الثالث عشر

الشعر النصراني وشعراء النصرانيَّة بين عرب الجاهليَّة واوَّل الاسلام

هذا آخر فصل من كتابنا « النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة » نختم بهِ القسم الثاني منهُ المختصّ بآداب النصرانيَّة . وقد اجَّلناهُ الى آخر الكتاب لنجعل كلَّ ما سبق كتوطئة لهُ اذكان غرضنا ان نبيّن نصرانيَّة معظم الشعراء الذين سبقوا الاسلام

### ١ اصل الشعر العربي

زعم بعض الثَّرثارين المُتَفيهقين انَّ الشعر العربي سبق الاسلام بمئين من السنين بل سبق ميلاد السيّد المسيح باجيال عديدة حتَّى نسبوا منهُ نُتَفًا الى زمن نبيٍّ يدعونهُ هودًا يزعمون انهُ عاش قبل ابرهيم الخليل في الالف الثالث قبل المسيح . وتوغَّل غيرهم في غلوّهم واوهامهم فرووا لآدم ابي البشر ابياتًا رثى بها على رأيهم ابنهُ هابيل القتيل فعارضهُ فيها ابليس الرجيم (١

تلك مزاعم يضحك منها العلماء ويضرب بها عرضَ الحائط كلُّ من لهُ ادنى إلمام بتاريخ اللغات عمومًا واللغة العربيَّة خصوصًا

وقد ارتأى البعض انَّ سِفر أيوب المورود في التوراة عربيُّ الاصل عربيُّ اللهجة والتصوُّرات شعريُّ الصورة وقد استوطن أيوب صاحبهُ غَرْبيَّ جزيرة العربيَّة في البثنيَّة وضمَّن آياتهِ كثيرًا من التشابيه والاوصاف الشائعة بين العرب كذكر النجوم ووصف الخيل وغير ذلك . نجيب على هؤلاء انَّ في هذا الرأي نظرًا لاسبابٍ منها انَّ سفر أيوب

١) اطلب المشرق (٦ [١٩٠٣] : ٤٨٩ - ٤٩٣)

لا يعرف منهُ منذ نحو ثلاثة آلاف سنة غير ترجمتهِ العبرانيَّة ثم ليس لدينا حجَّة قاطعة يمكننا ان نستند اليها لنثبت كتابتهُ في لغة اخرى فانَّ مضامين هـذا السفر والتقليد اليهودي القديم لا يذكرانِ شيئاً من ذلـك . وعلى كلّ حال اذا صحّ قول العلماء بان سفر أيوب كتب بالاصل في العربيَّة فلا شكَّ ان تلـك العربيَّة كانت مختلفة عن عربيتنا التي هي لهجة بعض قبـائل الحجاز لهجة قريش التي لم تشِعْ الَّا بعـد قرون عديدة . ولعلَّها النبطيَّة او لغة أُخرى اقرب الى الارامية منها الى العربيَّة . ومن ثمَّ ليس من الممكن الاستناد الى هذهِ اللغة المزعومة لنجعلها اصـل شعرنا العربي في الوقت الحاضر

وان تتبَّعنا بعد ذلك سياق الاجيال منحدرين الى اوائل النصرانيَّة لا نجد ذكرًا للغة العربيَّة الَّا بعض تقاليد مستحدثة رواها الرواة بعد الاسلام لا يوثق بها . ولسنا لننكر انَّ العرب في تلك الاثناء تكلَّموا بلغةٍ خاصَّة لكنَّ تلـك اللغة كانت تختلف اختلافاً عظيماً في كل قبيلة عـلى اختلاف مواقعها في انحـاء الجزيرة وتأثير اللغات المجاورة لها وحالة المتكلمين بها من اهل حضَر او اهل المدَر فيطلقون عـلى كلّ هذه اللهجات اسم اللغة العربيَّة كما يطـلقون اسم العرب على اهـل الجزيرة مع اختلاف عناصرهم القحطانيَّة والعدنانيَّة والاسمعيليَّة

ولعلَّ بعض رجال تلك القبائل بعد ان بسط الرومان سيطرتهم على نواحي العرب فقلَّدوهم بعض اعمالها دوَّنوا شيئاً من مآثر لغتهم فأَخذتها ايدي الضياع . ومن الشواهد الحسنة التي يمكننا ان نثبت بها قولنا كتابةٌ حجريَّة وُجدت في رومية سنة ١٧٧٣ (١ راقية الى اوائل القرن الثاني للمسيح في عهـد تراجانوس القيصر . وهذه الكتابة لاتينيَّة كتبها ورَّاق عربيّ اسمهُ مرقس اولبيوس كستوراس كان رافق حملتي الرومانيين في غالية وفي سوريَّة فجعلها على ضريح رجل اسمهُ مرقس اولبيوس سيمفورس كان معهُ في الحملتين :

M. ULPIUS SYMPHORUS VIXIT ANNIS XXIV ... ULPIUS ÇASTORAS LIBRARIUS ARABICUS BENE MERENTI QUOD IS EXPEDITIONIBUS DUABUS GALLIÆ ET SYRIÆ SECUM FUERAT

١) اطلب المجلَّة الاسيويَّة الفرنسويَّة (J. As. 1840 I. p. 199) وكتاب لينورمـان في الكتابة الفينيقيَّة Essai sur la propagation de l'Alphabet Phénicien. II, 145

فذكرُ ورّاقٍ او كاتب عربي في ذلك العصر من الامور الغريبة التي تثبت ما كان للعربيَّة من الشأن في تلك الأيام. ولكن ما هي تلك العربيَّة التي المشار اليها أهي عربيَّة قريش ? او النبطيَّة او الحميريَّة او لغة قبائل الشام الخاضعة للرومان ? كلّ ذلك محتمل ولا يمكن بتُّ الحكم بهِ . وما لا شكَّ فيهِ انَّ ذلك الكاتب لم يخطّ كتاباتهِ بالقلم العربيّ الذي برز للوجود في اواسط القرن السادس للمسيح فقط . وانّما كانوا يكتبون قبل ذلك بأقلام لغات أُخرى اخصُّها في جنوبي جزيرة العرب الحميريَّة والمينويَّة وفي الشمال بالنبطيَّة والثموديَّة واللحيانيَّة والصفويَّة وقد وُجدت من كلّ هذه الخطوط امثال مختلفة في جهات العرب يرقى بعضها الى ما قبل المسيح

وقد سبق لنا القول انَّ اقدم كتابة تقربُ لهجتها من عربية قريش هي الكتابة الضريحيَّة التي وُجدت في جهات الصفا على قبر ملك العرب امرئ القيس بن عمرو وتاريخها في ٧ من شهر كانون الاوَّل سنة ٣٢٨ للمسيح . وهي مكتوبة بالحرف النبطي الجميل نورد هنا رسمَها . امَّا لغتُها فمع قربها من لغة قريش اي لغتنا الفصحى لا تزال مضطربة مشوَّشة مختلطة بالفاظ غريبة

فان كان المنثور في القرن الرابع للمسيح على هذه الصورة فما قولنا بالموزون ? ولنا هنا ايضاً شاهد صادق على انَّ العرب في ذلك الجيل لم يجهلوا الشعر . وهو لاحد المعاصرين المؤرخ اليوناني سوزومان (١ فانَّهُ في تاريخهِ الكنسيّ في الفصل الثامن والثلثين منهُ يذكر محاربة ماويَّة ملكة عرب الشام للرومانيين وانتصارها على جيوشهم ثمَّ تنصُّرَها وتنصُّر قومها على يد احد السيَّاح المدعو موسى . فهناك يصرّح المؤرخ بما شاع من الاغاني الحماسيَّة بين رعايا ماوية يعدّدون فيها مآثرهم وغاراتهم على الرومان وهذا نصُّهُ (١ :

Hæc ita gesta multi ex earum regionum incolis etiamnum commemorant et apud Saracenos vulgo cantibus celebrantur.

وما يقولهُ المؤرخ سوزومان عن الاغاني الحماسيَّة يجوز ان نطلقهُ على بقيَّة امورهم كالافراح والاحزان والمديح والغزل والفخر لأنَّ الغناء غريزة في الانسان . ولكن يا تُرى ماذا كانت اوزان تلك الاغاني ? كم كانت اجزاؤها ? كيف كان ايقاعها ? وهل

1) **Sozom. : H.E,** *L. VI, ch.* 38,; *Migne, pp. GG, LXVII, col.* 1410

## جدول اقدم الكتابات العربية

١ٔ كتابة عربيَّة بخط نبطي تاريخها سنة ٢٢٣ لبُصرى ٣٢٨ للمسيح
وجدها في نمارة من اعمال حوران المستشرق دوسو

صوره الكتابة مأخوذة عن الحجر

رسم الكتابة بالخطّ

تي نفس امرء القيس بر عمرو ملك العرب كلِّهِ ذو أسر التاج
ومَلَكَ الاسدين وترارو وملوكهم وهرَّب مجحو عكدى وجاء
بزجاي (؟) في حَبج نجران مدينت شمّر ومَلَكَ معدو وبيَّن بنيهِ
الشعوب ووكّلهنَّ فارسو لروم فلم يبلغ ملكٌ مبلغهُ
عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بالسعد ذو ولَدَهُ
رسم الكتابة بخط عربيّ (نقلًا عن كتاب دوسو)

———ooo———

صورة القلم الحميري

صور ونصب سعداوم دمدمرم

٢ً كتابة زَبَد في ثلث لغات يونانيَّة وسريانيَّة وعربيَّة

على مشهد اقيم ذكرًا لمار سرجيوس تاريخها ٨٢٣ للاسكندر ٥١٢ للمسيح

اطلب صورتها في القسم الاوَّل (الصفحة ١٠٤)

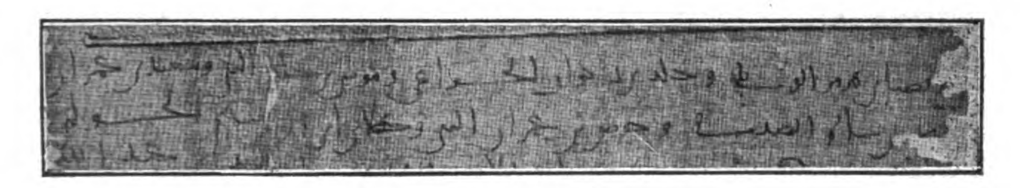
٣ً كتابة عربيَّة يونانيَّة وُجدت في حرَّان من اعمال حوران

تاريخها سنة ٤٦٣ لبُصرى و٥٦٨ للمسيح

ΑϹΑΡΑΗΛΟϹΤΑΛΕΜΟΥ
ΦΥΛΑΡΧϹΕΚΤΙϹΕΝΤΟΜΑΡΤΥ
ΤΟΥΑΓΙΟΥΙΩΑΝΝΟΥΙΝΔϹΑΤΟΥΕΤΟΥϹΥΞΓ ΜΝΗϹΘΙΕΟΓΡΑΨΑϹ +

+ انا شرحيل بر ظلمو بنيت ذا المرطول
سنت ٤٦٣ بعد مفسد خيبر بعم

٤ً مثال خطّ عربي نسخيّ على البرديّ تاريخهُ السنة ٢٤ للهجرة (٦٤٦ م)



٥ً قطعة من سورة البقرة عن رقّ من القرن الثالث للهجرة في مكتبتنا الشرقية



ودونك رسمها بالحرف الاسطرنجليّ للمقابلة بين الخطَّين

ܘܟܨܝܒ ܡܢ ܐܠܣܡܐ ܦܝܗ ܛܠܡܐܬ ܘܪܥܕ ܘܒܪܩ

وكصيِّب من السماء فيهِ ظلمات ورعد وبرق

ܝܓܥܠܘܢ ܐܨܒܥܗܡ ܦܝ ܐܕܐܢܗܡ ܡܢ ܐܠܨܘܐܥܩ

يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق

ܚܕܪ ܐܠܡܘܬ ܘܐܠܠܗ ܡܚܝܛ ܒܐܠܟܦܪܝܢ ܘܝܟܐܕ ܐܠܒܪܩ...

حذر الموت والله محيط بالكفرين (كذا) ويكاد البرق ...

كانت لغتها فصيحةً كلغتنا او بالاحرى كانت لهجةً خاصّة لتلك القبائل ? أَننا نجهل كلّ ذلك

فلكي نستطيع ان نبني كلامنا على اساسٍ متين لا بُدَّ ان نتقرَّب الى زماننا بزهاء مائتي سنة اعني الى اوائل القرن السادس للمسيح فان الشعر العربي الموزون ذا الابجر المتعدّدة والايقاع الثابت لا تُرى آثارهُ قبل ذلك

ويؤيد قولنا اتّفاق كتبة العرب الاقدمين. قال الجاحظ في كتاب الحيوان (١ : ٢٧) : « امّا الشعر فحديث الميلاد صغير السنّ اوّل من نهج سبيلهُ وسهَّل الطرق اليهِ امرؤ القيس بن حُجْر ومهلهل بن ربيعة . . . فاذا استظهرنا الشعر وجدنا لهُ الى ان جاء الله بالاسلام خمسين ومائة عام واذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام »

وذكر السيوطي في المزهر (٢ : ٢٣٨) لعمر بن شبَّة في طبقات الشعراء قولهُ : « وهؤلاء النفر المدّعى لهم التقدُّم في الشعر متقاربون لعلّ اقدمهم لا يسبق الهجرة بمائة سنة او نحوها »

على انَّ هذا القول يصحّ في القصائد المطوَّلة ليس في الابيات القليلة التي لعلَّ بعضها يرتقى الى اواسط القرن الخامس . قال محمَّد بن سلَّام الجمحيّ في طبقات الشعراء ( ص ١٨ ) : « لم يكن لاوائل العرب من الشعر الَّا الابيات يقولها الرجل في حادثةٍ وانَّما قُصِدت القصائد وطُوِّل الشعر على عهد عبد المطّلب وهاشم بن عبد مناف »

فيبقى البحث عن تلك الابيات المفردة والقليلة فكيف اهتدى الى نظمها العرب ? هل ابتكروها دون علم سابق ? او حذوا فيها حذو غيرهم من الامم المجاورة لهم كالحبش والروم والسريان ?

قلنا انَّ الغناء غريزة في الانسان والغناء يحتاج الى بعض الوزن والايقاع فلمَّا اراد الناطقون بالعربيَّة المحضة وهي عربيَّتنا التي اخذت بالثبات في القرن الخامس للمسيح ابتدأوا بالتعبير عن عواطفهم واحساساتهم في الحبّ والتحمُّس والغضب والوصف بما يقرب من الشعر الموزون اعني بالكلام المسجَّع الذي روى منهُ الرواة الاقدمون بعض المقاطيع كان يرتجلها الكهَّان والعرّافون وبعض القوَّالين . فمن اقدم ما رووا من ذلك قول ظريفة الخير الكاهنة تنذر زوجها الملك عمرًا بسيل العرم

( المسعودي في مروج الذهب ٣ : ٣٧٩) :

« ما رأيتُ اليوم. قد ذهب عني النوم. رأيتُ غيماً أبرق. وارعد طويلًا ثم أصعق. فما وقع على شيءٍ الّا احترق. فما بعد هذا الّا الغرق». (وقالت ص ٣٨٢) : « هي داهيةٌ ركيمة. ومصيبةٌ عظيمة. بامور جسيمة . . . انَّ لي فيها الويل. ممَّا يجيءُ بهِ السَّيل . . . خطبٌ جليل . وحزن طويل. وخلفٌ قليل. وعدٌ من الله نزلْ. وباطلٌ بطَلْ . ونكالٌ بنا نكلْ. فبغيرك يا عمرو فليكن الثّكل »

فترى في هذه الاقوال اسجاعاً متتالية بينها شيءٌ من الموازنة فانتقلوا منها الى ابسط البحور وهو الرجز فلزموا التقفية كلزومهم الاسجاع في المنثور وراعَوا فيهِ عدد الاجزاء والوزن مع جوازات كثيرة. وكانت ابياتهُ قليلة . قيل انَّ من اقدم ما ورد منهُ قول دُوَيد بن زيد بن نهد حين حضرهُ الموت :

اليوم يُبْنَى لدُوَيدٍ بَيْتُهُ  لو كان للدهر بلًى أبْليتُهْ
او كان قِرْني واحداً كفيتُهْ  يا رُبَّ نهبٍ صالحٍ حويتُهْ
ورُبَّ غيلٍ حسنٍ لويتُهْ

وقول امرئ القيس اذ بلغهُ خبر قتل ابيهِ بدمُّون في نواحي اليمن :

تطاولَ الليل علينا دمُّونْ  دمُّونُ انَّا معشرٌ يمانونْ
وانّنا لقومنا محبُّونْ

ومثلهُ لكُلَيب اخي المهلهل وتروى لطرفة ارتجز بها اذ رأى قنابر تلتقط حبًّا يُنثر لها :

يا لكِ من قبَّرةٍ بمَعْمَرِ  خَلاَ لكِ الجوُّ فبيضي واصفري
قد رُفع الفخُّ فماذا تحذري  ونقّري ما شئتِ ان تنقّري
قد ذهب الصيَّادُ عنك فابْشري  لا بُدَّ يوماً ان تُصادي فاصبري

فان كان السجع والرَّجز المذكوران هما كما يظهر اصل الشعر العربيّ ترتقي آثارهما الى اوائل القرن السادس او اواخر الخامس فيجب البحث عن أمَّة مجاورة للعرب امكنهم ان يتقلَّدوها في سجعهم ورجزهم السابقين . وانّنا نرى ان تلك الأمَّة كانت الأمَّة الارامية اي الكلدان والسريان الذين كانوا منذ اواسط القرن الرابع بعد تنصُّرهم زيَّنوا كلامهم المنثور بالسَّجع والفواصل ونظموا شعرًا يقرب من اراجيز العرب. ولَّما كان الاراميُّون يستوطنون حدود العرب وكثيرًا ما امتزجوا بهم امتزاج

الماء بالراح وبنوا في جزيرتهم العدد العديد من الاديرة والمناسك حيث كان الرهبان يتغنّون بالتسابيح ويحيون لياليهم بالاناشيد الروحيّة فيسمعهم اهل البادية ويردّدون نغماتهم فتبعثهم على الاقتداء بهم كما فعلوا بعد ذلك في تجويد القرآن على ما اثبتنا سابقاً فلا نشكّ ان العرب اخذوا ايضاً عن نصارى السريان والكلدان تسجيع الكلام وموازينهُ الشعريّة البسيطة كما ترى في الاراجيز العربيّة . ولعلّ القبائل القريبة من الروم وجدت ايضاً في تلحينهم وغنائهم وشعرهم ما دفعهم الى التشبُّه بهم في آدابهم

ويؤيّد قولنا هذا ان كثيراً من القبائل العربيَّة المتنصّرة كانت تحضر ما يقيمهُ في وسطها من الرتب الدينيَّة الاساقفة والكهنة خصوصاً في جهات الشمال والشمال الغربيّ حيث توفّرت الكنائس النصرانيَّة الكلدانيَّة والسريانيَّة وفي جهات الشام شرقيّ دمشق وفي نواحي الاردن حيث انتشرت اليونانيَّة وأُقيمت الطقوس الكنسيَّة في تلك اللغة . امّا القبائل المتنقّلة فكان يرافقها اساقفة او كهنة يُدعَون باساقفة المضارب كما شرحنا ذلك كلّهُ في القسم التاريخيّ . فلا غرو ان العرب الذين كانوا يعاينون تلك المحافل الدينيَّة ويسمعون أَلحانها تأثّروا منها فاستفزّتهم قريحتهم الى ان يجروا عليها نوعاً سواء كان في غنائهم او في شعرهم

ولنا في ما رويناهُ عن سوزومان المؤرخ شاهد آخر على رأينا اذ ينسب الى بني غسّان تلك الاغاني العربيَّة التي كانوا ينشدونها بعد محاربتهم الرومان . وهو في الفصل عينهِ يذكر تنصُّرهم وفي ذلك دليل على اصل كلامهم الموزون وعلاقتهِ مع دينهم النصرانيّ سواء كانت تلك الاغاني اسجاعاً مرصوفةً او اراجيز موزونة

## ٢ في ترقّي الشعر العربي وتقصيد القصائد

كان بحر الرجز كأساس اوّل للشعر العربيّ . على انَّ تفاعيلهُ بما فيها من الجوازات الشعريَّة العديدة ما لبثت ان برزت على صور شتّى تفنّن بها الشعراء بتركيب الاسباب والاوتاد فاخرجوها على اوزان مختلفة جروا عليها بفطرتهم دون ان يدوّنوها بكتاب مكتوب فبقيت سماعيَّةً تقليديَّة الى ان قام الخليل في القرن الثاني للهجرة وامعن النظر في صورها واوزانها واستخرج اعاريضها واثبتها على قواعد صحيحة . والى ذلك اشار ابن الرشيق في العمدة ( ص ٥ ) بقولهِ في اصل الشعر العربيّ : « كان الكلام

كلّهُ منثورًا فاحتاجت العرب الى الغناء بمكارم اخلاقها . وطيب أعراقها . وذكر أيّامها الصالحة . واوطانها النازحة . وفرسانها الانجاد . وسُمحائها الأجواد . لتهزّ نفوسها الى الكرم . وتدلّ ابناءها على حسن الشيم . فتوهّموا اعاريض جعلوها موازين الكلام . فلمّا تمّ لهم وزنهُ سمّوهُ شعرًا لأنهم قد شعروا بهِ اي فطنوا لهُ »

وهنا لا نتردَّد في القول بانَّ الذين قاموا بذلك فوضعوا هذه الاوزان انَّما كانوا من العرب المتنصّرين من قبائل غلبت عليها النصرانيَّة بشهادة قدماء المؤرخين لاسيما المسلمين كقبائل ربيعة التي منها بكر وتغلب ويشكر وحنيفة وكقبائل قضاعة ومنها كلب وتنوخ وكقبائل اليمن ومنها كندة ولخم وغسَّان وبعض قبائل قيس كذبيان وعبس . نُحيل القرَّاء لاثبات نصرانيَّتهم الى قسمنا الاوَّل في تاريخ النصرانيَّة في عهد الجاهليَّة

وعلى رأينا انَّ شعراء الجاهليَّة الاوَّلين اذ اكتحلوا بنور النصرانيَّة واحتكُّوا باهلها من الامم المجاورة كالسريان واليونان والحبش ودخلوا على ملوكها العرب الغساسنة والمناذرة وبني الحارث وكان تمدّن اليونان والروم والفرس غلب عليهم تأدَّبوا بآدابهم وجارَوْا اولئك الطوائف في بلاغتهم وتأنَّقوا بالنظم على مثالهم

وساعد الشعراءَ في تقصيد قصائدهم ما جرى في القرن السادس للمسيح من الوقائع والحروب التي اشتهر فيها العرب سواءٌ كانت تلك الحروب اهليَّة بين القبائل كحرب البسوس او جرت لهم مع الاجانب كحرب ذي قار بين العرب والفرس . فانَّ الشعراء وجدوا فيها ما استفزَّ قريحتهم وهيَّج احساساتهم فوصفوها بقصائدهم وللنصارى منهم فيها حظّ وفيّ كما سترى (لهُ صلة)

---

# الانتحار

## بنسبة مقالة حديثة في فتى الارز

للاب لويس شيخو اليسوعي

الانتحار ! وما ادراك ما الانتحار ! خَطْبٌ مُريع بل شرٌّ شنيع واثمٌ فظيع كاد

شرقنا العزيز يجهلهُ الى القرن السابق فسرى الينا بدخول التمدُّن العصري او قل بالاحرى بفشوّ الهمجيَّة الحديثة . فكان لاوَّل ظهورهِ في اوطاننا صدى اشمئزاز وتأفُّف حسبناهُ الضربة القاضية عليهِ

ولكن لسوءَ الحظّ ما كان ذلك الشرّ الَّا لاطئاً كنار تحت الرماد والى الآن يذكر العموم بعض الحوادث المؤلمة وان قليلةً التي جرت في ظهرانينا

على انَّنا ما كنَّا لنسمع اذا بلغنا خبر بعض المنتحرين انَّ احد الكتبة يتجاسر ان يثني عليهِ لفعلهِ هذا السيّئ ويصوّر الانتحار في جريدة عموميَّة كمأثرة حميدة او كفعل شهامة . وها نحن الآن قد رأينا صحيفة أتت بمثل هذه القباحة

*

روت الجرائد انَّ الدكتور جان غرينبرغ الموسوي اصابتهُ رصاصة وهو يجرّب سلاحاً فجُرح جرحاً بليغاً ما لبث ان أودى بحياتهِ بعد بضعة ايَّام . هذا ما شاع واثبتوهُ بكون الجريح استدعى جرَّاحاً شهيرًا لمعالجتهِ . على انَّ جريدة حديثة العهد تُدعى بفتى الارز خالفت تلك الاشاعة وادَّعت بان الدكتور انتحر وقتل نفسهُ عمدًا

وما كنَّا لنتداخل في الامر لنفيهِ او لاثباتهِ وكان الاحرى بجريدة فتى الارز ان تقتصر على الخبر كبقيَّة الجرائد ولكن لم تكتفِ بمخالفة الصحف الوطنيَّة ومدح القتيل حتَّى تعرَّضت لقضيَّةٍ تُعَدّ في عالم الدين والدنيا من اعظم القضايا شأناً . ففي صدر عددها السادس في ١٧ ايلول الاخير بعد روايتها الخبر اخذت تُطنب في فعل الانتحار الاثيم وتنعت المنتحر المزعوم «بالشهيد الحي بعواطفهِ العظيم باخلاصهِ الكبير بعملهِ الابيّ بنفسهِ» الى ان فاهت بهذا المبدأ القبيح: «كذب المتفلسفون بقولهم انَّ الانتحار جبن واثم وجناية على الهيئة الاجتماعيَّة»

فأخذنا الاندهاش لدى قراءة هذه الاحرف وحسبنا انَّنا خُدعنا ببصرنا وعدنا الى تلك الاسطر لنستثبت صحَّتها فاذا هي كما قرأناها بل اضاف اليها الكاتب ما يؤيّدها ويزيد في شناعتها وهو على ما يُقال فتًى كاثوليكي مارونيّ ! !

ومن ثمّ ينبغي علينا ذَودًا عن حياض الدين وصوناً لحرمة الآداب ان نفند هذا القول فلا يعود الى مثلهِ كاتب وطنيّ فنقول : ان الانتحار جنايةٌ كبيرة يتَّفق في تأثيمها معاً العقل والدين والهيئة الاجتماعيَّة وخير الانسان

ولا بدَّ قبل اثباتنا لقضيّتنا من تقديم بعض المقدّمات ليتّضح فكرنا للقرّاء فنقول :

( اوّلًا ) نريد بالانتحار قتل الانسان نفسهُ عمدًا لينجو بموتهِ من مصيبةٍ لا يحسن الصبر عليها . فبقولنا « عمدًا » نستثني المنتحرين بباعث الجنون وشرود العقل

( ثانياً ) لا يحلّ للانسان ان يأتي عملًا ينوي بهِ تلف حياتهِ ولو عَرَضاً

( ثالثاً ) لا يدخل في باب الانتحار الإقدام على الموت امّا لخيرٍ عمومي كما في الحرب وامّا لخدمة القريب كخدمة المطعونين وامّا تأييدًا للدين كوقوف الشهداء بازاء المضطهدين اثباتاً لايمانهم

## ١ الانتحار بازاء العقل

معلوم انَّ الله كتب في الانسان شريعةً ندعوها بالشريعة الطبيعيَّة يقف عليها العقل السليم لاوَّل وهلة . واوَّل ما يثبتهُ العقل الصائب انَّ الانسان مخلوق وانَّ لهُ سيّدًا حياتُهُ في يدهِ فكما انهُ اعطاهُ الحياة كذلك لهُ الحكم فيها فيفصم حبلها اين ومتى وكيفما شاء . فاذا تطاول الانسان على نفسهِ بالانتحار استبدّ بأمر نفسهِ وحرم الله بعض حقوقهِ المقدَّسة

وقد بيَّن تعالى حكمهُ على حياتنا بما طبعهُ في قلب الانسان من الكراهية من الموت فيفضِّل الحياة على كلّ الخيرات ويرى بقيَّة الشرور كالحبس المؤبَّد والاعمال الشاقَّة دون الموت شرًّا

ثمَّ انَّ العقل يرشد الانسان الى الدفاع عن نفسهِ بازاء ظالمٍ يحاول اغتصابها فيجوز لك للمحاماة عن حياتك ان تصونها بالوسائط اللازمة حتَّى اذا اقتضى صونُها قتلَ من يهجم عليك جورًا لا بأس من ذلك والشرائع البشريَّة نفسها تبيح لك بهِ . وما ذلك الّا لأنَّ الناموس الطبيعيّ يبيح دفع القوَّة بالقوَّة ويثبت كون الحياة عطيَّة من الخالق الذي يأمر بحفظها فكم بالحري يحظر على الانسان ان يتلفها بيدهِ

## ٢ الانتحار بازاء الدين

انَّ الاديان على اختلاف نزعاتها تقضي على الانسان بصيانة حياتهِ وتؤثّمهُ اذا

عمد الى تلفها ٠فهذه الشريعة الموسوية المدونة في الاسفار المقدسة تصرح بذلك فان وصيته تعالى الخامسة « لا تقتل » تعم كل قتل يحاوله الانسان بسلطان نفسه سواء كان قتل ذاته او قتل قريبه ٠وقد كان الله في سفر التكوين سبق وبين ذلك اولاً بتقريعه لقاين بعد قتله اخاه هابيل (تك ٤ : ١٠ ) ثم بتكراره لنوح بعد الطوفان حيث قال (٩ : ٦٥) : « ايّ انسان قتل اخاه اطلب نفس الانسان ٠ان يك سافك دم الانسان الانسانَ فدمُهُ يُسفك لأنهُ بصورة الله صُنع الانسان» فمن هذا يستفاد انَّ اثم سافك الدم هو واحد سواء سفك دم نفسه او دم قريبه لأنَّ كليهما صُنع على صورة الله ٠ وهو القائل عزَّ وجلَّ (تثنية ٣٢ : ٣٩) : « انا أميت وانا احيي» ٠ وقال ايضاً (حكمة ١٦ : ١٣) : « انَّ لك سلطان الحياة والموت ٠٠٠ امَّا الانسان فيقتل بخبثه لكنَّهُ لا يعيد الروح الذي قد خرج ولا يسترجع النفس المقبوضة » فكلّ هذه الآيات الكريمة لا تدع ريباً في تحظيره تعالى الانتحار على الانسان كقتله لقريبه

وقد جرت الكنيسة على موجب هذه التعاليم فانَّها بمجامعها ورسائل احبارها وكتابات علمائها لم تزل تستقبح الانتحار وتعدُّهُ من اعظم الجنايات ٠وتحرم المنتحرين من الدفن الديني ولا تسمح بان يُقبَروا في ارض مقدَّسة ما لم يعيشوا مدَّةً بعد محاولتهم قتل نفسهم فيتوبوا او ثبت بعد الفحص ان نوعاً من الجنون شوَّش عقلهم ففعلوا دون معرفة تامَّة او ارادة ثابتة ٠امَّا اذا عاش طالبو الانتحار بعد سعيهم به عمداً فان الكنيسة لا تسمح لهم بالانتظام في سلك الاكليروس

وليست النصرانيَّة وحدها قد رذلت الانتحار بل غيرها من الاديان ايضاً كالاسلام واليهوديَّة والاديان الوثنيَّة نفسها ٠فامَّا الاسلام فانَّ لصاحب شريعته حديثاً رواهُ البخاري وغيرُهُ من رواة الحديث وهو قولهُ : « كلُّ من يقتل نفسهُ يعذَّب في نار جهنَّم » وقولهُ : « من يقتل نفسهُ يُنفَ من الجنَّة الى الابد» وروى ابو داود انَّ نبيّ الاسلام نهى عن دفن قاتل نفسه بالصلاة عليه (١ ٠امَّا اليهود فرأيتَ ما ترويه التوراة في اسفارها الالهيَّة ٠كذلك الامم الوثنيَّة كاليونان والرومان وبعض الشعوب البرابرة كانوا يستقبحون الانتحار يدلُّ على رأيهم كبار فلاسفتهم كفيثاغورس وسقراط وشيشرون فانَّهم يعدُّون الانتحار كجناية في حق عناية الآلهة ويجعلون في الجحيم

١) اطلب **Hughes :** Dictionary of Islam, *art.* Suicide

مكاناً خاصاً للتنكيل بهم · امّا الذين سمحوا بهِ منهم فكانوا من الملاحدة الذين ينكرون الخالق وعنايتهُ ويقولون بمذهب الماديّين

## ٣ الانتحار بازاء الهيئة الاجتماعية

خُلق الانسان ليعيش مع بني جنسهِ في المجتمع البشريّ فهو عضوٌ من اعضاء ذلك الجسد الادبيّ المنتشر على وجه الارض وقد جعل الله لكل فردٍ من افراد هذا المجموع وظيفةً يقوم بها فيخدم ذاك المجموع كما هم يخدمونهُ · فاذا اخلَّ الفرد بوظيفتهِ من تلقاء نفسهِ اساء الى الجماعة اذ حرمها احد اعضائها العاملين لخيرها وكفر بجميلها بعد ما نالهُ من فضلها وهي قامت في خدمتهِ بالمربى والمعاش والسكن والدفاع عنهُ الخ

وقد جاء في سفر ايُّوب (٧ : ١) انَّ حياة الانسان جهاد على الارض وكلّ انسان احدُ المجاهدين في ساحتها فكما يُقضى على الفراريّ بالخيانة لوطنهِ كذلك المنتحر يخون المجتمع البشري بفرارهِ من ساحة الجهاد العامّ وتصرُّفهِ بنفسهِ دون رخصة مليكهِ الذي هو الله وقد ائتمنهُ على حياتهِ ليبذلها في منفعة العموم فاضاع الأَمانة

ولا يقولنَّ احد انَّ رجلًا تعيساً بائساً هو عبءٌ ثقيل على الهيئة الاجتماعيَّة فموتهُ افضل من حياتهِ · نجيب على ذلك : كلَّا ليس البائسون والاشقياء وذوو العاهات في هذا العالم شرًّا للهيئة الاجتماعيَّة فانَّهم بصبرهم وبفضائلهم نعم القدوة للمجتمع البشري الذي ينتفع بالفضيلة والآداب الحسنة اكثر ممَّا ينتفع بالصنائع كما انَّ الرهبانيَات التي يقضي رجالها ونساؤها حياتهم في الصلاة والتقشُّفات يخدمون الجمعية الانسانيَّة افضل الخدم ويشرّفونها بترقيتها عن الهيوليَّات والامور الماديَّة الخسيسة وتوجيه نظرها الى العالم الادبي والروحي الذي يجب ان تسعى اليهِ الهيئة الاجتماعيَّة

وممَّا يدخل في هذا الباب ان للمنتحر غالباً اهلًا واقرباء كوالدَين واولاد وزوجة وغيرهم يكونون في حاجة الى خدمتهِ · افليس ظلماً فظيعاً ان يحرمهم عملهُ ويعرّض بهم الى الفاقة والبؤس ان لم نقل الى اليأس والقنوط فضلًا عمَّا يلزمهم من العار والخجل لموت احد اقربائهم الادنين موتاً شنيعاً كهذا

## ٤ الانتحار بإزاء نفس المنتحر

ان كان العقل والدين والهيئة الاجتماعيَة تتفق على تقبيح الانتحار فليس صالح المنتحَر باقلّ منافاةً لهذه الجناية وذلك لأنَّ بين المبادئ الفلسفيَة الراهنة التي تُعَدُّ من الاوَّليات في تآليف الفلاسفة كارسطاطاليس وغيره «انَّ اوَّل محبَّة الانسان هي لنفسهِ» ليصونها ويرعاها ويطلب لها كلَّ خير ينطبق مع صلاحها . وكلّ يرى انَّ الانتحار على طرف نقيض من هـذا المبدأ المعقول . فايُّ شرّ يا ترى اعظم من ان يتلف الانسان نفسهُ ويفقدها الحياة اكبر خيراتها . وهذا يُفحم ذات الذين ينكرون وجود الله وخلود النفس

وفي المبدأ الانجيلي « أحبب قريبك كنفسك » اثباتٌ لهـذا المبدأ الفلسفيّ . كأنَّ الرب يقول : كما انَّ الانسان يريد بالطبع الخير لنفسهِ ولا يتلفها ولا يضرُّها كذلك يجب ان يعامل قريبهُ بموجب هذا الناموس

والانسان المؤمن بوجود الله وخلود النفس برهان آخر يصدُّهُ عن الانتحار . انَّ الله خلق الانسان لمجدهِ بان يسبّحهُ تعالى ويمجّدهُ ويخدمهُ فينال بعبادتهِ هذه وخلوص خدمتهِ السعـادة الابديَّة . فكيف يا ترى يقوم المنتحر بهـذه الخدمة افليس هو بالحري كالعبد الشرّير الذي لا يرضى باتمام اوامر سيّدهِ فيقضي عليهِ سيّدهُ بما استحقهُ من العقاب ؟

وبهذا يسقط ايضاً مدَّعى المدافعين عن الانتحـار بانَّ بعض شرور هذا العالم لا تُطاق فيستخفُّ الانسان الموت على احتمالها . وهو قول يفوه بهِ الجهَّال لا العقلاء . فمـا هي يا تُرى شرور الدنيا وبلاياها كلها مهما كانت فظيعـةً بالنسبة الى سقوط النفس بين يدي الاله الحيّ والديَّان العادل الذي يعاقب بعذابات ابديَّة يفوق اخفُّها على كل ما يُعرَف في عالمنا من الاوجاع والآلام ولاسيما اذ لا يبقى للمنتحر وقت للتوبة . أفلا يصحُّ في هؤلاء العميان قول العامَّة : « هرب من الدلفة وقع تحت الميزاب »

أمَّا قول بعض المتفـلسفين والكتبة المحدثين الذين جعلوا الانتحـار في بعض الظروف شهامةً وفعلاً محموداً كما فعل فتى الارز فليس هو سوى لغط وشقشقة لسان بلا معنى او بالحري هو كلام فاقدي الشعور أئمةٍ يموّهون الحقيقة على البسطاء ويضعون في طريقهم حجر عثرةٍ فيشككونهم والويل لمن تأتي على يدهِ الشكوك

# مطبوعات شرقيَّة جديدة

La Syrie : Précis historique par le P. **H.Lammens.** 1er *vol., Beyrouth. Impr. Catholique, in*-12, *pp. IX*-279. 1921. *Prix relié* 7 *f*rs.

سوريَّة : خلاصة تاريخيَّة

كانت مدارسنا منذ امد مديد في حاجة ماسَّة الى تاريخ مدرسيّ لسوريَّة ·لأن كلّ ما ظهر من ذلك سابقاً لا يفي بالغاية المطلوبة سواء كان بالعربيَّة او باللغات الاجنبيَّة · وها قد سدَّ حضرة الاب ه· لامنس تلك الثلمة بوضعهِ هذا الكتاب النفيس الذي يستحقُّ وحدهُ ان يُجعل في ايدي الدارسين لاشتمالهِ على كلّ الصفات التي يستحبُّها طلبة المدارس من وفرة الموادّ وبلاغة الانشاء وحسن التنسيق والتدقيق في الزوايات · وهذا الجزء الاوَّل يتناول تاريخ سوريَّة منذ الفتح العربيّ الى آخر تاريخ الصليبيين · وقد قدَّم عليهِ المؤلف نظرًا عموميًّا في تاريخ سوريَّة القديم وتعريف حدودها وميزاتها وعناصرها المختلفة وألحقهُ بفصل خاصّ بجزيرة العرب واحوالها وظهور صاحب الدعوة الاسلاميَّة فيها قبل فتح الشام وملك بني اميَّة ·وفي الكتاب ما عدا التاريخ الاسلاميّ والصليبيّ عدَّة ابواب في تعريف احوال سوريَّة الدينيَّة والادبيَّة والفنيَّة والاقتصاديَّة كما يشتهيها القرَّاء وقلَّما يجدها الطالب في الكتب المنشورة سابقاً · فنثني على همَّة حضرة الاب لامنس ونشكرهُ على هذه الخدمة الجديدة التي اداها للوطن وننتظر بفروغ الصبر الجزء الثاني من هذا الاثر الفريد متمنّين بان يُنقل الكتاب قريباً الى العربيَّة ل·ش

Le Coton en Syrie et en Cilicie. par **Ed. L. Achard,** Beyrouth, Impr. du Haut Commissariat, in-4, pp. 128

القطن في سوريَّة وقيليقية

هذا درس مستوفًى في احوال القطن وزراعتهِ ومحصولاتهِ في جهات سوريَّة وانحاء قيليقية كتبهُ احد الاختصاصيين المسيو ادوار أشار وقدَّمهُ لغرفة التجارة في مرسيلية · ضمَّنهُ المؤلف كلّ المعلومات التي استفادها في بعثتهِ الاخيرة الى هذه البلاد بمراقبتهِ الخاصَّة ومفاوضاتهِ لارباب الزراعة · فجاء كتابهُ جامعاً مانعاً لا يطلب فيهِ القارئ

مبحثاً الّا وجدهُ بخصوص سائر الافادات المنوطة بالقطن كتربتهِ وانواعهِ وتنميتهِ وكمّياتهِ ولوازمهِ. واستطرد المؤلف هناك الى مزروعات أُخَر كثيرة يستطيع الوطنيّون ان يُعنَوا بها ويحسّنوها فيوفّروا غلّاتها. فنحثّ كلّ الملّاكين ان يمعنوا النظر في هذا التأليف البديع فيفتح لهم ابواباً جديدة للثروة ل. ش

**A. F. Breedenbeek :** Die Betriebsfreiheit im Versicherungswesen, im Handel, Schiffahrt und Industrie . *in*-8$^{vo}$ , *pp.* 191*; Amsterdam, Librairie Internationale « Messis »*

حرّية التجارة في مشاريع التأمين والمبايعات والتجارة البحريّة والصناعة

قد ظهر في هذه السنين الاخيرة بطلان مبادئ حزب الاشتراكيين الذين يسعون في جمع الاملاك والثروة العموميّة ليقسموها بين الناس . بيد انّ اراءهم هذه لا تزال معشّشة في رؤوس كثيرين من العموم . وليس اقلّ خطراً منها الاشتراكيّة الدوليّة التي تدفع الحكومات الى احتكار الاعمال والمشاريع والصنائع لتصبح في ايديها كوسيلة لتأييد سيطرتها على الشعب . وهذا ما يثبتهُ بريد نبك مؤلف الكتاب المعنون آنفاً فيثبت ان هذا الاحتكار سيّئ العقبى كثير الاخطار على الدولة . وقد استطرد المؤلف ليبدي رأيهُ في جمعيّة الامم التي تشكّلت بعد الحرب وما كان يُنتظَر منها لخير الدول وكيف تقلّبت حتّى اصبحت كريشة يتلاعب بها الهواء ما لم ترجع الى المبادئ الاصليّة المؤسسة على قواعد الآداب الثابتة اعني قواعد الديانة النصرانيّة الالهيّة ولذلك يأسف على عدم انتداب الحبر الاعظم اليها ليرسل من يمثّلهُ فيها اذ ليس اجدرَ من الحبر الروماني لتأليف القلوب وفكّ المشاكل الدوليّة الابي . ديلنسيغر

Une mission d'études sur la **Lavande** et son industrie dans le Sud-Est de la France, *in*-8$^{e}$, *Vigot Frères, Paris, Prix*, 8/$^{rs}$, 1921 = Les Simples et leur Cueillette dans la régèon **de Tarare,** *Brochure, in*-8*, L. Declume, Lons-le-Saunier,* 1920

الخزامى (اللوندا) وصناعتها في جنوبي شرقي فرنسة — اجتناء المفردات الطبيّة في معاملة ترار

قد انهضت الحرب الاخيرة همم الناس لفتح طرق جديدة للارتزاق لاسيما باجتناء محصولات الوطن والاستفادة من تربتهِ . وكان الفرنسويون قبلها يبتاعون بملايين من الفرنكات عدّة نباتات لصناعتهم من النمسة والمانية فوجدوا انهم يمكنهم الاستغناء

عنها باستثمارها في بلادهم . والكتابان السابق ذكرهما في اعلاهُ يصفان ما تألَّف من الشركات في فرنسة حديثاً لاستنبات كثير من النباتات الصناعيَّة كالخزامى (اللوندا) ذات المنافع العديدة في العطريّات والاستقطار والاجزائيَّات ثم النباتات الطبيَّة المعروفة عند العرب بالمفردات . ولو شاء الوطنيون لامكنهم ان يحذوا حذوهم فانَّ ارض لبنان والسواحل غاية في الاهليَّة لهذه النباتات فاذا زرعوها وجنوا ثمارها يستفيدون منها كثيرًا او يرسلونها الى فرنسة الى المكتب الدولي فيبتاعها وهذا عنوانهُ :

Paris, VII. rue de Bellechasse, 44

**Paul Vivier :** Téléoptique des orages et des tremblements de terre. 1 *brochure, in*-8; 88 *pp., Paris, Mendel*

رصد الانواء والزلازل قبل حدوثها

يدَّعي صاحب هذه الكرَّاسة ان رصد الغيوم يؤدي بمراقبيها الى الاطّلاع على حوادث سابقة كالانواء والزلازل . فيقول مثلًا انَّ راصد الغيوم في باريس اذا قابلها بمثالها في اميركة يستدلُّ على وقوع كارثةٍ في يابان . وبياناً لذلك قد جمع المؤلف عدَّة ملحوظات مختلفة المصادر يستند اليها لاثبات زعمهِ . على انَّنا لم نجد فيها ما يكفي للاقناع مع ما اودع في كتابهِ من الادلَّة على سعة معارفهِ . وعلى كلّ حال ننتظر حكم العلماء الموثوق بهم لتأييد رأيهِ او لنبذهِ الاب ب . برلوتي

**Général Sarrail :** Mon Commandement en Orient (1916-1918). *Paris, E. Flammarion, rue Racine*. 26, *Prix*. 7fs, 75, 1920

الجنرال سرَّاي : قيادتي في الشرق من ١٩١٦ الى ١٩١٨

كلٌّ يعرف ما تراكم من الشكايات في حقّ الجنرال سرَّاي وتصرُّفهِ في السنتين اللتين قضاهما كقائد الجيش الفرنساوي في حملتهِ على الشرق . فحاول الدفاع عن نفسهِ في هذا الكتاب ليبيّن ما لقيهُ في طريقهِ من العوائق التي غلَّلت يديهِ وحالت دونهُ ودون الفوز المأمول من جيشهِ في مقدونية . فتراهُ يتشكَّى ويتجنَّى من معظم رؤسائهِ الذين على زعمهِ كانوا يعاكسونهُ ويسيئون فيهِ الظنّ . واغرب من ذلك انَّهُ يرمي بسهام الملامة رجالًا اجمع الرأي العام على إطراء سموّ عقلهم وحسن سياستهم وشهامة اخلاقهم . وخلاصة القول لا نظنّ انّ هذا الكتاب يزكّي صاحبهُ ويبخس حقّ الذين حاول انتقادهم الاب ب . كسنتاكيس

**D^r. René Aragon :** Mon Voyage au Bestland , *in*-12 , *pp* . 155
*Paris, Jouve,* 1920

سفري الى بِسْتْلَنْد

بِسْتْلند بلادٌ وهميَّة معناها بالانكليزيَّة «افضل البلاد». فانَّ الكاتب ابتكر طريقةً شائقة لينتقد الامور الاهليَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة الجارية في البلاد الاوربيَّة حاضرًا. فانَّهُ تخيَّل دولةً جامعة فيها كلَّ كالات الحضارة العصريَّة دون شيءٍ من نقائصها جعلَهــا في بعض اطراف الارض المجهولــة فيرحل اليهــا ويتجوَّل في كلّ انحائها ويصف خواصّها ويقابل مزاياها الطيبة واسباب رقيّها الكامل بما يعهدهُ من الخلل في الحواضر الاوربيَّة. وكذلك يفاوض اهل تلــك البلاد ويدرس طبــاعهم وعاداتهم فيجد فيهم من المحاسن والمدارك السامية ما يكاد يبغّض اليهِ تمدُّن بلادهِ الموهوم. وعلى هذا المنوال يستلفت نظر ارباب الامر الى اصــلاح كثير من الاحوال المخلَّة الشائعة في بلادهم والى تحوير عدَّة شرائع ضررُها اعظم من منفعتها. فنحرّض القرَّاء على مطالعة هذا الكتاب الظريف ليقفوا بهِ على ما يحتاج اليهِ التمدُّن العصري ليبلغ كمالهُ ل. ش

**Bertrand Russell:** La pratique et la théorie du Bolchévisme, *traduit par* **André Pierre,** *in*-16, 1921, *pp.* 217, *éditions de la Sirène*7
**Etienne Antonelli:** LA RUSSIE BOLCHEVISTE, Paris, B. Grasset,in-12, pp. 278, 1919, Prix 8^fr, 50

البلشفيَّة العمليَّة النظريَّة – روسيَّة البولشفيَّة

قد مرَّ لنا في المشرق (١٨ [١٩٢٠] : ٤٧) فصلٌ مطوَّل في تعريف البلشفيَّة واصلها ومبادئها الوخيمة واعمالها المستقبحة. وكلُّ ما بلغنا عنهــا مذ ذاك الحين عن المصادر الثقة زادنا كراهيةً لها وانفةً من مآتمها. وها قد اتانا في تلك النحلة كتابان مختلفان: احدهما للانكليزي برتران روسّل الاشتراكي الــذي يسعى في الدفاع عن البلشفيَّة وتعليمها وان اقرَّ بسوء تدبيرها ومظالمها وكفى باقرارهِ دليلًا عــلى خبث الشجرة التي تُعرَف من ثمارها. امَّا الكتــاب الآخر فهو لرجلٍ خالٍ من كلّ غرض صائب الفكر عالم بدقائق الامور واسبابها وعواقبها اسمهُ اتيان انطونلي ألَّف كتابهُ سنة ١٩١٩ ووصف البلشفيَّة احسن وصف وتتبَّع تعاليمها واعمالها في كلّ دوائرها

السياسيَّة الداخليَّة والخارجيَّة واثبت اقوالهُ بقرارات رسميَّة لا يُرتاب في صحّتها فراج الكتاب وطُبع وبلغ في سنة ظهورهِ سبع طبعات فنوصي بهِ من يريد الوقوف على حقيقة الامور التي قلبت روسيَّة ظهرًا لبطن وجعلتها طعمةً للفوضى ل. ش

PROTOCOLS DES SAGES DE SION traduits du Russe et précédés d'une Introduction par **Roger Lambelin,** *Paris, B. Grasset, in*-12, 1921, *pp.LXXV*-153

قرارات حكماء صهيون

هذا كتاب نشرهُ اليهود سرًّا باللغة الروسيَّة سنة ١٩١٢ فوقف عليهِ احد الادباء المسيو روجه لَمبلان فنقلهُ الى الافرنسيَّة وقدَّم عليهِ مقدَّمةً مطوَّلة ليبيِّن صحَّتهُ فيثبتها بوصف طبعتهِ الاصليَّة ورَسْم تصاوير غلافهِ الغريبة. امَّا محتواهُ فقرارات دوَّنها «حكماء صهيون» اي ارباب اليهود وزعماؤهم في ٢٤ فصلًا اودعوها طرائقهم الجهنَّمية ليبلغوا الى السيطرة على العالم باسرهِ بكل وسائل الخداع والمكر واحتكار ماليَّة الدول وإثارة المشاغب والفتن الى ان يُصبح اسرائيل سيّد العالم. وقد تمَّ لهم قسمٌ كبير من افكارهم القبيحة بمناصرة البلشفيَّة التي في ايدي اليهود لُحمتها وسداها. فمن لهُ اذنان سامعتان فليسمع او يتأمَّل مضامين هذا الكتاب ل. ش

## كتاب الحساب بقلم ابرهيم صادر

الكتاب الاوَّل. طُبع في بيروت في المطبعة العلميَّة سنة ١٩٢١ (ص ٧٢)

نشر مؤلف هذا الكتاب سابقاً ثلثة كتب في مبادئ الحساب: ترويض الالباب في علم الحساب وهديَّة الاحباب وزبدة الفوائد في الاربع قواعد وهذا كتاب رابع الفهُ آخرًا لطلبة المدارس وقد اهتمَّ فيه غاية جهدهِ ليخرجهُ على طريقة عمليَّة سهلة المنال تقرّب فوائدهُ من احدثهم سنًّا واقلّهم ادراكاً. وزاد نفعهُ بما اودعهُ فيهِ من الاعمال الحسابيَّة والتمارين المتعدّدة ل. ش

## الموجز المغيث في علم المواريث

بقلم فيليب عزيز المحامي لدى المحاكم الاهليَّة والمختلطة

طبع في مصر في المطبعة اليوسفيَّة سنة ١٩٢١ (ص ٧٦)

يعلم دارسو الفقه الاسلامي كم يحتوي علم المواريث من المشاكل التي يستعصي

حلّها على نفس المتضلّعين بهذا الفنّ فهذا الموجز بوضوح عبارتهِ وحسن تقسيمهِ وشمولهِ لاصول المذهب الحنفي مع ذكر اوجه الخلاف ما بينهُ وبين المذاهب الاسلاميَّة الاخرى المالكي والشافعي والحنبلي يوفّر على دارسيهِ وقتاً طويلاً وابحاثاً مملّة لاسيما انه متقن الطبع على ورق صفيق

## التربية في العائلة : زلّات الوالدَين

للمسيوفيلكس توما عرَّبهُ وديع افندي رشيد شهاب

طُبع في بيروت في مطبعة طبَّارة سنة ١٩٢١ صفحاتهُ د + ٢١٩

قال احد كبار الرجال « انَّ فنَّ الفنون سياسة النفوس » وهو قول يصحُّ قبل كلّ في تربية الاحداث رجال الغد. ومن ثمَّ نشكر معرِّب هذا الكتاب البديع في التربية العائليَّة وكشف زلّات الوالدين في هذا الفنّ الجليل . والحقّ يقال ان صاحب هذا التأليف قد أعرب عن نظر دقيق ودرس عميق لهـذا المطلب المهمّ فهو يستقري كلّ اطوار حياة الولد ويميط الستار عن زلّات الوالدين في تلك الاطوار ويرشدهمـا الى الصواب ليقومـا باقدس واجباتهما نحو فلذة اكبادهما سواء كان في زمن وجود الولد في البيت او في المدرسة لتربيتهِ البدنيَّة وتهذيب اخلاقهِ وعقلهِ وصيانتهِ من كل اسباب الرذيلة مع الاعتناء في ارشادهِ للحياة الاجتماعيَّة . على انَّنا مع استحساننـا للكتاب اجمالًا لا نشير على الجميع بمطالعتهِ لما فيهِ من وصف امور يصدق وقوعهـا في اوربَّة ولا توافق احوال بلادنا او تُصبح حجر عثرة لمن يُسيء فهمها لاسيَّما بعض اقوالهِ في الاديان التي يعتبرها كلها متساويةً في صحَّتها وضلالها ل. ش

## هدايا ارسلت الى المجلة

١ً رسالة للقديس يوحنَّا فم الذهب وجَّهها الى ثاودورس ليردَّهُ الى دعوتهِ بعد جحودهِ الرهبانيَّة وهي التي نشرها سابقًا في المشرق حضرة الخوري لاونديوس كلزي ( ص ١٤ )

٢ً حفلة تكريم ميرزا بك بمناسبة تعيينهِ مديرًا لماليَّة لبنان الكبير سنة ١٩٢١ . طُبع في مطبعة المعارف (ص ٢٩)

٣ً كتاب الحميريين . اثر قديم في رواية شهداء نجران بالسريانيَّة

**Axel Maberg :** The Book of the Himyarites . A hitherto unknown Syriak Work on the Himyaritic Martyrs. *pp* . 10, *Extrait dn Bulletin de la Société des Lettres de Lund* 1920-1921

# شذرات

﴿ القلب الجريح فوق الضريح ﴾ كان لوفاة الاب بطرس فضول المرسل اللبناني المتوفى في اميركة رنّة حزن في قلوب كلّ معارفهِ لما شاع من فضلهِ وتُقاهُ فرثاهُ كثيرون منهم حبيب افندي عوّاد خرّيج المدرسة المارونيّة في رومية وتلميذ الاب المرحوم فقال من قصيدة بالعنوان السابق:

تقيٌّ رشفنا من مَعين اتّضاعهِ ويا حبَّذا رشفاً يُزيل أسانا
سقانا التُّقى والفضل من مزن طهرهِ ومن شرّ ابليسَ الرجيم وقانا
حدانا اليهِ اللهُ يوماً وقلبنا ذليلٌ فامسى في المصاب عزانا
وكان كأمّ في محبة طفلها وكان ابا يحنو علينا حنانا
ففي كلّ قلبٍ قد بنى صرحَ حبّهِ فعاد لهُ قلب الجميع مكانا
ربينا وعشنا في رضاهُ ورشدهِ وكلٌّ غدا في حبّهِ يتفانى

الى ان قال خاتمًا ومؤرخًا سنة وفاتهِ ١٩٢٠ :

فطوباك يا من في النعيم مقامهُ وفي حضن ابراهيم حزتَ امانا
ألا فاشفعنْ فينا ورقّ لحالنا وكن يا أبانا في الكروب مُنانا
يحنّ فؤادي آرخاً نشر مدحهِ الى دار خلدٍ كي نراك عيانا

﴿ التصوير في الاسلام ﴾ ممّا يُثبت انّ الاسلام لم يأنف من تصوير الصور المجسَّمة من حيوان وبشر ما رواهُ المقريزي في كتاب الخطط (٢ : ٣١٨ والطبعة الجديدة ٤ : ١٢٠) عن جامع القرافة في مصر حيث قال «انهُ كان فيهِ من القناطر والعقود والخلايا المزوّقة بانواع الاصباغ من صنعة البصريّين وبني المعلّم المزوّقين شيوخ الكتامي والنازوك» ثم وصف شاذِروانًا يُرى على هيئات مختلفة على حسب وقوف الناظر ناتئًا او لا نتوءَ فيهِ «من افخر الصنائع عند المزوّقين وكانت هذه القنطرة من صناعة بني المعلّم وكان الصنّاع يأتون اليها ليعملوا مثالها فما يقدرون وقد جرى مثل ذالك للقصير وابن عزيز في ايّام البازوري سيّد الوزراء الحسن بن عليّ بن عبد الرحمان وكان كثيرًا ما يحرّض بينهما ويُغري بعضهما ببعض لانهُ كان احبّ ما يُهدى اليهِ كتابٌ مصوَّر او النظر الى صورة او تزويق وكان يشتطّ في أُجرتهِ ويلحقهُ عجب في

صنعته وهو حقيق في ذلك لانهُ في عمل الصورة كابن مُقلة في الخطّ وابنُ العزيز كابن البوّاب وقد أمعن شرح ذلك في الكتاب المؤلف فيهِ وهو طبقات المصوّرين المنعوت «بضوء النبراس وأُنس الجلّاس في اخبار المزوّقين من الناس» . وكان البازوري قد احضر بمجلسهِ القصير وابن عزيز فقال ابن عزيز: انا اصوّر صورةً اذا رآهـا الناظر ظنّ انها خارجة من الحائط . فقال القصير: لكن انا اصوّرها فاذا نظرها الناظر ظنّ انّها داخلة في الحائط . فقال: هذا أعجب . فامرهما ان يصنعا ما وعدا بهِ فصوّرا صورة راقصتين في صورة حنيّتين مدهونتين متقابلتين هذه تُرى كأنها داخلة في الحائط وتلك تُرى كانها خارجة منهُ . فصوّر القصير راقصةً بثياب بيض في صورة حنيّةٍ دهنَها اسود كأنها داخلة في صورة الحنيَّة وصوَّر ابن عزيز راقصة بثيـاب حُمر في صورة حنيَة صفراء كأنها بارزة من الحنيَّة . فاستحسن البازوري ذلك وخلع عليهما ووهبهما كثيرًا من الذهب . وكان بدار النعمان بالقرافة من عمل الكتاميّ صورة يوسف عم في الجبّ وهو عريان والجبُّ كلُّهُ اسود اذا نظرهُ انسان ظنّ انّ جسمهُ باب من دهن لون الجبّ»

﴿ اصل لعب الشطرنج ﴾ الشائع بين العرب انّ واضع لعب الشطرنج هو حصّة احد حكماء الهند الذي عاش على قول المسعودي في اواخر القرن الثالث قبل المسيح في عهد الملك بلهيت خلَف دبشليم ،معاصر اسكندر ذي القرنين . وقد قرأنا مؤخرًا في احد اعداد المجلّة الاسيويَّة الفرنسويَّة التي ظهرت هذه السنة (عدد نيسان—حزيران ص ٢٧٠) ان ملك الصين المدعو «مو» كان يتلهّى في القرن العاشر قبل المسيح بلعب الشطرنج كما ورد في تاريخ اسفارهِ الذي كتبهُ احد معاصريهِ (راجع مقالة العـلّامة ليوبلد دي سوسور المنشور هناك ) (J.AS., Avril-Mai, 217-280)

﴿ الهند الانكليزيَّة في الحرب الكونيَّة ﴾ أدّى الهنود لـلانكليز في الحرب الكونيَّة خدماً عظيمة كمـا يتَّضح من القـائمة الرسميَّة الآتية . تجنَّد من الهنود ٤١٦ ، ٦٧٩ ، ١ نفرًا قُتل منهم في ساحة الحرب ٣٩٨ ،٦١ وجرح ٨٥٩ ،٧٠ وأُسر ٠٧٠ ،١١ . وقد كلَّفت الهند نفقات الحرب قريبـاً من ٠٠٠ ،٠٠٠ ،٤٠٠ جنيه تكرَّم الاهـلون بتقدمة ثلثها بصفة تبرُّعات وهدايا اختياريَّة

﴿ المرصد الفاتيكاني ﴾ قد روينا سابقاً ان علماء الفلك اتّفقوا على انشاء خارطة عظيمة للسماء وافلاكهِ ونجومهِ . وهو من ابدع المشروعات التي نوى بوضعهـا علماء

العصر وقد قسموا هذا العمل بين ثمانية عشر مرصداً فلكياً في العالم . ومن جملتها المرصد الفاتيكاني في رومية الذي يتولّى تدبيرهُ الابوان يوسف لانس الاوراتوري وجان هاغن اليسوعيّ . وها هما قد اتمَّا المجلّد الخامس من العمل الخاصّ بهما وهو اذا نجز سيبلغ عشرة مجلّدات و ٢٨٠٠ صورة شمسيَّة

﴿ مزاعم غريبة لمجلّة المقتطف ﴾ افتتح المقتطف عددهُ الاخير الصادر في سبتمبر بمقالة عنوانها «حركات الجماد» روى فيها بعض الاعمال الكيمويّة حيث تتجاذب بحركات طبيعيّة العناصرُ المختلفة لما بينها من الائتلاف فزعم الكاتب ان تلك الحركات تشبه حركات النبات وحركات الحيوان . ثمّ تطرّف الى ان قال (ص ٢١٠)

«كلَّما دقَّقنا البحث وجدنا انّ بعض افعال الجماد والنبات والحيوان متشابهة في النوع ولو اختلفت اختلافاً كبيراً جدًّا في الدرجة »

ثمّ قال : « ان المخلوقات الحيَّة وغير الحيَّة متَّصل بعضها ببعض ويظهر فيها الارتقاء من البسيط الى المركَّب . فان كانت نواميس الطبيعة قد كفت لتوليد انواعها بعضها من بعض في مدَّة ملايين السنين التي مرَّت على الارض فذلك ادلّ على قدرة واضع هذه النواميس ممَّا لو خلق كلّ نوعٍ على حدة ولاسيما انَّنا نرى التنوُّع او ما يشبههُ يجري الآن امام عيوننا بالوسائل الطبيعيَّة »

فهذا هو المبدأ الدرونيّ بعينهِ بل يُربي على مزاعم درون الذي لم يجعل «الجماد والنبات والحيوان نوعاً واحداً تختلف بالدرجة فقط» فهو الى قول هكل والماديّين اقرب منهُ الى المذهب الدرونيّ . فنحيل القرّاء لتفنيدهِ الى المقالات الشائقة التي يدوّنها حاضراً في المشرق حضرة الاب اسكندر طوران

ويعود الى هذه المزاعم الباطلة قولُ المقتطف في مكان آخر من هذا العدد (ص ٣٠٥) عن الوراثة الدرونيَّة الموهومة قال :

«كلّ الاعمال التي يعتادها الانسان مدَّة قرون كثيرة ترسخ فيهِ بالوراثة فيرضع الطفل من غير ان يعلّمهُ احد الرضاعة ويبكي ويضحك ويكذب ويخدع (كذا !) ولكنَّهُ لا يتكلَّم ولا يكتب لأن الكلام والكتابة حديثان جدًّا في تاريخ الانسان »

بُشرى لكنَّ ايتها الأمهات سيأتي يوم لم تَعُدْنَ تحتجنَ الى تلقين اطفالكنَّ الكلام بل تسمعن الصغار يحادثونكنَّ في المهد كما روى القرآن عن السيّد المسيح . ولن تحتجن الى اساتذة والى المدارس لأنَّ الوراثة تطبع فيهم منذ ولادتهم صناعة الكتابة والقراءة فطوبى لمن يعيش في تلك الأيام ليرى كلّ هذه العجائب التي يتنبأ عنها المقتطف . ونبشّر الحملان والعجول وصغار البهائم التي ترضع اليوم بالوراثة أنها

ستترقى يوماً فتبكي وتضحك وتكذب (كذا !) بالوراثة الى ان تتكلم وتكتب بالوراثة . هذه فلسفة اصحاب المقتطف بل بعض تُرَّهات ارباب التحوُّل والترقي !!!

ومثل هذا غرابةً نبذة في العدد عينهِ من المقتطف (ص ٢٩٦) «على اطلال المذهب المادّي» حيث يستغرب «تصدّي مئات من حَملة الاقلام يكفرون طائفةً قليلة جدًّا من العلماء تقول بالمادّية ورجالها من افضل الناس سيرةً (كذا)» بينما يتغاضون عن الف كبيرة وكبيرة يأتيها غيرهم . فكأن المقتطف يجعل جحود الخالق من الصغائر وهي كما لا يُخفى اكبر الكبائر وباب كل الشرور . امَّا « انَّ رجالها القليلين من افضل الناس سيرةً » فلم يقل بهِ غير المقتطف ولو اردنا تفنيدهُ لجمعنا التآليف الضخمة

وللمقتطف ايضاً هناك (ص ٢٨٨) كلام في ازياء النساء سنعود اليهِ ان شاء الله . هذا مع شكرنا لهُ عن ثنائه على طبعتنا لكتاب الكتَّاب لابن درستويه (ص٢٩٦)

❊ عماد العذراء مريم ❊ معلوم انَّ العذراء مريم كانت بريئة من الخطيئة الاصليَّة وسرَّ العماد وضعهُ السيّد المسيح لإزالة تلك الخطيئة الجدّيَّة . فما كانت إذن محتاجة الى سرّ العماد . فاذا ثبت عمادها فذلك تشبُّهاً بعموديَّة ابنها ولزيادة نعمتها فقط . وممَّن قالوا بعمادها القديس افرام وهاك تعريب ما ورد في صلاة السريان الكاثوليك الطقسيَّة في الاحد السابق عيد الميلاد كما افادنا حضرة القس يوحنَّا عزُّو السرياني . والكلام عن لسان البتول تخاطب ابنها الالهي الذي وُلد منها بالجسد وأولدها بالروح بالمعموديَّة :

« اني اختٌ من آل داوُد لأنهُ ابٌ لكلَينا . ثمَّ اني والدتكَ لاني حبلتُ بك . وخطيبتك بسبب رجائك . اني والدتكَ وصرتُ ابنتكَ من بطن الماء » (اعني ماء المعموديَّة)

وقد وجد حضرتهُ هذا الكلام في تآليف الملفان المذكور في الطبعة الرومانيَّة (ج ٢ ص ٤٢٩) بما هو اجلى واوضح واوسع وهذا تعريبهُ :

« اني اختٌ من آل داوُد لانهُ ابٌ لكلَينا . ثمَّ اني والدةٌ لاني حبلتُ بك وخطيبةٌ من اجل قُدسك (اي نعمتك) . وانا أَمَةٌ وابنةٌ من الدم الذي ابتعتَني بهِ والماء الذي عمّدتني بهِ (ܡܢ ܕܡܐ ܘܡܝܐ ܕܐܠܒܫܬܢܝ ܘܐܥܡܕܬܢܝ)

« كيف ادعوك يا من كان غريباً عنَّا وصار منَّا هل ادعوك يا تُرى ابنًا أَم ادعوك اخًا ? هل ادعوك خطيبًا ام ادعوك سيّدًا ? . يا والدًا لامهِ ميلادًا آخر من بطن الماء (ܐܘ ܝܠܘܕ ܠܐܡܗ ܡܘܠܕܐ ܐܚܪܢܐ ܡܢ ܥܘܒܐ)

يا ابن العلي الذي اتى وحلَّ بي فصرتُ امهُ . ومثلما ولدتهُ ولدني ميلادًا آخر لأنهُ (بالمعموديَّة) يولي ميلادًا ثانيًا . يا وشاح امهِ الذي لبس هو جسدها فلبست هي مجدهُ

# أسئلة وأجوبة

س سأل من برمانا يوسف افندي صيقلي ماذا نعرف عن قطعة من الصليب المقدَس الاصلي ورد في كتاب انكليزي لفرنسيس ماك كولك في سقوط عبد الحميد انَّ هذا السلطان اهداها الى قيصر روسيَّة بمناسبة حفلة تتويجهِ ويقال هناك انَّها اكبر القطع الموجودة ولعلها اكبر من المحفوظة في رومية العظمى

قطعة الصليب المقدَّس الاصلي المهداة لقيصر روسيَّة

ج لدينا كتاب واسع في « آلات الآلام » لكاتب شهير «روهودي فلوري» Rohault de Fleury : *Instruments de la Passion* ذكر فيهِ كلَّ القطع المعروفة من الصليب المقدَّس في الشرق والغرب وهو لم يذكر القطعة المذكورة في كتاب ماك كولك . ولعلَّها كانت مصونة في خزائن السلاطين وجدوها في خزانة ملوك الروم بعد فتح القسطنطينيَّة سنة ١٤٥٣ . وان بلغنا شيء من امرها عدنا الى ذكرها

س وسأل احد كهنة حلب الافاضل : ١ً لاي سبب تحظر الكنيسة من قراءة الانجيل المطبوع عند البروتستانت ولا فرق بينهُ وبين الطبعة الكاثوليكيَّة . ٢ً هل الغفرانات المعلَّقة من الكنيسة على الثوب الازرق والصلوات المفروضة لذلك يمكن ربحها مرارًا كل يوم؟

قراءة الانجيل في الطبعات البروتستانيَّة — غفرانات الثوب الازرق

ج نجيب على ( الاوَّل ) انَّ قراءة طبعة الاناجيل البروتستانيَّة محظورة على الكاثوليك لسببين : احدهما تحريفهم لبعض آيات الانجيل المقدَّس (راجع كتاب كشف التلاعب والتحريف في مسّ بعض آيات الكتاب الشريف للاب يوسف ڤان هام اليسوعيّ المطبوع سنة ١٨٧٢) . والآخر لأنَّ الطبعات البروتستانيَّة خالية من شرح بعض الآيات المبهمة كما امر بهِ المجمع التريدنتينيّ . ونجيب على (الثاني) انَّ الغفرانات الكاملة المعلَّقة على الثوب الازرق بتلاوة ست مرات الصلاة الربيَّة والسلام الملائكي لا يُمكن ربحها الَّا مرَّة كلّ يوم بخلاف الغفرانات الجزئيَّة التي يجوز ربحها مرارًا بتلاوة الصلوات المذكورة ( راجع كتاب الغفرانات للاب برنغر الطبعة الثالثة ج ١ ص ٥٦٦ في الحاشية )

***



# اثران عربيَّان

## للاحبار الرومانيين في الماسونية

عُني بنشرهما الاب لويس شيخو اليسوعيّ

### تمهيد

من الادلَّة الساطعة التي تدلُّ على عناية الاحبار الرومانيين واهتمامهم بصوالح الكنائس الشرقيَّة اسراعُهم الى تنبيهِ رُعاتها وابنائها وتحذيرهم من الشيعة الماسونيَّة. قلنا في كتابنا «السرّ المصون في شيعة الفرمسون» انَّ هذه البدعة على صورتها الحاليَّة بطقوسها الخفيَّة ورموزها الباطلة لم تتجاوز اوائل القرن الثامن عشر. فانتشرت في انحاء اوربَّة بمساعي اوَّل منشئيها الانكليز انتشار النار في الحشيش اليابس لما صادفت في القلوب من الشوق الى مقاومة كلّ سلطة شرعيَّة دينيَّةً كانت او مدنيَّةً واطلاق العنان الى كلّ الاهواء السيّئة والاميال الشرّيرة

وكان اوَّل من تحفَّز لمقاومتها الاحبار الرومانيُّون فكشفوا اسرارها واماطوا السرّ عن مساوئها الخفيَّة. ولمَّا احسُّوا بان هذه العدوى تجاوزت حدود اوربَّة واخذت تفشو في انحاء الشرق امر المجمع المقدَّس بان يُنقل الى اليونانيَّة الحديثة والى العربيَّة والى الارمنيَّة المنشوران الاوَّلان اللذان اصدرهما الحبران الاعظمان اكليمنضوس الثامن سنة ١٧٣٨ وبندكتوس الرابع عشر سنة ١٧٥١ فطُبعا في مطبعة انتشار الايمان سنة ١٧٩٤ . واذ كان هذان الاثران في غاية الندرة في ترجمتها العربيَّة رأينا ان ننقلها عن الطبعة الاصليَّة التي وقعت في ايدينا نسخةٌ منها

### ١ منشور البابا اكليمنضوس الثاني عشر

## اكليمنضوس الاسقف عبد عبيد الله السلام والبركة الرسوليَّة

## لكل المؤمنين بالمسيح

انَّا اذ قد أُقمنا باهتمام العناية الالهيَّة في سموّ النظارة الرسوليَّة بدون استحقاق

اقتضى علينا بموجب الواجب الرعائي الذي تقلّدناهُ ان نسعى بقدر النعمة الموهبة لنا من العلاء ونهتمّ بكل حرص ان نضع حاجزًا بازاء الاضاليل والشرور الفاشية لتُحفظ خصوصاً نقاوةُ الايمان الأُرثذكسيّ وتُقصى اخطار الفتن من كل العالم الكاثوليكي في هذه الازمنة الحرجة البالغة الصعوبة

ولأنّهُ قد اتّضح لدينا بواسطة الاخبار الشائعة انّ بعض اخويّات وجمعيّات او اجتماعات وعصابات ومحافل وشركات مدعوّة عموماً باخويّة البنّائين او فرامسون او ملقَّبة باسماء أُخرى حسب اختلاف اللغات اخذت تمتدّ وتنتشر باتّساع وتتقوّى كلّ يوم ويُشترك بها على سواء اناسٌ من كلّ ديانة وشيعة يرتبطون برباط وثيق خفي بموجب شرائع ورسوم مخترعة منهم ويتزيّون بزيّ كمال طبيعي كاذب ويقيّدون ذواتهم بحلف صارم على الكتب المقدَّسة تحت طائلة العقوبات الشديدة بان يكتموا بسرّ عميق الاشياء التي تجري بينهم في الخفية

على انّ الاثم مهما اختفى لا بُدّ ان يفتضح يوماً ويُنادى بهِ جهرًا . ولذلك مذ شاع خبر هذه الجمعيّات المذكورة قد اصدرت في عقول المؤمنين اشتباهات ورِيَباً ثقيلة حتّى انّ الاكتتاب والاشتراك بتلك الجماعات صار يُعدّ عند العقلاء والاتقياء شبيهاً بالسقوط في الاثم والنفاق عينهِ لأنهم لو لم يفعلوا شرًّا لمَا ابغضوا النور في الغاية . وقد اتّصلت جلبة هذه الشيعة الى حدٍّ اوجب حمل الدول على معاكستها فنُفيت من بلاد كثيرة بواسطة السلطة العالميَّة لمعارضتها سلام الممالك ولاقلاقها أَمنها

فنحن اذن بما انّنا قد تأمّلنا بامعان الاضرار العظيمة التي تجرُّها هذه الجمعيّات ليس فقط على هيئة البلاد المدنية بل وعلى نفوس المؤمنين وهلاكها وتحقّقنا انّها تناقض مناقضة تامّة كلّ الشرائع الزمنيّة والفرائض القانونيّة . وتعلّمنا من اوامرهِ تعالى انهُ ينبغي علينا ان نسهر ليلًا ونهارًا كالعبد الامين الحكيم المُقام على العائلة السيّديّة لئلّا يحاول مثل هؤلاء اللصوص ان ينقبوا البيت ويعيثوا بالكرم مثل الثعالب اعني لئلّا يفسدوا قلوب البسطاء ويطعنوا الابرياء غيلةً رأينا انهُ من الواجب علينا ان نسدّ في وجههم السبيل المؤدي الى ارتكاب المعاصي قبل اتّساعهِ

فبناء على عدّة اسباب عادلة صوابيّة واضحة لدينا وبعد طلب مشورة بعض اخوتنا المحترمين كردينالية الكنيسة الرومانيّة المقدّسة وبعد بذلنا مساعينا الخاصّة نحتم

ونحكم عن معرفة تامَّة وعزم ثابت وبمل سلطاننا الرسولي بان مثل هذه الاخويَّات والجماعات والشركات والعصابات والمحافل الملقَّبة بالبنَّائين او فرامسون هي مرذولة ومحرومة كما انَّنا نرذلها ونحرمها بمنشورنا هذا الحاضر الدائم الثبات

ومن ثمَّ نأمر بكل شدَّة وتدقيق بقوَّة الطاعة المقدَّسة جميع المؤمنين عموماً وافرادًا من اي مقام ومحلّ ورتبة ودرجةوعظمة وسموّ كانوا عوامّ او اكليريكيين قانونيين او غير قانونيين حتّى المستوجب ذكرهم صريحاً وبالافراد بان لا احد لأيَّة حجَّة او سبب كان يتجاسر ان يشترك في جماعة البنَّائين او الفرامسُّون المدعوّين بهذا الاسم او باسم آخر او يعضدها او يقبلها في منازله او بيوته او في مكان آخر او يخفيها او يكتتب او يتعيَّن فيها او يحضرها او يعطي اذناً او اجازة لأن تجتمع في مكانٍ ما او يمدّها بشيءٍ على اي نوعٍ كان إنْ شورًا او اسعافاً او معونةً علانيةً او سرًّا باستقامة او على غير استقامة بذاته او بواسطة غيره او يحثّ الآخرين ويجتذبهم ويحرّضهم ويقنعهم بأن يكتتبوا بهذه الشركات او يُحصَوا بها او يحضروها او يسعفوها او يعضدوها باي نوعٍ كان. بل يلزمهم الامتناع قطعاً عن هذه الجمعيَّات والشركات والمحافل تحت القصاص بالحرم لكل المخالفين كما سبق وذلك بذات الفعل وبدون توضيح آخر البتَّة ولا يستطيع احد ان يفوز بالحلّ عنهُ من ايّ كان الَّا منّاً او من الحبر الروماني المقام بعدنا ما عدا المشرفين على الموت

ثمَّ نُزيد ايضاً ونامر انَّ الاساقفة والرؤساء ومقدَّمي الاماكن الاعتياديين او القامين للتفتيش عن الاضاليل الاراتيكيَّة في اي مكان وُجدوا ان يفحصوا ويُجروا الحكم ضدّ المخالفين من اي مقام ومحلٍ ورتبةٍ ودرجة وعظمة وسموّ كانوا وان يقاصُوهم ويؤدّبوهم بالعقوبات المستوجبة كالمشكوك بهم شكًّا ثقيلًا بالهرطقة ونمنح لكلّ من هؤلاء سلطاناً مطلقاً لأن يفحصوا ويتصرَّفوا ويقاصُّوا بالعقوبات المناسبة اولئك المخالفين وان أحوج الامر فليستغيثوا ضدَّهم بالسلطة المدنيَّة

ونُزيد ان تُعتَبر نُسخ هذا المنشور المسجلَّة من شخص ذي وظيفة كنائسيَّة مطبوعةً كانت او مخطوطة مثل الرسالة الاصليَّة الحاضرة عينها. ولا يُباح لاحد من البشر ان يتجاوز او يخالف بجرأة وجسارة اسطر هذا القرار وما يحتويهِ من التحريم والامر والنهي. وان أقدم احد متجرّئاً على ذلك فليعلم انهُ سقط تحت رجز الله القادر على كلّ

شيء وغضب الرسولين بطرس وبولس

أعطي في رومية بجذاء كنيسة القديسة مريم الكبرى سنة التجسُّد الالهي الف وسبعمائة وثمان وثلثين في اليوم الرابع من شهر ايَّار من السنة الثامنة لحبريتنا

## ٢ منشور سيّدنا وابينا بالمسيح

## سيدنا البابا بندكتوس الرابع عشر بالعناية الالهية

### الذي به تُرذل وتحرم بعض اخويَّات وجمعيّات البنَّائين او فرامسون

قد طبع في مطبعة مجمع انتشار الايمان المقدَّس سنة الف وسبعمائة واحدى وخمسين

### بنديكتوس الاسقف عبد عبيد الله . لذكر الامر المخلَّد

انهُ قد استبانَ لنا كامر صوابيّ لاسبابٍ عادلة تقتضي ذلك بان نثبّت من جديد ونوطّد بتأييد سلطاننا شرائع سلفائنا الاحبار الرومانيين وتحديداتهم الحميدة ليس فقط تلك التي يُخشى ان تبطل قوَّتها فتُلغى امَّا لِمدَى الزمان واماً لاهمال البشر بل ايضاً تلك التي لا تزال حافظةً قوَّتها ومفعولها تماماً

وبما انَّ سالفنا السعيد الذكر اكليمنضوس الثاني عشر في رسائلهِ الرسوليَّة المُبْرَزة في اليوم الرابع من شهر ايَّار سنة ١٧٣٨ الموجَّهة الى كلّ المسيحيين التي اولها « في النظارة السامية » (In eminenti) قد رذل مؤبّداً وحرم بعض اخويّات وجمعيات او اجتماعات ومحافل وشركات ملقّبة باسم البنّائين او فرامسون او باسم آخر اخذت وقتئذٍ تنتشر وتمتدّ كلَّ يوم في بعض الانحاء وامر كل المسيحيين فرداً فرداً تحت القصاص بالحرم بذات الفعل بدون اعلان آخر مع حفظ الحلّ عنهُ للحبر الروماني وحدهُ المالك وقتئذٍ ما عدا ساعة الموت بألّا يتجرَّأ احد او يتجاسر على الاشتراك بتلك الجمعيَّات او يدخلها او ينشرها او يعضدها او يقبلها او يخفيها او يكتتب فيها او يحضرها وما اشبه ذلك كما هو مصرَّح بالتفصيل في الرسائل المذكورة التي فحواها كما يأتي (وهنا نصّ المنشور السابق)

وبما انه كما بلغنا يوجد بعض من يزعمون دون ارتياب ويجاهرون بهِ علانيةً بقولهم انَّ ذاك قصاص الحرم الذي ابرزهُ سالفنا قد بطل من بعدهِ وانهُ لم يتثبَّت بسلطتنا كأن تثبيت الاحبار التابعين واجبٌ صريحاً لتوطيد المناشير الرسوليَّة المبرزة من سلفائهم . وبما ان بعضاً من اتقياء الناس الخائفين من الله رغبوا الينا وبيَّنوا انهُ

لَفيد جدًّا لحسم موارِبات المُتفيهقين بأسرها ان نوضح مطابقة ارادتنا ونيَّتنا لإرادة ونيَّة سالفنا فنوليهُ قوَةً جديدة

فنحن اذن ولو كنَّا اوضحنا جليًّا نيَّتنا هذه غير مرَّة اذ منحنا بحلم لكثيرين من المؤمنين بالمسيح الحلَّ عن الحرم الذي سقطوا فيهِ بمخالفتهم رسوم هذا المنشور بعد ان ندموا وتابوا حقًّا ورجعوا تماماً عن مثل هذه الاخويَّات والجمعيَّات المحرَّمة وقصدوا عدم الرجوع اليها في المستقبل وفعلنا ذلك مرارًا لاسيَّما سنة اليوبيل العام الماضي حيث فوَّضنا الى معلّمي الاعتراف المرتَّبين منَّا ان يمنحوا الحلَّ باسمنا وسلطاننا لهؤلاء التائبين الذين يلتجئون اليهم

ثمَّ لم نتقاعد عن بذل الجدّ والاهتمام بكل حرص وتيقُّظ بان يُجرى الحكمُ من القُضاة والمحاكم ضد مخالفي المنشور السابق ذكرهُ. فبهذه الامور ونظائرها قد اعطينا براهين صادقة عن نيَّتنا خالية من كل ريب واثبتنا ارادتنا المطلقة نظرًا الى قوَّة التأديب وفاعليَّتهِ كما حتم بهِ سالفنا اكليمنضوس السابق ذكرهُ غير مبالين بما اشاعهُ بعض الناس بحقّنا اذ نحتقرهُ بطمأنينة ونترك دعوتنا لحكم الله العادل القادر على كل شيء مترنّمين بتلك الالفاظ التي كانت تُتلى قديماً في الخدمة الالهيَّة كما يُروى في القنداق القديم المنسوب الى سالفنا القديس جلاسيوس المطبوع بهمَّة الكردينال يوسف ماريا توماسينو الموقَّر في القدَّاس الذي يقال ضدّ الثالبين وهي هذه « نسألك يا ربّ ان تمنحنا بألّا نتزعزع من تمويهات عقول الاشرار بل بعد ان نطأ النفاق نتوسَّل اليك بألّا تسمح ان تذهب الثالب الظالمة ولا نتعرقل بالتمليقات الخادعة بل بالحري ان نحبّ ما تأمر بهِ »

ولكن لئلّا يقال انَّنا قد اهملنا شيئاً ما بعدم صواب ممَّا كان يمكنّا بسهولة ان نقطع بهِ اسباب المثالب الكاذبة ونسدّ افواه المتشدّقين فبعد ان استمعنا مشورة اخوتنا الموقرين كردينالية الكنيسة الرومانيَّة المقدَّسة قد حتمنا وحكمنا معاً بأن نثبت باسطرنا هذه منشور سالفنا الوارد منا سابقاً حرفاً حرفاً وبنوعٍ خصوصي بحيث يُحسب اكثر اتّساعاً وفاعليَّةً من الجميع. كما انَّنا نثبّتهُ ونوطّدهُ ونجدّدهُ. ثمّ نزيد ونحتم عن معرفةٍ تامّة وبملء سلطاننا الرسولي وبموجب هذه الاسطر الحاضرة ان تكون لهُ القوَّة والفاعليَّة الدائمة في كلّ شيء ولاجل كلّ شيء كانهُ قد برز منَّا اوَّلا

بانعطاف خصوصي وبسلطاننا وباسمنا . وفيما بين الاسباب الثقيلة جدًّا الموجبة للتحريم والرذل الواردة في المنشور السابق ما يأتي :

( اوّلًا ) الاتّحاد في هذه الاخويّات والجمعيّات بين اناسٍ من كلّ ديانة وشيعة . ومن هذا يتّضح بالكفاية كم من الاضرار الجسيمة يمكن ان تحدث للديانة الكاثوليكيّة

( ثانياً ) ارتباط اصحاب تلك الجمعيّات بالسرّ العميق لاخفاء ما يجري بينهم من الامور . بحيث يجوز ان يُقال في تلك الشركات ما نقلهُ في دعوة اخرى مختلفة جدًّا شيشيليوس ناطاليس عن مينوكيوس فيلكس : « انَّ الاشياء الحميدة تُسرّ بالاشتهار واماَّ القبيحة فترغب الاستتار »

( ثالثاً ) القسَم الذي يلزمون بهِ ذواتهم لحفظ هذا السرّ بدون انثلام كأنهُ يُباح لكل انسان ان يعفي ذاتهُ بحجّة اي وعدٍ وحلَفٍ كان من وجوب كشف كلّ شيءٍ متى سُئل من السلطان الشرعي عمَّا تلزم معرفتهُ . كما لو سُئل اعضاء هذه الجمعيّات هل يصير فيها شيءٌ يضادّ الديانة وراحة العموم والشرائع

( رابعاً ) انَّ هذه الاخويّات لا تضادّ فقط الشرائع الدينيَّة بل والقانونيَّة ايضاً لأنَّ الناموس المدني يحرّم كلّ الاجتماعات والاشتراكات ما عدا تلك التي تلتئم باذن السلطة العلنيَّة كما ورد في الحقّ القانوني في باب الجمعيّات والالتئامات المحرَّمة ( ك ١١ ف ٢٢ ع ٧ ) او كما هو مذكور في الرسالة السابعة والتسعين من الكتاب العاشر لكايوس بلينيوس شيشيليوس سِكُنْدوس حيث يقال : « انهُ لمحرَّم بأمرٍ ملكيّ ان تصير اجتماعات واخويَّات بدون اذن الملك »

( خامساً ) انَّ هذه الاخويّات والجمعيَّات قد حُرّمت واستُئصلت من اقاليم كثيرة بواسطة شرائع الحكَّام المدنيين

( سادساً واخيرًا ) انَّ لهذه الاخويَّات والجمعيَّات سمعة رديئة عند الناس الاتقياء ذوي الحكمة . وعلى رأيهم انَّ كلّ من ينضمّ اليها يسقط في وهدة النفاق القبيح والاثم الفظيع . ومن ثمَّ قد حرَض سالفنا نفسهُ في منشورهِ المذكور كلّ الاساقفة والرؤسا . وباقي مقدّمي الاماكن الاعتياديين بان لا يتقعَّدوا عن الالتجاء الى مساعدة السلطة العالميَّة إنْ أحوج الامر لإتمام كلّ ما مرَّ ذكرهُ

فهذه الامور جميعها لسنا نثبّتها ونوطّدها إجمالًا وإفرادًا فقط ونحثّ ونحرّض ونأمر بحفظها الرؤساء الكنانسيين اجمعهم على السواء بـل نحن ايضاً انفسنا بموجب وظيفة الاهتمام الرسولي المقلّد لنا نستغيث بأسطرنا هذه ونطلب بكل إلحاح من الملوك الكاثوليكيين وباقي السلطات العاليّة معونةً واسعافاً لتبلغ المراسيم السابقة مفعولها لأنَّ الله قد اختار الملوك العظماء والسلطات الزمنية لينصروا الايمان ويحموا الكنيسة

وبناء عليهِ يجب ان يسعوا باحوال لائقة وطرائق مناسبة لتنال هذه المناشير الرسوليّة ما يحقّ لهـا من الاذعان والاكرام وتُحفظ حفظاً تامًّا كما اشار بهِ اليهم المجمع التريدنتيني في الرأس العشرين من الجلسة الخامسة والعشرين وكما اوضحهُ منذ زمن قليل بكلّ جلاء السلطان كرلوس الكبير (الخامس) في الرأس الثاني من شرائعهِ حيث اردف قائلًا بعد ان اوصى كلّ الخاضعين لملكهِ بحفظ التحديدات الكنانسيّة: «لا يمكننا ان نفهم كيف يستطيع الذين لا يحـافظون على الامـانة نحو الله ويعصون كهنتهُ ان يكونوا امنـاء في حقنا». ولهـذا امر كلّ حكّام المقاطعات ووزراءهُ ايضاً بان يلزموا الجميع عموماً وخصوصاً بان يقدّموا الطاعة الواجبة لشرائع الكنيسة ورتّب عقوبات صارمة ضدّ الذين يتهاونون بتتميم ذلك ثمّ استتلى كلامهُ قائلًا: فليعلم الذين يستخفّون بهذه الاوامر لا سمح الله او يعارضونهـا انهم يُحرمون من المناصب في مملكتنا ولو كانوا اولادنا ولا يكون لهم محلّ في بلاطنا ولا منادمة معنا ولا اشتراك مع خاصّتنا بل سيقاصُون بشدّة وصرامة»

ثمَّ نزيد ان يكون لهذه الاسطر الحاضرة خطًّا كانت او طبعاً اذا كانت ممضاة من احد القضاة ومسجّلة بختم شخص ذي وظيفة كنانسيّة ذاك التصديق عينهُ الذي للاسطر الاصليّة متى تقدّمت او عُرضت

فلا يُسمح اذن لاحد من البشر ان يقاوم بجرأة او يضادّ بجسارة اسطر تثبيتنا هذا وتحديدنا وتفويضنا واستغاثتنا والتجائنا وحتْمنا وارادتنا . وان تجرَّأ احد على ذلك متجاسرًا فليعلم متحققاً انهُ يسقط تحت رجز الله القادر على كلّ شيء وغضب الرسولين الطوباويين بطرس وبولس

أُعطي في رومية بجذاء كنيسة القديسة مريم الكبرى سنة التجسُّد الالهيّ ١٧٥١ في الخامس عشر من حزيران من السنة الحادية عشرة لحبريّتنا مكان + الختم

# التصوير الشمسي المُلوَّن

للاب رفائيل نخله اليسوعي

أدَّى التصوير الشمسي المعتاد في كل مجالي الحياة الاجتماعية خدماً تُذكر فتُشكر واكثرها معروف من العامَّة فضلًا عن الخاصَّة فلا حاجة لسردها في هذه المقالة بل نزيد هنا الاشارة السريعة الى ما عَلِق بذلك التصوير من الشوائب وشرح الطريقتين المُثليَين اللتين اخترعهما شخصان تفتخر فرنسة بعلومهما واعمالهما لاستدراك هذه النقائص

خلق الباري عزَّ وجلَّ العين البشرية ليس فقط للتمتع باشكال الاشياء من طويل وقصير وفسيح وضيّق وعالٍ ومنخفض ومجوّف ومحدَّب الى غير ذلك ممَّا يستطيع العميان في كثير من الاحوال معرفته بحاسّة اللمس. بل على الاخص للتنعُّم بمشاهدة الالوان البديعة التي جعلها الخلَّاق العظيم من اجمل حُلى الطبيعة ولم يكشفها لغير الباصرين فيصحّ القول ان مميّزة حاسة البصر هي الإحساس بالالوان ليس بالاشكال

ولعمري لولا زرقة السماء الناصعة وزرقة البحار النيلجيّة وخضرة الحقول والغابات وبياض ثلوج الشتاء وصفرة اوراق الشجر في الخريف واحمرار الشمس في الصيف وامتزاج كل تلك الالوان في مئات من الصَبَغات الظريفة الفتّانة بازاهر الربيع وفَراشه. لولا كل تلك المحاسن الآخذة بمجامع الانظار والقلوب لأصبحت أرضنا هذه كعروس عاطل بل تعرّت عن جمال محيّاها الرائع او كادت. لذلك لم يكتفِ اهل الفنون الجميلة ولاسيَّما المصوّرون بان يرسموا بريشتهم الماهرة الرشيقة ما مثلَ امامهم او انطبع في مخيّلتهم من حسن الاشكال كالجبال الشامخة والاشجار الباسقة الوارفة الظلال والانهار الواسعة الخصبة الضفاف بل غمسوا تلك الريشة في كل الوان قوس قزح لتمثيل الالوان والهيئات معاً وعدم فصل ما جمعهُ الباري في الطبيعة لنعيم العيون والقلوب

ومن نقائص التصوير الشمسي المعتاد انهُ كان عاجزاً عن تمثيل الالوان بسوى تفاوت الدرجات في إشباعهِ صبغات اللون الاسود او لون آخر مُفرد كالازرق او الاخضر. فلا بدع أنْ شحذ العلماء والخبراء قرائحهم لسدّ ثلمة ذلك التصوير وتمكينهِ من رسم كل

الالوان كما هي في الطبيعة في الاشياء والاشخاص · وها نحن الآن نبسط الكلام في خير الطرق التي اختُرعت من نحو خمسين سنة لبلوغ تلك الغاية

## ١ طريقة الاستاذ ليمان ( Lippmann )

صاحب هذه الطريقة هو احد الاساتذة في كلية العلوم بباريس الاستاذ ليمان الشهير باختراعاته واكتشافاته العديدة وقد توفي من بضعة اشهر مأسوفاً عليهِ · وطريقتهُ لا تختلف عن التصوير الشمسي المعتاد الَّا بالميّزات الآتية : ينبغي ان تكون الصفيحة الحسّاسة شديدة الشفوف وعاريةً عن ادقّ الحبوب المتكونة عادةً على سطح المادّة الحسّاسة · حتّى اذا صُوّب المجهر نفسهُ ( او المكرسكوب ) الى صفيحة ليمان لم يرَ عليها ادنى حبّ او خشونة بل رآها على غاية الصَقل · ومتى رُكزت هذه الصفيحة عموديًا في آلة التصوير صُبَّ الزئبق على كل مساحة ظهرها العاري عن المادة الحسَّاسة · عندئذ تُفتح الآلة كجاري العادة لتصوير ما تشاء · ثم تُفرَّغ من الزئبق واخيرًا تُسحب منها صفيحة ليمان وتُعالج المعالجة الكيماوية المعتادة · فمتى انتهت هذه وجفّت الصفيحة رأيتَ على سطحها الحسّاس كل اشكال الشيء المصوّر والوانهُ الطبيعية بشرط ان تمسكها عموديًا وتنظر اليها في نور الشمس ليس في ضوء اصطناعي · ولعلَّ القارئ المعجب بسهولة هذه الطريقة يسألنا ما عسى ان يكون سرُّها ؟ · انه ليسهل علينا شرح ذلك السر الغامض على اسلوب علمي محض لا غبار عليهُ انما ذلك يفضي بنا الى مباحث طويلة عسيرة لا تروق لمطالعي هذه المقالة · فلا مندوحة لنا والحالة هذه من الاكتفاء بالاشارة الى مبدإ طريقة ليمان لتصوير الالوان

قلنا انَّ مادّة صفيحة ليمان الحسّاسة غاية في الشفوف فاذا ورد الى تلك الصفيحة شعاع نور من الصورة الخارجة نفذ كثافةَ تلك المادَّة الحسَّاسة في احدى نقطها لكنَّهُ ينعكس راجعاً عودهُ على بدئهِ دون ان يجتاز الى ظهر الصحيفة بسبب الزئبق الذي يُطلى بهِ ذلك الوجه فيرجع اذن الى صورتهِ الخارجيَّة بالطريق التي جاء منها · وفي اثناء ذلك الذهاب والاياب الذي يحدث بسرعة النور — وهي ثلاثمائة الف كيلومتر في الثانية كما لا يخفى — يحلّل الشعاعُ المذكور المادَّةَ الحسَّاسة

على انَّ كثافة تلك المادَّة لا يتحلَّل منها الَّا ما يبلغ اليهِ النور فتوجد طبقات

من الفضَّة الناتجة عن ذلك التحليل يتخللها طبقات من المادة الحساسة الباقية بدون تحليل . وتبقى المسافة بين كل طبقة من النوع الاول وجارتها من الثاني بدون تغيير في كل كثافة المادة الحساسة حيث عبرَ شعاعٌ ذو لون معلوم مثلًا شعاع احمر لكنها تزيد او تنقص في كل نقطة من المادة الحساسة بحسب لون الشعاع الوارد اليها . فأقصرُ ما يكون البونُ الفاصل بين الطبقات الفضية او المحلّلة وغيرها في اللون البنفسجي . واطول ما يكون في الاحمر . وطوله المتوسط في الاصفر حيث يبلغ ٠,٠٠٠١ من الميلمتر . وعلى ذلك فاذا كانت كثافة المادّة الحسّاسة عُشر ميلمتر — وهو سمك الورق المعتاد — يبلغ عدد كل الطبقات المتتابعة في هذه الكثافة اربعمائة : منها مائتان فضية او محلّلة بتأثير الشعاع الاصفر ومائتان بدون تحليل . وذلك من الغرابة بمكان فان ذلك الشعاع يأتي في لمحة عين بعملٍ فيهِ من الدقّة المكرسكوبية والتنسيق المحكم ما يعجز عنه ائمة الكيماويين والرياضيين

فلنتأمل الآن يسيرًا فيما يحدث حين نمسك صفيحة ليمان عموديًا ونعرّضها لنور الشمس بعد المعالجة الكيماوية في المغاطس المعروفة من كل المشتغلين بالتصوير الشمسي المعتاد . ولنعاين نقطةً معلومةً من المادة الحسَّاسة أثَّر فيها شعاع اصفر . النور المنتهي اليها الآن هو نور النهار الابيض بيد انه مركّب كما هو معلوم من اشعة قوس قزح السبعة وفيها الاصفر . فهذا الشعاع الاصفر يسهل عليه عبور الاربعمائة طبقة التي وراء النقطة المعايَنة حيث ان هذه الطبقات تكوَّنت بتأثير شعاع اصفر مثلهِ . ومتى بلغ الطبقة الاخيرة قفَلَ عودًا على بدء متجهاً الى عيننا فنرى النقطة المذكورة صفراء كما ان ما يقابلها في الشيء المصوَّر اصفر

امّا الاشعة الستة غير الاصفر فلا يستطيع احدها عبور الاربعمائة طبقة حيث ان البون بين كل منها والتالية لا يناسب الّا الشعاع الاصفر . فقد سبق لنا القول ان هذا البون يختلف باختلاف لون النور المحلّل لكل نقطة من المادّة الحساسة . فينتج عن الايضاح السابق انَّ عيننا لا ترى في النقطة التي قصدنا معاينتها بنوع خاصّ سوى اللون الاصفر مع ان النور الوارد اليها ابيض . وقس على ذلك ما يجري في النقط الاخرى فكل منها يظهر بلون الشعاع الذي أثّر عليه حين التصوير او بعبارة اخرى بلون ما يقابل هذه النقطة في الشيء المصوّر . فتتكوّن من مجموع نقط المادَّة الحساسة

التي حلّلها النور اشكال تلك الصورة الخارجة والوانها الطبيعية

ولو اتسع بنا المقام لبرهنا القارئ على كون الالوان المتنوعة والمتغيرة التي نشاهدها في عرق اللؤلؤ (nacre) وفقاقيع رغاوة الصابون بتأثير نور النهار مسبَّبةً ايضاً عن علةٍ شبيهة جدًا بالتي تُلوّن صفيحة ليبان بالوان الشيء المصوَّر

لكنَّهُ مع ما صادفَتْهُ طريقة الاستاذ الفرنسوي المخترعة سنة ١٨٩١ من الرواج في دوائر العلماء فانها بقيت خارجاً عن المقامات العملية ولاسيما الصناعية . واسباب الكساد عديدة نكتفي بذكر اهمّها : ١ً صفائح ليبان غالية بسبب اتقان صقلها وخلوّ سطحها من ادقّ النتوء — ٢ً مدَّة عرضها لاشعّة الشيء المصوَّر تبلغ بضع دقائق في نور الشمس وذلك وقت طويل جدًا بالنسبة الى التصوير المعتاد فهذا فجائي تقريباً — ٣ً لا يمكن ازالة بعض شوائب الصورة الملوَّنة كما يسهل ذلك في الصور الشمسية غير الملونة — ٤ً اخيرًا لم يتوصل ليبان الى نقل صور صفائحه الملونة على الورق فتبقى كل صورة مفردة غير قابلة للتمثيل المتعدّد . ويلوح لنا ان هذا النقص الاخير هو اعظم نقائص طريقة ليبان الذي حالَ دون انتشارها وتعميمها في الثلاثين سنة المنقضية منذ اختراعها . ومع ذلك فاننا لا ننكر البتة فضل الاستاذ الفرنسوي بل نقرّ له بطول الباع في علم النور وبُعد النظر وعلو الهمة في تسخير مبادئه الراهنة للتصوير الملون

## ٢ طريقة لوميار

توفَّق لوميار (Lumière) الطائر الصيت بابداع السينماتغراف من نحو عشر سنوات الى حل مشكل تصوير الالوان على اسلوب اكمل من طريقة ليبان مع انه لم يتمكَّن من تكثير الصور المأخوذة عن صحيفة واحدة كما يجري ذلك في التصوير الشمسي المعتاد

لا ينِدّ عن ذهنك ايها القارئ اللبيب إمكان صوغ كل الالوان بل كل صبغاتها المتعددة بواسطة مزيج معلوم من ثلاثة الوان تُدعى جوهرية او اساسية وهي مثلًا النارنجي والاخضر والبنفسجي . ذلك المبدأ المؤيد بالاختبار هو ركن طريقة لوميار . امّا الصفيحة الفوتغرافيَّة التي اخترعها فهي عبارة عن لوح من الزجاج المعتاد على احد وجهَيه طبقة من جيلاتينو برومور الفضة (gélatino-bromure d'argent) وعلى كل مساحة هذه الطبقة الملاصقة الزجاج قد نُثرت آلاف مؤلفة من حبوبٍ نَشَويَّة

المادّة شفّافة يبلغ قطر كل منها نحو ١/١٠٠ من الميلمتر بعضهـا نارنجي اللون والبعض اخضر والباقي بنفسجي على شرط ان تمتزج هذه الالوان الثلاثة امتزاجاً كلياً في كل نقط طبقة الجيلاتينو برومور

ففي حين التصوير تُـدار الجهة المجرَّدة من الحبوب والجيـلاتينو برومور من صفيحة لوميار الى الشيء المراد تصويره. فلنرَ الآن ماذا يحدث بعد معالجة هذه الصحيفة في المغاطس الكيماوية. ولنفحص احدى النقط في الجهة المجرّدة من الصحيفة ندعوها لزيادة الوضوح النقطة ن أثّر فيها شعاعٌ اخضر مثـلاً فمن العجب العجاب انّنا اذا عايّناها في نور الشمس نراها ملوّنة ليس بالخضرة بل باللون الارجواني. وما سرُّ ذلك التغيير المدهش ؟ أَمِل اليَّ سمعك ايها القارئ الذكيّ فلا تلبث ان تحيط بهِ . ان الشعاع الاخضر الوارد من نقطة معلومة من الصورة الخارجة الى النقطة ن من صفيحة لوميـار اخترق لوح الزجاج وصادف خلفه مئاتٍ من الحبوب النشويّة منها النارنجية ومنها الخضراء ثم البنفسجية. قلنا «مئات من الحبوب» مع انّنا نتكلم عن نقطة لا غير من الصفيحة لان تلك الحبوب ذات صغر مكروسكوبي كما سبقت الاشارة . فالشعاع الاخضر يجتاز بغاية السهولة الحبوب الخضراء ويحلّل من ورائها النقط المحاذية لها من المادة الحسّاسة وهي الجيلاتينو برومور فتصبح تلك النقط على اثر ذلـك التحليل والمعالجة التالية في المغاطس الكيماوية غير شفّافة . والحالة هذه فاذا صوّبنـا النظر الى النقطة ن من الصفيحة الفوتغرافية فالشعاع الاخضر الموجود في نور الشمس الابيض لا يستطيع الوصول الى عينـنـا من النقطة ن بسبب عدم شفوف نقط المادة الحساسة التي وراء كل الحبوب الخضراء الملاصقة للنقطة ن . امّـا الشعاع النارنجي والشعاع البنفسجي الموجودان ايضاً في نور الشمس فانهما يصلان الى مقلتنا بعد عبور نقط المادّة الحساسة التي وراء كل الحبوب النارنجية والبنفسجية الملاصقة للنقطة ن . وسبب ذلـك ان تلك النقط من المادة الحساسة بقيت شفافة حيث لم يحللها الشعاع الاخضر الاصلي نعني الشعاع الوارد من احدى نقط الشيء المصوَّر الى النقطة ن

ومتى امتزج في عيننا الشعاعان النارنجي والبنفسجي السابق ذكرهما تـكوَّن منهما اللون الارجواني ولذلك نرى النقطة ن ارجوانيّة كمـا اسلفنا. والارجواني يُسمّى في اصطلاح علماء الطبيعة اللون المُتمّ (complémentaire) للاخضر حيث ينتج من

جمعها اللون الابيض . وعلى وجه الاطلاق يقال ان لوناً مــا متمّ لآخر اذا نجم اللون لابيض من اتحادهما . فاذا فهمت شروحنا السابقة — ولا صعوبة فيها للقارئ المتأني المنتبه — اتضح ان كل نقطة من صفيحة لوميار تتلوّن على اثر العلاج الكيماوي المعتاد باللون المتم للون المقابل تلك النقطة في الشيء المصوَّر . فيلزم حينئذ معالجة الصحيفة علاجاً آخر لاستعادة الالوان الطبيعية . وخلاصة هذا العلاج ان تُزال المادّة الحساسة في النقط التي فقدت فيها شفوفها على اثر تحليلها بتأثير الاشعة الواصلة اليها . يُنال ذلــك بغطس صفيحة لوميار في محلول برمنغانات البوتاس (permanganate de potasse) الممزوج بقليل من الحامض السلفوريك . ثم تُعرض الصفيحة لنور الشمس . فلنرَ الان تأثير هذا النور على النقطة ن

الشعاع البنفسجي والشعاع النارنجي المحتويان في نور الشمس يجتــازان بكل سهولة الحبوب التي من لونهما وراء النقطة ن ثم يحلّلان خلف تلك الحبوب المادَّةَ الحساسة فيُفقدانها شفوفها — امّا الشعاع الاخضر المحتوى ايضاً في نور الشمس فهو لا يستطيع مثل ذلك التحليل لانّ المادة الحساسة الواقعة وراء الحبوب الخضراء قد أُزيلت في محلول برمنغانات البوتاس السابق الذكر

فيترتب على ذلك اننا اذا صوّبنــا الآن نظرنا الى النقطة ن رأيناهــا خضراء كالنقطة المقابلة لها في الشيء المصوّر لان الشعاع الاخضر وحده يستطيع الوصول الى عيننا بعد عبور نقط شفّافة من المادة الحساسة . وعلى هذا النمط نرى كل نقطة من صفيحة لوميار ملوّنة بذات اللون الذى يقابلها في الشيء المصوَّر

ان طريقة لوميار المخترعة من نحو عشر سنوات فاقت برواجها كل ما سبقها من طرق التصوير الــملوّن ولاسيما طريقة الاستاذ ليبان التي كادت تنحصر في الــدوائر العلمية . وسبب ذلك ان للاولى على الثانية مزايا هامّة من الوجهة العملية وهي عدم الاحتياج الى الزئبق الشديــد الغلوّ والمثقّل كثيراً لآلة التصوير — ثم سرعة التصوير تكاد تبلغ سرعة التصوير المعتــاد — وزد على ذلك ان صفائح لوميــار بعد انتهاء معالجاتها الكيماوية تكون ملوّنة في حدّ ذاتها بسبب حبوبهــا المثلثة الالوان (راجع شرحنا السابق) . اما صفائح ليبان فليست ملوّنة في حدّ ذاتها بل تراها عيننا ملوّنة بسبب تحليلهــا لنور الشمس الابيض الوارد منها الى مقلتنا

وعلى كل حال فكلتا الطريقتين لا تمكّن كما اسلفنا من تكثير الصور المأخوذة عن صفيحة واحدة على الورق الفوتغرافي. وبسبب ذلك النقص العظيم نرى حتى يومنا طريقة لوميار هذه قليلة الرواج رغماً من كمالها النسبي . والله المسؤول ان يهدي ذوي القرائح الوقّادة الى سدّ هذا الخلل الجوهري في المستقبل العاجل

# المذهب الدرويني واصل الانسان

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعيّ (تابع)

## نَسْل الانسان واصلهُ

انَّ مسئلة اصل الانسان ذات شأن عظيم ولذلك لا بُدَّ من فحصها فحصاً منفردًا مدقَّقاً . انَّ دروين في كتابهِ الاوَّل المعنون «بأصل الانواع» لم يتعرَّض للبحث عن اصل الانسان فلمَّا شاع كتابهُ وتمذهب بمذهبهِ بعض تلامذتهِ فتجاوزوا حدودهُ واطلقوا رأيهُ على نسب الانسان حذا هو ايضاً حذوهم وانتمى الى قولهم بعد اثنتي عشرة سنة في كتابهِ «اصل الانسان» وزعم على مثالهم انَّ الانسان بلغ الى حالتهِ من العقل والنطق بمدى الدهور بعد ان مرَّ بسلسلة تحوُّلات عديدة وترَقّى بالتدرُّج من البهيمة الى حيوان ناطق . ويعلّل ذلك بستَّة ادلَّة هي كما ترى :

١ً انَّ بين الانسان وبين ذوات الاثدي من الحيوان شبهاً عظيماً من حيث تركيب الجسم والصورة العموميَّة ففي كليهما مشابهة في العظام والاعصاب والعضلات ومجاري الدم والاحشاء حتَّى المخّ

٢ً يستطيع الحيوان ان يُعدي الانسان بعدَّة امراض واوبئة كما انَّ الانسان على عكس ذلك يمكنهُ ان يُعدي الحيوان كما ترى مثلًا في الكَلَب . وهذا دليل على شبه دمهما

٣ً انَّ بعض الحيوان يأنس بما يأنس بهِ الانسان كالقرد مثلًا الذي يستطعم القهوة والشاي والتبغ والاشربة الروحية وبهِ يثبت انَّ لكليهما ذوقاً واحدًا ومعدة متشابهة

٤ً يرعى اجسام ذوات الاثدي الكبرى والبشر عدَّةُ حشرات متطفّلة تتشابه جنساً ان لم تتشابه نوعاً

٥ً انَّ النطفة البشريَّة ونطفة الحيوان في بعض تطوُّرهما كأجنَّةٍ في بطن الامّهات لا تكادان تختلفان صورةً ومادَّةً . وهذا الامر يعدُّهُ الدرونيّون كاحد الامور الجوهريَّة في تأييد مذهبهم

٦ً انَّ لكلِّ ذوات الثدي وفي جملتها الانسان في بعض انحاء اجسامها الخارجة او الباطنة شيئاً من الاعضاء الأثريَّة الدالَّة على انَّها امَّا بقايا بعض الاجهزة التي بطل استعمالها قبل تطوُّر اصنافها وامَّا هي اعضاء جديدة سوف تقوى وتبلغ يوماً كمالها

هذه هي الادلَّة التي استند اليها دروين وفيها من ظواهر الحقيقة ما لعلَّهُ يؤثر في عقول البسطاء ويدفعهم الى الانضواء الى رأيهِ في اصل الانسان فدعْنا نسبر بمعيار العقل هذه الادلَّة ونبحث عن حقيقتها الوهميَّة فنقول :

انَّ الادلَّة الاولى الاربعة تعود الى دليل واحد لا غير لأنَّ من الدليل الاوَّل تشتقّ الادلَّة الثلثة التالية ويمكنَّا تفنيدها بهذا الجواب الاجمالي : ان كان الله عزَّ وجلَّ قد شاء بعنايتهِ ان يكون جسم الانسان شبيهاً بصورة الحيوان من حيث هيكلهِ ومشاعرهِ واجهزتهِ فبديهيٌّ انَّهُ اراد ايضاً ان يكون التشابه في الدم والاحشاء والمعدة الخ كما اراد ايضاً ان يكون بينهما تشابه في الامراض والذوق والحشرات المتطفّلة . . .

امَّا الدليل الخامس فلا نتَّسع بتفنيدهِ لأن ذلك من امور الاختصاصيين . على انَّنا نستطيع القول بان هذا التشابه بين الاجنَّة ليس هو ثابتاً لأنَّ هِكَل لمَّا حاول اثبات قولهِ في ذلك زوَّر صور الاجنَّة وبيَّن العلماء كذبهُ وخداعهُ ( المشرق ١٣ [١٩١٠] ٧١٩ )

فلكي نجيب على دليلَيْه الباقيين الاوَّل والسادس ها نحن نبسط الكلام في تلك الاعضاء الاصليَّة الاثريَّة وفي التحوُّلات التي يزعم دروين انَّها كانت المسبّبة لها ثمَّ نعتبر الاختيار التناسليّ الذي يدَّعي دروين انهُ اكبر عامل لتلك التحوُّلات والترقّيات واخيراً نبحث عن الشبه الموجود بين جسم الانسان وجسم الحيوان (١

١) النصوص التي نقلها عن دروين اخذناها عن الطبعة الثالثة من ترجمتها عن اصلها الانكليزيّ ( الطبعة الثانية ) بقلم المسيو ادمون بربيه (Ed. Barbier)

## ١ الاعضاء الاثرية ومذهب التحول

قال دروين : « لا مراء في انَّ لكثير من الحيوان اعضاء غير تامَّة البنية يمكن الاستدلال منها انَّها موروثة من اجداد سابقين فضمرت وضعفت لقلَّة الاستعمال. مثال ذلك ان لبعض ذوات الثدي كاصابع أثريَّة تُرى في الكلب والحصان »

ونجد في الانسان نفسهِ بعض الاعضاء الخارجة او الباطنة الضامرة التي يتوهَّم الناظر اليها انَّها آثار لحالة سابقة وُجد فيها فمن ذلك تركيب الآذان والزَّغب المنتشر على الجسم والمعاقم اي الفقرات في اسفل سلسلة الفقار. أليست هذه الآثار في الحيوان والانسان بقايا اعضاء اضحت اليوم دون جدوى وصورًا لأجهزة سابقة تعقَّمت او لأَجهزة مستقبلة سوف تتكوَّن في الاجسام ؟ والَّا فما هي يا تُرى الفائدة من هذه الاعضاء الزائدة ؟

قبل ان نجيب على اعتراض دروين في هذه الاعضاء الاثريَّة المعقَّمة او المتحوّلة على قولهِ دَعْنا نقدّم على ذلك ملحوظًا عموميًّا. الى اي شيءٍ يستند دروين واصحابهُ في زعمهم ان هذه الاعضاء الاثريَّة موروثة من اجدادٍ سابقين وانَّها قد تعقَّمت بتمادي الزمان او انَّها مبادئ اعضاء مستقبلة ؟ اليس تفسيرهم هذا احد اوهامهم المحمولة على التخيُّلات دون الوضعيَّات المعهودة ؟ فلو كان مذهب التحوُّل مثبتاً بالبراهين المقنعة لأَمكنهم ان يؤيّدوا تلك البراهين بهذه الادلَّة . امَّا ان يجعلوها اساس مذهبهم فذلك مخالف للنظريَّات وللقياس المنطقي

ثمَّ ان صحَّ افتراضهم انَّ تلك الاعضاء موروثة من الاجداد وجب عليهم ان يبيّنوا لايّ سبب بعد ضعفها وضمورها لم تبلغ القوى الطبيعيَّةُ الى نَفيها وملاشاتها مع انَّهم ينسبون الى تلك القوى القدرة على توليد اعضاء جديدة. وكذلك افتراضهم انَّ هذه الاعضاء الاثريَّة هي اصول اعضاء سوف تكمل في المستقبل مبنيٌّ على الوهم اذ ينسبون الى الطبيعة العمياء العمل لغاية معلومة ومقصودة من سابق الازمنة وهذا يتجاوز طور المذهب الدرويني القائل بالانتخاب الطبيعي لأن العمل لغايةٍ يدلُّ على عقل فائق الطبيعة يرشدها الى تلك الغاية

ثم يمكننا القول مع بعض الكتبة انَّ هذه الاعضاء التي نراها عقيمة دون جدوى

في حياة الانسان البالغ لا يُستبعَد انَّها مفيدة للمولود في طور حياتهِ كجنين في بطن امهِ لأنَّ تلك الحياة سرٌّ غامضٌ لم يدرك العلماء حتَّى الآن دقائقهُ

وقد اعترف دروين عينهُ في كتاباتهِ الاخيرة انهُ في تآليفهِ السابقة نسب الى الاختيار الطبيعيّ قوَّةً زائدة قال (ص ٦٥ من كتابهِ في اصل الانسان) عن هذه الاعضاء الاثريَّة: « انَّهُ لمن المحتمل كما يظهر لي اليوم انَّ في تركيب كلّ الكائنات ذات الاجهزة الآلية ومن جملتها الانسان بعضَ الخواصّ التي ليس منها فائدة في الحاضر ولا في الازمنة السالفة ولا اهميَّة لها فيزيولوجيَّة »

هلمَّ بنا الان نتبع دروين في بعض تفاسيرهِ التي اخترعها لتعليل اصل تلك الاعضاء وما طرأ عليها من التقلُّبات وما بقي من آثارها. فممَّا ضربهُ مثلًا على ذلك الثُّندوتان الظاهرتان في صدر الذكور من ذوات الثدى فيزعم انَّهما كانا في الاصل ثديَيْن كاملين كما في صدر النساء يرضعون بهما مثلهنَّ صغارَهم لكنَّ الذكور أهملوا ذلك وخصُّوهُ بالنساء فصغر في صدرهم حجمُ الثديين فأصبحا ثندوتَين. وهو تفسير عجيب لا اثر لهُ في علم الطبيعة وقد اتى بهِ صاحب المقتطف في بعض اعدادهِ

ومثلهُ قولًا وهميًّا في ثنايا الحيوانات المجترَّة التي لا تُرى بين اسنانها وهي مع ذلك في مكانها تغطّيها اللّثة فيزعم دروين انَّها اصلٌ لثنايا سوف تظهر يوماً في المستقبل

ويزعم — وهذا من باب المضحكات — انَّ الغفَر اي الشَّعَرات التي تُرى منبثَّةً على بدن الانسان انَّما كانت في اوَّل الامر صوفاً يكسو جسدَهُ كبقيَّة الحيوانات. ومثلهُ تفكُّهاً قولهُ ان المَاقم التي في اسفل سلسلة الفقرات كانت عَجْب ذنَبهِ الطويل كالحيوان

وان سألتَ دروين وكيف حصلت هذه التحوُّلات فانَّهُ يأتي بأجوبة تُضحك الثكلى وهو يعدُّها كأجوبة مقنعة. فاسمع كيف فقد الانسان صوفهُ الذي كان يوشّح جسمهُ. ظنّ دروين باديَ بدء انَّ ذلك لربَّما حصل بفعل الشمس او بتأثير الامكنة التي استوطنها. ثمَّ حدَسَ بانَّ الانسان الاوَّل رأى صوفهُ مأوى للحشرات الصغرى فنبذ ذلك الصوف. وفي آخر الامر ارتأى انَّ الامر حصل بنتف ذلك الصوف من الجسم لاسيَّما المرأة التي حاولت جرْدَ جسدها تفنُّقاً ورغداً فجاء نسلها منتوف الشعر مسحوج الجلد

ومن مضحكات دروين ومبكياتهِ شرحُهُ لفقد الانسان ذَنَبهُ قال ( ص ٦ ) :

« على ما يظهر لنا ان الانسان كما القرود الشبيهة بهِ قد فقد ذنبهُ بالاحتكاك او بالجروح التي تعرَّضت لهُ بما لا يُحصى من الدهور . ثمَّ انَّ عَجْب الذَنَب صَغُر وتضاءل في البدن فدقَّ حجمهُ وتغيَّرَت هيئتهُ ليصبح مُناسباً لانتصاب القامة في الانسان او لنصف انتصابها في القرد »

ولعلَّك تتصدَّى لدروين وتقول لهُ : ان كان الاحتكاك او السَّحج قد كفيا لازالة ذَنَب الانسان فكيف ثبت الذنَب في الكلاب والهِرَرة وكلاهما يقعد عليهِ غالباً ؟ فمن اين الاختلاف ؟

وعلى رأي دروين ان طيَّاتِ الآذان وغُضونها الخارجة الصَّدَفيَّة الشكل هي اعضاء اثريَّة كانت سابقاً طويلةً متطرّفة وذات حركة كالحيوان فأُصيبت بأذًى ما فقصرت واصبحت ساكنة اخفّ سمعاً من البهيمة

وكذلك الشمّ فانَّ الانسان فقد شيئاً من حدَّتهِ التي تُرى في البهائم . وذلك على قول دروين لأن الحيوان في غاية الحاجة الى حاسَّة الشمّ ليُرهق صيدهُ وليتقي عدوَّهُ وان سألت دروين : وما سبب ضعف هذه الحاسَّة في الانسان ؟ اجابك : لأنَّها اقلّ فائدةً لهُ . يا للجواب المضحك ! وكيف تزعم ان القوَّة الشامَّة اقلّ فائدةً للانسان وانت تفترض الانسان في فطرتهِ الطبيعيَّة أَمَا كان اليها في حاجة ماسَّة لطلب قوتهِ ولادراك رائحة عدوّهِ ؟ . ألا ترى انك تجعل الانسان ادنى من الكلاب التي امتازت بشمّها العجيب بل ادنى من كلّ الحيوانات التي تميّز بشامَّتها قُوتَها فتختار صالحهُ وتحيد عن ضارّهِ ؟

وان شئتَ ان تعلم كيف يشرح دروين انتصاب الانسان على رجليهِ على خلاف الحيوانات الدابَّة فأَصْغِ سمعك الى هذه الفكاهة الجديدة قال :

« رأى الانسان انهُ لا يقوى على السَّيْطرة الَّا اذا استعان بيديهِ واتَّخذهما كآلتين توافقانهِ مذعنتَيْن لإرادتهِ . . . على ان ذلك ما كان ليتسنَّى لهُ الَّا ان يخصّ يديهِ باعمال تمرينيَّة كإعداد الاسلحة ورمي الحجارة ورشق السهام الخ . وذلك كلُّهُ كان يستدعي ان يلقي بثقل جسمهِ على ساقيهِ ورجليهِ . . . وناهيك بهذا السبب تعليلًا لاختيار الانسان لانتصاب قامتهِ . ولكن يوجد اعمال كثيرة اخرى تضطرّ الانسان الى تحرير ذراعيهِ وتهيئة صدرهِ واعلى جسمهِ

ليستقرَّ على رجلَيْهِ ثابتًا . ولكي ينال هـذه الغاية المرغوبة قد انبسطت رجلاهُ واتسعتا ثمَّ تغيَّرت صورة ابهام الرجل فلم يعد يستطيع الانسان ان يقبض برجلهِ شيئًا »

فيا لها من شروح عجيبة غريبة بل من سفاسف تافهة ! كيف أَمكن دروين ان يعرضها على قرَّائهِ بلا مزاح ! فانَّهُ اعتبر الانسان كقردٍ اوسع فهماً من رصفائهِ فخصَّ نفسهُ باعمالٍ دقيقة أَدَّت بهِ الى ان يمشي منتصباً . فكم هناك من المستحيلات التي رضي بها دروين دون ان يسندها الى سبب معقول . وما لهُ لا يثبت صحَّة قولهِ بتربية صغار القرود لتفوز كأسلافها بمزايا البشر كما فعل بعض المتهوّسين في هـذه السنين الاخيرة فما ادَّت مساعيهم الَّا الى الفَشَل والخيبة وربمَا عرَّضوا نفوسهم الى شراسة اولئك الحيوانات الكريهة كما حدث لملك اليونان الذي ذهب ضحيَّة مؤانستهِ لقردهِ

ولعلَّك تريد ان تقف على الحلقات التي وجدهـا دروين ليثبت تناسل الانسان من القرد . وقبل كلّ يجب ان نروي اقرارهُ بانَّهُ حتَّى اليوم لم يمكن احدًا ان يبيّن وجود حلقةٍ تجمع بين العاقل وغير العاقل فانَّهُ يكرّر ذلك غير مرَّة . قال (ص ١٥٨) : « انَّ الانسان يتنـاسل من جنس ادنى من جنسهِ ولو لم نقف حتَّى الآن على الوصلة الجامعة بينهما » . وقال (ص ١٧٠) : « انَّ بين الانسان والنسل السابق الـذي تفرَّع منهُ هاويةً عظيمة لم يمكنَّا بيان الجسر الجامع بينهما سواء كان بين الحيوانات المعروفة حاضرًا او البائدة سابقًا »

ومع اقرار دروين بهذه الحقائق تراهُ يتنطَّع في كلامهِ ويتفَيْهَق ويزعم انَّ الانسان من احـد اجنـاس القرود المفقودة والقرودَ من جنس حيوانات موجودة في جزيرة مدغسكار تُعرف باسم ليموريان (Lémurien) وانَّ الليموريان من جنس المرسوپيو (Marsupiaux) المختصَّة بكيس في صدرها تأوي اليهِ صغارهـا . وهؤلاء ينتمون الى حيوانات في اوسترالية تدعى مونوترام (Monotrême) وينزل منها الى الاسماك ثمَّ الى دعاميص الضفادع . والدليل على انَّ اصل الانسان الاوَّل من مولودات بحريَّة تأثير القمر في جسمهِ كما يؤثر في مياه البحر وحيوانهِ بالمدّ والجزر . زهْ ! زهْ !

فالى هذه الدرجة من الخرافات والترَّهات يبلغ بعض العقلاء اذ يصمُّون آذانهم دون صوت الوحي ففي كلّ بيداء يهيمون . واذا عجزوا عن فكّ الاعتراضـات التي يقدّمهـا لهم خصومهم لا يجيبون بغير تكرار اعتقـادهم بمذهب التحوُّل والترقّي

فيطلبون من مشايعيهم ان يذعنوا الى كلامهم ويقبلوهُ مطيعين لحكمهم طاعةً عمياء.

وربَّ سائل يسأل ان كان دروين متشبثاً بمذهبهِ هذا المنافي للحقائق الثابتة فما كان يا تُرى معتقدهُ في آخر حياتهِ عن وجود الخالق وخلود النفس وعن وحدة او كثرة النوع البشري؟

لا شكَّ في ان دروين قرَّر دون تردُّد وحدة جنس الانسان مع اعترافهِ بصنوفهِ المختلفة كما انَّ للنوع الواحد من الحيوان ضروباً مختلفة تدلُّ على اصلها الواحد ويثبت دروين رأيهُ بقولهِ (ص ٦٦٠) «انَّ بين عناصر البشر المتباينة تشابهاً من وجوه شتَّى سواء كان في تركيب اجسامهم ام في خواصّهم العقليَّة حتَّى انهُ لا يجوز مطلقاً ان ننسب تلك الخواص الى غير وحدة اصلهم واكتسابهم تلك المزايا بالوراثة»

ولعلَّك تسأل وكيف يوفّق دروين بين عقيدة وجود الله الخالق ومزاعمهِ في ذاك الترّقي الطبيعي في طبقات الحيوان من اوهامها الغريزيَّة الى النطق والادراك؟ هذا شي لا يوضحهُ صريحاً وما لا ريب فيه انهُ يعتقد وجود الله ويعترف بهِ خالقاً. ومما يثبت قولنا ما نُقل عنهُ (ص ٩٩) اذ يُلقي على نفسهِ هذا السؤَال الآتي: هل اعتقد الانسانُ باديَ بدء وجود الله؟ فقبل ان يجيب على هذا السؤَال يروي اقوال بعض ارباب الاسفار عن شعوب همَجية زعموا انَّ ليس في لغتهم كلمة للدلالة على الله (١ ثمَّ يردف دروين قائلًا: «ولا حاجة الى تنبيه القرَّاء على انَّ سؤَالنا عن معتقد الانسان الاوَّل وبعض الشعوب بوجود الله يختلف عن سؤَال آخر أعلى درجةً وارفع مقاماً اعني حقيقة وجودهِ تعالى التي اجمعت في كلِّ الازمنة العقول النيّرة على اثباتها بالايجاب»

كذلك قد صرَّح دروين عن اعتقادهِ لخلود النفس فمن جملة ما تفوَّه بهِ قولهُ (ص ٦٧١): «بديهيٌّ ان يتساءل ذاك الذي يرتإي ترّقي الانسان من الحيوان كيف نوفّق بين هذا الرأي مع خلود النفس؟... لكن ايَّة حاجةٍ لنا ان نعرف بتدقيق في أي زمن من اطوار حياتهِ يُضحي المولود خالداً سواء كان ذلك قبل ميلادهِ او بعدهُ. فليس في جَهْلنا ذلك في مسير حياتهِ الراقية ما يوجب القلق... وكما انَّ

١) قد فنَّد كثيرون من المرسلين الكاثوليك هذه الرواية وبيَّنوا اعتقاد أبعد الشعوب من الحضارة والتمدُّن بوجود الهٍ يدعونهُ باسماء مختلفة ويتصوَّرونهُ على صور شتَّى

عقلنا لا يستطيع تحديد زمن تطوُّر الانواع وتحوُّلها من طبقةٍ الى اخرى كذلك في حياة الافراد ظواهر متعدّدة يعسر علينا تمييز خفاياها ولا يرضى العقل بنسبتها الى مفعول قوَّة عمياء »

فهذا كلام لا يمكن تفسيرهُ الَّا بان يقال انَّ للخالق عزَّ وجلَّ فعلهُ الخاص في اطوار حياة الانسان وانهُ هو الذي يمنح النفس البشريَّة خلودها وان كنَّا نجهل بالتدقيق في اي زمن من حياتهِ ينال الولد تلك النفس الخالدة

فهذه النصوص التي رويناها لدروين تبيّن انَّهُ في اواخر حياتهِ ثبت على اعتقادهِ بوجودهِ تعالى وبخلود النفس وانَّهُ لم يجنح الى مذهب المادّيين وان كان اتَّسع في رأيهِ عن تحوُّل الانواع وترقّيها وبلغ الى القول بانَّ اصل الانسان من جنس القرود. وهذا ايضاً ما اعلن بهِ الانكليز مواطنوهُ لمَّا احتفلوا قبل بضع سنين بتذكار مولدهِ المئويّ فاقاموا لهُ حفلات مدنيَّة ودينيَّة معاً اشارةً منهم انَّهم لا يعتبرونهُ كأحد جحَدَة اللاهوت والكفَّار. كيف لا وهو القائل: « اني ما كنت مطلقاً زنديقاً ولم انكر وجود الله . . . واظنُّ انَّ مذهبي في النشوء والترقّي ليس بمناقض لحقيقة وجود الله »

## ٢ الانتخاب التناسلي وتأثيره في الحيوان

احسَّ دروين بضعف حججهِ لتأييد مذهب النشوء والتحوُّل ولذلك اطال الكلام في كتابهِ عن اصل الانسان وجمع كلّ ما امكنهُ من التغييرات الواردة في الحيوان ولاسيَّما في ذوات الثدي ظنًّا منهُ انهُ يقنع بها القرَّاء

وممَّا يجعلهُ في مقدَّمة العوامل لاثبات زعمهِ الانتخاب النَّسلي الداخل في ضمن الناموس العظيم اي الانتخاب الطبيعيّ. ومرجع الانتخاب النَّسلي الى وجود جنسَي الذكر والانثى في عامَّة الحيوانات حتَّى الهوامّ فيقول دروين قد طُبع الجنسان على ان يجمعا تدريجاً قواهما الخاصَّة بهما مع بقيَّة المزايا اللاحقة بها ليورثاها نسلهما من بعدهما

واثباتاً لهذا القول يأتي دروين بوصف عدد عديد من الاعضاء والاجهزة الثانويَّة التي استلزمت الطبيعة بالعموم وجودَها او استدعى الافرادُ تركيبها. على انَّ دروين لنزاهة اخلاقهِ وجد كثيراً من الامور التي تخالف اقوالهُ والمبادئ التي وضعها. وها

نحن نثبت شيئاً منها قال : « ان الذكور عادةً اقوى من الاناث لانهم معرَّضون للقتال ولذلك يجب ان يكونوا مسلَّحين ولهذا قد أُعطي اصناف كثيرة من الحيوان اسلحةً دفاعيَّة وهجوميَّة كالقرون في الخراف والانياب في السباع فترى قرون التيوس اطول من النعاج وكذلك انياب ذكور السباع اعظم من انياب الاناث . لكنَّ هذه القاعدة لا تصح كما لحظ دروين عينهُ في قرون المعز الملتوية الى الوراء غير الصالحة للمقاتلة . وكذلك الايائل فانَّ قرون ذكورها آفةٌ لها في الحرب لافراط طولها فتنشب في الادغال وتشتبك بقرون اخصامها . فلا يستطيع دروين ان يطابقها على قاعدتهِ الَّا بقولهِ ان تلك فلتات الطبيعة او غاية تلك القرون الزينة لا التسليح والقتال

وربما يجد دروين تقصير الانتخاب التناسلي في بلوغ غايتهِ فينسب للحيوان نظراً سابقاً وسعياً وراء غاية مقصودة كقولهِ عن ظبي ذي قرون مروَّسة حادَّة : « انَّ الظبي الاوَّل الذي خُصَّ بقرون محدَّدة اصاب ذلك صدفةً من الطبيعة الَّا انَّهُ رآها مفيدةً فأورثها نسلهُ من بعدهِ » (ص ٥٦٣)

وقال ايضاً : « انَّ الاصوات الرخيمة والريش الفاخر في الطيور قد حظيت بهما الذكور دون الاناث وذلك من مفاعيل الانتخاب التناسلي لأنَّ الذكور نوت بذلك استلفات نظر الاناث وإطرابهنَّ عند حضانتهنَّ » ولكن ليس ذلك مطَّرداً وربما تساوى الذكور والاناث في كُمدة الالوان او شبهها فكيف يفسّر دروين ذلك ؟ انَّ هذه الاعتراضات لا تعيق دروين فانَّهُ يرى لكل شيءٍ جواباً ساء او حسن . فاسمَعْ : « انَّ لبعض الطيور الواناً كَمِدة لانها ما وُجدت في احوال توجب تغيير تلك الالوان او لأنَّها تفضّل الالوان البسيطة كالابيض والاسود على سواهما . ولربما حصل ذلك بالانتخاب النسلي فاختارت الطيور تلك الالوان القاتمة لتأمين حياتها من العدوّ » ( ص ٢٠٨ ) . فترى كيف يتملَّص دروين من الاعتراضات على اقاويلهِ وتفنيد قواعدهِ بكثرة شذوذها

وكذلك تتنوَّع شروحُهُ على انتقال خواصّ الحيوان من الجدود الى الخلف في اصنافها بالوراثة ذكوراً كانت او اناثاً . فتارةً يزعم انَّ الذكر وحدهُ يورث الذكور من جنسهِ خواصَّهُ كالديك مثلًا اورث الديكة عُرْفهُ ومخالبهُ وتارة يزعم انَّ الاناث ايضاً تنال بالوراثة بعض خواصّ الذكور . وحيناً يقرُّ « بأنّنا في اغلب الاوقات لا نعلم

لايّ سبب تنتقل بعض الخواص بالوراثة الى الجنسين ، معاً بينما خواصّ اخرى لا تنتقل الّا الى جنس واحد وهو الجنس الذي ظهرت فيهِ هذه الخواصّ لاوّل مرّة » ( ص ٢٥٥ ) . فما لك اذن يا دروين ان كنت جاهلًا لاسباب كلّ هذه الشواذات تبني اقوالك على مبادئ عموميَّة لا تستطيع تعليلها في مواطن كثيرة ؟

وقد حاول دروين ان يبيّن انتخابهُ النسلي المزعوم حتى في الحشرات والهوامّ فيزعم انَّ الفراشات هي التي باختيار تناسلها استفادت الوان ريشها العجيبة وانَّ الحشرات الغمديَّة الاجنحة استخارت لها بالتناسل قرونها الرفيعة هذه طويلةً وتلك قصيرةً وان المتناسقة الاجنحة كالصرصور استلطفت الاصوات الصيّتة . وقس على ذلك بقيَّة الهوامّ التي يتحذَّق دروين في مخيّلتهِ ايجد فيها شبهاً ايًّا كان ليثبت اوهامهُ

خذ مثلًا الحُباحب اي الذبابة الصغيرة ذات السِراج اللامع في الليل فاسأل دروين ما السَّبب لهذا النور التي تبعثهُ الأُنثى دون ذكرها ؟ يُجبْك فورًا : لأن لهذه الهوامّ المنيرة اعداء في بعض الطيور وصغار ذوات الثدي فتبعث الحباحب نورها لتنجو من شرّها ولعلمها بان اولئك الاعداء يكرهون النور ويتشبَّه بالحباحب على قول دروين هوامّ اخرى لادراك تلك الغاية ( ص ٥٠٦ ) . فترى في كلّ هذه الشروح كيف ينسب دروين للحشرات فهماً وادراكاً اذ تتوخّى وسائط معلومة تبلّغها الى غايات مقصودة

دونك مثلًا آخر : انَّ في الغابات وعلى شجرها وتحت اعشابها بقاً يُعرف ببقّ الخشب فصنفٌ منهُ تزين ذكورهُ وانثاهُ ألوانٌ زهيَّة فما معنى هذه الالوان؟ يقول دروين ( اسمع وتماسك عن الضحك ) : «معلوم انَّ هذه الحشرات ذات رائحة خبيثة فتزيَّنت بهذه الالوان الجميلة لتحذّر بها الحيوانات التي تحاول التهامها لتعلم انَّها غير طيّبة للاكل» ( ص ٣٠٩ ) اعني انهُ ينسب لها فهماً كأنها تقول لعدوّها بلسان حالها : ايَّاك ان تأكلني فاني لست لذيذة الطعم

وهذه خنافس نوعٌ منها معدنيّ اللون غاية في الحسن فما الفائدة من اختيارها ذلك؟ يجيب دروين : هذا اللون ان كان لا يفيدها لحماية نفسها ينفعها لتحذير عدوّها كالحباحب المنير ( ص ٣٣٣ )

وما معنى هذه القرون الضئيلة الطويلة المرتكزة في جبهة او مناكب بعض الجعلان فايّ غاية قصدت بها تلك الحشرات وهي تعيقها اكثر من ان تفيدها اذ لا

تقوى على دَفع عدوّها ولا يمكن تعليلها لفائدة سابقة ؟ يقول دروين : « يجب ان نفترض انَّ هذه الحشرات حصلت على تلك القرون لتزدان بها » (ص ٣٢٧) . ما أحلى والطف هذا الشرح في جعلان تعيش في الاقذار والزبل وهي تطلب الحليَّ والزينة لنفسها بوضع قرونها !

ولدروين شروح هزليَّة مضحكة في تعليل الوان الفراشات فكلٌّ يعلم ما خُصَّت بهِ هذهِ الهوامّ من الالوان البهيَّة المختلفة فدروين يزعم ان كثيرًا من صنوفها عمدت الى تلك الالوان الجميلة لتقي نفسها من نَهَم الحشرات الطالبة أكلها لتحذَرها من ذلك لسوء طعمها (ص ٣٤٣) . ويزعم انَّ اصنافاً غيرها تمثَّلت بها في زينتها لتأمن من اعدائها . ويدّعي دفعات اخرى انَّ تلك الفراشات تخيَّرت لها الريش الملوَّن المصقول لتنجو من اسنان الطيور التي تحطّ عليها ولا تمسّ جسمها وانَّما تخدش فقط ذلك الريش (ص ٥٤٥)

وان وجد فراشاً ذا ريش قاتم يدَّعي انهُ استخارهُ ليتشبَّهُ باوراق الاشجار وقشورها التي يسكن فيها

وكذلك دود تلك الحشرات يدَّعي دروين انَّها تتفنَّن في تحصين حالها تارةً بان تتَّخذ لها زئبرًا شائكاً وحيناً بان تجاري ما حولها من الاعشاب في الوانها الكمدة لئلَّا يراها الطير . وان رآها جميلة الالوان يزعم كما قال عن الفراش ان ألوانها اللطيفة تُوعز الى عدوّها بانهُ لا يجد في اكل لحمها لذَّةً ( ص ٣٥٨ ) فهي تفعل كبعض باعة الادوية والعقاقير الذين يودعون الادوية المسمومة في زجاجات ملوَّنة تأميناً لحياة العموم لئلَّا يمسُّوها ( ص ٣٥٩ )

ولم ينسَ دروين الحيَّات وما لبعض اجناسها من الالوان الساطعة . فيروي في كتابهِ (ص ٣٨١ ) مراسلة لبعض اهل اميركة الجنوبيَّة الذي افادَهُ انَّ هناك اربعة اصناف من الحيَّات الظريفة الالوان ضربان منها سامَّة قاتلة وضربان آخران لا يؤذيان ويصعب على العموم التمييز بين الصنفين . فيستنتج دروين انَّ الصنفين الاخيرين تقلَّدا الوان الصنفين السامَّين ليخدعا بذلك المسافرين فلا يقربون منهما كما يهربون من ذينك الجنسين الخبيثين (ص ٣٨٨ )

وهكذا يحاول دروين في شرح كلّ ما يراهُ في الحيوان فينسب اليهِ عقلاً فهيماً

مدركاً لصلاح نفسهِ طالباً لخيرهِ الوسائل المنجية ومتَّخذاً عمداً ما يراهُ اقرب الى تلك الغاية التي قصد ادراكها

وقد ضرب دروين صفحاً عن اخلاق عديدة للحيوان لو تصدَّى لها لزادتهُ ارتباكاً وحيرةً وعجز عن شرحها . فما قولهُ مثلاً عن غريزة بعض الهوامّ والحشرات كالعناكب والعقارب التي اثبت العلّامة فابر انَّ اناثها اذا حملت هجمت على ذكورها وازدردتها . أفيقول دروين انَّ هذا ايضاً من الانتخاب النسليّ ؟ لكنَّهُ فضَّل السكوت عمَّا لا يستطيع وجود وجهٍ معقول لشرحهِ . فترى كم وكم من الاوهام والتخيُّلات الغريبة تهافت اليها دروين لبلوغ غايتهِ ليثبت في آخر الامر تناسل الانسان من البهيمة . وقد روينا كلامهُ ومزاعمهُ ليحكم القارئ حكماً عدلاً في المذهب الدرويني ويقدّر عواملهُ قدرها من الضعف والعجز عن ادراك ما ادَّعاهُ لها

وممَّا يجب تنبيه القرَّاء اليهِ جهل دروين لطباع الحيوان فانَّ علماء الطبيعة الذين درسوا اخلاق الحيوانات وغرائزها بمراقبة حركاتها وسَكَناتها وباقي شؤون حياتها قد اثبتوا ما لا يُحصى من اعمالها المقرَّرة التي هي على طرفي نقيض مع ما رواهُ دروين الذي درس الحيوان في متاحف بلادهِ فقابل بين اشكالهِ الميّتة الجامدة التي رآها هناك منضَّدةً منظَّمةً على الرفوف بيد احد العلماء فظنَّ انهُ تكفيهِ المقابلة بينها ليضع تلك المبادئ العموميَّة التي توهَّم صحَّتها وهيهات ان تنطبق مع الحقيقة في شيء

## ٣ شبه الهيكل البشري وهيكل الحيوانات الفقارية

من جملة البراهين التي يلوذ بها غالباً ارباب مذهب النشوء والمادّيون لينشروا مذهبهم الباطل ما يجدون من الشبه بين هيكل الانسان وهيكل الحيوان فتراهم اذا حاولوا اثبات رأيهم عرضوا بالتصوير في المجلّات وكتب التاريخ الطبيعيّ هياكلَ البشر والقرود ثمّ هياكل الطيور وذوات الاربع ليتأثَّر الناظر من الشبه بينها ويعدل الى مذهب النشوء والتحوُّل ويحكم انَّ كلّ ذلك من فعل الطبيعة العمياء لا دَخل فيهِ لعقل فهيم والهٍ حكيم

ساءت ظنونهم وعَمِهت قلوبهم وكان الاحرى بهم اذا وجدوا شيئاً من التشابه بين اعضاء الانسان والحيوانات وبين هيكلهِ وهيكلها ان يرقوا بعقولهم نحو الخالق

فيأخذهم العجب من حكمتهِ وقدرتهِ تعالى اذ اتّخذ رسماً واحدًا جعلهُ قواماً لِما لا يُحصى من الكائنات المختلفة باشكالها الخارجة واخلاقها المتباينة وغرائزها الطبيعيَّة وجمع بين اصول الجمال اي الوحدة والاختلاف معاً فأبدع تنانين من ذوات الفقار في طور العالم الثاني يبلغ طولها ٤٠ مترًا وألحقها بانواعٍ عديدة من جنسها لا يتجاوز بعض الباقي منها الى يومنا بضعة سنتيمترات . فانَّ من يعتقد وجود الخالق لا يذهلهُ شيءٌ ممَّا يراهُ في العالم وتنكشف امام عينهِ تلك الاسرار التي يغمض حلُّها على تبَعة دروين. فيدرك الاسباب التي دفعت الخالق على تقديم او تأخير بعض الكائنات وعلى اختيارهِ لتكوين اجناس الحيوانات في ازمنةٍ دون غيرها . وعلى وَضعها حين شاء وكما شاء دون ان يجعلها سلاسل متتالية ذات حلقات متواصلة كما يفترضهُ الدروينيُّون وكلّ ذلك وفقاً لما توخَّاهُ الله في وحدة رسمهِ

وقد اناط تعالى بهذا الرسم الوحيد ما لا يُحصى من الحيوانات المختلفة الحجم المتباينة الصورة من زحّافات وطيور وذوات أثدٍ واسماك لكل منها نَزَعاتها وغرائزها المختلفة على اختلاف مواطنها من القُطب الشمالي الى خطّ الاستواء والى القطب الجنوبي مع ما يقتضيهِ حالها في كلّ وَسط وفي كلّ مناخ فكم فيها من الصفات والمحاسن التي لا يفي بها احصاء وذلك كلُّهُ منوط بهذا الهيكل الوحيد الذي لا يكاد يختلف جوهرهُ مع اختلاف هيئاتهِ غير المتناهية والانسان احد هذه الكائنات مبنيّ على الهيكل عينهِ

وهذه الوحدة العجيبة التي تعمَّدها الخلَّاق ليست محصورة في الحيوانات ذات السلسلة الفقاريَّة بل يمكن بيانها في الحشرات عينها التي حدَّد العلماء اجناسها وانواعها ورتبها . وبينها ما لا تكاد العين تبصرهُ لصغر حجمها وكلُّها مركَّبة تركيباً يجاري في محاسنهِ تركيب كبائر الحيوان . ويُرى الرسم المذكور في الاصداف النجميَّة الشكل وفي كلّ طبقات النبات وبالاجمال في كلّ الحيويَّات المنتشرة على الارض سواء كانت حياتها نباتيَّة او حياة ذات حركة وحسّ كالحيوان او حياة عقليَّة كما في الانسان

وترى في تقسيم الحياة على الارض في كلّ جنس ونوع منها بل وفي كلّ فردٍ من افرادها نظاماً عجيباً ثابتاً . فانَّ لكل هذه الكائنات نواميس مقرَّرة لا تختلف فتجد لكل نبات زهرهُ وبزرتهُ التي تحتوي مهما كانت دقَّتها على قوَّةٍ تبدو للعيان على

صورة شجرة باسقة او شجيرة لطيفة تشبه الشجرة التي تكوَّنت فيها البزرة

وكذلك الحيوان فانَّهُ يولد وينمو ويتناسل كل نوع على مقتضى نواميسهِ الخاصَّة دون خلل ولا اختلاط . ولكل عضوٍ من اعضاء تلك الحيوانات على اختلافها من اكبرها حجماً الى ادقّها جسماً تنسيقهُ العجيب المناسب تماماً الغاية المقصودة منهُ

ومثل هذا النظام والترتيب في مجموع الافلاك الدائرة في الفضاء . فانَّ لكلّ هذه الكواكب سيرَها على نواميس راهنة لا تحيد عنها ذرَّةً حتَّى يستطيع الفلكيُّون قياسها وضبط حركاتها فيسبقوا الى تعيين ظواهرها قبل وقوعها بزمن طويل

فالمادّيُّون يتشدَّقون قائلين انَّ ذلك كلَّهُ فعلُ الصدفة . وقد سبق لنا القول انَّ الصدفة والنظام على طرفي نقيض . فانَّ الصدفة ليست الَّا الطبيعة العمياء التي لا يصدر منها الَّا الخراب والدمار

وان عُدنا الآن الى اعتبار هياكل الحيوانات والبشر لزمنا القول ان التشابه المذكور فيها مع اختلاف انواعها البالغ انَّما هو اعظم دليل على العقل الالهي السامي الذي ابدعها فوسمها بسمَتَيْ الوحدة والتنوُّع

هذا وقد اقرَّ زعماء مذهب النشوء والتحوُّل ان اكبر داعٍ ساق بهم الى القول برأيهم انَّما هو ما قصدوهُ من نفي الخالق اذ رأوا في كلّ الكائنات سِمَتهُ تعالى ومَسْحتهُ الالهيَّة فظنُّوا ان مذهبهم يُفيزهم بمبتغاهم وهيهات!

وخلاصة القول في مدَّعي الدروينيين عن تشابه الهياكل الحيوانيَّة والبشريَّة انَّنا لا ننكر ذلك الشبه الذي يُرى في كافَّة طبقات الحيوانات ذات السلسلة الفقاريَّة من حيث هيئة تلك الهياكل العموميَّة الَّا انَّ مع ذلك الشبه ايضاً اختلافاتٍ لا يُحصيها العدد في كلّ دقائق كيانها كما لحظ ذلك ارباب النشوء والترقّي عينهم مع اقرارهم بانهم لم يجدوا سندًا لذاك التحوُّل المزعوم . والدليل على قولنا انَّ اصغر العظام التي يجدها الطبيعيُّون تكفيهم الدلالة على صنف الحيوان ونوعهِ وتركيبهِ لعلمهم بخواصّ كلّ عضوٍ واختلافهِ في كلّ نوعٍ

ولو اردنا ان نتتبَّع كلّ قسمٍ من هذه الهياكل لأَلحقنا السأم بالقرَّاء وكفى ذكر ما يأتيهِ droوين من المضحكات في شرح هذه المميّزات كقولهِ مثلًا عن القرد كيف اتَّصل الى حذاقة العمل بيدهِ وتغيير هيئة رجليهِ مع ما قصدهُ عمدًا من التغييرات

العديدة في بدنهِ ليقوم منتصباً وكلّ ذلك اوهام لا وجود لها الّا في مخيّلة دروين الذي يُعير القرد مسحةً من عقلهِ وكان الاولى بهِ ان يخصّها بتأييد الحقائق الراهنة فلا يغوي الناس بمثل هذه الترّهات . فليعلم الدروينيّون العلم اليقين انّ القرد ولو امكنهُ ان يقصد الحصول على غاية معلومة من المستحيل ان يغيّر شيئاً من هيئةِ جسمهِ ولو شاء ان يجعل مثلًا ليديهِ او لرجليهِ وجهةً ما او تركيباً آخر في عظامهما لعجز عن ذلك . وقس عليهِ بقيّة الحيوانات

وخلاصة القول انّ لا شيء يحوجنا لدى نظرنا التشابه في هياكل الحيوانات المختلفة ان نقول بأنّها نشأت عن بعضها بالتحوُّل وعلى خلاف ذلك نجد في هذا الشبه داعياً جديدًا لتمجيد الخالق والصراخ مع النبيّ : « أيّها الرب الاله ما اعجب اسمك في كلّ الارض ... انك بكل حكمة وقياس ونظام قد ابدعت كلّ المخلوقات »

(التتمّة لعدد قادم)

---

شهيد الاستانة

# الكاهن غوميداس الارمني الكاثوليكي

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعيّ

احرزت الكنيسة الكاثوليكيّة لها فخرًا باهرًا ومجدًا اثيلًا في ٢٥ تشرين الاوّل (١ من السنة ١٧٠٧ في عاصمة الدولة العثمانيّة باستشهاد احد الكهنة الارمن الكاثوليك المدعو غوميداس كرجيان وشى بهِ الارمن الغريغوريُّون الى عليّ باشا الجورلي مدَّعين لارتدادهِ الى الكثلكة بانّهُ دخل في دين الفرنج ودفعوهُ بالرشوة الى ان يقضي عليهِ بالاعدام فعرض عليهِ الاسلام لينجو من الموت فأبى وثبت على دين الكنيسة البطرسيَّة فقُتل بقطع هامتهِ لكنّ موتهُ انالهُ ذكرًا طيّباً لدى مواطنيهِ

١) وذلك بمقتضى الحساب الشرقيّ القديم الموافق لليوم الخامس من تشرين الثاني

وما لبث ان جرت بشفاعتهِ كرامات عديدة توالت الى عصرنا هذا ودفعت الكرسيّ الرسوليّ الى ان يبحث عن سيرة وموت ذلك البطل الصنديد ليُودع اسمهُ في سجلّ اوليائها باعلانهِ طوباويًّا . والمأمول ان ذلك يتمّ في عهد قريب

وقد سرَّنا ان حضرة الاب ميخائيل قديد الارمنيّ الكاثوليكي في حلب عمد الى ترجمة حياتهِ التي كتبها بالارمنيَّة الورتبيد آكوب مغريان الارمنيّ الكاثوليكي فاخرجها الى العربيَّة ليمتّع بروايتها الشائقة جميع الطوائف الكاثوليكيَّة ولاسيَّما الارمن ليكون مثال ذلك الشهيد سندًا وتعزيةً لهم في بلاياهم ومصائبهم المتعدّدة . وقد كنّا احببنا لو افادنا حضرة المعرّب في مقدَّمتهِ شيئًا عن مؤلف الكتاب وعن المصادر التي رجع اليها لوضع تأليفهِ فذلك من شأنهِ ان يزيدنا ثقةً بروايتهِ

فسدًّا لهذا الخلل رأينا ان ننشر هنا بعض تلك المآثر الناطقة بشهامة رجل الله وقداسة حياتهِ ننقلها عن شهود عيانيين او معاصرين استفدناها خصوصاً من احد آباء رهبانيَّتنا في الاستانة حضرة الاب يوسف لوبون(P. J. Lebon)بعد ذكرخلاصة حياتهِ

ولد غوميداس ( ويروي البعض غُورْميداس) في الاستانة سنة ١٦٥٦ من اسرة فاضلة من الارمن الغريغوريين . وكان ابوهُ كاهناً يُدعى مرديروس . نشأ الولد في حجر والديهِ على التقى ثمَّ تلقّى العلوم على بعض اساتذة طائفتهِ فبرع فيها لاسيَّما العلوم الدينيَّة . قيل انهُ استظهر كلّ اسفار العهد الجديد فاهّلتهُ علومهُ الى اقتبال الكهنوت بعد اقترانهِ بالزواج الشرعي جريًا على عادة الكنائس الشرقيَّة فرسمهُ كاهناً مطران طوقات المدعو كيراكوس وتعيَّن كرئيسٍ لكنيسة مار جاورجيوس في صاماطيا احد احياء الاستانة

وفي تلك الاثناء حدثت بين الارمن في حاضرة الدولة فتن وانشقاقات فكان قسمٌ منهم عرف حقيقة الايمان الكاثوليكي فجاهر بتعاليم الكنيسة الرومانيَّة وكان في مقدَّمتهم البطريرك ملشيصاداق سبوح او صبحي فقام لمعاكستهم حزبٌ آخر لم يألُ جهدًا في معارضتهم حتَّى التجأوا الى الحكومة العثمانيَّة لادراك غايتهم

وكان من جملة الذين اهتدوا الى الايمان المستقيم الكاهن غوميداس اذ تحقَّق صدقهُ وموافقتهُ لتعليم القديس غريغوريوس المنوّر فاخذ يبشّر بهِ علانيةً ويرشد اليهِ رعيَّتهُ في صاماطيا . واذ كان ذا عارضةٍ وبلاغة عظيمة كانت جماهير الشعب تتقاطر

الى استماعهِ ولاسيّما انَّهُ كان رخيم الصوت في غناء الاناشيد الطقسيَّة متقناً للرتب الكنائسيَّة مهتمّاً بزينة بيت الله فاستمال اليهِ قلوب الجميع وهدى الى حجر الكنيسة البطرسيَّة عددًا عديدًا من الضالّين

فحرَّكت غيرتهُ البغض في صدور الحزب المعادي وكانوا قد اقاموا لهم بطريركاً شديد المعارضة للكاثوليك يُدعى افرام فتمكَّنوا من نفي البطريرك الشرعي ملشيصادق واضطهدوا المؤمنين انصارهُ واضمروا الشرَّ خصوصاً لغوميداس فلم يرَ النجاة من ايديهم الّا بالفرار الى اورشليم سنة ١٧٠١ لكنَّهُ قاسى هناك من العذاب واضطهاد المخالفين الذين عوَّلوا على تسميمه ما اضطرَّهُ الى الرجوع الى الاستانة وكان بلغهُ ان بطريركاً جديدًا اسمهُ اواديك مسالماً للكاثوليك أُقيم بعد خلع افرام

فلمَّا عاد الى عاصمة المملكة تحقَّق ان مواعيد البطريرك اواديك كانت عرقوبيَّة وانهُ اثار على الكاثوليك اضطهادًا اشدَّ من سلفهِ فاختفى غوميداس من وجههِ ريثما تهدأ تلك العاصفة . وكان سفير فرنسة المركيز دي فرّيول تمكَّن من ابعادهِ عن الاستانة فثار ثائر اعداء الايمان وتألَّبوا على الكاثوليك سنة ١٧٠٦ كضواري السباع وسعوا بمصادرتهم ونفيهم واستصفاء اموالهم . وقبضوا على غوميداس فساقوهُ الى المحكمة والقوهُ في السجن وحكموا عليهِ بالاعمال الشاقَّة وبذلوا الدراهم لينالوا من وزير الصدارة علي باشا الجورلي حكماً عليهِ بالموت لكنَّ الوزير اذ رأى انَّ المسألة دينيَّة لم يكترث لها بل اطلق سراحهُ بعد ان دفع للوزير ما طمع بهِ من المال

فرجع غوميداس الى دارهِ مطمئناً واستأنف اعمالهُ الرسوليَّة من وعظ وارشاد وحفلات دينيَّة كان يزدحم الشعب لحضورها ويُقبل عليها إقبال الجياع على القصاع فتوغَّرت لذلك صدور المخالفين فوكلوا امرهم الى بطريرك جديد يدعى اوهنّيس شاع بغضهُ نحو الكاثوليك . فما كاد يستقرُّ قدمهُ في الاستانة حتَّى حذاحذو اواديك ونصب المكائد ودسَّ الدسائس وبذل اكياس الرشوة حتَّى أُطلقت يدهُ على المرتدّين الى الكثلكة فاذاقهم العذاب الواناً

وكان غوميداس اوَّل من صوَّب اليهِ سهام بغضهِ ولم يكتف بتوقيفهِ وحبسهِ بل اراد ان يشفي غليلهُ بموتهِ . فتمَّ لهُ ذلك كما شاء فاستشهد غوميداس في ٢٥ تشرين الاوَّل من تلك السنة بعد ان اظهر من الثبات العجيب والشهامة الدينيَّة ما

اذهل الالوف المؤلفة من المسلمين والنصارى الذين حضروا قتله

وقد لحظ كتبة تاريخه انهُ اشبه في موته فادية الالهي في عدة امور في نوع توقيفهِ وتكبيلهِ بالاغلال وسَوقه في الشوارع بالهوان وفي لطمهِ وسجنهِ وفي محاكمتهِ لدى وزيرٍ كان اشبه شيء ببيلاطوس بتردّدهِ في الحكم وضعفهِ وإصغائهِ الى شهود الزور وفي طلب الغريغوريين ان يكون دمهُ عليهم وعلى ابنائهم وفي إقرار اعدائهِ بعد موتهِ ببرارتهِ وفي التماس ابنتهِ من الوزير دفن جثتهِ فدُفن مكرَّماً

*

هذا ما يُستفاد من رواية المؤرخين الثقات . وها نحن نذكر شيئاً من كتاباتهم التي حرَّروها في يوم استشهاد الكاهن غوميداس او قليلًا بعدهُ . فمن ذلك ما كتبهُ سفير فرنسة دي فريول في تشرين الثاني اي يوم الاستشهاد وفقاً للحساب الغربي ثمَّ في ٨ منهُ وهما كتابان وجَّهها الى وزير الملك لويس الرابع عشر (١ قال :

«قد قُتل الكاهن دير غوميداس وها انا مُرسل لجنابك تفاصيل استشهادهِ . كان المذكور معتبرًا لدى طائفتهِ نظرًا لنزاهتهِ واستقامتهِ وكان متَّقدًا غيرةً لنشر الدين الكاثوليكي . قد عانى مرارًا الاضطهادات في سبيل دينهِ وحُكم عليهِ باللومان قبل ستَّة اشهر لكنَّ بعض الوجوه من طائفتهِ انقذوهُ من تلك المصيبة بدفعهم مبلغاً كبيرًا من المال . . . وفي ٣ من شهر تشرين الثاني ارسل الصدر الاعظم جنودًا ليوقفوا بعض الارمن ويزُجوهم في الحبس بداعي كونهم قد « تفرنجوا » وخصوصاً دير غوميداس . فلما بلغوا الى حيِّهِ ولجوا في عدَّة بيوت فالقوا الرعب في اهلها . فلمَّا سمع الدير غوميداس هذه الجلبة ليس فقط لم يفرَّ هارباً او يختفِ كما فعل غيرهُ بل وقف على باب دارهِ وسأل عمَّال الوزير : من تطلبون ؟ . قالوا : دير غوميداس — قال : انا هو . فدعُوا اذن هؤلاء القوم مطمئنين

« فقادوهُ الى الحبس وفي ضحى هذا اليوم اوقفوهُ في ديوان الصدر الاعظم حيث كان حضر بطريرك الارمن دير اوهنيس مع ٣٠٠ من اصحابهِ . فلمَّا رأى الوزير دير غوميداس انتهرهُ متجهِّماً : لماذا عدلتَ الى دين الفرنج ؟ اجاب غوميداس : بما اني كاهن

---

١) اطلب كتاب المآثر التاريخيَّة للكنائس الشرقيَّة للمرحوم الاب انطون ربَّاط
**A. Rabbath :** Documents inédits, I, 126-130

قد رأيتُ من الواجب عليَّ ان اتعمَّق في درس ديانتي لأُلقنها الغير وقد وجدتُ في تعاليم الارمن الذين يناهضوني عدَّة اضاليل يمنعني الضمير من اعتقادها

«قال الوزير: وما هذه الاضاليل ؟ — اجاب غوميداس: أَو انت تعرف ديانتنا معرفةً كافية لتحكم عن الصواب او الضلال ؟ — قال الوزير: صَهْ أَلَا تعلم اني قادر على قتلك ؟ — قال غوميداس: وبذلك تمنحني نعمةً جزيلة. ولكن يجب عليك ان لا ترفع السيف على رأسي في امرٍ يمسُّ الدين وانا على غير مذهبك. وان سفكتَ دمي فاني اناقشك الحساب عنهُ يوم الدين

« فانذهل الوزير لاستماعهِ هذا الكلام وقام مغتاظاً فالتفت الى البطريرك دير اوهنّس قائلًا: انَّك انت المسئول عن دم هذا الرجل. اجاب اوهنّس: فليحلّ على الذين طلبوا توقيفهُ(١. فجلس الوزير وقال لغوميداس: انَّ هؤلاء يدَّعون انك هجرت شيعتهم لتتبع شيعةً سواها. قال غوميداس: وايَّتهما على رأي الوزير هي الفضلى ؟ قال الوزير: على رأيي انَّ كلتيهما فاسدة — اردف غوميداس: فماذا يعنيك اذن ان اختار الواحدة دون الاخرى ؟

«فهيّج جوابهُ هذا صدر الوزير فأمر الحال بقتلهِ. ومن ساعتهِ اقتادهُ الجند المتعطش الى الدم ومعهُ اثنان آخران من الارمن الكاثوليك. وكان غوميداس في طريقهِ مستحراً بالصلاة فلقيهُ بعض كهنة الروم المتوجّهين الى دار الصدر الاعظم ليفاوضوهُ في امر بطريركهم الجديد. ولمَّا عرفوا ان غوميداس حُكم عليهِ بالموت اقتربوا منهُ وطلبوا دعاءَهُ

« ولمَّا وصل الى ساحة الإعدام التفت الى رفيقيهِ الارمنيَّين وحرَّضهما على الثبات في دينهما والاستشهاد في سبيلهِ قائلًا لهما انَّهُ يتقدَّمهما ليجدا في موتهِ مثلًا . ثمَّ خرَّ جاثياً على ركبتيهِ وبينما هو يتلو دستور الايمان قطع السيَّاف رأسهُ . . . امَّا الارمنيان رفيقاهُ فحملهما الخوف على جحود دينهما فأسلما

« وما لا ينكر ان علي باشا رجلٌ سفَّاك الدماء ومحبّ للدراهم ويرى ان سيّدهُ السلطان (وهو احمد الثالث) يميل الى الارمن الهراطقة . ولو كان للاتراك في هذه الايَّام حربٌ تشغلهم لمَا ارتبكوا في هذه الامور الدينيَّة وما عمدوا الى التلهّي بحق

١) وفي رواية اخرى: فليحلّ دمهُ على اليسوعيين الذين غرُّوهُ هو وكثيرين من اهل ملَّتنا

النصارى . وقد رأى الصدر الاعظم انَّ هذه المشاجرات الدينيَّة من شأنها ان تكسبهُ الاموال الطائلة التي هو متعطّش اليها »

هـذا ما كتبهُ فرّيول السفير . وقد عُني الآباء اليسوعيُّون الذين كانوا وقتئذٍ في الاستانة بجمع اخبار غوميداس في حياتهِ وموتهِ وما جرى لهُ بعد استشهادهِ فدوَّنوا كلّ ذلك واودعوا نسخةً ممَّا كتبوا في سجلَّاتهم وارسلوا الى رومية نسخةً ثانية ليثبت الكرسيّ الرسوليّ قداستهُ وينظم اسمهُ في عداد اولياء الله . وهذه الاعمال كانت فُقدت لِما حدث لرومية من الكوارث في اواخر القرن الثامن عشر الَّا انَّهـا لحسن الطالع قد اكتُشفت سنة ١٨٩٥ بين سجلَّات مجمع انتشار الايمان فاستأنف المجمع المقدَّس فحص تلك الدعوى والامل معقود على قرب اعلان الشهيد غوميداس طوباويًّا

فممَّا يستفاد من تلك الاعمال والشواهد العديدة المضافة اليها ان الله مجَّد شهيدهُ بعدَّة كرامات حدثت بعد موتهِ . فمن ذلك انَّ جسدهُ الطاهر بقي ثلثة ايَّام في ساحة بارماق قابو حيث قُتل دون ان يصيبهُ فساد وكانت تنبعث منهُ رائحة طيّبة . وفي ثاني يوم استشهادهِ اشرق حولهُ نورٌ عجيب اثَّر نظرهُ في الحرَّاس حتَّى قيل انَّ بعضهم تنصَّروا لرؤياه

وممَّا يُعزى الى الشهيد غوميداس انَّ مدينة الاستانة التي كان انحبس عنها المطر منذ عدَّة اشهر جادها السماء بامطار غزيرة مدَّة ثلاثة ايَّام متوالية حين استشهادهِ

وزادت تلك الكرامات مما تبادر الكاثوليك الى جمعهِ من ذخائر الشهيد كقطع من ثيابهِ ومناديل مغموسة بدمهِ . فلمَّا رأى الاعداء ما حصل للكاهن القديس من الاكرام ندم كثيرون منهم على ما فعلوهُ واطرأوا شهامتهُ في دفاعهِ عن ايمانهِ . وامـَّا البطريرك اوهنّس وكهنتهُ فتنمَّروا غيظاً وطلبوا من أولي الامر ان تُلقى جثَّتهُ في البحر . لكنَّ ابنة الشهيد المدعوَّة اغاوني دخلت بكل جرأة على الصدر الاعظم وطلبت جثَّة والدها فسُمح لها بذلك فدُفنت بكل اكرام بحضور جمهور عظيم من الشعب من كل الطوائف الكاثوليكيَّة حتَّى من طائفتي الروم والارمن غير الكاثوليك . وقد أودعت اللحد في مقبرة الارمن الواقعة عند باب ادرنة حيث جرت عدَّة عجائب اعلن بها الذين اتوا لزيارة قبرهِ ولالتماس شفاعتهِ

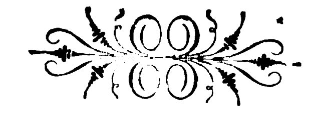
ولعلّ الجثَّة لم تبقَ هناك زمناً طويلاً اذ يُخبر السفير المركيز دي فرّيول انَّهُ

تمكّن من استخراجها من مكانها ليلًا وارسلها الى فرنسة لتنال ما تستحقُّهُ من الاكرام

وما لا يُنكر انَّهُ منذ استشهاد الكاهن غوميداس الى هذه السنين الاخيرة لم يزل ذكرهُ حيًّا ومقام قبرهِ مكرَّماً والمعجزات المجترحة بشفاعتهِ متواصلة وقد جُمعت في كتاب خاصّ حيث ينيف عددهــا على الثلثمائة . بينما ارتداد كثيرين من الارمن غير الكاثوليك الى حجر الكنيسة المقــدَّسة مع وصف ما أُصيب بهِ اعــداؤهُ من العقاب فانَّ اغلبهم حلَّت بهم مصائب فاجعة وماتوا ميتةً سيئة رأى فيها مواطنوهم يد الله المنتقم منهم لعبدهِ غوميداس

وممَّا ورد في الترجمة العربيَّة التي أَلمعنا اليها انَّ القس غوميداس خلَّف سبعة بنين ذكَرَين وخمس أُنثى توفّي احد الصبيين في رومية سنة ١٧٠٨ وكان اسمهُ نهابيد وتقلَّد الثاني وظيفة ترجمان في نابولي واسمهُ يوحنَّا . وكانت اصغر بناتهِ اغاوني وهي التي طلبت جثَّة والدها من الوزير . وكانت قرينتهُ تُدعى هُرْية عريقة في الدين ولمَّا قُبض على زوجها حرَّضتهُ على بذل نفسه في سبيل ايمانهِ القويم

وقد وقفنا على رسالة كتبها الاب اليسوعي تاريليون كتبها من الاستانة في ١٤ أيّار سنة ١٧١٠ روى فيها ما لحق بالصدر الاعظم علي باشا الجورلي من المصائب اذ عزلهُ السلطان احمد الثالث من منصبهِ ومات اسوأ ميتةٍ جزاء جورهِ في حقّ الشهيد غوميداس . وروى على خلاف ذلك نموّ الشرف والذكر الحسن اللذين حظي بهما ذلك الكاهن المفضــال بحيث يجوز القول انَّ موتهُ انعش الايمان في قلوب كلّ المسيحيين ولاسيَّما الارمن واضحى في كلّ تركية باعثاً لارتداد كثيرين من غير الكاثوليك حتَّى انَّ عددهم في العاصمة وحدها بلغ ١٢،٠٠٠ وبذلك صحَّ قول الآباء القديسين انَّ دم الشهداء زرعٌ جديد للمؤمنين



# الشطرنج : فوائد في اصلهِ وحكمتهِ

لجناب القانوني جرجي بك صفا رئيس دوائر استئناف الحقوق في لبنان الكبير

قرأت في العدد الاخير من المشرق الاغرّ (ص ٧٩٧) كلمةً في الشطرنج واصلهِ القديم فاردتُ ان اكتب شيئاً ممّا وقفتُ عليهِ بهذا الباب لعلّ فيهِ فائدةً

## ١ لغته واشتقاقه

واوّل ما عنّ لي اثبات ما ورد في المعاجم وبعض كتب الادباء . جاء في تاج العروس وفي عاصم افندي : الشِطْرَنج بكسر الشين أجود كجِرْدَحْل . وقال الفيروزابادي انّ الشين لا تُفتح . لكنّ ما نفاهُ من فتحها اثبتهُ غيرهُ وجزم بهِ الحريري وغيرهُ وقالوا الفتح لغة ثابتة ولا يخالفها اوزان العرب لأنهُ عجميّ معرَّب فلا يأتي على قواعد العرب من كلّ وجهٍ . وقال ابن برّيّ في حواشي الصحاح : « الاسماء العجميَّة لا تشتقّ من الاسماء العربيَّة والشطْرنج خماسيّ واشتقاقهُ من شَطَرَ او سَطَرَ يوجب كونها ثلاثيَّة فتكون النون والجيم زائدتين وهذا بيّن الفساد » . وقد ورد بالسين (سَطْرنج) وهي لغة

أمّا اشتقاقهُ فقد اختلفوا فيهِ فمَن اشتقّهُ من العربيَّة زعم انهُ من الشطارة او المشاطرة . وقال ابن هشام اللخميّ في فصيحهِ انهُ من التَّسطير . وقد نفى ابن برّي اشتقاقهُ من العربيَّة

واشتقَّهُ كثيرون من العجميَّة فقال في البرهان القاطع : «هو معرَّب عن شُتر وهو اسمٌ لليبروح (او اللفَّاح mandragore) واليبروح يكون على شكلين فسمّوا هذا اللعب الشطرنج تشبيهاً بهِ فعلى هذا يكون اعجميًّا» . . وهذا بعيد . وابعد منهُ ما ورد في شفاء الغليل انهُ تعريب « شُدْرَنك » (او شُدْرَنج) اي مَن اشتغل بهِ ذهب عناؤهُ باطلًا . ومثلهُ غرابةً انهُ من « شطّ رنج » اي ساحل التَّعَب . وكذلك اشتقاقهُ من « صَدْرَنج » اي مئة عناء . وقالوا « صَدْ رنك » اي مئة حيلة . قال في التاج : « وكلّ ذلك احتمالات »

واقرب الى الصحَّة ما قالهُ الطيّب الـذكر وشهيد الدين السيّد ادّي شير رئيس اساقفة سعرد على الكلدان في كتابهِ الالفاظ الفارسيَّة المعرَّبة (ص١٠١) : الشطرنج معرَّب عن شَتْرَنك . . وعندي انَّ الفارسي شترنك اصلهُ شاهُ تُرَنك اي الشاه لطيف او الشاه اللطيف . او هو مركَّب من « شَتْ » وهو تخفيف شَتَل ويُطلق عـلى الحصَّة التي يعطيها المقامر بعد نهاية اللعبة الى الـذين حضروا المجلس ومن « رَنك » ومعناهُ القمار » . وقال غيرهُ انَّ اصلهُ : « شاه رنج » اي همُّ الملـك او حزنُ الملك . ومن الاشتقاقات الشائعة انهُ من « شش رَنج » اي ستَّة الوان او ستَّة اصناف من القطع الداخلة في اللعب وهي الشاه ( الملك ) والفرزان ( الملكة ) والفيـل والفرس والرخّ ( البُرْج ) والبيدق ( اي الجندي الماشي )

وقد اشتقَّهُ الغير من الهنديَّة . قال السيّد ادّي شير : وقيل انَّهُ مركَّب من « شَتْر » وهو العدوّ باللغة الهنديَّة ومن « رنك » ومعناهُ الحيلة او المِشية اي حيـلة العدوّ او مِشيَتُهُ : وقال فُولَرْس (Vullers) في معجمهِ الفارسيّ اللاتينيّ انَّ اصل الشطرنج من السنسكريتيَّة « چتر إنكَ » ومعناهُ « اربعة اصناف » اشارة الى ما يدخل في ساحة الحرب من المحاربين وعدَّتهم في الهند اعني « الفيلة والخيل (إسب) والابراج (الرخّ) والجُند المشاة ( پيده )

فترى من تعدُّد هذه الآراء شيوع لعبة الشطرنج في انحاء الشرق قديماً

## ٢ اصل الشطرنج وتاريخه

كما اختلف الكتبة في اشتقاق اسم الشطرنج كذلك لم يتَّفقوا على مخترعه وزمن اختراعهِ . قال هيرودوتس (١ في تاريخه ( ك ١ ع ٩٤ ) : « حدثت مجاعة في زمان الملك أتيس بن مانيس شملت كل بلاد الليديّين فقاساها الليديون مـدة قصيرة ثم رأوا ان حالة هذا الضيم لن تزول فعالجوا في إزالـتهِ كلٌّ بحسب ما عنّ لهُ وفي تلك الغضون اخترعوا الملاعب والملاهي مثل اللعب بالطابة والشطرنج والكعاب ومـا شاكل ذلك فكانوا يقضون نهارهم لاعبين بالمناوبة بقصـد التلهّي عن الجوع وفي

---

١) اطلب ترجمة تاريخ هيرودوتس العربيَّة لحبيب افندي بسترس ( ١ : ٥٨٠ )

اليوم التالي كانوا يشتغلون عن اللعب بمناولة الطعام واستمروا على هــذه الحالة ثمان عشرة سنة ...»

قال ابو اسحاق برهان الدين ابرهيم المعروف بالوطواط في كتابهِ غرر الخصائص الواضحة (ص١٥٥) : «ان رجلًا من الحكماء اسمهُ صِصَّهْ (١ وضع للملك الروم المدعو بلهيث لعبة الشطرنج وعرضها عليهِ واظهر لهُ مكنون سرّها . فقال لهُ الملك : اقترح ما تشتهي . قال : ان تضع حبَّةَ بُرٍّ في البيت الاوَّل ولا تزال تضعفها حتَّى تنتهي الى آخر البيوت فما بلغ تعطينيهِ . فاستخفَّ الملك عقلهُ واحتقر ما طلبهُ وقال : كنتُ اظنُّ برجاحة عقلك وتوقُّد فكرك ان تطلب شيئًا نفيسًا . فقال : أيها الملــك انَّك لمَّا صرَّفتني الى التمنّي لم يخطر ببالي غير ذلك ولا سبيل الى الرجوع عنهُ . فانعم لهُ الملك بما سأل وتقدَّم باحضار الحسَّاب وامرهم بحساب ذلك فأعملوا في بلوغ قصدهِ مطــايا الافكار حتَّى لاح لهم نجم صدقهِ فعرفوهُ بعد الإنكار فلم يجدوا في بلاد الدنيــا من البُرّ ما يفي للحكيم بمرادهِ ولوكانت الرمال من امدادهِ» . وهذه هي الارقام (٢

١٨٤،٤٦٧،٤٤٠،٠٧٣،٧٠٩،٥٥١،٦١٥

ونظم بعضهم ذلك بحساب الجُمَّل :

هاوٌ أَهَهْطُ وصِفرٌ بعدهُ زَجزٌ وثنِ صفرًا وقُلْ ددٌ زَوٌ دَدَحا

وجاء في كتاب وفيات الاعيان للقاضي شمس الدين ابن خلِّكان (١ : ٦٤٣) في ترجمة ابي بكر محمَّد المعروف بالصوليّ الشطرنجي قــال : رأيت خلقــاً كثيرًا يعتقدون ان الصولي هو الذي وضع الشطرنج وهو غلط وانما وضعه صِصَّهْ . واردشير ابن بابك اول ملوك الفرس الاخيرة هو الذي وضع النرد ولاجل ذلك قيل النردشير لانهم نسبوه اليه . ولما تمَّ وضعه واشتهر افتخرت بهالفرس وكان ملك الهنــد يومئذٍ بلهيت فوضع له صصَّه المذكور الشطرنج فقضت حكماء ذلك العصر بتفضيله عــلى

١) وقد تصفَّح هذا الاسم بالمشرق (ص ٦٩٧) بحصّه والصواب كما ترى بصادين مهملتين الاولى مكسورة والثانية مشدَّدة مفتوحة وفي الآخر هاء ساكنة

٢) وفي قاموس لاروس ذكر العدد على هذه الصورة بنقص صفر في الخانة الخامسة :

١٨،٤٤٦،٧٤٤،٠٧٣،٧٠٩،٥٥١،٦١٥

قال ان ثمن القمح المشار اليهِ بهذا العدد يساوي نحو ٢٠٠ مليار فرنك

النرد ولمَّا عرضه على الملك واوضح له امره سأله ان يتمنَّى عليه فتمنَّى عليه عدد تضعيف بيوتهِ قمحاً فاستصغر الملك ذلك وانكر عليه ما قابله من النزر القليل فقال له : ما اريد غيره فامر له بهِ فلما حسبه ارباب الديوان قالوا للملك : ما عندنا ما يقارب القليل منه . فانكر ذلك فاوضحوه له بالبرهان فاعجبه الامر الثاني اكثر من الاول »

قال ابن خلكان : « ولقد كان في نفسي حرارة من هذه المبالغة حتى اجتمع بي بعض حسَّاب الاسكندريَّة وذكر لي طريقاً تُبيّن لي ما ذكروهُ واحضر لي رقعة بصحَّة ذلك وهي انه ضاعف الاعداد الى البيت السادس عشر واثبت فيه ٣٢،٧٦٨ حبَّة . (قال) ونجعل هذه الجملة مقدار قدَح وقد عيّرتُها . فكان الامر كما ذكرهُ والعهدة عليه في هذا النقل . ثم ضاعف السابع عشر الى البيت العشرين فكان فيه وَيْبة (١ ثم انتقل من الويبات الى الإِرْدَبّ ولم يزل يضاعفها حتى انتهى في البيت الاربعين الى ١٠٠،٧٦٢ اردباً وثُلُثي اردبّ وقال : في هذا المقدار شَوْنة . ثم انه ضاعف الشوَن الى البيت الخمسين فكانت الجملة ١،٠٤٢ شونة . ثم قال : هذا المقدار مدينة . ثم انه ضاعف الى البيت الرابع والستين وهو آخر الابيات فكان ١٦،٣٨٤ مدينة وقال : نعلم ان ليس في الدنيا مدن اكثر من هذا العدد . قال ابو عبدالله محمد بن الاكفاني : اذا جُمع هذا هرماً واحدًا مكعَّباً كان طوله ستين ميلًا وعرضُهُ كذلك وارتفاعُه كذلك فالميل الذي هو اربعة آلاف ذراع بالعمل الذي هو ثلاثة اشبار معتدلة على ان الاردب المصريّ مساحته ذراع مكعب وزنته مائتان واربعون رطلًا والدرهم اربع وستون حبة من القمح » انتهى كلامه

وكان المحقّقون يرون انَّ الشطرنج من وضع الهند في القرن الثالث للميلاد . لكنَّ ما ورد في المشرق ( ص ٧٩٧ ) نقلًا عن المجلَّة الاسيويَّة الفرنساويَّة يبيّن انَّ هذه اللعبة كانت معروفة بالصين في القرن العاشر قبل المسيح يلعب بها احد ملوكهم المدعو «مو» . فترجَّح انَّ واضع الشطرنج هو احد علماء الصين . فاخذهُ عنهم اهل الهند ثمَّ دخل بلاد فارس . ولمَّا غزا العرب الفرس اخذوهُ عنهم وعن طريقهم اتَّصل الى اوربَّة

١) الوَيْبة ٢٢ او ٢٤ مدًّا

## ٣ اسرار الشطرنج وحكمته

كان للعب الشطرنج شأن عظيم عند الشعوب القديمة الغازية وكان عند الفرنج من الشروط الاساسيَّة لمن يريد الدخول في طبقة الفرسان. قال الحسن بن عبدالله في كتاب آثار الاول في ترتيب الدول (ص ١٣٠) : « وُضع الشطرنج لصفةِ الحرب ولِما فيهِ من قصد المغالبة وهو يُنهض القوَّة الغضبيَّة وهو من وضع الهند واقتباساتهم مثال في سياسة الملك وتدبير الحرب » . وقال الوطواط في غرر الخصائص الواضحة (ص ١٥٦) : « وضع بعض حكماء الهند الشطرنج وبيَّن لملوكهم فيها ما خفي عنهم من مكايد الحروب وكيفيَّة ظفر الغالب وخذلان المغلوب وبيَّن فيها التدبير والحزم والاحتياط والمكيدة والاحتراس والتعبية والنجدة والقوَّة والجلَد والشجاعة والبأس فمن عدم شيئاً من ذلك عُلم موضع تقصيرهِ ... والتقصير سبب الهزيمة والتلَف وعدم المعرفة بالتعبية داعٍ الى الانكشاف » . وقد نشرت مجلَّة المشرق ١٣ [١٩١٠] : ٧٧ — ٣٩) ارجوزة لابن الهبَّاريَّة بيَّن فيها الراجز غاية لعب الشطرنج وما فيهِ من الحكم لاتقان آداب الحرب. ولعليّ بن الجهم وصف مثلهُ حيث قال :

ارضٌ مربَّعةٌ حمراءُ من أدَمٍ ... ما بينَ جيشَيْنِ مصفوفينِ بالكرمِ
تذاكَرا الحرب فاحتالا لها شُبُهاً ... من غير ان يأثما فيهِ بسفكِ دمِ
هذا يكرُّ على هذا وذاك على ... هذا يكرُّ وعينُ الحرب لم تَنَمِ
فانظر الى فِطَنٍ جاشت بفكرهما ... بعسكرَيْن بلا طبلٍ ولا عَلَمِ

وقد ذكر المسعودي في مروج الذهب (١ : ١٥٩) الحكمة في وضع الشطرنج بقولهِ : صُنعت الشطرنج في ايَّام بلهيث ملك الهند فقضى بفضلها على النرد وبيَّن الظفر الذي ينالهُ الحازم والنكبةَ التي تلحق بالجاهل وحسب حسابهما ورتَّب لذلك كتاباً للهند يعرف « بطَرَق جنكا » يتداولونهُ بينهم ولعب بالشطرنج مع حكمائهِ وجعلها مصوَّرة تماثيل مشكَّلة على صور الناطقين وغيرهم من الحيوان ممَّا ليس بناطق وجعلهم درجات ومراتب ومثَّل الشاه بالمدّبر الرئيس وكذلك ما يليها من القطَع واقام ذلك مثالًا للاجسام العلويَّة التي هي الاجسام السماويَّة من السبعة ( اي السيَّارات ) والاثني عشر ( اي منطقة البروج ) وافرد كلَّ قطعةٍ منها بكوكب

وجعلها ضابطة للملكة . فاذا كان عدوّ من اعدائهِ فوقعت فيهم حيلة في الحروب نظروا من اين أُوتوا في عاجل او آجل . وللهند في لعب الشطرنج سرٌّ يسرُّونهُ في تضاعيف حسابها ويتغلغلون بذلك الى ما علا من الافلاك . . . وما تقتضيهِ سائر المؤثِّرات العلويَّة في هذا العالم »

وقد شاع لوضع الشطرنج غايةٌ أُخرى نوَّه بها الكتبة قالوا : انَّ اردشير بن بابك كان وضع لعب النَّرْد ليبيّن انَّ امور الناس تجري على حسب القضاء والقدَر وان الانسان ليس لهُ تصرُّف في نفسهِ لا يملك لها نفعاً ولا يدفع عنها ضرراً ولا يقدر ان يجلب لها سعداً ولا شقاءً بل هو مصرَّف على حكم القضاء كاللاعب بفصَّي النرد ( الزهر ) لا يعلم ما يردان عليهِ من خيرٍ او شرّ من نفع او ضرّ أَيكون غالباً او مغلوباً . فعلى ذلك المثال يكون تارةً غنيًّا وتارةً فقيرًا على حسب تقلُّب الاقدار بهِ . فلمَّا رأى حكماء الهند ما نواهُ واضع النرد خالفوهُ بوضع الشطرنج ليثبتوا انَّ احوال الناس تجري بحسب العقل لا الصدفة وهذا هو رأي قوم من كبار العلماء منهم اكثم ابن صيفيّ حكيم العرب فانهُ قال : المرء يعجز لا المحالة [١] يريد انَّ الانسان يعجز لا الحيلة فانَّها موجودة دائمًا لكنَّ الانسان يعجز ولا يهتدي اليها وهذا ما اشار اليهِ بديع الزمان بقولهِ في مقامتهِ البغداديَّة :

أَعملْ لرزقك كلَّ آلَهْ لا تقعُدَنَّ بكلّ حالَهْ
وانهَضْ بكل عظيمةٍ فالمرءُ يعجزُ لا المحالَهْ

ورُوي هناك «لا محالة» فظنَّ الشارح انَّ معناهُ انَّ المرء يعجز بلا شكّ والصواب انَّ معناه « اسعَ واجتهد ولو كان الامر عظيماً فانَّ الحيلة موجودة وهي لا تعجز وانَّما العجز يكون من المرء »

وترى الكتبة تارة يجنحون الى القول بالقضاء والقدر وتارة يعدلون الى السعي الشخصي والحزم في العمل . وهنا لا بُدَّ من التمييز بين الامور العموميَّة التي لا تداخل فيها للحرّيَّة البشريَّة التي حكم الله بها بقضائهِ ويدبّرها بحكمتهِ وعنايتهِ وبين

١) المَحالة والمَحال والحيلة والاحتيال بمعنى واحد . كذا في مختارات الصحاح . وقولهم لا مَحَال هو مصدر ميميّ بمعنى التحوُّل من حَالَ الى كذا اي تحوَّل اليهِ وخبر لا محذوف اي لا محالة موجودة ( حسن چلبي )

الامور المنوطة بحرّيّة كلّ انسان التي لا تقع تحت قضاء الله السابق بل تحت قضائهِ اللاحق اي التابع لاختيـار المرء ٠ فان هذه الامور الاخيرة تستـدعي حزم الانسان وسعيهُ وتوجيه حرّيّتهِ الى مـا هو افضل لهُ (اطلب في المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٨٩٩ مقالةً في القضاء والقدر) وفيها يصحُّ قول العامَّة في مثلهم عن لسانهِ تعالى : « قومْ تأقوم معك» وكذلك المثل الفرنساوي : aide-toi le Ciel t'aidera ٠ وعلى هذا الوجه يجب تفسير ما جاء في الاسفار المقدَّسة وفي غيرها حيث تُنسب الامور حيناً لله وحيناً للانسان دون الله وربَّما كان كلامها عن الامور المقدَّرة من الله التي لا دَخل فيها للمشيئة البشريَّة

## ٤ اصناف الشطرنج

لا يُعرف في يومنا من لعب الشطرنج غير الآلة الشائعة منهُ في كلّ البـلاد ٠ وقد عرف القدماء من اهـل الهند وغيرهم اصنافاً أُخرى قـال المسعودي في مروج الذهب (٨ : ٣١٢-٣١٤) : « قد ذكر النـاس ممَّن سلف وخلف انَّ جميع آلات الشطرنج على اختلاف هيئاتها ستُّ صور لم يظهر في اللعب غيرها ٠ (فاوّلها) الآلة المربَّعة المشهورة وهي ثمانية ابيات في مثلها ونُسبت الى قدماء الهند ٢ً ثم الآلة المستطيلة وابياتها اربعة في ستَّة عشر والأَمثلة تُنصب فيها في اوَّل وهلة في اربعة صفوف من كلّ الوجهين حتَّى تكون الدوابُّ منها في صفَّين والبيادق في صفَّين امامها ايضاً ومسيرها كمسير امثلة الآلة الاولى ٠ ٣ً والآلة المربَّعة وهي عشرة في مثلهـا والزيادة في امثلتها قطعتان تُسمَّيان الدبَّابتين ومسيرهما كمسير الشاه الَّا انَّهما يأخذأن ويؤخذان ٠ ٤ً ثمَّ الآلة المدوَّرة المنسوبة الى الروم ٠ ٥ً ثمَّ الآلة المدوَّرة النجوميَّة التى تسمَّى الفلكيَّة وابياتُها اثنا عشر على عدد بروج الفلك مقسومة بصفَّين ويتنقَّل فيها سبعة امثلة مختلفة الالوان على عدد الخمسة الانجم والنيّرين (اي السيَّارات) وعلى الوانها ٠٠٠ ٦ً ثم آلة اخرى تسمَّى الجوارحيَّة استُحدثت في زماننـا هذا وهي سبعة ابيات في ثمانية وامثلتها اثنا عشر في كلّ جهة منها ستَّة كلّ واحدة من الستَّة تسمَّى باسم جارحة من جوارح الانسان التي بها يميّز وينطق ويسمع ويبصر ويبطش ويسعى وهي سائر الحواسّ والحسّ المشترك الذي من القلب» انتهى قول المسعودي

وذكر ابن عربشاه في تاريخ تيمورلنك انَّ هذا الامير كان ملازماً للعب الشطرنج مع بعض الشطرنجيين كمحمَّد بن عُقَيْل الخيميّ وزين اليزدي وعلاء الـدين التبريزي ومن قولهِ لعلاء الدين : « انتَ في ملك الشطرنج فريد كما اني في سياسة الملك وحيد » . قال ابن عربشاه انَّ علاء الدين كان يلعب هو والامير ( اي تيمور لنك ) بالشطرنج الكبير ورأيتُ عندهُ شطرنجاً مدوَّراً وشطرنجاً طويلاً . . وكانت عَلَتْ همَّتُهُ عن الشطرنج الصغير فكان يلاعب بالشطرنج الكبير ورقعهُ عشرة في احد عشر وفيهِ من الزوائد جملان وزرافتان وطليعتان ووزير . والشطرنج الصغير بالنسبة الى الكبير كلا شيء ورسم الشطرنج الكبير بهذه الصورة :

| | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| [illegible] | | [illegible] | | [illegible] | [illegible] | [illegible] | | [illegible] | | [illegible] |
| [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] |
| [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] |

## اربعة ابيات

| | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الرخ بيدق | الفرس بيدق | الدبَّابة بيدق | الطليعة بيدق | الزرافة بيدق | | الفيل بيدق | الجمل بيدق | الوزير بيدق | الفرس بيدق | البيدق بيدق |
| رخ | فرس | دبابة | طليعة | زرافة | الشاه بيدق | زرافة | طليعة | دبَّابة | فرس | رخ |
| فيل | | جمل | | وزير | شاه | فرزين | | جمل | | فيل |

واخبار الشطرنج كثيرة فنكتفي بما اوردنا منها

# المشاريع الكاثوليكية في حلب

للاب لويس شيخو اليسوعي

وعدنا في عددنا السابق باننا نفرد نبذةً موجزة لذكر ما انشأهُ الحلبيُّون الكاثوليك من المشاريع الدينيَّة المنبئة بما طُبعوا عليهِ من التقى والغيرة في خلاص النفوس. وها نحن نقسم ذلك ثلثة اقسام نعدّد في القسم الاوَّل مشاريعهم التقويّة. وفي الثاني منشآتهم لتهذيب الشبَّان وتعليم الاحداث وارشادهم. وفي الثالث نذكر اعمالهم الخيريَّة لمساعدة المبؤُوسين

## ١ المشاريع التقوية

هي متعدّدة. اخصُّها الاخويَّات المريميَّة التي لم تزل منذ انشائها الاوَّل في رومية في القرن السادس عشر تأتي بالاثمار الجنيَّة وتوطيد روح الدين والتقى حيثما تُقام لاكرام العذراء الطاهرة التي تمدُّ المشتركين فيها بأسبغ النعم. وقد سبقت حلب غيرَها من مدن الشام في تأسيس هذه الاجتماعات الدينيَّة منذ القرن السابع عشر بهمَّة المرسلين لاسيَّما الآباء اليسوعيين الذين اقاموا نحو عشر اخويَّات مريميَّة للطوائف الكاثوليكيَّة المختلفة منها للرجال ومنها للنساء وبعضها للشبَّان او الاحداث وقفنا على اعمال كثيرين من المنتمين اليها مدوَّنة في سجلَّات قديمة فهي تدلّ على وفرة دينهم وحسن سيرتهم وممارستهم لكل الفضائل المسيحيَّة

وقد عادت هذه الاخويَّات في حلب منذ خمسين سنة الى نشاطها السابق اذ عرف الحلبيُّون فضلها في إنعاش روح الايمان في القلوب ودفع المنضوين اليها الى كلّ المحامد واعمال البرّ. وهي اليوم تعمّ سائر الطوائف الكاثوليكيَّة في الشهباء يتبادر الى انشائها ارباب الاكليروس والمرسلون معاً فلا تكاد تخلو كنيسة من بعضها يتبارى مرشدوها واعضاؤُها غيرةً في ترقيتها ونجاحها

فمما سُررنا بمشاهدتهِ من تلك الاخويات التقويَّة في كنيسة الآباء اليسوعيين اخويَّة سيّدة الاحزان (الامّ الحزينة) للرجال ولاسيَّما العَمَلة من كلّ الطوائف يبلغ

عدد اعضائها اليوم ٣٥٠ شخصاً ممتازين بتقاهم وغيرتهم وتشبُّثهم بكل وصايا الدين يجتمعون كلّ احد بعد الظهر ويقضون ساعةً في تلاوة فرض السيّدة وسبحتها واستماع الارشادات والتغنّي بمدائح امّ الله الموقعة على الآلات الموسيقيَّة الرخيمة

وللنساء فيهـا اخويّتان الواحدة عموميَّة على اسم اخويّة الميتة الصالحة والاخرى خاصَة بالفتيات بنات مريم تحت اسم اخويّة الحبل بـلا دنس وكلتاهما نامية العـدد عريقة بالعبادة يجتمع اعضاء الاولى يوم الاربعاء والثانية الخميس . ويدير الآباء اخويةً ثانية نسائيَة للميتة الصالحة في حيّ العزيزيَّة في كنيسة الكلدان

وفي كنيسة حضرة الآباء المرسلين الفرنسيسين غير الكاتدرائيَّة اخويّة مريميَّة للشبّان يديرهـا احد كهنة الروم الكاثوليك الافاضل يحضر اجتماعاتها اكثر من ٦٠ عضوًا ويترنَّمون بالتسابيح المريميَّة الموقعة على آلات الموسيقى

وقد انشأ اكليروس الروم الكاثوليك ايضاً في كنيستَيْهم في حيّ الجديدة وحيّ شارع سوس اخويّتين للرجال اصابتا نجاحاً عظيماً ينضمُّ الى كلّ منهما العدد العديد من ذوي التقى والصلاح

وكذلك الموارنة قد اشتهرت لهم اخويّة على اسم سيّدة مونتليجون (Mont-ligeon) وهي جمعيَّة تقويّة أُنشئت سنة ١٨٨٤ في بلدة من ابرشيَّة ساي (Séez) في فرنسة فانتشرت في بلاد كثيرة وغايتها اسعاف الانفس المطهريّة وقد اغناهـا الحبر الاعظم بعدَّة غفرانات ونعم روحيَّة

وكان منشئها في الشهباء سيادة الحبر الجليل ميخائيل اخرس في زمن كهنوته فاصابت نجاحاً عظيماً حتى بلغ عدد المشتركين فيها من الشبّان نحو ٨٠٠ وضاق بهم معبد اجتماعهم في الزقاق الطويل فالتجأ مرشدهم الغيور الى ذوي الاحسان فجمع من الدراهم ما كفاهُ لتشييد كنيسة جميلة تُعَدّ من اعظم وابدع كنائس حلب اقامها في حيّ الحميديّة . وقد اخمدت الحرب الاخيرة نوعـًا همّة اعضائها وانما عادوا اليوم الى ممارسة فرائضهم السابقة واستئناف غيرتهم . وللموارنة في كنيستهم في الحميديّة اخويّة اخرى للنساء تُقام كلّ يوم خميس

ومن الاخويّات التي تأتي حاضرًا في حلب بالثمار التقويّة الشائقة اخويّة الورديّة المقدَّسة المنتمية الى سيّدة پومپئي . وان سألت مـا هي پومپئي وما هي سيّدتها ؟

اجبناك انَّها مدينة قديمة رومانية شهيرة راقية الحضارة كان موقعها جنوبي نابولي على مسافة ٢٤ كيلو مترًا من جبل الفيزوف ذي البركان الناري الذي فار فائره سنة ٧٩ للمسيح فسجّى بحُممهِ ورمادهِ مدينة بومبئي وغطّاها بكفن من الملاط لا ينفذ فيهِ الريح فبقيت المدينة اجيالًا تحت ذاك الكفن الحجري الى ان انتبه اليها في القرن الماضي ارباب الامر ومحبو الآثار القديمة فاخذوا يكشفون عنها سترها البركاني ليعيدوها الى حالتها القديمة من ازقّة وشوارع وبيوت ونوادي عموميَّة واروقة وتماثيل ونقوش فيظن زائر آثارها انهُ يرى مدينةً نائمة ليست مدينةً غابرة ميّتة

ففي بعض جوانب هذه المدينة اقام احد الايطاليين من رجال الخير والتقى يدعى بارتولو لونكو سنة ١٨٨٧ معبدًا لسيّدة الورديَّة زانهُ بضروب المحاسن الهندسيَّة وضمَّ اليهِ مآوى للفتيات اليتيمات وللاولاد الفقراء والمهملين لاسيَّما ابناء المحبوسين والمحكوم عليهم بالاعمال الشاقَّة وجعل تلك المآوى تحت نظارة رواهب غيورات وجعل عبادتهنَّ الخاصَّة سيّدة الورديَّة المنسوبة الى بومبئي وهناك صورتها وتمثالها كما ظهرت للقديس دومينيك وأوحت اليهِ بورديَّتها . وقد بارك الله هذا العمل واظهر ثمَّة قوَّتهُ بما اجرى من الآيات الباهرة العديدة حتَّى انتشرت عبادة سيّدة ورديَّة بومبئي في انحاء اوربَّة فأحبَّ حضرة الاب يوسف ربّاط الكاهن السرياني الحلبيّ الغيور ان يشرك مواطنيهِ في الشهباء بهذه النعم فانشأ في كنيسة طائفته الجليلة اخويَّة ورديَّة سيّدة بومبئي فنالت من الحظوة والاستحسان ما جاوز أملهُ وكثر عدد المشتركين بها حتَّى بلغ كما قيل لنا نحو ٣٠٠٠ فقسمها الى عدَّة فروع للرجال والشبَّان والنساء والبنات . وقد خصَّ بها احد مذابح الكنيسة فزانهُ بصورة سيّدة الورديَّة العجائبيَّة وبتماثيل كبيرة جميلة الصنع تمثّل البتول عند ظهورها للقديس دومينيك لتوحي اليهِ بالورديَّة مع تمثال القديس وتمثال القديسة كاترينا السيانيَّة . وقد قدَّمنا الذبيحة الالهيَّة على ذلك الهيكل وسُررنا بما وجدناهُ من المزدحمين حولهُ كما أطربتنا اصواتهم الخشوعيَّة التي تتلو صباح مساء ورديَّة العذراء الجليلة . فنثني على همَّة منشئ هذه الاخويَّة ومساعديهِ والمشتركين بعملهِ المبرور

هذا وانَّ للارمن الكاثوليك اخويَّتهم ايضاً وهي على اسم سيّدة الحبل بلا دنس يعرب المشتركون بها عمَّا طُبع عليهِ بنو طائفتهم من التقى والتعبُّد لسلطانة السماء التي

لم تضنَّ بنعمها السابغة اليهم . وقد كان الطيب الذكر المرحوم الورتبيد بولس بليط قد انشأ في كنيستهم اخويَّةً على اسم « قلب مريم » صادفت اقبالًا عظيماً سنين طويلة ثمَّ أَتت الحرب فأخمدت انفاسها ولعلَّ سيادة المطران اوغسطين صائغ يهتمُّ بعد رجوعهِ مؤخَّرًا من الاستانة بتجديد حياتها بمساعدة بعض كهنتهِ الافاضل

هذا ما وقفنا عليهِ من الاخويَّات المنشأة في حلب في الطوائف الكاثوليكيَّة . ولا شكَّ انَّ في مدارسهم ومدارس الراهبات اخويَّات أُخرى لطلبة وفتيان تلك المدارس ضربنا صفحاً عن ذكرها

ولا يسعنا الَّا الثناء على جمعيَّة اخرى تقويَّة تمتاز عن الاخويَّات وتُنظَم بين الرهبانيَّات فتُساعد كثيرًا على تقديس النفوس والعيال المسيحيَّة نريد بها الرهبانيَّة الفرنسيسيَّة الثالثة التي افردنا لها مقالةً سابقة في المشرق ( ص ٥٣٨ ) ومنها فرعٌ في حلب تحت ادارة حضرات ابناء القديس فرنسيس يبلغ عدد المنتمين اليها ٦٠ عضوًا فنتمنَّى لها كلَّ النجاح

ونُضيف الى هذه الاعمال التقويَّة عملَين آخرين حريَّين بالذكر : الاوَّل اجتماع كهنة كلّ الطوائف الكاثوليكيَّة تحت رئاسة رُعاتهم الاجلَّاء في عصر الخميس الواقع قبل اوَّل جمعة من الشهر في احدى الكنائس بالمناوبة فيتلون هناك بعض الصلوات لاكرام القلب الاقدس ويسمعون ارشادًا في اخصّ واجبات الكهنوت ويختمون ذلك ببركة القربان الاقدس . وقد اسعدنا الحظّ على حضور ذاك الاجتماع فوجدنا تعزيةً كبرى في ورع الكهنة وتفاهم العميق وارتباط قلوبهم على اختلاف طوائفهم

وفي مساء ذلك النهار عينهِ يصير في كنيسة الآباء اليسوعيين اجتماع آخر جزيل الفائدة لنموّ العبادة المسيحيَّة نريد بهِ اجتماع اخوة السجود الليلي فيقضون ساعةً جاثين امام القربان الاقدس ومقدّمين لقلب يسوع الالهيّ تكفيرًا عمَّا يصيبهُ من الاهانات لاسيَّما في سرّ محبَّتهِ . وفي هذه الجمعيَّة مشتركون من كلّ الطوائف بينهم الاغنياء والفقراء الشيوخ والشبَّان الكهنة والرهبان ينيف عددهم على المائتين تراهم يتبارون جميعاً في اكرام القلب الالهيّ فيأخذ منظرهم بمجامع القلوب

## ٢ المشاريع التهذيبية للشبان والاحداث

قد مرَّ لنا ذكر المدارس في حلب والمشروعات الادبيَّة التي توفَّرت فيها لتهذيب الشبَّان. ونزيد على ما قلنا هناك انَّ للطوائف الكاثوليكيَّة ما عدا المدارس الثانويَّة مدارس غيرها ابتدائيَّة مجَّانيَّة للطبقة الفقيرة من العيال المسيحيَّة نخصّ منها بالذكر مدرسةً لطائفة اللاتين تحتوي على ١٥٠ تلميذًا. ثمَّ مدرسة أخرى لطائفة الروم الكاثوليك. ومثلها للسريان وللارمن الكاثوليك. وقد اقامت ايضاً جمعيَّة مار منصور مدرسة لهؤلاء الفقراء لا يقلّ طلبتُها عن المئة. ونظنّ انَّ للراهبات مدارس مثلها مجَّانيَّة للفتَيات الفقيرات

وفي حلب مشروعات غيرها لتهذيب الناشئة اجداها نفعاً وافضلُها غايةً النادي الكاثوليكيّ الذي يُعنى بتدبيرهِ كهنةٌ افاضل من طائفة الروم الكاثوليك وهو تحت إشراف سيادة المطران مكاريوس سابا الجزيل الاكرام. يجتمع فيهِ خمسون عضوًا من نخبة الشبَّان

وممَّا تتَّحد الالسنة والقلوب في تحبيذهِ والثناء على القائمين باعمالهِ جمعيَّة اخوة التعليم المسيحي التي كان انشأها في حلب المرسل الغيور الاب جليان هنري اليسوعيّ سنة ١٨٨٦ فراجت سوقها رواجاً عظيماً بهمَّة بعض شبَّان الشهباء المتحمّسين في دينهم المتَّقدين غيرةً في نشر ايمانهم المقدَّس. فجرت على هذه الجمعيَّة تقلُّبات شتَّى بعد وفاة منشئها وقد جدَّدت قواها بعد الحرب وعادت الى سابق مآثرها وهي تتألَّف حاضرًا من ٣٥ عضوًا معظمهم من الأُسر الحلبيَّة الوجيهة ينتمون الى كلّ الطوائف الكاثوليكيَّة. وهم يدبرون خمسة تعاليم اي خمس فرق من الصبيان في احياء فقيرة مختلفة فيجمعون الصغار في اوقات معلومة ويلقّنونهم الصلوات ومبادئ التعليم المسيحيّ ويعدُّونهم لمناولة القربان الاولى فتقام لذلك حفلات شائقة في المواسم الكبيرة ويوزّعون عليهم الكسوة في ابتداء فصل الصيف ثمَّ ينتدبون الرجال والشبَّان في ايَّام الصوم ليلقي عليهم احد الكهنة بعض المواعظ لرياضة روحيَّة

ثمَّ وجد ذوو الغيرة والتحمُّس انَّ بعض العَمَلة غير الفتية الصغار يحتاجون الى معرفة دينهم وواجباتهم المسيحيَّة وهم يستنكفون من حضور مجتمعات اولئك

الاحداث فلذلك عمدوا رجاء في استجلابهم على فتح مدارس ليليَّة يدعون اليها اولئك العملة فيعلمونهم مبادئ القراءة والكتابة . فلبّى دعوتهم بعض زملائهم من اخوة التعليم واعضاء جمعيَّة مار منصور دي پول فتكلّلت مساعيهم بالنجاح ثمَّ اضافوا الى التعليم المدرسيّ التعليم الديني فوجدوا في قلوب اولئك العملة تربةً صالحة جازتهم عن اتعابهم . وقد خصَّ كثيرون منهم يوم الجمعة ببعض الاعمال التقويَّة على شبه الاخويَات فيجتمعون في كنيسة السريان فيتلون المسبحة ويسمعون الارشاد الذي يلقيهِ عليهم احد الكهنة وينالون بركة سيّدة الورديَّة

وللبنات الفقيرات ايضاً اجتماعات اسبوعيَّة يوم الاحد ليتعلّمن مبادئ الدين والصلاة ويُعْدِدن نفوسهنَّ للمناولة الاولى . وتقوم راهبات القلبين الاقدسين بهذا العمل الاثير بموجب نذرهنَّ في مدارسهنَّ في النوري والعلاف والحميديَّة حيث يُنيف عدد البنات المجتمعات لهذه الغاية على الستّمائة فيتربَّين على اصول ديانتهنَّ ويألفن الفضيلة منذ نعومة اظفارهنَّ

## ٣ الاعمال الخيرية

كما طُبع اهل حلب على التقي والعبادة كذلك جُبلوا على اسعاف المؤوسين والرحمة نحو الفقراء . وقد ظهرت مبرَّاتهم خصوصاً في ايَّام الحرب الكونيَّة فانهم لم يمدُّوا فقط يد المساعدة نحو البائسين من اهل وطنهم بل تبرَّعوا ايضاً بسخاء بمالهم نحو المنكوبين الذين احتلُّوا ربوعهم او نفتهم الى الشهباء الحكومة التركيَّة او اجتازوا بها قبل نفيهم الى الداخليَّة لاسيَّما الارمن فانَّ كثيرين من اهل الخير استنفدوا الوسع لاعانة هؤلاء المظلومين . ومنهم من كانوا يزورونهم في سجونهم وفي مضاربهم المنصوبة خارجاً عن البلد فلطَّفوا اوجاعهم وخلَّصوا البعض منهم من براثن اعدائهم

ولمَّا حطَّت الحرب عن اوزارها شمَّر اصحاب المروءة والرحمة عن ساعد الجدّ لتضميد جروحاتها وشكّلوا بمساعدة الحكومة المنتدبة اللجن لاسعاف المحتاجين ومعالجة المرضى . ولكل طائفة اليوم لجنتها المهتمَّة بمساعدة ذويها . وقد مرَّ لنا ذكر جمعيَّة مار منصور دي بول ونخوة رئيسها واعضائها في مباشرة اعمال الرحمة

ومِمَّا يُذكَر بالشكر ميتمٌ لطائفة الروم الملكيين يُعنَون فيهِ باعاشة وتربية نحو ٥٠ ولدًا

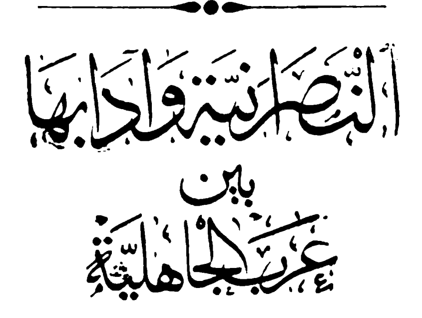
وكذلك للسريان مأوى ليلي كان يلتجئ اليهِ اهل البأساء المنقطعون فيتَّقون فيهِ من فواجع الطرقات والشوارع . وقد نوَّهنا بذكر المأوى الذي فتحتهُ الحكومة المنتدبة بعد دخولها الشهباء

ولا يسعنا السكوت عن المستشفيات الكاثوليكيَّة في حلب اكبرها واجمعُها لاسباب راحة المرضى وعلاجهم مستشفى راهبات مار يوسف الذي ادَّى من الخدم الجليلة في زمن الحرب وبعدهُ ما أَنطق أَلسنة الجميع بفضل مديراتهِ وتفانيهنَّ كما عرفوا جميلهنَّ بتخريج الفتيات في مدرستَيهنَّ الداخليَّتين

ومثلهُ مستشفى كانت تديرهُ في الحرب راهبات سان شرل الالمانيَّات توارد اليهِ عدد عديد من الجرحى والمرضى فوجدوا في القائمات بادارتهِ ملائكة من الرحمة والشفقة

ومِمَّا احدَثهُ الايطاليُّون في حلب بعد اعلان السلم مستشفًى لمعالجة ابناء جلدتهم جعلوا تدبيرهُ في ايدي راهبات الطوبوي كوتولنكو الذي اثبت الكرسيّ الرسوليّ قداستهُ

هذا بعض ما احاط بهِ علمنا من مشروعات الكاثوليك الدينيَّة والتهذيبيَّة . ولعلَّهُ فاتنا شيءٌ منها مِمَّا لا يجهلهُ الله ومكتوب ثوابهُ في سفر الحياة



للاب لويس شيخو اليسوعي ( تابع )

## ٣ . الشعر النصراني

رأَيت في ما سبق انَّ النهضة الشعريَّة كانت خصوصاً في القرن السادس للمسيح

اي القرن السابق لظهور الاسلام وفي تأخر تلك النهضة سرٌّ غامضٌ ارتاب في فكّهِ الباحثون عن اخبار الجاهليَّة . فهذه امَّة عظيمة منتشرة في بلاد تكاد مساحتها تساوي مساحة اوربَّة على اطرافها الممالكُ الوطنيَّة ذات الجاه والشرف والسلطان سبقت الاسلام بعدَّة قرون لا ينقصها شيءٌ من اسباب الحضارة والعمران بينها ارباب العقول الراجحة والاذهان المتَّقدة لسانُها من اغنى الالسنة واشرفها واقدرها على التعبير عن كلّ العواطف البشريَّة وهي مع ذلك لم تنتج شاعرًا مفلقاً قبل اوائل القرن السادس وذلك بإقرار اقدم الكتبة من العرب . فكيف يا تُرى يمكن تعليل ذلك الخمول ؟

إنَّنا طالما امعنَّا النظر في هذا الامر واستقصينا البحث فيهِ فلم نجد لهُ شرحاً مقبولًا الَّا بان نقول ان النصرانيَّة كانت اصل تلك النهضة ولأنها لم تبلغ في جزيرة العرب نفوذهـا وعزّها الَّا في القرن السادس وان كان دخولها الى الجزيرة سبق ذلك العهد فكذلك بلغت النهضة الادبيَّة معها الى اوج عزّها في ذلك الجيل

١ً وكان من نتائج توغُّل النصرانيَّة في جهات العرب انَّها سوَّلت لهم طرقاً للكتابة التي لا تستطيع الآداب ان تنتشر وتترقَّى دونها . فاستمدَّ العرب فنَّ الكتابة من نصارى العراق والنبط والحبش . تلك المصادر الثلثة للاقلام العربيَّة الاولى اعني القلم النسخي والمسند والكوفيّ . وقد اثبتنا ذلك في باب خاصّ عليك بمراجعتهِ (ص ١٥٢ — ١٥٨) . وناهيك بهِ على ما كان النصرانيَّة من السهم الافوز في حفظ المآثر الادبيَّة ونشرها . وقد وقع ذلك في القرن السادس

٢ً وكان للنصرانيَّة فضلٌ آخر على ترقية الآداب بين العرب انَّ اربابها مع نشر الكتابة نشروا ايضاً التعليم امَّا بفتح المدارس للناشئة وامَّا بالتعليم الخاصّ وقد جمعنا في فصل سابق (ص ٣٨٩ — ٣٩١) بعض الشواهد المثبتة لقولنا منها المدارس المتعدّدة المنشأة في العراق في اديرة الرهبان وغيرها كان يحضرها احداث العرب كما ذكرنا هناك عن المرقِّشَين الاكبر والاصغر وعن عديّ بن زيد وعن ورقة ابن نوفل والبرَّاق ابن روحان . ونوَّهنا ايضاً بذكر معلمين نصارى في مكَّة والمدينة وغيرهما . فليت شعري أَيحتاج الى برهان اعظم لبيان تأثير النصرانيَّة في آداب الجاهليَّة وشعرائها المقدَّمين في ذلك القرن السادس ؟

٣ً ومن الأدلَّة المقنعة على انَّ النصرانيَّة هي التي بعثت الشعر العربيّ واخرجتهُ

من مهدهِ في القرن السادس انَّ ذاك الشعر كان ظهورهُ اوَّلًا بين القبائل النصرانيَّة .
فان استنتينا على ذلك اقدم الكتبة كابن قتيبة في كتابَيْهِ المعارف وفي الشعر والشعراء
وابن سلّام الجمحي في طبقات الشعراء (ص٢٢) وابن الرشيق القيرواني في العمدة
(ص٥٤) ثمَّ السيوطي في المزهر (٢: ٢٣٨) أجابونا باتّفاق الاصوات انَّ الشعر العربي
كان اوَّلًا في ربيعة . وقد اثبتنا شيوع النصرانيَّة في ربيعة كما اجمع عليهِ الرواة كابن
قتيبة (في المعارف ص٣٠٥) وابن رُسته في الاعلاق النفيسة (ص٢١٧) وغيرهما (راجع
الصفحة ١٣٠) . ومن ربيعة كانت تلك القبائل العظيمة التي كادت تستولي على جزيرة
العرب كبكر وتغلب ابنَي وائل وكبني امرئ القيس وشيبان وعجل وحنيفة وقد تحقَّقنا
نصرانيَّتها كلّها استنادًا الى معظم الكتبة . فالنتيجة بعد ذلك ظاهرة وهي نصرانيَّة
الشعراء المنتمين اليها الذين سبقوا غيرهم زمنًا كما سبقوهم الى تقصيد القصائد .
قال الفرزدق يذكر المهلهل التغلبيّ :

وهلهلُ الشعراء ذاك الاوَّلُ

٤ً ولنا بيّنة أُخرى على نصرانيَّة هؤلاء الشعراء الاوَّلين نعني بها منازلهم التي كانوا
يسكنونها مع قبائلهم فانَّ قبائل ربيعة كانت تحتلُّ مفاوز ما بين النهرين من الفرات
شرقيّ حلب وجنوبها الى جهات الموصل والعراق ولا يزال يُطلق على قسم كبير منها
اسم ديار بكر وديار ربيعة . وكانت هناك النصرانيَّة راسخة القدم منذ القرن الرابع
للمسيح فتنسَّك فيها الحبساء بعدد وافر كصعيد مصر وتشيَّدت فيها اديرةٌ ذكر
منها كتبة السريان والعرب ما ينيف على المئة عدًّا . فما لبثت تلك القبائل العربيَّة ان
جحدت الشرك ودانت بدين المسيح وقد روينا في القسم التاريخيّ كثيرًا من اخبارها
والشواهد على تنصُّرها نقلناها عن اصدق الرواة من يونان ولاتين وسريان بينهم كتبة
كانوا معاصرين للامور التي يخبرون بها وشهود عيانيُّون لِما يدوّنونهُ في بطون التواريخ
فتارةً يذكرون كنائسهم وتارةً اساقفتهم الساكنين بينهم في الحضَر والمدَر وتحت
الخيم وحينًا مزاراتهم الدينيَّة الى غير ذلك من الدلائل الصريحة على ايمانهم

فلمَّا ظهر الاسلام اقرَّ كتبتهم بما تحقَّقوهُ من تنصُّر تلك القبائل وقد دوَّنا
ما اعلنوا بهِ حيث قالوا « انَّ من قبائل العرب المتنصِرة بكر وتغلب ولخم وبهراء
وتنوخ وجذام » وكلهم من ربيعة او من القبائل اليمنيَّة المحالفة لهم

وممّا يجدر بالاعتبار انّ بين هؤلاء الشعراء قرابةً يُستدلّ بها ايضاً على وحدة دينهم فانّ كليباً والمهلهل كانا خالي امرئ القيس بن حجر الكندي وامّهُ فاطمة اختهما . وكان المرقّش الاكبر عوف بن سعد عمّ المرقّش الاصغر عمرو بن حرملة وكان هذا عمّ طرفة ابن العبد وكانت امّ طرفة وردة وهي اخت المتلمّس جرير بن عبد المسيح

٥ً ويؤيّد قولنا في نصرانيّة هؤلاء الشعراء انّ من يراجع دواوينهم او ما رُوي عنهم من القصائد لا تجد فيها اثرًا للشرك وعبادة الاصنام اللهم الّا في بعض الاقسام التي بيّنّا انّها كانت الفاظاً جارية على السنتهم كما ترى من اشكالها في أَلسِنة كلّ الشعوب دون اشارة الى معتقد البتّة (اطلب الصفحة ٧٠٥)

٦ وعلى خلاف ذلك تجد في شعرهم آثارًا بيّنة لاعتقادهم بالاله الواحد وبخلود النفس مع اقتباسات واشارات واضحة الى الأسفار المقدّسة والى الانبياء والى العادات النصرانيَة وقد جمعنا منها فصولًا واسعة مرّ ذكرها في كتابنا هذا فلتُراجع . وهذا يصحّ ايضاً في معظم الشعراء الذين جمعنا قصائدهم في كتاب شعراء النصرانيَة سواء كانوا من اياد او مضر او قضاعة او طيّ او من اليمانيَّة

ولا شكّ انّنا كنّا وجدنا في منظوماتهم ما هو ادلّ على دينهم لو لم يُفقَد كثير منها . وزد على ذلك انّ اهل اللغة الذين حاولوا جمع تلك الآثار لم يباشروا بتدوينها الّا في اواسط القرن الثاني للهجرة اذ كان قسم كبير منها قد اخذتهُ يد الضياع او تلف بالنسيان . وكان هؤلاء الرواة مُسلمين لا يهمُّهم غير الفرائد الادبيَّة والنوادر اللغويَّة فيضربون الصفح عمَّا يعزّز ديناً غير الدين الاسلامي . ويثبت ذلك ما تجد في المعاجم من ابيات متفرّقة دُوّنت في مظانّها يُستفاد منها اشياء كثيرة عن نصرانيَّة اهل الجاهليَّة رويناها في ما سبق كلآلئ فريدة من قلائد منفرطة

وان قيل ما لهم لم يصرّحوا بنصرانيَّة هؤلاء الشعراء فيزيلوا بذلك الشكّ والريب ؟

السبب (الاوّل) لذلك كما قلنا انّ الرواة السابق ذكرهم قلّما سعوا في البحث عن اديان اولئك الشعراء واذا تصفَّحت ما نقلوهُ من اخبار شعراء الجاهليَة لا تكاد تجد تنويهاً باحوالهم الدينيَّة . وان ذكروا شيئاً من ذلك رووهُ استطرادًا لا تعمُّدًا . ولولا اشارات خفيفة عن البعض الذين لا شبهة في نصرانيّتهم لما تحقّقنا دينهم كقسّ بن

ساعدة وعديّ بن زيد وجابر بن حني والبرّاق بن روحان وبسطام بن قيس

السبب (الثاني) لسكوت الرواة عن نصرانيَّة اوائك الشعراء انَّهم كانوا من قبائل عصاميَّة صحيحة النَّسب فما كانوا يرون داعياً الى ذكر دينها وكلّها متساوية في شرف جنسها العربيّ من قحطان او من عدنان على خلاف القبائل اليهوديَّة فانَّ الكتبة الاقدمين يميّزونها عن القبائل العربيَّة ويصرّحون بيهوديَّتها نسباً وديناً كقُرَيظة والنضير

والسبب (الثالث) الذي قضى على الرواة المذكورين الإضراب عن ذكر اديان الشعراء ما وجودهُ من الاختلاف في نصرانيَّتهم. فانَّ دعاة النصرانيَّة الذين دخلوا في جهات العربيَّة لم يكونوا على معتقد واحد فكان بينهم الصحيح الايمان كالقديس بنتانوس (S^t Pantène) واوريجانوس وموسى رسول الغسَّانيين والقديسين هيلاريون ونيلوس وافتيموس ثم عقبهم النساطرة في العراق وفي سواحل البحرين وعُمان واليمن واليعاقبة في جهات الفرات وما بين النهرين وبادية الشام. وكان فرَّ الى جزيرة العرب كثيرون من المبتدعين لينجوا من مصادرة ملوك الروم وغيرهم كاللاأدريين والمندائيّين ومتنصّري اليهود المدعوّين بالإبيونيين والكسائيّين وهلمَّ جرًّا حتَّى انَّ القديس ابيفانيوس منذ القرن الرابع كان يصف جزيرة العرب بكثرة بدعها واضاليلها

ومن ثمَّ اذا تكلَّمنا عن شيوع النصرانيَّة في جزيرة العرب لسنا نقصد بها الديانة الكاثوليكيَّة الخالية من كلّ ضلال بل الدين المسيحي عموماً مع ما اختلط بهِ من آراء الهراطقة الباطلة. والحقّ يقال انَّ توفُّر هذه الشيع وتعاليمها المتناقضة هي التي سوَّلت للاسلام الفوز بالنصرانيَّة في جزيرة العرب وفي البلاد الخارجة عنها. وقد ظهر بعد ذلك في نفس الاسلام شيءٌ كثير من تلك البدع كما ترى في كتاب الملل والنحل للشهرستاني ولابن حزم وغيرهما فكانت كنار تحت رماد شبَّت بمساعي الخوارج والملحدين في ايَّام الخلفاء

وارآؤنا هذه عن شيوع النصرانيَّة في كلّ انحاء العرب ونفوذها في آدابهم وشعرهم قد تحقَّقها غيرنا من كبار المستشرقين كدي ساسي ولونورمان في فرنسة وبلغراف (Palgrave) وليَّال في انكلترَّة (١ وولهَوزن في المانية فيرون في معظم الشعر الجاهلي

١) اطلب كتاب ليال في مقدَّمة ترجمتهِ الانكليزيَّة **G. Lyall :** Translation of ancient Arabian Poetry

من عواطف وتصوير افكار ومعرفة حقائق عقليَّة وادبيَّة ما لا يمكن نسبتهُ الى غير النصرانيَّة ممَّا يخالف المعلومات التي سبق كتبة السريان واليونان والرومان فرووها عن العرب قبل ذلك العهد وذلك وفقاً لما نعلم عن تنصُّر المناذرة والغساسنة وملوك كندة وبعض التبابعة فأثَّرت نصرانيَّتهم في شعراء ذاك القرن السادس ندماء اولئك الملوك فقصدوهم متديّنين بدينهم . وقلّما تجد شعراء نبغوا حينئذٍ في نواحي اخرى من العرب كنجد والحجاز وان وُجد بعضهم فآثار النصرانيَّة فيهم ظاهرة كورقة بن نوفل وزيد بن عمرو وشعراء طيّ (التتمَّة لعدد آخر)

---

# خرافة البابا حنة

فكاهة تاريخيَّة للاب لويس شيخو اليسوعي

ماكنّا لنظنّ ان بعض الخرافات التي اكل عليها الدهر في مواطنها وشرب تقطع البحر وتظهر في سواحلنا كالبضاعة الكاسدة في بلدها تُرسل الى الاقطار الاجنبيَّة لعلّها تروج فيها

فمن هذه الروايات الصبيانيَّة خرافة البابا حنَة سألنا رأينا فيها احد ادباء البروتستانت ابرهيم افندي الرشّي وقد أطلعهُ عليها احد دُعاة الإرساليَّة الاميركانية فرأينا ان نفكه بها قرَّاءنا ليعلم السوريون الى اي حدّ يبلغ البغض للكنيسة الكاثوليكيَّة في قلوب اعدائها

## ١ من هي البابا حنة

زعم مؤرخو البروتستانت ومن استند اليهم في القرن السادس عشر انَّ فتاة اسمها حنَة اصلها من مايَنس في المانية عشقت في القرون الوسطى رجلًا سافرت معهُ الى بلاد اليونان فاستوطنا عاصمتها اثينة وانكبّت حنَة هناك على العلوم فبرَّزت فيها ونالت اجازاتها . ثمَّ مات عشيقها فعادت الى اوربَّة وتنكَّرت بملابس الرجال واتَّخذت

لها اسم يوحنَّا الانكليزيّ وسكنت رومية فاشتهرت فيها بعلومها . واذ توفي بابا رومية وقع عليها الاختيار فجلست على كرسي الخلافة البطرسيَّة مدَّة سنتين بنيّف . واضافوا الى هذه السفاسف انَّها اذ تصدَّرت في احد الطوافات الدينيَّة تمخَّضت بمولود فعُرف امرُها ثمَّ حُكم عليها فرُجمت

هذه هي الرواية الغريبة التي اشاعها في سويسرة والمانية اوَّلًا ثمَّ في بقيَّة الاقطار البروتستانيَّة انصار لوتاروس وكلوين فدوَّنوها في كتبهم كاحدى الحقائق الراهنة التي لا يجوز الشكّ فيها

## ٢ زمن وجود البابا حنة

يقول المثل العربيّ انَّ الكذب حبلهُ قصير . وفي مثل آخر انَّ جلبة الكذب لساعةٍ وغلبة الحقّ الى ظهور الساعة . وقد صحّ ذلك في رواية البابا حنَّة . وكان اوَّل ما لاح مكر المخترعين لتلك القصَّة الخسيسة اختلافهم في تعيين زمن وجود البابا حنَّة . ولا يُخفى على احد من المؤرخين المحقّقين المدقّقين انَّ السلسلة البابويَّة راقية بلا انقطاع الى عهد هامة الرسل القديس بطرس النائب الاوَّل للسيد المسيح ترويها السجلَّات الرومانيَّة كما اثبتها غير واحد من مؤرخي الكنيسة وسواهم واذا راجعت تلك السلسلة لن تجد البتَّة انفصاماً في حلقاتها ولا ادنى اثر للبابا حنَّة المذكورة

وان سألت البروتستانت ان يعيّنوا تاريخاً صحيحاً للمرأة المزعومة انفرط عقدهم وذهبوا في تعيين زمنها مذاهب متناقضة كانت اوَّل دليل على كذب تلك الاشاعة . فمنهم من زعموا انَّ حنَّة المذكورة جلست على الكرسيّ البابويّ في غرَّة شهر آب سنة ٨٥٤ بعد القديس لاون الرابع الشهير بما اضاف الى رومية من الاحياء التي عُرفت باسمهِ فدُعيت بالمدينة اللاونيَّة . والحال قد اجمع كلّ المؤرخين انَّ بندكتوس الثالث خلف لاون الرابع دون مهلة تُذكر وتشهد على ذلك رسالة هنكمار رئيس اساقفة ريمس الذي اخبر انهُ ارسل وفداً الى البابا لاون الرابع ليثبت اعمال مجمع سواسون فلما وصلوا الى عاصمة الكثلكة وجدوا البابا قد مات وخلفهُ بندكتوس الثالث

ويشهد على الامر ذاتهِ ايضاً فوطيوس في كتابهِ عن انبثاق الروح القدس (Migne PP. GG., CII, 376-7) حيث يقول ما تعريبهُ : « قد عرف جيلنا حبرًا جليلًا

شهدت معجزاتهُ على قداستهِ وهو البابا لاون الذي قام خلفاً لهُ بندكتوس ذاك ملاك الحلم والمحبَّة. ثمَّ تبعهُ نقولا ...»

وكتب المؤرخ المعاصر أدون من ڤينَّا من اعمال فرنسة في تاريخهِ (Mīgne:PP. LL. CXXIII, col. 137) قال: «لمَّا توفي لاون الرابع خلفهُ على الكرسي الرسولي بندكتوس .. ثم قام بعد بندكتوس ذلك الحبر العظيم نقولا فدُفن عند وفاتهِ بقرب سلفهِ تحت رواق كنيسة القديس بطرس»

فترى انَّهُ ليس سندٌ البتَّة لزعم القائلين بجلوس البابا حنَّة في القرن التاسع. وقد ارتأى غيرهم انَّها كانت في القرن الحادي عشر وانَّ جلوسها على العرش البابوي كان سنة ١٠٨٩ وهو رأي جان دي مالي (J. de Mailly) وليس كلامهُ اثبت من السابق فانَّ في تلك السنة كان ضابطاً لأزمَّة الكنيسة البابا اوربانوس الثاني الشهير المعلن بالحروب الصليبيَّة الذي خلف في آذار سنة ١٠٨٧ ڤكتور الثالث المتوفى في ايلول ١٠٨٦. وقال اتيان دي بودبون انَّ البابا حنَّة كان مالكاً سنة ١١٠٠ وهو ايضاً قول خالٍ من كلّ مسحة حقّ لأنَّ الجالس على السدَّة البطرسيَّة في تلك السنة كان احد مشاهير عصرهِ البابا بسكال الثاني الذي دبَّر كنيسة المسيح من السنة ١٠٩٩ الى ١١١٨. فهذه كلّ مخترعات القائلين بخرافة البابا حنَّة

## ٣ اصل هذه الخرافة وطريقة شيوعها

ولعلَّك تسأل وما اصل هذه الخرافة وكيف امكن مخترعيها ان يذيعوها في امكنة عديدة حتَّى حسبها بعض الكتبة من الامور التاريخيَّة الراهنة. ها نحن نبيّن ذلك استناداً الى اصدق المؤرخين الكاثوليك والبروتستانت معاً

لمَّا كانت السنة ١٥٥٠ نشر الكتبيّ البروتستاني المدعو جان هيرولد (J. Hérold) من مدينة بال في سويسرة تاريخين: الاوَّل لمؤلفٍ يُدعى ماريانوس سكوتوس (الاسكوتلندي) المتوفَّى سنة (١٠٨٥ م) وكان اصلهُ من ارلندة وترهَّب في رهبانيَّة القديس مبارك. ويبتدئ تاريخهُ من اوَّل العالم الى زمانهِ اي السنة ١٠٨٣. والتاريخ الثاني لمرتينوس البولوني رئيس اساقفة غنيسن المتوفَّى سنة ١٢٧٨ ألَّف تاريخاً جامعاً لاخبار الكنيسة منذ اوائل النصرانيَّة الى زمانهِ

فالمتولي نشر التاريخين السابقين تجاسر فدسّ في الاوَّل في تاريخ سنة ٨٥٤ ما تعريبهُ : «في غرَّة آب من هذه السنة توفي البابا لاون فخلفتهُ امرأة تُدعى حنَّة دبَّرت الكنيسة سنتين وخمسة اشهر واربعة ايَّام » فجعل هيرولد هذه الفقرة كمقدَّمة لما اراد بسطهُ في التاريخ الثاني لرئيس اساقفة غنيسن حيث روى ذاك الخبر الغريب على هذه الصورة : « قام في تدبير الكرسيّ الرسولي بعد لاون الرابع يوحنَّا الانكليزي من ماينس فدبَّرهُ سنتين وخمسة اشهر واربعة ايَّام ومات في رومية . يقال انَّ يوحنَّا المذكور كان امرأةً رحلت في ايَّام شبابها مع عشيقها الى اثينة فتنكَّرت بلبس ثياب الرجال ودرست العلوم في تلك الحاضرة الشهيرة فبرعت فيها وغلبت اشهر اساتذتها بذكائها . ثم قدمت الى رومية على زيّها متنكّرةً فعلَّمت المنطق والطبيعيَّات والادب حتَّى تزاحم التلامذة حولها مفتخرين بالتخرُّج عليها . وقد بلغ بها علمها الفريد وحسن سيرتها الى انتخابها للمنصب البابويّ . لكنَّها لما اصابت ذاك المقام الرفيع خالفت سلوكها وفي بعض الايَّام اذ كانت جاريةً في موكب فخيم من كنيسة القديس بطرس الى كنيسة مار يوحنَّا اللاترانيَة تمخضت كما قيل بين كنيسة القديس اقليميس ومسرح الكوليزه فماتت ودُفنت هناك ولذلك لم يعد الاحبار الرومانيُّون يمرُّون على هذه الطريق انفةً وتكرُّهاً »

فلمَّا طُبع هذان الكتابان جعل المتشيّعون الوناروس واعداء الكنيسة يطبّلون ويزمّرون برواية هذه القصّة ويزيدون عليها كلّ ما تسوّل لهم مخيّلتهم السمجة . غير انَّ ذوي النزاهة منهم ارادوا ان يتحقَّقوا صحَّة هذه الحكاية فطلبوا نسخاً مخطوطة من التاريخين المشار اليهما فما لبثوا ان وقفوا على وقاحة هيرولد وتزويره للكتابين فانَّ العلَّامة ڤيتز (M. Waitz) توفَّق الى اكتشاف النسخة الاصليَّة من تاريخ ماريانوس مخطوطةً بيدهِ فلم يجد اثرًا لتلك الرواية ثمَّ وُجدت نُسخ اخرى من كتابهِ وكلّها خالية منها

وهكذا فعل العلماء البروتستانت بلونْدل (Blondell) وليبنتس (Leibnitz) وصموئيل مار (S. Mares) وغيرهم في انتقاد تاريخ مرتينوس البولوني فثبت لهم تزوير هيرولد ففضحوا عملهُ واعلنوا بكذبهِ ومكرهِ . واذ اراد المؤرّخ سپانهيم ان يدافع عن صحَّة رواية حنَّة البابا فنَّد الفيلسوف ليبنتس حججهُ فلم يدع منها اثرًا وتفنيدهُ

هذا في مجموع تآليفهِ (ك ١١ ص ٢٨٦) وكفى بشهادة مثلهِ بياناً للحقيقة
وكان ممخرقٌ آخر من البروتستانت زوَّر مثل هيرواـد تاريخاً قديماً لسيغبرت من كتبة القرن الثالث عشر فتصدَّى لهُ ناشرو مآثر جرمانية : Pertz et Bethmann ) (Monumenta Germaniæ فأثبتوا في تأليفهم النسخة الصحيحة من هـذا التاريخ وقابلوها بنسخ غيرها وكلُّها تجهل خرافة البابا حنَّة

ولمَّا عُقد في باريس موتمر پواسي (Poissy) سنة ١٥٦١ فحضرهُ البروتستـانت والكاثوليك اعترض زعيم اهل الشيعة تاودورس دي باز (T. de Bèze) على الكاثوليك بقصَّة البابا حنَّة فقـام ذاك الجهبذ المرتد عن البروتستـنت الكردينال دو پرون (Du Perron) فأفحمهُ فلم يُحِرْ جواباً . واليوم لم يَعُد الى ذكر هذه الخرافة الَّا الجهلاء الذين ليس لهم ادنى إلمام بالتاريخ او يستقون معلوماتهم من دائرة معارف البروتستانت القديمة ( les Centuriateurs de Magdebourg ) التي يأنف المحقّقون مراجعتها لكثرة اكاذيبها وتزويراتها

ولعلَّك تسأل اليس في التاريخ اثرٌ ما قد اتَّخذهُ النصَّابون كحجَّة لروايتهم هـذه الغريبة ؟ يجيب العلماء على ذاـك بقولهم انَّ هذه الرواية اشاعها بعض الايطـاليين المعادين للبابا يوحنَّا العاشر سنة ٩١٤ لأنَّ انتخابهُ صار بمساعي الاميرة تاودورة من دوقات مقاطعة توسكـانة التي كانت تسلَّطت على رومية وتمكَّنت بنفوذهـا من تنصيب البابا المذكور على الكرسيّ الرومانيّ فدعوا البابا تهكُّماً البابا حنَّة

وقال غيرهم وهو الرأي المرجَّح انَّهُ شاع في ايطالية انَّ ذوي الاحزاب المتعدّدة الذين كانوا بسطوا حكمهم على مدينة القسطنطينيَّة في اواسط القرن الحادي عشر اقاموا على كرسيها البطريركي امرأةً فبلغ الخبر الى مسامع البابا لاون التاسع فكتب سنة ١٠٥٤ لميخائيل كولاريوس رسالة رُويت في جملة اعمال الآباء اللاتين Migne, ) PP. LL. CXLIII. col. 760 ) يقول فيها ما تعريبهُ : «حاشانا ان نصدّق ما يتناقلهُ الصوت العام عن كنيسة القسطنطينيَّة فانَّهم يشيعون انَّهُ جلست امرأة على كرسيّهـا البطريركي بيد انَّ ما نعرفهُ عمَّا يجري في هـذه الكنيسة من القلاقل والى اي حدّ بلغت من إهمال القوانين المقدَّسة في تنصيب رجال لا اهليَّة لهم البتَّة لتدبير الكنيسة يدفعنا الى الظنّ بوقوع مثل هذه الشكوك» . فلا يبعد انَّ هذه الإشاعة عن كرسي

القسطنطينية حوّلها زورًا بعض الملاحدة على الكنيسة الرومانيَّة وموهوها بتفاصيل فريَّة كاذبة . وعلى كلّ حال لو كان الكرسيّ الرسوليّ في القرن التاسع الى القرن الحادي عشر تدنَّس بما نسبهُ اليهِ المشعوذون لما كان سها كيرولاريوس بطريرك القسطنطينيَّة وهو من ألدّ اعداء الكنيسة الرومانيَّة عن تقريع البابا لاون التاسع وردّ سهمهِ اليهِ

فهذه نبذة قصيرة كان يمكننا ان نطيلها بشواهد غيرها تزيدها اثباتاً لكنَّ في ما ذكرنا الكفاية لمن يطلب الحقّ ويزيّف الباطل

---

# آثار قديمة في معراب

لحضرة الاب رينه موترد اليسوعي

قبل ان نباشر بوصف هذه الآثار احببنا ان نصدّرها ببعض المعلومات التي استفدناها من حضرة الخوري المفضال بطرس باسيل الذي حضر اكتشاف تلك العاديَّات في معراب في بعض املاكهِ قال :

معراب قرية صغيرة في كسروان تتَّصل بغوسطا من جهة الجنوب وبدلبتا من الشمال وهي على جبل عالٍ مشرف على البحر يمتدّ منها النظر الى مسافة بعيدة طيبة الهواء بما يكتنفها من الغابات الكثيفة وفي وسطها رابية مستديرة الشكل تعلو عن سطح البحر نحو من ٨٤٠ مترًا . وعلى قمَّة هذه الرابية المعروفة « بالقلعة او الحصن » آثار ابنية قديمة العهد بقي منها قسم اساس جهتَيْها الشرقيَّة والجنوبيَّة . والى جانبَيْها الشرقيّ والشماليّ ابنية متهدّمة متراكمة ممَّا يدلّ على شرف هذا المكان في سالف العصور . وقلَّما ورد لها ذكرٌ مع ذلك في كتب المؤرخين الَّا عرضاً . قال الدويهيّ في تاريخ الطائفة المارونيَّة ( ص ١٢٥ — ١٢٦ ) في وقائع سنة ١٣٠٧ ما حرفهُ : « قيل ان جسر المعاملتين بناهُ سليمان بن عراب وهو الذي بنى حصن معراب شرقيّ غزير » . وروى مثل ذلك الامير حيدر في تاريخهِ (ص ٤٨١ ) وانما دعا بانيهُ « سليمان بن معراب »

فمن هو هذا ابن عراب او ابن معراب ؟ وهل يتَّفق عهدهُ مع عهد هذه الابنية في القدم ؟ فانَّ هناك من الآثار الرومانيَّة وسواها ما لا ينطبق على هذه الرواية من حيث الزمـــان

وفوق قرية معراب في شرقيّها على بعد عشرين دقيقة منهـا قرية اخرى صغيرة تدعى « قلعة معراب » لوجود بناء عظيم بقربها

وقد وصف حضرة الاب لامنس في كتابهِ تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الاثار (١ : ٣٧ — ٣٨) هذه القلعة ويرجّح هناك انها اخربة معبد قديم اقامـهُ الرومان على تلك المشارف . وموضوع بحثنا هنـا ليس هذه القلعة البعيدة عن القرية بل الحصن الكائن في نفس معراب وراء الكنيسة القديمة شمالًا وهو الذي اشار اليهِ الدويهي

فبينما كان بعض الفعلة يشتغلون بحفر اساس بيت جديد شرع في بنـائهِ حضرة الخوري باسيل على انقاض ذلك الحصن اذ عثروا على صحيفة مبتورة طولًا وعرضـاً على جانبيها كتابة لاتينيَّة نثبت نصّهـا وفحواها قريباً . وكذلـك سنذكر اهمّ المسكوكات النحاسيَّة التي وجدت هنـاك مع تمثال ثور صغير من البرونز قديم جدًّا وسنان سهم او حربة

وقد افادنا حضرتهُ انهُ قد عثر على رأس تمثال من الحجر الابيض المعروف بالجوّي والرأس مشوّه الانف والحاجبين يبلـغ علوُّهُ نحو ثـلاثين سنتيمترًا وقطرهُ نحو العشرين . وعثر ايضاً على حجر من هذا النوع يبلغ علوهُ نحو ١٣٠ سنتيمترًا بعرض ٤٠ مربع الشكل على جوانبهِ الاربعة نقوش ورموز لم يُدرَك مغزاها . وقـال ان بعض شيوخ قريتهِ اخبرهُ انهُ عندما شرع اهل القرية ببناء كنيستهم كانت جدران هذا الحصن لم تزل قائمـة على علو نحو اربعة اذرع فنقلوا حجارته واقاموا بها كنيستهم . وعثروا على جثة صنم مقطوع الرأس وليس لهم اهمية في الاثار فنحتوا هذه الجثة وجعلوها عتبة لباب الهيكل

وهاك الآن وصف اخصّ النقود القديمة التي عرضها علينا حضرة الاب مع شرح الكتابة المنقورة على جانبي الصفيحة

﴿النقود﴾ اقدم ما فيها من المسكوكات يرتقي الى عهد الرومان ما عدا نقدًا

واحدً كبيرًا من البرونز ضربهُ على اسمهِ بطلميوس الثالث المعروف باورغاتيس . في مدينة بطلمايس وهي عكّة . ومعظم هذه النقود هي بيروتيَّة ضُرب واحد منها في بيروت على عهد القيصر نرڤا (٩٦–٩٨م) . وبينها نقدٌ آخر عليهِ اسم القيصر تراجان (٩٧–١١٨م) ونقدٌ ثالث على زمن كراكلّا (١٩٨–٢١٧ م) . ثمَّ نقد رابع ضرب في ايَّام الملك غورديانس الثالث (٢٣٨–٢٤٤) . وبين تلك المسكوكات ثلثة لمدينة صيداء عليها صورة القيصر هيلوغابال الحمصيّ الاصل (٢١٨ – ٢٢٢) ثم نقدانِ الواحد للقيصر كومودس (١٧٥ – ١٩٢) والآخر لهليوغابال وهذان ضُربا في جبيل — واخيرًا مسكوك نحاسيّ لدومطيانوس قيصر (٨١ – ٩٦) ضُرب في انطاكية . فيستفاد من هذه النقود انّ المحلّ كان مأهولًا في ايَّام الرومان لكنَّ شهادتها لا تكفي لبيان حضارة اهلها وخصبها

﴿ الصفيحة المعدنيَّة ﴾ يجب نظمُها في سلك الصفائح اللاتينيَّة المعروفة بالاجازات العسكريَّة . وكانت هذه الاجازة كصكّ رسميّ يُعطى لقدماء الجنود الذين كانوا خدموا في احدى الفرق العسكريَّة مدَّة ٢٥ سنة ينالون بموجبها حقوق المدنيَّة الرومانيَّة هم واولادهم . وكانوا يصدرون هذه الاجازة بموجب قرار من الامبراطور على صورة الشرائع فينقش نصُّها على صفيحة من البرونز ثمَّ يعلَّق اوَّلًا في رومية على قمَّة الكابيتول ثمَّ على جبل پلّاتان وراء هيكل اوغسطس . وكانوا يهدون منهُ نسخةً للمنعَم عليهِ بهذا الامتياز وكان النصّ مرقوماً على صفيحتين من المعدن مثقوبتين بثقوب متوازية ينظمون فيها اسلاكاً تضمُّها ضمًّا شديدًا بحيث تستحيل قراءة ما كُتب في داخلها وانَّما النصّ يُقرَأ فقط على احد الوجهين الخارجيَّين . والوجه الآخر كان يتضمَّن اسماء ستَّة شهود على صحَّة النسخة وامانتها . امَّا الوجهان الداخليَّان فكانا ملتحمين بستَّة ختوم من الشمع ومكتوب عليهما ما كان مرقوماً على الصفيحتين الخارجيَّتين احترازًا من التزوير واثباتاً لصحة الاجازة

والقطعة الصغيرة من الاجازة العسكريَّة التي وجدت في معراب قد كُتب على وجهَيْها نصّ الحكم الامبراطوري الذي بموجبهِ تُمنَح حقوق المدنيَّة الرومانيَّة لاحد قدماء الجنود الذي سقط اسمهُ واسم الفرقة التي كان منتظماً فيها وانما ورد فيها كالوف العادة لائحة فيالق الفرسان والمشاة الذين نال جنودها القدماء حقوق المدنيَّة

الرومانيَّة . واذا قابلنا بين اجازة معراب واجازات أُخرى وُجدت في غير بلاد (١ يمكننا القول بانَّ الجندي صاحب اجازة معراب كان من جنود فيلق راسية Rhétie وباللاتينيَّة Rætia من اعمال بلاد باڤارية وتيرول الممتدَّة الى نهر إنّ ( Inn ) . ودونك نصّ معراب في اصله اللاتينيّ مع تدوين الالفاظ المختصرة والدلالة على المحذوف منها بقوسين ( ) امَّا الساقط منها فدللنا عليه بمعقفين [ ]:

*Imp(erator) Cæs(ar), divi H(adriani) f(ilius), divi Trajani Parthici nep(os), divi Nervæ prone(pos), T(itus) Aelius H(adrianus) Antoninus Aug(ustus) Pius , pont(ifex) max[(imus), trib(unicia) potes(tate) ...*

*imp(erator) II, co(n)s(ul) II[II, p(ater)p(atriæ),*
*equitib(us) et peditib(us) qui m[ilitaver(unt) in alis*
*IIII quæ appellantur II Fl(avia miliaria) [et ....*
*et I Fl(avia) Gemell(iana) et Sing(ularium) c(ivium) r(omanorum) et coh(ortibus) XIII, I F(lavia) Canath(enorum)?*
*(miliaria) Sag(ittariorum) et[Breucor(um) et I et II Ræt(orum) et II Aquit(anorum)*
*et III Bracaraug(ustanorum) et II Th(racum) ] et III Th[rac(um)*
*c(ivium) r(omanorum) et III Britann(orum) et IIII [ Gall(orum) et V Bracar] aug(ustanorum)*
*et VI Lusit(anorum) et VIIII Batav(orum) [ et sunt in Raetia*
*sub Vario Clemente proc(uratore), XXV [stipend(iis)*
*[emer(itis) dimiss(is) honest(a) ] missione, qu[orum nomina*
*[ subscripta sunt ...*

واوَّل ما يستفاد من هذا الاثر لائحةُ ما كان للرومان من الفيالق العسكريَّة في بلاد ريسية من السنة ١٥٤ الى ١٦٠ للمسيح . ومنهُ ايضاً يتَّضح معنى ونسبة آثار اخرى مثله كالاجازة الرابعة والستين في تاريخ سنة ١٥٣ التي وجدت في مدينة

(١) اطلب مجموع الكتابات اللاتينيَّة = Dipl. XXXV (XXIV) - CIL, III, 866 Dessau, 2002; Dipl. LXXIII,-CIL, III S, p 1991.

راتسبون (١ . فانَّها منذ الآن يجب نسبتها الى فيلق ريسية بدلًا من فيلق النوريك (Noricum) والنوريك اقليم روماني يوافق اليوم بلاد نمسة الحاليَّة

ثم يمكنَّا ايضاً ان نستخلص من هذا الاثر ان اهل سوريَّة الذين كانوا يكتتبون في الجنديَّة الرومانيَّة كانوا عند انتهاء مدَّة خدمتهم البالغة ٢٥ سنة يعودون الى مواطنهم بكل رضًى . والجندي المذكور في صفيحة معراب كان منتظماً بلا شكّ في الفئة العسكريَّة المدعوَّة باسم فلافيا الاولى المجموعة في جهات قنَوات بين البصرى ودمشق . واماَّ سلاحها الخاص فكان القوس والنشَّاب (I Flavia Canathenorum miliaria Sagittariorum) ولا غرو فانَّ اهل ثراقية واهل سوريَّة كانوا افضل المحاربين بالقسيّ في العساكر الرومانية

وان سألت عن اعمال جندي معراب بعد ان اصاب حقوق الجنسيَّة الرومانيَّة ؟ اجبنا ان الرومانيين كانوا يمنحون الإقطاعات جنودهم القدماء في امكنةٍ حصينة ليدافعوا عنها ويردُّوا غارات الامم او العصابات المعادية لدولتهم . وكان لبنان من جملة البلاد التي ناهضت زمناً السلطة الرومانيَّة فاضطرَّ القائد پومپيوس ان يحارب امراءهُ كديونيسيوس الطرابلسيّ وسيلاس اليهودي ملك ليسياس فلا يُستبعد ان الجندي المذكور في صفيحة معراب كان احد الجنود المستعمرين في تلك الانحاء لحفظ السلام والتصدّي لاهل الجبل عند محاولتهم غزو السواحل . ولعلَّهُ ايضاً كان احد المتولّين نظارة الغابات اللبنانيَّة حيث كان احتكر الامبراطور اربعة اجناس من اشجارها اي السرو والصنوبر والشربين والشوح لصلاحيَّة خشبها للعمار . وقد وجدوا الى اليوم نحو مئة كتابة حجريَّة للقياصرة ولاسيَّما للقيصر ادريانوس تنبئ باحتفاظهم لهذه الاجناس . وممَّا كانوا يخصُّون بهِ اولئك الجنود القدماء اعمال النافعة كفتح الطرقات كما تدلّ على ذلك كتابات أُخرى كانت تنصب على اطرافها . هذا ما باشرهُ من العمل على رأينا جندي معراب عند رجوعهِ الى وطنهِ ولا نظنهُ انهُ عمد الى الراحة والبطالة والله اعلم

---

(١ اطلب مجموع الكتابات اللاتينيَّة - Le diplôme de Ma'râb-CIL, III S,p. 1988 qui semble fixer l'attribution à l'armée de Rhétie du diplôme LXIV, sera publié dans les *Mélanges de l'Université S<sup>t</sup> Joseph*

# المركبة الهوائيَّة الاولى في باريس

لشاهد عياني الكونت لويس فيليب دي سيغور سنة ١٧٨٤

## توطئة

الكونت لويس فيليب دي سيغور سليل أُسرة شريفة اشتهر منها كثيرون في خدمة ملوك فرنسة في القرن الثامن عشر ثمَّ في خدمة دولتهم على عهد نابوليون الاوَّل والملوك خلفائهِ الى اواسط القرن التاسع عشر. فنهم كماة الحرب ومنهم السياسيُّون ومنهم الكتبة. وقد اشتهر في كل ذلك الكونت لويس فيليب دي سيغور المولود سنة ١٧٥٣ والمتوفّى في ٢٧ آب ١٨٣٠ . وهو جدّ السيّد الجليل والكاتب البليغ المنسنيور دي سيغور الشهير بتآليفهِ الدينيَّة وحياتهِ المقدَّسة. وللكونت المومأ اليهِ مصنَّفات جليلة اهَّلتهُ للانتظام في سلك الاكادمية الفرنسويّة من جملتها كتابُ مذكَّراتهِ ونوادرهِ عن ملك لويس السادس عشر (Souvenirs et Anecdotes sur le règne de Louis XVI) أَلَّفهُ سنة ١٨٢٤ واودعهُ كثيرًا ممَّا عاينهُ في ذلك العهد في كل المناصب التي تقلَّب فيها والبلاد التي تنقَّل اليها فتجد من القصص الظريفة والنكت اللطيفة ما يسرّ الخاطر ويبهج الناظر. وممَّا وقفنا عليهِ هناك فصلٌ حسن عن اوَّل مركبة هوائيَّة شاهدها اهل باريس مرتفعةً فوق المدينة وحاملةً لراكبَيْها الاخوين الشقيقين شرل وروبر منغلفيار (Mongolfier) وذلك سنة ١٧٨٤ . فاحببنا نقلهُ الى العربيَّة تفكيهاً للقرَّاء ليروا مباديَ ذلك الفنّ العجيب الذي بلغ اليوم اوج عزّهِ بعد ان قطع اشواطاً بعيدة في اطوار حياتهِ الهوائيَّة

ل . ش

بينما كنتُ في باريس بعد رجوعي من اميركة سنة ١٧٨٤ اذ حرَّك فينا الصنائعيُّ مونغولفيار الاملَ الباطل بالتقرُّب الى النجوم . فان هذا الرجل كان استحقَّ الشهرة اوَّلًا باختراعهِ طريقةً لإعداد الرقوق من جلد العجول (papier vélin) ثمَّ خلَّد اسم مسقط رأسهِ انوناي (Annonay) ثم فرنسة وطنهِ واسم عائلتهِ باكتشافهِ المراكب الهوائيَّة والمناطيد

وقد اصابت انوناي في عصرنا هذا شرفاً مضاعفاً بمولد اثنين من اهلها منغولفيار ثم ذاك الوطنيّ العظيم الشريف بواسيّ دانغلاس (Boissy d'Anglas) الذي انار عصرهُ بجملة فضائل سامية في وسط الرذائل المحيطة بهِ واظهر شهامةً غريبة في ايَّام الاهوال وصان حقوق الادب مع السياسة ومزج خطبهُ في مجلس الدولة بنزاهة غريبة

وشنَّف آذان معاصريهِ بشعرهِ الرنَّان وثبت على صداقتهِ على عكس ما جرى غيرهُ في تقلُّبهم مع احوال الزمان

امَّا وقوف منغولفيار على سرّ طيران المراكب الهوائيَّة فكان نصفهُ من الصدفة شأن كلّ الاكتشافات العظيمة التي يرقى قسمٌ منها الى الصدفة والقسم الآخر الى القريحة . كان منغولفيار في احد ايَّام السنة ١٧٨٣ يشتغل في معمل ورقهِ فاخذ ابريق قهوةٍ ليغلي فيهِ ماءً فجعل عليهِ غطاءً من الورق محدَّباً على شبه الكُرَة . فما كان من امرهِ الَّا انَّهُ انتفخ ثم صعد في الهواء . فتعجَّب مونغولفيار وأعاد الامتحان فحملهُ نظر تلك الكرة المرتفعة الى الجوّ الى البحث عن سبب ذلك فما لبث ان تحقَّق وجود غازِ الهواء المتخلل الذي هو اخفّ من الهواء الجوّي . وباكتشافهِ هذا السرّ كان ايضاً اكتشاف المناطيد وفنّ الطيران وفتح مملكة الهواء لنشاط البشر

واوَّل ما امتحنهُ مونغولفيار لتمديد الهواء وتخلُّلهِ هَبْوةُ النار وبخارها كأنَّهم اشاروا بذلك الى بطلان المجد المنتظر من ذاك الاكتشاف الشبيه بالدخان كغيرهِ من الاكتشافات القليلة الجدوى . لكنَّهم عدلوا بعد ذلك عن النار الى استعمال الغاز فنجح الاختبار واناطوا بالمركبة الهوائيَّة سفينة صغيرة تصاعدت معها ورأى العموم باندهاش رجالًا يرتفعون الى الهواء

امَّا اليوم ( يريد سنة ١٨٢٤ ) فقد اصبح مشهد المراكب الجوّية ملهاةً شائعة في مواسمنا واعيادنا كالنيران الصناعيَّة التي توقد ليلًا . لكنّي لن انسى ما نسيتُ التأثير الشديد والعميق الذي اثَّر فيَّ وفي جميع اهل باريس ذاك التحليقُ الاوَّل الذي باشرهُ وسط حدائق قصر التويلّري (Tuileries) الاخوان شرل وروبير صاعدين على جناح الريح الى القبَّة الزرقاء

وكان بلغ الملك لويس السادس عشر ما قصدهُ الاخوان من العمل الخطير فنسبهُ الى التهوُّر ولرقَّة قلبهِ الحنون تخوَّف عليهما الموت . ومن ثمَّ بينما كانت عيون جميع الحاضرين شاخصة اليهما بملء العجب ممَّا حاولاهُ من الكفاح مع الرياح في سفينة صغرى في وسط الفضاء متعرّضين لضروب الاخطار المجهولة اذ ورد عليهما امرٌ من الوزير يَنهاهما عن سفرهما الجوّي . لكنَّ شهامة ذينك الرجلين وانتظار الشعب بفروغ الصبر بعد ان دُعي ليتمتَّع بذاك المشهد الغريب نتيجة عقولٍ نابغة غلبا على كلّ

الاوامر الملكيَّة فقطع الاخوان حبال مركبتهما الكرويَّة الشكل واذا بها اخذت تتصاعد بكل عظمة الى عنان الفضاء. فرأينا راكبيها يقطعان برباطة الجأش طرق السماء

لا مراء انهُ لو كان حصل مثل هذا المرأى في احد الاجيال السابقة لظنَّ الناس انَّ هذا من افعال الآلهة والارواح العلويَّة. وقد بعث فيَّ هذا المنظر قوَّةً غريبة كانت تسهّل في عيني كلَّ مآثر الابطال

فشعرتُ باهتزازٍ في كلّ وجداني لم يسَعْني تحميدهُ وانطلق لساني بما شحذ قريحتي فانشدت بديهاً ابياتاً بهذا المعنى :

يا حبَّذا الأخوانِ شرْلُ ورُوبِرٌ    اذ حاولا رَقياً من الغبراء
لم يرهبا خطراً ولم تردعْهما    بلوى سقوطٍ من علوِّ فضاء
صعدا الى فلكِ السماء بجرأةٍ    يتبختران على جناح هواء
يا ليت شعري كيف يسطيعُ الأنا    مُ جزاء تلك الأثرة الغرَّاء
فكفاهما مجداً اثيلاً خالداً    ان شاطرا الارواحَ مُلْكَ سماء

فبعد هذا الانتصار الباهر على قوَّات الطبيعة بدافع العقل البشري اهتزَّ الناس طرباً واحسُّوا بما للانسان من العزّ والقدرة وما استبعدوا نسبة اعظم العجائب للقوى البشريَّة كأنَّ طبيعة الآدميين لا تقوى على ضبطها الحدود

وكان البعض يتهوَّسون فيؤكدون انهُ ثبت اكتشاف توجيه المراكب الجوّيَّة وانهُ عمَّا قليل ستسير في الجوّ اساطيل منها فيسهل الهجوم على انكلترَّة. واخذت بعض الغادة من النساء يُوجسن فزعاً لئلَّا يهبط عليهنّ في حدائق المدينة بعض الطيَّارين من المغاربة فيسبونهنَّ الى بلادهم. وطرب فرحاً الذين يتعاطون تهريب البضائع اذ لن يستطيع عمَّال الدواوين ان يوقفوهم اذا حلَّقوا في الجوّ وبالعكس صار ارباب الجمارك يخافون من فقدان وظائفهم

وممَّا كان ينعش الآمال بصعود المراكب الجوّيَّة الى الفضاء الخدمُ العديدة المنتظرة منها في وقت الحرب اذ ترتفع فوق الحصون. على انَّ الدولة الفرنسويَّة لم تلتجئْ اليها الَّا في موقعة فلوروس (Fleurus) التي جرت سنة ١٧٩٤ بين الجنرال جورْدان والجيوش النمساويَّة وانَّما اتّخذوها فقط لمراقبة قوَّات العدوّ ورصد حركاته. والعلماء يظنُّون انهُ مستحيل توجيه المراكب الهوائيَّة مع هبوب الرياح الجوّيَّة.

ولكن مَن يعلم ما يحدث في المستقبل ؟

هذا ما اخبره الكونت دي سيغور وكان الشاهد العياني لاوَّل مركبة هوائيَّة حلَّقت في الجوّ وروايتهُ حريَّة بالذكر اذ يفيدنا ما شمل الناس من الفرح باكتشاف فنّ الطيران وحدْسهم بما سينتج منهُ من المنافع . فلو عاد اليوم الى الحياة اهل ذلك العصر ورأوا ما جرى في الحرب الاخيرة ويجري كل يوم على يد الطيَّارين من الاعمال العجيبة والفوائد الجمَّة لأخذ الاندهاش منهم كل مأخذ ولعرف الكونت دي سيغور صحَّة كلمته الاخيرة : «ولكن من يعلم ما سيحدث في المستقبل » فكأنَّهُ تنبَّأ سلفاً عمَّا نعاين اليوم من غرائب الطيران

---

# مطبوعات شرقيَّة جديدة

**Mermeix:** Les Négociations Secrètes et les Armistices, avec Pièces justificatives. *Paris, Librairie Ollendorf, in*-12,1919, *pp*.365. *Prix* 8frs

المفاوضات الدوليَّة السرّيَّة والاربع المهادنات

انَّ انكشاف الغيوم عن سياسة الدول المركزيَّة قد سمح لمؤلف هذا الكتاب بان يميط الستار عن احوال المانية وحليفاتها في ايَّام الحرب فبيّن استنادًا الى الاوراق الرسميَّة والسرّيَّة معاً التي وقف عليها ان المانية بعد فشل جيوشها الاوَّل عند نهر المارن وعجزهم عن فتح باريس احسَّت بان آمالها بالانتصار النهائي قد حبطت وشرعت مذ ذاك الحين تسعى بوسائط سرّيَّة الى عقد الصلح مع الدول الاتفاقيَّة على شرط أن تبقى الاحوال على ما كانت قبل الحرب دون فقدان شيء من املاكها ودون غرامة حربيَّة . فمن يطالع هذا الكتاب يقف على دسائس الدولة الالمانيَّة العجيبة لادراك غايتها السرّيَّة . فبينما كانت تصرخ علانيةً أنها هي الظافرة ولها الكلمة الفاصلة كانت ترسل سرًّا مفوَّضيها ومعتمديها الى الدول المتحايدة كاميركا وسويسرة ثمَّ الى بعض وجوه الدول المعادية وتصرف المبالغ في تفويضهم لعقد المهادنات والمفاوضات للصلح . الَّا انَّ كلّ مساعيها آلت الى خذلانها رغماً عن تحريكها للفتن

والمشاغب بواسطة الاشتراكيين ولاسيّما عن ايقادهـا نيران الثورة في روسيّة . فنثني على واضع هذا الكتاب واثباته الحقائق التاريخيّة التي زوّرها اصحاب الغايات

**Gabriel Chavet** : Ce que doit savoir l'employé de bureau. *Paris*. *Gauthier-Villars*, 1921, *in*-12, *pp*. 255

ما الواجب ان يعرفهُ كاتب المخازن

هذا كتاب نوصي بهِ كلّ شبّان بيروت وسوريّة الـذين يباشرون الاشغال العموميّة في المخازن بصفة كتبة وعمّال . فانّ صاحبهُ في خمسة عشر فصلًا ممتعًا جمع كلّ ما يحتاج اليهِ الكاتب من المعلومات ليزين نفسهُ بالاخلاق الراضية ويُعنى في شغلهِ بحفظ قواهُ الجسديّة ثمّ يوقفهُ على مـا يفيدهُ من المعارف والعلوم كمعرفة اللغات الاجنبيّة والآداب الكتابيّة وتدبير الادارة الخاصّة باشغالهِ وكلّ ما ينوط بها من المعامـلات المختلفة والمكاتبات والمحاسبات مع درس الطرق المسهّلة لاشغالهِ كالكتابة الصناعيّة والطبع على الجلاتين والمفاوضات مع البعيدين بالتليفون والتلغراف واشيـاء اخرى كثيرة لا يجدها العامل الّا في هذا الكتاب الذي يجب ان يكون كدستورهِ اليومي في كافّة معاملاتهِ يقلّبهُ صباح مساءَ ليتقن كلّ اشغال مهنتهِ ويا ليت احدًا من ذوي الهمّة يُعنى بتعريبهِ ل . ش

**Abou Jousof Ya'koub** : Le livre de l'Impôt Foncier, traduit et annoté par **F. Fagnan.** *Paris*, 1921, *in*-12. *pp* 352, *P. Geuthner*, *Prix* 40^frs^

كتاب الخراج لابي يوسف يعقوب

القاضي ابو يوسف يعقوب الكوفي هو صاحب ابي حنيفة احد ائمة المـذاهب الاسلاميّة الاربعة كان لهُ التقدُّم في الفقه الاسلامي فتولّى القضاء في بغداد على عهد الخلفاء العبّاسيين المهدي وابنَيْه الهادي وهارون الرشيد وهو اوّل من دُعي بقـاضي القضاة واتّخذ ملبوسًا خاصًّا لذوي منصبهِ توفّي في بغداد سنة ١٨٢ هـ ( ٧٩٥ م ) . وقد ألّف كتبًا جمّة اناخ بها الدهر الّا الكتاب الذي نحن بصددهِ المعروف بكتاب الخراج ضمّنهُ اماليهُ على ما عرضهُ عليهِ الخليفة هـارون الرشيد من المشاكل فـطُبع بالقاهرة ومنهُ نسخ خطّيّة متعدّدة في مكاتب اوربّة ومصر . فعهدت المفوّضيّة العليا في سوريّة ولبنان مع ادارة العاديّات والفنون الى احد كبار الاختصاصيين في علم الفقه المستشرق الفـاضل المسيو فنيان بان ينقل هـذا الكتاب الفريد الى الافرنسيّة

تسهيلًا لدارسي الفقه الاسلامي الحنفيّ . فقام بهذا الامر احسن قيام ونشر الكتاب في السنة الحاليَّة وذيَّلهُ بالحواشي والملحوظات العديدة التي تدلُّ على سعة علمهِ بهذا الفنّ وتضاعف قيمة الكتاب . فنحضّ كلَّ طلبة الفقه والحقوق على اقتنائهِ ومراجعتهِ . وقد عُني المسيوغوتنر صاحب المكتبة الشرقيَّة في باريس بطبعهِ فاحسن واجاد

I THE INSTITUE OF INTERNATIONAL EDUCATION, Guide Book for Foreign Students in the United States = II EDUCATIONAL GUIDE FOR SYRIAN STUDENTS IN THE UNITED STATES, by **Philip K. Hitti**, Ph, D. *New York*, 1921, *in*-12, *pp*. 97 *et* 67

مكتب التهذيب الدولي – دليل تهذيبيّ للطلبة السوريين في الولايات المتحدة

اهدانا جناب الاستاذ فيليب حتّي معلم التاريخ في الجامعة الاميركانيَّة في الثغر هذين الكتابين وأحدهما من قلمهِ وكلاهما قد وُضع لارشاد الطلبة الاجانب عموماً والسوريين خصوصاً لاسيَّما المهاجرين الى اميركة فيفيدانهم عن كلّ ما يختصّ بالمدارس البدائيَّة والثانويَّة والعلوم العليا في الولايات المتَّحدة وحواضرها المختلفة . وهناك وصفٌ مدقَّق لتاريخ تلك المدارس وطرائقهـا العلميَّة وطبقاتها المتتالية والمقابلة بينها وبين المنشاءات التهذيبيَّة الجارية في اوربَّة . ثمَّ بيان واسع لتعريف الدخول فيها واسباب المعاش للمنتمين اليها وما لديهم من الوسائط لترقية عقولهم من نوادرِ ادبيَّة ومكاتب سواء كانت للذكور ام للاناث الى غير ذلك . فلا شكّ انَّ الطلبة الاجانب الذين بلغ عددهم اليوم في المدارس الاميركيَّة نيِّفاً وعشرة آلاف—وهو يزداد كلّ يوم—يجدون في هذين التأليفين المعلومات الوافية ليستفيدوا من التهذيب الاميركيّ الشائع الفضل

ل . ش

ALMA MATER: COLLEGIUM URBANUM DE PROPAGANDA FIDE, *Pasqua M CMXXI, in*-4. *pp*. 188

مدرسة مجمع انتشار الايمان الكبرى في رومية

هذه المدرسة المنشأة منذ ثلثمائة سنة قد ادَّت للعالم الكاثوليكي خدماً لا يفي بها احصاء ففيها تخرَّج الوف من الشبَّان من كلّ الاصقاع عادوا الى اوطانهم فاناروا مواطنيهم بأنوار الايمان الساطعة فمنهم البطاركة والاساقفة والكهنة والرهبان طالمـا عرف شرقُنا العزيز فضلهم واستفاد من مساعيهم . وقد وقفنا على لائحتهم السنويَّة

الاخيرة فوجدناها مفعمة من الفوائد الخاصّة بانشاء هذه المدرسة واساتذتها وطَلَبتها البالغ عددهم نحو ١٥٠ . وفي هذه المجموعة اخبار المدرسة ووقائعها السنويَّة ثم عدة مقالات ورسائل منوطة بامورها او بتلامذتها مع متفرّقات دينيّة وتاريخيّة وادبيّة شتّى وتراجم بعض المتنيّحين مصدَّرة بصورهم . فسُررنا بمطالعة هذه الطرفة الجميلة وتمنَّينا للمدرسة الاوربانيّة كلّ نجاح تحت نظارة قداسة الحبر الروماني ومديريها الافاضل

**Mons. Carlo Salotti** : VITA E MARTIRIO DEL BEATO OLIVIERO PLUNKET Arcivescovo di Armagh e Primate d'Irlanda. *Roma*, 1920, *in*-12, *pp.* 274,

ترجمة حياة واستشهاد الطوباوي اوليفيار پلونكت

في العام الماضي اعلن الكرسيّ الرسولي قداسة كبير اساقفة ارلندة الطيب الذكر والشهيد العظيم اولڤيار پلونكت الذي حكم عليهِ الانكليز البروتستانت بالموت لاجل دينهِ الكاثوليكي في ١٥ حزيران سنة ١٦٨١ فودَّع الحياة ببهجةٍ في سبيل ايمانهِ كتوما مورس كنشليار هنريكوس الثامن والكردينال جان فيشر . وكان هذا الشهيد الباسل تخرَّج في رومية وبرَّز بين الطلبة رصفائهِ فندبهُ الكرسيّ الرسولي لمهمَّةٍ مشفوعة بالاخطار في وطنهِ ليسند الكاثوليك في الاضطهادات التي يكابدونها في ارلندة فاجاب ملبياً دعوة رؤسائهِ ولم يجهل انهُ يمشي الى الموت . وهكذا كان لكنَّهُ بموتهِ كان اكبر منهُ بحياتهِ . وهذا ما عزم ان يبيّنهُ صاحب سيرتهِ واستشهادهِ المنسنيور كرلو سالوتي فاستقرى اعمال حياتهِ البارَّة ووصف فضائلهُ السامية في اطوارها ولاسيَّما في حبسهِ وموتهِ في لندرة في ساحة تَيبورْن وختم ذلك بما نالهُ من المجد بعد موتهِ في وطنهِ الى ان نظم الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر اسمهُ في سلك اولياء الله في ٢٣ أيار سنة ١٩٢٠ وبذلك تخلَّد ذكرهُ ووُسم مضطهدوه بسِمَة العار كما يستحقّ الظالمون ل . ش

**Abbé Malinjoud**: CATÉCHISME DES TOUT PETITS. Préparation dogmatique et morale à la 1re Communion. *Paris, Lecoffre et Gabalda*, 1909. *in*-12, *pp.* 467

التعليم المسيحيّ وشرحهُ لاحداث الناشئة

كثيرًا ما يرى الكهنة ومفسّرو التعليم المسيحيّ صعوبةً في تلقين العقائد والحقائق



الدينيَّة للاحداث في اوَّل بلوغهم سنَّ الرشاد وربَّما اعتاص عليهم ان يفرغوا في عقولهم ما يدركونهُ هم بكل وضوح. فها هوذا كتابٌ يعينهم على ذلك بما اودعهُ مؤلفهُ - وهو الكاهن الفاضل قانوني كاتدرائيَّة نوتردام في باريس وشقيق الكومندان مانجو الذي في طرفنا حاضرًا - من التفاسير القريبة المنال المفرغة في قالب السذاجة والايضاح مع ما اضاف اليها من التشابيه المنطبقة على فهم الاولاد والامثال المنتزعة من عيشتهم اليوميَّة بحيث يستطيع الصغار ان يدركوا اسرار الديانة وتعاليمها السامية. ولعلَّ الذين يقلّبون هذا الكتاب يذهلون من تصوُّراتهِ وايضاحاتهِ الساذجة الصبيانيَّة مع قلَّة تدقيقهِ في بعض الشروح فكلّ ذلك قد اتى بهِ عمدًا لبلوغ غايتهِ من ترسيخ العقائد الدينيَّة في قلوب الصغار. امَّا الشرقيُّون فان وجدوا في الكتاب ما هو أجدر باحداث اوربَّة منهُ بصغار بلادنا فيسهل عليهم ان يستبدلوا ذلك بما ينطبق على مدارك ابناء الوطن

الاب يوسف مونجان

## في سبيل لبنان

### تأليف يوسف افندي السودا

طُبع في الاسكندريَّة سنة ١٩١٩ (ص٤٥٠)

مؤلف هذا الكتاب قد وقف نفسهُ منذ عدَّة سنين على خلاص وطنهِ من ايدي الظالمين فجاءَت الاحوال موافقةً لرغائبهِ بكسر الحلفاء لشوكة الاتراك. وكذلك اتَّسعت حدود لبنان بما ضمَّ اليهِ من السواحل وسهول البقاع كما كان يتمنَّاهُ مع الاستقلال النوعي تحت انتداب الدولة الفرنساويَّة صديقة لبنان. لكنَّهُ في كتابهِ هذا «في سبيل لبنان» يطلب ما فوق ذلك اعني الاستقلال التامّ ليصبح لبنان جمهوريَّةً او مملكةً دستوريَّة كسويسرة وبلجكة وهولندة تُنظِم شؤونها وتقوم بامورها بذاتها دون تداخل دولةٍ كبيرة في احوالها حتَّى فرنسة صديقة اللبنانيين اللهمَّ الَّا المدافعة عن استقلالهم وتسليفها المال لاصلاح امورهم الاقتصاديَّة وهذه لعمري أحلامٌ لا تصحُّ للبنان في الحاضر بل لا يرغب عاقل في صحَّتها وكلّنا يعلم ما هو عليهِ الجبل من الانقسام وتفرُّق الكلمة ديناً وسياسةً واقتصادًا فلو جُعل الجبلُ على غاربنا

لغلبت علينا الفوضى وأكل بعضُنا بعضاً . هذا رأيُنا في تخيُّـلات المؤلف . ونحن نقرُّ بفضلهِ لما اودعهُ في كتابهِ من المعلومات والآثار عن وصف لبنان وخواصّهِ وتاريخهِ وسياستهِ القديمة وان كنّا لم نسلّم بما ورد هناك عن المَرَدة ومبادئ الطائفة المارونيَّة لمخالفة مرويَّاتهِ كافَّة المؤرخين القدماء . فان كان افلاطون صديقاً فالحقُّ اصدق

## كتاب التعليم الرهباني

### تأليف القسّ يواكيم بلاديوس اللبنانيّ

عني بنشرهِ وتنقيحهِ القس طانيوس شبلي اللبناني (مطبعة حريصا ١٩٢١ ص ث × ١٧٢)

القس يواكيم بـلاديوس من اسرة بليط الارمنيَّة الحلبيَّة كان معـاصراً لوطنيهِ الطيّب الذكر السيد جرمانوس فرحات فترهَّب في الرهبانيَّة المارونيَّة اللبنانيَّة وأُرسل الى رومية حيث درس في مدرسة مجمع انتشار الايمان فبرع في علومهِ وعاد الى لبنان فخدم رهبانيَّتهُ وطائفتهُ الكريمة خدماً عديدة منها عدَّة تآليف سنفصلها ان شاء الله في فرصة اخرى . وقد طُبع من كتبهِ كتاب المرشد الامين للرؤساء والمرؤوسين بهمَّة حضرة الخوري ميخائيل غبريل . وكتابهُ هذا التعليم الرهباني من اجلّ الكتب وانفعها للرهبان بل لعموم الاكليروس قسمهُ الى ٣٤ فصلاً جعل الفصول على طريقة السؤال والجواب تسهيلاً لادراك معانيها وتقريباً لفوائدها . وقد ادخل في تلـك الفصول كثيراً من تعاليم اللاهوت الادبيّ فزادهُ نفعاً لولا ان بعض الاجوبة تحتاج الى زيادة ايضاح لئلّا يُسيء الراهب معناها لقصرها كبعض ما ورد هناك عن النذور والتأديبات والفرائض الرهبانيَّة وغير ذلك . وفي آخر الكتاب سبعة تـأمُّلات روحيَّة في الطريقة الرهبانيَّة لسبعة ايَّام الاسبوع . فنشكر حضرة القس طانيوس شبلي على نشرهِ هـذه الدرَّة الثمينة مع ما قدَّمهُ عليها من الافادات الحسنة ونتمنَّى لكتـابهِ كلّ رواج لاسيا في الاديرة الرهبانيَّة ل . ش

## ابتسامات ودموع او الحب الالماني

من مذكّرات ف . مكس مولّر نُقلت الى العربيَّة بقلم « مي »

الطبعة الثانية . بمصر سنة ١٩٢١ (ص ١٤٤)

عُرف في القرن السابق فردريـك مكس مولّر بين علماء المـانية وانكلترة

كمستشرق ولغويّ وباحث في اصول اللغات . وقد وقفت لهُ الاديبة « مي » وطنيَّتنا على كتابٍ صنَّفهُ في ريعان شبابهِ دعاهُ بالحبّ الالمانيّ وروى فيهِ شواعرَ قلبهِ في اوَّل سنهِ ثمَّ في مقتبَل عمرهِ وحرَّر في ذلك مذكَّراتٍ اخرجها على صورة شعريَّة . فنقلتها الآنسة « مي » مرَّة أُولى ونشرتها تحت عنوان « الحب الالماني » وقد عادت اليوم الى تكرار طبعها فوسمتها « بابتسامات ودموع » ونقَّحتها فزادتها حسناً في اعين من تجتذبهم ابتسامات ودموع المحبّين . امَّا نحن فلم يهمّنا منها سوى خواطرها الفلسفيَّة التي وجدنا فيها الغثّ والسمين . وانَّما نثني على مقدرة المعرّبة وطلاوة انشائها وكنَّا طالعنا قبل ذلك مقالتها الحديثة «فضل الآداب» في المقتطف فاستحسنَّاها

## ردّ الشارد الى طريق القواعد

بقلم جرجي افندي شاهين عطيّة

في مطبعة القديس جاورجيوس في بيروت سنة ١٩٢١ ( ص ٦٠ )

بيننا قومٌ — والحمد لله — يغيرون على فصاحة لغتنا العزيزة وبلاغتها فينشرون في ذلك فصولًا حسنة يصلحون فيها ما يعثرون عليهِ في الجرائد والصحف من الاغلاط وينبّهون عليها الادباء . فمن جملة هؤلاء المصلحين الكاتب جرجي افندي عطيّة فانهُ كان نشر في جريدتهِ المراقب لسنتها الرابعة بعض الملاحظات المتعلّقة بمخالفة القواعد العربيَّة فرغب اليهِ فريق من الاخوان ومحبّي الادب واللغة ان يجمعها في كرَّاس منفرد . فاجاب الى ملتمسهم وقد اهدانا من مجموعتهِ نسخةً فرأيناهُ غالباً مصيباً في اصلاحهِ وتمنَّينا لو خرج الى حيز الوجود فكر الطالبين انشاء لجنةٍ رسميَّة في بيروت او في دمشق الشام تحت نظارة ادارة المعارف يهتمّ اعضاؤها بامور اللغة من وضع الفاظ جديدة وتعريب غيرها والغاء بعض الدخيل واصلاح الاغلاط الواردة في الكتب والجرائد ريثما يوضع لذلك معجم رسمي كمعجم الاكادمية الفرنسويَّة يرجع اليهِ كلّ الادباء . حقّق الله الآمال ! ل . ش

## التعبئة في لعب الشطرنج

بقلم جبرائيل نصره المهندس

القسم الثاني (ص ١٤١ — ٢٩٠) طُبع في مصر سنة ١٩٢٠

اثنينا على هذا التأليف لمَّا اتحفنا صاحبهُ بقسمهِ الاوَّل (راجع الصفحة ٢٣٧) وها

هوذا القسم الثاني منهُ وبهِ تتمَّتهُ وهو يشبه الاوَّل في كلّ محاسنهِ مادةً وصورةً فوجدنا في مصنّفهِ ما عُرف بهِ لاعبو الشطرنج المبرّزون من دقّة الفكر وبُعد النظر ورزانة الطباع كفى عليهِ دليلًا ما عرضهُ من اسرار هذا اللعب وكشفهِ لها (راجع المقالة التي نشرناها في هذا العدد عن الشطرنج لجناب جرجي بك صفا) ل. ش

## شذرات

﴿ ذكرى أليمة ﴾ في غرَّة آذار من السنة ١٩٠٨ صدَّرت مجلَّة المشرق عددها بالتهانئ لأسقف بيروت الجديد وحيَّتهُ بقصيدة رنَّانة تحت عنوان الاسقف الصالح وتفاءلت باسمهِ الكريم فتمنَّت لهُ ثباتَ الصخرة البطرسيَّة بين الانواء العاصفة ومهابةَ الاشبال فتحقَّق فيهِ كلاهما حيث لم تهدَّ ركنهُ الانواء ولم يُطق الاتراك استماع زئيرهِ فأبعدوهُ عن عرينهِ فمات لكنَّهُ أضحى بعد موتهِ ازأر منهُ في حياتهِ. وكفى بحفلة نقل رفاتهِ الكريمة دليلًا على قوَّة صوتهِ فانَّ جثَّتهُ الطاهرة من مدفنها في آطنة الى قبرها في كنيسة بيروت الكاتدرائيَّة اصبحت موضوع اكرام وتعظيم لم يرَ مثلهما الملوك والعظماء. فكانت الجماهير تخرج لاستقلالها ليلًا الى المحطَّات من مرسين الى آطنة بالشموع والمشاعل وكلّ مجالي الحداد الى ان أقلَّتها الجياد السود المطهمة الى الدارعة المعدَّة لنقلها. امَّا الحفلة التي جرت في بيروت كانت اشبه بدخول ظافر الى عاصمتهِ بعد انتصارهِ على اعداء دولتهِ. وقد سبق حضرة الخوري المفضال رافائيل البستاني فأهداهُ هذه الذكرى التي تردَّد فيها بين الاسف على فقدان ذاك الراعي الجليل والفرح بالانتصار المعدّ لهُ في مركز ابرشيَّتهِ بين ابنائهِ الاعزّاء. قال:

بيروتُ قد أَوهى قوايَ تحيُّري ... أأقولُ صبّي أَدمعاً ام أَبشري
فأقلُّ ما تُبدينهُ ذَرْفُ الدِّما ... من مقلتَيكِ وإن تُسَرّي تُعذَري
لِلحزن نيرانٌ تُوَجَّجُ في الحشى ... والمجدُ يبسم ثغرُهُ فتخيَّري

*

وَلَجَ العرينةَ غِيلةً نمرٌ وقد هالَتْه هيبةُ شِبْلِ لَيْثٍ مُخْدِرِ
خارت عزائمُهُ فأدبرَ مُحجماً فثناهُ طبعٌ هاتفٌ عُدْ فاْغدُرِ
فأستنجدَ الطبعُ اللئيم ثعالباً فأتت تُلبّيه لذاكَ المُنكَرِ
نصبوا المكايدَ خِسّةً ودناءةً كي يفتكوا غدرًا بذاك القَسْورِ
فمضى الغَضَنفرُ نحو منفاهُ وما فَتِئت شهامتُهُ بخصمٍ تَزْدري
فطوى القِفارَ الشاسعاتِ وطرفُهُ يرنو لِلبنانٍ بمُلْ تحسُّرِ
لبنانُ موطنُهُ ولبنانٌ بهِ يعتزُّ مفتخرًا بأعظم مفخرِ
فلكَمْ سعى في مجد لبنانٍ وكم دفعَتْهُ همَّتهُ لقطع الأبحرِ
ما نَجْتنيهِ من جليل محاسنٍ هو من جَنَى غَرْس الفقيد المُثمرِ
خاضَ المَجامعَ والمسامعَ ذكرُهُ متعطِرًا كعبيرِ مسكٍ أذفرِ
فلذكرهِ يفترُّ ثغرٌ بلاغةٍ ويبشُّ علمٌ عن محيًا مُسفِرِ
حبرٌ طوى ايَّامَهُ متحرّياً علماً يُفيد وفوق متنِ المِنبرِ
فسما بمعرفةٍ الى أَوج العُلى فرنا الى جسمٍ بنظرة مُزْدرِ
وبعادُهُ عن موطن أَوْهى القوى والظلمُ أثَّر فيه كل تأثُّرِ
فدعاهُ مولاهُ فلبَّى دعوةً لينالَ اجرَ الطاهرِ المُتبرّرِ
فقضى ولبنانٌ الذُّ حديثِهِ وبهِ وعن تذكارهِ لم يَفتُرِ
هل من عجابٍ ان تحنَّ بقيّةٌ منه للبنانَ البهيّ المنظرِ
يأبى رُفاتُ الحبرِ تُربةَ غربةٍ فحنينُهُ للموطنِ المتحسّرِ
أبناءَ خراتِ العظم حبُّ بلادنا يبقى فذاك من العُجاب الاكبرِ

*

أهلًا برُمز المجد أهلًا مرحباً شقّي الزَّواخرَ يا دوارعُ وآمخري
لبنانُ شقّ الصدرَ مَثْوى الّذي هو كنزُ مجدكَ فاحتفِظْهُ وافخرِ
واذرف من العينين دمعاً قانياً واجمع أزاهرَكَ الذكيَّة وآنثرِ

﴿ وفاة تلميذين فاضلين ﴾ أفجعتنا المنون بوفاة تلميذين عزيزين من الطائفة المارونيَّة استأثر الله بهما الواحد في الغربة والآخر في الوطن . فامَّا ( الاوَّل ) فهو

الدكتور سمعان مسابكي خرّيج كلّيتنا منذ نعومة اظفارهِ الى نهاية دروسهِ الطبّيّة في مكتبنا الطبّي الفرنساوي عرفناهُ مدَّة نحو اربعين سنةً ولقينـا فيهِ حيثما حلّ او رحل في بيروت وحمص والاسكندريّة مثال الجدّ والنشاط والتمسّك بعُرى الـدين والتفاني في خدمة القريب ولاسيَّما الرحمة على المبؤوسين في المستشفيات والمآوى والمياتم ودور الفقراء . وقد قدَّرت فرنسة خدماتهِ الجلّى لجنودها المرضى والجرحى فاهدتهُ وسام جوقة الشرف. وها قد اولاهُ الله بوسام اشرف واجلّ اذ دعاهُ الى دار سعادتهِ ليجازيهُ على كلّ اعمال رحمتهِ . وما احسّ بداء الخناق الذي فاجأه في صباح اليوم ١٨ من الشهر المنصرم حتَّى عرف قرب رحيلهِ الى الابديّة فطلب كاهناً واستعدَّ لملاقاة ربّهِ الذي افعم نفسهُ تعزيةً في تلك الساعة وكان ينظر بكل ثقة الى السماء متبسّماً وكان آخر ما اوصى بهِ قرينتهُ الاسيفة ان تُعنى كلّ العناية بتربية اولادهمـا ثمَّ لفظ نفسهُ البارَّة. وقد اثَّرت حفلة جنازتهِ في الجمهور الكبير الذي شيَّعها. اجزل الله ثوابهُ وألهم شقيقهُ وجميع آلهِ الصبر الجميل على فقدانهِ

وما مرَّ اسبوع على هذا المصاب حتَّى نُعي الينا تلميذ آخر من تلامذة مدرستنا في غزير المأسوف عليهِ خليل طنُّوس باخوس توفّاهُ الله فجـأة يوم الثلثاء ٢٥ تشرين الاوّل اذ كان يحرّر لجريدتهِ الروضة مقـالةً لاستقبال رفات فقيد الـدين والوطن السيّد بطرس شبلي فسقط كالجندي الباسل في ساحة الوغى. ولم يكن الموت الفجائي ليرهبهُ وهو يقوم بواجباتهِ الدينيَّة بكل حرص ويحضر يوميًّا الذبيحة الطاهرة متشبّثاً بالتعاليم الخلاصيَّة التي استقاها في اسرتهِ الكريمة ولدى معلّميهِ الافاضل. قضى حياتهُ في خدمة الآداب بين الاوراق والمحـابر فدرَّس في عدَّة مدارس ثم انشأ المـطبعة اللبنانيَّة وحرَّر الروضة سنين عديدة ملازماً في تحريرها الخطَّة المثلى والدفاع عن الدين. ومن مآثرهِ بعض الروايات التمثيليَّة كرواية الحارث بالشعر وتعريب رواية ديمتريوس وغير ذلك ممَّا يشهد لهُ بحسن الذوق وطول الباع في الكتابة تغمَّدهُ الله برحمتهِ

﴿ التحف الفنيَّة الفرنسويّة في روسيَّة ﴾ اهدانا محلّ پوڤولسكي (J. Povolozky) في باريس درساً كتبهُ احد اساتذة مكتب الفنون في پيتروغراد الدكتور اندره لڤنسون ( M. André Levinson ) كشف فيهِ الستار عمَّا أُودع في متاحف

روسيَّة ولاسيَّما في قصور الأُسرة القيصريَّة من الطُرَف الفنيَّة والصور البديعة التي كان المصوّرون الفرنسويون يعرضونها على قياصرة روسيَّة فيبيعونها منهم سرًّا ويزينون بها قصورهم ولم يسمحوا للباحثين عن مآثر الفرنسويين في الدول الاجنبيَّة ان يزوروها . وقد تمكَّن الآن المسيو اڤنسون بعد دخول البولشفيك في بتروغراد من فحص هذه المآثر الفنيَّة الفرنسويَّة ووصفها فأطلع عليها ارباب الفنون الجميلة في فرنسة فكان لوقوفهم عليها احسن وقع وسرُّوا لاكتشافها

❊ سفر أيوب وقيامة الاجساد ❊ في سفر ايوب (١٩ : ٢٥–٢٧) آية تدلُّ صريحًا على قيامة الاجساد وهي قولهُ : « اني لعالم انَّ فاديَّ حيٌّ وسيقوم آخرًا على التراب وبعد ذلك تُلبَس هذه الاعضاء بجلدي ومن جسدي اعاين الله الذي انا اعاينهُ بنفسي وعيناي تريانهِ لا غيري » . على انَّ القديس افرام ملفان الكنيسة قد وجد في هذا السفر برهانًا آخر على قيامة الموتى كما افادنا حضرة القس يوحنًّا عزّو السرياني . وذلك انهُ جاء في السفر المذكور انَّ الله بعد محنة أيوب « زادهُ ضِعْف ما كان لهُ قبلًا » (٤٢ : ١٠) لكنَّهُ لم يخلف من الاولاد « الَّا سبعة بنين وثلاث بنات » (٤٢ : ١٣) اعني بعدد اولادهِ قبل محنتهِ . فاين الضِعف المذكور؟ فيجيب القديس افرام لشرح هذا المشكل بقولهِ : « انَّ الله لم يضاعف عدد اولادهِ لأنَّ الاولاد الاوَّلين الذين ابتلاهُ الله بهم قبل محنتهِ سيقومون في اليوم الأخير كالاولاد المولودين بعد محنتهِ وبذلك يتضاعف عدد اولادهِ كما تضاعف بقيَّة امواله »

❊ رسالة القمر الى اهل بيروت ❊ في تاريخ ١٦ تشرين الاوَّل ١٩٢١

أيها الاعزَّاء الاكرمون . امَّا بعد فاني اكتب واللسانُ يتلجلج فلا ادري بايّ صورة أعبّر لكم عمَّا يكنُّهُ صدري من الشكر الجزيل فضلكم . فلولاكم لكان اخنى عليَّ الدهر ومحق نوري . فاني اذ كنتُ سائرًا بكل اطمئنان في فلكي أرسل اليكم اشعَّتي الفضيَّة فاكسو ارضكم بالنور واذا بتنّين هائل خرج عليَّ في طريقي من أعماق الجحيم فوثب عليَّ شاحيًا جحافِلَهُ ليلتهمني فكدتُ اموت خوفًا من منظرهِ فصرخت وما كان من مغيث فاخذ التنّين يلتهم قسمًا من جسمي فحينئذ خُسف عنكم نوري فادركتم ما دهمني من الخطر العظيم فقُمتم كبواسل الكماة ومداره الحروب وعمدتم الى صليل الحديد وطَرْق آنية النحاس والتنك واطلاق البواريد

وضرب المدافع وقرع الاجراس والتأذين على رؤوس المنائر. ومثلكم فعل المتنوّرون من اهل لبنان وسوريّة فتصاعدت الضوضاء الى عنان السماء حتَّى ظنَّ الناس انَّ القيامة قد قامت فنهضوا مذعورين من الفراش وصمَّت اذانهم لهذه الجلبة وطار النوم من اعينهم لكنكم رأيتم البلاء خفيفاً بالنسبة الى نخوتكم ومروئتكم في نجاتي. والحق يقال انَّكم قد عرفتم من اين يؤكل الكتف وادركتم اقرب وسيلة لتردُّوا عني ذاك العدوَّ الجهنمي فانَّهُ اذ سمع تلك الجلبة ارتعدت فرائصهُ وطارت قواهُ وقذف من فيهِ ما افترسهُ من لحمي وعظامي وفرَّ هارباً الى الهاوية التي خرج منها . أمَّا انا فأضأ لكم بدري التمّ وبدا وجهي المنير لأظهر لكم شكري. وهاءنذا حرَّرتُ هذا الكتاب ليكون شاهدًا مخلَّدًا على ممنونيَّتي. لا زلتم ملجأً لكل ملهوف ومحامياً عن كلّ مبؤوس اناركم الله بضيائي مدى الدوران ودمتم بسلام

﴿ مُضحكات المقتطف ﴾ نقلنا في عددنا السابق ( ص ٧٩٧ ) بعض آراء المقتطف الغريبة من جملتها ما قالهُ عن انتقال الكلام بالوراثة الى الاطفال . وقد رجع في عددهِ الاخير ( اكتوبر ٣٩٨ ) الى هذه الخرافة وحاول تأييدها بحجج اوهن من نسيج العنكبوت فزعم انَّ الطفل في الاعصار القديمة لم يكن عند مولدهِ يعرف ان يرضع ثدي امّهِ وانَّما اكتسب ذلك بالوراثة بتمادي الاجيال. وكذلك زعم انَّ الديك والطائر استفادا الاوَّل صياحهُ والآخر تغريدهُ بالوراثة . فعلى هذا المنوال سيستفيد الاطفال الكلام والنطق بالوراثة قال : « ولكن هذا يستلزم ان تبقى اللغة واحدة الزمن الكافي من السنين لترسيخ آثارها في النفس وانتقالها بالوراثة . . . ولا يبعد ان تصير لغة الناس واحدة على مرّ سنين فيسهل ترسيخها وانتقالها بالوراثة » . فانظر رعاك الله ما لا يأنف اصحاب المقتطف من نشرهِ في « مجلّة علميَّة » وقد قابلوا هناك بين ما يجري في جسم الانسان من الاعمال الغريزيَّة كتحوُّل الغذاء الى دم ولحم واعصاب الخ وبين الاعمال البشريَّة المنوطة بالعادات واصطلاحات الشعوب وتقلُّباتهم كاللغة وخلطوا اموراً يميّزها ادنى الناس عقلاً وادراكاً . فالى هذا الحدّ ابلغتهم دروينيَّتهم فيُضحكون منهم العقلاء والجهَّال

﴿ شفاء داءَي السل والزهري ﴾ روت جريدة البشير المنير خبر مداواة داءَين عضالين يفتكان بالناس فتكاً ذريعاً أَلا وهما السلّ والزهري . فننقل عنها ما كتبت

منتظرين زيادة ايضاح قالت : « صرَّح المسيو اليكس كـامنت كاتم اسرار ثلاثة من حكَّام كندة ان قد تقرَّب جعـل الثوم دواء للتدرُّن الرئوي وان هـذا الداء سيُقضَى عليهِ بخمس سنوات وذكر ان ذلك نتيجة امتحانات طبيَّة دلَّت على انَّ للثوم فائدةً عظمى وسيكون لهُ الفضل الاكبر في محو السلّ من العالم » = وقـالت عن الزهري : « ابلغ الدكتور « رو » مدير معهد باستور جمعيَّة العلوم خبر علاج جديـد للزهري بواسطة الحقن في العضلات بأملاح البِسْموت ( sels de Bismuth ) وقـد عولج مئة مصاب بالزهري بهذا العلاج فحصلوا على العلاج التام »

❁ الآثار القديمة في سوريَّة ولبنان ❁ انَّ لجنة علماء الآثار الفرنسويين التي منها المسيو فيرولو المتولّي نظـارة الآثار السوريَّة والمسيو دي لوره ( Mr de Lorey ) والمسيو أنلار ( Mr Enlart ) والمسيو مونته ( Mr Montet ) والمسيو بيزار ( Pézard ) بعد انقطاعها مدَّةً عن الشغل في ايَّام الصيف عادت مؤخَّرًا الى حفريَّاتها . وقد افدنا سابقاً قرَّاءنا عمَّا اكتشفهُ المسيو بيزار في العام المـاضي في تلّ مَند قريبـاً من حمص من عهد الحثيين . ومن جملة ذلك نصبٌ للفرعون ساتي الاوَّل الذي ملـك على مصر قبل رعمسيس الثاني في القرن الرابع عشر قبل المسيح وبهِ تأكَّد انَّ اخربة تلّ مَند هي قدَس القديمة حاضرة الحثيّين وسيعود الى مواصلة شغلهِ في الربيع القادم . وكان المسيو لورهْ خصَّ نفسهُ بحفريَّات امّ العَمَد جنوبيّ صور حيث اكتشفوا سابقـاً عاديَّات جليلة وهو اليوم في دمشق يبحث عن الآثار العربيَّة القديمة . والمسيو مونته يشتغل اليوم في جبيل الغنيَّة بالآثار الفينيقيَّة والمصريَّة واليونانيَّة . وممَّـا استفدنا منهم انّ مادام دنيز لهلاسور ( Mme Denyse Lelasseur ) احـدى السيّدات العالمـة بالاثريَّات وخرّيجـة مدرسة اللـوفر في باريس اهتمَّت بحفريَّاتٍ في اطراف صور قريباً من المدينة فعثرت على مبانٍ قديمة بينها مصاغات من الذهب والكهرمان والزجـاج الصوريّ الشهير ثمَّ الخزفيَّـات اليونانيَّة والفينيقيَّة والمصـابيح والتماثيل الصغيرة الخ . وقد وقفت هناك على دهليز ذي نقوش وصور زاهية الالوان دقيقة الصُنع مع كتابات يونانيَّة مهمَّة . وممَّا بلغنا مؤخَّرًا انّ المسيو أنلار في طرطوس اكتشف تحت الكنيسة الراقية الى زمن الصليبيين سرباً واسعاً وآثارًا جليلة لعلَّها من كنيستها القديمة الشهيرة

# اسئلة واجوبة

س سألنا الدكتور ا٠ج٠ ماذا نعرف عن شجرة العَنْبة وثمرها وهل تصحّ في بلادنا ؟

ج العَنْبة (manguier) من اشجار الهند ومناطق آسية الوسطى الحارّة٠ ذكرها ابن بطوطة في رحلته فقال :

« انّ العَنْبة تشبه النارنج الّا انّها اعظم أجرامًا واكثر اوراقًا وظلّها اكثف الظلال غير انهُ ثقيل فمن نام تحتهُ وُعِك وثمرها على قدر الاجّاص الكبير فاذا كان اخضر قبل تمام نضاجه اخذوا ما سقط منهُ وجعلوا عليه الملح وصبّروهُ كما يُصبَّر اللّيم والليمون ببلادنا ويأكلون ذلك مع الطعام . واذا نضجت العَنْبة في اوان الخريف اصفرّت حبّاتها فاكلوها كالتفّاح فبعضهم يقطعها بالسكين وبعضهم يمصّها مصًّا وهي حلوة يمازج حلاوتها يسير حموضة ولها نواة يزرعونها فتنبت منها الاشجار كما تزرع نوى النارنج وغيرها »

والعنبة اشكال متنوّعة اشهرها العَنْبة الهنديّة ذات اوراق مستطيلة محدّدة كالأسنّة٠ وقد زرعوها بمصر فنجحت ولا نعلم ايصحّ زرعُها في بلادنا لاعتدال حرارتها

س وسأل الكتبيّ الاديب يوسف افندي صفير : من هو الاب جرجس بنيامين الاسقف المارونيّ والراهب اليسوعي كما ورد في المشرق (١١ [١٩٠٩] ص ٣٩٠) وهل هو المطران جرجس بنيامين المذكور في تاريخ الموارنة للخوري غبريل (ص ٩٧) الذي عاش في اواخر القرن الثامن عشر ؟

المطران جرجس بنيامين

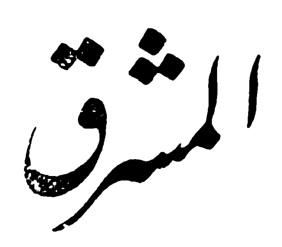
ج وجد اسقفان مارونيّان بهذا الاسم عاش كلاهما في القرن الثامن عشر : ( الاوّل ) هو جرجس بن عبيد بن سركيس الهدناني أرسل الى رومية سنة ١٦٧٠ فتخرّج في مدرستها المارونيّة الشهيرة وسيم كاهنًا سنة ١٦٨٣ على اهدن ثمّ خلَف على كرسيّ اهدن ( وقيل على الرها ) المطران بولس الدويهيّ سنة ١٦٩٠ ٠ وقد روى المطران فرحات اخبارهُ مع البطريرك يعقوب عوّاد ( راجع سلسلة البطاركة الموارنة للدويهي الطبعة الثانية ص ١٨٢ — ١٨٤ )٠ ثمّ استعفى عن الاسقفيّة ودخل الرهبانيّة اليسوعيّة سنة ١٧١٤ برخصة الحبر الاعظم وتوفّي في رومية في ٨ ك ١ سنة ١٧٤٣ واخبارهُ كثيرة – امّا (الثاني) فكان ايضًا من أسرة عبيد من اهدن وانّما عاش في اواخر القرن الثامن عشر ذكرهُ الطيب الذكر المطران يوسف الدبس في تاريخ سوريّة (٨ : ٥٨٧) وقال انهُ تثبت سنة ١٧٩٠ مطرانًا على طرابلس ولم يذكرهُ صديقنا الشيخ الاديب سليم دحداح في سلسلة مطارنة طرابلس (المشرق ٨ [١٩٠٥] : ٤٠٣) ل٠ش




لاون العاشر (١٥١٣—١٥٢١)




رفائيل المصوّر الشهير ( † ١٥٢٠ )



# التذكار المئويّ الرابع

## لوفاة لاون العاشر . لمناداة لوتاروس بالاصلاح

## ولارتداد اغناطيوس دي لويولا

في مثل هذه السنة حدثت في اوربَّة ثلث وقائع كان لحدوثها في التاريخ صدًى لا يزال يُسمع رنينهُ الى يومنا هذا . نريد بها وفاة لاون العاشر الذي اليهِ نُسب القرن السادس عشر ونهضتهُ الادبيَّة . ثم عصيان الراهب الاوغسطينيّ لوتاروس الذي مزَّق البراءة البابويَّة القاضية في شذبهِ وحرمهِ . ثمَّ ارتداد اغناطيوس دي لويولا الى الله وتخصيص نفسهِ الى خدمتهِ تعالى قبل انشائهِ للرهبانيَّة اليسوعيَّة . تلك هي الامور الجليلة التي احببنا ان نلخّص ذكرها في هذه الصفحات

### ١ وفاة لاون العاشر

انطفأ هذا السراج الوهَّاج في غرَّة كانون الاوَّل سنة ١٥٢١ في عاصمة مملكتهِ رومية وهو في عزّ كهولتهِ لا يتجاوز عمره ستًّا واربعين سنةً بعد ان أنار بضيائهِ اللامعة العالم الكاثوليكي على السدَّة البطرسيَّة ثماني سنين وبضعة اشهر فقط . فكان خبر وفاتهِ كضربة قاضية أُصيب بها اهل رومية بل دهمت سائر ايطالية والكنيسة الجامعة وعالم الآداب معاً

كان اوّل سطوع هذا الكوكب المنير في فلورنسة حاضرة بلاد توسكانة في ايطالية وذلك في ١١ كانون الاوَّل ١٤٧٥ من أسرة طبَّقت شهرتُها المعمور من آل مديشيس

انصار الفنون الجميلة وسائر المعارف البشريَّة فكانهُ اقتبس من اسرتهِ ومن وطنهِ نور مجدهما الاثيل

عُني ابوه امير فلورنسة لوران دي مديشيس الملقَّب بالفخيم ( Laurent le Magnifique ) بتخريجهِ في كل آداب عصرهِ فاختار لهُ اوسع الاساتذة علماً واثقبهم عقلًا كپوليسيان و خلقُنديل ومرسيل فيسان ( Marsile Ficin ) وپيك دي لا ميرَندول فنشأ جان مزداناً بهمَّتهم بالعلوم والآداب مشاراً اليهِ بالبنان لذكاء عقلهِ ووفرة معارفهِ وحسن سيرتهِ مع غضاضة سنّهِ فرقّاهُ البابا اينوشنسيوس الثامن الى رتبة كردينال وهو في الثانية عشرة من عمرهِ اعترافاً بفضل الولد وشكراً لوالدهِ لما اداهُ للكنيسة والدين من الخدم الجليلة . لكنَّهُ فرض على الولد قبل ان يتَّشح بالبزّة الكردياليَّة الرسميَّة ان يواصل دروسهُ ويضيف الى علومهِ المدنيَّة درس العلوم الدينيَّة في كليَّة پيزة مدَّة ثلث سنوات ففعل ونال فيها كلّها قصبة السبق مع شهادات معلّميهِ الناطقة بنجاحهِ ورقيهِ . فلبس الارجوان في مدخل شبابهِ واعرب عن اقتدارهِ بما القاهُ مذ ذاك الحين من الخطب على المنابر . فاهتزَّت مدينة فلورنسة طرباً لدى نظرها ابن اميرها منظوماً في سلك امراء الكنيسة واقامت لتهنئتهِ مواسم فاخرة وصفها الكتبة وصفاً شائقاً وتنبَّأوا لهُ بالجلوس يوماً على عرش البابويَّة

لم يفرح الامير لوران زمناً طويلًا بارتقاء ابنهِ الى منصب الكرادلة فانَّ الموت عاجلهُ فودَّع الحياة مزوَّداً باسرار الدين معلناً بشديد تعلُّقهِ بايمانهِ (١٤٩٢) . وكان آخر كلامهِ وصاةً لابنهِ الكردينال مملوءَة حناناً وحكمةً يرشدهُ فيها الى كلّ واجباتهِ الدينيَّة والدنيويَّة ويحذّرهُ ممَّا يحيد بهِ عن الصلاح

كان موت لوران مديشيس داعياً لانقلاب الامور على ذرّيتهِ فان بعض اعدائهِ وفي مقدّمتهم راهبٌ مُتَعَنّتٌ يدعى سڤانارول (Savanarole) هيَّجوا عليهم الشعب فنسي اياديَهم اليهِ وهجم على املاكهم ونهب اموالهم وبخس حقوقهم واضطرَّهم الى الفرار من وطنهم

وكاد الكردينال جان مديشيس يهلك في هذه المشاغب لكنَّهُ نجا بنعمةٍ خاصَّة من الله والتجأ الى بلاط بعض امراء ايطالية اصدقاء اسرتهِ الجليلة فكان لهُ المنفى نِعم المدرسة لترويض اخلاقهِ واكتساب الفضائل الخاصَّة بالرجال المحنَّكين ذوي

**العود** المُعجَم . وبعد ان قضى عند مضيفيهِ نحو سنتين احبَّ ان يتجوَّل في انحاء اوربَّة ليزور عظماءَها ويفتقد ما فيها من الآثار والفنون الجميلة . واذ كان اسم المديشيس شائعاً في كلّ اقطارها وجد الكردينال حيثما سار اطيب مثوى وارحب منزل فطاف في مدن النمسة والمانية وهولندة وفرنسة يتفقّد ما في كلّ منها من المحاسن والمتاحف والمخطوطات العزيزة الوجود ثمَّ ابحر الى رومية فأقام في احد قصورها معتزلًا الامور السياسيَة ومنقطعاً الى الدرس والمطالعة وجَمْع التُحَف الفنيَة لاسيَّما المخطوطات القديمة التي كان انتهبها الفلورنتيُّون من مكتبة والدهِ فابتاعها وزيَّن بها دارهُ الكردينالَيَّة . فما لبث ان توارد عليهِ رجال العلم ومحبُو الآداب فكان يأنس بهم ويدعوهم الى مائدتهِ فاضحى قصرهُ نادياً علميًّا أحيا بهِ ذكر قزما جدّهِ الشهير ولوران الفخيم والدهِ حتَّى عادت فلورنسة فحسدت رومية لازدهار الفنون فيها باحد ابنائها الذين كندت نعمتهم . ومذ ذاك الحين تألَّف فيها حزبٌ لردّ السلطة الى آل مديشيس بمساعي بعض زعمائها

قضى الكردينال مديشيس في رومية خمس عشرة سنة حائدًا عن السياسة ملازماً خدمة الكنيسة والآداب مدَّة ملك البابا اسكندر السادس وخلفهِ يوليوس الثاني وهو فائز بالحظوى لديهما لسعة فهمهِ وشهرة اسرتهِ ولأسفهما على آلهِ لِما حلّ بهم من المصائب على خلاف استحقاقهم

وكان يوليوس الثاني سليل أُسرةٍ معادية لاسرة مديشيس الَّا انَّهُ عدل عن صوت اللحم والدم وقدَّر الكردينال جان مديشيس حقَّ قدرهِ . وفي السنة ١٥١١ عهد اليهِ امر بعثةٍ على مدينة بولونية التي كانت رفعت لواء العصيان على الحبر الاعظم فسار اليها بقلبٍ اصمَّ من الجلمود وكاد يكسر شوكتها لولا انَّ اهلها التجأُوا الى لويس الثاني عشر ملك فرنسة الذي كان اذ ذاك يحاول بسط سلطتهِ على ايطالية الشماليَّة فحدثت وقتئذٍ وقائع تشيب لها الاطفال بين جنود البابا وحلفائهِ الاسبانيّين وبين الفرنسويين والمنتمين اليهم من الالمان وكان الظفر في اوَّل الامر حليف ملك فرنسة رغماً عمّا ابداهُ البابويُّون من البسالة والحماس تحت قيادة الكردينال دي مديشيس الذي كان في مقدَّمة الجيش بلا درع ولا سيفٍ ينفخ في القلوب روح النخوة والحميَّة الى ان وقع اسيرًا في ايدي الفرنسويين . الَّا انَّ امور الحرب ما لبثت ان دار دولابها فقُتل في

حومة الوغى غستون دي فوا (G. de Foix) بطل عصره المغوار ورأى الفرنسويون انَّ انتصارهم لا يجديهم نفعاً فعادوا الى اوطانهم والكردينال دي مديشيس في أسرهم لكنَّهُ نجا من ايديهم بنوع عجيب وعاد الى رومية فصار لهُ فيها استقبال الجندي الباسل والعبد الامين وعَظُم في اعين جميع اهل ايطالية حتَّى انَّ العُصاة عادوا بواسطتهِ الى الطاعة وفتح كثيرون من الامراء ابواب مدنهم للجيوش البابويَّة

وكانت فلورنسة من جملة المدن التي أَحنقت عليها الكرسيَّ الرسولي لميل سودريني صاحبها الى الفرنسويين فانتهز انصار أُسرة مديشيس هذه الفرصة فزحفوا عليها ودخلوها عنوةً واسروا سودريني واخذوا يعملون السيف في اهلها لولا ان الكردينال جان دي مديشيس توسّط بين المدينة وفاتحيها ونال لمواطنيهِ الامان. فعادت الاسرة المديشيسيَّة الى عزّها السابق وملَكَ على فلورنسة جوليان اخو الكردينال وخلفهُ من بعدهِ آلهُ الى اواخر القرن السابع عشر

امَّا الكردينال جان فانتدبهُ الحبر الاعظم لمهامّ جديدة وجعلهُ حاكماً على مدينة پيروزة فجمع في تدبيرها بين الحزم واللين واكتسب رضى الجميع

*

في ٢١ شباط سنة ١٩١٣ انتقل البابا يوليوس الثاني الى جوار ربّهِ بعد جلوسهِ على كرسيّ الخلافة البطرسيَّة احدى عشرة سنة عزَّز فيها سلطان الاحبار الرومانيين وانقذ ايطالية وطنهُ من نير الطامعين في ملكها وجعل على مفرق الكنيسة الكاثوليكيَّة تاجاً من البهاء زادها حسناً في اعين العالم باجمعهِ

اسرع الكرادلة فاجتمعوا لانتخاب خلفهِ فما مرَّت عليهم أَيام قليلة حتَّى وقع الاختيار على جان مديشيس في ١١ آذار سنة ١٥١٣ حيث وجدوهُ كفوًا لتدبير الكنيسة وجديرًا بالذبّ عن حقوقها وقهر اعدائها وهو اذ ذاك شمَّاسٌ انجيليّ فقط فسيم في ١٥ آذار كاهناً ثم اسقفاً في ١٧ منهُ وفي التاسع عشر جرت حفلة تتويجهِ برونق عظيم وتباشر بهِ عالم الدنيا والدين. واتخذ لهُ اسماً شرَّفهُ قبلهُ تسعة من الباباوات اولهم واعظمهم القديس لاون الكبير (٤٤٠-٤٦١) الذي خلَّص رومية مرَّتين من ايدي البرابرة الهونيين والفندالبين وملكَيْهما اتيلا وجَنسريك. وقد شرَّف ايضاً هذا الاسم الثمانية الذين اتَّسموا بهِ لكنَّ لاون العاشر فاق عليهم لجمعهِ كلّ

الصفات المتفرّقة فيهم فاستحقَّ كبعض نوابغ الدنيا ان يزدان عصرهُ باسمهِ الكريم

اشتهر لاون العاشر من ثلثة وجوه كرجل سياسة وكرجل دين ورجل ادب

﴿ رجل السياسة ﴾ تبوأ ابن مديشيس السدَّة البطرسيَّة في زمن كانت ثلث دول كبيرة تطمح ببصرها الى ايطالية لتقتسم اصقاعها وهي المانية وفرنسة واسبانية لحقوق صادقة او فريَّة تدَّعيها لادراك امانيها . هذا فضلًا عن الجمهوريَّات الايطاليَّة الصغرى التي كانت تنوي توسيع حدودها وبخس حقوق الكنيسة الرومانيَّة . فكانت تلك المطامع تجعل موقف الحبر الروماني حرجاً محفوفاً بالمخاطر . الَّا انَّ لاون العاشر عرف بجسن نظرهِ وحُنكتهِ بالامور السياسيَّة كيف يسلك مع الدول ليفوز باستقلال ايطالية . فانَّهُ تصدَّى لملك فرنسة لويس الثاني عشر واضطرَّهُ بمساعدة مكسيميليان الاوَّل ملك النمسة وعَضد الجيوش السويسريَّة الى ان يبرح ميلانو ومقاطعاتها . ثمَّ خاف البابا من محالفة كادت تُعقَد بين النمسة وفرنسة واسبانية وتتهدَّد ايطالية فتمكَّن بجذاقتهِ وحسن تدبيرهِ ان يتمها ويصون موطنهُ والكرسيَّ الرسوليَّ معاً من هذه المخاطر الجديدة

ثمَّ قام في فرنسة بعد لويس الثاني عشر فرنسيس الاوَّل ابن اخيهِ (١٥١٥) فشبَّت نيران جديدة تخوَّف منها لاون العاشر وجعلت ايطالية تحت رحمة اعدائها فسعى البابا باطفاء سعيرها لكنَّ فرنسيس الاوَّل قهر كلَّ القوَّات المتحالفة لردّ غاراتهِ وبسط ملكهُ على ميلانو وتوابعها . فلم يقنط البابا من امرهِ بل اجتمع في بولونية بملك فرنسة وعقد معهُ معاهدةً خوَّلت الحبر الاعظم سلطة فعليَّة ونفوذًا اعظم في رعـاية الشعوب الكاثوليكيَّة لاسيما في ايطالية وفرنسة

ولمَّا عاد لاون الى رومية حاول تمكين سلطانهِ في عدَّة مدن ايطاليَّة كان امراؤها يتصرَّفون فيها على هواهم ولا يكترثون لاوامرهِ ونواهيهِ . فانتزع مدن اوربينو وپيروزه وپارمة من ايدي طغاتها وسلَّمها لعمَّال امناء . واستنفد الوسع في بسط السلم والامان في انحاء البلاد

ثمَّ خلف في المانية مكسيميليانَ حفيدُهُ كرلوس الخامس سنة ١٥١٩ وقد كان سابقاً ورث فردينندَ الكاثوليكيَّ سنة ١٥١٦ بملكهِ على اسبانية فجمع على رأسهِ تاجَي المانية واسبانية . وما عتّم ان وقع بينهُ وبين فرنسيس الاوَّل منازعات وحروب

دامت ثلثين سنةً وابتدأت على عهد لاون العاشر فاصابهُ منهما همومٌ كدَّرت صفاء حياتهِ لطموح بصر كليهما الى ايطالية هذا الى جنوبها وذاك الى شمالها وهما يطلبان جميعاً من الحبر الاعظم نعمة الامبراطورية الرومانيَّة وامتيازاتها . فكان البابا يضطرّ حيناً الى ممالأة الواحد وحيناً الى مجاملة الآخر لئلَّا ترجح كفَّة ميزان احدهما فيصبح خطرًا على البلاد وعلى الممالك البابويَّة . على انَّهُ في آخر الامر نفر من عُنجهيَّة ملك فرنسة فانحاز الى كرلوس وفي اثناء ذلك مات بعد ظفر حلفائهِ

وكانت غاية ما يقصدهُ لاون العاشر من حروبهِ ان يمتّع بلادهُ بالسلم والراحة ويكسر نير الاجانب فيجعل ايطالية مستقلَّة بامورها قويَّة باتحاد عواهلها مع اكبر ملوكها وحُماتها اعني الحبر الروماني

وكانت هذه الغاية القريبة يوجّهها لاون الى غاية اسمى واعظم وهي ان يجمع كلّ قوى الدول المسيحيَّة ويربطها بروابط محكمة لردّ غارات الاتراك الذين كانوا يتقدَّمون كلّ يوم الى نواحي الدول النصرانيَّة ويتهدَّدونها من كلّ صوب بعد ان فتح سليم الاوَّل بلاد الشام ومصر ورودس وتقرَّبت جيوشهم من المجر والنمسة . وكأنَّ الملوك الاوربيّين ساهون عن ذاك الخطر المُجحف على خلاف الاحبار الرومانيين الذين كان جلُّ مسعاهم ايقاف العثمانيين عند حدودهم لا بل كسر شوكتهم وثلّ عرشهم . ومن يطَّلع على كتابات لاون العاشر الى كافَّة الملوك والامراء في المانية وانكلترة واسبانية وفرنسة والمجر وسويسرة والبندقيَّة وجنَوة يأخذهُ الاندهاش لصوت ذاك النفير الذي يبعث ملوك النصرانيَّة من جمودهم ويوقظهم من سِنَتهم . وقد بلغ بهِ حبُّهُ لخلاص النصرانيَّة الى انهُ دعا اهل رومية الى طوافٍ ديني مشى هو فيهِ حافياً لينال من الله رحمتهُ وقهر اعداء كنيستهِ وكذا فعل بعدهُ خلفاؤهُ الى ان وجد نداؤهم صدًى في قلوب الملوك فاتحدوا مع الكرسي الرسولي وانقذوا اوربَّة من همجيَّة بني عثمان بانتصاراتهم عليهم في ڤينَّة وبودابست وليبانت

﴿ رجل الدين ﴾ لم تكن امور السياسة لتصرف نظر لاون العاشر عن شؤون الدين بل قل انهُ لم يقصد من سياستهِ الَّا الدفاع عن حياض الدين اذ انَّهُ رأى خطرًا كبيرًا على استقلال الكنيسة الروحي لو فقدت استقلالها الزمنيّ كما ترى في البطريركيَّات الشرقيَّة التي اصبحت آلةً في ايدي الملوك والسلاطين بفقد حرّيتها

ولنا اوَّلًا عدَّة شواهد تثبت ما طُبع عليهِ لاون العاشر من روح التقى والحماس في الدين . فهذا مجموع رسائلهِ البابويَّة التي تنطق كلها بتفانيهِ في سبيل الدين ويفنّد كلُّ سطرٍ منها اكاذيب البروتستانت في المانية واشاعاتهم في حقّهِ

ومن الخدم الجليلة التي ادَّاها لاون العاشر للكنيسة جمعاء مواصلتهُ لاعمال المجمع المسكوني السابع عشر وهو الخامس من مجامع الكاتدرا اللاترانيَّة كان باشر بهِ سلفهُ يوليوس الثاني سنة ١٥١٢ فعُقدت بهمَّة لاون عدَّة جلسات وُضعت فيها قوانين حسنة للإصلاح الحقيقي لآداب المؤمنين والاكليروس وبها بطل سلفاً مدَّعى لوتاروس لاصلاحهِ الموهوم . وفي هذا المجمع قُطع دابر الانشقاق الذي احدثهُ بعض الكرادلة في بيزة فأنابوا الى الله وجاؤوا خاضعين لراعي الكنيسة . وفيهِ ايضاً أُثبت رسميًّا مشروع خيريّ كان انشأهُ راهب فرنسيسي يُدعى برنردان ليقرض العَملة والفقراء مالًا في ضيقتهم بدلًا من رهن يرهنونهُ ريثما يردُّون المال فيسترجعون المرهون بجعالة زهيدة يؤدونها وبذلك ينجون من ربى اليهود الفاحش البالغ ٢٠ الى ٥٠ بالمئة . وكان ختام هذا المجمع في آذار سنة ١٥١٧ بعد اتفاق الآباء على وضع بعض الرسوم لمحاربة الاتراك وتقييد الطباعة بقوانين تكبح جماحها وتحصرها ضمن حدود الأَدب

والى هذا البابا يعود الفضل بانشائهِ في رومية ملاجئ للفتيات التائبات ومطاعم مجّانيَّة لفقراء المدينة . ومن مآثرهِ الدينيَّة اهتمامهُ العظيم بالرتب الدينيَّة لتُقام على منوال اهلٍ بجلالهِ تعالى لاسيَّما رُتب جمعة الآلام التي كان يتزاحم الزوَّار من كلّ الانحاء لحضورها . وكذلك كان من السُعاة في تنظيم الموسيقى الدينيَّة والحانها الشجيَّة . كما انَّهُ انهض الدروس اللاهوتيَّة في كلّيَّة رومية المعروفة بمدرسة الحكمة (la Sapi-ence) فاختار لها ثلاثة من اساطين ذاك العلم الجليل ورقَّى بعض اللاهوتيين الى رتبة الكرادلة واعدَّ مذ ذاك الحين اختصاصيين اشتهروا بعدئذٍ في المجمع التريدنتينيّ

واظهر لاون عنايةً خاصَّة في نشر الدين في البلاد الاميركيَّة والجزائر المكتشفة حديثاً في العالم الجديد بين شعوب تلك المجاهل السحيقة . ولم ينسَ كنائسنا الشرقيَّة كما يلوح من براءاته الاحدى عشرة المرسلة لبطاركة الموارنة واساقفتهم وشعبهم

ولا يسعنا ان نسكت عن نشاطهِ العجيب في تشييد كنيسة مار بطرس التي كان

باشر ببنائها اسلافهُ فكان لهُ في متابعة العمل سهمٌ عظيم كما تشهد عليهِ حتَّى اليوم عدَّة تحف تزين ذاك البناء المعدود بين عجائب المعمور

هذه بعض مآثر لاون العاشر في جانب الدين من شأنها ان تُفحم المتشدّقين من الشيع البروتستانيَّة الذين صوَّروهُ في كتاباتهم كرجل فنونيّ عالميّ لا يكترث لخدمة الدين ولصوالح الكنيسة

❊(رجل الآداب)❊ قد اعتاد المعادون للكنيسة ان ينبزوا ذويها بالجهل ومناهضة العلوم · لعمري انَّ تلك دعوى باطلة يردُّها تاريخ الكنيسة من اوَّل ظهورها في العالم الى اليوم · وقد امتاز خصوصاً الاحبار الرومانيُّون بحفظ الآداب ورفع منارة العلوم في كلّ اجيالهم

على انَّ لاون العاشر قد لاح في سماء الكنيسة ككوكب درّي ونجم ساطع النور فاق سلفاءَهُ بنشر لواء المعارف والفنون الجميلة · وقد سبق انهُ رضع منذ صباه فاويق العلوم وعشق الآداب ولم يزل متشبثاً باهدابها الى زمن رقيهِ الى منصب الخلافة البطرسيَّة · فلمَّا أُلقيت اليهِ مقاليد الكنيسة الجامعة رأى ان تعزيز المعارف احد واجباتهِ كتعزيزهِ للدين ليجريا في ميدان التمدُّن كفرسي رهان لا يفرق بينهما حاجز

واوَّل ما صنع لاون لنشر لواء العلوم انهُ دعا اليهِ مشاهير زمانهِ واقرَّهم في اصمتهِ رومية وجعل لهم رواتب واسعة تغنيهم عن هموم المعاش وكثيراً ما كان يدعوهم الى البلاط الفاتيكاني ويقضي معهم ساعات الفراغ ويعيّن لكلّ منهم ما يراهُ مناسباً لمعارفهِ

فتهافت الى رومية جمهور من العلماء والأُدباء والشعراء والصَّنَعة والمؤرخين اصبحت بهم رومية كمنتدى العلوم جمعاء ومركز كلّ الفنون

ومن الادلَّة الناطقة بفضلهِ تنشيطهُ للطباعة التي كان الحبر الروماني بولس الثاني دعا اصحابها الى رومية منذ السنة ١٤٦٦ فجعلهم تحت حمايتهِ فصدرت من مطابعها كتب دينيَّة وادبيَّة لا يُحصَل عليها اليوم الَّا بشقّ النفس والمبالغ الطائلة · فوسَّع لاون نطاقها وعُني بامورها المادّية والادبية وجعلها تحت نظارة اليونانيّ الشهير جان لَسكاريس وجهَّزها بكل الادوات اللازمة وسعى باستحضار حروف عبرانيَّة وكلدانيَّة وسريانيَّة وما لبث بعد قليل أن اصدرت مطبوعات جديدة لقدماء كتبة

الرومان واليونان مع ترجمات عديدة للكتاب المقدَّس من العهدين العتيق والحديث ولاسيَّما المزامير والاناجيل

ومَّما ساعد نشر العلوم والمعارف المكتبةُ الڤاتيكانيَّة فانَّ لاون اضاف اليها مخطوطات مكتبتهِ الخاصَّة وابتاع لها كتباً عزيزة الوجود منها كتب شرقيَّة عربيَّة وسريانيَّة وعبرانيَّة وارسل فيليبوس بيرؤالد (Ph. Béroalde) ناظرها وعدَّة علماء الى انحاء ايطالية والمانية وفرنسة واليونان ليبحثوا عن المخطوطات في كنائسها واديرتها فيجلبوها ولو بأغلى الاثمان. قيل انهُ دفع ٥٠٠ دينار في تاريخ المؤرخ تاكيتوس وجدهُ في احد اديرة المانية. فلمَّا طُبع اعلن البابا في مقدَّمتهِ انَّهُ يجازي جزاء عظيماً كلَّ من يأتيهِ بكتاب قديم مخطوط. وكان الملوك والامراء يتقرَّبون الى لاون بارسالهم لهُ مخطوطات نادرة كان يدعو العلماء الى نشرها على نفقتهِ

ووجد لاون العاشر الكليَّة الرومانيَّة خاملةً دون مدرسة باريس وميلانو وبولونية فاراد ان تجاريها جميعاً بل تكون في مقدَّمتها في تعليم كلّ العلوم ليس الدينيَّة فقط كاللاهوت والحقّ القانوني بل المدنيَّة ايضاً كالفقه والطبّ والهيئة والرياضيَّات والفلسفة والادب والبيان واللغة والتاريخ الطبيعي وكان يدفع بسخاء رواتب كلّ المعلمين الذين بلغ عددهم فوق المئة وكان للعلوم البيانيَّة ١١ معلّماً و٢٠ للفقه و١٥ للطبّ والمفردات الطبيَّة وهلمَّ جرًّا . وقد صُنفت بهمَّتهِ تواريخ شتَّى كان لها احسن وقع في عالم العلم

وكان الحبر الاعظم مولعاً بالفنون الجميلة وقد مرَّ لنا ذكر اصلاحهِ للموسيقى الكنسيَّة وكان يحبّ ان يسمع نغمات كبار الموسيقيين لترقى نفسهُ بها الى الله والامور العلويَّة وكان يضرب بالقيثارة كداوُد الملك

وقد نبغ في ايَّامهِ قومٌ من الشعراء الايطاليين كاريوستو وبمبو وڤيدا وجيبرتي وسنازار كان البابا يثيبهم على ما تنتجهُ قرائحهم من القصائد الرنَّانة

وما قولنا بولع لاون العاشر بفنّ التصوير فكفاهُ فخرًا ان رفائيل المصوّر الشهير كان بجيرتهِ فصوَّر لرومية تلك التصاوير التي تزين الى اليوم كنيسة مار بطرس والقصر الڤاتيكاني وبعض المتاحف والتي يُدفع في ثمن الواحدة منها الوف الالوف من الفرنكات وقد مات رفائيل في ربيع شبابهِ وعمرهُ ٣٧ سنة يوم جمعة الآلام سنة

١٥٢٠ فاثر موتهُ اعظم التأثير في الحبر الاعظم فبكى في جنازته (اطاب صورتهُ)
ومثل رفائيل في نبوغهِ بالتصوير والنحت والهندسة معاصرُهُ ميكال أنج الذي شرَّف عصر لاون العاشر وأدَّى للكنيسة من الخدم في هندسة كنيسة مار بطرس ونقشها وتصاويرها ما جعل اسمهُ منتظماً في سلك اكبر نوابغ العالم

ونضرب الصفح عن عشرات آخرين من المصوّرين والنحّاتين والمهندسين الذين كانوا يساعدون ذينك المعلّمين وكثيرون كانوا من تلامذتهما ولهم في رومية اعمال يُشار اليها بالبنان

فبهؤلاء وغيرهم ايضاً كانت تلك النهضة الادبيَّة التي جمَّلت خلافة لاون العاشر وكانت داعياً لترقّي ايطالية عموماً ورومية خصوصاً. فانَّ انتشار الصناعة كان داعياً لاتّساع دائرة الاعمال التجاريَّة والاقتصاديَّة حتَّى زاد عدد سكَّان رومية وبلغ ضعف عددهِ السابق

## ٢ مناداة لوتاروس بالاصلاح الموهوم

ورد في العدد ٢٥٩٠ من النشرة الاسبوعيَّة الاميركانيَّة في تاريخ ٧ تموز السنة ١٩٢١ مقالة بهذا العنوان «ذكرى الاصلاح الانجيلي» افتتحها كاتبها بهذه الاسطر:

« في ١٨ من نيسان هذه السنة كان قد مرَّ ٤٠٠ حولٍ على وقوف المصلح الشهير مارتن لوثر طلباً للاصلاح الديني في وُرْمس ففي مثل ذلك اليوم يتذكَّرهُ كلّ الذين نالوا الاصلاح بسعيهِ وكل محبّي ذيَّاك الاصلاح لأن ذلك العمل العظيم يُعدُّ في التاريخ من اعظم الاعمال»

كنَّا نودّ ان نضمّ صوتنا الى صوت النشرة الاسبوعيَّة وكلّ المتمذهبين بمذهبها لنهنّئهم جميعاً بهذا الموسم السعيد بيد انَّنا مهما تمعّنا في ذكرى هذا الاصلاح وجدناهُ اسماً بلا جسم وقشرة دون لبّ. وهذا ما نحاول بيانهُ بفصل وجيز نعرضهُ على كلّ من لا تغشّي عيونهُ الاوهام فنقول:

اوَّلًا انَّ الله اذا رأى في كنيستهِ فساداً فاراد اصلاحهُ لا بُدَّ ان يختار لها مُصلحاً فاضلًا بارًا. ثانياً ينبغي على المصلح المذكور ان تكون تعاليمهُ صالحة موافقة للوحي وتعليم الآباء. ثالثاً ويلزم ان يأتي ذاك الاصلاح بالنتائج الحسنة والاثمار الجيّدة. والحال هذه الشروط الثلثة مفقودة لا اثر لها في الاصلاح البروتستاني



## صورة لوتاروس

صوَّرها يوحنا هُلْبين معاصرهُ

---

قال لوتاروس في مذا كراتهِ ( وجه ٣٥ ) :عندي ثلثة كلاب شريرة وهي الكنود ( كفران النعمة) .والكبرياء . والحسد . فمن عضَّتهُ أحسنتْ عضَّهُ.
ومزاجي يتدفَّق بالغضب.وعقلي يشحذ غِرارهُ بالكيد.
وقريحتي تجود عند الغيظ

## ١ ليس لوثاروس مصلحاً صالحاً بل اثيماً

لو أجلنا النظر في سيرة لوثاروس المروية من البروتستانت فضلاً عن الكاثوليك واجتبيناها من كتاباته وجدناها بئس السيرة التي يخجل منها كلّ رجل عاقل بارّ خائف من الله. وُلد مرتينوس لوثاروس في أَيسلابن من اعمال المانية سنة ١٤٨٣ من عائلة حقيرة وبعد دروسهِ ترهَّب في رهبانيَّة الاوغستينيّين سنة ١٥٠٨ ثم سيم كاهناً وأُرسل الى ورتمبرغ ليعلّم فيها الفلسفة وكانت في تلك المدَّة تساورهُ الوساوس فتشوّش عقلهُ وتبلبل راحة قلبهِ. وفي السنة ١٥١٢ نال امتياز الملفنة في رهبانيَّتهِ فاخذ مذ ذاك الحين يُظهر استبدادًا في تعليمهِ قلّما يقنع لمشورة رؤسائهِ الداعين لهُ الى الخطَّة المثلى

وقد اظهر لوثاروس في ذاك الوقت ما طُبع عليهِ من شراسة الاخلاق لاسيَّما الكبرياء والغضب فانَّهُ جاهر بهما حتَّى لم يخجل بتقديسهما حيث قال: «دون الكبرياء لا يستطيع الانسان عملًا حسناً». وكان يبرّر غضبهُ الوحشيّ وسوءَ طباعهِ بمثل السيّد المسيح الذي غضب على الفرّيسيين. واخذ مذ ذاك الحين يرشق بسهام لسانهِ البذيء كل من لم يوافقهُ على آرائهِ الغريبة فيلقّبهم بألقاب يستحي من لفظها الاوباش تجدها في تاليفهِ

وفي السنة ١٥١٦ اراد الحبر الاعظم لاون العاشر ان يشرّف بيعة الله بتمجيد هامة الرسل في رومية ومواصلة بناء كنيستهِ المشيّدة على ضريحهِ فأرسل الى انحاء اوربَّة واعظين ليدعوا المؤمنين الى التوبة ويمنحوهم غفرانات قانونيَّة طالبين منهم بعض الصدقات لمساعدة ذاك المشروع التقويّ. فامتعض لوثاروس غيظاً على الحبر الاعظم اذ انتدب لهذه الغاية الرهبان الدومنيكيين بدلًا من ذوي رهبانيَّتهِ وانتهز تلك الفرصة ليسلق ارباب الكنيسة والحبر الروماني نفسهُ بالشتائم مدَّعياً انَّهُ بذلك يتجاوز سلطتهُ ويبيع الروحيَّات ونسي ما اعطى السيّد المسيح لرأس كنيستهِ من سلطان الحلّ والربط في السماء والارض وانَّ الغفرانات لا تمحو بذاتها الخطيئة وانَّما تسامح فقط بالعقاب الزمني الذي تستوجبهُ الخطيئة المغفورة من الله. والدليل على انَّ لوثاروس أقدمَ على خطبهِ الثوروية لغايات سافلة ما اقرَّ بهِ بعدئذٍ في كتبهِ بقولهِ: «إني اقسمُ على حياتي وخلاصي اني لمَّا تصدَّيتُ لمناقضة الغفرانات ما كنتُ أُدرك معناها» فكان اذن فعلهُ هذا جهلًا وتعنُّتاً وعجرفةً ليس غيرة على الكنيسة وإصلاحها

ولمّا استدعاهُ اسقفهُ ثمَّ الحبر الاعظم ليؤدي الحساب عن اقوالهِ واعمالهِ اظهر الخضوع اوّلًا ثمَّ نشر راية العصيان واخذ ينفث في الكنائس وساحات المدن سموم غضبهِ على كلّ الاقداس ويحرّك مطامع امراء المانية على اوقاف الكنائس فسلبوا ونهبوا واحرقوا وقتلوا باغرائهِ . واذ ضربهُ الحبر الاعظم في ١٥ حزيران سنة ١٩٢٠ بالحرم لعصيانهِ احرق البراءة الرسوليّة وفرَّ هارباً من وجه العدل مختفياً عند امير سكسونية فردريك صديقهِ والموافق لهُ على نفاقهِ

وبما ان الكبرياء يعاقبهُ الله بان يهمل الانسان الى اهواء قلبهِ ما لبث لوتاروس ان خلع كلّ عذار فجحد كهنوتهُ وخدع راهبةً تُدعى كاترينا دي بور تزوَّجها سِفاحاً وعاش معها بالزنا . ثمَّ اخذ يحرّض الكهنة على نبذ سُنّة العزوبة على مثالهِ بل سمح لاحد امراء المانية بالإضرار اي الزواج بامرأتين معاً على عكس التعليم الانجيلي

هذا هو رجل الإصلاح الذي تفتخر بهِ الشيع البروتستانيَّة . فمن شوكهِ على رأيهم نبت العنب ومن عوسجهِ التين على خلاف قول الرب . وقد عرف نفسهُ حقّ المعرفة اذ أرَتهُ يوماً كاترينا امرأتهُ السماءَ لامعةً بالكواكب فصرخ متأسفاً : ليس هذا من حصَّتنا !

## ٢ ليست تعاليم لوتاروس جديدة بالاصلاح

انَّ من يطَّلع على كتابات لوتاروس يجد فيها من الاضاليل ما كان متفرّقاً منها في كافَّة الهرطقات السابقة . واوّل ما بنى عليهِ صرحَ تعاليمهِ هذا المبدأُ الفاسد انَّ الكتاب المقدَّس وحدهُ يحتوي كلّ دستور الايمان وحقائق الدين لينفي بذلك سلطة الكنيسة للتعليم كأن السيّد المسيح ارسل الى العالم اجمع تلاميذهُ بقولهِ : « اذهبوا واكتبوا » ولم يقل لهم « اذهبوا وعلّموا » . واضاف الى هذا المبدأ مبدأً ثانياً اشنع منهُ وهو حرّيّة كلّ مؤمن ان يفسّر الكتاب المقدّس على هواهُ ففتح بذلك باباً واسعاً لكلّ البدع والترّهات والتعاليم المتناقضة فينكر الواحد من اصحابهِ ما يثبتهُ الآخر وكلاهما على قولهِ مُلهَم من الروح القدس . تلك هي حرّيّة الضمير او حرّيّة الافكار ينبوع كل البدع والسفسطات

فعلى هذا الاساس الواهن بنى لوتاروس مذهبهُ . ولم يلبث ان يشفعهُ بتعاليم اخرى

الضلالُ فيها ظاهر لكل عيان بل هي والحقيقة على طرفيْ نقيض منها انكار لوتاروس لحريَّة الانسان في اختياره للخير والشرّ كأنهُ مدفوع اليهما من الله وبهِ ينفي كلّ ثواب وعقاب ويجعل الخلاص والهلاك تحت رحمتهِ تعالى دون ملاحظة أَعمالهِ الصالحة او الطالحة . ومنها تبرير الانسان بالايمان دون الاعمال مع رذلهِ للاعمال المبرورة وجحودهِ لمنفعتها امام الله حتَّى بلغ الى هذا القول الفظيع : « أَخطئْ ما شئت وليقوَ ايمانك على خطاياك »

هذا الى تعاليم أُخرى عديدة مُضلَّة قال بها واوغلتْهُ في بيداء الاوهام كإبطالهِ للذبيحة الطاهرة ولمناولة القربان الاقدس وكنفيهِ لحقيقة المطهر ولمنفعة الصلوات لاجل الموتى ولشفاعة القديسين واكرامهم وكإلغائهِ الاسرار المقدَّسة والرُّتب الكنسيَّة تحت رئاسة الاساقفة والحبر الروماني . وخلاصة القول انَّهُ نقض كلّ العقائد التي علَّمها ابن الله للعالم ودوَّنها الرسل بعدهُ في اسفار العهد الجديد او سلَّموها الى خلفائهم شفاهاً فبلغت الينا بتقليد متواصل لم تنفصم حلَقاتهُ في توالي الاجيال

## ٣ اثمار اصلاح لوتاروس الموهوم

لمَّا اراد السيّد المسيح ان يحذّر تلاميذهُ من الانبياء الكذبة اعطاهم لذلك قاعدة ثابتة يميّزون بها بين الصدّيقين المحقّين والاشرار الماكرين حيث قال : « ومن اثمارهم تعرفونهم » . فلنلقِ بالنظر الى نتيجة الاصلاح البروتستاني فما هي يا تُرى الاثمار التي اتى بها لخير البشر ولسعادة الشعوب ؟

ما رفع لوتاروس عقيرتهُ ليدعو الى اصلاحهِ الموهوم حتَّى انفجر السدّ الضابط للشهوات البشريَّة واندفع ذاك السيل الجحاف بل الطوفان العرمرمي فحوَّل اوربة الى ساحة قتال طبَّقت شرورُها وجه الارض فثارت تلك الحروب الدينيَّة التي فعلت ما لم تفعلهُ حربنا الكونيَّة الاخيرة ودامت نحو مئتي سنة

فليقل لنا المنتمون الى المذهب اللوتراني ماذا اصلح زعيمهم لوتاروس ؟ هل اصلح المعتقدات ام اصلح الآداب ؟

امَّا المعتقدات فهي باقية راسية رسوَّ الصخر الاصمّ في الكنيسة الكاثوليكية لم يزعزعها الإعصار البروتستانيّ فالكنيسة وحدها يمكنها ان تثبت معتقدها عقلًا ونقلًا

وليس كلامنا هذا على بعض العبادات الاختياريّة الجارية في الكنيسة وغايتها إنعاش روح التقى والعبادة. وانّما نتكلّم عن الحقائق الجوهريّة وذات الاسرار الفائقة الطبيعة فان الكنيسة لا تصدّق على واحد منها الّا استناداً الى اقوى البراهين واثبت البيّنات

وترى على خلاف ذلك الشيع البروتستانيّة تنمو وتتعدّد وتتشعّب وتتفتّت حتّى لم يبقَ منها عقيدة واحدة يتّفق عليها البروتستانت باجمعهم. فانّ لوتاروس نفسهُ رأى قبل موته ٢٤ شيعةً خالفت تعاليمهُ فندم على ما فات ولات حين ندم. وهذا ما كتبهُ بيدهِ الى صديقهِ غليوم براقست :

« اني لأعلم يا اخي في المسيح انّ شكوكاً عديدة تحدث على حجّة الانجيل ينسبونها اليَّ. ولكن ما العمل ؟ ليس مبشّر الّا ويدّعي انّهُ اعلمُ مني مئة ضعف واذا زجرتُهم لا يسمعون مني فانّ بيني وبينهم حرباً عواناً اشدّ من محاربتي للبابا وهم الدُّ عداوةً عليَّ منهُ »

ثمَّ يحاول تبرير نفسهِ ولكن هيهات ان يصغي احد الى دفاعهِ عن ذاتهِ. فانّ مبادئهُ الفاسدة لا تزال كلّ يوم تقسّم البروتستانت حتّى بلغ عددها في هذه السنين الاخيرة نيفاً وثلاثة آلاف شيعة تسبُّ الواحدة الأخرى وتزيّف تعاليمها ولا تتفق الّا في محاربة الكنيسة الكاثوليكية مركز الايمان وعمود الحقّ

ولا ترى احداً من الكاثوليك يترك دينهُ ليدين بالبروتستانيّة الّا لغاية بشريّة ( الفلوس او العروس ! ) واعترف لوتاروس عينهُ بذلك حيث قال: اذا اراد البابا ان ينظّف بستانهُ من اعشابها الفاسدة يقلعها فيلقيها في جنينتي. ونرى على خلاف ذلك الوفـاً من وجوه البروتستانت واكليروسهم وعلمائهم المبرّزين يجحدون كلّ يوم مذهبهم ويضحّون كلّ ملاذّ الحياة والغنى وشهوات العالم والمناصب المنيفة لينضووا الى الكنيسة الكاثوليكيّة ليجدوا راحةً لضميرهم

وما قولنا عن الآداب فان الاصلاح اللوتراني كان لها آفةً وبيلة بوضعه ذاك المبدأ الفاسد الذي يردُّهُ كلّ ذي عقلٍ صائب اعني بطلان الاعمال الصالحة امام الله وعدم فائدتها للخلاص بينما الانجيل يدعو اليهـا في كلّ صفحة من صفحاتهِ لاسيّما اذ يقول السيّد المسيح لذاك الشاب الذي سألهُ ماذا يعمل من الصلاح ليرث الحيـاة الابديّة فقال لهُ : ان شئت ان تخلص فاحفظ الوصايا. وحيث يقول الديّان في اليوم الاخير للابرار انّهم باعمال رحمتهم نحو العطشان والجوعان والعريان والسجين ينالون السعادة

الابديّة . والعكس بالعكس اذ يقضي بهلاك الاشرار لإهمالهم الاعمال المبرورة

هذا ولا ننكر انَّ بين البروتستانت يوجد ناس ادباء افاضل الّا انَّ فضلهم من حسن عنصرهم وتربيتهم وجريهم على التعاليم المطبوعة في قلب الانسان من الله ليس من تطبيق اعمالهم على المبادئ البروتستانيَّة . وكذلك لا ننكر انَّ بين الكاثوليك اشرارًا وانَّما شرُّهم لمخالفتهم تعاليم الكنيسة فقط . فلو جروا عليها لأصبحوا ابرارًا صالحين . والفرق بين الامرين ظاهر واضح

## ٣ ارتداد القديس اغناطيوس

هي الذكرى الثالثة التي اشرنا اليها في بدء هذه المقالة فحدثت في سنة وفاة لاون العاشر ونَشر لوتاروس رايةَ عصيانهِ . فكأنَّ الله قصد ان يجمع بين هذه الامور الثلاثة ليبيّن لكنيستهِ انَّهُ بفقدها كبير احبارها وبما نالها من الاسف على تمرُّد احد ابنائها عليها وتمزيقهِ لثوب المسيح لم يهملها ويقيم لها حُماةً كُماةً بسلاء يردُّون اليها بالربى ما خسرتهُ في بعض البلاد

وُلد اغناطيوس دي لويـلا من اسرة شريفة سنة ١٤٩١ ورُبّي احسن تربية مسيحيَّة كامراء ذلك الزمان ولم يحصّل من العلوم الّا ما يحتاج اليهِ في خدمة ملكهِ فدخل بلاط الملك فردينند بين اولاد الاشراف واستعدَّ ليخدم وطنهُ في معامع الحرب التي كانت نفسهُ الكريمة تتوق اليها ليحرز لهُ فيها مجدًا اثيـلًا كاجدادهِ . فتجنَّد في مقتبل العمر في جيوش الدولة وتنقَّل بزمن قريب الى اعلى مناصبها

وكان اغناطيوس يتلهَّب غيرةً على وطنهِ يتمنَّى وقوع حربٍ يعلن فيها عن نخوتهِ وشهامتهِ . فجاءَت الظروف موافقةً لرغائبهِ . فلمَّا كانت السنة ١٥٢١ نشبت الحرب بين كرلوس الخامس خلف الملك فردينند وامبراطور المانية وبين فرنسيس الاوَّل ملك فرنسة . فزحف الفرنسويُّون على شمالي اسبانية وحاصروا مدينة بمبيلونة التي كان وُكل اليهِ امرها ومع قلَّة ما كان لديهِ من الجنود اراد ان يدافع عنها الى آخر الانفاس الّا انَّ اهل المدينة أبوا الّا الاستسلام الى العدوّ لما رأوا من عدد جنودهم وعظم قوَّتهم وشدَّة اسلحتهم ففتحوا لهم المدينة . فلم يشاء اغناطيوس ان يوافق اهلها على فعلهم وتحصَّن في القلعة مع من رآهم من جنودهِ متحفّزين للدفاع عنها

فما عتّم الفرنسويون ان نصبوا على اسوارها السلالم وصوّبوا اليها كرات مدافعهم بينما كان اغناطيوس بصوتهِ ومثلهِ يستنهض همم جنودهِ ويستقتل لردّ غارات العدوّ الى ان فتح بقذائفه ثلمةً من الاسوار وأصلى الاسبانيّين نارًا حاميةً فأُصيب اغناطيوس بقذيفةٍ كسرت عظم ساقهِ اليمنى ووقعت على اليُسرى حجرةٌ ضخمة جرحتها جرحاً بليغاً فوقع صريعاً على الحضيض بعد ان ابلى احسن بلاء مدَّة سبع ساعات متواصلة. فاستأمن جنودهُ على رغم منهُ اذ كان يرغب ان يموت موت الابطال في ساحة القتال. فدخل الفرنسويون القلعة ظافرين الّا انّهم أُعجبوا من بسالة قائد الاسبانيّين وعاملوهُ بكل لطف وإكرام وبعد ان ضمدوا جراحهُ حملوهُ في هودج واوصلوهُ الى قصرهِ. وكان يوم سقوطهِ جريحاً موافقاً لاحد العنصرة في ١٩ ايّار كأنّ الروح القدس اراد بتلك الجروح المادّيّة يشفي نفسهُ ويعدّهُ لجهاد اعظم واشرف عن كنيستهِ في نفس اليوم الذي غيّر قلوب التلاميذ في علّيّة صهيون وسلّحهم بقوّته ليغلبوا العالم كسيّدهم المسيح. وفي نفس السنة التى هيّج ابليس فيها جنودهُ ليحملوا على الكنيسة مؤمّلًا بجملتهِ ان تقوى عليها هذه الدفعة ابوابُ الجحيم فتبطل مواعيد ابن الله

ولا حاجة ان نتّسع في ما جرى لاغناطيوس في قصرهِ اذ كان طريح الفراش واشرف على الموت لولا أنّ هامة الرسل القديس بطرس تراءى لهُ في المنام ووعدهُ خيرًا وشفى جرحهُ مجازاة لقصيدةٍ كان اغناطيوس نظمها لاكرامهِ. لكنّهُ رأى في قِصَر احدى ساقيهِ عارًا فطلب ان يستأنف الجرّاحون لهُ عمليّة مؤلمة جدًّا تحمّل مضضها بكل صبر. ثم لزم الفراش ايّاماً ريثما تصحّ الساق واذ لم يجد اذ ذاك في قصرهِ ما يتسلّى به في ساعات الفراغ الّا كتاب سير القدّيسين عمل فيه مَثَل اولئك الابطال فقصد ان يحذو حذوهم. وما فتئ ان قام بوعدهِ وباشر تلك الاعمال العجيبة التي نقرأها في سيرة حياته ولاسيّما انشاؤهُ للرهبانيّة اليسوعيّة التي ردّ بواسطتها اقطارًا عديدة الى حجر الكنيسة وعلى الخصوص في المانية وسويسرة فضلًا عن امم الوثنيين في اقاصي العالم

فكان اذن جُرح اغناطيوس علّة لارتدادهِ وسبباً لما حصل بعدهُ من الخير العام في الكنيسة. وذلك ما حمل اهل اسبانية عموماً واقاليمها الشماليّة خصوصاً ان يقيموا




تذكار

ارتداد القديس اغناطيوس دي لويولا

(١٥٢١)

في هذا العام اعياداً حافلة تذكاراً لذاك الواقع العظيم تقاطر الى الاشتراك بها جماهير مجمهرة من انحاء اسبانية ووفود من فرنسة وايطـالية والبرتغال . فجرت في قصر اويولا وفي كيبوزكوا وطن القديس اغناطيوس في اواسط ايار تظاهُرات دينيَّة ومدنيَّة قلَّما يُرى مثلها في حواضر الدول . وقد ارسل ملك اسبانية احد كبار حاشيته لينوب عنهُ بحضورها رسمياً وكان هناك عددٌ لا يُحصى من رؤساء اساقفة واساقفة وكهنة ورهبان واشراف الدولة يتقدَّمهم الكردينال ألمَاراز

وزاد تلك الحفلات رونقــاً انَّ رئيس الرهبانيَّة اليسوعيَّة العام ارسل من رومية ذخيرةً سنيَّة من جثة القديس اغناطيوس لتُعرض في تلك المواسم . فمـا بلغت اسبانية حتَّى تقاطر الناس وازدحموا في كلّ مدينة مرَّت بها لينالوا بركتها فكان مرورها اشبه باستقبال ملكٍ عاد فائزاً بعد انتصارهِ على الاعداء

وقد وصفت الجرائد المحليَّة تلك المواسم الفخيمة التي احيت في قلوب جميـع مشاهديها شواعر الايمان والحماس الدينيّ والتشبُّث بتعاليم الكنيسة التي كان اغناطيوس ورهبانهُ اشدَّ انصارها . امَّا المانية البروتستانيَّة فقد مرَّ عليها تذكار لوتاروس المئوي دون ان يجد في قلوب ذويهِ وتراً يرنُّ . وكأنَّ المذهب البروتستاني بعد سقوط غليوم وفوضى الاشتراكيين في المانية أُصيب بضربة اليمة فتحت عيون كثيرين من اهلهـا وقرَّبتهم من الكنيسة الكاثوليكيَّة . نصر الله الحقّ واعاد الى الحظيرة البطرسيَّة كلّ الضالّين لتقوم بموجب قولهِ تعالى رعيَّةٌ واحدة وراعٍ واحد

---

# عين الغوَّاصات او البرِسْكوب

للاب رفائيل نخله اليسوعي

لا يجهل احد في عهدنا الغوّاصات التي تخوض اعماق البحـار خوض الطيّـارات لاعالي الجوّ لا بل قد وقفت الخاصة والعامة على شدّة اهميّتها وغرابة مآثرها المتعدّدة في ايام الحرب الكونية حيث كانت على صغرها تُروّع اضخم المدرّعات واذا ضربتها

بالطوربيل اغرقتها بلمحة عين في لجج المحيط · اجل كل ذلك من المعلومات المبتذلة لدى القاصي والداني

لكن هناك مشكلًا قلّما يفطن لهُ الناس : كيف تستطيع الغواصات النظر الى ما يحيط بها على سطح البحر وهي سابحة في كبدهِ ؟ فلعمري انها لا تأتي بادنى فائدة ان ظلّت تخبط في جوف الاوقيانوس وهي محرومة البصر لا تدري الى اي مرمًى تصوّب قذائفها الطوربيليَّة المُهلكة · وعليهِ قد توخينا في هذه الصحائف القليلة حلّ ذاك المشكل على اسلوب شافٍ قريب المنال بعد تقديم الممهدات التي لا ندحة عنها

قلنا انهُ يتحتَّم على الغواصة ان ترى ما يجول من السفن على سطح البحار بل نزيد هنا مسيس حاجتها الى ذلك وهي غير منظورة اي محجوبة في غمر المياه · والحال انه لا يمكنها التمتع بهذا النظر بدون آلة خاصَّة فان اشعَّة الشمس الناقلة لصور الاشياء الى شبكية عيننا لا تلبث ان تتلاشى تدريجاً في الماء فكأنَّ المياه تمتصها شيئاً فشيئاً · ففي عمق اثني عشر مترًا يكاد البَصر يعجز عن نظر الاشياء حتى الاجرام الضخمة التي تعلو فوقهُ سبعة امتار ليس الّا · واذا انحدرتَ بالغوَّاصة الى عمق ثلاثين مترًا فمن المحال ان تميّز صخرًا عظيماً يعترضك في جوف المياه على مسافة ثمانية امتار · فالقومندان نفسه المتسلط على حركات السفينة وسكناتها عاجز في هذه الظروف عن معرفة احوال طريقهِ المحفوفة بمخاطر اشدَّ اهوالًا من طرق البواخر المعتادة · اجل انه يستطيع الاهتداء بواسطة مصباح كهربائي ساطع مناط بمُقدم غوَّاصته وهو بمثابة مِسبَرٍ من النور تُسبَر بهِ اعماق اليمّ المخيفة المظلمة · لكن هذه الوسيلة الناجعة تفيد السائحين على سطح المحيط ليس في بواطنهِ وفي ذلك ما فيه من المحاذير الهائلة المهددة لحياة الغوّاصة وكيانها وهي من جهة اخرى لا تجديه نفعاً في مرأى تلك السفن وتصويب الطوربيل الى جوانبها عند الاقتضاء · وهيهات ايضاً ان تؤدي له تلك الخدمةَ الجليلة حُقّتهُ او بوصلتهُ التي تدلُّ فقط بابرتها الى وجهة السير ليس الى ما يعترضهُ من العَقَبات في كبد المياه او ما يكتنفه من البوارج على وجهها

فنستنتج من الادلَّة الجليَّة السابقة ان عين الغوّاصة اشدّ لزوماً لحياتها والقيام بوظيفتها الجوهريَّة من عين الانسان لنفس هاتين الغايتين · فلولاها لما برزت الغواصة الى حيّز الوجود او اقلّه الى ميدان العمل المفيد وكفى بذلك شاهدًا على اهميّة بحثنا

*

قد اطلقت اللغات الاوربيَّة على عين الغواصات اسم پرِسْكوب (Périscope) وقد احسنت انتقاءه فهو مصوغ من لفظين يونانيين اوَّلهما اداةٌ معناها حَوْل والثاني اسم بمعنى النظر يراد بها الآلة الناظرة حول نفسها . وظرفُ المكان يشير الى ان عين الغوّاصة ترسل نظراتهـا الشاهية الى اقصى حدود الافق المحيط بها من كل جانب على شكل دائرة فسيحة

فلنبحث الآن عن هيئة البرِسْكوب وتركيبهِ ومبـادئ علم النور التي يستند اليها في القيام بوظيفته الحيويَّة . هذه الآلة في الظاهر انبوبٌ يبلغ طولـه نحو سبعة امتار ونصف ينقسم الى شطرَين موصولين على خطّ مستقيم قطرُ الاسفل زهاء ١٢ سنتيمترًا وقطر الاعلى من ٧ الى ٨ سنتيمترات . وهذا الشطر اضيق من الاول لانهُ يخترق المياه بالغاً بعض العلوّ مترين مثلًا فوق سطح البحر فتجعله دقَّتُهُ في حكم غير المنظور تقريباً اذ يكاد يستحيل على امهر المدفعيّين اصابته بقنبلةٍ ولو عن كَثَب . والانبوب المركب من الشطرين الموصوفين مرتكز عمودياً على وسط ظهر الغواصة . وعند رأسهِ المشرف على سطح البحر موشورٌ من البلّور ومثلهُ عند كعبهِ وهو في باطن الغواصة . امَّا في داخلهِ فقد أُدمجت من مسافة الى مسافة عـدَسيّاتٌ قويَّة كما في النظّارات الفلكيَّة

فلنفرض مثلًا ان مُـدرَّعة تمرُّ في دائرة نظر البرِسْكوب وهي دائرة الافق كما سبقت الاشارة . فصورتُها تُدرك الموشورَ الاعلى وتنعكس منهُ على العـدسية التابعة لهُ في داخل البرسكوب ومن هذه الى الثانية ومن الثانية الى الثـالثة وهلمَّ جرًّا الى ان تبلغ الموشور الاسفل فتنعكس منهُ على عين المراقب فيرى المدرَّعة مـع كونها على وجه المياه بل عند اقصى حدود الافق . وانبوب البرسكوب قابل الدوران حول محورهِ العموديّ فيديره قومندان الغواصة كلّ عَشر ثوانٍ مثلًا دورةً كامـلة ومقلتاه ناظرتان الى الموشور الاسفل كانهُ مرآة صقيلة فيرى فيها كل السفن والاشياء الأُخر التي ضمن الدائرة الافقية

فاذا تدانت اليهِ مثلًا المدرَّعة المذكورة فهو يشاهد رسمها مكبَّرًا نصب عينيه والعكس بالعكس . بل يستطيع الاستدلال من موقع الموشور الاسفل في دورة

البرسكوب ومن الخارطة البحرية على وُجهة المدرعة وفي كثير من الظروف على الميناء التي تقصدها . فيسهل عليه بعد ذلك اتخاذ كل التدابير اللازمة لمطاردة تلك السفينة وضربها بالطوربيل على مسافة معقولة اي بضع عشرات من الامتار في الغالب

ذاك مبدأ البرسكوب وتلك طريقة استخدامهِ فكلاهما من السهل الممتنع كما يتضح من الشرح الآنف . فسبحان من قدَّر العقل البشري على صنع مثل هذه المعجزات المدهشة بواسطة جهاز هو غاية في البساطة

*

سمَّينا البرسكوب عين الغوَّاصات ولسنا مخطئين بيد انهُ يُستعمل في غيرها ايضاً . وقد اشتهر استخدامه اثناء الحرب الكونية لمراقبة كل ما يحدث من الحركات والسكنات ضمن الدائرة الافقيَّة والمراقبُ جالس في داخل حصنٍ منيع او دارٍ مُغلقة الابواب والنوافذ حيث يصعب على العدو قتلُهُ في مكمنهِ . وانَّما يطرأ في هذه الظروف بعض التغيير على شكل البرسكوب الموصوف آنفاً فيُصبح الانبوب البالغ نحو ثمانية امتار طولًا وزهاء عشرة سنتيمترات قُطرًا على هيئة ساريةٍ ضخمة يبلغ ارتفاعها في بعض الاحيان ٢٥ مترًا . وكثيرًا ما تتركَّب من ستَّة او سبعة انابيب من النحاس تُخرَج من صناديقها ويُدمج منها الواحد فوق الآخر على اساس متين فيتكوَّن من مجموعها في وقت يسير البرسكوب البرّي المشرف على ظهر الحصن او الدار إشراف رصيفهِ البحري على ظهر الغواصات . ومن اسهل الامور نقل السارية البرسكوبية باجمعها من محل الى آخر على أشفاع دواليب متواصلة بحسب طول السارية

وقد استخدموا ابسط واخفَّ انواع البرسكوب في الخنادق التي كادت تنحصر فيها كل معارك الحرب الكونية . وذلك حادثٌ جديد في تاريخ الحروب كما لا يخفى . كان ذلك البرسكوب على شكل انبوب مربَّع من الخشب مفتوح في طرفيه مركوز في قعر الخندق منيف على مدخله اي قسمه الاعلى بارتفاع مترين او ثلاثة امتار مثلًا . وعند الطرف الاعلى مرآة جيّدة الصقل مائلة على مدخل البرسكوب ميلان زاويةٍ يبلغ انفراجها ٤٥ درجة . وعند الطرف الاسفل مرآة مثلها منحنية كذلك على مخرج الآلة . فبفَرْض كون المرآة العليا متجهةً الى العدوّ فمن البديهيّ ان كلّ حركاتهِ الظاهرة ترتسم عليها ثم تنعكس منها الى داخل الانبوب على المرآة

السفلى حيث يشاهدها الراصد ما طاب له دون ان يفوتهُ شيء من احوالهِ

ولو افترضنا انّ العدوَّ مختبئ في جوف خنادقهِ فلا تزول فائـدة استخدام هذا البرسكوب لأنه يوقف الراصد على هيئة الارض التي احتلّها العدوّ وما انطوت عليهِ من الوهاد والهضاب والاسلاك الشائكة الى غير ذلك ممَّا تتيسَّر به الحملة على الاعداء المجاورين

سبق لنا القول ان هذا البرسكوب البسيط يُركز في قعر الخندق وذلك صحيح اذا كان بين المتحاربين بَوْنٌ لا يُخشى بهِ اصـابة اعلى البرسكوب بكُلَل البنادق. والَّا فلا يُركز البتة وانَّما يرفعهُ الراصد بيدهِ كلّما اراد استعمالهُ. وكان ذلك جارياً في الجيش الفرنسوي منذ غرّة ١٩١٥ حيث لاحظ الجنود كثرة المخاطر الحافَّة بمن يرفع رأسهُ فوق مدخل خندقهِ ليحسن تصويب الرصاص الى الالمان. فقد كاد لا يُحصى عدد الذين قُتلوا بقذائف العدوّ لقلّة فطنتهم عند رصدهم لهُ

*

يسرُّنا الآن إطلاع القارئ على ما يسوغ تسميتهُ جدّ البرسكوب نعني آلة سبقت اختراعهُ بكثير مع كونها قائمةً ببعض خدمهِ ومبنيةً على نفس مبداهِ الاساسي. وهي مرآةٌ كبيرة تُعلّق في بعض المدن على مسافة معلومة من احدى نوافذ الطـابق الثاني باعتبار الطابق الارضي اوّلا. فيشاهَد فيها من داخل الغرفة التي بها تلك النافذة كلُّ عابري الطريق ولاسيما الاشخاص القارعين باب الدار. وغنيٌّ عن الايضاح كون الفائدة الاخيرة شديدة الاهميّة في كثير من الظروف. فكم ضيف ثقيل الظـل كنَّا نجونا من زياراتهِ المزعجة الممقوتة لو تذرَّعنا بتلك الوسيلة السهلة !

فلنرجع الآن عودًا على بدء الى الغوّاصـات التي اختُرع البرسكوب لاجلهـا ولذلك جعلنا لها المقام الاول في هذه المقالة. وبياناً لفائدتها ها نحن نصف معركتين بحريتين يتضح منهما باتمّ الجلاء عظيم شأن «عين الغواصات» في ذلك الميدان الهائل من كل الاوجه. وكلتاهما من حوادث الحرب الكونية

كانت الباخرة روان (Rouen) المقلّة لركّاب فرنسويين متجهةً الى احـدى موانئ فرنسة فرأى هؤلاء على اليمين سفينةً تغرق تدريجـاً في جوف المياه. فصاح القومندان القابض على نظّارته : «الالمان هنا !» وامر البحّارة بالتهيؤ للقتال العنيف

وليس كلامنا هذا على بعض العبادات الاختياريَّة الجارية في الكنيسة وغايتها إنعاش روح التقى والعبادة . وانَّا نتكلَّم عن الحقائق الجوهريَّة وذات الاسرار الفائقة الطبيعة فان الكنيسة لا تصدّق على واحد منها الَّا استنادًا الى اقوى البراهين واثبت البيّنات

وترى على خلاف ذلك الشيع البروتستانيَّة تنمو وتتعدَّد وتتشعَّب وتتفتَّت حتَّى لم يبقَ منها عقيدة واحدة يتَّفق عليها البروتستانت باجمعهم . فانَّ لوتاروس نفسهُ رأى قبل موته ٢٤ شيعةً خالفت تعاليمهُ فندم على ما فات ولات حين ندم . وهذا ما كتبهُ بيدهِ الى صديقهِ غليوم براقست :

« اني لأعلم يا اخي في المسيح انَّ شكوكًا عديدة تحدث على حجَّة الانجيل ينسبونها اليَّ . ولكن ما العمل ؟ ليس مبشّر الَّا ويدَّعي انَّهُ اعلمُ مني مع أنَّهُ ضعف واذا زجرتُهم لا يسمعون مني فانَّ بيني وبينهم حربًا عوانًا اشدَّ من محاربتي للبابا وهم الدُّ عداوةً عليَّ منهُ »

ثمَّ يحاول تبرير نفسهِ ولكن هيهات ان يصغي احد الى دفاعهِ عن ذاتهِ . فانَّ مبادئهُ الفاسدة لا تزال كلَّ يوم تقسّم البروتستانت حتَّى بلغ عددها في هذه السنين الاخيرة نيفًا وثلاثة آلاف شيعة تسبُّ الواحدة الأُخرى وتزيّف تعاليمها ولا تتفق الَّا في محاربة الكنيسة الكاثوليكية مركز الايمان وعمود الحقّ

ولا ترى احدًا من الكاثوليك يترك دينهُ ليدين بالبروتستانيَّة الَّا لغاية بشريَّة ( الفلوس او العروس ! ) واعترف لوتاروس عينهُ بذلك حيث قال : اذا اراد البابا ان ينظّف بستانهُ من اعشابها الفاسدة يقلعها فيلقيها في جنينتي . ونرى على خلاف ذلك الوفـا من وجوه البروتستانت واكليروسهم وعلمائهم المبرّزين يجحدون كلَّ يوم مذهبهم ويضحُّون كلَّ ملاذّ الحياة والغنى وشهوات العالم والمناصب المنيفة لينضوا الى الكنيسة الكاثوليكيَّة ليجدوا راحةً لضميرهم

وما قولنا عن الآداب فان الاصلاح اللوتراني كان لها آفةً وبيلة بوضعه ذاك المبدأ الفاسد الذي يردُّهُ كلَّ ذي عقلٍ صائب اعني بطلان الاعمال الصالحة امام الله وعدم فائدتها للخلاص بينما الانجيل يدعو اليهـا في كلّ صفحة من صفحاتهِ لاسيَّما اذ يقول السيّد المسيح لذاك الشاب الذي سألهُ ماذا يعمل من الصلاح ليرث الحيـاة الابديَّة فقال لهُ : ان شئت ان تخلص فاحفظ الوصايا . وحيث يقول الديَّان في اليوم الاخير للابرار انَّهم باعمال رحمتهم نحو العطشان والجوعان والعريان والسجين ينالون السعادة

الابديّة. والعكس بالعكس اذ يقضي بهلاك الاشرار لإهمالهم الاعمال المبرورة

هذا ولا ننكر انَّ بين البروتستانت يوجد ناس ادباء افاضل الّا انَّ فضلهم من حسن عنصرهم وتربيتهم وجريهم على التعاليم المطبوعة في قلب الانسان من الله ليس من تطبيق اعمالهم على المبادئ البروتستانيَّة. وكذلك لا ننكر انَّ بين الكاثوليك اشرارًا وانَّما شرُّهم لمخالفتهم تعاليم الكنيسة فقط. فلو جروا عليها لأصبحوا ابرارًا صالحين. والفرق بين الامرين ظاهر واضح

## ٣ ارتداد القديس اغناطيوس

هي الذكرى الثالثة التي اشرنا اليها في بدء هذه المقالة فحدثت في سنة وفاة لاون العاشر ونَشر لوتاروس رايةَ عصيانهِ. فكأنَّ الله قصد ان يجمع بين هذه الامور الثلاثة ليبيّن لكنيستهِ انَّهُ بفقدها كبير احبارها وبما نالها من الاسف على تمرُّد احد ابنائها عليها وتمزيقهِ لثوب المسيح لم يهملها ويقيم لها حماةً كماةً بسلاء يردُّون اليها بالربى ما خسرتهُ في بعض البلاد

وُلد اغناطيوس دي لويـلا من اسرة شريفة سنة ١٤٩١ ورُبّي احسن تربية مسيحيَّة كامراء ذلك الزمان ولم يحصّل من العلوم الّا ما يحتاج اليهِ في خدمة ملكهِ فدخل بلاط الملك فرديننـد بين اولاد الاشراف واستعدَّ ليخدم وطنهُ في معامع الحرب التي كانت نفسهُ الكريمة تتوق اليها ليحرز لهُ فيها مجدًا اثيـلًا كاجدادهِ. فتجنَّد في مقتبل العمر في جيوش الدولة وتنقَّل بزمن قريب الى اعلى مناصبها

وكان اغناطيوس يتلهَّب غيرةً على وطنهِ يتمنَّى وقوع حربٍ يعلن فيها عن نخوتهِ وشهامتهِ. فجاءَت الظروف موافقةً لرغائبهِ. فلمَّا كانت السنة ١٥٢١ نشبت الحرب بين كرلوس الخامس خلف الملك فرديننـد وامبراطور المانية وبين فرنسيس الاوَّل ملك فرنسة. فزحف الفرنسويُّون على شمالي اسبانية وحاصروا مدينة بمبيلونة التي كان وُكل اليهِ امرها ومع قلَّة ما كان لديهِ من الجنود اراد ان يدافع عنها الى آخر الانفاس الَّا انَّ اهل المدينة أبوا الّا الاستسلام الى العدوّ لما رأوا من عدد جنودهم وعظم قوَّتهم وشدَّة اسلحتهم ففتحوا لهم المدينة. فلم يشاء اغناطيوس ان يوافق اهلها على فعلهم وتحصَّن في القلعة مع من رآهم من جنودهِ متحفّزين للدفاع عنها

في هذا العام اعيادًا حافلة تذكارًا لذاك الواقع العظيم تقاطر الى الاشتراك بها جماهير مجمهرة من انحاء اسبانية ووفود من فرنسة وايطـالية والپرتغال . فجرت في قصر اويولا وفي كيپوزكوا وطن القديس اغناطيوس في اواسط ايار تظاهُرات دينيَّة ومدنيَّة قلَّما يُرى مثلها في حواضر الدول. وقد ارسل ملك اسبانية احد كبار حاشيته لينوب عنهُ بحضورها رسميًّا وكان هناك عددٌ لا يُحصى من رؤساء اساقفة واساقفة وكهنة ورهبان واشراف الدولة يتقدَّمهم الكردينال أَلمِاراز

وزاد تلك الحفلات رونقـاً انَّ رئيس الرهبانيَّة اليسوعيَّة العام ارسل من رومية ذخيرةً سنيَّة من جثَّة القديس اغناطيوس لتُعرض في تلك المواسم. فمـا بلغت اسبانية حتَّى تقاطر الناس وازدحموا في كلّ مدينة مرَّت بها لينالوا بركتها فكان مرورها اشبه باستقبال ملكٍ عاد فائزًا بعد انتصاره على الاعداء

وقد وصفت الجرائد المحليَّة تلك المواسم الفخيمة التي احيت في قلوب جميـع مشاهديها شواعر الايمان والحماس الدينيّ والتشبُّث بتعاليم الكنيسة التي كان اغناطيوس ورهبانهُ اشدَّ انصارها . امَّا المانية البروتستانيَّة فقد مرَّ عليها تذكار لوتاروس المئوي دون ان يجد في قلوب ذويهِ وترًا يرنُّ . وكأنَّ المذهب البروتستاني بعد سقوط غليوم وفوضى الاشتراكيين في المانية أُصيب بضربة اليمة فتحت عيون كثيرين من اهلهـا وقرَّبتهم من الكنيسة الكاثوليكيَّة . نصر الله الحقَّ واعاد الى الحظيرة البطرسيَّة كلَّ الضالّين لتقوم بموجب قولهِ تعالى رعيَّةٌ واحدة وراعٍ واحد

---

# عين الغوَّاصات او البرِسْكوب

للاب رفائيل نخله اليسوعي

لا يجهل احد في عهدنا الغوّاصات التي تخوض اعماق البحـار خوض الطيّـارات لاعالي الجوّ لا بل قد وقفت الخاصة والعامة على شدَّة اهميّتها وغرابة مآثرها المتعدّدة في ايام الحرب الكونية حيث كانت على صغرها تُروّع اضخم المدرّعات واذا ضربتها

بالطوربيل اغرقتها بلمحة عين في لجج المحيط . اجل كل ذلك من المعلومات المبتذلة لدى القاصي والداني

لكن هناك مشكلًا قلّما يفطن لهُ الناس : كيف تستطيع الغواصات النظر الى ما يحيط بها على سطح البحر وهي سابحة في كبدهِ ؟ فلعمري انها لا تأتي بادنى فائدة ان ظلّت تخبط في جوف الاوقيانوس وهي محرومة البصر لا تدري الى اي مرمًى تصوّب قذائفها الطوربيليَّة المُهلكة . وعليهِ قد توخينا في هذه الصحائف القليلة حلّ ذاك المشكل على اسلوب شافٍ قريب المنال بعد تقديم الممهدات التي لا ندحة عنها

قلنا انهُ يتحتَّم على الغواصة ان ترى ما يجول من السفن على سطح البحار بل نزيد هنا مسيس حاجتها الى ذلك وهي غير منظورة اي محجوبة في غمرِ المياه . والحال انه لا يمكنها التمتع بهذا النظر بدون آلة خاصَّة فان اشعَّة الشمس الناقلة لصور الاشياء الى شبكية عيننا لا تلبث ان تتلاشى تدريجاً في الماء فكأنَّ المياه تمتصها شيئاً فشيئاً . ففي عمق اثني عشر متراً يكاد البَصر يعجز عن نظر الاشياء حتى الاجرام الضخمة التي تعلو فوقهُ سبعة امتار ليس الّا . واذا انحدرتَ بالغوّاصة الى عمق ثلاثين متراً فمن المحال ان تميّز صخراً عظيماً يعترضك في جوف المياه على مسافة ثمانية امتار . فالقومندان نفسه المتسلط على حركات السفينة وسكناتها عاجز في هذه الظروف عن معرفة احوال طريقهِ المحفوفة بمخاطر اشدَّ اهوالًا من طرق البواخر المعتادة . اجلْ انه يستطيع الاهتداء بواسطة مصباح كهربائي ساطع مناط بمُقدم غوّاصته وهو بمثابة مِسْبَرٍ من النور تُسْبَر بهِ اعماق اليمّ المخيفة المظلمة . لكن هذه الوسيلة الناجعة تفيد السائحين على سطح المحيط ليس في بواطنهِ وفي ذلك ما فيه من المحاذير الهائلة المهددة لحياة الغوّاصة وكيانها وهي من جهة اخرى لا تجديه نفعاً في مرأى تلك السفن وتصويب الطوربيل الى جوانبها عند الاقتضاء . وهيهات ايضاً ان تؤدي له تلك الخدمةَ الجليلة حُقّتهُ او بوصلتهُ التي تدلُّ فقط بابرتها الى وجهة السير ليس الى ما يعترضهُ من العَقَبات في كبد المياه او ما يكتنفه من البوارج على وجهها

فنستنتج من الادلَّة الجليَّة السابقة ان عين الغوّاصة اشدّ لزوماً لحياتها والقيام بوظيفتها الجوهريَّة من عين الانسان لنفس هاتين الغايتين . فلولاها لما برزت الغواصة الى حيّز الوجود او اقلّه الى ميدان العمل المفيد وكفى بذلك شاهداً على اهميّة بحثنا

*

قد اطلقت اللغات الاوربيَّة على عين الغواصات اسم پرِسْكوب (Périscope) وقد احسنت انتقاءه فهو مصوغ من لفظين يونانيين اوَّلهما اداةٌ معناها حَوْل والثاني اسم بمعنى النظر يراد بها الآلة الناظرة حول نفسها . وظرفُ المكان يشير الى ان عين الغوَّاصة ترسل نظراتهـا الشاهية الى اقصى حدود الافق المحيط بها من كل جانب على شكل دائرة فسيحة

فلنبحث الآن عن هيئة البِرِسْكوب وتركيبهِ ومبـادئ علم النور التي يستند اليها في القيام بوظيفته الحيويَّة . هذه الآلة في الظاهر انبوبٌ يبلغ طولـه نحو سبعة امتار ونصف ينقسم الى شطرَين موصولين على خطٍّ مستقيم قطرُ الاسفل زهاء ١٢ سنتيمترًا وقطر الاعلى من ٧ الى ٨ سنتيمترات . وهذا الشطر اضيق من الاول لانهُ يخترق المياه بالغاً بعض العلوّ مترين مثلًا فوق سطح البحر فتجعله دقَّتُهُ في حكم غير المنظور تقريباً اذ يكاد يستحيل على امهر المدفعيّين اصابته بقنبلةٍ ولو عن كَثَب . والانبوب المركب من الشطرين الموصوفين مرتكز عمودياً على وسط ظهر الغواصة . وعند رأسهِ المشرف على سطح البحر موشورٌ من البلّور ومثلهُ عند كعبهِ وهو في باطن الغواصة . امَّا في داخلهِ فقد أُدمجت من مسافة الى مسافة عـدَسيّاتٌ قويَّة كما في النظّارات الفلكيَّة

فلنفرض مثلًا ان مُـدرَّعة تمرُّ في دائرة نظر البِرِسْكوب وهي دائرة الافق كما سبقت الاشارة . فصورتُها تُدرك الموشورَ الاعلى وتنعكس منهُ على العـدسية التابعة لهُ في داخل البرسكوب ومن هذه الى الثانية ومن الثانية الى الثـالثة وهلمَّ جرًّا الى ان تبلغ الموشور الاسفل فتنعكس منهُ على عين المراقب فيرى المدرَّعة مـع كونها على وجه المياه بل عند اقصى حدود الافق . وانبوب البرسكوب قابل الدوران حول محورهِ العموديّ فيديره قومندان الغواصة كلَّ عَشر ثوانٍ مثلًا دورةً كامـلة ومقلتاه ناظرتان الى الموشور الاسفل كانهُ مرآة صقيلة فيرى فيها كل السفن والاشياء الأُخر التي ضمن الدائرة الافقية

فاذا تدانت اليهِ مثلًا المدرَّعة المذكورة فهو يشاهد رسمها مكبَّرًا نصب عينيه والعكس بالعكس . بل يستطيع الاستدلال من موقع الموشور الاسفل في دورة

فلم يمضِ دقيقتان حتى شاهدوا برسكوب العدوّ يرتفع فوق سطح البحر فتحقَّقوا ان الغواصة تدنو الى الباخرة لضربها بالطوربيل . فصُوبت مدافع السفينة الفرنسوية الى ما تحت البرسكوب وانهالت قنابلها على تلك الجهة فغطست الغوَّاصة الى عمقٍ اعظم تفادياً من الدمار العاجل وغابَ برسكوبها . بيد انهُ لم يلبث ان برز ثانية من المياه فازداد رعد قنابل المدافع والقنابل اليدوية وانصبَّت على الغواصة الخافية مدراراً على مسافة زهاء خمسين متراً ليس الَّا — اخيراً غاب البرسكوب قطعياً وطفا بازائه بقعٌ فسيح من الزيت منبئٌ بان الغوَّاصة أُصيبت فانحدرت الى مدفنها في اعماق البحر

امَّا المعركة الثانية فقد خاض معمعتَها الليوتنان أُوبِرْن (O' Byrne) اذ اراد المرور بغوّاصته من المعبر الضيّق المفضي الى پولة وهي اكبر الموانئ الحربيَّة النمسوية على الادرياتيك وكانت اوانئذٍ تحت حماية خطوط عديدة من الطوربيل تدمّر بلمحة عين ايَّة سفينة تمسّها . فتجاسر أوبرن وقصد العبور تحت هذه الخطوط الهائلة بانزال غواصته الى عمق ثلاثين او اربعين متراً لدى الاقتضاء. فسار الى الامام هازئاً بالاخطار العديدة المحدقة بهِ من كل جانب . فانقطع السير فجأة واتضح لهُ ان السببَ مِساسُ اعلى البرسكوب لاحدى شِباك الطوربيل عقّفته فاستحال إهباطه لاخفائه عن انظار العدو بل امتنع استخدامه بتاتاً . وحيث اصبحت الغوّاصة عمياء لا تهتدي تحتَّم عليها الصعود الى وجه البحر مهما ترتب على ذلك من الاخطار الشديدة . وحين طفت على سطح المياه أُمطر عليها وابلٌ من قنابل النسافات والمدفعيات النمسوية فالتزمت بتسليم نفسها بين ايديهم حرصاً على حياة ركابها

ففي هذين الحادثين ولاسيما الاخير اجلى الشواهد على خطير شأن البرسكوب في تسيير الغواصات وصحة تسميتنا ايَّاه عينَها . واذا استطاع الضرير بصعوبة غير يسيرة وبعد الاعتياد الطويل ان يسلك على الارض فهيهات ان تقدر الغوّاصات العمياء على مثل ذلك في جوف البحار



# قصة أفيقيا الحكيمة وسليمان الحكيم

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

## تمهيد

بين مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة مجموعان الواحد عربيّ كُتب منذ نحو مئة سنة والآخر كرشوني يرتقي عهدهُ الى القرن السابع عشر مكتوب بخط جميل على ورق صفيق قد اهدانا اياه مؤخرًا في حلب حضرة القس حبيب نعساني السريانيّ الكاثوليكيّ . وفي كليهما قصَّة غريبة لم نجدها في غيرهما ولا ذكر لها في مخطوطات المكاتب الشرقيَّة الاوربيَّة عنوانها « خبر افيقيا الحكيمة امرأة يشوع بن سيراخ وما تمَّ لها مع سليمان الملك ابن داود النبي » يُروى فيها وصف مناقب افيقيا المذكورة ورغبة الملك سليمان في مفاوضتها مؤمّلًا الاقتران بها الّا انها بحكمتها ردَّت عنها ذاك الملك يوم زارها في غيبة زوجها فزادت في عينهِ اعتبارًا . امَّا زوجها يشوع بن سيراخ فانَّهُ عرف دخول الملك الى بيتهِ في غيبتهِ بياقوتةٍ وقعت من تاجهِ فحفظ ذلك في نفسهِ وابتعد عن زوجتهِ غيرةً . فأصاب افيقيا لسبب نفورهِ منها مرضٌ كاد يُودي بحياتها لولا انَّ امَّها عرفت بخبرها وبلَّغت سليمان ما حلَّ بها فبرَّرها عند زوجها وأطرأ عفَّتها

هذه خلاصة القصَّة ولا شكَّ انَّها من الحكايات القديمة الجارية على ألسنة الشرقيين وعلى ظنّنا انَّها من الروايات التي اشاعها اليهود ونسبوها الى الملك سليمان لما يُخبر عنهُ من الميل الى النساء الحكيمات الشريفات لكنَّنا لم نقف في كتبهم على ما يسند رأينا

وممَّا استغربناهُ في هذه الرواية اسم « افيقيا » الذي لم نجد لهُ شبيهًا في المعاجم . أهو اسمٌ ساميّ او اسم يونانيّ فالله اعلم فان كان ساميًّا فيرجع الى مادَّة ܐܦܩ بمعنى خَرَجَ او كان يونانيًّا فهو من (ἐπιεικία) بمعنى اللين والدَّعَة والتساهل

كذلك لم نجد في ما لدينا من المعلومات اسم قرينةٍ ليشوع بن سيراخ وهو صاحب السفر الوارد في الاسفار المقدَّسة الذي كان فُقد اصلهُ العبرانيّ فوُجد منذ نحو ثلاثين سنة والفرنج يدعون كتابهُ باسم ( l'Ecclesiastique )

واعجب من ذلك في هذه القصَّة وقوعها في ايَّام سليمان وكلٌّ يعلم انَّ سليمان الحكيم عاش في القرن العاشر قبل المسيح وابن سيراخ كان في القرن الرابع فبينهما نحو ٦٠٠ سنة فكيف امكنهُ ان يكون وزيرًا لسليمان . وقد سبق لنا في قصَّة رحلتهِ الى قصر عاد انَّ وزيرهُ كان آصاف . فلعلَّ الراوي خلط بين آصاف ويشوع بن سيراخ والله اعلم

وعلى كلّ حال انَّ في نشر هذه الرواية لَفائدةً لدراسي الاقاصيص القديمة ومعرفة اصلها وتحوُّلاتها بين الشعوب وهي في مخطوطنا الكرشوني من الصفحة ١٣١ الى ١٤٣

## (١٣١) نبتدئ بعون الله تعالى ونكتب خبر افيقيا الحكيمة امرأة يشوع بن سيراخ وما تمّ لها مع سليمان الحكيم ابن داود النبيّ

قال انهُ كان هذا الحكيم الفيلسوف يشوع ابن سيراخ صاحب الكتاب المعروف باسمهِ وزير سليمان الملك الحكيم الاكبر وكان كاتم سرّهِ ومدبّر دولتهِ وعساكرهِ وكان حكيماً عفيفاً بارًّا تقيًّا

وكان لهُ امرأة اسمها افيقيا وكانت جميلة جدًّا واحسن من كلّ اهل زمانها وكانت حكيمةً عفيفةً طاهرةً بارَّة مدبّرة حازمة في جميع الامور وكانت متقية الله في كلّ احوالها خائفة الله ذات صدقة وصوم وصلاة ومحبّة للفقراء والمساكين والغرباء وتُكرم الضيف واليتيم والارملة. فشاع ذكرها في بني اسرائيل بالجود والاحسان والحكمة والحسن والجمال (١٣٢) والطهارة. فبلغ خبرها الى الملك سليمان ابن داود فاشتهى ان يبصرها ويتكلّم معها حتّى يعلم منتهى امرها. ووقع في قلبهِ منها موقع عظيم

فلمَّا كان في بعض الأيام أرسل اليها من عندهِ سقلابيًّا(١ اعني خصيًّا طواشيًّا وكان مكرّماً عندهُ صاحب سرّهِ قائلًا لها: اني مشتاق الى لقائكِ والحديث معكِ. فمضى الخصيُّ الى افيقيا واعلمها ما قالهُ الملك. فلمَّا سمعت ذلك القول من الرسول تألّم قلبها وتنهَّدت وافتكرت ساعةً طويلة ثمَّ قالت للرسول: قُلْ لسيّدي الملك انَّ حكمتهُ قد ملأَت العالم كلّهُ وفاقت على المشرق والمغرب فكيف عرض لك سبيل الى هذا الفكر ان تُكلّم امرأةً حقيرة مثلي. ولكن أيها الملك الجليل ان كانت ارادتك بهذا الامر فلا يتمّ ذلك وزوجي يشوع في هذه المدينة لئلّا يعيّرهُ (١٣٣)

فلمَّا اتى الرسول الى الملك وقصّ عليهِ جوابها اخذهُ العجب من كلامها واشتاق اليها اكثر. ثمَّ انَّهُ احضر وزيرهُ يشوع وقال لهُ: انَّ لنا حاجةً داعية عند ملك الموصل ولم أرَ رجلًا يصلح للقائهِ مثلك فاني أُريد ان تمضي الى قضاء حاجتنا. فقال لهُ يشوع: ليعشْ سيّدي الملك الى الابد كما تأمرني افعل

---

١) السقلابي او الصقلابيّ في الاصل رجل من الصقالبة (Slave) استعملهُ العرب للخصيّ لأنّهم كانوا يتخذون الغلمان الصقالبة عبيدًا ويخصونهم لخدمة حريمهم

فكتب لهُ سليمان كتباً وارسلهُ باكرام كما يليق لهُ وارسل معهُ جنداً وهدايا فسافر نحو الموصل . ثمَّ امر سليمان رسولهُ ان يعود الى افيقيا ويقول لها : ان مولاي مقبل اليكِ في هذه الليلة . فذهب السقلابي واعلم افيقيا بذلك . فقالت لهُ : قل لسيّدي الملك ان كانت الجارية الحقيرة قد استحقَّت هذه الكرامة العظيمة حتَّى انَّ مولاها يأتي اليها (١٣٤) فانا اتضرَّع اليهِ ان لا يذوق شيئاً من الطعام الى ان يحضر ويأكل في منزل جاريتهِ

فمضى الرسول واعلم الملك بذلك . فدعت افيقيا طبَّاخها وقالت لهُ : أَحضر جميع ما يُحتاج اليهِ من اللحوم والاسماك والغنم والخراف والدجاج واطبخ بهم اربعين لوناً بطعم واحد مع اختلاف الوانها . ففعل كما امرتهُ مولاتهُ . فلمَّا حان وقت مجيء الملك بسطت لهُ قَيْطون (١ يشوع زوجها حسب كرامة الملوك

فلمَّا كان الليل اتى سليمان الملك الى عندها فخرجت للقائهِ بالشموع والبخور كما يليق لكرامتهِ وأَدخلتهُ الى المقصورة التي هيَّأتها لهُ . فلمَّا دخل سليمان الملك تعجَّب ممَّا رأى من الكرامة التي أَعدَّتها . فصعد وجلس على السرير فاوقدت الشموع واطلقت النَّدَّ (١٣٥) والعود والبخور الفائق حتَّى أَضحى المكان كأَنَّهُ رُقعة من الفردوس . فتعجَّب سليمان ممَّا رأى . ثمَّ تقدَّمت افيقيا وجواريها وسجدن لهُ وبسطن المائدة اللائقة لخدمتهِ وخرجنَ الى الخارج واغلقنَ الباب

فأمر سليمان لافيقيا ان تصعد وتجلس على المائدة . فصعدت وقبَّلت يدهُ وجلست مقابلهُ واخذت تمزج لهُ المُدام وتسقيهِ . فنظر سليمان الملك الى المائدة وكثرة الالوان وانواع اللحوم والاسماك المختلفة والاطعمة الملوَّنة فاعجبهُ ذلك . ومدَّ يدهُ ليأكل بشهوةٍ من تلك المآكل . فصار يأكل ويتفرَّس في انواعها ويتعجَّب من كثرة اشكالها وكلُّها مع ذلك بطعم واحد فاكل وشبع ورفع يدهُ . ثمَّ قدَّموا لهُ الواناً اخرى غير الاولى فصار يذوق منها فقط وهي مع اختلاف اشكالها ايضاً بطعم واحد (١٣٦) فعلم يقيناً ان هذا الامر حكمةٌ من افيقيا

حينئذٍ شكر الله تعالى وقال : نُعماكَ مقبولة أَيُّها الربّ اله اسرائيل . والتفت

١) القَيْطون المخدع وغرفة النوم من اليونانيَّة (Κοιτών)

الى افيقيا وقال لها: اريد ان تعلميني ما هو الرمز الذي رمزتِ اليهِ بهذه الاطعمة؟

فسجدت افيقيا قدَّامهُ للوقت وقالت: يا مولاي كَفَتْك حكمتُك التي يشهد لها العالم كلُّهُ. فما شأن السراج المُوقد امام الشمس؟ وما هي قوَّة الأَمة تتكلَّم قدَّام السيّد الملك؟ وما هي الضعيفة الحقيرة المسكينة التي تتحرَّك اليوم نفسُها من الله وتستر نَتَنها وزفراتِها وفي الغد تُطرح في قبر مظلم فتصبح جيفةً عاريةً ملقاةً بعيدًا من البشر لا يطيق احدٌ من الناس ان يدنو اليها من نَتَنها ورائحتها الكريهة. لكنْ نفسها من الله (١٣٧) لا تموت

فلمَّا سمع سليمان هذا الكلام من افيقيا تعجَّب من حكمتها ومعرفتها وعلم انَّها قالت هذا الكلام حتى تصدَّهُ عن نفسها لئلا يرغب فيها وعلم انَّها فعلت هذا لاجل عفَّتها وطهارتها. فقال لها: قد صدق الذين مدحوكِ واشادوا بفضلك حقًّا انَّكِ ملأتِ العالم من الحكمة

قال هذا ونهض وهو متعجّب ممَّا سمع منها وعاد راجعاً الى منزلهِ. فلمَّا خرج من باب المقصورة طرق تاجهُ بين أُسكفَّتَي الباب من فوق فسقطت منهُ ياقوتةٌ وعلقت بذلك المكان بين الاسكفَّتين. ومضى سليمان الى قصرهِ ممجّدًا لله وهو متعجب ممَّا شاهدهُ من افيقيا وزادت ثقته بزوجها يشوع

ولمَّا كان بعد أيَّام عاد يشوع من سفرهِ واتى الى عند الملك سليمان وقدَّم لهُ الهدايا والمال من ملك الموصل (١٣٨) فاكرمهُ سليمان غاية الاكرام وصرفهُ الى منزلهِ بوقار عظيم

فدخل يشوع الى قيطونهِ وجلس فأتت افيقيا وقبَّلت يدهُ وفرحتْ بهِ وغسَّلت اقدامهُ وقدَّمت لهُ المائدة فأكل وشرب واستراح. وفيما هو كذلك لاحت منهُ التفاتة نحو الباب فنظر الياقوتة تلمع بين اسكفَّتَي الباب فنهض واخذها وتأمَّلها فعرف انَّها من تاج سيّدهِ سليمان الملك وعلم انهُ دخل الى منزلهِ

فحزن بقلبهِ حزناً عظيماً ولم يتكلَّم بما جال في فكرهِ ابدًا ولكنَّهُ لم يعد يرقد في الفراش مع زوجتهِ افيقيا بل كان يرقد وحدهُ ولم يسألها عن شيءٍ البتَّة وهي ايضاً لم تخاطبهُ عن ذلك

فمضى على هذه الحال سنتان فتغيَّر لون افيقيا ونحِف جسمُها وضعفت جدًّا وهي

لم تتكلّم عن سبب حزنها . فلمّا كان بعض الأيّام (١٣٩) نظرت أُمها الى بدنهـا وقد نَحَلَ فقالت لها : يا ابنتي العزيزة ما هذه الحال التي انتِ فيها ومـا هو وجعكِ لاني اراكِ قد ضعفتِ جدًّا . فامسكتها افيقيا بيدها واخذتها الى مكانٍ خالٍ واخبرتها بجميع ما جرى لها من اوّله الى اخرهِ وانّها حزينة القلب كاسفة البال من اجل زوجها يشوع

فعند ذلك نهضت أُمها ومضت الى سليمان الملـك وكانت كريمةً عندهُ فدخلت اليهِ وحدهُ وقبّلت يدهُ فرحّب بها واكرمها . وقال لهـا : ما هو الداعي لدخولك الينا اليوم ? فقالت لهُ : لي حاجة اليك أيُّها الملك فلي الرجاء انك تقضيها لي . قال سليمان : حبًّا وكرامةً وما هي حاجتكِ . فقالت لهُ : ليعِشْ سيّدي الملـك الى الابد . كان لي كرمٌ لـطيف عزيز عليّ فسلّمتُهُ الى كرّام يفلحهُ وكنتُ اتسلّى بالله اوّلًا (١٤٠) ثم بهذا الكرم . فمكث الكرّام يقاسمني ثمر الكرم فوثقتُ بهِ انهُ لا يُضيع كرمي . وها قد مرَّ عليهِ سنتان وهو لم يفتقدهُ فمضيت اليوم لأنظرهُ فوجدتهُ قد خرب وتلف وبقي بورًا فارغًا . وها انا استجير بك يا سيّدي لتحكم بيني وبين هذا الكرّام الذي أفسد عليّ كرمي العزيز

فقال لها سليمان الملك : وما الذي دهاكِ حتى تهاونتِ بافتقاد الكرم الى الآن . ولماذا لم تفتقديهِ قبل اليوم . قالت لهُ : يا سيّدي امتنعتُ عن ذلك لعلمي انَّ الكرّام رجلٌ امين تقيّ فلم اشأ ان ازعجهُ

وكان سليمان قد ادرك معنى كلامها فارسل لـلوقت واحضر وزيرهُ يشوع الى امامهِ . فلمّا دخل وجد حماتهُ جالسةً عند الملـك سليمان فاجلسهُ بجانبهِ وقال لهُ : يا عزيزي وابني الحكيم كيف (١٤١) تترك لهذه المرأة حجّةً عليك مع كثرة عقلك ومعرفتك . ثمَّ التفت الى حماة يشوع وقال لها ان تُعيد كلامها قدّام وزيرهِ . فسكتت ولم تفهْ بكلمةٍ واحدة

فقال سليمان ليشوع : ماذا تقول انت في غلّة هذه المرأة وكرمها . فعلم يشوع ما الذي كان منها وما الذي قالت للملك فقال : نعم يا سيّدي كلُّ مـا قالتهُ هذه المرأة هو حقٌّ وصدقٌ . غير اني أيُّها السيد العزيز لم أفتر ولم اتهاون في امر هـذا الكرم بكل جميل وكلّ حُسنى الى اليوم الذي ارسلني سيّدي الملك الى ملك الموصل . فلمّا

كان آن رجوعي اتيتُ لأفتقد الكرم اذ رأيتُ فيهِ آثار اسدٍ عظيم من داخل الباب فارتعدت فرائصي وفزعتُ فرجعتُ الى ورائي خوفاً من الاسد لئـلّا يهلكني فمن ذلك اليوم ما بقيتُ اجسر (١٤٢) ان ادخل الى الكرم غير اني لم أتهاون في كرامته كما يليق لهُ

فلمَّا سمع سليمان ما اتى بهِ يشوع من الخطاب علم انهُ رأى شيئاً من آثاره وانهُ لم يدخل هناك غيرهُ فالتفت اليهِ وقـال له : بحقِّ تكلّمتَ يا ابن سيراخ انَّ الاسد دخل الى الكرم ولكن اسمع حتى اكلّمك يا يشوع ٠حيٌّ هو الربّ الـه اسرائيل اله ابرهيم واسحاق ويعقوب وموسى وهارون الرب العظيم وحدهُ الـذي لا اله غيرهُ الذي يعلم الضمائر والاسرار المطّلع علينا هو الآن العالم بما كان وما يكون السامع بما أقسمُ بهِ انَّ الاسد ما فسد ولم يكن منهُ شيءٌ قبيح سوى كلامٍ منظَّم بالحكمـة وربحٍ لنفس سامعيهِ ٠ فالآن يا ابني قم بفرح عظيم وقلب نقيّ وسرور كامـل وادخل الى كرمك (١٤٣) ووقّرهُ كما يليق لكرامتهِ لأن كرامتهُ عظيمة عنـد الله والناس قدّام الربّ الصباؤوت

فقام يشوع للوقت وقبَّل يد سليمان الملك واخذ حماتهُ ومضى الى بيتهِ وهو فرحان ودخل الى عند امرأتهِ ٠فأتت وقبَّلت يده فامرها ان تجلس بجانبهِ فجلست واخبرتهُ بالحكاية كلها من اوَّلها الى آخرها ٠ فشكر الله تعالى الذي حرس نفس خائفيهِ الذي لهُ العظمة والوقار الى ابد الابدين ودهر الداهرين امين

تمَّت قصَّة افيقيا زوجة يشوع بن سيراخ والحمد لله دائماً وحدهُ امين

---

# المذهب الدرويني واصل الانسان

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعيّ (تتمَّة)

## الجواب على بعض اعتراضات الدروينيين

### اولاً التشابه بين الانواع القريبة

﴿ اعتراض اوَّل ﴾ يقول الدروينيُّون انَّنا اذا نظمنا انواع الحيوانات الحاضرة

تدريجاً على حسب تشابه البعض منها بالبعض الآخر يتأثر النظر لقلّة ما بينها من الفرق فيحكم الناظر بتحوُّلها وترقّيها من نوع الى آخر

﴿ الجواب ﴾ لسنا لننكر هذا التشابه الظاهر بين نوع وآخر في الجنس الواحد. لا بل لا تخلو الاجناس من التشابه بين بعضها في الرتبة الواحدة. ولو اقتصر الناظر الى هذا الشبه المادّي لعلّهُ يحكم ببعض النشوء المعتدل كما يرضى به اليوم بعض العلماء مع منافاتهم للمذهب الدرويني وآرائهِ في الاختيار الطبيعي والتوافق الحيويّ وتناسل الانسان من الحيوان

لكنَّ اكتشاف العاديَّات القديمة لم تثبت هذا النشوء مهما رقينا سلّم الاجيال. فانَّ علماء طبقات الارض القديمة وجدوا في التربة الواحدة هياكل الكلب والذئب وابن آوى مختلطةً وذلك منذ الاعصار الاولى التي ظهرت فيها تلك الحيوانات المتشابهة دون شيء يثبت اشتقاق بعضها من بعض او تحوُّل انواعها

ولا يكفي لإثبات مذهب النشوء الحكم بتشابه الانواع في صورتها الظاهرة او في اعضائها الباطنة المكشوفة بالتشريح. بل يلزم ايضاً اعتبار اخلاقها وعاداتها وغرائزها الخاصّة. ومن ثمَّ قد خُدع الدروينيّون اذ بنوا حكمهم لبيان رأيهم على هذه الاشكال المتناسقة التي تُنظَم في المتاحف. فليس هذا برهان مقنع وكثيراً ما ينخدع الناس بهذه الاشباه فانَّ اهل الشرق يعدُّون مثلًا الارنب والخُزز كنوع واحد وانَّما يجعلون الارنب حيواناً اهليًّا والخُزَز بريًّا. وليس الامر كما يزعمون لاختلاف غرائزهما فانَّ الارنب يمكن نقلهُ من الوحشيَّة الى الدجونة وليس الخُزَز كذلك — ثم ان اعتبرت الدِبَبة وجدت اكثر اصنافها تقتات باللحوم. ومنها نوع طعامهُ العشب — كذلك دوابّ الحقول الصغرى كالفئران والجرذان التي هي آفة على الغلّات فانَّ منها نوعاً لا يمسُّ الحبوب يدعى موسارين (musaraigne) قوتهُ الحشرات فهو نافع لا بأس منهُ

ثمَّ لا بُدَّ للنواميس التي يدَّعي الدروينيّون بصحّتها في ذوي الفقرات ان تصحّ ايضاً في الحشرات. وان اعتبرنا هذه الحشرات قامت في وجه الدروينيين عقباتٌ لا يمكنهم قطعها. فانَّ هناك اشكالًا مجنّحة كالذباب والفراش وذوات الاربعة الأجنحة الجلديَّة الخ وكلّها يصيبها على اختلاف انواعها تحوّلات شتّى فالبيضة تخرج منها دودة

ثمّ تتحوَّل الدودة الى جيز ثمّ بعد ازمنة محدودة لكل نوع الى حشرة تامّة البنية .
فمن يستطيع ان يدلّ على ازمنة هذه التطوُّرات التي منها تنتج على قول دروين
الانواع الجديدة ؟ وهل يكون التأثير الحاصل في الدودة موثّرًا ايضاً في فراشتها ؟
وهل يكون ذلك كلّهُ مفعول الطبيعة العمياء جارياً على سبيل الصدفة . فهيهات ان
ينتج عن كل ذلك كائنات منظَّمة ما لم يتولَّ عقلٌ سامٍ تدبيرها في تلك الاطوار
لاسيَّما ان كلّ تحوُّل يحدث في كيانها كفراشة يجب ان يؤثّر في غريزتها كدودةٍ .
انَّ من الواجب على مذهب النشوء والتحوُّل ان يبيّن سبب الاختلاف الواقع في وهم
هذه الدودة الغائصة في الزبل وتلك الذبابة ذات الاجنحة الملوَّنة بازهى الالوان وكلاهما
حيوان واحد في اطوار مختلفة من حياتهما . وكذلك يجب عليهِ ان يُعلّل وجود
دودةٍ مُشعرة تسير في العشب ثمَّ تصبح جيزةً في فيلجة ثم طائرًا تزين اجنحتهُ نقوشٌ
هندسيَّة كما تزين ذوي جنسهِ بأجمعهم والحيوان باقٍ في كيانه الوحيد رغماً عن
اطوارهِ الثلثة افليس لهُ في كلّ حالةٍ من احوالهِ اوهام توثّر في تطوُّرهِ المثلَّث ؟

ان درس الحيوانات عالمٌ جديد لم يمعن دروين فيهِ النظر لتطبيق احوالهِ مع
مزاعمهِ فلو كان فعل لعرف انَّ مذهبهُ لا يقوم لهُ قائم . والذي فتح للعلم هذا العالم
الجديد منذ نحو خمسين سنة فقط هو عالم فرنسوي يُدعى فابر (Fabre) دعوهُ بهوميروس
الحشرات فانَّهُ بيَّن ان بين الحشرات المتشابهة الصورة والبنية وذات الانواع المتقاربة
في الجنس الواحد غرائز واوهاماً غاية في الاختلاف . فبعضها تتَّخذ لها عشًّا من الشمع
وبعضها من راتينج الشجر . هذه تجعل في عشٍّ لصغارها قطناً وتلك اوراقاً يابسة او
معجوناً من النبات تحوّلهُ الى شبه الورق . وغيرها تعجن بلُعابها تراباً فتجعلهُ عشًّا .
ومنها من يكتفي بحفرةٍ في الارض او بنُخروبٍ في الشجر . وكذا قُلْ عن طرائق
الحشرات في تغذية صغارها فالواحدة تهيّئ لنسلها غذاء من النبات العسليّ تجعلهُ في
حُقّةٍ مختومة ملصقة بالبيضة . والاخرى كالنحلة الاهليَّة تغذي صغارها يوماً بعد يوم .
هذه تقدّم لها طعاماً من لحم الهوامّ المخدَّرة وتجعلهُ داخل البيضة وتلك تصيد لها كلّ
يوم طعامها وهلم جرًّا فليس نوع منها الَّا يجري على منوالٍ خاصّ لبناء عشّهِ ولغذاء
صغارهِ ولصيد فرائسه الخ

أفيستطيع الدروينيُّون ان يبنوا رأيهم في وحدة اصل بعض هذه الحشرات على

ما يرونهُ من الشبه الظاهر في صورتها حتَّى ولوكانت من جنس واحد كالنحل مثلًا ؟ فكيف يسهون عن هذه الاختلافات التي عدّدناها في كلّ صنفٍ منها وغيرها ايضاً سبق لنا وصفها ولاسيَّما انَّ عددًا عديدًا من صغار هذه الحشرات لا تخرج من بيضها الَّا بعد موت الوالدين كما انَّ العلماء تحقَّقوا انَّ تلك الطباع الموصوفة هي ثابتة في الحشرات لا يصيبها اختلاف البتَّة . وكلّ ذلك لَمَّا ينسف مدَّعيات الدورينيين نسفاً ويخالف ما يزعمونهُ من ترقي الانواع سابقاً حتَّى بلغت الى حالتها اليوم من الكمال ثمَّ حاضرًا لتترقَّى وتتحوَّل الى ما هو افضل واكمل

وان اعترض الدروينيُّون انَّ هذا التحوُّل يصير بعد اجيال عديدة . اجبناهم ان الحفريَّات الجيولوجيَّة لم تهدنا الى هذه التحوُّلات فالحيوان اليوم كما ظهرت هيا كلهُ قبل الوف من السنين . وزد عليهِ انَّ الحشرات تتناسل مرَّة واكثر في كلّ سنة فكيف لا نجد بعد الوفٍ من السنين في صورتها كلًا جديدًا يدَّعيه الدروينيُّون . بل ترى العنكبوت تنسج لُحمتها وسداها اليوم كما كانت تفعل في عهد ارسطاطاليس وتمجّ النحلة شمعها وعسلها كما كانت تفعل في زمن سليمان الملك . فيتَّضح ان هذه الانواع كانت في ذاك العهد السحيق ثابتة لم يصبها اختلاف البتَّة . قال العلَّامة هير ( O. Heer ) : « انَّ الثبات العجيب الذي نجدهُ ليس في بنية الحيوانات فقط بل في أوْهامها الغريزيَّة لَمِن اوضح الادلّة المبطلة للمذهب الدرويني في النشوء والتحوُّل لأنَّ بهِ نعلم انَّ تلك الاوهام ليست نتيجة التقليد والاحتذاء بل هي مجبولة في طبيعتها بيد خالقها . فلو كانت تلك الاوهام ثمرة تربيتها على ما يزعم دروين لكانت قابلة للترقي والكمال ولاسيَّما في الحشرات القصيرة العمر العجيبة الاوهام الكثيرة التطوُّرات في كيانها »

والحقّ يقال انَّ ثبات الاوهام في هذه الهوامّ اوضح وارسخ منهُ في ذوات الفقرات لأن تلك الاوهام متوفِّرة فيها ومع وفرتها تجدها باقية على حالها دون ادنى ترقٍ وتحوُّل

قد سبق لنا في مقالتنا «الحشرات الجرَّاحة » (المشرق ١٨[١٩٢٠]: ٣٥٩-٣٦٦) وصف عدَّة حشرات تظهر من الاعمال الغريزيَّة العجيبة لإعداد غذاء صغارها ما يحيّر العقول وذكرنا هناك صيد الهامَّة المدعوة سكولي (Scolie) لدود حشرة اخرى تدعى

سِتْوان (Cétoine) فاذا وجدتها في الارض وتحت نفايات الاعشاب انتزعتها وألصقت بيضةً من بيضها على دودةٍ واحدة بعد ان خدَّرتها دون قتلها حتَّى اذا حان وقت تفقيص البيضة خرج منها الصغير ووجد طعامهُ مهيَّئاً فيأكلهُ طريئاً ولئلَّا تموت الدودة سريعاً يبتدئ بالاعضاء الثانويَّة فيلتهمها تدريجاً ثم ينتهي بعد ايَّام باكل الاعصاب الحيويَّة. فكم في هذه الاوهام الغريزيَّة من الاعمال العجيبة التي تنفي كلَّ مدَّعيات الدروينيّين :

١ً ترى اوَّلًا هذه الدودة في بدء حياتها حاصلةً على اوهام كاملة تستعين بها لاكل غذاء مخصوص ملائم لها

٢ً ترى ثانياً انَّ اوهام هذه الدودة اذا تحوَّلت الى فراشةٍ تتغيَّر وتختلف دون علم سابق فتنبش التراب وتستخرج من عمقهِ دودًا من جنس حشرات معلومة لتلصق بدودة منها بيضها وكأنها تعلم انَّ تلك الدودة تؤذي صغيرها عند نقفهِ بيضتهُ تخدّرها وتبنّجها دون ان تقتلها فلو قتلتْها يبس لحمُها فلا يستطيع الصغير ان يغتذي بها

٣ً ثم ترى الكمال في وهم الصغير منذ اوَّل حياتهِ بحيث يعلم من اين يباشر الأكل من صيدهِ لئلَّا تقضي الدودة سريعاً فيفقد غذاءهُ ويموت هو ايضاً لا محالة اذ ليس لهُ غذاء سواها

٤ً ثم اعتبر الحشرة الأمَّ التي تعدّ الطعام لصغيرهِ وهي تموت قبل ان تراهُ فتلقّنهُ اعمالهُ لطريقة غذائهِ وترشدهُ الى بقيَّة التصرُّف في حياتهِ

فكل هذه الاعتبارات التي تفند المذهب الدرويني من اصلهِ ليست خاصَّة بهامَّةٍ واحدة بل بهوامَّ عديدة ولكلٍّ منها اوهامهُ النوعيَّة لا يحيد عنها مطلقاً وليس ادنى دليل على تحوُّلها وترقّيها. لا وايمُ الحقّ لا يستطيع الدروينيُّون ان يأتوا بشرح معقول لبيان هذه الاوهام المتعدّدة في كلّ نوع من الحشرات مع ثباتها عليها. ومن ثمَّ قام المسيو فابر مفنّدًا لآراء دروين ومثبتاً انها آراء سخيفة مضحكة. وكفى بحكم هذا النابغة برهاناً على بطلان مذهب النشوء والتحوُّل. ومن ثمَّ قد رمى دروين الكلام على عواهنهِ اذ خصَّص في كتابهِ عن اصل الانسان نيّفاً و ٤٠٠ صفحة ليبيّن ما يوجد من الاختلافات العرضيَّة نتيجة الاختيار النسلي في قرون ذوات الاثدي وفي لون ريش الطيور واجنحة الفراشات ليستدلّ بذلك على انَّهُ يمكن القول ايضاً بتناسل

الانسان من القرد . لأنَّ اختلاف الوان الاجنحة وصورة القرون او طولها وغير ذلك من التشابهات العرضيَّة ليست اموراً جوهريَّة في بيان استقلال انواعها . وانما الاصل في ذلك ان يبيّن خواصّ اوهامها . فتلك طباعٌ ثابتة لا تتحوَّل على الاطلاق . واذا ثبتت هذه الاوهام بطلت ايضاً حجَّة الدروينيين المستندين في زعمهم على التشابه الظاهر

## ثانياً الحاجة تنتج الآلة

﴿ الاعتراض الثاني ﴾ يقول الدروينيُّون انهُ قد ثبت انَّ بعض اعضاء الحيوان قد ضعفت وشلَّت لعدم استعمالها كما انَّ اجهزةً اخرى على خلاف الامر تقوى وتشتدّ بالعمل والتمرين فيجوز اذن القول بانَّ الحاجة تُنتج الاجهزة والاعضاء

( الجواب ) قد سبق لنا ايضاح هذا المبدأ الذي يتشبَّث بهِ الدروينيُّون اذ يزعمون انَّ الحيوانات من ذوات الاثدي والزحَّافات والطيور كانت عند مقتضى الحاجة تنتج لها اعضاء جديدة لتقوم بحاجات حياتها وقد ضربنا لهم في ذلك امثالاً شتَّى ( اطلب الصفحات ٦٦١—٦٦٢ ) وكان بوسعنا ان نضيف اليها امثلةً اخرى مضحكة كسعة عيون البوم لترى في الظلمة وكسَنام البعير ليستطيع حمل الاثقال وكالجلدة بين اصابع الطيور المائيَّة لتسبح في المياه وكطول مناقير طيور الهواء لثقب الشجر او صيد الفرائس وكلّ ذلك على قول الدروينيين انَّما نشأ في الحيوان عند احتياجهِ الى تلك الاعضاء بقوَّة عمياء كانت فيهِ في سالف الاعصار وهي اليوم قد بطلت

ونحن لا ننكر انَّ الاعضاء العاملة تقوى بالشغل والتمرين وانَّ الاعضاء الباطلة تضعف . ألا ترى مثلاً انَّ قوَّة السمع في الضرير الاعمى اشدُّ واقوى فتقوم لهُ مقام عيونهِ . وكذلك حاسَّة اللمس فيهِ ادقّ وألطف . ومثلهُ الموسيقي الذي يضرب بالبيانو والبَهلوان الراقص على الحبال فكلاهما يبلغ الى حذاقة غريبة ذاك في تحريك اصابعهِ وهذا في توازن حركاتهِ . ونسلّم ايضاً للدروينيين انَّ اجنحة الطيور تقوى بالطيران وانَّ الطيور الاهليَّة كالوزّ والدجاج وديك الحبش والنعامة لا تستطيع الطيران لعدم تمرُّنها عليه منذ اوَّل نشأتها . ولكن لا صحَّة لقول دروين انَّ هذه الطيور فقدت قوَّة الطيران لعدم استعمالها وكان استعمالها مفيداً لها لكنَّها اذ وجدت في اعضائها ثقلاً واجهزةً غير مناسبة للطيران كفَّت عنهُ

ونوافق هكل على قوله انَّ حاسَّة البصر وغير ذلك من الحواس تزيد كمالاً في الطبقات الحيوانيَّة على قدر ما ترتقي من جنسٍ الى آخر ولكن أينتج عن ذلك كما يزعم هكل انَّ تلك الحاسَّة اللطيفة المركَّبة من اجزاء دقيقة الموجَّهة لنظر المرئيَّات الخارجة هي مفعول الصدفة او نتيجة سياق أعراضٍ متعددة وقعت اتفاقاً دون عقل ازليّ تولَّى صنعها ؟ لا لعمري

وقس عليهِ ما يزعمهُ الدروينيُّون عن أذناب الحيوانات وغير ذلك من أجهزتها فانَّ ما يأتون بهِ من التعليل لوجودها في الحيوان اي حاجتهُ اليها مع الانتخاب الطبيعي كلُّهُ حدسٌ باطل لا صحَّة لهُ اذ يجعلون للحيوان ادراكاً سابقاً وغاية بعيدة يرمي اليها منذ عدَّة اجيال . وفي كلّ هذه المزاعم من الغرابة والتخيُّلات ما لا يخفى

فيا لله ليس احد من الدروينيّين يجسر ان يقول بانَّ آلةً ما بخاريَّة تتركَّب دون ان يعالجها هندسيّ صنائعيّ ماهر يحكم صُنع كلّ جزء منها ثمَّ يضمُّها الى بعضها ويجهّزها للغاية التي يتوخاها . فكيف يستطيعون ان ينسبوا الى الصدفة والاتّفاق أجهزةَ الحيوان مع انَّ كلّ جزء من اجزائها يستوجب نظرًا خاصًا لما فيهِ من دقَّة الصنع وتباين الاجزاء . وليس الكلام عن جهاز واحد لبعض الحيوانات بل عن أجهزة كلّ الحيوانات المنبثَّة على الارض . فلا نُدحة اذن لمشايعي دروين ان يعترفوا بوجود كائن اسمى واعظم يتولى تدبير كلّ هذه الطوارئ . امَّا نسبة حدوثها الى الحاجة فلا يفي بالمرام . أفليس من حاجة يا ترى للانسان ان يرى في الظلمة كالبوم فما لهُ لم يحصل على هذه الحاجة ؟ . او ليس عدَّة دوابّ في حاجة الى سنام مثل الجمل لتحمل اثقالها فما السبب انَّها حُرمت ذلك الجهاز فأُعطي للجمل دونها ؟

وكذا قل عمَّا يخترعهُ الدروينيُّون لتعليل ما يجدونهُ في كلّ صنفٍ من الاجهزة الخاصَّة للقيام بامور معاشه والدفاع عن نفسهِ فانَّ تلك التعليلات لا سند لها الَّا في دماغ القائلين بها . لأنَّ مبدأهم انَّ الحاجة تُنتج الآلة لا يصحّ الَّا بان يُفترض للحيوان علمٌ سابق بما يسدُّ حاجاتهِ ويرفع بهِ من حالةٍ ادنى الى حالة ارقى فانَّ علماً كهذا يفوق طور الحيوان غير الناطق . وغاية ما يتوق اليهِ هو ان يوافق نوعهُ واوهامهُ الخاصَّة بنوعهِ وما يخرج عن ذلك فلا يخطر لهُ على بال لأنهُ يجهل ما هو خارج عن كيانهِ ومن ثمَّ يسقط قول دروين بانَّ الحاجة تنتج الآلة

## ثالثاً التنازع للبقاء

( الاعتراض الثـالث ) قد جعل دروين تنازع الحيوانات لحفظ بقائهـا كاحد عوامل مذهبهِ وكسبب اختلاف الانواع وتوفُّرها . فعلى قولهِ ان الافراد الحاصلة على افضل الخواصّ هي التي تثبت وتنمو فيترقى كلٌّ منها مماثلاً للصفة الغالبة عليهِ

( الجواب) يعرض العلماء امر التنازع للبقاء على خلاف ما يرويهِ دروين فانهم ينكرون عليهِ ما يدّعيهِ بان هذا التنازع يُنتج انواعاً جديدة من السلالة الواحدة وانما يجعل تلك السلالة على سَوَاء فقط بإلغاء الافراد الضعيفة الضئيلة وصيانة القويَّة منها كما يجري في الانتخاب الصناعيّ اذ يختار الانسان المواليد القويَّة ليحصل على افضل منها قوَّةً وشكلاً . امَّا حصول الانواع الجديدة بهذا التنازع فمن اضغاث الاحلام

لا بل انَّ من يعتبر الحفريَّات الجيولوجيَّة وما وُجد فيها من هياكل الحيوانات القديمة وقابلها مع الحيوانات الجديدة التي من جنسها وجد الانواع الحديثة ادنى جنساً واصغر حجماً واخفّ قوَّة من الانواع الاصليَّة التي ظهرت في اوّل العالم وذلك على عكس المذهب الدرويني . مثالهُ جنس الفيَلة (Proboscidiens) التي فُقدت ولم يبقَ منها حاضراً الّا الفيل الهندي الحالي وهو دون الانواع السابقة كبراً وقوةً . وكذلك الطيور فان ما وُجد من هياكلها القديمة يدهش العقل بكبرهِ واشكالهِ وصورهِ . والطيور الحاليَّة بالنسبة اليها كالأقزام بازاء الجبابرة . وقس عليها الزحَّافات القديمة التي كانت كالتنانين يستر بطونها قشور عظميَّة على خـلاف الزحَّافات الحاضرة التي تخلو صدورها من ذاك الدرع فهي ادنى جنساً من السابقة . ومن الزحَّافات القديمة ما كان مجنَّحاً يستطيع الطيران ولم يبقَ لنا منها اثرٌ حيّ بل آثار مستحجرة في اعماق الارض

وما نقولهُ عن الحيوان الكبير يصحُّ ايضاً في الهوامّ والحشرات التي كانت في اول ظهورها كاملة الصورة اكبر حجماً من الانواع المعروفة في عهدنا

ويجوز اطلاق هذا القياس على نباتات اطوار العالم الاولى فان ما وُجد من انواعها في اعماق الارض كالخنشار والنبات المخروط الشكل كلُّها غـاية في العظم والنموّ والتشعُّب تفوق الانواع الحاليَّة فوقاً كبيراً . فترى ان الآراء الدرويئيَّة من هذا القبيل ايضاً لا سند لها ينفيها علم طبقات الارض والعاديَّات الجيولوجيَّة

## رابعاً مفعول الوسط

( الاعتراض الرابع ) يستند الدروينيُّون لاثبات مذهبهم الى التأثير الحاصل في ألوان عدّة حيوانات بعامل الوَسط

( الجواب ) ان مفعول الوسط في تلوين بعض الحيوانات التي تعيش في اراضٍ كَمِدة اللون مغبرّة ربَّما اثّر في لونها الرماديّ الأَغبر . كذلك الدَّببة والارانب الساكنة في جهات القطب حيث الثلوج الغرّاء هي بيضاء اللون . ويشبه الاسد الافريقي لون الصحاري التي يعيش فيها والارنب لون الاسيجة التي يسكنها والسَّلوى والحجل لون الصخور والصرائف اليابسة التي يأوِيان اليها . وبعض الحشرات تتلوَّن بلون الاعشاب التي تألفها . ومن الفراشات ما تشبه اجنحتها في تقاطيعها المرمريَّة قشرَ بعض الاشجار التي تألفها

فيصرخ الدروينيُّون ان هذا من عجائب طباع الحيوان الذي يلتجئ الى هذه الالوان ليصون بها نفسهُ من عدوّهِ . وذلك من دلائل فهمهِ

قلنا ان هنا ايضاً يجب الانكار على دروين وإبطال ما يستنتجهُ من النتائج الباطلة التي لا تثبتها المقدَّمات . فانَّنا مع اقرارنا بمفعول الوسط في تلوين بعض الحيوانات لا نسلّم لهُ بالنتيجة التي يستنتجها من ذلك . لان هذا المفعول المذكور ليس بالمطلق فكم من الحيوانات التي تخالف الوانُها الوان الامكنة التي تعيش فيها . وكم نعرف من الحشرات والحيوانات التي تخالف الوانها الوان الوسط فتزدهي بألوان شتَّى تعرّضها لسهام اعدائها . فاين فهمُها المزعوم اما كان يجب عليها ان تحذو حذو رصفائها من الحيوان؟ . فان كان الدبّ والارنب يتلوّنان بالبياض تشابهاً بالثلج في جهات القطب فانّ هناك حيوانات اخرى سوداء اللون وشهباء الخ . فتعميم دروين لهذا المبدأ يناقض مذهبهُ كما انهُ مخدوع برأيهِ اذ يزعم ان تلوُّن بعض الحيوانات على شبه الوسط انَّما عمدت اليهِ قصدًا لرغبتها في التستُّر من اعدائها . فان الحيوانات الصيَّادة كالكلب وغيرهِ اذا حاولت صيد حيوانٍ لا تسعى الى اصطيادهِ بالنظر الى لونهِ بل باستنشاقها رائحتهُ لدقّة هذه الحاسّة في الحيوانات الصيَّادة اذ تستنشق من بعيد رائحة عدوّها فتثب عليهِ مدفوعةً اليهِ بشمّها

## خامساً التشابه بين الانسان والقرد

( الاعتراض الخامس ) انَّ بين الانسان والقرد وجوهاً من التشابه لا يمكن انكارها

( الجواب ) هذا التشابه انَّما هو في الشكل الخارجيّ ولا يدلُّ على شيء ممَّا يزعمهُ الدروينيُّون . فانَّ الله اذ ابدع انواعاً مختلفة من ذوات الفقرات خصَّ كلاً منها بخواصَّ شتَّى مع حفظهِ على وحدة الرسم الذي توخَّاهُ وقد اراد ان يجعل الانسان كخاتمة تلك الطبقات المتباينة

ثمَّ فليعتبر الدروينيون القرد والانسان من كثب فكم بينهما من الاختلافات تظهر ليس فقط في ادبيَّات الجنسين ولكن حتَّى في تركيبهما الظاهر . انَّ القرد كما هو معلوم قد طُبع على تسلُّق الاشجار وكل بنية جسدهِ موافقة لهذه الغاية . يخالف القرد الحيوانات ذوات الاربع والانسان معاً بجوارحهِ الاربعة التي هي اربع ايدٍ (quadrimane) لهُ اربع اذرُع بالغة الطول واربع ايادٍ الابهامُ فيها مقابلٌ لجميع الاصابع . هذا فضلًا عن ذنبهِ الطويل الذي يستطيع ان يقبض بهِ على الاغصان فهولهُ بمثابة يدٍ خامسة . ثم لا ينتصب القرد في مشيهِ الَّا مرغوماً فان طبيعتهُ كطبيعة الكلب ان يدبَّ على اربع قوائمهِ ما لم يمرّنهُ صاحبهُ على نصب قامتهِ . فاذا أُهمل الى غريزتهِ أقعى في جلوسهِ

والانسان على خلاف ذلك فان بنيتهُ تستدعي انتصابهُ . وقد خصَّهُ الله بين كل حيوانات خليقتهِ بهذه المنحة اعني قيامهُ منتصباً وهذه الهيئة يحصل عليها ليس فقط من تركيب صورة رجليهِ ولكن من قوام كلّ هيكل جسمهِ . وما قولنا عن دماغهِ وعن زاوية وجهه الخ

ولاجل هذه الاختلافات العديدة بين الانسان والقرد لم يشأ الدروينيون ان يقولوا بتناسل الانسان رأساً من القرد وانَّما وضعوا بينهما حلقات عديدة متوسّطة لا يزالون يبحثون عنها كما روت مجلَّة الهلال في عددها الاخير في مقالة عنوانها «الحلقة المفقودة» ذكرت تألُّف لجنة اميركيَّة سافرت الى جهات الصين لتبحث عنها (كذا والجنون فنون! )

وما قولنا الآن عن الاختلافات الادبيَّة بين الانسان والقرد التي يعجز عن

شرحها مشايعو مذهب النشوء والتحوُّل . انَّ الانسان يتكلَّم وينطق ويفتكر ويبرهن عن آرائهِ منطقياً ويعمل وفقاً لغاية يقصدها . الانسان متديّن مائل الى الآداب الحسنى قابل الكمال . نظرهُ تبسُّمهُ ضحكهُ كلُّ حركاتهِ تشهد على عقلهِ . امَّا القرد فلا نُطق لهُ ولا فهم ولا دين ولا ادب ولا ضمير . هل عرض لاحد من الناس ان ينسب خطيئة او اثماً ما الى القرد ؟ وقد اثبتنا سابقاً ما رواهُ الاسقف السيد لوروا اذ كان مرسلًا عند برابرة الكنغو فأوقد معهم نارًا للاستدفاء فرأى قردًا بعد ابتعادهم جاء ليستدفئ واذ تعجَّب من فعلهِ قال لهُ اولئك الهمج : يأتي القردة اذا رأوا نارًا موقدة فيتدفأون عندها لكنهم لم يستطيعوا ابدًا انَّ يوقدوا نارًا ولا ان يحثُّوها لئلَّا تنطفئ

وكذلك اخبر ما شاهد عند اولئك البرابرة من الافراح في اعراسهم كما تجري في كلّ اقطار العالم . فمن سمع يا ترى بمواسم فرح للقردة ؟

وكفى لتفنيد هذا المذهب الباطل انَّ هكّل لم يَنضوِ اليهِ ولم يقل بالتحوُّل والنشوء الَّا ليتَّخذهُ كوسيلة لنكران وجود الله وخلقهِ للعالم . فلا عجب انهُ اعتبر الانسان متناسلًا من الحيوان خالياً من نفسٍ روحانيَّة . وعلى مثالهِ يكون من يرتأي رأي المادّيين فيزعم انَّ الانسان من القرد فانهُ بقولهِ هذا ينفي (اوَّلًا) وجود الله . ينكر (ثانياً) روحانيَّة النفس وخلودها فتموت بعد الجسد . ومن ثمَّ يجب القول (ثالثاً) بعدم وجود ابديَّة وكل ثواب في السماء وعقاب في الجحيم . ثم ينتج (رابعاً) ان لا فائدة من الآداب ولا فرق بين الخير والشرّ ولا بأس ان يسرق الانسان ويقتل ويزني اذا امكنهُ الفرار من العدل البشري . واخيرًا (خامساً) ينتج ان الحقّ في العالم لصاحب القوَّة فردًا كان او امَّةً . وانهُ ليس قاعدة في العالم سوى الصالح الشخصي عدلًا كان او جورًا

فكل هذه النتائج التي يمجُّها العقل الصائب فضلًا عن اهل الدين والتقى تتصل بقول هكّل وانصارهِ اتّصال الثمرة بشجرتها ونتيجة القياس بمقدَّماتهِ . وفي كتب الفلسفة يزيّفها العلماء بالادلَّة القاطعة فنحيل اليها القرَّاء وانَّما نكتفي بالمقابلة بين الطفل الصغير وبين مواليد الحيوانات لترى ما بينهما من الفرق . فانَّ ابن الانسان يولد وينشأ ويكاد يبلغ الرشاد وهو لا يعرف شيئاً . على خلاف مواليد الحيوان فانها منذ اوَّل ولادتها حاصلة على كمال العلم الغريزي ورثتهُ من الابوين دون تلقين ولا عناء

فانَّ الطائر يعرف بناء عشهِ بكل اتقان. تعرف النحلة ان تجني الزهور وتعمل الشمع والعسل. لبعض الحشرات قوَّةُ الإنارة فتبعث من جسمها نورًا مشعًّا بعضُها في قعر البحر وبعضها في الهواء. تستطيع بعض الاسماك ان تطلق من جسمها طلَقات كهربائيَّة تقوى على قتل رأس خيل . وكلّ ذلك يعلم بهِ الحيوان دون علم سابق او تلقين من الابوَين . وانَّما هو كخلقةٍ يرثها الابناء عن الجدود دون توسط . وهيهات ان نجد شيئاً من ذلك في الانسان فلا نرى نجّارًا او بنّاء او مهندساً او حائكاً يورث ابنَهُ عند مولدهِ علم النجارة او البناء او الهندسة او الحياكة مع ان مذهب دروين يستلزم هذه الوراثة لأن الانسان على رأيهِ يجمع في شخصهِ كلّ خواص الحيوانات اجدادهِ . وعلى عكس ذلك اذا كبر الولد تراهُ قادرًا على ان يتعلَّم كلّ العلوم بينما يبقى الحيوان على علمهِ الغريزي الموروث لا يزيد عليهِ ذرَّة

بين النقوش التي تزيّن احد ابراج كنيسة بُورج الكاتدرائيَّة في فرنسة صورةُ امرأة تمثّل الجنون. امامها قردٌ تسعى بان تعلّمه القراءة فهي تصرخ بملء فيها وتُظهر قنوطها من بلوغ أربها. فهذا الجنون الذي اخرج اولئك المهندسون صورتهُ على هذا المثال نجدهُ اليوم بعد ثلثمائة سنة في مشايعي دروين الذين يفرغون المجهود في رفع شان القرود ولولا كرامتهم لشبَّهناهم بتلك المرأة المجنونة التي لم يُجدها عناؤها وصراخها نفعاً

## خلاصة مقالاتنا السابقة

ان من تصفَّح ما كتبناهُ حتَّى الآن يمكنهُ ان يستخلص من كلامنا بعض النتائج الآتية : ان في مذهب التحوُّل والنشوء مزاعم شتَّى منها ما هو مخالفٌ تماماً للحقيقة ومنها ما هو حدسٌ وتخمين فلا شيء يقضي على العقل بقبولهِ لا من الايمان ولا من العقل

وقبل كلّ يجب رذل ونفي آراء هكَل المادّيَّة وهو يدَّعي بقدَم العالم وبظهور الحياة على وجه الارض بقوَّة الطبيعة وحدها ليتذرَّع بذلك الى نفي وجود الله ونكران خلود النفس على خلاف ما يرويهِ الوحي ويؤيّدهُ اعتقاد الامم ويبيّنهُ العقل الذي لا يسلّم بوجود معلول لا علّة لهُ . وقد ثبت بطلان قولهِ بالتولُّد الذاتي لتعليل وجود الحياة

بعد ان بيّن باستور انّ الحيّ لا ينتج الّا من حيٍّ سابق · فلم يبقَ بعد ذلك لهكّل سندٌ يسند اليهِ رأيهُ فان استمرّ عليهِ هو وتابعهُ فيهِ بعض الناس فما ذلك الّا ليتحرّروا من ربقة الدين ويستسلموا دون رادع الى اهواء قلوبهم · على خلاف اصحاب الدين والعقلاء فكلّهم يزيّفونهُ

امّا رأي الدروينيين المعتدلين المعتقدين وجود الخالق والقائلين بتطوّر الانواع في الحيوان والنبات لظنّهم ان ذلك يبيّن على وجه افضل ترقّي الكائنات وتسلسلها بعد خروجها الاول من يد الخالق فان ذلك ينفي اضاليل المادّيين لكنّهُ ايضاً زعمٌ وتخمين يردّ الاختبار معظمَ ما يتشبَّث بهِ هؤلاء من الادلّة وهم يفترضون عـدَّة افتراضات ويعتبرونها كحقائق علميَّة راهنة دون ان يثبتوها بالواقع · وهذا ينافي الاساليب العلميَّة

يسلّم دروين بان الله خلق في اوَّل العالم بعض الامثلة الحيوانيَّة او النبـاتيَة ثمَّ اهملها لقوّتها الغريزيَّة التي تمكّنت دون وساطة الخالق او عقلٍ فهيم الى ان تنتج من تلقاء ذاتها انواعاً جديدة حصلت لها في تمادي الاجيال على يد عوامل عمياء اجتمعت صدفةً

وفي هذا القول مع اعتداله نوعاً امورٌ بعيدة عن كلّ صواب اذ ينسب النظـام والترتيب والغايات السابقة لقوّات عميـاء تتآلف وتتوافق لتأتي بغايةٍ لا تستطيـع ادراكها · قال العلّامة الانكليزي الدوق دارجيل (d'Argyll) : « انَّ قول دروين هذا في اتّفاق القوى العمياء لتوليد الانواع يشبه قول من يزعم انَّـهُ يكفي لوضع قصيدة هوميروس (الالياذة) ان يؤخذ مجموعُ حروفها ويُلقى ميكانيكيًّا فتتألف منهُ صدفةً تلك القصيدة بتمامها »

ثمَّ التجأ الدروينيُّون لاثبات رأيهم الى الانتخاب الطبيعيّ زاعمين انَّ بهِ تألّفت في توالي الاجيال كائنات ذات خواصَ جديدة وأجهزة جديـدة تترقّى كمالًا مع توالي الازمنة · وهذا ايضاً من التخيُّلات التي لا تزيدها صدقاً العوامل التي اضافوها اليها كالحاجة ونفوذ الوسط اذ لا يمكن تلك العوامـل ان تؤلّف وتنظّم المفعولات التي يزعمونهـا

وكذلك رأينا انَّ اكتشافات الجيولوجيين وحفريَّات ارباب الطبقـات الارضيَّة والعاديَّات الاثريّة تناقض مدَّعيات المذهب الدرويني اذ يجعل الانواع المختلفة ناجمة

عن بعض الامثلة الاصلية فانَّ اقدم تلك الآثار جامعةٌ للأنواع المتعدّدة دون دلالة على اشتقاق بعضها من بعض وتحوُّلها من انقص الى اكمل سواء بقيت تلك الانواع الى عهدنا ام بادت او استحجرت ثمَّ قام بدلًا منها انواع غيرها ثابتة مثلها . وكذلك النباتات القديمة قد بقي منها مستودعات عظيمة تدلُّ على نموّها مدَّة اجيال متعدّدة وليس هناك اثرٌ للتحوُّل الدرويني المزعوم. وقد طلب الدروينيُّون المعتدلون شرحاً معقولًا لتعليل وفرة الكائنات الآليَّة التي تُرى في جملة المستحجرات فزعموا ان الله عاد غير مرَّة وأبدع امثلةً جديدة لا اثر لها في الاطوار السابقة ومنها اشتقَّت الانواع المستحدثة . وهذا ايضاً قول لم نجد لهُ اساساً في علم العاديَّات كما يقرُّ بهِ الدروينيُّون لا بل تنقضهُ تماماً ويشهد ما اكتُشف من تلك الكائنات في طبقات الارض المختلفة انَّ النبات والحيوان المعاصرَين لتلك الطبقات كانت انواعهما في كمالها ولم يوجد منها نوعٌ واحد يمكن إثبات تحوُّلهِ من نوع الى آخر دون شبهة . امَّا الاختلافات العرضيَّة الموجودة بين الاشكال فليست برهاناً مقنعاً على صحَّة رأي دروين اذ يمكن الانسان بانتخابهِ الصناعيّ ان ينالها بيد انَّها لا تثبت اذا كفَّ العامل الخارجيّ عن مواصلة تأثيرهِ فيها

ثمَّ انَّ ما يوجد من الاختلافات العظيمة في اوهام الحيوانات المتقاربة النوع سواء كانت من ذوات الفقرات او من الحشرات تؤدي للمتمذهبين بمذهب دروين مشاكل جديدة لا يقوون على فكّها . ومثلها قولهم عن تناسل الانسان من الحيوان ولو افترضوا انَّ الله خوَّلهُ نفساً روحانيَّة فانَّهم لم يثبتوهُ بحجَّة مقنعة وينفر عنهُ اليوم كل ذي عقل صائب وذوق سليم اللهمَّ الَّا بعض الدهريّين والمادّيين

فلا عجب بعد هذا ان نرى العلماء الموثوق بهم بعد ان انحازوا مدَّةً الى الرأي الدروينيّ عدلوا عنهُ واهملوهُ وقد شهد احد اساطين العلوم الجيولوجيَّة المأسوف عليهِ المسيو دي لاپاران (Mr de Lapparent) على انقلاب اولئك العلماء عن رأيهم بقولهِ : « انَّهُ من العجب العجاب كيف ارتدَّ العلماء الحاليُّون عن مذهب النشوء والتحوُّل بعد ان اصاب عندهم حظوةً . فتراهم اليوم يكادون يقرُّون بتكوين الانواع على التتابع وينكرون على دروين تحوُّل الانواع وترقّيها وانَّما يجعلون تلك انواع متوازيةً مهما رقوا في سلَّم الدهور » وكذلك ورد في مجلَّة الابحاث العلميَّة - Revue des Questions Scientifiques, t. XVIII, Janvier) عدَّة شواهد من اقوال العلماء

تعلن سقوط المذهب الدرويني كقول الواحد : « ان المذهب الدرويني قد مات منذ زمن مديد في اعين العلماء المتنوّرين » . وكقول الآخر : « قد أفلس المذهب الدرويني فلم يَعُدْ يوثق بهِ كمذهب عمومي نظري » ويقول ثالث : لا يمكن اعتبار مذهب دروين البتَّة كمذهب علميّ » وهذه الاقوال يتَّفق في اعلانها علماء كاثوليك وغير كاثوليك فلولا وقوفهم على بطلان ذلك المذهب لما صرَّحوا بهِ في المجلَّات العلميَّة

على انَّ المذهب الدروينيّ مع خمولهِ وتلاشيهِ قد زرع في قلوب كثيرين وهماً لا يزال يرعى فكرهم وهو مبدأ التحوُّل (l'Evolutionisme) الذي لا ينفي وجود الله ولا إبداعهُ تعالى للمخلوقات حيناً بعد حين لكنَّهُ يدَّعي بإمكان تسلسل الانواع بعضها من بعض وذلك بقوَّتها الغريزيَّة التي نالوها من فضلهِ تعالى . وبقولهم هذا لا يبخسون الله مجدهُ لأنهم ينسبون اليهِ اول مثال خلقهُ عزَّ وجلّ وخوَّل ذلك المثال قوّة محدودة تؤدي بهِ الى انتاج انواع سبق علمهُ بها . فيبقى الله هو العلَّة الاولى للنظام الموجود في العالم وعلَّة وجود الكائنات وما يطرأ عليها من التنوُّعات . فهذا المذهب يختلف عن المذهب الدرويني وقد انحاز اليهِ قوم من العلماء حتَّى الكاثوليك والمؤمنين

على انَّ الذين عدلوا الى هذا الرأي لم يتَّفقوا في تعيين اتّساعهِ وحدودهِ فمنهم مَنْ يحصر ذاك التحوُّل في حدود ضيّقة لتوليد بعض الانواع ومنهم من يوسع دائرة نطاقهِ فالاوَّلون يقولون بان الله خلق اول حلقة من كلّ جنس فتفرَّعت الانواع من الاجناس على مدى الاجيال . والآخرون يزعمون ان الله خلق فقط في اول العالم امثلةً من النبات والحيوان كمثال ذوات الفقرات ومثال الحشرات ومثال النبات ومن هذه الامثلة تألَّفت رُتب الكائنات واجناسها وانواعها . وكلُّهم مع هذا يستثنون خلقة الانسان الذي يجعلونهُ في رتبةٍ خاصَّة مستقلَّة عن الحيوانات التي سبقتهُ

هذا الرأي الذي ذاع بين بعض العلماء لم يرضَ بهِ كثيرون غيرهم ولا عجب اذ لا يتجاوز الحدْس والتخمين ولا يؤيدهُ شيء من الاكتشافات . لا بل تنفيهِ الادلَّة التي سبقنا فدوَّنَّاها في مقالتنا ولاسيَّما ما قلناهُ عن اختلاف اوهام الحشرات وثبوتها العجيب حتَّى في الانواع المتقاربة الاشكال كما تُبطلهُ ايضاً اكتشافات علماء العاديَّات والجيولوجية حيث وجدوا في اقدم طبقات الارض القريبة من بدء تكوينها اصدافاً

حيوانيَّة من النجوميَّات الشكل والهُلاميَّات وذوات المفاصل وبعض ذوات الفقرات التي صبرت انواعها مذ ذاك العهد السحيق الى يومنا دون ان يطرأ عليها اختلاف يُذكر ولا تحوُّل البتَّة. فلو صحَّ قول هؤلاء العلماء المعتدلين لوجدنا سندًا لقولهم في تحوُّلات هذه المبروءات الاوَّلية فثبوت انواعها يردُّ مزاعمهم

وعلى كل حال انَّنا لم نشأ ان نُنفي تماماً ببطلان هذا التحوُّل النوعي المحصور في نطاقٍ ضيّق وانَّما ننتظر وجود ادلَّة مقنعة توجب برَذْلهِ بتاتاً او بقبول بعض آرائهِ. فان هذه اقوالٌ علميَّة لا دَخْل لها في حقائق الايمان التي وحدها تبقى ثابتةً الى الأَبد لا يستطيع العلم البشري أَن يزعزع اساسها المتين وهي مبنيَّة على الحقيقة الازليَّة التي لا يحجب نورها غمام (تمَّ)

---

# ذكرى لوفاة نابوليون الاوَّل

لحضرة الخوري بطرس صفير

جرت هذه السنة احتفالات عظيمة في فرنسة تذكارًا للمئة الاولى من وفاة نابوليون الاوَّل فكتبت الجرائد فصولًا شائقة أَعادت فيها الى الاذهان ذكر ذاك الداهية الذي طبَّق اسمهُ المعمور. فرأينا بهذه النسبة ان نروي بتصرُّف قصَّة ظريفة قرأناها في المجلَّة الفرنسويَّة «المطالعات للجميع» تحت عنوان «بغضاء ملك رومية وغليوم امبراطور المانية الخليع» (١

بعد ما ناصب نابوليون العداء ملوك اوربَّة وامراءَها وقد اجتمعوا عليهِ عشرين عاماً وبذلوا على حربه المُهجات كان أَن ظفروا اخيرًا بهِ وغلبوهُ على امرهِ واكرهوهُ على عكس ما كانت تطمع اليه نفسه من الفتوحات والغنائم فاقاموه في قصر فونتنبلو وفيهِ تمَّ امر خلعهِ وتخليهِ عن الملك لابنهِ وتسييرهِ الى جزيرة إلبَة محلّ منفاه

---

١) اطلب Lectures pour Tous. *Avril.* 1920, *pp* 937

فانصرف عنهُ الانصار والاعوان وبقي في سجنه الفخيم ينتظر يوم إبعادهِ وقد أذن لمن اراد من رجالهِ ان يظلَّ في القصر في عداد من عُيّنوا لخفرهِ. ومما تركوا لهُ من مشتهاهُ ببغاء كانت زوجتهُ الاولى جوزفين احضرتها من جزائر اميركا فراضتها ولقّنتها كلمات كانت تثير في نفس نابوليون عند سماعها عواطف الابتهاج وهي: فريدلند! ريڤولي! ڤكرام! اوسترليتز! ايلو. وهي اسماء مواقعه وانتصاراتهِ الشهيرة. ومثلها الفاظ اخرى عسكريَّة يقولها الجند كانت الببغاء تلقَّنتها

فلما كان مساء ذلك النهار المشئوم سكنت الضوضاء في القصر شيئاً فشيئاً وسادَ فيهِ الهدوّ فجلس نابوليون قرب نافذة يسامر النجم ساهرَ الطرف مفكراً حيران يتسمَّع ضجيج العربات المتباعدة وهو عارف انها تقلّ آخر من انصرفوا عنه جبانةً وكم كانوا جاهروا لهُ بانَّ روابط تعلّقهم بهِ واخلاصهم له لا تفصم عراها طوارئ الايَّام. عملٌ كان لهُ في نفسهِ وقع اشدّ من وقع النصال. وقد زاد في نفسهِ انقباضاً علمهُ بان اعداءَهُ لا يسمحون ان يرى قبل سفره الى المنفى الامبراطورة زوجتهُ ولا ابنهُ الوحيد الذي ضحَّى النفس والنفيس في سبيلهِ. وقد تحقَّق ان ابنهُ سيسلَّم الى احد اعدائهِ السياسيّين اعني جدَّهُ امبراطور النمسة

واذ لم يهدأ لهُ بال ولم يغمض لهُ جفن عصاهُ تجلُّده وخرج من غرفتهِ كأنهُ يريد الفرار من هواجس ضميرهِ المزعجة. فبلغ الى اسفل الرتاج واذ بالسكوت سائدٌ مالئٌ العمار والخلاء لا يسمع غير حفيف الاشجار ووقع الاوراق تتساقط من على الاغصان. فرأى احد الانفار واقفاً متَّكئاً على بندقيَّتهِ فتوجَّه اليهِ ولعلَّ هذا الجندي كان يعمل الفكر ملياً بما مرَّ امامهُ في ذاك النهار فلم يشعر بدنوّ نابوليون. وهما كذلك اذ طرق أذني الجندي فجأةً صوتٌ يتهدَّدهُ: «الحذر! الحذر! الحذر!» وهي الكلمة التي ينبه بها الجنود قوادهم في حركاتهم العسكرية

فالتفت فاذا بالامبراطور بجانبه فرفع بعجلة بندقيتهُ وحيَّاء بالإكرام وهو خجلٌ من تغافُلهِ. وقد اعترت نابوليونَ نفسَهُ رجفةٌ لدى سماعهِ فجأة صوت الآمر «الحذر! الحذر!» غير انهُ لم يلبث ان تبسَّم في فتور وانقباض عند ما عرف ان هذا هو صوت الببغاء العزيزة على مقربة منه في قفصها الذهبي فانها اذ أحسَّت بدنو سيّدها ردَّدت لهُ ما قد تعلَّمت فمدَّ الامبراطور اليها يدهُ يلاطفها وكانهُ شعر بانكشاف بعض الهمّ

عنهُ عندما لاعبت اصابعهُ ريشَ الطير الناعم فصارت تلحسها بلسانها الخشن

ثمَّ رجع نابوليون الى الجندي ووضع يدهُ على كتفهِ بلطفه المعهود ولطالما كان هذا اللطف وسيلةً فعَّالة لدفع الجنود الى اقتحام المخاطر عن رضى وارتياح. وقال لهُ: ما اسمك ؟. قال: اسمي فلامبو (سراج). قال: كم شهدت واقعةً وانتصارًا ؟ قال: كنت في كل انتصاراتك مولاي. قال: كم اصابك فيها من الجروح ؟ قال: عشرون

فردَّد نابوليون: يا للوفاء! يا للشهامة! عشرون جرحًا وهو لا يزال ثابتًا على العهود في حين انَّ من غمرتُهم بالاحسان أعرضوا عنّي مسرعين

قال الجندي وفي صوته ارتجافٌ: آه مولاي أشِرْ الينا اشارةً فقط ترَ منًا مئتي الف بطل مستعدين ان نهبَّ ونفديك بارواحنا

قال نابوليون: كلَّا يا صاح حسبُ فرنسا ما نالها من العناء بسبب الحروب لِندَعها تضمد جراحاتها فعليكم الآن بالسكينة. أليس لك ولد ينتظرُك في بيتك ؟

— لي ابنة مولاي

— عُد اليها شاكرًا اذ انهم لم يسلبوك اياها كما فعلوا بي ...

— لكنهم سيدي سيردُّون اليك ابنك ملك رومية ألم يتعهَّدوا ...

— دع عنك هذا الكلام فانَّ الوفاء بالعهود لا يُعرف عند من يخالط الالمان كثيرًا ام قليلًا. وكذلك النمسة فانها ستُرجع بالشمال ما اعطتْهُ باليمين لانهُ اذا كانوا منعوا الامبراطورة وملك رومية من الحضور ههنا فليس ذلك ليسمحوا لهما ان يوافيا الى جزيرة مَنفاي ...

ثم كتَّف الامبراطور يديه وسرَّح نظره بعيدًا وقال تخنقهُ الحسرات: ليت شعري هل من امرٍ افظع من هذا وهو ان يُنفى والد ولا يُسمح لهُ أنْ يدفع لابنهِ الصغير تذكارًا ؟

فاقترب الجنديُّ وانحنى امام نابوليون وقال: مولاي هل من وديعة ام من تذكارٍ انقلهُ الى وحيدك او الى امّهِ فاني بحقك اسلّمهُ الى من تريد ولو كان ذلك في اقاصي الارض

وكان الامبراطور رجع الى الببغاء ينظر اليها نظرة الحنان وهي تعضُّ قضبان

قفصها الذهبيَّة وبعد ان تردَّد هنيهةً دنا من الجندي وقال لهُ : قد رضيتُ بما طلبت مني لانَّ مثلك جنديًا أُصيب بعشرين جرحاً حبًّا لسيّده لممَّن يؤتمن على كل نفيس عزيزٍ . انظر هذا القفص ارغب اليك ان تحملهُ الى ملك رومية وتخبره بامر هذا الطير . قل له : « انه هديَّة ممن اجمعتم على تسميتها جوزفين الحنون وهي علَّمته ارضاء لخاطري كلمات الاوامر المألوفة واسماء انتصاراتي واذكر لهُ انَّ هذه الببغاء رددت هذه الاصوات في احدى الليالي السالفة حين كان احد الخوَنة مستلًا خنجرًا ليفاجئني بطعنةٍ فذُعِرَ من صوتها فنجوتُ . . . قل له ان يتذكر ويكون دائمًا على حذر فان الذين قد رموا النَّسر لا يبعد ان يصوّبوا سهامهم على فرخه . . . »

فسالت الدموع من عينَي الجندي متحدّرةً على خدّيه وقد لوَّحتهما الشمس والاتعاب تلويحًا ثمَّ قال : سأُسلمُ القفص الى سيدي ابنك مهما كلفني الامر

قال نابوليون : لله درُّ هذه الهمَّة ! خذ هذه البَدْرة فانت لاشكَّ محتاج الى بذل المال وسأُعطيك تذكرة مرور ولا غرو انهم سيعتبرونها اذ لم يعودوا يخشون مني اذيةً . ثم اسند يده على متكأ الدرابزون ووقَّع التذكرة ثم تعانقا وهما ساكتان وعاد الامبراطور الى قصره يمشي الهوينا بينما كان الجندي واقفًا رافعاً بندقيته ليحيّي مليكهُ للمرَّة الاخيرة والببغاء لا تزال تصيح بشدَّةٍ وبغير انقطاع كلماتٍ تعيد الى الذهن امجادًا بائدة : « فريدلند ! ريفولي ! فكرام ! اوسترليز ! ايلو ! »

٢

مرت ستَّة اعوام على هذا الوداع ولم يعد ابن نابوليون يُدعى بملك رومية بل لُقِب بدوك رِشْستاد وقد بلغ التاسعة من عمرهِ وهو في قصر شونبرُون قصر امبراطور النمسة وعُيِّنت لهُ الغرفة نفسها التي اختارها ابوه حين دخل هذا القصر ظافرًا واقام فيه مع اركان حربهِ في السنتين ١٨٠٤ و ١٨٠٩ حين وقَّع على معاهدة الصلح مع النمسة . وكان الولد ذا منظرٍ بهيّ وطلعة وقَّادة يزيد حسنَهُ شعرُهُ الاشقر المتجعّد المسترسل على كتفيه . غير انه كان ضامرًا قلق البال سريع الحركات غير ميَّالٍ نظير الاولاد الى اللهو والضحك والالعاب . ولا غرو فان امَّهُ لم تكن لتكترث بهِ اذ كانت في مدينة پارمة بين حاشيةٍ لها منصرفةً الى الملذات مع ذوات جنسها .

وكان أُخفي عن الولد ان اباه كاد يقضي نَحْبهُ فريسة الاشجان في جزيرة القديسة هيلانة حيث نُفي · ولم يكن مصادفاً في قصر شونبرون ما يستأنس بهِ او يرتاح اليه ممن كان يقربهُ · فان جدّه الامبراطور كان شيخاً طاعناً في السنّ عبوساً قليل التكلم كثير الظنون لا يلاطف حفيده الَّا بتكلّفٍ وتحفُّظٍ · فلا عجب اذ لم يَمِلْ قلب الفتى الى محبَّتهِ كما انه لم يودّ مَن كان يخدمهُ ويهذّبهُ من الاوانس اذ لم يأنس فيهنّ ما تعوّده من اللطف واللين في المربّيات الافرنسيات وزِدْ انه لم يجد في هواء شونبرُون وسمائها شيئاً من النقاء والصفاء اللذين ألفهما في عاصمة فرنسة

فاتفق انه ذهب يوماً مع احدى مهذّباتهِ قصد ترويح النفس في حديقةٍ فجلست المعلّمة وصار هو يتجوَّل في الحديقة الى ان ابتعد مسافةً وبلغ احدى مضايق البستان فرأى فيهِ فتاةً بالثانية عشرة من عمرها قائمة بين الاعشاب والازهار وقد ادهشهُ مرأى ببغاء بالقرب منها غريبة الشكل تردّد بلا انقطاع كلماتٍ افرنسيةٍ · · · · فاسرع اذ ذاك نحوها وسألها : « من اين هذا الطير ؟ — قالت : من فونتنبلو — قال : من اعطاكِ اياه ؟ قالت : ابوك الامبراطور سلّمه لأبي وكلفه ان يقدّمهُ · · · (واضافت بكل احترام) «لجلالتك»

فقاطع هذا الحديثَ ظهورُ المعلمة وقدومُها اليهما فسارت الابنة ومعها الببغاء واختفت بين الاشجار كي لا تقف المعلمة على مطاوي حديثها واضطرّ الولد ان يرجع مع مهذبته الى القصر ·وحدّث ولا حرج ما ابقت هذه المقابلة في نفسهِ من القلق والاضطراب · · ·

وفي اليوم التالي كان الفتى جالساً في غرفتهِ كئيباً نظير السجناء غير مبالٍ بالطيور التي كانت تغرد على نافذتهِ وقد سقط الكتاب من يدهِ على الارض وهو غائص في بحر التأمل والافكار ·وكانت المعلمة النمساوية تشتغل في التخريم على مقربة من النافذة فرفعت اليهِ رأسها وقالت : هل حفظتَ امثولتك يا سيدي؟ فتولت الاميرَ رجفةٌ واسترجع كتابه بالرغم عنه وقال : كلَّا ·فتركتَ شغلها ودنت منه وقالت : عليك ان تجتهد فيما بعد وتتعلمها وسأرجع اليك لتتلوها على مسامعي · فاجابها وهو يتكلَّف البشاشة : نعم

ولما خرجت المعلّمة وأَقفلت الباب وقف الامير ورمى بكتابهِ مغضباً وقد علت

على محياه علائم الامتعاض وقال : لا لا . وذلك لانه لم يقف على استظهار اسماء حروبٍ وجدَها في كتابهِ لم يكن النصر فيها حليف فرنسة وقد شقَّ عليهِ ان يسرِّح البصر في كتابٍ لم يرَ فيهِ بزَّات الحرس الامبراطوري الفرنساوي بل صوَّروا فيهِ اعداء فرنسة بملابسهم الصفراء والبيضاء . فلم يلبث ان وقف يتسمَّع فأرعبتهُ قرعةٌ غير منتظرة على باب غرفتهِ واوَّلُ ما خطر بباله ان المسيو مترنيخ داخلٌ عليهِ بصلَفهِ كما فعل سابقاً بمعية زوارٍ ليسوا على شيءٍ من الظرف والآداب يتلفتون في غرفتهِ ذات اليمين وذات الشمال كانهم يحاذرون رجلًا مختبئاً في احدى الزوايا مضمرًا لهم الشر

وكاد الغلام يصيح جزعاً اذ فُتح الباب على مهلٍ فتثبَّت مَن القادم اليهِ واذا هي فتاة كسا محيّاها التعب ثوباً من الاحمرار وقبل التحية اشارت عليهِ ان يلزم الصمت وابدت له عيناها الفتَّانتان انها هي الابنة التي التقى بها صدفةً في احدى مضايق البستان وعرَّفته بنفسها انها ابنة احد الخفراء الفرنسويين . ثم تقدَّمت بكل لطفٍ واظهرت له من بين ثنايا ثوبها قفصاً ذهبيًا تتخطر ضمن قضبانه الببغاء بدلالٍ وخيلاء فاستقبل الامير الطير الامين بذات الحفاوة التي ودَّعه بها أبوه الامبراطور في تلك الليلة الظلماء فمدّ يده يلاطفه بانبساطٍ فشرع الطير يردّد صدى الدروس العجيبة التي تلقنها من امجاد نابوليون الخالدة من فم الامبراطورة الاولى

وبين تغاريد الببغاء كانت الفتاة تواصل سرد تفاصيل اخبارها على مسامع الامير قائلةً : ان اباك الامبراطور قال لابي : عليك بايصال هذه الببغاء الى ابني ملك رومية مهما كلَّفكَ الامر فنقلها والدي الى باريس ومنها الى بلوا ثم الى ليون ثم الى ڤينة ولقد تكبّد في سبيلها مشقاتٍ واخطارًا ولا تزال حياته معرَّضة للهلاك كل يوم في هذه الانحاء اذ انه كاد اكثر من مرَّة يُرمى بالرصاص كجاسوس ولكن كل هذا لم يكن ليثنيهُ عن الوفاء بأيمانهِ وقد قمتُ انا ووالدتي نتبعه اينما سار للقيام بخدمة جلالتكَ عند ما تبلغ اشدَّك لان جلّ رغائبنا ان نساعدك في تخليص والدك

— وهل ابي باقٍ في جزيرة إلبة ؟

— كلَّا بل في جزيرة اخرى . . وهي ابعد من الاولى

ثم أخذت الفتاة تردد على مسامعهِ اخبار والدهِ فوصفت فيها العساكر الجرارة

الخافقة فوق رؤوسها أعلام النصر كيف دكّت الحصون الحصينة وأرهبت الملوك والسلاطين الى ان دخل الامبراطور ظافراً الى هذا القصر وما كان من أمره فيه

فكان الامير الصغير مقبلاً على الفتاة بشوق يردّد ما تقول بصوت منخفض قصدَ ان تعلق هذه التذكارات في قلبهِ فلا نقدر على نزعها منهُ الايام مهما تناهى الناس في الصلَف فقال لها بعد هنيهةٍ : زيديني من اخبار والدي لأزيد بها ابتهاجاً . واذا بالببغاء انتصبَتْ والتهبت عيناها التهاباً وانتفش ريشها وهتفت بصوتها الحادّ هتاف الاستنجاد المعروف : الحذَر ! الحذر ! فخاف الولدان وابتعد الواحد عن الآخر واخفت الابنة القفص تحت ردائها واسرعت الى ستارٍ هناك واختبأت خلفهُ . فعند ذاك فتح الامبراطور جوزف الثاني الباب بغتةً ودخل عابس الوجه كالحاً متحذراً وقال لحفيدهِ : هل احسنتَ شغلك اليوم يا فرنْتز ؟ فتردَّد الامير الصغير هنيهةً غير ان ذكر ابيهِ نبَّه منهُ حمية كانت راقدة وشعر بنشاطٍ جديد سرى في عروقهِ فافترّ عن ثغرهِ الدرّي بابتسامة لطيفة وقال بشدَّة : نعم نعم يا جدَّاه ! اتقنتُ الشغل اليوم . قال ولم يكذب لان اسماء جديدة علقت في ذهنهِ وهي لعمر الحق اسماء مجدٍ وافتخار . وبينما كان فرنسوا الثاني مبتعداً عن حفيدهِ في اروقة قصرهِ وقد خيَّم فيها السكون والظلام بدت الفتاة من وراء الستار وشرعت الببغاء تطرب آذان الامير بنغماتها : فريدلند ! ريڤولي ! ڤكرام ! اوسترلتز ! ايلو ! . .

٣

كرَّت مائة سنة على ما جرى في قصر شونبرون وقد قضى كل مَن فيهِ وتبدَّل ولم يبقَ ممّن حضر تلك الحوادث الَّا الببغاء ولعمري هو انعام غريب في بابهِ خُصَّت بهِ تلك الخلائق المتكلمة من غير فهمٍ وعقل ( وقد ثبت لدى علماء الحيوان ان معدل عمر الببغاء والغراب مئتا سنة ) ولم تزل معروفة باسم ببغاء ملك رومية وكانت لا تفارق قضيباً ذهبياً في مدخل قاعة الاستقبال الكبرى متشبّثةً بهِ مرتجفة الرأس محمرّة العينين منتفشة الريش لا تنفكّ عن لَغَطها

فلما كان مساء اليوم العشرين من تموز سنة ١٩١٤ على عهد الامبراطور فرنسوا جوزف ولهُ اذ ذاك من العمر تسعون عاماً حدث في قصر شونبرون حركة غير مألوفة وقد اشغل الخواطرَ وصولُ نقَلَة البريد الامبراطوري بكثرة لم يعهدوها وصدرت

الاوامر العليا بان يلازم كلٌّ مكانه ولا يحضر احد المقابلة السرّية المنتظرة الّا الامبراطور وحدهُ . واذا بسيَّارة ضخمة تنهب الارض نهباً وقفت على مدخل القصر وقد أُسدلت الستارات على نوافذها فاسرع الامبراطور الى باب القصر ليتقبل زائره فاذا رجل مفتول الشاربين في احدى ساعديهِ شوَهٌ احدهما اقصر من الآخر خرج من الستارة وكان هذا القادم غليوم الثاني امبراطور المانية

فتعانق الامبراطوران ولمَّا صارا في مدخل البهو الكبير توقف غليوم لمحةً امام الببغاء وقد أَحدقت بهِ ناظريها ثم هزّ كتفيه وقال بدهشةٍ : « تُرى لم يمت بعدُ هذا الطير المجنون ! »

وكان فرنسوا جوزف على ما هو مشهور عنهُ يعتقد بالخرافات فلم يأْذن بقتل تلك الببغاء الغريبة مع انهم كانوا يهابونها ويبغضونها نظير سائر الاشباح التي يقال عنها انها تتردد الى منازل عائلة هَبْسبورغ—ففتح فرنسوا جوزف باب القاعة الكبرى فابى غليوم واشار الى غرفة قريبة جذبه اليها وقال : ليس في هذا البهو بل في غرفتهِ عينها ( يريد الغرفة التي احتلَّها نابوليون ) لاننا مثلهُ نعدُّ الاستيلاء على كل العالم . فسار معهُ فرنسوا جوزف بالرغم منهُ حذرًا من إحياء تذكارات ميتة

فدخلا الغرفة الصغيرة التي احتلَّها نابوليون وسكنها ابنهُ دوك دي‌رشستاد الذي لدى سماعهِ اخبار ابنة الخفير فلامبو (سراج) شعر بالشرف الذي خوَّلهُ ابوهُ بتسميتهِ ملك رومية . فتمّ اذ ذاك بين الامبراطورين الاتّفاق على إشهار تلك الحرب الجهنَّميَّة التي ذهب فيها عشرة ملايين من البشر في اراضي اوربةِ واسية وعلى سطح بحار العالم باسرهِ

لَهُما في تلك المؤامرة واذا بصوتٍ قويٍ سُمع وسط ذلك الليل المدلهمّ : الحذر ! الحذر ! فتغير لهذا الصوت لون الامبراطورين وقد اخذهما الدهش فقال فرنسوا جوزف همساً : ان فرنسة تسمعنا !

فتهكم غليوم وقال : هو الطير المجنون ببغاء ملك رومية ثم رفع خوذته يلوّح بها فوق رأسهِ وقال : الى باريس ! الى باريس ! عن قريبٍ الى باريس ! . وبعد اعداد الجريمة افترقا . ولما مرّ غليوم امام الببغاء توقّف وصار يتهدَّدها ويداعبها بيدهِ السليمة وحاول ان يستعيدها اسماء انتصارات تطرب بسماعها الآذان الالمانيَّة اي ڤاترلو !

سيدان ! فهزت الببغاء رأسها وصارت تردد اسماء مجيدة تلقنتها في الماضي فريدلند ! ريفولي ! فكرام ! اوسترليتز ! إيلو ! فكأنها بلسانها الرشيق انبأته بما تضمر له الايام من الانكسارات الغريبة . فامتعض غليوم امتعاضاً وابتعد تحت اجنحة الظلام وللظلام يدٌ في ارتكاب المعاصي

٤

كانت نتيجة تلك المقابلة السرية اعلان حربٍ ضروس التهبت نيرانها خمس سنوات اقتتلت فيها الشعوب اقتتالاً وسالت الدماء فيها انهاراً ثم عقبها صلح اشرقت شموسهُ على المسكونة اذ دارت على غليوم الدوائر وبعد ان كان القيصرَ العاتي المهاب اضطرَّ ان يهرب من وجه الحلفاء ويلجأ طريداً شريداً الى بلاد هولندة باسم فردٍ مجهول من اسرة هوهنزولرن (وهي اسرة امراء بروسية) وهناك يقيم ضيفاً على الكونت بنتنك بمثابة اسير في قصر أميرونجن . وقد بات مستذلاً مهاناً باعين اعوانهِ الذين وعدهم بالاستيلاء على العالم باسرهِ وصارت تلتهب لهُ في قلوبهم نار البغضاء . واما المارشالية فقد انكروه الواحد بعد الآخر واولهم هيندنبورغ الذي كان غليوم سخط عليهِ وحطَّهُ من مقامهِ عن عتوٍ وكبرياء ثم لودندرف وفلكنهين الى البقية كلّهم

فاتفق انهُ في صباح احد ايام الشتاء والسماء تنهمل انهمالاً كان غليوم يسير في حديقة القصر غير مبالٍ بالسيول الجارفة تحت قدميه وكانت الغربان تنعق على اشجارٍ نزعت منها العواصف كل اخضرار فاذا بصوت طيرٍ غريب علا نعيق الغربان فوقف لهُ الامير متسمّعاً وخيّل اليهِ انهُ يعرف لهجتهُ غير انهُ عند انقطاع الصوت فجأةً جزم ان هذا وهمٌ وتخيُّل فارتفع الصوت ثانيةً بنوع جليّ رغماً عمَّا فيهِ من الخشونة والغلظ وهتف مكرّرًا : الحذَر الحذَر !

فتذكر غليوم الببغاء التي سمعها في قصر شونبرون ساعةَ وقّع على اشهار الحرب الطاحنة وشتّان بين تلك الساعة وهذه وشتان بين حالتي غليوم . فعجّل المسير ليستجلي امر الببغاء المشؤومة وعبثاً حاول مَن معه ارجاعهُ عن قصدهِ خوفاً من العاصفة فوصل الى طرف الحديقة فرأى على مقربة من جدار غرفة حقيرة من خشب تجري على اربعة دواليب كبيرة لها باب ونافذتان معلّق عليها سلّم صغير وكان فيها رجلان

لوّحت وجههما لفحات الحرّ فحدق غليوم بناظريه في داخل الغرفة وسألهما: من انتما ؟
اجابا: نحن من التشاك (جماعة من النور)

— من اين قدمتما ؟

— من شونبرون في النمسة هرباً من المجاعة فيها

فكادت لا تقلّ غليوم رجلاه فقال: من شونبرون ؟ لعلّ هذا الطير...

فقاطعهُ الغريب بقولهِ: صدق ظنُّك هذه ببغاء ملك رومية العريقة في القدم اشتريناها لندور بها في البلدان ونرتزق منها بعرضها على الناس في المواسم. ولعمري لا افصح منها وكلماتها غريبة. ادخل سيدي ترَ ما يعجبك

فولج غليوم الغرفة واخذ الرجل الطير على اصابعهِ يلاعبهُ وقال: لله درّ هذا الطير فانهُ يردّد ...

فقاطعه غليوم: أعرف انهُ يردّد اسماء حروب قديمة جدًّا اصبحت نسياً منسياً

— عفوًا يا سيدي واسماء حروب جديدة ايضاً فقد تلقَّن اسماء انتصارات حديثة العهد اعظم من القديمة

وكأنَّ الببغاء مشتركة في حديث صاحبها فصوَّبت نحو غليوم عينيها السوداوين وقد رنَّتا وتأكّلتا على ممرّ الايام وصاحت باعلى صوتها: لامارن! ڤردون! ... لامارن! ... ڤردون! ... (وهما اسمان لموقعتين شهيرتين انتصر فيها الفرنسويون على الالمانيين)

فضحك اصحاب الببغاء. وأجفل غليوم مذعورًا ثمَّ ولّى مدبرًا تحت وابل الامطار ولم تزل الببغاء تعقّب الصوت الآخر: الحذر! الحذر! لامارن! فردون! لامارن! ڤردون! وبلغ غليوم غرفته في قصرهِ وكأنه يحاول النجاة من هذا الصوت المشؤوم لكنَّهُ لم يبرح يرنّ في اذنيهِ ولعلَّهُ يصبح كنخاس في ضميرهِ الى ان تحتكم العدالة الالهيَّة حكمها في من جرَّت كبرياؤُهُ على البشرية ضروب الشقاء والدمار!



# النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة

للاب لويس شيخو اليسوعي ( تابع )

## ٤ شعراء النصرانية

اذا ما تخطَّينا الآن من هذه البيّنات والادلَّة العموميَّة عن الشعر النصراني ونفوذه بين عرب الجاهليَّة واعتبرنا أفراد الشعراء الذين اثبتنا اسماءهم وقصائدهم في كتابنا «شعراء النصرانيَّة» تمهَّد لنا الطريق للحكم بنصرانيَّتهم امَّا بتاتاً وامَّا ترجيحاً فها نحن نستقري ذكرهم على سياق قبائلهم التي انتسبوا اليها

### اوَّلا قبائل ربيعة

قبائل ربيعة كثيرة العدد كانت تسكن في الجهات الممتدَّة بين الفرات والخابور الى انحاء العراق. وبنو ربيعة على اختلاف قبائلهم يتصلون بربيعة بن نزار جدّهم الأَعلى. وفي ربيعة خصوصاً انتشر الدين النصراني كما روى كثيرون من كتبة المسلمين كابن قتيبة وابن رسته والقاضي صاعد الاندلسي والفيروزابادي ( راجع اقوالهم في الصفحة ١٣٠ ). ولا تجد في ما يُروى من شعرهم اثرًا للشرك وعبادة الاصنام وفيهِ على خلاف ذلك من الاقوال في التوحيد وتُقى الله ومدح الفضيلة ما يدلُّ على تأثير التعاليم النصرانيَّة في قلوبهم اذ كانوا محاطين في انحائهم بالسيَّاح واديرة الرهبان والكنائس . ويتردَّد اكثرهم على ملوك الحيرة المتنصِّرين ويمدحونهم. وثبتت النصرانيَّة في ربيعة مدَّة بعد الإسلام وقد ذكر في الاغاني (٢٠ : ١٢٧) : « نصارى بعض احياء ربيعة في عهد بني اميَّة »

#### ١ شعراء تغلب

لا نظنّ انَّ احدًا ينكر علينا نصرانيَّة تَغلب مع اتّفاق الكتبة القدماء على اعتصامها بالدين المسيحي وذلك قبل الهجرة بزمن طويل يمكن ترقيتهُ الى ما وراء

القرن الخامس للميلاد الى عهد السيَّاح والرهبان الـذين ازهروا في الجزيرة في القرن الرابع للمسيح ٠ وقد مرَّت لنا الشواهد على ذلك في القسم الاوَّل ٠ ومن ثمَّ لا حاجة الى اثبات نصرانيَّة شعراء تغلب الذين نظمناهم في سلك كتابنا شعراء النصرانيَّة وهم ثمانية هذه اسماؤهم على ترتيب ذكرهم في الكتاب مع الاشارة الى الصفحات التي وردت فيها اخبارهم :

| | | |
|---|---|---|
| ١ كليب وائل | (شعراء النصرانيَّة ص | ١٥١–١٥٩) |
| ٢ المهلهل اخو كليب | « | ١٦٠–١٨١ |
| ٣ السفّاح التغلبيّ | « | ١٨٢–١٨٣ |
| ٤ الاخنس بن شهاب | « | ١٨٤–١٨٧ |
| ٥ جابر بن حُنَيّ | « | ١٨٨–١٩١ |
| ٦ افنون صريم بن مَعشر | « | ١٩٢–١٩٤ |
| ٧ عُمَيْرَة بن جُعَيل | « | ١٩٥–١٩٦ |
| ٨ عمرو بن كلثوم | « | ١٩٧–٢٠٤ |

فهؤلاء كلهم سواء صرَّحوا بدينهم النصراني كما ترى في ترجمة جابر بن حُني ام سكتوا عنها فلا شكَّ بنصرانيَّتهم

## ٢ شعراء بكر

انَّ نصرانيَّة بني بكر ثابتة كنصرانيَّة تغلب وكانت كلتا القبيلتين ساكنة في الجزيرة متجاورةً في ديار بكر وديار ربيعة وهما ترتقيان الى اصل واحد الى وائل ومنهُ الى ربيعة بن نزار وتدينان بدين واحد وكلّ من ذكر نصرانيَّة تغلب اضاف اليها بكرًا كما روينا سابقاً ٠ هذا مع ما حصل بين القبيلتين من النزاعات والحروب اخصّها حرب البسوس كما يجري غالباً من المنافسات والضغائن بين الاقارب ٠ وبكر قبيلة كبيرة كتغلب تتفرَّع الى فروع عديدة كضُبَيْعَة وشيبان ومرَّة ويشكر وعجل وقد اتينـا في باب القبائل المتنصِّرة بذكر هذه الفروع

١ ﴿ بنو ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ﴾ ذكرنا منهم في شعراء النصرانيَّة هؤلاء الثانية الآتين :

| | | |
|---|---|---|
| ١ سعد بن مالك بن ضبيعة | ( شعراء النصرانيَّة ص | ٢٦٤–٢٦٧) |
| ٢ جحدر بن ضبيعة | « | ٢٦٨–٢٦٩ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٣ | عمرو بن سعد بن مالك (المرقش الاكبر) | « | ٢٨٢–٢٩٢ |
| ٤ | ربيعة بن سفيان بن سعد (المرقش الاصغر) | « | ٣٢٨–٣٢٩ |
| ٥ | طرفة بن العبد بن سفيان بن حرملة بن سعد | « | ٢٩٨–٣٢٠ |
| ٦ | الخرنق اخت طرفة | « | ٣٢١–٣٢٧ |
| ٧ | عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد | « | ٢٩٣–٢٩٧ |
| ٨ | المسيَّب بن علس . . . بن مالك بن ضبيعة | « | ٣٥٠–٣٥٦ |

فكل هؤلاء متقاربو العهد بينهم واشجةُ رحم من سلالة واحدة. وقد صرَّح في كتاب الاغاني (٥: ١٩١) تخرُّج المرقش الاكبر على نصارى الحيرة وذكرنا في شعراء النصرانيَّة استشهادهُ بزبور داود:

وكذاك لا خيرٌ ولا شرٌّ على احدٍ بدائمْ
قد خُطَّ ذلك في الزبو رِ الاوَّليَّات القدائمْ

وطَرَفة بن العَبْد كان ابن حفيد المرقَّش الاكبر وابن اخي المرقش الاصغر. وودة امُّ طرفة كانت اخت جرير بن عبد المسيح المعروف بالمتلمّس فكفى بهذه القرابة دليلًا على نصرانيَّة طرفة. وعيشة طرفة والمتلمّس في الحيرة بين النصارى ودخولهما على ملكها النصراني عمرو بن هند ممَّا يؤيد ذلك. وفي شعر طرفة تنويهٌ بخلود النفس والحساب كقولهِ:

فكيف يرجّي المرءُ دهرًا مخلَّدًا واعمالهُ عمَّا قليلٍ تحاسبُهْ

وتصريحٌ بحكم الله المطلق على الانام:

انَّ الله ليس لحكمهِ حكمُ

وبكمال اعمالهِ تعالى:

وما قد بناهُ الله تمَّ تمامُهُ وما قد بناهُ الله فالله ماحقُهْ

وهو القائل في الحضّ على الخير والحياد عن الشرّ:

الخيرُ خيرٌ وان طال الزمان بهِ والشرُّ اخبثُ ما أوعيتَ من زادِ

ولهُ في مودَّتهِ لاهل الدين:

سأصرفُ نفسي عن هوى كلّ غادرٍ وأُعرضُ عن أخلاقهِ وأُخارِقُهْ
واجعلُ اهل الدين اهل مودَّتي ليعلمَ اهل الفضل مَن انا واثِقُهْ

وكان عمرو بن قميئة من قرابة المرقّشين الاكبر والاصغر وطرفة وهو الـذي رافق امرء القيس في سفرهِ الى القيصر ملك القسطنطينيَّة . وفي اخبارهِ ما يدلُّ على ابتعـادهِ عن الدناءَة والاثم كيوسف الحسن والتجائهِ الى نصارى الحيرة فرارًا من التهمة الباطلة . وهذا كلُّهُ ممَّا لا يدع شبهةً في نصرانيَّتهِ

وكذلك المسيّب بن علس من ندماء ملك الحيرة عمرو بن هند كطرفة والمتلمّس وكان خال الاعشى الكبير . وهو القائل يدعو بني عامر الى تُقى الله :

أَلَا تتقون الله يا آل عـامرٍ وهل يتَّقي اللهَ الأَبَلُ المصمَّمُ

٥ ﴿شعراء شيبان﴾ شيبان احد بطون بني ثعلبة بن عكابة المذكورين في تواريخ الروم والسريان كنصارى العرب يدعونهم (ܬܥܠܒܝ̈ܐ Thalabenses) ويذكرون لهم اساقفةً ) راجع المكتبة الشرقيَة للسمعاني ١ : ٢٦٥ ومقدَّمتهُ في الجزء الثاني CXI ) وقد ذكرنا من شعرائهم اربعةً وهم :

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١ | جسَّاس بن مرَّة بن ذهل بن شيبان | (شعراء النصرانية | ٢٤٦–٢٥١ |
| ٢ | جليلة اختهُ | « | ٢٥٢–٢٥٣ |
| ٣ | عبد المسيح بن عسلة | « | ٢٥٤–٢٥٥ |
| ٤ | بسطام بن قيس . . بن ذهل بن شيبان | « | ٢٥٦–٢٦٣ |

جسَّاس هو قاتل كُلَيب وائل صهرهِ زوج اختهِ جليـلة وكان طليعة قومهِ في حرب البسوس . ونصرانيَّتهُ ثابتة من عدَّة وجوه ١ً من انتسابهِ الى شيبان . ٢ً من قرابتهِ الى بني تغلب . ٣ً من اعترافهِ بالاله الحقّ وبالبعث في حلَفهِ حيث يقول :

اني وربّ الشاعرِ الغرورِ وباعثِ الموتى من القبورِ

ولهمَّام اخي جسَّاس شعر في المفضَّليَّات . ولا حاجة لبيان نصرانيَّة عبد المسيح بن عسلة فانَّ اسمهُ يشهد لهُ . وقصيدتهُ المرويَّة هنا قد طُبعت مؤخَّرًا في جملة المفضليات ( ed. Lyall, p. ٥٥٦ ) ولم يُذكر هناك عن نسب قائلها الَّا كونهُ « اخا بني مرَّة ابن همَّام بن مرَّة بن ذهل بن شيبان »

امَّا بسطام بن قيس بن مسعود فهو احد فرسان بنى شيبان المعدودين في الجاهليَّة . قال ابن قيم الجوزيَّة في اخبار النساء ( ص ٩٨ ) كان بسطام فارساً جوادًا عفيفاً . وقال ابن عبد ربّهِ في العقد الفريد ( ٢ : ٦٧ ) : قد رَبَع الذهليّين واللهازم اثني عشر مرباعاً .

امَّا نصرانيَّة بسطام بن قيس فقد جاهر بها ابن دريد في الكامل (ص١٣٠) وابن عبد ربّهِ ايضاً في العقد (٣ : ٨٨) في اخبار يوم الغَبيط وقد ورد هنالك اسم الحنيف مع اسم النصراني حيث قال : « ونادى القوم نجَادًا اخا بسطام كُرَّ على اخيك وهم يرجون ان يأسروهُ فناداهُ بسطام : ان كررتَ فانا حنيف وكان بسطام نصرانيًّا فلحق نجاد بقومهِ » . وقد جاء في الاغاني ( ١٩ : ١٨ ) ذكر زيق بن بسطام فقال عنهُ انهُ كان نصرانيًّا وذكر ابنتهُ حدراء (١٩ : ١٢) قال « تزوَّجها الفرزدق وكانت نصرانيَّةً »

٣ « قيس بن ثعلبة » اخو شيبان بن ثعلبة . اليهِ ينتسب الحارث بن عبَّاد بن ضبيعة رئيس بني بكر في حرب البسوس بعد اعتزالهِ الحرب مدَّةً الى ان قُتل ابنهُ بجير . ونصرانيَّتهُ تثبت بنصرانيَّة شيبان لأن شيبان وقيساً كليهما ابنا ثعلبة بن عكابة

راجع اخبار الحارث في شعراء النصرانيَّة (ص ٢٧٠-٢٨١)

٤ « يشكر بن بكر » حيٌّ كبير من بكر بن وائل يدين بدينها ذكرنا منهُ ثلثة شعراء مُجيدين :

١ الحارث بن حِلِّزة (شعراء النصرانيَّة ٤١٦-٤٢٠)
٢ المنخّل اليشكري 〃 ٤٢١-٤٢٤
٣ سويد بن ابي كاهل 〃 ٤٢٥-٤٣٦

الحارث بن حلّزة هو الذي دافع عن قومهِ عند عمرو بن هند ملك الحيرة بمعلّقتهِ الهمزيَّة المشهورة مناقضاً لمعلَّقة عمرو بن كلثوم . وبهما وقع الصلح بين بكر وتَغلب

وكان المنخّل اليشكري من ندماء ملك الحيرة النصراني النعمان بن منذر . امَّا سُوَيد بن ابي كاهل فادرك الاسلام ولم يذكر احد اسلامهُ ومن شعرهِ الدالّ على دينهِ قولهُ من عينيَّتهِ الشهيرة

كتب الرَّحمانُ والحمدُ لهُ سعةَ الاخلاقِ فينا والضَّلَعْ
وإباءً للدنيَّات اذا أُعطيَ المكثورُ ضيماً فكَنَعْ
وبناءً للمعالي إنَّما يرفعُ اللهُ ومن شاءَ وضعْ
نِعَمٌ لله فينا ربُّها وصنيعُ اللهِ واللهُ صنعْ

٥ « علي بن بكر » ذكرنا شاعرين من بني عليّ بن بكر بن وائل وهما :

١ فند الزِمَّاني (شعراء النصرانيَّة ص ٢٤١-٢٤٥)
٢ اعشى قيس بن ثعلبة 〃 ٣٥٧-٣٩٩

كان فِند الزِمَّاني سيّد بكر في زمـانهِ وشهد حرب البسوس وحارب مع بني بكر ورئيسهم الحارث بن عبَّاد وهو من نصارى اليمامة. وقد روينا شعرهُ في تلك الأيّام

واشهر منهُ ميمون بن قيس وهو الاعشى الكبير. وقد نظمنـاهُ بين الشعراء النصارى ليس فقط لانتمائهِ الى بني بكر النصارى بل لاسباب اخرى منها. ١ً تخرُّجهُ على العباديين ورأيهُ بآرائهم. قال في الاغاني (٨: ٧٩): «كان الأعشى قَدَريًّا (اي يقول بحرّيَّة الانسان في اعماله) ... اخذ مذهبهُ من قبل العبـاديين نصارى الحيرة كان يأتيهم يشتري منهم الخمر فلقَّنوهُ ذلك». ٢ً وكان راوية الاعشى يحيى بن متَّى النصرانيّ العباديّ. ٣ً زيارة الاعشى لنجران وكنيستهـا المعروفة بكعبة نجران ولاساقفتها وامرائها النصارى. قال يكلم ناقتهُ:

وكعبةُ نجرانَ حتمٌ عليـكِ م حتَّى تُنـاخي بأبوابهـا
تزورُ يزيدًا وعبـد المسيح وقيسًا همُ خيرُ اربابهـا

٤ً تجوُّلهُ في البلاد النصرانيَّة كحمص واورشليم قال:

وقد طُفت لـلمالِ آفاقهُ عُمانَ فحمصَ فاوريشلِمْ
فنجرانَ فالسَّروِ من حِميرٍ فـأيّ مُرامٍ لـهُ لم ارمْ

٥ً ايمانهُ بالبعث والحساب كقوله:

اذا انتَ لم ترحلْ بزادٍ من التُّقى ولاقيتَ بعد الموت مَنْ قـد تزوَّدا
نـدمتَ على ان تكونَ كمثلهِ فتُرصد لـلامر الذي كان ارصدا

٦ً اقتباساتهُ الشعريَّة من العادات النصرانيَّة كحلفهِ باسكيم الرهبان:

فاني وثوبَيْ راهب اللُّجِّ والتي بناها قُصَيٌّ والمضاضُ بن جرهمِ

قال البكري في معجم ما استعجم (٤٨٩): اللجُّ غدير عنـد دير هند وقيل انهُ اراد المسيح عليهِ السلام .. ويروى: «وثوبي راهب الطور». والتي بناها قُصَيّ يعني مكَّة». وهذا كما حلف عديّ بن زيد «بربِّ مكَّةَ والصليب» وحلف الاعشى ايضاً بمثل ذلك فقال:

واني وربِّ الساجدين عشيَّةً وما صكَّ ناقوسَ النصارى ابيلُها

وللاعشى في وصف هياكل النصارى وصلبانها وصورها:

فما مُعتلٍ بي على هيكلٍ بناهُ وصلّبَ فيهِ وصارا

٧ً ذكرهُ للانبياء واحداث الاسفار المقدَّسة كقولهِ في نوح وفلكهِ :

جزى الالهُ اياسًا خير نعمتهِ كما جزى المرء نوحًا بعد ما شابا
في فُلْكهِ اذ تبدَّاها ليصنَعَها وظلَّ يجمع ألواحًا وابوابا

وقد روينا لهُ ابياتاً في داود النبي وفي سليمان الحكيم وفي المنّ والسلوى وغير ذلك ممَّا يدلُّ على معرفتهِ للاسفار الكريمة

٨ً ويؤيد ذلك ذكرهُ لفصح النصارى ومدحهُ لهوذة بن علي الذي فكَّ اسرى تميمٍ في ذلك العيد فقال :

بهم يقرّبُ يوم الفِصْح ضاحيةً يرجو الالهَ بما اسدى وما صنعا

وكلّ هذه الشواهد لا يمكن تعليلُها الّا بان يقال انهُ كان يدين بالنصرانيَّة . وقد ذهب الى هذا القول المستشرق ولهَوْزن حيث قال Wellhausen : *Reste arab. Heidentums*, p. 233 « يظهر انَّ احد شعراء الجاهليَّة المدرسيّين الاعشى قد كان نصرانياً » ( Einer der klassischen Dichter der Gâhilija, al-A'cha, soll Christ gewesen sein )

٣ ربيعيُّون آخرون

اربعة شعراء من ربيعة من غير قبائل بكر وتغلب روينا شعرهم وهم :

| | | |
|---|---|---|
| ١ البرَّاق بن روحان | (شعراء النصرانيَّة | ص١٤١–١٤٧) |
| ٢ ليلى العفيفة زوجتهُ | « | ١٤٨–١٥٠ |
| ٣ جرير بن عبد المسيح (المتلمّس) | « | ٣٢٠–٣٤٩ |
| ٤ المثقب العبديّ | « | ٤٠٠–٤١٥ |

هم من احياء مختلفة لا شكّ في نصرانيَّتهم . فالبرَّاق كما ورد في جمهرة انساب العرب للكلبيّ كان من قرابة المهلهل التغلبيّ وتخرَّج على راهب فتعلّم منهُ تلاوة الانجيل ولعلّ دير ابن برَّاق الذي ذكرهُ ياقوت في معجم البلدان اليه ينتسب . والمتلمس ينتمي الى ضُبيعة بن ربيعة بن نزار وكفى باسمهِ « جرير بن عبد المسيح » دليلًا على دينهِ . نادَم مدَّة عمرو بن الهند ثم هرب منهُ الى الشام واجتمع باهلها النصارى وفي ذلك يقول :

حنَّت قلوصي بها والليلُ مطَّرقٌ بعد الهدوّ وشاقَتْها النواقيسُ

وهو القائل عن تقى الله :

وأعلمُ علمَ حقٍّ غير ظنّ وتقوى الله من خير العَتادِ

امَّا المثقّب العبدي فكان من اسد بن ربيعة يرتقي اليها بعبد القيس بن افصى التي سبق لنا ذكر شيوع النصرانيَّة بينها . كان ابوه محصن بن ثعلبة سيّدًا خطيرًا واحد السُّعاة بالصلح بين بكر وتغلب كما قال المثقّب :

ابي أصلح الحيَّين بكرًا وتغلبا وقد أرعشت بكرٌ وخفَّ حلومُها

والمثقب دخل على ملوك الحيرة فمدح منهم عمرو بن هند والنعمان بن قابوس

## ثانياً شعراء اياد

اياد بن نزار اخو ربيعة . تشعَّبت منهُ احياء وفروع متعدّدة شاركوا ربيعة في نصرانيَّتهم كما شهد على ذلك كتبة مسلمون فضلاء كابي نصر الفارابيّ والبكري وابن دريد (اطلب نصوصهم في الصفحة ٢٤) وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان اديرةً بناها بنو اياد كدير السَّوا ودير قرَّة . وفي اخبار البلد الحرام للفاسيّ (ص ١٣٧) انَّ كاهناً من اياد اسمهُ وكيع بن سلمة ابتنى صرحاً ليناجي فيهِ الله . قال بشر بن الحجر (البيان والتبيين للجاحظ ١ : ١٩٠) :

ونحنُ ايادُ عبادُ الالهِ ورهطُ مُناجيهِ في السُّلَّمِ

واشهر من عُرف من شعرائهم شاعران ذكرناهما في كتابنا :

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١ | قس بن ساعدة | (شعراء النصرانيَّة | ص ٢١١–٢١٨) |
| ٢ | اميَّة بن ابي الصَّلت | « | ٢١٩–٢٣٧ |

قس بن ساعدة هو خطيب العرب الشهير واسقف نجران لا حاجة الى اثبات نصرانيَّتهِ . وصفهُ الجارود النصراني العبقسيّ لمحمَّد بما رويناهُ هناك (ص ٢١١) . هذا مع ما دخل في اخبارهِ من الاقاصيص الفوريَّة التي رويناها على علَّاتها

امَّا اميَّة بن ابي الصَّلت وهو من ثقيف بها يرتقي الى اياد فيمكننا بيان نصرانيَّتهِ بالادلَّة الآتية : ١° كونهُ من إياد التي اثبتنا نصرانيَّتها وافتخارهُ بمعارف قومهِ لاسيا

الكتابة وفنّ الكتابة كما سبق تعلّمهُ العرب من النصارى:

قومي ايادٌ لو أنّهم أمَمُ ولو اقاموا فتُهزَلَ النَّعَمُ
قومٌ لهم ساحةُ العراق اذا ساروا جميعاً والقطُّ والقَلَمُ

٢ً كان اميَّة من الحنفاء وقد سبق (ص ١١٨—١١٩) انَّ الحنيفيَّة في الجاهليَّة يُرَاد بها النصرانيَّة او شيعة من شيعها واتينا على ذلك بشواهد اسلاميَّة . ٣ً اطلاعهُ على الاسفار المقدَّسة والانجيل ودرسهُ لها ( الاغاني ٣ : ١٨٧) . ٤ً دخولهُ كنائس النصارى واجتماعهُ برهبانها (ص١٨٨) . ٥ معرفتهُ للُّغة السريانيَّة لغة نصارى العراق. قال ابن دريد في تاج العروس (٣ :٢٨٦) : « كان اميَّة يستعمل السريانيَّة كثيراً لأنهُ كان قد قرأ الكتب» . ٦ً في شعرهِ من مقتبسات الكتب المقدَّسة ما تفرَّد به كعدّي بن زيد . فانَّ لهُ اوصافاً عديدة للاحداث الكتابيَّة وللعقائد الدينيَّة كوصفه الجميل للعزَّة الالهيَّة والملائكة والدينونة والجحيم والنعيم وبشارة العذراء ومولد المسيح العجيب ما يدلُّ صريحاً على تنصُّرهِ . على انَّنا نقرُّ بانَّ في اخبارهِ اضطراباً لبُعد عهد الرواة عن زمانهِ

## ثالثاً شعراء مضر

لم تنتشر النصرانيَّة في مضر بن نزار وقبائلهِ انتشارها في قبائل اخوَيهِ ربيعة واياد على انَّنا وجدنا ايضاً عدَّة آثار تنبئ بدخول النصرانيَّة في احياء كثيرة منها كبني عُقَيل الذين غلبت عليهم النصرانيَّة وبني تميم وعبس وذبيان وقيس عيلان وناجية . وقد اوردنا على ذلك شواهد في ما سبق في باب القبائل المتنصّرة وذكرنا بعض الاديرة المشيَّدة بينها

### ١ بنو تميم

روينا اخبار واشعار خمسة منهم اعني :

| | | |
|---|---|---|
| ١ عدي بن زيد | (شعراء النصرانيَّة | ص ٤٣٩–٤٧٤) |
| ٢ الاسود بن يعفر | « | ٤٧٥–٤٨٥ |
| ٣ سلامة بن جندل | « | ٤٨٦–٤٩١ |
| ٤ اوس بن حجر | « | ٤٩٢–٤٩٧ |
| ٥ علقمة الفحل | « | ٤٩٨–٥٠٩ |

عديّ بن زيد باقرار كلّ الكتبة كان نصرانياً من اسرة نصرانيَّة في خدمة ملك نصراني من ملوك الحيرة. وفي شعرهِ من الآثار الدينيَّة ما لم يُروَ عن غيرهِ الَّا عن اميَّة بن ابي الصلت. ففيهِ روايات من الاسفار المقدَّسة. وقد حلف بالشبَر اي القربان وبالصليب. وفي اخبارهِ ذكر دخولهِ الكنائس الى غير ذلك

وكان الاسود بن يعفر التميمي من سادة قومهِ ونادم النعمان كعدي بن زيد وعاش بين نصارى الحيرة وكانت بنو عجل النصارى اخوالهُ

وكذلك سلامة بن جندل الذي نشرنا ديوانهُ سنة ١٩١٠ فانهُ كالاسود بن يعفر عاش في جهات الحيرة التي كانت عمَّت النصرانيَّة كلَّ انحائها وعاشر قوماً من النصارى كتغلب والعباديّين وفي شعرهِ تلميحٌ اليهم. ولا اثر لكليهما في قصائدهما الى شيءٍ من الشرك وعلى خلاف ذلك. وردت في شعر سلامة تشابيه واشارات نصرانيَّة كذكرهِ لداود النبي وتنويه بمخطوطات النصارى المنمَّقة وبملابس العباديّين

وقد جعلنا ايضاً اوس بن حجَر في جملة النصارى وهو احد الذين اطلقهم من الاسر بسطام بن قيس رئيس شيبان النصراني بعد ظفرهِ بتميم فمدحهُ اوس لكرمهِ. ومن تشابيهه النصرانيَّة قولهُ يشبّه لميع رمحهِ بمصباح رئيس النصارى يوم عيد الفِصْح :

عليهِ كمصباح العزيز يشبُّهُ لِفِصْحٍ ويحشوهُ الذُّبال المُفتَّلا

وعلقمة بن عبدة التميمي كان مدَّاحاً لملوك غسَّان النصارى ولهُ محاضرات مع امرئ القيس والزبرقان بن بدر الشاعرين النصرانيَّين . وفي شعرهِ اشارة الى كأس قربان النصارى ومفعولها الصالح دون الأذى بشاربها قال في وصفها :

كأسُ عزيزٍ من الاعنابِ عتَّقها لبعض احيانها حانيَةٌ حومُ
تشفي الصداعَ لا يؤذيك صالبُها ولا يخالطُها في الرأس تدويمُ

قال الشارح : « العزيز كبير النصارى وقولهُ « لبعض احيانها » اي اعدَّها لفصحٍ او لعيدٍ »

٢ عبس وذبيان

عبس وذبيان ابوهما بغيض بن غطفان يتَّصلان بهِ الى الياس بن مضر بن نزار وقد

وقعت بينهما حروب كما جرت بين بكر وتغلب وقد نوّهنا بولوج النصرانيَّة في احيائهما (ص ١٣٤) وقد ذكرنا من عبس اربعة شعراء :

| | | |
|---|---|---|
| ١ الربيع بن زياد | (شعراء النصرانيَّة ص | ٧٨٧- ٧٩٣) |
| ٢ عنترة بن شدّاد | « | ٧٩٤-٨٨٢ |
| ٣ عروة بن الورد | « | ٨٨٣-٩١٦ |
| ٤ قيس بن زُهَيْر | « | ٩١٧-٩٣٢ |

ومن ذبيان اوردنا ترجمتي وقصائد شاعرين وهما :

| | | |
|---|---|---|
| ١ النابغة الذبياني | « | ٦٤٠-٧٣٢ |
| ٢ الحصين بن الحمام | « | ٧٣٣-٧٤٥ |

الربيع بن زياد احد اعيان بني عبس كان من ندماء النعمان بن المنذر ملك الحيرة مع سرجون بن توفيل وغيرهِ من النصارى كما روى صاحب الاغـاني وفي ذلك دليل على انه يدين بدينهم وفي اخبارهِ ادلَّة على توحيدهِ وكرم أخلاقهِ

امَّا عنترة فكانت امُّهُ حبشيَّة والحبش نصـارى كمـا هو معلوم . وفي شعرهِ الصحيح والمصنوع آثار عديدة دالَّة على توحيدهِ وآدابهِ ودينهِ . وفي ذلك ما يدلُّ على نصرانيَّتهِ لأنَّ التوحيد قبل محمَّد لم يشع في جزيرة العرب الَّا بفضل النصرانيَّة . وزد على ذلك انهُ كان في خدمة الملك زهير وابنهِ قيس النصرانيَّين

وكذلك عروة بن الورد موحّدٌ في شعرهِ ولهُ في اخباره من اعمـال الرحمة على الفقراء والمبؤوسين ما لا يُعهد مثلهُ الَّا عند من ربوا على التعاليم النصرانيَّة فدُعي لذلك عروة الصعاليك وشعرهُ ايضاً يخلو من كل شرك

امَّا قيس بن زهير فكان ابوهُ حليف ملوك الحيرة صـاهرهُ النعمان فتزوَّج ابنتهُ لشرفهِ وسؤددهِ . وقد روى ابن الاثير في تاريخهِ (١ : ٢٤٢) : انهُ بعد حرب داحس والغبراء « تاب الى ربّه فتنصَّر وساح في الارض حتَّى انتهى الى عمان فترهَّب »

وفي شعر النابغة عدَّة آثار منبئة بتوحيدهِ وتديُّنهِ وتقاهُ . وقد مدح ملوك غسَّان والمناذرة النصارى وفي ملوك غسَّان يقول :

مجلَّتهم ذات الالـه ودينُهم قويمٌ فمـا يرجون غير العواقبِ

وهو مديحٌ لا يقولـهُ شاعر ما لم يدِنْ بدينهم . وقـد ذكر صليب الزوراء في مدحهِ للنعمان ملك الحيرة النصرانيّ :

ظلَّت تقاطيع أنعام مؤبَّلةٍ لدى صليبٍ على الزوراء منصوبِ

وقال يذكر المصلّين من الرهبان الذين رافقوا جنازة الملك الغسَّاني النعمان بن الحارث ابن ابي شمّر :

فآبَ مصلُّوهُ بعَينٍ جليَّةٍ وغودر بالجَوْلان حزمٌ ونائلُ

ومن آثار عفَّتهِ الشاهدة لهُ على دينهِ النصراني وايمانهِ بالآخرة قولهُ :

حيَّاكَ ربّي فانَّا لا يَحِلُّ لنا لهوُ النساء وانَّ الدينَ قد عَزَما
مشمِّرين على خُوصٍ مزمَّمةٍ نرجو الالهونرجو البرَّوالطُّعَما

وفي اعتقادهِ لعزَّة الله وجلالهِ يقول :

حلفتُ فلم اترك لنفسك ريبةً وليس وراء الله للمرء مذهبُ

وقد ذكر في شعرهِ الانبياء كداود وسليمان . كقولهِ في داليَّتهِ التي مدح بها النعمان :

الَّا سليمان اذ قال الالهُ لهُ قُم في البريَّةِ فازجُرْها عن الفنَدِ
فمن أطاعك فانفعهُ بطاعتهِ كما اطاعك وادلُلْهُ على الرشدِ

وكان الحصين بن الحمام ذبيانيًّا ايضاً . وفي ترجمتهِ انهُ كان يؤمن بالله ويقرّ بالبعث وبعواقب الانسان منعيم وجحيم فقال من ابيات وهو نعم القول( اغاني١٢ : ١٢٨ )

فلم يبق من ذاك الَّا التُّقى ونفسٌ تعالج آجالها
امورٌ من الله فوقَ السماء مقاديرُ تُنزِلُ إنزالها
اعوذُ بربّي من المخزيا تِ يوم ترى النفسُ أعمالها
وخفَّ الموازينُ بالكافرين وزُلزِلت الارضُ زلزالها
ونادى منادٍ باهل القبورِ فهُبُّوا لتُبرزَ أثقالها
وسُعِّرت النارُ فيها العذابُ وكان السلاسلُ اغلالها

ومن بني قيس عيلان من غير عبس وذبيان ذو الاصبع العَدْواني ينتمي الى عدوان بن عمرو بن سعد بن عيلان . وقد أنسنا في شعره من الآداب والحكم ما حملنا على الترجيح بنصرانيَّتهِ مع خلوّهِ من كل اثر للشرك . فهو يذكر الله وقدرتهُ على كلّ ما يشاء . وفي قومهِ عدوان قد أُحصي سبعون الف غلام أغرل كما روى

صاحب الاغاني عن الاصمعي (٣ : ٢) وقد رأينا في اهمالهم للختانة اثرًا لنصرانيَّتهم

٣ شعراء هوازن

هوازن يرتقي نسبُها الى خصفة بن قيس عيلان بن الياس بن مضر ادرجنا اثنين من شعرائها في جملة شعراء النصرانيَّة وهما :

| | | |
|---|---|---|
| ١ كعب بن سعد الغنوي | (شعراء النصرانيَّة | ص٧٤٦–٧٥١) |
| ٢ دريد بن الصمَّة | « | ٧٥٢–٧٨٣ |

في شعر كعب بن سعد من الحكم والعواطف الليّنة والحنان ما دفعنا الى ضمّهِ الى شعراء النصرانيَّة . ثم انَّ اخاهُ ابا المغوار قُتل في حرب ذي قار التي كان اكثر محاربيها من القبائل النصرانيَّة

امَّا دريد بن الصمَّة فانهُ كان سيّد قومهِ بني جُشم وفارسهم ادرك الاسلام وحارب محمَّدًا وانصارهُ يوم حنين . وفي شعرهِ من الايمان بالله وذكر الانبياء ما ينفي عنهُ الشرك ويدلُّ على انهُ اخذ ذلك عن النصارى . وكان اخوهُ يدعى عبدالله وفي اسمهِ شاهد على دينهِ . وقد مدح في شعره بني الديَّان نصارى نجران

٤ مضريُّون آخرون

هم اربعة نظمناهم في سلك كتابنا يرتقي نسبهم الى الياس بن مضر بن نزار :

| | | |
|---|---|---|
| ١ زهير بن ابي سلمى | (شعراء النصرانيَّة | ص٥١٠–٥٩٥) |
| ٢ عبيد بن الابرص | « | ٥٩٦–٦١٥ |
| ٣ ورقة بن نوفل | « | ٦١٦=٦١٨ |
| ٤ زيد بن عمرو بن نُفَيل | « | ٦١٩–٦٢٢ |

زهير صاحب المعلَّقة الميميَّة الشهيرة ومادح السيّدين الحارث بن عوف وهرم بن سنان اللذين سعيا باصلاح قبيلتي عبس وذبيان بعد حرب داحس والغبراء . كان مؤمناً بالله وبيوم الدين والحساب ومن اقوالهِ في ذلك قولهُ للمتحاربين ليتركوا كلَّ ضغينة :

فلا تكتُمنَّ اللهَ ما في صدوركم ليخفى ومهما يُكتَمِ الله يَعْلَمِ
يؤخَّرْ فيوضعْ في كتابٍ فيُدَّخر ليوم الحساب او يُعجَّلْ فيُنقمِ

وقال ايضاً :

بدا ليَ انَّ الله حقٌّ فزادني الى الحقّ تقوى الله ما كان باديَا

وهو القائل :

تزوَّد الى يوم المماتِ فانَّهُ ولو كرهتْهُ النفسُ آخرُ مَوْعِدِ

وقدَّمنا انَّ الايمان بالله وبالحساب قبل الاسلام يُشعر بنصرانية قائلهِ . وهو ينسب الى الله في شعرهِ الحكم في خلائقهِ مع وجودهِ الى الابد . وكذلك اشار في قصائدهِ الى امور من الكتاب المقدَّس كذكرهِ لفرعون وداود

عبيد بن الابرص احد الشعراء الوافدين على ملوك غسَّان وكندة النصارى وقد مدحهم بشعرهِ . وفي ديوانهِ ما ينبئ بتوحيدهِ وتقاهُ واعتقادهِ للآخرة . كقولهِ في بائيَّتهِ الشهيرة :

مَنْ يسأل الناسَ يحرموهُ وسائلُ الله لا يخيبُ
بالله يُدرَكُ كلّ خيرٍ والقول في بعضهِ تلغيبُ
والله ليس لهُ شريكٌ علَّامُ ما اخفتِ القلوبُ

وكثيرًا ما ينسب اليهِ تعالى القدرة والبقاء والعلم . فمن قولهِ :

ولَيَفْنَيَنْ هذا وذاك كلاهُما الَّا الالهَ ووجهَهُ المعبودا

وذكر ايضاً في شعرهِ النبيَّ داود

امَّا ورقة بن نوفل فلا خلاف في نصرانيَّتهِ فانَّ عامَّة الكتبة المسلمين يقرُّون بذلك كابن قتيبة في المعارف وابن هشام في سيرة الرسول وقد روينا ما قالهُ ابو الفرج الاصفهاني في الاغاني . ومثلهُ ابن الاثير في اسد الغابة (٥ : ٤٣٦) قال « انَّ ورقة كان امرأً تنصَّر في الجاهليَّة يكتب الكتاب العبرانيَّ ويكتب من الانجيل ما شاء الله ان يكتب » وكان ورقة ابن عمّ خديجة زوجة رسول الاسلام . وفي شعرهِ ما يثبت صحَّة دينهِ

امَّا زيد بن عمرو بن نُفَيل فيقال عنهُ انهُ خلع عبادة الاوثان واجتمع بالاحبار والرهبان وضرب في البلاد يطلب الحنيفيَّة دين ابرهيم . وعندنا انَّ هذه الحنيفيَّة هي احدى شيع النصارى . ولو قابلتَ بين شعرهِ وشعر ورقة وجدت بينهما شبهاً تامًّا في كلّ معانيهما وزهدهما وايمانهما بالاله الواحد وبالبعث والخلود للابرار في دار النعيم وللكفَّار في نار الجحيم

## رابعاً شعراء اليمن من بني كهلان

في القسم الاوَّل من كتابنا خصصنا عدَّة صفحات لبيان نفوذ النصرانيَّة في اليمن منذ القرون الاولى للنصرانيَّة ولاسيَّما بعد انفجار سدّ مأرب بين القبائل المنتقلة الى شمالي جزيرة العرب وغربيّها وجنوبها الشرقي فلا حاجة الى تكرار ما اثبتناهُ عن تنصُّر كندة وقضاعة وغسَّان والمناذرة . وقد روينا اخبار بعض الشعراء من قبائل يمنيَّة اعني كندة ومذحج وطيّ

### ١ شعراء كندة

اشعر شعراء كندة بل رأسهم وزعيمهم امرؤ القيس الكندي . روينا اخباره بعد ان قدَّمنا عليها اخبار اعمامه

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١ اعمام امرئ القيس | (شعراء النصرانيَّة | ص | ١–٥) |
| ٢ امرؤ القيس بن حجر | « | | ٦–٦٧ |

قد سبق لنا في المشرق مقالة مطوَّلة رددنا فيها على مزاعم الاب انستاس الكرملي الذي ادَّعى ان امرأ القيس كان مزدكيًّا فكتب عن ذلك فصلين اثبتناهما في المشرق (٨ [١٩٠٥] : ٨٨٦ و ٩٤٩) فابطلنا زعمهُ واثبتنا نصرانيَّة امرئ القيس بعشرة براهين (٨ : ٩٩٨–١٠٠٦) : ١ً تفنيدنا لمن زعم انهُ كان وثنيًّا او مزدكيًّا (٩٩٩–١٠٠٢) . ٢ً خلوّ شعرهِ من آثار الشرك وعبادة الاصنام . ٣ً عدَّة ابيات من قصائدهِ تصرّح بتوحيدهِ واقرارهِ بالبعث والنشور . ٤ً اشارات واضحة الى شؤون النصارى وعاداتهم ورهبانهم وزبورهم سبق ذكرها . ٥ً انتشار النصرانيَّة في كندة قبيلة امرئ القيس كما اعلن ذلك عبد المسيح الكنديّ في معارضتهِ للهاشميّ حيث يذكر شرف كندة ويفتخر بدينها المسيحيّ . ٦ً خروج امرئ القيس الى قيصر الروم يستنجدهُ على قتلة والدهِ حُجر . وما كان امرؤ القيس ليفكّر في ذلك لولا رابطة الدين بينهُ وبين ملك الروم الذي كان في ذلك الوقت يُدعى يوستنيان العريق في دينهِ النصرانيّ . ٧ً كانت عمَّة امرئ القيس هندَ بنت الحارث المعروفة بهند الكبرى وهي زوجة المنذر بن ماء السماء ووالدة عمرو بن هند التي عمَّرت الدير المنسوب اليها في الحيرة وعلّقت عليها كتابة تدعو فيها نفسها « أَمة المسيح وامّ عبدهِ

وبنت عبيدهِ» وبذلك تثبت ايضاً نصرانيَّة اعمام امرئ القيس الذين ذكرناهم · ٨ً وكذلك امّ امرئ القيس هي فاطمة اخت المهلهل وكليب من قبيلة تغلب النصارى· ٩ً وقد روينا في المشرق (٨ [١٩٠٥] : ١٠٠٥) ما نقلهُ فوطيوس في مكتبتهِ عن الاصل اليوناني للمؤرخ نُنُّوز الذي ارسلهُ يوستنيان الملك سفيرًا الى الحبشة والى امرئ القيس الكندي ليوليّهُ على مقاطعات فلسطين (١ · وفيها من الشواهد على نصرانيَّة امرئ القيس ما لا يُنكر · ١٠ وشفعنا اخبار تلك السفارة بذكر سفارة اخرى رواها المؤرخ بروكوب الشهير في كتابهِ عن الحرب الفارسيَّة (**Procope**, B.P., I.20) قال انها عُهدت الى يُليان من قبل ملك الروم الى الحبشة والحميريين ليجعلوا الملك على قبائل معدّ في يد امرئ القيس الذي كان في ذلك الوقت شاردًا بين القبائل ويقول عنهُ بروكوب « انهُ كان احد رؤساء القبائل من نسل كريم وذا بطش في الحرب » وقد اثبتنا كلامهُ بالحرف في الاصل اليونانيّ

٢ً شعراء مَذحج

مذحج قبيلة يمنيَّة كبيرة كانت تسكن جنوبي العرب في جهات نجران وفيها انتشرت النصرانيَّة على يد احد دُعاتها الذي يدعوهُ العرب فيمون· ومنها كان شهداء نجران في عهد ذي نوَّاس· واليها ينتمي بنو الحارث بن كعب سادة نجران النصارى بُناة الكنائس وكعبة نجران (راجع الصفحة ١٣٩) · وقد اخترنا من شعراء مَذحج ثلثة وهم :

| | | |
|---|---|---|
| ١ الافوه الاودي | (شعراء النصرانيَّة | ص٧٠–٧٤) |
| ٢ عبد يغوث | 〃 | ٧٥–٧٩ |
| ٣ يزيد بن عبد المدان | 〃 | ٨٠–٨٨ |

كان الافوه الاودي سيّد قومهِ وفي شعرهِ من الحكم ما يدلُّ على حصافة رأيهِ وحسن نظرهِ وآدابهِ· ومثلهُ عبد يغوث كان فارساً مغوارًا · امَّا يزيد بن عبد المدان فكان من اشراف اليمن وسيّد مذحج من بني الديَّان الذين مدحهم الاعشى لجودهم وعزّهم· ولا حاجة لاثبات نصرانيَّتهم مع شهرتها

١) اطلب اعمال الآباء اليونان ( Migne, PP. GG., CIII, col. 46-48 )

٣ شعراء بني طيّ

طيّ احدى القبائل اليمنيَّة التي صرَّح كتبة العرب بنصرانيَّتها قال ابن واضح اليعقوبي في تاريخهِ (١ : ٢٩٨) : « تنصَّر من احياء العرب من اليمن طيّ ومذحج » راجع ادلَّة اخرى اثبتناها في ما سبق (ص١٣٢) وقد اخترنا من شعراء طيّ الاربعة الآتي ذكرهم :

| | | |
|---|---|---|
| ١ حنظلة الطائي | (شعراء النصرانيَّة ص | ٨٩–٩٢) |
| ٢ قبيصة بن النصراني | « | ٩٣–٩٧ |
| ٣ حاتم الطائي | « | ٩٨–١٣٤ |
| ٤ اياس بن قبيصة | « | ١٣٥–١٣٨ |

حنظلة الطائي هو ذاك الوافد على النعمان يوم بؤسهِ وفاءً بوعدهِ اذ رجع ليُقتَل بعد غيبتهِ . وكان قيامهُ بوعدهِ لاجل دينهِ النصراني داعياً لتنصُّر النعمان . ومات بعد ان ترهَّب في الدير الذي ابتناهُ على نفقتهِ

قبيصة بن النصراني احد بني جَرْم المشهورين بنصرانيَّتهم في طيّ . ذكرهُ مراراً ابو تمَّام في حماستهِ . ويدلُّ اسمهُ على دينهِ

وكذلك حاتم الطائي نصرانيّ لا شكَّ فيهِ . فانَّ ايمانهُ بالالــه الواحد وبالبعث والنشور واشارتهُ الى بعض امور النصرانيَّة تثبت امر دينهِ . وفي سيرته من آثار العفَّة والكرم ما هو موافق للروح النصراني ولعلَّهُ اقتبس من الانجيل قولهُ :

كُلوا اليوم من رزق الالهِ وأيْسِروا وانَّ على الرحمانِ رزقكمُ غـدا

وقد صرَّح الكتبة بنصرانيَّة ابنهِ عدي الذي وفد على محمَّد وقيل انهُ أسلم . وذكر صاحب دائرة العلوم الاسلاميَّة (Encyclopédie de l'Islam, p. 138) في ترجمة عديّ بن حاتم انَّ الأب والابن كانا نصرانيّين . وسبقهُ الى ذلك غانيار (Gagnier) في سيرة محمَّد الافرنسيَّة

امَّا اياس بن قبيصة فهو ابن اخي حنظلة الذي كان وفاؤهُ داعياً لتنصُّر النعمان . وكانت امُّهُ اخت هانئ بن مسعود رئيس بني شيبان النصارى . وكان اياس من اشراف الحيرة . ولم يعدلوا عن دينهم لمَّا ظهر الاسلام فانَّ الطبريّ يخبر في تاريخهِ (١ : ٢٠١٨) انَّهم فضَّلوا دفع الجزية مع البقاء على دينهم النصراني

٤ شعراء كلب

انّ نصرانيَّة كلب المنتمية الى قضاعة ممّا لا يختلف فيهِ اثنـان (راجع الصفحة ١٣٧ و ١٣٨ من كتابنـا) ولم نذكر من هـذه القبيلة غير زهير بن جناب الـكلبي القضاعيّ. ولّاهُ ابرهة على بكر وتغلب كما روينا (ص ٢٠٦ من شعراء النصرانيَّة) وذلك بسبب نصرانيّتهِ ونصرانيَّة بكر وتغلب. وكذا يقال عن دخولهِ على ملوك غسَّان وبني لخم. وجاء في تذكرة ابن حمدون (نسخة برلين ص ٢١٥) «انَّ زهير بن جناب كان سيّدًا مطاعاً شريفاً في قومهِ ويقال كانت فيهِ عشر خصال لم تجتمـع في غيرهِ من اهل زمانهِ كان سيّد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم وقائـدهم ووافدهم الى الملوك وطبيبهم (والطبّ في ذلك الزمان شرف) وجـارى قومهُ الى كاهنهم وكان فارس قومهِ ولهُ البيتُ فيهم والعـدد منهم» ثم يورد وصاتهُ لبنيهِ يحرّضهم فيها على الثقة بالله

وبزهير بن جناب ختام فصلنا هذا الذي قدّمنا فيهِ الدلائل على نصرانيَّة الشعراء المذكورين في كتابنا وبهِ ايضاً نجـاز كتاب «تاريخ النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة». ونكرّر ما قلنا سابقاً أنّنا (اوّلًا) ذكرنا من شعراء الجـاهليَّة الذين صرّح الكتبة بدينهم النصرانيّ. (ثانياً) حقّقنا نصرانيَّة كثيرين منهم بنصرانيَّة قبائلهم وبخلوّ شعرهم من آثار الشرك وبتوحيدهم لله واعتقادهم بخلود النفس والثواب والعقاب وباشاراتهم الى دين النصارى وكلّ ذلك لا يمكن تعليلهُ بين عرب الجاهليَّة الّا بنفوذ النصرانيَّة. (ثالثاً) اخذنا اسم النصرانيَّة بمعنـاه الواسع سواء كان الشعراء من تبعتهِ المستقيمي الايمان او من شيعهِ الضالَّة كالاريوسيَّة والنسطوريَّة واليعقوبيَّة. (رابعاً) لسنا ندَّعي انَّ هؤلاء النصارى جروا في سيرتهم بكل حرص على نواميس النصرانيَّة لاسيَّما في امر الطلاق وفي غزواتهم واخـذهم بالثأر على خلاف التعاليم النصرانيَّة. وانّما تبعوا في ذلك سُنن عرب البادية واقتفوا آثارهم. وتقلّدوا عاداتهم. والعادة كما يُعرف طبيعة ثانية يصعب استئصالها وقهرها. (خامساً) وان وجد احد في بعض اقوالنا شططاً فمعاذ الله ان نكابر الحقّ ان بيَّنهُ لنا ارباب الفضل والعلم. وليس الكمال الّا لله

وسنلحق كتابنا هذا ببعض فوائد واصلاحات وفهارس نطبعهـا على حدة ان شاء الله

# مطبوعات شرقيّة جديدة

**W. Riedel :** Untersuchengen zu den Tell-el-Amarna - Briefen . *Tübingen,* 1920, *p.* 31

ابحاث في رسالات تلّ العمارنة

هذه الكتابة جديرة بالاعتبار قد خصّها كاتبها في ابحـاث مهمّة لتاريخ سوريّة كنّا خضنا فيها في المشرق في كتابنا المعنون بتسريح الابصار (١ : ٣١ و ٧٢—٨١) ومدار هذا التأليف الجديد اوّلاً على بيان بعض المعلومات المنوطة بتاريخ رسالات تلّ العمارنة ثم على تعريف بعض الامكنة المذكورة في تلـك الآثار الجليلة . على انّ الامر لا يخلو من الصعوبات . مثال ذلك انّ المؤلف المسيو ريدل يجعل « كتنا » شمالي سوريّة ويزعم انّ تونيپ او ذونيب في حصن الاكراد وكنّا سبقنا قبلاً وعرضنـا لتعيين هذين المحلّين نواحي دمشق اعني قَطَنا قريباً منها وذنبة في انحائها . وقد ورد اسم ذنبة على صورة Dennaba في الرحلة المنسوبة الى القديسة سيلڤيا . وفي لفظ الاسماء والدلالات الجغرافيّة ما يؤيّد رأينا . وعلى كلّ حال نثني على واضع هذه الابحـاث التي نالت لهُ امتيازات الملفنة فنهنئه الاب ه . لامنس

Der Philosophische und Religioese Subjectivismus Ghazalis . Ein Beitrag zum Problem der Religion *von D*r *J. Obermann*

شعوريّة الغزّالي الفلسفيّة والدينيّة

قد كثرت في هذه الحقبة الاخيرة الكتابات والـدروس على الإمام ابي حامد الغزّالي فكثيرون من المستشرقين في المانية (كغولدتسيهر) وفرنسة (كارا دي ڤو) واميركة (مكدونلد) واسبانية (آسين پلاسيوس) اتّسعوا في تعريف مذهبهِ وآرائهِ الدينيّة والفلسفيّة . وقد عُرف الغزّالي كاحد زعمـاء الصوفيّين واكبر الدُّعاة في الاسلام ببيان الاتّفاق بين العقل والدين . وقد تقلّب كثيرًا في آرائهِ وبعد أَن عدل مدّة الى الارتياب في كلّ المعارف الوضعيّة التجـأ الى مذهب النسك والزهد ليحصل بهما على المقامات اللدنيّة ويرتقي منها الى التوحيد والمعرفة والحلول . وقد ردّ على فلاسفة الاسلام وعلماء علم الكلام والفقهـاء في زمانهِ وايّد الطريقة الصوفيّة وادخل فيها

كثيراً من نسكيَّات النصارى والهنود. وتآليفهُ عديدة جدًّا اخصُّها إحياء علوم الدين وتهافت الفلاسفة ومشكاة الانوار ومقاصد الفلاسفة والمنقذ من الضلال والقسطاس ورياضات النفس وضمّ الدنيا والفقر والزهد وكتاب التوحيد وقطب القلوب الخ. ودرسُ هذه التآليف يستدعي زمناً طويلًا لتعريف آراء الغزالي وادراك مقاصدهِ المتنوّعة. وها هوذا كتاب جديد في ذلك للدكتور اوبرمان من اساتذة كليَّة همبورغ دعاهُ بشعوريَّة (Subjectivismus) الغزالي يريد بهِ تشييد الغزالي لمذهبهِ الصوفيّ على اعتقاد الايمان الباطني (Fidéisme) ووحي الله نافياً العلم المبني على الفلسفة النظريَّة التي لا يمكنها اثبات الحقائق الدينيَّة دون التقرُّب الى الله بالزهد. وقد تتبَّع صاحب الكتاب اخصَّ مدّعيات الغزالي الفلسفيَّة والدينيَّة ليبيّن ما تؤَدي اليهِ اخيراً من الركون الى النور الداخلي المكتسب بالتوحيد والحلول. فلا شكّ انَّ هذا الكتاب من شأنه ان يكشف كثيراً من معمّيات التصوُّف ومذهبهِ الملتبس الذي زيَّفهُ كثيرون من الائمَّة. وقد احسّ الغزالي بذلك اذ رأى تطرُّف بعض الصوفيين الذين جاهروا بدعوى الاتّحاد مع الله سبحانهُ وتعالى كحسين الحلّاج ويزيد البسطاميّ وفيهم يقول الغزالي: «مَن نطق بشيء من هذا فقتلهُ افضل في دين الله من إحياء عشرة» ل. ش

PAN-ISLAM by **G. Wyman Bury,** *Macmillan and Co,* 1919. *pp.* 212

الرابطة الاسلاميَّة

وضع هذا الكتاب الممتع احد قدماء المستعمرين من الانكليز الذين اختلطوا بالعالم العربي وعرفوا احوالهُ. بيد انَّ المؤلف ربَّما استطرد عن الموضوع فخاض في اطرافهِ اكثر منهُ في بواطنهِ. فتراهُ يفصّل حوادث مصر وجزيرة العرب وما جرى في الحرب الاخيرة من الانقلاب السياسي في الحجاز وهو يشعر في مطاوي كلامهِ باعتبارهِ للامير فيصل لكنَّهُ يرى غلوًّا ظاهراً في ما كتبتهُ الصحائف الانكليزيَّة عن مآثر اهل البادية في الحرب. وفيهم يقول (ص١٣٢) «انهم مشوا الى الحرب تحت قيادة الضبَّاط الاوربيّين على شبه بنات آوى التي تتبع الأسد لتغتذي بفضلات صيدهِ» وقال في محلّ آخر (ص ١٣١): «انَّ الحجاز لا تقوى مطلقاً على ان تبسط حكمها على أُمم ارقى منها حضارةً». وكذلك يقرُّ (ص١٥٣) بانَّ كل مساعي المبشّرين البروتستانت

ولاسيَّما الاميركيين لتنصير المسلمين ذهبت سدًى . وخلاصة القول انَّ الذي يطالع هذا الكتاب لا يستفيد منهُ ما اعلن بايضاحهِ في عنوان الكتاب اي بيان الرابطة الاسلاميَّة في جهات المعمور لكنَّهُ يجتني من مطالعتهِ عدَّة معلومات مفيدة علاقتها مع الموضوع بعيدة او قريبة ليس الَّا ومن هذا القبيل يستحقّ الكتاب ان يطالعهُ القرَّاء لاسيَّما ان الكاتب خفيف الروح يحسن بسط الامور فيلتذّ القارئ بتسريح النظر في كتابتهِ دون سأم الاب هنري لامنس

Aḍ-Ḍaḫīrat as-Saniyya: CHRONIQUE ANONYME DES MÉRINIDES. Texte arabe publié par **Mohammed Ben Cheneb**, *Alger, Bastide-Jourdan*, 1921, *pp.* 232

الذخيرة السنيَّة في تاريخ الدولة المرينيَّة

هذا التاريخ نشرهُ الاديب محمَّد بن شنب من اساتذة مدرسة الجزائر في جملة مطبوعات كليَّتها في القسم الآداب منها وهو لكاتب مجهول الَّا انهُ كان يظهر قريب العهد من الامور التي يذكرها . والكتاب يشتمل على اخبار احدى الدول التي احتلَّت المغرب الاقصى واستولت على مرَّاكش واتَّصل ملكها مدَّةً الى الجزائر نريد بها دولة بني مرين من قبائل زناتة الراقي اصلها الى ابي محمَّد عبد الحقّ الذي انتصر على دولة الموحّدين في اوائل القرن السابع للهجرة والثالث عشر للمسيح ثم خلفهُ اربعة من اولادهِ ثمَّ حفداؤهُ ولم يزل نجمهم في صعود الى ان تقلَّص ظلُّهم بعد ثلاثة قرون فخلفتهم الدولة السعديَّة . امَّا التاريخ الذي نحن في صددهِ فانهُ يتناول سبعين سنة فقط من اخبار الدولة المرينيَّة ويذكر كثيرًا من الامور التي قلما تجدها في غيرهِ عن تلك الانحاء البعيدة مع ذكر اهمّ الحوادث التي وقعت في غير انحاء الاسلام . وقد علَّق ناشر الكتاب عليهِ بعض الحواشي ولاشكّ انهُ سيتبعهُ عمَّا قليلٍ بترجمتهِ الى الافرنسيَّة ويقدّم عليهِ المقدّمات المفيدة لتعريف اصلهِ وفصلهِ . وقد اكتفى بان يختم هذا الجزء بفهارس الاعلام للاشخاص والامكنة وجدول قوافي الابيات الواردة في الكتاب

**Pierre Guilloux s j.** : L'AME DE S^t AUGUSTIN. J.de Gigord.éditeur. 15. rue Cassette. Paris, 1921. pp. 384

نفس القديس اوغسطينوس

قليلون هم الرجال العظام الذين طبَّق ذكرهم المعمور وصبر اسمهم على تقلّبات

الدهر . ولا شكَّ ان القديس اوغسطينوس اسقف مدينة بونة في افريقية احد هؤلاء النوابغ فانَّ فضائلهُ السامية ومآثرهُ العديدة وخدمهُ المشكورة للدين والدنيا معاً لا تزال موضوع الاعجاب والاندهاش لكل من يمعن فيها النظر . وقد كتب كثيرون في وصف سيرتهِ واعمالهِ . والكتاب الذي نحن بصددهِ يزيدنا بهِ معرفةً وهو لاحد الآباء اليسوعيين الاب كويليو الذي تعمَّق في درس المجلَّدات الضخمة المشتملة على تآليف القديس اوغسطينوس في كافة علوم زمانهِ الدينيَّة والدنيويَّة فاستخرج منها معلومات دقيقة سها عنها اصحاب السير القديمة ومن شأنها ان تمثّل لنا على احسن منوال نفس القديس اوغسطينوس وافكارهُ وعواطفهُ منذ اوَّل حياتهِ قبل رجوعه الى الله حتى آخر انفاسهِ بعد ان اصبح كالسراج الموضوع فوق المنارة وصار العالم كلهُ يستضيء بانوارهِ الساطعة ويعتبرهُ كسند الكنيسة ومطرقة الهراطقة وافضل راعٍ لسياسة المؤمنين وادلّ دليل وأهدى مرشد للضالّين . ولعلَّ اهل وطننا عرفوا شيئاً من ذلك بمطالعة ما عُرّب من كتاباتهِ كتأملاتهِ ومناجياتهِ لله واعترافاتهِ الّا انهم سوف يقتبسون ما يفوق على كل ذلك باستطلاع هذا السفر الجليل

## الرحلة السوريَّة في الحرب العموميَّة سنة ١٩١٦

### بقلم الخوري بطرس خويري

طُبع في مصر بعناية يوسف توما البستاني سنة ١٩٢١ (ص ٩٦)

ذكرنا سابقاً (ص ٧٢) قصّة الطبيب الطريد وما حدث لهُ من المصائب المتنوّعة اذ فرَّ من ظلم الاتراك . ودونك كتاباً آخر ينبئنا بما دهم كاهناً شهماً قدَّم نفسهُ في مصر ثاني سنة للحرب للمفوَّضيَّة الفرنسويَّة البحريَّة ليأتي لها بكل المعلومات عن احوال لبنان وسوريَّة لتكون على أُهبة احتلال البلاد . فتمكَّن من النزول الى سواحل الشام وطاف في لبنان وجهات دمشق وحمص والبقاع حتَّى احسَّ بهِ العدوّ وترَّصدهُ وكاد يذيقهُ مراراً سجال غضبهِ لولا ما اظهرهُ الكاهن من رباطة الجأش والصبر على البلايا حتَّى تمكَّن من ادراك غايتهِ وعاد سالماً الى مصر . ومع ثنائنا على نشاط هذا الكاهن وتفانيهِ في سبيل وطنهِ وجدنا في تعرّضهِ لهذه المخاطر ما لم يناسب كثيراً دعوتهُ الكهنوتيَّة لتداخلهِ في السياسة كما انَّهُ كان الاحرى بهِ ان يتحاشى في روايتهِ بعض الاوصاف المخلّة بشرف الاكليروس

ل . ش

## غليوم الثاني امبراطور المانية السابق

بقلم كريم خليل ثابت

طُبع في مصر بعناية يوسف توما البستاني سنة ١٩٢١ ( ص ٧٢ )

انَّ حياة الامبراطور الالماني السابق غليوم الثاني اشبه برواية مفجعة ذات خمسة فصول كان ختامُها في آخر الحرب الكونيَّة حيث سقط ذلك العاهل عن مرتبتهِ بعد العظمة والجاه واصبح نسياً منسيًّا خامل الذكر بعد سقوط ستار المسرح. فهذه الرواية التامَّة الادوار يحسن الآن تفصيل تقلُّباتها لما بين اوائلها واواخرهـا من الروابط . وهذا ما سعى بهِ كريم افندي خليل ثابت بهذا الكتاب الذي جمع فيهِ ما يُعرف عن ذلك الرجل العظيم منذ اوائل حياتهِ الى ان تبوَّأ دست السلطنة فكـادت الارض تهتزُّ لاوامرهِ حتَّى اضطرَّ اخيرًا بعد إسعارهِ نار الحرب وخوضهِ معامعها الى ان يتنازل عن عرشهِ ويفرَّ هارباً بنفسهِ الى هولنـدة حيث لا يرى ولا يسمع الَّا من يُنحي اليهِ بالملامة لما اوقع في العالم من الشرور والآفات . فهذا الكتـاب مع صغر حجمهِ من افضل ما تقرأهُ الناشئة لتقف على تدبير الخالق لامور العالم وملوكهِ ل. ش

## كتاب الكتَّاب لابن دُرُسْتَوَيهْ

نشرهُ واضاف اليهِ الملحوظات والفهارس الاب ل. شيخو

طُبع في المطبعة الكاثوليكيَّة للآباء اليسوعيّين في بيروت سنة ١٩٢١ (ص١١٤)

هذا اثر قديم يرقى الى القرن الرابع للهجرة وضعهُ احـد مشاهير اللغويين كان صبر على آفات الدهر فسلمت منهُ نسخة مصونة في مكتبة اوكسفرد الشرقيَّة كان استنسخها الحلبيّ الشهير المرحوم رزق الله حسّون فوقعت نسختهُ في يدنا فنشرناها تباعاً في المشرق ثم طبعناها على حدة واضفنا اليها الملحوظات والفهارس تقريبـاً لاجتناء فوائدها . وما رآهُ منها القرَّاء في هذه المجلَّة يغنيهم عن وصفها وبيان خواصّها

## تاريخ الفلسفة من أقدم عصورها الى الآن

تأليف حنَّا اسعد فهمي

نُشر بمساعي يوسف توما البستاني في مصر سنة ١٩٢١ (ص٣٥٦)

مؤلف هذا الكتاب «حائز دبلوم الليسانس في الحقوق في جامعة باريس» وذلك مما يوثّقنا بمعارفهِ الفقهيَّة . وكنَّا وددنا لوضع تأليفٍ مثل هذا ان يكون دكتورًا في

الفلسفة ليحسن انتقاد آراء الفلاسفة الذين يذكر تاريخهم ولولا ذلك لصار كتابهُ عثرةً للقرَّاء وهم يرون كلَّ ما خطر في عقول البشر من المزاعم الغريبة منها غثٌّ ومنها سمين بينها الباطل واليقين فلا يعرفون ان يميّزوا بين المتناقضات. وهذا اوَّل ما نأخذهُ على هذا التأليف انَّ صاحبهُ لم ينبّه القرَّاء على الاقلّ بكلمة انتقاديّة عن سخافة بعض آراء الاقدمين او سفاسف فلاسفة العصور المتأخرة المعادين للاديان كفولتير واصحابهِ وكالالمان البروتستانت والانكليز الماديّين. وقد ظهر لنا انَّ المؤلف قد ركن الى اقوال الفرنج دون ان يتحقَّق صحّتها وقد نقل احكامهم حتَّى في فلاسفة العرب ولم يطّلع هو عليها في مظانّها. وقد تأكّدنا مرارًا انَّهُ لم يُحسن ادراك ما قرأهُ في الكتب الاوربيَّة فعرَّبها تعريبـاً لا يوافق لمراد الكتبة وروى كثيرًا من الالفاظ الاجنبيَّة بالغلط. ولولا ضيق المجال لاتَّسعنا في بيان كلّ ذلك لا في صفحة واحدة بل في مقالة مشبعة وان شاء الله نفعل في فرصة اخرى ل. ش

## مجلات سوريا المرسلة الى المشرق بعد الحرب على حروف المعجم

- رسالة السلام - : مجلَّة مارونيَّة لبنانيَّة نشرها في بيروت حضرة الخوري انطون عقل سنة ١٩١٩

- رسالة قلب يسوع - : ظهرت سنة ١٩٢٠ في مطبعتنا الكاثوليكية تحت ادارة احد الآباء اليسوعيين

- زهرة الجميل - : مجلَّة ادبيَّة روائيَّة اخلاقيَّة تاريخيَّة فكاهيَّة يصدرها صاحبها جميل افندي البحري في حيفا منذ شهر ايَّار ١٩٢١ مرَّتين في الشهر

- الشعلة - : كان ظهورها في حلب في آب من العـام الماضي وهي مجلَّة ادبيَّة فنيَّة اقتصاديَّة لصاحب امتيازها فتح الله افندي قسطون

- الفجر - : مجلَّة نسائيَّة اصدرتها الأنسة نجلا ابي لمع في بيروت سنة ١٩١٩

- الفوائد - : مجلَّة علميَّة ادبيَّة اقتصاديَّة اخباريَّة استأنف نشرها في نيسان الماضي صاحب جريدة الاحوال الفاضل في بيروت خليل افندي البدوي

- مجلَّة الرابطة الادبيَّة - : اصدرتها في ايلول الماضي جمعيَّة الرابطة الادبيَّة في دمشق

- مجلَّة العرفان - : عادت الى الحياة بعد الحرب فدخلت في سنتها السادسة ثمَّ السابعة ينشئها في صيداء حضرة الكاتب احمد افندي عارف الزين

- مجلَّة العلوم - : ظهرت في تموز من العام المنصرم في دمشق لمنشئها ومديرهـا عبد اللطيف الفلاحي

- المجلَّة القضائيَّة - : لصاحبها ومديرهـا يوسف افندي ابرهيم صـادر ظهر اوَّل اعدادها في نيسان الماضي في مطبعتهِ العلميَّة في بيروت

-﴿ مجلّة المجمع العلميّ العربيّ ﴾- : تصدر في دمشق الشام وينشئها نخبة من الادباء تحت نظارة مدير المعارف ورئيس المجمع العلمي العالم الفاضل محمد افندي كرد علي

-﴿ المسرّة ﴾- : مجلّة بطريركيّة الروم الكاثوليك يديرها حضرة الآباء المرسلين البولسيين . تُطبع في حريصا (لبنان) . عادت الى الوجود بعد الحرب السنة ١٩٢٠

-﴿ المعارف ﴾- : مجلّة شهريّة عامّة لصاحبها وديع افندي نقولا حنّا . تُطبع في الشويفات دخلت في السنة الخامسة من عمرها

-﴿ النجاح ﴾- : مجلّة علميّة ادبيّة تهذيبيّة تاريخيّة عموميّة تصدر في دمشق الشام منذ اوّل السنة الحاضرة لصاحب امتيازها الياس خليل ترتر ورئيس تحريرها فؤاد الخياط

# شذرات

﴿ شهادة كاتب على زلازل صقلّية سنة ١٧٨٣ ﴾ ذكر التاريخ انّ زلازل هائلة دهمت بلاد صقلّية سنة ١٧٨٣ فالحقت كثيرًا من مدنها بالدقعاء لاسيما حاضرتها مدينة مسّينة . وقد وجدنا في احد مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة وصفًا لهذه الكارثة حرّرها كاتبها عند بلوغ الخبر الى مسامعهِ فاحببنا نشرهُ لئلّا تأخذهُ يد الضياع :

﴿ خبر الزلزلة التي جرت في كلابريه وفي جزيرة سيسيليا ﴾ «يوم الاربعاء في ٥ شباط سنة ١٧٨٣ في الساعة ١٩ ( اي ٧ بعد الظهر ) والدقيقة الخامسة احتملت كلابرية الواطية زلزلة رهيبة كانت متّجهة من الشرق الى الغرب ودامت نحو ٥ دقائق . ومن تلك الساعة السابعة مساء توالت الزلازل حتّى بلغت عدد ٣٢ هزّةً ثمّ تعاظمت وازدادت . وفي اليومين التابعين اي الخميس والجمعة سُمعت اصوات مهولة وحدث في البحر والبرّ اضطراب عظيم مع سيول وامطار مخيفة وبروق ورعود عقبها ظلام مخيف

امّا ما حدث من الخراب بسبب هذه الزلازل فلم نعرفها كلّها وانّما بلغنا في ١٥ شباط بانّ كلابرية الواطئة المشتملة على ٣٧٥ مدينة او قرية قد تلاشى منها ٣٢٠ . وانّ الامير دي كارياتي قد خسر ١٧ مدينة محصّنة من املاكهِ بينها المدينتان العظيمتان سيميناره ويالمي حيث ( كذا ) لم يبقَ منهما حجر على حجر . وامّا اميرة جيراكا الحاكمة على هذه المدينة فانّها اندفنت تحت الردم واستحالت مدينتها الى رماد بحريق اصابها بالزلزال وتلاشت كلّ املاك الاميرة . وكان الامير دي سليلا موجودًا في جيراكا لكنّهُ نجا بنفسهِ عند سقوطها فنزل في قارب في البحر . وقد خسر الملك

(فردينند) واكابر مملكتهِ وتجار كلابرية كلّ املاكهم لأن وكلاءها هلكوا فبعضهم انطمُّوا تحت التراب وبعضهم استحالوا الى رماد بما حدث في مدينة مسّينة من الحريق فخسروا كلّ اجناس الارزاق الموجودة في المخازن التي اخربها البحر . امّا حصون كلابرية فانّها تلفت وتلاشت . والجسر المشيَّد عليهِ البرج المدعو نارُو غاص في البحر ولم يبق منهُ اثر . وكذلك مدينة ريجو ( Reggio ) الشهيرة اندثرت رسومها . وسقط قسمٌ من الجبل المسمَّى ليوني مع المكان المسمَّى بأنباره واماكن اخرى عظيمة الشأن والغنى كلها فنيت وتلاشت

وكان لكلابرية نهر يُدعى بتراجا يحيط بها فغار بالكلّيَة وكان لا يُقطع قبلًا الَّا بالقوارب فيقطعهُ الناس حاضرًا بالاقدام ولا يُعرَف حتَّى الآن اين تجري تلك المياه الطامية ولعلَّ ينابيعهُ قد انقطعت

وتنبئنا المكاتيب الواردة من ايطالية عن كثرة الذين ماتوا بسبب هذه الزلازل وتخبر بان الباقين في الحياة متشتتون في البراري لا يجدون شيئاً يقتاتون بهِ ولا ثياباً يلبسونها ولا نارًا يصطلون بها . امَّا جثث الموتى الذين نجوا من الحريق فقد دُفنت في البراري لعدم وجود كنائس وكهنة يصلُّون عليهم

وقد وصل في ١٤ شباط مركب الملك الذي كان في مسّينة وقت الزلزال فأخبر انَّ الجزء الاكبر من مدينة مسّينة قد اصبح خراباً وانَّ الجزء الآخر قد انخسف فابتلعتهُ الارض بفعل الزلازل المتواصلة طول الليلة الاولى حتَّى انهُ ما عاد بقي شيء بالوجود الى حين سفر المركب الملوكيّ المذكور سوى بيت الكبوشيين وكنيسة المطهر وقد بلغ الذين ماتوا فيها ١٢٠٠ شخص . فما استطاع احد منهم على الفرار والذين حاولوا على النجاة استحالوا الى الرماد بالحريق . وبخصوص البضائع والارزاق التي كانت مسّينة غنيَة بها ففُقدت تماماً . ومن التروبيا لم يسلم سوى اربعين رجلًا . والاشراف هربوا الى المراكب الموجودة في المينا فنجوا لكنَّهم عُراة من غير ثياب وقد اخبروا انهُ في المينا وفي الحقول القريبة قد انفتحت عدَّة لغوم في بطن الارض

❊ مضحكات المقتطف ❊ يرينا كتبة هذه المجلّة من تشبُّثهم بالآراء الدروينيَّة غرائب لايمكننَّا اذا اطَّلعنا عليها ان نتمالك عن الضحك فنتعجَّب من عرضهم سخافات مثلها على قرَّائهم . فمن ذلك جوابهم على من سألهم (ص ٥٠٤ — ٥٠٥ من عدد

نوفبر ) لأيّ سبب الملكة ماري انطوانت التي عُرفت وقت عزّها بخفّة طباعها اصبحت في سجنها ووقت محاكمتها دمثة الاخلاق رصينةً فاجابوا وفقاً لمبدأ داروين في الوراثة انّ هذا التغيير « تعليلهُ الطبيعي انّ اسلافها الاقدمين كانوا قليلي التبصّر مجازفين ثمّ تدمّثت اخلاقهم رويداً رويداً امّا بتنصّرهم او بعامل آخر فورثت ( اي ماري انطوانت ) الميل الى الصفات الاولى والى الصفات الثانية وظهرت فيها اطوار الاوّلين والآخرين على التوالي لانها ورثت منهم الجراثيم التي تنوّعت بتغيير الاحوال مدّة سنين كثيرة فظهرت افعالها فيها متدرّجة » . فيا لله ألم يجد اصحاب المقتطف جواباً اقرب الى تعليل هذا التغيير او ليس تغيير الاحوال كافياً لذلك. ألسنا نرى كل يوم كيف تؤثر صروف الدهر في الطباع فتغيّرها بزمن قريب. وقُلْ مثل ذلك عن عوامل اخرى كتأثير الدين وزواجرهِ وكأمثال عظماء الناس ورادع الضمير في قلب الانسان الخ الخ . وللمقتطف غير ذلك من الاجوبة على سؤالات يعرضها عليه بعض الادباء هيهات ان يقنع بها السائل كنسبتهِ (ص٥٠٦) الى ناموس الرجوع الى الاصل ما عرضهُ عليهِ احد ادباء الفيوم . وكنسبتهِ الى الخداع او الى العصبيّة ما رُوي لهُ (ص ٤٩٥) عن تحريك الموائد وطرقاتها على حروف المعجم وعن ظواهر اخرى غريبة كما نكر سابقاً عجائب لورد التي ثبتت بشواهد مئين من الاطباء والعلماء وكلّ ذلك لأنها «لا تقطع عقلهُ». فاين هذا كلّهُ من العلم الصحيح !

﴿ اوسمة ممنوحة لآباء رسالتنا السوريّة ﴾ كانت الحرب الاخيرة مدعاةً الى اقرار رؤساء الدولة الافرنسيّة بفضل الاكليروس عموماً وبشهامة آباء رهبانيّتنا اليسوعيّة خصوصاً فانّ الذين ذهبوا ضحايا الواجب في ساحة الشرف بلغوا نحو المئتين. وكذلك عُدَّت بالمئات الاوسمة الشرفيّة المختلفة التي نالوها من اركان الحرب . وقد نالت رسالتنا السوريّة حصّتها الطيّبة من هذه الامتيازات فمنحت الدولة عشرة منهم اوسمةً تنطق بتفانيهم في سبيل الوطن . وكان آخر من نال وسام جوقة الشرف من رتبة شفاليه الاب كونستانتن مدير الدروس في كلّيتنا وقد جوزي بالوسام الحربي الاب جانيار رئيس ديرنا في غزير منحهما الوسامين فخامة الجنرال غورو بحفلة حافلة في ١٥ من الشهر الماضي

# أسئلة وأجوبة

س سأل من حلب احد كهنتها الافاضل . ١ً ما هي الصور التي ترسم بنوع احقّ وازيد تأثيرًا السيّد المسيح مصلوبًا ؟ . ٢ً ما هي صور درب الصليب التي ترسم لنا رسمًا ادقّ حقيقة ذالك الواقع ؟ . ٣ً هل الصلب كان يجري بالربط او بالمسامير ؟ . ٤ً وكيف كان ذلك يجلب الموت ؟ . ٥ً هل كفى كسر ساقي اللصين لموتهما ؟

ج نجيب على (الاوّل) انّ صور المصلوب لا ترقى الى زمن السيد المسيح . وقد اثبتنا في المشرق (٧ [١٩٠٤] : ٢٩٣–٣٠٢) اصل تلك الصور في الشرق . فلتراجع . امّا صور المصلوب المؤثرة لحسن اتقانها فعديدة لا تُحصى . وقد رسمنا منها هناك صورة جميلة لاحد كبار المصوّرين . ومن الصور الاعظم تأثيرًا صورةٌ في دير الآباء الكبوشيين في رومية يقال عنها انّ الشيطان صوَّرها سنة ١٦٩٥ لاحد عَبَدتهِ اقترح عليهِ ذلك هذا الرجل الاثيم فاجاب الشيطان الى طلبتهِ مرغوماً . فلمّا رآها الرجل اثّرت فيهِ تأثيرًا عظيماً حتّى تاب الى الله ولدينا منها نسخة . نجيب على (الثاني) انّ صور درب الصليب رسمها لاوّل مرّة راهب دومينيكي الطوباوي ألفار المتوفى سنة ١٤٢٠ بعد عودتهِ من زيارة الاراضي المقدّسة . وقد اختلفوا في عددها واشكالها الى أن ثبتت على صورتها الحاليَّة في اواخر القرن السابع عشر وصورها المؤثرة عديدة جدًا . نجيب على (الثالث) انّ الصَّلب كان عند الرومان يصير على الصورتين امّا بربط اطراف المصلوب وامّا بتسميرهِ على الصليب . والسيّد المسيح كما يشهد الانجيل سُمّر عليهِ . نجيب على (الرابع) الصلب وحدهُ ما كان كافياً لجلب الموت سريعاً . فمن المصلوبين من كان يعيش اياماً على صليبهِ الّا انّ المصلوب كان يُجلَد قبل صليبهِ وكان يفقد بالجلد والتسمير قسماً من دمهِ فيموت عاجلًا او آجلًا . وكان (خامساً) كسر الساقين يقرّب ساعة موت المصلوب لكثرة نزف الدم

س وسأل حلبيّ آخر ما رأيُنا في قول كتبة العرب عن تشييد ابراهيم لمدينة حلب بعد احتلالهِ في ربوعها وحَلْبهِ قطعانهُ عندها

ابرهيم الخليل وتشييدهُ لمدينة حلب

ج ليس لهذا التقليد صحّة فانّ حلب اقدم من عهد ابراهيم راجع ما ورد في ذلك في المشرق (٢ [١٨٩٩] : ١٦–١٧)

ل . ش

# فهرس اوَّل

## لموادّ اعداد السنة التاسعة عشرة من مجلَّة المشرق ١٩٢١

( العدد الاسود يدلّ على اعداد المجلَّة والرفيع على الصفحات )

العدد ١ ( كانون الثاني ) تواريخ العالم وروزناماتهُ للاب لويس شيخو اليسوعي ( ١ – ١٠ ) = خلاصة تاريخ العام المنصرم للاب جبرائيل لوفنك اليسوعيّ ( ١١–٢٠ ) = الذبيحة في شرقي الاردن للخوري بولس سلمان (٢١–٢٦) = وقفة بين الناصرة وبيت لحم قصيدة للخوري رفائيل البستاني (٣٩–٤٣) = أحدث الطرق لقياس بُعد النجوم عن الارض للاب رفائيل نخله اليسوعي (٤٤–٤٩) = العلائق الاولى بين فرنسة وسوريّة للاب هنري لامنس اليسوعي ( ٤٩ – ٥٥) = النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة للاب ل . شيخو (٥٥–٦٤ ؛ ٢ : ١٤٦–١٥١ ؛ ٣ : ٢٢٦–٢٣٠ ؛ ٤ : ٣٠٢–٣٠٩ ؛ ٥ : ٢٨٥–٢٨٨ ؛ ٦ : ٤٦٠–٤٦٦ ؛ ٨ : ٦١٨–٦٢٤ ؛ ٩ : ٧٠٥–٧٠٩ ؛ ١٠ : ٧٧٨–٧٨٤ ؛ ١١ : ٨٤٩–٨٥٤ ؛ ١٢ : ٩٢٩–٩٥٠ ) = منظومات في الممدود والمقصور لابن دُرَيد نشرها الاب ل . شيخو (٦٤–٦٨) = مطبوعات شرقيَّة جديدة (٦٩) = شذرات : لبنان والمهاجرة (قصيدة) . عملة الورق ومبالغ النقود الذهبيَّة الكافلة لها . الكتب المنشورة في السنة ١٩١٨ . اين تلك الازمان ؟ . سنة وفاة الشاعر نقولا الترك . اكتشافات زراعيَّة . امّ حرام . تكذيب الكافر رينان (٧٤)=اسئلة واجوبة : العرب والابرة المغناطيسيَّة (٨٠)

العدد ٢ (شباط) احوال الكنيسة في العام المنصرم للاب ل . شيخو (٨١–٩٧)= انشاء مكتبة كاثوليكية في بكسهيل للاب ر . نخله (٩٨–١٠٨) = اكرام كاتبة مسلمة القديسة جان درك . للسيِّدة زينب فوّاز (١٠٨–١١٤) = الحيوانات الداجنة وتربيتها للاب اسكندر طوران اليسوعي (١١٤–١٢٤) = ترجمة يوسف الاوَّل بطريرك الكلدان لتلميذهِ باسيليوس عبد الاحد مطران آمد نشرها الاب ل . شيخو (١٢٤–١٢٨) = الطائفة المارونيَّة والرهبانيَّة اليسوعيَّة في القرنين السادس عشر والسابع عشر للاب ل . شيخو (١٢٨–١٤٦ ؛ ٤ : ٢٩٢–٣٠٢ ؛ ٨ : ٦٢٥–٦٣٠ ؛ ١٠ : ٧٥٨ – ٧٧٠ = مطبوعات شرقية جديدة (١٥٢) = شذرات : نشيد المدارس الدينيَّة . برصليبي وكتاب الكهنوت . اليهود والبلشفيَّة . ترقّي الكثلكة في الولايات المتحدة (١٥٧) = اسئلة واجوبة : تاريخ دير المخلّص . اسئلة كتابيَّة . اللورد ماك سويني (١٦٠)

العدد ٣ (آذار) كتاب تدبير المنزل لنرسيس (؟) نشرهُ الاب ل . شيخو (١٦١ – ١٨١) = قوَّة محرّكة جديدة : الفحم الاحمر للاب ر . نخله (١٨١–١٨٧) = التذكار الخمسيني لحماية القديس يوسف للاب ل . شيخو (١٨٧–١٩٣) = العلوم في السنة المنصرمة : لهُ (١٩٣ – ٢٠٥) = الرسالة الفرنسيسيَّة وشهداؤها في الولاية الحلبيَّة : لهُ (٢٠٦–٢١٤) = صفحة منسيَّة من تاريخ تونس للاب لويس شرل اليسوعي (٢١٥–٢٢٠) = سلطان يسوعي « المولى محمَّد العباس » : لهُ (٢٢٠–٢٢٥) = مطبوعات شرقيَّة جديدة (٢٣١) = شذرات : رسالة العصر

الجديد. محفل صنين. رئيس الشرق الاعظم. المارشاليَّة الجدد. فضل فرنسة على الجزائر. جامعتان اميريكيَّتان (٢٣٨)=اسئلة واجوبة: ابيات على مدينة الزهراء. غفرانات شتَّى وشروطها (٢٤٠)

العدد ٤ (نيسان) خطبة لخميس الاسرار لابي البركات ابن كبر نشرها الاب ل. شيخو (٢٤١-٢٤٥) = ميمر في عيد الفصح للقديس يوحنا فم الذهب تعريب عبدالله بن الفضل الانطاكي نشرهُ الاب ل. شيخو (٢٤٥-٢٥٠) = اعظم اكتشاف جراحي في الجيل العشرين للاب رفائيل نخله (٢٥٠-٢٥٧)=رسالة تدبير المنزل لارسطو بقلم عيسى اسكندر المعلوف (٢٥٧-٢٦٢) = شهيدات المحبَّة في ثورة فرنسة الكبرى للاب ل. شيخو (٢٦٢ - ٢٧١) = تنصُّر الامير عبدالله اللمعيّ للخوري اسطفان فريجه البشعلاني (٢٧١-٢٧٧) = السبيريتسم او مناجاة الارواح للابوين اليسوعيين يوسف مونجان ويوسف منذَى (٢٧٨-٢٩٠؛ ٥ : ٣٥٢-٣٥٨)= التذكار الخمسيني لافتتاح قناة سويس للاب ر. نخله (٢٩٠-٢٩٢) = مطبوعات شرقيَّة جديدة (٣٠٩) = شذرات : سيادة المطران باسيليوس قطان. السنة الاربعمائة لوفاة ماجلّان. الماسونيَّة في بيروت. معهد جديد لتربية الحشرات النافعة. كفر البولشفيين ومنكراتهم (٣١٦) = اسئلة واجوبة : اسئلة طقسيَّة. تنظيف الزجاج. وقوع عيد البشارة في يوم جمعة الآلام (٣٢٠)

العدد ٥ (ايَّار) تكريس لبنان الكبير والطائفة المارونيَّة لقلب يسوع الاقدس للاب ل. شيخو (٣٢١-٣٢٨)=اثر قديم للملك يوستنيان في بيروت للابوين اليسوعيين ل. شيخو ورينه موترد (٣٢٩-٣٣٢)= الحب البنوي: رواية تاريخيَّة معرَّبة عن الاسبانيَّة لاحد الآباء اليسوعيين (٣٣٣-٣٣٧) = العنكبوت: نظر طبيعي للاب اسكندر طوران (٣٣٨-٣٤٦) = الآلة الناسخة للاب ر. نخله (٣٤٧-٣٥٢) = المحاورة الدينيَّة التي جرت بين الخليفة المهدي وطيماثاوس الجاثليق. نشرها الاب ل. شيخو (٣٥٩- ٣٧٤ ؛ ٦ : ٤٠٨-٤١٨) = الطريد الارمني ونجاتهُ من الاتراك لبدروس اراكليان (٣٧٥-٣٨٥) = مطبوعات شرقيَّة جديدة (٣٨٩) = شذرات: منشور بطريركي. دار الكتب الكبرى في بيروت. حرير الموز. الاصداء الشهيرة. متانة خيط العنكبوت. نابغة السباحة. مأثرة الليوتنان كازال الفرنسويّ. اعظم اكتشاف علمي من غرَّة الجيل العشرين الى اليوم (٣٩٦) = اسئلة واجوبة : رأي الغزَّالي في النفس. رحلة ڤولتير الى سوريَّة (كذا). الشيخ صالح الغزّي وكتابهُ معونة المفتي والقاضي (٤٠٠)

العدد ٦ (حزيران) شهيدا لبنان: فيليب وفريد الخازن للمطران عبدالله الخوري (٤٠١-٤٠٨) = قبر عزرا الكاتب ليوسف افندي غنيمة (٤١٨-٤٢٣)=نقل الصور الشمسيَّة بالمجرى الكهربائي والتراثي عن بُعْد للاب ر. نخله (٤٢٤-٤٣٥) = التعليم الاجباري للاب ل. شيخو (٤٣٥-٤٤٤) = المعارض والاسواق : لهُ (٤٤٤-٤٥٢) = مديح قديم لمار افرام وضعهُ القديس غريغوريوس نيسس نشره الاب ل. شيخو (٤٥٢-٤٥٩؛ ٧ : ٥٠٦-٥١٦) = مطبوعات شرقية جديدة (٤٦٢) = شذرات : قلب يسوع في صدر لبنان قصيدة للخوري ر. البستاني. النباتات النيّرة. اطول قناة في العالم. الماسونيَّة والحرب الكونيَّة. اصلاحات وفوائد (٤٧٣) = اسئلة واجوبة: البدلة الشرقيَّة في الطقس المارونيّ. تأخُّر الفصح عند الروم في السنة الحاليَّة (٤٧٦)

العدد ٧ (تموز) الوقائع الماسونيَّة نظر انتقادي للاب ل. شيخو (٤٧٧–٤٨٦)= كشف الظنون عن حال الفرمسون لمحمَّد عليّ عزّ الدين الشامي العامليّ (٤٨٦–٤٩٤) = مسألة البترول نظر تاريخي واقتصادي للاب ر. نخله (٤٩٥–٥٠٦) = المذاهب المستحدثة لفلاسفة الاعصر المتاخرة للخوري يوسف العمشيتي (٥١٧–٥٢٧) = معرض بيروت: نظر اجمالي تاريخي اقتصادي اجتماعي للاب ل. شيخو (٥٢٧–٥٣٥) = نظرة الى بعض عجائب قمر المحيط للاب ر. نخله (٥٣٥–٥٣٨) = المئة السابعة لانشاء رهبانيَّة مار فرنسيس الثالثة للاديب نقولا باپانقولا (٥٣٨—٥٤٥) = مطبوعات شرقيَّة جديدة (٥٤٥) = شذرات: الكليَّات الكاثوليكيَّة في الولايات المتَّحدة. حامل كفنهِ. مدينة الزهراء في الاندلس. فقيدان عزيزان من تلامذة كليتنا. خديعة ماسونيَّة. المقتطف واليسوعيُّون. عاديَّات قدَس. المجمع العلميّ العربي في دمشق (٥٥٣)= اسئلة واجوبة: حرم المنتمين الى الشيعة الماسونيَّة. تبشير القديس توما في الصين (٥٥٦)

العدد ٨ (آب) المئة الثالثة لوفاة يسوعيَّين جليلين: القديس يوحنَّا بركمنس والمكرَّم الكردينال بلَّرمين (٥٦١–٥٧٩): اثر عربي قديم للقديس يوحنا فم الذهب نشرهُ الخوري لاونديوس كلزي رئيس دير الشير (٥٨٠–٥٩١) = لغزان في المرّيخ للاب ر. نخله (٥٩١-٦٠١) = محاورة سريانيَّة بين الخاطئة والشيطان عرّبها منظَّمةً عن بعض ميامر مار افرام القس مبارك مزرعة النهر (٦٠١–٦٠٦) = المذهب الدرويني واصل الانسان للاب اسكندر طوران اليسوعي (٦٠٦– ٦١٨ ; ٩ : ٦٥٩–٦٧٠ ; ١٠ : ٧٣٩–٧٥٠ ; ١١ : ٨١٤–٨٢٨ ; ١٢ : ٩٠٨–٩١٩)= مطبوعات شرقية جديدة (٦٣١) = شذرات: الحمَّى الملاريَّة وعلاجها عند العرب. الحمَّى التيفوئيديَّة. الجزء الثاني من الوقائع الماسونية. الحيوانات الممثَّلة وتفاوتها في الذكاء. البدلة اللاتينيَّة عند الموارنة. اديب الشوير (٦٣٧) = اسئلة واجوبة: الكاهن المخدوع بتوزيع حسنات القداسات. الشوكولاتا واصلها (٦٤٠)

العدد ٩ (ايلول) ادوار حياة النجوم للاب ر. نخله (٦٤١–٦٥٣) = مثال العفاف في رواية جنفياف نظمها الاديب ميخائيل عبدالله الراسي (٦٥٣–٦٥٩) = الدعوات في مزامير داود للاب فردينان توتل اليسوعي (٦٧٠–٦٨٧) = المئة السابعة لوفاة القديس دومينيك للاب ل. شيخو (٦٨٨–٦٩٥) = قصَّة سليمان بن داود في قصر عاد بن شدَّاد نشرها الاب ل. شيخو (٦٩٥–٧٠٤ ; ١٠ : ٧٢٣–٧٣٨) = مطبوعات شرقية جديدة (٧١٠) = شذرات: الذباب. اكرام العلماء في البصرة. تاريخ ضريح المرحوم جرجس همام. ترقّي الرسالات الكاثوليكيَّة. وسام جوقة الشرف لمدير مرصد شنغاي. بعثة علميَّة في بلاد الصين. الحيَّات المطلقة (٧١٦) = اسئلة واجوبة: سفر المستقيم. آية وقوف الشمس. النظر الى الشمس في طرفي النهار وفي الظهيرة. وجود النور والحرارة (٧٢٠)

العدد ١٠ (تشرين الاوَّل) نقل المسافرين والبريد بالطيَّارات للاب ر. نخله (٧٢١ – ٧٢٣) = رحلة حديثة الى الشهباء للاب ل. شيخو (٧٥٠–٧٥٩) = الاسقف الطريد. صفحة من تاريخ الكثلكة في الاستانة للقنصل فردينند رتزفال (٧٧٠–٧٧٧) = الانتحار للاب ل. شيخو (٧٨٤–٧٨٩) = مطبوعات شرقيَّة جديدة (٧٩٠) = شذرات: القلب الجريح فوق

الضريح . التصوير في الاسلام . اصل لعب الشطرنج . الهند الانكليزيّة في الحرب الكونيَّة . المرصد الفاتيكاني . مزاعم غريبة للمقتطف . عماد العذراء مريم (٧٩٦) = اسئلة واجوبة : قطعة الصليب المقدَّس المهداة لقيصر روسية . لاي سبب تحظر الكنيسة قراءة الاناجيل البروتستانيَّة . غفرانات الثوب الازرق (٨٠٠)

العدد ١١ (تشرين الثاني) اثران عربيَّان لـلاحبار الرومانيين في الماسونيَّة نشرهما الاب ل . شيخو (٨٠١–٨٠٧) = التصوير الشمسي الملوَّن للاب ر . نخله ٨٠٨–٨١٤) = شهيد الاستانة الكاهن غوميداس الارمني الكاثوليكيّ نظر تاريخي للاب ل . شيخو (٨٢٨–٨٣٤) = الشطرنج : فوائد في اصلهِ وحكمتهِ لـلقانوني جرجس بك صفا (٨٣٥–٨٤٢) = المشاريع الكاثوليكية في حلب للاب ل . شيخو (٨٤٣–٨٤٩) = خرافة البابا حنَّة . فكاهة تاريخيَّة : لهُ (٨٥٤–٨٥٩) = آثار قديمة في معراب للاب رينهِ موترد اليسوعي (٨٥٩–٨٦٣) = المركبة الهوائية الاولى في باريس لشاهد عياني الكونت لويس فيليب دي سيغور سنة ١٧٨٤ (٨٦٤–٨٦٧) = مطبوعات شرقية جديدة (٨٦٧) = شذرات : ذكرى اليمة . وفاة تلميذين فاضلين . التحف الفنيَّة الفرنسويّة في روسيَّة . سفر ايُّوب وقيامة الاجساد . رسالة القمر الى اهل بيروت . مضحكات المقتطف . شفاء دائي السلّ والزهري . الآثار القديمة في سوريّة ولبنـان (٨٧٤) = اسئلة واجوبة : شجرة العَنْبَة . المطران جرجس بنيامين (٨٨٠)

العدد ١٢ (كانون الاوَّل) : التـذكار المئوي الرابع لوفـاة لاون العاشر . لمناداة لوتاروس بالاصلاح ولارتداد اغناطيوس دي لويولا لـلاب ل . شيخو (٨٨١–٨٩٧) = عين الغوَّاصات او البرِسكوب للاب رفائيل نخله (٨٩٧–٩٠٢) = قصَّة افيقيا الحكيمة وسليمان الحكيم نشرها الاب ل . شيخو (٩٠٣–٩٠٨) = ذكرى لوفـاة نابوليون الاوَّل للخوري بطرس صفير (٩١٩–٩٢٩) = مطبوعات شرقيَّة جديدة (ص ٩٥١) = شذرات : خبر زلازل صقليَة سنة ١٧٨٣ – مضحكات المقتطف . اوسمة ممنوحة لآباء رسالتنا السوريَّة (ص٩٥٧) = اسئلة واجوبة : اسئلة في الصـليب والصلب — ابرهيم الخليل وتشييده لمدينة حلب (٩٦٠)

# فهرس ثانٍ

## يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

# فهرس ثالث

## للمطبوعات الشرقية التي ورد وصفها في السنة الثامنة عشرة من المشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

### ١ الكتب العربية والسريانية والتركية والارمنيَّة الخ

## ٢ مطبوعات اوربيّة

# فهرس رابع

## لجميع موادّ المشرق على ترتيب حروف المعجم

## اصلاح بعض اغلاط وقعت في اعداد هذه السنة

الصفحة ٤٤ السطر ٧ (٣٠٠,٠٠٠) والصواب ٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ = ٦٤ : ١٥ (بعدّ) ص «بعُدّه» = ١٥٤ : ٢٠ (Lazin) ص «Cazin» = ١٦٣ : ٣ (متقضياً) ص «منقضياً» = ١٦٥ : ٢١-٢٢ (مع الانام الموثقة) ص مع الآثام الموبقة = ١٦٧ : ١٦ (بالسوء) ص «بالسواء» = ١٦٨ : ٥ (الحاجة اليه) قد سقط هنا سطر من الاصل فيصلح هكذا «عرف اوقات الحاجة الى كلّ شيء فلم يُقدم على اتخاذ شيءٍ قبل وقت الحاجة اليهِ فيفسد» = ١٦٩ : ٣ (لشراهُ) ص «لشرائهِ» = ٢٠٨ : ١١ (سبعة كيلومترات) ص «سبع ساعات» = ٣٣٩ : ٣ (زوجين او اكثر) ص «لا اكثر» -٩ (ثمانية ازواج من العيون) ص «ثمانية عيون» - ٢٦ (زوجان من المحاجن) ص «زوج» = ٤٧٥ : ٢٤ (توفيت في غضون الحرب) والصواب انَّها «توفيت في ٢٠ صفر ١٣٣٣» (١٩ ك ٢ ١٩١٤) اي قبل الحرب = ٦٦٨ : ٧ (زعم دروين) ص «زعم هكّل» = ٧١٧ : ٢٠ (فوصة شنغاي) ص «مرصد شنغاي» = ٨٨٤ : ١٤ (سنة ١٩١٣) = ص ١٥١٣ = ٨٨٥ : ١٢ (ابن اخيهِ) ص «ابن عمّهِ»

## NOVEMBRE



## DÉCEMBRE

SEPTEMBRE



OCTOBRE

JUILLET



AOUT





MAI



JUIN





MARS



AVRIL

# TABLES DES SOMMAIRES

## XIXe ANNÉE 1921

### JANVIER



### FÉVRIER





# AL-MACHRIQ

## Revue Catholique Orientale Mensuelle

### SCIENCES — LETTRES — ARTS

Sous la Direction des Pères de la C^ie de Jésus

UNIVERSITÉ S^t JOSEPH

---

**Dix-Neuvième Année**

**1921**

BEYROUTH
Imprimerie Catholique
1921

AL-MACHRIQ